أعلاق أندلسية
إشبيلية (٤)

سلسلة مؤلفات الإمام
أبي بكر ابن العربي (٤)

سراج المريدين في سبيل الدين

لاستنارة الأسماء والصفات في المقامات والحالات
الدينية والدنيوية بالأدلة العقلية والشرعية القرآنية والسنية
وهو القسم الرابع من علوم القرآن في التذكير

إملاء
إمام الأئمة وزين الملة الفقيه الحافظ النظار
أبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد ابن العربي المعافري الإشبيلي
المتوفى سنة ٥٤٣ هـ

ضبط نصه وخرج أحاديثه ووثق نقوله
الدكتور عبد الله التوراتي

السفر الأول

دار الحديث الكتانية


بسم الله الرحمن الرحيم



كَتَبَ الفَقِيهُ الإمامُ الحافظُ القاضي أبو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بن عبد الله بن محمّد ابن العَرَبِي رضي الله عنه:

من مُحَمَّدِ بن العَرَبِي إلى زُمْرَةِ المريدين، ولُمَّة الطَّالبين السَّالكين في سَبِيلِ الدِّينِ، والمُتَوَجِّهين إلى الحَقِّ المُبِينِ؛ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ؛

أمَّا بَعْدُ:

فإنِّي أَعِظُكم بواحدة؛ وهي أن تُصْغُوا إليَّ مُبْتَدَأً ومُنْتَهًى، فإن الذي أُورِدُه عليكم وأَجْلُوه لديكم[1] عَقَائِل النُّهَى، أُبْرِزُهَا في مِنَصَّةِ العقائد والأعمال، وأَنْظِمُ لها صفات الهُدى والضلال، والاجتهاد والإِكْسَالِ، على وَجْهٍ يأتي عليه الشَّرْحُ والإجمال[2]، حَسَبَ ما تقتضيه الحال، وإنِّي وإن لم أَكُن مُتَحَلِّيًا بما أُورِدُه، ولا ضابطًا على ما أَعْقِدُه، فإنَّ لي قُدْوَةً في شيخنا[3]

(١) في (ص): عندكم.

(٢) في (ص): أو الإجمال.

(٣) في (ص): بشيخنا.

أبي عَلِيٍّ الحَلَبِي[١]؛ خَطِيبِ المسجد الأقصى - طهَّره الله[٢]-، حَضَرْتُ عند جُمُعَةٍ فيه؛ وقد عَلَا على أعواد منبره فخَطَبَ:

«الحمد لله الذي تفرَّد دون خَلْقِه بمِلْكِ الدنيا والآخرة، وغَمَرَ برِزْقِه كلَّ نَفْسٍ بَرَّةٍ وفاجرة، ثم ردَّهم بعد ذلك في[٣] الحافرة، ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات:١٣-١٤]، أَحْمَدُه على نِعَمِه المتوافرة، وأَشْكُرُه[٤] على آلائه المتظاهرة، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، شهادةً باطنة ظاهرة، مَرْحُوضَةً عن دَنَسِ الشَّكِّ طاهرة، وأشهد أن مُحَمَّدًا عبدُه ورسولُه، رَدَّدَه بين الأرحام المُحْصَنَةِ والأصلاب الفاخرة،

---

(١) ترجمه ابنُ العديم في تاريخ حلب، ومصدره في ترجمته هو كتابنا هذا؛ «سراج المريدين»، قال - رحمه الله -: «خطيب المسجد الأقصى، كان وَرِعًا متدينًا، وله كلام حسن مُبين، أخذ عنه أبو بكر بن العربي الإمام، صاحب كتاب الأحكام، وذَكَرَه في أوَّل كتابه في سراج المريدين»، ثم ساق جُلَّ هاته الخطبة التي أوردها القاضي هنا، فأفادتنا في ضبط بعض حروفها، بغية الطلب: (١٠/٤٥٣٣)، ولم يذكر وفاته، وظهر لي أنه من جملة من استُشهد في دَخْلَةِ الصليبيِّين بيتَ المقدس في شعبان من عام ٤٩٢هـ، وقد ألمح الإمامُ ابنُ العربي إلى ذلك، قال ﷺ فيه: «شَيْخٌ عَكَفَ عُمْرَه على الوعظ والعبادة، وختم الله له بالشهادة»، ويأتي قوله هذا قريبًا.

(٢) في (ص): عَمَرَهُ الله بدعوة الإسلام مدى الأيام والليالي.

(٣) في (ز): إلى.

(٤) في (ز): أشهده، وهو تصحيف.

حتى أَبْرَزَه آيةً باهرة، وابتعثه[١] حُجَّةً قاهرةً، فقام بأَمْرِ الله وشقاشق[٢] الكفر هادرة، وبِحَارُه زاخرة، ودعاتُه ثائرة، فلم يَزَلْ يُجَادِلُ في الله بالأدلة المتناصرة[٣]، ويُنَاضِلُ عن دِينِه بالقواضب الباترة، وأَعَادَ العيشة الناضرة، وأَصْلَحَ أَمْرَ الدنيا والآخِرَة، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه ما هَطَلَت السُّحُبُ المَاطِرَة، وجَرَتْ في البحار السُّفُنُ المَاخِرَة.

عِبَادَ الله؛ عَلَوْتُ على منبركم ولستُ بخَيْرِكُمْ[٤]، والله لو كانت الذنوبُ مَنْظَرَةً لكُنْتُ أقبحَكم، أو ملبسًا لكنت أخشنَكم، أو صارت خبرًا لكنت أفظعَكم، أو فغمت[٥] رائحةً لكنت أَتْفَلَكُمْ[٦]، فإن تكلَّمتُ فنفسي أخاطب، ولئن وعظتُ فإني للتوبة طالب، وفي الإنابة راغب، يدعو إليها النُّهَى، ويَصْدِفُ عنها الهوى».

ولم يبلغ في الخطبة هاهنا، حتَّى غَلَبَ على الخلق الأَنِين، واستولى عليهم الخَنِين، وسال الدَّمْعُ والذَّنِين[٧]، وارتفع الزَّعْقُ، وكَثُرَ الصَّعْقُ، وقُضِيَت الصلاة، وطارت الخُطْبَةُ في الأقطار كلَّ مَطَار، وسار بها الراكبُ

---

(١) في (د): بعثه.

(٢) في (د): شَقَائِقُ.

(٣) في (ز): المناصرة.

(٤) في (ز): منكم، وهو تصحيف.

(٥) في (ص): ختمت.

يقال: فَغَمَه الطِّيبُ: إذا سدَّ خياشيمه، تاج العروس: (٣٣/٢١٤).

(٦) في (د): أفعلكم.

(٧) الذنين: رقيق المخاط، تاج العروس: (٣٥/٦٦).

أينما سار، فأنزلتُها من قلبي تَالِيَةَ الإيمان، وأَضْمَرْتُهَا في نفسي حاجةً لم أقضها إلى الآن، ولكلِّ شيء أوان، مع اعتقادي أنها بِكْرُ كلامه، وفَضِيضَةُ خِتامه، حتَّى قرأتُ بدمشق على الشيخ أبي محمد [عبد الله بن] عبد الرزَّاق بن فُضَيل[١]؛ قلت له: أخبركم أبو عمرو المالكي: أنا محمد بن عبد الملك: أنا أحمد بن إبراهيم: أنا ابن هاشم: أنا الدَّبَرِي عن عبد الرزاق عن معمر عن رجل عن الحسن: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه خطب فقال: «إن رسول الله ﷺ كان يُعْصَمُ بالوحي، وكان معه مَلَكٌ، وإنَّ لي شيطانًا يُغْوِينِي[٢]، فإذا غَضِبْتُ فاجتنبوني، لا أُؤَثِّرُ في أشعاركم وأبشاركم، أَلَا فَرَاعُوني؛ فإن استقمتُ فأعينوني، وإن زِغْتُ فقَوِّمُوني»[٣].

---

(١) المُحَدِّثُ المُسْنِدُ، عبد الله بن عبد الرزاق بن عبد الله بن الحُسَين بن فُضَيل، أبو محمد بن أبي القاسم الكَلاعي الحِمْصِي، ثم الدمشقي، (٤٢١-٤٩٢هـ)، روى عن جماعة من أهل العلم، وكان ثقة، ولم يكن الحديثُ من شأنه، كذا قال ابنُ صابر، وهو أَحَدُ الآخذين عنه، سمع منه ابنُ العربي «المُصَنَّف» لعبد الرزَّاق، و«الجَامِعَ» لمعمر بن راشد، ترجمته في تاريخ دمشق: (٢٩/٣٤٠).

(٢) في المنشور من الجامع (١٠/٣٣٦): يعتريني، وكذلك هي في غريب الحديث للخطَّابي: (٢/٣٥)، وتاريخ دمشق: (٣٠/٣٠٤).

(٣) الحديث في جامع معمر بن راشد: باب لا طاعة في معصية، المصنف (١٠/٣٣٦-الأعظمي)، ومن طريقه الخطَّابي في غريب الحديث: (٢/٣٥)، وهذا إسناد ضعيف، لجهالة من روى عنه معمر، ثم لكونه من مُرْسَلَاتِ الحسن البصري، ورُوِي بألفاظ وطُرُقٍ أخرى لا تخلو من ضعف، والله أعلم، يُنظر: المسند للإمام أحمد: (١/٢٤٢).

قال حَمْدٌ[١]: وقال: «وُلِّيتُكم ولستُ بخَيْرِكُمْ»[٢].

قال أيضًا: وأخبرنا ابنُ الأعرابي: أنا أبو داود: أنا أحمد بن عَبْدَةَ: سمعتُ سفيان يقول: «بَلَغَنَا عن الحسن أنه ذَكَرَ قول أبي بكر ﷺ: وُلِّيتُكم ولست بخيركم، قال: بلى والله، إنه لخَيْرُهم، ولكنَّ المؤمن يَهْضِمُ نفسه»[٣].

قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي ﷺ: فعلمتُ أنه من هاهنا أَخَذَها، أو بأقوال السَّلف الصالح في هذا الغَرَضِ اقتدى ممَّن اهتدى بها، فإن أبا بكر أوَّلُ من قاله، وأفضلُ من سَلَكَ هذا المسلك.

وقد قال قَوْمٌ في قوله ﷺ: «لا تخَيَّرُوا بين الأنبياء»[٤]، وقوله: «لا تُفَضِّلُوني على يونس بن متَّى، ونَسَبَهُ إلى أبيه»[٥]، وقوله - لمن قال له:

---

(١) هو الإمام الحافظ الحُجَّة، حَمْدُ بن محمد إبراهيم بن سليمان بن خطَّاب البُسْتِي، أبو سليمان الخطَّابي، كان إمامًا في الفقه والحديث واللغة، وطُبع من تصانيفه الكثير، وعليها عوَّل أهلُ الأندلس، قال أبو الحسن الوادي آشي في وسيلته: «مقتصرًا في ذلك على ما نصَّ عليه الشيخ الفقيه المحدث العلَّامة أبو سليمان الخطَّابي ﷺ، لمكانته عند العلماء من الإمامة في اللغات والحديث والفقه»، فهرس خزانة القرويين: (٤/ ٤٥)، وتوفي رحمه الله ببُسْتَ عام ٣٨٨هـ، ترجمته في: سير النبلاء: (١٧/٢٣-٢٧)، وطبقات الشافعية: (٣/٢٨٢-٢٩٠).

(٢) غريب الحديث للخطَّابي: (٢/٣٥).

(٣) غريب الحديث للخطَّابي: (٢/٣٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ: كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الإشخاص والخصومة بين المسلم واليهود، برقم: (٢٤١٢-طوق).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ: كتاب الأنبياء، باب قوله الله تعالى: ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾، برقم: (٣٤١٣-طوق).

يـا خيـر البريـة-: «ذاك إبـراهيم»[١]: «إن مخـرج ذلـك مِنْـهُ علـى رَسْـمِ التواضع»[٢].

وقيل: إنه قَبْلَ أن يُعَرَّف بمنزلته، ويُكْشَفَ له عن مرتبته، ويُطَالَعَ بعَلِيِّ دَرَجَتِه[٣].

وبهذا أقول.

ويَفْرِقُ بيني وبينهما:

أنَّ **الأَوَّل**[٤]: لا نظير له في الأمة، بل لا تعدله جميعًا في ميزان الشريعة.

والثاني[٥]: شَيْخٌ عَكَفَ عُمْرَه على الوعظ والعبادة، وخَتَمَ الله له بالشهادة.

وأنا بالإضافة إلى ذلك حَقِيرٌ، وأنَّى لي في رُجحان ميزاني بِقَدْرِ النَّقِيرِ؟ فَأَخْلُصَ إلى دار النجاة، وأكون من الهَلَكَةِ بمنجاة، ومع مُماشاة الزمان هَمْلَجَة[٦]، ومعاملة الأعمال بالنقود المُبَهْرَجَة، فلا بدَّ من قَرْعِ الباب قولًا وعملًا، ولا أتركُ نفسي للغفلات هَمَلًا، عسى الإِدْمَانُ القَرْعَ أن يُفْتح، واللَّجاج والإلحاح أن يُبَلِّغَ ويُنْجِح.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ، برقم: (٢٣٦٩-عبد الباقي).

(٢) أعلام الحديث للخطَّابي: (١٥٥٨/٣).

(٣) ينظر في ذلك: المُفْهِم لأبي العبَّاس القرطبي: (٢٢٨/٦-٢٣١).

(٤) هو: أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

(٥) هو: أبو علي الحلبي، خطيب المسجد الأقصى طهَّره الله.

(٦) الهملجة: حُسْنُ سير الدابة في سرعة، تاج العروس: (٢٨٥/٦).

مقدمة

وقد كنتُ أفضتُ في «أَنْوَارِ الفَجْرِ بمَجَالِسِ الذِّكْرِ» في أنواع العلوم الشريفة؛ من التوحيد، والأحكام، ومقامات الأعمال، وآفات القلوب والأحوال؛ ما سارت به الرُّكبان، وتعطَّر بأَرَجِه الزمان، وضَعُفَتْ عن تحصيله الأركان، وقُيِّد منه ما قُيِّد، وشُرِّدَ منه ما شُرِّدَ، واسْتَفَأَتِ الآفاتُ كثيرًا منه، ونَسَفَتْ أَرْوَاحُ النوائب جملةً ممَّا كُنَّا فَرَغْنَا عنه، وكان من أهم ما يُقبَل عليه؛ تقييدُ ما يتعجَّل الخلقُ منفعتَه، فخرج «الأَمَدُ الأقصى في أسماء الله وصفاته»، و«ناسخُ القرآن ومنسوخه»، و«أحكامُه»، و«قانونُ التأويل»، وكتابُ «العواصم»، و«القَبَسُ من أنوار مالك ﷺ في كتابه»، و«العِوَضُ المحمود»، وهو مُفَرَّقٌ عند الناس، وبقي عِلْمُ التذكير المتعلق بالأعمال والمقامات، وسَنَحَ خاطرُ خَيْرٍ في العَطْفِ إليه، وجنحت القواطعُ قليلًا عنه، فنسأل الله العون عليه.

وقد كنتُ وَقَفْتُ على كثير من كُتبه ممَّا جَمَعَهُ أَرْبَابُ الذِّكْرَى؛ الذين أَوَّلهم المُحَاسِبِي[1]، ....

(١) الإمام الزاهد، والعالم المتفنن، شيخ الصوفية، له كتب كثيرة في الزهد وأصول الدين، وشُهِرَ بالرد على القدرية والرافضة، وكانت له معرفة بمذاهب النُّسَّاك، وله رواية وحديث، مع معرفة بالفقه، توفي عام ٢٤٣هـ، ترجمته في: الفهرست لابن النديم: (١/٦٥٨)، وطبقات الصوفية للسُّلَمي: (ص٥٦-٦٠)، وحلية الأولياء: (١٠/٧٣-١١٠)، وتاريخ بغداد: (٩/١٠٤-١١٠)، وسير النبلاء: =

وآخِرُهم القُشَيْرِي[١]، ورأيتُ بالثَّغْرِ من الفُسْطَاطِ للمُحاسبي كتاب «النوادر في مسائل الآفات»[٢]؛ عَظِيمَ الجِرْمِ، جَمَّ العِلْمِ، فنقلتُ منه -بعد مطالعتي له، ووُقوفي على أغراضه- مسألة الشُّهْرَةِ، بعد أن عَلِمْتُ من أين استقى، وكيف صار إلى ذلك المنزل وارتقى، ولولا أن في كلامه تطويلًا يُمِلُّ، وتَعَلُّقًا بضعيف لا يَحِلُّ، وسَاقِطٍ من الأَثَرِ يُخِلُّ؛ لكان بالغ[٣] الغاية في الباب[٤].

=(١١٠/١٢-١١٢)، وطبقات الشافعية: (٢٧٥/٢-٢٨٤)، وينظر في آثاره ومصنفاته المخطوطة والمطبوعة: تاريخ التراث العربي لسزكين: (١١٥/٤/١-١١٩).

(١) الإمام الأوحد، الفقيه المتكلم، الأصولي المفسر، الأديب النحوي، الشاعر الكاتب، لسان عصره، وسيد وقته، شيخ المشايخ، وأستاذ الجماعة، ومُقَدَّمُ الطائفة، (٣٧٦-٤٦٥هـ)، صنَّف في التفسير كتابًا كبيرًا، يوجد بعضه، واختصره ولده عبد الرحيم، ويوجد كاملًا في قريب من ثلاثة أسفار، وله «الرسالة»؛ عمدة القوم، ومرجعهم، وإليها المنتهى في معرفة الطريقة والتعلق بالحقيقة، نَظَمَها ابنُ الزيَّات في قريب من ألف وخمسمائة بيت، وسمَّى نظمه «تخليص الدلالة في تلخيص الرسالة»، ترجمته في: المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور: (ق٩٨/أ)، وتاريخ بغداد: (٣٦٦/١٢-٣٦٧)، وتبيين كذب المفتري: (ص٢٧١-٢٧٦)، وسير النبلاء: (٢٢٧/١٨-٢٣٣)، وطبقات الشافعية: (١٥٣/٥-١٦٢).

(٢) لم أجده مذكورًا في كتاب آخر، ولم يذكره له مترجموه، فيكون هذا الذِّكْرُ من فوائد «سراج المريدين»، وقد اقتبس منه ابن العربي ونَقَدَهُ في مواضع من الكتاب، يأتي ذكرُها في الباب الثاني من الكتاب في الأسماء والصفات، عند اسم «المخلص».

(٣) في (ز): بالغًا.

(٤) قال الإمام ابن العربي منتقدًا تَعَلُّقَ الحارث بما لا يصح من الآثار والأخبار: =

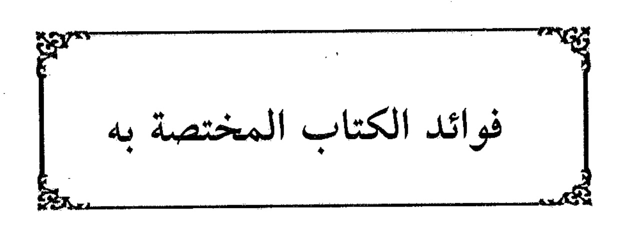
وانتَدبنا الآن مُسترشِدين لربنا مُستوهِبين منه الهداية، من البداية إلى النهاية، حتى نَبْلُغَ الغرض، ونَقْضِيَ المُفترَض، إلى ذِكْرِ صفات العباد الذين اصطنعهم الله تعالى لِخِدْمَتِه، واصطفاهم لجواره في جَنَّتِه، وأفاض عليهم من سَعَةِ رحمته.

وقد مَضَتْ منه أُصُولٌ في فُصُولِ «الأمد الأقصى»؛ لأن أكثر أسماء الله تعالى تَنْطَلِقُ حروفُها على العبد بالمَبْنَى والتأليفِ الذي ينطلق به على الله تعالى، وإن اختلفت المعاني، مُبَيِّنًا جلالة الله تعالى فيها، مُشِيرًا إلى كرامة العباد ومنازلهم فيها.

فنَسْرُدُ الآن «الصفات» على ترتيب «المقامات»، فما عَرَضَ فيها ممَّا ذُكِرَ منها بَنَيْنَا على ما سَبَق، فاستوفينا الكلام فيما لَحِق، وجَرَيْنَا في البيان إلى غاية المراد، مُسْتَنِّينَ سَبِيلَ السَّداد، والله المستعان.

* * * * *

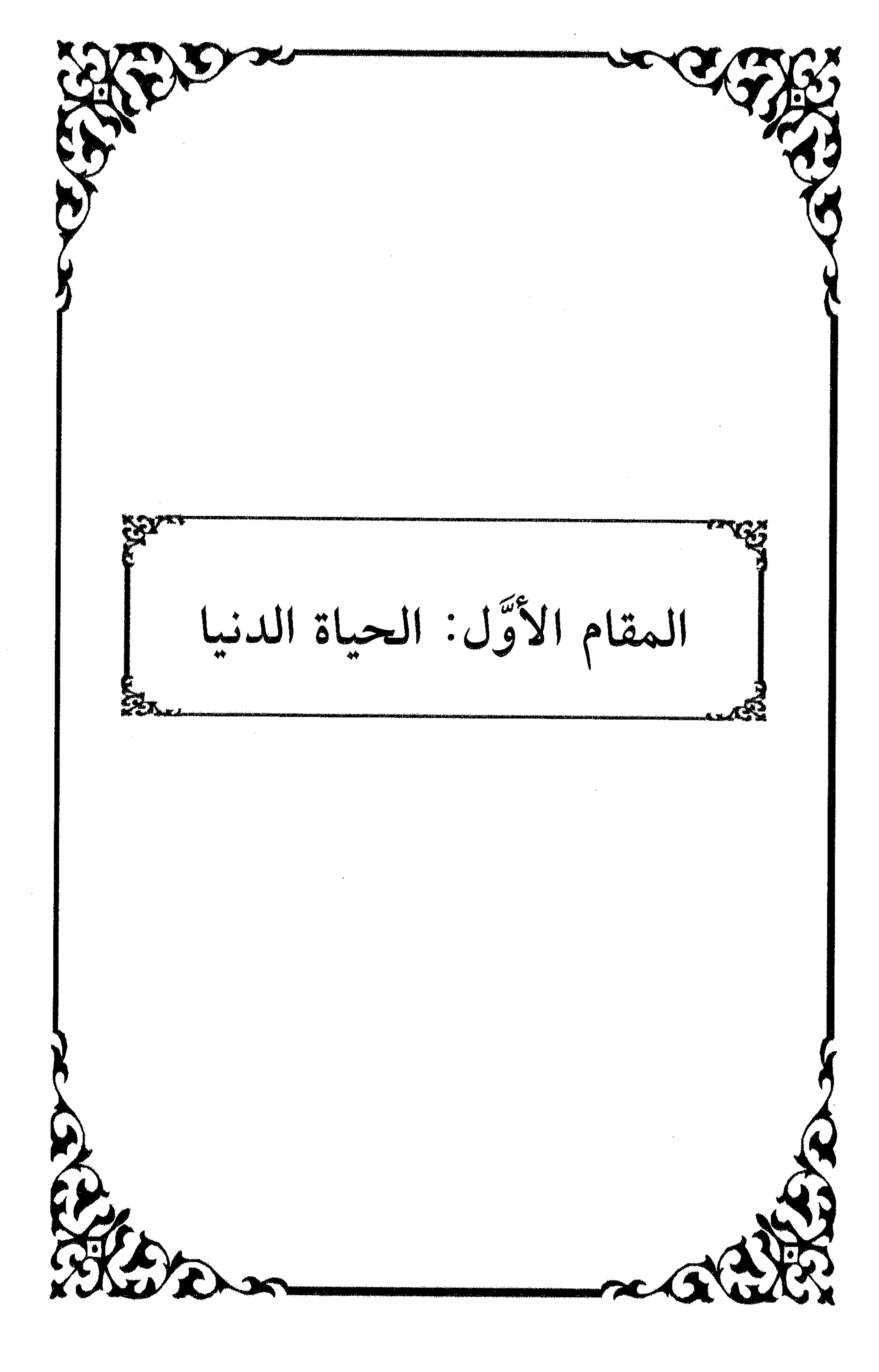
= «وأطال القول في ذلك، وأفاد فيما أعاد، وجوَّد فيما طوَّل، لولا تعلقه بأحاديث ضِعَافٍ، وبناءُ الأصول عليها، فإذا وقف عليها علماءُ الحديث سَخِروا من ذلك وهَزَؤوا به، مع أنه لَقِيَ أحبار الدنيا فيه، كابن أبي شَيْبَةَ وغيرِه»، العارضة: (٦/١٥).



فوائد الكتاب المختصة به

اللَّفْظُ الفصيح ، الحديثُ الحسَن والصحيح ، التفسيرُ المُصِيبُ ، الإِدْنَاءُ لبَعِيدِ الأغراض والتقريب ، النص الجَلِيُّ ، التأويل القَوِيُّ ، الحكايات المختارة ، الأمثال السيَّارة ، الاستيفاءُ مع الاختصار.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋



المقام الأوَّل: الحياة الدنيا



إن الله سبحانه كان ولا شيء معه، ثم خَلَقَ الموجودات الأصول؛ من الأرضين والسماوات، والشجر والنبات والحيوانات، وأُخْبِرْنَا في الصَّحيح: «أن الله تعالى خَلَقَ آدَمَ آخِرَ الأيام؛ يوم الجمعة، آخِرَ الخِلْقة؛ طُولُه سِتُّونَ ذِرَاعًا في الهواء، ثم قال له: اذهب إلى أولئك النفر من الملائكة فسلِّم عليهم، فذهب فسلَّم، فَرَدُّوا عليه، فقال له: هذه تَحِيَّتُكَ وتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ»[١].

وثبت في الخبر عن أبي هُرَيرة: «قالوا: يا رسول الله، متى كنتَ نبيًّا؟ قال: وآدمُ بين الروح والجسد»[٢].

وفي لفظ آخر: «متى وجبت لك النبوة؟»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾، برقم: (٣٣٢٦-طوق)، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم كأفئدة الطير، برقم: (٢٨٤١-عبد الباقي).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث مَيْسَرَةَ الفجر رضي الله عنه: (٢٧/١٧٦)، برقم: (١٦٦٢٣-شعيب)، وهو في: شرح مشكل الآثار: (١٥/٢٣١)، برقم: (٥٩٧٦)، والآجُرِّي في الشريعة: (٣/١٤٠٥)، برقم: (٩٤٣)، ولم أقف عليه باللفظ الذي ذكره ابنُ العربي عن أبي هريرة، والله أعلم.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، بابٌ في فضل النبي ﷺ، برقم: (٣٦٠٩-بشَّار)، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح، غريب من حديث أبي هريرة، لا نعرفه إلا من هذا الوجه»، جامع الترمذي - رواية ابن العربي -: (ق٢٤١/ب)، وفي نشرة بشَّار: «حسن غريب»، أثبتَ ما جاء في التحفة، ومال عمَّا في النسخ، وغريب هذا الصنيع، ولا ينبغي له أن يفعله، وما أثبتناه من نسخة عتيقة؛ من رواية الإمام ابن العربي، والله أعلم.

وفي لفظ آخر[١]: «وآدَمُ بين الماء والطين».

ويُخْلَقُ المَرْءُ وهو لا يَعْلَمُ[٢] شيئًا، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل:٧٨]، ثم عَلَّمَهُ ما لم يكن يعلم، وكان فَضْلُ الله عليه عظيمًا.

وابتدأ الآدَمِيِّينَ بالنِّعْمَةِ قبل الخِدْمَةِ تكريمًا، ولمَّا علَّم الآدَمِيَّ خَلَقَ له القدرة ومَلَّكَه[٣]، ثم ابتلاه فيسَّره لِمَا قدَّره، ونَصَبَ له - وفيه - الأَدِلَّة، لِمَا يَسْتَقْبِلُه من حاله، وأخبره بالصحيح من مآلِه، وقرَّر له الأمر بأَشْكَالِه، وضَرَبَ له البيان[٤] بأَمْثَالِه، فمِنْ رَاكِنٍ إلى العاجلة في مَحَلِّ الاعتبار، ومِنْ سَابِقٍ إلى الآخِرة في دار القرار، فإن سَبَقَ استقرَّ ومَلَك، وإن رَكَنَ اسْتَغَرَّ وهَلَك.

وماذا يَغُرُّه من الدنيا دَارِ الباطل! وقد رأى أن يومه فيها كأَمْسِ الذاهب، وغَدُه لا يعلم أيُدْرِكُه؟ وقرناؤه قد اخترمتهم المَنُونُ، وصارُوا في خَبَرٍ[٥] كان بعد يكون، وتيقَّن أن طويل العمر كقصيره بَوَاء[٦].

فمن عاش عامًا كمن عاش ألفًا   فما العامُ والأَلْفُ إلَّا سواءْ[٧]

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، وقال السخاوي: «لم نقف عليه بهذا اللفظ»، المقاصد الحسنة: (ص٣٢٧).

(٢) في (س): يُعَدُّ.

(٣) في (ص): ولمَّا علَّم الآدمي وأقدره وملَّكه.

(٤) في (ص): المثل.

(٥) في (ص): حيِّز.

(٦) في (ص): سواء.

(٧) البيت من المتقارب، ولم أقف عليه بعد البحث والتعني.

أنشدني أَبُو بَكْرٍ الفِهْرِي[١]: أنشدني أبو الفضل[٢] التَّمِيمِي: أنشدني الشريف الحِمَّاني لنفسه:

لمن أبني لمن أَسِمُ المَطَايَا ... لمن أَسْتَأْنِفُ الشيء الجَدِيدَا
إذا ما صار إخواني رُفَاتًا ... وصرتُ لفَقْدِهم فَرْدًا وحيدًا
أُعَاشِرُ مَعْشَرًا لهم شُكُولُ ... وأَشْكَالِي قد اعتنقوا اللُّحُودَا[٣]

[كائنة استباحة بيت المقدس]:

وإذا كان طويلُ العُمْرِ كالقصير، فالاجتهادُ أولى من التقصير، لقد عَبَدْنَاهُ في المسجد الأقصى - طهَّره الله - ثلاثين شهرًا، في ثلاثة أحوال،

---

(١) هو الإمام الحافظ، الفقيه العلَّامة، المفسر الزاهد، شيخ المالكيَّة، محمد بن الوليد بن محمد بن خَلَف الفِهْرِي، أبو بكر الطُّرْطُوشِي الصُّوفِي، شُهِرَ بابن أبي رَنْدَقَة، رحل إلى المشرق عام ٤٧٦، فحجَّ ودخل العراق ومصر وبيت المقدس، وأقام مدة في الشام، ونزل بالإسكندرية ودرَّس بها، قال ابن بشكوال: «أخبرني عنه القاضي الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري، ووَصَفَهُ بالعلم والفضل، والزهد في الدنيا، والإقبال على ما يَعْنِيه»، وكانت وفاته عام ٥٢٠هـ، ومن كُتُبِه المنشورة: «سراج الملوك»، و«الحوادث والبدع»، و«مختصر تفسير الثعلبي»، وله كتاب في «انتقاد الإحياء»، يوجد السِّفر الأوَّل منه بالخزانة الملكية بمراكش، وذَكَرَ القاضي أبو بكر كثيرًا من أخباره في كتابه هذا، وهو من شيوخه الذين انتفع بصحبتهم، يروي عنه: «اختصار تفسير الثعلبي»، و«سنن أبي داود»، و«أخلاق رسول الله» لأبي حيَّان، و«مختصره»، وهو كتاب في جزء وسط، ترجمه القاضي عياض في الغنية: (ص٦٢-٦٤)، وابن بشكوال في الصِّلَة: (٢/٢١٠-٢١١)، والذهبي في سير النبلاء: (١٩/٤٩٠).

(٢) في سراج الملوك (ص٨٤): أبو محمد.

(٣) الأبيات من الوافر، وهي في سراج الملوك للطُّرْطُوشِي: (١/٨٤).

مع أُمَمٍ من العابدين والعاكفين والعَالِمين، نحوًا من ثلاثة آلافٍ مَعْلُومِين، حَصَدَتْهُمُ السيوف في غَدَاةٍ واحدة[١]، فأيُّ عَيْشٍ بعدهم يَطِيبُ؟ أم أيُّ أَمَلٍ يُستأنف؟

تنبيه:

ومن الثابت الصحيح أن النبي ﷺ قال: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله/ [١/أ] جناحَ بعوضة ما سقى منها[٢] كافرًا شربةَ[٣] ماء»[٤].

وثبت عنه ﷺ أنه قال: «ما مَثَلُ الدنيا في الآخرة إلَّا مِثْلُ ما يَجْعَلُ أحدُكم أُصْبُعَه في اليمِّ، فلينظر بم يرجع إليه»[٥].

(١) كان استيلاءُ الصَّلِيبِيِّين على بيت المقدس عام ٤٩٢هـ، وقُتِلَ في دَخْلَتِهم هذه آلافٌ من العلماء والصلحاء والزهَّاد، وآلاف أخرى من العامَّة؛ رجالًا ونساءً، وشيوخًا ووِلْدَانًا، رحمهم الله ورضي عنهم، ينظر: تاريخ الإسلام لابن الذهبي: (١٠/٦٦٩).

(٢) في طرة بـ (س): في خـ: فيها.

(٣) في طرة بـ (س): في خـ: جرعة، وما أثبتناه رمز له بصح.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل، برقم: (٢٣٢٠-بشار)، قال أبو عيسى: «هذا حديث صحيح، غريب من هذا الوجه».

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث المُسْتَوْرِدِ بن شدَّاد رضي الله عنه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا، وبيان الحشر يوم القيامة، برقم: (٢٨٥٨-عبد الباقي).

وهي كما صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «الدنيا[١] سِجْنُ المؤمن، وجنة الكافر»[٢].

وكذلك صحَّ عنه ﷺ أنه قال لابن عمر[٣]: «كُنْ في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعُدَّ نفسك في أهل القبور»[٤].

فكان ابنُ عمر يقول: «إذا أصبحتَ فلا تُحَدِّثْ نفسَك بالمساء، وإذا أمسيتَ فلا تُحَدِّثْ نفسَك بالصباح، وخُذْ من صحتك لسقمك، ومن حياتك لموتك، فإنك لا تدري يا عبد الله ما اسمك عند الله غدًا»[٥].

قال الإمام الحافظ رضي الله عنه: وقد ضَرَبَ الله تعالى للدنيا مثلًا محسوسًا، له مَثَلٌ معقول، أَبرز به إلى العِيَانِ قِيمَتَها، وهي[٦] إذا حُبِسَتْ عن المرء جَرْعَةُ ماء طاهرة عذبة، حتى إذا احتاج إليها بَذَلَ فيها الدنيا بحذافيرها لو مَلَكَها، فإذا أَحْقَنَتْهُ[٧] قَذِرَةٌ نَجِسَةٌ بَذَلَ في إخراجها الدنيا بحذافيرها لو

---

(١) سقطت من (س).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الزهد والرقائق، برقم: (٢٩٥٦-عبد الباقي).

(٣) سقطت من (س).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في قصر الأمل، برقم: (٢٣٣٣-بشّار)، وأصله في الصَّحيح للبخاري: كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، برقم: (٦٤١٦-طوق).

(٥) هو الحديث الذي تقدَّم، واللفظ للترمذي.

(٦) فوقها بـ (س): في خـ: هو.

(٧) في طرة بـ (س): في خـ: حقنته.

مَلَكَها، فأعلى[١] قِيمَتِها جَرْعَةُ ماء طاهرة، وقِيمَتُها بالحقيقة المحسوسة قَطْرَةُ بَوْلٍ نَجِسَة، وهي بالحقيقة المعقولة لا تَعْدِلُ جناحَ بَعُوضَة.

[تَقْسِيمُ الدنيا]:

وقد صحَّ عنه ﷺ - **تَقْسِيمُ الدُّنْيَا**[٢] -: «إنَّما الدنيا لأربعة نَفَرٍ، عبد رَزَقَه الله مالًا وعِلْمًا، فهو يَتَّقِي فيه[٣] ربَّه، ويَصِلُ فيه رَحِمَه، ويَعْلَمُ لله فيه[٤] حقًّا، فهذا بأفضل المنازل، وعَبْدٌ رَزَقَهُ الله عِلْمًا ولم يرزقه مالًا، فهو صادق النية، يقول: لو أنَّ لي مالًا[٥] لعَمِلْتُ بعَمَلِ فُلَانٍ، فهو ونِيَّتُه[٦]، وأَجْرُهُمَا عند الله سواء، وعَبْدٌ رَزَقَهُ الله مالًا، ولم يرزقه عِلْمًا، فهو[٧] يَخْبِطُ فيه بغير عِلْمٍ، لا يتَّقي فيه ربَّه، ولا يَعْلَمُ لله فيه حقًّا، فهذا بأَخْبَثِ المنازل، وعَبْدٌ لم يرزقه الله مالًا ولا عِلْمًا، فهو يقول: لو أنَّ لي مالًا لعَمِلْتُ فيه بعمل فلان، فله نِيَّتُه، ووِزْرُهُمَا سواء»[٨].

---

(١) في طرة بـ (س): في خـ: فإذًا أعلى.

(٢) سقطت من (س) و(ز) و(ص).

(٣) في (ص): به.

(٤) في (ص): فيها.

(٥) في طرة بـ (س): في خـ: لو كان لي مال.

(٦) في طرة بـ (س): في خـ: فهو بنيته.

(٧) سقط من (ص).

(٨) أخرجه الترمذي في جامعه من حديث أبي كَبْشَةَ الأنماري رضي الله عنه: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، بابُ ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، برقم: (٢٣٢٥-بشَّار)، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح».

ومعنى قَوْلِه ﷺ: «إن الدنيا خُلِقَتْ لأربعة نَفَرٍ»: أنَّ الدنيا خُلِقَتْ لمَعَانٍ ولأُمَمٍ منها هذه الأقسام الأربعة، ولا ينفي ذلك أن يكون فيها سواها، ولكنه يعود إليها.

إيضاحٌ:

ومع هوانها لا بدَّ منها؛ لأنها السبيل إلى المقصود، لكنها مشحونة بمفاوز تَنَايِف[1]، محفوفة بمخاوف ومتالف، وهي وإن كانت كما قال سبحانه: ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [الحديد:١٩]، ففيها جِدٌّ وحَقٌّ، ومن حِكْمَةِ الباري فيها وحُكْمِه أن قَلْبَها بِنِيَّةِ العبد طاعة، بعد أن وَجَدَها في الأصل مباحة، فالأعمال بالنيَّات بحُكْمِه، والحسنات يُذهبن السيئات بحِلْمِه، وللعبد في كل وقت من أوقاتها حالة؛ له بها صفة محمودة أو مذمومة، لأجل الازدواج/ [١/ب] الذي كَتَبَه الله على الخلق، ووَجَبَ عليهم حين وَجَبَ له الانفراد وتعالى به، وبتلك الصفات في تلك الحالات تتعلَّق الأحكام، وعليها يترتَّب الثواب والعقاب، فإن لم يكن في الدنيا خَيْرٌ من وَجْهٍ فلا غِنَى عنها من آخَرَ، به يَعُودُ خيرًا؛ لأنها مَطِيَّةُ السَّائر، وزَادُ المسافر، وقَنْطَرَةُ العابر، لا دَارَ العامر، وجُهْدُ المُقِلِّ، يُقْتَنَصُ منها ولا يُسْتَكْثَرُ[2]، ويُتَقَوَّتُ ولا يُدَّخَرُ، ومثالها الصَّارم يصلح للعادل والظالم، فيُصَرِّفُه كُلُّ واحد منهما على نِيَّتِه.

---

(١) في طرة بـ (س): جمع تَنُوفة، وهي القَفْرُ.

(٢) في طرة بـ (س): في خـ: يتكثر.

[التَّمْكِينُ من الدنيا وملكها]:

وقد حَكَمَ الله في الدنيا بحُكْمَيْنِ، فمكَّن من جميعها نَبِيَّيْنِ[1]؛ المُتَمَكِّنَيْنِ[2] من الدنيا والعمل بما يجب في وَجْهَيْ قبولها وتَرْكِها، سليمانَ ومُحَمَّدًا، صلى الله عليهما، فأعطى سليمانَ مُلْكَها ومِلْكَها، كما قال سبحانه: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل:١٦-١٧]، وقال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ إلى قوله: ﴿حِسَابٍ﴾ [ص:٣٥-٣٨].

واختُلِفَ هل كان هذا المُلْكُ كُلُّه بوِرَاثَةٍ[3] أم بسؤاله أم متنوع[4] في قوله: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لاَّ يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص:٣٤]؟

أم بعضه وراثة وبعضه بسؤال[5]؟

واختُلِفَ أيضًا في وَجْهِ سؤاله، كما اختُلِفَ في وَجْهِ قَوْلِه: ﴿لاَّ يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾.

---

(١) في (د): بِنِيَّتَيْنِ.
(٢) في (س) و(ص) و(ز): التمكين.
(٣) في (ص): وراثة.
(٤) في (س): بوراثة أو بسؤاله، وما أثبتناه من (د)، وأشار إليه في (س).
(٥) في (ص): بسؤاله.

وقيل: إنَّ ظاهره يُشِيرُ إلى نَوْعٍ من الحَسَدِ الذي يَجِلُّ سليمانُ عنه، فلمَّا كان يُشْكِلُ بُحِثَ عنه وسُئِلَ.

فأمَّا السُّؤَالُ الأَوَّل: هل كان بوراثة، أم بسؤاله، أم متنوع؟

فالجوابُ: أنه كان بَعْضُه بسؤال، وبَعْضُه بوراثة، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبأ:١٠]، فأَوْرَثَ الله تعالى سليمانَ النبوةَ وإِسَالَةَ عَيْنِ القِطْرِ، فإنه الأَوَّلُ أو نَوْعٌ منه، وزاده الريحَ تَجْرِي بأمره رُخَاءً حيث أصاب، والجِنَّ وسُخْرَة الطير، فإنها كانت لداود مُسَبِّحَةٌ، وهي لسليمان مُسَبِّحَةٌ مُسَخَّرَةٌ مُسْتَخْدَمَةٌ.

وأمَّا **السؤال الثاني**: في وجه[1] إِقْدَامِه على طلب الدنيا - وهو مقصود الكتاب - مع ذَمِّها من الله، وبُغْضِه فيها، وحقارتها لديه؟

فالجوابُ: أن ذلك عند العلماء مَحْمُولٌ على أداء حقوق الله، وسياسة مُلْكِه، وترتيب منازل خَلْقِه، وإقامة حُدُودِه، والمحافظة على رُسُومِه، / وتعظيم شعائره، وظُهُورِ عبادته، ولُزُومِ طاعته، ونَظْمِ قانون الحُكْمِ النافذ عليهم منه، وتحقيقِ الموعود في أنه يعلم ما لا يعلم أَحَدٌ من خَلْقِه، حسب ما صرَّح بذلك لملائكته، فقال عز وجلَّ: ﴿قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٩].

[٢/أ]

تمثيل: [في تولية يوسف عليه السَّلام على خزائن الأرض]

وقد قال يُوسُفُ: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٥٥]، لِمَا عَلِمَ من قُوَّةِ نَفْسِه، ورَأَى من تَضْيِيعِ الحَقِّ، وتعطيل

(١) في (د): أوجه.

الحدود، وفَسَادِ الخلق في الأرض، ما حَمَلَهُ على إرادة إظهار الحق، وأنه يعلم ما لا يعلم أَحَدٌ من الخلق، ولكن بَعْدَ تَعَرُّض المَلِكِ له بقَوْلِه: ﴿أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِيۖ﴾ [يوسف:٥٤]، ففي ذلك إِسْوَةٌ لمن قَدَرَ - من نفسه - على القيام بالحق؛ أن يَقْبَلَه إذا جُعِلَ إليه[١].

[أَسْبَابُ قَبُولِ ابنِ العربي القضاء]:

ولقد اقتديتُ إِسْوَةً بذلك؛ مع أَنِّي من أكثر الخَلْقِ ذُنُوبًا وعُيُوبًا، وأقلهم منزلة له[٢]، فإنِّي لمَّا دُعِيتُ إلى ولاية القضاء قَبِلْتُه مختارًا لثلاثة أوجه:

أحدها: سِرٌّ بيني وبين الله سبحانه.

والثاني: معاينتي للباطل قد دَفَّرَ[٣] الأرضَ، فأردتُ أن أُذَفِّرَهَا[٤]، تَمَكَّنْتُ فيها منها، وعَمِلْتُ ما يَعْلَمه الله تعالى، ولا أَطْلُبُ مَثُوبَةً من سواه؛ مِنْ كَفِّ الظُّلْمِ والاعتداء، وبَثِّ الأَمْنِ، وحِفْظِ الأموال، وكَفِّ الأطماع، والأَمْرِ بالمعروف، والنَّهْيِ عن المنكر، وفَكِّ الأسير، والتَّحْصِينِ على الخَلْقِ بالسُّور[٥]، والمساواة في الحق بين الصغير والكبير، حتى أَرِجَتْ أقطاري، ووَقَعَ السَّمَرُ بأخباري، فضَجَّ العُداة، وضَجِرَ الوُلاة، حين صَفِرَ وِطَابُهم من الحرام، وابيضَّت صحائفهم من الآثام، فدَسُّوا إلى نَفَرٍ من

(١) سراج الملوك: (١/١٨١).

(٢) في طرة بـ (س): في خـ: وأقل منزلة به، وكذلك هي في (ص).

(٣) نجَّسها.

(٤) أي: طيَّبها وأذهب نجاستها، ومنه قولهم: المسك الأذفر، أي: الأطيب.

(٥) في (د): الصور، وهو تصحيف.

العامَّة، فثارُوا عليَّ، وساروا إليَّ، فنُهِبَتْ دَارِي، وأُخْفِرَ[١] ذِمَامِي وذِمَارِي، وهُمْ قيامٌ ينظرون، لا[٢] يُغَيِّرُون ولا يُنْكِرُون، يرون أن مَسْلَحَةً أجدى عليهم من مصلحة، وعَطَبًا أولى بي من سلامة، فانتثلُوا مالي، واستَفَوُّوا شِعاري ودِثاري، وهَدَمُوا مسجدي وداري، وأنا أُنشد أبيات سَعْدٍ[٣] - لقَوْلٍ[٤] سَلِيمٍ عن النَّقْدِ -:

عليكم بداري فاهدموها فإنَّها ... تُرَاثٌ كريم لا يخاف العواقبَا

أخي عَزَمَاتٍ لا يزيد على الذي ... يهم به من مفضع[٦] الأمر صاحبَا

إذا همَّ ألقى بين عينيه عَزْمَه ... ونَكَّبَ عن ذِكْرِ العواقب جانبَا

ولم يستشر في أمره غير أهله[٥] ... ولم يَرْضَ إلَّا طاعة الله صاحبَا

وتعرَّضوا لنفسي فكفَّ الله تعالى أَيْدِيَهُمْ عَنِّي، ولقد وَطَّنْتُهَا على التَّلَفِ،/ وأنا أُنْشِدُ قَوْلَ خُبَيْبٍ[٧]:

١ [٢/ب]

---

(١) في (ص): خُفِر.

(٢) في (ص): ولا.

(٣) من الطويل، وهي من جملة أبيات حماسية لسعد بن ناشب الغَنَوِي، وهي في الكامل: (١/١٦٦)، وعيون الأخبار: (١/٢٨٥)، وزَهْرِ الآداب: (١/٢٥٨).

(٤) في (س): يقول.

(٥) في (س): نفسه.

(٦) في (د): مقطع.

(٧) البيت من الطويل، وهو من أبيات لخُبَيب بن عَدِيٍّ، قالها لما أراد المشركون صلبه، تنظر: في الجامع الصحيح: (٤/٦٨-طوق)، وسيرة ابن هشام: (٢/١٧٦)، والروض الأنف: (٦/١٧١)، غير أن ابن هشام قال: «وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له»: (٢/١٧٦).

ولستُ أُبالي حين أُقْتَلُ مسلمًا على أي جَنْبٍ كان في الله مَصْرَعِي
وذلك في ذات الإله وإن يشأْ يُبارِكْ على أوصال شِلْوٍ مُمَزَّعِ

وأمسيتُ سَلِيبَ الدَّارِ، ولولا ما سبق من حُسْنِ المقدار لكنتُ قَتِيلَ الدَّارِ.

الثالث: أنَّ الناس كانوا يظنون أن الأرض خاليةٌ عن سِيَاسَةِ دَرِبٍ بالخَلْقِ، ذَرِبٍ بإقامة الحق، فأردتُ أن أكشف لهم عن بنات صَدْرِي، وأُعَلِّمَهُمْ كيفية وِرْدِي في الأمر وصَدَرِي.

[تَتِمَّةُ الحديث عن طلب سليمان المُلْكَ]:

وفي صحيح الحديث أن النبي ﷺ قال لسَمُرَةَ[١]: «لا تسأل الإمارة، فإنك إن سألتها لم تُعَنْ عليها، وإن أُعْطِيتَها عن غير مسألة أُعِنْتَ عليها»[٢].

وهذا وإن كان من قَوْلِ يوسف خَبَرٌ عن شَرْعِهِ[٣]؛ فإن الشرائع في هذا الباب متماثلة؛ لأنه[٤] من باب التعاطي المذموم في كل مِلَّة، المناقض للتواضع المحمود في كل دِينٍ.

---

(١) صوابه: عبد الرحمن بن سمرة، وهو راوي الحديث.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه: كتاب الأيمان والنذور، برقم: (٦٦٢٢-طوق).

(٣) في (د): في خـ: شريعته، وصحَّحها.

(٤) في طرة بخط ناسخ (س): لعله: لا أنه.

[أقوالُ المتأولين في قوله تعالى: ﴿لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعۡدِىٓ﴾]:

وأمَّا السؤال الثالث: في قوله: ﴿لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعۡدِىٓ﴾ ؛ فقد تأوَّله الناس قديمًا وحديثًا على اختلاف طبقاتهم، فرأى كلُّ وَاحِدٍ رَأْيًا حَسْبَ ما أدَّاه إليه نَظَرُه، الحاضرُ منها الآن عشرة أقوال[١]:

الأوَّل: هَبْ لي مُلْكًا لا أُسْلَبُه، فقد رُوي: «أنه سُلِبَه، وتمكَّن الشيطان من خاتَمه فلَبِسَه، وحَكَمَ به مثله»[٢].

وهذا قَوْلٌ باطل، قد بيَّنَّا فساده في غير موضع[٣].

الثاني: لا أُسْلَبُه؛ فإني أُرِيدُه مُعْجِزَةً ودِلَالَةً على صِدْقِي، فتبقى آيَتِي معي ما بَقِيتُ[٤].

وبهذا ينبغي أيضًا ألَّا يكون لغيره؛ لأنه لو لم ينفرد بها لمَا شَهِدَتْ له بصِدْقٍ.

الثالث: أراد به تَشْرِيفَه به؛ لأن شَرَفَ الدنيا مَعُونَةٌ على شَرَفِ الآخرة وعُنْوَانٌ لها.

الرَّابع: لا ينبغي لأحد من بعدي أن يَسْأَلَه.

فكأنه سأل مَنْعَ السؤال بعده، حتى لا يَتَعَلَّقَ به أَمَلٌ لأحد، ولم يسأل مَنْعَ الإجابة.

---

(١) أورد جُلَّها الإمامُ الثعلبي في الكشف والبيان: (٨/٢٠٩-٢١٠)، وفصَّل فيها ابن العربي في أحكام القرآن: (٤/١٦٤٩-١٦٥١).

(٢) سراج الملوك: (١/١٨٠).

(٣) ينظر: أحكام القرآن: (٤/١٦٥٠).

(٤) سراج الملوك: (١/١٧٩).

الخامس: لا ينبغي من بعدي[١] لأحد من الملوك؛ لا من الأنبياء.

وهذا ضعيف، فإن القَدْرَ الذي أُوتِيَ لا يَصِحُّ أن يُدْرِكَهُ آحَادُ الخلق إلا المُصْطَفَيْن.

السَّادس: سأل ربَّه أن يَهَبَهُ مِلْكَهُ لنفسه؛ حتى لا ينظر إلى غير رَبِّه، فهو المُلْكُ الأعظم؛ فإنَّ من عَجَزَ عن قَهْرِ نفسه فأَحْرَى أن يَعْجَزَ عن غيره[٢]، ولو قدَّرْنَا/ قَهْرَه له؛ فماذا يُغْنِيه قَهْرُه للخلق أجمعين؟ فكيف لبعضهم! وذلك إذا وُجِدَ قَلْبٌ للأَمْرِ وعَكْسٌ للمطلوب[٣]. [١/٣/أ]

السَّابع: سأل القناعة.

وهو من السَّادس، أو هُوَ هُوَ؛ فإن القانع مَالِكٌ لنفسه عن التطلع إلى ما في يد غيره.

الثامن: عَلِمَ أن مُحَمَّدًا مُتَبَرِّي عن هذه الحالة فسألها.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن عِفْرِيتًا تَفَلَّتَ عليَّ البارحة، فأراد[٤] أن يقطع صلاتي فأخذته فَذَعَتُّه، فأردتُ أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد، ثم ذَكَرْتُ قَوْلَ أخي سليمان: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكاً لاَّ يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾؛ فأرسلته، ولولا ذلك لأصبح يلعب به وِلدان المدينة»[٥].

---

(١) في (د) و(ص): لأحد من بعدي، وضرب عليها في (س).

(٢) في (د): قهر غيره، وأشار إليها في (س).

(٣) سراج الملوك: (١/١٨٠).

(٤) في (س): فأرادت، وهو سبق قلم.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الأنبياء، باب =

فَدَلَّ هذا الحديثُ الصحيح على أن سليمان إنَّما كان سؤاله ألَّا يكون ذلك لأحد من بعده، فمكَّن الله من ذلك مُحَمَّدًا لفَضْلِه، ثم يَسَّرَ على يديه الإرسال تحقيقًا لوَعْدِه، وليكون ذلك من قِبَلِه ﷺ ومن عِنْدِه، فيَجْتَمِعُ الفضلان، وتَظْهَرُ المنزلتان.

واسْتَوْسَقَ لسليمانَ المُلْكُ، فقال شيخُنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله[١] المفسِّر[٢] - وذَكَرَ مُلْكَ سليمان وكرسيَّه -: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «كان سليمانُ بن داود يُوضَعُ له ستمائة كرسي، ثم يجيء أشراف الإنس فيجلسون ممَّا يليه، ثم يأتي أَشْرَافُ الجِنِّ فيجلسون ممَّا يلي الإنس، ثم يدعو الطير فيظلهم، ثم يدعو الريح فتُقِلُّهم، وتسير بالغداة الواحدة مسيرة شهر»[٣].

قال: ويقال: «إن كُرْسِيَّ سليمان كان من أنياب الفِيَلة، مُفَضَّضَةٌ بالدُّرِّ والياقوت والزَّبَرْجَدِ، وأنه أَمَرَ بعَمَلِه من ذلك، ثم أَمَرَ بالكرسي فحُفَّ من

= قول الله تعالى: ﴿ووهبنا لداود سليمان﴾، برقم: (٣٤٢٣-طوق)، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة والتعوذ منه، وجواز العمل القليل في الصلاة، برقم: (٥٤١- عبد الباقي).

(١) في طرة بـ (س): في خ: أبو عبد الله محمد بن محمد.

(٢) لم أوفق إلى معرفة عينه وحاله، ويجوز أن يكون أبا بكر الفهري، وعادة ابن العربي نسبة الرجل إلى أكثر من نسبة، والله أعلم.

(٣) أخرجه أبو عبد الله الحاكم في المستدرك من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، بَابُ ذِكْرِ نبي الله سليمان بن داود، برقم: (٤٢٠١)، وفي الإسناد الأعمش، ولم يصرح بالتحديث.

جَانِبَيْهِ كليهما بنَخِيلٍ من[١] الذهب، أعناقها وشماريخها من ياقوت وزَبَرْجَدٍ ولؤلؤ، وجعل على رؤوس النخيل التي على يسار الكرسي نُسُورًا من ذهب، وعلى رؤوس النخيل التي على يمينه طواويس مقابلة النسور[٢]، وجعل على يمين الدرجة الأولى شجرًا من صنوبر من ذهب[٣]، وعلى يساره أسدًا من ذهب، وعلى رأس الأسد عمودًا من زَبَرْجَدٍ، ومن جانبي الكرسي شجرة من الكَرْمِ من ذهب، قد أظلت الكرسي، وجعل عناقيدها دُرًّا وياقوتًا أحمرَ، ثم فوق درجة الكرسي أسدين عظيمين من ذهب، مُجَوَّفَيْنِ مَحْشُوَّيْنِ مِسْكًا، فإذا أراد سليمانُ أن يصعد على كرسيه استدار ساعة، ثم يقفان فينضحان ما في أجوافهما من المِسْكِ والعَنْبَرِ حول كُرْسِي سليمان، ويُوضَعُ مِنْبَرَانِ من ذهب؛ واحد لخليفته،/ وواحد لرئيس أجناد [١/٣/ب] بني إسرائيل - في ذلك الزمان - وعلمائهم وأهل الشرف والفضل منهم والطَّوْلِ، ومن خَلْفِ ذينك المِنْبَرَيْنِ خمسة وثلاثون منبرًا من ذهب ليس عليها أحد، فإذا أراد أن يصعد على كُرْسِيِّه وَضَعَ قَدَمَيْهِ على الدرجة السُّفْلَى، واستدار الكرسي بما فيه وعليه، وبَسَطَ الأسدُ يده اليمنى، ونَشَرَ النَّسْرُ جناحه الأيسر، ثم يصعد سليمان على الدرجة الثانية، فيبسط الأسد يده اليُسْرَى، وينشر النسر جناحه الأيمن، حتى إذا استوى سليمانُ على الدرجة الثالثة وصعد منها على الكرسي واستقرَّ[٤] عليه وقَعَدَ في مكانه؛ أتى نَسْرٌ من تلك النسور بتاج سليمان فوضعه على رأسه، واستدار الكرسي بما

---

(١) سقطت من (د).

(٢) في طرة بـ (س): في خـ: للنسور.

(٣) قوله: «من ذهب» سقط من (س) و(ص) و(ز).

(٤) في (د) و(س): فإذا استقر.

عليه استدارة سريعة، وقال: إنه يُدِيرُ[١] ذلك الكرسي تِنِّينٌ من ذهب ذلك الكرسي عليه، وهو عظيم؛ ممَّا عمله له صَخْرٌ الجِنِّيُّ، فإذا أَحَسَّتْ بدورانه تلك النسور والأسد والطواويس التي في أسفل الكرسي إلى أعلاه دُرْنَ معه، فإذا وَقَفَ وَقَفْنَ، كلهن واقفات[٢] على رأس سليمان وهو جالس، ثم يَنْضَحْنَ جميعًا ما في أجوافهن من المِسْكِ والعنبر على رأس سليمان وهو جالس[٣]، ثم تُنَاوِلُه حمامةٌ من ذهب واقفةٌ على عمود من جَوْهَرٍ[٤] التوراة، فيُمْسِكُهَا بيده ويقرأها على الناس، فإذا فَرَغَ من قراءتها عليهم دعا القُضَاةَ[٥] إلى القضاء، وأجلس قضاة بني إسرائيل على منابرهم؛ عن يَمِينِه وعن شماله، حافِّين من حَوْلِ كُرْسِيِّه، حتى إذا حضر الشهداءُ للشهادات دار التِّنِّينُ بالكرسي كدوران الرَّحَى السريعة، واستدار الأسد، وخَفَقَت النسور بأجنحتها، ونشرت الطواويس أذنابها، ففزعت الشهداء، وتخوَّفوا على أنفسهم عندما يَرَوْنَ ذلك السلطان القَوِيَّ والعِزَّ المنيع، ويقول بعضهم لبعض: والله لنشهدنَّ بالحق، فإنَّا إن شهدنا اليوم بالباطل نَهْلِكْ، فلمَّا تُوُفِّيَ سليمانُ بُعِثَ[٦] بَخْتُ نَصَّرَ؛ فأخذ الكرسيَّ فحمله إلى أنطاكِيَّة، فأراد أن يصعد عليه فلم[٧] يكن له عِلْمٌ كيف يصعد عليه، فلمَّا وَضَعَ رجلَه ضَرَبَ

---

(١) في (ص): يرد.

(٢) في (د): وأقفلت، وأشار إليها في (س).

(٣) قوله: «ثم ينضحن.. من المسك والعنبر على رأس سليمان وهو جالس» سقط من (د).

(٤) في (ص): ذَهَبٍ.

(٥) سقط من (ص).

(٦) في (د): أتى، وصحَّحها.

(٧) في (ص): ولم.

الأسدُ ساقه فكَسَرَها، وكان سليمان إذا صعد وضع قدميه جميعًا، ومات بَخْتُ نَصَّرَ،/ وحُمِلَ الكرسي إلى بيت المقدس، فلم يستطع قَطُّ مَلِكٌ أن يجلس عليه، ولكن لم يَدْرِ أَحَدٌ عاقبة أمره، ولعله رُفِعَ»[(١)]. [٤/أ]

معذرة: [في شرائط رواية الإسرائيليات]

فإن قيل: وكيف تذكر هذا وليس له مُسْنَدٌ[(٢)] يُسند إليه من راوٍ نعلمُه؟

قلنا: هذا منا اقتداءٌ بإمام دار الهجرة - أو قُل: الأمة[(٣)] - مالكُ بن أنس، فإنه كان مِقْدَامًا على ذِكْرِ الإسرائيليات، وعلى «مَجَلَّةِ لقمان»[(٤)]، ولم يزل ينقل منها في كتابه، ويتلو على أصحابه، ويَعُمُّ بذلك؛ من آدَمَ إلى عيسى صلوات الله عليهما، وقد ذَكَرْنَا عنه من ذلك كثيرًا في «التفسير» و«الأحكام»[(٥)].

وقد قال النبي ﷺ: «حَدِّثُوا عن بني إسرائيل ولا حرج»[(٦)].

---

(١) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي: (٢٠٩/٨)، وهو في الجامع للقرطبي: (٢٠٤/١٨-٢٠٥)، من كلام وهب بن مُنَبِّه وكعب الأحبار.

(٢) في (ص): سند.

(٣) قوله: «أو قل: الأمة» سقط من (د)، وفي طرة بـ (س): أوقد، وصحَّحها.

(٤) مجلة لقمان؛ أي: حكمة لقمان، وهي صحيفة يرويها وهب بن مُنَبِّهٍ، فهرس ابن خير: (ص٣٠٥)، والروض الأُنُف: (٦٦/٤)، وينظر: مقدمة في دراسة الوثائق الإسلامية لأستاذنا الدكتور قاسم السامرائي: (ص١٩).

(٥) ينظر: القبس، في أبواب التفسير عن الإمام مالك بن أنس: (١٠٥٠/٣-١٠٥١)، وأحكام القرآن: (٢٣/١).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: كتاب الأنبياء، باب ما ذُكِرَ عن بني إسرائيل، برقم: (٣٤٦١-طوق).

وقال أحمد بن حنبل عنه ﷺ: «حَدِّثُوا عن بني إسرائيل، فإنه كانت فيهم الأعاجيب»[١].

وينبغي للمُحَدِّثِ عنهم أن لا يسترسل في حديثه على ما لا يجوز، أو ما يُكَذِّبُه الشرع عندنا، وقد بيَّنَّاه في «شرح الحديث»[٢].

[زُهْدُ سليمان عليه السَّلام]:

وقد كان سليمانُ مع هذا المُلْكِ العظيم من الزُّهَّادِ؛ فإن الزهد ليس بفراغ اليد من الدنيا، إنما هو باعتقاد احتقارها وملازمة هوانها، وإن كانت بحُكْمِك فيها.

ولقد رُوي عنه: «أنه كان يأكل خُبْزَ الشعير».

وقال من حديث ابن حنبل عن مالك، قال: قال سليمان بن داود: «جَرَّبْنَا العيش[٣] لَيِّنَه وشديدَه، فوجدناه يكفي منه أدناه»[٤].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: برقم: (١١٠٩٢-شعيب)، ولفظه: «تحدَّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج؛ فإنكم لا تحدثون عنهم بشيء إلا وقد كان فيهم أعجب منه».

(٢) يقصد به كتابه الكبير في شرح البخاري ومسلم، وهو «كتاب النيِّرين»، رواه عنه ابن عُبَيد الله الحَجْري، وهو في قريب من خمسة آلاف ورقة، ينظر: جُزَيْء من فهرسة الحجري: (ص١٢٧).

(٣) في طرة بـ (س): في خـ: الشعير.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في الزهد من طريق الأعمش عن خَيْثَمة قال: قال سليمان بن داود، ولم أقف عليه من طريق مالك: (ص٥١)، وهذا الحديث من الإسرائيليات، وهو في الزهد لهنَّاد بن السَّرِيِّ: برقم (٥٦٢).

وقال عنه: «إن داود أتاه[1] فقال له: أيُّ شيء أبرد؟ وأي شيء أحلى؟ وأي شيء أقرب؟ وأي شيء أبعد؟ وأي شيء أقل؟ وأي شيء أكثر؟ وأي شيء آنس[2]؟ وأي شيء أوحش؟ وأي شيء ألين؟ وأي شيء أخشن؟ قال: أحلى شَيْءٍ رَوْحُ الله، وأبردُ شيء عفو الله، وعَفْوُ العباد بعضهم عن بعض، وآنَسُ شيء الروح يكون[3] في الجسد، وأوحش شيء الجسد يُنزع منه الروح، وأقل شيء اليقين، وأكثر شيء الشك، وأقرب شيء الآخرة من الدنيا، وأبعد شيء الدنيا من الآخرة»[4].

ذِكْرُ مُحَمَّدٍ ﷺ:

وأمَّا مُحَمَّدٌ ﷺ فإن في الثابت[5] الصحيح «أن الله تعالى آتاهُ مفاتيح خزائن الأرض»[6].

---

(١) في (س): أباه وقال له، وكذلك هو في (ز) و(ص)، والمثبت من (د).

(٢) في (س): أيسر، وفي الطرة: آنس، وصححها.

(٣) سقط من (س) و(د) و(ز).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في الزهد من طريق المعتمر بن سليمان عن بكر بن عبد الله أن داود قال، (ص٥٢).

(٥) قوله: «في الثابت» سقط من (د).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه من طريق عُقْبَة بن عامر رضي الله عنه، ولفظه: «وإني قد أُعطيت مفاتيح خزائن الأرض»: كتاب الفضائل، باب إثبات حوض النبي ﷺ وصفاته، برقم: (٢٢٩٦-عبد الباقي)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب التاريخ، باب صفته ﷺ وأخباره، ولفظه: «وبيْنا أنا نائم أُتِيتُ بمفاتيح خزائن الأرض»، برقم: (٦٣٦٣- الإحسان).

«وخيَّره بين أن يكون نَبِيًّا مَلِكًا أو نَبِيًّا عَبْدًا، فالتفت إلى جبريل كالمُسْتَشِيرِ له، فأشار إليه أن تواضع، فقال: بل نَبِيًّا عَبْدًا»[١].

«فكان يَجُوعُ يَوْمًا، ويَشْبَعُ يومًا»[٢].

وفي الحديث الحَسَنِ: «أن الله خيَّره قبل موته بيَسِيرٍ بين الخُلْدِ/ في الدنيا أو لقائه، فاختار لقاءه»[٣]. [٤/ب]

«وكان ﷺ يضطجع على رُمَالِ السَّرير حتى يؤثر في جنبه»[٤]، ويُقال

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد عن معمر عن الزهري مرسلًا، برقم (٧١٥)، وتابعه عبد الرزاق في المصنف: كتاب الجمعة، باب اعتماد رسول الله على العصا، (٣:١٨٤)، برقم: (٥٢٤٧)، وأخرجه الطبراني في أكبر معاجمه عن ابن عباس رضي الله عنه: (١٠/٣٤٩)، برقم: (١٠٦٨٦)، وفيه بقيَّة، وهو مدلس، وأصله في الصحيح؛ أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، برقم: (٢٣٨٢-عبد الباقي).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه، رقم: (٢٣٤٧-بشار)، ولفظه فيه: «ولكن أشبع يومًا، وأجوع يومًا».

(٣) ورد في معناه حديث عائشة رضي الله عنها: «كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يُخَيَّرَ بين الدنيا والآخرة، فسمعت النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه وأخذته بُحَّة، يقول: ﴿مع الذين أنعم الله عليهم﴾ الآية، فظننتُ أنه خُيِّرَ»، أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، رقم: (٤٤٣٥-طوق).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين رضي الله عنهما، برقم: (٢٤٩٨-عبد الباقي).

له: «إن كسرى وقيصر فيما هُما فيه من المُلْكِ، وأنت على هذه الحالة، فيقول: لهما الدنيا، ولنا الآخرة»[١].

[الخصائص النبوية]:

وإذا نَظَرْتَ إلى مُلْكَ مُحَمَّدٍ في الآخرة رَأَيْتَ ثَمَّ ﴿نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً﴾ [الإنسان:٢٠]، فله خصائص كثيرة؛ أُمَّهَاتُهَا خَمْسٌ وعشرون[٢]:

خُتِمَ به الرُّسُلُ؛

جُعِلَ[٣] شهيدًا على الخَلْقِ؛

كلَّمه الله من غير واسطة؛

عُرِجَ به إلى السماء فرأى ملكوتها[٤]؛

عُرِجَ به فوق السماء حتى سَمِعَ صريف الأقلام؛

غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر؛

زُوِيَتْ له الأرض فرأى مشارقها ومغاربها، وسيبلغ مُلْكُ أُمَّته ما زُوِيَ له منها؛

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء و تخييرهن، رقم: (١٤٧٩-عبد الباقي).

(٢) جُلُّ هذه الخصائص وردت في صحيح الحديث والسنة، وقال بها من ألَّف في الخصائص المصطفوية، فتُنْظَرُ في مواضعها، وفي أبواب المناقب والفضائل من الصِّحَاحِ وغيرها، وذَكَرَها ابن العربي في موضع آخَرَ من كُتُبِه؛ فأوصلها إلى تِسْعٍ وأربعين خصيصة، ينظر: المسالك: (١٩٥/٧-٢٠٥).

(٣) في (س): في خـ: وجعل.

(٤) قوله: «عرج به إلى السماء فرأى ملكوتها» سقط من (د).

أُحِلَّتْ له الغنائم ؛

جُعِلَتْ له الأرض مسجدًا وطهورًا ؛

بُعِثَ إلى الناس كافَّة ؛

نُصِرَ بالرُّعْبِ مسيرة شهر ؛

وأُعْطِي الكَنْزَيْنِ ؛ الأحمر والأبيض ؛

أُوتِيَ مفاتيح خزائن الأرض ؛

اصطُفِيَ من الخَلْقِ ؛

أَوَّلُ من تنشق عنه الأرض ؛

خطيب الخلق ؛

شفيعهم ؛

سيِّدهم ؛

أَكْرَمُ الخلق على الله ؛

«يقوم عن يَمِينِ العرش»[١]، وفي رواية: «يُجْلِسُه معه على العرش»[٢]؛

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة ﵁: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٣٦١١-بشار).

(٢) قال ابنُ العربي في العارضة (١٠/٢٢٨): «وأمَّا جلوسه معه على العرش فلم يصحَّ»، والعارضة ألَّفها ابن العربي بعد سراج المريدين، فيكون قوله هذا هو المعتمد، دون المذكور أعلاه، وقال في موضع آخر من العارضة (١٠/٥٦٦):=

له الوسيلة ؛

خليل الله ؛

أوَّل الخلق دُخُولًا الجنة ؛

رحمة للعالمين.

وكلُّ ما أدرك سليمانُ لا يُقابِل نَصِيفَ حُورِيَّة ، فكيف بما أُوتي مُحَمَّدٌ ﷺ في مُلْكِ[1] الآخرة؟

فلئن كان سليمانُ عليه السَّلام مَلِكًا في الدنيا ؛ إنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لمَلِكٌ في الآخِرَةِ.

* * * * *

= «وذِكْرُ المَعِيَّةِ هاهنا يعود إلى معية الكرامة ، لا إلى معية المسافة ؛ فإن ذلك محال على الله» ، وهذا على تقدير صحته ، وهو لم يصحَّ كما نقلتُ أوَّلًا ، وقال الحافظ ابنُ عبد البر في التمهيد (١٩/٦٤): «قد رُوي عن مجاهد أن المقام المحمود أن يُقْعِده معه يوم القيامة على العرش ، وهذا عندهم منكر في تفسير هذه الآية ، والذي عليه جماعةُ العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين: أن المقام المحمود هو المقام الذي يشفع فيه لأمته ، وقد رُوي عن مجاهد مثل ما عليه الجماعة من ذلك ، فصار إجماعًا في تأويل الآية من أهل العلم بالكتاب والسنة».

(١) في (س): تمليك ، وما أثبتناه أشار إليه في (س) وصحَّحه.

ذِكْرُ حال الصحابة معه وبعده:

وأمَّا أصحابُه فقد كان منهم معه ﷺ الغَنِيُّ والفقير، والكثير الحال، والقليل الحال، الثقيلُ الحاذ[١]، الخفيف الحاذ[٢]، وهو حَيٌّ بين أظهرهم، يُقَرِّرُ كلَّ واحد منهم على حاله، ويُسَوِّغُ له طريقته، وقد عاينوا سِيرَتَه وحاجته[٣]، وجُوعَه وفَقْرَه.

فأمَّا ما قَرَّرَ فبيَّن به الجائز، وأمَّا ما كان عليه ودَعَا من التقلُّل من الدنيا والزهد فيها إليه فبيَّن به الأفضل؛ لأن الخلق لا يصلح لهم أن يكونوا في ذلك على سواء، ولو كان جميعُهم فقيرًا أو كلهم غنيًّا[٤] أو جُمْلَتُهم أخيارًا أو فَجَرَةً لمَّا صحَّ المُلك ولا استقام الأمر، فسُبْحَانَ المدبِّر لذلك، والعالم بما فيه من سديد المسالك، وسيأتي تفصيلُ ذلك في موضعه إن شاء الله.

وقد رُوِيَتْ في أحوالهم أحاديثُ كثيرةٌ؛/ لُبَابُها من الصحيح: أن عائشة قالت: «ما شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ من خُبْزِ الشعير يومين متتابعين حتى قُبِض رسول الله ﷺ»[٥]. [١/٥أ]

---

(١) في طرة بـ (س): خفيف الحاذ: قليل المال والعيال، والحاذ الظهر.

(٢) في (د) و(ص) و(ز): الكثير الحال الثقيل الحاذ، والقليل الحال الخفيف الحاذ.

(٣) في (د) و(ص) و(ز): حاجته وسيرته.

(٤) في (د): ولو كان جميعهم غنيًّا أو كلهم فقيرًا.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عائشة ﵂: كتاب الزهد والرقائق، رقم: (٢٩٧٠-عبد الباقي).

وقال أبو هريرة ﵁: «خرج النبي ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير»[١].

وقال أَنَسٌ: «إنه مشى إلى النبي ﷺ بخُبْزِ شعيرٍ وإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ، ولقد رَهَنَ النبي ﷺ دِرْعَه بالمدينة عند يهودي، وأخذ منه شَعِيرًا لأهله إلى أجل، ولقد سمعتُه وهو يقول: ما أمسى عند آل محمد صاعُ بُرٍّ، ولا صاعُ حَبٍّ، وإن عنده لتسع نسوة»[٢].

وقال أبو هريرة: «ما شَبِعَ رسول الله ﷺ وأهله ثلاثًا تِبَاعًا من خُبْزٍ حتى فارق الدنيا»[٣].

وقال أبو أُمَامَةَ: «ما كان يَفْضُلُ عن أهل بَيْتِ النبي ﷺ خُبْزُ الشَّعير»[٤].

وقال أبو هريرة: «كان من دعاء النبي ﷺ: اللهم اجعل رِزْقَ آل مُحَمَّدٍ قُوتًا[٥]»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة ﵁: كتاب الأطعمة، باب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون، رقم: (٥٤١٤-طوق).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أنس ﵁: كتاب البيوع، باب شراء النبي ﷺ بالنسيئة، رقم: (٢٠٦٩-طوق).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﵁: كتاب الزهد والرقائق، رقم: (٢٩٧٦-عبد الباقي).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه من حديث أبي أمامة ﵁: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في معيشة النبي ﷺ وأهله، رقم: (٢٣٥٩-بشَّار)، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح، غريب من هذا الوجه».

(٥) سقط من (د).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة ﵁: كتاب الرقاق، =

وقال: «قد أَفْلَحَ من أَسْلَمَ ورُزِقَ كَفَافًا، وقَنَّعَه الله بما آتاه»[١].

وقال سَهْلُ بن سَعْدٍ: «ما رأى رَسُولُ الله ﷺ النَّقِيَّ حتى لَقِيَ الله، قيل له: فهل كانت لكم مَنَاخِلُ؟ قال: ما كانت لنا مناخل، قال: فكيف كنتم تصنعون بالشعير؟ قال: كنا نَنْفُخُهُ فيَطِيرُ منه[٢] ما طار، ثم نُثَرِّيه فنعجنه»[٣].

وقال سعد بن أبي وقاص: «لقد رأيتُني أغزو في العصابة من أصحاب مُحَمَّدٍ ما نأكل إلا وَرَقَ الشجر والحُبْلَة، حتى إن أحدنا ليضع كما تَضَعُ الشاة»[٤].

وقال محمد بن سيرين: «كُنَّا عند أبي هريرة وعليه ثوبان مُمَشَّقان من كتَّان، فتمخَّط في أحدهما، ثم قال: بَخٍ بَخٍ، يتمخَّط أبو هريرة في الكتَّان، لقد رأيتني وإني لأَخِرُّ فيما بين منبر رسول الله وحُجْرَةِ عائشة من الجوع

= باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليه عن الدنيا، رقم: (٦٤٦٠-طوق).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄: كتاب الزكاة، باب في الكفاف والقناعة، رقم: (١٠٥٤-عبد الباقي).

(٢) سقط من (ص).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه من حديث سهل بن سعد ﵁: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في معيشة النبي ﷺ وأهله، رقم: (٢٣٦٤-بشار)، وقال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح»، وأصله في الصحيح، أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأطعمة، باب ما كان النَّبِيُّ ﷺ وأصحابُه يأكلون، رقم: (٥٤١٣-طوق).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه من حديث سعد بن أبي وقاص ﵁: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في معيشة النبي ﷺ وأصحابه، رقم: (٢٣٦٥-بشار)، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح».

مَغْشِيًّا عليَّ، فيجيءُ الجائي فيضع رِجْلَه على عُنُقِي يرى أن بي الجنون، وما هو إلَّا الجوع»[١].

وقال فَضَالَةُ بن عُبَيْدٍ: «إن رسول الله ﷺ كان إذا صَلَّى بالناس يَخِرُّ رجالٌ من قامتهم في الصلاة من الخَصَاصَةِ، وهم أصحاب الصُّفَّةِ، حتى يقول الأعراب: هؤلاء مجانين، أو: مَجَانُون، فإذا صَلَّى رسول الله ﷺ انصرف إليهم فقال: لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أن تُزَادُوا فاقة وحاجة، قال فَضَالَةُ: وأنا يومئذ مع رسول الله ﷺ»[٢].

[٥/ب] وقال أبو هريرة:/ «خرج النبي ﷺ في ساعة لا يخرج فيها ولا يلقاه فيها أحد، فأتاه أبو بكر فقال: ما جاء بك يا أبا بكر؟ قال[٣]: خَرَجْتُ ألقى رسول الله وأنظر في وجهه وأُسَلِّمُ[٤] عليه، فلم يلبث أن جاء عمر، فقال: ما جاء بك يا عمر؟ قال: الجوع يا رسول الله، قال: وأنا قد وجدتُ بعض ذلك، فانطلَقوا إلى منزل أبي الهيثم بن التَّيِّهَان؛ وكان رجلًا كثير النخل والشاء، ولم يكن له خَدَمٌ[٥]، فلم يجدوه، فقالوا لامرأته: أين صاحبك؟

(١) أخرجه الترمذي في جامعه من حديث أبي هريرة ﷺ: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ، رقم: (٢٣٦٧-بشار)، وهو في صحيح البخاري: كتاب الاعتصام، رقم: (٧٣٤٢-طوق).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه من حديث فَضالة بن عُبَيد ﷺ: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ، رقم: (٢٣٦٨-بشار)، وقال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح».

(٣) في (د) و(ص) و(ز): فقال.

(٤) في (ص): التسليم.

(٥) في (د): خديم.

قالت: انطلقَ يَسْتَعْذِبُ لنا[١]، فلم يلبثوا أن جاء أبو الهيثم بقِرْبَةٍ يَزْعَبُها فوضعها[٢]، ثم جاء يلتزم النبي ﷺ ويُفَديّه بأبيه وأمه، ثم انطلق بهم إلى حديقة فبسط لهم فيها بِسَاطًا، ثم انطلق إلى نخلة فجاء بِقِنْوٍ فوضعه، فقال النبي ﷺ: أفلا انتقيتَ[٣] لنا من رُطَبِه؟ فقال: يا رسول الله إني أردت أن تتخيروا من رُطَبِه وبَسْرِه، فأكلوا وشربوا من ذلك الماء، فقال رسول الله ﷺ: هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تُسألون عنه يوم القيامة؛ ظِلٌّ بارد، ورُطَبٌ طيِّب، وماء بارد، وفي الحديث قصة؛ منها: أنه ذَبَحَ لهم عَنَاقًا أو جَدْيًا، فأتاهم بها فأكلوا، فقال النبي ﷺ: هل لك خادم؟ فقال: لا، قال: فإذا أتانا شيء فائتنا، فأُتِيَ النبي ﷺ برأسين ليس معهما ثالث، فأتاه أبو الهيثم، فقال النبي ﷺ: اختر منهما، فقال: يا نبي الله اختر لي، فقال عليه السَّلام: إن المستشار مؤتمن، خُذْ هذا فإني رأيته يُصَلِّي، واستوص به معروفًا، فانطلق أبو الهيثم إلى امرأته فأخبرها بقول رسول الله ﷺ، فقالت امرأته: ما أنت بالغٌ ما قال فيه النبي ﷺ إلا أن تعتقه، قال: فهو عَتِيقٌ، فقال النبي ﷺ: غُفِرَ لهم، إن الله لم يبعث نَبِيًّا ولا خليفة إلَّا وله بطانتان؛ بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، وبطانة لا تَأْلُوه خَبَالًا، ومن يُوقَ بطانة السوء فقد وُقِيَ[٤]»[٥].

---

(١) في (د): يستعذب لنا ماء.

(٢) سقطت من (س).

(٣) في (ص): تنقَّيت.

(٤) قوله: «فأتاهم بها فأكلوا، فقال النبي ﷺ: هل لك خادم؟.. قال: إن الله لم يبعث نبيًّا ولا خليفة إلَّا وله بطانتان؛ بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، وبطانة لا تَأْلُوه خَبَالًا، ومن يُوقَ بطانة السوء فقد وُقِيَ»، علَّم عليه في (س) وقال: «المُعَلَّمُ عليه ليس من الأصل»، وخلت (ص) و(ز) من هذه الزيادة.

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه من حديث أبي هريرة ﷺ: أبواب الزهد عن =

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بخمس مائة عامٍ(١) نِصْفَ يَوْمٍ»(٢).

وفي رواية صحيحة أيضًا: «بأربعين خريفًا»(٣).

وفي الصحيح أن النبي ﷺ قال: «قُمْتُ على باب الجنة؛ وكان عَامَّةُ من دَخَلَهَا المساكين، وإذا أصحابُ(٤) الجَدِّ محبوسون، غير أن أصحاب النَّارِ قد أُمِرَ بهم إلى النار»(٥).

وفيه عن/ أبي هريرة قال: «رأيتُ سبعين من أصحاب الصُّفَّةِ ما منهم رجلٌ عليه رداء؛ إمَّا إِزَارٌ وإمَّا كِسَاءٌ، قد ربطوه(٦) في أعناقهم؛ منها ما يبلغ نِصْفَ السَّاقين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن تُرى عورتُه»(٧). [١/٦أ]

= رسول الله ﷺ، باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ، رقم: (٢٣٦٩-بشار)، وقال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح غريب».

(١) سقط من (ص).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه من حديث أبي هريرة ﵁: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، رقم: (٢٣٥٣-بشار)، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح».

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه من حديث جابر بن عبد الله ﵁: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، رقم: (٢٣٥٥-بشار)، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن».

(٤) في طرة بـ (س): في خ: أهل.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أسامة بن زيد ﵁: كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم: (٦٥٤٧-طوق).

(٦) في (د) و(ص): ربطوا.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة ﵁: كتاب الصلاة، باب نوم الرجال في المسجد، رقم: (٤٤٢-طوق).

قال القاضي أبو بكر بن العربي[١] رضي الله عنه: فهل فوق هذه المنزلة منزلةٌ؟ أن يكون هو وأصحابُه في هذه الحال؛ ويُؤتى بمفاتيح خزائن الأرض فيتركها، ويرضى بهذه الحالة رَغْبَةً فيما عند الله، ورَغْبَةً عَمَّا في هذه الدار.

تتميمٌ:

ولمَّا لم يكن منها بُدٌّ، كان للمأخوذ منها حَدٌّ، وذلك القُوتُ؛ كما قال النبي ﷺ فيما رواه المِقْدَامُ بن مَعْدِي كَرِبَ، قال: «سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ما مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شرًّا من بَطْنٍ، بحَسْبِ ابن آدم أُكَيْلَاتٌ[٢] يُقِمْنَ صُلْبَه، فإن كان لا محالة؛ فثُلُثٌ لطعامه، وثُلُثٌ لشرابه، وثُلُثٌ لنَفَسِه»[٣]، صحيحٌ.

وفي صحيح مسلم: «فِرَاشٌ للرجل، وفراشٌ لأهله، وفراشٌ للضَّيْفِ، والرابع للشيطان»[٤].

فبهذا ينبغي أن تَتَعَلَّقَ الهِمَمُ، وعليها ينبغي أن تأتي العزائم، إلَّا أن يفتح الله على العبد بزيادة من غير مُدَاهَنَةٍ في دِينٍ، ولا هوادة على باطل،

---

(١) في (ص): قال القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه.

(٢) في (ص): أكلات.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه من حديث المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، رقم: (٢٣٨٠-بشَّار)، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح».

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: كتاب اللباس والزينة، باب كراهة ما زاد على الحاجة من الفراش واللباس، رقم: (٢٠٨٤-عبد الباقي).

فقد قال رسول الله[(١)] ﷺ - في الصحيح - لعُمَرَ: «ما آتاك الله من هذا المال من غير مسألة ولا إشراف نَفْسٍ فخُذْهُ، وما لا فلا تُتْبِعْه نفسك»[(٢)]، فيَقُومُ بحَقِّ نفسه في المَعَاشِ والرِّيَاشِ، ويَقُومُ بحَقِّ الله في العبادة.

[تعارضُ أمر الدنيا والآخرة]:

فإن تعارضَا وازدحمَا؛ فقد كان أبو بكر الفِهْرِي محمد بن الوليد يقول لنا: «إذا تعارض لأحدكم أمران من الدنيا والآخرة[(٣)] فليُقَدِّمْ أَمْرَ الآخرة؛ فإنه يحصل له من ذلك أمر الدنيا والآخرة، وإن قدَّم أَمْرَ الدنيا فإنه يَفُوتُه أَمْرُ الآخرة»، وقد جرَّبته فوجدته كما قال[(٤)].

وإن قَدَّمَ أَحَدُكُمْ أَمْرَ الدنيا فحصل له فليَعْلَمْ أنه قد فاته أَمْرُ الآخرة؛ لأنه إن كان حَصَلَ له صُورَةً فقد فاته معنًى؛ من وجهين:

أحدهما: أن الذي فاته من أَمْرِ الآخرة أفضلُ من جميع الدنيا، فكيف مِنْ أَمْرٍ واحدٍ عَرَضَ فيه[(٥)]!

وأمَّا الثاني: فإنه لا يُبَارَكُ له فيما حَصَلَ له من/ أَمْرِ الدنيا. [٦/ب]

ومن حديث ابن حَنْبَل عن زيد بن ثابت قال: سمعت رسول الله ﷺ، فذكر أحاديث منها: «من كان هَمُّه الآخرة جَمَعَ الله شَمْلَه، وجعل

---

(١) في (ص): النبي.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كتاب الزكاة، باب إباحة الأخذ لمن أعطى من غير مسألة ولا إشراف، رقم: (١٠٤٥-عبد الباقي).

(٣) سقط من (ص).

(٤) ينظر: الأحكام: (٣/١٣٢٣)، ونقله عنه ابن بشكوال في الصلة: (٢/٢١١).

(٥) في (ص): فيها.

غناه في قلبه، وأَتَتْهُ الدنيا وهي راغمة، ومن كان هَمُّه الدنيا فرَّق الله عليه[١] ضَيْعَتَه، وجعل فَقْرَه بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتِبَ له، والصلاة الوسطى هي الظهر»[٢]، كذا في الحديث.

تَفْصِيلٌ:

قال القاضي رضي الله عنه[٣]: وكما خَلَقَ الله الخَلْقَ لا يعلمون شيئًا، فكذلك خَلَقَهم لا يملكون شيئًا، ثم عَلَّمَهُمْ ومَلَّكَهُمْ، ويُحْشَرُونَ علماء؛ لا يُسْلَبُونَ من العِلْمِ شيئًا ممَّا أعطاهم، بل يزيدهم، ويُحْشَرُونَ فُقَرَاءَ كما خَلَقَهُمْ.

وفي الحديث الصحيح: «يُحْشَرُ الناسُ يَوْمَ القيامة حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا»[٤]، ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء:١٠٣]، وسخَّر له من وَلَدَهُ وكَفَلَهُ، حتى يعتدل أمره، وتستوي حاله، ثم تَعْتَوِرُه حالتان؛ له فيها عن الأولى[٥] انتقالان:

* * * * *

---

(١) سقطت من (د).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه: (٣٥/٤٦٧)، رقم: (٢١٥٩٠-شعيب).

(٣) في (س): رحمه الله.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، رقم: (٢٨٥٩-عبد الباقي).

(٥) في (د): الأوَّل.

الانتقال الأوَّل

هو أن يُغْنِيه بغير تَكَسُّبٍ ولا تَكَلُّفٍ؛ وهو أَسْعَدُه، أو يُغنيه بتَكَسُّبٍ وتَكَلُّفٍ؛ وهو أَشَقُّه؛ وذلك بحسب حال الوالد أو الكافل وقصدهما، فهو الذي يُلْقِي إليه أحد حاليه، إذ كلُّ مولود يولد على الفطرة، فأبواه يُكسبانه المكتوب عليه في أوَّل أمره، فإذا وجد الحاجة فله تسعة[1] أحوال:

الحالة الأولى:

أن يُعَوِّلَ على الله في طلب القُوت، ويعكف على عبادته، واثقًا بكفالته[2]، فإذا انعقدت له هذه النية وصحَّت له هذه الحالة بطريقيها[3] على ما يأتي بيانه في «الصفات» - إن شاء الله - جاءه رِزْقُه يسعى إليه، فإن رُوحَ القُدُسِ قد نفث في رُوع الحبيب الخليل السَّابق الآخر: «أن نَفْسًا لن تموت حتى تستوفي رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأَجْمِلُوا في الطلب»[4].

وروى أحمد بن حنبل رضي الله عنه[5]: «كان النبي ﷺ إذا رأى بأهله خصاصةً يقول: يا أهلاه، صَلُّوا صَلُّوا»[6].

قال القاضي رضي الله عنه[7]: كأنه رجع إلى قول ربه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه:١٣١].

---

(١) في (ص): ستة.
(٢) في (ص): كفايته.
(٣) في (س): طريقها.
(٤) رواه أبو نُعيم في الحلية من طريق أبي أمامة رضي الله عنه: (٢٧/١٠).
(٥) قوله: «رضي الله عنه» لم يرد في (س) و(ص).
(٦) أخرجه الإمام أحمد في الزهد عن ثابت مرسلًا: (ص٤٣).
(٧) في (س): قال القاضي.

خِصِّيصَةٌ:

[٧/أ] وقد يُغْنِي الله المولودَ والمكفول/ عمَّن ولده وكفله، كما أخبرنا سبحانه عن مريم بقوله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّآءُ ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَّشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٣٧]، فبيَّن فيها ثماني فوائد:

الفائدة الأولى: فَضْلُ مريم ومنزلتها؛ فيما[١] أَخْبَرَ به عن حالها وإقامتها لعبادة ربها.

الثانية: حال الكرامة بتَوَلِّي الرزق من السماء دون سَعْيٍ.

الثالثة: أنَّ من تفرَّغ للعبادة كُفِيَ المؤونة.

الرابعة: إظهارُ الكرامة على أيدي الأولياء.

الخامسة: دوامُها؛ رآها مرَّة ثم تكرَّر ذلك، حتى سأل كما سأل، فأجابت كما أجابت، ورآه أمرًا مُتَمَادِيًا يَجْرِي على غير يديه، فأعلمته أنه من خزائن الأرزاق، يأتي افتتاحًا من جهة الرزَّاق.

والسَّادسة: أن زكرياء كان يُكَرِّرُ السؤال مع سماع الجواب لحكمة ذَكَرَها العلماء، وهو أنه رآه أمرًا متماديًا كرامةً من الله، لكنه جوَّز قَطْعَها، إذ لا يجب على الله شيء، ويجوز اختلاف الحالة على المُنْعَمِ عليه، لما رأى من تماديها على شيء يَجْرِي على بابه كرامةً من الله[٢].

---

(١) في (ص): بما.

(٢) قوله: «لما رأى من تماديها على شيء يَجْرِي على بابه كرامةً من الله» سقط من (ص) و(د).

السَّابعة: إحالة الرزق على المشيئة بقولها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَّشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، وهي أصله، فإن في الحديث الصحيح: «إن الله يأمر الملك المُوَكَّلَ بالرَّحِمِ فيكتب الرزق للعبد»[1]؛ يعني: مقداره وجهة كَسْبِهِ، ويكتب الأجل وتوفيته وجهة قَطْعِه.

الثامنة: أن الله أخبر أن رِزْقَه بغير حساب.

وفيها ثلاث تأويلات[2]:

الأوَّل: بغير طلب مكافأة[3].

الثاني[4]: أنه غير مُعَلَّلٍ[5] بطاعة، ولا متعلق بوسيلة، وإنما هو قَضَاءٌ بِقَدَرٍ.

الثالث: بغير عَدَدٍ محصور؛ لأنه سبحانه المُحْصِي لكل شيء عِلْمًا وعددًا.

[٧/ب] **قال/ القاضي** رضي الله عنه[6]: ومع أن الرِّزْقَ - كما قالوا: - غير مُعَلَّلٍ ولا مَنُوطٍ بسبب؛ فإن الله تعالى قد علَّقه بالأسباب، ووكَّل العباد إليها بشُرُوطٍ تأتي في «الصفات» إن شاء الله.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث حذيفة بن أَسِيد الغِفاري رضي الله عنه: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله، وشقاوته وسعادته، رقم: (٢٦٤٣-عبد الباقي).

(٢) في (ص): تأويلات ثلاثة.

(٣) في (س): فكافأه، وهو تصحيف.

(٤) سقط من (س).

(٥) في (س): ولا معلل، وهو تصحيف.

(٦) في (س): رحمه الله.

الحالة الثانية:

فإذا[١] بَلَغَتْه الحاجة أن يتعرَّض ولا يطلب، وهو من آداب الطلب، ألا ترى إلى[٢] أيوب مع الذي بلغ إليه من البكاء كيف قال: ﴿مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء:٨٢]، ولم يسأل صريحًا، وإلى مُحَمَّدٍ ﷺ كيف كان يرفع بصره إلى السماء مُتَعَرِّضًا للدعاء، فقيل له: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ [البقرة:١٤٣]، وانظر إلى أَدْنَى من ذلك وأقلّ في آداب المخلوقين، واستغراقهم في صفة الكريم، وقال[٣] شاعرُهم لكريمهم:

أَأَطْلُبُ حاجتي أم قد كفاني ... حيائي[٤] إن شيمتك الحياءُ[٥]
إذا أثنى عليك المرءُ يومًا ... كفاه[٦] من تعرضه الثناءُ

وقد رَوَيْنَا من طُرُقٍ عديدة حِسَانٍ: عن النبي ﷺ: يقول الله: «من شَغَلَهُ ذِكْرِي عن مسألتي أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين»[٧].

---

(١) في (د) و(ص): إذا، وأشار إليها في (س).

(٢) في (س): أن.

(٣) في (د) و(ص): فقال.

(٤) في (ص): حياؤك.

(٥) البيتان لأمية بن أبي الصلت، يمدح بها ابن جدعان، ديوانه: (ص٣٣٣-٣٣٤).

(٦) في (س): كفاك.

(٧) أخرجه الترمذي في جامعه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أبواب فضائل القرآن، رقم: (٢٩٢٦-بشار)، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريب»، وفي نسخة ابن حسنون التي يرويها عن ابن العربي: قال: «هذا حديث حسن صحيح غريب»، وإنما حسَّنه ابن العربي لكثرة طرقه.

وفي الحديث الصحيح: أن أبا هريرة قال: «والله الذي لا إله إلا هو، إن كنتُ لأعتمد بكَبِدِي[١] على الأرض من الجوع، وإن كنت لأَشُدُّ الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدتُ يومًا على طريقهم التي يخرجون منها، فمرَّ أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليَسْتَتْبِعني فلم يفعل، ثم مرَّ بي عُمَرُ فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليَسْتَتْبِعَنِي، فمرَّ ولم يفعل، ثم مرَّ بي أبو القاسم ﷺ فتبسَّم حين رآني، وعرف ما في نفسي، وما في وجهي، ثم قال: أبا هِرٍّ، قلتُ: لبيك يا رسول الله، قال: الْحَقْ، ومضى فاتبعته، فدخل فاستأذن، فأَذِنَ لي، فوجدَ لَبَنًا في قَدَحٍ، فقال: من أين هذا اللبن؟ فقالوا: أهداه لك فلان أو فلانة، فقال: أبا هِرٍّ، قلتُ: لبَّيك رسول الله، قال: الْحَقْ إلى أهل الصُّفَّةِ فادعهم لي، قال: وأهلُ الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهل ولا على مال ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هدية أرسل[٢] إليهم، وأصاب منها، وأشركهم فيها، فساءني ذلك، فقلتُ: وما هذا اللبن في أهل الصفة؟ كنت أحق أن أُصِيبَ من هذا اللَّبَنِ شَرْبَةً أتقوَّى بها، فإذا جاؤوا أمرني، فكنت أنا أُعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللَّبَنِ؟ ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بُدٌّ، وأَتَيْتُهم فدعوتهم، فأقبلوا فاستأذنوا، فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت، قال: أبا هِرٍّ، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: خُذْ فأعطهم، قال فأخذتُ القَدَحَ/ [٨/أ] فجعلتُ أُعْطِي الرجل فيشرب حتى يَرْوَى، ثم يَرُدُّ عليَّ القَدَحَ، فأُعطي الآخر فيشرب حتى

(١) في (د): كيدي.

(٢) في (د): أرسلها.

يروى، ثم يرد القَدَحَ، حتى انتهيت إلى النبي ﷺ، وقد روى القوم كلهم، فأخذ القَدَحَ فوضعه على يده، فنظر إليَّ فتبسَّم، فقال: أبا هِرٍّ، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: بقيتُ أنا وأنت، قلت: صدقت يا رسول الله، قال: اقعد فاشرب، فقعدت فشربت، قال: اشرب، فشربت، فما زال يقول: اشرب، حتى قلت: لا، والذي بعثك بالحق ما أجد له مَسْلَكًا، قال: فأرني، فأعطيته القَدَحَ، فحمد الله وسمَّى وشَرِبَ الفَضْلَةَ»[1].

الحالة الثالثة:

أن يطلب له من يُرْجَى نُجْحُ طَلَبِه، في الحديث الصحيح عن جرير بن عبد الله، قال: «كُنَّا عند النبي ﷺ في صَدْرِ النَّهارِ، فجاءه قوم حفاة عراة مُجْتَابي النِّمار أو العَباء، مُتَقَلِّدِي السيوف، عامتهم من مُضَرَ، بل كلهم من مُضَرَ، فتمعَّر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بِلَالًا فأذَّن، فقام فصلَّى، ثم خطب فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر:١٨]، تصدَّق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بُرِّهِ، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشِقِّ تمرة، قال: فجاءه رجل من الأنصار بصُرَّةٍ كادت كفُّه تعجز عنها، بل

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه، رقم: (٦٤٥٢-طوق).

قد عجزت، قال[١]: ثم تتابع الناس؛ حتى رأيتُ كَوْمَيْنِ من طعام وثياب، حتى رأيتُ وجه رسول الله ﷺ يتهلَّل؛ كأنه مُذْهَبَةٌ، فقال رسول الله ﷺ: من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرُها وأَجْرُ من عمل بها بعده، من غير أن يُنْتَقَصَ[٢] من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وِزْرُها ووِزْرُ من عمل بها من غير أن يُنْتَقَصَ من أوزارهم شيء»[٣].

الحالة الرابعة:

أن يعتمل[٤] فيما يحتاج إليه ولا يسأل، ففي الحديث الحسن: «أن عَلِيًّا ﷺ عَدِمَ القُوتَ فخرج؛ فرأى يهوديًّا يَنْزِعُ بدَلْوٍ، فناداه: هل لك أن نَنْزِعَ عنك دَلْوًا بتمرة؟ قال: افعل، فدخل عليه فنَزَعَ دَلْوًا بتمرة، حتى إذا أخذ حاجته ألقى الدَّلْوَ عن يده وخرج»[٥].

الحالة الخامسة:

أن يغتنم ويكتسب من الكفَّار بسلاحه، وهي أشرف وجوه الكسب، في الصحيح: قال ﷺ: «جُعِلَ رِزْقِي تحت ظِلِّ رُمْحِي، وجعلت الذِّلَّةُ

---

(١) سقطت من (د).

(٢) في (س): في خ: ينقُص.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث جرير بن عبد الله ﷺ: كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، رقم: (١٠١٧-عبد الباقي).

(٤) في (د): يعمل.

(٥) أخرجه هنَّاد بن السَّرِيّ في الزهد عن علي بن أبي طالب ﷺ: باب معيشة أصحاب النبي ﷺ، رقم: (٧٤٩)، ومن طريقه أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم: (٢٤٧٣-بشار)، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريب».

والصَّغار على من خالف أمري»[١]، خرَّجه البخاري، فجعل الله رِزْقَ رسوله في أشرف وجوه الكسب، «وكان داود يأكل من صَنْعَةِ يده»، خرَّجه مسلم[٢].

١
[٨/ب]

الحالة/ السَّادسة:

أن يَتَّجِرَ ويَتَحَرَّفَ في عَيْشِه[٣]، فقد هاجر عبد الرحمن بن عوف فآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع، وكان غنيًّا، فقال لعبد الرحمن: «هذا مالي فلك نصفه، ولي زوجتان؛ أنزل لك عن إحداهما، فقال له: بارك الله لك في أهلك ومالك، دُلُّونِي على السوق، ثم رآه النبي ﷺ بعد ذلك بمدة[٤] وعليه أَثَرُ صُفْرَةٍ فقال: «ما هذا؟ قال: تزوجت، فقال: أولم ولو بشاة»[٥]، وذكر الحديث.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - مُعَلَّقًا - عن ابن عمر رضي الله عنهما: كتاب الجهاد، باب ما قيل في الرماح، وصيغته: ويُذكر، والحديث فيه كلام كثير، ينظر الفتح: (٦/٩٨)، وحواشي المسند للإمام أحمد: (٩/١٢٣-شعيب).

(٢) لم أجده في صحيح مسلم، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه: كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، رقم: (٢٠٧٢-طوق).

(٣) في (س): في خـ: عيشته.

(٤) في (ص): بعد مدة.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: كتاب النكاح، باب قول الرجل لأخيه: انظر أي زوجتي شئت حتى أنزل لك عنها، رقم: (٥٠٧٢-طوق).

الحالة السَّابعة:

أن يحرث ويطلب الرزق في خبايا الأرض، أو يغرس ويُحْيِيَ الأرض المَوات، ليجعل ذلك سببًا للكفاف، ووسيلة إلى العفاف[١]، ومن المشهور أن النبي ﷺ قال: «لا تتخذوا الضَّيْعَةَ فترغبوا في الدنيا»[٢]، وفي الصحيح: «أن النبي ﷺ دخل دَارَ رجل من الأنصار فرأى في الدار آلة الحرث، فقال: ما دَخَلَتْ قطُّ دارَ قوم إلا أدخلته الذل»[٣].

أنا أبو محمد [عبد الله بن] عبد الرزَّاق بن فُضَيل بدمشق: أنا أبو بكر المالكي: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي: أنا أحمد بن إبراهيم: حدَّثني محمد بن علي: نا ابن بنت مَنِيع[٤]: نا مصعب بن الزبير[٥]: حدَّثني هشام بن عبد الله بن عكرمة المخزومي عن هشام بن عُروة عن أبيه عن عائشة: أن النبي ﷺ قال: «اطلبُوا الرزق في خبايا الأرض»[٦].

---

(١) في (ص): للعفاف.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، رقم: (٢٣٢٨-بشار)، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن».

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه: كتاب الحرث والمزارعة، باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بآلة الزرع أو مجاوزة الحد الذي أُمر به، رقم: (٢٣٢١-طوق).

(٤) هو الإمام أبو القاسم البغوي تـ ٣١٧هـ.

(٥) في (ص): مصعب الزبيري.

(٦) أخرجه أبو القاسم البغوي في حديث مصعب الزبيري: (ص٢٩)، ولفظه فيه: «التمسوا»، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان من حديث مصعب بلفظ: «اطلبوا»: (٢/٤٣٩)، رقم: (١١٧٨).

الحالة الثامنة:

له[١] أن يستدين، فقد تداين النبي ﷺ ورَهَنَ في الحديث الصحيح؛ وذلك لأهله، وقد استدان للمسلمين.

وروى عبد الله بن عمرو بن العاص: «أن رسول الله ﷺ أمره أن يُجَهِّز جيشًا، قال عبد الله: وليس عندنا ظهر، قال: فأمره النبي ﷺ أن يبتاع ظَهْرًا إلى خروج المصدق، فابتاع عبد الله البعير بالبعيرين وبالأَبْعِرَةِ إلى خروج المصدق؛ بأمر رسول الله ﷺ»[٢]، خرَّجه الدارقطني وغيره.

وقد رَوَى ابنُ حنبل وغيره عن أنس بن مالك: «أن النبي ﷺ بعث إلى يهودي يستسلفه شيئًا إلى المَيْسُرَةِ، فقال اليهودي: وهل لمحمد ميسرة؟ قال: فأتيتُ النبي ﷺ فأخبرته، فقال: كذب اليهودي؛ ثلاث مرات، أنا خير من بايع؛ ثلاث مرات، لأَن يلبس الرجل ثوبًا من رِقَاعٍ شتَّى خَيْرٌ له من أن يأخذ في أمانته ما ليس عنده»[٣].

وفي الصحيح: أن النبي ﷺ قال: «من أَخَذَ أموال الناس يريد أداءها أدَّى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله»[٤].

---

(١) سقط من (ص).

(٢) أخرجه الدارقطني في سُننه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: كتاب البيوع، باب الجعالة، رقم: (٣٠٥٢-الرسالة)، وقوَّى إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح: (٤/٤١٩).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: ٢١/١٨٣، رقم: (١٣٥٥٩-شعيب).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الاستقراض، باب في الاستقراض وأداء الديون والحَجْر والتفليس، رقم: (٢٣٨٧-طوق).

قال القاضي ﷺ: ولا يَحِلُّ لمن ادَّان أن يُصَوِّرَ نفسه عند من يداينه باسم الغني، فإن ذلك تلبيس[1] عليه، ويَحْرُمُ ما يأخذُ على هذا الوجه، إلَّا أن يكون به عالمًا، فلا يحتاج أن يُبَيِّنَ له ذلك، وإنما يتعامل الناس بأديانهم ومروءاتهم، والمال تَبَعٌ، فقد[2] يذهب المالُ بآفة، والمروءة والدين باقيان، وأعظمُ ذنب عند الله أن يقول الرجل لمن يأخذ دينه: أنا غني/، وهو فقير، وإذا عَلِمَ ذلك الرجل من حاله[3] أنه عَدِيمٌ؛ فدخل معه على ذلك فهو أَخَفُّ لإِثْمِ الآخِذِ؛ لأن أخذه لما لا يريد أداءه حرامٌ، وإقدامُ ذلك على إعطاء ماله تضييع، فأمَّا من غُرَّ بذلك من نفسه فإنه يُؤَدَّبُ، حتى تكاد نفسه تذهب، ويُطاف به حتى يكون ذلك رَدْعًا لغيره، ولكل واحد من هذه الأحوال صفات تأتي إن شاء الله فيها، تمامُها:

[٩/أ]

الحالة التاسعة: [مُلَازَمَةُ المدارس والرِّبَاطَاتِ]

وهي مختصة ببعض[4] البلاد دون بعض، وهي بأن يَقْوَى على طلب الفقه؛ فيدخل المدارس الموقوف عليها الأحباس لأرزاق الطلبة، فيَدْأَبُ في طلب العلم ويلزم الدرس، فيجري عليه رِزْقُه مُيَاوَمَةً في الخبز، ومُشاهرة في القُوت للأُدُمِ، أو ينقطع إلى الرِّباطات مع الصوفية؛ فيجري عليه رِزْقُ الصوفية، وتَأَتِّي الغَداء والعَشاء إن كان مُفْطِرًا، أو العَشاء إن كان صائمًا، ويجتمعون عليه ويأكلون[5] بأدب عظيم وحالة حسنة، وكذلك كان

---

(١) في (ص): يلتبس.

(٢) في (ص): فلأنه.

(٣) سقط من (س).

(٤) في (د): أهل.

(٥) في (ص): يأكلونه.

حال تلك الأرض؛ من باب بغداد إلى أقصى خراسان، واتفق ذلك بجُود الملوك وسَمْحِ الأغنياء، فإنهم يبنون المدارسَ والرِّبَاطَاتِ، ويُوقِفُونَ عليها العقارات، ويَسْتَدِرُّونَ منها في كل وقت[1] فائد الغلَّات، فيجد الطالب للعلم مأوًى، ولا يعدَم المُقْبِلُ على الله المُعْرِضُ عن الدنيا رِزْقًا.

وعلى الجملة والتفصيل؛ فتلك البلاد، وأولئك الأُمَمُ[2] هُمُ الناس، والدنيا والآخرة، فمن أراد الدنيا فعليه ببغداد.

قال يونس بن عبد الأعلى: «قال لي الشَّافعي: دخلتَ بغداد؟ قلت: لا، قال: لَمْ تَرَ الدنيا، لو دخلتها لرأيتَ[3] الدنيا»[4].

[وَصْفُ مَكَّةَ المُعَظَّمَةِ]:

وإن فيها لمن أراد الآخرة لمنزلةً عُلْيَا، وأمَّا من أراد الآخرة فعليه بمكَّة؛ فإنه يرى واديًا وَحِشَ المَنْظَرَةِ[5]، رَمْلَةٌ هامدة[6]، لا تُنبت مَرْعًى، محفوفًا بجبلين؛ شرقيًّا: أبو قُبَيْسٍ، وغربيًّا: كَدَاء - ممدودٌ -، حجارة مُسْوَدَّةٌ، وشماريخه في السماء ممتدة، صَعْبُ المرتقى، عديم المرعى، في بطنه بَيْتٌ قد بُني من حجارة سُودٍ؛ غير مُحْكَمَةِ النَّجْرِ، ولا مُرَتَّبَةِ الوضع،

---

(١) سقطت من (ص).

(٢) في (س) و(د): الناس.

(٣) في (س): رأيت.

(٤) أخرجه الخطيب في مقدمة تاريخ مدينة السَّلام: (٢٩٢/١)، وهو في قوت القلوب: (١٠٣٧/٢).

(٥) في (ص): المنظر.

(٦) في طرة بـ (س): رملُه هامد.

فما هو إلا أن يقع بصرك عليه فتجد لقلبك به عِلَاقَةً أشدَّ من عِلَاقَةِ الجارية الحسناء ذات الجمال، بقلب الشاب الذي عَدِمَ النساء، لا تمل من النظر إليه، ولا تسأم من الطواف به، في أحد أركانه حَجَرٌ أَسْوَد، إذا لَثَمْتَه وجدتَ أعذب من رُضاب الكِعاب، وأشهى من شَمِّ العُرْبِ الأتراب، فإذا غبتَ عنه تَلَفَّتَ قلبُك إليه أبدًا، وطلبتَ المَثَابَةَ إليه باقي عمرك، لغير معنًى[1] ظاهر، وإنما هو معنى يضعه الله في قلوب المؤمنين، وآية في حِكْمَتِه، وسَعَةُ رحمةٍ للمؤمنين، وعِيَارٌ[2] على لقائه يوم الدين.

[إِنْشَادٌ لأبي الفضل الجوهري لمَّا رأى الكعبة المُشَرَّفَةَ]:

وقد قال لي محمد بن عبد الملك التِّنِّيسِي[3] الواعظ: حججنا مع أبي الفضل الجَوْهَرِي الصُّوفي[4]، فلمَّا دخلنا على باب بني

---

(١) في (ص): أمر.

(٢) كذا في جميع النسخ.

(٣) لم أهتد إلى ترجمته بعد طول بحث، ويُكثر ابن العربي عنه رواية نوادر أبي الفضل الجوهري، ويأتي مزيدُ ذِكرٍ له في كتابنا هذا، ينظر: المطرب لابن دحية: (ص٢١٤)، ورحلة ابن رُشَيد: (٥/١٣٩)، ونفح الطيب: (٢/٤٢).

(٤) الزاهد الصوفي، أبو الفضل عبد الله بن أبي عبد الله حُسَين بن بِشْرِي المصري، عُرِفَ بابن الجوهري القرافي تـ ٤٨٠هـ، واعظ بن واعظ، قال فيه ابن دِحية (المطرب: ص٢١٥): «مصري، كان يسكن القرافة، واسمه عبد الله بن حُسَين، أسماه الإمام أبو بكر بن عطية، وهو واعظ جليل، وفقيه نبيل، روى عنه من العلماء؛ أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطُّبْنِي، وأبو عبد الله محمد بن نصر الحُمَيدي، وغيرهما، وذكره الأمير أبو نصر بن مَاكُولَا في كتاب الإكمال له، وأثنى عليه، وقال: روى عنه الحميدي»، وفي المنشور من فهرس ابن عطية =

شَيْبَه[١]؛ أَخْضَلَ دَمْعُه شَيْبَه، وجعل عندما رأى الكعبة وعليها أَنْمَاطُ الدِّيباج ذات الحَوْكِ الفائق والرُّواء/ الرائق يُنْشِدُ[٢]:

١
[٩/ب]

مـا عُلِّـقَ الـدُّرُّ علـى نَحْرِهـا ... إلَّا لمـا يُخْـشَى مـن العَـيْنِ
تقـول والـدُّرُّ علـى نَحْرِهـا: ... مـن عَلَّـقَ الـشَّيْنَ علـى الـزَّيْنِ

فأَنَّقني هذا القول، وظننت أنه بِكْرُ كلامه[٣]، فإذا بعلي بن العباس قد أخذه في قصيدته التي يمدح بها صاعد بن مَخْلَد صاحب الرَّيِّ، فقال فيه[٤]:

= (ص٦٢): «ابن حَسن»، وهو تصحيف، صوابه ما ذكره ابن دحية، واقتضب الذهبي ترجمته في السير: (٤٩٥/١٨)، وأكثر القاضي ابن العربي من أخباره؛ فأورد في كتابه هذا غرائب حكاياته ومُستحسن نوادره، مع بيان ما كان عليه من الزهد والمعرفة والتأله، ينظر: التعريف بالقاضي عياض: (ص٤١)، ومعجم السفر: (ص٧٠-٧١).

(١) هو: شيبة، وكتبته بالهاء تبعًا لطريقة ابن العربي في التقفية.

(٢) البيتان من بحر الكامل، وذكرهما السُّهَيلي في الروض الأُنف: (١٣٤/٢) عن ابن العربي، وذكرهما أيضًا ابن رُشَيد في ملء العيبة: (٨٤/٥)، ولم يخرجهما محقق الرحلة.

(٣) سقط من (س) و(د).

(٤) من بحر الطويل، وهو لابن الرُّومِي في ديوانه: (٥٩٥/٢)، من قصيدته الدالية التي يبكي فيها شبابه ويمدح صاعد بن مخلد، وكذلك هو في يتيمة الدهر للثعالبي: (١٣٦/١)، ورواية الديوان: وآنق، وكذلك هو في زهر الآداب للحُصْري: (٢٤٧/١).

وأَحْسَنُ من عِقْدِ العَقِيلة[١] جِيدُها وأَحْسَنُ من سِرْبَالِها المتجرِّدُ

تنبيه:

قال القاضي[٢] **أبو بكر بن العربي** ﵁: ويعتمد في كل[٣] ذلك وجوه الحلال، في عَيْنِ ما يكتسبه، وفي جهة كَسْبِه، ففي الحديث الصحيح - واللفظ للبخاري -: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ليأتينَّ على الناس زمانٌ لا يبالي المرءُ بما[٤] أخذ المال؛ أمن حلال أم من حرام»[٥].

* * * * *

---

(١) في طرة بـ (س): المليحة، وتحتها: ملحقٌ، خطُّه.

(٢) في (ص): الحافظ.

(٣) سقط من (س).

(٤) في (ص): فيما.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة ﵁: كتاب البيوع، باب من لم يبال من حيث كسب المال، رقم: (٢٠٥٩-طوق).

الانتقال الثاني

أن تمتلئ يده من الخير فيصيرُ مالكًا أو مَلِكًا، فكُلُّ قَدْرٍ يكتسبُ فهو به مالك، ولا يكون مَلِكًا حتى يكون له خادم، كما رُوي في الخبر الحسن: «أنه إذا كان له قُوتُه ومنزله فهو غَنِيٌّ، فإن كان له خادمٌ فهو مَلِكٌ[١]»[٢].

وتحقيقه: أنه يأمر وينهى وينفُذ ذلك له، ويُكْفَى ما كان يحاوله بنفسه، وذلك لا يناقض العبادة، ولا يقدح في المنزلة، كان الخادمُ واحدًا أو أكثر، على قَدْرِ الحاجة، فقد يُروى: «أن الزبير بن العوَّام كان كثير الغلمان»، وأَنْهَوْهُم إلى ألف غلام في بعض الروايات، خرَّجه ابن حنبل، وزاد فيه: «أنهم كانوا[٣] يؤدون إليه الخراج، فكان يَقْسِمُه كل ليلة، ثم يقوم إلى منزله وليس معه منه شيء»[٤].

---

(١) في (د): مالك.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره من طرق كثيرة وبألفاظ مختلفة؛ بعضها مرفوع وبعضها موقوف: (١٠/١٦١-شاكر)، ولفظ الموقوف منه من كلام عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄: وفيه: «سأله رجل فقال: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبد الله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم، قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم، قال: فأنت من الأغنياء، فقال: إن لي خادمًا، قال: فأنت من الملوك»، وهو في صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، رقم: (٢٩٧٩-عبد الباقي).

(٣) قوله: «أنهم كانوا» سقط من (ص).

(٤) الأثر في الزهد للإمام أحمد: (ص١٧٩)، من رواية ابنه عبد الله، قال: «حدَّثني من سمع الوليد بن مسلم»، وفيه انقطاع، ومن طريقه أخرجه الحافظ أبو نعيم في حِلْيَتِه: (٢/٩٠)، وأخرجه -أيضًا- في معرفة الصحابة من طريق الأوزاعي: (١/١١٢)، رقم: (٤٣٨).

وقد انتهى النبي ﷺ - وهو القُدْوَةُ - إلى سِتِّينَ مَوْلًى، ذَكَرَهُمْ ابنُ رِشْدِينَ وغيرُه[١]، ولكنهم متفرقون لم يجتمعوا عنده، وكان يكون عنده منهم[٢] في الوقت الواحد أكثر من واحد؛ لأنه كان يَمُنُّ عليهم بالحُرِّيَّةِ، ويلازمونه بعد العِتْقِ في أكثر من واحد.

وثبت في الصحيح[٣] - واللفظ لمسلم - قال: «كان سعدُ بن أبي وقاص في إِبِلِه، فجاءه ابنُه عمر، فقال: أعوذ بالله من شَرِّ هذا الراكب، فنزل فقال له: أنزلتَ في غنمك وإبلك وتركت الناس يتنازعون المُلْكَ بينهم؟ فضرب سَعْدٌ في صدره وقال: اسكت، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: إن الله يُحِبُّ العبد التقي النقي[٤]، الخفي الغني»[٥].

ثم يترقَّى به الأمر إلى مَلْكِ النِّصاب، فيكونُ غَنِيًّا مطلقًا إذا لبث عنده حَوْلًا، وهو غير محتاج إليه، وتعيَّن عليه أداءُ الحق المفروض عليه، وإسلامُ الرزق الذي أحال به الكفيل الوكيل عليه، ويكون وكيلًا للوكيل، وقاضيًا للحق الذي ألزمه بفضله الكفيل.

ونكتة ذلك: أن الله سبحانه خَلَقَ العباد ونوَّعهم في خَلْقِه لهم إلى مقدور[٦] عليه ومُوَسَّعٍ، وضَمِنَ للكُلِّ رِزْقَه، فقال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي

---

(١) ينظر في أسمائهم وأعيانهم وعدتهم: تاريخ دمشق: (٤/٢٥١)، وتهذيب الكمال: (١/٢٠٧)، وسبل الهدى والرشاد: (١٢/٤٣٦-٤٤٦).

(٢) قوله: «وكان يكون عنده منهم» سقط من (س).

(٣) قوله: «في الصحيح» سقط من (ص).

(٤) لم ترد في (س) و(ص).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: كتاب الزهد والرقائق، رقم: (٢٩٦٥-عبد الباقي).

(٦) أي: مضيق عليه.

ﵟالۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَاﵞ [هود:٦]، وجعل المقدار الذي ضَمِنَه من الرِّزْقِ لهم في المال الذي ملَّكه لأغنيائهم، فالغنيُّ/ الذي يكون رِزْقُه بيده وفي مِلْكِه، والذي قُدِرَ عليه رِزْقُه يكون رِزْقُه بيد الغني؛ يأخذه منه إذا كان قد أحاله به عليه.

[١٠/أ]

وقد عَلِمَ الله سبحانه قَدْرَ الأموال الموضوعة في الأرض، وعَلِمَ قَدْرَ التقسيط منه على الخلق، وعَلِمَ الغَنِيَّ من المحتاج، وعلم قَدْرَ الكفاية، وعلم أن ذلك الذي جُعِلَ للفقراء على الأغنياء كَفَاءٌ لكفايتهم، حتى تتم الحكمة في التقسيط بالقِسْطِ، وكلُّ[1] ذلك ابتلاءٌ للجميع؛ هذا[2] في سبيل الشُّكْرِ، وهذا في طريق الصَّبْرِ، ومن[3] زَوَى عنه أكثر ممَّن ضَوَى إليه؛ إذا رزقه الصبر عليه، ولا تزال هذه الحالة مطَّردةً - دُنْيًا[4] - حتى تقطعها إرادةٌ سابقة؛ في حَبْسِ وُكلاء الله الحقوقَ عن أربابها؛ إمَّا من المُلَّاكِ، وإمَّا من الأَمْلَاكِ الوُكلاء القابضين لها.

[مُعْضِلَةٌ: في تَرْكِ الفقراء إلى الولاة أو مواساتهم بمالٍ آخَرَ]

فتنشأُ هاهنا مُعْضِلَةٌ، وهي: تَرْكُ الفقراء إلى من حَبَسَ حقوقَهم وأسلابَهم[5] إليه[6]، أو استئناف مشاركتهم بمالٍ آخَرَ سوى ذلك، والتي[7]

---

(١) في (ص): كان.

(٢) سقطت من (س).

(٣) في (س): ممَّن.

(٤) في (س) و(د): دينًا.

(٥) في (ص): وإسلامهم.

(٦) في (ص): إليهم.

(٧) في (د): الذي.

يجب أن تُعطى للولاة حقوقهم التي أمر الله بأدائها إليهم، ولا يُخْرَجُ عليهم، فإن أدَّوْها إلى مُسْتَحِقِّيهَا فبها ونعمت، وإن حبسوها عنهم بتأويل أو بغير تأويل فقد أفتى النبيُّ ﷺ في هذه النازلة فقال: «أَدُّوا الذي لهم، واسألوا الله الذي لكم»[1]، وهذا حديث صحيح.

وفي الصحيح - واللفظ لمسلم -: عن علقمة بن وائل الحضرمي عن أبيه قال: «سأل سلمةُ بن يزيد الجُعْفِي رسولَ الله ﷺ فقال: يا نبيَّ الله، قال: أرأيتَ إن قامت أمراء يسألوننا حَقَّهم ويمنعوننا حَقَّنا فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله في الثانية أو في الثالثة، فجذبه الأشعثُ بن قيس، فقال رسول الله ﷺ: اسمعوا وأطيعوا، فإنَّما عليهم ما حُمِّلُوا، وعليكم ما حُمِّلْتُمْ»[2].

استدراك: [لا يَحِلُّ للأغنياء إهمالُ الفقراء]

ثم بعد هذا لا يَحِلُّ للأغنياء أن يُهْمِلوا الفقراء، بل يُغنوهم ممَّا في أيديهم[3]، أَلَا ترى أنه لو سُرِقَ مالُ رجل أو غُصِبَ لتعيَّن على الناس إغناؤه، وجَبْرُ ما ذهب مما يُغني مَفَاقِرَه ويَجْبُرُ مكاسره قبل الزكاة، ولكن

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء؛ الأوَّل فالأوَّل، رقم: (١٨٤٣-عبد الباقي).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث سلمة بن يزيد الجعفي رضي الله عنه: كتاب الإمارة، باب في طاعة الأمراء وإن ضيَّعوا الحقوق، رقم: (١٨٤٦-عبد الباقي).

(٣) ينظر في ذلك: الأحكام لابن العربي: (١/٦٠)، والأموال لأبي جعفر الداودي: (ص١٧٣).

اختلف العلماء؛ هل يكون ذلك زائدًا على الزكاة أم يستعجل فيُحْسَبُ[1] من الزكاة؟ على قولين، قد بيَّنَّاهما في «مسائل الخلاف»[2].

[مسألة: هل يَحْبِسُ بَعْضَ مَالِ الزكاة عن الوالي لمن يحتاج إليه؟]

بلى؛ إن هاهنا مسألة قد ذَكَرَها المتأخرون؛ وهي:

هل يجوز له أن يَحْتَجِنَ من الزكاة على الوالي ما يُعْطِي للمحتاج إن[3] لم يقدر أن يَحْبِسَ الكُلَّ؟

اختلف المتأخرون فيه، وبجوازه أقول؛ لأنه قادرٌ على استخراج حَقِّ مُسْلِمٍ من يَدِ غَاصِبٍ، فوَجَبَ عليه شَرْعًا.

[مسألة: إذا لم تَفِ الزكاة بحقوق الفقراء]

وتنشأُ بعد ذلك مسألة أخرى، وهي:

إذا لم تَفِ الزكاة بحقوق الفقراء في مكان؛ هل تُنقل إلى غيره من سائر البلدان؟

فلا خلاف في ذلك، وإن كان الناس قد اختلفوا في جواز نقلها في الأصل من غير حاجة، حسب ما تقرَّر في «كتب المسائل»، وما أظن الأموال عند نزول الحاجة ألَّا تُنقل[4]؛ وذلك لأن الإمام وكيل واحد،

---

(١) في (ص): فيحتسب.

(٢) هو كتابه الكبير في الخلاف العالي، واسمه: «الإنصاف في مسائل الخلاف»، كانت منه نسخة في خزانة القرويين، ثم أُخِذَتْ، وكتابُه هذا يُكثر من الإحالة عليه في كتابه «أحكام القرآن».

(٣) في (س): أو.

(٤) قوله: «ألَّا تنقل» سقط من (ص).

[١٠/ب] وبَيْتُ المال بيت واحد/، ورَعِيَّتُه كرجل واحد، فيلزمه أن يُغني الكلَّ ممَّا في خزانة الله التي جعلها في أمانته، وقد بيَّنَّا تحقيق ذلك في موضعه الذي يليق به(١).

[مسألة: إذا أذهبت الجوائح محل الزكوات]

وتتركَّب على هذا أيضًا(٢) مسألة أخرى، وهي:

إذا ما(٣) نزلتْ جائحةٌ من القحط أو من الماء أذهبت محلَّ الزكوات من النبات والحيوانات، أو بقي من ذلك ما لا يقوم بحاجة الناس؟

فلا خلاف بين الأمة أنه ترجع حقوق المحتاجين في رقاب أموال الأغنياء، وعليهم أن يُغنوهم كفايتهم، ويقتسمونهم على قَدْرِ أحوالهم، وقد جعل عُمَرُ بن الخطاب عام الرَّمادة على كل شخص مثله، وقال: «لن يهلك أَحَدٌ على نِصْفِ شِبَعِه»(٤)، وأثنى النبي ﷺ على الأشعريين فقال: «إنهم إذا أَرْمَلوا(٥) في الغزو جمعوا زادهم وتَوَاسَوا فيه، هم مِنِّي وأنا منهم»(٦)، وقال النبي ﷺ: «فُكُّوا العاني، وأطعموا الجائع»(٧)، وهذه كلها أحاديث صِحَاحٌ أصول.

---

(١) أحكام القرآن: (٢/٩٧٦).

(٢) سقط من (د).

(٣) في (د): ما إذا.

(٤) شرح البخاري لابن بطَّال: (٩/٤٧١)، والعارضة: (٧/٤٠٨).

(٥) أي: فني زادهم.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ: كتاب فضائل الصحابة، بابٌ من فضائل الأشعريين ﷺ، رقم: (٢٥٠٠-عبد الباقي).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري ﷺ: كتاب الأحكام، باب إجابة الحاكم الدعوة، رقم: (٧١٧٣-طوق).

[مواساة ابن العربي للفقراء في أعوام المجاعة]:

وقد كنتُ في أعوام المجاعة أدعو الأغنياء والولاة إلى ذلك فيأبون عليَّ؛ لأن الله أبى عليهم أن يفلحوا، وكان من المفتين أو كلهم من يدفع هذا ويمنع[1] منه؛ لكثرة ماله وعظيم طعامه المُدَّخَرَيْنِ عنده، فكنتُ أرجع إلى تقدير الأغنياء والمساكين، فآخُذُ من جملتهم قَدْرَ ما يمكن أن يلزمني على التقسيط، فأضمهم إلى نفسي وأجعلهم من معارفي، فذلك أفضل؛ لأن صلة المعرفة وذي الحاجة صِلَتَانِ، والصدقة عليهم صدقتان، والأَجْرُ فيهم مُضَاعَفٌ مرَّتين.

تَبْيِينٌ: [هل تَلْزَمُ المُسَاوَاةُ في المُوَاسَاةِ؟]

فإذا ضَمَمْتَهُمْ إلى نفسك فليس يلزمك أن تساويهم مع نفسك في المطعم والملبس، أمَا إنَّ نفسك لو أطاقته لكان أفضل، لما في ثبت في الصحيح عن أبي ذر: «أنه كان يمشي وعليه حُلَّةٌ، على غلامه مِثْلُها، فقيل له في ذلك، فقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: إخوانُكم خَوَلُكم، ملَّككم الله رقابهم[2]، فأطعموهم ممَّا تأكلون، واكسوهم ممَّا تلبسون، ولا تُكَلِّفُوهم من العمل ما لا يطيقون، فإن كلَّفتموهم فأعينوهم»[3].

---

(١) في (س) و(د): أو يمنع.

(٢) في (س): رقابكم.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، رقم: (٣٠-طوق).

فإن لم تَقْدِرْ مع نفسك على ذلك فقَوِّتْهُمْ ممَّا يُقيم أَوَدَهم، وإن لم تَسْتَوْفِ حاجتهم ولا عَدَدَهُمْ، والأصلُ في ذلك ما مهَّدناه في غير موطن، وها أنا أُورِدُه عليكم بأَجْلَى صورة.

فِقْهٌ: [مُقام ابن العربي في أَيْلَانَ أيَّام المجاعة]:

كنتُ بأيْلَانَ[1] في مجاعة خمس وست وثلاثين وخمس مائة، وقد ضاقت الأرض برُحْبِها على المساكين، ومادت بِعِطْفَيْ شرقها وغربها على المحتاجين، فجُشِرَت[2] منها إلينا زُمَرٌ، وعمَّهم الوباء، وكنتُ بدار غربة في حال كُرْبَةٍ، فرأيتُ أن[3] الذي يلزمني منهم واحدٌ، فأخذتُ اثنين، وكنت أُقِيتهم في كل يوم رغيفين[4]، إلَّا أن تأتيني زيادة من فائدة، فيكون عليهم منه عائدة[5]، أو يعرض لأحد منهم[6] مَرَضٌ فيعاني، ويُطَيَّبُ ويُلَيَّنُ ويُلَوَّق له ما أمكن[7].

[رؤيا لابن العربي في شأن المواساة]:

ونِمْتُ ليلةً فرأيتُ كأني جالس على مائدة، وحولي جماعة من طَلبتي، وعليها معي رجل من أشياخي، قد سبق موتُه منذ[8] مدة،

---

(١) هي مدينة أغمات، ينظر في التعريف بها: المُغرب لأبي عُبَيد البَكري: (ص١٥٣)، ومعجم البلدان لياقوت: (١/٢٢٥).

(٢) في (س): حشرت.

(٣) سقط من (د) و(س).

(٤) في (د): رغيفتين.

(٥) في (د) و(س): عائد.

(٦) في (س): لأحدهم منه.

(٧) في (س) و(د): ويلون له ما أمكن.

(٨) في (ص): مذ.

١

فَبَيْنَا[١] نحن نأكل، وقد تجاذبنا ذَيْلَ الحديث، فطَفِقَ بعض الطلبة يقول:/ [١١/أ]
نأكل ونشبع والمحتاجون على ما هم عليه، ما[٢] أدري كيف هذا؟ فقلتُ له على استحياء من الشيخ، وقد علمتُ أنه لا يستقلُّ بالجواب، ويغلط بقلة المعرفة: «اعلموا أنه لا يمكن أن نَعُمَّهم نحن بأموالنا، ولا يلزمنا أن نكون على مِثْلِ[٣] حالهم مع ما عندنا، أمَا[٤] إنه لو أمكن أن يأخذ كُلُّ واحد من الأغنياء واحدًا أو اثنين حتى ينفد المحتاجون، لكانوا قد قضَوا ما عليهم من الواجب.

والدليلُ عليه: أن زمان النبي ﷺ كان الصحابة فيه يشدُّون على بطونهم الحجارة من الجوع[٥]، ويُقِيم سعد بن أبي وقاص عشرين ليلة طاويًا، حتى قال: «مشيتُ ليلة فوجدت تحت رَحْلِي حيوانًا يمشي،

---

(١) في (د): فبيننا.

(٢) في (ص): وما.

(٣) في (ص): مثال.

(٤) في (ص): فأما.

(٥) منه حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع»، أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه و تخليهم عن الدنيا، رقم: (٦٤٥٢-طوق)، وفي معناه كذلك: حديث أبي طلحة رضي الله عنه: «شكونا إلى رسول الله الجوع، ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر، فرفع رسول الله عن حجرين»، قال أبو عيسى: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه»، جامع الترمذي: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ، رقم: (٢٣٧١-بشار)، وهو في الشمائل لأبي عيسى: (ص١٠٣).

فهجمت عليه فازدرتُّه من قبل أن أعلم ما هو، فلقد أقام صُلْبِي ورفوف الأنصار مملوءة من التمر، والشَّحْمُ مدَّخرة عندهم»[١]، ومن المهاجرين من كان مثلهم؛ قليلٌ جدًّا، ولم يُلزم النبي ﷺ أَخْذَ أموالهم قَسْرًا منهم ليعود بها على الفقراء، ولكنه كان الدَّهْرَ[٢] يندب إلى المواساة غنيَّهم، ويحضُّ على الصبر فقيرَهم، ويُعَرِّفُهم بما لهم عند الله من المنزلة على الأغنياء والمزيَّة فيهم.

ويموتُ المَيِّتُ من المهاجرين فلا يجد وليُّه ما يُكَفِّنُه فيه إلَّا نَمِرَةً، إذا غَطَّى بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غَطَّى رجلَيه بَدَا رأسُه، فقال النبي ﷺ: «غَطُّوا بها رأسه، واجعلوا على رِجْلَيْه من الإِذْخِرِ»[٣].

ولكن مع هذا لم يكن أَحَدٌ من المحتاجين يموتُ جوعًا، ولا كان يُغْنَى إِغْنَاءً كاملًا[٤]، ولكنه كان يُرَمَّقُ[٥] ويُسَيَّرُ[٦]، ويُتعاهد بالافتقاد، وما تركوا قطُّ أحدًا[٧] يموت هُزْلًا، وإن استمرَّ به الجوع وَقْتًا».

---

(١) لم أجده بعد البحث الشديد.

(٢) قوله: «كان الدهر» سقط من (د).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن خَبَّابٍ رضي الله عنه: كتاب المغازي، باب غزوة أُحُدٍ، رقم: (٤٠٤٧-طوق).

(٤) في (ص): تامًّا.

(٥) أي: لا يُترك حتى يهلك، والمُرَمَّقُ: المُضَيَّقُ عليه في عيشه، تاج العروس: (٣٦٤/٢٥).

(٦) في (د): يؤمر وييسر.

(٧) في (ص) و(ز): أحدًا قط.

واستيقظتُ، وكان هذا[١] من حديث نفسي أبدًا[٢]، وجملةٌ ممَّا عندي في هذه المسألة من طريق الفقه، وسيأتي بقيَّة ذلك في «الصفات» إن شاء الله.

والمنزلة العُلْيَا: ما قدَّمنا عن عُمَرَ وأبي ذَرٍّ، «وقد كان عمر لا يَأْتَدِمُ عام المجاعة حتى يَحْيَى الناس مِنْ أوَّل ما يَحْيَوْنَ»[٣]، ويُساويهم مطعمًا وملبسًا؛ لأنه كان أميرَهم، ومسؤولًا على الخصوص عنهم، وكان يُكثر محاسبة نفسه لما يخافه[٤] من محاسبة الله ونِقْمَتِه.

[تَقْصِيرُ الأغنياء والولاة في شأن الفقراء والمحتاجين]:

والتَّحْقِيقُ في هذا كله: أن الأغنياء والولاة[٥] مُفَرِّطُون، وعلى سبيل التقصير سائرون؛ فإنَّ كلا الطائفتين قد حازت من الأموال ما لو أُمِرَّتْ[٦] على وجه الحق والرفق بالطائفتين - أعني: الأغنياء والفقراء - من الخَلْقِ لما ظهرت خصاصةٌ، ولا هلك[٧] أحدٌ هُزْلًا، ولا ذهبت الأديان، ولا

(١) في (ص) و(ز): وهذا كان.

(٢) سقطت من (ز).

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: كتاب الجامع، جامع ما جاء في الطعام والشراب، (٣١٢/٢)، رقم: (٢٦٤٩-المجلس العلمي الأعلى)، وأخرجه الإمام أحمد في الزهد عن زيد بن أسلم عن أبيه: (ص١٥٠)، وأخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أنس: (٤٨/١)، وهو في الطبقات لابن سعد: (٢٩١/٣).

(٤) في (ص): يخاف.

(٥) في (ص): الأولياء، وسقط من (ز).

(٦) في (ص): مرت.

(٧) في طرة بـ (س): في خ: مات.

عُوقبوا بالهَرْجِ، ولكنهم حَجَبُوا نعمة الله التي بأيديهم فحجب الله ما في خزائن رحمته عنهم(١)، ونسأل الله التوفيق للجميع، ورُشْدًا يلائم هذا الصَّدِيعَ، ومغفرة تَتِمُّ بها النعمة، وتَحْسُنُ معها/ العاقبة. [١١/ب]

[هل يعانُ الفاسق وتارك الصلاة ويُوَاسَى؟]

فإن قيل: فهؤلاء المساكين والمحتاجون(٢) أنواع؛ منهم الخارج، ومنهم الفاسق، وأكثرهم أو قُلْ: جميعهم لا يصلي، فكيف ترون في مثل هؤلاء؟ أيواسون(٣) فيُعانون على ماهم بسبيله من الحال التي لا تجوز أم يُحْرَمُونَ؟

قلنا: قد رُوي في الأثر الحسن: أن النبي ﷺ قال: «لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي»(٤)، فمن الحَقِّ الأَفْضَلِ أن تَعْتَمِدَ(٥) بإفضالك أهلَ الدين والتُّقى، فأمَّا من ذَكَرْتَ أمرهم فعنهم(٦) أجوبة، بعضُها أقوى من بعض:

الأوَّل منها: أن الباري سبحانه لم يَحْجُبْ رِزْقَه عمَّن جَحَدَه، وقد صحَّ أن النبي ﷺ قال: «لا أحدَ أصبرُ على أذًى من الله، يدَّعون له

---

(١) في طرة بـ (س): في خـ: عنهم ما في خزائنه من الرحمة.
(٢) في (ص): المساكين المحتاجون.
(٣) في (ص): يواسون.
(٤) أخرجه الترمذي في جامعه من حديث أبي سعيد الخدري ﵁: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في صحبة المؤمن، رقم: (٢٣٩٥-بشار)، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن، إنما نعرفه من هذا الوجه».
(٥) في قوله (س): تعتمر، وفي (ص): تقيمه.
(٦) في (ص): فعنه.

الصاحبة والولد؛ وهو يعافيهم ويرزقهم»[١]، فكيف تحجبُ أنت رزقك عنه؟

الثاني: أن الذِّمِّيَّ الذي وُجِدَ منه الكُفْرُ يُرزق ويُتصدَّق عليه، ولا يُسْلَمُ إلى الهَلَكَةِ لكُفْرِه، لما له من حُرمة عَقْدِ الذِّمَّةِ، فكيف يُسْلَمُ[٢] هؤلاء مع حُرمة ما يلفظون به من الشهادة، ولها من الحُرمة ما لها، وقد علمتم مآلها؟

ولقد ثبت[٣] أن عمر مرَّ عليه ذِمِّيٌّ يُرْعَشُ من الكِبَرِ يتكفَّف، فقال عمر: «لقد ظلمناك إن كنا أخذنا الجزية منك قويًّا وحرمناك ضعيفًا»[٤]، وأمر بإِدْرَارٍ يُجْرَى عليه، هذا معناه.

الثالث: أنه ينبغي أن يُوَاسَى بدرجة، وهي أن يُؤمر بأن يَخْرُجَ عن المنكر الذي تلبَّس به، فإن فَعَلَ أُطْعِمَ، وإن لم يفعل تُرِكَ يموت، وهو على هذه الحال قاتلُ نَفْسِه الذي يَبُوأُ بإثمها دون غيره.

الرَّابع: أن يقال للسائل عن هذه النازلة: ألا تستحي من الله بما[٥] تتعلَّل به على هذا السائل للمواساة؟ تكون زوجك في دارك وولدك

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى ﷺ: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل، رقم: (٢٨٠٤-عبد الباقي).

(٢) سقط من (د)، وفي (ص): تسلم.

(٣) هنا سقط في نسخة (د) مقداره ورقة، وغالب الظن أن الخلل الداخل عليها من جهة التصوير.

(٤) أخرجه ابن زنجويه في الأموال عن أبي عُبَيد: (١/١٦٩)، رقم: (١٧٩).

(٥) في (ص): فيما.

وخادمك لا يصلُّون أو لا يصلي بعضهم، وأنت تُجْرِي الرزق الرَّغِدَ والكِسْوَةَ السَّابغة عليهم، ثم تعتذر في المحتاج بما لا تفعله[١] مع من تَحُوطُه، إنَّ هذا لهو النفاق العظيم.

الخامس: أن يقال له: وكأنك[٢] لم تر من المنكر إلَّا هذا، وهو ظُلْمُ الإنسان لنفسه، حتى تحتمي نفسك هذه الحميَّة[٣]، فأين ظُلْمُ الغَيْرِ للغير من هذا المقام؟ ابدأ به واغضب له، واهجر فاعله، ولا تَصِلْه بمالك ولا ببِشْرِك ولا بجاهك، وبعد ذلك تَتَرَدَّدُ في هذا الذي يموتُ جوعًا على هذه الحالة، فتعتبر فيه هذه الحُجَّةَ، هيهات؛ إنما هذا كله منك[٤] تَعَلُّلٌ على الصدقة بما لا يمنع منها، حِرْصًا على البُخْلِ الذي رُكِّبَتِ النفس الأمَّارة بالسُّوءِ عليه.

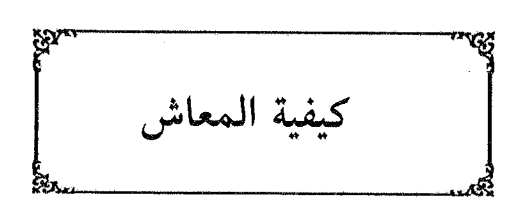
* * * * *

(١) في (س): يفعله.

(٢) في (ص): فكأنك.

(٣) في (ص): الحمية له.

(٤) سقطت من (ص).



كيفية المعاش

فإن قيل: كيف يكون عَيْشُ المرء في ماله وذات يده؟

قلنا: لذلك محلَّان:

المحلُّ الأوَّل: القُوتُ، واختلف الناس في ذلك على أربعة أقوال:

الأوَّل: أن يقتصر على العُلْقَةِ، ولا يأكل إلَّا لُقَيْمَاتٍ بحساب، ويُرَوِّضُ نفسه على ذلك،/ حتى يأكل في اليوم مرَّة، ومرَّة في يومين، ومرَّة في ثلاث[1]، ثم في أسبوع، ثم في الشهر مرَّة، ثم إلى أربعين يومًا، وهذه غاية الدرجة عندهم[2]. ١ [١٢/أ]

الثاني: أن يأكل إذا وَجَدَ، ويصبر إذا فَقَدَ.

الثالث: أن يأكل ولا يَشْبَعَ، وإنما يُزْجِي أيَّامه، ويَقُوتُ بدنه، ويَكْسِرُ شهوته.

الرابع: أن يأكل ويَشْبَعَ ولا يُسْرِف؛ بأن يتجاوز حَدَّ الشِّبَعِ.

---

(١) في (ص): «حتى يأكل في اليوم مرة، ثم في يومين، ثم في ثلاث»، وأشار إليها في (س).

(٢) يقصد بهم الصوفية.

فأمَّا القولُ الأوَّل فليس لهم فيه أَثَرٌ صحيح من القرآن ولا من السُّنَّةِ، وإنَّما هي[١] أخبارٌ تُحْكَى عن قوم من الفقراء[٢]؛ من المتأخرين لا من[٣] السَّلَفِ الماضين، وما حفظتُ في ذلك شيئًا إلا عن عبد الله بن الزبير؛ فإنه كان يواصل الصيام؛ فيفطر من الجمعة إلى الجمعة[٤]، وكان[٥] فِطْرُه على شيء من الصَّبِرِ يُعَتِّقُ مِعَاهُ للطعام والشراب، ولعله إنما كان يقصد بذلك مواصلة الصيام، لا رياضة النفس على ترك الطعام، بالوجه الذي تحاوله هذه الطائفة[٦].

وقد كان شيخُنا أبو بكر الفِهْرِي رَاضَ نفسه على الوصال على مذهب الصوفية بالمسجد الأقصى - طهَّره الله[٧] -، فصام من يوم السبت، وأفطر[٨] يوم الأربعاء، وأُرَى[٩] أنه يَضْعُفُ عن خِدْمَةِ العلم بالمدارسة والمذاكرة فتَرَكَهُ[١٠].

---

(١) في (ص): هو.
(٢) ينظر: اللمع لأبي نصر السرَّاج: (ص٢٨٤)، والرسالة لأبي القاسم القُشَيري: (ص١٧١).
(٣) في (ص): في.
(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات: (٦/٤٨٥)، وأبو نعيم في الحلية: (١/٣٣٥).
(٥) في (ص): يكون.
(٦) ينقد ما ذهب إليه الإمام أبو حامد في إحيائه: (ص٩٧٦)، إذ قال -بعد حكايته لأحوال من سلك طريق التقلل من الطعام-: «كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة».
(٧) في (ص): عمره الله بدعوة الإسلام.
(٨) في (ص): فأفطر.
(٩) في (ص): رأى.
(١٠) هذا من مستغرب أحوال الإمام أبي بكر الطرطوشي، وقد تفرَّد عنه القاضي =

وقد تعلَّقوا بأن موسى عليه السَّلام[١] لمَّا كان المواعدة معه في اللقاء بعد الأربعين يوما وَحَّشَ نفسه عن الطعام والشراب[٢]؛ في جملة شروط فعلها، وخصال قضاها، على وجه التأهب للقاء الله سبحانه، وهذا لا يثبت، ولو صحَّ لم تكن فيه حجة؛ لأن الأنبياء من الطِّرَازِ الكريم، والشرف الصَّمِيمِ، الذي لا يُدانى في خِلْقَةٍ ولا خُلُقٍ، فقد ثبت أن النبي ﷺ كان يواصل، وأراد[٣] أصحابُه المواصلة فقال لهم: «إني لستُ كهيئتكم، إني أَبِيتُ يُطعمني ربي ويَسْقِيني»[٤]، فأفاد النبيُّ ﷺ بذلك بيانَ أن مواصلته[٥] لا يَسْلُبُ قُوَّتَه، ولو واصل غيرُه لسَلَبَ القُوَّةَ منه وِصَالُه، وذلك ممنوعٌ شرعًا.

وأمَّا **الطائفة الثانية**: وهي التي تأكلُ إذا وجدت، وتصبرُ إذا فقدت، فهي المهتدية، فعلى ذلك مضى الأنبياء والصالحون والسَّلَفُ الأقدمون، وخصوصًا نبينا محمد ﷺ وأصحابه[٦].

= ابن العربي بأخبار لم تذكر إلَّا في هذا الكتاب، وأصله في «ترتيب الرحلة»، وهو في حُكْمِ المفقود.

(١) في (ص): ﷺ.

(٢) لم أجده بعد بحث، وفي الإحياء (ص٩٧٦): «من طوى لله أربعين يومًا ظهرت له قدرة من الملكوت»، فلعل هذا منه ودال عليه.

(٣) في (ص): فأراد.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﵁: كتاب الصوم، باب النهي عن الوصال في الصوم، رقم: (١١٠٣-عبد الباقي).

(٥) في (ص): وصاله.

(٦) في (ص): رضي الله عنهم أجمعين.

«وقد كان النبي عليه السَّلام[1] يَبِيتُ الليالي المتتابعة طاويًا، وأهله لا يجدون عَيْشًا، وكان أكثر خبزهم الشعير»[2].

وكان يقول: «اللهم اجعل رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا»[3].

وقد كان أصحابُ الصُّفَّةِ لا يأوون إلى أهل ولا مال، وإنَّما كانوا على الفُتُوحِ، إذا وجدوا أكلوا، وإذا فقَدوا صبروا[4].

فإن قيل: فهل يجوز لأحد اليوم أن يفعل ذلك؟

[الموازنة بين أهل الأندلس وأهل المشرق في العطاء والبذل]:

قلنا: البلاد تختلف[5]، وأحوالُ الناس تتباين[6]، فأمَّا بلادنا فإن البخل والقسوة استوليا على القلوب، فلا يفتقدون المحتاجين، ولا يعطفون بالصدقة على المُتَجَرِّدِينَ للعلم والمُتَعَبِّدِينَ، فالتَّعَرُّضُ لذلك مَهْلَكَةٌ، ولا يجوز الإلقاء باليد إلى التَّهْلُكَةِ.

---

(١) في (ص): ﷺ.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في معيشة النبي ﷺ وأهله، رقم: (٢٣٦٠-بشار)، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح».

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الزكاة، باب في الكفاف والقناعة، رقم: (١٠٥٥-عبد الباقي).

(٤) تقدَّم تخريجه، وينظر في أحوال أهل الصفة وعِدَّتِهم وأعيانهم كتاب حلية الأولياء للإمام الحافظ أبي نعيم الأصبهاني: (١/٣٣٧)، وقد تتَّبعهم واحدًا واحدًا، وذكر مكارمهم ومناقبهم.

(٥) في (د) و(س): مختلفة.

(٦) في (س): في خـ: متباينة.

١

وأمَّا تلك/ البلاد التي كنَّا بها؛ من مصر إلى منتهى المعمور؛ شرقًا [١٢/ب] وغربًا، شمالًا وجنوبًا، ما بين ما رأينا وما سمعنا؛ فإن الحنان[١] والجود غلب عليهم، فإذا رَأَتْ من يُقْبِلُ على الله أقبلوا عليه.

[سيرةُ ابن العربي وشيخه الطُّرْطُوشي ببيت المقدس]:

لقد كنا نخرج من المسجد الأقصى مع شيخنا أبي بكر الفِهْرِي في جملة الأصحاب على الفُتُوحِ، أقل ما نكون خمسة، وأكثره خمسون، فندور على قبور الأنبياء، ونجول في قُرَى الشام المجاورة المدة الطويلة، قرى ظاهرة[٢] مباركة[٣]، آمنين فرحين، يُغْدَى علينا ويُرَاحُ بما نحتاج إليه، ونحن نقطع من روضة إلى روضة، ومن متعبَّد إلى متعبَّد، وكذلك سائر الناس من متفقهة وصوفية، وكان من سيرتهم أن القرية والبلدة[٤] إذا نزل فيها الضيف وغَشِيَهُم الطارق جاءه ما يَحْتَاجُ إليه من أدنى الجوار إليه[٥]، وشُورِكَ صاحبُ المنزل في ذلك به، وكذلك كل معتكف كان في المسجد الأقصى، أو في قبور الأنبياء، أو في مشاهد الصالحين، يتناوبون بالغداء والعشاء، وذلك كله الدَّهْرَ أجمعَه، وقد شرحنا ذلك في كتاب «ترتيب الرحلة للترغيب في الملة»[٦].

---

(١) في (ز): الجنان، وهو تصحيف.

(٢) في (ص): طاهرة.

(٣) في (ز): مباركة طيبة.

(٤) في (ص): أو البلدة.

(٥) سقطت من (س).

(٦) هذا الذي ذكره ابن العربي عن نفسه وشيخه الطرطوشي وجماعته دالٌّ على =

تركيب: [في التعلق بالمعاش]

فإذا ثبت هذا فإن اللَّازم في بلادنا هذه للمرء أن يتعلَّق بالمعاش؛ إمَّا بالاحتطاب، أو الاحتشاش، أو يكون معمارًا لثَمَرَةٍ، أو دار يَرْكُلُ فيها بمِسْحَاتِه[1]، ويصون ماء وجهه[2]، ويتحرَّى ممَّن يبيع ولمن يخدم في طلب الحلال، فإن عَدِمه فالمشتَبِه، أو يسأل - كما قدَّمنا - إخوانَه الذين يَثِقُ بهم في مواساته، وأنه إذا اتَّقى الله ولزم باب العبادة فُتِحَ له بابُ الرزق قَطْعًا، على ما يأتي بيانُه في «الصفات» إن شاء الله، ووقعت الإشارة إليه آنفًا في الحالات السَّابقة.

وأمَّا الذي لا يشبع وإنَّما يَقُوتُ نفسه فهو الأفضل؛ فإن النبي ﷺ قال: «ما ملأ ابنُ آدَمَ وعاءً شَرًّا من بطن، حَسْبُ ابن آدم لُقَيْمَاتٍ يُقِمْنَ صلبه، فإن كان لا محالة؛ فثُلُثٌ لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنَفَسِه»[3]، إلَّا أنَّ من يخدم لا بد له أن يَشْبَعَ، فإذا احتاج إلى بدنه في خِدْمَةِ الدنيا، أو نَفْسِهِ في خدمة العلم، فلا بد له من الشِّبَعِ والتنعم بما يُعِينُ على ما هو

= سيرة الصلاح والذكر والدلالة على الله التي سلكها ابن العربي في رحلته، وأنها لم تكن رحلة طلب فقط، بل كانت رحلة تعليم وبذل وعطاء، ويؤكد على ربانية هذا العالم، وربانية مقاصده وغاياته، رحمه الله ورضي عنه.

(١) في (س): بمساحته.

(٢) في (ص): وجناته.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه عن المقدام رضي الله عنه: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، رقم: ٢٣٨٠-بشار، وقال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح»، وهو في المسند للإمام أحمد: (٤٢٢/٢٨)، رقم: (١٧١٨٦-شعيب).

بسبيله، ويأكل بهذه النيَّة فتكون عبادةً، كما يأتي في «الصفات» إن شاء الله.

وأمَّا الذي يأكل ويشبع فإنها سنة قائمة، وسيرة شرعية، وحالة مشهورة مروية، أَذِنَ الله فيها، وأمضاها رَسُولُه[١]، فقد ثبت في[٢] كل طريق، وعند كل فريق، من طريق أَنَسٍ في أقراص أم سُلَيْمٍ: «أن الصحابة أكلوا حتى شَبِعُوا»[٣]، وفي حديث المقداد في اللَّبَنِ: «أن النبي ﷺ شَرِبَ حتى رَوِيَ»[٤]، وفي حديث أبي هريرة: «أنه شرب حتى قال للنبي[٥] ﷺ: إنه[٦] لا يجد[٧] له مَسْلَكًا»[٨].

* * * * *

---

(١) في (ص): ﷺ.

(٢) في (ص) و(ز): من.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه: كتاب الأطعمة، باب من أكل حتى شبع، رقم: (٥٣٨١-طوق).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث المقداد رضي الله عنه: كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، رقم: (٢٠٥٥-عبد الباقي).

(٥) لم يرد في (ص).

(٦) في (ص): إني.

(٧) في (ص): أجد.

(٨) تقدَّم تخريجه.

١
[١٣/أ]

كيفية اللباس/

قال الله تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف:٢٩]، وزينةُ المرء الأصلية هي سَتْرُ عورته التي قَبَّحَ الشَّرْعُ كَشْفَها، وشَرَّعَ سَتْرَها، وأوَّل من تُعُبِّدَ بذلك وأُمِرَ به آدمُ عليه السَّلام(١)، لا كما تقوله المبتدعة(٢)؛ من أنه عَرَفَ بذلك(٣) عَقْلًا، ولولا الشرع ما كان في كشف العورة حَرَجٌ، ولا ردَّه عَقْلٌ، وكذا(٤) الناس يوم القيامة، حفاةً(٥) عُرَاةً غُرْلًا(٦)، حتى قالت عائشة رضي الله عنها: «يا رسول الله، ينظر الناس بعضهم إلى عورة بعض؟ قال: يا عائشة، الشأنُ أعظم من ذلك»(٧)، فلو كان ذلك ممنوعًا بالعقل ما كان مُسَوَّغًا في حال كمال العقل.

---

(١) في (ص): صلى الله عليه وسلم.

(٢) يقصد القدرية ومن قال بقولها، ينظر: المتوسط في الاعتقاد لابن العربي - بتحقيقنا: (ص١١٧).

(٣) في (ص) و(ز): ذلك.

(٤) في (ص): هذا.

(٥) في (ص): الناس حفاة.

(٦) في (ص) و(ز): عراة غرل.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كتاب الرقاق، باب كيف الحشر؟ رقم: (٦٥٢٧-طوق).

[ما يجزئ من اللباس]:

والذي يُجْزِئُ من ذلك ثوب واحد، وأكثره ثوبان؛ قميص ورداء وعمامة، أو إبدالها بحسب اختلاف الأزمنة.

[صِفَةُ اللباس]:

واختلف الناس في صفتها على ثلاثة أقوال[١]:

الأوَّل: أن تكون أَسْمَالًا أو مُرَقَّعَةً.

الثاني: أن تكون مُتَوَسِّطَةً في الجودة، ولا[٢] يبلغ بها الغاية.

الثالث: أن يبلغ بها الغاية في المباح، كالخزِّ من الحرير، واللَّيِّنِ الرقيق من غيره.

فأمَّا الأوَّل: فإنها طريقة الصوفية، ويتعلَّقون في ذلك بفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، «فإنه كان يطوف حول الكعبة وعليه ثَوْبٌ مُرَقَّعٌ بأزيد من اثنتي عشرة رقعة، وكان منها اثنتان من أَدَمٍ»[٣].

وفي الحديث عن قَيْلَةَ: «أنها أتت النبي ﷺ فرأت عليه أسمالَ مُلَيَّتَيْنِ[٤]»[٥].

---

(١) ينظر: اللمع لأبي نصر السرَّاج: (ص٢٦٣-٢٦٤).

(٢) في (ص): لا.

(٣) طبقات ابن سعد: (٣/٣٠٤)، والزهد للإمام أحمد: (ص١٥١).

(٤) في (س): مُلَيَّنَتَيْن.

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه من حديث قيلة بنت مخرمة رضي الله عنها: أبواب الأدب عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الثوب الأصفر، رقم: (٢٨١٤-بشار)، وحسَّنه الحافظ ابنُ عبد البر في الاستيعاب: رقم: (٣٤٣٦).

وفي صحيح الحديث: «أن عمر[١] دخل عليه وهو مضطجع[٢] على سرير من رُمال، مُرْتَفِعًا[٣] بِمِرْفَقَةٍ من أَدَمٍ، حَشْوُها من لِيفٍ، وليس بينه وبينه فراشٌ، وقد أثَّر في جنبه فبكى، فقال له: ما يبكيك؟ فقال[٤]: وما لي لا أبكي وهذا الحصيرُ قد أثَّر في جنبك، وكسرى وقيصر في الثمار والأنهار، فقال النبي ﷺ: أما ترضى[٥] أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة»[٦].

ورَوَى الترمذي عن الأعمش قال: «كنت أجالس الأغنياءَ فأرى ثوبًا خيرًا من ثوبي، فلمَّا جالستُ الفقراء استرحت»[٧].

وقال زيد: «كانوا يكرهون من اللباس الشُّهْرَتَيْنِ جميعًا؛ المرتفعة والمنخفضة[٨]»[٩].

وصحَّ أن النبي ﷺ قال: «انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدر ألا تَزْدَرُوا نعمة الله عليكم»[١٠].

---

(١) بعده في (ص): رضي الله عنه.
(٢) سقط من (ص).
(٣) في (ص): مرتفق.
(٤) في (د): قال.
(٥) في (س): ترضوا.
(٦) تقدَّم تخريجه.
(٧) لم أجده من قول الأعمش، وهو في العزلة للخطابي -(ص٣١)- من كلام عون بن عبد الله.
(٨) في (ص): المرتفع والمنخفض، وفي (د): المحتفظة.
(٩) بستان العارفين لأبي الليث السمرقندي: (ص٥٧).
(١٠) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب الزهد والرقائق، رقم: (٢٩٦٣-عبد الباقي).

وروى أحمد بن حنبل عن ابن مسعود قال: «نام رسول الله ﷺ على حصير أثَّر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله، ألا آذَنْتَنَا فنبسط تحتك أَلْيَنَ منه؟ فقال[١]: مالي وللدنيا، إنما مَثَلِي ومثل الدنيا كراكب سار في يوم صائف، فقَالَ تحت شجرة ثم راح وتركها»[٢].

وكان على ذلك جماعةٌ من الصحابة والتابعين والسَّلَفِ الصالحين، وكان منهم من توَّسع في الجائز.

[اتخاذُ الصوفية المُرَقَّعَةَ شعارًا]:

واتخذت الصُّوفِيَّةُ المُرَقَّعَةَ شِعَارًا[٣]، وتَفَتَّتْ[٤] فيها وتَفَنَّنَتْ[٥]، وجعلوه زِيًّا وبِزَّةً، حتى صارت علامة وولاية، لا يكسوها إلا شيخهم؛ بعد أن/ يتحقَّق في المَكْسُوِّ وَصْفُ صفاءِ الإرادة فيتميز حينئذ بها، ويتخصَّص في سُكْنَى الرباط معها لأخذ الأوقاف، وغير ذلك من الفوائد. [١٣/ب]

---

(١) في (د): قال.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (٦/٢٤٢)، رقم: (٦٧٠٩-شعيب).

(٣) قال الإمام في العارضة - في لبس الصوف-: «حتى اتخذته الصوفية شعارًا، وجعلته في الجديد، وأنشأته مُرَقَّعًا من أصله، وهذا ليس بسنة، بل هو بدعة عظيمة، وداخل في باب الرياء»، (٧/٣٤٩)، وينظر: الإحياء لأبي حامد: (ص١٣٢٣).

(٤) لعلها من الفتوة.

(٥) في (د): تفنت.

[لُبْسُ جَيِّدِ الثياب]:

وقد كان النبي ﷺ يتهيَّأ للوفود إذا قَدِمُوا عليه في غير[١] بذلته، وفي الصحيح أيضًا: أن عمر قال له في حُلَّةِ عُطَارِد: «تلبسها للوَفْدِ إذا قدموا عليك، فقال له[٢] النبي ﷺ: إنَّما يلبس هذه من لا خَلَاقَ له في الآخرة»[٣].

وقد كان مالك يتجمَّل في ملبسه ولا يتبذَّل، قال أبو يوسف: «دخل مالك على الرشيد وعليه ثياب عَدَنِيَّةٌ سُودٌ، فوالله ما رأيتُ قطُّ شيئًا أحسن منه، قال: فتزحزح له هارون حتى أجلسه معه على المنصة»[٤]، وذكر قِصَّةً.

وروى محمد بن إسحاق التَّنُوخِي عن الزُّبَيْرِي[٥] قال: «كان مالك بن أنس يلبس الثياب العَدَنية الجِياد، ويلبس الثياب الخراسانية والمصرية المرتفعة»[٦].

---

(١) قوله: «في غير» سقط من (د).

(٢) سقط من (س).

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ من حديث عبد الله بن عمر ﵄: كتاب الجامع، ما جاء في لبس الثياب، (٢/٣٠٤) رقم: (٢٦١٨-المجلس العلمي الأعلى)، والبخاري في صحيحه: كتاب الجمعة، بابٌ يلبس أحسن ما يجد، رقم: (٨٨٦-طوق).

(٤) ترتيب المدارك: (٢/١٢١).

(٥) في (د): الزبير.

(٦) طبقات ابن سعد: (٧/٥٧٠)، وترتيب المدارك: (١/١٢٣).

وبخاصَّةٍ أهل العلم ؛ ينبغي لهم أن يُظهروا مروءاتهم في ثيابهم إجلالًا للعلم ، وكان عمر بن الخطاب يقول: «أُحِبُّ أن يكون القارئ أبيض الثياب»[١] ، وفي صحيح الحديث الحثُّ على الزينة ولُبْسِ البياض[٢].

وإنَّما فعل عمر لنفسه من ترقيع ثوبه تواضعًا مع رِفْعَتِه ، ألا تراه يوم دخل القدس كيف لَبِسَ جُبَّةً مبلولة ، وعارضه في ذلك أبو عبيدة ، فقال له: «إنَّا قوم أعزنا الله بالإسلام ، فإن طلبنا العز بغيره أذلَّنا الله ، فلمَّا خرجت إليه الأحبار وجدوه لابسًا جُبَّةً مبلولةً ، على بعير مخطوم بخُلْبَةٍ[٣] ، قالوا: كذا[٤] وجدنا أنه يَدْخُلُ علينا[٥]»[٦].

[التوسط في جودة الثياب]:

وأمَّا التَّوَسُّطُ في الجودة فإنها حالة محمودة ، فمن الحكمة المتفق عليها بين العقلاء ؛ المأخوذ من أغراض الشريعة والمقاصد النبوية: «خير

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن عمر رضي الله عنه بلاغًا: (٢/٢٩٨) ، رقم: (٢٦٠٠-المجلس العلمي الأعلى).

(٢) ينظر: الجامع الصحيح للبخاري: كتاب اللباس ، باب الثياب البيض ، (٧/١٤٩).

(٣) في (د): بجلبة ، والخُلبة: حبل من اللِّيف ، تاج العروس: (٢/٣٨٠).

(٤) في (د): كذا أنه.

(٥) قوله: «أنه يدخل علينا» سقط من (س).

(٦) أخرجه الخطابي في غريب الحديث بلفظ قريب منه عن طارق بن شهاب: (٢/٦١) ، وأصله في الزهد لهنَّاد: (١/٤١٧) ، رقم: (٨١٧) ، والزهد لأبي داود: (ص٨٢) ، رقم: (٦٩).

الأمور أوساطها»[١]، ويتأوَّلون ذلك على ما ينتهي إليه الطَّرَفَانِ، فإن الابتداء إذا أخذتَ منه جهة وأَخذ الآخَرُ منه[٢] جهة، ثم تساوى البعدان، فحملوا ما بين المعنيين على ما بين المكانين.

والأوَّل: وسْط، بإسكان السِّين؛ لأنه ظرف.

والثاني: وسَط، بفتحها؛ لأنه معنى معقول غير محسوس.

والمراد بهذه الحِكْمَةِ في الاستعمال: «خير الأمور أفضلها[٣]»؛ فإن وسَط الشيء خِيَارُه[٤] - بفتح السين -، ووَجْهُ حَمْدِ هذه الحالة أنها منزلة بريَّةٌ من التكلف، ومُدرَكة في أكثر الأوقات لأكثر الناس دون تكلف.

فأمَّا تكلف الرفيع فيعسُر ضبطُه، وتكثر المحافظة عليه.

[رَفِيعُ الثياب]:

وأمَّا الرَّفِيعُ من الثياب: في «كتاب أخلاق النبي ﷺ» وغيره: «أنه ﷺ ابتاع حُلَّةً بعشرين بعيرًا»[٥]، وقد كان يَتَلَفَّعُ في الرداء، ويَتَسَجَّى بالشَّمْلَةِ، ويَلْتَحِفُ بالقَطِيفَةِ، ويشتمل بالكساء، ويلبس الحُلَلَ والأبراد،

---

(١) ينظر: شرح أمثال أبي عبيد: (٣١٧/١)، والمقاصد الحسنة للسخاوي: (ص٢٠٥)، رقم: (٤٥٥).

(٢) في (س): منه الآخر.

(٣) في (د) و(س): أوساطها، ومرَّضها، وأثبتنا ما أثبته في الطرة وصحَّحه، وجاء على الصواب في (ز).

(٤) تفسير الطبري: (١٤١/٣-شاكر).

(٥) أخرجه أبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ مرسلًا: (١٦٢/١)، رقم: (٢٨٦)، ولفظه: «اشترى حُلَّةً بسبع وعشرين ناقة»، وفي معناه ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس رضي الله عنه: (٣٧/٢١-شعيب)، رقم: (١٣٣١٥)، وأخرجه أبو داود في سننه: كتاب اللباس، باب لبس المرتفع من الثياب، رقم: (٤٠٣٤-شعيب).

١ كيف ما أمكن واستفاد، ولا يجعل ذلك هِجِّيرَاهُ، ولا يقصد التنعم به[١]،
[١٤/أ] فإن/ لَبِسَه فإنه كأنه عَلاَهُ، وإن كان عَلاَهُ، فقد رَوَى الترمذي وغيره عنه ﷺ
أنه قال: «تَعِسَ عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد القَطِيفة، تعس عبد الخَمِيصة، تعس وانتَكَس، وإذا شِيكَ[٢] فلا انْتَقَش»، ولَفْظُ الترمذي: «لُعِنَ عبد الدينار[٣]، لُعِنَ عبد الدرهم»[٤]، ولفظ البخاري عن أبي هريرة: «تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، إن أُعطي رَضِي، وإن لم يُعْطَ سَخِطَ، تعس وانتكس، وإذا شِيك فلا انتقش، طُوبَى لعبد آخِذٍ بعِنَانِ فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مُغْبَرَّة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في السَّاقة كان في السَّاقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شَفَعَ لم يُشَفَّعْ»[٥].

وقد كان للنبي ﷺ حَصِيرٌ يَحْتَجِرُه باللَّيل، ويبسطه بالنهار يجلس عليه، خرَّجه البخاري[٦]، «وكان له فراش من أَدَمٍ، حَشْوُه لِيفٌ»[٧].

---

(١) سقطت من (د) و(ز).

(٢) أي: أصابته الشوكة.

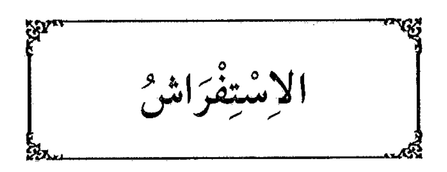
(٣) قوله: «لعن عبد الدينار» سقط من (س).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، رقم: (٢٣٧٥-بشار).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، رقم: (٢٨٨٧-طوق).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها، باب صلاة الليل، رقم: (٧٣٠-طوق).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا، رقم: (٦٤٥٦-طوق).



الاسْتِفْرَاشُ

وأمَّا لباسُ الاستفراش: فإنه فراش وإزار[١]، وكساء ومِرْفَقَةٌ أو وسادة، والزيادة فيها قد تقدَّم بيانُ قَدْرِها، ولا بأس بأن يكون له سرير يَرْفَعُ عليه مَرَاكِلَه من التراب والهَوَامِّ.

وفي كتاب ابن حنبل: عن عائشة ﵂ قالت: «جَعَلْتُ للنبي صلى الله عليه وسلم فراشين، فأبى أن يرقد عليهما[٢] حتى جعلتُه واحدًا»[٣].

وفيه من طريق صحيح: «أن امرأة من الأنصار دخلت عليها فرأت فراش رسول الله ﷺ، فرأت عَبَاءَةً مَثْنِيَّةً، فرجعت إلى منزلها فبعثت إليَّ بفراش حَشْوُه الصُّوفُ، فدخل عليَّ رسول الله ﷺ فقال: ما هذا؟ فقلتُ: فلانة الأنصارية دخلت عليَّ فرأت فراشك، فبعثت إليَّ بهذا، فقال: رُدِّيهِ، فلم أردَّه، وأعجبني أن يكون في بيتي، حتى قال لي ذلك ثلاث مرات، فقال: يا عائشة رُدِّيه، فوالله لو شِئْتُ لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة، فرددتُه»[٤].

---

(١) في (س): وإزار وإزار.

(٢) في (س): عليها.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في الزهد عن عائشة ﵂: (ص٢٠)، وفيه: عن ابن جريج: «أخبرني إسماعيل بن أمية أن عائشة ﵂ قالت»، وإسماعيل لم يدرك عائشة ولا سمع منها.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في الزهد عن عائشة ﵂: (ص٢٠).

وصحَّ صِحَّةً تامَّةً أن عائشة قالت: «إنما كان فراشُ النبي ﷺ الذي ينام عليه أَدَمًا، حَشْوُه لِيفٌ»[١]، وفي كتاب مسلم - وفيه أيضًا -: «كانت وسادة النبي ﷺ من أَدَمٍ، حَشْوُها لِيفٌ»[٢].

المهنة:

يكون للرجل عمامة ورداء، وقميص وسراويل، وما سمعتُ للقميص ذِكْرًا صحيحًا إلَّا في القرآن، قوله: ﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا﴾ [يوسف:٦٣] الآية، وحديثُ ابن عمر لمَّا توفي عبد الله بن أُبَي بن سَلول[٣]، جاء ابنه عبد الله إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله، أعطني قميصَك أُكَفِّنْه فيه»[٤]، فأعطاه رسول الله ﷺ قميصَه، ولم أر لهما ثالثًا فيما يتعلق بالنبي ﷺ في خاصته صحيحًا، وقد رُوِي من طرق: «كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ القميص»[٥]، وهو حديث حسن.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا، رقم: (٦٤٥٦-طوق).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كتاب اللباس والزينة، باب التواضع في اللباس، والاقتصار على الغليظ منه واليسير، في اللباس والفراش وغيرهما، رقم: (٢٠٨٢-عبد الباقي).

(٣) قوله: «ابن سلول» سقط من (ص)، وبعده في (د): سلوان، كذا.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: كتاب التفسير، ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾، رقم: (٤٦٧٠-طوق).

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه عن أم سلمة رضي الله عنها: أبواب اللباس عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في القمص، رقم: (١٧٦٢-بشار)، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريب».

١ وجاء ذِكْرُ السراويل في حديث سُوَيْدِ بن سعيد قال[١]: «جلبتُ أنا ومَخْرَمَةُ/ [١٤/ب] العَبْدِي بَزًّا من هَجَر، فأتينا به مكة، فجاءنا رسول الله ﷺ يمشي، فسَاوَمَنَا سراويل فبعناه، وثَمَّ رَجُلٌ يَزِنُ بالأجر، فقال له رسول الله ﷺ: زِنْ وأَرْجِحْ»[٢]، رواه الترمذي وأبو داود، وهذا اللفظ له[٣].

قال الحافظ أبو بكر[٤]: وتكون للرجل حُلَّةٌ، ومثل هذه الكسوة كلها، الخمسة[٥] تكون للجمعة، ففي الصحيح من الحديث: أن النبي ﷺ قال: «ما على أحدكم[٦] لو اتخذ ثوبين لجُمُعَتِه سوى ثَوْبَي مَهْنَتِه»[٧]، ولتلقّي الوفد، ولتشييعهم، ولمجالس العامة المشروعة للمصالح والطاعات.

---

(١) سقطت من (س).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه عن سُوَيد بن قيس رضي الله عنه: كتاب البيوع، بابٌ في الرجحان في الوزن والوزن بالأجر، رقم: (٣٣٣٦-شعيب)، وأخرجه الترمذي في جامعه: أبواب البيوع عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الرجحان في الوزن، رقم: (١٣٠٥-بشار)، قال أبو عيسى: «حديث سُوَيد حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

(٣) قوله: «وهذا اللفظ له» سقط من (ص).

(٤) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ز): قال الإمام أبو بكر رضي الله عنه.

(٥) الخمسة هي: العمامة، والرداء، والقميص، والسراويل، والحُلَّة.

(٦) في (س): أحد.

(٧) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد أنه بلغه: كتاب الجمعة، باب الهيئة وتخطي الرقاب واستقبال الإمام يوم الجمعة (١/١٨٣)، رقم: (٢٩٤-المجلس العلمي الأعلى)، وينظر: المسالك: (٢/٤٦٦).

وقد ثبت من كل طريق - كما أشرنا إليه - أن عمر رأى حُلَّةً سِيَرَاءَ تُباع[١] عند باب المسجد فقال: «يا رسول الله، لو اشتريتَ هذه فتلبسها[٢] يوم الجمعة وللوفد إذا قدموا عليك، فقال رسول الله ﷺ: إنما يلبس هذه من لا خَلَاقَ له»[٣]، فعَلِمَ عُمَرُ أن السنة التَّجَمُّلُ للوفد بحُسْنِ الشَّارَةِ والملبس، ولم يعلم تحريم الحرير، فأفاده النبي ﷺ تحريم الحرير، وجوَّز له ﷺ ما ذَكَرَهُ له وسمعه منه؛ من التسنن بالتأهب للوفود.

[تَجَمُّلُ الزُّهَّادِ لِصَلَاتِهِمْ]:

وقد ثبت عن جماعة من الزهَّاد أنهم كانوا إذا أرادوا الصلاة لَبِسُوا أحسن ثيابهم، وتأهَّبوا لمواجهة الله تعالى ومناجاته بأفضل ما آتاهم من نعمته، وأخلص ما حضر كلَّ واحد منهم من نِيَّتِه، ويحق ذلك؛ لأنها لمَّا كانت أكرم الأحوال تُؤُهِّبَ لها بأكرم[٤] الهَيْئَاتِ.

الإسراف فيه:

وما زاد على هذا القَدْرِ المذكور فهو مَخِيلَةٌ وسَرَفٌ، وسيأتي بيانُ السَّرَفِ آنِفًا أيضًا[٥] في تفصيل المأكول[٦] إن شاء الله.

ومن الأغنياء من يَسْتَجِدُّ لكل عام ثوبًا، ولا أقلَّ من هذا.

---

(١) سقط من (ص).

(٢) في (ص): فلبستها.

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) في (ص): بأفضل.

(٥) سقط من (ص).

(٦) قوله: «في تفصيل المأكول» سقط من (د).

ومنهم من يَسْتَجِدُّه لكلِّ عِيدٍ.

ومنهم من يستجده لكل جمعة.

ومنهم من يستجده لكل يوم، فلا يعود إليه.

وهذه المَخِيلَةُ التي حرَّمها الله، وما أظن أحدًا يفعل هذا من حلال؛ لأنه إن كان مالُه حلالًا فليس يُسْرِفُ فيه هكذا، بل يرى أن إتلافه في الصدقة أفضل من هذا التمتع الجافي، وإن كان مالُه قليلًا لم يحتمل هذا، وإنما يَخِفُّ ذلك[1] على أهل الحرام؛ لأنهم مُسَخَّرُونَ للشيطان في إتلافه بالباطل؛ في الإسراف الممنوع، حتى يتضاعف الإثم.

[رَقِيقُ القُمُصِ]:

وقد رأيتُ من لا يلبس المُبَطَّنَاتِ من الأغنياء، وإنَّما لباسُه رَقِيقُ القُمُصِ؛ يضاعفها إلى العشرين وقايةً للبرد، ويَحُطُّها للحَرِّ حتى تعود إلى واحد، وقد صحبتُ رجلًا ثلاثين سنة؛ فما زاد على جُبَّةٍ واحدة من كَتَّانٍ وبُرْنُسٍ من صُوفٍ، يلتزمه باديةً وحاضرةً لا يخلعهما[2]، فما أَثَّرَ الزمان فيهما[3] ذلك التأثير؛ لا بتقطيع[4] ولا بتدنيس[5]، وكان قليل الحركات رَفِيقَها، وكان يخلعها في منزله، وإنَّما كان لتصرفه بين الناس، وكان عاميًّا منقبضًا.

---

(١) في طرة بـ (س): في خـ: هذا، وهو الذي في (د).

(٢) في (د) و(ز): يخلعها.

(٣) في (د): فيها.

(٤) في (د): تقطيع.

(٥) في (د): تدنيس.

الألـوان

١
/والألوانُ في التركيب كثيرة، وأصولها اثنتان: الأحمر والأسود، [١٥/أ]
والأبيض من الأوَّل، والأصفر من الثاني، وبينهما مراتب:

الأوَّل: البياض

ففي الحِسَانِ: أن رسول الله ﷺ قال: «البسوا البياض، فإنها أطهر وأطيب، وكَفِّنُوا فيها موتاكم»[١]، «وكُفِّنَ رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ»[٢]، وفي البخاري عن أبي ذَرٍّ: «رأيتُ رسول الله ﷺ وعليه ثَوْبٌ أبيض»[٣].

[الثاني]: الأحمر

في الصحيح[٤]: عن جابر بن سَمُرَةَ: «رأيتُ رسول الله ﷺ في ليلة

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه عن سَمُرة بن جُندُب رضي الله عنه: أبواب الأدب عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في لبس البياض، رقم: (٢٨١٠-بشار)، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كتاب الجنائز، باب الثياب البيض للكفن، رقم: (١٢٦٤-طوق).

(٣) أخرجه البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه: كتاب اللباس، باب الثياب البيض، رقم: (٥٨٢٧-طوق).

(٤) يقصد: ممَّا صحَّ من الحديث.

إِضْحِيَان، وعليه حُلَّةٌ حمراء، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر، فإذا هو عندي أحسن من القمر»[١]، وفيه مِثْلُه عن أبي جُحَيفة[٢] والبراء[٣].

[لُبْسُ ابن العربي لبُرْنُسٍ أحمرَ]:

وقد كنتُ لَبِسْتُ بُرْنُسًا أحمر سنة خمس مائة[٤]، وحضرنا مجلسًا للأقضية وفيها بعض المُفْتِين، فقال لمَّا خرجنا منها: «من لَبِسَ بُرْنُسًا أحمرَ لم تَجُزْ شهادتُه»، فنُمِيَ ذلك إليَّ، فقلتُ: «من قال هذا يستتاب، فإن تاب وإلَّا ضُرِبَتْ عُنُقُه»، وجعلتُ أسرد الأحاديث في ذلك.

فإن قيل: هي من[٥] شِعَارِ الجُنْدِ؟

قلنا: إذا كان شيئًا جائزًا في الشريعة مفعولًا لمُبَلِّغِها لم يَعِبْه أن يكون عليه من لا تُرْضَى سيرته.

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه من حديث جابر بن سمرة ﵁: أبواب الأدب عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الرخصة في لبس الحُمرة للرجال، رقم: (٢٨١١-بشار)، ونقل أبو عيسى عن شيخه أبي عبد الله البخاري تصحيحه له.

(٢) حديث أبي جُحَيفة أخرجه أبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ: (١٢٢/٢)، رقم: (٢٦٥).

(٣) حديث البراء أخرجه البخاري في صحيحه، ولفظه: «رأيته في حلة حمراء ما رأيت شيئًا أحسن منه»، كتاب اللباس، باب الثوب الأحمر، رقم: (٥٨٤٨-طوق).

(٤) قد يفيد هذا أنه كان من جملة المُشاوَرين في هذا التاريخ، وهو أمر لم يذكره أحد ممَّن ترجمه، ولا ممَّن تتبَّع سيرته من العصريِّين.

(٥) سقط من (ص).

[الثالث]: الأخضر

أبو رِمْثَة رِفاعة بن يَثْرِبِي قال[١]: «رأيتُ رسول الله ﷺ وعليه بُرْدَانِ أخضران»[٢].

[الرابع]: الأسود

عن عائشة رضي الله عنها: «خرج رسول الله ﷺ وعليه مِرْطٌ أسود»[٣].

ومن الصحيح: «دخل النبي عليه السلام مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء»[٤].

وفي الصحيح: «خرج رسول الله ﷺ في مرضه وعليه عمامة دسماء[٥]»[٦].

---

(١) سقط من (ص).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي رِمثة رضي الله عنه: أبواب الأدب عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الثوب الأخضر، رقم: (٢٨١٢-بشار)، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريب».

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: كتاب اللباس والزينة، باب التواضع في اللباس، رقم: (٢٠٨١-عبد الباقي).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: كتاب الحج، باب جواز دخول مكة بغير إحرام، رقم: (١٣٥٨-عبد الباقي).

(٥) في (د): دمساء.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما: كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي ﷺ: «اقبلوا من مُحْسِنهم وتجاوزوا عن مُسيئهم»، رقم: (٣٨٠٠-طوق)، ولفظه: «وعليه عصابة دسماء».

قال بعضهم: استولى عليها الدَّسَمُ[١].

وقال آخرون: لا يجوز[٢] أن يقال ذلك في النبي ﷺ؛ لأنه لَفْظٌ في غاية الذمِّ[٣].

[تَنْزِيهُ رسول الله ﷺ عن الدَّنَسِ والعَرَقِ]:

أَلَا ترى إلى قوله ﷺ في الصدقة: «إنما هي أوساخ الناس»[٤]، وقد رُمِيَت امرأة من قريش في الجاهلية من زوجها بتهمة زِنًى، فحُمِلت إلى الكاهن، فقال: «اذهبي غير وَسْخَاء ولا زانية»[٥]، لأن الوسخ والدَّنَس لا يضاف إلى مُحَمَّدٍ[٦] ﷺ؛ لأنه الطاهر المطهَّر[٧] من كل دَنَسٍ وعَيْبٍ، أَمَا إنه وَقَعَ في «الأخلاق»: «أن ثوب رسول الله ﷺ كان كأنه ثَوْبُ زيَّاتٍ»[٨]، وهذا لَفْظٌ لا حرج فيه، ولم يصحَّ، ومعناه - لو صحَّ -: من الغبار والأرض، ولو أن هذا الذي صرَّح في عمامة النبي ﷺ بما صرَّح من اللفظ

---

(١) بيَّض لها في (ص).

(٢) في (س): في خـ: لا يجوز ذلك.

(٣) قال أبو محمد البغوي: «أراد بالدسماء السوداء، لم يُرِدْ به المتلطخ بالودَك؛ لأنه ممَّا لا يليق بحاله ونظافته»، شرح السنة: (٢٤٩/٤)، وينظر: أعلام الحديث للخطابي: (١٦١٥/٣)، وشرح ابن بطَّال: (٥١١/٢).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عبد المطلب بن ربيعة رضي الله عنه: كتاب الزكاة، باب ترك استعمال آل النبي على الصدقة، رقم: (١٠٧٢-عبد الباقي).

(٥) أخرجه الآجُرِّي في الشريعة: كتاب فضائل معاوية، باب ذكر تزويج أبي سفيان بهند أم معاوية، (٢٤٧١/٥)، رقم: (١٩٦٤).

(٦) في (ص): رسول الله.

(٧) بعده في (ص): المعظم.

(٨) أخرجه أبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ عن أنس بن مالك رضي الله عنه: ذِكْرُ مرآته ومشطه وتدهينه رأسه ﷺ، (١٠١/٣)، رقم: (٥٢٧).

المكروه مُعَبِّرًا به عن المعنى الذي قصده، يقول: «إنها كانت دسماء[١] من العرق»، لأعطاه المعنى الذي قَصَدَهُ، ولكنِّي أقولُ: إنه لم يكن للنبي ﷺ عَرَقٌ، ولا على بدنه الكريم شيء ممَّا يكون على أبدان الآدَمِيِّينَ، إنما[٢] كان عَرَقُه وما يَرْشَحُ على بدنه ويرفَضُّ[٣] كالمِسْكِ الأَذْفَرِ.

أخبرنا أبو الحسن المبارك بن سعد[٤] البغدادي[٥] في رجب سنة ثلاث وثمانين وأربع مائة بإشبيلية - حرسها الله - قال: أنا الرئيس أبو

---

(١) في (د): دمساء.

(٢) في (ص): بل.

(٣) في (ص): ينتفض.

(٤) في (ص): سعيد.

(٥) أبو الحسن المبارك بن سعيد بن محمد بن الحسن الأسدي البغدادي، ابن الخشَّاب التاجر، دخل الأندلس عام ٤٨٣هـ، وحدَّث بها عن الشهاب القُضاعي والخطيب البغدادي، وسمع منه جِلَّةُ أهل العلم بالأندلس، ويروي عنه ابنُ العربي كتاب «التاريخ الكبير» للبخاري، وكتاب «الشهاب»، وغيرهما، قال فيه ابن بشكوال: «كان من أهل الثقة والصدق والثروة»، توفي في ذي القعدة من عام ٥٠٥هـ ببغداد، قال فيه ابن العربي: «كان أبو الحسن قد ورد علينا تاجرًا سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة، فأنزله المعتمد بن عبَّاد عندنا، فأكرمه أبي غاية الإكرام، وعقد عليه مجلسنا في السماع، وتخلَّى له عن مناظرته في مسجده، وصَدَرَ الرجل عنَّا راضيًا، فبَيْنَا نحن نمشي بعد وردونا مدينة السَّلام بأيام قلائل في سوق الرَّيْحَانيِّين بها؛ إذ لَقِيَنا أبو الحسن بن الخشَّاب المذكور، فعانقنا ودعا لنا، وقال: هاهنا أنتم؟ وكيف جئتم؟ فرسَّ له أبي الحديث، ونقر له عن النَّجِيث، فمشى إلى الوزير عَمِيد الدولة ابن جَهِير فأعلمه بنا»، قانون التأويل: (ص١١٥-١١٦)، الصلة لابن بشكوال: (٢/٢٧٦)، تاريخ الإسلام: (١١/٥٩-٦٠)، لسان الميزان: (٦/٤٥٠-٤٥١).

[١٥/ب] عمرو عثمان بن محمد بن عُبَيد الله المَحْمِي في منزله بسِكَّةِ بَرِيد من/ نيسابور: أنا الشيخ الزَّكِّي أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم الزاهد قال: أنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن الشَّرْقِي قال: أنا البخاري قال: أنا علي بن عبد الله[١]: أنا رَوْح قال: أنا شعبة: «وذَكَرَ أن عُتبة غَزَا مع رسول الله ﷺ غزوة[٢]»[٣].

وبه: قال البخاري: نا سعيد بن سليمان[٤] عن عبادة عن حُصَين قال: «حدَّثتني امرأة عُتبة بن فَرْقَدَ قالت: «كنَّا نتطيَّب ونجهد لعتبة بن فرقد أن نبلغه فما نبلغه، فقلنا له في ذلك، فقال: أخذني الشَّرَى[٥] على عهد النبي صلى الله عليه [٦]وسلم، فتَفَلَ[٧] فيه النبي ﷺ، - وقال أيضًا البخاري من طريق أخرى[٨] نحوه، وفيه: فتَفَلَ[٩] في كفِّه ثم مسح به جِلْدِي -، فكنت من أطيب الناس ريحًا، قال حُصَين: فأخبرتني أمُّ عاصم قالت: كنَّا عنده أربع نسوة؛ فنَجْهَدُ[١٠] في الطِّيبِ فما نُقَارِبُه»[١١].

---

(١) في المطبوع من التاريخ الكبير للبخاري (٥٢١/٦): علي بن إبراهيم.

(٢) في المطبوع من التاريخ الكبير للبخاري (٥٢١/٦): غزوتين.

(٣) التاريخ الكبير للبخاري: (٥٢١/٦)، رقم: (٣١٨٥).

(٤) في (ص): سليم.

(٥) الشرى: الحِكَّة.

(٦) قوله: «في ذلك» سقط من (ص).

(٧) في (د) و(س): ثفل.

(٨) في (ص): أخبرني.

(٩) في (د) و(س): ثفل.

(١٠) في (ص): فنجتهد.

(١١) لم أقف عليه من رواية البخاري في كتابه التاريخ، والحديث أخرجه الطبراني في معجمه الكبير: (١٣٣/١٧)، رقم: (٣٢٩)، وفيه: أم عاصم زوج عتبة، لا تعرف.

قال القاضي رضي الله عنه[١]: فهذا ممَّا لَمَسَ[٢] بيده الكريمة، وألقى عليه من رِيقِه المُطَهَّرِ المُطَهِّر[٣]، فكيف بذاته كلها؟

وأخبرنا نَصْرُ بن إبراهيم الزاهد[٤] قراءةً علينا بلفظه - لِثِقَلِ سَمْعِه - قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن موسى: أنا أبو زيد: أنا أبو عبد الله: أنا البخاري.

وأخبرنا أبو عبد الله الطَّبَرِي[٥] بمكة: أنا عبد الغافر: أنا الجُلُودِي

---

(١) في (ص): قال الشيخ الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن العربي رضي الله عنه.
(٢) في (ص): فيما مسَّ.
(٣) سقط من (س) و(د).
(٤) الإمام العلَّامة، والفقيه المحدث، والزاهد الصوفي، أبو الفتح نصر بن إبراهيم النابُلُسي المقدسي، نزيل دمشق ودفينها، (٤١٠-٤٩٠هـ)، برع في المذهب، وقصده الناس، وتفقَّه عليه أبو حامد الغزالي ببيت المقدس -طهَّره الله-، له من المصنفات: «الانتخاب الدمشقي» في أحد عشر سِفْرًا، و«التهذيب» و«الكافي» في المذهب الشافعي، و«الحجة على تارك المحجة»، و«المصباح والداعي إلى الفلاح»؛ رواه عنه ابن العربي، وأفاد منه ابن العربي في رحلته، ولقيه في دمشق قُبَيل وفاته عام ٤٨٩هـ، وسمع منه «الجامع الصحيح» لأبي عبد الله البخاري، وسمع منه مختصر ابن فارس في السيرة، وعرَّف به ابن العربي في كتابه هذا - السفر الثاني-؛ وذكر أحواله وأصله وطريقته، ينظر في أخباره وسيرته: قانون التأويل: (ص١٠٤)، والتبيين لابن عساكر: (ص٢٨٦-٢٨٧)، وتاريخ دمشق: (٦٢/١٥-١٨)، وفهرس ابن خير: (ص٢٠٣)، والمعجم في أصحاب أبي علي الصدفي: (ص٢٠٥-٢٠٦)، وسير النبلاء: (١٩/١٣٦-١٤٣).
(٥) الإمام الحافظ، والفقيه المحدث، أبو عبد الله الحُسَين بن علي الطبري، نزيل مكة المكرَّمة ودفينها، (٤١٨-٤٩٨هـ)، لقيه ابن العربي في بغداد، ثم سمع منه في مكة المكرَّمة - عظَّم الله حرمتها -، وأخذ عنه «الصحيح» لمسلم سماعًا =

قال: أنا ابنُ سفيان: عن مسلم - واللفظ له -: قال أنس: «كان رسول الله ﷺ أزهر اللون، كأنَّ عَرَقَه اللؤلؤ، إذا مشى تكفَّأ، وما مَسِسْتُ ديباجةً ولا حَرِيرَةً أَلْيَنَ من كَفِّ رسول الله ﷺ، وما شَمِمْتُ مِسْكَةً ولا عَنْبَرَةً أَطْيَبَ من رائحة رسول الله ﷺ»[1].

واتَّفقا عن أنس: «أنه ﷺ دخل فقال عندهم فعرق، فجاءت[2] أمِّي بقارورة فجعلت تَسْلُتُ العَرَقَ فيها، فاستيقظ النبي ﷺ فقال: يا أم سُلَيم، ما هذا الذي تصنعين؟ قالت: هذا عرقك، نجعله في طِيبِنَا، وهو من أَطْيَبِ الطِّيبِ»[3].

وانفرد مسلم عن جابر بن سَمُرَةَ فذكر الحديث، قال[4]: «فمسح على خَدِّي به، فوجدتُ ليَدِهِ طِيبًا[5] بَرْدًا أو رِيحًا، كأنما أخرجه من جؤنة عطَّار»[6].

= ومناولة، ينظر: قانون التأويل: (ص١٠٨)، وفهرس ابن خير: (ص١٣٥)، والتبيين لابن عساكر: (ص٢٨٧)، وسير النبلاء: (١٩/٢٠٣-٢٠٤).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أنس ﵁: كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي ﷺ، ولِين مسه، والتبرك بمسحه، رقم: (٢٣٣٠-عبد الباقي)، وأخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم: (٣٥٦١-طوق).

(٢) في (د) و(ص): وجاءت.

(٣) أخرجه البخاري من حديث أنس ﵁: كتاب الاستئذان، باب من زار قومًا فقال عندهم، رقم: (٦٢٨١-طوق)، وأخرجه مسلم: كتاب الفضائل، باب طِيب عرق النبي ﷺ، والتبرك به، رقم: (٢٣٣١-عبد الباقي).

(٤) سقطت من (د) و(ص).

(٥) لم ترد في (ص).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث جابر بن سمرة ﵁: كتاب الفضائل، =

وهذا من خصائصه الكريمة التي شرَّفه الله تعالى بها على الجِبِلَّةِ الآدميَّة، وهي مُعَجَّلَةٌ له من صفات أهل الجنة، فإنهم كما ورد في الصحيح: «لا يبولون ولا يتغوَّطون، وإنَّما هو جُشاء[1] كريحِ المِسْكِ»[2]، وعَرَقٌ مثله، ويأتي بيانُه إن شاء الله تعالى.

[الخامس]: الأصفر

قد تقدَّم في حديث قَيْلَةَ: «رأيتُ على رسول الله ﷺ أسمالَ مُلَيَّتين، كأنما قد صُبِغَا[3] بزعفران، وقد نَفَضتا[4]»[5].

وقد تيمَّن الناس بالصُّفْرَةِ في نجاح بني إسرائيل في حاجتهم بوصف البقرة بها[6]، وروى قَوْمٌ من المفسرين عن ابن عباس: «أنه من مشى في حاجته[7] بنَعْلٍ صفراءَ أنجح مسعاه»[8].

= باب طيب رائحة النبي ﷺ، ولِين مسه، والتبرك بمسحه، رقم: (٢٣٢٩-عبد الباقي).

(١) في (س): جُشًى.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفة الجنة وأهلها، وتسبيحهم فيها بكرة وعشيًّا، رقم: (٢٨٣٥-عبد الباقي).

(٣) في (د) و(ص): صبغتا، وفي (ز): صبغت.

(٤) في (س): تبضنا، وفي (د): تبصتا.

(٥) تقدَّم تخريجه.

(٦) سقطت من (س).

(٧) في (ص): حاجة.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم في العلل: (٦/٢٢٨)، رقم: (٢٤٧٣)، والخطيب في =

١ وروي عن الحسن البصري: «أن صفراء في البقرة بمعنى سوداء»(١)، / وقد حقَّقنا القول فيه. [١٦/أ]

وفي الصحيح: أن عبد الرحمن بن عوف جاء إلى النبي ﷺ وعليه أثر صُفْرَةٍ، فسأله رسول الله ﷺ فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار، قال: «كم سُقْتَ إليها؟ قال: وَزْنَ نواة، قال: أَوْلِمْ ولو بشاة»(٢).

والمُعَبِّرُونَ(٣) يكرهون الصُّفْرَةَ في المنام(٤) لأجل أنها دليل على المرض، وكذلك الحمرة؛ فإن البدن يحمرُّ من الدم، ويصفرُّ باليَرَقَانِ(٥)، ويَسْوَدُّ بالسوداء، ولا أقول بقولهم، وقد بيَّنَّاه في موضعه.

[لَوْنُ لباس أهل الأندلس]:

وقد يختار الناسُ من الألوان ما يحتمل الامتهان ولا تظهر عليه الأدناس، كالأسود والأغبر(٦)، ولذلك تميَّز به أهلُ الأندلس على تلك

= تاريخ مدينة السلام: (٦/١٦٢)، من طريق ابن العذراء، وهو رجل هالك، وحديثه لا شيء، قال أبو حاتم: «هذا حديث كذب موضوع»، ولفظه عندهما: «من لبس نعلًا صفراء لم يزل في سرور مادام لابسَها».

(١) تفسير الطبري: (٢/١٩٩-شاكر).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: كتاب النكاح، باب الصداق، رقم: (١٤٢٧-عبد الباقي).

(٣) أي: من يفسرون الرؤى والأحلام.

(٤) قوله: «في المنام» سقط من (س).

(٥) اليرقان: داء يصيب الناس، يتغيَّر منه لون البدن تغيرًا فاحشًا إلى صفرة أو سواد، بجريان الخِلْطِ الأصفر أو الأسود إلى الجلد وما يليه بلا عفونة، تاج العروس: (٢٥/٨).

(٦) سقط من (ص).

البلاد؛ لكثرة أمطارها وطِينِها، وفَقْرِ أهلها؛ فإن الغني من أهل المغرب بمنزلة الفقير من أهل المشرق؛ في قَدْرِ ذات يده.

ولقِلَّةِ ذات أيديهم[١] يميلون إلى الأرخص؛ وهو الأغبر، وأكثرُ أهل الخير[٢] فقراء، فيغلب عليهم هذا اللون الأغبر، فيدخل عليهم فيه الأغنياء تَشَبُّهًا بهم، أو يَسْتَصْبِغُه من يطلب الرُّخْصَ أيضًا، ولا ينبغي أن يقصد بما يلبسه رياءً ولا شُهْرَةً.

الصوف[٣]:

هو لباسُ العرب وأهل الشَّعَرِ والوَبَرِ، وساكني الجبال والبلاد الباردة، وهو كان لباس الأنبياء.

ففي كتب التفسير: «أن موسى عليه السلام كلَّم ربه في جُبَّةِ صوف»[٤].

ومن الثابت في الصحيح عن عائشة: أنها أخرجت لقوم فيهم أبو بُردة كِسَاءً مُلَبَّدًا وإزارًا غليظًا، فقالت: «قُبِضَ رسولُ الله ﷺ في هذين»[٥].

---

(١) في (ص): يدهم.

(٢) سقطت من (د).

(٣) ينظر: المسالك: (٧/٣٠٤)، وشرح ابن بطال: (٩/٨٦).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: أبواب اللباس عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في لبس الصوف، رقم: (١٧٣٣-بشار)، وضعَّفه، وهو حديث باطل، آفته حُمَيد الأعرج، وهو منكر الحديث، الكامل لابن عدي: (٢/٢٧٣).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: كتاب اللباس، باب الأكسية والخمائص، رقم: (٥٨١٨-طوق).

وروى أحمد بن حنبل عن الصحابة: «أنه[١] كان لباسُها مع رسول الله ﷺ الصوف»[٢].

وفي الصحيح عن المغيرة بن شعبة - فذكر حديث المسح على الخفين - قال فيه: «وعليه جُبَّةٌ من صوف»[٣].

وروى أحمد بن حنبل عن ثابت البُناني قال: «جاء رجل إلى عمران بن حُصَين فقال[٤]: يا أبا نُجَيد، ألم تر إلى أبي بَرْزَةَ الأَسْلَمِي يلبس الصوف؟ قال: يرحم الله أبا برزة، وأين مِثْلُ أبي برزة؟ قال: فتركه وانطلق[٥] إلى أبي برزة فقال: يا أبا برزة، ألم تر إلى عمران بن حُصَين يلبس الخز؟ قال: فقال: يرحم الله أبا نُجَيد، وأين مثل أبي نجيد؟»[٦].

ومن الأحاديث الغريبة عن النبي ﷺ المنكرة الطريق، قال: «كان على موسى يوم كلَّمه رَبُّه[٧] كِسَاءٌ من صوف، وكُمَّةُ صوف، وسراويل صوف، وكانت نعلاه من جلد حمار مَيِّتٍ»[٨].

---

(١) سقط من (ص).

(٢) الذي وجدته في كتاب الزهد للإمام أحمد (ص٧٨): «كانت الأنبياء يحلبون الشاة، ويركبون الحمر، ويلبسون الصوف».

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن المغيرة ﵁: كتاب اللباس، باب جبة الصوف في الغزو، رقم: (٥٧٩٩-طوق).

(٤) في (س): قال.

(٥) في (ص): ثم انطلق.

(٦) لم أجده في المطبوع من كتاب الزهد للإمام أحمد، وهو في تاريخ دمشق لابن عساكر: (٦٢/٩٨).

(٧) في (ز) و(ص) و(س): الله، وعلَّم عليها، وما أثبتناه صحَّحه بالطرة، وكذلك هو في (د).

(٨) أخرجه الترمذي في جامعه عن عبد الله بن مسعود ﵁ مرفوعًا: أبواب اللباس =

والكُمَّةُ: هي القَلَنْسُوَّةُ الصغيرة.

وكان شِعَارُ عيسى عليه السَّلام الصوف، وبقي في رهبانه إلى اليوم.

والصوفية هو شعارهم[١]، ولكنهم يترَّفعون فيه حتى يأتي - إِسْرَافًا - أَرَقَّ من القطن والكتَّان، وأكثر ثمنًا، وهي الدنيا؛ كلما رُفِعَتْ وضعها الله.

وكان سالم بن عبد الله يلبس الصوف[٢].

وقال الحَسَنُ بن أبي/ الحسن البصري: «إنَّ قومًا جعلوا خشوعهم في لباسهم، وكِبْرَهم في صدورهم، وشهروا أنفسهم بلباس الصوف، حتى إن لابس الصوف أشدُّ كِبْرًا من صاحب المِطْرَفِ بمِطْرَفِه[٣]»[٤]. [١٦/ب]

وكان الصوفية ظنُّوا أن هذا الاسم من الصُّوفِ، فاستشعروه اعتقادًا، واستسعروه[٥] ملبسًا، حتى قال قائلهم[٦]:

= عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في لبس الصوف، رقم: (١٧٣٣-بشار)، وضعَّفه، وهو حديث باطل، آفته حُمَيد الأعرج، وهو منكر الحديث، الكامل لابن عدي: (٢/٢٧٣)، وقوله: «من جلد حمار ميت» أخرجه الإمام مالك في الموطأ من كلام كعب الأحبار، كتاب الجامع، ما جاء في الانتعال، (٢/٣٠١)، رقم: (٢٦١٦-المجلس العلمي الأعلى).

(١) ينظر: إحياء علوم الدين: (ص١٥٩٩).

(٢) الاستذكار لابن عبد البر: (٢٦/٢١٥)، وسالم هو: ابن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) في (ص): بمطرفته.

(٤) الاستذكار لابن عبد البر: (٢٦/٢١٥).

(٥) في (د) و(ز): فاستشعروه.

(٦) من بحر البسيط، وهما لأبي الفتح البستي في ديوانه: (ص١٣٤)، برواية:

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا ... قِدْمًا وظنوه مشتقًّا من الصوفِ

لستُ أمنح هذا الاسم غير فتًى ... صافى فصوفي حتى لُقِّبَ الصُّوفِي =

تنازع الناسُ في الصوفي[1] واختلفوا   فيه وظنُّوه مُشْتَقًّا من الصوفِ
ولستُ أنحل هذا الاسم غير فتًى   صَافَى فصُوفِيَ حتى سُمِّي الصُّوفِ

وقال آخر[2]:

تصوَّفَ فازدهى بالصوف جَهْلًا   وبعضُ الناس يَلْبَسُه مجانَهْ
يُريك تواضعًا[3] ويُجِنُّ كِبْرًا   وليس الكِبْرُ من شأن المهانَهْ
ولم يُرِدِ الإلهَ به ولكن   أراد به الطريق إلى الخيانَهْ

وقال آخر[4]:

ليس التصوف لبس الصوف تَرْقَعُه   ولا بكاؤك إن غنَّى المُغنونَ
ولا صياحٌ ولا رقصٌ ولا طَرَبٌ   ولا تَغَاشٍ كَأَنْ قد صِرْتَ مَجْنُونَا

= وأسندهما ابن عساكر في تاريخ دمشق في ترجمته، وهما في زَهْرِ الآداب للحُصْري: (٢/٨٧٠).

(١) قوله: «في الصوفي» سقط من (د).

(٢) الأبيات من بحر الوافر، وذكر الحافظ ابن عبد البر في الاستذكار: (٢٦/٢١٦) الأوَّلين منهما، ونسبهما إلى محمود الورَّاق، وساقها أربعة بزيادة بيت هو الثالث:

تصنع كي يقال له أمين   وما معنى التصنع للأمانه

ونسبها إليه أيضًا في بهجة المجالس: (١/١٨٧)، وساقها أربعة، ونسبها لذي النون المصري مُلَّا علي القاري في مرقاة المفاتيح: (١٣/٦٠)، والمُناوي في فيض القدير: (٢/٤٠٦).

(٣) في (د) و(ص) و(ز): مهانة، وأشار إليها في (س).

(٤) الأبيات من بحر البسيط، ونسبها ابن النجَّار في ذيل تاريخ بغداد (٢/١٣٢) والعماد في خريدة القصر (٢/٤٠٥) لأبي عبد الله محمد بن الحسن ابن الطوبي الصقلي.

بـل التـصوف أن تَـصْفُو بـلا كَـدَرٍ   وتَتْبَـعَ الحـق والقـرآن والـدِّينَ
وأن تُـــرى خاشـــعًا لله مكترثــا   على ذنوبك طول الـدهر محزونَـا

وقال أيضًا[1]:

لَبِسْتَ الـصوف مرقوعًا وقلـتَ:   أنا الصوفي، لَسْتَ[2] كمـا زَعَمْتَـا
فمـا الـصوفي إلا مَـن تَـصَافَى   مـن الآثـام، ويحـك لـو عَقِلْتَـا
فأمَّـــا أن تُغَنَّـــى ببَيْـــتِ شِـــعْرٍ   فتبكـي ثـم تـرقص دَسْـتَ بَيْتَـا[3]
فهـــذا فِعْـــلُ معتـــوه ســـخيفٍ   ينـال بـــه مـــن الـرحمن مَقْتَـا

[الثَّنَاءُ على الصوفية]:

قال القاضي أبو بكر - رحمه الله[4] -: ولقد رأيتُ في هـذه الطائفة أعيانًا جِلَّةً، يَفْخَرُ بهم على سائر المِلَلِ أَهْلُ هـذه المِلَّةِ؛ عِلْمًا وقَصْدًا[5]، وحُسْنَ سَمْتٍ وتُؤَدَةً، وتَبَتُّلًا لله، وخشيةً وزُهْدًا في الدنيا، وكرامات كثيرة، وإن كان فيهم مثل هـذا الوصف المذموم، فإنهم[6] كسائر الطوائف من أصناف العالمين، فإنَّ فيهم الغَثَّ والسمين، والصالح والطالح، ولذلك كان

(١) الأبيات من بحر الوافر، والأوَّلان ذكرهما في فيض القدير: (٣/٣٦)، والآخران لم أقف عليهما.

(٢) في (ص): ليس.

(٣) في (ز) و(ص): بنتا.

(٤) في (ص): قال الشيخ الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ز): قال الإمام القاضي أبو بكر بن العربي رضي الله عنه.

(٥) في (ص): وتؤدة وحسن سمت.

(٦) في (ص): وهم.

الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن - آخر المشيخة منهم - يقول إذا رآهم في المُرَقَّعَاتِ مُتَمَثِّلًا:

لا والـذي حجَّـتْ قُـرَيْشٌ بيتَـه مُـسْتَقْبِلِينَ الـرُّكْنَ مـن بطحائهـا
مـا أَبْـصَرَتْ عيني خيـامَ قبيلـةٍ إلَّا ذَكَـرْتُ أحبتـي بفِنائهـا
أمَّـا الخيـامُ فإنهـا كخيـامهم وأرى نـساءَ الحي غيرَ نـسائها[1]

يعني: أن المُرَقَّعَاتِ على الأشخاص كالخيام على النساء، إلَّا أن نساء الحي قد مَضَوا وجاء من/ ليس مثلهم، كذلك أصحاب المرقَّعات، ذهبوا وجاء من خالف طريقتهم[2]، وسنُشِيرُ إلى شيء من ذلك في «القسم الثاني» من هذا الكتاب إن شاء الله.

[١٧/أ]

الحَرِيرُ:

في الصحيح: «أن النبي ﷺ نهى عن لُبْسِه والجلوس عليه»[3].

الخَزُّ[4]:

هو ما أَحَدُ نَوْعَيْهِ - السَّدَى أو اللُّحْمَةِ - حَرِيرٌ، والآخَر سِواه.

---

(١) الأبيات من بحر الكامل، والأخير منها كثير الدوران -بدون نسبة- في بطون الكتب، مثلًا لِما مَخْبَرُه غيرُ مَظْهَرِه، ونسبه أبو طالب المكي في قوت القلوب: (٢٩١/١) للمجنون، وليس في ديوانه.

(٢) ينظر: العارضة: (٣٤٩/٧)، والإحياء: (ص١٣٢٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث حذيفة رضي الله عنه: كتاب اللباس، باب افتراش الحرير، رقم: (٥٨٣٧-طوق)، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء، وخاتم الذهب والحرير على الرجل، رقم: (٢٠٦٦-عبد الباقي).

(٤) ينظر: العارضة: (٢٩٢/٧)، والمسالك: (٢٨٦/٧).

واختلف العلماء فيه؛ فمنهم من جوَّزه، ومنهم من كَرِهَه[١].

فروى ابنُ وَهْبٍ وابنُ القاسم عن مالك كراهيته[٢].

وقد روى مالك عن عائشة ﵂: «أنها كَسَتْ عبد الله بن الزبير مِطْرَفَ[٣] خَزٍّ[٤] كانت تلبسُه»[٥].

وقد[٦] كان من العشرة - وفقهاءُ الصحابة فوق العشرة - من يلبسه[٧].

وقال الشافعي[٨]: «يجوز لباسُ الخز باطنًا غير ظاهر»[٩].

وقد أنكر[١٠] ابنُ عبَّاس على سَعْدٍ لباسَه مِطْرَفَ خَزٍّ شَطْرُه حَرِيرٌ، فقال له سعد: «إنَّما يَلِي جِسْمِي منه الخَزُّ»[١١].

---

(١) ينظر في ذلك: الاستذكار: (٢٦/١٧٨-١٧٩).

(٢) الاستذكار: (٢٦/٢١٠).

(٣) المطرف: كمنبر ومُكرم، والأصل فيه الضم، فكسروا الميم ليكون أخف، ومنهم من جعله مُثَلَّثًا، والمطرف رداء من خَزٍّ مربَّع ذو أعلام، جمعه مطارف، تاج العروس: (٢٤/٨٣).

(٤) في طرة بـ (س): في خـ: مطرفًا من خز.

(٥) أخرجه الإمام مالك في الموطإ عن عائشة ﵂: كتاب الجامع، ما جاء في لبس الخز، (٢/٢٩٩)، رقم: (٢٦٠٥-المجلس العلمي الأعلى)، وينظر: المسالك: (٧/٢٨٦)، والعارضة: (٧/٢٩٢).

(٦) سقطت من (د).

(٧) الاستذكار: (٢٦/١٧٨).

(٨) بعده في (ص): ﵁.

(٩) الاستذكار: (٢٦/٢١٣).

(١٠) في (د): كان، وهو تصحيف.

(١١) الاستذكار: (٢٦/٢١٣).

وقال أبو حنيفة[١]: «إن كان سَداه حَرِيرًا ولُحْمَتُه غيرَه جاز لُبْسُه، وإن عُكِسَ لم يَجُزْ»[٢].

والصحيح جوازُه؛ لأن الحرير قد ثبت مَنْعُه مع الذهب، وبقي غيره[٣] على الإباحة، لا سيما مع فِعْلِ الأعيان من الصحابة.

وقد اختلف العلماءُ في الحرير على خمسة أقوال؛ بينَّاها في كتاب[٤] «أحكام القرآن»[٥] وغيره.

وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه لَبِسَ جُبَّةً من ديباج منسوج فيها الذهب؛ «فلبسها رسول الله ﷺ، فصعد على المنبر فقام أو قعد، فجعل الناس يلمسونها[٦]، فقالوا: ما رأينا كاليوم ثوبًا قطُّ، فقال: أتعجبون من هذه؟ لمناديل سعد في الجنة خير ممَّا ترون»[٧].

وقد بيَّنَّا في ذلك الموضع وغيره أن الصحيح عن النبي ﷺ قولًا وفعلًا تحريمُه.

---

(١) بعده في (ص): رضي الله عنه.

(٢) الاستذكار: (٢٦/٢١٣).

(٣) قوله: «جاز لُبْسُه، وإن عُكِسَ لم يَجُزْ، والصحيح جوازه، لأن الحرير قد ثبت منعه مع الذهب، وبقي غيره» سقط من (د)، لانتقال نظر الناسخ.

(٤) سقط من (د).

(٥) ذكر في أحكامه أنهم اختلفوا على تسعة أقوال: (٤/١٦٧٥)، وفي العارضة على عشرة أقوال: (٧/٢٨٨)، وكذلك في المسالك: (٧/٢٨٧).

(٦) في (س): يلبسونها.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل سعد بن معاذ رضي الله عنه، رقم: (٢٤٦٨-عبد الباقي).

الفَرْوُ[١]:

صَحَّ عن سلمان[٢]: «أن النبي ﷺ سئل عن السَّمْنِ والجُبْنِ والفِرَاءِ؛ فقال: الحلال ما أَحَلَّ الله في كتابه، والحرام ما حَرَّمَ الله في كتابه، وما سكت فهو ممَّا عفا عنه»[٣].

والصحيح وَقْفُه على سلمان[٤].

الجُبَّةُ:

صحَّ «أن النبي ﷺ لَبِسَ جُبَّةً رُومِيَّةً ضيِّقة الكُمَّيْنِ»[٥]، وفي الصحيح: «شاميَّة ضيقة الكُمَّيْنِ»[٦].

وروى مسلم عن أسماء: «أنها أخرجت جُبَّةَ رسول الله ﷺ مكفوفة الكمَّين والجَيْبِ والفَرْجِ[٧] بالدِّيباج».

---

(١) ينظر: العارضة: (٧/٣٠٠).

(٢) في (د) و(ز): سليمان، وفي بعده في (ص): رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب اللباس عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في لبس الفراء، رقم: (١٧٢٦-بشار).

(٤) رجَّح أبو عبد الله البخاري وأبو عيسى الترمذي وقفه، وهو مبيَّن في الجامع لأبي عيسى: (٣/٣٤٠-بشار).

(٥) أخرجه بهذا اللفظ الترمذي في جامعه عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: أبواب اللباس عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في لبس الجبة والخفين، رقم: (١٧٦٨-بشار)، وأصله في الصحيح.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: كتاب اللباس، باب من لبس جبة ضيقة الكمين في السفر، رقم: (٥٧٩٨-طوق).

(٧) في (س): الفرج والجيب.

وفي صحيح مسلم عنها: أنها قالت: «هذه جبة رسول الله ﷺ، فأخرجت إليَّ جُبَّةً طَيَالِسَة كِسْرَوانية، لها لِبْنَةُ دِيباج، وفَرْجَاها مكفوفان بالديباج».

وفي صحيح مسلم عنها أنها قالت: «هذه جبة رسول الله ﷺ، فأخرجت جُبَّةً[1] كانت عند عائشة حتى قُبِضت، فلمَّا قُبِضَتْ قَبَضْتُهَا، وكان[2] ﷺ يلبسها، فنحن نلبسها للمرضى يُسْتَشْفَى بها»[3].

الكُمُّ:

[١٧/ب] صحَّ «أن كُمَّ النبي ﷺ كان إلى الرُّسْغ»[4]،/ و«أن كِمام أصحاب رسول الله ﷺ كانت بُطْحًا[5]»[6]، ويحتمل أن يكون جَيْبُ اليد من الثوب[7]، ويحتمل أن يكون القلنسوة.

---

(١) قوله: «وفي صحيح مسلم عنها أنها قالت: «هذه جبة رسول الله ﷺ، فأخرجت جُبَّةً» سقط من (ص).

(٢) في (ص) و(د) و(ز): وكان النبي.

(٣) الثلاثة حديث واحد؛ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء، وخاتم الذهب والحرير على الرجال، رقم: (٢٠٦٩-عبد الباقي).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه من حديث أسماء بنت يزيد الأنصارية ﵂: أبواب اللباس عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في القُمُص، رقم: (١٧٦٥-بشار)، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريب».

(٥) أي: واسعة.

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي كبشة الأنماري: أبواب اللباس عن رسول الله ﷺ، باب كيف كان كمام الصحابة، رقم: (١٧٨٢-بشار)، قال أبو عيسى: «هذا حديث منكر».

(٧) في (د): اليد.

وروى أحمد بن حنبل[١]: «أن عُتبة بن فَرْقَد جاء إلى عمر وعليه قَمِيصٌ طويل الكُمِّ، فدعا بشفرة[٢] فقطعه[٣] من أطراف أصابعه، فقال له عتبة[٤]: يا أمير المؤمنين، إنِّي أستحي أن تقطع كُمِّي، أنا أقطعه، فتركه»[٥].

واشترى عليٌّ قميصًا، ثم قطع من كُمَّيْه ما فَضَلَ عن يده[٦].

الخُفُّ:

ثبت أن النبي ﷺ لَبِسَ الخُفَّيْنِ في الصحيح[٧].

وأمَّا النعل فأشهر من أن تُذكر؛ وفي الصحيح عن أنس: «أنه أخرج نعلين جَرْدَاوَيْنِ لهما قِبَالان، وذكر أنهما نَعْلَا رسول الله ﷺ»[٨].

ورَوى «أنَّ دِحْيَةَ أهدى إلى النبي ﷺ خُفَّيْنِ وجُبَّةً، فلبسهما حتى تَخَرَّقَا»[٩]، وهو حديث حسن.

---

(١) في (س) و(د): أحمد بن علية.

(٢) في (س): شفرة.

(٣) في (ص): ليقطعه.

(٤) سقط من (س) و(د).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في كتاب الزهد: (ص١٥٤).

(٦) لم أجده.

(٧) تقدَّم تخريجه من حديث المغيرة رضي الله عنه.

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: كتاب فرض الخمس، باب ما ذُكِرَ من درع النبي ﷺ، وعصاه، وسيفه، وقدَحه، وخاتمه، رقم: (٣٠١٧-طوق).

(٩) أخرجه الترمذي في جامعه من حديث المغيرة رضي الله عنه: أبواب اللباس عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في لبس الجبة والخفين، رقم: (١٧٦٩-بشار).

المِرْطُ:

في الصحيح: أن عائشة قالت: «خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه مِرْطٌ مُرَجَّلٌ من شَعَرٍ أسود»(١).

والمُرَجَّلُ: المُوَشَّى، يعني: الذي فيه طَرْقٌ.

الحِبَرَةُ:

قال أنس - في الصحيح -: «كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ الحِبَرَةُ»(٢).

وفيه(٣): «أنه لمَّا تُوُفِّيَ سُجِّيَ ببُرْدٍ حِبَرَةٍ»(٤).

لباسُ المرأة:

الأصلُ فيه: قَمِيصٌ وخِمَارٌ ومِرْطٌ، وقد يُزاد عليه، ولكل بلد وزمان سِيرَةٌ في اللباس لهن، ولكن المُراعى والمحافظ عليه السَّتْرُ، وفي الأثر

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين رضي الله عنها: كتاب اللباس والزينة: باب التواضع في اللباس، رقم: (٢٠٨١-عبد الباقي)، ولفظه: مُرَحَّل، بالمهملة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: كتاب اللباس، باب البرود والحبرة والشملة، رقم: (٥٨١٣-طوق).

(٣) أي: في الصحيح.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: كتاب اللباس، باب البرود والحبرة والشملة، رقم: (٥٨١٤-طوق).

الحَسَن: «لا يقبل الله صلاة حائض إلَّا بخمار»[١]، وقد أُمِرَتْ في إرخاء ذَيْلِها شِبْرًا، وأُذِنَ لها في ذراع[٢].

وفي الحديث[٣] الصحيح: «نساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ، مائلاتٌ مُمِيلَاتٌ، لا يدخلن الجنة ولا يَجِدْنَ[٤] رِيحَها»[٥].

ومعنى قوله: «كاسيات عاريات»، أي: عليهن ثياب رِقَاقٌ، هي كسوة من حيث الاسمُ، وهي عارية من حيث الاطلاعُ على بدنها، ألا ترى أنه شُرِعَ تحسين الكفن، وقال العلماء: «هو صفاقته، لا عُلُوُّه في القيمة».

و تختص المرأة بالحرير والذهب، تلبسه وتَسْتَفْرِشُه، ولا خلاف فيه.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه عن عائشة ﵂: كتاب الصلاة، باب المرأة تصلي بغير خمار، رقم: (٦٤١-شعيب)، وحسَّنه الترمذي في جامعه: أبواب الصلاة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء لا تقبل صلاة الحائض إلا بخمار، رقم: (٣٧٧-بشار).

(٢) الإشارة هنا إلى حديث ابن عمر ﵄، وفيه: فقالت أم سلمة: «فكيف يصنعن النساء بذيولهن؟ قال: يرخين شِبْرًا، فقالت: إذًا تنكشف أقدامهن، قال: فيرخينه ذراعًا، لا يزدن عليه»، أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب اللباس عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في جر ذيول النساء، رقم: (١٧٣١-بشار).

(٣) سقط من (س).

(٤) في (د) و(ص) و(س): يجدون.

(٥) أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﵁: كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات، رقم: (٢١٢٨-عبد الباقي).

[مَسْأَلَةٌ في جواز جلوس الرجل على حرير زوجه]:

وهاهنا مسألة حسنة[١]، وهي: أن المرأة لها لباسها وفراشها من الحرير والذهب، فإذا جاءها زوجها جالسها عليه، وضاجعها فيه، وإن دعاها إلى فراشه جاءت إلى إزاره وكسائه، ولا يلزمه إذا أراد الإتيان إليها أن تخرج له عن بيتها إلى بَيْتٍ فِرَاشُه الصُّوفُ، كما لا يلزمها أن تتجرَّد له إلى مُدَرَّعَةِ صوف، ولا خلاف بين الأُمَّةِ أنه يخالطها وعليها ثَوْبُ الذهب، فيكون ثوبها[٢] لهما لِفَاعًا واحدًا.

وفي الحديث الصحيح عن جابر قال: «قال لي النبي[٣] ﷺ لمَّا تزوجت: اتخذتَ أنماطًا؟ قلت: وأنَّى لنا أنماط؟ قال: أما إنها ستكون، قال: فأنا أقول لامرأتي: أخِّرِي عني أنماطك فتقول: ألم يقل النبي ﷺ: أما إنها ستكون لكم أنماط؟ قال: فأدعها»[٤]، صَحِيحٌ صَحِيحٌ/. ١ [١٨/أ]

وقد كان أبو هريرة من وَرَعِه يقول لابنته: «يا بُنَيَّة، لا تلبسي الذهب، إنِّي أخشى عليك اللهب، ولا تلبسي الحرير[٥]، إني أخشى عليك الحريق»[٦]، وقد بيَّنَّا[٧] ذلك في «شرح الحديث»[٨].

---

(١) ينظر: العارضة: (٢٩٣/٧).

(٢) في (س): ثوبًا.

(٣) في (د): رسول الله.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: كتاب اللباس والزينة، باب جواز اتخاذ الأنماط، رقم: (٢٠٨٣-عبد الباقي).

(٥) في (س): الخز.

(٦) أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائده على الزهد: (ص١٩٢).

(٧) في (ص): بيناه.

(٨) يقصد «كتاب النيرين» في شرح البخاري ومسلم.

وقيل لعائشة: «غسَّلنا امرأة مسنة ليس عليها قرط ولا خَوْقٌ[١] ولا خاتم، قالت: فهل على يديها ورجليها من حِنَّاء؟ قالت: لا، قالت: ما أحب غسلها»[٢].

وروى محمد بن أحمد بن حمَّاد[٣]: نا أحمد بن عبد الجبَّار: نا أحمد[٤] بن فُضَيل عن الأعمش عن حَبِيب عن كُرَيْب عن ابن عبَّاس قال: «بعثني أَبِي إلى النبي ﷺ في إبل أعطاها إيَّاه من الصدقة، فلمَّا أتاه، وكانت ميمونة خالته، قال: فأتى النبيُّ المسجد فصلَّى العشاء، ثم جاء فطرح ثوبه، فدخل مع امرأته في ثيابها[٥]، قال: وأخذت ثوبي فجعلت أطويه تحتي، ثم اضطجعت، وقلت: لا أنام الليلة حتى أنظر ما يصنع رسول الله ﷺ، قال: فنام حتى نفخ، وذهب من الليل ما شاء الله أن يذهب، ثم قام فخرج فبال، ثم أتى سقاء مُوكَأً، فحلَّ وِكَاءَه وصَبَّ على يديه من الماء»[٦]، وذكر الحديث.

---

(١) في (ص): حوق.

(٢) لم أجده.

(٣) هو الإمام الحافظ أبو بشر الدَّوْلَابِي، (٢٢٤-٣١٠هـ)، ترجمته في سير النبلاء: (٣٠٩/١٤-٣١١).

(٤) في (ص): محمد.

(٥) في (س): ثيابه.

(٦) أخرجه النسائي في سننه الكبرى عن ابن عباس ﷺ: كتاب الصلاة، ذكر الاختلاف على عبد الله بن عباس في صلاة الليل، رقم: (١٣٤١)، وأصله في الصحيح، ولم أجد هذا الحديث في المطبوع من كُتُبِ الدولابي.

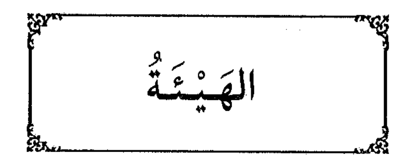
فانظر إلى قوله: «فدخل مع امرأته في ثيابها»[١]، فهو فِقْهُ الحديث الذي قصدنا منه؛ من[٢] أن الزوج يأتي المرأة فيدخل في ثيابها[٣]، والحريرُ والذهبُ من ثيابها.

* * * * *

(١) بعده في (ص): والحرير والذهب من ثيابها.

(٢) سقطت من (ص).

(٣) قوله: «فهو فقه الحديث الذي قصدنا منه، من أن الزوج يأتي المرأة فيه فيدخل في ثيابها» سقط من (د).



الهَيْئَةُ

في الأثر الحسن: أن النبي ﷺ قال: «البَذَاذَةُ من الإيمان»[(١)].

وهي: التواضع في الملبس[(٢)].

وقد[(٣)] قال قَوْمٌ: «هي تَرْكُ مداومة الزينة».

وفي الحديث الحسن الصحيح[(٤)]: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «طيَّبت النبي ﷺ بيدي[(٥)] لحِرْمِه وحِلِّه»[(٦)].

وفيه - أيضًا - عنها أنها قالت: «كنت أُطَيِّبُ النبي ﷺ بأطيب ما نجد، حتى نجد وَبِيصَ[(٧)] الطِّيبِ في لحيته ورأسه»[(٨)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في الزهد من حديث أبي أمامة رضي الله عنه: (ص١٢).

(٢) ينظر في تفسير الحديث: شرح ابن بطَّال: (٩/١٦٤).

(٣) سقطت من (س).

(٤) في (د): في الصحيح، وفي (س): في الحديث الصحيح.

(٥) سقط من (س).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين: كتاب الحج، باب الطيب للمحرم عند الإحرام، رقم: (١١٨٩-عبد الباقي).

(٧) في (د) و(ز): وبيض، وفي طرة بـ (س): «في الأصل المنتسخ منه بإعجام؛ الوبيض، وهو تصحيف، لأن القاموس ذكره في باب الصاد المهملة ولم يذكره في باب الصاد المعجمة أصلًا، فلذلك تركتُ نقطه في الأصل»، قلتُ: وما فعله الناسخ هنا لا يجوز، والإصلاح غلط، وجاءت على الصواب في (ص)، وأخشى أن تكون من إصلاح الناسخ، والله أعلم.

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنه: كتاب اللباس، باب الطيب في الرأس واللحية، رقم: (٥٩٢٣-طوق).

وفي[1] المشهور: أنه ﷺ قال: «حُبِّبَ إليَّ من دنياكم ثلاث[2]؛ الطِّيبُ والنساء، وجُعِلت قُرَّةُ عيني في الصلاة»[3].

وفي الحديث[4]: «أنه كان لا يَرُدُّ الطِّيبَ»[5].

وفي الصحيح: «أنه كان يُرَجِّلُ[6] ويأمر به»[7].

فلم يصحَّ هذا التفسير في البذاذة، وإنما[8] البذاذة ما روى أحمد بن حنبل[9] عن أبي ذر: «قال لي رسول الله ﷺ: انظر إلى أرفع رجل في المسجد، فنظرتُ فإذا رجل عليه حُلَّةٌ، قلتُ: هذا، قال: انظر أَوْضَعَ رجل في المسجد، فنظرت فإذا رجل عليه أخلاق، قلت: هذا، قال[10] رسول الله ﷺ: لَهذا خَيْرٌ[11] عند الله يوم القيامة من مِلْءِ الأرض مثل هذا»[12].

---

(١) في (ص): من.

(٢) في (ص): ثلاثة.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس ﷺ: (١٩/٣٠٥)، رقم: (١٢٢٩٣-شعيب).

(٤) في (د) و(ص) و(ز): الصحيح.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس ﷺ: كتاب اللباس، باب من لم يردَّ الطيب، رقم: (٥٩٢٩-طوق).

(٦) في (ص): يترجل.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة ﷺ: كتاب اللباس، باب الترجيل، رقم: (٥٩٢٦-طوق).

(٨) في (ص): لعل.

(٩) في (د) و(ص): ابن حنبل.

(١٠) في (د) و(ص) و(ز): فقال.

(١١) في (ص): أخير.

(١٢) أخرجه الإمام أحمد في الزهد: (ص٣٦)، وهو في المسند: (٣٥/٣١٥)، رقم: (٢١٣٩٥-شعيب).

كان أحدُهما منافقًا، فبيَّن النبي ﷺ حاله، وأوضح أن البِزَّةَ لا تقتضي العِزَّةَ.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[١].

قال القاضي أبو بكر[٢] رضي الله عنه:/ وقد بيَّن النبي ﷺ الهيئة في الحديث الصحيح بقوله: «عَشْرٌ من الفطرة»[٣]، وهي هاهنا عبارة عن أصل الخِلقة، فإن الإنسان يُخْلَقُ سليمًا من عشرة أقذار، ثم تطرأ[٤] عليه، فأُمِرَ بالتنظف منها[٥]. [١٨/ب]

وفي الأثر: «إن الله طَيِّبٌ يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم»[٦].

وهو وإن لم يصحَّ سندُه فإن معناه صحيح، وإنَّما المكروه من ذلك نِسْبَتُه إلى النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، رقم: (٢٥٦٤-عبد الباقي).

(٢) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن العربي، وفي (ز): قال الإمام القاضي أبو بكر.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، رقم: (٢٦١-عبد الباقي).

(٤) في (س): يطرأ.

(٥) سقطت من (س).

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أبواب الأدب عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في النظافة، رقم: (٢٧٩٩-بشار)، قال أبو عيسى: «هذا حديث غريب».

الخصلة الأولى: قَصُّ الشارب[١]

وهو عارضٌ عليه؛ يمنع الأكل، ويُذهب الفصاحة، ويستر الحاسة الشريفة[٢]، ويجتمع فيه الوسخ.

الخصلة الثانية: تَرْكُ اللحية على هيئتها[٣]

إلَّا أن تزيد فيأخذ من طولها.

روى أبو داود عن ابن عمر: «أنه كان يقبض على لحيته ويقطع ما زاد»[٤].

ورُوي عن قتادة: أنه قال: «حفظتُ ما لم يحفظ أحد، ونسيتُ ما لم ينس أحد، فأمَّا حِفْظِي فما[٥] دخل قطُّ شيء أُذُني فخرج منها، وأمَّا نِسْيَاني فإن فلانًا حدَّثني عن ابن عمر: أنه كان يقبض بكفه على لحيته، ويقطع ما فاض منها، فقبضتُ عليها وقطعتُ من الأعلى»[٦].

وقد ذَكَرَ الناسُ فيها عشر خصال:

---

(١) ينظر: العارضة: (٩/٥١٩).

(٢) يقصد: حاسة الشَّمِّ.

(٣) ينظر: العارضة: (٩/٥٢٢).

(٤) أخرجه أبو داود في السنن عن مروان بن سالم المقفع: كتاب الصوم، باب القول عند الإفطار، رقم: (٢٣٥٧-شعيب)، حسَّنه الدارقطني في سننه: (٣/١٥٦).

(٥) في (ص): فإنه ما.

(٦) العِقد لابن عبد ربه: (٢/٨٧).

تسويدها، تبييضها، قصها، الزيادة فيها، تضفيرها أو تحميرها تَشَبُّهًا بالصالحين، نَتْفُ شِيبها، تسريحها تَرَفُّهًا، تشعيثها[١] تَصَنُّعًا، العُجْبُ بها سوداء، التَّكَبُّرُ بها بيضاء.

الخصلة الثالثة: السِّوَاكُ[٢]

ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «لولا أن أشق على أُمَّتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»[٣]، وأنه «كان إذا قام من الليل يَشُوصُ فاه بالسواك»[٤].

وقد روى عِكْرِمَةُ عن ابن عباس في السواك عَشْرَ خصال: «مَطْهَرَةٌ للفم، مرضاة للرب، مسخطة للشيطان، مَفْرَحَةٌ للملائكة، يُذهب الحَفْرَ، ويجلو البصر، ويُجِيد اللثة، ويقطع البَلْغَمَ، ويُطَيِّب الفم، وهو من السنة»[٥].

وزاد فيه شيخنا أبو بكر الفِهْرِي: «مَثراة للمال، مَنماة للعدد، يزيد في الحسنات[٦]»[٧].

---

(١) في (س): تسبيغها.

(٢) ينظر: العارضة: (١/٧٤-٧٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الطهارة، باب السواك، رقم: (٢٥٢-عبد الباقي).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن حذيفة رضي الله عنه: كتاب الطهارة، باب السواك، رقم: (٢٥٥-عبد الباقي).

(٥) أخرجه الدارقطني في سننه: كتاب الطهارة، باب السواك، رقم: (١٦٠)، وأشار أبو الحسن إلى ضعفه.

(٦) في (س): الحساب.

(٧) وهو في القبس: (١/٢١٣).

وروى[١] النسائي عن عائشة: «السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب»[٢].

وهو متأكد في سبعة أحوال:

[الأوَّل]: في الصلاة، للخَبَرِ المتقدم.

الثاني: عند الانتباه من النوم، كما تقدَّم عنه ﷺ.

الثالث: عند الجوع لتغير الفم به[٣]، إذ تصعد أبخرة المعدة إليه.

الرابع: عند طول السكوت لذلك.

الخامس: عند المرض لسببه.

السَّادس: عند أكل ما يُغَيِّرُ الفم؛ كالثُّومِ والبصل.

السَّابع: عند الفراغ من الطعام لما يتعلَّق بالأسنان منه.

فإن لم يجد سواكًا فليُنِبْ شيئًا مَنَابَه[٤]؛ من خرقة أو صوفة، ويَسْتَاكُ عَرْضًا لأنه أصح للثَّةِ، وهو تفسير الشَّوْصِ المتقدم.

الخصلة الرابعة والخامسة: المضمضة والاستنشاق[٥]

وهما تُنقيان الفم والأنف.

---

(١) في (د) و(ص): وروى.

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كتاب الطهارة، باب الترغيب في السواك، رقم: (٤- شعيب).

(٣) سقط من (س).

(٤) في (ص): مقامه.

(٥) ينظر: العارضة: (١/٨١).

الخصلة السَّادسة: قَصُّ الأظفار[١]

الخصلة السَّابعة: الاستحداد

فلا يجتمع في الموضعين وسخ.

الخصلة الثامنة: غسل البراجم[٢]

ومعناه: أن اليد وإن كانت تُغسل فإن البراجم يجب أن تخَصَّ؛ لما فيها من الغُضون والتكسير[٣] الذي يلتوي على الوسخ، فإذا قُصدت بالغسل زال ما تعلَّق بها[٤]؛ وهي رؤوس السَّلاميات التي في ظاهر الكف، والرَّوَاجِبُ بُطُونُها، والأمر عندي فيها[٥] بالعكس، وعلى ما قُلْتُه يَدُلُّ الاشتقاق، والله أعلم.

الخصلة التاسعة: نَتْفُ الإِبْطِ[٦]

وهو موضع مغموم مضغوط على مرور الأزمان، فيجتمع فيه وَذَحٌ[٧]، ويخرج عليه صُنان[٨]، فإذا كان فيه شَعَرٌ تَلَبَّدَ به، فإذا نَتَفَهُ لم يكن للوَذَحِ[٩]

---

(١) ينظر: العارضة: (٩/٥٢٠).

(٢) ينظر: العارضة: (٩/٥٢٠-٥٢١).

(٣) في (ص): التكسر.

(٤) في (ص): به.

(٥) في (د) و(ص) و(ز): فيها عندي.

(٦) ينظر: العارضة: (٩/٥٢٠).

(٧) في (س) و(د): ودح، وفي (ز): وضح.

(٨) الصُّنان: رائحة المغابن ومعاطف الجسم إذا فَسَدَ وتغيَّر، تاج العروس: (٣٥/٣١٥).

(٩) الوذح: ما تعلق بأصواف الغنم من البعر والأبوال، ومعناه هنا: القَذَر، تاج العروس: (٧/٢٠٦).

مُتَعَلَّقٌ فيه، وفي الحديث: «أن النبي ﷺ كان إذا سجد يُجافي يديه عن جنبيه، حتى ننظر إلى عُفرة إبطيه»[١]، يعني: بياضهما[٢]، وكل أحد تكون منه مُتَغَيِّرَةُ اللون إلَّا هو ﷺ، فمن جماله أنهما كانا أعفرين أغرَّين.

الخصلة العاشرة: الاستحداد[٣]

وهو حَلْقُ شعر[٤] العانة بالحديد، وشُرِعَ النَّتْفُ في الإبط لأنه أذهبُ للشَّعَرِ، فلا يزال يُضعفه حتى يقطعه، والحَلْقُ يُقَوِّيه، ولم يُشْرَعِ النَّتْفُ في العانة للمشقَّة في ذلك.

وروى مُسْلِمٌ أنه ﷺ: «وَقَّتَ في قَصِّ الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط وحَلْقِ العانة أربعين ليلةً»، وطُعِنَ في رواية جعفر بن سليمان[٥].

ومن العاشرة انتقاص[٦] الماء؛ هو الاستنجاء[٧]، ومعناه: أن الماء إذا استُنجِي به خرج عن الطُّهور به، فكان نقصانًا من الماء الطَّهور.

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه عن عبد الله بن الأقرم الخزاعي رضي الله عنه: أبواب الصلاة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في التجافي في السجود، رقم: (٢٧٤-بشار)، وأصله في الصحيح، وينظر: الغريب لابن سلام: (١/٣٥٠).

(٢) في (س) و(د): بياضهما.

(٣) ينظر: العارضة: (٩/٥١٧).

(٤) سقطت من (س).

(٥) قال الإمام ابن عبد البر: «وهو حديث ليس بالقوي، انفرد به جعفر بن سليمان الضبعي عن أبي عمران الجَوني عن أنس، لا يعرف إلا من هذا الوجه، وليس جعفر بن سليمان بحجة عندهم فيما انفرد به؛ لسوء حفظه، وكثرة غلطه، وإن كان رجلًا صالحًا»، الاستذكار: (٢٦/٢٤٣).

(٦) في (س): انتفاض، وفي (د): انتقاض.

(٧) في طرة بـ (س): في خـ: الاستجمار.

قال القاضي أبو بكر[١]: فإذا تنظَّف هكذا فقد حَسُنَتْ هيئته، وحُمِدَتْ صِفَتُه، وحَيِيَتْ سُنَّتُه، وعَلَتْ هِمَّتُه، وابتهجت في العبادات طريقتُه.

ثم يستجمر بالأَلُوَّةِ؛ بالوِتْرِ، كما قال النبي ﷺ: «وإذا استجمر فليُوتِرْ»[٢].

قال مالك: «يجعلُ قِطَعَ الأَلُوَّةِ في النار ثلاثًا[٣]»[٤].

ويتنظَّف بالمِسْكِ[٥] والذَّرِيرَةِ وما شَاكَلَ ذلك، ففي الطِّيبِ عَشْرُ خصال.

ويكون كُمُّ ثوبه إلى الرُّسْغِ، وطوله إلى أنصاف ساقيه، فإن زاد فإلى الكعبين، ما أسفل من ذلك ففي النار، ولا بأس بالسَّدْلِ في الصلاة ما لم يتجاوز الثوبُ الكعبين، وهكذا كان قميصُ سليمان عليه السَّلام، فيما رواه أحمد بن حنبل[٦]، وذَكَرَ عن النبي ﷺ: «أنه رأى رجلًا وقد طَوَّلَ كُمَّيْ

---

(١) في (ص): قال الشيخ الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ز): قال الإمام القاضي أبو بكر بن العربي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام مالك في الموطأ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الطهارة، العمل في الوضوء، (١٠٩/١)، رقم: (٣٦-المجلس العلمي الأعلى).

(٣) في (ص): ثلاثة.

(٤) تفسير الموطأ للبوني: (٩٤/١)، والمسالك: (٢٩/٢).

(٥) في (س) و(د): والمسك.

(٦) الذي في الزهد هو لباس رسول الله سيدنا محمد لا سليمان عليهما السلام، (ص١١).

قميصه[١] فدعا بشفرة فقطعه من طرف أصابعه»[٢]، وروى عنه[٣]: «أنه رأى على/ العلاء بن الحضرمي قميصًا قُبْطُرِيًّا»[٤]، ولا أدريه[٥]. ٦ [١٩/أ]

وذكر أحمد عن عمران - يعني: ابن حُصَين - أنه قال: «لا ألبس القميص المُكَفَّفَ بالديباج»[٦].

وقد تقدَّم في الصحيح صِفَةُ جُبَّةِ النبي ﷺ في ذلك[٧].

وروى أحمد بن حنبل - أيضًا - عن النبي ﷺ أنه قال: «من تَرَكَ اللباس وهو يقدر عليه تواضعًا لله دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق؛ حتى يُخَيِّرَه في أي حُلَلِ الجنة يلبس»[٨].

تَرِكَةُ رسول الله ﷺ:

ثبت أن عائشة رضي الله عنها أخرجت إزارًا غليظًا ممَّا يُعمل[٩] باليمن، وكساءً

---

(١) في (س): قميصيه.

(٢) لم أجده في المطبوع من كتاب الزهد، فلعله الذي يأتي بعده.

(٣) سقطت من (ص) و(ز).

(٤) الزهد للإمام أحمد: (ص١١)، وفيه: قطريًّا.

(٥) القُبْطُري: ثياب كتَّان بِيض، تاج العروس: (١٣/٣٥٩).

(٦) الزهد للإمام أحمد: (ص١٢).

(٧) تقدَّم تخريجه.

(٨) أخرجه الإمام أحمد في المسند من حديث معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه: (٢٤/٣٩٤)، رقم: (١٥٦٣١-شعيب).

(٩) في (ص): يصنع.

مُلَبَّدًا، وقالت: «في هذا قُبض رسول الله ﷺ»(١)، وكانت له بردتان ونَمِرَةٌ يَخْتَلِفُ إليهما(٢) تُنسج له(٣).

ومن الصحيح: عن عائشة ﵂: «ما ترك رسول الله ﷺ دينارًا ولا درهمًا، ولا شاة ولا بعيرًا»(٤).

قال الراوي: «وأشك في العبد والأَمة»(٥).

وعن عمرو بن الحارث أخي جُوَيرية: «ما تَرَكَ رسولُ الله ﷺ إلا سلاحه وبغلته، وأرضًا جعلها صدقة»(٦)، صحيحٌ.

* * * * *

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب اللباس والزينة، باب التواضع في اللباس، رقم: (٢٠٨٠-عبد الباقي).

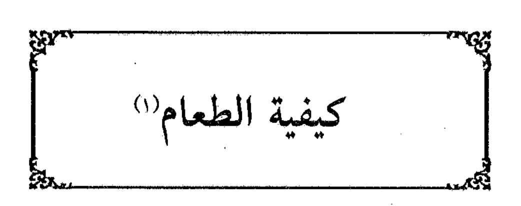
(٢) في (د) و(ص): إليها.

(٣) أخلاق النبي لأبي الشيخ: (٢/١٠٢)، رقم: (٢٥٦)، وفي إسناد أبي الشيخ من لا يعرف، وفيه انقطاع أيضًا.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه، رقم: (١٦٣٥-عبد الباقي).

(٥) قول الراوي هذا أورده الترمذي في شمائله: (ص٢٤٥)، رقم: (٣٩٣).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد، باب من لم ير كسر السلاح عند الموت، رقم: (٢٩١٢-طوق).



كيفية الطعام[١]

إن الله تعالى جَعَلَ الطعامَ أصلَ حياة الآدمي وقِوَامَ بقائه، فهو تعالى ﴿يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ﴾ [الأنعام:١٥]، والآدَمِيُّ يَطْعَمُ ولا يُطْعِمُ[٢]، وكذلك قرأناه في «سورة الأنعام»: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَهُوَ يطعمُ وَلاَ يطعمُ﴾، بفتح الياء الأولى، وضم الثانية[٣]، وذلك صَحِيحٌ في غير الله، فإنها صفته اللَّازمة له.

والمُقَدَّسُ عن الطعام هو الله سبحانه، ولهذا نبَّه بهذه الحكمة على حال عيسى وأمِّه بقوله تعالى: ﴿كَانَا يَاكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة:٧٧]، ولمَّا جعله الله قِوَامَ بقاء الآدمي وحياته قسَّمه على المنفعة والمضرة؛ لتَتِمَّ حكمةُ الدنيا في ذلك، و تَخْلُص الآخرة للنفع المحض والضرر[٤] المحض.

[الخُبْزُ]:

وأَقَلُّ الأطعمة ضررًا الخبز، ويقال: «إنها الشجرة التي أَخْرَجَ أَكْلُها

---

(١) ينظر: المسالك: (٧/٣٦٩-٣٧٢).

(٢) قوله: «والآدمي يطعم ولا يطعم» سقط من (د) و(ز).

(٣) ينظر: الجامع للقرطبي: (٨/٣٣٣)، وهي قراءة شاذَّة.

(٤) في (ص): الضر.

آدَمَ من الجنة»[١]، وقد ورد في الحديث ذِكْرُه كثيرًا، منه في الصحيح: «أن رسول الله ﷺ ما شَبعَ من خُبْزِ بُرٍّ قَطُّ»[٢]، ولا رأى «مُرَقَّقًا»[٣].

وفي الحَسن: «يكفي ابنَ آدم جِلْفُ الخبز والماء»[٤].

وفي الصحيح: «أن أم سُلَيْمٍ أرسلت إلى رسول الله ﷺ أقراصًا من شعير»[٥].

وفيه: «أن النبي أَوْلَمَ على زينب فأوسع المسلمين[٦] خُبْزًا»[٧]، وساق الحديث.

---

(١) تفسير الطبري: (٥١٨/١-شاكر).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كتاب الزهد والرقائق، رقم: (٢٩٧٠-عبد الباقي).

(٣) لفظه في جامع الترمذي: «ما أكل رسول الله على خوان، ولا أكل خبزًا مرققًا حتى مات»، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في معيشة النبي ﷺ وأهله، رقم: (٢٣٦٣-بشار)، وقال: «حسن صحيح غريب».

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه عن عثمان بن عفان رضي الله عنه: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، رقم: (٢٣٤١-بشار).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: كتاب الأيمان والنذور، باب إذا حلف أن لا يأتدم فأكل تمرًا بخبز وما يكون من الأُدْمِ، رقم: (٦٦٨٧-طوق).

(٦) في (د): المسلمون.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه: كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش، ونزول الحجاب، وإثبات وليمة العرس، رقم: (١٤٢٨-عبد الباقي).

اللَّحْمُ:

في الصحيح: «أن النبي ﷺ كان يُعجبه الذِّرَاعُ»[١].

وروى الترمذي عن عائشة: «ما كان الذراع أحب إلى رسول الله ﷺ، ولكنه كان لا يجد اللحم إلا غِبًّا، فكان يعجل إليها[٢] لأنها أعجله نُضْجًا»[٣].

وفيه: «أنه[٤] ﷺ كان يَحْتَزُّ من كتف شاة»[٥].

وثبت وصحَّ عن أم سلمة: «أنها قرَّبت للنبي ﷺ[٦] جَنْبًا مَشْوِيًّا؛ فأكل منه ثم قام إلى الصلاة وما توضَّأ»[٧].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم: (١٩٤-عبد الباقي).

(٢) قوله: «يعجل إليها» سقط من (س).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه عن أم المؤمنين: أبواب الأطعمة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في أي اللحم كان أحب إلى رسول الله ﷺ، رقم: (١٨٣٧-بشار)، وقال: «حديث حسن».

(٤) في (د) و(ص) و(ز): أن النبي.

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه عن عمرو بن أمية الضَّمْرِي رضي الله عنه: أبواب الأطعمة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء عن النبي ﷺ من الرخصة في قطع اللحم بالسكين، رقم: (١٨٣٦-بشار).

(٦) في (د): عليه السلام.

(٧) أخرجه الترمذي في جامعه عن أم سلمة رضي الله عنها: أبواب الأطعمة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في أكل الشواء، رقم: (١٨٢٩-بشار).

[١٩/ب]

وصحَّ/ أنه أَكَلَ لحم دجاج[١].

ورُوِي: «أنه أَكَلَ لحم حُبَارَى»[٢].

وصحَّ أنه أَكَلَ لحم الأرنب[٣].

وأَكَلَ الصحابةُ معه في سبع غزوات الجرادَ[٤].

قال القاضي أبو بكر[٥] رضي الله عنه: ومُلَازَمَةُ أكل اللحم مكروه، ورُوِي أن عمر كان يقول: «إياكم واللحم؛ فإن له ضَرَاوَةً كضراوة الخمر»[٦].

الثَّرِيدُ:

قال النبي ﷺ: «فَضْلُ عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[٧].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: كتاب الذبائح والصيد، باب الدجاج، رقم: (٥٥١٧-طوق).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه عن سفينة رضي الله عنه: أبواب الأطعمة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في أكل الحُبارى، رقم: (١٨٢٨-بشار)، وضعَّفه.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه: كتاب الصيد والذبائح، باب إباحة الأرنب، رقم: (١٩٥٣-عبد الباقي).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث ابن أبي أوفى رضي الله عنه: كتاب الصيد والذبائح، باب إباحة الجراد، رقم: (١٩٥٢-عبد الباقي).

(٥) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ز): قال الإمام القاضي أبو بكر.

(٦) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: كتاب الجامع، ما جاء في أكل اللحم، (٢/٣١٥)، رقم: (٢٦٥٧-المجلس العلمي الأعلى).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي موسى رضي الله عنه: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، رقم: (٢٤٣١-عبد الباقي).

المَرَقَةُ:

ثبت عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحقرنَّ أحدُكم شيئًا من المعروف، وإن لم يجد فَلْيَلْقَ أخاه بوجه طَلْقٍ، وإذا اشتريتَ لحمًا أو طَبَخْتَ قِدْرًا فأكثر مرقته، واغترف لجارك منه»[١].

اللَّبَنُ:

لا يخفى امتنانُ الله به[٢] علينا، ودلالته على سَعَةِ القدرة والعلم فيه؛ بإخراجه من بَيْنِ فرْثٍ ودَمٍ لَبَنًا خالصًا سائغًا للشاربين، وهو كان أكثر طعام النبي ﷺ، وأوّل شرابه في هجرته.

حديث: «خَرَجَ النبي ﷺ مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه مهاجرين حتى آواهما السَّيْرُ إلى صخرة يطلبون ظِلَّها، فوجدوا عندها راعيًا، فاستخبره أبو بكر رضي الله عنه[٣]، فأخبره أنه لرجل من قريش، فاستحلبه؛ فحلب له وصبَّ عليه من الماء حتى برد أسفله، ثم سقاه رسول الله ﷺ»[٤]، وظهرت فيه بركة النبي ﷺ كما سبق في حديث أبي هريرة المتقدم[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي ذر رضي الله عنه: أبواب الأطعمة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في إكثار ماء المرقة، رقم: (١٨٣٣-بشار)، وقال: «حسن صحيح».

(٢) سقط من (ص).

(٣) قوله: «مهاجرين حتى آواهما السير إلى صخرة يطلبون ظلها، فوجدوا عندها راعيًا، فاستخبره أبو بكر رضي الله عنه» سقط من (س).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب رضي الله عنه: كتاب المناقب، باب علامات النبوة، رقم: (٣٦١٥-طوق).

(٥) يشير إلى قصة أبي هريرة مع أهل الصفة، وقد تقدَّم تخريجها.

وقالت عائشة: «لقد كان يأتي على محمد ﷺ شَهْرٌ ما يختبز فيه[١]»، قلت[٢]: فما كان يأكل رسول الله ﷺ؟ قالت: كان لنا جيران من الأنصار - جزاهم الله خيرًا - كانت لهم منائح[٣]، يُهدون[٤] إلى رسول الله ﷺ من اللَّبَنِ»[٥].

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «من أكل طعامًا فليقل: اللهم بارك لنا فيه، وأطعمنا خيرًا منه، إلَّا اللبن، فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه، فإنه ليس شيء يَجْزِي من الطعام والشراب غيره»[٦].

السَّمْنُ:

في الصحيح عن أم سُلَيم، «وعصرتْ عُكَّةً لها من سَمْنٍ، في حديث بركة النبي ﷺ للطعام، وأكلهم له عشرة عشرة، وهم ثمانون رجلًا»[٧]، حديث مشهور.

---

(١) سقط من (ص).

(٢) في (ص): فقلت.

(٣) في (د): مناتج.

(٤) في طرة بـ (س): يُسيِّرون، وصحَّحها.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا، رقم: (٦٤٥٩-طوق).

(٦) أخرجه الترمذي في جامع عن ابن عباس رضي الله عنهما: أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما يقول إذا أكل طعامًا، رقم: (٣٤٥٥-بشار).

(٧) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: كتاب الجامع، جامع ما جاء في الطعام والشراب، (٢/٣٠٨)، رقم: (٢٦٣٩-المجلس العلمي الأعلى).

وثبت أن النبي ﷺ دخل على أم سُلَيم فأتته بتمر وسمن، فقال: «أعيدوا تمركم في وعائه وسمنكم في سقائه؛ فإني صائم»[١].

الخَلُّ:

ذَكَرَ الله الامتنان به في كتابه في قوله: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً﴾ [النحل:٦٧].

قيل: إنه الخل[٢].

وثبت وصحَّ أنه قال: «نِعْمَ الإدام الخل»[٣].

التَّمْرُ:

لا يخفى فَضْلُه، وكَوْنُه قُوتًا حُلْوًا يَشُدُّ المِضَاغَ، ويُغْنِي عن كل[٤] الطعام، وقد ضرب الله به المثل للإيمان، فقال: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ [إبراهيم:٢٦]، لا إله إلا الله، ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾؛ النخلة.

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: «بَيْتٌ لا تَمْرَ فيه جِيَاعٌ أهلُه»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: كتاب الصوم، باب من زار قومًا فلم يفطر عندهم، رقم: (١٩٨٢-طوق).

(٢) تفسير الطبري: (١٤/٢٨٣-التركي).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كتاب الأشربة، باب فضيلة الخل والتأدم به، رقم: (٢٠٥١-عبد الباقي).

(٤) في (ص): أكل.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: كتاب الأشربة، بابٌ في إدخال التمر ونحوه من الأقوات للعيال، رقم: (٢٠٤٦-عبد الباقي).

وصحَّ أنه قال ﷺ: «من تصبَّح بسبع تمرات عَجْوَةٍ كل يوم لم يضره ذلك اليوم سُمٌّ ولا سِحْرٌ»[١].

وقال النبي ﷺ: «مَثَلُ المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، طَعْمُها طَيِّبٌ ولا ريح لها»[٢].

الإِدَامُ:

[٢٠/أ] أَصْلُه من دام يَدُوم، وذلك أن الخبز يَطِيبُ به؛ فيدومُ الأَكْلُ مدةً/ أكثر من مدة أَكْلِ خُبْزٍ[٣] لا يكون معه إدامُه.

وفي الحديث الصحيح: أن النبي ﷺ أُتِيَ بخبز وإدام من أُدْمِ البيت، فقال: «ألم أَرَ بُرْمَةً تَفُورُ من لحم؟ فقيل له: ذلك لحم تُصُدِّقَ به على بَرِيرَة، وأنت لا تأكل الصدقة، قال: قد بلغتْ محلَّها، هو عليها صدقة ولنا هدية»[٤].

وليس ذلك من السَّرَفِ دِينًا[٥].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: كتاب الأشربة، باب فضل تمر المدينة، رقم: (٢٠٤٧-عبد الباقي).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة حافظ القرآن، رقم: (٧٩٧-عبد الباقي).

(٣) في (س) و(د): الخبز.

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن عائشة رضي الله عنها: كتاب الطلاق، ما جاء في الخيار، (٢/١٦)، رقم: (١٧٦٧-المجلس العلمي الأعلى).

(٥) في (د) و(س): دنيا.

الفاكهة:

ثبت وصحَّ أن النبي ﷺ كان يأكل القِثَّاءَ بالرُّطَبِ[١]، وأنه جَمَعَ بين لَوْنَيْنِ[٢].

الحَلْوَاءُ والعَسَلُ:

في البخاري: «كان النبي ﷺ يحب الحلواء والعسل»[٣]، وذكر فيه حديث المرأتين اللَّتَيْنِ تظاهرتَا على النبي ﷺ مُطَوَّلًا، هذا هو المقصود منه.

وجاءه رجل فقال: «إن أخي يشتكي بَطْنَه، فقال: اسقه شَرْبَةَ عَسَلٍ، وتكرَّر عليه مِرَارًا، كلُّ ذلك يقول: اسقه شربة عسل، فقال له في الآخِرَةِ: صدق الله وكذب بطن أخيك»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه: كتاب الأشربة، باب أكل القثاء بالرطب، رقم: (٢٠٤٣-عبد الباقي).

(٢) أخرج أبو داود في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: «كان رسول الله يأكل البطيخ بالرطب، فيقول: نكسر حَرَّ هذا ببرد هذا، وبرد هذا بحَرِّ هذا»، أبواب الأطعمة، باب في الجمع بين اللَّوْنَيْنِ في الأكل، رقم: (٣٨٣٦-شعيب)، وهو في جامع الترمذي: كتاب الأطعمة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في أكل البطيخ بالرطب، رقم: (١٨٤٣-بشار).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: كتاب الحيل، باب ما يكره من احتيال المرأة مع زوجها والضرائر، وما نزل على النبي ﷺ في ذلك، رقم: (٦٩٧٢-طوق).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد رضي الله عنه: كتاب الطب، باب الدواء بالعسل، رقم: (٥٦٨٤-طوق).

«وكان ابن عمر وعَوْفُ بن مالك إذا اشْتَكَيَا أو شُكِيَ إليهما مَزَجَا[١] الماء المبارك[٢] بالعسل الذي هو شفاءٌ للنَّاس[٣]»[٤].

الخَضِرَاتُ[٥]:

في الصحيح: «أن النبي ﷺ أُتِيَ ببَدْرٍ[٦] فيه خَضِرَاتٌ فأكل منها»[٧].

وكان النبي ﷺ يُحِبُّ الدُّبَّاءَ[٨].

وثبت أن ابن عمر قال: «كانت عجوز تأتي في كل جمعة فتُكَرْكِرُ حبَّاتٍ من شعير بشيء من سَلْقٍ، فتكون عُرَاقَةً - يعني: بمنزلة اللحم

---

(١) في (س): مزج.

(٢) في (س): في خـ: البارد.

(٣) في (س): الناس.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (١٢/٣٦٩).

(٥) واحدتها خَضِرَةٌ، فاكهة أو ثمرة.

(٦) مرَّضه في (ص)، وكتب بالطرة: طبق، وصحَّحه، وأشار إليه في (س) من غير تصحيح له، وفي (ز): بِقِدْرٍ.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه عن حابر بن عبد الله رضي الله عنهما: كتاب الاعتصام، باب الأحكام التي تعرف بالدلائل، وكيف معنى الدلالة وتفسيرها، رقم: (٧٣٥٩-طوق).

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: كتاب الأطعمة، باب الدباء، رقم: (٥٤٣٣-طوق).

فيه -، فكنا نصلي الجمعة وندخل فنتغدَّى عندها، فكنَّا[١] نفرح بيوم الجمعة من أجل ذلك»[٢].

وكان ﷺ[٣] يَكْرَهُ لنفسه البصل والثُّوم[٤].

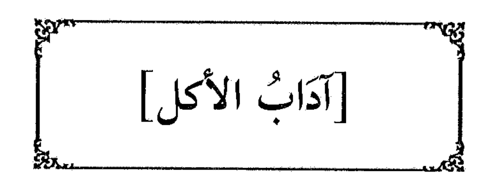
* * * * *

(١) قوله: «نصلي الجمعة وندخل فنتغدى عندها، فكنا» سقط من (س).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: كتاب الأطعمة، باب السلق والشعير، رقم: (٥٤٠٣-طوق).

(٣) في (د): عليه السلام.

(٤) أخرج البخاري في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما حديث النهي عن أكلهما، وفيه: «فلمَّا رآه كَرِهَ أكلَها، قال: فإني أناجي من لا تناجي»، كتاب الأذان، باب ما جاء في الثُّوم النيء والبصل والكُرَّاث، رقم: (٨٥٥-طوق).



[آدَابُ الأكل]

قال القاضي أبو بكر[١] رضي الله عنه: وللأكل آدَابٌ كثيرة جمعناها وأَرْبَيْنَا على العلماء فيها، ورتَّبنا أعدادها على الأحوال أبوابًا وفصولًا[٢]، جِماعُها خمسة فصول:

الفصل الأوَّل:

قد بيَّنَّا أن الآدَمِيَّ مخلوقٌ على جِبِلَّةِ الأكل، مُوَظَّفٌ[٣] عليه فيه وظائف؛ من حين أوَّله إلى حين تناوله، أَمَرَهُ الله بعِبَادَاتِه[٤]، وأَذِنَ له في التمتع بطَيِّبَاتِه، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾

---

(١) في (ص): قال الإمام الفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي.

(٢) قال الإمام ابنُ العربي في العارضة (٧/٤٢١): «كنا تذاكرنا في مجلس المَلِكِ آداب الأكل، فقلت: هي نَحْوٌ من مائة وخمسين، فقال بعض الحاسدين من المترسمين بالفتوى: ما جمعها اللوح المحفوظ قطُّ، فأطلق الحسدُ لسانَه حتى أوقعه في الكفر، وسألني المَلِكُ جَمْعَها ففعلتُ، فخُزِيَ المسكين، وباء به إلى حزبه اللعين».

(٣) في المنشور من المسالك (٧/٣٧٣): موضب، وفي نسخة القرويين (٧٠/أ): موضف.

(٤) في (ز): بعبادته.

[المومنون:٥٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف:٣٠]، فإذا حصل الطعام في حَدِّ التناول فعليه فيه آدابٌ، وهي تنقسم إلى حالات الطعام، فما يتقدَّم على الأكل نَذْكُرُه في هذا الفصل.

الأوَّل: أن يتناول شراءَه بنفسه؛

الثاني: أن يتناول عمله بنفسه؛

الثالث: أن يكون حلالًا طَيِّبًا في ذاته[1]؛

الرابع: أن يكون حلالًا في جهة كَسْبِه[2]؛ فقد يكون الشيءُ حلالًا في ذاته ويحرم تناوله من جهة كسبه؛ كبَيْعٍ فاسدٍ ونحوه؛

الخامس[3]: ألَّا يكون ثمنًا عن مداهنة[4]؛

السَّادس: ألَّا يكون رشوة؛

السَّابع: ألَّا يكون عِوَضُه[5] فاسدًا حرامًا؛

الثامن: ألَّا يكون بيد مبتدع؛

التاسع: ألَّا يكون بيد ظالم؛

---

(١) الإحياء: (ص٤٣٣)، وأصله في قوت القلوب: (١٤١٠/٣).

(٢) الإحياء: (ص٤٣٣)، وأصله في قوت القلوب: (١٤١٠/٣).

(٣) الإحياء: (ص٤٣٣)، وأصله في قوت القلوب: (١٤١٠/٣).

(٤) في (ص): مراهنة.

(٥) في المسالك (٣٧٣/٧): عوضًا.

العاشر: ألَّا يكون بيد من يعتمل[١] بالربا؛

الحادي عشر: ألا يكون بيد فاجر؛

الثاني عشر: ألا يكون بيد من يَغْلُبُ على ماله الحرام؛

الثالث/ عشر: أنه إذا قدَّمه له ضيف صالح لم يبحث عن الأسباب، [٢٠/ب] ولا سأل: هل انتقل إليه من يد أحد من هؤلاء أم لا؟

الرابع عشر: أن يرى النعمة فيه من الله تعالى؛

الخامس عشر: أن يأكله بنيَّة التَّقَوِّي على طاعة الله[٢]؛

السَّادس عشر: إن نوى اللذة أجزأه وجاز له[٣]؛

السَّابع عشر: أن يرى للمُنْعِمِ وجه الشكر، فإنه يقال: «إنه وصل إليه[٤] على يَدَيْ ثلاث مائة وستين صانعًا، أوَّلهم: ميكائيل[٥]»[٦]؛

---

(١) في المسالك (٧/٣٧٤): يشتغل.

(٢) قوت القلوب: (٣/١٤١٠).

(٣) كأنه ينقد قَوْلَ الإمام أبي حامد: «ولا يقصد التلذذ والتنعم بالأكل»، الإحياء: (ص٤٣٤).

(٤) سقطت من (د).

(٥) في المسالك (٧/٣٧٤): «وآخِرُهم الخبَّاز».

(٦) قال الإمام ابنُ العربي في العارضة (٧/٤٠٤): «قد سمعتُ بعض العلماء يقول: إنه لا تقع اللقمة من الفم حتى تمر على يَدَيْ ثلاث مائة وستين مَلَكًا، فأمَّا كثرة المتولِّين لذلك فمعلوم قطعًا، وأمَّا تحديدهم بمقدار معلوم فمعلومٌ قطعًا عندي أنه لا يتعدَّى هذه العِدَّةَ المحصورة»، وقد ذَكَرَ عِدَّتَهم أبو طالب في قوت القلوب: (٢/٥٧٧).

الثامن عشر: أن يجهر به؛

التاسع عشر: أن يقول بلسانه: بسم[١] الله؛

المُوَفِّي عشرين: أن يُجَدِّدَه[٢] مع كل لقمة، فهو أفضل له[٣]؛

الحادي والعشرون[٤]: أن يغسل يده في أوَّل الطعام للنظافة والمروءة، إلا أن يتحقَّق طهارتها ونظافتها[٥].

وقد روى إسماعيل بن أبي أُوَيس عن مالك: «أنه دخل على عبد الملك بن صالح يُسَلِّمُ عليه، فجلس ساعة ثم دُعِي للطعام، ودُعِي بالوَضوء لغسل يده، فقال عبد الملك: ابدؤوا بأبي عبد الله يغسل يده، فقال مالك: إن أبا عبد الله لا يغسل يده، فاغسل أنت يدك، فقال له عبد الملك: لم يا أبا عبد الله؟ فقال مالك[٦]: ليس هو من الأمر الذي أدركتُ عليه أهل بلدنا، وإنَّما هو[٧] من زِيِّ الأعاجم، وقد بلغني عن عمر بن الخطاب كان يقول: «إيَّاكم وزي الأعاجم وأمورها»[٨]، وكان عمر بن الخطاب إذا أكل

---

(١) في (س): اسم.

(٢) في (ص): يجدد.

(٣) بعده في المسالك (٣٧٤/٧): «وإن كان لم يأت ذِكْرُ ذلك عن النبي ﷺ».

(٤) في (س): العشرين، وكتب فوقها: كذا.

(٥) الإحياء: (ص٤٣٣)، وأصله في قوت القلوب: (١٤١١/٣).

(٦) قوله: «إن أبا عبد الله لا يغسل يده، فاغسل أنت يدك، فقال له عبد الملك: لم يا أبا عبد الله؟ فقال مالك» سقط من (د) و(س)، ولعله سقط من الأصل الذي اعتمد عليه ناسخاها.

(٧) في (د) و(ص): هي.

(٨) الاستذكار: (٣٤٧/٢٦).

مسح يده بظهر قَدَمَيْهِ، فقال له عبد الملك: أفترى لي تركه يا أبا عبد الله؟ قال[١]: إي والله، فما عاد عبد الملك إلى ذلك»[٢].

الثاني والعشرون: أن ينوي بغسلها العبادة؛ لأنه إذا نوى بالأكل التَّقَوِّي على الطاعة[٣] كان التأهب بالغسل له عبادة[٤]؛

الثالث والعشرون: أن يجعل طعامه على الأرض دون خِوَانٍ؛

الرابع والعشرون: إن لم تطمئن[٥] بذلك نفسُه وَضَعَهُ على سُفْرَةٍ؛

فإن وضعه على مائدة جاز[٦]، والأَوَّلُ أَوْلى، **وهو الخامس والعشرون**.

السَّادس والعشرون: إن كان خُبْزًا أو غيره لا يباشر به الأرض؛ لئلَّا يتعلَّق به من عُشْبِ الأرض ما يقتله[٧]، فقد سمعنا ذلك وتحقَّقناه؛

السَّابع والعشرون: أن يجلس على الأرض؛

الثامن والعشرون[٨]: على رُكْبَتَيْهِ أفضل؛

---

(١) في (د) و(ص): فقال.

(٢) ترتيب المدارك: (٢/٩٩).

(٣) في (ص): طاعة الله.

(٤) الإحياء: (ص٤٣٣).

(٥) في (س): يطمئن.

(٦) ينظر: الإحياء: (ص٤٣٣).

(٧) في المنشور من المسالك (٧/٣٧٥): ما يغمله، وما في المسالك -نسخة القرويين- موافق لما أثبتناه.

(٨) قوله: «الثامن والعشرون» سقط من (س).

وينصب رجله اليمنى، ويجلس على اليسرى، **وهو التاسع والعشرون**؛

المُوَفِّي ثلاثين: ألَّا يَتَّكِئَ[١]؛

الحادي والثلاثون: ألَّا يضطجع[٢]؛

الثاني والثلاثون: ألَّا يأكل حتى يمسه الجوع، ولا يأكل بالعادة دون أن يجده[٣]؛

الثالث والثلاثون: على مذهب العُبَّاد والزُّهَّاد[٤]: أن لا يأكل[٥] حتى يَطِيبَ له الخبز وحده؛ فهو الجوع، فأمَّا بالإدام - ولا سيما المألوفة منه - فإنه يطيب وإن كان عنه في غِنًى؛

الرابع والثلاثون: أن يرضى بما تيسَّر ولا يتكلَّف؛

الخامس والثلاثون: أن لا يأكل وحده؛

السَّادس والثلاثون: أن يُكَثِّرَ الأيدي على الطعام ما استطاع[٦]؛

السَّابع والثلاثون: أن يأكل مع عياله وأولاده؛

الثامن والثلاثون: أن لا يتعوَّد طعامًا واحدًا؛

---

(١) قوت القلوب: (١٤١١/٣).

(٢) قوت القلوب: (١٤١١/٣).

(٣) الإحياء: (ص٤٣٥).

(٤) سقطت من (د) و(ص) و(ز).

(٥) في (د): ألا يكون يأكل.

(٦) الإحياء: (ص٤٣٥)، وأصله في قوت القلوب: (١٤١١/٣).

التاسع والثلاثون: يُجْلِسُ معه[١] الذي عمله له؛

المُوَفِّي أربعين[٢]: إن لم يُجْلِسْهُ فليُنَاوِلْهُ لقمةً منه[٣] أو لقمتين؛

الحادي والأربعون: ويكون ما يُناوله/ من أوَّله لا من فَضْلَتِه؛ [٢١/أ]

الثاني والأربعون: لا يأكل من آنية مجوسي إلَّا أن يغسلها بالماء؛

الثالث والأربعون: أنه يجوز له أن يجمع في خِوانه أو سفرته[٤] بين لونين أو إدامين؛

الرابع والأربعون: أن يُعَدِّدَ العُراق[٥] على الخادم ليدفع عن نفسه سوء الظن؛ كما كان يفعل سلمان.

الفصل الثاني: في آداب حالة الأكل

الأوَّل: أن يأكل بيمينه؛

الثاني: تصغيرُ[٦] اللقمة[٧]؛

---

(١) في (س) و(د): يجلس مع.

(٢) في (س): الأربعين.

(٣) سقط من (د) و(س).

(٤) في (د): صفرته.

(٥) في المسالك - نسخة القرويين -: العدان، وفي المنشور (٣٧٦/٧): العيدان، ومعنى العُراق: العظم الذي أُكل معظم اللحم وهبره، وبقي عليها لحوم رقيقة طيبة، تاج العروس: (١٣٦/٢٦).

(٦) في المسالك (٣٧٧/٧): أن يصغر.

(٧) الإحياء: (ص٤٣٥)، وأصله في قوت القلوب: (١٤١١/٣).

الثالث: عدُّها إن قَدَرَ ؛

الرابع: أن[١] يأكل في نصف بطنه[٢] ؛

الخامس: يُجِيدُ المضغ[٣] ؛

السَّادس: لا يذمُّ طعامًا ؛

السَّابع: تقديمُه على الصلاة، وعلى كل عبادة وعمل ؛

الثامن: لا ينظر إلى غيره، فإنه شَرَهٌ أو تَلَهٌ[٤] ؛

التاسع: يبدأ بالأكل إن كان صاحب المنزل أو ممَّن يُقتدى به[٥] ؛

العاشر: يُقدِّمُ لطيفَ الألوان قبل الثقيل ؛

الحادي عشر: لا يجعل على الخبز زَفَرًا[٦] ؛

الثاني عشر: أن يأكل ممَّا يليه ؛

الثالث عشر: ألا يختار إذا كان الطعام جنسًا واحدًا ؛

الرابع عشر: يختار إذا كان الطعام أنواعًا ؛

---

(١) سقطت من (د) و(ص).

(٢) قوت القلوب: (١٤١١/٣).

(٣) الإحياء: (ص٤٣٥)، وأصله في قوت القلوب: (١٤١١/٣).

(٤) في (ص): تَلَهِّي.

(٥) قوت القلوب: (١٤١١/٣).

(٦) في المنشور من المسالك (٣٧٧/٧): ذُقَم، وهو تصحيف، وما في نسخة القرويين من المسالك موافق لما أثبتناه.

الخامس عشر: ألا يُقَدِّمَ الثريد على الطعام؛

السَّادس عشر: ألا يأكل من أعلى القصعة[١]؛

السَّابع عشر: أن يأكل من الحواشي دون الوسط[٢]؛

الثامن عشر: إذا أكل من الحواشي فيأكل من استدارة الرغيف[٣]؛

التاسع عشر: أن يكون الرغيف من رطل ونصف؛ يقسمه[٤] على ست وثلاثين لقمة؛

المُوَفِّي عشرين: تقليل اللحم، فإن كان الخبز قليلًا كثَّر من اللحم؛

الحادي والعشرون: يأكل بيد واحدة، إلَّا أن يكون طعام يَدَيْنِ؛

الثاني والعشرون: يقدم الفاكهة قبل الطعام؛

الثالث والعشرون: يختم بالحلاوة؛

الرابع والعشرون: ينهش اللحم إن كان نَضِجًا[٥]؛

الخامس والعشرون: لا يمسح يده في الخبز[٦]؛

السَّادس والعشرون: إذا وقعت اللقمة أماط عنها الأذى وأكلها؛

---

(١) الإحياء: (ص٤٣٦)، وأصله في قوت القلوب: (١٤١٢/٣).

(٢) الإحياء: (ص٤٣٦)، وأصله في قوت القلوب: (١٤١٢/٣).

(٣) الإحياء: (ص٤٣٦)، وأصله في قوت القلوب: (١٤١٢/٣).

(٤) في المسالك (٣٧٧/٧): فليقسمه.

(٥) في (ص): نضيجًا.

(٦) الإحياء: (ص٤٣٦).

السَّابع والعشرون: لا ينفخ في الطعام؛

الثامن والعشرون: لا يأكل حارًّا[١]؛

التاسع والعشرون: يقابل الأطعمة؛ يأكل ثقيلًا بخفيف، ورَطْبًا بيابس، وحَارًّا ببارد؛

المُوَفِّي ثلاثين: يقسم الصائم أكله بين الفطر والسحور، فيَسْلَمُ من الشِّبَعِ ويقوى على الصوم؛

الحادي والثلاثون: لا يتابع الشهوات؛

الثاني والثلاثون: يتوسَّط الأكل؛ فيأكل مُدًّا[٢] من مُدِّ النبي ﷺ إن كان قَفَارًا[٣]، وإن كان بإدام فينقص من قدر الخبز بمقدار ما يزيد من الإدام[٤]؛

الثالث والثلاثون: أن يأكل وِتْرًا؛

الرابع والثلاثون: ألَّا يقطع اللحم بالسكين، إلَّا أن يكون قويًّا[٥]؛

الخامس والثلاثون: أن لا يُسرف؛ وعلامته أن يرفع يده وهو يشتهيه[٦]؛

---

(١) في (س) و(د): حرًّا، ولعلهما غفلَا عنها فرسماها كما وجداها بالأصل.

(٢) في (ص): مُدَّيْنِ.

(٣) في المسالك (٣٧٨/٧): فَقَارًا، وهو تصحيف، والقَفَارُ: كل طعام كان بغير إدام، تاج العروس: (٤٥٩/١٣).

(٤) في (ص): الطعام.

(٥) الإحياء: (ص٤٣٦)، وأصله في قوت القلوب: (١٤١٢/٣).

(٦) قوت القلوب: (١٤١١/٣).

السَّادس والثلاثون: ألَّا ينهش البِضعة ويردها في القَصعة؛

السَّابع والثلاثون: لا يغمس الزفَر في المَرِيء والخل فيزفُره[1]؛/ [٢١/ب]

الثامن والثلاثون: لا يأكل في الخلوة إلا ما يأكل في الملأ، فإن خلافه رياء؛

التاسع والثلاثون: لا يأكل في سُكُرُّجَةٍ؛

المُوَفِّي أربعين: لا يخبز مُرَقَّقًا[2]؛

الحادي والأربعون: لا يُحَمِّرْ ولا يُصَفِّرْ؛

الثاني والأربعون: لا يأكل في قصعة ذهب؛

الثالث والأربعون: لا يأكل في قصعة فضة؛

الرابع والأربعون: ولا في رَفِيعٍ نوعُه، كالياقوت وشبهه؛

الخامس والأربعون: يُواسي ممَّا يأكل.

الفصل الثالث: في آداب الشراب

الأوَّل: أن يسمي الله تعالى؛

الثاني: يجهر به؛

الثالث: يأخذ الإناء بيمينه؛

الرابع: لا يشرب الماء في أثناء الطعام؛

---

(١) قوت القلوب: (١٤١٣/٣).

(٢) في المسالك (٣٧٩/٧): مرفقًا، وما أثبتناه مُتَّجِهٌ، وهو نوعٌ من الخبز.

الخامس: إذا شرب الماء فليقسمه؛ على كل ثلاث لُقَمٍ جُرْعَةٌ؛

السَّادس: يجلس إذا شرب؛

السَّابع: يُناول مَن على يمينه؛

الثامن: يَمُصُّ الماء مَصًّا ولا يَعُبُّه؛

التاسع: لا يتنفَّس في الإناء؛

العاشر: يتنفَّس في المقدار الذي يحتاج منه ثلاثًا؛

الحادي عشر: يُنَحِّي الإناء إذا تنفَّس عن فِيهِ؛

الثاني عشر: لا يشرب مِن فِي السِّقَاءِ؛

الثالث عشر: لا يشرب من كَسْرِ الإناء[١]؛

الرابع عشر[٢]: لا يشرب من العُروة[٣]؛

الخامس عشر والسَّادس عشر والسَّابع عشر: لا يشرب في إناء ذهب ولا فضة[٤]، ولا في رفيعِ نَوْعِ ذلك، كالياقوت والزَّبَرْجَدِ؛

الثامن عشر: لا ينفخ في الإناء؛

---

(١) قوت القلوب: (١٤٣١/٣).

(٢) قوت القلوب: (١٤٣١/٣).

(٣) في المنشور من المسالك (٣٨٠/٧): العُدوة، وهو تصحيف، وما أثبتناه موافق لما في نسخة القرويين من المسالك، والعروة هي مقبض الكُوز، تاج العروس: (٣٩/٢٥).

(٤) في (ص): الذهب والفضة.

التاسع عشر: يحمد الله ؛

المُوَفِّي عشرين: يجهر بذلك ؛

الحادي والعشرون[١]: يحمده بما ورد في الأثر، فإن اقتصر على الحمد لله أجزأه ؛

الثاني والعشرون: إن كان لَبَنًا قال: الحمد لله، اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه، ولا يقل: وأطعمنا خيرًا منه، إلَّا في غير اللبن ؛

الثالث والعشرون: لا يشرب حارًّا ؛

الرابع والعشرون: يستعذب الماء ؛

الخامس والعشرون: يُبرده ؛

السَّادس والعشرون: يمزجه بالحلاوة ؛

السَّابع والعشرون: لا يشرب خَلِيطَيْنِ ؛

الثامن والعشرون: أن يكون السَّاقِي آخرَهم شُرْبًا[٢].

الفصل الرَّابع: في آداب الفراغ

الأوَّل: يَلْقُطُ ما سقط من الفُتات[٣] ؛

الثاني: يَلْعَقُ[٤] أصابعه ؛

---

(١) في (د) و(س): العشرين.

(٢) سقطت من (س).

(٣) الإحياء: (ص٤٣٧).

(٤) في (س): يعلق، وهو سبق قلم.

الثالث: أو يُلْعِقُها[١]؛

الرابع: يمسحها بالمنديل، وقد روى مالك: «أن عمر كان يمسحها برجليه»[٢]، ورواه غيره؛

الخامس: أن يستعمل الأُشنان، ولست أدري من أين قاله أصحابنا[٣]؟ إلَّا على تَأْوِيلٍ ذكرناه في «شرح الحديث»[٤]، وقد كان من مضى لا يستعمله؛

السَّادس: يتمضمض، وهي سنة قائمة؛

السَّابع: يُبالغ في المضمضة؛

الثامن: أن يدلك أسنانه بأصابعه فيها؛

التاسع: أن يَتَخَلَّلَ؛

العاشر: يغسل يديه[٥]، وفيه خلاف قد تقدَّم؛

الحادي عشر: يحمد الله تعالى؛

الثاني عشر: يجهر به؛

الثالث عشر: ذكر بعضهم أنه يُعْقِبُه بالصلاة على النبي ﷺ، ولست أراه، وقد سئل مالك: هل يُسَمِّي الله إذا توضأ؟ فقال: لا، أيريد أن يذبح؟/ [٢٢/أ]

---

(١) في المسالك (٣٨١/٧): يغسلها.

(٢) النوادر والزيادات: (١٤١/١).

(٣) النوادر والزيادات: (١٤٠/١).

(٤) في المسالك (٣٨١/٧): شرح النيرين.

(٥) في (س) و(د): يده.

الفصل الخامس: في آداب طعام الجماعة

قال علماؤنا - رحمة الله عليهم[١] -: لا يخلو أن يَنْهَدُوا[٢]؛ وهو أن يجعل كل واحد منهم شيئًا شيئًا، فيبتاعوا به ما يأكلونه[٣]، أو يكون الطعام لواحد منهم ويشتركون فيه بدعاء صاحبه إليه[٤]، فعليهم في ذلك آدابٌ ووظائفُ:

الأوَّل: أن يُقَدِّمَ الخَبَرَ[٥] عندهم قبل ذلك بيوم؛

الثاني: أن يفتح بابَه؛

الثالث: أن يُقَدِّمَ إليهم نُزُلًا[٦] يسيرًا حتى يأتي بما جمع؛

الرابع: أن يُقَدِّمَ الخبز قبل الإدام؛

الخامس: ألَّا يُقَدِّمَ ما يكرهه؛

السَّادس: أن يُقَدِّمَ طعامه جملة؛ حتى يقف جميعُهم على جميعِه؛

السَّابع: إن لم يقدمه كلَّه أعلمهم به؛

---

(١) في (ص): رضي الله عنهم.
(٢) في (د): يهدوا.
(٣) في (ص): يأكلون.
(٤) في طرة بـ (س): في خـ: إليهم.
(٥) في المنشور من المسالك (٧/٣٨٢): الخبز، وهو تصحيف، وما أثبتناه موافق لنسخة القرويين من المسالك.
(٦) في المنشور من المسالك (٧/٣٨٢): نزرًا، وهو تصحيف، وفي نسخة القرويين من المسالك: نزلًا، وهو الذي أثبتناه، والنُّزُلُ: ما هُيِّئَ للضيف، فهو قِراه، تاج العروس: (٣٠/٤٨٠).

الثامن: لا ينوي رجوع ما قدَّمه[١]؛

التاسع: لا يصف طعامًا إلَّا أن يكون عنده؛

العاشر: لا يتكلَّف لهم؛

الحادي عشر: لا يدَّخر شيئًا عنهم[٢]؛

الثاني عشر: إن تقدَّمت الدعوة جاز التكلف على قدرهم؛

الثالث عشر: ألَّا يُقَدِّمَهُمْ على عياله؛

الرابع عشر: لا يُطعمهم إلَّا ما يأكل؛

الخامس عشر: لا يُنتظر غير الخبز إذا حضر، ويُبادر بأكله؛

السَّادس عشر: إذا كان صائمًا دَعَا؛

السَّابع عشر: أن يقول في دعائه: «أكل طعامكم الأبرار، وأفطر عندكم الصائمون، وصَلَّتْ عليكم الملائكة»[٣]؛

الثامن عشر: إذا تقدَّم عنده الخبرُ[٤] كان الفطر[٥] أفضل له[٦] من الصوم؛

---

(١) قوت القلوب: (١٤٣٩/٣).

(٢) قوت القلوب: (١٤٣٩/٣).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه عن أنس ﷺ: كتاب الأطعمة، بابٌ في الدعاء لرب الطعام إذا أكل عنده، رقم: (٣٨٥٣-شعيب).

(٤) في المنشور من المسالك (٣٨٣/٧): الخبز، وهو تصحيف، وما أثبتناه موافق لما في نسخة القرويين من المسالك.

(٥) في (س): الفطر عنده.

(٦) سقط من (س).

التاسع عشر: يجمعُ[١] على مائدته بين فقير وغني[٢]؛

المُوَفِّي عشرين: يُحَدِّثُ صاحبُ المنزل القومَ، فإنه جانبٌ من القِرَى؛

الحادي والعشرون[٣]: يخدمهم بنفسه؛

الثاني والعشرون: يُخْدِمُهم أهلَه، وإن كانت عَرُوسًا، وفي ذلك كلام طويل؛

الثالث والعشرون: وإن لم يتَّفق له ذلك لعُذْرٍ قَدَّمَ من يفعله؛

الرابع والعشرون: يبدأ بالأكل؛

الخامس والعشرون: إن دُعِي أجاب، قال مالك: «إلَّا أن يكون من أهل الفضل»، وفيه كلام ونظر؛

السَّادس والعشرون: لا يُحْوِجهم[٤] إلى قوله: كُلْ[٥]؛

السَّابع والعشرون: لا يُكَرِّر على جلسائه: كُلْ[٦]، فإنه إِخْجَالٌ[٧]؛

الثامن والعشرون: لا يستحقر ما دُعِي إليه، وإن كان كُرَاعًا؛

---

(١) في (د) و(س): لا يجمع.

(٢) ينظر: العارضة: (٥/٦٨).

(٣) في (د): العشرين.

(٤) في المنشور من المسالك (٧/٣٨٣): يحرجهم، وهو تصحيف، وما أثبتناه موافق لنسخة القرويين من المسالك.

(٥) قوت القلوب: (٣/١٤١٢).

(٦) في (ص): كلوا.

(٧) قوت القلوب: (٣/١٤١٢).

التاسع والعشرون: إذا حضروا قدَّم ما عنده مُعَجَّلًا، ولم يُبْطِئْ به ليستكثر؛

المُوَفِّي ثلاثين: لا يتخيَّر المدعو على الداعي، إنما يأكل ما حضر؛

الحادي والثلاثون[1]: لا يَجْعَل على مائدته قائمًا[2]؛

الثاني والثلاثون: يأكل ما يشتهي، فإن تركه إيثارًا جاز،

الثالث والثلاثون: لا يدخل موضعًا فيه صورة؛

الرابع والثلاثون: لا يحضر مائدة فيها خَمْرٌ؛

الخامس والثلاثون: إن خُيِّرَ فلا يَتَشَطَّطُ؛

السَّادس والثلاثون: لا يقرن بين لُقْمَتَيْنِ ولا تمرتين إلَّا بإذن الأصحاب؛

السَّابع والثلاثون: إن كان الطعام نِهْدًا[3] فلا يتعمد[4] الزيادة، وإن كان طَعَامَ وَاحِدٍ هو دعاهم فهو أخف[5]؛

---

(١) قوت القلوب: (١٤٣٨/٣).

(٢) بعده في (ز): «وذكر أحمد أن أنسًا كان إذا أوتي بطعامه قِيمَ على رأسه بِمِذَبَّةٍ من صوف، وذلك لكثرة الذباب، فهو عذر»، ولم ترد في النسخ الأخرى، وفي (س) أثبتها بهامش الورقة، ووضع فوقها: ط، أي: طرة، فلا تُلحَق بأصل الكتاب.

(٣) في المنشور من المسالك (٣٨٤/٧): نهرًا، وهو تصحيف، وينظر في معنى النِّهْدِ: تاج العروس: (٢٤٣/٩).

(٤) في (ص): يعتمد.

(٥) في المنشور من المسالك (٣٨٤/٧): أحق، وهو تصحيف.

الثامن والثلاثون:/ ألا يعطي لأحد منه[١] شيئًا إلا بإذن صاحب [٢٢/ب] المنزل؛

التاسع والثلاثون: إذا كان الوقت الذي وعدهم فلا ينتظر من غاب؛

المُوَفِّي أربعين: إذا طَعِمَ انتشر وخرج، ولا يلبث؛

الحادي والأربعون: يجتمعون على الطَّسْتِ، فهو آدَبُ؛

الثاني والأربعون: لا يبزق في الطَّسْتِ؛

الثالث والأربعون: يُدار به يُمْنَةً؛

الرابع والأربعون: بعد أن يتقدم الأفضل، وحينئذ يكون يمنة؛

الخامس والأربعون: يغسل صاحب المنزل آخرَهم إن كان أكل معهم الطعام[٢]؛

السَّادس والأربعون: لا بأس أن يعزل نصيبًا لنفسه أو لغائب إن كان يثق بصاحب الطعام؛

السَّابع والأربعون: لا يتحدث بعد تمام الطعام؛

الثامن والأربعون: لا يُعَدِّدُ تقصيرًا إن رآه[٣]؛

التاسع والأربعون[٤]: لا يطأ حريرًا[٥].

---

(١) في (س): منهم.

(٢) سقط من (س) و(د).

(٣) في طرة بـ (س): خفي.

(٤) في (س) و(د): المُوَفِّي خمسين، وسقط من (ص).

(٥) في (س): حبرًا، وفي (د): حررًا.

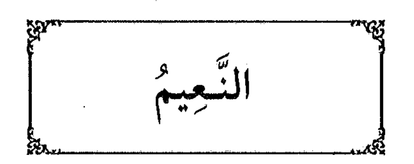
فهذه جملة الآداب[1] مختصرة، وعلى كل أَدَبٍ منها خبر مأثور، وأثر مذكور، وحُجَّةٌ بيِّنة[2]، جماعُها مائةُ أَدَبٍ وأربعةٌ وسبعون أدبًا[3].

* * * * *

(١) في (ص): آداب.

(٢) في (ص): تُبَيِّنُه.

(٣) قال الإمام ابنُ العربي في العارضة (٤٢٥/٧): «كل ما ذكرتُ منها معلَّق بأثر أو بخبر، ولكن لم أُطوِّل بذِكْرِها؛ فإنه لو سُلِكَ ذلك فيه جاء منه كتاب كبير مُفْرَدٌ، وهو مذكور في «أنوار الفجر»، أو يُخرجه الحافظ؛ فإنه إذا سمع المسألة كان معه أحد النِّصْفَيْنِ»، وقال أبو طالب في القُوتِ (١٤١٠/٣): «الطعامُ والأكل يشتمل على مائة وسبعين خصلة، ما بين فرض وسُنَّةٍ، وأدب وفضيلة، واستحباب وكراهة، ومُرُوَّةٍ وفُتُوَّةٍ؛ من طرائق السَّلَفِ، وصنائع العَرَبِ».



النَّعِيمُ

وهو عبارة في اللغة عن الزيادة، وعليه يدل بناءُ[١] «ن ع م» كيفما تردَّد.

أخبرنا أبو المعالي ثابت بن بُندار[٢] البغدادي بها: أنا أبو بكر البَرقاني الحافظ، قال: قرأتُ على أبي العباس بن حمدان[٣]: حدَّثكم الحسن[٤] بن علي السَّرِي[٥]، وذَكَرَ أسانيده[٦]، قال كلهم: حدَّثنا سعيد بن منصور: نا فُلَيح بن سليمان[٧] عن سعيد بن الحارث عن جابر بن عبد الله: «أن رسول الله ﷺ دخل حائط رجل من الأنصار ومعه رجل من أصحابه، وهو يُحَوِّلُ الماء في حائطه، فقال: إن كان عندك ماء بائت في شَنٍّ وإلَّا

(١) في (س) و(د): بيان.

(٢) المقرئ المحدث، أبو المعالي ثابت بن بُندار الدِّينَوَرِي، ثم البغدادي، ابن الحمَّامي البقَّال، (٤١٦-٤٩٨هـ)، كان من أعيان القرَّاء وثقات المحدثين، وأوَّل سماعه عام ٤٢٣هـ، أخذ عنه ابن العربي في بغداد، وسمع منه بداره التي نزل بها في جوار نهر مُعَلَّى، ينظر: العارضة: (٦٩٨/١٠)، وفهرس ابن خير: (ص٥١٢)، وسير النبلاء: (٢٠٤/١٩-٢٠٥).

(٣) ترجمته في: سير النبلاء: (١٩٣/١٦).

(٤) في (ص): الحسين.

(٥) في سير النبلاء (١٩٣/١٦): السُّرِّي.

(٦) في (د) و(ص) و(ز): أسانيد.

(٧) في طرة بـ (س): في خـ: سليم.

كَرَعْنَا؟ قال: بل عندي ماء بَاتَ في شَنٍّ، فانطلق إلى العريش فسكب منه في قَدَحٍ، وحلب عليه داجنًا - يعني: شاة -، فسقى رسول الله ﷺ، ثم عاد إلى العريش ففعل مثل ذلك فسقى صاحبه»[1].

والماء في الأصل يكفي؛ فاستعذابه وتبريده، ومَزْجُه باللَّبَنِ وخلطه بالزبيب، كلُّه نعيم، وقد تقدَّم في حديث أبي الهيثم بن التَّيِّهَانِ قوله: «لتُسألنَّ عن نعيم هذا اليوم»[2].

وروى أحمد بن حنبل عن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاث لا يحاسب بها العبد؛ ظِلُّ حِفْشٍ[3] يستظل به، وكِسْرَةٌ يشدُّ بها قلبه، وثوب يُوَارِي به عورته»[4].

والأصل في ذلك كله[5] بديع عجيب؛ وهو إن كان[6] ما لا بد للعبد منه فلا يُحاسَبُ على ذاته، وما كان له منه[7] بُدٌّ وعنه به غِنًى فهو الذي يُحاسب عليه، والدليل على صحة ذلك أن الذي لا بُدَّ له[8] منه تناوُله

(١) لم أجده من طريق سعيد بن منصور، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأشربة، بابُ شَوْبِ اللبن بالماء، رقم: (٥٦١٣-طوق).

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) في (ص): حصن، والحِفْشُ: - بالكسر- هو البيتُ من شَعَرٍ، من بيوت الأعراب، صغير جدًّا، تاج العروس: (١٧/١٥٥).

(٤) أخرجه الإمام أحمد من طريق الحسن البصري مرسلًا: (ص١٨).

(٥) سقط من (د).

(٦) في (ص): كل.

(٧) في (س): به.

(٨) سقط من (س).

فرضٌ عليه، وما فرض الله على العبد لا يحاسبه[١] عليه[٢]، وإنَّما يُجازيه به، أَمَا إنه يحاسب على جهة كسبه وطريق تملكه خاصَّةً، وهذا من الكلام النفيس فتمسَّكوا به.

تَتْمِيمٌ: [في دُخُولِ الحمَّام وشروطه]

١ [٢٣/أ]

ومن النعيم المشروع/ الإرفاهُ، وذلك بتنظيف البدن من الأقذار زائدًا على الطهارة، ومن[٣] الأنجاس بالادِّهان والحمَّام، وقد بيَّنَّا في «شرح الحديث» حالَ الحمَّام واختلاف الناس فيه، ولا بأس بدخوله مُفْرَدًا، إلَّا أن يكون الرجل مع أهله الذين يجوز له[٤] النظر إليهم ويجوز[٥] لهم النظر إليه، وإن دخله مع الناس تستَّر بصَفِيقٍ من الأُزُرِ، وغضَّ بصره وصَرَفَهُ عن مظانِّ الاهتتاك والانهتاك[٦]، ولكنه يُكره التمادي على ذلك دائمًا حتى يصير الرجل بضًّا نيِّرًا دَهِنًا مُزْهِرًا، ويُسْتَحَبُّ له أن يكون عليه أثرُ الخمول والذبول والشَّعَثِ.

ولمَّا كانت هذه منزلةً عُلْيَا، وكانت الأولى منزلةً سُفْلَى، وكانت أقرب إلى الدنيا؛ سَمَحَ الشَّرْعُ للخلق فيها فِعْلًا، ونَدَبَ إلى الأخرى

---

(١) في (س): يحاسب.

(٢) قوله: «والدليل على صحة ذلك أن الذي لا بد منه تناوله فرض عليه، وما فرض الله على العبد لا يحاسب عليه»، سقط من (د).

(٣) في (ص): من.

(٤) سقط من (س).

(٥) في (س): ولا يجوز، وفي (ص): أو يجوز.

(٦) في طرة بـ (س): الاهتكاك، وفي طرة أخرى: هَتَكَ الستر وغيره يهتكه فانهتك، وتهتَّك جذبه فقطعه من موضعه، فشَقَّ منه جزءًا.

فَضْلًا[١]، ولا يتفق أن يكون الخلقُ كلهم على المنزلة العليا؛ لأن ذلك فساد الدنيا، ولا يُدرك الآخرة إلا أبناؤها الذين عزفوا عن الدنيا، ولم يطمئنوا إليها، وأنزلوها منزلة القنطرة، تُعبر ولا تُعمَر، والطريق يُمَرُّ عليها ولا تُسْكَنُ، والله يُوَفِّقُ لطاعته برحمته.

فإن قيل: فالحمَّام دارٌ يغلب فيها المنكر، فدخولها أقرب[٢] إلى أن يكون حرامًا منه إلى أن يكون مكروهًا، فكيف أن يكون جائزًا[٣]؟

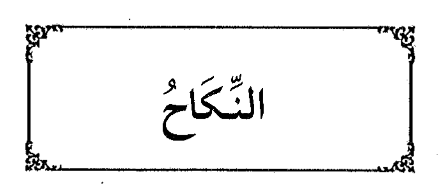
قلنا: الحمَّامُ مَوْضِعُ تَدَاوٍ وتَطَهُّرٍ، فصار بمنزلة النهر؛ فإن المنكر قد غلب فيه بكشف العورات وتظاهر المنكرات، فإذا احتاج إليه المرء دخله ودفع المنكر عن بصره وسمعه ما أمكنه، فالمنكر اليوم في المساجد والبلدان، فالحمَّام كالبلد عمومًا، وكالنهر خصوصًا.

* * * * *

(١) سقط من (ص).

(٢) في (ص): فدخولها إلى أن يكون حرامًا أقرب منه إلى أن يكون مكروهًا.

(٣) ينظر: قوت القلوب: (١٦٤٩/٣).



النِّكَاحُ

إن الله تعالى لو شاء خَلَقَ الأمةَ كلها دَفْعَةً واحدة، وعمَّهم بالرزق جملة، ولكنه سبحانه ببديع حِكْمَتِه ونافذ مشيئته وواسع عِلْمِه وشمول رحمته خلقهم أطوارًا، وأوجدهم قرونًا، وأنشأهم من نفس واحدة إنشاءً؛ على ترتيب عجيب، وتدريج في تدريب، وخَلَقَ في نوعيهم - الذكر والأنثى - الميْل والهوى، ولم يتركهم سُدًى في اقتضائها[1] فيكونوا أمثال الأنعام، فشرع لهم النكاح، ووعد فيه بالتوفيق والإصلاح، وأزال الكُلفة عند تعذر ذلك، ورفع الخَبال، وقد تباينت فيه المِلل، فختم الله بمُحَمَّدٍ فَاتِحَتَها، وألحق به سابقتها، وندب رسول الله ﷺ إليها كثيرًا، حتى بالغ قَوْمٌ فقالوا: «إنه فَرْضٌ على كل محتلم إذا قَدَرَ عليه»[2]، والصحيحُ أنه مندوب إليه.

قال النبي ﷺ: «يا معشر الشباب، عليكم بالباءة؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، فمن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وِجَاءٌ»[3].

---

(١) في (ص): في اقتضائها سدى.

(٢) ممَّن قال بوجوبه أهلُ الظاهر، المسالك: (٥/٤٢٦)، والإشراف: (٢/٦٨٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كتاب الصوم، باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة، رقم: (١٩٠٥-طوق).

وفيه أيضًا: «أنه ﷺ رَدَّ على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أَذِنَ له لاختصيْنا»[١].

فأمَّا اليوم فإنما يقع النظر فيه بين ترجيح فِعْلِهِ أو تركه[٢]، على تَرْكِه أو فِعْلِه، بسبب تكلف الزوج النفقة عليها وعلى الأولاد إن حَدَثُوا، وقد ضاق نطاق الحلال، وغلب في المكاسب الاختلال.

فإنْ قَدَرَ المرءُ على البقاء عفيفًا دون نكاح فالنظرُ في قُوتِ شخص واحد أخفُّ مؤونة من النظر في قوت العيال والبنين.

١ [٢٣/ب]

وإن لم يَكُنْ[٣]/أَقْدَمَ على النكاح واجتهد في طلب الحلال ما استطاع، والله يهبه الخلاص برحمته.

والحكمةُ فيه نفوذ القضاء به، واستبقاءُ[٤] الوجود للخلق المقدور[٥] وُجودهم، وتكثير أمة مُحَمَّدٍ ﷺ.

والناسُ يَرْوُونَ عنه ﷺ أنه قال: «تناكحوا تناسلوا؛ فإني مُكَاثِرٌ بكم الأمم يوم القيامة»[٦]، ولم يصح.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، رقم: (١٤٠٢-عبد الباقي).

(٢) في (س) و(د): وتركه.

(٣) في (ص): يمكن.

(٤) في (س) و(د): استيفاء.

(٥) في (ص): المقدم.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في المصنف: كتاب النكاح، باب وجوب النكاح وفضله، رقم: (١٠٣٩١)، وفيه انقطاع، وأورده الشافعي في الأم بلاغًا: (٦/٣٧٣)، قال ابن المُلَقِّن: «وقد ضعَّفوه»، البدر المنير: (٧/٤٢٣).

أمَا إنَّ الذي ثبت في الصحيح - واللفظ للبخاري -: عن أنس بن مالك قال: «جاء ثلاثةُ رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تَقَالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أمَّا أنا فأصلي الليل أبدًا، وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر[١]، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أمَا والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سُنَّتِي فليس مني»[٢]، فأوضح ﷺ الشريعة، وبيَّن السنة والطريقة.

وفيه: عن سعيد بن جبير قال: «قال لي ابن عباس: تزوجتَ؟ قلت: لا، قال: فتزوج؛ فإن خير هذه الأمة أكثرها نساء»[٣].

وقال سعد بن أبي وقاص: «رَدَّ رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أَذِنَ له لاختصينا»[٤].

وقال فيه: عن عبد الله بن مسعود: «كنا نغزو مع رسول الله ﷺ وليس لنا شيء، فقلنا: ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك، ثم رخَّص لنا أن تُنكح

---

(١) في (د): ولا أفطر أبدًا.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: كتاب النكاح، الترغيب في النكاح، رقم: (٥٠٦٣-طوق).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب النكاح، باب كثرة النساء، رقم: (٥٠٦٩-طوق).

(٤) تقدَّم تخريجه.

المرأة بالثوب، ثم قرأ علينا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة:٨٩]»[١].

[قَوْلُ الشَّافِعِي: إن التخلي للعبادة أفضل من النكاح]:

قال القاضي أبو بكر[٢] رضي الله عنه: لقد عَجِبْتُ من الشافعي مع فِقْهِهِ وبَدِيع فَهْمِهِ يقول[٣]: إن التخلي للعبادة أفضل، إلَّا ألَّا يقدر على الصبر عن[٤] النساء، لقول الله تعالى في قصة يحيى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عمران:٣٩]، وهو الذي لا يأتي النساء مع القدرة على إتيانهن، فمدح الله به، ولو كان النكاح أفضل ما مدح الله به.

وأيضًا: فإن عَقْدَ النكاح عقد معاملة، فالاشتغال به دون الاشتغال بالعبادة كالبيع، وهذا تَفَقُّهٌ[٥]، وذلك أن المعاملات شُرِعَتْ للعباد، والعبادة شُرِعَتْ للمَوْلَى، ونصيبُ المولى أشرف من نصيب العباد.

يزيده تحقيقًا: أن النكاح شُرع لقضاء الشهوة التي تتعلَّق بهوى النفس وحظ البدن، فالعبادةُ التي شُرعت لطاعة الله بقَصْدِ القلب أفضل منه، كما

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والخصاء، رقم: (٥٠٧٥-طوق).

(٢) في (د): قال الفقيه القاضي، وفي (ص): قال الشيخ الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ز): قال الفقيه الإمام.

(٣) الأم: (٦/٣٧٦-٣٧٧).

(٤) في (س): على، ومرضها، وأثبت بالطرة ما أثبتنا وصحَّحه.

(٥) في (ص): لفقه.

كان الصيام[١] أفضل من الأكل، إلَّا أن يخشى[٢] العَنَتَ[٣] على نفسه فيكون النكاح له أفضل، فرارًا عن الزنى، فإن تَرْكَ الزنى فريضة، ألا ترى أنه إذا اضطُرَّ إلى الأكل افتُرِضَ عليه، وإذا أراد الصوم في مرضه كان الفطرُ له أولى.

انفصال: [في نقد قول الشافعي]

وهذا كله لا يُحتاج إليه[٤]، ولا يصحُّ الاحتجاج به مع ما قدَّمنا من الآثار الصِّحاح.

وقد قال النبي ﷺ: «من رَغِبَ عن سُنَّتِي فليس مني»[٥]، فجعل النكاح سُنَّةً مطلقة/، وعبادةً مُبْتَدَأَةً، ولم يجعله معاملة، ولا أخرجه مخرج الأكل بالعادة والجِبِلَّةِ، وهذا ما لا جواب له عنه، لا سيما وقد ردَّ رسولُ الله ﷺ على أصحابه التخلي للعبادة، وهذا نصٌّ آخَرُ لا كلام فيه له، وردُّه التبتل نَصٌّ ثالثٌ.

١ [٢٤/أ]

وأمَّا تَعَلُّقُه بقصة يحيى عليه السَّلام؛ فذلك شَرْعُ من قبلنا لا شرعنا، وهو لا يرى شَرْعَ من قبله شرعًا له، فكيف يحتج علينا بما لا يراه؟

---

(١) سقطت من (ص).

(٢) في (ص): يخاف.

(٣) في (ص): على نفسه العنت.

(٤) قوله: «لا يحتاج إليه» سقط من (ص).

(٥) تقدَّم تخريجه.

ونحن نعتقد أن شَرْعَ من قبلنا شرعٌ لنا ما لم يَرِدْ من شرعنا ما يردُّه، وقد رَدَّه النبي ﷺ كما قدَّمناه[١] وبيَّنَّاه[٢].

وأمَّا قوله: «إنها معاملة»، فهو نَظَرٌ إلى ظاهره وصُورَتِه في العَقْدِيَّةِ واقتضاء الشهوية[٣]، وليس له أن ينظر إلى الصُّوَرِ ويترك المعاني؛ فإنه ليس من أصله ذلك، ولو كان التخلي للعبادة خيرًا من النكاح نظرًا إلى صورته ما قَطَعَ النبي عليه السَّلام حُكْمَ الصورة بالسُّنَّةِ، ولا خَلَقَه الله مُقْبِلًا عليه، راغبًا فيه، قادرًا على اقتضاء الشهوة منه.

فإن الله تعالى لم يَعْجِنْ طِينَتَهُ في أصل الوَضْعِ إلَّا على أكرم السَّجَايَا وأَجَلِّ الصفات وأطهر الأخلاق، كما جعل مِلَّتَه خيرَ المِلَلِ، وسُنَّتَه أفضل السنن، وهو خير الرسل، وليس في مدح حال يحيى عليه السَّلام ما يدلُّ على أنه أفضل من النكاح، فإن مَدْحَ الصفة في ذاتها لا يقتضي ذمَّ غيرها، وهذا لِفِقْهٌ صحيح.

وذلك أن النكاح لم يفضل التخلي للعبادة بصُورته، وإنما تميَّز عنه بمعناه في تحصيل الناس، وبقاء الولد الصالح، وتحقيق السُّنَّةِ[٤] في النَّسَبِ والصهر، فقضاءُ الشهوة في النكاح ليس مقصودًا في ذاته، وإنَّما أكَّد النكاح بالأمر قولًا، وأكَّده بخلق الشهوة خِلْقَةً، حتى يكون ذلك أدعى للوفاء

(١) سقطت من (ص).
(٢) ينظر: العارضة: (٥/١٠-١١).
(٣) في (س) و(د): الشهوة.
(٤) في (ص): المِنة.

بمصالحه، وللتيسير[1] بمقاصده، وهذا أَمْرٌ غاب عن الشافعي، وتفطَّن له مَالِكٌ وغيرُه من العلماء[2]، والله أعلم.

تَوْكِيدٌ:

ومن الثابت برهانُه على فَضْلِ النكاح أنه يجوز مع الإعسار[3]، ولا ينتظر به حالة الثروة، بل هو سببها إن كانَا فقيرين، قال الله سبحانه: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور:٣٢]، فندب إلى النكاح ووعد به الغنى والإصلاح، وقولُه صِدْقٌ، ووعدُه حَقٌّ[4].

وفي الصحيح: «جاءت امرأةٌ إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، جئت أهبُ لك نفسي، فنظر إليها رسول الله ﷺ؛ فصَعَّدَ النظر فيها وصَوَّبَه، ثم طأطأ رأسه[5] ﷺ[6]، فلمَّا رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئًا جلست، فقام رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله زَوِّجْنِيهَا إن لم تكن لك بها حاجة، فقال: وهل عندك من شيء/ تُصْدِقُها به؟ فقال: لا، والله يا رسول الله، فقال: اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئًا؟ فذهب ثم رجع، فقال: لا، والله يا رسول الله، ما وجدتُ شيئًا، فقال رسول الله ﷺ: انظر

[٢٤/ب]

---

(١) في (ص): التيسير.

(٢) المسالك: (٥/٤٢٥).

(٣) في (س): الاعتبار.

(٤) المسالك: (٥/٤٢٩)، والأحكام: (٣/١٣٧٩).

(٥) سقط من (ص).

(٦) في (د) و(ز): رسول الله ﷺ رأسه.

ولو خاتمًا من حديد، فذهب ثم رجع، فقال: لا، والله يا رسول الله، ولا خاتمًا من حديد، ولكن هذا إزاري - قال سهل: ما له رداء - فلها نِصْفُه، فقال رسول الله ﷺ: ما تصنع بإزارك؟ إن لَبِسْتَهُ لم يكن عليها منه شيء، وإن لَبِسَتْهُ لم يكن عليك شيء، فجلس حتى إذا طال مجلسه قام، فرآه رسول الله ﷺ مُوَلِّيًا، فأمر به فدُعِيَ، فلمَّا جاء قال: ما معك من القرآن؟ قال: معي سورة كذا وكذا، عَدَّدَها، فقال[1]: تقرؤهن عن ظهر قلبك؟ قال: نعم، قال: اذهب فقد مَلَّكْتُكَها بما معك من القرآن»[2].

وهذا نَصٌّ في نكاح من لا يقدر على فِطْرِ تلك الليلة التي يَبْنِي بها فيها.

وقد يؤلف الله بينهما في أَبْرَكِ وَقْتٍ، وقد يجمع بينهما في وقت لا بركة فيه، والأمر مُغَيَّبٌ، فلهذه[3] الدقيقة شرع الله الطلاق؛ فيخرج به عن قَيْدِ النكاح إذا لم يستقم لهما أن يُقِيما فيه حدودَ الله.

[الوَصَاةُ بالنساء]:

وعلى الرجل بفَضْلِ قَوَّامِيَّتِه التي جعل الله له أن يداريها، وذلك باحتمال أذاها، والصبر على أخلاقها، والإغضاء عمَّا يراه من تفريطها.

قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، واستوصوا بالنساء خيرًا، فإنهن خُلِقن من ضِلَعٍ، وإن أعوج

---

(١) في (س): قال.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد رضي الله عنه: كتاب فضائل القرآن، باب القراءة عن ظهر قلب، رقم: (٥٠٣٠-طوق).

(٣) في (س) : ولهذه.

شيء في الضِّلَعِ أعلاه، فإن ذهبت تُقِيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوجَ، فاستوصوا بالنساء خيرًا»[١].

وفي الصحيح: أنَّ ابن عمر كان يقول: «كنَّا نَتَّقِي الكلام والانبساط إلى نسائنا على عهد النبي عليه السلام هَيْبَةً أن يَنْزِلَ فينا شيء، فلمَّا تُوُفِّيَ النبي ﷺ تكَلَّمنا وانبسطنا»[٢].

خاتمة[٣]:

ويجوز له[٤] النكاح رَغْبَةً في مال الزوجة لتعود عليه بفضلها، ففي الصحيح: «تُنْكَحُ المرأة لجمالها ومالها ودينها، فاظفر بذات الدين تَرِبَتْ يداك[٥]»[٦].

مقاصد النكاح عشرة:

الأوَّل منها: ينبغي للمرء أن يتخيَّر في الأزواج، كما ندب إليه النبي ﷺ في هذا الحديث، ومن المأثور في ألسنة الناس[٧]: «تَخَيَّرُوا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء، رقم: (٥١٨٦-طوق).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء، (٥١٨٧-طوق).

(٣) في (ص): حالة.

(٤) سقط من (د).

(٥) في (د) و(ص) و(ز): «تنكح المرأة لجمالها ومالها ودينها، وعليك بذات الدين تربت يداك».

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، رقم: (٥٠٩٠-طوق).

(٧) في (س) و(د): المأثور في السنة.

لنُطَفِكم»[١]، ولم يصحَّ، لكن قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ نساءٍ ركبن الإبل صالحُ نساء قريش؛ أحناه على وَلَدٍ في صغره[٢]، وأرعاه على زوج في ذات يده»[٣].

الثاني: أن يفعل ما قال النبي ﷺ: «ثلاثة يؤتون أجورهم مرَّتين، فذكر رجلًا كانت عنده وليدة فعلَّمها فأحسن تعليمها، وأدَّبها فأحسن تأديبها، ثم أعتقها وتزوَّجها، فله أجران، ورَجُلٌ آمَنَ بنبيِّه وآمَنَ بي، وعَبْدٌ أدَّى حقَّ الله وحقَّ مَوَالِيه»[٤].

الثالث: أن يطلب البِكْرَ/ إذا قَدَرَ عليها، لقول النبي ﷺ لجابر: [٢٥/أ] «وقال له[٥]: تزوجت، فقال له: أبِكْرًا أم ثَيِّبًا؟ قال: ثَيِّبًا، قال: فهَلَا بِكْرًا تلاعبها وتلاعبك، قال: إن أبي قُتِلَ يوم أُحُدٍ، وتَرَكَ لي تسع أخوات، فأردتُ أن أتزوج عليهن من يقوم بهن، وكرهتُ أن أتزوج عليهن مثلهن»[٦].

---

(١) أخرجه الدارقطني في سننه عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا: كتاب النكاح، رقم: (٣٧٨٨)، قال ابن حجر: «مداره على أناس ضعفاء»، تلخيص الحبير: (٣/٣٠٤).

(٢) في (س) و(د): صغر.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب النكاح، باب إلى من ينكح، وأي النساء خير، وما يستحب أن يتخير لنطفه من غير إيجاب، رقم: (٥٠٨٢-طوق).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ جميع الملل بملته، رقم: (١٥٤-عبد الباقي).

(٥) بعده في (ص): جابر.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: كتاب النكاح، باب تستحد المُغِيبة وتمتشط، رقم: (٥٢٤٧-طوق).

الرابع: أن لا يخطب ولا ينكح ولا يُواعد في العدَّة.

الخامس: ألَّا يتزوَّج حتى يرى إن أمكن، وفي ذلك حديثان صحيحان؛

أحدهما: حديث الواهبة، وقد تقدَّم[١].

الثاني: حديث عائشة؛ قالت: «قال لي رسول الله ﷺ: أُرِيتُكِ في المنام، يجيء المَلَكُ بكِ في سَرَقَةٍ من حرير، فقال لي: هذه امرأتك، فأكشف عن[٢] وجهك الثوب، فإذا هي أنت، فقلتُ: إن يَكُ هذا من عند الله يُمْضِهِ»[٣].

[رؤيا الأنبياء]:

ولم يشكَّ ﷺ فيما رأى، «فإن رؤيا الأنبياء وَحْيٌ»[٤]، وإنما احتمل عنده أن تكون الرؤيا اسمًا، أو[٥] تكون كُنية، فإن الرؤيا[٦] أسماء وكُنًى، فسمُّوها بأسمائها، وكنُّوها بكُناها، واسمُها أن تخرج بعينها، وكُنيتها أن تخرج على مثالها، وهي أختها، أوقرينتها[٧]، أو جارتها، أو سَمِيَّتُها.

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) في (ص): عنك.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة ﵂: كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ عائشة وقدومها المدينة وبنائه بها، رقم: (٣٨٩٥-طوق).

(٤) أخرجه البخاري من حديث عبيد بن عمير موقوفًا: كتاب الوضوء، باب التخفيف في الوضوء، رقم: (١٣٨-طوق).

(٥) في (ص): واحتمل أن.

(٦) في (ص): للرؤيا.

(٧) في (ص): قريبتها.

السَّادس: أن يشترط لنفسه وتشترط هي عليه، ولا يكون في جملة الشروط طلاق، قال النبي ﷺ: «لا تسأل المرأة طلاقَ أختها لتكتفِي صَحْفَتها، ولتَنْكِحْ، فإنَّما لها ما قُدِّرَ لها»[١].

فإذا وقع الشرط وجب لها[٢] الوفاء، سواء كان مُعَلَّقًا بيَمِينٍ، أو لم يُعَلَّقْ بيمين، قال النبي ﷺ: «أحق الشروط أن يُوفَى به ما استحللتم به الفروج»[٣]، وهذا نَصٌّ، وهو تَفَقُّهٌ[٤] صَحِيحٌ، وذلك أن حِلَّ الفَرْجِ ما وَقَعَ عِوَضًا فيه أو شَرْطًا له كان في الإخلال به إخلالٌ[٥] بالحِلِّ[٦].

فأمَّا إن عَلَّقَ الشرط بيَمِينٍ فإنه لا يلزمه الوفاءُ به، وخرج عن العهد[٧] الذي يلزم الوفاءُ به إلى الأيمان التي لها حُكْمٌ آخَرُ معلومٌ في بابها[٨].

السَّابع: أنه يجوز له أن يتخذ فيه اللهو؛ كالدُّفِّ والمزمار، ففي الصحيح: «أن عائشة ﵂ قالت: زُفَّتِ امرأة إلى رجل من الأنصار، فقال نبي الله ﷺ: يا عائشة، ما كان معكم لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو»[٩].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﵁: كتاب النكاح، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح، رقم: (١٤٠٨-طوق).

(٢) في (د) و(ص) و(ز): به.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر ﵁: كتاب النكاح، باب الوفاء بالشروط في النكاح، رقم: (١٤١٨-عبد الباقي).

(٤) في (ص): وهذا لفقه.

(٥) في (ص) و(س): إخلالًا.

(٦) في (د): في الحل.

(٧) في (د) و(س): العبد.

(٨) المسالك: (٤٧٨/٥).

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين ﵂: كتاب النكاح، باب النسوة اللاتي يهدين المرأة إلى زوجها ودعائهن بالبركة، رقم: (٥١٦٢-طوق).

وقال أبو بكر ﷺ: «أَمُزْمُور الشيطان في بيت رسول الله ﷺ؟ لجَوَارٍ سمعهن يُغَنِّينَ في بيت عائشة، فقال له النبي ﷺ: دعهما[١] يا أبا بكر، فإنه يوم عيد»[٢].

فأبان رسولُ الله[٣] ﷺ جوازه في الجملة، ولكن من غَيْرِ تَوَالٍ إلَّا مُعَلَّقًا بالأسباب؛ كيوم العيد وللعرس[٤] وغيره[٥].

الثامن: يُولِمُ بما قَدَرَ عليه، وأقله شاة، فإن لم يقدر فمُدَّيْنِ من شعير، وهو[٦] أقلُّ ما أَوْلَمَ به النبيُّ ﷺ على بعض أزواجه[٧]، صَحِيحٌ[٨].

١

[٢٥/ب] ويُطْعِمُ الفقراء والمعارف، ففي الصحيح عن أنس: «أن النبي ﷺ كان إذا مَرَّ بخيمات[٩] أُمِّ/ سُلَيم دخل عليها فسلَّم عليها، ثم كان النبي ﷺ عروسًا بزينب، فقالت لي أم سُليم: لو أهدينا إلى رسول الله ﷺ هدية، فقلت لها: افعلي، فعمدت إلى تمر وسمن وأَقِطٍ فاتخذت حَيْسَةً[١٠] في بُرمة، فأَرْسَلَتْ بها معي إليه، فانطلقتُ بها إليه، فقال: ضعها، ثم أمرني

---

(١) في (س) و(د): دعها.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة ﷺ: كتاب العيدين، باب سنة العيدين لأهل الإسلام، رقم: (٩٥٢-طوق).

(٣) في (د) و(ص) و(ز): ﷺ.

(٤) في (ص): العرس.

(٥) العارضة: (٣٧/٥)، (١٣٢/٦).

(٦) في (د): هذا.

(٧) ينظر: العارضة: (٣٤/٥).

(٨) في (ص): في الصحيح.

(٩) في طرة بـ (س): في خـ: بخبيات، وهو الذي في (د).

(١٠) في طرة بـ (س): من خطه: الحيس: ثريد من أخلاط.

فقال: ادع لي رجالًا سمَّاهم، وادع من لقيتَ، قال: ففعلت الذي أمرني، فرجعتُ والبيت قد غَصَّ بأهله، فرأيتُ النبي ﷺ وضع يده على تلك الحَيْسَةِ وتكلَّم بما شاء الله، ثم جعل يدعو عَشَرَةً عَشَرَةً، يأكلون منه ويقول لهم: اذكروا اسم الله، وليأكل كل رجل ممَّا يليه، قال: حتى تَصَدَّعُوا كلهم عنها»[١].

التاسع: يَطْلُبُ الولد لقَصْدِ الأجر في وطء الزوجة، لوجوه منها: أن يعصمها ويُبَلِّغَها مطلبها، ففي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «يصبح على كل سُلامى من ابن آدم كل يوم صدقة، ثم ذكر خِصَالًا، فأمْرُه بالمعروف صدقة، ونهيُه عن المنكر صدقة، إلى أن قال[٢]: وبَضْعُه أهلَه صدقة، قيل: يا رسول الله، أيقضي شهوته ويؤجر؟ قال: أرأيت لو وضعها في حرام، أليس[٣] كان يأثم؟»[٤].

العاشر: أن يطلب الولد، ففي حديث جابر في شراء الجمل المشهور أن النبي ﷺ قال له[٥] في آخِرِه: «فإذا قَدِمْتَ فالكَيْسَ الكَيْسَ»[٦]، يعني: الولد.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: كتاب النكاح، باب الهدية للعروس، رقم: (٥١٦٣-طوق).

(٢) قوله: «إلى أن قال» سقط من (س).

(٣) سقط من (س).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه عن أبي ذر رضي الله عنه: كتاب الصلاة، باب صلاة الضحى، رقم: (١٢٨٥)، وأصله في الصحيح.

(٥) سقط من (س) و(د).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن جابر رضي الله عنه: كتاب البيوع، باب شراء الدواب والحمير، رقم: (٢٠٩٧-طوق).

[حقوقُ الزوجيَّة]:

قال القاضي الإمام أبو بكر[١] رضي الله عنه: وبين الزوجين حُقُوقٌ تتعيَّن[٢] لكل واحد على الآخر، وحقوقُ الزوج على الزوجة أكثر وآكَدُ، قال الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء:٣٤].

وقال النبي ﷺ في خطبته يوم حجة الوداع، فذكَّر ووعظ، فذكر في الحديث نصَّه فقال: «ألا واستوصوا بالنساء خيرًا، فإنهن عوان عندكم، ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك، ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [الطلاق:١] فإن فعلن فـ﴿اهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ ضربًا غير مُبَرِّحٍ، ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾، أَلَا إنَّ لكم على نسائكم حَقًّا، ولنسائكم عليكم حَقًّا، فأمَّا حقكم على نسائكم فلا يُوطِئن فُرُشَكم من تكرهون، ولا يَأْذَنَّ في بيوتكم لمن تكرهون، أَلَا وحقهن عليكم أن تُحْسِنُوا إليهن في كسوتهن وطعامهن»[٣]، وهذا ثابت.

---

(١) في (ص): قال الإمام العالم أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي.

(٢) في (د): تتغير.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه عن عمرو بن الأحوص رضي الله عنه: أبواب الرضاع عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، رقم: (١١٦٣-بشار)، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح».

[حَقُّ الوَطْءِ]:

قال القاضي أبو بكر[١] رضي الله عنه: ولم يذكر الوطء لأنه مشترك بينهما، فالزوج هو الذي يطلبه، فإن قصَّر فيه فهل للمرأة[٢] طلبه؟ اختلف الفقهاء في ذلك، والصحيح أن للمرأة أن تطلبه به إذا كان تَرْكُه له ضِرَارًا[٣]، فإن كان لعُذْرٍ لم يكن لها كلام، وهذا أَمْرٌ أجمعت عليه الأمة فيما قرأته، ولولا ذلك لقلت: إن[٤] لها أن تطلبه[٥] به، فإن حقَّ عصمتها واجب لها عليه، فربُّك أعلم بما انتهى إليه إجماع العلماء.

[من حقوق الزوج على زوجته]:

[٢٦/أ]

وقد قال النبي ﷺ: «لو كنتُ/ آمُرُ أحدًا أن يسجد لأحد لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها»[٦].

وقال عليه السَّلام: «لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجُها شاهد إلَّا بإذنه»[٧].

---

(١) في (ص): قال الإمام أبو بكر بن العربي، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي.

(٢) في (ص): للزوجة.

(٣) وهو قول إمامنا مالك رحمه الله، ينظر: العارضة: (٥/٢٠٩).

(٤) سقطت من (ز).

(٥) في (س): تطلب.

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أبواب الرضاع عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حق الزوج على المرأة، رقم: (١١٥٩-بشار).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب النكاح، باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه، رقم: (٥١٩٥-طوق).

وقالت عائشة رضي الله عنها: «لقد كان يكون عليَّ الصوم من رمضان، فما أستطيع أن أقضيه[١] إلَّا في شعبان، للشُّغْلِ برسول الله ﷺ»[٢].

وهذه أحاديث صحاح، ومنها:

قال ﷺ: «يا عبد الله، ألم أُخْبَرْ أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: فلا تفعل، صُمْ وأفطر، وقُمْ ونَمْ؛ فإن لجسدك عليك حقًّا، وإنَّ[٣] لعينك عليك حقًّا، وإن لزوجك عليك حقًّا»[٤].

وهذا نَصٌّ في حق الزوج على زوجها في الوطء، فكيف يتركه؟

ومن حقوق الزوج على المرأة أن ترعى ماله وتحفظه، إلَّا على حقها، ففي صحيح الحديث: «أن هِنْدًا بنت عُتْبَةَ قالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل مِسِّيكٌ؛ لا يعطيني ما يكفيني ووَلَدِي، قال: خُذِي ما يكفيك وولدك بالمعروف»[٥].

---

(١) في (ص): أصوم.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: كتاب الصوم، باب متى يقضى قضاء رمضان؟ رقم: (١٩٥٠-طوق).

(٣) سقط من (س) و(د).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم، رقم: (١٩٧٥-طوق).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: كتاب النفقات، باب إذا لم ينفق الرجل فللمرأة أن تأخذ بغير علمه ما يكفيها وولدها بالمعروف، رقم: (٥٣٦٤-طوق).

إلَّا أن يكون الشيء اليسير، فقد أَذِنَ فيه النبي ﷺ، رُوي أنه قال: «إذا تصدَّقت المرأةُ من بيت زوجها غير مُفسدة كان لها أجرُها بما أنفقت، ولزوجها مِثْلُ ذلك»(١).

[النَّهْيُ عن ضرب المرأة وإهانتها]:

ولا ينبغي أن يُهينها بالسبِّ والضرب؛ ففي الصحيح: قال رسول الله(٢) ﷺ: «لا يجلد أحدكم امرأته جَلْدَ العبد ثم يجامعها في آخِرِ اليوم»(٣).

فإن خافت منه كراهةً أو إعراضًا جاز لها أن تترك حقَّها وتفارقه، وطاب له ذلك إذا لم يكن عن ضِرَارٍ.

ومن حقها عليه ألَّا يَعْزِلَ عنها(٤)، وإنَّما أُذِنَ في العَزْلِ في حق الإماء، على كراهة فيه عند العلماء(٥).

نكتة عظيمة: [في قدرة سليمان ومُحَمَّدٍ عليهما السَّلام على الجِماع]

وهي ما رُوي في الصحيح - واللفظ للبخاري -: عن أبي هريرة: قال النبي ﷺ: «قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأُطِيفَنَّ الليلة بمائة امرأة؛

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: كتاب الزكاة، باب أجر الخادم إذا تصدق بأمر صاحبه غير مفسد، رقم: (١٤٣٧-طوق).

(٢) في (د) و(ص) و(ز): النبي.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن زمعة رضي الله عنه: كتاب النكاح، باب ما يكره من ضرب النساء، رقم: (٥٢٠٤-طوق).

(٤) سقطت من (س).

(٥) العارضة: (٥/٢٠٦).

تلد كل امرأة غلامًا يقاتل في سبيل الله، فقال له الملك: قل: إن شاء الله، فلم يقل ونسي، فأطاف بهن ولم تلد منهن إلا امرأة نصف إنسان[١]، قال النبي ﷺ: لو قال: إن شاء الله، لم يحنث، وكان أرجى لحاجته»[٢].

فاقتضى هذا الخبر أن سليمان كان قادرًا على وطء مائة امرأة - يَنْزِلُ في كل امرأة ماؤه - في ليلة واحدة، وفي رواية: «إحدى وتسعين»[٣]، وفي رواية: «سبعين»، وفي رواية: «ستين»، فربك أعلم.

وهذا ممَّا ليس في قدرة البشر عادة، ولكنَّ الله تعالى يختص بقدرته من يريد، كما يختص برحمته من يشاء، ولسنا نحفظ في ذلك خبرًا صحيحًا غير هذا، إلَّا ما ثبت عن النبي ﷺ: «أنه أُعْطِي قوة ثلاثين رجلًا في الجماع»[٤]، وهذه القوة أكثر من قوة سليمان، وقد كان النبي ﷺ قادرًا عليه، مُحِبًّا فيه، ولكنه لم يكن يبلغ غايته ولا يستوفيه.

وقد آتى الله رسولَه خِصِّيصَةً عُظْمَى؛ وهي قلة الأكل، والقدرة على الجماع، فكان أقنع الناس في الغداء، تكفيه الغُفَّةُ[٥]/، وتقنعه العُلْقَةُ[٦]، [٢٦/ب]

---

(١) سقط من (س).

(٢) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب النكاح، باب قول الرجل لأطوفن الليلة على نسائه، رقم: (٥٢٤٢-طوق).

(٣) في (ص): تسعين.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: كتاب الغسل، باب إذا جامع ثم عاد، ومن دار على نسائه في غسل واحد، رقم: (٢٦٨-طوق).

(٥) الغُفة: البُلغة من العيش، تاج العروس: (٢٤/٢٢٢).

(٦) في (س): البُلغة، وفي (ز): اللُّعقة، والعُلقة: ما يُتبلَّغ به من العيش، وإن لم يكن تامًّا، تاج العروس: (٢٦/١٨٦).

وتُشبعه الحَزَّةُ، وكان أقوى الناس على الوطء، «فكان إذا صلَّى العصر دخل على نسائه فطاف عليهن بغُسْلٍ واحد، ثم يَبِيتُ عند التي هي ليلتها»[١].

وقد اختلف العلماء في ذلك:

فقيل: كان هذا قبل أن يُشْرَعَ القَسْمُ[٢].

وهذا باطل فاسد؛ لأنه لم يُعرف في الشريعة إهمالُه.

وقيل: كان هذا لأن النبي ﷺ كان قادرًا على تَوْفِيَةِ حقوق النساء[٣]، فكان هذا زيادة، وليس يقدر على ذلك غيره.

وقد أخبرنا أبو محمد [عبد الله بن] عبد الرزاق بن فُضَيل بدمشق قال: أنا أبو بكر المالكي: أنا الفسوي[٤].

[ح] أنا أبو بكر بن الوليد ببيت المقدس - واللفظ له - عن أبي بكر بن عبد الباقي قال: قال أبو سليمان الخطَّابي[٥]: «كان رسولُ الله ﷺ بشرًا مخلوقًا على خلْق[٦] الجِبِلَّةِ الآدمية، والناس يختلفون في تركيب

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة ﵂: كتاب النكاح، باب دخول الرجل على نسائه في اليوم، رقم: (٥٢١٦-طوق).

(٢) هو قول الإمام أبي سليمان الخطابي، أعلام الحديث: (٣/٢٠٠٧).

(٣) في طرة بـ (س): الأزواج، وصحَّحها، كما صحَّح ما أثبتنا.

(٤) في (س) و(د): الغنوي.

والفسوي: هو الحافظ محمد بن عبد الملك الفارسي، ذكره الذهبي في تلاميذ الخطابي، وهو أحد رواة كتابه في شرح البخاري، ينظر: فهرس ابن خير: (ص٢٥٣)، وسير النبلاء: (١٧/٢٤).

(٥) بعده في (س): قال.

(٦) في (ص): حكم.

الخِلْقَةِ، ولا خلاف بين العقلاء أن من صحَّت بِنْيَتُه، وقَوِيَتْ جُثَّته، واستقامت هيئته[١]، حتى يكون على الصفة التي جاءت في الأخبار عن رسول الله ﷺ؛ من حُسن النعت، وجمال الهيئة، ونضارة اللون، وإِشْرَابِ الحُمرة، وقوة البطش، وشدة الأَسْرِ، إلى سائر محاسن الصفات، التي من كان على خلافها كان منسوبًا إلى ضعف المُنَّةِ[٢]، ونقص القدرة[٣]»[٤].

وقد قال لي أبو القاسم بن المنفوخ[٥] الطبيب بمصر عن ابن رضوان[٦] الطبيب: «إن صفة محمد ﷺ دليلٌ على قوته، لأن تلك الخلقة المروية لا تكون أبدًا إلا لمن خُصَّ بالمرتبة[٧] النبوية»[٨].

وقد بيَّنا ذلك بتأويله وتحقيقه في «كُتُبِ الأصول»، وخاصة في كتاب[٩] «العواصم من القواصم»[١٠].

---

(١) في طرة بـ (س): في خـ: همته.
(٢) المُنة: القوَّة، تاج العروس: (١٩٥/٣٦).
(٣) في (ص): النحيزة.
(٤) أعلام الحديث للخطابي: (٢٠٠٧/٣-٢٠٠٨).
(٥) لم أجد ما يفيد في تجلية أمره، وغالب الظن أن يكون من أهل مصر، وذكره في العواصم: (ص١٩٢)، وفي المطبوع منه: المنفرج، وهو تصحيف، صوابه ما أثبت، وذكر القاضي أنه سمع منه بزُقاق القناديل.
(٦) توفي عام ٤٥٣هـ بمصر، ترجمته في: عيون الأنباء لابن أبي أُصَيبعة: (ص٥٦١-٥٦٧).
(٧) في (د): المزية.
(٨) العواصم: (ص١٩٢).
(٩) سقط من (ص).
(١٠) العواصم: (ص١٩٢-١٩٣).

قال الإمام القاضي[١] **أبو بكر بن العربي** رضي الله عنه: وإذا تأمَّلت إلى الفضائل العربية[٢] رأيتَ أن العرب كانت تتباهى بقوة النكاح، وتَذُمُّ من ضَعُفَ فيه وقَصُرَ شَبْرُه، وقد قالت شاعرة العرب حين خطبها دُرَيْدُ بن الصِّمَّة[٣]:

معاذ الله يَنْكِحُني حَبَرْكَى ... قصيرُ الشَّبْرِ من جُشَمِ بن بَكْرِ

والحَبَرْكَى: هو المُتَنَاهِي في ضعف المُنَّةِ والمُوَهَّنُ[٤].

وكان عندها قلة الطُّعْمِ وضعف المطعم والاجتزاء بالعُلْقَةِ محمودًا مُمَدَّحًا، وإذا كان متمجعًا أكولًا ذَمَّتْهُ.

وفي حديث أم[٥] زرع في صفة الابن: «مضجعه كمَسَلِّ شَطْبَةٍ، وتُشْبِعُه ذِرَاعُ الجَفْرَةِ»[٦].

وكانت تَمْدَحُ بِقِلَّةِ التلفت إلى ذلك والاهتبال به، ألا ترى إلى قول الأعشى[٧]:

---

(١) في (ص) و(ز): الحافظ.

(٢) في (ص): الغريبة.

(٣) من بحر الوافر، وهو من قصيدة للخنساء، وهو في ديوانها: (ص٣٧٢)، برواية: «يرضعني»، قالتها في دريد بن الصمة لما خطبها، ورواية: «ينكحني» في الأغاني: (١٥/٧٤)، وأساس البلاغة: مادة (ش ب ر)، وغيرهما، وفي التاج نقله عن الجوهري: «فلستُ بمُرْضِعٍ»، تاج العروس: (٢٧/١٠٦).

(٤) في (ص): الوهن.

(٥) في (س) و(د): أبي.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: كتاب النكاح، باب حسن المعاشرة مع الأهل، رقم: (٥١٨٩-طوق).

(٧) البيت من بحر البسيط، وهو لأعشى باهلة؛ أبي قحافة عامر بن الحارث، من =

لا يتأرَّى[١] لما في القِدْرِ يرقبه ... ولا يَعَضُّ على شُرْسُوفِهِ[٢] الصَّفَرُ

يعني: لا يجد مسَّ الجوع.

وقال مُتَمِّمٌ[٣]:

لقد كفَّن المنهال تحت ردائه ... فتًى غير مِبْطَارِ العَشِيَّاتِ أَرْوَعَا[٤]

= قصيدة يرثي بها أخاه لأمه، وهي في الأصمعيات: (ص٩٠)، والكامل للمبرد: (٢/٢٣٤)، والتعازي والمراثي له: (ص٢٤)، وأمالي المرتضى: (٢/٢٢).

لا يتأري: لا يتحبس.

الشرسوف: رأس الضلع مما يلي البطن.

الصفر: دابة -زعموا- تعض الضلوع والشراسيف إذا جاع الإنسان.

وبعضهم يذكره هكذا:

لا يَغْمِزُ السَّاقَ من أَيْنٍ ومن وصب ... ولا يَعَضُّ على شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ

لا يتأَرَّى لما في القدر يرقبه ... ولا يَزَالُ أَمامَ القَوْمِ يَقْتَفِرُ

يقتفر: من الاقتفار؛ وهو اتباع الأثر.

(١) في (س): يتأوى، وفي (ز): يتأدى.

(٢) في (س) و(د): شرصوفه.

(٣) البيت من بحر الطويل، وهو لمُتَمِّم بن نُوَيرة، من قصيدة يرثي أخاه مالكًا؛ الذي قتله خالد بن الوليد في القصة المشهورة، وهي في المفضليات: (ص٢٦٥).

(٤) بعده في طرة بـ (ص): أخبرنا القاضي أبو المطهر: أنا أبو نعيم الحافظ: أنا ابن خلَّاد: أنا أبو محمد: نا عبد العزيز بن أبان: نا إسرائيل عن ثوير عن مجاهد قال: «أعطي رسول الله ﷺ قوة أربعين رجلًا، كل رجل من أهل الجنة»، وصحَّحها.

ولقد كان ﷺ يَطْوِي الأيام، ويواصل الليالي، ويَتَجَوَّعُ حتى ينحني عمود ظهره، ويَشُدُّ الحَجَرَ على بطنه، وقد أُوتِيَ الكنزين[١] فردَّهما تواضعًا[٢]، ودعا إلى المناكحة/ رَدًّا على تبتل النصارى. [٢٧/أ]

وقد قال لي أبو بكر الفِهْرِي[٣]: «إن الله تعالى لمَّا أراد من شَرَفِ رسوله ﷺ عن تطلع النفس إلى ما في حَوْزِ أُمَّتِه، والنظر إلى شيء غيره، أباح له أن يتزوَّج ما شاء، وأُمَّتُه لمَّا ضاق[٤] ذلك عليهم قُصِرُوا على ما يقدرون[٥]».

وقد رُوِي عن بعض العرب أنه قَدِمَ على أهله فنَحَرَ بعيرين، فأكل أحدَهما، وأكل أهلُه الآخر، ودَنَا لينالها فحالت بطونهما بينهما، فقالت له: كيف تنالني وبيني وبينك بعيران[٦]؟

فجمع الله لرسوله ﷺ فضل القناعة، وكثرة الباءة، وشرَّفه بذلك على الأمة.

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه عن ثوبان رضي الله عنه: أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في سؤال النبي ﷺ ثلاثًا في أمته، رقم: (٢١٧٦-بشار).

(٢) في (ص): فنبذهما نزاهة.

(٣) هو الإمام الطُّرطوشي، وقد تقدَّم التعريف به.

(٤) في (ص): جاز.

(٥) في (ص): يعولون.

(٦) في (س) و(د): بعيرين.

أخبرنا القاضي[1] أَبُو[2] المُطَهَّرِ[3] قال: حدَّثنا أبو نُعَيم[4] الحافظ، قال: حدَّثنا ابن خلَّاد، قال: أخبرنا أبو محمد[5]: نا[6] عبد العزيز بن أبان، قال[7]: أنا إسرائيل عن ثُوَير[8] عن مجاهد قال: «أُعطي رسول الله ﷺ قوة أربعين رجلًا؛ كل رجل من أهل الجنة»[9].

---

(١) سقط من (س) و(د).

(٢) في (د) و(س): ابن، وهو تصحيف.

(٣) الفقيه القاضي، أبو المُطَهَّر الأَثِيرِي، سعد بن أَثِير الدولة أبي محمد عبد الله بن أبي الرجاء الأصبهاني، شيخ الشافعية بها، لقيه ابن العربي ببغداد وسمع منه عام ٤٩٠هـ، يروي عنه «المسند» للحارث بن أبي أسامة، و«كتاب العقل» لداود بن المحبَّر، وخرَّج له في جزء «مصافحة البخاري ومسلم»، وأفاد منه في «مسائل الخلاف»، فنشر بعضًا من أقواله واعتلالاته في كتبه؛ «القبس»، و«العارضة»، ينظر: قانون التأويل: (ص١٠٥)، وفهرس ابن خير: (ص٢١٤)، ورحلة ابن رُشَيد: (٢/٢٦٤)، وتاريخ الإسلام: (١٠/٦٤٩)، ومقدمة العارضة لطارق الشيباني: (ص١٣١).

(٤) في (س) و(د): تميم.

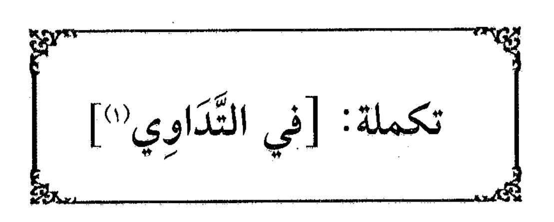
(٥) هو الإمام الحافظ الحارثُ بن أبي أسامة، صاحب المسند، توفي عام ٢٨٢هـ.

(٦) سقطت من (س) و(د) و(ز).

(٧) سقط من (ص).

(٨) في (س) و(د): ثور، وهو تصحيف.

(٩) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده: كتاب علامات النبوة، باب فيما فضَّله الله به وأَجَلَّه ﷺ، رقم: (٩٤٤-بغية الباحث)، وأخرجه ابن سعد في طبقاته: (١/٣٢٢)، والحديث لا يصح.



تكملة: [في التَّدَاوِي[1]]

قد قدَّمنا[2] أصولَ ضَرُورات الآدمي وضِرَاراته[3] ومنافعه في مقامه الأوَّل، وهي الحياة الدنيا - وأوضحنا ما لا غنًى به عنه - في طعامه وشرابه ونكاحه، وقد تطرأُ عليه بعد تناوله لهذه عَوَارِضُ تقطع به عن عباداته وعاداته في ذلك وحاجاته، فإذا تغيَّر بها حالُه يسمى مرضًا، وهو مقدمة الموت الذي المصير إليه، فإذا وجد ذلك المرءُ فليعلم أن الله تعالى قد ذكره بخير، وأراد تكفير ذنوبه، قال النبي ﷺ: «من يُرِدِ الله به خيرًا يُصِبْ منه»[4]، رواه أبو هريرة، واللفظ للبخاري.

وفيه عنه: «مَثَلُ المؤمن كمثل الخامة من الزرع، من حيث أتتها الريحُ كفأتها، فإذا اعتدلت تُكْفَأُ بالبلاء، والفاجر كالأَرَزَةِ، صمَّاء معتدلة، حتى يقصمها الله إذا شاء»[5].

---

(١) ينظر: العارضة: (٨/٢٥٩)، والمسالك: (٧/٤٤٥)، وشرح ابن بطَّال: (٩/٣٩٤).

(٢) بعده في (س) و(د): أن.

(٣) في (س) و(ز): ضرارته.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الطب، ما جاء في كفارة المرض، رقم: (٥٦٤٤-طوق).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الطب، ما جاء في كفارة المرض، رقم: (٥٦٤٤-طوق).

وأَوْهَمَ قَوْمٌ في هذا الحديث فظنُّوا أن معناه: «يُذْنِبُ العبد ثم يتوب ويعود إلى الحق».

وقد بيَّن النبي ﷺ أن هذا الاختلاف يرجع إلى الصحة والمرض لقوله: «تُكْفَأُ بالبلاء»، **وهذا نَصٌّ**.

وروى الحارث بن سُوَيد عن عبد الله قال: «أتيتُ النبي ﷺ في مرضه وهو يُوعَكُ[1] وَعْكًا شديدًا، فقلتُ: إنك تُوعَكُ وَعْكًا شديدًا، فقال: أجل؛ إني أُوعَكُ كما يُوعَكُ رجلان منكم، قلت: إن لك لأَجْرَيْنِ، قال: أجل، ذلك كذلك، ما من مسلم يُصِيبُه أَذَى شوكةٍ فما فوقها إلَّا كفَّر الله بها سيآته، كما تَحُطُّ الشجرة ورقها»[2].

قال الحافظ أبو بكر[3] رضي الله عنه:

جوازُ التَّطَبُّبِ:

فإذا نزل الداءُ جاز التداوي بإجماع من الأمة، قال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: «ما أنزل الله داءً إلا أنزل له دواءً»[4].

---

(١) قوله: «وهو يوعك» سقط من (س).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كتاب الطب، باب أشد الناس بلاءً، رقم: (٥٦٤٨-طوق).

(٣) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، رقم: (٥٦٧٨-طوق).

وفي حديث جابر منه: أن النبي ﷺ قال: «لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء بَرَأَ بإذن الله»[(١)].

طُرُقُ التَّطَبُّبِ[(٢)]:

[٢٧/ب] له أربعة طرق:/ الرُّقْيَةُ، وشَرْطَةُ مِحْجَمٍ، وشربة عسل، ولذعةٌ[(٣)] بنار[(٤)].

الطريقة الأولى: الرُّقْيَةُ

وأحاديثُ الرُّقَى كثيرة، أُمَّهاتها ستة:

الأوَّل[(٥)]: عن عائشة[(٦)]: «أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات، فلمَّا ثَقُلَ كنتُ أنفث عليه بهنَّ، وأمسح بيد نفسِه لبركتها، وكان يأمرني أن أفعل ذلك به»[(٧)].

الثاني: حديث أبي سعيد: «أن ناسًا من أصحاب النبي ﷺ أَتَوا على حَيٍّ من أحياء العرب فلم يَقْرُوهم، فبَيْنَا هم كذلك إذ لُدغ سيِّد أولئك،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: كتاب السلام، باب لكل داء دواء، واستحباب التداوي، رقم: (٢٢٠٤-عبد الباقي).

(٢) ينظر: المسالك: (٧/٤٤٦).

(٣) في (س) و(د): لذغة، وفي المسالك -نسخة القرويين-: لدغة.

(٤) سقطت من (س)، وفي (د) و(ز): نار.

(٥) في (د): الأولى.

(٦) بعدها في (د) و(ص): رضي الله عنها.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: كتاب الطب، باب في المرأة تَرْقِي الرجل، رقم: (٥٧٥١-طوق).

فقالوا: هل معكم دواء أو رَاقٍ؟ فقالوا: إنكم لم تَقْرونا، ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جُعْلًا، فجعلوا لهم قطيعًا من الشاء، فجعل يقرأ بأم القرآن ويجمع بزاقه ويتفل، فبرأ، فأُتوا بالشاء، فقالوا: لا نأخذه حتى نسأل النبي ﷺ، فسألوه فضحك، وقال: ما أراكَ[١] أنها رقية؟ خذوها واضربوا لي معكم بسهم»[٢].

الثالث: عن أم سلمة: «رأى النبيُّ ﷺ جاريةً في وجهها سَعْفَةً فقال: استرقوا لها فإن بها النَّظْرَة[٣]»[٤].

الرابع: عن عائشة: «أَرْخَصَ النبيُّ ﷺ في الرقية من كل ذي حُمَةٍ»[٥].

الخامس: قال أنس لثابت - وقد اشتكى -: «ألا أَرقيك برُقْية رسول الله ﷺ؟ قال: بلى، قال: اللهم رب الناس، مذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، ولا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا»[٦].

---

(١) في (س) و(ص): ما أدراك، وفي طرة بـ (س): في الأصل: ما أراك.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كتاب الطب، باب الرقى بفاتحة الكتاب، رقم: (٥٧٣٦-طوق).

(٣) في طرة بـ (س): «ونُظر الرجل أصابته نظرة من الجن، قاله في مختصر العين»، وينظر: العارضة: (٨/٢٩٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أم سلمة رضي الله عنها: كتاب الطب، باب رقية العين، رقم: (٥٧٣٩-طوق).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: كتاب الطب، باب رقية الحية والعقرب، رقم: (٥٧٤١-طوق).

(٦) أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه: كتاب الطب، باب رقية النبي ﷺ، رقم: (٥٧٤٢-طوق).

وفي رواية عائشة: «كان يُعَوِّذُ بعضهم؛ يمسحه[١] بيمينه ويقول: أذهب البأس»[٢]، الحديث.

السَّادس: عن عائشة: «كان النبي ﷺ يقول للمريض: بسم الله، تُربة أرضنا، بِرِيقَةِ[٣] بعضنا، يُشفى سقيمُنا، بإذن ربنا»[٤].

وأمَّا سائر الطرق: فمنها شرطة محجم، قال جابر بن عبد الله: «سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: إن يكن في شيء من أدويتكم خَيْرٌ ففي شرطة محجم، أو شربة عسل، أو لذعة بنار، وما أُحِبُّ أن أَكْتَوِي»[٥].

وعن ابن عباس: «احتجم النبي ﷺ من شَقِيقَةٍ كانت به وهو مُحْرِمٌ»[٦].

قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه: وتحقيقُ هذه الأصول الأربعة: أن الرقية عَمَلٌ من خارج البدن[٧]، وهؤلاء الثلاثة هي في داخل البدن، ويلحق بهؤلاء الثلاثة نظائرُ لها[٨] ثمانية:

---

(١) في (د): يمسح.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: كتاب الطب، باب رقية النبي ﷺ، رقم: (٥٧٤٣-طوق).

(٣) في طرة بـ (س): في خـ: وريقةُ، وصححها.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: كتاب الطب، باب رقية النبي ﷺ، رقم: (٥٧٤٦-طوق).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن جابر رضي الله عنه: كتاب الطب، باب الدواء بالعسل، رقم: (٥٦٨٣-طوق).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما: كتاب الطب، باب الحَجْمِ من الشقيقة والصداع، رقم: (٥٧٠١-طوق).

(٧) في المسالك (٤٤٧/٧): «وتحقيق هذه الأصول الأربعة هي أصل التطبب؛ لأن الرقية عمل من خارج البدن».

(٨) سقطت من (ز).

الأولى: ألبان الإبل

الثانية: أبوالها

فقد[1] روى أنس: «أن ناسًا استوخموا المدينة، فكان بهم سقم، فأنزلهم[2] النبي ﷺ الحَرَّةَ في ذَوْدٍ له، فقال: اشربوا من أبوالها وألبانها[3]»[4].

ورُوي عن ابن مسعود أنه قال: «عليك بألبان البقر، فإنها تبرئ من السحر»[5]، ولم يصحَّ عنه.

الثالثة: الحبة السوداء

روى خالد بن سعد قال: «خرجنا ومعنا غالب بن أَبْجَرَ فمرض في الطريق، فقَدِمنا/ المدينة وهو مريض، فعاده ابن أبي عَتيق، فقال لنا: عليكم بهذه الحُبيبة السوداء، فخُذُوا منها خمسًا أو سبعًا فاسحقوها، ثم [١ ٢٨/أ]

---

(١) في (د) و(س): وقد.
(٢) في (د): فخولهم.
(٣) سقطت من (س).
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس ﷺ: كتاب الزكاة، باب استعمال إبل الصدقة وألبانها لأبناء السبيل، رقم: (١٥٠١-طوق).
(٥) أخرجه عبد الرزَّاق في المصنف عن ابن مسعود ﷺ موقوفًا: كتاب الأشربة، باب ألبان البقر، رقم: (١٧١٤٤)، وأخرجه ابن حِبَّان في صحيحه عنه مرفوعًا: كتاب الطب، ذِكْرُ خبر أوهم غير المتبحر في صناعة العلم أن ألبان البقر نافعة لكل من به علة من العلل، رقم: (٦٠٧٥-إحسان)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده عن طارق بن شهاب: (١٢٧/٣١)، رقم: (١٨٨٣١-شعيب)، ولفظه فيها: «تَرُمُّ من كل الشجر».

اقطرُوها في أَنْفِه بقَطَرَاتِ زَيْتٍ في هذا الجانب وفي هذا الجانب، فإن عائشة حدَّثتني: أنها سمعت النبي ﷺ يقول: إن هذه الحبة السوداء شفاءٌ من كل داء، إلا السَّام، قلت: وما السَّامُ؟ قال: الموت»[١].

الرابعة: التَّلْبِينَةُ

كانت عائشة رضي الله عنها تأمر بالتلبينة للمريض والمحزون على الهالك، وتقول: «هو البغيض النافع»[٢].

وكانت تقول: «سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: إن التلبينة تُجِمُّ فؤاد المريض، وتَذْهَبُ ببعض الحزن»[٣].

ولَفْظُ مسلم عن عائشة: «أنها كانت إذا مات الميت من أهلها فاجتمع النساء لذلك ثم تفرَّقن، إلَّا أهلها وخاصتها، أمرت ببُرْمَةٍ من تلبينة فطُبِخَتْ، ثم صُنِعَ ثريد، فصبَّت التلبينة عليها، ثم قالت: كُلْنَ منها، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: التلبينة مُجِمَّةٌ لفؤاد المريض، تذهب ببعض الحزن»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن خالد بن سعد رضي الله عنه: كتاب الطب، باب الحبة السوداء، رقم: (٥٦٨٧-طوق).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها موقوفًا: كتاب الطب، باب التلبينة للمريض، رقم: (٥٦٩٠-طوق).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: كتاب الطب، باب التلبينة للمريض، رقم: (٥٦٨٩-طوق).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: كتاب السلام، باب التلبينة مُجِمَّةٌ لفؤاد المريض، رقم: (٢٢١٦-عبد الباقي).

الخامسة: السَّعُوطُ

رُوي: «أن النبي ﷺ احتجم واسْتَعَطَ»[١].

السَّادسة: العود الهندي

قال ﷺ: «عليكم بهذا العُودِ الهندي، فإن فيه سبعة أشفية؛ يُسَعَّطُ من العُذْرَةِ، ويُلَدُّ به من ذات الجَنْبِ»[٢]، روته أُمُّ قَيْسٍ بنت مِحْصَنٍ.

وروى أنس بن مالك: «إن أمثل ما تداويتم به الحجامة والقُسْطُ البَحْرِي»[٣].

السَّابعة: الكَمْأَةُ[٤]

انفرد سعيد بن زيد عن النبي ﷺ بقوله: «الكَمْأَةُ من المَنِّ، وماؤها شفاء للعين»[٥]، وصحَّ وثبت مع ذلك.

الثامنة[٦]:

ثبت «أن النبي ﷺ لمَّا جُرِحَ ورَأَتْ فاطمة - رضوان الله عليها -

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما: كتاب الطب، باب السعوط، رقم: (٥٦٩١-طوق).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أم قيس رضي الله عنها: كتاب الطب، باب السعوط بالقُسْطِ الهندي البحري، رقم: (٥٦٩٢-طوق).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: كتاب الطب، باب الحجامة من الداء، رقم: (٥٦٩٦-طوق).

(٤) سقطت من (ص).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن سعيد بن زيد رضي الله عنه: كتاب الطب، باب المن شفاء للعين، رقم: (٥٧٠٨-طوق).

(٦) في (س) و(د): الثامن.

الدم لا يرقأ أحرقت حصيرًا وحَشَتْ به جُرْحَ النبي ﷺ، أو ألصقتها عليه[١] فرقأ الدم»[٢].

الماء:

ثبت عنه ﷺ - وخاصَّةً من طريق أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما -: «أنها كانت إذا أُتيت بامرأة قد حُمَّتْ تدعو لها، أخذت الماء فصبَّته بينها وبين جَيْبِها، وقالت: كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نَبْرُدَها بالماء»[٣].

وفي الصحيح - حين مرض النبي ﷺ -: «فلمَّا[٤] أفاق قال: صُبُّوا عليَّ من سَبْعِ قِرَبٍ لم تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهن»[٥].

العسل:

في الصحيح عن أبي سعيد: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن أخي يشتكي بطنه، قال: اسقه عسلًا، فسقاه، ثم جاء فقال: إني سقيته فلم يزده إلا استطلاقًا، فقال له ثلاث مرات/، ثم جاءه الرابعة فقال له: لقد سَقَيْتُهُ فلم يزده إلا استطلاقًا، فقال رسول الله ﷺ: صدق الله وكذب بطن أخيك، فسقاه فبَرَأَ»[٦]. [٢٨/ب]

---

(١) سقط من (د).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: كتاب الطب، باب حرق الحصير ليُلَدَّ به الدم، رقم: (٥٧٢٢-طوق).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الطب، باب الحمى من فيح جهنم، رقم: (٥٧٢٤-طوق).

(٤) في (د): قال، وهو تصحيف.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: كتاب الطب، بابٌ، رقم: (٥٧١٤-طوق).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كتاب الطب، باب الدواء بالعسل، رقم: (٥٦٨٤-طوق).

الكَـيُّ:

في الصحيح: «أن أُبَيًّا رُمي يوم الأحزاب على أَكْحَلِه، فبعث النبي ﷺ إليه طبيبًا، فقطع منه عِرْقًا ثم كواه عليه»[(١)].

ورُمي سعد بن معاذ في أكحله، قال: «فحَسَمَهُ النبي ﷺ بمِشْقَصٍ ثم وَرِمَتْ، فحَسَمَهُ الثانية[(٢)]»[(٣)].

الزيت:

صحَّ عن زيد بن أرقم قال: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نتداوى من ذات الجَنْبِ بالقُسْطِ البحري والزيت».

وثبت أن عمران بن حُصَين قال: «نهى النبي ﷺ عن الكَيِّ، قال: فما زال البلاء بنا حتى اكتوينا، فما أفلحنا ولا أنجحنا - وفي رواية: فما أفلحن ولا أنجحن -، وكان يُسلِّمُ عليَّ، فلمَّا اكتويتُ فقدت ذلك، ثم راجعني[(٤)] بعد ذلك السَّلام»[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه: كتاب السلام، باب لكل داء دواء، رقم: (٢٢٠٧-عبد الباقي).

(٢) في (س): ثانية.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه: كتاب السلام، باب لكل داء دواء، رقم: (٢٢٠٨-عبد الباقي).

(٤) في (د) و(ص): راجعه.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الطب، بابٌ في الكي، رقم: (٣٨٥٥-شعيب)، وأخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الطب عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كراهية التداوي بالكي، رقم: (٢٠٤٩-بشار).

قال الحافظ أبو بكر[١] رضي الله عنه: فصار التداوي أصلًا في هذا الباب من هذه الأحاديث، وقد جمعتُ وجوه المداوات كلها على أنواع الأدواء بجُملتها حسبما بيَّنَّاه في «شرح الحديث[٢]»[٣]، وليس هذا موضع التطويل به فيه، لأنه لم نَبْنِ عليه هاهنا، وإنما هي[٤] للأصول في الأبواب والأركان في المقاصد، واستعمالها مختلف فيه.

تتميم[٥]:

فمن الناس من يستعملها بصُوَرِها[٦]، ومنهم من يستعملها بقوانينها في «كتب الأطبَّاء».

فأمَّا الصدر الأوَّل فكانوا يستعملون منها بصورها، «فكان عوف بن مالك - وفي رواية: عبد الله بن عمر - يخلطون الماء بالعسل والزيت ويتداوون به»[٧]، لأن الله تعالى قال: ﴿مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ [النور:٣٥]، وقال: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً طَهُوراً﴾ [الفرقان:٤٨]، وقال في العَسَلِ: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل:٦٩]، وهذا إن اتفق في هذه الأعيان فليس

---

(١) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ز): قال الإمام أبو بكر بن العربي.

(٢) يقصد كتابه: «النيرين في شرح الصحيحين».

(٣) ينظر: العارضة: (٨/٢٥٩)، والمسالك: (٧/٤٤٥).

(٤) في (ص) و(ز): هو، وأشار إليه في (س).

(٥) سقطت من (ص).

(٦) في (ص): صورتها.

(٧) الجامع لأحكام القرآن: (١٢/٣٦٩).

يتفق على الإطلاق في سائر الأعيان المذكورة في الحديث في كل حال، ولا على صفاتها في كل وقت، ألا تراه كيف ذَكَرَ القُسْطَ ونوَّع وجوه استعماله؟ وقال: «الكَمْأَةُ من المنِّ، وماؤها شفاءٌ للعين»[١]، ولا يكون ماؤها شفاءً للعين إلَّا بنوع من التحيل، والحُمَّيَاتُ أصنافٌ[٢] كثيرة.

ومنها ما لا ينفعه تبريد الماء.

وخرج كلامُ النبي ﷺ على[٣] المعهود في أرضه، وعلى ما يناسبها في غيره.

وذَكَرَ أيضًا ﷺ من الأدوية ما كان عام الوجود، قريب التناول في الدساكر[٤] والقرى، ولها أمثال كثيرة ممَّا خلق الله لذلك[٥]، وإنما ذكرتُ هذه لعوارض[٦] من/ الأسولة بإحالات[٧] من الأجوبة على مجرى العادة، ورِفْقًا بالناس في عاداتهم[٨] من الركون إلى الأسباب والرغبة في[٩] طلب الصحة وإيثارها على الأسقام.

١ [٢٩/أ]

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) في (س) و(د): وأصناف.

(٣) في (د): عن.

(٤) في (د): الدساكن، والدساكر: هي القرى.

(٥) سقطت من (س).

(٦) في (ص): العوارض.

(٧) في (ص): الإحالات.

(٨) في (د) و(ص) و(ز): عادتهم.

(٩) قوله: «والرغبة في» سقط من (س).

[أحوالُ المريض[١]]:

وإذا انتهى الكلام إلى هذا المقام فلِلْمَرِيضِ أحوال:

الحالة الأولى:

الرضى بالقضاء، والاستسلام للبلاء، وتَرْكُ التطبب رأسًا، والإمساك عن[٢] الخبر عن المرض، ولم تكن هذه المنزلة فيما بلغنا بالصدق إلَّا لكَرِيمَيْنِ؛ الأوَّل بالزمان أيوب، والأوَّل بالمكانة محمد ﷺ، هو الآخِرُ السَّابِقُ.

[ابتلاءُ أيوب عليه السَّلام[٣]]:

فأمَّا أيوب فإن الله ابتلاه ببلاءٍ[٤] يشبُّ عنه طوق الصبر، ويضيق عنه نطاق الاحتمال، ورُويت في ابتداء قضائه[٥] وسبب بلائه أقاصيصُ قصيَّة عن سُبُلِ الحق، نذكر منها ما يفتقر إلى البيان، لئلَّا يغتر[٦] به الأحداثُ الأسنان؛ الذين لم تحنكهم تجارب العلوم، ولا قاموا بحق العصمة للأنبياء والتعظيم.

---

(١) ينظر: المسالك: (٧/٤٥٢).

(٢) في (ص) و(د): من.

(٣) أفاد أبو عبد الله القرطبي من هذا الفصل في جامعه، وتتبَّع نكته، واحتوى على مقاصده ومراصده: (١٨/٢١٣-٢١٦).

(٤) في (س): بلاء.

(٥) في (د): مصابه.

(٦) في طرة بـ (س): في خـ: يُغَر، وهو الذي في (د).

قال المفسرون: «كان أَيُّوبُ روميًا من البَثَنِيَّةِ، اصطفاه الله للنبوءة[١]، وآتاه جملة عظيمة من الثروة؛ في أنواع الأموال والأولاد، وكان شاكرًا لأنعم الله، مواسيًا لعباد الله، برًّا رحيمًا، ولم يؤمن به إلا ثلاثة نفر، وكان لإبليس موقف من السماء السَّابعة في يوم من العام، فوقف به إبليس على عادته، فقال له الله أو قيل له عنه: أقدرت من عبدي أيوب على شيء؟ فقال: يا رب، وكيف أقدر منه على شيء وقد ابتليته بالمال والعافية؟ لو ابتليته بالبلاء والفقر ونزعت عنه ما أعطيته لحَالَ عن حاله، وخرج عن طاعتك، قال الله: قد سلَّطتك على أهله وماله، فانحطَّ عدو الله فجمع عفاريت الجن وأعلمهم، فقال قائل منهم: أكون إعصارًا فيه نارٌ أُهْلِكُ ماله فكان، فجاء أيوبَ في صفة[٢] قَيِّمٍ[٣] في ماله فأعلمه بما جرى، فقال: الحمد لله، هو أعطاها وهو منعها، ثم جاء قَصْرَ أهله وولده[٤] فاحتمل القصر من نواحيه حتى ألقاه على أهله وولده، ثم جاء إليه فأعلمه، فألقى التراب على رأسه، ثم تاب، وصعد إبليس إلى السماء فسبقته توبة أيوب، فقال: يا رب سَلِّطْنِي على بَدَنِه، قال: قد سلَّطتك، إلَّا على لسانه وقلبه وبصره، فنفخ في جسده وهو ساجد نفخة اشتعل، فصار في جسده تَآلِيلُ، فحكَّ بأظفاره حتى دَمِيَتْ، ثم بالفخار حتى تساقط لَحْمُه على عظمه، ولم يخلص إلى شيء من حُشْوَةِ البطن؛ لأنه لا بقاء للنفس إلَّا بها، فهو[٥] يأكل

---

(١) في (ص): بالنبوة.

(٢) في (ص): صورة.

(٣) في (ص): قيم ماله.

(٤) في (ص): قصره بأهله وماله وولده.

(٥) في (د): وهو.

ويشرب، فمكث كذلك ثلاث سنين، فلمَّا غلبه أيوبُ اعترض لامرأته في هيئة أعظم من هيئة بني آدَمَ في القَدْرِ والجمال، فقال لها: أنا إله الأرض، وأنا الذي صنعتُ بصاحبك ما صنعت، ولو سجد لي سجدة واحدة لرددت/ عليه حاله وماله، وهُمْ عندي، وعَرَضَ لها في بطن الوادي ذلك كله في صورته، وقد سَمِعَتْ: أنه لو أكل طعامًا ولم يذكر اسم الله لعُوفي من البلاء، فأخبرتْ أيوب، فأقسم أن يضربها إن عافاه الله»[١].

١ [٢٩/ب]

وذكروا كلامًا طويلًا؛ من مراجعته في القول لربه، وتَبَرُّمِه من البلاء الذي نزل به، وأن النفر الثلاثة الذين آمنوا به نَهَوْهُ عن ذلك واعترضوا عليه وبصَّروه، وتَرَكْتُه لطوله واختلاله[٢] وقلة الفائدة فيه.

وقيل: استعان به مظلوم فلم ينصره فابتُلِي بسبب ذلك.

وقيل: استضاف يومًا الناس فمنع فقيرًا الدخول فابتلي لذلك.

وقيل: كان أيوب يغزو مَلِكًا، وكان له غنم في ولايته فداهنه لأجلها، فعُوتِبَ[٣] بذلك.

إلى أخبار جمعها كل أحد منهم[٤] على قَدْرِ ما ظهر إليه[٥].

---

(١) أخرجه الطبري عن وهبه بن منبه: (١٦/٣٣٤-التركي)، وينظر: الكشف والبيان: (٦/٢٨٧-٢٩٠)، والخبر من الإسرائيليات.

(٢) سقط من (د).

(٣) في (ص): عوقب.

(٤) سقط من (س) و(د).

(٥) ينظر: الكشف والبيان: (٦/٢٨٧-٢٩٩).

ذِكْرَى في حال الأنبياء[١]:

قال الحافظ أبو بكر[٢]: قد بينَّا تنزيه الأنبياء عن شُبَهٍ[٣] في العقائد أو عصيان في الأفعال بما يُغني عن الإطناب فيه، ولم يصحَّ عن أيوب في أمره إلَّا ما أخبر الله عنه في كتابه في آيَتَيْنِ:

الأولى: قوله: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٢].

والثانية: قوله: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾[ص:٤٠].

وأمَّا النبي ﷺ فلم يصحَّ عنه أنه ذَكَرَهُ بحرف واحد، إلَّا قوله: «بَيْنَا أيوب يغتسل إذ خرَّ عليه رِجْلٌ من جراد من ذهب، فجعل يحثي في ثوبه، فقال الله له: يا أيوب، ألم أكن أغنيتك عمَّا ترى؟ قال: بلى يا رب، ولكن لا غنى لي[٤] عن بركتك»[٥]، وإذ[٦] لم يصح عنه[٧] فيه قرآن ولا سُنَّة

---

(١) في (ص): عليهم السلام.

(٢) في (ص): قال الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ز): قال الإمام الحافظ قاضي الجماعة أبو بكر بن العربي رضي الله عنه.

(٣) في (ص): شِبْهِهِ.

(٤) في (ص): بي.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وأيوب إذ نادى ربه﴾، رقم: (٣٣٩١-طوق).

(٦) في (ص): إذا.

(٧) سقط من (س).

إلا ما ذكرنا، فمن الذي يُوصِلُ السَّامعَ إلى أيوبَ خبرُه؟ أم على أي لسان سَمِعَه؟

[التَّحْذِيرُ من الاغترار بالإسرائيليات]:

والإسرائيلياتُ مرفوضة عند العقلاء؛ بَلْهَ العلماء، على البتات[١]، فاغْتَمِضْ[٢] عن مسطورها بصرك، واضمم عن كَتْبِها يَدَك، وأَصْمِمْ عن سماعها أُذُنَك، فإنها[٣] لا تُعْطِي فِكْرَكَ إلا خبالًا[٤]، ولا تزيد فؤادك إلَّا اختلالًا[٥]، وها نحن نُفِيضُ معكم في ذِكْرِه، ونُنَبِّئُكُمْ بالحقيقة من أَمْرِه.

[التفصيلُ فيما نُسِبَ إلى أيوب عليه السَّلام]:

أمَّا قولهم: «كان أيوب رُومِيًّا من البَثَنِيَّةِ»، فليس لنا بذلك عِلْمٌ ننفيه أو نُثبته، غير أنَّا نقول: آمَنَّا به وصدَّقناه ممَّن كان، ونحن نتحقَّق أنه من ذرية إبراهيم وولده.

وأمَّا قولهم: «إن الله أعطاه مالًا كثيرًا»، فيدل عليه[٦] - على الجملة فيه دون التفصيل الذي فصَّلوه - قَوْلُه حين خرَّ عليه رِجْلُ[٧] جراد من

---

(١) قوله: «على البتات» سقط من (س) و(د).

(٢) في (ص): فأغمض.

(٣) في (س): فإنك.

(٤) في (ص): خيالًا، وأشار إليها في (س).

(٥) في (د): ضلالًا، وفي (ص): خبالًا.

(٦) سقط من (ص).

(٧) بعده في (ص): من.

ذَهَبٍ، فجعل يحثي في ثوبه، فقال الله له: «ألم أكن[1] أغنيتك عمَّا ترى؟»[2].

وأمَّا وصفه بصفات الجلال والكرم فهي من صفات[3] الأنبياء الذين هو من أَجَلِّهم قَدْرًا، وكلهم/ كذلك، وإن تفاوتت درجاتهم. ١ [٣٠/أ]

وأمَّا قولهم: «لم يؤمن به إلا ثلاثة نفر»، فهذا ممكن، فإن الله قد أخبر عن خليله إبراهيم بقوله: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ [العنكبوت:٢٥]، وفي الحديث الصحيح: «يأتي النبي ومعه الرجل، والنبي ومعه الرهط»[4].

وأمَّا قولهم: «إنه كان لإبليس مَوْضِعٌ في السَّماء السَّابعة يومًا من العام»، فقَوْلٌ باطل قطعًا.

ولا أعلمُ كيف جاز على أصحاب التفسير مع روايتهم أنه مُهْبَطٌ من عِلِّيِّينَ، بلعنة وسَخَطٍ إلى الأرض، ثم يَرْقَى إلى مَحَالِّ الرضى، ويجول في مقامات الأنبياء، ويخترق السماوات العُلى، ويعلو إلى السَّابعة منهن على منازل الأنبياء، فيقف العدو فوق الخليل، إن هذا لخطبٌ من الجهالة جليل[5]، فيا لله ويا لَلْمُسْلِمِينَ من استيلاء الجهل وغلبة الباطل، وكثرة التخليط ومَزْجِ الصِّدْقِ بالكَذِبِ وتَعَلُّقِ الناس به في عقائدهم وأعمالهم،

---

(١) في (د): تكن.

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) في (د) و(ز): فهي صفة الأنبياء، وفي (ص): فهي صفة للأنبياء.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما: كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب، رقم: (٦٥٤١-طوق).

(٥) في (ص): عظيم، وأشار إليه في (س).

﴿ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر:٤٦]، اهدني لما اختلفوا فيه من الحق، فإنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

وأمَّا قولهم: «إن الله قال له: هل قدرت من عبدي أيوب على شيء؟»، فهو قَوْلٌ[١] بَاطِلٌ قطعًا؛ لأن الله لا يُكَلِّمُ الكفَّار الذين هم من جند إبليس الملعون، فكيف أن يكلم من يتولَّى[٢] ضلالهم؟

وأمَّا قولهم: «إن الله قال له: قد سلَّطتك على ماله وولده»، فذلك ممكن في القدرة، ولكنه بعيد في هذه القصة.

وكذلك قولهم: «إنه نَفَخَ في جسده حين سلَّطه الله عليه»؛ فهو أبعد، والباري تعالى قادرٌ على أن يخلق ذلك كله من غير أن يكون للشيطان فيه كَسْبٌ؛ حتى لا تقرَّ له - لعنه الله - عَيْنٌ بالتمكين[٣] من الأنبياء في أموالهم وأهليهم وأنفسهم.

وأمَّا قولهم: «إنه[٤] قال لزوجه: أنا إله الأرض، ولو تَرَكَ ذِكْرَ الله أو سَجَدْتِ أنتِ لِي لعافيتُه»، فاعلموا أنكم لو تعلمون أنه لو عَرَضَ لأحدكم وبه ألمٌ وقال له هذا الكلام ما جاز عنده أن يكون إلهًا في الأرض، ولا[٥]

---

(١) سقط من (س) و(د).

(٢) في (ص): تولى.

(٣) في (ص): التمكن.

(٤) سقطت من (د).

(٥) سقطت من (ص).

أنه يسجد له، ولا أنه يُعافَى من البلاء، فكيف أن تستريب بذلك زوجةُ نبي؟ ولو كانت زوجة سَوَادِي(١) أو فَدْمٍ بَرْبَرِيٍّ ما ساغ ذلك عندها.

وأمَّا تصويرُه الأموال والأهل في وادٍ للمرأة فذلك ممَّا لا يقدر عليه إبليس بحال، ولا هو في طَوْقِ السِّحْرِ فيقال: إنه من جنسه، ولو تصوَّر لعَلِمَتِ المرأة أنه سِحْرٌ كما نعلمه نحن، وهي فوقنا بالمعرفة(٢) بذلك، فإنه لم يَخْلُ قطُّ زمانٌ عن السِّحْرِ وحديثِه وجَرْيِه بين الناس وتصويره.

١ **قال القاضي أبو بكر**(٣): والذي جرَّأهم على ذلك وتذرَّعوا به إلى ذِكْرِ هذا قَوْلُه تعالى/: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [٣٠/ب] [ص:٤٠]، فلمَّا رأوه قد شكى مسَّ الشيطان أضافوا إليه من رأيهم ما سبق من التفسير في هذه الأقوال، وليس الأمرُ كما زعموا، والأفعال كلها؛ خيرها وشرها، إيمانها وكفرها، طاعتها وعصيانها(٤)، خالقها هو الله وحده، لا شريك له في خلقها، ولا في خلق شيء غيرها، ولكن(٥) الشر لا ينسب إليه ذِكْرًا، وإن كان موجودًا منه خَلْقًا، أَدَبًا أُدِّبْنَا به، وتمجيدًا عُلِّمناه، وكان من ذِكْرِ النبي مُحَمَّدٍ ﷺ لرَبِّه به قَوْلُه من جملته: «والخير في يديك، والشَّرُّ ليس إليك»(٦)، على هذا المعنى، ومنه قَوْلُه إبراهيم: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ

---

(١) السَّوَادِيُّ: العَامِيُّ.

(٢) في (د) و(ص) و(ز): في المعرفة.

(٣) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي رضي الله عنه.

(٤) في (د) و(ص) و(ز): معصيتها، وأشار إليها في (س).

(٥) في (س): لكن.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم: (٧٧١-عبد الباقي).

يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠]، وقال الفتى للكليم: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الكهف:٩٢].

وأمَّا قَوْلُهم: «استعان به مظلوم فلم ينصره»، فمن لنا بصحة هذا؟ ولا يخلو أن يكون قادرًا على نَصْرِهِ؛ فلا يحل لأحد تَرْكُه، فيُلَامُ على أنه عصى وهو مُنَزَّهٌ عن ذلك، أو كان عاجزًا فلا شيء عليه في ذلك.

وكذلك قَوْلُهم: إنه مَنَعَ فقيرًا[1] من الدخول»، إن كان عَلِمَ به فهذا باطلٌ عليه، وإن لم يعلم به فلا شيء عليه فيه.

وأمَّا قَوْلُهم: «إنه دَاهَنَ على غَنَمِه للمَلِكِ الكافر»، فلا تقل: داهن، ولكن قل: دارى[2]، ودَفْعُ الكافر أو الظالم عن النفس والمال والأهل بالمال فذلك جَائِزٌ، نعم، وبحُسْنِ الكلام.

[ما ورد من الأقوال في معنى قول أَيُّوبَ: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾]:

قال الحافظ أبو بكر[3]: وقد قال العلماءُ فيه أقوالًا، إنه أراد بقوله: ﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ ما يأتي تفسيرُه بعد هذا في جملة الأقوال مذكورًا مُنَقَّحًا إن شاء الله، وذلك ينحصر في ستة[4] وعشرين قولًا[5]:

---

(١) في (س): مُنع فقير.

(٢) في (س): ولا تقل داري، وهو تصحيف.

(٣) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن العربي ﵁، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي ﵁.

(٤) في (ص): ثلاثة.

(٥) أفاد من هذه الأقوال أبو عبد الله القرطبي في جامعه، فذكر جلَّها: (١٤/٢٥٧-٢٦٠).

الأوَّل: قولـه: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء:٨٢]، ولـم يقـل: ارحمنـي، ولا تعرَّض لطلـب زوالـه مع عظيم بلائـه، فقـال: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ﴾[١]، ولم يقل: ارحمني، وسيأتي تحقيق ذلك في «باب الدعاء» من هذا الكتاب إن شاء الله، وهـذا رَدٌّ عظيم علـى دعـاوى حُكِيَتْ فيمـا جـرى بينـه وبـين أصحابه الذين آمنوا به، وفي مراجعتهم له، وما سأل أيوبُ ربَّه فيه، والله قد أخبر عنه بما قال؛ من ذِكْرِه ضُرَّه، وذِكْرِه لربِّه، فلا زيادة عليه بحال.

الثـاني: إن الله تعـالى مَـدَحَ أيـوب بقولـه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَـٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص:٤٤]، ولم يسلبه الصَّبْرَ قولُه: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾، ولو دعا وسأل[٢] الزوال لكان قد فاته جُزْءٌ من الصبر، وإن كان لا يُـؤَثِّرُ فـي الأجـر، وإنما يُفَوِّتُ منزلةً أثبتها الله له؛ وهي الغاية في الصبر[٣].

وقد قيل - **وهو الثالث** -: «إنَّ هذا وإن كان فاته به جُزْءٌ من الصبر، وإن كان لا يؤثر في الأجر، فإنـه عفـا الله عنـه لمَّـا كـان نـادرًا، وراعـى لـه الغالب من أحواله في أوقات بلائه»[٤].

الرابـع: أنـه قـال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾، إقـرارًا بـالعجز، فلـم يكـن منافيًـا للصبر[٥].

---

(١) لطائف الإشارات: (٢/٥١٤).

(٢) في (ص): أو.

(٣) لطائف الإشارات: (٢/٥١٤).

(٤) لطائف الإشارات: (٢/٥١٤).

(٥) لطائف الإشارات: (٢/٥١٤).

الخامس: أنه أجراه سبحانه على لسانه؛ ليكون حُجَّةً لأهل البلاء بعده في الإفصاح بما ينزل بهم.

١
[٣١/أ]

السَّادس: أجرى ذلك على لسانه إلزامًا/ له، صِفَةُ الآدمي[١] في الضعف عن[٢] تحمل البلاء.

السَّابع: قال بَعْضُهم: «إنَّما كان هذا القَوْلُ منه على جهة الشُّكْرِ، أي: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ الذي لا تَخُصُّ به إلَّا أولياءك، ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ﴾ في وضعي معهم وعَدِّي في جملتهم، وإلحاقي في إنزال بلائك بي بهم»[٣].

الثامن: أنه قال: أَ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ﴾؟ كما قال: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ﴾؟ [الشعراء:٢١]، وليس يمتنع حَذْفُ ألف الاستفهام في الكلام، ولكن ليس في الآية التي استُشهِد بها حذف، وإنما هي على حالها[٤].

التاسع: قيل: «إن جبريل نزل إليه فقال له أيوب: ماذا أصنع؟ فقال له جبريل: سيَّان عند الله بلاؤك وشفاؤك، فحينئذ قال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾»[٥].

وهذا مُمْكِنٌ لو صحَّ به نَقْلٌ.

---

(١) في (س): لآدمي.

(٢) في (س): على.

(٣) لطائف الإشارات: (٥١٤/٢).

(٤) لطائف الإشارات: (٥١٥/٢).

(٥) لطائف الإشارات: (٥١٥/٢).

العاشر: «أن دُودَةً سقطت من لحمه فأخذها فردَّها في موضعها فعقرته، فصاح: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾، فقيل له: أعلينا تتصبَّر؟»[١].

وهذا بعيدٌ جِدًّا، مع أنه يفتقر إلى نَقْلٍ صحيح، ولا سبيل إلى وجوده[٢].

الحادي عشر: أن الدُّودَ كانت تتناول بَدَنَه، فصبر حتى تناولت دُودَةٌ قَلْبَه، وأخرى لسانه، فحينئذ قال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾؛ لاشتغاله عن ذِكْرِ الله[٣].

وما أحسن هذا لو كان له سَنَدٌ، ولم تكن دعوى[٤] عريضة!

الثاني عشر: أنه أُبْهِمَ عليه جهة[٥] أخذ البلاء له؛ هل هو تأديب أو تعذيب؟ أو تخصيص أو تمحيص؟ أو ذُخْرٌ أو طُهْرٌ؟ فقال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾، أي: ضُرُّ الإشكالِ في جهة أخذ البلاء[٦].

وهذا غُلُوٌّ لا يُحتاج إليه.

الثالث عشر: أنه قيل له: «سَلِ الله العافية، فقال: أقمتُ في النعيم سبعين سنة، فأُقِيمُ في البلاء سبعين سنة، وحينئذ أَسْأَلُه، فقال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾»[٧].

---

(١) الكشف والبيان: (٦/٢٩٨).
(٢) قوله: «فقيل له: أعلينا تتصبر؟ وهذا بعيد جدًّا، مع أنه يفتقر إلى نقل صحيح، ولا سبيل إلى وجوده» سقط من (س).
(٣) لطائف الإشارات: (٢/٥١٥).
(٤) في (س): لم تكن له عريضة.
(٥) سقطت من (ص).
(٦) لطائف الإشارات: (٢/٥١٥).
(٧) لطائف الإشارات: (٢/٥١٥).

وهذا مُمْكِنٌ؛ لكنه لم يصحَّ في إقامته مدة، ولا في هذه القصة.

الرابع عشر: «أنه نَزَلَ به البلاء العظيم؛ فبينما هو يومًا إذ مَرَّ به لُـمَّةٌ من أعدائه فقالوا: لو كان لهذا عند الله قَدْرٌ لما كان بهذه المَقْذَرَةِ على هذه المزبلة[1]، فقال حينئذ: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾»، أي: شماتة الأعداء»[2].

وهذا ممكن؛ فإن الكليم قد سأله أخوه العافية من ذلك فقال: ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾[3] [الأعراف: ١٥٠].

الخامس عشر: «أن تلاميذه الذين كانوا يكتبون عنه لمَّا أفضت حَالُه إلى ما انتهت إليه مَحَوْا ما كتبوا عنه، وقالوا: ما لهذا عند الله قَدْرٌ، فاشتكى الضُّرَّ في ذهاب الوحي والدِّينِ من أيدي الناس»[4].

وهذا ممَّا لم يصحَّ سَنَدُه، والله أعلم به.

السَّادس عشر: أن ضُرَّه كان قول إبليس لزوجه: «اسجدي لي»[5]، فخاف ذهاب الإيمان عنها؛ فتهلك ويبقى هو بغير كافل[6].

السَّابع عشر: لمَّا ظهر البلاءُ قال قَوْمُه: «قد أَضَرَّ بنا كَوْنُه معنا، وقَذَرُوه، فليخرجْ عنَّا، فأخرجته امرأتُه إلى ظاهر البلد، فكانوا إذا خرجوا فرأوه تطيَّروا به وتشاءموا برؤيته، فقالوا: ليَبْعُدْ بحيث لا نراه، فخرج[7] إلى بُعْدٍ من القرية، فكانت امرأتُه تقوم عليه/ وتحمل قُوتَه إليه، فقالوا: إنها [٣١/ب]

---

(١) في (د): المنزلة.

(٢) لطائف الإشارات: (٥١٦/٢).

(٣) بعده في (د): ﴿ولا تجعلني مع القوم الظالمين﴾.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: (٢٥٨/١٤).

(٥) الكشف والبيان: (٢٩٧/٦).

(٦) لطائف الإشارات: (٥١٦/٢).

(٧) في (س): فخرجوا.

تتناولـه وتخالطنـا فيَعْـدُو بـسببها ضَـرَرُه إلينـا، فـأرادوا قَطْعَهـا عنـه، فقـال: ﴿مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾»(١).

الثامن عشر: «أن امرأته كانت ذات ذوائـب؛ فعَـدِمَتْ حين مُنِعَـتْ أن تتصرَّف لأَحَدٍ بسَبَبِه ما تَعُودُ به عليه، فقَطَعَتْ ذُؤابتهـا، واشـترت بـه ممَّـن يصلها قُوتًا وجاءت به إليه، وكان يستعينُ بذؤابتها في تنقلـه وتـصرفه، فلمَّـا عَدِمَها وأراد الحَرَكَةَ فلم يَقْدِرْ قال: ﴿مَسَّنِىَ﴾»(٢).

وقيل: «إنها لمَّا اشترت القوت بـذوائبها جاءه الـشيطان في صـورة رجل»، وهذا هو:

التاسع عشر: فقـال لـه: «إن أَهْلَـكَ بَغَـتْ، فأُخِـذَتْ فحُلِـقَ شـعرها، فحلف أيـوب أن يجلـدها»(٣)، فكانـت المحنـة على قلـب المرأة أشـد مـن المحنة على بدن أيوب.

المُوَفِّي عشرين: «أن أيوب عليه السَّلام كان الله عز وجل قد قطع قلبَه عن الألـم، ومنع من إحساسه به، وشَغَلَه برَبِّه، فكان لا يُحِسُّ بالبلاء».

وهذا ممَّا لا ينبغي أن يستنكر؛ فإنَّ من يخرج في الحرب(٤) لا يشعر به حتى تزول الحالة التي هو فيها، والباري سبحانه هو خالق الألم، وخالق العلم به، ثم إن الله ستره هذه المدة عن نفسه، ثـم رَدَّ إليـه إحـساسه فوجـد الألم، فما زاد أن قال: ﴿مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: (١٤/٢٥٩).

(٢) الكشف والبيان: (٦/٢٩٨)، ولطائف الإشارات: (٢/٥١٦).

(٣) الكشف والبيان: (٦/٢٩٧)، لطائف الإشارات: (٢/٥١٦).

(٤) كذا في النسخ.

الحادي والعشرون: قيل: إن أيوب أعطاه الله من الصبر أعظم ممَّا أنزل به من البلاء، ولكنه[١] أحوجه إلى هذه الكلمة لتظهر فيه جِبِلَّةُ الآدمية، وعجز البشرية، وشيمة العبودية[٢].

الثاني والعشرون: رُوي «أن جبريل احتبس عنه أربعين يومًا، فقال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾»[٣]، رُوي عن جعفر الصادق.

الثالث والعشرون: «أوحى الله إلى أيوب أن هذا البلاء سأله سبعون نبيًّا قبلك وما اخترتُه إلا لك، ولكن لمَّا أراد الله كَشْفَه عنه قال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾»[٤].

وهذا يَفْتَقِرُ إلى نَقْلٍ.

الرابع والعشرون: ما شكى الضُّرَّ حتى عجز عن الطَّاعَةِ؛ فجعل عجزه عن الطاعة ضُرَّه الذي مَسَّه، لا ألمه الذي كان قد أَحَسَّه[٥].

الخامس والعشرون: قال بعضهم: «إنه طلب من الله الزيادة ليرضى، فكشف الله عنه برحمته»[٦].

وهذا قَوْلٌ يخالف النصَّ، فإنه قال فيه: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾، ففيه نَوْعُ شكوى لا رِضًى.

---

(١) في (د): ولكن.
(٢) لطائف الإشارات: (٢/٥١٧).
(٣) لطائف الإشارات: (٢/٥١٧).
(٤) لطائف الإشارات: (٢/٥١٧).
(٥) لطائف الإشارات: (٢/٥١٧).
(٦) لطائف الإشارات: (٢/٥١٧).

قال الحافظ أبو بكر[١] ﵁: وقال الطبري في قوله: ﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾: «النُّصْبُ: المرض الذي أصابه، والعذاب: ذهاب ماله»[٢].

وقد أخبر الله كما بيَّنَّا عنه ﷺ أنه قال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾، ثم فسَّره وفسَّر سَبَبَه فقال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾، وأضافه إلى الشيطان أدبًا كما بيَّنَّا عنه في غير موضع، كما أضافه إبراهيم ﷺ إلى نفسه أيضًا أدبًا فقال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾، وأضاف الشفاء إلى الله[٣] إقرارًا وتسليمًا، وإيمانًا وإجلالًا.

ويحتمل أن يكون أراد بإضافة ذلك إلى الشيطان ما كان يُوَسْوِسُ به إليه وإلى زوجه؛ من/ تجزيعهما[٤] ممَّا نزل بهما، واجتهاده في التبرم بالأذى، وهو يجده في كل ذلك صابرًا، فكان معه في تعب وتعذيب؛ وهي مشقة مجاهدته، فإن مقاساة المشقة والخروج من الرخاء إلى الشدة عذاب، وفي الحديث الصحيح: «السَّفَرُ قطعة من العذاب، يُمنع أحدكم طعامه وشرابه، فإذا قضى أحدٌ منكم نَهْمَتَه فليعجل إلى أهله»[٥].

١ [٣٢/أ]

---

(١) في (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي.

(٢) تفسير الطبري: (٢٠/١٠٧-التركي).

(٣) في (د): نفسه، وهو سبق قلم.

(٤) في (د): تجريدهما.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﵁: كتاب العمرة، باب السفر قطعة من العذاب، رقم: (١٨٠٤-طوق).

[شَرَائِطُ رواية الإسرائيليات]:

ويَجِبُ عليكم أن تنظروا إلى هذه الأقوال وإلى غيرها من الأخبار الإسرائيلية؛ فكُلُّ ما كان منها تعظيمًا للإله والنبي، وأدبًا في الدين، واحترامًا للشرائع، ووَصَاةً بمحاسن الأخلاق، فهو مأذونٌ فيه، وما كان على خلاف ذلك فانبذوه ظَهْرًا.

وفي الصحيح - واللفظ للبخاري -: أن ابن عباس قال: «يا معشر المسلمين، تسألون أهل الكتاب وكتابُكم الذي أُنزل على نبيكم أحدثُ الأخبار بالله، تقرأونه مَحْضًا لم يُشَبْ، وقد حدَّثكم أن أهل الكتاب قد بَدَّلُوا من كُتُبِ الله، وغيَّروا وكَتَبُوا بأيديهم الكتب، فقالوا: ﴿هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة:٧٨]، أو لا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ فلا والله ما رأينا رجلًا منهم يسألكم عن الذي أُنزل عليكم»[١].

وقد أنكر النبي ﷺ في حديث «الموطأ» على عمر قراءته التوراة[٢].

وقد تتَّبعنا هذه الأقوال في «كتاب الأنبياء» وبيَّنَّاها على التفصيل، وقد كشف الله الحقيقة في ذلك فقال في أيوب: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص:٤٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الشهادات، باب لا يُسأل أهلُ الشرك عن الشهادة وغيرها، رقم: (٢٦٨٥-طوق).

(٢) الذي في الموطأ -من رواية أبي مصعب- هو إنكار عمر بن الخطاب رضي الله عنه على كعب الأحبار النظر في التوراة: جامع القراءة، باب الترغيب في الصلاة في رمضان، رقم: (٢٧٥-بشار)، وحديث إنكار النبي ﷺ على عمر في المسند وغيره، ينظر: شرح السنة للبغوي: (١/٢٧٠).

معناه: أنه دخل في البلاء على صفة، فخرج منه كما دخل فيه، وما تغيَّر منه حال ولا مقال.

وهذه الجملة التي أنبأناكم هاهنا والقانون الذي نبَّهناكم عليه يَدُلُّ على ذلك المفسَّر كله؛ لمن ألقى السمع واعتمد النفع إن شاء الله[1].

ذِكْرُ مُحَمَّدٍ ﷺ:

وأمَّا محمَّد ﷺ فإن أَمْرَه[2] عظيم، وقَدْرَه كريم، رُزِقَ العافية، ومُكِّنَ له في الأرض، ومَلَكَ أعداءه فمَنَّ عليهم، وسُوِّدَ على جميع الخلق، وأُعْطِيَ لواء الحمد، ورُفِعَتْ دَرَجَتُه على الخلق، يُشَفِّعُه في خلقه، ويُجْلِسُه معه على عرشه[3]، ويُقَدِّمُ على الأُمَمِ أُمَّتَه، ويستشهد به وبهم على ما علَّمه؛ ليُظهر المزيَّة، ويُعْلِيَ المرتبة، ويُوجِبَ الشرف الأقصى، وذلك ليس بعمل استوجبَه، وإنَّما هو تَفَضُّلٌ منه سبحانه عليه، وكذلك جميع الخلق؛ من الأنبياء والمرسلين، والملائكة المقرَّبين، والخلق أجمعين.

ولئن كان أعطى سبحانه المنازل للأنبياء بالبَلاء، فلقد أعطاها لمُحَمَّدٍ ﷺ بالعافية والعَلاء، وضاعف الأجر لأُمَّتِه في حُرْمَتِه، فقال سبحانه: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد:٢٧]، وقال النبي ﷺ في الصحيح - واللفظ للبخاري -: عن ابن عمر مجموعًا، قال النبي/ على المنبر: «إنما بقاؤكم فيما سَلَفَ من قبلكم من الأمم، أو إنما أَجَلُكم في أَجَلِ[4] من خَلَا

١ [٣٢/ب]

(١) قوله: «إن شاء الله» لم يرد في (س).
(٢) في (ص): فأمره.
(٣) تقدَّم الكلام عليه، وتقدَّم بيانُ نكارته.
(٤) قوله: «في أجل» سقط من (د).

قبلكم[١] من الأمم، كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس، ومَثَلُكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عُمَّالًا، فقال: من يعمل إلى نصف النهار على قيراط؟ فعملت اليهود، أُوتِيَ أهلُ التوراة التوراة، فعملوا حتى انتصف النهار، عجزوا فأُعطوا قيراطًا قيراطًا، ثم أُوتِيَ أهلُ الإنجيل الإنجيل[٢]، قال ابنُ دينار: فقال: من يعمل من نصف النهار إلى العصر؟ فعملت النصارى إلى صلاة العصر، ثم عجزوا، فأُوتُوا قيراطًا قيراطًا، ثم أوتينا القرآن، قال: من يعمل من العصر إلى أن تغرب[٣] الشمس على قيراط؟ فعملتم به حتى غربت الشمس، فأُعطيتم قيراطين قيراطين، فغضبت اليهود والنصارى، وقالوا: ربنا أعطيتَ هؤلاء قيراطين [قيراطين]، وأعطيتنا قيراطًا قيراطًا، ونحن كنا أكثر عملًا وأقل عطاء، قال الله: هل ظلمتكم من أجركم من شيء؟ قالوا: لا، قال: فهو فضلي أوتيه من أشاء»[٤]، واستكملوا أجر الفريقين.

قال الإمام الحافظ قاضي الجماعة أبو بكر بن العربي[٥] رضي الله عنه: فأخبر الله سبحانه أنه ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران:٤٠]، ويؤتي المُلْكَ من يشاء، و﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَآءُ﴾ [آل عمران:١٢٩]، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣].

---

(١) سقط من (د) و(س).

(٢) سقط من (د).

(٣) في (ص): تغيب.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب مواقيت الصلاة وفضلها، باب من أدرك ركعة من العصر قبل غروب الشمس، رقم: (٥٥٧-طوق).

(٥) في (ص): قال القاضي الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي.

قُدْوَةٌ:

وقد رُوي عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه قيل له في مرضه: «ألا ندعو لك طبيبًا؟ قال: الطبيب أمرضني»، وفي رواية أخرى: «قد سألته فقال: إني فعَّال لما أريد»[١].

أخذه سَرِيٌّ السَّقَطِي على طريقتهم، قال له الجُنَيْدُ: كيف نجدك؟ فقال[٢]:

كيف أشكو إلى طبيبي ما بي والذي بي أصابني من طَبِيبِي

ولو صحَّ هذا لكان له وجهان:

أحدهما: أنه كان أيقن بالمَنِيَّةِ فلم يكن للطب فائدة؛ لأن فائدة الطب جَلْبُ الصحة عند ذهابها، ولا خلاف فيه، أو السعي في إدامة الصحة بالتوقِّي من الأغذية المَخُوفَةِ أو إخراج الأخلاط المتوقع ضررها؛ وذلك جائز أيضًا، والأوَّل أظهر.

[الثاني]: أو يكون أراد أن يكون[٣] من السَّبْعِينَ ألفًا؛ «الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيَّرون، وعلى ربهم يتوكَّلون»[٤].

الحالة الثانية: أن يتطبَّب بأن يستعمل الدواء إذا وجد الداء، وذلك جائز، ولا ينفي التوكل، ففي الأحاديث التي قدَّمناها كفايةٌ في الباب.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في الزهد: (ص١٤٠)، وفيه انقطاع.

(٢) البيت من الخفيف، وذُكِر في إحياء علوم الدين: (٧/٢٠٠)، وتاريخ بغداد: (٩/١٩١)، في ترجمة السَّرِيِّ السَّقَطِي، أنشده لمَّا كان في عِلَّتِه التي مات منها.

(٣) قوله: «أن يكون» سقط (س).

(٤) تقدَّم تخريجه.

والحالة الثالثة: أن يتطبَّب، بأن يخاف نزول الداء بما[1] يرى من علاماته، فالنظر له جائز؛ بأن يُحِسَّ[2] تَبَيُّغَ[3] الدم فيخففه قبل أن يتمكن استشراؤه[4]، أو يحس بكثرة الرطوبة فيسعى في التخفيف، أو المَشِيُّ[5] الذي يُخرج بعضها، أو تغلبه[6] الكروب لغلبة/ السوداء، أو يجد المرارة والدُّوَارَ بغلبة الصفراء، أو يجد في الأعضاء وجعًا بجريان[7] الريح، فيقابل كل واحد منها[8] بأضدادها[9]، والأصل في ذلك حديثان:

١ [٣٣/أ]

أحدهما: صحيح، وهو تبريد الحُمَّى بالماء[10].

والثاني: ما رُوي في الحسان: «أن النبي ﷺ أَكَلَ البطِّيخ بالرُّطَبِ، وقال: نكسر[11] حَرَّ هذا لبَرْدِ هذا»[12].

---

(١) في (س) و(د): مما.

(٢) في (د): يحسن، وهو تصحيف.

(٣) في (س): تنبغ، وفي (د): تتبع، وهو تصحيف.
وتبيُّغ الدم: هو هيجانه وغلبته للواحد حتى يقهره، تاج العروس: (٢٢/٤٥٥).

(٤) في (س): انتشاره.

(٥) المَشِيُّ: هو الدواء الذي يُسهل، سمِّي بذلك لأنه يحمل شاربه على المشي والتردد إلى الخلاء، تاج العروس: (٣٩/٥٣٦).

(٦) في (د) و(س): بغلبة.

(٧) في (د) و(س): يجريان.

(٨) في (ص): من هذه.

(٩) في (س): بأضداده.

(١٠) تقدَّم تخريجه.

(١١) في (ز): يكسر.

(١٢) تقدَّم تخريجه.

وقد روي[١] عن ابن عباس - إن صحَّ - أنه قال: «من وجد الحمَّى فليبُلَّ ثوبًا وليَلْبَسْهُ»[٢].

وقال النبي ﷺ في مَرَضِه - وقد وَجَدَ الحَرَّ -: «أفرغوا[٣] عَلَيَّ من سَبْعِ قِرَبٍ لم تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ»[٤].

وكان عندنا بالأندلس طَبِيبٌ مُسِنٌّ إذا دخل الحمَّام واستوطن البيت الحارَّ أَمَرَ[٥] بصَبِّ الماء البارد عليه، يقول: «أَعْكِسُ الحرارة إلى داخل بَدَنِي»، فإنه كان مبرودًا[٦]، وأظنه كان مبروصًا.

وقال بعضُ الفقهاء: إذا وجد الحُمَّى واستعمل تبريدها بالماء اتكالًا على فضل الله وثِقَةً بوعده ذهبت عنه بإذن الله.

وقد أشرنا من قبل إلى وجه التبريد بها وخصوص عموم الحَرِّ[٧] فيها، والله أعلم.

---

(١) قوله: «أن النبي ﷺ أكل البطيخ بالرُّطَبِ، وقال: نكسر حرَّ هذا لبرد هذا، وقد روي» سقط من (ص).
(٢) لم أجده.
(٣) في (ص): أهرقوا.
(٤) تقدَّم تخريجه.
(٥) في (ص): وأمر.
(٦) في (س): مبروذًا.
والمبرود هو المصاب بالإبردة، وهو: برد في الجوف ورطوبة غالبتان، تاج العروس: (٤١٤/٧).
(٧) في (ص): الخير.

شَرْطُ التداوي:

ومهما استعمل[١] شيئًا من هذه الأدوية فلا يعتقد أنه فَعَلَ شيئًا ممَّا يظن الغافل[٢] أنه يفعله، وإنَّما الباري تعالى يخلق عنده ما يخلق[٣]؛ من قبض أو إرسال، أو نَفْعٍ أو ضُرٍّ، كما يخلق الشِّبَعَ عند أكل الخبز، والرِّيَّ عند شُرْبِ الماء، والحَرْقَ عند اتصال النار، فإذا قَصَدَ بالطِّبِّ إدامة الصحة أو دَفْعَ السقم، وعَلِمَ أنه علامةٌ لا مُوجِبٌ لدَفْعِ الألم أو دفع السقم، فهو من الذين «لا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكَّلون» على أحد الأقوال.

وتَحْقِيقُ القَوْلِ فيه: أنَّ ظاهر هذا الحديث يقتضي حال أيوب والصدِّيق في التخلِّي عن الطب والمعاناة، والاستسلام لأمر الله، والإلقاء بالأيدي لقضائه النازل وحُكْمِه النافذ.

وقد قيل: إنه منسوخ بجواز التداوي.

قال بعضهم: وذلك لا يجوز؛ لأن الأخبار في الفضائل لا يدخلها نسخ، وإنما يدخل النسخ في الأحكام.

وهذه غفلة؛ فإن هذا من الأحكام؛ وهو جَوَازُ التداوي بعد أن كان ممنوعًا بالنهي عن الكَيِّ والأمر بالاستسلام.

ومنهم من قال - في القول الثالث -: إن خبر السبعين الألف يُفِيدُ بيان الأفضل من حال العبد في التوكل، وهذه الأخبار كلها تُفِيدُ الجواز.

وبه أقول.

---

(١) في (ص): استُعمل شيء.

(٢) في (ص): الأغفال.

(٣) ينظر: الأمد الأقصى -بتحقيقنا-: (٢/٤٣٤-٤٣٥).

وأمَّا(١) النسخ فلا سبيل إليه؛ لأن النبي ﷺ قد كُوشِفَ بهم في الآخرة، ورأى أحوالهم في القيامة، وأَعلمه(٢) بصفتهم وعددهم وخصلتهم/، فهذا ما لا يَصِحُّ نَسْخُه بحال من الأحوال، وإنما استرقى النبيُّ ﷺ لنَفْسِه - وإن كان الأفضل ترك الرُّقية - رحمةً بأُمَّتِه، حتى يأنسوا به، فهو يَرْقِي ويعلم أن المقصود منها ذكر الله على كل حال، وإليه المرجع والمآل، وهو الذي يُدَبِّرُ الأمور، ويقلب الأحوال.

[٣٣/ب]

وقد كان ﷺ يفعل ما الأفضل أن يفعل غيره(٣)، رِفْقًا بالأمة؛ لئلَّا يشق عليهم ألَّا(٤) يتأخَّروا عن فِعْلِه، ويتكلَّفوا(٥) ما لا طاقة لهم به، فجزاه الله أفضل ما جزى به نبيًّا عن أمته(٦)، وﷺ، وتغمَّده الله بفضله ورحمته.

تدريج:

فإن قدَّر الله عافيته، وأعاد صحته؛ دام بقاؤه في مقامه الأول؛ وهو الدنيا، وعادت عليه(٧) وظائفه نظرًا للأُخرى، وطَفِقَ يتردَّد(٨) كما كان؛ بين ما يهوى أو ما هو به أحرى، فلينظر على أي صرعيه يقع، وليَبْتَدِرْ ما هو له أنفع، وإيَّاك أن تطمع في أن تأتلف له الدنيا والآخرة أو تجتمع، وما أبعد

---

(١) في (د) و(ص) و(ز): فأما.

(٢) في (ص): أُعلم.

(٣) في (ز): يفعل ما تركه الأفضل، لكن يفعل غيره.

(٤) في (ص): أن.

(٥) في (س): يتكلف.

(٦) قوله: «عن أمته» سقط من (د).

(٧) في (ص): إليه.

(٨) في (د) و(ص) و(ز): كما كان يتردد.

هذا لمن ارتاد أو انتجع[١]، فإن ذلك لا يقدر عليه إلَّا[٢] الأقوياء من الصحابة بعد الأنبياء؛ كالأغنياء من العشرة البررة الأتقياء؛ عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، وإن عَطَفَتْ عليه المَنُونُ عَنَانَها، وأدلعت عليه[٣] البَوْغَاءُ لسانها، وكشفت له الحقيقة حنانها؛ انتقل إلى:

* * * * *

(١) في (س): وانتجع.
(٢) سقطت من (س).
(٣) في (د) و(ص) و(ز): له.



المقام الثاني: وهو الموت



وقد كان[١] يجوز في حُكْمِ الله وحِكْمَتِه أن يكون عَدَمًا مَحْضًا، وفناء صِرْفًا، ولا يكون بعده وجود، إلَّا أنَّ المُدَبِّرَ دَبَّرَ ما أراد، والمُبْدِئَ المعيد أبدأ وأعاد، وهو الحكيم العليم، فجاء ذلك بخبره، وجرى على مقتضى إرادته وقوله، وهو أوَّلُ منازل الآخرة، وآخرُ منازل الدنيا[٢].

وقد قال النبي ﷺ - من رواية المُسْتَوْرِدِ بن شدَّاد أخي بني فِهْر -: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه - يعني: السبابة أو الإبهام، والسبَّابة أكثر - في اليمِّ، فلينظر بم ترجع إليه»[٣].

وله أحوال[٤]:

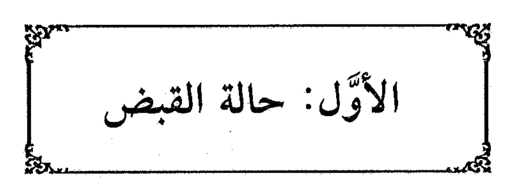
* * * * *

(١) في (س) و(د): وقد يجوز.

(٢) ينظر: المتوسط في الاعتقاد -بتحقيقنا-: (ص٣٧٩-٣٨٠)، والمسالك: (٦٠٥/٣-٦٠٦)، والعارضة: (١٢٧/٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا، وبيان الحشر يوم القيامة، رقم: (٢٨٥٨-عبد الباقي).

(٤) العارضة: (١٢٨/٨).



الأَوَّل: حالة القبض

وقد تكلَّم الناسُ في كيفيته، وأوردوا فيه روايات لم يصحَّ منها حرفٌ.

وقد قالوا: «إنه ينتقل من غفلة إلى ذِكْرَى - وصدقوا -، ومن[١] نوم إلى يقظة»، وقد تَجَوَّزُوا في هذا القول وتجاوزُوا، وقد بيَّنَّا الحق فيه في كتاب «العواصم»[٢].

ولو كانت الحياةُ الدنيا هي الأمد الأقصى والمرتبة العُليا التي إليها المنتهى[٣] لكان الخَلْقُ عَبَثًا، والعالم باطلًا، وتعالى الله عن ذلك، وكلُّ ما أوردوه في كيفية قبض الأنفس والأرواح يدور على أنهما جسمان أو عَرَضَانِ؛ معلومان أو مجهولان، مُتَّحِدَانِ أو مُتَعَدِّدَانِ، ورأى كثيرٌ من الناس أن ظواهر الأخبار تدلُّ على حقيقة الجِسْمِيَّةِ فيها، إلَّا أن الذي[٤] صحَّ منها قليل[٥].

---

(١) في (س): من.

(٢) العواصم: (ص٢٣٦).

(٣) في (ص): النُّهْيَا، وفي (د): النهي.

(٤) سقط من (س).

(٥) المتوسط في الاعتقاد -بتحقيقنا-: (ص٣٨١)، والمسالك: (٣/٦٠٠)، وقانون التأويل: (ص١٧٥).

١
[٣٤/أ]

ومن/ الحق عليكم ألَّا تجعلوا ذلك من فُرُوضِ معارفكم، ولا من وظائف عقائدكم، وإنَّما عليكم أن تحفظوا فيها أربعة عقود:

العَقْدُ الأوَّل: أنها موجودةٌ عن عدم، مخلوقة من غير شيء، محصورة محاط بها، مُقَدَّرَةٌ في ذاتها وحقيقتها كسائر الحوادث.

الثاني: أنها باقية لا فناء لها بعد وجودها.

الثالث: أنها تنفرد[١] باللذة والألم والنعيم والعذاب عن الجسم؛ كما تَلْتَذُّ وتألم، وتُنَعَّمُ وتُعَذَّبُ[٢] معه، ولا يصح أن ينفرد عنها الجسمُ بشيء من ذلك.

الرابع: أنه يبقى النظر في انفرادها عن الجسم بذلك؛

هل يقال: بأنها جِسْمٌ آخَرُ فيصحُّ له الانفراد دونه؟

أم هي عَرَضٌ فلا يصح أن تقوم بنفسها دون الجسم؟

ولا يصحُّ أن تقوم[٣] بجسم آخر فيُعَذَّبُ من لم يذنب، أو يُنَعَّمُ من لم يُحْسِنْ، والخبرُ الصِّدْقُ قد جاء بأن الثواب والعقاب إنما يكون للمحل الذي تولَّى الطاعة والعصيان.

وقد قال بعضُ علمائنا[٤]: «إن الروح إن كانت عَرَضًا فلا بد من وجودها بجزء من البدن».

---

(١) في (س): تتفرد.

(٢) في (ص): تتعذب.

(٣) في (س): يقوم.

(٤) هو الإمام أبو بكر الباقلاني، المسالك: (٥٩٧/٣)، وقانون التأويل: (ص١٧٤).

ولعله الذي ورد في[١] الحديث الصحيح: «كُلُّ ابن آدم تأكله الأرض إلا عَجْبُ الذَّنَبِ، منه خُلِقَ، وفيه يُرَكَّبُ»[٢]، فيقوم به، ويكون كلَّما ورد عليه مُضَافًا على تلك الحال إليه.

وذلك كله لا يضر في العقيدة، ولا يقف الحكم بالإيمان عليه، بل يكفي العَقْدَانِ[٣] الأوَّلان للنجاة إلى النعيم الأكثر، والفوز بالمُلْكِ الأكبر.

تفصيل:

وقد يكون القبضُ بإنذار ومقدمة، ويكون بغتة.

فإن كان بغتة[٤] فقد رُوي[٥] في الأثر الحسن: «أنها أَخْذَةُ أَسَفٍ»[٦].

وروى الترمذي عن عائشة: «أنها راحة للمؤمن، وأخذة أَسَفٍ للكافر»[٧].

---

(١) في (ص): فيه.

(٢) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الجنائز، جامع الجنائز، (١/٢٨٤)، رقم: (٦٤٥-المجلس العلمي الأعلى).

(٣) سقط من (س).

(٤) قوله: «فإن كان بغتة» سقط من (د) و(س) و (ز).

(٥) في (د) و(ص): ورد.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في المسند عن عُبَيد بن خالد رضي الله عنه: (٢٤/٢٥٣)، رقم: (١٥٤٩٦-شعيب).

(٧) لم أجد هذا الحديث في المطبوع من جامع الترمذي، أخرجه الإمام أحمد في المسند عن عائشة رضي الله عنها: (٤١/٤٩١)، رقم: (٢٥٠٤٢-شعيب)، ولفظه: «راحة للمؤمن، وأخذة أسف للفاجر».

وفيه عن ابن عباس: «أن داود مات يوم مات يوم السبت فُجَاءة»(١).

وهذا كله لا أصل له، فلا يُعَوِّلْ أَحَدٌ منكم عليه.

وفي الصحيح(٢) - واللفظ للبخاري - عن عائشة: «أن رجلًا قال للنبي: إن أمي افتُلِتَتْ نفسُها، وأظنها لو تكلَّمت تصدَّقت، فهل لها أجر إن تصدَّقتُ عنها؟ قال: نعم»(٣).

وإمَّا أن يكون بإنذار، وذلك بوجهين لصنفين؛

أعلى: وهم الأنبياء.

وأدنى: وهم سائر الخلق.

فأمَّا الأنبياء؛ فقد روت عائشة في الصحيح: «كان رسول الله ﷺ وهو صحيح يقول: إنه لم يُقبض نبي قطُّ حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يُحيى أو يُخيَّر، فلمَّا اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذ عائشة غُشي عليه، فلمَّا أفاق شَخَصَ بصره نحو سقف البيت ورفع يده أو أصبعه، وقال(٤): اللهم الرفيق الأعلى، فقلت: إذًا لا يجاورنا - وفي رواية: لا يختارنا -، فعرفتُ أنه حديثه الذي كان يحدثنا، وكانت هذه آخر كلمة تكلَّم بها، وهو قوله: اللهم الرفيق الأعلى»(٥)، وهو صحيح/. [٣٤/ب]

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: كتاب الفضائل، ما ذُكِرَ من أمر داود عليه السلام وتواضعه، (١١/٩٤)، رقم: (٣٢٤٣١-الرشد).

(٢) في (ص): في صحيح الحديث.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب موت الفجأة البغتة، رقم: (١٣٨٨-طوق).

(٤) في (ص): ثم قال.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، رقم: (٤٤٣٧-طوق).

وقد تقدَّم حديثُ أبي مُوَيْهِبَةَ[١] في تخييره عليه السَّلام بين الخُلْدِ في الدنيا وبين لقاء الله تعالى، فاختار لقاء الله[٢].

وروى أبو هريرة فيه: أن النبي ﷺ قال: «أُرْسِلَ مَلَكُ الموت إلى موسى فقال له: أجب ربك، قال: فلمَّا جاءه صَكَّ عَيْنَ ملك الموت ففقأها، فرجع الملك إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، وقد فقأ عيني، فردَّ الله إليه[٣] عينه، وقال: ارجع إلى عبدي وقل[٤] له: الحياة تريد؟ فإن كنتَ تريد الحياة فقل له يضع يده على مَتْنِ ثور، فكل ما وارت يدُه من شعرة فله بها سَنَةٌ، قال: أي رب، ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن، قال: فسأل الله أن يُدْنِيَه من الأرض المقدَّسة رَمْيَةً بحَجَرٍ، ثم قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: والله لو كنتُ ثَمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق، عند الكَثِيبِ الأحمر»[٥].

قال القاضي الإمام أبو بكر[٦]: فقَبْرُه شرقي المسجد الأقصى، بإزاء كنيسة يقال لها العَزَرِيَّة[٧]، على نَحْوٍ من فرسخ منه.

---

(١) في (س): ابن موهب، وكتب فوقها ما أثبتناه.

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) في (د) و(ص) و(ز): إليه.

(٤) في (د) و(ز): قال.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها، رقم: (١٣٣٩-طوق).

(٦) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر.

(٧) في (س) و(د): الغربية.

وأمَّا سائر الخلق؛ فإن من سعادة المرء أن يتقدَّمه الخوف من المنيَّة بتوقع وُرُودِها في فُسْحَةٍ من العمر، بما يتحقَّق من مَغِيبِ الأجل عنه، أو يبلغ سن العبد[١] إلى الهرم، ويصير بعد النضارة حَرَضًا، فيحمله ذلك على استشعار الموت، فيقدم له التوبة، ويستدرك من صلاح العمل، حتى إذا أمر الله بقبض نفسه رُفع له الحجاب، وكُوشِفَ بأمر الآخرة، وخُلِقَ له إدراكها، فحينئذ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام:١٥٩]، وإنما ينتفع المرء إذا أسلم في غَيْبٍ من أمر الآخرة، وهو:

المُحْتَضِرُ:

قال الله سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ [المؤمنون:١٠٠]، وهذا أوَّل قول العبد المحروم: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾، وسيعود إلى سؤال ذلك، ولا يُقْبَلُ منه آخِرًا، كما لم يُقْبَلْ منه أوَّلًا.

ورُوي[٢] في الصحيح - واللفظ للبخاري - عن عبادة: قال النبي ﷺ: «من أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، فقالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت، قال: ليس ذلك[٣]، ولكن المؤمن إذا حضره الموتُ بُشِّرَ برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه ممَّا أمامه، فأحبَّ لقاءَ الله، فأحبَّ الله لقاءه، وإن الكافر إذا حُضِرَ بُشِّرَ بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه ممَّا أمامه، كره لقاءَ الله وكره الله لقاءَه»[٤].

---

(١) في (ص): الفَنَدِ.
(٢) في (س): الأولى في.
(٣) في (ص): ذاك.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، رقم: (٦٥٠٧-طوق).

ولهذا المعنى لا ينبغي لأَحَدٍ تَمَنِّي الموت، فإن النبي ﷺ نهى عنه، قال فيما ثبت وصَحَّ من طُرُقٍ عديدة[١] عن حارثة بن مُضَرِّب: «دخلتُ على خَبَّابٍ وقد اكتوى»، وذَكَرَ الحديث إلى قوله: «ولولا أن رسول الله ﷺ نهى أن يُتَمَنَّى الموت لتمنَّيناه»[٢].

وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٣] أنه قال[٤]: «انتشرت رعيتي، وضعفت قوتي، فاقبضني إليك غير مفتون»[٥]/. ١ [٣٥/أ]

فلم يَتَمَنَّ الموتَ خَبَّابٌ لأجل الألم الذي كان طاف به، وسأل عمرُ الموتَ لأنه خاف أن يُرَدَّ إلى أرذل العمر؛ لأنه قد كان النبيُّ يستعيذ منه، وتوقَّع التقصير في أمور الرعية.

هذا، وقد جُبِلَ المرء على حُبِّ الحياة، فإن كان رُكُونًا إلى الدنيا فله الويل الطويل من الغَبْنِ[٦]، وإن كان ليستدرك[٧] ما فَرَطَ منه فنِعْمَ بقية العمر إن سَلِمَ له من الأُبَنِ[٨]، وإن كان تمني الموت ممَّا يرى من المنكر فإنه

(١) ينظر: الصحيح للبخاري: كتاب التمني، باب ما يكره من التمني.

(٢) أخرجه معمر في الجامع: باب تمني الموت، (٣١٤/١١)، رقم: (٢٠٦٣٥)، ومن طريقه الطبراني في أكبر معاجمه: (٧١/٤)، وأبو نُعَيم في الحلية: (١٤٤/١).

(٣) لم ترد في (د) و(ز).

(٤) في (ز): انتقال، وهو تصحيف.

(٥) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: كتاب الرجم والحدود، باب ما جاء في الرجم، (٢٥٨/٢)، رقم: (٢٤٧٤-المجلس العلمي الأعلى).

(٦) في (س) و(د): العتق.

(٧) في (س) و(د): ليستدرك.

(٨) في (د) و(ز): المحن.

جائز، قال النبي ﷺ - في الصحيح -: «لن تقوم السَّاعَةُ حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه»[١].

ولذلك استحبَّ الناسُ تلقين الميت عند الاحتضار، صَحَّ من طُرُقٍ أن النبي ﷺ قال: «لَقِّنُوا موتاكم لا إله إلا الله»[٢].

أخبرنا القاضي[٣] أبو المُطَهَّر سعدُ بن عبد الله الأصبهاني: أنا أبو نُعَيم أحمد بن عبد الله الحافظ: أنا أبو علي الحسن بن محمد الفقيه بجُرْجَانَ: سمعتُ عمر بن محمد بن إسحاق[٤] الرازي يقول[٥]: سمعتُ[٦] أبا جعفر التُّسْتَرِي يقول: «حَضَرْنَا أبا زرعة وكان في السَّوْقِ، وعنده أبو حاتم ومحمد بن مسلم والمنذر بن شاذان وجماعة من العلماء، فذكروا حديث التلقين؛ قول النبي ﷺ: «لَقِّنُوا موتاكم لا إله إلا الله»، فاستحيوا من أبي زرعة، وقالوا: تعالوا نتذاكر الحديث، فقال محمد بن مسلم: نا الضحَّاك بن مخلد أبو عاصم: نا عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن بْن[٧]، ولم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يغبط أهل القبور، رقم: (٧١١٥-طوق)، وأصله في الموطأ للإمام مالك.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري: كتاب الجنائز، باب تلقين الموتى لا إله إلا الله، رقم: (٩١٦-عبد الباقي).

(٣) لم يرد في (س) و(د).

(٤) في طرة بـ (س): كان بالأصل: وإسحاق، وهو الذي في (ز).

(٥) في (س) و(د) و(ز): يقولان.

(٦) في (س) و(د) و(ز): سمعنا.

(٧) سقط من (ص)، وفي (ز): بن أبي.

يجاوزه، فقال أبو حاتم: نا بُنْدَار: نا أبو عاصم عن عبد الحميد بن جعفر عن صالح، ولم يجاوزه، والباقون سُكُوتٌ، فقال أبو زرعة - وهو في السَّوْقِ -: حدَّثنا أبو عاصم عن عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن[1] أبي عَرِيب عن كَثِير بن مُرَّة الحضرمي عن معاذ بن جبل: قال رسول الله ﷺ: «من كان آخِرُ كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دَخَلَ الجنة»، وتوفي رحمه الله»[2].

وقال النبي عليه السَّلام: «إذا حضرتم الميت فقولوا خيرًا، فإن الملائكة يُؤَمِّنُونَ»[3]، صحيح.

وقال لأهل الميت: «لا تدعوا لأنفسكم إلا بالخير[4]، فإن الملائكة يؤمنون»[5].

وقال ﷺ: «ألم تروا الإنسان إذا مات شَخَصَ بصرُه، قالوا: بلى، قال: فذلك حين يتبع بصرُه نفسَه»[6].

---

(١) في (س) و(د): عن، وهو تصحيف.

(٢) تاريخ بغداد: (١٢/٤٥)، ومعرفة علوم الحديث وكمية أجناسه: (ص٧٦)، وينظر: العارضة: (٤/٢٥٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أم سلمة رضي الله عنها: كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المريض والميت، رقم: (٩١٩-عبد الباقي).

(٤) في (ص): بخير.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن أم سلمة رضي الله عنها: كتاب الجنائز، بابٌ في إغماض الميت والدعاء له إذا حُضر، رقم: (٩٢٠-عبد الباقي).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الجنائز، بابٌ في شُخوص بَصَرِ الميت يتبع نفسَه، رقم: (٩٢١-عبد الباقي).

وذلك مع حضور العقل لما في الدنيا، قبل أن يطمح البصر، ويحشرج الصدر، ويقشعر الجلد، فيرتحل حينئذ عنَّا[١].

سَكَرَاتُ الموت:

[٣٥/ب] ثبت عن عائشة رضي الله عنها/ أنها كانت تقول: «إن رسول الله ﷺ كان بين يديه عُلبة أو رَكْوَةٌ فيها ماء[٢]، فجعل يُدخل يديه[٣] في الماء ويمسح بهما[٤] وجهه، ويقول: لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات، ثم نَصَبَ يده فجعل يقول: بل[٥] الرفيق الأعلى، حتى قُبِضَ ومالت يده»[٦].

وثبت عن عائشة أنها قالت: «لا أكره شِدَّةَ الموت لأحد بعد ما رأيت من رسول الله ﷺ»[٧].

---

(١) في (س) و(د):

جزى الله عنَّا الموتَ خيرًا فإنه ... أبرُّ بنا من كل بَرٍّ وألطفُ

يُعَجِّلُ تخليص النفوس من الردى ... ويُدني من الدار التي هي أشرفُ

وفي طرة بـ (س): «المُعلَّم عليه ليس من الأصل»، يقصد البيتين، ولم يَرِدَا في نسخة (ص).

(٢) سقطت من (س).

(٣) في (ز): يده، وأشار إليها في (س).

(٤) في (س): بها.

(٥) في (ص): في.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، رقم: (٤٤٤٩-طوق).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، رقم: (٤٤٤٦-طوق).

وحقيقة[١] السكرة: ضيق الحال وخروجها عن حد المعتاد والمختار، وهو حقيقة «س ك ر» حيث وقع البناءُ المذكور.

وهي تشتد على الكافر عقوبةً، وتشتد على المؤمن كفَّارةً إن وجدت ذنوبًا، ودرجات إن لم تصادف ذنوبًا، كما نقول في آلام المرض ومصائب الدنيا: إنها إن صادفت في المؤمن ذنوبًا[٢] كفَّرتها، وإلَّا فهي درجات[٣] رفعتها، وفي حق الكافر العافية مكافأة على جميل إن كان فَعَلَه في الدنيا، أو استدراج، والبلاءُ تعجيلُ عقاب.

فأمَّا في حَقِّ النَّبِيِّ ﷺ فلفائدتين:

إحداهما[٤]: مثل فائدة الوعك الذي كان يُضاعف عليه ألمُه لادِّخار المنازل،

[ثانيتهما]: أو ليكون ذلك سَلْوَةً لأُمَّته، وأُسوة لمن يأتي بعده من أتباعه وزُمْرَتِه.

وفي «صحيح الصحيح» عن أبي قتادة: قال النبي ﷺ مُبيِّنًا لحال القِسْمَيْنِ: «مستريح ومُستراح منه»[٥].

أمَّا العبدُ المؤمن فيستريح من نَصَبِ الدنيا وأذاها إلى رحمة الله، والعبدُ الكافر يستريح منه العباد[٦] والبلاد والشجر والدواب.

---

(١) في (س): حقيقة.

(٢) قوله: «كما نقول في آلام المرض ومصائب الدنيا، أنها إن صادفت في المؤمن ذنوبًا» سقط من (د).

(٣) سقطت من (س).

(٤) سقطت من (د).

(٥) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي قتادة ﵁: كتاب الجنائز، جامع الجنائز، (١/٢٨٦)، رقم: (٦٥١-المجلس العلمي الأعلى).

(٦) في (س): البلاد والعباد.

ومنهم من يُقبض بالقعقعة، كما رُوي في الصحيح: «أن بعض بنات النبي ﷺ أرسلت إليه أن وَلَدَها يَجُودُ بنفسه»، فجاء في حديث: «فرُفِعَ إليه ونفسُه تَقَعْقَعُ كأنها شَنٌّ»(١).

فسبحان المؤلم مَن(٢) لم يذنب من غير اعتراض ولا سؤال.

ومنهم من يُقبض بعَرَقِ الجبين، كما رَوى الترمذي(٣) وغيره عن بُرَيدة، ولم يصح.

[نُسَخُ جامع الترمذي]:

وعُذْرًا إليكم؛ فإنَّا ربَّما أحلنا على «الترمذي» فنظرتموه في «النسخة المحبوبية»(٤) فلم تجدوه، فانظروه في «النسخة المروزية»(٥) فهي أكمل، فقد(٦) رويناهما معًا والحمد لله.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما: كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان النوح من سنته، رقم: (١٢٨٤-طوق).

(٢) في (ص): لمن.

(٣) أخرجه في جامعه: أبواب الجنائز عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء أن المؤمن يموت بعرق الجبين، رقم: (٩٨٢-بشار).

(٤) هي رواية ابن محبوب؛ محمد بن أحمد بن محبوب، عُرِفَ بالمَحْبُوبِي، ت٣٤٦هـ، يرويها ابن العربي عن ابن الطُيوري وأبي طاهر، وهي الرواية المشتهرة والمتداولة، العارضة: (١٩/١)، وفهرس ابن خير: (ص١٥٦)، وفهرس ابن عُبَيد الله الحَجْري: (ص١٤٢)، وبرنامج التُّجِيبي: (ص١٠٣)، ومقدمة العارضة لطارق الشيباني: (ص٢٠).

(٥) هي رواية أبي حامد التاجر؛ أحمد بن عبد الله بن داود التاجر، شُهِرَ بالمروزي، يرويها ابن العربي عن خاله أبي القاسم الحسن بن عمر الهَوْزَنِي، عن والده أبي حفص عمر بن الحسن الهوزني، فهرس ابن خير: (ص١٥٩)، وفهرس ابن عُبَيد الله الحَجْري: (ص١٤٢)، والمُغرب لابن سعيد: (٢٣٩/١)، وبرنامج التجيبي: (ص١٠٣)، ومقدمة العارضة لطارق الشيباني: (ص٢٠).

(٦) في (د) و(ص) و(ز): وقد.

وقد أخبرنا أبو الحُسَين(١) المبارك بن عبد الجبَّار(٢): أنا عبد العزيز بن علي بن أحمد بن الفضل الأَزَجِي(٣): نا محمد بن أحمد المُفيد(٤): نا أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن السَّقَطِي: نا أبو خالد يزيد بن هارون عن عاصم الأحول عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «المَوْتُ كَفَّارَةٌ لكل مسلم»(٥)، صحيح حسن.

---

(١) في (س) و(د): الحَسن.

(٢) الإمام الحافظ، المُفِيد المُسْنِد، أبو الحُسَين المبارك بن عبد الجبَّار الصيرفي البغدادي، ابن الطُّيُورِي، (٤١١-٥٠٠هـ)، قال فيه أبو علي الصدفي: «كان ثَبْتًا فَهِمًا، عفيفًا متقنًا، صحب الحفاظ ودُرِّبَ معهم، سمعت أبا بكر بن الخاضبة يقول: شيخُنا أبو الحُسَين ممن يُستشفى بحديثه»، سمع منه ابن العربي «جامع الترمذي» رواية ابن محبوب، و«سنن الدارقطني»، و«الأحاديث التي خُولِفَ فيها إمام دار الهجرة مالك بن أنس»، و«شرح غريب الحديث» لأبي عُبَيدة، و«كتاب المسائل لابن قُتَيبة»، و«تسمية شيوخ مالك وسفيان وشعبة» لمسلم، و«مغازي الواقدي»، وغيرها من دواوين العلم، لقيه ببغداد، ينظر: قانون التأويل: (ص١٠٥)، وفهرس ابن خير: (ص١٥٦-١٦١-٢٢٩-٢٣٥-٢٤٦-٢٦٦-٢٨٧)، والأنساب للسمعاني: (٢٠٩/٤)، والمستفاد لابن الدِّمياطي: (ص٢٢٣-٢٢٦)، والتقييد لابن نُقطة: (٢٣٨/٢-٢٣٩)، وسير النبلاء: (٢١٣/١٩-٢١٦)، ولسان الميزان: (٤٥١/٦-٤٥٣).

(٣) في (د) و(س): الأرجي، وفوقها: في خـ: الأزدي، وهو تصحيف.

(٤) في (س) و(د): المُفَنِّد، وهو تصحيف.

(٥) أخرجه البيهقي في الشعب: (٢٩٣/١٢)، وأبو نُعَيم في الحلية: (١٢١/٣)، قال الخطيب: «هذا السقطي لا يعرف إلا من جهة المفيد، وليس بمعروف عند أهل النقل»، وأنكر هذا الحديث ابنُ طاهر، وأدخله ابن الجوزي في موضوعاته، ومال إلى ذلك ابن حجر، لسان الميزان: (٥١٨/١-٥١٩).

[كيفية قبض الروح[١]]:

وورد في كيفية قبض الروح ثلاث آيات:

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ﴾ [الزمر:٣٩].

وقال في آية ثانية: ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ﴾ [السجدة:١١].

وقال في آية ثالثة: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ﴾ [الأنعام:٩٤]/. [١/٣٦أ]

فقال علماؤنا - رحمة الله عليهم -: إنها ثلاثة أقوال لثلاثة معان:

أمَّا إضافة الوفاة إلى الله تعالى فهي الحقيقة؛ لأنه الفاعل على الإطلاق للموت، وللمُتَوَلِّي للموت[٢]؛ كان مَلَكًا واحدًا أو ألف[٣] مَلَكٍ، لأنه خالق الأعيان والأفعال لا خالق سواه، والكلُّ مَحَلٌّ لفِعْلِه[٤].

وأمَّا إضافةُ[٥] الموت إلى مَلَكِ الموت لأنه الأمير المقدَّم على جميع الملائكة، والكُلُّ تحت يده، يتناولون ذلك بأمره في كل شخص وموطن، على سبيل العرب في إضافتها الفِعْلَ إلى الآمِرِ.

---

(١) ينظر: المتوسط في الاعتقاد -بتحقيقنا-: (ص٣٧٧).
(٢) سقطت من (س).
(٣) في (ص): ألفًا.
(٤) ينظر: المقدمات الممهدات لابن رشد الكبير: (١/٢٢٧).
(٥) في (ص): وأضاف.

وأمَّا إضافة الموت إلى الملائكة فلأنهم المباشرون حِسًّا، والكُلُّ مضافٌ عربيةً إضافة صحيحة، وإن اختلفت المعاني معقولًا ومحسوسًا، وحقيقة ومجازًا، وأفاد الجميعُ العبارة بالبيان لملكوت الله وجبروته، وتدبيره وحِكْمَتِه، وإذا كانت الملائكة هي التي تتولَّى قبض الروح، ففي تنويع قَبْضِ الروح[1] آيَةٌ وأحاديث.

أمَّا الآية فقد تقدَّمت، وهي قوله: ﴿وَالْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾، وقوله: و﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ [الأنفال:٥١]، والمعنى في البَسْطِ[2] يحتمل وجهين:

أحدهما: المد والفتح حتى يقع فيها الروح؛

والثاني: الضرب، من قولك: «بسطتُ يدي على فلان»، إذا ضربتَه، وهو الأظهر لوجهين:

أحدهما: أنه لو كان معنى البَسْطِ[3] المد حتى يقع فيها الروح، فمن كان يُخْرِجُ الروح؟ والله قد أخبرنا بإخراجه على أيديهم.

والثاني: أنه قد فسَّر البَسْطَ بالضرب في الوجوه والأدبار في الآية الأخرى: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾، يقولون - في بعض الأقوال - للأجساد: ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام:٩٤].

ولو صحَّ أن هذا خطاب حقيقة لكان خطاب تكوين لا تكليف؛ لأن الأجساد لا تعقل فتكلَّف، ولا تُضبَط فتسلم.

---

(١) قوله: «ففي تنويع قبض الروح» سقط من (د).
(٢) في (د): البسيط.
(٣) في (د): البسيط.

وقال بعضهم: «إن معناه أنه يقال لهم: قد كنتم تزعمون أنكم تحكمون أنفسكم وتملكون أمركم، فالآن أخرجوا أنفسكم عن هذه الضيقة التي قد حصلتهم فيها».

والكل صحيح ممكن محتمل.

وأمَّا الحديث فصحَّ وثَبَتَ أن النبي ﷺ قال[١]: «إذا حُضِرَ المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء - وفي رواية: بقطعة من إستبرق -، فيقولون: اخرجي راضية مرضية عنك، إلى رَوْحٍ وريحان، ورَبٍّ غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح مِسْكٍ، حتى إنه ليناوله بعضهم بعضًا، حتى يأتوا به بابَ - يعني: باب السماء -، فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض، فيأتون به أرواح المؤمنين، فلهم أشد به فرحًا[٢] من أحدكم بغائبه يَقْدَمُ عليه، فيسألون ما فعل فلان؟ ما فعل فلان؟ فيقولون[٣]: دعوه، فإنه كان في غَمِّ الدنيا، فإذا قال: أما أتاكم؟ قالوا: ذُهِبَ به إلى أمه الهاوية، وإنَّ الكافر إذا حُضِرَ أتته ملائكة العذاب بمِسْحٍ - يعني: قطعة من صوف -، فيقولون: اخرجي/ ساخطة مسخوطًا عليك إلى عذاب الله، فتخرج كأنتن ريح جيفة[٤]، حتى يأتون به باب الأرض فيقولون: ما أنتن هذه الريح[٥]، حتى يأتوا به أرواح الكفَّار»[٦].

[٣٦/ب]

(١) في (س): أنه قال.
(٢) في طرة بـ (س): في خـ: أفرح به.
(٣) في (ص): فيقول.
(٤) في (د): جائفة.
(٥) في (د): الرائحة، وسقطت من (ز).
(٦) أخرجه النسائي في الكبرى من حديث أبي هريرة ﷺ: كتاب الجنائز، ما يلقى به المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه، رقم: (١٩٧٢-شعيب).

[الحالة الثانية: احتمال الميت إلى مدفنه]

وفي الحالة الثانية: وهي احتماله إلى مدفنه، وفي ذلك آثار وأخبار، من صحيحها ما رُوي: «أن الجنازة إذا وُضِعت -وأَصَحُّه[١]: على السرير-، واحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قَدِّمُوني قدموني، وإن كانت غير ذلك قالت: يا ويلها، إلى أين تذهبون بها[٢]؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعه[٣] لصَعِقَ»[٤].

وسُنَّتُها الإسراعُ؛ في الصحيح - واللفظ للبخاري -: «أسرعوا بالجنائز، فإن تَكُ صالحةً فخَيْرٌ تُقَدِّمُونَها إليه، وإن يكُ سوى ذلك فشَرٌّ تضعونه عن رقابكم»[٥].

[الوَصَاةُ بالأحاديث الصحيحة وتجنب الأباطيل والمنكرات]:

وفي خروج الروح والصعود بها وحملها أحاديثُ لا ينبغي لأحد منكم أن يلتفت إليها، فاشتغلوا بما صحَّ؛ فإن حُكْمَ الله عظيم، وما صحَّ عندنا

---

(١) في (ز): واضحة، وهو تصحيف.

(٢) في (د): بي، وأشار إليها في (س).

(٣) في (س): سمعها.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كتاب الجنائز، باب حمل الرجال الجنازة دون النساء، رقم: (١٣١٤-طوق).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الجنائز، باب السرعة بالجنازة، رقم: (١٣١٥-طوق).

منه على لسان نبيه قليل، والمُدَلَّسُ كثير، والقارئ[١] له بالنقد غير بصير، فاقتصروا على يد الإسلام[٢] إن أردتم أن تقبضوا بها على الإسلام، وتتحقَّقوا[٣] الفَوْزَ إلى دار السَّلام، فإن من حدَّث عن النبي حديثًا يُرى أنه كَذِبٌ فهو أحدُ الكاذِبَيْنِ[٤].

[القَوْلُ في الشهداء]:

وأمَّا القول في الشهداء فالأحاديث الصِّحَاحُ فيه قليلة، وثوابها عظيم، فإنها تُكَفِّرُ كل خطيئة إلا الدَّيْن، وهو حَيٌّ عند ربه يُرْزَقُ، فَرِحًا بما آتاه الله من فَضْلِه ولَقِيَه به من بِرِّه، وأحاديثُهم كثيرة، الصحيح منها ما أُورِده عليكم، فاحفظوها وذَرُوا سواها:

الأوَّل: «ما من أَحَدٍ يُكْلَمُ في سبيل الله - والله أعلم بمن يُكْلَمُ في سبيله - إلا جاء يوم القيامة وجرحُه يَثْعَبُ دمًا، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ[٥]، والريحُ رِيحُ مِسْكٍ»[٦].

---

(١) في (س) و(د): التارك.

(٢) يقصد بها: الموطأ، والصحيحين، والسنن لأبي داود والترمذي والنسائي.

(٣) في (د): تحققوا.

(٤) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه من حديث سمرة بن جندب والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما: باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين، والتحذير من الكذب على رسول الله ﷺ، (١/٨-عبد الباقي).

(٥) في (ص): الدم.

(٦) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الجهاد، الشهداء في سبيل الله، (١/٤٨٣)، رقم: (١٣٢٧-المجلس العلمي الأعلى).

والثاني: «القتلُ في سبيل الله يُكَفِّرُ كلَّ خطيئة إلا الدَّيْنَ»(١).

الثالث: «من اغبرَّت قدماه في سبيل الله حرَّمهما الله على النار»(٢).

الرابع: «من شاب شَيْبَةً في سبيل الله كانت له نورًا يوم القيامة»(٣).

الخامس: «لا يجتمع غُبَارٌ في سبيل الله ودخانُ جهنَّم»(٤).

السَّادس: قال النبي ﷺ: «وَدِدْتُ أنِّي أُقاتِل في سبيل الله فأُقتَل، ثم أُحيى ثم أُقتَل، ثم أُحيى ثم أقتَل»(٥).

السَّابع: قال النبي ﷺ: «أرواح الشهداء في حواصل طَيْرٍ خُضْرٍ تَعْلُقُ من ثَمَرِ الجنة، أو شجر الجنة»(٦).

وثبت وصحَّ أن النبي ﷺ قال: «إنما نَسَمَةُ المؤمن طائر تَعْلُقُ في شجر الجنة»(٧).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين، رقم: (١٨٨٥-طوق).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي عبس رضي الله عنه: كتاب الجمعة، باب المشي إلى الجمعة، رقم: (٩٠٧-طوق).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه عن عمرو بن عَبَسة رضي الله عنه: أبواب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل من شاب شيبة في سبيل الله، رقم: (١٦٣٥-بشار).

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الجهاد، فضل من عمل في سبيل الله على قَدَمِه، رقم: (٤٣٠٠-الرسالة).

(٥) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الجهاد، الشهداء في سبيل الله، (٤٨٣/١)، رقم: (١٣٢٥-المجلس العلمي الأعلى).

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه عن كعب بن مالك رضي الله عنه: أبواب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في ثواب الشهداء، رقم: (١٦٤١-بشار).

(٧) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن كعب بن مالك رضي الله عنه: كتاب الجنائز، جامع الجنائز، (٢٨٤/١)، رقم: (٦٤٦-المجلس العلمي الأعلى).

واختلف الناس هل يرجع هذا الحديث إلى ما[١] قبله فيعني به الشهيد، أو يكون عامًّا في المؤمنين؟

وقد جاء هذا المعنى من طُرُقٍ، ورُويت أيضًا معاني هذا الحديث[٢] من طرق، والصحيح منها هذه السبعة، وهي كافية في الباب.

وقد ثبت وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: «من سأل القتل في سبيل الله صادقًا من قلبه أعطاه الله أجر الشهادة»[٣]/، من طريق معاذ بن جبل. ١ [٣٧/أ]

وحديثُ الباب الذي نحن فيه ما روى المقدامُ بن مَعْدِي كَرِبَ قال: «قال رسول الله ﷺ: للشهيد عند الله ست خصال؛ يغفر الله له في أول دفعة، ويرى مقعده في[٤] الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن الفزع الأكبر، ويُوضَعُ على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويُزَوَّجُ اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويُشَفَّعُ في سبعين من أقاربه»[٥].

قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح غريب»[٦].

وفي طريقه: بقيَّة بن الوليد، فالله أعلم.

---

(١) في (ص): الذي.

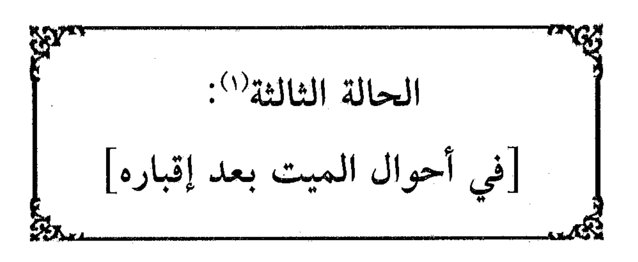
(٢) في (د) و(ص) و(ز): هذه الأحاديث.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: أبواب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء فيمن يسأل الشهادة، رقم: (١٦٥٤-بشار).

(٤) في (ص): من.

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ، بابٌ في ثواب الشهيد، رقم: (١٦٦٣-بشار).

(٦) الجامع: (٢٩٢/٣)، وفيه: «حسن صحيح»، وفي (ص): «حسن غريب صحيح».



الحالة الثالثة[١]:
[في أحوال الميت بعد إقباره]

فإذا وُضِعَ في لَحْدِه[٢] وهِيلَ الترابُ عليه؛ فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إن العبد إذا وُضع في قبره وتولَّى عنه أصحابه؛ إنه ليسمعُ قَرْعَ نعالهم، أتاه مَلَكان، فيُقعدانه ويقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل - لمحمد ﷺ - ؟ وما عِلْمُك بهذا الرجل؟ فأمَّا المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وآمَنَّا واتَّبعنا، فيقال له: نَمْ صالحًا، قد علمنا إن كنت لمؤمنًا، انظر إلى مقعدك من النار قد بدَّلك[٣] الله به مَقْعَدًا من الجنة، فيراهما جميعًا، ويُفسَح له في قبره، وأمَّا المنافق أو الكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته، فيقال له: لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ، ويُضرب بمطارق من حديد ضربة[٤] بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلَّا الثقلين»[٥].

---

(١) سقطت من (ز).

(٢) بعده في (ص): وهي الحالة الثالثة.

(٣) في (ص): أبدلك.

(٤) سقطت من (س) و(د).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، رقم: (١٣٧٤-طوق).

زاد ابن عمر عن النبي ﷺ - صحيحًا -: «ويقال له: هذا مقعدُك حتى يبعثك الله إليه[١] يوم القيامة»[٢].

وقال - في الصحيح - ﷺ وقد مرَّ على قبرين فقال: «إنهما ليُعَذَّبان، وما يعذبان في كبير، أمَّا أحدهما فكان لا يستتر[٣] من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»[٤].

ومن الحديث الحسن الصحيح عن أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: «إذا قُبِرَ[٥] الميت - أو قال: أحدكم -، أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المُنْكَر، وللآخر النَّكِير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: ما كان يقول، هو عبد الله ورسوله، شهد[٦] أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يُفْسَحُ له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين، ثم يُنَوَّر له فيه، ثم يقال له: نم، فيقول: أرجع إلى أهلي[٧] فأخبرهم، فيقولان: نَمْ كنومة العروس؛ الذي لا يوقظه

---

(١) في (ص): يبعثك الله يوم، وهو الذي في الموطأ من رواية يحيى، وما أثبته ابن العربي من رواية ابن القاسم، ينظر: المسالك: (٣/٥٩٤).

(٢) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: كتاب الجنائز، جامع الجنائز، (١/٢٨٤)، رقم: (٦٤٤-المجلس العلمي الأعلى).

(٣) في (د): يستبرئ، وأشار إليها في (س).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما: كتاب الوضوء، بابٌ، رقم: (٢١٨-طوق).

(٥) في (س): أُقْبِرَ.

(٦) في (ص): يشهد.

(٧) في (س): قبري.

إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه[١] الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقًا قال: سمعت الناس يقولون شيئًا فقلت مثله، لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه فتختلف فيها أضلاعه، فلا يزال فيها مُعَذَّبًا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»[٢].

[إشكالات والجواب عنها]:

[٣٧/ب] **قال القاضي الإمام أبو بكر**[٣] رضي الله عنه: وفي أحاديث/ هذه الحالة إشكالٌ من ثمانية أوجه:

الإشكال الأوَّل: كلام الجنازة على السرير وسماع الخلق له إلا الإنسان، وكيف يكون صوتٌ مسموع لسامع في محل لا يسمعه آخر معه سليم الحاسة عن آفة الإدراك؟

الإشكال الثاني: في صيحة المقبور عند ضربه بالمِقْمَعَةِ، فيلزم عليه ما يلزم[٤] في الإشكال الأوَّل من السؤال.

والبيانُ عنه: أنَّ الإدراك معنًى يخلقه الله لمن شاء بما شاء أي وقت شاء، ويمنع منه من شاء، وليس بطبيعة، ولا على[٥] وتيرة واحدة، ولا صفة وسبب يقوم بالمحل الذي به يكون السمع، وهذا بَيِّنٌ في «كُتُبِ الأصول».

---

(١) في (د): يبعث.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، رقم: (١٠٧١-بشار)، قال أبو عيسى: «حديث أبي هريرة حديث حسن غريب».

(٣) في (ص): قال الإمام أبو بكر بن العربي، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي.

(٤) في (ص): لزم.

(٥) سقط من (د).

والدَّلِيلُ عليه قطعًا نزول جبريل إلى النبي عليهما السَّلام بالوحي؛ يُكَلِّمُه به مثل صَلْصَلَةِ الجَرَسِ[١]، ويسمعه منه ويَعِيهِ عنه، ولا يسمعه أَحَدٌ من أصحابه، وفي رواية: «كدَوِيِّ النحل»[٢].

الإشكال الثالث: كَوْنُ الروح في أجواف طير خُضْرٍ، أو طَيْرًا أخضرَ.

والبيان له: أن الروح لا تخلو أن تكون عَرَضًا أو قائمة بنفسها؛ جِسْمًا أو جَوْهَرًا.

فإن كانت عَرَضًا فكيف تُوجَدُ بمَحَلٍّ حَيٍّ بروحه فتقوم به فتكون حيًّا بها أو لا تكون؟ وذلك محال، أو تكون جِسْمًا، فالعقول تمنع أن تكون في جسم آخر، والأصول تدفعه.

هذا كلامُ بعض من شرح الحديث[٣]، وهو لا يعلم ما المعقول ولا الأصول، ولكنه أبو سلمة صَرَخ، بهذا فخلط ولَطَخ، وجهل ما بينه وبين هذه الحقيقة من البَرْزَخ.

والحديثُ صحيحٌ كيفما قدَّرت الروح، فإن قدَّرتها عَرَضًا فلم تفارق الجسم إلا بجُزْءٍ[٤] منه معها كما بيَّنَّاه من قبل.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن الحارث بن هشام رضي الله عنه: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم: (٢-طوق).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة المؤمنين، رقم: (٣١٧٣-بشار)، وفيه يونس بن سُلَيم، لا يعرف من هو، ينظر: العلل لابن أبي حاتم: (٤/٦٨٨).

(٣) هذا كلام الإمام ابن عبد البر رضي الله عنه، وهو في الاستذكار: (٨/٣٥٩)، وفيه: «لا يجتمع في جسد روحان؛ روح المؤمن، وروح الطير، هذا محال تدفعه العقول، لمخالفته الأصول».

(٤) في (د): بجسم.

وإن كانت جِسْمًا فيجوز بالوجهين أن تُودَعَ في جوف طائر، أو تكون على هيئة طائر في صفاته، ويصل إليها الغذاء.

وإن كانت وديعة في جوفها فيصل إليه من عُلَقِها كما يصل إلى المولود من أُمِّه؛ بما يصل الله به[1] بينهما من أَمْرِه.

ويكون هذا مخصوصًا بالشهداء الذين عَجَّلُوا بأنفسهم إلى الموت، فعجَّل[2] الله لهم الثواب من النعيم قبل ما كان ضَرَبَهُ لغيرهم من الوقت، ويُحمَل الحديث المطلق على المقيَّد.

وما رُوي[3]: «أن أرواح آل فرعون في أجواف طَيْرٍ سُودٍ تُعرض على النار غدوة وعشية»[4] لم يصح، فلا تلتفتوا إليه، أَمَا إنهم يُعَذَّبُونَ كما قال الله: «بالغداة والعشي»[5]؛ بالعرض على النار، بَيْدَ أَنَّا لا نعلم صفتهم ولا كيفية عَرْضِهم.

الإشكال الرابع: قالوا: فإذا قلتم: إن الموت ليس بعدم ولا فناء، وإنما هو انتقال من دار إلى دار، فإذا انتقلوا من هذه الدنيا وحَصَلُوا في الدار الأخرى هل يدركون شيئًا/ من معاني الأُولى[6]؟ ١ [٣٨/أ]

---

(١) سقط من (س).

(٢) في (س) و(د): فجعل.

(٣) بعده في (ص): من.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: كتاب الجنة والنار وذكر رحمة الله، ما ذكر فيما أعد لأهل النار وشدته، (١١٢/١٢)، رقم: (٣٥١٦١-الرشد).

(٥) يشير إلى قوله تعالى: ﴿النار يعرضون عليها غُدُوًّا وعَشِيًّا﴾ [غافر:٤٦].

(٦) في (د): الأول، وفي (ز): الدنيا.

أو يُحِسُّونَ بأمر من أمورها ويعلمون حالًا من أحوال أهلها؟

فإن كانوا لا يعلمون بذلك كما تقولون، فكيف يفوتهم عِلْمُ هذه الدار وهم أحياءٌ غير أموات؟

وإن كانوا يعلمون بذلك فما الذي يمنعهم عن الجواب والمفاوضة فيما حصل من المعرفة بما حصل عندهم منهم؟

البيانُ:

قلنا: قد سبق الإيضاحُ منَّا بأن الدنيا والآخرة داران ومُقامان، ولكل واحدة أهلون؛ لهم صفات وأعمال وأحوال، وفي كل واحدة ما لا يصلح للأخرى، وقد جعل الباري لكل مقام حالًا وعملًا، وعلمًا وجهلًا، وحَكَمَ بأن شيئًا من الآخرة لا يُدرك بصفة من صفات الدنيا.

وأمَّا إدراكُ صفة الدنيا من الآخرة ففي ذلك اختلاف وتفصيل يأتي بيانه إن شاء الله مطلقًا ومفسرًا، ولو شاء ربكم لجعل الأمر بابًا واحدًا، ولكنه[1] فصَّلها[2] تفصيلًا بقدرته وإرادته وحِكْمَتِه، وأنفذ فيها حُكْمَه، وهو العزيز الحكيم.

أو لا ترى أن دار الدنيا تتفاوت حال عمارتها[3] من العاقل وغير العاقل؟ فيكون عند كل واحد من الصنفين من الإدراك ما لا يدركه الآخر.

---

(١) في (د): لكنها، وهو تصحيف.

(٢) في (ز): فسرها وفصلها.

(٣) في (ص): عمرتها.

نعم، والصنف العاقل يتفاوتون في المعرفة؛ فيدرك صنفٌ معرفة ما لا يدرك الآخر منها حرفًا، فإن الله خلق هذه الدار الدنيا دار قصور وتقصير، أو لا ترى أن الله يختص برحمته من يشاء؟ ويُقَدِّمُ بعض الخلق على بعض، فمكَّن الأنبياء من إدراك الآخرة بجميع ما فيها من دار الدنيا، بما ألقى فيهم من المعرفة، ووهبهم من العلم، وآتاهم من القوَّة، وأدام لهم من العصمة، واصطفاهم به من الكرامة، ورفعهم إليه من المنزلة؛ على تباينهم في مقاماتها، وتفاوتهم في درجاتها.

ومن الناس من تضيقُ حَوْصَلَتُه عن فَهْمِ هذه الحقائق، ويَقْصُرُ عن دَرْكِ معارفها، ويخفى عليه أنَّا أُخِذَ علينا[1] فيها[2] الإيمانُ والتصديقُ بكل مُمْكِنٍ يُخْبِرُ عنه الصَّادق الناقل إلينا عن الحقِّ الحقَّ.

مُفَاوَضَةٌ: [في عذاب القبر]

قال لي بعضُ القدرية في مجلس النظر يومًا - وقد أنكر عذاب القبر -: الدليلُ على بطلان مذهبكم فيه أنَّا نرى الميت يُوضع في القبر ويُنثر عليه حَبُّ السِّمْسِمِ مُرَتَّبًا محصورًا، ويُربط عليه الكفن ضَغْطًا، ويُعَلَّمُ تعليمًا، ثم يؤتى إليه من بعد المغيب عنه فيوجد على هيئته، ولو كان يُقام ويُقعد ويُضرب، ويَضطرب ويُصعق[3] ويَزعق، ما ثبتت تلك الهيئة على حالها، وكذلك المصلوب؛ يبقى على هيئته الدهور، ولا تختلف عليه الهيئات، ولا يُضغط لأنه في الهواء.

---

(١) في (د): عليه.

(٢) سقط من (س).

(٣) في (ز): يصعد، وهو تصحيف.

قلت له مُحَقِّقًا لمذهبي في خلق الأعمال، ومُتَعَلِّقًا في نصرته بواضح الاستدلال: الذي ربطه وعلّمه بعلاماته ورَشَمَه هو الله؛ الخالق الفاعل/ [٣٨/ب] وحده، المُسَخِّرُ في جميع أفعاله للخلق وأفعالهم.

قال لي: فإذا جالسناه ولازمناه ووَّكلنا به من يداولنا عليه الأيام، والأشهر والأعوام، حتى يأرَم، فإنا نراه في صفته التي وضعناه عليها من غير تَحَرُّكٍ ولا قيام، فإذا ادَّعيتم خلاف المشاهدة وأنكرتم إدراك المحسوسات كانت صفصطة.

وهو أقوى سؤال للقوم[١]، و إن الضعفاء ليكفُّون[٢] عنه.

قلت له: إن العذاب على نوعين؛ منه ما يتعلق بالروح وحده، ومنه ما يتعلق بالبدن معه، ولا يُنكر عاقلٌ الأوجاع والأسقام والآلام تنزل بالباطن والظاهر من البدن، فتكون النفس في غاية العذاب، ولا يضطرب البدن، وكذلك الكرب العظيم؛ ينزل بالمرء فيكون في غاية العذاب، ولا يتحرك البدن، وتفسد الأعضاء الرئيسة[٣] وتؤول إلى الهلكة، فما يكون من وَبَالٍ[٤] ونَكَالٍ يتعلق بالروح، ويألم البدن بذلك؛ سواءٌ كان متصلًا به أو منفصلًا عنه، فإن اتصال الآلام باتصال الأجزاء في العين الواحدة عادة، وقد يتصل الألم مع انفصال الذوات؛ كالهاجر والمهجور في المحبة، والولد والوالد[٥]، وهاتان عادتان دَلَّتا على أن الذي يُفَصِّلُ الآيات له أن يَخْرِقَ العادات، ولا سيما في زمان ذلك وفي أَهْلِه.

---

(١) في (ص): القوم.

(٢) في (ص): ليكيعون.

(٣) في (س) و(د): الرئيسية.

(٤) في (ص): سؤال.

(٥) في (ص): الوالد والولد.

وقد يجوز أن يتصل الألم ببعض البدن، وهو المتصل بالروح؛ إن كانت عَرَضًا تخرج في جزء من الجسم، كما يكون الألم في عُضوٍ من البدن حال الدنيا دون آخر، وهذا كله محتمل جائز.

قال لي: فقوله في الحديث: «يُقْعِدَانِه»، رويتَه ثم تركته، فمنك الإثبات ومنك النفي لما تثبت.

قلت له: كلَّا، لا[١] أُثبت إلا ما يَثبت، ولا أنفي إلَّا ما يَنتفي، الإقعاد والإقامة تكون في الروح كما تكون في البدن، وذلك معلوم حقيقةً، مذكور نقلًا؛ تقول العرب: «أصابني المُقِيمُ المُقْعِدُ من أمر كذا».

قال لي: هذا مجازٌ من الكلام، ورجوع إلى التأويل بعد الأخذ بالظاهر، وإذا نزلت عن الظاهر ورجعت إلى التأويل شاركناك فيه، وقلنا[٢] لك[٣] من الاحتمالات في الأخبار ما تصيرُ إليه فيها.

قلت له: بل هو إذا أُضِيفَ إلى الروح حقيقةٌ فيه، كما إذا أضيف إلى البدن حقيقةٌ فيه، وحقيقةُ كل شيء على قَدْرِه، ألا ترى أن حقيقة الإله بصفاته معلومة على قَدْرِه، وحقيقة العبد بصفاته معلومة على قَدْرِه، وكذلك في المُحْدَثات؛ للعَرَضِ حقيقةٌ، وللجسم حقيقةٌ، وذلك[٤] يجري على صفته، والإضافة في مسألتنا إلى الروح وإلى البدن حقيقتان معًا.

وقد يحتمل أن يكون الباري أيَّان رَصْدِهم علَّق العذاب على الروح وحده، فإذا زالوا علَّق العذاب على الروح والجسد.

---

(١) في (ص): ما.
(٢) في (س): قلت.
(٣) في (س): له، وهو تصحيف.
(٤) في (ص): كلها.

وقد يحتمل أن يكون ذلك في الموتى عمومًا[1]، ويُخَصُّ منهم من ذكرتم من مُرصَد/ ومن مصلوب[2]، وتكون الحكمة في ذلك ألا يعاينوه مُقامًا مُقْعَدًا، فيذهب أصل[3] الفرض[4] عليهم في الإيمان بالغيب عن أمر الآخرة دون مشاهدتها.

١ [٣٩/أ]

وأنت يا هذا ما الذي يمنعك من القول بهذا كله؟ والقدرة له واسعة، والحكمة فيه شائعة سائغة، والخبر به وارد.

قال لي: هو خَبَرُ آحاد.

قلت له: قد استفاض حتى عُلِمَ، وعليك إذا جوَّزته أن تعتقده، ولو رَوِيتَ من بَحْرِ الآثار، أو كان للشريعة عندك مقدار؛ لامتلأ فؤادك من ذلك، ولكنْ أشياخُك بَنَوا على طَمْسِ الشريعة وإطفاء نورها، حتى قالوا: «لا يقبل خبر الآحاد حتى ينقله اثنان، وينقل عن كل واحد اثنان، حتى ينتهي إلينا[5] بأعداد لا تحصى»، وذلك لا يتفق؛ فيؤول إلى إبطال الأحاديث كلها، وتبقى الشريعة عَرِيَّةً عن بيان الذي أنزلت عليه لها، فتَتَحَكَّمُ أنت وأشياخُك فيها.

---

(١) في (د) و(ز) و(ص): على العموم.

(٢) في (س): مطلوب.

(٣) في (س): أهل.

(٤) في (س): العرض.

(٥) في (ص): إليه.

وأين أنت[١] عن النظائر المرويَّة المقطوع بها في الشريعة؟ وهي كلام جبريل؛ «مثل صلصلة الجرس»[٢] مع النبي بحضرة الناس، ولا يُدركه سواه.

وأينك عمَّا ثبت في الصحيح من خبر صاحب الفترة، فيما تشهد له القدرة[٣]، وتعضده العبرة، وهو قولُه ما روى حُذَيْفَةُ أن النبي ﷺ قال: «إن رجلًا حضره الموت؛ لمَّا يئس من الحياة أوصى أهله، إذا مُتُّ اجمعوا لي حطبًا كثيرًا، ثم أَوْرُوا[٤] نارًا، حتى إذا أَكَلَتْ لحمي، وخَلَصَتْ إلى عظمي؛ فخذوها فاطحنُوها، فذرُّوها في اليمِّ في يَوْمٍ رَاحٍ، فجمعه الله فقال: لم فعلت هذا؟ قال: خشيتُك، فغفر له»[٥].

فهذا ينبئ عن سعة القدرة، وسُرعة التقدير والتكوين، وإنفاذ القضاء والقدر، ولكن[٦] كان هذا في زمن الفترة حين لا رسول يُبَيِّنُ، والشرع قد درس؛ نَفَعَتْهُ عمَّا جهل المعذرة، بما حصل له[٧] من المعرفة، ولو كان الشرع قائمًا ما صحَّ ذلك له في المشهور، وقد بيَّنَّا ذلك في موضعه، فلا وجه لما نَزَعْتَ به، ولا خفاء بما قلتُه لك.

---

(١) في (ص): وأينك.

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) في (ص): العذرة.

(٤) في (س): أوري.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأنبياء، بابٌ، رقم: (٤٣٧٩-طوق).

(٦) في (ص): لما.

(٧) سقط من (س).

وانقلبنا عن ذلك المجلس والشيطان خزيان ينظر، وهذا المعنى كلُّه مستوفًى في «نزهة المناظر[١]» وغيره من «كُتُبِ الأصول».

الإشكال الخامس:

قالوا: إن الله يقول مُخْبِرًا عن الكفار في حَالٍ، قال: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٤ - ١١٥]، فأخبر الله سبحانه عن الكفار أنهم يُراجَعون عند سؤالهم عن مدة لُبثهم، أنهم لَبِثُوا يومًا أو بعض يوم، ولو كانوا في عذاب لكان اليومُ عندهم ألف عام، فإن أيام النعيم ساعاتٌ قِصَارٌ، وأيام العذاب أعوامٌ طِوَالٌ.

قال علماؤنا[٢] - ما معناه -: «إن هذا تَلْبِيسٌ في السؤال، فإنهم سُئِلوا عن مدة مقامهم في الدنيا، لا عن مدة مقامهم/ في القبور، وأيام الدنيا التي قَطَعُوها بالنعيم، وأَفْنَوْهَا بالمرح، واغتروا بها، وظنوا أن لا دار وراءها، مع رؤيتهم أنه لا بقاء لها، ولكن النفس الجاهلة مُولَعَةٌ بحب العاجلة». [١/٣٩/ب]

فلمَّا عاينوا العذاب الدائم قيل لهم: كم لبثتم فيما تمتعتم؟

﴿قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ﴾.

وكذلك النعيم كله إذا زال المرءُ عنه، إنما هو لحظة، سواءٌ انتقل منه إلى نعيم أو عذاب، وأَشَدُّه الانتقال منه إلى ضده:

---

(١) في (س) و(د): الناظر.
(٢) بعده في (ص): رضي الله عنهم.

فمن عاش عامًا كمن عاشا ألفًا فما العام والألْفُ إلا سواءْ[١]

فيقول الله لهم: ما[٢] لبثتم بما لبثتم[٣] إلَّا قليلًا، وإن كان أمدًا طويلًا، لأنه يفنى، ولا كثير فيما له آخِر، ولا قليل فيما لا بقاء[٤] له.

الإشكال السَّادس:

قال الله تعالى[٥] مُخْبِرًا عن الكفار: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ [طه:١٠١ - ١٠٢].

والسؤال واحد، والجواب منه إن قالوا: إنه خبرٌ عن مدة اللبث في القبر، قلنا: إنه خبر عن مدة اللبث في الدنيا، ويعاد عليهم في ذلك من الجواب مثل ما تقدَّم عن الإشكال الخامس، إذ هُوَ هُوَ نفسُه[٦].

الإشكال السَّابع:

قالوا: إن الله قال مخبرًا عنهم: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس:٥١]، ولو كانوا في عذاب ما ندموا على فراقه؟

قيل لهم: لو خرجوا منه إلى نَعِيم لكان هذا، ولكنهم يخرجون إلى أشدَّ منه، فما من كَرْبٍ يلقاهم إلَّا وهم ملاقون فيه من العذاب أشد ممَّا كانوا فيه، ويُهَوِّنُ على المؤمنين[٧].

---

(١) البيت من المتقارب، ولم أقف عليه بعد البحث والتعني، فلعله من إنشادات بعض شيوخ ابن العربي.

(٢) في (ص): إن.

(٣) قوله: «بما لبثتم» لم يرد في (ز) و(ص).

(٤) في (د) و(ز): نفاذ.

(٥) في (د) و(ص) و(ز): سبحانه.

(٦) في (ص): بعينه.

(٧) في (ص): المؤمن.

الإشكال الثامن:

قالوا: إن الله تعالى أخبر عنهم بأنهم قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر:١٠]، فذَكَرَ الله حياتَيْنِ ومَوْتَتَيْنِ[١]، وعندهم أنها ثلاث[٢]؟

قلنا: بل هي أكثر من خمسة[٣]، وقد بيَّنَّاها في «المتوسطة»[٤] وغيره من «كتب الأصول»؛ واحدة منها مشاهدة، وسائرها مُدركة بالعبرة، وتشهد له القدرة، إلا أن الله تعالى أخبر عنهم هاهنا بمثل ما أخبر في إقامة الحجة عليهم بقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة:٢٨]، وإنما احتجَّ عليهم بما شاهدوا.

كما أخبر عن قولهم: إنهم ذكروا ما شاهدوا، ولم يكن الكفار ممن يؤمن بالغيب، ولا يعرف دليلًا، ولا يُقِرُّ بشريعة، ولا يعلم قَدْرَها[٥]، ولا قَدَرَ[٦] الله حَقَّ قَدْرِه[٧]، فهو في الآخرة كما كان[٨]، وكذلك تقولون أنتم أيضًا، فإنكم إخوانهم، بهم مرتبطون، وعلى آرائهم تحومون، وإليها تقودون[٩] أنفسكم وتسوقون.

---

(١) في (ص): موتين.

(٢) في (ص): ثلاثة.

(٣) ينظر: المقدمات الممهدات: (١/٢٢٦).

(٤) المتوسط في الاعتقاد -بتحقيقنا-: (ص٣٨٣).

(٥) في (ص): قدره.

(٦) في (ص): يقدر.

(٧) سقطت من (ز).

(٨) في (ص): فبقي في أمر الآخرة كما كان.

(٩) في (س) و(ز): يعودون.

وقد يحتمل أن يريد بالمَوْتَتَيْنِ موتة[1] الدنيا وموتة[2] القبر بعد الإحياء، وبالحياتين قرينتيهما[3]، وقد بيَّنَّا المسألة في «المشكلين»[4]، و«الإملاء»[5]، وغيره، وكل ما يَنْزِعُونَ به[6] فهو محتمل، وهو عليهم/ لا لهم[7].

١ [٤٠/أ]

---

(١) في (د) و(ص) و(ز): موت.

(٢) في (د) و(ص) و(ز): موت.

(٣) في (س): قرينتين.

(٤) كتاب شرح المشكلين: هو كتاب في مشكل القرآن والحديث، في ألف وخمس مائة ورقة، وغالبُ الظن أن يكون قد فرغ منه قبل خروجه من إشبيلية عام ٥٢٩هـ، وتناول فيه الآيات التي يُوهم ظاهرها ما لا يجوز في الشرع، من متشابه القرآن ومشكله، والآيات التي اختلف المفسرون في توجيهها أو كشف معانيها، ففَصَّل فيها، وبيَّن أصولها، واعتلَّ لها، ونَظَرَ في معانيها، وابتدع من عنده وجوهًا في الاستدلال والتوجيه والتعليل، وكذلك تَنَاوَلَ الأحاديث المشكلة، مع اعتناءٍ ببيان صِحَّةِ الحديث من ضَعْفِه، وهو المعنى الذي قصَّر فيه كثيرٌ من المتكلمين، إذ غالبُهم غير عارف بمباحث الإسناد وطرق التعليل، ومسالك التصحيح والترجيح، فنَاسَبَ أن يكون كتابُه في مشكل الحديث ظاهرًا مرتفعًا عن كتب سابقيه، كابن قُتَيبة وابن فُورَكَ وغيرهما، ينظر: قانون التأويل: (ص٦٥٦).

(٥) يقصد به: «أنوار الفجر في مجالس الذكر»، فهو من أماليه، وله كتاب آخر اسمه «الإملاء على التهافت»، وهو كتاب نَقَدَ فيه «تهافت الفلاسفة» لأبي حامد الغزالي.

(٦) في (س): إليه.

(٧) ينظر: المقدمات الممهدات لابن رشد الكبير: (٢٢٦/١).

تحقيق:

وقد قال بعضُ العارفين: «إذا انقطع المرء بالموت عن الدنيا ورحل إلى الآخرة[١] فقد ورد في عِلْمِه بما عندنا ومعرفته بما لَدَينا[٢] أخبارٌ؛ أكثرها لا أصل لها، والصدقِ فيها قليل».

قال الفقيه القاضي أبو بكر[٣]: ونحن نُورِدُ عليكم الآن ما صحَّ منها[٤]:

الأوَّل: مخاطبتُه لمن يحمله بقوله: «قَدِّمُوني قَدِّمُوني[٥]»[٦].

الثاني: سماعُه لعذاب الرجلين اللذين يُعذبان فيما هو غيرُ كبير[٧].

الثالث: خرج النبي ﷺ بعدما غربت الشمس فسمع صوتًا فقال: «يَهُودُ تُعذَّب في قبورها»[٨].

---

(١) في (ص): الأخرى.

(٢) في (س) و(د): بالدنيا.

(٣) في (ص): قال القاضي الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي رضي الله عنه.

(٤) ينظر: المسالك: (٥٩٥/٣).

(٥) في (س): قربوني قربوني.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كتاب الجنائز، باب قول الميت وهو على الجِنازة: قَدِّمُوني، رقم: (١٣١٦-طوق).

(٧) تقدَّم تخريجه.

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي أيوب رضي الله عنه: كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر، رقم: (١٣٧٥-طوق).

الرابع: حديثُ سماعه لقَرْعِ النعال المنصرفة عنه بعد دفنه[١].

الخامس: حديث عمرو بن العاص في وَصاته عند موته، خرَّجها مسلم بن الحجاج، قال فيه: «وامكثوا على قبري قليلًا أستأنس بكم، حتى أنظر بما أُراجع رُسُلَ ربِّي»[٢].

السَّادس: حديث يوم بدر، قال عمر بن الخطاب ﷺ: «إن رسول الله ﷺ كان يُرينا مصارع أهل بدر بالأمس، يقول: هذا مصرع فلان غدًا إن شاء الله، والذي بعثه بالحق ما أخطأوا الحدود التي حدَّ رسول الله ﷺ، فجُعلوا في بئر؛ بعضهم على بعض، أربعةً وعشرين رجلًا، فانطلق رسول الله ﷺ حتى انتهى إليهم فقال: يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان[٣]، هل وجدتم ما وعدكم الله حقًّا ورسوله حقًّا[٤]؟ فإني قد وجدتُ ما وعدني الله حقًّا، قال عمر: كيف تكلم أجسادًا لا أرواح فيها[٥]؟ قال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، غير أنهم لا يستطيعون أن يردُّوا شيئًا»[٦]، خرَّجه الصحاح، وهذا لفظ مسلم.

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله، وكذا الهجرة والحج، رقم: (١٢١-عبد الباقي).

(٣) قوله: «يا فلان بن فلان» سقط من (س).

(٤) في (ص): ما وعدكم ربكم ورسوله حقًّا.

(٥) في (س): لها.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر، والتعوذ منه، رقم: (٢٨٧٣-عبد الباقي).

فأمَّا الحديثُ الآخِرُ وهو الأوَّلُ في الحقيقة؛ فلا يقاس بالنبي ﷺ في ذلك أَحَدٌ، ولا يجد الناظر فيه[١] عنه[٢] مُلْتَحَدًا، وليس فيه نصٌّ بأن أهل القبور يعلمون، إنما فيه[٣] أن النبي ﷺ أسمعهم كلامه، ولعلهم يسمعون كلامه بمنزلته، كما يسمع[٤] هو عذابهم، فيَجْعَلُ[٥] على قبور المسلمين منهم جرائد رطبة يُخَفِّفُ بها عنهم، وبحديث الجرائد[٦] يستدلُّ الناس على أن الأرواح في القبور، وهو أبين في ذلك من حديث ابن عمر في الصحيح: «إذا مات أحدكم عُرِض عليه مقعده بالغداة والعشي؛ إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة»[٧]، لأن عَرْضَ مقعده عليه ليس فيه بيانٌ عن موضعه الذي يراه منه.

وحديثُ الجرائد نَصَّ على أن أولئك كانوا في قبورهم، وكذلك حديث اليهود[٨]، ولا يعارضه إلا حديث كعب: «إن نسمة المؤمن طائر يعلُق في شجر الجنة»[٩]، وذلك مخصوص المعنى في الشهيد، لأنه لا يُتَعَجَّلُ الأكل/ والنعيم لأحد إلَّا للشهيد في سبيل الله، بإجماع من الأمَّة. [٤٠/ب]

---

(١) في (س): عنه فيه.

(٢) سقطت من (ص).

(٣) في (ص): نبه.

(٤) في (ص): سمع.

(٥) في (ص): فجعل.

(٦) تقدَّم تخريجه.

(٧) تقدَّم تخريجه.

(٨) تقدَّم تخريجه.

(٩) تقدَّم تخريجه.

وقد رُوي عن مالك: «أن الأرواح تسرح حيث شاءت»[1]، وقد ورد في حديث كعب هذا فدلَّ على أنه مخصوص عنده في الشهداء، فأمَّا حُكْمُه بسَرَاحِ الأرواح فلا أعلم له طريقًا في الشريعة يُعوَّل على طريقه.

وأمَّا حديثُ قَرْعِ النعال فإنه مخصوص بذلك الوقت، بل هو نصٌّ فيه، فلا يعلم هل يدوم أم لا؟

وأمَّا حديثُ عمرو بن العاص فلم يُسنده إلى النبي ﷺ، وإنَّما هو رجاءٌ رجاه حين سمع حديثَ سماع[2] قَرْعِ النعال فطمع؛ كما سمع قَرْعَ نعالهم أن يكون له أُنسٌ في مقامهم، وإلا فأي أنس يُرجى في الآخرة من أهل الدنيا؟ إلا إن كان بالصدقة والدعاء.

وفي حديث عُمَرَ المتقدم: «كيف تكلم أجسادًا لا أرواح فيها»؟ وأقره النبي ﷺ على ذلك، فدلَّ على أنها تختلف حالها، وعلى[3] أنها تفارق الأجساد فتُعذَّب الأرواح ويُوَصَّل العذاب إلى الأبدان، والكل محتمل[4] جائز، حكمة بالغة.

وأمَّا قول الجنازة على السرير: «قَدِّمُوني قدموني»، فيحتمل أن يكون مخصوصًا بتلك الحالة، ويحتمل أن يكون عبارة بلسان الحال عن لسان المقال، والباري قادر على ذلك كله، وهو الكبير المتعال.

---

(١) قال ابن عبد البر: «ذَكَرَ ابنُ أبي الدنيا قال: حدَّثنا خالد بن خداش قال: سمعت مالك بن أنس يقول: بلغني أن أرواح المؤمنين مرسلة تذهب حيث شاءت»، الاستذكار: (٨/٣٦١).

(٢) سقط من (س).

(٣) في (س): أو على.

(٤) في (س): تحمل.

خِصِّيصَةٌ:

أمَا إنه رُوي أن النبي ﷺ قال: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليَّ، قالوا: يا رسول الله، كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أَرَمْتَ؟ قال: يقولون: بليت، قال: إن الله حرَّم على الأرض أجساد الأنبياء»[١].

وكان عبد الله بن عمر يقف على قبر النبي ﷺ فيُصَلِّي على النبي وعلى أبي بكر وعمر[٢]، وفي رواية: «يُصَلِّي على النبي، ويدعو لأبي بكر وعمر»[٣].

وهذا يدلُّ على أنه كان[٤] يغتنم الأَجْرَ في الصلاة على النبي ولا يُسَلِّمُ عليه؛ لأنه غائب عنه، أو كان يصلي عليه لهذا الحديث الذي أخبر النبي ﷺ فيه أن الصلاة معروضة عليه، ولم يَرِدْ أن السَّلام معروضٌ عليه، ويحتمل أن يكون ذلك العرض في يوم الجمعة، والحديث حَسَنٌ، وإن لم يكن على شرط الصحيح، خرَّجه جماعة، منهم أبو داود، وهذا الذي أثبتناه هاهنا هو لَفْظُه[٥].

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن عن أوس بن أوس رضي الله عنه: تفريع أبواب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، رقم: (١٠٤٧-شعيب)، وضعَّفه ابنُ العربي في العارضة: (٢/٣٩١).

(٢) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: ما جاء في الصلاة على النبي ﷺ، (١/٢٢٧)، رقم: (٤٦٠-المجلس العلمي الأعلى).

(٣) هي رواية ابن القاسم عن الإمام مالك، المسالك: (٣/١٦٨).

(٤) سقطت من (س).

(٥) تقدَّم تخريجه.

وقد ثبت أن النبي ﷺ خرج على المقبرة فقال: «السَّلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»[(١)]، ويحتمل أن يكون خرج ائتمارًا، أو اعتبارًا، أو اتفاقًا، وسلَّم عليهم بركة عليهم ورحمة، وإسماعًا[(٢)] لهم، فيكون ذلك مختصًا به، ونُسَلِّمُ كتسليمه، فيفعل الله ما يشاء[(٣)] به.

قال الإمام القاضي أبو بكر[(٤)]: وهذا نَوْعٌ شَرِيفٌ من زيارة القبور المنسوخ من النهي[(٥)] عن زيارتها، فلا بأس بالمشي إليها، والوقوف عندها، والاعتبار بها، والدعاء لأهلها[(٦)].

[٤١/أ] وقد ثبت أن النبي ﷺ خَرَجَ بأمر ربه إلى أهل البقيع/ ليلًا ليستغفر لهم؛ من حديث عائشة[(٧)]، ولو شاء الله لاستغفر لهم من مكانه، ولكن الله أراد أن يشرع الإتيان إليها إلَّا للنساء، فإن النهي فيهن ثابتٌ.

صحَّ وثبت أن النبي ﷺ قال: «لعن الله زوَّارات القبور»[(٨)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، رقم: (٢٤٩-عبد الباقي).

(٢) في (ص): أو إسماعًا.

(٣) في (ص): شاء.

(٤) في (ص): قال القاضي الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي رضي الله عنه.

(٥) قوله: «من النهي» سقط من (س).

(٦) قوله: «والدعاء لأهلها» سقط من (س).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها، رقم: (٩٧٤-عبد الباقي).

(٨) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أبواب الجنائز عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء، رقم: (١٠٥٦-بشار).

وقال بعضهم: «إنما كُرِهَ زيارة النساء القبورَ لكثرة جزعهن وقلة صبرهن»[(١)].

وقال بعضهم: «دخلن في عموم رُخْصَةِ الرجال»[(٢)].

وقد ثبت أن عبد الرحمن بن أبي بكر توفي بحُبْشِيٍّ[(٣)]، قال: «فحُمِلَ إلى مكة فدُفِنَ بها، فلمَّا قدمت عائشةُ أتت قَبْرَ عبد الرحمن فقالت:

وكنَّا كنَدْمَانَيْ جديمةَ حقبةً ... من الدهر حتى قيل: لن يتصدَّعَا[(٤)]

فلمَّا تفرَّقنا كأني ومالكًا ... لطُولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معَا[(٥)]

زاد فيه أبو بكر الطُّرطوشي[(٦)]:

كأنَّا خُلِقْنا للنَّوَى وكأنَّما ... حرامٌ على الأيام أن نتجمَّعَا

---

(١) الجامع: (٢/٣٥٩-بشار).

(٢) الجامع: (٢/٣٥٩-بشار).

(٣) حُبْشِيٌّ: جبل بأسفل مكة على ستة أميال منها، تاج العروس: (١٧/١٢٧).

(٤) في (ص): نتصدَّعا.

(٥) البيتان من الطويل، وهما لمُتَمِّمٍ بن نُوَيرة؛ من قصيدة يرثي بها أخاه مالكًا الذي قتله خالد بن الوليد في القصة المشهورة، الكامل: (٢/٢٣٧)، والتعازي والمراثي له: (ص١٦)، والعقد: (٣/٢٦٤)، والبيت الأخير الذي زاده أبو بكر الطرطوشي غير موجود في القصيدة في جميع ما وقفتُ عليه، وقد أنشده القالي -بسنده- عن ثعلب مع بيت آخر في الأمالي: (١/٤٣٩)، وذكره ابن خاقان في مطمح الأنفس: (١/٢١٣) مع أربعة أبيات منسوبًا إلى الأديب أبي الحسن علي بن جودي، وكأنه ضَمَّنَهُ أبياته.

(٦) قال في العارضة (٤/٣٦١): «ولم يذكر سَنَدًا».

ثم قالت: لو حضرتُك ما دُفِنْتَ إلا حيث مُتَّ، ولو شهدتُك ما زرتُك»[١].

وكان عبد الرحمن قد مات في نومة كان[٢] نامها بمكة، وحُمِلَ إلى حُبْشِيٍّ؛ وهو على عشرة أميال منها.

قال القاضي أبو بكر[٣] رضي الله عنه: وإنه ليَجِبُ اليوم - وقبل اليوم - منعهن من المساجد، فكيف من القبور! ولكنه مُنْكَرٌ قد غلب الجمَّ[٤] الغفير في جملة المناكر[٥].

* * * * *

(١) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الجنائز عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في زيارة القبور للنساء، رقم: (١٠٥٥-بشار).

(٢) سقط من (س).

(٣) في (ص): قال القاضي الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ز): قال الإمام الحافظ.

(٤) في (ص): الجَمَّاء.

(٥) في (ص): المناكير.



[المقامُ الثالث: البَعْثُ والنُّشُورُ]



قال القاضي أبو بكر[١]: ولا تزال القبور في عمارة ودثور، إلى يوم البعث والنشور، وهو «**المقام الثالث**»؛ بقيام القيامة، وخروج الخلق من قبورهم إلى سجونهم أو قصورهم، وهي الساعة[٢] الموعود أمرها، ولها مُقَدِّمات، وعلامات، وأسماء وصفات، وفيها مقامات وحالات جمعنا منها ما حضر في الخاطر، مع عُدواء الدار، وبُعد المُستار[٣]، وغلبة الأعداء على الحق الأولياءَ.

فأمَّا مُقَدِّمَاتُها وعلاماتها التي أَنْذَرَ النبيُّ عليه السلام بها فعلى قسمين؛ خاصة وعامة، وقد أكثر الناس السؤال عنها رسول الله ﷺ حتى أنزل الله على رسوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف:١٨٧]، إلى منتهاها.

وما زالوا يُكثرون ذلك حتى[٤] قال يومًا لمن سأله[٥] - وبين يديه غلام من الأنصار، وفي رواية: غلام من أَزْدِ شَنُوءَةَ، قال أنس -: «وذلك الغلام يومئذ من أترابي»، وفي رواية عنه أيضًا: «سئل وقد مُرَّ عليه[٦] بغلام

---

(١) في (ص): قال الإمام أبو بكر بن العربي رضي الله عنه، وفي (ز): قال الإمام الحافظ قاضي القضاة أبو بكر محمد بن العربي رضي الله عنه.

(٢) في (س): الساعات.

(٣) في (ص): الممتار.

(٤) سقطت من النسخ الأخرى.

(٥) في (ص): معه.

(٦) سقط من (ص).

المغيرة بن شعبة فقال: إن يُؤَخَّرْ هذا الغلام فلن يدركه الهَرَمُ حتى تقوم الساعة»، وفي رواية - يقال له: محمد -: «إن يَعِشْ هذا الغلام فعسى ألَّا يدركه الهَرَمُ حتى تقوم السَّاعة[١]»[٢].

قال القاضي[٣]: وقد مرَّت قرونُ أمثالِ عُمْرِ ذلك الغلام ولم تقم الساعة، وقد بيَّن البخاري ذلك عن عائشة فقال عنها: «كان رجال من الأعراب جفاة يأتون النبي ﷺ/يسألونه متى الساعة، وكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: إن يعش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم»[٤]، قال هشام - يعني: ابن عروة -: «يعني: موتهم».

[٤١/ب]

وهذا صحيح؛ فإن قيام الساعة عبارة عن مَوْتِ جميع الخلق وحياتهم[٥] بعد ذلك، وموتُهم يكون مناوبة، وبعثُهم يكون جملة، فكل من مات فقد حانت ساعته الأولى، وقامت قيامته، وتعجَّل وعده ووعيده، وانكشف له يقينه، وصار من ورائه بَرْزَخٌ إلى الساعة العامَّة.

---

(١) قوله: «وفي رواية - يقال له: محمد -: إن يعش هذا الغلام فعسى ألا يدركه الهرم حتى تقوم الساعة» سقطت من (س) و(ز).

(٢) أخرج هذه الروايات مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة، رقم: (٢٩٥٢-عبد الباقي).

(٣) في (ص): قال القاضي الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ز): قال الإمام الحافظ رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، رقم: (٦٥١١-طوق).

(٥) في (د): حسابهم، وأشار إليه في (س).

[أَشْرَاطُ السَّاعة ومُقدِّمَاتُهَا]

وأمَّا مُقدِّمَاتُها فكثيرة جدًّا، وقد امتزج الصحيح منها بالباطل في ألسنة الناس وكتبهم، فَعَوِّلُوا منها على ما قبضته يدُ الإسلام، وحازته على الأمَّة وشدَّت عليه[1] كفَّها، والكف المذكورة بأناملها هي[2]: الكُتُبُ الخمسة؛ البخاري، ومسلم، والترمذي، وأبو داود، والنسائي، وكذلك فافعلوا في كل أَثَرٍ، إذا وجدتم لأحمد بن حنبل أو لعبد الله بن المبارك أو لأبي السَّرِيِّ هنَّاد بن السري شيئًا فعَوِّلُوا عليه، فإنه كان كل واحد منهم يتحرَّى الصدق على النبي ﷺ جُهده.

وقد أخبر الله عنهم بقوله: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد:١٩].

وقد كنت أمليتُ في «أنوار الفجر» أشراطَها على الإيعاب والشرح؛ من أولها: وهو مُحمَّدٌ[3] ﷺ، إلى آخرها: وهي الصيحة، وكلها إِنْذَارٌ من الله وإِعْذَارٌ.

قال النبي ﷺ: «بُعِثْتُ أنا والسَّاعة كهاتين»، وقرن شعبةُ الراوي بين أصبعيه؛ المُسَبِّحَةِ والوُسْطى، يَحْكِيه، قال شعبة: «وسمعت قتادة يقول في

---

(١) في (س): فيها.

(٢) سقطت من (س) و(د).

(٣) في (ص): النبي محمد.

قصصه: «كفضل إحداهما على الأخرى»، فلا أدري أذكره عن أنس أو قاله قتادة»[١]، واللفظ لمسلم.

حتى إن بعضهم قدَّر منها مدة الدنيا، فقال: «إن المُسَبِّحَةَ تزيد عليها الوُسطى بِنِصْفِ سُبُعٍ»[٢]، وقد قال النبي ﷺ في الحديث الحسن: «عُمْرُ أمتي نصف يوم خمس مائة عام»[٣]، فالدنيا على هذا التركيب سبعة آلاف عام، وهذا تركيب ضعيف[٤] لا يثبت بمثل هذه القصة العظمى والقضية الكبرى.

والباري تعالى قد نفى ذلك بقوله: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾، فكيف يَحْكُمُ بإخفائها ثم يدل على إظهارها؟

وإنَّما جعل الأشراط إنذارًا لتتأهَّب الكافَّةُ لها، كما جعل خفاء الأجل على العبد إنذارًا للتأهب[٥] للموت.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة، رقم: (٢٩٥١-عبد الباقي).

(٢) هو قول الإمام أبي جعفر الطبري، ذكره عنه ابن المُلَقِّنِ في التوضيح: (٥٩٣/٢٩)، وعنه ابن حجر في الفتح: (٣٥٠/١١)، وذكرا - معًا - انتقاد ابن العربي له.

(٣) أخرجه أبو داود في السنن عن سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه: كتاب الملاحم، باب قيام الساعة، رقم: (٤٣٥٠-شعيب).

(٤) في (س): عظيم.

(٥) في (ص): ليتأهب.

قال النبي ﷺ: «لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر له شيء يوصي فيه إلَّا ووصيته مكتوبة عنده»(١).

وقد صرَّح النبي ﷺ بذلك في حديثه، كان يقول: «أنا النذير العُريان»(٢)، ولمَّا نزلت: ﴿وأنذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين﴾(٣)، صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: «يا بني فلان، يا بني فلان؛ لبطون قريش/، حتَّى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أَرْسَلَ رسولًا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تُغِيرَ عليكم أكنتم تصدقوني(٤)؟ قالوا: نعم، ما جرَّبنا عليك إلا صِدْقًا، قال: فإني نذير لكم بين يَدَيْ عذاب شديد، فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تبًّا لك سائر اليوم، فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾»(٥)، هذا لفظ البخاري ومسلم، وذكر الحديث.

١ [٤٢/أ]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما: كتاب الوصايا، باب الوصايا وقول النبي ﷺ: «وصية الرجل مكتوبة عنده»، رقم: (٢٧٣٨-طوق)، ولفظه فيه: «ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده»، وينظر: شرح مشكل الآثار: (٩/٢٦١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، رقم: (٦٤٨٢-طوق).

(٣) قوله: «ورهطك منهم المخلصين» لم يرد في (س) و(د).

(٤) في (ص): مُصَدِّقِي.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما: كتاب التفسير، سورة الشعراء، رقم: (٤٧٧٠-طوق)، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الاقربين﴾، رقم: (٢٠٨-عبد الباقي).

وقال[١] ﷺ: «بُعِثْتُ في نَفَسِ الساعة فسبقتُها، كما سَبَقَتْ هَذِهِ هَذِهِ»[٢].

وقال[٣] ﷺ: «بادروا بالأعمال فِتَنًا تكون بين يَدَي الساعة كقِطَعِ الليل المظلم»[٤]، صحيح.

وقال[٥] ﷺ: «إذا ضُيِّعَت الأمانة فانتظر الساعة، قيل: يا رسول الله، وما إضاعتها؟ قال: إذا أُسْنِدَ الأمر إلى غير أهله»[٦].

وقال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله، الله»[٧]، برفع الهاء ونصبها، فمن رفعها فمعناه ذهاب التوحيد، ومن نصبها فمعناه انقطاع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) في (ص): وقد قال.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه عن المستورد بن شدَّاد رضي الله عنه: أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في قول النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، رقم: (٢٢١٣-بشار)، وضعَّفه أبو عيسى.

(٣) في (ص): وقد قال.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، رقم: (١١٨-عبد الباقي).

(٥) في (ص): وقد قال.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب العلم، باب من سئل علمًا وهو مشتغل في حديثه فأتمَّ الحديث ثم أجاب السائل، رقم: (٥٩-طوق).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب ذهاب الإيمان آخر الزمان، رقم: (١٤٨-عبد الباقي).

وقال ﷺ: «لن تقوم الساعة حتى تقاتلوا قَوْمًا كأن وجوههم المَجَانُّ المُطْرَقَةُ[١]، ولن تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا[٢] نعالُهم الشَّعَرُ»[٣].

«ولن تقوم الساعة حتى تخرج نارٌ من الحجاز تضيءُ أعناقَ الإبل ببُصْرَى»[٤].

«ولن تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان من المسلمين دعواهما واحدة»[٥].

«ولن تقوم الساعة حتى يمرَّ الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه»[٦]؛ لما يرى من عظيم البلاء، ورِبْحِ الأعداء، وغبْن الأولياء،

---

(١) المجان: واحدها مِجَنٌّ، وهي التُّرْسُ، المطرقة: يقال: طارقت النعل؛ إذا جعلت جِلْدًا على جلد، يعني: غلظها، العارضة: (٩/٦٢).

(٢) قوله: «كأن وجوههم المِجَانُّ المطرقة، ولن تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا» سقط من (س).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت؛ من البلاء، رقم: (٢٩١٢-عبد الباقي).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، رقم: (٢٩٠٢-عبد الباقي).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، رقم: (٢٨٨٨-عبد الباقي).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت؛ من البلاء.

ورياسة الجهلاء، وخمول العلماء، واستيلاء الباطل في الأحكام، وعموم الظلم، والجهر بالمعاصي، واستيلاء الحرام على أموال الأرض، والتحكم في الأبدان والأعراض والأموال بغير حق.

وقال ﷺ[١]: «ولن تقوم الساعة حتى تضطرب أَلَيَاتُ نساء دَوْسٍ على ذي الخَلَصَة»[٢]؛ وكان صنمًا تعبده دَوْسٌ في الجاهلية.

وعن عائشة عنه ﷺ: «لن تقوم الساعة حتى تُعبد اللَّاتُ والعُزَّى، قلت: يا رسول الله، إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٣]، إن ذلك ثابت، قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحًا طيبة تتوفى كل من في قلبه مثقال حبة خَرْدَلٍ من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم»[٣].

وهو ﷺ لم يمت حتى اضطربت أَلَيَاتُ نساء دَوْسٍ على ذي الخَلَصَة، وفيه كلام قد بيَّنَّاه في موضعه، وقد بينَّاه في «شرح الحديث».

وقال ﷺ: «لا[٤] تقوم السَّاعة/ إلَّا على شِرار الناس». [٤٢/ب]

---

(١) قوله: «وقال ﷺ» لم يرد في (س) و(د).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة، رقم: (٢٩٠٦-عبد الباقي).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دَوْسٌ ذا الخلصة، رقم: (٢٩٠٧-عبد الباقي).

(٤) في (ص): لن.

وقال عليه السَّلام: «لن تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يَسُوقُ الناس بعصاه»[(١)].

وروى عبد الكبير بن عبد المجيد، أبو بكر الحنفي؛ - وهم أربعة إخوة: شريك، وعُبيد الله، وعمر[(٢)]، وعبد الكبير، بنو عبد المجيد الحنفي -، قال[(٣)]: حدَّثنا عبد الحميد بن جعفر قال: سمعت عمر بن الحكم يحدث عن أبي هريرة قال: «لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك رَجُلٌ يقال له الجَهْجَاهُ»[(٤)].

وقال: «يُخَرِّبُ الكعبة بيتَ الله ذو السُّوَيْقَتَيْنِ من الحبشة».

وقد دخل القِرْمِطِيُّ[(٥)] مكة[(٦)] وأخذ منها الحجر الأسود، وحمله إلى بلاده، وأقام هنالك نحوًا من ثلاثين سنة، وقال: «إنه مغناطيس الناس

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت؛ من البلاء، رقم: (٢٩١٠-عبد الباقي).

(٢) في (د): عمرو، وفي الصحيح لمسلم (٤/٢٢٣٢): عُمَير، وهو الصواب.

(٣) في (س) و(د): قال: قال.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت؛ من البلاء، رقم: (٢٩١١-عبد الباقي).

(٥) أبو طاهر سليمان بن حسن الجنَّابي، الملحد الزنديق، والسفَّاح المُبِير، ت ٣٢٢هـ، كان أخذه للحجر الأسود واستباحته لمكة المعظمة عام ٣١٧هـ، يوم التروية، ثم ردَّه أصحابه بعد مهلكه عام ٣٣٩هـ، وفيات الأعيان: (٢/١٤٨)، وسير النبلاء: (١٥/٣٢٠).

(٦) بعده في (ص): عظَّم الله حرمتها.

الذي يجذبهم إلى مكة فسيجذبهم إليَّ»، وجهل السخيف أن المغناطيس هو التوحيد، والحق الذي يجعله الله في القلوب.

وقال ﷺ: «يكون في آخر أمتي خليفة يَحْثِي المال حَثْيًا ولا يَعُدُّه»[١].

وقال ﷺ: «سمعتم بمدينة جانبٌ منها في البر وجانبٌ في البحر؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفًا من بني إسحاق، فإذا جاؤوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله، والله أكبر، فيسقط أحد جانبيها الذي في البحر، ثم يقولوا الثانية مثلها، فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة فتفرج لهم فيدخلونها فيغنمون، فبَيْنَا هم يقسمون الغنائم إِذْ جاءهم الصريخ، فقال: إن الدجال قد خرج، فيتركون كل شيء ويرجعون»[٢].

وقال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقتتل المسلمون واليهود، فيقتلهم المسلمون، ثم يختبئ اليهوديُّ من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا عبد الله، هذا يهودي ورائي فاقتله، إلَّا الغرقد؛ فإنه من شجر اليهود»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت؛ من البلاء، رقم: (٢٩١٣-عبد الباقي).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت؛ من البلاء، رقم: (٢٩٢٠-عبد الباقي).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكانه؛ من البلاء، رقم: (٢٩٢٢-عبد الباقي).

وقال ﷺ: «لن تقوم الساعة حتى يخرج دجَّالون كذَّابون، قريبًا من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله»(١).

ورَوى أبو سعيد عنه ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تُكَلِّمَ السباعُ الإنسَ، وحتى يكلم الرجلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ، وشِراكُ نَعْلِه، و تخبره فخذه بما أحدث أهله من بعده»(٢)، رواته ثقات مأمونون.

وصحَّ وثبت من كل طريق عن أبي هريرة: «لا تقوم الساعة حتى يَحْسِرَ الفُرات عن جبل من ذهب يقتتل الناسُ عليه، فيُقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم: لعلي أكون أنا الذي أنجو»(٣).

ورَوى مسلم عن يُسَيْرِ بن جابر قال: «هاجت رِيحٌ حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هِجِّيرَى إلَّا: يا عبد الله بن مسعود/، جاءت الساعة، فقعد وكان متكئًا، فقال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث، ولا يُفرح بغنيمة، ثم قال بيده هكذا، ونحَّاها نحو الشام، فقال: عَدُوٌّ يجمعون لأهل الشام، ويجمع لهم أهل الشام، قلت: الروم تعني؟ قال: نعم، قال: ويكون عند ذلك(٤) القتال رِدَّةٌ شديدة، فيشترط المسلمون شُرطة للموت لا ترجع

١ [٤٣/أ]

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكانه، من البلاء، رقم: (٢٩٢٣-عبد الباقي).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كلام السباع، رقم: (٢١٨١-بشار)، وفيه: صوته، وهو تصحيف، وينظر في تفسيره: العارضة: (٩/٣٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، رقم: (٢٨٩٤-عبد الباقي).

(٤) في (ص): ذلكم.

إلَّا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهما الليل، فيفيء[١] هؤلاء وهؤلاء، كلٌّ غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شُرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يُمسوا، فيفيء[٢] هؤلاء وهؤلاء، كلٌّ غير غالب، وتفنى الشُّرطة، فإذا كان يوم الرابع نَهَدَ إليهم بقيةُ أهل[٣] الإسلام، فيجعل[٤] الله عليهم الدائرة، فيقتتلون مَقْتَلَةً، إمَّا قال: ما يُرى مثلها، وإمَّا قال: لم يُر مثلها، حتى إن الطائر[٥] ليَمُرُّ بجنباتهم فما يخلفهم، حتى يخرَّ مَيِّتًا، فيتعادُّ بنو الأب؛ كانوا مائة فلا يجدونه بقي منهم إلَّا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يُفرح؟ أو أي ميراث يُقسم؟ فبَيْنَا[٦] هم كذلك إذ سمعوا بناس هم أكثر من ذلك، فجاءهم الصريخ أن الدجال قد خلفهم في ذراريهم[٧]، فيرفضون ما في أيديهم ويُقْبِلُونَ[٨]، فيبعثون عشر فوارس طليعة، قال: قال رسول الله ﷺ: إنِّي لأعرف أسماءهم، وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارس، أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ»[٩].

---

(١) في (س): فيفنى.

(٢) في (س): فيفنى.

(٣) سقط من (د) و(س).

(٤) في طرة بـ (س): في خـ: فيعجل.

(٥) في (د): الطير.

(٦) في (س): فبينما.

(٧) في (د) و(س): دراريهم.

(٨) في (د) و(س): يقيلون.

(٩) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال، رقم: (٢٨٩٩-عبد الباقي).

وصحَّ عن حذيفة أنه قال: «أَشْرَفَ علينا رسول الله ﷺ من غرفة ونحن نتذاكر الساعة، فقال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خُسوف؛ خَسْفٌ بالمشرق، وخَسْفٌ بالمغرب، وخَسْفٌ بجزيرة العرب، ونار تخرج من قَعْرِ عَدَنٍ؛ تَسُوقُ الناس أو تحشر الناس، فتبيت معهم حيث باتوا، وتَقِيلُ معهم حيث قَالُوا، وقيل في العاشر - من طريق صحيحة -: إمَّا ريح تطرحهم في البحر، وإمَّا نزول عيسى بن مريم»(١).

وقال ﷺ: «إن من أشراط الساعة أن يُرفع العلم، ويظهر الجهل، ويفشو الزنى، وتُشرب الخمر، ويكثر النساء، ويَقِلُّ الرجال، حتى يكون لخمسين امرأة قَيِّمٌ واحدٌ»(٢).

وقال عليه السلام(٣): «ستخرج نار من حضرموت، أو من بحر حضرموت، قبل يوم القيامة تحشر الناس، قالوا: يا رسول الله، فما تأمرنا؟ قال: عليكم بالشام»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن حذيفة بن أَسِيد رضي الله عنه: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، رقم: (٢٩٠١-عبد الباقي).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه، وظهور الجهل والفتن، في آخر الزمان، رقم: (٢٦٧١-عبد الباقي).

(٣) في (د) و(ص): ﷺ، وفي (ز): قال رسول الله ﷺ.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من قبل الحجاز، رقم: (٢٢١٧-بشار).

[٤٣/ب] ومن الحديث الحسن في ذلك: قال رسول الله ﷺ:/«لا تقوم السَّاعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لُكَع بن لُكَع»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «والذي بعثني بالحق، لا تنقضي مدة الدنيا حتى يقع بها الخسف والقذف والمسخ، قالوا: ومتى ذلك يا نبي الله؟ قال: إذا رأيتم النساء يركبن السروج، وكثرت القينات، وفشت شهادات الزور، واستغنى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء»(٢).

وقال ﷺ: «إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حلَّ بهم البلاء، قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: إذا كان المغنمُ دُوَلًا، والأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا، وتُعُلِّمَ لغير الدين، وأطاع الرجل زوجته وعقَّ أمه، وبرَّ صديقه وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وساد القبيلةَ فاسقُهم، وكان زعيمُ القوم أرذلَهم، وأُكرم الرجل مخافة شره، وشُربت الخمور، ولُبس الحرير، واتخذت القيان والمعازف، ولعن آخرُ هذه الأمة أوَّلَها، فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراءَ، وزَلْزَلَةً وخَسْفًا ومَسْخًا وقَذْفًا وآياتٍ، تَتَابَعُ كنظام لآلي(٣) قُطِعَ سِلْكُه فتتابع»(٤)، وهذا حديث غريب، فيه نظر كثير.

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه عن حذيفة بن اليمان ؓ: أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب منه، رقم: (٢٢٠٩-بشار).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة ؓ: (٧/٣٢٧)، رقم: (٥٠٨٣)، ثم قال: «تفرَّد به سليمان بن داود، وهو ضعيف»، وهو سليمان بن داود اليمامي، قال فيه أبو حاتم: «منكر الحديث، لا أعلم له حديثًا صحيحًا»، لسان الميزان: (٤/١٤٢).

(٣) في (س): لؤلؤ، وكتب فوقها: عـ، أي لعلها كما أثبت، وفي الطرة: لآلي، كذا في الأصل، وفي (ص): لآلٍ، وفي المطبوع من جامع الترمذي (٤/٧١-بشار): بَالٍ، وهو تصحيف.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه من حديث علي بن أبي طالب ؓ: أبواب الفتن =

وقد ثبت عن أبي هريرة - واللفظ للبخاري - قال: «قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان دعواهما واحدة»[١].

قال القاضي الإمام أبو بكر بن العربي[٢] رضي الله عنه: وهو أوَّل خطب طَرَقَ الإسلام.

ولقد أخبرنا أبو الفضائل[٣] بن طَوْقٍ[٤] ببغداد فيما أَذِنَ لنا فيه: عن الأستاذ أبي القاسم القُشَيري عن أبي عبد الرحمن السُّلَمِي: وذكر الجُنَيْد، وقال وحكى عنه أنه قال: «لولا أنه رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «زعيمُ القوم أرذلُهم»[٥] ما تكلَّمت عليكم».

= عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف، رقم: (٢٢١١-بشار)، وهو ضعيف كما قال ابن العربي.

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) في (د): قال الفقيه الإمام أبو بكر، وفي (ص): قال القاضي الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ز): قال الإمام الحافظ القاضي أبو بكر بن العربي.

(٣) في (د): الفضل.

(٤) الإمام الزاهد، محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن طوق البغدادي الشافعي، أبو الفضائل بن طوق، تـ ٤٩٤هـ، سمع من أبي الطيب الطبري، وتفقَّه على أبي إسحاق الشيرازي، وأخذ عن أبي القاسم القُشَيري، يروي عنه ابن العربي كتاب «الرسالة إلى الصوفية بأُفُقِ الإسلام»، و«التحبير في علم التذكير»، كلاهما لأبي القاسم القُشَيري، ينظر: قانون التأويل: (ص٢٣٤)، وفهرس ابن خير: (ص٣٧٠)، وتاريخ الإسلام: (١٠/٧٥٩)، وطبقات الشافعية (٤/١٠٢).

(٥) جزء من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد تقدَّم تخريجه.

وهذا تواضع عظيم، وكَسْرٌ للنفس، وتحقيرٌ للقَدْرِ ليست طريقته[١].

قال النبي ﷺ: «وحتى يبعث دجالون كذابون، قريبٌ من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يُقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهَرْجُ؛ وهو: القتل، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض، حتى يُهِمَّ ربُّ المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه: لا أَرَبَ لي به، وحتى يتطاول الناس في البنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول[٢]: يا ليتني مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فحينئذ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام:١٥٩]/ [٤٤/أ]، ولتقومنَّ الساعة وقد نَشَرَ الرجلان ثوبَهُما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومنَّ الساعة وقد انصرف الرجل بلَبَنِ لِقْحَتِه فلا يطعمه[٣]، ولتقومنَّ الساعة وقد رَفَعَ أُكْلَتَه إلى فيه فلا يَطْعَمُها»[٤].

---

(١) قوله: «ولقد أنا أبو الفضل بن طوق ببغداد فيما أَذِنَ لنا فيه عن الأستاذ أبي القاسم القُشيري عن أبي عبد الرحمن السُّلَمِي: وذكر الجُنَيْد وقال وحكى عنه أنه قال: لولا أنه رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: زعيمُ القوم أرذلُهم ما تكلمت عليكم، وهذا تواضع عظيم، وكَسْرٌ للنفس، وتحقيرٌ للقَدْرِ ليست طريقته» لم يرد في (ص) و(ز).

(٢) سقطت من (س).

(٣) سقط من (س).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الفتن، بابٌ، رقم: (٧١٢١-طوق)، وفيه: «ولتقومن الساعة وهو يُلِيطُ حوضه فلا يسقي فيه».

قال الإمام قاضي الجماعة أبو بكر بن العربي[1]: هذه ثلاث عشرة علامة، جمعها أبو هريرة في حديث واحد، ولم يَبْقَ بعد هذا ما يُنظر فيه من صحيح العلامات والأشراط، والرواياتُ كثيرةٌ في ذلك، فلا تلتفتوا إليها تعيينًا وتفصيلًا، فإن في عموم إنذار النبي ﷺ؛ بفساد الزمان، وتغيير[2] الدِّين[3]، وذهاب الأمانة، ما يُغني عن ذكر التفاصيل الباطلة في أشراط الساعة ونِسْبَتها إلى النبي ﷺ، فيجمعُ المرء بين شُغل قلبه وتضييع زمانه بالكذب على النبي ﷺ، أو يذكر ما لم يصح، وفيما صحَّ غُنْيَةٌ عنه.

* * * * *

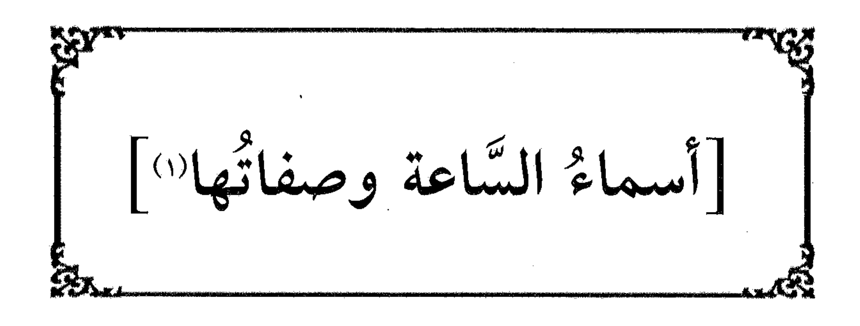
---

(١) في (ص): قال القاضي الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ز): قال الإمام الحافظ قاضي الجماعة أبو بكر بن العربي رضي الله عنه.

(٢) في (س): تعيين، وهو تصحيف.

(٣) في (س): الذهاب، وهو سبق قلم.





[أسماءُ السَّاعة وصفاتُها[1]]

(١) اختصر هذا الفصل الإمام أبو عبد الله القرطبي وضمَّنه كتابه التذكرة: (٥٤٦/٢-٥٧٩)، وممَّن أحصى أسماءها الإمام أبو حامد الغزالي، وجعلها في مائة اسم، ولم يفسرها، ينظر: الإحياء: (ص١٩٠٢)، وكذلك صنع الإمام عبد الحق الإشبيلي، العاقبة: (ص١٥٤-١٥٥).



ونعود إلى أسماء الساعة[١] وصفاتها؛ وهي كثيرة جدًّا، متنوعة معنى وعَدًّا، وكثرةُ أسمائها لعظيم شأنها، وكل ما عَظُمَ شأنه تعدَّدت صفاته، وكثرت أسماؤه، ألا ترى أن السيف لمَّا عَظُمَ موقعُه وتأكَّد نفعُه جمعوا له خمس مائة اسم، وله نظائر كثيرة.

* * * * *

(١) في (د) و(س): الساعات.

الاسم الأوَّل: السَّاعة

وهي كلمة يُعَبَّرُ بها في العربية عن جُزْءٍ من الزمان غير محدود في الأصل، ويُطلق[١] في العرف على جُزْءٍ من أربعة وعشرين جزءًا من يوم وليلة؛ اللذان هما أصل الأزمنة، وتارة تكون هذه السَّاعة متساوية، وتارة تكون متفاوتة[٢] مختلفة، وهذه القسمة عقلية قديمة في الخِلْقَة، شرعية نطق بها الخبرُ، وورد بتحقيقها الأثرُ، قال ﷺ: «الجمعة اثنتَا عشرة ساعة، منها ساعة لا يوافقها عبد مسلم يُصَلِّي؛ يسأل الله فيها خيرًا إلا أعطاه إيَّاه»[٣]، خرَّجه أبو داود.

وكان[٤] مالك يَرُوحُ إلى الجمعة في السَّاعة السَّادسة؛ وهي التي يكون بانقضائها[٥] وقت دخول الصلاة[٦].

---

(١) في (ص): ينطلق.

(٢) في (س): متقاربة.

(٣) أخرجه أبو داود في السنن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: تفريع أبواب الجمعة، باب الإجابة، أية ساعة هي في يوم الجمعة؟ رقم: (١٠٤٨-شعيب)، قال ابن العربي: «ولو صحَّ هذا الحديث لكان أصلًا يرجع إليه»، العارضة: (٤٠٦/٢).

(٤) في (ص): وقال.

(٥) في (ص): وهي التي بانقضائها يكون.

(٦) ينظر: العارضة: (٤٠٥/٢-٤٠٦)، والمسالك: (٤٣٧/٢-٤٣٩).

وتقول العرب: أفعل كذا السَّاعة، وأنا السَّاعة في أمر كذا، ويريد[١] به الوقت الذي أَنْتَ فيه، أو الذي يَلِيه، تقريبًا له.

وحقيقة الإطلاق فيها: أن الساعة بالألف واللام عبارةٌ في الحقيقة عن الوقت الذي أنت فيه[٢]، وهو المُسَمَّى بالآن، وسُمِّيَتْ به القيامة؛ إمَّا لقربها؛ فإن كلَّ آتٍ قطعًا قريب جدًّا، وإن وُسِّعَتْ فيه الآماد؛ كان مكروهًا أو محبوبًا، فإنَّ النفس تستشعر المكروه الآتي قطعًا لا محالة، فيُورِثها نَكَدًا في العيش، وكَرَبًا في النفس، وتستشعر المحبوب الآتي لا محالة، فتَأْلَمُ بانتظاره، وإمَّا أن تكون سُمِّيَتْ به تنبيهًا على ما فيها من الكائنات العِظَام؛ التي تصهر[٣] الجلود وتَكْسِرُ العِظَام.

* * * * *

(١) في (ص): وهو يريد.

(٢) قوله: «أو الذي يَلِيه، تقريبًا له، وحقيقة الإطلاق فيها: أن الساعة بالألف واللام عبارةٌ في الحقيقة عن الوقت الذي أنت فيه» سقط من (س).

(٣) في (س): تهصر.

[٤٤/ب]

الاسم الثاني: القيامة/

وهي في العربية: مصدر قام يقوم، دخله التأنيث للمبالغة؛ على عادة العرب.

وهي: عبارة عن الانتصاب بعد الجلوس أو الاضطجاع.

وقال الله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [القيامة:١]، وقال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [المطففين:٦].

وقد يُنسب الفعل إليها فيقال: قامت القيامة.

قال الله سبحانه مُخْبِرًا عن بعض الشاكِّين فيها: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ [الكهف:٣٥]، على عادة العرب في إضافتها الفِعْلَ إلى المَحَلِّ والزمان وغيره ممَّا لم يكن منه الفعلُ، يقولون: ليل قائم، ونهار صائم، وسِرٌّ كاتم، وليست هذه الأسماء إِخْبَارًا عن أفعالِ فاعلين حقيقةً، فسُمِّيَتِ القيامة باسم ما فيها، كأنه زمانٌ سُمِّيَ باسم فِعْلٍ، أو أفعال وُجدت فيه.

[معاني القيام]:

والقيامُ[١] فيه ثلاثة معان:

المعنى **الأوَّل:** قيام الخلق من القبور كلهم بدعوة العزيز القدير، قال سبحانه: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء:٥٢].

وقال تعالى في المعنى **الثاني:** ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [المطففين:٦].

---

(١) في (ص): للقيام.

المعنى الثالث: قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ:٣٨].

فأمَّا الآية الأولى ففيها خمسة[1] أقوال:

الأوَّل: يقومون: يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك، يحمدونه وقت لا ينتفعون بالحمد.

الثاني: بمعرفته[2].

الثالث: بطاعته[3].

ومعنى هذين القولين أنهم علموا ما جهلوا، ولكنه لا ينفعهم؛ لأنه إيمان اضطرار ومشاهدة، وإنما ينفع إيمانُ الغيب والاختيار.

الرابع: رَوَينا في «أحاديث الشريف ابن أبي الجِنِّ[4]»[5]: أن النبي ﷺ قال: «يقومون، يقولون: لا إله إلا الله»[6].

---

(١) في (ص): ستة.

(٢) الكشف والبيان: (٦/١٠٦)، وهو أحد قولي قتادة.

(٣) الكشف والبيان: (٦/١٠٦)، وهو أحد قولي قتادة.

(٤) الإمام المحدث، الشريف الحسيب، نَسِيبُ الدولة، أبو القاسم علي بن القاضي ذي الشَّرَفَيْنِ أبي الحُسَين إبراهيم بن العباس بن الحسن بن العباس بن الحسن بن أبي الجِنِّ الحُسَين الحُسَيني الدمشقي، (٤٢٤-٥٠٨هـ)، سمع من الخطيب البغدادي، وكريمة المروزية، وانتخب عليه الخطيب عشرين جزءاً، تُعْرَفُ بفوائد النَّسِيبِ، وكانت له أصول بخطوط الورَّاقين، حدَّث عنه ابن العربي بمعجم الطبراني، وأسند من طريقه في «الأحكام» و«السراج»، ينظر: أحكام القرآن: (٣/١١٩٩)، وتاريخ دمشق: (٤١/٢٤٤-٢٤٧)، وسير النبلاء: (١٩/٣٥٨-٣٦٠).

(٥) لعله يقصد: «الفوائد المنتخبة الصِّحاح والغرائب»، تخريج الخطيب البغدادي، يوجد منها الجزء الثَّالث عشر، والرَّابع عشر، والسَّابع عشر، والثامن عشر، محفوظة في الظاهرية بدمشق، ضمن مجموع، في خمس وخمسين ورقة، من رواية ابن عساكر، وعليه سماع في حياة الشريف ابن أبي الجِنِّ.

(٦) لم أجده بعد البحث الشديد.

الخامس: بأمره[١]، ويكون أَمْرَ تَكْوِينٍ، ويدل على ذلك قوله: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٣٨ - ٤٠].

وبهذا المعنى عَدَلَ الطَّبَرِيُّ عن قول ابن جُبَير الأَوَّل، إلى أن قال: إن الكلام تامٌّ في قوله: ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾، وقوله: ﴿بِحَمْدِهِ﴾[٢].

معناه: أن الحمد[٣] لله حقًّا؛ لا أنهم يقولونه.

فيكون تقدير الكلام في معناه المطلوب.

ومعنى[٤] قوله: ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾، أي: بأن له الثناء والحمد بالفعل الذي ينفرد به، والجلال الذي يختص به، فلا يبقى منهم بالقدرة مضطجع إلَّا قام حيًّا على قَدَمَيْهِ؛ صغيرًا أو كبيرًا، صحيحًا أو زَمِنًا.

قال الفقيه الحافظ أبو بكر[٥]: والذي أراه أنهم يقومون فيقولون: «سبحانك اللهم وبحمدك»، أو كيف قالوا؛ فإن يوم القيامة يَوْمٌ يُبدأ بالحمد ويُختم به، وقال الله تعالى في أوَّله: ﴿يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾،

---

(١) هو قول ابن عباس رضي الله عنهما، الكشف والبيان: (٦/١٠٦).
(٢) تفسير الطبري: (١٤/٦٢٢-التركي).
(٣) سقط من (د).
(٤) في (د): معناه.
(٥) في (ص): قال القاضي الإمام أبو بكر محمد بن العربي رضي الله عنه، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي رضي الله عنه.

قال(١) تعالى في آخره: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر:٧٥]/ ، وقال مُخْبِرًا عن أهل الجنة: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس:١٠].

١
[٤٥/أ]

وأمَّا قوله جل وعز: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٢) [المطففين:٦]؛ فقد قال النبي ﷺ: «يقومُ أحدُهم في عَرَقِهِ إلى أنصاف أُذُنَيْهِ»(٣).

وفي الحديث الصحيح: «إن الشمس تدنو من رؤوس الخلق، ويغلبهم الكرب، ويغشاهم العرق؛ فيذهب في الأرض سبعين ذراعًا»(٤).

وفي البخاري ومسلم: «سبعين(٥) باعًا، فمنهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم من يبلغ أنصاف أذنيه، ومنهم من يبلغ حَقْوَيه»(٦).

ويتفاوتون بين ذلك، ومنهم من يُلْجِمُه العَرَقُ إلجامًا، وهو يوم العرق، وكل واحد يقوم عرقه معه فيغرق فيه إلى أنصاف أذنيه، وإلى جانبه

---

(١) في (س): وقال.

(٢) قوله: «وأما قوله جل وعز: ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾» لم يرد في (س).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: كتاب التفسير، ﴿ويل للمطففين﴾، رقم: (٤٩٣٨-طوق).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الرقاق، باب قوله تعالى: ﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾، رقم: (٦٥٣٢-طوق).

(٥) في (ص): تسعين.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه: كتاب الجنة وصفة نعميها وأهلها، بابٌ في صفة يوم القيامة، رقم: (٢٨٦٤-عبد الباقي).

- مَثَلًا - يَمْنَةً من يبلغ كَعْبَيْه، ومن الجهة اليُسرى[١] من يبلغ ركبتيه، ومن أمامه من يكون عرقُه إلى نصفه، ومن خلفه من يبلغ العرقُ صدرَه، وهذا خلاف المعتاد في الدنيا؛ فإن الجماعة إذا وَقفوا في الأرض المعتدلة أخذهم الماء أخذًا واحدًا، وهؤلاء يتفاوتون كما ذكرنا؛ مع استواء الأرض ومجاورة المحلِّ، وهذا من القدرة العظمى التي تخرق العادات في زمان الآيات[٢].

فأمَّا قَوْلُه: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾، فإن الروح في العربية والشريعة ينطلق على معانٍ، والمراد به هاهنا مَلَكٌ[٣]، لعله أن يكون رُوح القدس؛ الروح الأمين المذكور في القرآن[٤].

المعنى: يقوم الروحُ صفًّا وحده، والملائكة كلهم صفًّا آخر[٥].

وقيل: تقوم الملائكة صُفُوفًا تحيط ببني آدم من كل جانب.

ولن يغلب الله أحدٌ، ولكنه مُلْكٌ وحكمة، وقدرة ومشيئة.

ويحتمل أن يكون للقيامة معنًى خامس؛ وهو: طول الوقوف، فلخروجه عن المعتاد سُمِّيَ به؛ ولأنه أجمل في الهيئة، وأحسن في العبادة.

---

(١) في (س): في خـ: الشؤمى.
(٢) أفاد من قول الإمام ابن العربي هذا أبو عبد الله القرطبي في تذكرته: (٢/٥٩١-٥٩٢).
(٣) سقط من (س).
(٤) تفسير الطبري: (٢٤/٤٧-التركي).
(٥) تفسير الطبري: (٢٤/٥٠-التركي).

وفي الحديث الحسن: «ألا تَصُفُّون كما تَصُفُّ الملائكة عند ربهم؟ قلنا: وكيف تَصُفُّ الملائكة عند ربهم؟ قال: يُقيمون الصفوف المقدمة، ويتَرَاصُّون في الصَّفِّ»[1].

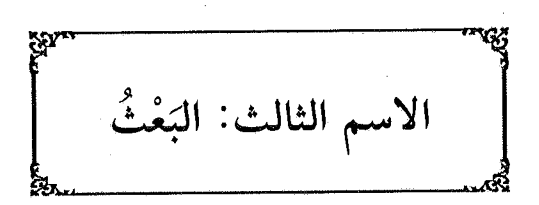
وفي الصحيح: «لَتُسَوُّنَّ صفوفكم، أو ليُخالفنَّ الله بين[2] وجوهكم»[3].

* * * * *

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة رضي الله عنه: كتاب الصلاة، باب الأمر بالسكون في الصلاة، رقم: (٤٣٠-عبد الباقي).

(٢) سقطت من (ص).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف، رقم: (٤٣٦-عبد الباقي).



الاسم الثالث: البَعْثُ

وحقيقتُه: إثارة الشيء عن خفاء، أو تحريكُه عن سكون[(١)].

وأحقُّ ما يكون بذلك السَّاعة؛ فإنها كالجاثمة تُثار، والساكنة تُحَرَّك، والباطنة تُظهر، وذلك راجعٌ إلى ما يجري فيها من الأحوال والمعاني، والأفعال والأحكام، والمقادير والأقدار.

وأَوَّلُ ذلك خروج الناس من القبور، ثم ما يجري بعد ذلك من المعاني، وفي رؤيا ابن زِمْلٍ: أنه رأى ناقة عجفاء شارفًا، وكأنَّ النبي ﷺ يبعثها، فقال النبي ﷺ: «الناقة هي الساعة، علينا تقوم، لا نبي بعدي، ولا أمة بعد أمتي»[(٢)]، والحديث طويل، وفيه قصة مشهورة/. [٤٥/ب]

وثبت في كيفية البعث حَدِيثٌ صحيحٌ - واللفظ لمسلم -: «يُبعث كل أحد على ما مات عليه»[(٣)]، عن جابر عن النبي ﷺ.

وثبت وصح أنه يُنزل الله الماءَ من السماء على الأرض، فينبت به الخلق[(٤)]. زاد وَهْبُ بن مُنَبِّه في صفته: «كهيئة مَنْيِ الرجال».

---

(١) ينظر: الأمد الأقصى -بتحقيقنا-: (٢/٣٤٠)، وأفاد من هذا التعريف القرطبي في التذكرة: (٢/٥٤٩).

(٢) أخرجه الطبراني في أكبر معاجمه: (٨/٣٦١)، رقم: (٨١٤٦)، وضعَّفه ابن حجر، ينظر: الإصابة: (٤/٧٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، رقم: (٢٨٧٨-عبد الباقي).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب الفتن وأشراط الساعة =

وهذا ممَّا لا يُحتاج إليه، ولم يصحَّ نقله فيعوَّل عليه، فهذا هو البعث الأوَّل.

وفي الحديث الصحيح: «إن الله تعالى يقول: يا آدم؛ ابعث بَعْثَ النار، فيقول: يا رب، وما بَعْثُ النار؟ فيقول: من كل أَلْفٍ تِسْعُ مائة وتسعة وتسعون، فذلك حين يشيب الصغير، ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج:٢]، فاشتد ذلك عليهم فقالوا: يا رسول الله، أَيُّنَا ذلك الرجل؟ قال: أبشروا، فإن مِن يأجوج ومأجوج ألفًا، ومنكم رَجُلًا[(١)]»[(٢)]، وذكر الحديث، وفي رواية: «تسعٌ وتسعون»[(٣)]، بدل تسع مائة وتسعة وتسعين[(٤)].

وفي الصحيح: «أبشروا[(٥)]؛ فإنكم في أُمَّتَيْنِ ما كانتا قط في شيء إلَّا كثَّرتاه، من يأجوج ومأجوج تسعُ مائة وتسعة وتسعون في النار، وواحد منكم إلى الجنة»[(٦)].

= باب ما بين النفختين، رقم: (٢٩٥٥-عبد الباقي)، ولفظه فيه: «يُنزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل».

(١) في (ص): رجل.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري ﵁: كتاب الإيمان، باب قوله: «يقول الله لآدم: أخرج بعث النار»، رقم: (٢٢٢-عبد الباقي).

(٣) أخرجها البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﵁: كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، رقم: (٦٥٢٩-طوق).

(٤) في (ص): تسعون.

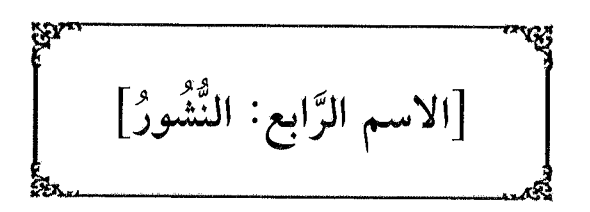
(٥) في (د): انشروا.

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه عن عمران بن حصين ﵁: أبواب التفسير عن رسول الله ﷺ، بابٌ ومن سورة الحج، رقم: (٣١٦٩-بشار)، وقال: «حديث حسن صحيح»، والحديث لم أجده في الصحيحين بهذا اللفظ.

وفي رواية: «إني لأرجو أن تكونوا شَطْرَ أهل الجنة، ما أنتم في الأمم إلَّا كالشعرة البيضاء في جِلْدِ الثور الأسود، أو كالرَّقْمَةِ في ذراع الحمار»[1]، وهو البعث الثاني؛ فتراهم كالفراش المبثوث، وهو النشور، **وهو الاسم الرابع.**

* * * * *

(١) نفس حديث أبي سعيد الذي تقدَّم.



[الاسم الرَّابع: النُّشُورُ]

وله معنيان:

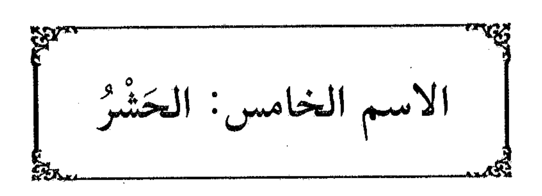
أحدهما: التفريق، وسيأتي بيانه، من قولك: أَمْرُهم نَشَرٌ.

والثاني: الإحياء، تقول العرب: نشر الميت؛ إذا حَيِيَ[1]، وهذا معلومٌ شِعْرًا[2] ونقلًا وحديثًا.

* * * * *

(١) في (د): جيئ.

(٢) في (س) (د): شرعًا.



الاسم الخامس: الحَشْرُ

وهو في العربية: عبارةٌ عن الإكراه على الفعل(١).

قال الله تعالى: ﴿وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾ [الأعراف:١١٠ - ١١١].

أي: من يَسُوقُ السَّحَرَةَ كرهًا.

وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟﴾ [الحشر:٢]، فكان ذلك أوَّل حشرهم، وآخِرُه الحشر إلى جهنم؛ فإنه ما من أوَّل إلَّا له آخِر، حاشا الأوَّل الآخِر.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم:٨٦ - ٨٧]، يعمهم بالحشر(٢)، ويخص بعضهم بشرف المنزلة.

وقد بيَّن ﷺ كيفية الحشر؛ وهو متنوع:

[الأوَّل]: فقال النبي ﷺ - كما تقدَّم -: «إن النار تَحْشُرُ الناس، تَبِيتُ معهم حيث باتوا، وتَقِيلُ معهم حيث قَالُوا»(٣).

---

(١) أفاد من هذا الفصل أبو عبد الله القرطبي في التذكرة: (٢/٥٥٠).

(٢) في (ص): الحشر.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، رقم: (٦٥٢٢-طوق).

الثاني: صحَّ عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «يُحْشَرُ الناس على ثلاثة طرائق؛ راغبين وراهبين، واثنان/ على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، وتَحْشُرُ بقيَّتهم النارُ - كما تقدَّم -، تَبِيتُ معهم حيث باتوا، وتَقِيلُ معهم حيث قَالُوا، وتُصبح معهم حيث أصبحوا، وتُمْسِي معهم حيث أَمْسَوا»[١]. [٤٦/أ]

الثالث: عن ابن عباس وغيره[٢]: «يحشر الناس يوم القيامة حُفاةً عُراةً غُرْلًا كما خلقوا، ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْداً عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٣]»[٣]، وذكر الحديث.

الرابع: روى بَهْزُ بن حكيم عن أبيه عن جدِّه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنكم تحشرون رَجْلًا[٤] ورُكبانا، وتُجَرُّونَ[٥] على وجوهكم»[٦]، واللفظ للترمذي، حسن صحيح.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، رقم: (٢٨٥٩-عبد الباقي).

(٢) سقط من (س).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، رقم: (٢٨٦٠-عبد الباقي).

(٤) في (ص): رجالًا.

(٥) في (س) و(د): تخرون.

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب صفة يوم القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في شأن الحشر، رقم: (٢٤٢٤-بشار).

وصحَّ عن عائشة أنها لمَّا سمعت أنهم يُحشرون على وجوههم ورؤوسهم؛ قالت: «يا رسول الله، وكيف يمشي أحدٌ على رأسه؟ قال: إن الذي أَمْشَاهُ على رِجْلِه[(١)] قادرٌ على أن يُمْشِيَه على رأسه»[(٢)].

الخامس: قال عمرو[(٣)] بن قيس المُلائي: «إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله عمله في أحسن شيء صورةً وأطيبه ريحًا[(٤)]، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا، إلَّا أن الله قد طيَّب ريحك، وحسَّن صورتك، فيقول: كذلك كنتُ في الدنيا، أنا عملك الصالح، طال ما ركبتك في الدنيا[(٥)]، اركبني اليوم، وتلا: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم:٨٦]، وإن الكافر يستقبله عمله في أقبح شيء صورةً وأنتنه ريحًا، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا، إلَّا أن الله قد قبَّح صورتك، ونتَّن ريحك، فيقول: كذلك كنتُ في الدنيا، أنا عملك السيئ، طال ما ركبتني في الدنيا، وأنا اليوم أركبك، وتلا: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام:٣٢]»[(٦)].

---

(١) في (ص): رجليه.

(٢) أخرجاه في الصحيح من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أمَّا البخاري فأخرجه في كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، رقم: (٦٥٢٢-طوق)، وأخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب يحشر الكافر على وجهه، رقم: (٢٨٠٦-عبد الباقي).

(٣) في (د) و(ز): عمر.

(٤) في طرة بـ (س): في خ: أحسن صورة، وأطيب ريحًا.

(٥) قوله: «في الدنيا» سقط من (د).

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان: (١١/٣٢٧-شاكر)، من كلام عمرو بن قيس، ولم يرفعه، ولا يقال مثل هذا بالرأي.

قال الإمام الحافظ أبو بكر[١]: وهذا لم يصح، وإن كان جائزًا في حكم الله وقدرته، ولكنه لم يَثْبُتْ سندُه، فلا نُعَوِّلُ عليه[٢].

* * * * *

(١) في (ص): قال القاضي الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ز): قال الإمام الحافظ القاضي أبو بكر بن العربي رضي الله عنه.

(٢) أفاد من قول ابن العربي هذا القرطبيُّ في التذكرة: (٢/٥٠١).

الاسم السَّادس: العَرْضُ

وحَقِيقَتُه: إدراك الشيء بإحدى الحواس ليُعلم حالُه، وغايته[1] السمع والبصر[2].

قال الله تعالى: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّاً لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ [الكهف:٤٨].

قال الإمام أبو بكر[3]: ولا يزال الخلق قيامًا في يَوْمٍ كان مقداره خمسين ألف سنة، ما شاء الله أن يقوموا، ثم رُوي في الصحيح: «أنهم يَهْتَمُّونَ فيُلهمون[4]، فيقولون: قد كُنَّا نستشفع في الدنيا فنسأل الشفاعة إلى ربنا، فيقولون: ايتوا آدم أبا البشر؛ خلقه الله بيده، وأَسْجَدَ له ملائكته، وعلَّمه أسماء كل شيء»[5]، وذكر الحديث، إلى أن قال: «فأَسْجُدُ»، الحديث، إلى أن قال: «فيَقُوم ويُؤْذَنُ له، وتُرْسَلُ الأمانة والرَّحِمُ؛ فيقومان

---

(١) في (ص): عامُّه.

(٢) أفاد من هذا التعريف القرطبي في التذكرة: (٢/٥٥٠).

(٣) في (ص): قال القاضي الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي رضي الله عنه.

(٤) في صحيح مسلم: يهتمون، وفي رواية: يلهمون.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم: (١٩٣-عبد الباقي).

على[١] جَنْبَتَي الصِّراط؛ يمينًا وشمالًا»[٢]، وذكر الحديث، وهو كله مُخْتَصَرٌ مُفَصَّلٌ، ليس من حديث يوم القيامة/ مُسْنَدٌ مَجْمُوعٌ، وإنَّما هو كله مُفْتَرِقٌ، [٤٦/ب] وقد جمعنا منه حديث الشفاعة في «كتاب النَّيِّرَيْنِ لإملاء شَرْحِ الصَّحيحين»؛ مُخْتَصَرًا في «صريح[٣] الصَّحِيحِ».

[كيفية العرض[٤]]:

وفي كيفية العرض أحاديث كثيرة؛ المُعَوَّلُ منها على تسعة أحاديث، في تسعة أوقات:

الأوَّل: الحديث الصحيح المشهور؛ رواه أبو هريرة وأبو سعيد - واللفظ له - قال: «إنَّ ناسًا في زمان رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: هل[٥] تُضَارُّون في رؤية الشمس بالظهيرة صَحْوًا[٦] ليس معها سحاب؟ وهل تُضَارُّون في رؤية القمر ليلة البدر صَحْوًا ليس فيها سحاب؟ قالوا: لا، يا رسول الله، قال: ما تُضَارُّون في رؤية الله يوم القيامة إلَّا كما تُضَارُّون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذَّن مؤذن: لِتَتْبَعْ كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحدٌ كان يعبدُ

---

(١) سقطت من (ص) و(ز).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم: (١٩٥-عبد الباقي).

(٣) في (س): شرح.

(٤) أفاد من هذا الفصل القرطبي في تذكرته: (٢/٥٥٠-٥٥٤).

(٥) في (ص): فهل.

(٦) سقط من (س).

غيرَ الله من الأنصاب والأصنام إلَّا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يَبْقَ إلَّا من كان يعبد الله من بَرٍّ وفَاجِرٍ وغُبَّرَاتِ أهل الكتاب؛ فيدعى اليهود، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا[١]: كنا نعبد عُزَير بن الله، فيقال: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد[٢]، فماذا تبغون؟ قالوا: عَطِشْنا يا ربنا فَاسْقِنَا، فيُشار إليهم: ألا تَرِدُون؟ فيحشرون إلى النار كأنها[٣] سَرَابٌ[٤] تَحْطِمُ بعضُها بعضًا، فيتساقطون في النار، ثم يُدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح بن مريم، فيقال لهم[٥]: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ماذا[٦] تبغون؟ فيقولون: عَطِشْنَا يا ربنا فاسْقِنَا، قال: فيُشار إليهم: ألا تَرِدُونَ؟ فيُحشرون إلى جهنم كأنها[٧] سَرَابٌ[٨] تَحْطِمُ بعضُها بَعْضًا، فيتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلَّا من كان يعبد الله من بَرٍّ وفَاجِرٍ؛ أتاهم رَبُّهم[٩] في أدنى صورة من التي رَأَوْهُ فيها، قال: فما تنتظرون؟ تَتْبَعُ كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربنا، فارقنا الناس في الدنيا أَفْقَرَ ما كنا إليهم ولم نُصاحبهم[١٠]، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئًا؛ مرَّتين أو ثلاثًا، حتى إن

(١) في (س): قال.
(٢) في (ص): ولد ولا صاحبة.
(٣) في (س): كأنهم.
(٤) في (س): أسراب.
(٥) سقط من (س) و(د).
(٦) في (س): ما كنتم، وفي (ز): ما تبغون.
(٧) في (س): كأنهم.
(٨) في (س): أسراب.
(٩) في (ص): رب العالمين.
(١٠) في (س): يصاحبهم.

بعضهم ليكاد أن ينقلب، فيقول: هل كانت بينكم وبينه[١] آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيُكشف عن ساق؛ فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلَّا أَذِنَ الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياءً إلَّا جعل الله له ظهره طَبَقَةً واحدة؛ كلما أراد أن يسجد خَرَّ على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحوَّل في الصورة التي رأوه[٢] فيها/ أوَّل مرة، فيقولون: أنت ربنا، ثم يُضرب الجسر على جهنم، وتَحِلُّ الشفاعة، فيقولون: اللهم سَلِّمْ، اللهم سَلِّمْ[٣]»[٤]، وذَكَرَ الحديث إلى آخره.

١ [٤٧/أ]

الثاني: صحَّ من كل طريق عن عائشة أنها قالت: «سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: من نُوقِش الحساب عُذِّب، قلت: يا رسول الله، أليس الله يقول: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً﴾ [الانشقاق:٨]؟ قال: ذلك العَرْضُ»[٥].

الثالث: رَوى الحسن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يُعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات؛ فأمَّا عرضتان: فجدال ومعاذير، فعند ذلك تَطِيرُ الصحف في الأيدي؛ فآخذٌ بيمينه، وآخذٌ بشماله»[٦]، ولم يسمع الحسن من أبي هريرة.

---

(١) في طرة بـ (س): في خـ: وبين الله.

(٢) في (د): رآه.

(٣) قوله: «اللهم سلم» لم يرد في (س) و(د).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، رقم: (١٨٣-عبد الباقي).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب، رقم: (٢٨٧٦-عبد الباقي).

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في العرض، رقم: (٢٤٢٥-بشار).

الرابع: رُوي عن أنس(١) أنه قال: عن النبي ﷺ: «يُجَاءُ بـابن آدم يـوم القيامة كأنه بَذَجٌ ؛ فيوقف بـين يـدي الله ، فيقـول الله لـه: أعطيتُـك وخوَّلتُـك وأنعمتُ عليك ، فمـا(٢) صنعتَ ؟ فيقـول: يـا رب ، جمعتُـه وثمَّرتُـه ، فتركتُـه أكثر ما كان ، فأَرْجِعْنِي آتِك به ، فيقول له: أرني ما قدَّمت ، فيقـول: يـا ربِّ ؛ جمعتُه وثمَّرتُه ، فتركته أكثر ما كان ، فـأَرْجِعْنِي آتِـك بـه ، فـإذا عبـد لـم يُقَـدِّمْ خيرًا ، فيُمْضَى به إلى النار»(٣).

قال الإمام أبو بكر(٤): هذا حديثٌ صحيحٌ من مراسيل الحَسَنِ.

الخامس: وثبت عن أبي هريـرة وأبـي سـعيد - واللفـظ لـه -: «يـؤتى بعبد يوم القيامة فيقال له: ألم أجعل لك سمعًا وبصرًا ومالًا وولدًا ، وتركتك تراس وترتع(٥) ، فكنت تظـن أنـك تلاقـي(٦) يومـك هـذا ؟ قـال: فيقـول: لا ، فيقول له: اليوم أنساك كما نَسِيتَنِي»(٧) ، وهذا حديث صحيح.

السَّادس: ثبت من طُرُقٍ صِحَاحٍ ؛ وفي الـصحيح: أن النبـي ﷺ قـال: «يُؤتى بالعبد يوم القيامة فيضع عليه الله كَنَفَه ، فيقول: عَبْدِي ، تَذْكُرُ يوم كـذا

---

(١) في (د): أبي هريرة.

(٢) في (س) و(د): ما.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب صفة القيامة والرقـائق والـورع عـن رسـول الله ﷺ ، بابٌ منه ، رقم: (٢٤٢٧-بشار) ، وكأنَّ أبا عيسى مال إلى عَدِّه من مراسيل الحسن البصري.

(٤) في (ص): قال الإمام الحافظ القاضـي أبـو بكـر محمـد بـن عبـد الله بـن العربـي رضي الله عنه ، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي رضي الله عنه.

(٥) في (ص): تربع.

(٦) في (ص): ملاقي.

(٧) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب صفة القيامة والرقـائق والـورع عـن رسـول الله ﷺ ، بابٌ منه ، رقم: (٢٤٢٨-بشار).

وكذا، حين فعلت كذا وكذا؟ فلا يزال يُقَرِّرُه حتى يرى أنه قد هلك، ثم يقول له[١]: عبدي؛ أنا سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم»[٢].

السَّابع: وفي الصحيح عن أبي ذَرٍّ قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخِرَ أهل الجنة دخولًا الجنة، وآخر أهل النار خروجًا من النار؛ رجلٌ يؤتى به يوم القيامة فيقال[٣]: اعرضوا عليه صغار ذُنوبه، وارفعوا عنه كِبَارَها، فيعرضُ الله عليه صِغَارَ ذنوبه، فيقال: عملتَ يوم كذا وكذا، كذا وكذا، فيقول: نعم، لا يستطيع أن يُنكِر، وهو مُشْفِقٌ من كبار ذنوبه أن تُعرض عليه، فيقال له[٤]: إن لك مكان كل سيئة حسنة، فيقول: يا رب، قد عملتُ أشياء لا أراها هاهنا، فلقد رأيتُ رسول الله ﷺ ضَحِكَ حتى بَدَتْ نَوَاجِذُه»[٥].

١ [٤٧/ب]

الثامن: وفي الصحيح عن أنس بن مالك:/ أن رسول الله ﷺ قال: «يَخْرُجُ[٦] من النار أربعةٌ فيُعرضون على الله، فيلتفت أحدهم فيقول: أي ربِّ، إذ أخرجتني منها فلا تُعِدْني[٧] فيها، فيُنجيه الله منها»[٨].

---

(١) سقط من (د) و(ص).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما: كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثُر قتله، رقم: (٢٧٦٨-عبد الباقي).

(٣) سقطت من (س).

(٤) قوله: «فيقال له» سقط من (س).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم: (١٩٠-عبد الباقي).

(٦) في (د): يخرجون.

(٧) في (س): تعذبني.

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم: (١٩٢-عبد الباقي).

وروى مسلم: «يجمع الله الناس فيقوم المؤمنون حتى تُزلف لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم[١] من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم؟ لستُ بصاحب ذلك»[٢]، وذكر حديث الشفاعة.

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأحقاف: ١٩]، وذلك قوله في الحديث المتقدم: «ألا تَرِدُونَ؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سرابٌ[٣] تَحْطِمُ بعضُها بعضًا»[٤]، وهذا ممَّا أغفله الأئمة في التفسير.

التاسع: العَرْضُ على الله، ولا أعلمه في الحديث إلَّا قوله في النص المتقدم: «حتى إذا[٥] لم يَبْقَ إلَّا من كان يعبد الله من بَرٍّ وفاجر أتاهم ربُّ العالمين»[٦]، وذكر الحديث، والصراط والميزان والحوض.

قال الإمام أبو بكر[٧] رضي الله عنه: وقد تقدَّم في المقام الدنيا وفي القبر وُجُوهٌ من العَرْضِ:

---

(١) في (س): أخرجتكم.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم: (١٩٥-عبد الباقي).

(٣) في (س): أسراب.

(٤) تقدَّم تخريجه.

(٥) سقط من (س) و(د).

(٦) تقدَّم تخريجه.

(٧) في (ص): قال القاضي الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي.

الأوَّل: عَرْضُ الأعمال كل يوم عند تعاقب الملائكة لصلاة الصبح وصلاة العصر[١].

الثاني: عَرضُ الأعمال كل إثنين وخميس، وكان النبي ﷺ يَصُومُهما، ويقول: «أُحِبُّ أن يُعْرَضَ عملي وأنا صائم»[٢].

الثالث: عَرْضُ حال المتجالسين للذِّكْرِ، ففي الحديث الصحيح: «إن لله ملائكة سيَّاحين في الأرض، فُضُلًا عن أعمال الناس، يجلسون إلى حِلَقِ الذكر فيصعدون إلى الباري، فيقول لهم: كيف تركتم عبادي - وهو أعلم بهم - ؟ فيقولون: وجدناهم يسألونك الجنة، قال: وهل رأوها؟ قالوا: لم يروها، قال: فكيف لو رأوها؟ لكانوا أشد حُبًّا لها، فيقولون: وجدناهم يستعيذونك من النار، فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون[٣]: لم يروها، فيقول: وكيف لو رأوها؟ لكانوا أشد منها استعاذة»[٤]، الحديث.

وقد تقدَّم عَرْضُ العَبْدِ على مقعده بالغداة والعَشِيِّ في قبره[٥].

---

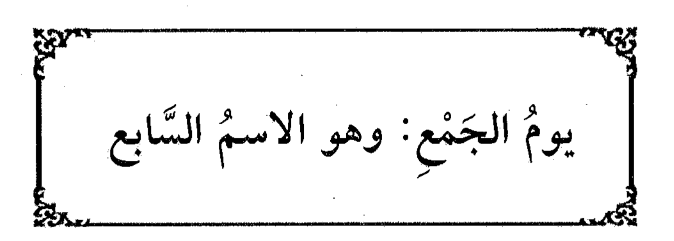
(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أبواب الصوم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في صوم يوم الإثنين والخميس، رقم: (٧٤٧-بشار)، وقال: «حسن غريب».

(٣) في (د): فيقول.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء أن لله ملائكة سيَّاحين في الأرض، رقم: (٣٦٠٠-بشار)، وفي المطبوع من الترمذي: كُتَّاب الناس، بدل: أعمال الناس.

(٥) أخرج حديث العرض مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، رقم: (٢٨٦٦-عبد الباقي).



يومُ الجَمْعِ: وهو الاسمُ السَّابع

وحقيقته في العربية: ضَمُّ شَيْءٍ إلى شَيْءٍ؛ فَرْدًا إلى فَرْدٍ، حتى يكون شيئين، أو[1] زَوْجًا إلى زَوْجٍ، حتى يكون أشياء[2].

وهو وإن كان يوم الجمع فإنه يَوْمُ الفَرْقِ، وهو الاسمُ الثامنُ.

* * * * *

---

(١) في (ص): و.

(٢) ينظر: الأمد الأقصى -بتحقيقنا-: (٢/٣٤٣)، وقد أفاد من هذا التعريف القرطبي في تذكرته: (٢/٥٥٦).

[الاسم الثامن: يَوْمُ الفَرْقِ]

قال الله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾ [التغابن:٩]، وقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم:١٣]، وقد سبق القضاء ونفذ الحُكْمُ بجَمْعِهم وفَرْقِهم؛ عِلْمًا وكتابًا، وخَلْقًا وتطويرًا، ومعاشًا ومَوْتًا ونُشُورًا، وثَوَابًا وعِقَابًا، ودِينًا ودُنْيَا، وفاتحةً وخاتمةً، وإقبالًا وإدبارًا، ورَوْضَةً وحُفْرَةً، ومَوْقِفًا وحِسَابًا، وقَبُولًا ورَدًّا،/ وجوارًا[1] تقريبًا، وإقصاءً تبعيدًا[2]، وجوازًا على الصراط، ورِيًّا وعَطَشًا، ونُورًا وظُلْمَةً، ووَزْنًا وإعطاءَ كتاب، ومآبًا وقرارًا، ولكل واحد حديثٌ وآيَةٌ بيَّنَّاهَا في «أنوار الفجر»، والنَّبِيهُ[3] يستخرجها من حفظ القرآن والحديث، وهذا «السِّرَاجُ» يكفي للاستضاءة عليها في الاستراءة.

[٤٨/أ]

والجمع يكون بوُجُوهٍ:

الأوَّل: ما تقدَّم من جَمْعِ مُتَفَرِّقِ[4] الأجساد في الأرض؛ حتى يرجع كل عُضْوٍ إلى مَقَرِّه، وكل قِطْعَةٍ من البدن إلى جارتها، وقد سأل إبراهيم معرفة مُعَايَنَة الكيفية، فأراه الله إيَّاها في الطيور الأربعة.

---

(١) في (س) و(د): جوازًا وتقريبًا.

(٢) في (س) و(د): وتبعيدًا.

(٣) في (ص): النبيه.

(٤) في (ص): مفترق.

وقد أبان النبي ﷺ عنها في حديث المُحْتَرِقِ فقال: «إن رجلًا كان فيمن قبلكم لم يَبْتَئِرْ خَيْرًا، قال: أيُّ أَبٍ كنت لكم؟ قالوا[1]: خَيْرَ أَبٍ، قال: فإذا مِتُّ فأَحْرِقُوني، ثم اسْهَكُوني، وذَرُّوا نِصْفِي في البَرِّ، ونِصْفِي في البحر، فوالله لئن قَدَرَ الله عليَّ ليُعَذِّبَنِّي عذابًا ما عذَّبه أحدًا من العالمين، فلمَّا مات فَعَلُوا، فأمر الله البَرَّ فجمع ما فيه، ثم أَمَرَ البَحْرَ فجمع ما فيه، ثم قال له: كن خَلْقًا سَوِيًّا فعاد كما كان، فقال الله له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: مخافتك، فغفر له»[2]، وفي رواية: «فما[3] تلافاه غيرها»[4]، وهذه هي:

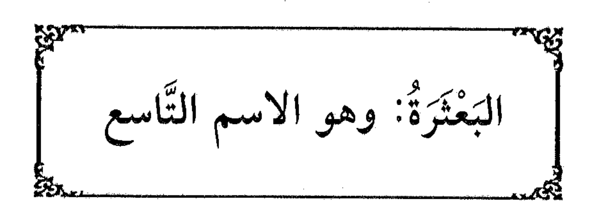
* * * * *

(١) في (د): قال.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى، رقم: (٢٧٥٦-عبد الباقي).

(٣) في (د): فلما.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى، رقم: (٢٧٥٧-عبد الباقي).



البَعْثَرَةُ: وهو الاسم التَّاسع

ومَعْنَاهُ: تَتَبُّعُ الشيء المختلط مع غيره حتى يخلص منه.

ورُوي في السِّيَرِ: أن النبي ﷺ قال في حمزة - عمِّه -: «لولا أن تَجْزَعَ صَفِيَّةُ لتركته حتى يُحْشَرَ من بطون السِّبَاعِ والطير»(١).

الثاني: من وُجُوهِ الجَمْعِ ما تقدَّم في الحديث: «يجمع الله الأوَّلين والآخرين في صعيد واحد؛ يُسْمِعُهم الداعي ويَنْفُذُهم البَصَرُ(٢)»(٣).

الثالث: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة:١١١]، يحتمل أن يريد به(٤): يَجْمَعُهم في السؤال.

ويحتمل أن يريد به(٥): يجمعهم في الموقف.

ويحتمل أن يريد به(٦): يجمعهم فيهما.

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه من حديث أنس رضي الله عنه: أبواب الجنائز عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في قتلى أُحُدٍ وذكر حمزة، رقم: (١٠١٦-بشار).

(٢) في (ز): الصبر.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم: (١٩٤-عبد الباقي).

(٤) في (س): يريد.

(٥) في (س): يريد.

(٦) في (س): يريد.

ويحتمل أن يريد به[١]: يجمعهم في[٢] الشهداء على الأمم، وذلك قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء:٤١].

وذلك كلُّه صحيحٌ مَرْوِيٌّ فيه أحاديث.

الرابع: رُوي في الحديث: «أنه يجتمع أهل الجنة»[٣]، ورُوي: «أنه يجتمع أهل النار»[٤].

وأما الفَرْقُ فقد أخبر الله تعالى عن أوَّله وآخِره:

أمَّا الأوَّل: فقوله: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَٰثَةً﴾ [الواقعة:٧]، أي: أنواعًا ثلاثة، ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ [الواقعة:٨] هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين، ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ [الواقعة:١٠] هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال[٥].

وقال ﷺ: «يُؤخذ برِجَالٍ يوم القيامة ذات الشمال، فأقول: يا رب[٦]، أصحابي، فيُقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[٧].

---

(١) في (س): يريد.

(٢) قوله: «في السؤال؛ ويحتمل أن يريد به: يجمعهم في الموقف؛ ويحتمل أن يريد به: يجمعهم فيهما؛ ويحتمل أن يريد به: يجمعهم في» سقط من (د).

(٣) ورد في معناه حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه قوله لسعيد بن المسيب: «أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة»، وهو حديث طويل، أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب صفة الجنة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في سوق الجنة، رقم: (٢٥٤٩-بشار)، وضعَّفه الترمذي.

(٤) بعده في (ص): وهو، ثم بياض، وفي الطرة: هكذا في الأصل بياض.

(٥) الكشف والبيان: (٩/٢٠١).

(٦) في (د): يا رب، يا رب.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما: كتاب صفة الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، رقم: (٢٨٦٠-عبد الباقي).

واختلف في الآية هل هي عامة في كل أُمَّةٍ أم في أُمَّتِنا؟

والصحيح عمومها.

وأمَّا/ السَّابقون - أحد الأنواع الثلاثة التي ذكر الله -: فأوَّلهم أبو بكر. [٤٨/ب]

وقيل: هم الذين صَلُّوا القِبْلَتَيْنِ[١].

وقيل: هم الذين يُبادرون إلى الأعمال ولا يتراخون عنها[٢].

وقد بيَّنَّا ذلك في «الأحكام»[٣].

وهذه الآية وما تضمَّنت من المعنى في الميمنة والمشأمة ممَّا لم أعلمه إلى الآن، ولا أدري ميمنة ماذا ولا مشأمة ماذا، ولا رأيتُ من يدريها، والله يجعلنا وإياكم من أهل الميمنة برحمته[٤].

وأمَّا الآخِر: فقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [الروم:١٣ - ١٥]، وهو قَوْلُه: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى:٥].

وبينهما وجوه:

---

(١) الكشف والبيان: (٩/ ٢٠٢).

(٢) البسيط للواحدي: (٢١/ ٢١٨).

(٣) أحكام القرآن: (٢/ ١٠٢٠).

(٤) سقطت من (س).

منها: ما رُوي في الحديث أنه ﷺ قال: «تخرج عُنُقٌ من النار فتلتقط الكفار لَقْطَ الطائر حبَّ السِّمْسِمِ»[١].

ومنها: ما تقدَّم في الحديث الصحيح: «إن الله تعالى يجمع الأوَّلين والآخرين في صعيد واحد، يُسْمِعُهم الداعي ويُنْفِذُهم البَصَرُ، ثم ينادي مُنَادٍ: ليتبع كل أمة ما كانت تعبد، فيتبع من كان يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، ويتبع من كان يعبد القَمَرَ القَمَرَ، ويتبع من كان يعبد الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وفي رواية: - فيُمَثَّلُ لكل أمة ما كانت تعبد -، فيَمْثُلُ لأهل الصليب الصَّلِيبُ، فلا يبقى أَحَدٌ ممن كان يعبد غير الله من الأنصاب والأصنام إلَّا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلَّا من كان يعبد الله من بَرٍّ وفاجر[٢] وغُبَّرَاتِ أهل الكتاب جميعًا، فتُدْعَى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد، فتدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد عُزَير بن الله، فيقال لهم جميعًا: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، ثم يقولون: عَطِشْنا فاسقنا، فيشار إليهم: ألا تردون؟ فيُحشرون كلهم إلى النار كأنها سرابٌ[٣] تحطم بعضُها بعضًا، فيتساقطون في النار[٤]»[٥].

---

(١) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: كتاب البعث، -بغية الباحث: (١٠٠١/٢)-، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية: (٦٢/٦)، مختصرًا، وفيه شَهْرُ بن حوشب، وهو مختلف فيه، ورواه بلفظ قريب منه ابن أبي شيبة في مصنفه: (٧٧/١٢)، رقم: (٣٥٠٠٥-الرشد).

(٢) في (س): أو فاجر.

(٣) في (س): أسراب.

(٤) بعده في (ز): «ثمَّ تدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح بن مريم، وقد تكرَّر».

(٥) تقدَّم تخريجه.

وهذا نحوٌ[(١)] من الفَرْقِ[(٢)] أيضًا؛ وهو قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ [الزلزلة:٦]، أي: متفرقين، ﴿لِيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾، فهذا أوَّلُ ذلك، وبعده أشياء[(٣)] كثيرة[(٤)].

ومنها: التفاوت في جواز الصراط؛ «كالبرق الخاطف، والريح[(٥)] المرسلة، والطير، وأجاويد الخيل، وشَدِّ الرجال، وزَحْفًا تجري بهم أعمالهم»[(٦)]، صَحِيحٌ صَحِيحٌ.

[الشفاعة[(٧)]]:

ومنها: الفَرْقُ الأعظم؛ وهو كيفية الخروج من النار بالشفاعة.

ففي الحديث الصحيح أنهما نوعان:

من جهة الشافع نَوْعٌ؛

ومن جهة السبب المشفوع به نَوْعٌ.

فأمَّا الشافع «فمُحَمَّدٌ ﷺ، والأنبياء، والملائكة، والمؤمنون، وأرحم الراحمين[(٨)]»[(٩)].

---

(١) في (ص): نوع.

(٢) في (ز): العرض.

(٣) في (ص): أمثاله.

(٤) في (ص): كثير.

(٥) في (د): الريح العاصف المرسلة.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم: (١٨٣-عبد الباقي).

(٧) ينظر: المتوسط في الاعتقاد -بتحقيقنا-: (ص٤١٦-٤١٧).

(٨) في (ص) زيادة: الأول الآخر، وأشار إليها في (س) على أنها من خـ.

(٩) وهو ما جاء في حديث أبي سعيد، فيقول الله عز وجل: «شفعت الملائكة =

١
[٤٩/أ] والحديث: «يخرج بشفاعة رَجُلٍ من أمتي من النار/ أكثرُ بني تَمِيمٍ»[(١)].

رواه عبد الله بن أبي الجَدْعَاءِ، وليس له حديث غيره[(٢)]، وهو صحيح.

وأمَّا النوع الثاني: في التقديم والتأخير للمُخْرَجِين؛ فيُبْدَأُ بمن «في قلبه مثقال دينار من خير، ثم مثقال نصف دينار من خير، ثم من كان في قلبه ما يَزِنُ شعيرة، ثم ما يزن بُرَّةً - وفي رواية: «برة أو شعيرة» -، ثم ما يزن خردلة، ثم ما يزن ذرة»[(٣)].

وهذا ترتيبٌ فيه كلام[(٤)].

وفي رواية - بَدَلَ خَيْرٍ -: «إِيمَان»[(٥)].

= وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلَّا أرحم الراحمين»، أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم: (١٨٣-عبد الباقي).

(١) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، بابٌ منه، رقم: (٢٤٣٨-بشار).

(٢) الجامع: (٤/٢٣٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم: (١٨٣-عبد الباقي).

(٤) ينظر: العارضة: (٩/٣٢٦-٣٢٧).

(٥) أخرجها مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، رقم: (١٨٤-عبد الباقي).

ومنها: ما أعظمه وأجلَّه من فائدة للمُذنبين! وهي أن الله حرَّم على النار أَثَرَ السجود، وخُصُوصًا الوجه، «وإذا أَكَلَتْهُم النار فصارُوا حُمَمًا أماتهم الله فيها إماتةً حتى يخرجُوا منها بالشفاعة»[١].

* * * * *

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، رقم: (١٨٥-عبد الباقي).

يَوْمُ الفَزَعِ: وهو الاسمُ العاشر

وحقيقة «ف ز ع»: ضَعْفُ النفس عن حَمْلِ المعاني الطارئة عليها خلاف العادة، فإن استمر كان جُبْنًا[(١)]، وعند ذلك تتشوَّف[(٢)] النفس إلى ما يُقَوِّيهَا، فلجرَّاء ذلك قالوا: فَزِعْتُ من كذا، أي: ضَعُفْتُ عن حَمْلِه عند طَرَيَانِه عليَّ، وفَزِعْتُ إلى كذا، أي: تَشَوَّفَتْ[(٣)] نفسي عند ذلك إلى ما يُقَوِّيهَا على إزالة ما نزل بها.

والآخِرَةُ كلها خلافُ العادة، فهي فَزَعٌ كلها، وبعضُها أكبرُ من بعض، قال الله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء:١٠٢]، وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر:٦٥]، وفيه سبعة أقوال[(٤)]:

الأوَّل: الفزع الأكبر: قوله تعالى: ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان:٢٢].

الثاني: قوله: ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يس:٥٨].

---

(١) في التذكرة للقرطبي (٢/٥٥٦): جَنْبًا، وهو تصحيف.

(٢) في التذكرة للقرطبي (٢/٥٥٦): تتشوَّق، وهو تصحيف.

(٣) في التذكرة للقرطبي (٢/٥٥٧): تشوَّقت، وهو تصحيف.

(٤) في (ص): وجوه.

الثالث: قوله عند ذَبْحِ الموت[1]: «يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت[2]، ويا أهل النار خلودٌ فلا موت[3]»[4].

الرابع: قوله[5]: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المومنون:١٠٩].

الخامس: هو الفراق[6].

السَّادس: هو اليأس من رَوْحِ الله، وذلك للكفار حين يُؤمر بهم إلى النار[7].

السَّابع: النفخة الآخرة[8]، وهما[9] نفختان بنص القرآن، وهو:

* * * * *

---

(١) تفسير الطبري: (١٦/٤٢٢-التركي).

(٢) بعده في (س): بينها، وصحَّحها، وفي (ز): فيها.

(٣) بعده في (ز): فيها.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري ﵁: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، رقم: (٢٨٤٩-عبد الباقي).

(٥) سقط من (س).

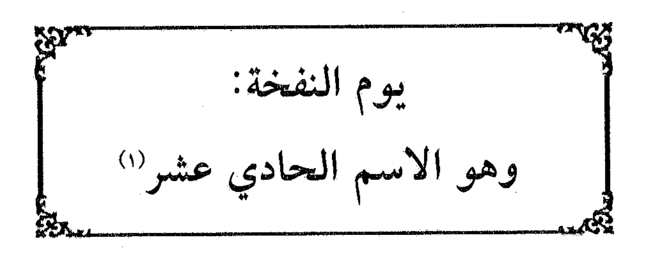
(٦) في (س) و(د): الفرق.

وهو قول ذي النون المصري، الكشف والبيان: (٦/٣١١).

(٧) تفسير الطبري: (١٦/٤٢٢-التركي).

(٨) تفسير الطبري: (١٦/٤٢٢-التركي).

(٩) في (س) و(د): وهي.



يوم النفخة:
وهو الاسم الحادي عشر(١)

وممَّا رُوي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «ينفخ في الصُّور ثلاث نفخات؛ نفخة الفزَع، ونفخة الصَّعْق، ونفخة القيام لرب العالمين»(٢).

وهذه النفخة الثالثة معلومة بالإجماع، وبالحديث المفرد فيها.

فأمَّا اقترانها الثلاث في حديث واحد فلم يثبت سَنَدُه(٣)، والنَّفْخُ صَحِيحٌ، والصُّورُ صحيحٌ، وكيفيتُه غيرُ صحيحة.

في الترمذي وغيره عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: «الصُّورُ قَرْنٌ يُنفخ فيه»(٤).

---

(١) في (ص): الاسم الحادي عشر: وهو يوم النفخة.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره: (١٩-٤٥٢-التركي)، والبيهقي في البعث والنشور: (ص٣٣٦)، ومداره على مجهول.

(٣) في (س): بسنده.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في شأن الصور، رقم: (٢٤٣٠-بشار)، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن».

١ [٤٩/ب]

وقال رسول الله ﷺ: «كيف أنعمُ وصاحب القَرْنِ قد الْتَقَمَ القَرْنَ، وحَنَا جَبْهَتَه، واستمعَ الإِذْنَ متى يُؤمر بالنفخ فيَنْفُخُ/، فكأنَّ ذلك ثَقُلَ على أصحاب النبي ﷺ، فقال لهم: «قولوا: حَسْبُنا الله، ونعم الوكيل»[١].

وهما حديثان حسنان.

أمَّا الأول فحديث أبي سعيد، وقد تقدَّم.

وأمَّا الثاني فحديث أبي هريرة، ذكره الطبري[٢]، وهو صحيح[٣].

قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق الصُّورَ وأعطاه إسرافيل، فهو واضعُه على فيه، ينتظر متى يُؤمر، قَرْنٌ عظيم يُنفخ فيه ثلاث نفخات؛

النفخة الأولى: نفخة الفزع.

والثانية[٤]: نفخة الصعق[٥].

والنفخة الثالثة: نفخة القيام بأمر الله.

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي سعيد الخدري ﷺ: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في شأن الصور، رقم: (٢٤٣١-بشار)، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن».

(٢) تفسير الطبري: (١٩/٤٥٢-التركي).

(٣) تقدَّم قول ابن العربي: «إنه لم يثبت سنده»، فلا أدري معنى قوله هذا، وذَكَرَ تصحيحه لهذا الحديث أبو عبد الله القرطبي في تذكرته، وذَكَرَ أن عبد الحق الإشبيلي ضعَّفه، وهو الذي تشهد له قواعد التعليل، ينظر: التذكرة: (٢/٥١٠).

(٤) في (س): الثالثة، وهو سبق قلم.

(٥) في (س): الصعقة.

يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول: انفخ نفخة الفزع؛ وهي التي يقول الله: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [ص:١٥]، فتُسَيَّرُ[(١)] الجبال فتكون سرابًا، وتُرَجُّ الأرضُ بأهلها رجًّا، وهي التي يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ [النازعات:٦]، فتكون الأرض كالسفينة المُوثَقَةِ، وتضربها الأمواج تَكْفَأُ بأهلها، فيَمِيدُ[(٢)] الناس على ظهرها؛ فتَذْهَلُ المراضع، وتَضَعُ الحوامل، ويشيب الولدان، فبينما هم كذلك إذ تصدَّعت الأرض من قُطْرٍ إلى قُطْرٍ، فرأوا أَمْرًا عظيمًا، ثم نظروا إلى السماء فإذا هي كالمُهْلِ، ثم خَسَفَ شمسها، ثم خَسَفَ قمرها، وانتثرت نجومها، والأموات لا يعلمون بشيء من ذلك»، قال أبو هريرة: «هُم ممَّن استثنى الله، حين يقول: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [النمل:٨٩]، فقال: أولئك الشهداء، وَقَاهُم الله فَزَعَ ذلك اليوم وأَمَّنَهُمْ، وهو عذاب الله يَبْعَثُه على شِرَارِ خَلْقِه، وهو الذي يقول الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج:١]»[(٣)].

قال القاضي الإمام أبو بكر[(٤)]: وكُلُّهُ فَزَعٌ؛ لعظيم أَهْوَالِه، وكثرة أَوْجَالِه، وهو يَوْمٌ وَاحِدٌ.

أَوَّلُه:

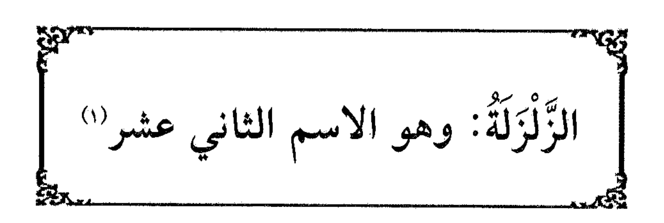
---

(١) في (ص): فيسير الله الجبال.

(٢) في (د): فتميل، وفي (ز): فيحيد، وهو تصحيف.

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) في (ص): قال القاضي الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي ﵁، وفي (ز): قال القاضي الإمام أبو بكر ﵁.



الزَّلْزَلَةُ: وهو الاسم الثاني عشر[١]

تكون عن النفخة[٢] الأولى بهذا الحديث الصحيح[٣] الواحد المُفْرَدِ[٤]، ولمَّا بَدَأَ النبي ﷺ بذِكْرِ الزلزلة التي تكون عن النفخة[٥] الأولى؛ ذَكَرَ ما يكون في ذلك اليوم من الأهوال العِظَامِ التي يُعطيها قوله: ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾.

ومن فَزَعِهَا[٦] ما لا تُطِيقُ حَمْلَه[٧] النُّفُوسُ، وهو قوله تعالى لآدم: «ابعث بَعْثَ النار»[٨]، فيكون ذلك في أثناء ذلك اليوم، ولا يقتضي ذلك أن يكون مُتَّصِلًا بالنفخة الأولى؛ التي يَشِيبُ فيها الوليد[٩]، وتضع الحوامل، وتَذْهَلُ المراضع، ولكن يحتمل أمرين:

---

(١) في (ص): العاشر.

(٢) في (س): في خـ: الصيحة، وصحَّحها.

(٣) سقط من (س) و(د).

(٤) أفاد من هذا الفصل أبو عبد الله القرطبي في تذكرته: (٢/٥٠٩-٥١٠).

(٥) في (س): في خـ: الصيحة.

(٦) في التذكرة للقرطبي (٢/٥٠٩): قرعها، وهو تصحيف.

(٧) في (ص): حملها.

(٨) تقدَّم تخريجه.

(٩) في (س) و(د): الولدان.

١ **أحدهما**: أن يكون آخِرُ الكلام مَنُوطًا بأوَّله، تقديره: يُقال لآدم: ابْعَثْ بَعْثَ النار أثناء[1] يوم يَشِيبُ الوليد، وتضع/ الحوامل، وتذهل المراضع، من أوَّله. [٥٠/أ]

الثاني: أن شَيْبَ الوليد ووَضْعَ الحوامل وذُهُولَ المراضع يكون في النفخة الأولى حقيقةً[2].

وفي هذا القول الثاني تكون صفته بذلك إِخْبَارًا عن شِدَّتِه، وإن لم يُوجد عَيْنُ[3] ذلك الشيء فيه، وهذه طريقة العرب في فصاحتها.

وهي: الزلزلة.

وهي: الصيحة.

وهو: يوم الصيحة التي قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [ص:١٤].

وهو: يَوْمُ الناقور، لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدّثر:٨].

وهو: الصُّورُ.

وهي: القارعةُ؛ لأنها تَقْرَعُ السمع والفؤاد بالمكروه.

فجعل ذلك كله من المحسوس مثلًا لتأثيرها[4] في الآذان والنفوس.

---

(١) في (ص): في أثناء.

(٢) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي: (٤٤٨/١).

(٣) في التذكرة للقرطبي (٥١٠/٢): غير، وهو تصحيف.

(٤) في (د): لما غيرها.

فهذان اسمان من النَّقْرِ والقَرْعِ[١] بمعنًى واحد، إلَّا أنَّ النَّقْرَ أعمُّ من القَرْعِ[٢].

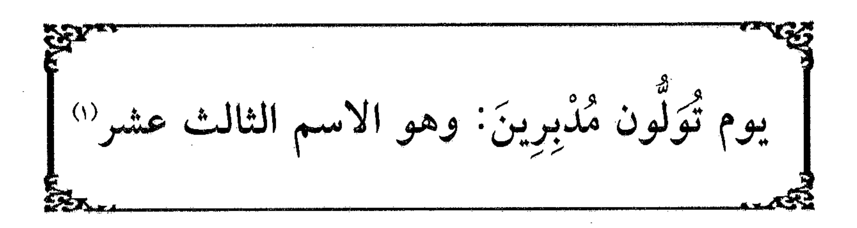
وهو يوم التنادي، بتخفيف الدال؛ مِن النداء[٣]، أو بتشديدها؛ مِن ندَّ إذا ذهب، وهو:

* * * * *

(١) في (ص): الفزع.

(٢) في (ص): الفزع.

(٣) قوله: «من النداء» سقط من (ص).



يوم تُوَلُّون مُدْبِرِينَ: وهو الاسم الثالث عشر[١]

إذا ذهب أيضًا في غير قصد[٢].

ورُوي عن أبي هريرة أيضًا أن النبي[٣] ﷺ قال: «يأمر الله إسرافيل فينفخ نفخة الفزع، فيفزع[٤] أهل السماوات والأرض، وهي التي يقول الله تعالى: ﴿مَا يَنظُرُ هَـٰٓؤُلَآءِ الاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾[٥]، فيُسَيِّرُ الله الجبال، وتُرَجُّ الأرض بأهلها رجًّا، وهي التي يقول الله تعالى فيها: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ أُلرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا أُلرَّادِفَةُ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ [النازعات:٦ - ٨]، فيميد الناس على ظهرها، فتذهل المراضع[٦]، وتضع الحامل، وتشيب الولدان، ويُوَلِّي الناسُ مُدْبِرِين، يُنادي بعضُهم بعضًا، وهو الذي يقول الله: ﴿يَوْمَ أُلتَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ [غافر:٣٢ - ٣٣]»[٧].

---

(١) في (ص): الحادي عشر، وهو سبق قلم.

(٢) أفاد من هذا الفصل أبو عبد الله القرطبي في تذكرته: (٢/٥٥٧).

(٣) في (ص): رسول الله.

(٤) في (ص): ففزع.

(٥) بعده في (ص): ﴿هل ينظرون إلا صيحة واحدة﴾.

(٦) في (ص): المرضع.

(٧) هو الحديث الذي أخرجه الطبري في تفسيره، وقد تقدَّم الكلام عليه.

وقد رُوِيَت في ذلك أخبارٌ[1] وآثارٌ[2] كثيرة هذه أمثلها، فدَعُوهَا، فالمعنى الواحد يكفينا منها ومن هَوْلها، ومن تحقيق المعنى لها.

قال القاضي[3] رضي الله عنه: وإذا كان يوم التنادي فيُرِيد به: **يوم النداء**، وهو: يوم الدعاء.

* * * * *

(١) سقط من (ص).

(٢) سقط من (ز).

(٣) في (ص): قال القاضي الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ز): قال القاضي الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي.

يوم النداء: وهو الاسم الرابع عشر

١ [٥٠/ب] وقيل له: تَنَادِي، وهو تفاعلٌ من اثنين، فيكون:/

* * * * *

الدعاء: وهو الاسم الخامس عشر

ويجاب الدعاء فيسمى تناديًا؛ لأن باب التفاعل أن يكون من اثنين[(١)]، إلَّا أنه قد يكون من صنف واحد، وقد يكون جزاؤه وجوابه يُجعل مثله ويُخبَر به بلفظ التفاعل، عربية فصيحة.

والنداء على ثمانية[(٢)] وجوه:

الأول: نداء أهل الجنة لأهل النار بالتقريع.

الثاني: نداء أهل النار لأهل الجنة بالاستغاثة كما أخبرنا[(٣)] الله عنهم.

الثالث: يدعو كل أناس بإمامهم، وهو قوله: «لتَتْبَعْ كلُّ أمة ما كانت تعبد»[(٤)].

الرابع: يُنادَى: «ألَا إن فلان بن فلان[(٥)] قد سَعِدَ سعادةً لا يشقى بعدها أبدًا، وإن فلانًا قد شَقِيَ شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا».

---

(١) قوله: «فيكون: الدعاء: وهو الاسم الخامس عشر، ويجاب الدعاء فيسمى تناديًا؛ لأن باب التفاعل أن يكون من اثنين» سقط من (د) و(ز).

(٢) سقطت من (د) و(ز).

(٣) في (ص): أخبر.

(٤) تقدَّم تخريجه.

(٥) قوله: «ابن فلان» سقط من (د).

الخامس: يُنادَى عند ذبح الموت: «يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت، ويا أهل النار خلودٌ فلا موت»[(١)].

السَّادس: ينادي أهلُ النار: «يا حسرتا، ويا ويلتا[(٢)]».

السَّابع: ﴿يَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود:١٨].

الثامن: ينادي الله أَهْلَ الجنة فيقول: «يا أهل الجنة هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تُعْطِ أحدًا من خلقك، فيقول: أعطيتكم أفضل من ذلك[(٣)]؛ رضائي[(٤)]، فلا أسخط عليكم أبدًا»[(٥)].

قال الفقيه الحافظ[(٦)]: المعنى واحد، والمحل واحد، والألفاظ مختلفة، ويُكَنَّى[(٧)] عنها[(٨)] بما تقدَّم: الزلزلة.

وهي الرجفة؛ قال[(٩)]: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ [المزمل:١٣].

---

(١) تقدَّم تخريجه.
(٢) في (ص): يا حسرتنا، يا ويلتنا.
(٣) قوله: «أفضل من ذلك» سقط من (د) و(ز).
(٤) في (ص): رضواني.
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة، رقم: (٢٨٢٩-عبد الباقي).
(٦) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه.
(٧) في (ص): يكون.
(٨) في (د): عنه.
(٩) سقط من (د).

وهو الاضطراب.

وهي الرجَّةُ[١]؛ قال الله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾ [الواقعة:٤]، وفي الحديث الصحيح: أن النبي ﷺ كان مع أصحابه على حِرَاء مرة، وعلى أُحُدٍ أُخرى، فرجف بهم الجبلان، فقال له النبي ﷺ: «اثْبُتْ، فإنما عليك نَبِيٌّ وصِدِّيقٌ وشَهِيدان»[٢]، وفي رواية: «وشهيد».

وفي الآثار النَّهْيُ عن ركوب البحر عند ارتجاجه[٣]، أي: اضطرابه، وهي التي قال النبي ﷺ: «جاءت الراجفة، تتبعها الرادفة»[٤]، حديث حسن.

وهُمَا: **الاسم السَّادس عشر، والسَّابع عشر**[٥].

وتُدَكُّ الأرض، وتُسَيَّرُ الجبال، وتُصَيَّرُ الجبال صُوفًا منفوشًا، ويعود الكل منها كثيبًا مَهِيلًا، وتُبَسُّ كما تقدَّم، أي: تُجْعَلُ كالفُتَاتِ بعد شِدَّتِها.

ضَرَبَ لها مَثَلَيْنِ:

أحدهما: في اللِّينِ، وهو الصُّوفُ، بعد شدَّتها[٦].

---

(١) في (د): الزخة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: كتاب فضائل الصحابة، بابٌ، رقم: (٣٦٧٥-طوق).

(٣) ينظر: العارضة: (٨/١٣٦).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي بن كعب رضي الله عنه: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٢٤٥٧-بشار).

(٥) في (د): وهو الاسم الخامس عشر، وفي (ز): وهو الاسم السادس عشر.

(٦) قوله: «بعد شدتها» سقط من (د) و(ز).

والثاني: الفُتات المَبْسُوسُ، وهو أقرب إليها، لقوله في الحديث الصحيح: «تكون الأرض يوم القيامة دَرْمَكَةً بيضاء، كهيئة الخبز[١] النقي»[٢]، الحديث.

وضرب لذلك[٣] مثلًا؛ الهَباء المنبثَّ؛ الذي تراه في شُعاع الشمس من الكَوَّةِ - بفتح الكاف -، وهي النافذة، فإن كانت بضمها فهي الطاق، ويقال لها كُوَّةٌ حينئذ، بضَمِّ الكاف، فهي[٤] كهيئة الغبار، فإذا قَبَضْتَ عليه لم تجد شيئًا.

﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ﴾ [الحج:٢]، و﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾، وذلك بوقوع الواقعة، وسيأتي معناها، ويتبعها ما بعدها.

فهذه سِتَّةُ أسماء.

أمَّا الدَّكُّ في الأرض فهو تسويةُ وَجْهِها حتى تكون كما قال الله: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف:٤٦].

---

(١) في (ص): الخبزة.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب في البعث والنشور، وصفة الأرض يوم القيامة، رقم: (٢٧٩٠-عبد الباقي)، ولفظه فيه: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي».

(٣) في (ص): لها.

(٤) في (ص): فهو.

وأمَّا الجبالُ ؛ فإمَّا يُعْدِمُها الله لأنه خلقها أَوْتَادًا لها ، فيُعدمها ويُمسكها الذي كان يُمسكها[1] ولأوتادها ؛ لأنَّ لله فيها قُدْرَةً ضلَّ عنها أهل الفلسفة ، ولم يُوَفَّقْ لها أهل الإلحاد والعَطَلَةِ ، وغفل عنها علماء المِلَّةِ ، وهي:

نكتة بديعة:

وهي أن الله رفع السماوات بغير عمد ، فإن كانت السماء فَلَكًا - كما قال الذين لا يعلمون - فليس لهذا القول حقيقة ، ولا إشكال في أنها غيرُها ، كما بيَّنَّاه في «كتب[2] الأصول».

[٥١/أ] وأمَّا الأرض فهي على الماء ، وقد/ دحاها الله وأرساها بالجبال ، والعِلَّةُ التي تُوجِبُ اضطرابها من أسفل ، فكيف تُوَتَّدُ من فوق ولا رباط بين الوَتَدِ وبين سبب الاضطراب ، وما كان على وجه الماء يضطرب باضطرابه لا يُرْسَى بثِقَلٍ من فوقه ، وإنما يُوَتَّدُ بما تحت الماء ، فجعل الله الجبال أوتادًا ، تسميةً منه خَلَقَ عندها السكون ؛ ليعلم العُقلاء أن الأسباب لا تُوجِبُ بنفسها[3] ، وإنَّما هي علامات على فِعْلِ الله[4] الذي ينفرد بخَلْقِه دون أَحَدٍ سواه.

وأمَّا بسطُها على وجه الأرض بَسْطًا ؛ والأوَّل أظهر ، لقوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقعة:٦] ، تُسَيَّرُ بعد السكون ، وتُلَيَّنُ بعد الجمود

---

(١) في (د): يمسك لها.

(٢) في (د): كتاب.

(٣) في (د) و(س): لنفسها.

(٤) في (س): فعله.

والشدة، ثم تُصَيَّرُ كالفُتات، وتُصَيَّرُ بعدُ كالكثيب الأَهْيَلِ الذي تُسْفِيه[١] الرياح[٢]، وتعود هباءً منثورًا، وترى الأرض بعدها بارزةً دونها[٣].

والسكران هو الذي[٤] لا يَبُثُّ ولا يُبِثُّ[٥]، ولا يَفْهَمُ ولا يُفْهِمُ، إنما هو في اختلاط وهذيان من القول.

وتذهل الأم عن ولدها، أي: يذهب علمُها به، حتى تتركه في مهاده، أو يسقط من حِوَائِها[٦] ولا تشعر به، يُخْلَعُ العلمُ من[٧] قلبها حتى لا يبقى للشفقة والحنان شرطٌ يوجدان معه، وهو العِلْمُ، وتَضَعُ الحاملُ حَمْلَها[٨]، وذلك بذهاب قدرة الله في إِمْسَاكِه وإِعْدَامِه للحَبْسِ له.

وفي الصحيح: «تقوم الساعة والرجل يحلب اللِّقْحَةَ فما يَصِلُ الإناءُ إلى فيه حتى تقوم، والرجلان يتبايعان الثوب، فما يتبايعانه حتى تقوم، والرجل يَلُوطُ[٩] حوضه فما يَصْدُرُ حتى تقوم»[١٠].

---

(١) في (ص): تنسفه.

(٢) في (د): الرياح.

(٣) في (د): بعدها.

(٤) في (ص): الذي هو.

(٥) في (ص): يبت.

(٦) في (ز): حوائجها.

(٧) في (ص): عن.

(٨) في (د): حبلها.

(٩) في (س): في خ: يُلِيط.

(١٠) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﵁: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة، رقم: (٢٩٥٤-عبد الباقي).

قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي[١] رضي الله عنه: وأمَّا النفخة الثانية فهي[٢] نفخة الصعق والفزع، على أحد القولين، وذلك أن الله قال في موضع: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر:٦٥]، فهذه الثانية[٣] بلا إشكال، وقال في موضع آخر مكتوب قبله - ولا أعلم وقت نزوله -: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ [النمل:٨٩]، فيحتمل أن تكون الأولى؛ وهي: الزلزلة، ويحتمل أن تكون الثانية؛ وهي[٤]: الموت العام.

فأمَّا صَعْقُ النفخ الذي هو الموت فلا بُدَّ لكل أَحَدٍ[٥] منه، إلَّا من شاء الله، على ما يأتي بيانُه إن شاء الله.

وأمَّا نفخة الفَزَعِ فيَفْزَعُ منها كلُّ أحد من غير استثناء[٦]، وهو ضَعْفُ النفس.

أمَّا فَزَعُ أهل الأرض فلِمَا يَجِدُونَ من الزلازل ويَرَوْنَ ممَّا لا طاقة لهم به، ويستشعرون ما وراء ذلك.

وأمَّا أهلُ السماء فلِمَا[٧] يعلمون ممَّا يجري على مَحَالِّهَا، وما يذهب من أمكنتها، ويُخاف من أمر ربها، ودَعْوَى الرسل يومئذ: «اللهم سَلِّمْ

---

(١) في (ص): قال القاضي الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.

(٢) في (س): وهي.

(٣) في (س): الآية الثانية.

(٤) في (د): هو، وأشار إليه في (س).

(٥) في (ص): واحد.

(٦) سقطت بعدها نحو ورقة من (ص).

(٧) في (س): فلا.

سَلِّمْ»[١]، وكلُّهم يقول: «نَفْسِي نَفْسِي»[٢]، ومحمد ﷺ يقول - بشريف منزلته، ورفيع درجته، وثبوت قلبه -: «يا رب أُمَّتِي»[٣].

وأمَّا الاستثناء؛ فقيل: إنهم الأنبياء.

وقيل: هم/ الشهداء. [٥١/ب]

إلى أقوال أُخَر بيَّنَّاها في «أنوار الفَجْرِ».

والذي ثَبَتَ من ذلك أن النبي ﷺ قال: «يُصعق الناس فأكون أوَّلَ من يُفيق، فأجد موسى آخذًا بقائمةٍ من قوائم العرش، فلا أدري أفاقَ قَبْلِي أم كان ممَّن استثنى الله»[٤].

وفي رواية: «أم جُوزِيَ بصعقة الطُّورِ»[٥].

ومن هاهنا قال أبو بكر[٦] في رسول الله ﷺ: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله، طِبْتَ حَيًّا ومَيِّتًا، والله لا يَجْمَعُ الله عليك المَوْتَتَيْنِ أبدًا، أمَّا الموتة التي كتبها الله عليك فقد مُتَّهَا»[٧].

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم: (١٩٣-عبد الباقي).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الرقاق، باب نفخ الصور، رقم: (٦٥١٧-طوق).

(٥) أخرجها البخاري في صحيحه: كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الإشخاص والخصومة بين المسلم واليهود، رقم: (٢٤١٢-طوق)، ولفظه فيه: «أم حوسب بصعقة الأولى».

(٦) في (د) زيادة: رضي الله عنه.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: كتاب فضائل الصحابة، بابٌ، رقم: (٣٦٦٧-طوق).

والثالثة: يَحْيَى[١] الخلقُ أجمعون[٢]، وبينهما أربعون مجهولة، لا يُعلم ما هي من أنواع الأزمنة؛ ساعات، أو أيامًا، أو شهورًا، أو سنة.

وأمَّا الشهيدُ فقد روى الترمذي والطبري - ونصُّ الترمذي قد تقدَّم -؛ قال رسول الله ﷺ: «للشهيد عند الله ستُّ خِصَالٍ؛ يُغفر له في أول دفعة، ويَرى مقعده من الجنة، ويُجار من عذاب القبر، ويأْمَنُ من الفَزَعِ الأكبر، ويُوضع على رأسه تاجُ الوَقَارِ؛ الياقوتة منها خَيْرٌ من الدنيا وما فيها، ويُزَوَّجُ اثنتين وسبعين زَوْجَةً من الحُورِ العِينِ، ويُشَفَّعُ في سبعين من أقاربه»[٣]، حَسَنٌ صَحِيحٌ.

قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي[٤]: عن النبي ﷺ: «ويَعْلُقُ من شجر الجنة مُعَجَّلًا رِزْقُه، مِنْها له أَشْكَالٌ»[٥].

وبيانُه:

قال النبي ﷺ: «يَضَعُ الله السماوات على إِصْبَع، والأَرَضِينَ على إِصْبَع، والجبال على إصبع، والماء على إصبع، وسائر الخَلْقِ على إصبع»[٦].

---

(١) في (د): يُحيي.

(٢) في (ز): أجمعين.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه: أبواب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ، باب في ثواب الشهيد، رقم: (١٦٦٣-بشار).

(٤) بعده في (ز): رضي الله عنه.

(٥) لم أجده بعد طول بحث، وحكى ابن العربي الإجماع على ما يفيده الحديث، وقد تقدَّم، وينظر: العارضة: (١٢٧/٨).

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه عن ابن عباس رضي الله عنهما: أبواب التفسير عن رسول الله ﷺ، بابٌ ومن سورة الزمر، رقم: (٣٢٤٠-بشار).

وفي رواية - بدل إصبع -: «ذِهِ».

في مَوْضِعٍ: «فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٤]، قالت عائشة: «يا رسول الله[١]، فأين يكون الناس يومئذ؟ قال: على الجسر»[٢].

ويدخل هذا أيضًا تحت قوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء:٥٢]، فإنَّ هذا كله دعاءٌ بالقَوْلِ والمَعْنَى، وهذه أعظمُ الإجابات التي قبلها، وأوَّلٌ[٣] لما بعدها.

قال الإمام أبو بكر[٤] رضي الله عنه: فإذا عمَّت بذلك كله كانت غاشيةً؛ لأنه لا يبقى أحدٌ إلَّا تَغْشَاهُ، ولا مخلوق إلَّا وتَشْتَمِلُ عليه، حتى يكون ما ذكرنا من أوصافها وأسمائها وما سنذكره.

وتَخْشَعُ الوجوه، أي: تَذِلُّ، وخَصَّ الوَجْهَ لأنه أَشْرَفُ الأعضاء، وفيه الإنسان والإنسانية، بآثارها فيه تظهر، ومنها تُعلم.

وأمَّا:

* * * * *

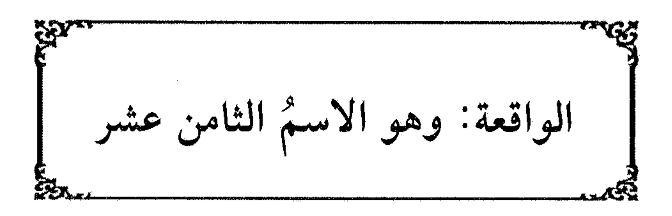
---

(١) قوله: «يا رسول الله» لم يرد في (س).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب التفسير عن رسول الله ﷺ، بابٌ ومن سورة الزمر، رقم: (٣٢٤١-بشار).

(٣) في (س): في خـ: وأولى.

(٤) في (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي.



الواقعة: وهو الاسمُ الثامن عشر

فإن أَصْلَ «وَقَعَ» في لسان العرب: كان ووَجَدَ[١].

وجاءت به الشريعة في تأكيد ذلك بثبوت ما وجد، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ إِنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل:٨٤].

والمُراد بالقول هاهنا: إخبارُ الباري عن الساعة وأنها قريبة.

ومنهم من يُنكرها، ومنهم من يستبعدها، فإذا كانت فَعَلَامَاتُها تقدَّمت، ومن أعظم علاماتها[٢] الدابَّةُ.

[٥٢/أ] ومن الحديث الحَسَنِ:/ عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «تخرج الدابَّةُ معها خاتَمُ سليمان، وعصا موسى، فتَجْلُو وُجُوهَ[٣] المؤمنين، وتَخْتِمُ أَنْفَ الكُفَّار[٤] بالخاتم، حتى إن أهل الجوار[٥] يجتمعون فيقول[٦]: هاهنا

---

(١) أفاد من هذا الفصل أبو عبد الله القرطبي في تذكرته: (٢/٥٦٠-٥٦٢).

(٢) في (س): علامتها.

(٣) في (د) و(ز): وجه المؤمن.

(٤) في (د) و(ز): الكافر.

(٥) في المطبوع من الترمذي (٥/٢٥٠-بشار): الخِوان.

(٦) في (د): فيقولون.

يا مؤمن، هاهنا يا كافر، ويقول: ها يا مؤمن، ها يا كافر»[١]، وقد بيَّنَّاه في «التفسير»[٢].

قال الإمام الحافظ: وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ [الطور:٦].

وقوله: ﴿وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة:١]؛ معناه: كانت، كأنه لعظيم أمرها شيءٌ جاءت من فوق؛ لا يُرَدُّ ولا يَبْقَى ولا يُدْفَعُ.

وقوله: ﴿كَاذِبَةٌ﴾: مَصْدَرٌ، كالباقية والعاقبة، أي: ليس لوقعتها مقالة كاذبة[٣].

وتحقيق ذلك: أن كل من يطرأ عليه أمرٌ فيسمعُه، أو يرى علامتَه يرجُو زوالَه ودَفْعَه، أو يَفْزَعُ بآماله إلى تكذب[٤] المُخْبِرِ به، أو حَمْلِ دلائله على غيره، أو يَرْجُو موتَه قبل وروده عليه ونزوله به، ولا يُتصوَّر شيءٌ من ذلك في أَمْرِ القيامة، وكلُّ شيءٍ آتٍ يُتَوَقَّعُ، فإنه يُسَمَّى عند إتيانه وَاقِعًا، قال الشاعر[٥]:

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة ﵁: أبواب التفسير عن رسول الله ﷺ، بابٌ ومن سورة النمل، رقم: (٣١٨٧-بشار)، وحسَّنه.

(٢) أي: في «أنوار الفجر».

(٣) تفسير الطبري: (٢٢/٢٧٩-التركي).

(٤) كذا في النسخ، صوابه: تكذيب.

(٥) البيت من البسيط، وفيه روايات عديدة، وهو لسالم بن وابصة؛ من جملة أبيات ستة في البيان والتبيُّن: (١/٢٣٣)، وذكر منها ثلاثة أبو تمَّام في الحماسة: (١/٤١٦).

فمـا زلقـتُ ولا أَبْلَيْـتُ كاذبـةً إذا الرِّجَـالُ علـى أمثالهـا زَلَقُـوا

ومـن أسـمائها: **الخَافِضَةُ الرَّافِعَةُ**، وهُمَـا مـن المتقـابلات، كالطَّويـلِ والقَصِيرِ، وهُمَا:

* * * * *

التاسع عَشَرَ والمُوَفِّي عِشْرِينَ: [الخافضةُ الرَّافعةُ]

وقد بيَّنَّاهُمَا[١] في «أصول الفقه»، وقد أَوْرَدْنَاهُمَا[٢] في «أنوار الفَجْرِ».

[معاني الرفع والخفض]:

مِنْ خَفْضِها ورَفْعِها معاني كثيرةٌ:

فأولُّها: رَفْعُ المتَّقين على الرِّكَابِ وَفْدًا، كما تقدَّم.

ثانيها: حديث جابر: «نحنُ يوم القيامة على كَوْمٍ فوق الناس»[٣]، وهذا حديثٌ فيه تخليطٌ في «كتاب مُسْلِمٍ»، لم يُتْقِنْه رَاوٍ[٤].

---

(١) في (د) و(ز): بيناها.

(٢) في (د): أوردناها، وفي (ز): أوردنا.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله ﵄: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم: (١٩١-عبد الباقي)، ولفظه فيه: «نجيئ نحن يوم القيامة عن كذا وكذا، انظر أي ذلك فوق الناس».

(٤) قال القاضي عياض: «هذه صورة الحديث في جميع النسخ، وفيه تغيير كثير وتصحيف، وصوابه: نحن يوم القيامة على كَوم، هكذا رواه بعض أهل الحديث»، ثم قال: «كأنه أُظْلِمَ هذا الحرف على الراوي أو امَّحَى عليه، فعبَّر عنه بكذا وكذا، وفسَّره بقوله: أي: فوق الناس، وكتب عليه: انظر، تنبيهًا، فجمع النَّقَلَةُ الكل، ونسَّقوه على أنه من مَتْنِ الحديث كما تراه»، إكمال المُعْلِمِ: (٥٦٩/١).

ومعناه: أن جميع الخَلْقِ على بَسِيطٍ من الأرض سواء، إلَّا مُحَمَّدًا ﷺ وأُمَّته؛ فإنه يَرْفَعُ جميعهم على شِبْهِ الكَوْمِ، ويَخْفِضُ الناس عنهم.

وفي رواية: «أكون أنا وأمتي يوم القيامة على تَلٍّ، فيكسُوني ربِّي حُلَّةً خضراءَ، ثم يؤذن لي، فذلك المقام المحمود»[1].

ثالثها: في رَفْع النبي صلى الله عليه ما رُوِي: «أنه يَرْفَعُه ويُقْعِدُه على عَرْشِه»[2]، وقد بيَّنَّا ذلك في «التفسير».

رابعُها: الأبرار يُرْفَعُونَ إلى عِلِّيِّينَ، ويُخْفَضُ المنافقون إلى الدَّرَكِ الأسفل من النار.

خامسُها: يُرْفَعُ مُحَمَّدٌ ﷺ بالشفاعة في أوَّل الخلق.

سادسُها: يَرْفَعُه بأنه أوَّلُ من يدخل الجنة.

سابعها: تَرْفَعُ العادلين، في الحديث الصحيح: «المُقْسِطُونَ يوم القيامة على منابر من نُورٍ، عن يَمِينِ الرحمن، وكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»[3].

ثامنُها: أنه يَرْفَعُ القُرَّاءَ إلى[4] حيث انتهت قراءتهم، «يقال لقارئ القرآن: اقرأ ورَتِّلْ كما كنت تُرَتِّلُ في الدنيا، فإن منزلتك عند آخِرِ آيةٍ تقرأُها»[5].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه: (١٥/٤٨-التركي).

(٢) هو قول مجاهد، وأنكره بعض أهل العلم، منهم الإمام ابن عبد البر، وصحَّح الطبري أن المراد بالمقام المحمود هو الشفاعة، تفسير الطبري: (١٥/٤٧-التركي)، وقد تقدَّم إبطاله وبيانُ نكارته.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، رقم: (١٨٢٧-عبد الباقي).

(٤) سقطت من (د).

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه عن عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما: أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٢٩١٤-بشار).

ترفع الشهداء(١) في أعلى منازل الجنة، وهو **تاسعُها**.

[٥٢/ب] تَرْفَعُ أبا بكر وعمر/؛ كما قال ﷺ: «إن أهل الجنة ليتراءَوْنَ أَهْلَ عِلِّيِّينَ كما تتراءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغائر في أُفُقِ السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأَنْعِمَا(٢)»(٣)، **عاشرُها**.

تَرْفَعُ كافل اليتيم، كما قال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين»(٤)؛ يريد الاقتران في الجِوَارِ، وهو **الحادي عَشَرَ**.

تَرْفَعُ عائشةَ على فاطمة، وهي الرُّتْبَةُ **الثانية عَشَرَ**؛ فإنَّ عائشةَ(٥) مع النَّبِيِّ ﷺ، وفاطمة(٦) مع عَلِيٍّ رِضْوَانُ الله عليه، وفي ذلك كَلَامٌ طَوِيلٌ(٧) بينَّاه في «التَّفْسِيرِ»(٨).

---

(١) في (س) و(د): للشهداء.

(٢) قوله: «وأنعما» سقط من (س) و(د).

(٣) أخرجه الترمذي بنحوه عن أبي سعيد رضي الله عنه: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه، رقم: (٣٦٥٨-بشار)، وحسَّنه.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الزهد والرقائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم، رقم: (٢٩٨٣-عبد الباقي).

(٥) قوله: «فإن عائشة» سقط من (د).

(٦) في (ص): «عائشة رضي الله عنها.. فاطمة رضي الله عنها».

(٧) في (د) و(ز): كثير.

(٨) وهذا الذي ذَكَرَهُ ابن العربي من كون عائشة رضي الله عنها مع رسول الله ﷺ، وفاطمة مع علي رضي الله عنهما، هو قول مسبوق إليه، لم ينفرد به، وإنما أخذه من شرح التمهيد للإمام عبد الجليل بن أبي بكر الرَّبَعِي القَرَوِي -كان حيًّا عام ٤٧٨هـ-، وقد حكاه عن قوم فضَّلوا عائشة على فاطمة رضي الله عنهما، قال عبد الجليل - في شأن عائشة رضي الله عنها-: =

يَوْمُ الحِسَابِ: وهو الاسم الحادي والعشرون

وبناءُ «ح س ب» له في العربية معانٍ كثيرةٌ تَرْجِعُ إلى معنًى واحد على قَوْلِ بعضهم[1]، ونحن الآن لمَّا نلتزمْ ذلك.

= «واستدلُّوا على ذلك بكونها مع النبي ﷺ في الجنة، ورُتْبَتُها معه أفضل من رتبة فاطمة مع علي فيها». شرح التمهيد: (ق ٩٣/أ).

وقال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي -في المفاضلة بينهما-: «والذي عندي أن عائشة مُقَدَّمَةٌ عليها؛ كتقديم أبيها على زوج الأخرى في الدنيا والآخرة، وذلك بفضول كثيرة؛ منها: أنها أمها، وينضاف إليها مع الأمومة أنها مع أبيها في المنزلة، وينضاف إلى ذلك سلام جبريل عليها، ومجالسته للنبي ﷺ وهو في لحافها، وكونها أعلم منها بالدين، ومن كثير من رجال الصحابة، وأنها أحب النساء إلى النبي ﷺ». العارضة: (١٠/٦٤٣-٦٤٤).

وقال أبو منصور البغدادي: «كان شيخُنا أبو سهل محمد بن سليمان الصعلوكي وابنه سهل بن محمد يُفَضِّلَانِ فاطمة على عائشة، وهذا هو الأشبه بمذهب شيخنا أبي الحسن الأشعري، وبه قال الشافعي، وللحُسَين بن الفضل رسالة في ذلك، وزعمت البكرية أن عائشة أفضل من فاطمة، والقول الأوَّل هو الصحيح عندنا»، أصول الدين: (ص٣٠٦)، وما نَسَبَهُ أبو منصور إلى شيخ السُّنَّةِ أبي الحسن فيه نظر، فقد قال الإمام عبد الجليل في التسديد (ق٩٣/أ): «ولهذا الذي ذكرناه وَقَفَ الشيخ أبو الحسن في تفضيل إحداهما على الأخرى، ولم يقطع على ذلك».

(١) معجم مقاييس اللغة: (٢/٥٩).

والمراد به هاهنا: العَدَدُ[١]، وذلك أن الباري تعالى يُعَدِّدُ على الخلق أعمالهم؛ من إحسان وإساءة، ويُعَدِّدُ عليهم نِعَمَه، ثم يُقَابِلُ البعض بالبعض على مقادير[٢] عِلْمِه فيه، ووقوعها بصفاتها، فما شَفَّ منها على الآخر حُكِمَ للشفوف بحكمه الذي عيَّنه؛ للخَيْرِ بالخير، والشَّرِّ بالشَّرِّ.

ومن أَهْوَالِهَا حديثُ أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ، وذكر الحديث، «فيَلْقَى العَبْدَ فيقول: أَيْ فُلْ، ألم أُكْرِمْكَ وأُسَوِّدْكَ وأَذَرْكَ ترأس وترتع؟ فيقول: بلى، فيقول: أفظننت أنك مُلَاقِيَّ؟ قال: فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يَلْقَى[٣] الثاني فيقول: أي فُل، ألم أكرمك؟ ألم أُسَوِّدْكَ وأزوجك؟ وأسخر لك الخَيْلَ والإبل؟ وأَذَرْكَ ترأس وترتع؟ فيقول: بلى، أي رب، فيقول: أفظننت أنك مُلَاقِيَّ؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك»[٤].

وقد قال الله: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء:١٤]، أي: حاسبًا؛ فَعِيل بمعنى فاعل، فإذا نظر فيها رأى أنه قد هَلَكَ، فإن أدركته سابقة حسنة وُضِعَتْ له لا إله إلا الله في كِفَّةِ الميزان، فرَجَحَتْ له السماوات والأرض.

---

(١) في (ص): العد.

(٢) في (د) و(ز): قَدْرِ، وأشار إليها في (س).

(٣) في (س): فيلقى.

(٤) تقدَّم تخريجه.

وعن عائشة في الصحيح: قال النبي ﷺ: «من حُوسب عُذِّبَ، قالت له عائشة: أليس قد قال الله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً﴾ [الانشقاق: ٧ - ٨]؟ قال: ذلك العرض، من نُوقِشَ الحساب عُذِّبَ»[1].

* * * * *

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب، رقم: (٢٨٧٦-عبد الباقي).

يوم السؤال: وهو الاسم الثاني والعشرون

وهو: عبارةٌ عن الاستفهام عَمَّا عند المُسْتَفْهَمِ منه فيما يُسْتَفْهَمُ فيه[١].

وحُكْمُه في الأصل أن يكون مع جهل السائل، وذلك مُحال على الله، وقد يُسأل عن الشيء مع عِلْمِه به على معنى التقرير فيه، وذلك واجبٌ لله؛ لأنه العليم الذي لا يخفى عليه شيءٌ، ولا يعزب عن علمه شيء.

والباري تعالى يسألُ الخَلْقَ في الدنيا والآخرة تقريرًا لإقامة الحجة وإظهار الحكمة، قال الله تعالى: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ [البقرة:٢٠٩]، ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ [الأعراف:١٦٣]، ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ [الزخرف:٤٤]/، وأمثاله كثيرة[٢]، وقد بيَّنَّاه في «مُشْكِلِ الحديث». [٥٣/أ]

وقال تعالى: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب:٨].

وقال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:٩٣].

وقال ﷺ: «لن تزول قَدَمَا ابن آدم عن الصراط حتى يُسأل عن عُمُرِه فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وماذا عَمِلَ فيما عَلِمَ»[٣].

---

(١) أفاد من هذا الفصل أبو عبد الله القرطبي في تذكرته: (٢/٥٦٤).

(٢) في (ص): كثير.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، بابٌ في القيامة، رقم: (٢٤١٧-بشار).

فأمَّا معنى الآيات المتقدِّمة فقد بينَّاها في «أنوار الفَجْرِ»؛ أهمُّها: أن بني إسرائيل سألوا النبي ﷺ آيةً، بل آيات، فقال الله لنبيه عليه السلام: سلهم كم آيةً جاء بها موسى فكفروا، أفيريدون أن يسألوك كما سألوا موسى، ثم يكفروا بك كما كفروا من قبل به؟ لو كان لهم أَوْبٌ إلى الحق لآبَتْ بهم آيةٌ واحدةٌ.

وأمَّا قوله: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾؛ فإنها آيةٌ فيها عِلْمٌ جَمٌّ، وحُكْمٌ جَزْمٌ، وفَائِدٌ عَمٌّ.

وفائدتُها: أن الله قرَّعهم[1] بما عاتبهم به؛ على الأخذ بالظاهر العَوَجِ[2]، والتَّحَيُّلِ به على[3] تحصيل الحرام[4]، وطلب الرُّخَصِ في غير مَظَانِّها، والتَّذَرُّعِ إلى ما لا يجوزُ بما ظاهرُه الجوازُ.

وأمَّا قوله: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾؛ ففيها أقوالٌ، أُصُولُها ثلاثة:

الأوَّل: أن الله عرض عليه ﷺ الأنبياء، وأنه قادرٌ على ذلك، لو صَحَّ.

الثاني: أنه عبَّر بالرُّسُلِ عن أَتْبَاعِها.

الثالث: أنه عبَّر به عن أتباعه.

---

(١) في (س): خبَّر عنهم.

(٢) في (ص) و(ز): المعوج.

(٣) في (ص) و(ز): عن.

(٤) في (س) و(د): الحزام.

قيل له: من ارتاب من قومك في عبادة غير الله فليسأل الأمم عن الرِّيبَةِ التي دَخَلَتْ عليهم فيَجِدُوا الجواب عندهم، وهذا كما قيل له: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس:٩٤]، على أَظْهَرِ التأويلات، وقد بيَّنَّاه في «المُشْكِلَيْنِ».

أَصَحُّه: قَوْلُ سعيد بن جُبَير: «ما شَكَّ[1] ولا سَأَلَ»[2]، وهو الحقُّ، وإنَّما هو تَسْلِيَةٌ للأمة، كما قال له: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٢]، ولا يجوز عليه الشِّرْكُ، ولكن هذا تهديدٌ لغيره به.

وأمَّا قوله تعالى: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾؛

فقيل: هم الرُّسُلُ، يجمعهم الله ثم يسألهم عمَّا كان من قَوْلِ قَوْمِهِم لهم.

وأمَّا سؤالُه لعيسى؛

فقيل: كان[3] إذ رفعه.

وقيل: يكون يوم القيامة.

وعبَّر به عن الماضي ليُوجِبَ له الكَوْنَ؛ إذ هو واقعٌ لا محالة.

وقد ورد في الصحيح: «إن الرسل تُدْعَى مع قومها، فيقولون: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة:٢١]، فيقال له: من يشهد لك؟ فيقول: مُحَمَّدٌ وأُمَّتُه»[4].

فيكون لأجل ذلك:

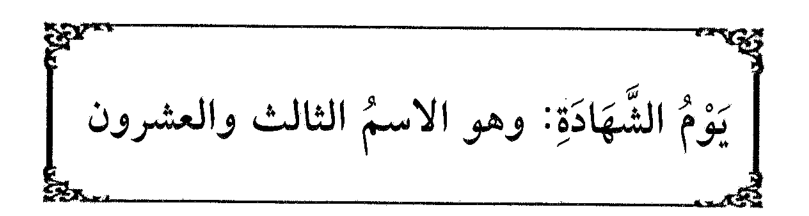
---

(١) في (س): شكَّك.

(٢) تفسير الطبري: (١٥/٢٠٢-شاكر).

(٣) سقط من (س).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد رضي الله عنه: كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿إنا أرسلنا نوحا إلى قومه﴾، رقم: (٣٣٣٩-طوق).



يَوْمُ الشَّهَادَةِ: وهو الاسمُ الثالث والعشرون

والشهادةُ فيه على وُجُوهٍ أربعة:

الأوَّل: شهادةُ مُحَمَّدٍ ﷺ وأُمَّتِه؛ تحقيقًا لشهادة الرُّسُلِ على قومها.

في البخاري عن أبي سعيد - في كتاب الاعتصام -: قال رسول الله ﷺ: «يُجَاءُ بنُوح يوم القيامة فيقال: هل بَلَّغْتَ؟ فيقول: نعم يا رب، فتُسأل أُمَّتُه: هل بلَّغكم؟ فيقولون[1]: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾، فيُقال: مَن شُهُودُك؟/ فيقول: محمَّد وأمته، فقال رسول الله ﷺ: فيُجاء بكم فتشهدون، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:١٤٢]»[2]. [٥٣/ب]

الثاني: شهادة الأرض، قال الله سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة:٤].

صحَّ وثبت عن النبي ﷺ أنه[3] قال: «أتدرون ما تُحَدِّثُ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن أخبارَها أن تشهد على كل عبد وأَمَةٍ بما عَمِلَ على ظهرها»[4].

---

(١) في طرة بـ (س): كذا، وفي خ: فيقول، وصحَّحها.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الاعتصام، باب ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾، رقم: (٧٣٤٩-طوق).

(٣) سقط من (س) و(د).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، بابٌ منه، رقم: (٢٤٢٩-بشار)، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريب صحيح».

الثالث: شهادة الجوارح.

وفي حديث أبي هريرة المتقدم؛ يقول له: «ألم أَذَرْكَ ترأس وتَرْتَعُ؟ قال: فيقول[١]: يا رب، آمنت بكتابك وبرُسلك، وصَلَّيْتُ وصُمْتُ وتَصَدَّقْتُ، ويُثْنِي بخير ما استطاع، فيقول: هاهنا إذًا، ثم يقال له[٢]: الآن نَبْعَثُ شاهدَنا عليك، ويَتَفَكَّرُ في نفسه؛ من الذي يَشْهَدُ عليه؟ فيُخْتَمُ على فيه، ويُقال لفخذه: انطقي، فتنطقُ فخذاه ولحمُه وعظامُه، وذلك ليُعْذِرَ من نفسه، وذلك المنافق الذي يَسْخَطُ الله عليه»[٣].

الرابع: في حديث أنس بن مالك قال: «كنَّا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال[٤]: أتَدْرُونَ[٥] مِمَّ أضحك؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: من مخاطبة العبد ربَّه، يقول: يا رب، ألم تُجِرْني[٦] من الظلم؟ قال: فيقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أُجِيزُ على نفسي إلَّا شاهدًا مِنِّي، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شَهِيدًا، وبالكرام الكاتبين عليك شُهُودًا، قال: فيُخْتَمُ على فيه، فيُقال لأركانه: انطقي، قال: فتنطقُ بأعماله، قال: ثم يُخَلِّي بينه وبين الكلام، قال: فيقولُ لأركانه: فبُعْدًا لَكُنَّ وسُحْقًا، فعَنْكُنَّ كُنت أُناضل»[٧].

وعند السؤال والمحاسبة يَقَعُ:

---

(١) في (ص): فيقول الثالث.

(٢) سقط من (س).

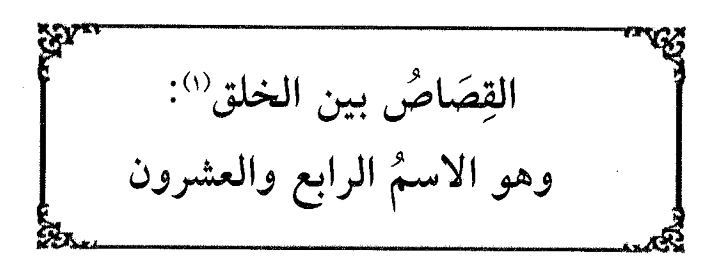
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزهد والرقائق، رقم: (٢٩٦٨-عبد الباقي).

(٤) في (ص) و(د) و(ز): قال.

(٥) في (ص) و(د) و(ز): هل تدرون.

(٦) في (د): تجزي.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزهد والرقائق، رقم: (٢٩٦٩-عبد الباقي).



القِصَاصُ بين الخلق(١): وهو الاسمُ الرابع والعشرون

قال أبو هريرة:(٢) إن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون من المفلس؟ قالوا(٣): المفلس منّا - يا رسول الله - من لا درهم له ولا متاع، قال رسول الله ﷺ: المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاته وصيامه وزكاته، ويأتي قد شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأَكَلَ مال هذا، وسَفَكَ دَمَ هذا، وضرب هذا، فيُقْعَدُ، فيقتصُّ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنِيَتْ حسناتُه قَبْلَ أن يقتص ما عليه من الخطايا أُخِذَ من خطاياه وطُرِحَ عليه، ثم طُرِحَ في النار»(٤)، رواه مالك بمعناه كاملاً(٥).

---

(١) ينظر: المتوسط في الاعتقاد -بتحقيقنا-: (ص٤٢٦).

(٢) في (س): قال أبو هريرة قال.

(٣) في (د) و(س): قال.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم: (٢٥٨١-عبد الباقي).

(٥) أخرجه من طريق إمامنا مالك البخاريُّ في صحيحه: كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة، رقم: (٦٥٣٤-طوق)، ولفظه فيه: «من كانت له عنده مظلمة لأخيه فليتحلَّله منها؛ فإنه ليس ثَمَّ دينار ولا درهم، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أُخذ من سيآت أخيه فطُرِحَتْ عليه».

ورُوِي في الحديث: «أن الله يجعل القصاص بين الدوابِّ؛ تقتص الشاة[1] الجمَّاءُ من القَرْنَاءِ، فإذا فُرِغَ من القصاص بينهم قيل لهم: كُونوا تُرابًا، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾ [النبأ: ٤٠]»[2].

وقيل: «يقال لهم: كونوا ترابًا دون قِصَاصٍ».

وعن النبي ﷺ - واللفظ للبخاري -: عن أبي سعيد: قال النبي ﷺ: «يَخْلُصُ المؤمنون/ من النار فيُحْبَسُونَ على قنطرة بين الجنة والنار، فيُقْتَصُّ لبعضهم من بعض؛ مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبُوا ونُقُّوا أُذِنَ لهم في دخول الجنة، والذي نَفْسُ محمَّد بيده لَأَحَدُهم أَهْدَى بمنزله في الجنة مِنْهُ بمنزله كان في الدنيا»[3]. [٥٤/أ]

وبهذه المعاني كلِّها يَحِقُّ ما كان قبل ذلك عند قَوْمٍ كَثِيرٍ؛ لا معنى له لإنكارهم البعث، وجَهْلِهم بالله؛ وأيَّامه، وسُنَّتِه في خَلْقِه، وقُدْرَته عليهم، وحِكْمَته فيهم؛ فسُمِّيَتِ[4]:

* * * * *

---

(١) في (ص): فيُقتص للشاة.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: (٢٤/٥٥-التركي)، وبنحوه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة، رقم: (٦٥٣٥-طوق).

(٤) بعدها في (ص) سَقَطٌ بمقدار ورقة.

الحاقَّةُ: وهو الاسم الخامسُ والعشرون

وقد بيَّنَّا في غَيْرِ مَوْضِعٍ أن الحق هو: الشيء الثابت الكائن[١]، وليس بالحقيقة إلا لله وحده؛ فإنه ثابت ثُبُوتًا لم يتقدَّمه عَدَمٌ، ولا يتعقَّبه فناءٌ، وهو كما قال فيه النبيُّ ﷺ: «اللَّهم - وذكر الحديث - أنت الحق، وقولك الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، والنبيئون حق»[٢].

واختلف في تسميتها بأنها حاقَّةٌ:

فقال الطبري: «إنَّما سُمِّيَتْ حاقَّةً لأن الأمور تَحِقُّ فيها»[٣].

كأنه جعلها من باب: ليل قائم[٤]، ونهار صائم.

وقيل: سُمِّيَتْ حاقَّةً لأنها كانت من غير شكٍّ.

ويحتمل أن يكون معناه: أنه يحق لها أن يكون فيها ما فيها؛ لأنها المقصود بالخَلْقِ، والعاقبة لهم، وحكمة الله سبحانه فيهم، وهي:

---

(١) ينظر: الأمد الأقصى -بتحقيقنا-: (١/٢٩٥).

(٢) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن ابن عباس رضي الله عنهما: ما جاء في الدعاء، (١/٢٦٥)، رقم: (٥٧٦-المجلس العلمي الأعلى).

(٣) جامع البيان: (٢٣/٢٠٥-التركي).

(٤) في (د) و(ز): «ليل قائم»، ولم يذكرا النهار، وفي (س): نائم.

الطَّامَّةُ: وهو الاسمُ السَّادس والعشرون

ومعناها: الغالبة، من قولهم: طَمَّ الشيءُ إذا عَلَا وغَلَبَ.

ولأنها تغلب كلَّ شيء، كان بها هذا الاسمُ حقيقةً دون كل شيء.

وهي كما قدَّمنا: القارعة، قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ [الحاقة:٣]، وقال تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَآ أَدْرِيكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة:١ - ٢]، يُكَرِّرُها تأكيدًا، وذلك يكون في المدح والذَّمِّ، وقد بيَّنَّاه في موضعه.

وقد بيَّنا أنه[١] مِن قَرَعَ، أي: ضَرَبَ.

ويمكن أن تكون سُمِّيَتْ بذلك لأنَّها لا نظير لها، من قولهم: فلانٌ قَرِيعُ دَهْرِه، والمختارُ من أهل عصره.

والقَرِيعُ: الفَحْلُ من الإبل.

وقَرِيعُ القُرَّاءِ رئيسُهم.

وإن قلت: إنها بالمعنيين جميعًا قارعةٌ؛ فإنها خِيَارُ الأيام للمؤمنين، وضاربةٌ بالأهوال للكافرين، وهذا بَدِيعٌ فاعلموه مَعْشَرَ المُرِيدِين - يرحمكم الله - من حُكْمِ الله[٢]، وهي:

---

(١) في (د) و(ز): أنها.

(٢) قوله: «من حكم الله» لم يرد في (س) و(د).

الصَّاخَّةُ: وهو الاسمُ السَّابع والعشرون

وهي: التي تُورث الصَّمَمَ، وإنها لمُسْمِعَةٌ، فكيف هذا[(١)]؟

قلنا: هذا مِن بَدِيعِ الفصاحة، لقد قال بعض حُدَّاثِ[(٢)] الأسنان، حَدِيثِي الأزمان:

أَصَمَّ بك النَّاعِي وإن كان أَسْمَعَا[(٣)]

وقال:

أَصَمَّنِي سِرُّهم أَيَّامَ فُرْقَتِهِمْ   فَهَلْ سَمِعْتُمْ بِسِرٍّ يُورِثُ الصَّمَمَا[(٤)]

[وفاةُ الفقيه أبي محمد ابن العربي[(٥)]]:

كنت مُعْتَكِفًا بالثَّغْرِ المحروس[(٦)]، وأبي - رحمه الله - بالفُسْطَاطِ، فأقمتُ في المُعْتَكَفِ/- رِبَاطٍ على البَحْرِ - أيامًا، ثم صَلَّيْتُ الصُّبْحَ، [٥٤/ب]

(١) سقط من (س).

(٢) في (ز): أحداث.

(٣) من الطويل، مطلع قصيدة لأبي تمَّام يرثي فيها محمد بن حميد الطائي، وتمامه: فأصبح مَغنى الجوع بعدك بلقعَا. وهي في شرح ديوانه للأعلم: (٢/٣١٨).

(٤) البيت من البسيط، من قصيدة لأبي تمَّام يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم، وهو في شرح ديوانه للأعلم: (١/٥٢١)، وهو فيها برواية: هل كنت تعرف سِرًّا، وذكره أبو حيان في البحر المحيط: (١٠/٤١٠)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن: (٢٢/٨٩-التركي)، والتذكرة: (٢/٥٦٨)، عن ابن العربي.

(٥) مصادر ترجمته: تاريخ دمشق: (٣٢/٢٣١)، الصلة: (١/٣٧٧)، وفيات الأعيان: (٤/٢٩٧)، سير النبلاء: (١٩/١٣٠).

(٦) الثغر المحروس هو الإسكندرية، وكان فيها مع شيخه أبي بكر الطُّرطوشي.

وعَطَفْتُ عِنان عَزْمِي إلى البلد، فجئت وبابُه لمَّا يُفْتَحْ بَعْدُ، فَنَظَرْتُه حتى فُتِحَ، فخرج عليه أصحابٌ ممَّن كان يقرأ القرآن[1] عليَّ، فلمَّا وَصَلُونِي لَصِقَ بي أحدُهم، وأَسَرَّ في أُذُنِي بقوله: «تُوُفِّيَ أَبُوكَ»[2]، فما سمعتُ قطُّ قبلها سِرًّا أَصَمَّ إلَّا ذلك السر.

[صَيْحَةُ القيامة]:

ولَعَمْرُ الله إنَّ صيحة القيامة مُصِمَّةٌ مُسْمِعَةٌ، تُصِمُّ عن الدنيا وتُسْمِعُ أمور الآخرة، وبهذا كله كان «يوم عظيم»[3]، كما قال سبحانه في وصفه بالعِظَم[4]، وكُلُّ شيء كَثُرَ في أجزائه فهو عظيم[5]، وكذلك ما كَثُرَ في معانيه، وبهذا المعنى كان الباري عظيمًا لسَعَةِ قدرته وعلمه، وكَثْرَةِ مُلْكِه الذي لا يُحْصَى، ولمَّا كان أمرُ الآخرة لا يَنْحَصِرُ كان عظيمًا بالإضافة إلى الدنيا، ولمَّا كان مُحْدَثًا لَهُ أَوَّلٌ صار حَقِيرًا بالإضافة إلى العظيم الذي لا يُحَدُّ.

* * * * *

---

(١) لم يرد في (س) و(ز).

(٢) كانت وفاته عام ٤٩٣هـ.

(٣) في طرة بـ (س):: في الأصل يومًا عظيمًا، وكتب على الهامش: يوم عظيم، عليه ما نصه: بخطه، وأظنه للمؤلف، وفي (د)،و(ز): يومًا عظيمًا، ولعلها مُصلحة، والصواب ما أثبتناه.

(٤) [الشعراء:١٨٩].

(٥) ينظر: الأمد الأقصى لابن العربي -نسخة رضى رامبور-: (ق٥٢/أ).

يَوْمُ الوَعِيدِ: وهو الاسمُ الثامن والعشرون

إنَّ الباري تعالى أَمَرَ ونهى، ووَعَدَ وأَوْعَدَ، فهو أيضًا: يَوْمُ الوَعْدِ والوَعِيدِ؛ الوَعْدُ للنَّعِيمِ، والوَعِيدُ للعذاب.

وخَصَّ الوَعِيدَ تَغْلِيبًا للخوف على الرجاء، وهُمَا مقامان عظيمان، سيأتي بيانُهما - إن شاء الله - في «الصفات والأسماء».

وحقيقة الوعيد هو: الخَبَرُ عن العُقوبة عند المخالفة.

والوَعْدُ: الخَبَرُ عن المَثُوبة عند المُوافقة.

والدنيا يَوْمُ وَعْدٍ ووَعِيدٍ؛ وذلك بالذِّكْرِ، وفي القيامة بالمُعاينة.

وقد يكون مِنَ الوعيد ما ينفرد في الدُّنيا، وإن الله خلق الدنيا دَارَ عَمَلٍ، وخَلَقَ الآخرة دَارَ جَزَاءٍ؛ لضرورة أن العمل يتقدَّم الجزاء، فهو ثَانِي العمل، فوجب تَقْدِيمُ[1] مَحَلِّ المُتَقَدِّمِ منهما[2] على مَحَلِّ المتأخر، وما تعجَّل من الأَجْزِيَةِ في الدنيا فإنَّما هو لإقامة مصالح الخَلْقِ، وليكون كَفَّارَةً وحَطًّا[3] و تَخْفِيفًا من جزاء الآخرة، وصيانةً للأعراض والأبدان والأموال.

(١) في (ز): تقدم.

(٢) في (د): منها.

(٣) في (س): حبطًا.

وضلَّ في هذه المسألة المبتدعة، وغَفَلَ عنها كثيرٌ من العلماء.

فأمَّا **المُبْتَدِعَةُ**[١]: فلمَّا رَأَوْا هذه الآيات الوَعِيدِيَّةَ كلَّها قالوا: «إنَّ من أَذْنَبَ ذنبًا واحدًا فهو مُخَلَّدٌ في النَّار تَخْلِيدَ الكُفَّارِ»[٢]؛ أخذًا بظاهر اللَّفْظِ، فلم يَفْهَمُوا العربية، ولا كتاب الله، وأبطلوا الشفاعة؛ شَفَاعَةَ رسول الله ﷺ، ورَاعَوْا آيةً فَهَدَمُوا عَشْرَ آياتٍ، وأرادوا أن يحفظوا أَصْلًا بزَعْمِهم فهَدَمُوا أُصُولًا.

وأمَّا علماؤنا: فمنهم من قال: إن آيات الوَعْدِ حَقٌّ، نَافِذَةٌ على كلِّ حال، وآياتُ الوعيد وَقْفٌ على مشيئة الله؛ إن شاء أَنْفَذَها وحقَّق وَعِيدَه، وإن شاء أسقطه وعفا عنه[٣].

فقال لهم المبتدعة: خَبَرُ الله صِدْقٌ، ولا يَجُوزُ أن يوجد بخلاف مُخْبِرِه.

قالوا لهم: «أنتم قَوْمٌ عَجَمٌ، العرب إذا وَعَدَتْ أَنْجَزَتْ، وإذا تَوَعَّدَتْ عَفَتْ»[٤]، قال شاعرهم مُفْتَخِرًا بخَصْلَتِهم في ذلك ومَنْقَبَتِهم:

وإنِّي إذا أَوْعَدْتُه أو وَعَدْتُه ... لَأُخْلِفُ إِيعَادِي وأُنْجِزُ مَوْعِدِي[٥]

---

(١) يقصد بهم الخوارج والمعتزلة.

(٢) المتوسط في الاعتقاد -بتحقيقنا-: (ص٤٦٤).

(٣) ممَّن قال بذلك الإمام القلانسي وأبو بكر الباقلاني، ينظر: المتوسط في الاعتقاد -بتحقيقنا-: (ص٤١٤).

(٤) هو قول أبي عمرو بن العلاء، يَرُدُّ به على عمرو بن عُبَيد، ينظر: شرح عقيدة الرسالة للقاضي عبد الوهاب: (ص١٧٨).

(٥) البيت من الطويل، لعامر بن الطفيل، كما في ديوانه: (ص٥٨).

١

[٥٥/أ] /قال الإمامُ الحافظ أبو بكر بن العربي ﷺ: إنه لكذلك عند العرب، ولَكِنْ يُخلف إيعاده ويَعْفُو، ويَقَعُ خبرُه على خلاف مُخْبِرِه، ويكون كَذِبًا، ويَلِيقُ ذلك به لنَقْصِه وتَغَيُّرِه.

وأمَّا مَلِكُ الملوك القُدُّوسُ الصَّادِقُ فلا يقع خبرُه أبدًا إلَّا على وَفْقِ مُخْبِرِه؛ كان ثوابًا أو عقابًا، فالذي قال في ذلك المحققون قَوْلٌ بَدِيعٌ، وهو:

أن الآيات وَقَعَتْ مُطْلَقَةً في الوَعْدِ والوعيد عَامَّةً، فخَصَّصَتْها الشريعةُ وبيَّنها الباري في كتابه في آياتٍ أُخَر، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٧]، وكقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الرعد:٧]، وكقوله: ﴿حمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر:١ - ٢]، وبالشفاعة التي كرَّم الله بها مُحَمَّدًا ﷺ ومن شاء من الخَلْقِ بعده ومعه.

وقد قال يَزِيدٌ الفقيرُ: «شَغَفَنِي رَأْيٌ من رَأْيِ الخوارج؛ فخَرَجْتُ حاجًّا مع جماعة، فلَقِينَا جابرَ بن عبد الله، فقلنا له: إن الله تعالى يقول: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران:١٩٢]، فقال لي: أفتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: فهل سمعت بمقام مُحَمَّدٍ المحمود؛ الذي يُخْرِجُ الله به من يُخْرِجُ؟ وذكر الحديث: وإن قومًا يُخرجون من النار كأنهم عِيدَانُ السَّمَاسِم، قال: فيُدخلون نَهرًا من أنهار الجنة فيغتسلون به، فيخرجون كأنهم القراطيس، فرجعنا فقلنا: ويحكم، أَتَرَوْنَ الشيخ يَكْذِبُ على رسول الله ﷺ؟ فرجعنا؛ فوالله ما خَرَجَ[1] منَّا إلَّا رَجُلٌ واحدٌ»[2].

---

(١) خرج بمعنى: رَأَى رَأْيَ الخوارج.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم: (١٩١-عبد الباقي).

يَوْمُ الدِّينِ: وهو الاسمُ التَّاسعُ والعشرون

والدِّينُ في لسان العرب بمعنى الجزاء[1]؛ من معانٍ كثيرة ربَّما عادت إلى هذا المعنى بعينه، وبذلك كان يومَ الجزاء، قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر:١٦]، ولا تَجْزِي نَفْسٌ عن نَفْسٍ شيئًا، فهو:

* * * * *

(١) معجم مقاييس اللغة: (٢/٣١٩-٣٢٠).

يوم الجزاء: وهو الاسمُ المُوَفِّي ثلاثين

إِثْبَاتًا بأن تُوَفَّى كلُّ نفس ما كسبت، ويومُ الجزاء بأن لا تَجْزِي نَفْسٌ عن نفس شيئًا، أي: لا تَقْضِي ولا تَفْدِي، وهو قوله تعالى: ﴿لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾ [الحديد:١٤].

أَمَا إنه يَجْزِي ويَقْضِي ويُعْطِي بغير اختياره من حسناته؛ لما عليه من الحقوق، كما تقدَّم في حديث المفلس يوم القيامة.

والجنة جزاء الحسنات، والنار جزاء السيئات، قال الله تعالى في المعنيين: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة:٨٣]، و﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧]، وقال في جهة الوعيد: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر:٣٦]، وإذا رأى المحسنُ جزاءَ إحسانه، ورأى الكافرُ جزاءَ كُفْرِه؛ نَدِمَ المحسنُ أَلَّا يكون استكثر[1]، ونَدِمَ المسيءُ أَلَّا يكون استعتب، فهو:

* * * * *

(١) في (د): أكثر، وأشار إليها في (س).

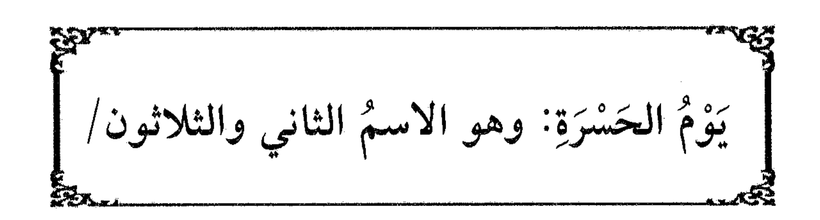
يوم الندامة[١]: وهو الاسم الحادي والثلاثون

فإذا صار الكافر إلى عذابٍ لا نَفَاذَ له تحسَّر، فلذلك سُمِّيَ:

* * * * *

(١) أفاد من هذا الاسم أبو عبد الله القرطبي في التذكرة: (٢/٥٦٩).

[٥٥/ب]



يَوْمُ الحَسْرَةِ: وهو الاسمُ الثاني والثلاثون/

قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ [مريم:٣٨]، يعني: الآن عن ذلك اليوم، وهم[1] لا يشعرون به.

والحَسْرَةُ في العربية: عبارةٌ عن انكشاف المكروه بعد خفائه، خصِّيصَةٌ من معناه العام، وهو الانكشاف، فيؤثر ذلك تَوَجُّعَ النفس وتَأَلُّمَها لَفَقْدِ الخير المحبوب، ولا خَيْرَ يُعادل خَيْرَ الآخرة، كما كان[2] النبي ﷺ يقول: «اللهم لا خَيْرَ إلَّا خَيْرُ الآخِرة، فاغفر للأنصار والمُهاجِرة»[3].

* * * * *

(١) سقط من (س).

(٢) في (د): قال.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك ﷺ: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ابتناء مسجد النبي ﷺ، رقم: (٥٢٤-عبد الباقي).

يوم التَّبْدِيلِ: وهو الاسمُ الثالث والثلاثون

قـــال الله تعـــالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم:٥٠].

قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي رضي الله عنه: إنَّ الله خلق الأرض على هذه الصفة؛ مختلفة مُحْدَوْدِبَة، ويخلقها يوم القيامة مستوية، ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه:١٠٤]، متماثلة بيضاء دَرْمَكَةٌ[1]، كخُبْزَةِ النَّقِيِّ، كما في صحيح الحديث: «خبزة يتكفَّؤها الجبَّار كما يَتَكَفَّؤ أحدكم خُبْزَتَه في السَّفَرِ»[2]، وهذا هو التبديل **الأوَّل**.

الثاني: تبديل السماوات، وليس في كيفيته حديث، وإنما هو مجهول.

الثالث: تبديل[3] الأجساد؛ وهي الإعادة[4].

---

(١) الدَّرْمَكُ: هو دقيق الحُوَّارَى، ويقال أيضًا للتراب الناعم، ولعله يُقصد بدرمكة الأرض نُعومتها وملوستها، فتكون ناعمة ملساء بخلاف ما كانت عليه في الدنيا، ينظر تاج العروس: (١٤٦/٢٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب نزل أهل الجنة، رقم: (٢٧٩٢-عبد الباقي).

(٣) في (ص): تبدل.

(٤) ينظر: المتوسط في الاعتقاد -بتحقيقنا-: (ص٣٨٨-٣٩٠).

وعند أهل السنة: أن تلك الأجساد الدنياوية تُعاد بأعيانها، بأعراضها[١]، بلا خلاف بينهم.

قال بعضهم: بأوقاتها[٢].

فيُعاد الوقت أيضًا كما يُعاد الجِسْمُ واللَّوْنُ، وذلك جائزٌ في حُكْمِ الله وقُدرته، وهَيِّنٌ عليه جميعُه، ولكن لم يرد بإعادة الوَقْتِ خَبَرٌ، وقد قال الله تعالى في القرآن ما يَدُلُّ على أن الوقت لا يُعاد، بقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا﴾ [النساء:٥٥].

يعني به: غَيْرَها في الوقت، وإلَّا فالجلودُ الأَوَائِلُ بأعيانها التي عَصَتْ هي التي يُعاد - أبدًا - تأليفُها إذا تفرَّقت، وأعيانُها إذا عُدِمَتْ، وقد بينَّا ذلك في «كتب الأصول».

الرَّابع: تبديل الأعمال، قال الله تعالى: ﴿يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان:٧٠]، يُعَوِّضُه من الكُفْرِ إيمانًا، ومن الخِذْلَان توفيقًا[٣]، ومن الطاعة[٤] بَدَلًا من العِصْيَانِ.

وقيل: يُعْطَى بَدَلَ كُلِّ سيئة حَسَنَةً.

واستبعد هذا قَوْمٌ، ورَوَى في ذلك آخرون أحاديث لم تَصِحَّ، والذي صحَّ من ذلك أن العبد يأتي بالحسنات والسيئات، فإذا تاب من السيئات

---

(١) في (ز): وبأعراضها.

(٢) المتوسط في الاعتقاد -بتحقيقنا-: (ص٣٨٩).

(٣) في (س) و(د): من التوفيق خذلانًا.

(٤) في (ص): والطاعة.

فكُلُّ نَدَمٍ على سيئة يُكتب له حسنة، فيكون له ثواب حسنة، وتعود السيئات حسنات من جهة الندم عليها، فيكون هذا هو التبديل المُراد بها.

الخامس: تبديل المنازل؛ فإنه ثبت في الصحيح: «أنه ما من نفس مسلمة إلَّا أدخل الله مكانها من اليهود والنصارى في النار، وكان لها منزلة من الجنة»[1]، ولذلك قيل فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠]، والصحيح في الوراثة أنها جزاءُ العمل، على ما يأتي في صفة الجنة/ [٥٦/أ] - إن شاء الله تعالى - في أَحَدِ الأقوال.

* * * * *

(١) تقدَّم تخريجه.

الاسمُ الرَّابعُ والثَّلاثون: يَوْمُ التَّلَاقِي

وهـو: عبـارةٌ عـن اتـصال المَعْنَيَـيْنِ بـسَبَبٍ مـن أسـباب العِلْـمِ، أو الجِسْمَيْنِ[1].

وهو على أَنْوَاعٍ خَمْسَةٍ[2]:

الأوَّل: لقاءُ الأموات لمن سبقهم إلـى الممـات؛ فيسألونهم عـن أهـل الدنيا، وقد تقدَّم.

الثاني: عَمَلُه، وقد تقدَّم.

الثالث: لقاءُ أهل السماوات لأهل الأرض في المَحْشَرِ، وفيه حـديثٌ طَوِيلٌ وقَصِيرٌ، قد بَيَّنَّاهُمَا في «أنوار الفَجْرِ».

الرابع: لقاءُ الخَلْقِ للباري، وذلك يكـون فـي عرصـات القيامـة، وفـي الجنة.

فأمَّا في عَرَصَاتِ القيامة فثَبَتَ في الصحيح والحسن حَدِيثٌ كامل عـن أبي هريرة، يَدْخَلُ في مَوَاضِعَ من كتابنا هـذا، قـال رسـول الله ﷺ: «يَجْمَعُ الله الناس يوم القيامة في صَعِيدٍ واحد، فيطَّلع علـيهم رب العـالمين فيقـول: أَلَا يتبـع كـل إنـسان مـا كـان يعبـد[3]؟ فيُمَثَّـلُ لـصاحب الـصليب صَـلِيبُه،

---

(١) في (س) و(د): والجسمين.

(٢) في (ص): على أربعة أنواع.

(٣) في (ص): يعبدون.

ولصاحب التصاوير تصاويرُه، ولصاحب النار نارُه، فيتبعون ما كانوا يعبدون، ويبقى المسلمون فيطَّلع عليهم ربُّ العالمين فيقول: ألَا تَتَّبِعُون الناس؟ فيقولون: نعوذ بالله منك، الله ربُّنا، وهذا مكانُنا حتى نرى ربَّنا، وهو يأمرهم ويُثَبِّتُهم، ثم يتوارى، ثم يطَّلع فيقول: ألَا تتبعون الناس؟ فيقولون: نعوذ بالله منك، الله ربنا،وهذا مكاننا حتى يأتينا[1] ربُّنا، وهو يأمرهم ويُثَبِّتُهم، قالوا: وهل نراه يا رسول الله؟ فقال: وهل تُضَارُّونَ في رؤية القمر ليلة البَدْرِ؟ قالوا: لا، يا رسول الله، قال: فإنكم لا تُضَارُّونَ في رؤيته تلك الساعة، ثم يتوارى، ثم يطَّلع فيُعَرِّفُهم نَفْسَه، ثم يقول: أنا ربكم فاتبعوني، فيقوم المسلمون، ويُوضع الصراط؛ فيُمر عليه مثل جياد الخيل والركاب، وقَوْمُ[2] من الملائكة عليهم السلام يقولون: اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ، ويبقى أهلُ النار فيُطرح منهم فيها فَوْجٌ، ثم يقال: هل امتلأت؟ فتقول: هل من مزيد؟ حتى إذا أُوعِبُوا فيها وَضَعَ الرحمن فيها قَدَمَه، وأَزْوَى بَعْضَها إلى بَعْضٍ، ثم قال: قَطِ؟ قالت: قَطِ قَطِ، فإذا[3] أُدْخِل[4] أَهْلُ الجنة الجنةَ، وأهلُ النَّار النَّارَ، قال[5]: أُتِيَ بالموت مُلَبَّبًا[6]، فيُوقَفُ على السُّورِ الذي بين أهل الجنة وأهل النار، ثم يقال: يا أهل الجنة، فيطلعون خائفين، ثم يقال: يا أهل النار، فيطَّلعون مستبشرين يرجون الشفاعة، فيقال لأهل الجنة وأهل النار: هل تعرفون هذا؟ فيقولون - هؤلاء وهؤلاء -: قد عرفناه، هو

(١) في (س): نرى.
(٢) في (ص): وقولهم عليهم السَّلام.
(٣) في (س): قالت: فإذا.
(٤) في (ص) و(ز): أدخل الله.
(٥) في (د): ثم قال.
(٦) في (س) و(د): مليبًا، وفوقها: كذا.

الموت الذي وُكِّلَ بنا، فيُضْجَعُ فيُذْبَحُ ذَبْحًا على السُّورِ، ثم يُقال: يا أهل الجنة، خُلُودٌ لا موت، ويا أهل النار: خُلُودٌ لا موت»[1].

وفي الصحيح: «إن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم؛ عليكم حَرَامٌ كحُرْمَةِ يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، وسَتَلْقَوْنَ ربَّكم فيسألكم عن أعمالكم»[2].

[٥٦/ب] وفي الصحيح: أن النبي ﷺ /قال في صفة الجنة، قال: «وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله إلَّا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عَدَنٍ»[3].

[مناظرة مع ابن عقيل في مجلس ابن جَهِير]:

قال الإمام الحافظ ﷺ: كنَّا يومًا في مجلس أبي منصور محمد بن جَهِير[4] - وزير الخليفة - بمدينة السَّلام، صبيحة يوم الجمعة، على الرُّتْبَةِ التي بينَّاها في كتاب «ترتيب الرحلة للترغيب في المِلَّةِ»، فقرأ القارئ على

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي بكرة ﷺ: كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، رقم: (١٦٧٩-عبد الباقي).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن قيس ﷺ: كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، رقم: (١٨٠-عبد الباقي).

(٤) عميد الدولة، أبو منصور محمد بن محمد بن محمد بن جَهِير، خدم ثلاثة خلفاء، أدرك ابنُ العربي منهم المستظهر بالله، وكان ابن جَهِير هذا شجاعًا، فصيحًا، أديبًا، توفي عام ٤٩٣هـ، وقد كان هذا الوزير نعم العون لأبي بكر ووالده أبي محمد في مقامهما ببغداد، فرفع أمرهما إلى الخليفة، ونوَّه من شأنهما؛ ممَّا آل إلى تكرمتهما وتجلتهما، وظلَّا كذلك إلى حين منصرفهما من بغداد عام ٤٩٢هـ، ينظر: قانون التأويل: (ص١١٦)، وسير النبلاء: (١٧٥/١٩-١٧٦).

العادة، فكان فيما قرأ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب:٤٤]، وكان أَمَامِي يَلِينِي إمامُ الحنابلة بها؛ أبو الوفاء علي بن عَقِيل[١]، وأنا وراءه في الحلقة الثانية من المجلس، فقلتُ لصاحبٍ كان إلى جَنْبِي[٢]: هذا دليلٌ على رؤية المؤمنين لله يوم القيامة؛ لأنَّ اللقاء لا يكون إلَّا مع الرُّؤْيَةِ عَرَبِيَّةً، فسمعني[٣] فَرَدَّ وجهه إليَّ وقال: هذا يُنْتَقَضُ بقوله: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ [التوبة:٧٨]، أفيراه أهل النفاق؟

وقد بيَّنا الجواب عنه[٤] في «شرح المُشْكِلَيْنِ»، وقد مَنَعَ هاهُنَا من الرؤية[٥] ما اقترن به من ذَمِّ[٦] النفاق، كما أَوْجَبَها هنالك ما اقترن به من فَضْلِ التحية.

الخامس: من تَنْوِيعِ اللقاء - على ما تقدَّم[٧] - لقاءُ الظالم للمظلوم في مَوْقِفِ الخُصُومِ.

---

(١) الإمام العلَّامة الحافظ، أبو الوفاء علي بن عَقِيل البغدادي الحنبلي، صاحب التصانيف، (٤٣١-٥١٣هـ)، عُرف عنه التبحر في العلوم، والتوسع في المعقوليات منها، وله كتاب كبير سمَّاه «الفنون»، ضمَّنه مناظراته ومحاوراته، وفيه من كل فن وعلم، أصله في أربعمائة سِفْرٍ، وقد أفاد ابنُ العربي من أبي الوفاء، ونثر بعض فوائده في كتبه، ترجمته في: سير النبلاء: (١٩/٤٤٣-٤٥١).

(٢) في (ص): جانبي.

(٣) سقطت من (س).

(٤) في (س): عليه.

(٥) قوله: «من الرؤية» سقط من (ص).

(٦) في (ص): أمر.

(٧) قوله: «من تنويع اللقاء -على ما تقدم-» سقط من (ص).

يوم الآزفة: وهو الاسم الخامس والثلاثون

تقول العرب: أَزِفَ كذا، أي: قَرُبَ.

قال الشَّاعِرُ:

أَزِفَ التَّرَحُّلُ غَيْرَ أَنَّ رِكَابَنَا ... لمَّا تَزَلْ بِرِحَالِنَا وكَأَنْ قَدِ[(١)]

وهي: قَرِيبَةٌ جِدًّا، وكلُّ آتٍ ولا بد[(٢)] قَرِيب وإن بَعُدَ مداه، قال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً﴾ [الأحزاب:٦٣]، وما يَسْتَبْعِدُ الرَّجُلُ من الساعة؟ ومَوْتُه ساعتُه، وما بَقِيَ[(٣)] عنه غيره.

* * * * *

---

(١) البيت من الكامل، من قصيدة للنابغة الذُّبْياني في ديوانه: (ص٣٨)، يصف فيها المتجردة؛ زوجة النعمان.

(٢) قوله: «ولا بد» سقط من (س).

(٣) في (ص): يعني.

يَوْمُ المَئَابِ: وهو الاسمُ السَّادس والثلاثون

ومعناه: الرجوعُ إلى الله.

ولم يَذْهَبْ عن الله شيء فيرجعُ إليه.

وإنَّما حقيقته: أن العبد[١] يَخْلُقُ اللهُ الذي خَلَقَهُ فيه ما شاء من أفعاله، فلمَّا خَلَقَ فيه عِلْمًا، وخلق فيه إيثارًا واختيارًا؛ ظن الناس أنه شيءٌ، وأنَّ[٢] له فِعْلًا، فإذا أماته وسَلَبَه ما كان أعطاه أذعنَ وآبَ، في وَقْتٍ لا ينفعه الإياب، ولم يَزُلْ عن عَيْنِ الله في كل حال، فهو «الأوَّابُ»، وسيأتي بيانُه في موضعه إن شاء الله[٣].

* * * * *

(١) قوله: «أن العبد» سقط من (س).

(٢) في (ص): أو أن.

(٣) قوله: «إن شاء الله» لم يرد في (س) و(د).

يوم القضاء[1]: وهو الاسمُ السَّابع والثلاثون

ومثلُه:

* * * * *

(١) في (س): القصاص.

الحُكْمُ والفَصْلُ:
وهُمَا الاسمُ الثامن والثلاثون والتاسع والثلاثون

وقد بيَّنَّا معاني هذه الأسماء في كتاب[١] «الأَمَدِ الأقصى»[٢] وغيره، وأوضحنا أن الباري قد قَضَى[٣] وكَتَبَ قضاءه، وأَنْفَذَ[٤] حُكْمَه، وأَسْجَلَ به، ووَضَعَ كتابه بذلك كُلِّهِ فوق عَرْشِه، فالمخلوقات تجري على نصِّه، وأقضية الدنيا ما ظهر فيها من أفعاله وأحكامه، وأقضية الآخرة ما أَخْبَرَ عنه، وكلُّ فِعْلٍ قضاءٌ، وكل أَمْرٍ قضاء، وكل نَهْيٍ قضاء، وكل إِعْدَامٍ قضاء، ومن الإيمان الرِّضَا بالقضاء، فللَّه تعالى أن يَقْضِيَ ما شاء، وعلى العبد أن يَرْضَى، «وأوَّلُ ما يُقْضَى فيه يوم القيامة الدِّمَاءُ»[٥]، كذلك وَرَدَ في الخَبَرِ الحَسَنِ.

وفي الحديث/ الصحيح: «إنَّ من مَنَعَ حَقَّ إِبِلِه أو بقره أو غَنَمِه بُسِطَ لها بقاعٍ قَرْقَرٍ؛ تطؤه ذاهبة وراجعة، كلما مرَّت عليه أُخراها رَدَّتْ عليه أُولاها، حتى يُقضى بين الناس»[٦]. [١/٥٧أ]

---

(١) سقط من (س) و(د).

(٢) الأمد الأقصى -بتحقيقنا-: (٢/٢٣٢)، و(٢/٢٥٠).

(٣) في (س): قص.

(٤) في (ص): أنفذه.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة، رقم: (٦٥٣٣-طوق).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم: (٩٨٧-عبد الباقي).

والفَصْلُ هـو: الفَـرْقُ والقَطْـعُ ؛ فيُفْـصَلُ يومئـذ بـين الكـافر والمـؤمن ، والمسيء والمحسن.

وهو يوم الحُكْمِ ؛ لأن الحُكْمَ هو إنفاذ[1] العِلْمِ ، وقد اتَّـضَحَ ذلـك كلـه في موضعه.

* * * * *

(١) في (س): إبعاد ، وفوقها: كذا.

يَوْمُ الوَزْنِ: وهو الاسم المُوَفِّي أربعين

قال الله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾(١) [الأعراف:٧ - ٨].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة:٥ - ٨].

وفيه إشكالان:

الأوَّل: ما يُوزَن؟

الثاني: كيف يُوزن؟

فأمَّا ما يُوزَنُ فهي الأعمال كلها، والاعتقاداتُ أيضًا معها.

وقد ضَلَّ بَعْضُ الناس عن هذه الحقيقة فقال: إن الإيمان والاعتقادات لا توزن، ولو وُزِنَ الإيمان لما قابلته المخلوقات، حسبما يَرْوُون في الأثر.

وقد بيَّنَّاه في «أنوار الفجر»، وحقَّقنا أنَّ الحديث الصحيح يقتضي وَزْنَ الإيمان؛ كما ورد(٢) في مسلم والبخاري - واللفظ له -: «فيُقال:

---

(١) في (س) و(ص) و(د): ﴿خسروا أنفسهم في جهنم خالدون﴾.

(٢) في (ص): ورد.

انطلق فَأَخْرِجْ مِنَ النار مَن في قلبه مثقال[١] ذرَّة أو خردلة من إيمان، ثم أعود، فيقال[٢]: أخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبَّة خردل من إيمان»[٣].

وأمَّا كيفية الوزن فإنَّ كُتُبَ الأعمال تُوضَعُ في كِفَّتَيْ الميزان، ويخلق الله الثِّقَلَ في الآخرة كما يخلقه في الدنيا في كِفَّةِ الميزان، على حسب [عَمَلِه][٤] فيها، فما أَدْرَكَتْ من الاعتماد حُكِمَ به[٥].

وأمَّا الحديث الذي يَرْوُون: «أنَّ لا إله إلا الله لو وُضِعَتْ في كِفَّةٍ لما عادلتها[٦] المخلوقات»[٧]؛ فإنما ذلك إذا جاءت بما شُرِطَ فيها من الإخلاص، وما يتبعها من الوظائف، كما قال في البخاري عن وَهْبٍ: «لا إله إلا الله مفتاحٌ له أسنان، إن جئت بالمفتاح له أسنان فُتِحَ لك، وإلَّا لم يُفْتَحْ»[٨].

---

(١) في طرة بـ (س): مقدار، وصحَّحها.

(٢) في (س): في خـ: فيقول، وصحَّحها.

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) في النسخ: علمه، وينظر: المتوسط في الاعتقاد -بتحقيقنا-: (ص٤١١).

(٥) المتوسط في الاعتقاد -بتحقيقنا-: (ص٤١١-٤١٣).

(٦) في (س): عادلها.

(٧) أخرجه الترمذي في جامعه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄: أبواب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، رقم: (٢٦٣٩-بشار).

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه مُعَلَّقًا: كتاب الجنائز، بابٌ في الجنائز، ومن كان آخِر كلامه لا إله إلا الله، (٢/٧١-طوق).

يَوْمٌ عَقِيمٌ: وهو الاسم الواحد والأربعون[1]

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾[2] [الحج:٥٥].

وهو في اللغة: عبارة عمَّن لا يكون له وَلَدٌ.

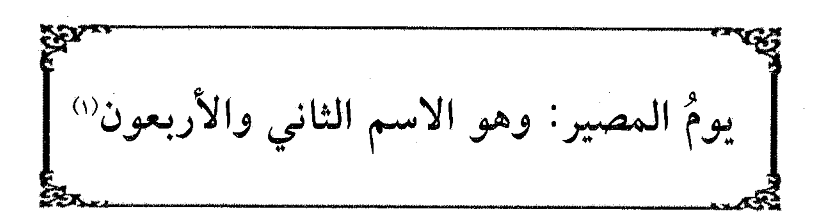
ولمَّا كان الولدُ يكون بعد الأبوين، وكانت الأيام تتوالى قَبْلُ وبَعْدُ، جُعِلَ الإِتْبَاعُ بالبَعْدِيَّةِ فيها كهيئة الولادة، ولمَّا لم يَكُنْ بعد ذلك اليَوْمِ يَوْمٌ وُصِفَ[3] بالعُقْمِ.

* * * * *

(١) في (د) و(س): والأربعين.

(٢) في (س) و(ز): ﴿هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾.

(٣) في (د): عصف، وهو تصحيف.



يومُ المصير: وهو الاسم الثاني والأربعون[١]

وهو يوم المئاب بعينه، وقد تقدَّم تحقيقُه.

وكان الناسُ بإبرازهم إلى الدنيا ورؤيتهم لأنفسهم فيها مَالِكِينَ مُتَصَرِّفِينَ باختيارهم،/ يظنُّون أنهم قد خرجوا عن حُكْمِ الله تعالى، حتى اعتقدت ذلك طائفة من الملحدة، وجاورتهم[٢] عليه القدرية. ١ [٥٧/ب]

فإذا كان الموت كان ابتداءُ الرجوع إلى الله والصيرورة بحُكْمِه المجرَّد من غير كَسْبِ العبد[٣]، وكانت انتهاؤُه الحصولَ على الجنة أو النار، وبينهما أحوالٌ؛ الخَلْقُ فيها صائرون إلى أمر الله، وآخرُ ذلك دار القرار، وهي الجنة أو النار، وبهذه الحقائق والشدائد كان يَوْمًا عَسِيرًا[٤].

* * * * *

(١) في (د) و(س): والأربعين.

(٢) في (ز): جاوزتهم.

(٣) في (ص): للعبد.

(٤) في (س): عبوسًا.

[يوم عَسِيرٌ]: وهو الاسم الثالث والأربعون

والعُسْرُ في لسان العرب بَعْضُ الامتناع، وهو ضِدُّ اليُسْرِ؛ الذي هو سهولة تحصيل المطلوب.

فمن حاول قَوْلًا أو فِعْلًا فلم يَجِدْ إليه سبيلًا[١] فهو المَنْعُ، فإن وجد إليه سبيلًا مُمْكِنًا عَجِلًا فهو البلوغ، والكَوْنُ بأقل وجه يكون، فإن تحصَّل بعد نظر أو عمل طويل أو غَيْرِ المعتاد فهو عُسْرٌ، فإن تحصَّل بنظر قليل وعمل مُعْتَادٍ فهو اليُسْرُ، ولذلك أخبر الله تعالى عن الكافرين أنه يوم عَسِيرٌ عليهم؛ لأنهم لا يَرَوْنَ فيه أَمَلًا، ولا يقطعون فيه[٢] رجاءً، حتى إذا خرج المؤمنون من النار طلبُوا مثل ذلك ونادَوا، فيقال لهم: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:١٠٩]، فحينئذ يكون المنع الصريح.

وأمَّا المؤمنون فتَنْحَلُّ عُقَدُهم بيَسِيرٍ[٣] إلى يُسْرٍ؛ يَنْحَلُّ طُول الوقوف، إلى تعجيل الحساب، وتثقيل الموازين، وجواز الصراط، والظلال بالأعمال.

ولا تَنْحَلُّ للكافرين[٤] من[٥] هذه العُقَدِ وَاحِدَةٌ إلَّا إلى أَشَدَّ منها، حتى إلى جهنم دار القرار.

---

(١) قوله: «فلم يجد إليه سبيلًا» سقط من (س).
(٢) في (د): فيها.
(٣) في (ص): يُسْرٍ.
(٤) في (ص): لكافر، وفي (د): للكافر.
(٥) سقطت من (س).

يَوْمٌ مَشْهُودٌ: وهو الاسم الرابع والأربعون

يَحْضُرُ فيه كل مخلوق افترق خَلْقُهم؛ من ملائكة السماء، والأنبياء، والآدَمِيِّين، وحيوان الأرض، فكُلُّ من طُوِّرَ في الخِلْقَةِ يجتمع في تلك العَرْصَةِ؛ وتظهر المراتب، وتَتَبَيَّنُ المزايا، وتظهرُ الخفايا.

ويحتمل أن يكون معناه أيضًا: مشهودٌ فيه، أي: يَشْهَدُ فيه الشاهد[1]، كما تقدَّم بيانُه.

* * * * *

(١) في (ص): الشاهدون.

يوم التغابن: وهو الاسم الخامس والأربعون

وحقيقته في لسان العرب: ظُهُورُ الفضل في المعاملة لأحد المتعاملين، أو سقوط أحد العِوَضَيْنِ.

والدنيا والآخرة داران لعَمَلَيْنِ وحالين، وكل واحد منهما لله، ولا يُعطى إحداهما إلَّا لمن ترك نصيبه من الأخرى، قال الله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء:١٨]، ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾[(١)] [الإسراء:١٩]، والكل يُفِيضُ[(٢)] الله عليه عطاءه، ولا يَظْهَرُ الفضل في المعاملة والنقص إلَّا في الآخرة عند قَبْضِ الجزاء، وهذا أحد الغَبْنَيْنِ، وهو حقيقةٌ.

وأمَّا الغبن الثاني: فهو دونه في القول، وهو مجاز[(٣)]، وذلك أن الحديث ورد بأنه يُقال للكافر: «هذا مقعدك في الجنة، أبدلك الله به هذا المقعد من النار، ويقال للمؤمن:/ هذا مقعدك من النار، أبدلك الله به هذا المقعد من الجنة»[(٤)]، ويَنْزِلُ به[(٥)] كلُّ واحد على منزلة صاحبه ودَرَجَتِه، فكأنَّه معاملةٌ وَقَعَ الغَبْنُ[(٦)] فيها لما[(٧)] يَرَوْنَ.

١ [٥٨/أ]

---

(١) في (ص): ﴿ومن أراد الآخرة فسعيه مشكور﴾، وفي (س) و(د): ﴿فسعى لها سعيها فسعيه مشكور﴾.

(٢) في (ز): يقبض، وهو تصحيف.

(٣) في (ص): مجاز محاز.

(٤) تقدَّم تخريجه.

(٥) سقط من (س) و(د).

(٦) في (ص): من الغبن.

(٧) في (ص): ما.

يوم عَبُوسٌ قَمْطَرِيرٌ:
وهو الاسمُ السَّادس والسَّابع والأربعون

أمَّا القمطرير: فهو الشديد.

وقيل: الطويل.

وأمَّا العَبُوس: فهو الذي يُعْبَسُ فيه.

سُمِّيَ باسم ما يكون فيه، كما يُقال: ليل قائم[1]، ونهار صائم.

وكُلوح الوجه وعُبوسه: هو قَبْضُ ما بين العَيْنَيْنِ وتَغَيُّرُ السِّحْنَةِ[2] عن عادتها الطَّلْقِيَّةِ.

يُقال: يَوْمٌ طلق: إذا كانت شمسُه نَيِّرَةً فاترة، وعَبُوس: إذا كانت شَمْسُه مُدْجِنَةً قد غطَّاها السحاب.

وأوَّل العَبُوسِ والكُلوح عند الخروج من القبور ورؤية الأعمال في الصُّوَرِ القبيحة، كما تقدَّم بيانُه.

وآخرها: كُلوح النار؛ وهو الكُلوح الأعظم بشَيِّ[3] الوجوه، وسقوط الجلود.

---

(١) في (س): نائم.

(٢) في (ص) و(د) و(ز): السحناء، وأشار إليها في (س).

(٣) في (ز): شيء، وهو تصحيف.

ومع العبوس تشخص الأبصار، وهي ثبوتها راكدةً على منظر وَاحِدٍ لهَوْلِه[1]؛ لا تنتقل منه إلى غيره، كما قال سبحانه: ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [إبراهيم:٤٤].

* * * * *

(١) في (ص) و(د) و(ز): لهول، وأشار إليها في (س).

[يومٌ تشخص فيه الأبصار]: وهو الاسمُ الثامن والأربعون

يومُ الخروج: وهو الاسمُ التاسع والأربعون

قد تقدَّم ذكره.

وأَوَّلُه: الخُروج من القبور.

وآخِرُه: خُروج المُذْنِبين من النار.

ثم لا خروج ولا دخول؛ وإنما هي إقامة في دار القرار؛ جهنم، وفي الجنة؛ دار المُقامة.

* * * * *

يوم تُبْلَى السَّرَائِرُ: وهو الاسمُ المُوَفِّي خمسين

المعنى: تخرج المخبآت بالاختبار بِوَزْنِ الأعمال، فلا تَرْجَحُ حَبَّةٌ لأنها خَلَتْ عن إخلاص ونِيَّةٍ، وأوَّلُ ذلك الحديث الصحيح في صفة يوم القيامة؛ أنه يقال: «من كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد الله ولا نشرك به شيئًا، فيقال[1]: هل تعرفونه؟ فيقولون: سبحانه، إذا تعرَّف[2] لنا عرفناه، فعند ذلك يَتَجَلَّى ويُكشف عن ساق، فلا يبقى مؤمن كان يعبد[3] الله إلا خَرَّ ساجدًا، ومن كان منافقًا تبقى ظهورهم طَبَقًا واحدًا»[4].

وفي الصحيح من طريق أبي هريرة: أنه قال: «قالوا: يا رسول الله، هل نَرَى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارُّون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟ قالوا: لا، قال: فهل تضارُّون في رؤية القمر ليلة البدر وليس في سحابة ؟قالوا: لا، قال: فوالذي نفسي بيده لا تضارُّون في رؤية ربكم إلَّا كما تضارُّون في رؤية أحدهما، قال: فيلقى العبد فيقول: أي فُل، ألم أكرمك وأسودك وأزوجك؟ وأسخر لك الخيل والإبل؟ وأتركك ترأس وترتع؟ فيقول: بلى، أي رب، فيقول[5]: أفظننت أنك مُلَاقِيَّ؟ فيقول: لا،

---

(١) في (س): فيقولون.

(٢) في (ص): اعترف.

(٣) في (ص): يسجد لله.

(٤) تقدَّم تخريجه.

(٥) سقطت من (د).

فيقول: فإني أنساك كما نَسِيتَنِي، ثم يلقى الثاني، فيقول: أي فُلْ، ألم أكرمك؟ ألم أُسَوِّدْك وأُزَوِّجْك؟/ وأُسَخِّرْ لك الخَيْلَ والإبل؟ وأَذَرْكَ تَرْأَسُ وتَرْتَعُ؟ فيقول: بلى، أي رب، فيقول: أفظننت أنك مُلَاقِيَّ؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني[١]، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك، فيقول: يا ربّ، إني[٢] آمنت بك وبكتابك وبرُسُلِك، وصلَّيت وصُمت وتصدَّقت، ويُثني بخير ما استطاع، فيقول: هاهنا إذًا، ثم يقال له: الآن نَبْعَثُ شاهدًا[٣] عليك، ويتفكر؛ من ذا الذي يشهد علي[٤]؟ فيُخْتَمُ على فِيهِ، ويقال لفخذه: انطقي، فتنطق فخذه ولحمه وعَظْمُه بعَمَلِه، وذلك لِيُعْذِرَ من نفسه، وذلك المنافق الذي يسخط الله عليه»[٥]، وذلك كثيرٌ.

١
[٥٨/ب]

* * * * *

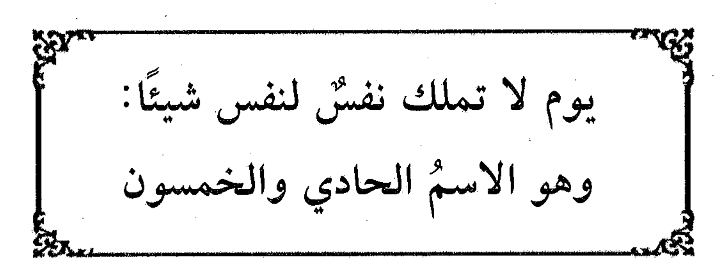
(١) قوله: «ثم يلقى الثاني، فيقول: أي فُلْ، ألم أكرمك؟ ألم أُسَوِّدْك وأُزَوِّجْك؟ وأُسَخِّرْ لك الخَيْلَ والإبل؟ وأَذَرْكَ تَرْأَسُ وتَرْتَعُ؟ فيقول: بلى، أي ربّ، فيقول: أفظننت أنك مُلَاقِيَّ؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني»، سقط من (د).

(٢) سقط من (د) و(ص) و(ز).

(٣) في (ص): شاهدنا.

(٤) في (س) أيضًا: عليه.

(٥) تقدَّم تخريجه.



يوم لا تملك نفسٌ لنفس شيئًا: وهو الاسمُ الحادي والخمسون

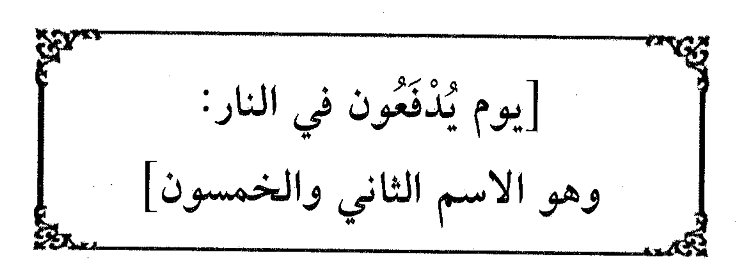
قد بينَّا أن الله سبحانه جَعَلَ[1] في الدنيا للخلق[2] في الظاهر حُكْمًا وإيثارًا، أمَّا[3] حتى يُذْهِبَ ذلك يومُ القيامة؛ فلا مالك ولا ناصر، ولا يُغْنِي أحدٌ عن أحد شيئًا، أو[4] تكفيه مُلِمَّة، أو يَسُدُّ مَفَاقِرَه من حاجة.

ولذلك قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الدخان:٣٩]، ولا يَنْصُرُ بعضُهم بَعْضًا[5]، وأُحْضِرَ الوالد مع الولد، والأخ مع الأخ، والابن مع الوالد[6]، ومثلُه الأم[7].

وقد كان الخلقُ ينفصلون بأقل وجه؛ إلا الآباء والأبناء والقرابة، وفي ذلك اليوم ينفصل كلُّ واحد عن أخيه، فيكون أيضًا يومَ الفصل بهذا، وقد جعل الله لذلك عنوانًا بأن[8] فَصَلَ بين الأنبياء[9] وآبائهم وأبنائهم؛ حتَّى لا يكون لأحد طَمَعٌ في غير ذلك.

---

(١) في (ص): في الدنيا جعل.
(٢) سقط من (س) و(د) و(ز).
(٣) في موضعها بياض بـ (س)، وسقطت من (د).
(٤) في (ص): أي.
(٥) في (ص): لا ينصر جميعهم.
(٦) في (س) و(د): والابن للوالد.
(٧) في (س) و(د): للأم.
(٨) في (س): فإن.
(٩) في (س) و(د): الأبناء، وما أثبتناه من (ص)، وأشار إليه في (س).



[يوم يُدْفَعُون في النار:
وهو الاسم الثاني والخمسون]

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور:١٣]، و﴿يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [القمر:٤٨]، و﴿تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾ [الأحزاب:٦٦]، هذا كله مُتَرَادِفُ «يُدفعون في النار»، فإذا وقعوا في دَرَكَتِها الأولى خَرُّوا على وجوههم إلى مداركهم منها، فإذا حصل كلٌّ في دركته قُلِّبَ وجهُه في النار؛ لأنه كان يسجدُ لغير الله، وحرَّم الله على النار وَجْهَ المؤمن السَّاجد له، والحمد لله رب العالمين[1]، وهو **الاسم الثاني والخمسون**.

* * * * *

(١) بعده في (ص): ﴿يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون﴾: وهما الاسم المُوَفِّي خمسين والحادي وخمسين.

[يومُ لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون: وهما الاسم الثالث والخمسون والرابع والخمسون]

وقال تعالى: ﴿يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات:٣٥-٣٦].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ [غافر:٥٢].

اختُلِفَ في قوله: ﴿يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ على قولين:

أحدهما: لا ينطقون بالحجة، وإنَّما تكلموا بما لا تحصيل له.

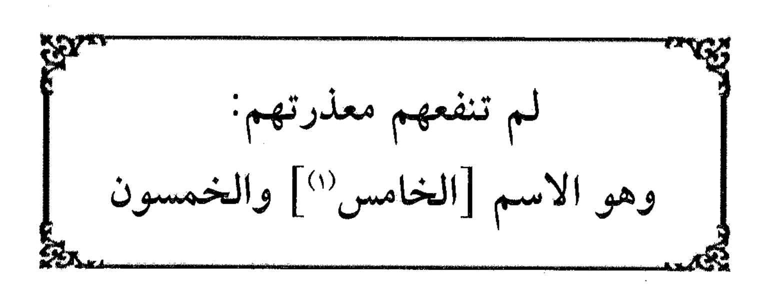
الثاني: أنها[1] عبارة عن بعض ذلك اليوم، وفيه أحوالٌ يُخْبَرُ باليوم عن كل حال منها.

وإن العرب لتفعل ذلك في اليوم الواحد من أيَّام الدنيا، فتُعَبِّرُ عن كل فِعْلٍ جَرَى في جزء من أيامهم باليوم، فكيف بيوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟

فإن اعتذروا:

* * * * *

(١) في (ص): أنه.



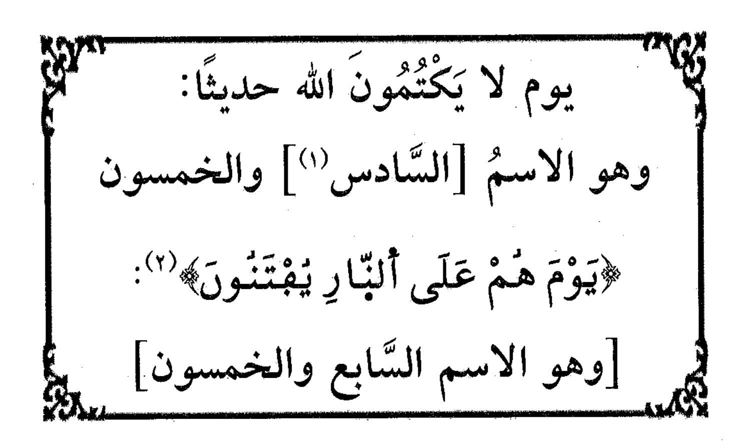
لم تنفعهم معذرتهم: وهو الاسم [الخامس(١)] والخمسون

وإن أُذِنَ لهم فيها فبِأَنْ(٢) يُمَكَّنُوا منها، لا بأن يقال لهم: اعتذروا، كقوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب:٦٧]، وكقوله آخِرًا: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ﴾ [المومنون:١٠٨]، / [٥٩/أ] وما بينهما من الأقوال.

* * * * *

(١) في (س) و(د): الثالث، وفي (ص): الثاني.

(٢) في (س) و(د): بأن.



يوم لا يَكْتُمُونَ الله حديثًا: وهو الاسمُ [السَّادس(١)] والخمسون

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾(٢): [وهو الاسم السَّابع والخمسون]

قالوا(٣): يُعَذَّبُونَ، من قولك: فَتَنْتُ الذهبَ؛ إذا رَمَيْتَه في النار، وذلك قولُه: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى:٤٢].

قيل: خَفِيَ من ذِلَّةٍ؛ فتارة يَشْخَصُ، وتارة يخفى.

ويَذِلُّ: يُسارقون به النظر، لا يفتح عينه، إنما يلحظ بطَرْفِها، كما يفعل المُسارق للنظر.

وقيل: إنما ينظرون إلى النار بقلوبهم؛ لأنهم يُحشرون عُمْيًا.

والأوَّل أصحُّ؛ فإنهم وإن كانوا يُحشرون عُمْيًا وبُكْمًا وصُمًّا ويُخْتَمُ على أفواههم، ويعاد بهم إلى صِحَّةِ النظر والسمع، وإطلاق اللسان بالنُّطْقِ، وذلك كله لا يَقْدِرُ أَحَدٌ أن يدفعه، فلذلك قال فيه:

---

(١) في (س) و(د): الرابع، وفي (ص): الثالث.

(٢) [الذاريات:١٣]، بعدها في (ص): وهو الاسم الرابع والخمسون.

(٣) في (د): قال، وفي (س): فلا.

﴿يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾[1]

وهو الاسم [الثامن والخمسون[2]]

وقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾[3]:

[وهو الاسم التاسع والخمسون]

وكذلك لا يرحم رحمته أحد، وهو أوَّل الراحمين، وهو خيرهم[4]، وأَرْأَفُهُمْ[5]، وهو **الاسم المُوَفِّي سِتِّينَ**[6].

قوله تعالى: ﴿لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شكَّ فيه.

فإن قيل: وكيف لا يكون فيه شَكٌّ وفيه شَكَّ الخَلْقُ؟ بل لم يَشُكُّوا في شيء أكثر منه، ولا اختلفوا في شيء أعظم من اختلافهم فيه.

---

(١) [الشورى:٤٤].

(٢) في (س) و(د): وهو الاسم الثامن والتاسع والخمسون.

(٣) [الفجر:٢٨-٢٩]، في (ص): السَّادس والخمسون: قوله: ﴿فيومئذ لا يعذب عذابه أحد﴾.

(٤) في (ص): وآخرهم.

(٥) في (ص): أرحمهم.

(٦) في (ص): الاسم السَّابع والخمسون: قوله: ﴿ليوم لا ريب فيه﴾.

فإن منهم من قال: لا قيامة.

ومنهم من قال: هي قيامة معنوية؛ كالقيامة في النَّوْمِ[١]، وهم المُلْحِدَةُ والفلاسفة.

ومنهم من قال: تكون، ولا[٢] تُعادُ أجساد الخلق، وإنما تكون أمثالها.

وقال أهل السنة[٣]: يُعِيدُ الله الخَلْقَ كما أَخْبَرَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْداً عَلَيْنَآ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، ويُرْجِعُ الخَلْقَ[٤] كما أُنْشِئُوا؛ بأجسادهم وأعيانهم.

وقد قام الدليل على ذلك كلِّه، وبيَّنه الله في كتابه، وأَوْضَحَ وجوه الأدلة فيه، وضرب النبي له الأمثال، ولذلك لم يكن فيه رَيْبٌ لقيام الأدلة الظاهرة عليه، كما قال تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم:١٣]، فليس في الباري شَكٌّ لقيام الأدلة عليه، ولشهادة أفعاله له، ولاقتضاء المُحْدَثِ أن يكون له مُحْدِثٌ، ولكن قد شك فيه قَوْمٌ ونفاه آخرون، ولم يُوجِبْ ذلك شَكًّا فيه، لقيام الأدلة عليه.

فمعناه[٥]: لا رَيْبَ فيه، ولا شكَّ فيه، مع النظر في الدليل والعلم به، فإذا خلق الله الرَّيْنَ على القلب كان الرَّيْبُ والشَّكُّ، وقد حَقَّقْنَا ذلك في «المُشْكِلَيْنِ» بأبلغ من هذا.

---

(١) في (د): اليوم، وهو تصحيف.

(٢) في (ص): ولكن لا.

(٣) سقطت من (د).

(٤) قوله: «وإنما تكون أمثالها، وقال أهل السنة: يُعِيدُ الله الخلق كما أخبر: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا﴾، ويُرْجِعُ الخَلْقَ»، سقط من (س).

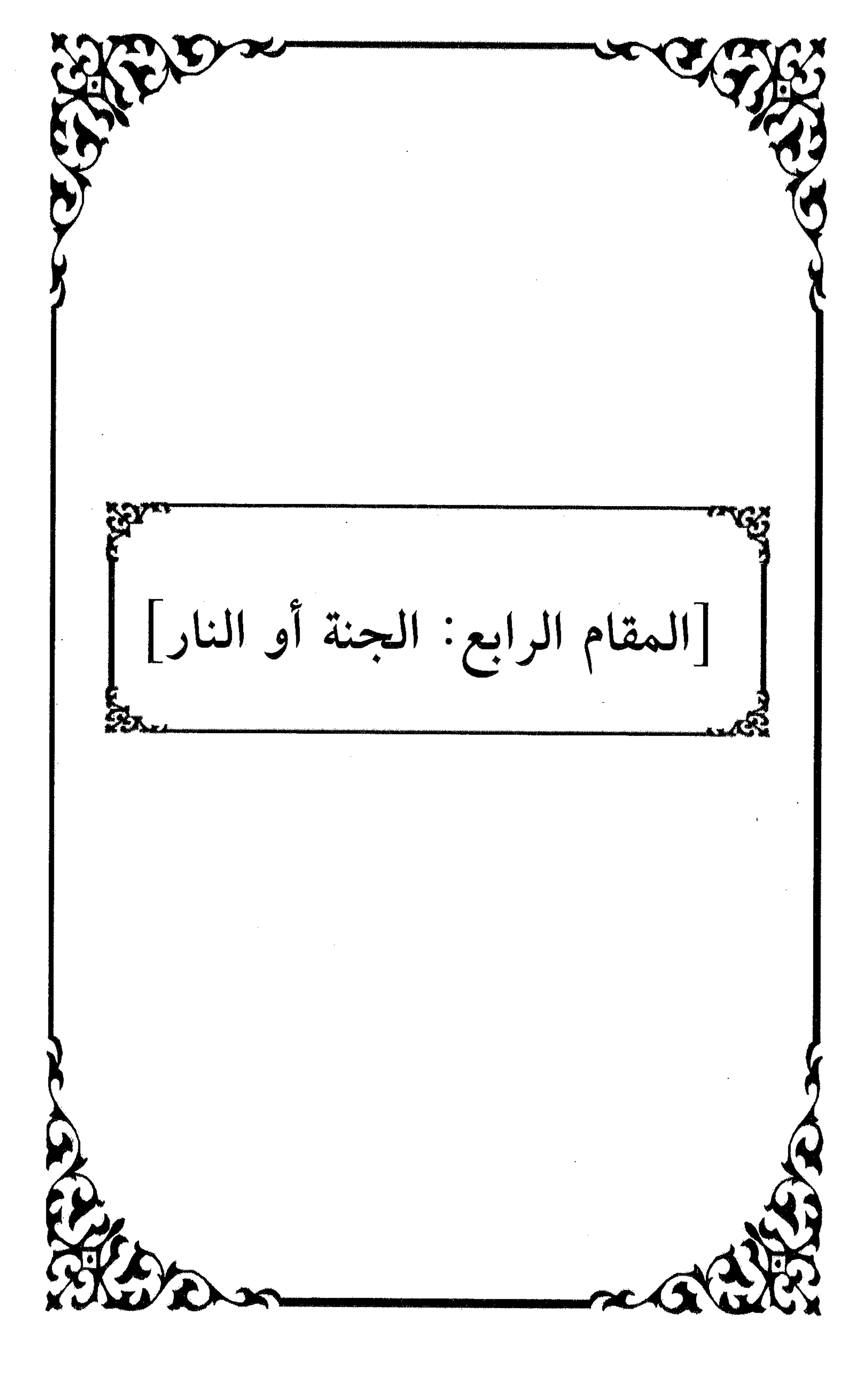
(٥) في (ص): فمعنى.

وقد بَقِيَتْ أسماءُ نَحْوُ المائة كنَّا استوفيناها في «أنوار الفَجْرِ»، وهذه الجُمْلَةُ تُعْطِيها هذه النُّبْذَةُ، فخُذُوا بها مَسْلَكَها تبلغوها إن شاء الله[1].

وآخرُ الحال المَصِيرُ إلى الجنة أو النار، وهو **المقام الرابع**.

(١) قوله: «وقد بقيت.. إن شاء الله» تأخَّر في (س) و(د) و(ز).





[المقام الرابع: الجنة أو النار]



وهُمَا داران؛ أعدَّهما الله لعذابه وعقابه، وخلقهما لنعيمه وثوابه؛ حين خلق السماوات والأرض، ولكل واحدة منهما مِلْؤُها[(١)].

فأمَّا الجنة فلن تمتلئ بأهلها حتى يُنْشِئَ الله لها خَلْقًا آخَرَ، ولم يَثْبُتْ في عددها شيءٌ يُعَوَّلُ عليه؛ إلا قوله ﷺ: «جنتان آنِيَتُهما وما فيهما من ذهب، وجنتان آنِيَتُهما وما فيهما من فِضَّةٍ، وما بين الخَلْقِ وبين أن ينظروا إلى ربهم إلَّا رداءُ الكبرياء/ على وجهه في جنة عَدْنٍ»[(٢)]. [٥٩/ب]

فمن قال: «إنها سبع جَنَّاتٍ»؛ فقد تكلَّم بغير عِلْمٍ، وأخبر عن الله بما لم يُخْبِرْ به هو ولا رسولُه.

وأمَّا النار فليس في عددها حديثٌ يُعَوَّلُ عليه.

وأمَّا الأبواب فثَبَتَ في الحديث الصحيح أن للجنة ثمانية أبواب.

قال النبي ﷺ: «من أنفق زوجين في سبيل الله نُودِيَ من أبواب الجنة الثمانية: أي فُلْ، هذا خَيْرٌ لك فادخل، فمن[(٣)] كان من أهل الصلاة دُعِيَ من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصدقة دُعِيَ من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعِيَ من باب الريَّان»[(٤)]، وليس لها في القرآن ذِكْرٌ.

---

(١) ينظر: المتوسط في الاعتقاد -بتحقيقنا-: (ص٣٩٣).

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) في (س): فإن.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الزكاة، باب من جمع الصدقة وأعمال البر، رقم: (١٠٢٧-عبد الباقي).

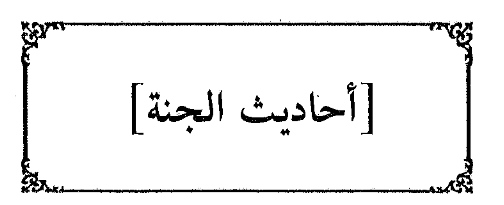
وأمَّا أبواب النار فذكرها الله في كتابه فقال: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر:٤٤]، ولم يرد في الحديث لها[1] ذِكْرٌ.

وقد انتدب المُتَكَلِّفُونَ - الذين لم يكن النبي منهم - إلى تَعْدَادِ أبواب الجنة وأبواب النار، وأحقُّ من اقتُدِيَ به النبي ﷺ، فلا ينبغي لأحد أن يتكلَّف ما ليس له به عِلْمٌ، ولا يُحَدِّثَ عن النبي ﷺ بما ليس له أَصْلٌ في النَّقْلِ.

وأمَّا أوصافها فقد تعدَّى الخَلْقُ عليها، ووضعوا الأحاديث فيها، ولم يراقبوا الله في ذلك، حتى سُطِّرَتْ أباطيلُها في الكُتُبِ، ورُوِيَتْ في المجالس، وقُرِئَتْ في المنابر.

* * * * *

(١) في (س): بها.



[أحاديث الجنة]

وها أنا أُهْدِي إليكم[(١)] ما صحَّ فيها حتى تكونوا على بَصِيرَةٍ في تصحيحه من ذلك فيها.

أمَّا الجَنَّةُ فالذي صحَّ فيها ستة أحاديث:

الأوَّل: حديث أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ، دُخْرًا؛ بَلْهَ ما أَطْلَعَكُم الله عليه، ومِصْدَاقُ ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٦ - ١٧]»[(٢)].

الثاني: عنه وعن أبي سعيد: «إن في الجنة شجرة يَسِيرُ الرَّاكِبُ الجَوَادُ المُضَمَّرُ السريع مائة عام لا[(٣)] يقطعها، اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة:٣٠]»[(٤)].

---

(١) في (س): لكم.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم: (٢٨٢٤-عبد الباقي).

(٣) في (س): ما.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها، رقم: (٢٨٢٨-عبد الباقي).

الثالث: روى سَهْلُ بن سعد عن النبي ﷺ: «إن أهل الجنة ليتراءون كما تراءون الكوكب الدُّري الغائر[١] في الأفق، من المشرق إلى المغرب[٢]، لتَفَاضُلِ ما بينهم، قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء، لا يبلغُها غيرُهم، قال: بلى، والذي نفسي بيده، رجالٌ آمنوا بالله وصدَّقوا المرسلين»[٣].

الرابع: رَوَى أَنَسٌ: «إنَّ في الجنة سُوقًا يأتونها كلَّ يوم جمعة، فتهبُّ رِيحُ الشِّمَالِ فتَحْثُوا في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حُسْنًا وجَمَالًا، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حُسْنًا وجَمَالًا، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حُسْنًا وجمالًا[٤]، فيقولون: وأنتم والله، لقد ازددتم بعدنا حُسْنًا»[٥].

الخامس: عن أبي هريرة: «من يدخل الجنة يَنْعُمُ ولا يَبْؤُسُ[٦]، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، وينادي مُنَادٍ عنه»[٧].

---

(١) في (ز): الغابر.

(٢) في (ص): والمغرب.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة أهلها ونعيمها، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف، رقم: (٢٨٣٠-عبد الباقي).

(٤) قوله: «فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حُسْنًا وجَمَالًا، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حُسْنًا وجمالًا» سقط من (س).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في سوق الجنة وما ينالون فيها من النعيم والجمال، رقم: (٢٨٣٣-عبد الباقي).

(٦) في (س): يبأس، ونبَّه الناسخ إلى أن في الأصل: يبؤُس، وأصلحها.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في دوام نعيم أهل الجنة، رقم: (٢٨٣٦-عبد الباقي).

١
[٦٠/أ]

وعن أبي سعيد: «إنَّ لكم عند الله أن تَصِحُّوا فلا تَسْقَمُوا أبدًا، وإنَّ لكم أن/ تَحْيَوا فلا تَمُوتُوا أبدًا، وإنَّ لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا، فذلك قوله: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:٤٢]»(١).

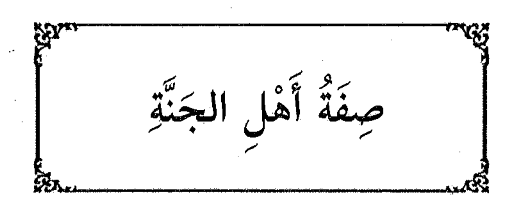
السَّادس: روى أبو موسى عن النبي ﷺ: «إن للمؤمن في الجنة لخيمةً من لؤلؤة واحدة مُجَوَّفَةٍ؛ طولها في السماء سِتُّونَ مِيلًا، وعرضها ستون مِيلًا، في كل زاوية منها أَهْلٌ للمؤمن لا يراهم الآخرون، يطوف عليهم المؤمن، لا يرى بعضُهم بَعْضًا»(٢).

* * * * *

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في دوام نعيم أهل الجنة، رقم: (٢٨٣٦-عبد الباقي).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفة خيام أهل الجنة، رقم: (٢٨٣٨-عبد الباقي).



صِفَةُ أَهْلِ الجَنَّةِ

الحديث الأوَّل: قال أبو هريرة: عن النبي ﷺ: «يدخل الجنة أَقْوَامٌ أفئدتهم مثلُ أفئدة الطَّيْرِ»(١).

قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي(٢) رضي الله عنه: هو معنى قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٩]، ولم يذكره مُفَسِّرٌ؛ فَاتَهُمْ بأجمعهم.

وفي الصحيح - واللفظ للبخاري -: قال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: «من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة(٣)، وصام رمضان؛ كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة، هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها، قالوا: يا رسول الله، أفلا تُنْبِئُ الناس بذلك؟ قال: إن في الجنة مائة درجة؛ أعدَّها الله للمجاهدين في سبيله، كلُّ درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أَوْسَطُ الجنة وأَعْلَى الجنة، وفوقه عَرْشُ الرحمن، ومنه تَفَجَّرُ أنهار الجنة»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير، رقم: (٢٨٤٠-عبد الباقي).

(٢) في (ص): قال القاضي الإمام العالم الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.

(٣) قوله: «وآتى الزكاة» سقط من (د) و(س) و(ز).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، رقم: (٢٧٩٠-طوق).

وذكر البخاري من طريق شَرِيكٍ في حديث الإسراء: «أنه رأى في السماء الدنيا نهرين يَطَّرِدَانِ، فقال: ما هذان يا جبريل؟ قال: النيل والفُرات؛ عُنْصُرُهُمَا، ثم مضى في السماء، فإذا هو بنَهْرٍ آخَرَ، عليه قَصْرٌ من لؤلؤ وزَبَرْجَدٍ، فضَرَبَ بيده فإذا هو مِسْكٌ أَذْفَرُ[(١)]، قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكَوْثَرُ الذي خبَّأ لك ربُّك»[(٢)].

وفي مسلم: «سَيْحَانُ وجَيْحَانُ والنِّيلُ والفُرَاتُ كلٌّ من أنهار الجنة»[(٣)]، وهذا[(٤)] الحديث **الثاني**.

الحديث الثالث[(٥)]: عنه عن النبي ﷺ قال: «خلق الله آدم على صورته؛ طوله ستون ذِرَاعًا، فلما خَلَقَه قال: اذهب إلى أولائك النَّفَرِ من الملائكة - وهم جلوس - فسَلِّمْ عليهم، فاستمع ما يُجيبونك، فإنها تحيتك، وتحية ذريتك، فذهب فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليكم

---

(١) قوله: «فقال: ما هذان يا جبريل؟ قال: النيل والفُرات؛ عُنْصُرُهُمَا، ثم مضى في السماء، فإذا هو بنَهْرٍ آخَرَ، عليه قَصْرٌ من لؤلؤ وزَبَرْجَدٍ، فضَرَبَ بيده فإذا هو مِسْكٌ إذفر» سقط من (ز).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: كتاب التوحيد، باب قوله: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾، رقم: (٧٥١٧-طوق).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب ما في الدنيا من أنهار الجنة، رقم: (٢٨٣٩-عبد الباقي).

(٤) في (د) و(ص) و(ز): هو.

(٥) في (ص): الحديث الثالث.

ورحمة الله، قال: فزادوه: ورحمة الله، قال: فكُلُّ من يدخل الجنة على صورة آدم وطُولِه؛ وطوله سِتُّونَ ذِرَاعًا، فلم يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ[١] إلى الآن»[٢].

الرَّابِعُ: عن محمد بن سيرين قال: «إمَّا تفاخروا وإمَّا تذاكروا معي، الرجال والنساء أيهم أكثرُ في الجنة؟ فاختصموا عند أبي هريرة فسألوه، فقال أبو هريرة: ألم يقل أبو القاسم - وفي رواية: قال رسول الله ﷺ -، ودخل فيه بعض حديث جابر[٣]، قال رسول الله/ ﷺ: أَوَّلُ زُمْرَةٍ تدخل [٦٠/ب] الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوأ أو على[٤] أشد كوكب دُرِّيٍّ إضاءةً في السماء، وهُمْ بعد ذلك منازل؛ يأكلون ويشربون، ولا يبولون ولا يتغوطون، ولا يبزقون ولا يَمْتَخِطُون، - ولا يتفلون[٥] في رواية -، قلت: فما بالُ أو حالُ أو مآل طعامهم؟ قال جُشَاءٌ[٦] ورِيحٌ كريح المِسْكِ، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألُوَّة، وأزواجهم الحورُ العين، أخلاقهم على خَلْقِ رجل واحد، على صورة أبيهم آدم؛ ستون ذراعًا في السماء، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبُهم قَلْبٌ واحد، يُلْهَمُون

---

(١) سقطت من (س).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير، رقم: (٢٨٤١-عبد الباقي).

(٣) قوله: «قال رسول الله ﷺ، ودخل فيه بعض حديث جابر» سقط من (د).

(٤) سقط من (س).

(٥) في (س) و(د): يفتلون.

(٦) في (س): جَشًى.

التسبيح والتحميد كما يُلْهَمُون النَّفَسَ، لكل واحد منهم زوجتان من الحور العين؛ يُرَى مُخُّ ساقها من وراء اللحم من الحُسْنِ، وما في الجنة عَزَبٌ»[١].

زاد غيره[٢]: «يُسَبِّحُون الله بُكْرَةً وعَشِيًّا»[٣]، صحيح.

[نساءُ الدنيا ورِجَالُها أيهما أكثر في الجنة؟]

قال الإمام أبو بكر[٤]: وفي هذا الحديث من المَعْنَى أنه نَفَى قواذف البدن في الدنيا، إلَّا الجُشاء والعرق، وليس في هذا الحديث لكثرة النساء حُجَّةٌ، ولا لقلتهن، لأن القوم لم يختلفوا في جِنْسِ النساء، إنما اختلفوا في نَوْعٍ من الجنس؛ وهو نساء الدنيا ورجالها، أيهما أكثر في الجنة؟ فإن كانوا اختلفوا في المعنى الأوَّل وهو جِنْسُ النساء مُطْلَقًا، فحديث أبي هريرة حجة، وإن كانوا اختلفوا في نَوْعٍ من الجنس، وهم أهل الدنيا، فالنساء في الجنة أقل.

روى أسامة عن النبي عليه السلام - في البخاري - أنه قال: «قمتُ على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين، وأصحاب الجَدِّ[٥]

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، رقم: (٢٨٣٤-عبد الباقي).

(٢) قوله: «زاد غيره» سقط من (س)، وفي (د): زاد لبعضهم.

(٣) أخرجها البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة أنها مخلوقة، رقم: (٣٢٤٥-طوق).

(٤) في (ص): قال القاضي الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي ﷺ، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي ﷺ.

(٥) أصحاب الجد: أي: ذَوُو الحظ والغنى في الدنيا، تاج العروس: (٧/٤٧٣).

محبوسون، غير أن أصحاب النار قد أُمر بهم إلى النار، وقُمْتُ على باب النار فإذا عامَّة من دخلها النساء»[١].

وفي حديث الكسوف الصحيح أنه قال: «اطَّلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء، فقيل: يكفرن[٢]، قال[٣]: يكفرن الإحسان، ويكفرن العشير، لو أحسنتَ إلى إحداهن الدهر كله ثم أسأت إليهن يومًا واحدًا قالت: ما رأيت منك خيرًا قط»[٤].

وفي صحيح[٥] مسلم: عن عمران بن حُصَيْنٍ: قال رسول الله ﷺ: «إن أقل ساكني الجنة النساء»[٦].

وصحَّ عن النبي وحَسُنَ من طريق حكيم بن معاوية عن أبيه: أن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة بحر الماء، وبحر اللبن، وبحر الخمر، ثم تَشَقَّقُ الأنهار بعده»[٧].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب النكاح، بابٌ، رقم: (٥١٩٦-طوق).

(٢) في (ص): بكفرهن.

(٣) سقطت من (س).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما: كتاب النكاح، باب كفران العشير، رقم: (٥١٩٧-طوق).

(٥) فوقه في (س) و(د): بخطه.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن عمران بن حصين رضي الله عنه: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، رقم: (٢٧٣٨-عبد الباقي).

(٧) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الجنة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في صفة أنهار الجنة، رقم: (٢٥٧١-بشار).

وفي الصحيح[١]: «إن أدنى أهل الجنة منزلةً من يُؤْتَى مِثْلَ الدنيا وعشرة أمثالها معها، وهم الجهنميون، أو من[٢] الجهنميين»[٣].

وعن عبد الله – واللفظ للبخاري –: «آخرُ أهل النار خروجًا منها، وآخرُ أهل الجنة دخولًا؛ رَجُلٌ يخرج من النار حَبْوًا، فيؤتى مثل الدنيا وعشرة أمثالها»[٤]، وذَكَرَ الحديث.

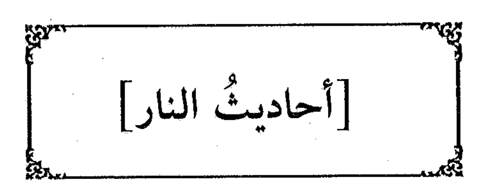
فهذه أحاديث الجنة الصِّحَاحُ سِتَّةٌ، وقد زاد الخلق فيها ما لا يرضاه الله، منه[٥] ضعيف، وهو أقله، ومنه باطل، وهو كثيرٌ/. ١ [٦١/أ]

ولمَّا كان لا يُحْصِي الباطل إلَّا الذي خلقه أعرضنا عنه، فاقتَصِرُوا على الصحيح واعتمدوا عليه، فإن الحديث الأوَّل وتفسيره يأتي على كل حديث صحيح وباطل.

وتحقيق هذا الكلام النفيس: أنَّ كل حديث باطل وضعه الجُهَّال أو المُلْحِدة للترغيب في الجنة قد خطر بالبال؛ فنسبه إلى النبي المُلْحِدَةُ والجهَّال، وقد أخبر الله تعالى أن فيها ما لم يخطر على قَلْبِ بَشَرٍ، فافهموا هذا، فإن فَهْمَه خَيْرٌ من الدنيا بحذافيرها، نفعنا[٦] الله برحمته.

---

(١) في (ص): الحديث الصحيح.
(٢) سقطت من (س).
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري ﷺ: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم: (١٨٨–عبد الباقي).
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم: (٦٥٧١–طوق).
(٥) سقطت من (د).
(٦) في (س): نفعني.



[أحاديثُ النار]

وأمَّا النار؛ فالذي صحَّ فيها أيضًا أربعةُ أحاديث.

الأوَّل: قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم لها يومئذ سبعون ألف زِمَامٍ، مع كلِّ زِمَامٍ سبعون ألف مَلَكٍ يَجُرُّونَها»(١).

الثاني: عنه: قال رسول الله ﷺ: «ناركم هذه التي تُوقِدُون جُزْءٌ من سبعين جُزْءًا من نار جهنم، قالوا: يا رسول الله، والله إن كَانَتْ لكافية، قال: فإنها فُضِّلَتْ عليها بتسعة وستين جُزْءًا، كلُّها مِثْلُ حَرِّهَا»(٢).

الثالث: عنه قال: «كنا مع النبي عليه السلام إذ سمع وَجْبَةً، قال النبي: أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا حَجَرٌ رُمِيَ في النار منذ سبعين خريفًا، فهو يَهْوِي في النَّار حتى الآن انتهى إلى قَعْرِهَا»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر جهنم، رقم: (٢٨٤٢-عبد الباقي).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم، رقم: (٢٨٤٣-عبد الباقي).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم، رقم: (٢٨٤٤-عبد الباقي).

تنويع عذابها

قال سَمُرَةُ: إنه[١] سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقول: «إن منهم من تأخذه النار إلى كَعْبَيْه، ومنهم من تأخذه النار إلى حُجْزَتِه[٢]، ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه»[٣].

وفي رواية: «تَرْقُوَّتِه»، ومكان حُجْزَته: «حَقْوَيْه»[٤]، وسيأتي بقية الباب بعدُ إن شاء الله.

* * * * *

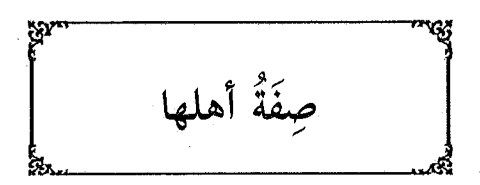
---

(١) سقطت من (س).

(٢) في (ص) و(س) و(د): حجرته.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم، رقم: (٢٨٤٥-عبد الباقي).

(٤) صحيح مسلم: (٤/٢١٨٥-عبد الباقي).



صِفَةُ أهلها

ثمانية أحاديث:

الأوَّل: قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «احتجَّت الجنة والنار، فقالت النار: ما لي[1] أُوثِرْتُ بالجبَّارين والمتكبِّرين؟ وقالت: الجنة لا يدخلها إلا الضعفاء والمساكين، ضعفاءُ الناس وسَقَطُهم وعُجَّزُهم[2] وغِرَّتُهم[3]، فقال للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها، فأمَّا النار فلن تمتلئ حتى يضع الجبَّار فيها قدمه، فتقول: قَطْ قَطْ قَطْ، بعزتك وكرمك، ويُزْوَى بعضُها إلى بعض»[4].

قال البخاري: «أنت رحمتي وأنت عذابي، ولكل واحدة منكما ملؤها[5]، فأمَّا الجنة فإن الله لا يظلم من خلقه أحدًا، وإنه ليُنشئ[6] للنار من شاء، فيُلْقَوْنَ فيها، فتقول: هل من مزيد؟ ويلقون فيها وتقول: هل من مزيد

---

(١) قوله: «ما لي» سقط من (د).

(٢) سقطت من (س).

(٣) في (ص) و(ز): غَرَثهم.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، رقم: (٢٨٤٦-عبد الباقي).

(٥) في (ص) و(د): بمثله.

(٦) في (ص): ينشئ.

- ثلاثًا - ؟ حتى يضع الجبَّار قَدَمَه فيها، فتمتلئ ويُرَدُّ بعضها إلى بعض فتقول: قَطِ قَطِ قَطِ، وتبقى الجنة ما شاء الله أن تبقى، ثم يُنشئ الله لها خَلْقًا ممَّا يشاء، ولا يزال في الجنة فَضْلٌ حتى يُنشئ الله لها خلقًا فيُسْكِنُهم فَضْلَ[١] الجنة»[٢].

١ [٦١/ب]

الثاني: قال حارثة بن وهب[٣]: قال رسول الله ﷺ: «ضِرْسُ الكافر أو نابُ الكافر مثلُ أُحُدٍ، وغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثلاثة أيام للراكب/ المُسْرِعِ»[٤].

وفي رواية: «ما بين مَنْكِبَي الكافر مسيرةُ ثلاثة أيام»[٥].

الثالث: قال حارثةُ بن وهب: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ قالوا: بلى، قال: كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره، ثم قال: ألا أخبركم بأهل النار؟ قالوا: بلى، قال: كل عُتُلٍّ جَوَّاظٍ زَنِيمٍ مُسْتَكْبِرٍ»[٦].

---

(١) سقطت من (س).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: كتاب التوحيد، قَوْلُ الله تعالى: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾، رقم: (٧٣٨٤-طوق).

(٣) في (د) و(ص) و(ز): أبو هريرة.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبَّارون، رقم: (٢٨٥١-عبد الباقي).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، رقم: (٢٨٥٢-عبد الباقي).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، رقم: (٢٨٥٣-عبد الباقي).

وفي رواية: «متكبر»[١].

الرابع: أبو هريرة[٢]: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رأيت عَمْرَو بن لُحَي يَجُرُّ قُصْبَهُ في النار، وهو أوَّل من سَيَّبَ السَّوَائِبَ»[٣].

الخامس: أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما؛ قَوْمٌ معهم سياطٌ كأذناب البقر، يضربون بها الناس، يَغْدُونَ في سَخَطِ الله ويَرُوحُونَ في لَعْنَتِه، ونساءٌ كاسيات عاريات، مائلات مُمِيلات، رؤوسهن كأسنمة البُخْتِ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن[٤] ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا»[٥].

السَّادس: قال أنس[٦] - في حديث الشفاعة -: «ويُحَرِّمُ الله صُوَرَهُم على النار، وبعضهم قد غاب في النار إلى قدميه، أو[٧] إلى أنصاف ساقيه، فيُخْرِجون من عرفوا»[٨].

---

(١) صحيح مسلم: (٤/٢١٩٠-عبد الباقي).

(٢) بعده في (ص): عنه.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، رقم: (٢٨٥٦-عبد الباقي).

(٤) في (س): يجدون.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، رقم: (٢١٢٨-عبد الباقي).

(٦) في (ص): قال النبي ﷺ.

(٧) سقط من (س).

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم: (١٨٣-عبد الباقي).

السَّابع: «أدنى أهل النار عذابًا رَجُلٌ يُجْعَلُ في ضَحْضَاحٍ من نار، ويُحْذَى[١] نعلين من نار تغلي منهما[٢] أم دماغُه»[٣].

ولعله أبو طالب عمُّه، فقد رُوي فيه مثلُ هذا.

قال الإمام أبو بكر[٤]: وهذه أحاديث النار الصحاح، وماذا يطلب العاقل لنفسه بعد عذاب النار، أن[٥] لو كانت قَدْرَ نار الدنيا، لقد ضلَّ عنها[٦] من يخترع زيادة وَعْدٍ أو[٧] وَعِيدٍ، وإنَّ بعض ما ذُكِرَ منها لشديدٌ.

الثامن[٨]: قال عبد الله بن عمر: قال رسول الله ﷺ: «إذا صار أهل الجنة في الجنة، وصار أهل النار في النار - وذَكَرَ حديثًا هو ذَبْحُ الموت -، ثم يقوم بينهم مؤذنٌ فيقول: يا أهل الجنة، خُلُودٌ لا موت، ويا أهل النار، خُلُودٌ لا موت، كُلٌّ خالدٌ فيما هو فيه»[٩].

---

(١) في (ص): أو يحذى.

(٢) في (س): منها.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما: كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذابًا، رقم: (٢١١-عبد الباقي).

(٤) في (ص): قال الإمام القاضي الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي رضي الله عنه.

(٥) سقطت من (س).

(٦) سقطت من (س) و(د).

(٧) في (س) و(د): و.

(٨) في (س): الثاني.

(٩) تقدَّم تخريجه.

قال الإمام أبو بكر[١] رضي الله عنه: فهذا أَوَّلُ الحديث وآخِرُه، فكلٌّ مُفَصَّلٌ متشابهٌ مُحْكَمٌ، وخَبَرٌ مُطَوَّلٌ، وهو الإشارة إلى تفسير قوله سبحانه: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾ [آل عمران:١٩١]، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر:٨٥]، وقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المومنون:١١٦]، حسبما أوضحناه في «أنوار الفَجْرِ».

* * * * *

(١) في (ص): قال القاضي الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي رضي الله عنه.

آخِرُ السِّفْرِ الأَوَّل من كتاب «سراج المريدين في سبيل الدين» للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، ضبط نصَّه وخرَّج أحاديثه ووثَّق نقوله وصنع فهارسه وترجم لأعلامه وقدَّم له الدكتور عبد الله بن عبد السَّلام بن عبد الله بن محمد بن التِّهامي المصمودي التَّوْرَاتي القَصْرِي، عفا الله عنه وعن آبائه، وذلك في شهر رمضان المعظَّم من عام ١٤٣٦هـ، بتِطَّاوْن - حرسها الله تعالى - قاعدة شمال المغرب الأقصى، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد، وعلى أزواجه وذريته، وأصحابه المُعَدَّلِينَ، ومن تبعهم من الصَّالحين، والحمدُ لله رب العالمين.



فهرس الموضوعات

فاتحة السراج ٥
مقـدمـة ١١
فوائد الكتاب المختصة به ١٤
المقام الأوَّل: الحياة الدنيا ١٥
[كائنة استباحة بيت المقدس]: ١٩
تنبيه: ٢٠
[تَقْسِيمُ الدنيا]: ٢٢
إيضاحٌ: ٢٣
[التَّمْكِينُ من الدنيا وملكها]: ٢٤
تمثيل: [في تولية يوسف عليه السَّلام على خزائن الأرض] ٢٥
[أَسْبَابُ قَبُولِ ابنِ العربي القضاء]: ٢٦
[تَتِمَّةُ الحديث عن طلب سليمان المُلْكَ]: ٢٨
معذرة: [في شرائط رواية الإسرائيليات] ٣٤
[الخصائص النبوية]: ٣٨
ذِكْرُ حال الصحابة معه وبعده: ٤١
تتميمٌ: ٤٧
[تعارضُ أمر الدنيا والآخرة]: ٤٨
تَفْصِيلٌ: ٤٩
الانتقال الأوَّل ٥٠
الحالة الأولى: ٥٠

خِصِّيصَةٌ: ٥١
الحالة الثانية: ٥٣
الحالة الثالثة: ٥٥
الحالة الرابعة: ٥٦
الحالة الخامسة: ٥٦
الحالة السَّادسة: ٥٧
الحالة السَّابعة: ٥٨
الحالة الثامنة: ٥٩
الحالة التاسعة: [مُلَازَمَةُ المدارس والرِّبَاطَاتِ] ٦٠
[وَصْفُ مَكَّةَ المُعَظَّمَةِ]: ٦١
[إِنْشَادٌ لأبي الفضل الجوهري لمَّا رأى الكعبة المُشَرَّفَةَ]: ٦٢
تنبيه: ٦٤
الانتقال الثاني ٦٥
[مُعْضِلَةٌ: في تَرْكِ الفقراء إلى الولاة أو مواساتهم بمالٍ آخَرَ] ٦٧
استدراك: [لا يَحِلُّ للأغنياء إهمالُ الفقراء] ٦٨
[مسألة: هل يَحْبِسُ بَعْضَ مَالِ الزكاة عن الوالي لمن يحتاج إليه؟] ٦٩
[مسألة: إذا لم تَفِ الزكاة بحقوق الفقراء] ٦٩
[مسألة: إذا أذهبت الجوائح محل الزكوات] ٧٠
[مواساة ابن العربي للفقراء في أعوام المجاعة]: ٧١
تَبْيِينٌ: [هل تَلْزَمُ المُسَاوَاةُ في المُوَاسَاةِ؟] ٧١
فِقْهٌ: [مُقام ابن العربي في أَيْلَانَ أَيَّام المجاعة]: ٧٢
[رؤيا لابن العربي في شأن المواساة]: ٧٢
كيفية المعاش ٧٩

[الموازنة بين أهل الأندلس وأهل المشرق في العطاء والبذل]: ٨٢
[سيرةُ ابن العربي وشيخه الطُّرْطُوشي ببيت المقدس]: ٨٣
تركيب: [في التعلق بالمعاش] ٨٤
كيفية اللباس...٨٦
[ما يجزئ من اللباس]: ٨٧
[صِفَةُ اللباس]: ٨٧
[اتخاذُ الصوفية المُرَقَّعَةَ شعارًا]: ٨٩
[لُبْسُ جيِّدِ الثياب]: ٩٠
[التوسط في جودة الثياب]: ٩١
[رَفِيعُ الثياب]: ٩٢
الاِسْتِفْرَاشُ ٩٤
المهنة: ٩٥
[تَجَمُّلُ الزُّهَّادِ لصَلَاتِهِمْ]: ٩٧
الإسراف فيه: ٩٧
[رَقِيقُ القُمُصِ]: ٩٨
الألـوان...٩٩
الأوَّل: البياض ٩٩
[الثاني]: الأحمر...٩٩
[لُبْسُ ابن العربي لبُرْنُسٍ أحمرَ]: ١٠٠
[الثالث]: الأخضر ١٠١
[الرابع]: الأسود...١٠١
[تَنْزِيهُ رسول الله ﷺ عن الدَّنَسِ والعَرَقِ]: ١٠٢
[الخامس]: الأصفر..١٠٧

[لَوْنُ لباس أهل الأندلس]: ١٠٨
[الثَّنَاءُ على الصوفية]: ١١٣
الفَرْوُ: ١١٧
الجُبَّةُ: ١١٧
الكُمُّ: ١١٨
الخُفُّ: ١١٩
المِرْطُ: ١٢٠
الحِبَرَةُ: ١٢٠
لباسُ المرأة: ١٢٠
[مَسْأَلَةٌ في جواز جلوس الرجل على حرير زوجه]: ١٢٢
الهَيْئَةُ ١٢٥
الخصلة الأولى: قَصُّ الشارب ١٢٨
الخصلة الثانية: تَرْكُ اللحية على هيئتها........................ ١٢٨
الخصلة الثالثة: السِّوَاكُ........................ ١٢٩
الخصلة الرابعة والخامسة: المضمضة والاستنشاق ١٣٠
الخصلة السَّادسة: قَصُّ الأظفار ١٣١
الخصلة السَّابعة: الاستحداد........................ ١٣١
الخصلة الثامنة: غسل البراجم........................ ١٣١
الخصلة التاسعة: نَتْفُ الإِبْطِ ١٣١
الخصلة العاشرة: الاستحداد ١٣٢
كيفية الطعام ١٣٦
[الخُبْزُ]: ١٣٦
اللَّحْمُ: ١٣٨

الثَّرِيدُ: ١٣٩
المَـرَقَـةُ: ١٤٠
اللَّـبَنُ: ١٤٠
السَّمْنُ: ١٤١
الخَلُّ: ١٤٢
التَّمْـرُ: ١٤٢
الإِدَامُ: ١٤٣
الفاكهة: ١٤٤
الحَلْوَاءُ والعَسَلُ: ١٤٤
الخَضِرَاتُ: ١٤٥
[آدَابُ الأكل] ١٤٧
الفصل الأوَّل: ١٤٧
الفصل الثاني: في آداب حالة الأكل ١٥٣
الفصل الثالث: في آداب الشراب ١٥٧
الفصل الرَّابع: في آداب الفراغ ١٥٩
الفصل الخامس: في آداب طعام الجماعة ١٦١
النَّـعِيمُ ١٦٧
تَتْمِيمٌ: [في دُخُولِ الحمَّام وشروطه] ١٦٩
النِّكَاحُ ١٧١
[قَوْلُ الشَّافِعِي: إن التخلي للعبادة أفضل من النكاح]: ١٧٤
انفصال: [في نقد قول الشافعي] ١٧٥
[الوَصَاةُ بالنساء]: ١٧٨
خاتمة: ١٧٩

مقاصد النكاح عشرة: ١٧٩
[رؤيا الأنبياء]: ١٨١
[حقوقُ الزوجيَّة]: ١٨٥
[حَقُّ الوَطْءِ]: ١٨٦
[من حقوق الزوج على زوجته]: ١٨٦
[النَّهْيُ عن ضرب المرأة وإهانتها]: ١٨٨
نكتة عظيمة: [في قدرة سليمان ومُحَمَّدٍ عليهما السَّلام على الجِماع] ١٨٨
تكملة: [في التَّدَاوِي] ١٩٦
جوازُ التَّطَبُّبِ: ١٩٧
طُرُقُ التَّطَبُّبِ: ١٩٨
الأولى: ألبان الإبل.. ٢٠١
الثانية: أبوالها ٢٠١
الثالثة: الحبة السوداء.. ٢٠١
الرابعة: التَّلْبِينَةُ ٢٠٢
الخامسة: السَّعُوطُ ٢٠٣
السَّادسة: العود الهندي.. ٢٠٣
السَّابعة: الكَمْأَةُ.. ٢٠٣
الثامنة: ٢٠٣
الماء:.. ٢٠٤
العسل: ٢٠٤
الكَـيُّ:.. ٢٠٥
الزيت: ٢٠٥
تتميم: ٢٠٦

[أحوالُ المريض]: ٢٠٨
[ابتلاءُ أيوب عليه السَّلام]: ٢٠٨
ذِكْرَى في حال الأنبياء ٢١١
[التَّحْذِيرُ من الاغترار بالإسرائيليات]: ٢١٢
[التفصيلُ فيما نُسِبَ إلى أيوب عليه السَّلام]: ٢١٢
[ما ورد من الأقوال في معنى قول أَيُّوبَ: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾]: ٢١٦
[شَرَائِطُ رواية الإسرائيليات]: ٢٢٤
ذِكْرُ مُحَمَّدٍ ﷺ: ٢٢٥
قُدْوَةٌ: ٢٢٧
شَرْطُ التداوي: ٢٣٠
تدريج: ٢٣١
المقام الثاني: وهو الموت ٢٣٣
الأوَّل: حالة القبض ٢٣٦
تفصيل: ٢٣٨
سَكَرَاتُ الموت: ٢٤٥
[نُسَخُ جامع الترمذي]: ٢٤٧
[كيفية قبض الروح]: ٢٤٩
[الحالة الثانية: احتمال الميت إلى مدفنه] ٢٥٢
[الوَصَاةُ بالأحاديث الصحيحة وتجنب الأباطيل والمنكرات]: ٢٥٢
[القَوْلُ في الشهداء]: ٢٥٣
[إشكالات والجواب عنها]: ٢٥٨
البيانُ: ٢٦١
مُفَاوَضَةٌ: [في عذاب القبر] ٢٦٢

الإشكال الخامس: ٢٦٧
الإشكال السَّادس: ٢٦٨
الإشكال السَّابع: ٢٦٨
تحقيق: ٢٧١
خِصِّيصَةٌ: ٢٧٥
[المقامُ الثالث: البَعْثُ والنُّشُورُ] ٢٧٩
[أَشْرَاطُ السَّاعة ومُقَدِّمَاتُهَا] ٢٨٣
[أسماء الساعة وصفتها] ٢٩٩
الاسم الأوَّل: السَّاعة ٣٠٢
الاسم الثاني: القيامة ٣٠٤
الاسم الثالث: البَعْثُ ٣١٠
[الاسم الرَّابع: النُّشُورُ] ٣١٣
الاسم الخامس: الحَشْرُ ٣١٤
الاسم السَّادس: العَرْضُ ٣١٨
[كيفية العرض]: ٣١٩
يومُ الجَمْع: وهو الاسمُ السَّابع ٣٢٦
[الاسم الثامن: يَوْمُ الفَرْقِ] ٣٢٧
البَعْثَرَةُ: وهو الاسم التَّاسع ٣٢٩
[الشفاعة]: ٣٣٣
يَوْمُ الفَزَع: وهو الاسمُ العاشر ٣٣٦
يوم تُوَلُّون مُدْبِرِينَ: وهو الاسم الثالث عشر ٣٤٤
يوم النداء: وهو الاسم الرابع عشر ٣٤٦
الدعاء: وهو الاسم الخامس عشر ٣٤٧

الواقعة: وهو الاسمُ الثامن عشر ٣٥٧
التاسع عَشَرَ والمُوَفِّي عِشْرِينَ: [الخافضةُ الرَّافعةُ] ٣٦٠
[معاني الرفع والخفض]: ٣٦٠
يَوْمُ الحِسَابِ: وهو الاسم الحادي والعشرون ٣٦٣
يوم السؤال: وهو الاسم الثاني والعشرون ٣٦٦
يَوْمُ الشَّهَادَةِ: وهو الاسمُ الثالث والعشرون ٣٦٩
القِصَاصُ بين الخلق: وهو الاسمُ الرابع والعشرون ٣٧١
الحاقَّةُ: وهو الاسم الخامسُ والعشرون ٣٧٣
الطَّامَّةُ: وهو الاسمُ السَّادس والعشرون ٣٧٤
الصَّاخَّةُ: وهو الاسمُ السَّابع والعشرون ٣٧٥
[وفاةُ الفقيه أبي محمد ابن العربي]: ٣٧٥
[صَيْحَةُ القيامة]: ٣٧٦
يَوْمُ الوَعِيدِ: وهو الاسمُ الثامن والعشرون ٣٧٧
يَوْمُ الدِّينِ: وهو الاسمُ التَّاسعُ والعشرون ٣٨٠
يوم الجزاء: وهو الاسمُ المُوَفِّي ثلاثين ٣٨١
يوم الندامة: وهو الاسم الحادي والثلاثون ٣٨٢
يَوْمُ الحَسْرَةِ: وهو الاسمُ الثاني والثلاثون ٣٨٣
يوم التَّبْدِيلِ: وهو الاسمُ الثالث والثلاثون ٣٨٤
الاسمُ الرَّابعُ والثَّلاثون: يَوْمُ التَّلَاقِي ٣٨٧
[مناظرة مع ابن عقيل في مجلس ابن جَهِير]: ٣٨٩
يوم الآزفة: وهو الاسم الخامس والثلاثون ٣٩١
يَوْمُ المَئَابِ: وهو الاسمُ السَّادس والثلاثون ٣٩٢
يوم القضاء: وهو الاسمُ السَّابع والثلاثون ٣٩٣

الحُكْمُ والفَصْلُ: وهُمَا الاسمُ الثامن والثلاثون والتاسع والثلاثون ٣٩٤
يَوْمُ الوَزْنِ: وهو الاسم المُوَفِّي أربعين ٣٩٦
يَوْمٌ عَقِيمٌ: وهو الاسم الواحد والأربعون ٣٩٨
يومُ المصير: وهو الاسم الثاني والأربعون ٣٩٩
[يوم عَسِيرٌ]: وهو الاسم الثالث والأربعون ٤٠٠
يَوْمٌ مَشْهُودٌ: وهو الاسم الرابع والأربعون ٤٠١
يوم التغابن: وهو الاسم الخامس والأربعون ٤٠٢
يوم عَبُوسٌ قَمْطَرِيرٌ: وهو الاسمُ السَّادس والسَّابع والأربعون ٤٠٣
الاسمُ الثامن والأربعون والتاسع والأربعون ٤٠٥
يوم تُبْلَى السَّرَائِرُ: وهو الاسمُ المُوَفِّي خمسين ٤٠٦
يوم لا تملك نفسٌ لنفس شيئًا: وهو الاسمُ الحادي والخمسون ٤٠٨
[يوم يُدْفَعُون في النار: وهو الاسم الثاني والخمسون] ٤٠٩
[الاسم الثالث والخمسون والرابع والخمسون] ٤١٠
لم تنفعهم معذرتهم: وهو الاسم [الخامس] والخمسون ٤١١
يوم لا يَكْتُمُون الله حديثًا: وهو الاسمُ [السَّادس] والخمسون ٤١٢
[المقام الرابع: الجنة أو النار] ٤١٧
[أحاديث الجنة] ٤٢١
صِفَةُ أَهْلِ الجَنَّةِ ٤٢٤
[نساءُ الدنيا ورِجَالُها أيهما أكثر في الجنة؟] ٤٢٧
[أحاديثُ النار] ٤٣٠
تنويع عذابها ٤٣١
صِفَةُ أهلها ٤٣٢
فهرس الموضوعات ٤٣٩

سلسلة مؤلفات الإمام
أبي بكر ابن العربي (٤)

أعلاق أندلسية
إشبيلية (٤)

سراج المريدين في سبيل الدين

لاستنارة الأسماء والصفات في المقامات والحالات
الدينية والدنيوية بالأدلة العقلية والشرعية القرآنية والسنية
وهو القسم الرابع من علوم القرآن في التذكير

إملاء

إمام الأئمة وزين الملة الفقيه الحافظ النظار
أبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد ابن العربي المعافري الإشبيلي
المتوفى سنة ٥٤٣هـ

ضبط نصه وخرج أحاديثه ووثق نقوله
الدكتور عبد الله التوراتي

السفر الثاني

دار الحديث الكتانية





اسْتِطْرَادٌ: وهو البابُ الثَّاني من الكِتَابِ

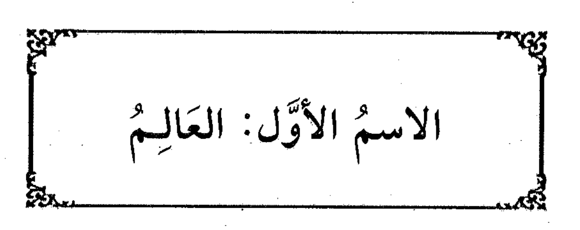
وهذه المقامات للعِبَادِ فيها أسماءٌ وصفاتٌ، يتجلَّى[١] كلُّ واحد منهم فيها، ويتسمَّى باعتقاده وفِعْلِه، ويتحلَّى[٢] في نعوتها، كثيرٌ عددُها، بعيدٌ أمدُها، بها يَتَعَرَّفُ، وعليها يَحْكُمُ، وإلى مقتضاها يصيرُ[٣] آخِرًا، حسب ما تفسَّر في «المقامات»/. [٦٢/أ]

* * * * *

(١) في (ص) و(د): يتحلى.

(٢) في (ص): يتجلى.

(٣) في (د): يسير.



الاسمُ الأوَّل: العَالِمُ

قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي ﷺ: هذا أَوَّلُ أسمائه وأَوْلَاهَا به، فإن الله خَلَقَه حَيًّا مُدْرِكًا، وأخرجه من بَطْنِ أُمِّه كما قال: «لا يعلم شيئًا»، ثم علَّمه ما لم يكن يعلم، وكان فضلُ الله عليه عظيمًا.

وقد أرادت المُلْحِدَةُ أن تجعل العِلْمَ معنًى مجهولًا أو خَفِيًّا، فسَأَلَتْ عنه سؤال الباحث عن حقيقته ليُغْمِضُوه، حتى إذا شكَّكُوا الخَلْقَ في العِلْمِ لم يَبْقَ لهم بعده ما يتعلَّقون به ولا ينظرون فيه، وسَاوَرَتْهُم[1] على ذلك القَدَرِيَّةُ لموافقتهم لهم في قَصْدِ إضلال الخَلْقِ والتَّلْبِيسِ على العباد، وساعدتهم طائفةُ علمائنا المتكلمين[2]؛ على المجادلة في ذلك والتَّبْيِينِ له، فأدخلُوا الاسم في سُوقِ الخلاف، ومن أين يزول الإشكال إذا[3] زَهَقُوا به عن درجات البيان[4]؟

ولئن احتاج العِلْمُ إلى بَيَانٍ ودَلِيلٍ، وتطرَّقت إليه أَسْوِلَةٌ تَقْتَضِي أَجْوِبَةً؛ ليَذْهَبَنَّ الحقُّ، وليُعْدَمَنَّ البيانُ، فلا تلتفتوا إلى

---

(١) في (د): ساوتهم.

(٢) في (ص): المتكلمون.

(٣) قوله: «المتكلمين على المجادلة في ذلك والتبيين له، فأدخلوا الاسم في سوق الخلاف، ومن أين يزول الإشكال إذا» سقط من (د).

(٤) ينظر: العواصم من القواصم: (ص٢٩)، والأوسط لأبي المظفر: (١/ق١٦/أ).

مقالتهم لِيتًا، ويَكْفِيكُم[١] في بيان العِلْمِ علمُكم بأنفسكم، ويكفيكم في شَرَفِه أمران:

أحدُهما: أنه صفة الربِّ التي ينشأ عنها كلُّ فِعْلٍ.

والثاني: أنه مُقَدِّمَةٌ لكل معنى دنيوي وأخروي، ومن خَلَا عنه هَلَكَ في أمور دُنياه ففاتته وتَشَعَّبَتْ عليه، ومن فاتته في معاني آخِرَته كَفَرَ ولم يَعْلَمْ، وعصى ولم يَشْعُرْ.

قال الفقراء: «ما عُصِيَ الله بأَعْظَمَ من الجَهْلِ، والجَهْلُ بالجَهْلِ أشدُّ من الجَهْلِ»[٢].

وفي مثله أَتْقَنَ بعضُ حكماء النَّظْمِ فقال[٣]:

إذا لَمْ تَكُنْ تَدْرِي ولَمْ تَكُ بالذِي ... يُسَائِلُ مَنْ يَدْرِي فكَيْفَ إِذًا تَدْرِي

ومن عَجَبِ الأَيَّامِ أنَّك لا تَدْرِي ... وأنَّك لا تَدْرِي بأنَّك لا تَدْرِي

جَهِلْتَ ولم تَعْلَمْ بأنَّك جَاهِلٌ ... فكُنْ هَكَذَا أَرْضًا يَطَاكَ الذي يَدْرِي[٤]

وقد خصَّ الله قَوْمًا بالعلم دون قَوْمٍ، وأَمَرَ من لم يعلم أن يسأل من عَلِمَ، والعِلْمُ المطلوب هو المذكور في كتاب الله.

وأصلُه: العِلْمُ بالله وصفاته، وسُنَّتِه وأَحْكَامِه وشَرَائِعِه، وهو مُبَيَّنٌ لكم في هذا الكتاب، مُقَدِّمَة لما بين يديه ومن خَلْفِه إن شاء الله.

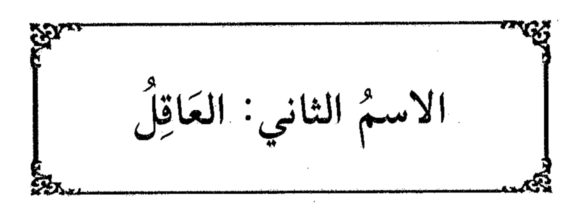
---

(١) في (د): يكفيهم.

(٢) قوت القلوب: (٣/١٣٦٠)، والإحياء لأبي حامد: (ص١٧٣٨).

(٣) الأبيات من الطويل، وهي لأبي القاسم الآمِدي، في أدب الدنيا والدين للماوردي: (ص٧٦)، وزاد فيها بيتًا آخر، ورتَّبها ترتيبًا آخر.

(٤) سقط البيت الأخير من (ص).



الاسمُ الثاني: العَاقِلُ

اعلَمُوا - مَعْشَرَ المُرِيدِينَ - أنهم كما فَعَلُوا في العِلْمِ كذلك فَعَلُوا في العَقْلِ، وعَقَدُوا فيه وفي العِلْمِ عبارات يَكْثُرُ عددُها، وتتبَّعوها بالاعتراض، ونقَّحُوها بزعمهم ولقَّحُوها، فخَلَطُوها ولَطَّخُوها، وتَخطَّوْها وتَرَكُوها وراءهم، وهم يطلبونها أمامهم؛ جَهْلًا أو هَزْلًا[1].

والعَقْلُ هو العِلْمُ بعينه لُغَةً[2].

وقد غَلِطَ فيه سِيبَوَيْهِ من النَّحْوِيَّةِ، والقاضي أَبُو بَكْرٍ من المُتَكَلِّمِينَ[3].

---

(١) ينظر: نكت المحصول: (ق٢/أ).

(٢) في الأوسط لأبي المظفر (١/ق١٦/أ): «وأمَّا العقل فهو العلم؛ هذا أصله في اللغة؛ لأنهم يقولون: عقلت الشيء، وعلمته، وفهمته، يُقِيمُونَ بعض هذه الألفاظ مقام بعض، وكذلك يقولون: هذا كلام مفهوم معقول معلوم، لا يفرقون بينهما، والمرجع إلى اللغة فيه وفي أمثاله، وإذا تقرَّر أن العقل هو العلم على الإطلاق؛ فكل من له مقدار من العلم فله ذلك المقدار من العقل، تختلف قلة العقل وكثرته بقلة العلم وكثرته».

(٣) عرَّف القاضي أبو بكر الباقلاني العقل بقوله: «لا أقول: إن العقل غير العلوم، ولا كل العلوم، بل هو بعض العلوم الضرورية، وهو العلم بأن الموجود لا يخلو من أن يكون لوجوده أوَّلٌ، أو لا أوَّلَ لوجوده، وأن الجسم الواحد لا يجوز أن يكون في مكانين في حالة واحدة، وأن الموجود لا يجوز أن يكون معدومًا في =

فأمَّا سيبويه فلا لَعًا لعَثْرَتِه.

وأمَّا القاضي فقد وَهِمَ في أن ساعدهم وجَعَلَ العَقْلَ وَضْعًا اصطلاحِيًّا في غير الموضع العربي[١]، وليس يُحتاج إلى ذلك في تَعَلُّمِ الخبر، ولا في/ تَعَلُّمِ النظر، وقد جادلنا الدَّهْرَ كلَّه ورأينا المُجادلين وما احتجنا إلى شيء من ذلك. ١ [٦٢/ب]

وأمَّا سيبويه فإنه اقتفى مع الخليل آثارَ الفلاسفة في اصطلاحهم[٢].

وهذا الاصطلاحُ وإن كان القاضي قد احتاج إليه بزَعْمِه في الجدال، فسيبويه لا يَحْتَاجُ إليه في اللغة؛ فإن العربية لا تنبني على اصطلاح الفلاسفة، ولا يَجِدُ سيبويه ولا الخليلُ في العربية أبدًا فَرْقًا بين عَرَفْتُ زيدًا قائمًا، وعَلِمْتُ زيدًا قائمًا؛ في المعنى ولا في الإِعْرَابِ أبدًا.

أمَا إن المعنى الذي قَصَدُوه[٣] صحيحٌ، وتَعْيِينُ العبارة له من اللغة باطلٌ قَطْعًا، وانتهاكٌ لحُرْمَةِ العربية، وخروجٌ عن سِيرَةِ السَّلَفِ.

والعِلْمُ في لسان المُحَقِّقِينَ هو الخَشْيَةُ، وسترون صِفَتَه.

= حالة واحدة، وأن المتحرك عن المكان لا يجوز أن يكون ساكنًا فيه في حالة واحدة، وما جرى هذا المجرى من كون الذات حيَّةً ميتةً، وغير ذلك من الأوصاف المتضادة»، الأوسط لأبي المظفر: (١/ق١٧/أ).

(١) في (د) و(ص) و(ز): اصطلاحيًّا غير الوضع العربي.

(٢) قال ابن العربي في تعريف أرسطو طاليس للعقل-: «إنه تصورات ومعان تحصل للنفس بأصل الفطرة، والعلم يحصل بالاكتساب، فتلقَّفه الخليل منه، وقال: إن العلم معرفتان مجتمعتان، فعرفتُ زيدًا قائمًا؛ حال لزيد، وعلمتُ زيدًا قائمًا؛ مفعول ثان لعلمتُ»، العواصم من القواصم: (ص١٥٩-١٦٠).

(٣) في (د) و(ص) و(ز): قصداه.

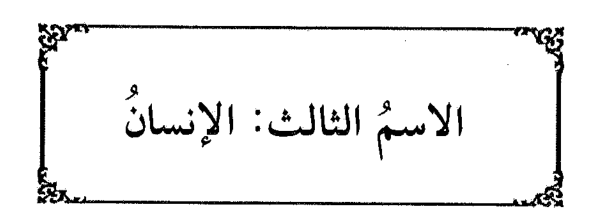
قال ابن مسعود: «ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما هو الخشية»[١].

وسترون صفته؛ مُفرقَّة[٢] على الأسماء إن شاء الله.

* * * * *

(١) الزهد للإمام أحمد: (ص١٩٨)، وروضة العقلاء لابن حبان: (ص٣٨).

(٢) في (د) و(س): مقدمة.



الاسمُ الثالث: الإنسانُ

وهو الآدَمِيُّ، معلومٌ عقْلًا، معلومٌ لُغَةً، معلومٌ شَرِيعَةً، فأدخلُوها في سَوْقِ الخلاف، ونَادَوا عليه في سُوقِ من يقول، ورتَّبُوا فيه أقوالًا؛ كلها اقتداءٌ بتلبيس[1] المُلحدة، حتى يَدْخُلَ الشكُّ على الناس في أنفسهم.

فقد ذَكَرَ الأستاذ[2] أبو المظفَّر[3] شَاهْفورُ[4] أن أعرابيًّا دخل مسجد البصرة، وسَمِعَ قومًا من المتكلمين يتجادلون في الإنسان، ويَنْتَحِلُ كلُّ واحد منهم قولًا غير الآخر، ويَشْرَعُ بحُجَّةٍ على نِحْلَتِه، فقام عنهم وخرج على باب المسجد وهو يُنْشِدُ[5]:

---

(١) في (س): تلبّس.

(٢) في (س): الشيخ.

(٣) الإمام المتكلم النظّار، شاهفور بن طاهر بن محمد، أبو المظفر الإسفراييني، صِهْرُ أبي منصور البغدادي، وتلميذ أبي إسحاق الإسفراييني، له التفسير الكبير بالفارسية، وسمَّاه: «تاج التراجم»، طبع قديمًا، وله «الأوسط في الاعتقاد»، في ثلاثة أسفار، منه نسخة في خزانة خاصة، عرَّفت بها في تقدمتي للمتوسط في الاعتقاد: (ص٣٧-٤٢)، وله غير هذه المؤلفات، توفي عام ٤٧١هـ بطُوس، ترجمته في: المنتخب من تاريخ نيسابور: (ق٧٣/أ)، وتبيين كذب المفتري: (ص٢٧٦)، وسير النبلاء: (١٨/٤٠١)، وطبقات الشافعية: (٥/١١).

(٤) في (س) و(د): شاهبور.

(٥) البيت من الرَّجَزِ، وهو من شواهد الكتب النحوية، قال البغدادي في الخزانة (٥/٢٣٨): «وهذا البيت لم أقف له على أثر».

إِنْ كُنْــتُ أَدْرِي فعَلَــيَّ بَدَنَــهْ مِنْ كَثْرَةِ التَّخْلِيطِ فِيَّ مَنْ أَنَهْ[١]

وقد صنَّف القاضي أبو بَكْرٍ كتاب «الإنسان»، وكان في غِنًى عنه، وما لمن سَأَلَ عنه طِبٌّ إلَّا أن يُغَلَّ في المَارِسْتَان، ويُعَانَى حتى يستريح أو يموت.

قال الإمام الحافظ ﷺ[٢]: وهذا كلُّه حِيَلٌ منهم، ودَوَرَانٌ حول الرُّوح، فإنهم رأوا الإنسان حيًّا إنسانًا بها، فإذا زَهَقَتْ عنه صار مَوَاتًا، فجعلها بعضُهم الإنسان، وطَفِقَ يَتَرَدَّدُ حولها، ويطلب تعليق الإِشْكَالِ بها، وليس يتعلَّق بها أبدًا، فإنَّ تلك محجوبةٌ تحت أستار الغَيْبِ، لا سَبِيلَ لأحد إلى معرفتها[٣].

وكَشَفَ الله الحقيقة له كأنَّها العِيَانُ فقال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر:١ - ٣].

وقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين:٤ - ٥].

وقال: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون:١٢] الآية.

---

(١) أخبره بهذه الحكاية شيخُه أبو سعد الزنجاني الشهيد، العواصم: (ص٢٧).

(٢) في (ص): قال القاضي الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.

(٣) العواصم: (ص٢٨).

فخاطب من يَفْهَمُ بما يُفْهَمُ، ولم يجعلوا فيه إِشْكَالًا، ولا افتعلوا فيه مقالًا، ولا رَدَّدُوه في الإِشْكَالِ احتيالًا واختبالًا، فلا يُوجِبُ لهم إلَّا سَلَاسِلَ[1] وأَغْلَالًا.

وهذا الإنسانُ والآدَمِيُّ[2] معلومٌ، تختلف عليه الأحكام، ويرتبط به الابتلاء والامتحان، فهو معلوم ضرورة.

* * * * *

---

(١) في (س): سلاسلًا.

(٢) في (ص): الآدمي.

١
[٦٣/أ]

الاسم الرَّابِعُ: المؤمن/

واسـمَعُوا - مَعْشَرَ المُرِيـدِينَ - وعُـوا، ولا تنظـروا إلـى مـن يَـزْوِي حاجبه، ويُقَطِّبُ عُرَّتَه، ويُسَوِّدُ غُرَّتَه؛ حتـى تبلغـوا آخِرَ كلامـي، وتُحيطـوا بمَرَامِي، فإنِّي على سيرة السَّلَفِ سَلَكْتُ، وبأقوالها نَطَقْتُ، والحَقَّ أَرَدْتُ، وعلى كتاب الله وأحاديـث رسـول الله ﷺ عَوَّلْـتُ، ومـن العربيـة اقْتَنَصْتُ، وما خرج عن هذه المسالك يَجِبُ طَرْحُه.

وهذا الاسم هو أَوَّلُ الأسماء وأَوْلَاها.

وقد قال الشيخ أبو الحسن - ومثله ذَكَرَ القاضي في بعض طُرُقِه -: «إن الإيمان هو العلم»[١].

وقال في موضع آخر: «إنه التصديق»[٢].

وهو الذي جَرَى في ألسنة المتكلمين من علمائنا، وقد ذكرنا فيه الدليل وتَتَبُّع الأقاويل في غير موضع، وبينَّاه مختصرًا وبسيطًا[٣].

والذي نُلِيحُ[٤] لكم به الآن: أن بنـاء «أَفْعَلَ» يقـال: بمعنـى دَخَـلَ فـي الفعـل والزمـان والمكـان، يقـال: أصـاب الرجـل وأخطـأ، وأَتْهَـمَ وأَنْجَـدَ، وأَصَافَ وأَرْبَعَ، إذا دخل في ذلك وتلبَّس به، فمعنى آمَنَ: دَخَلَ في الأَمْنِ.

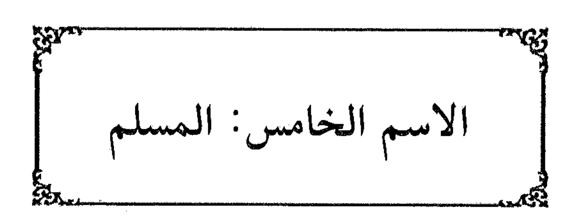
---

(١) مقالات أبي الحسن لابن فُورَك: (ص١٥٤).

(٢) رسالة في الإيمان لأبي الحسن: (ق٢/أ).

(٣) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٤٥٦-٤٦٠).

(٤) في (د): نلوح.



الاسم الخامس: المسلم

ومعنى أَسْلَمَ: دخل في السَّلَامَةِ؛ بمِثْلِ ذلك بعَيْنِه في آمَنَ(١).

وهذان اللفظان أخوان، يقتضيان معنًى واحدًا وإن اختلفا لَفْظًا، ولمَّا كان الدخول فيهما والتلبُّس بهما معقولًا غَيْرَ محسوس ومشروعًا؛ وضعه الله في الدِّينِ على معنيين:

أحدهما: بالقول؛

والآخَر: بالفعل.

وبهما جاء القرآن ووردت السنة.

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة:٢].

وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٣].

وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥].

---

(١) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٤٥٥).

وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُومِنُونَ ٱلذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰناً وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٱلذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُومِنُونَ حَقّاً لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال:٢ - ٤].

وذلك كثير؛ وقال: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة:١٢٧].

وقال: ﴿هُوَ سَمَّيٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج:٧٦].

وقال النبي ﷺ لوَفْدِ عبد القَيْسِ: «آمُرُكُمْ بأربع؛ الإيمان بالله، أتدرون ما الإيمان بالله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ثم فسَّرها؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأنِّي رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تُؤَدُّوا خُمُسَ ما غَنِمْتُم، وأنهاكم عن أَرْبَعٍ؛ فذَكَرَ: الدُّبَّاءَ، والنَّقِيرَ، والمُزَفَّتَ»[(١)].

وقال ﷺ: «الإيمانُ بِضْعَةٌ وسبعون شعبة»[(٢)].

وقال ﷺ: «بُنِيَ الإسلام على خمس؛ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحجِّ البيت»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما: كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين، رقم: (١٧-عبد الباقي).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب عدد شعب الإيمان، رقم: (٣٥-عبد الباقي).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما: كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام، رقم: (١٦-عبد الباقي).

١

وحديث/ جبريل - صحيح -؛ جاء يُعَلِّمُ الناس دينهم، فقال للنبي[١] ﷺ: «ما الإيمان؟ قال: أن تومن بالله، وملائكته، وكتبه، ورُسُلِه، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، قال: فما الإسلام؟ قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبد الله ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان، قال: فما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[٢]. [٦٣/ب]

والحديث الصحيح عن معاذ بن جبل قال: «كنتُ مع النبي ﷺ في سَفَرٍ، فأصبحتُ يومًا قريبًا منه ونحن نَسِيرُ، فقلت: يا رسول الله، أخبرني بعمل يُدخلني الجنة ويُباعدني من النار، قال: لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليَسِيرٌ على من يسَّره الله عليه؛ تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتُقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جُنَّةٌ، والصدقة تُطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءُ النَّارَ، وصلاة الرجل مِنْ جَوْفِ الليل[٣]، قال: ثم تَلَا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة:١٦]، حتى بلغ: ﴿يَعْمَلُون﴾ [السجدة:١٧]، ثم قال: ألا أُخبرك برَأْسِ الأمر وعَمُودِهِ وذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذُروة سنامه الجهاد، ثم قال: ألا أخبرك بمِلَاكِ ذلك كله؟ قلت: بلى، يا رسول الله، فأَخَذَ بلسانه وقال: كُفَّ عليك هذا، فقلت: يا نبي الله، وإنَّا لمؤاخذون بما نتكلم به،

---

(١) في (س) و(د): النبي.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم: (٩-عبد الباقي).

(٣) بعده في (س) زيادة: من شِعَارِ الصالحين.

فقال: ثَكِلَتْكَ أمُّك يا معاذ، وهل يَكُبُّ الناس في النار على وجوههم إلَّا حَصَائِدُ ألسنتهم»[١].

قال الإمام الحافظ أبو بكر رضي الله عنه[٢]: فهذه الأحاديثُ أُصُولٌ تنبئك بفصلين:

أحدهما: أن الإسلام والإيمان شيءٌ واحدٌ؛

والثاني: أن الأَمْنَ والسلامة يكونان به.

وللأمن والسلامة مرتبتان:

إحداهما: في الدنيا.

والأخرى: في الآخرة.

فأمَّا مرتبة الدنيا فقسمان:

أحدهما: الأَمْنُ والسلامة من إباحة المال والذات.

والثانية: الأمن من الضَّرْبِ والهَوَانِ.

فأمَّا الأَمْنُ من الإباحة فقد قال النبي ﷺ: «أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، ويؤمنوا بما جئت به، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلَّا بحَقِّها، وحسابُهم على الله»[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حرمة الصلاة، رقم: (٢٦١٦-بشار).

(٢) في (ص): قال القاضي الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، رقم: (٢١-عبد الباقي).

وفي رواية: «من وَحَّدَ الله وكَفَرَ بما يُعبد من دون الله؛ حرَّم[1] الله ماله ودمه، وحسابُه على الله»[2].

وقال أنس: قال رسول الله ﷺ: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها؛ وصَلَّوا صلاتنا، واستقبلوا قبلتنا، وذبحوا ذبيحتنا؛ فقد حَرُمَتْ علينا دماؤهم وأموالهم، إلَّا بحقها، وحسابُهم على الله»[3].

وفي رواية - في حديث أنس هذا -: «فمن[4] صلَّى صلاتنا، واستقبل قِبْلَتَنا، وذَبَحَ ذبيحتنا؛ فهو المسلم، لَهُ ما للمسلمين، وعليه ما عليهم»[5]/.

[٦٤/أ]

وسُئِلَ النبي ﷺ: «أي الأعمال أفضل؟ فقال: إيمان بالله»[6]، وذكر الحديث.

---

(١) في (د) و(ص) و(ز): حرُم ماله.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، رقم: (٢٣-عبد الباقي).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، رقم: (٣٩٢-طوق).

(٤) سقطت من (د).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، رقم: (٣٩٣-طوق).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الإيمان، بابُ من قال: إن الإيمان هو العمل، رقم: (٢٦-طوق).

وقال رجل للنبي ﷺ: «أي الإسلام خير؟ قال: أن تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفتَ ومن لم تعرف»[١].

وقال ﷺ: «المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»[٢].

وقال ﷺ: «الإيمان بِضْعٌ وستون - أو سبعون شعبة -، والحياء شعبةٌ من الإيمان»[٣].

وقال سفيان بن عبد الله الثقفي: «قل لي يا رسول الله في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا غيرك، قال: قُلْ: آمنت بالله، ثم استقم»[٤].

نكتة إسلامية:

وبهذا نرجو أن نكون من أهل دار السَّلام، ومن كان في رَيْبٍ لم يَأْمَنْ ولا رأى الدَّارَ، ومن كان في رِقِّ مخلوق - حيوانًا كان أو جمادًا - لم يَجِدِ السَّلَامَةَ، وإنما يجد السلامة من لم يكن إلَّا في رِقِّ الله الذي هو المولى حقيقةً، فإذا سَلِمَ اليوم لسانُه من الغِيبَةِ، وجَنَانُه من الخُبْثَةِ، وسرائرُه من الرِّيبَةِ، وجوارحُه من الزَّلَّةِ، وعقائدُه من الغفلة، ومعاملتُه من الشُّبْهَةِ، وأعمالُه من الرِّيَاءِ والمصانعة، وأحوالُه من الملاحظة؛ كان من أهل تلك الدار.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: كتاب الإيمان، بابٌ إطعامُ الطعام من الإسلام، رقم: (١٢-طوق).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، رقم: (١٠-طوق).

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، جامع أوصاف الإسلام، رقم: (٣٨-عبد الباقي).

وإنما شَرُفَتْ دار السَّلام لأنها مَحَلُّ الكرامة، واختصاصها[1] بالزُّلْفَةِ، والأقطارُ كلُّها ديارٌ، ولَكِنْ قِيمَةُ الدَّارِ إنَّما هي بقَدْرِ الجار، كما قال القائل[2]:

إنِّي لأَحْسُدُ جارَكم بجِوَارِكُمْ   طُوبَى لمن أَضْحَى لَكُمْ جارَا
يا ليت جارَك باعَنِي من دَارِهِ   شِبْرًا فأُعطيَه بِشِبْرٍ دَارَا

وليس القُرْبُ هاهنا بالمسافة، وإنما هي المرتبة والمنزلة، وقُرْبُ الثواب والتكرمة، لأن حقيقة الإله مُقَدَّسَةٌ عن التداني بالأقطار والجهات، والتجاور بالذوات، وإنَّما دُنُوُّهُم بأنه وَلِيُّهم، وهذا شَرَفٌ لا يُدَانَى، ومنزلة لا تُدْرَكُ بالهُوَيْنَى، ولا تُنال بالمُنَى، وإنَّما هي هِبَةُ المَوْلَى.

وأمَّا مرتبة الآخرة فالفوز بالنعيم، والنجاة من العذاب الأليم.

فأمَّا الفوز بالنعيم فباجتناب الشرك، قال النبي ﷺ: «من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبد الله ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وابن أَمَتِه، وكلمُته أَلْقَاهَا إلى مريم، ورُوحٌ منه، والجنة حقٌّ، والنار حقٌّ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»[3].

---

(١) في (ص): لاختصاصها.

(٢) البيتان لم أقف على قائلهما، وهي من بحر الكامل، والأول في المنتحل للثعالبي: (ص٢٢٢)، وهما في غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة للوطواط: (ص٥٧٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، رقم: (٢٨-عبد الباقي).

وقد تقدَّمت الأحاديث بسلامة أهل التوحيد من الخلود.

وأمَّا العِصْمَةُ من العذاب فباجتناب الذنوب؛ فإِنْ وَاقَعَ الذنوب فأمرُه إلى الله، إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٧]، والأخبار في ذلك قد تقدَّم أكثرُها، وبيَّنَّا أصولها في المقام الثالث.

تحقيق:

[٦٤/ب] قد تبيَّن لكم من الآيات والآثار الصحيحة أنَّ الإيمانَ والإسلامَ/ جُمْلَةُ أَعْمَالٍ في القلوب والأبدان، وتَوَضَّحَ[١] جريانُهما[٢] على معانيهما[٣] في العربية؛ من الأمان والسلامة حقيقةً، وإنَّما عُبِّرَ بهما عن العِلْمِ لما يكون من ابتنائهما عليه، فلمَّا كان مُقَدِّمَةً لهما سُمِّيَا به، وهذا أَحَدُ رُكْنَي المجاز على ما بينَّاه في «كُتُبِ الأصول»، ويأتي إيضاحُه مخصوصًا هَاهُنَا الآن إن شاء الله.

ولم يَبْقَ بعد بيان الله له في كتابه وعلى لسان رسوله؛ تمثيلًا لشجرة، وتجزئةً بسبعين جُزْءًا؛ مَوْضِعٌ للإشكال فيه، ولكثرة ما ذَكَرَه كذلك دلَّ على أنه حقيقة، والمجازُ تَسْمِيَتُه تَصْدِيقًا، وإنَّما فرَّ علماؤنا من تسمية الأعمال إيمانًا لإِلْحَاحِ المبتدعة عليهم بأن العاصي مُخَلَّدٌ في النار، ولو كان العصيان في أعمال الإيمان كُفْرًا لأَوْجَبَتْ التخليد، فأرادوا قَطْعَهم من

(١) في (س): نوضح.

(٢) في (د): جريانها.

(٣) في (د): معانيها.

الأصل بما ليس بأَصْلٍ، والمسألة صحيحةٌ لنا، مع أن الأعمال كلَّها إيمانٌ، كما بيَّنَّاه في «كتب الأصول»[(١)].

قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦ - ٢٨][(٢)].

ثَبَتَ عن النبي ﷺ: «أنهما النخلة والحنظل»[(٣)]، فمثَّل الله في هذه الآية سَبْعًا بسَبْعٍ؛ شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أُكلها كل حين[(٤)].

فالشجرة: مَثَلٌ للإيمان.

أصلُها: التوحيد.

ثبوتُه: استقرارُه في القلب، حتى لا تُزَعْزِعَه رِيَاحُ الشَّكِّ[(٥)]، ولا تَرْحَضَه عوارضُ الخواطر.

وفرعُها: العمل.

وسماؤها: عُلُوُّ العمل وظهوره.

وأُكلها - بضم الهمزة -: حلاوة الطاعة.

---

(١) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٤٥٨-٤٥٩).

(٢) في (د) و(ص): ﴿كشجرة خبيثة﴾ إلى قوله: ﴿قرار﴾.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه عن أنس رضي الله عنه: أبواب التفسير عن رسول الله ﷺ، بابٌ ومن سورة إبراهيم عليه السَّلام، رقم: (٣١١٩-بشار).

(٤) ينظر: قانون التأويل: (ص٢٦٦).

(٥) في (د) و(ص): الشكوك.

والحِينُ: الحِينُ بعينه.

والأوراق: الأخلاق الجميلة في الأغصان؛ وهي شُعَبُ الإيمان وفروعُه.

وثمارُها: حلاوةُ الطاعة[1].

ثم الثمار تختلف في الطُّعْمِ، والنَّفْعِ والضُّرِّ، والرائحة، واللون، والصورة، كذلك الطاعات.

وقيل: ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾: أن ثمرات الدنيا لا تنقطع، إن عُدِمَ نَوْعٌ كان آخر، فالنعيم متصلٌ بها على البدل، وثمرات الجنة[2] لا مقطوعة ولا ممنوعة على الانفراد.

وهذه الشجرة لها أصل ثابت في أرض زَكِيَّةٍ؛ وهي[3] القلب، هي له مَثَلٌ، كما أن أَرْضَ شَجَرَةِ الخَبِيثِ خَبِيثَةٌ، ثم كل شجرة لها ماء، والماء لهذه الشجرة الطيبة دَوَامُ التوفيق، ومن ثمراتها التوكل والتفويض والتسليم، والمحبة والرضا، والأحوال الصافية، والأخلاق الرَّضِيَّةُ العالية.

تَبْيِينٌ:

ولا يخلو العبد أن يكون جاهلًا بربه غافلًا عن فَرْضِه، ويتمادى[4] ذلك به فيكون هالكًا، أو في سبيل الهلاك سائرًا، حتى إذا عرف ربَّه

---

(١) قوله: «والحِينُ: الحِينُ بعينه، والأوراق: الأخلاق الجميلة في الأغصان؛ وهي شُعَبُ الإيمان وفروعُه، وثمارُها: حلاوةُ الطاعة» سقط من (د).

(٢) قوله: «وثمرات الجنة» سقط من (د).

(٣) في (د) و(ص): هو.

(٤) في (س) و(د) و(ز): تمادى.

وانتهى إليه أمرُه ونهيُه، وعَلِمَ من خَبَرِه له بذلك وابتلائه به، أنه إن أطاعه نَجَا، وإن عصاه هَلَكَ، وقد بيَّن له النَّجْدَيْنِ؛ النَّجْدَ المُفْضِي إلى الفوز والسلامة والأمان، والنَّجْدَ المُوَرِّطَ في الهَلَكَةِ، فيقتضي له النظر في نفسه الاستعدادَ لما يجد في آخِرَته، وأوَّلها حلولُه في رَمْسِه، ألا تَرَوْنَ/ أنه إذا سَلَكَ في الدنيا طريقًا يُفضي به إلى مطلوب استعدَّ للطريق، واستعدَّ لما يُنفق ويُصلح بالموضع الذي يقصده، واستعدَّ الوُسْعَ فيما يُنفقه[1] فيه ويَعْضُدُه، فإن لم يفعل شيئًا من ذلك كان زاهقًا عن درجة النظر ومرتبة العقل والعلم التي زعم أنه فيها، وزال عن سَبِيلِ التصديق والحَوْطَةِ على نفسه خَوْفَ الهَلَكَةِ التي يعلمها، ولا يخلو تَرْكُه لذلك من أربعة أقسام:

١ [٦٥/أ]

القسم الأوَّل: أن يشك في أنه سائر، ويعتقد أنه مقيم، وهذا ما لا يخطر ببال أحد له سُوسٌ[2]، ولا ممَّن هو داخل في حَدِّ التمييز.

الثاني: أن يشك أنه وارد على شيء، وهؤلاء هم الذين يعتقدون أن الموت عَدَمٌ مَحْضٌ، وللكلام معهم موضع.

الثالث: أن يشك في حال ذلك المقام وما فيه من أحوال وأحكام، وهذا كافر مُخَلَّدٌ في النار؛ لما تقدم من الآيات والأحاديث والإجماع.

الرابع: أن يعلم ذلك على صِفَتِه، ويتحقَّقه بتفصيله وجُمْلَتِه، من جهة خَبَرِ الصادق به[3]، ولكنه أَقْدَمَ عليه مع عِلْمِه به.

---

(١) في (ص) و(ز): ينفعه.

(٢) أي: العقل.

(٣) سقط من (س).

ويُقال للذي يعتقد أن الموت عَدَمٌ مَحْضٌ: ألم تر إلى الدنيا وما فيها من تفاوت الأحوال والمنازل، والغنى والفقر، والحرية والرق، والنعمة والبؤس، على غير نظام صالح في الظاهر لنا؟

فلو كانت الدنيا بهذه الصفة هي المقصَد وعليها الموقف، وليس وراءها مَوْرِدٌ لكان عبثًا ولَعِبًا، وقد تنزَّه الله عن ذلك وتقدَّس، وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الدخان:٣٦]، وقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون:١١٦]، ولو شاء الله لجعل الدار واحدةً، والحال واحدةً، ولكنه فضَّلها[١] بقُدرته، وقسَّمها بحِكْمته.

وأمَّا إن شَكَّ في كيفية ذلك المقام؛ فالدليل الذي يُثبت وجوده يُثبت كيفيته، وقد أخبر الله عن الآخرة وأحوالها بأسماء الدنيا وصفاتها، فهي مِثْلُها لوجوب الصِّدْقِ في خَبَرِه، إلَّا أن ما في الآخرة يَفُوتُها بالزيادة عليها في العِظَمِ والقَدْرِ، والبقاء والدوام، وعَدَمِ الآفات، ومَزِيدِ الحُسْنِ في الصفات.

وأمَّا إن علم ذلك كلَّه وَعْدًا ووعيدًا، وفوزًا وهلاكًا، وأقدم على المخالفة، ولكنه قال: أرجو التوبة؛ فهو مغرور[٢]، لأنه لا يعلم هل يدركها.

وأمَّا إن قال: أُقْدِمُ عليها، وأُؤثر شهوة الدنيا على نعيم الآخرة، وأرضى بالعاجل بدلًا من الآجل، فإني أقول له[٣]: إنه غير مُوقِنٍ بالآخرة[٤]

---

(١) في (ص): فصَّلها.

(٢) في (ص): مُغَرر.

(٣) سقطت من (د) و(ص) و(ز).

(٤) سقطت من (س).

بحال؛ وذلك أن الخاطر الذي يُوقعه في المعصية مع علمه بأنها مَهْلَكَةٌ بمنزلة الرجل يُقْدِمُ على وَطْءِ الأجنبية وإن قُتِلَ، كأنه يرضى بالوصول إلى أَمَلِه وإن أَدَّى إلى تَلَفِ نفسه، وهذا لأنه عذابُ لحظة، فيمكن أن يُقَابَلَ بلذة لحظة، كأنه مقابلة مِثْلٍ بمِثْلٍ؛ في القَدْرِ والزمان، لا في الصفة والمقدار.

وأمّا المؤمنون بالحقيقة فمثالُ المعصية إذا عَرَضَتْ لهم كرَجُلٍ قُدِّمَ له طعامٌ شَهِيٌّ تَحَقَّقَ أنه مسمومٌ/، وأنه وَحِيٌّ[1] لا يُمْهِلُه؛ فإنه لا يُقْدِمُ عليه، فإن أَخَذَه الجُوعُ وغَلَبَه لم يُقْدِمْ أيضًا عليه؛ لأنه يقول: مَوْتٌ بمَوْتٍ من غير يَدِي أولى بي، ولو تحقَّق أنه سُمٌّ يُدِيمُ أَلَمَه، ويُهْرِي لَحْمَه، ويَشُدُّ وَجَعَه؛ ربَّما يَحْمِلُه سوءُ الاختيار على أن يُؤْثِرَ حياةَ شَهْرٍ مُتَمَلْمِلًا مُتَوَجِّعًا مُتْبَلًا[2] على الموت الآن، وذلك لمَغِيبِ الألم عنه الآن، وأن الجوع متحقق، والألم متوقع، وإذا عرف أنها شهوة مُسْتَغْنًى عنها، وعلم أنها مُوقِعَةٌ في العذاب الدائم؛ لم يُقْدِمْ عليها بحال إلَّا مع الاِسْتِرَابَةِ بأن ذلك الطعام مُهْلِكٌ، والشكِّ في أن ذلك الفعل مُعْطِبٌ، أو مع الذهول عن هذه الخواطر كُلِّها بغلبة الشهوة، وإلى هذه الأحوال كلها يَرْجِعُ قول النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذات شرف يَرْفَعُ الناسُ إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن»[3]،

١ [٦٥/ب]

---

(١) في (ز): الردى.

(٢) في (ص) و(د): مُبْتَلًى.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب المظالم، باب النُّهبى بغير إذن صاحبه، رقم: (٢٤٧٥-طوق).

والتوبة بعد ذلك معروضة[١]، فجمع له بين الحُكْمِ بالإيمان، وعيَّن له التوبة من ذلك الفعل.

وقال النبي ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله»[٢]، وفي رواية أبي ذر: «أتاني جبريل فبشَّرني أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق، قال: وإن زنى وإن سرق - ثلاثًا -؟ ثم قال في الرابعة: على رَغْمِ أنف أبي ذر، فخرج أبو ذر وهو يقول: على رغم أنف أبي ذر، كما قال رسول الله ﷺ»[٣].

ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا زنى العبدُ خرج من الإيمان وكان فوق رأسه كالظُّلَّةِ، فإذا خرج من ذلك العمل عاد إليه»[٤]، والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

ورَوَى عُبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته، ألقاها إلى مريم ورُوحٌ منه؛ أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»[٥].

---

(١) في (س): في خـ: مفروضة.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: كتاب الجنائز، بابٌ في التلقين، رقم: (٣١١٦-شعيب)، ولفظه فيه: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة».

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، رقم: (٩٤-عبد الباقي).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أبواب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء لا يزني الزاني وهو مؤمن، رقم: (٢٦٢٥-بشار).

(٥) تقدَّم تخريجه.

وقد عَبَّرَ عن بعض هذه الجُمْلَةِ ابنُ مسعود فقال: «لن يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحل بذُرْوَتِه، ولا يحل بذُرْوَتِهِ حى يكون الفقرُ أحبَّ إليه من الغنى، والتواضع أحب إليه من الشرف، وحتى يكون حامدُه وذامُّه من الناس سواء»[1].

وفسَّرها أصحابه فقالوا: معناه: «حتى يكون الفقرُ في الحلال أحبَّ إليه من الغنى في الحرام، والتواضعُ في طاعة الله أحبَّ إليه من الشَّرَفِ في معصيته[2]، وحتى يكون حامدُه وذامُّه في الحق سواء»[3].

١ [٦٦/أ]

قال الإمام الحافظ أبو بكر[4] رضي الله عنه: وذلك في الذي يَأْتِي هذه المعاني جاهلًا، راكبًا شهوتَه غير/ مُرْتَابٍ، على ما بينَّاه من المراتب.

ولمَّا كان طَلَبُ الإيمان بالوجه الذي يُطْلَبُ به من الشهادة والأعمال كان ذلك مَبْنِيًّا على تصديق المُخْبِرِ، فبذلك سُمِّيَ تصديقًا.

ولمَّا كان تارةً يَصْدُرُ عن تقليد، وتارةً يصدر عن دليل، قال في الصادر عن الدليل: «المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أَمِنَه الناسُ على دمائهم وأموالهم»[5].

---

(١) الزهد للإمام أحمد: (ص١٩٧)، وحلية الأولياء: (١/١٣٢).

(٢) في (س) و(ز): معصية الله.

(٣) الزهد للإمام أحمد: (ص١٩٧)، وحلية الأولياء: (١/١٣٢).

(٤) في (د) و(ز): قال الإمام الحافظ القاضي، وفي (ص): قال القاضي الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أبواب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، رقم: (٢٦٢٧-بشار).

وقال: «المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»[١].

وقال في الصادر عن التقليد ما جاء في حَدِيثٍ عن سَعْدٍ: أن النبي ﷺ أعطى رَهْطًا وترك رَجُلًا، فقال له سعد: «يا رسول الله، ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمنًا، فقال النبي: أو مسلمًا، وكرَّره مرارًا»[٢].

معناه: لعله أسلم في الظاهر، أي: استسلم، أي: طلب ذلك في الظاهر، ولم يعتقده في الباطن.

ومنه قال الله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات:١٤]، فحكم على بواطنهم بما أَعْلَمَهُ به الظاهرُ الباطنُ.

فإن كان عن دليل وعن اعتقادٍ جَزْمٍ دَلَّ على بَاطِنِه ظاهرُ أَفْعَالِه.

[نكتة بديعة]:

وهاهُنَا نكتة بديعة؛ وذلك أنه دخل هذا التقسيم من استواء الظاهر والباطن في الإسلام، وجاء الإيمان مطلقًا غير مختلف، وذلك؛ لأن المؤمن صِفَةٌ من صفات الله، فصِينَتْ عن الاحتمال والإشكال، والمسلم لمَّا لم يكن من صفاته تَطَرَّقَ إليه[٣] الاحتمال لفظًا ومعنًى.

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل، رقم: (٢٧-طوق).

(٣) بعده في (س): صح.

قال الإمام الحافظ[١]: فإذا عَلِمْتُم معنى الإيمان والإسلام ومواردهما وفوائدهما فقد تبيَّن لكم أنهما يرجعان في الأصل إلى العِلْمِ، ولذلك قال الشيخ في الإيمان: «هو العلم بالله»[٢].

وهو الذي فُرِضَ على النبي ﷺ في قوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:٢٠]، وقيل له: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١١].

وهذا[٣] المفروض على الأمة، وهو العِلْمُ بالله وصفاته وأفعاله على الجُمْلَةِ والتفصيل، ويَكْفِي من ذلك ما بينَّاه في «العَقْدِ المُتَوَسِّطِ»[٤]، وهو الدِّينُ الذي أخبر الله عنه بقوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩].

* * * * *

---

(١) في (د): قال الإمام الحافظ القاضي رضي الله عنه، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر رضي الله عنه.

(٢) مقالات أبي الحسن لابن فورك: (ص١٥٤).

(٣) في (د) و(ص): هو.

(٤) المتوسط في الاعتقاد – بتحقيقنا –: (ص٤٥٩).

[الدَّيِّنُ(١)]: وهو الاسمُ السَّادس

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٨٤].

وقال: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣].

﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾ [النحل:٥٢].

و﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الروم:٢٩].

﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ [التوبة:٢٩].

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٦].

﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور:٢].

وقال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:٣].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ﴾ [الذاريات:٦].

وقال: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ [الواقعة:٨٩].

وقال: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [يوسف:٧٦].

---

(١) ما بين المعقوفتين إضافة مني يقتضيها السياق.

وقال ذو الإِصْبَع العُدْوَانِي[١]:

لاهِ ابنَ عَمِّكَ لا أَفْضَلْتَ في حَسَبٍ   عنِّي ولا أنت ديَّاني فتَخْزُوني[٢]

وقال آخَرُ[٣]:

تقولُ وقد دَرَأْتُ لها وَضِيني: أهذا دينُه أبدًا ودِيني

أطُولَ الدَّهْرِ حَلٌّ وارتحالٌ   أمَّا تُبْقِي عَلَيَّ ولا تَقِيني

وقال آخَر[٤]/: [٦٦/ب]

كدِينِك من أُمِّ الحُوَيْرِثِ قبلها   وجارَتِها أُمِّ الرَّبَابِ بمَأْسَلِ

أي: هذا جزاؤك من هذه، كجزائك من التي قبلها؛ على بَذْلِكَ الحُبَّ لهنَّ، واستفراغ قلبك في هَوَاهُنَّ.

وتصريفه: دَانَ يَدِينُ دِينًا[٥].

وقد جاء الاسم والفعل في بيت واحد، وهو:

يا دِينَ قَلبْكَ من سَلْمَى وقد دِينَا[٦]

---

(١) البيت من البسيط، وهو لحُرثان العُدْوَاني الملقب بذي الأصبع، من قصيدة في المفضليات: (ص١٦٠)، والأغاني: (٣/١٠١)، وأمالي القالي: (١/٢٤٤).

(٢) في (د) و(ص) و(ز): فتجزوني.

(٣) البيتان من الوافر، وهما للمُثَقِّبِ العُدْوَاني، من قصيدة في المفضليات: (ص٢٩٢)، وطبقات فحول الشعراء: (١/٢٧٣).

(٤) من الطويل، وهو لامرئ القيس في معلَّقته، شرح القصائد التسع المشهورة للنحَّاس: (١/١٢٣)، وشرح المعلقات السبع للزوزني: (ص١١).

(٥) مقاييس اللغة: (٢/٣١٩).

(٦) هذا الشطر من البسيط، وهو في كتب اللغة بدون نسبة ولا تتمة، ينظر: المقاييس: (٢/٣١٩)، والتاج: (٣٥/٥٥).

فهو[1]: مَصْدَرٌ سُمِّيَ به الاعتقادُ والعملُ المقتضيان للجزاء من الله سبحانه.

والشريعةُ كلُّها دِينٌ.

قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٤]، لأنَّ جميعها يُجَازِي الله عليه.

وديَّان هو فعَّالٌ من الدِّينِ؛ بناءٌ للكثير: الجزاء، يقالُ لمن يلتزم شعائر الشريعة كلها امتثالًا وزَجْرًا.

قال النبي ﷺ: «الدين يُسْرٌ، ولن يُشَادَّ هذا الدين أَحَدٌ إلَّا غَلَبَه»[2].

قال الإمام أبو بكر[3] رضي الله عنه: وهذا المعنى خَفِيَ على قَوْمٍ، وحقيقة معناه: أنه من أراد أن يَسْتَوْفِيَ فضائل الشريعة كلَّها لم يَقْدِرْ على ذلك بَشَرٌ؛ لأنه خارجٌ عن طُوقِهم، وإنما يؤخذ من فضائله ما تَيَسَّرَ، فمن تَعَرَّضَ لاستيفائه بل لاستيفاء نَوْعٍ منها غَلَبَهُ الدِّينُ، فأما استيفاءُ الفرائض امتثالًا واجتنابًا فإنه مُمْكِنٌ لكلِّ أَحَدٍ.

وقد مَرَّ النبي ﷺ على[4] الحَوْلَاءِ بنت تُوَيْتٍ؛ وقد علَّقت حَبْلًا في

---

(١) في (ص): وهو.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب الدين يسر، رقم: (٣٩-طوق).

(٣) في (د): قال الإمام الحافظ، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي.

(٤) في (س): عن.

المسجد وهي تتعلَّق به إذا ضَعُفَتْ عن القيام في الصلاة، فقال: «اكلَفُوا من العمل ما تُطِيقُون، فإن الله لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا»[١].

وغاية ما يتعاطاه الآدمي أن يكون مستغرق الأوقات في الطاعات، وذلك ما لا يقدر عليه بَشَرٌ، إنَّما المستطاع أن يَعْمُرَ بالكَفِّ عن المحظور والمكروه، وأمَّا أن يفعل كل طاعة فبَعِيدٌ[٢] عن الخَلْقِ عَسِيرٌ عليهم[٣].

لقد رُوي عن بعضهم: «أنه كان يصلي كل يوم ألف ركعة»[٤].

ورُوي عن[٥] بعضهم: «أنه كان يُسَبِّحُ الله كلَّ يَوْمٍ مائة ألف تسبيحة، إلَّا أن تخطئ الأصابع»[٦].

وروى أَحْمَدُ عن أبي هريرة: «أنه كان له خيط فيه أَلْفَا[٧] عُقْدَةٍ، وكان لا ينام حتى يُسَبِّحَ به»[٨].

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: ما جاء في صلاة الليل، (١/١٨٨)، رقم: (٣١٢-المجلس العلمي الأعلى).

(٢) في (س) و(ص) و(ز): وأما بفعل طاعة فهو بعيد.

(٣) سقطت من (س).

(٤) الجامع الكبير: (٥/٤١٧-بشار).

(٥) سقطت من (س).

(٦) حلية الأولياء: (٥/١٥٧).

(٧) في (ز): ألف.

(٨) أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل: (١/٣٨٣).

وكان كُرْزٌ[١] يختم كل يوم ثلاث مرات[٢]، وله عُودٌ في المحراب يعتمد عليه إذا نَعَسَ[٣].

وكان عطاء بن السائب يختم القرآن في كل ليلتين[٤].

وهذا أَمْرٌ رَوَيْنَاهُ وما رَأَيْنَاهُ، ولو حَاوَلْنَاهُ ما اسْتَطَعْنَاهُ، ولعلَّ الله يؤيد أولياءَه على طاعته، ولكنَّ الذي يُغَبِّرُ[٥] في وَجْهِ هذه الأقوال أن أَحَدًا من الصحابة لم يكن على هذه الحال، وإنَّما هذه رَهْبَانِيَّةٌ حَدَثَتْ، وسنزيد ذلك بيانًا في مَوْضِعِه إن شاء الله.

تَنْبِيهٌ على وَهْمٍ:

وقد ذَكَرَ بَعْضُهم أن الديَّان من أسماء الله، وليس كذلك، وهو سبحانه يُجازي العباد بأعمالهم، ولا يُشْتَقُّ له من أفعاله أسماء، وإنَّما هو يُسَمَّى ويُوصَفُ بما ورد من نُعُوتِه العظيمة وصفاته الكريمة، أما إنه يُخْبَرُ عنه[٦] به في أثناء الدليل وعلى رَسْمِ/ التَّعْرِيفِ، فإذا كان في الدعاء والابتهال وَقَفَ على مَوْرِدِ الشرع في الصفات والأسماء[٧]. [٦٧/أ]

---

(١) العابد الناسك، كرز بن وبرة الحارثي، من جرجان، ترجمته في حلية الأولياء: (٥/٧٩-٨٣).

(٢) حلية الأولياء: (٥/٧٩).

(٣) حلية الأولياء: (٥/٨٠).

(٤) مختصر قيام الليل للمروزي: (ص١٥٧).

(٥) في (س): يعير.

(٦) سقطت من (ص).

(٧) ينظر: الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (١/١٩٨-٢٠٠).

وقد روى أحمد بن حنبل عن عمر قال: «وَيْلٌ لدَيَّانِ الأرض من ديَّان السماء يوم يلقونه، إلَّا من حَكَمَ بالعَدْلِ وقَضَى بالحَقِّ، ولم يَقْضِ لقرابة ولا لِهَوًى، ولا لرغبة ولا لرهبة[1]، وجَعَلَ كتاب الله مرآةً بين عينيه»[2].

وقال أبو الدرداء: «البِرُّ لا يبلى، والإثم لا يُنسى، والديَّان لا ينام، فكُنْ كما شئت، كما تَدِينُ تُدَان»[3].

تكملة:

وقد عَبَّرَ [ﷺ] عن الدين بمُعْظَمِه فقال[4]: «الدين النصيحة، لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامَّتهم»[5]، وهو حديث حَسَنٌ.

فَضَائِلُ العِلْمِ وما يَرْتَبِطُ به من العَقْلِ والإِسْلَامِ والإيمان والدِّينِ:

وقد انتدب قَوْمٌ للعلم فأطنبوا في أوصافه وفرائضه وفضائله.

فأمَّا أوصافه فقد تقدَّمت الإشارة إليها[6] بما تقتضيه هذه الرسالة من الاختصار.

وأمَّا الفضائل فقد أكثر الخلق في ذلك وأَطْنَبُوا، وصَعَدُوا واسْتَفَلُوا[7]، وعليهم في ذلك ما احْتَمَلُوا، وهم مُطالَبون بالقيام بما حُمِّلُوا،

---

(١) قوله: «ولا لرهبة» سقط من (د).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في الزهد: (ص١٥٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في الزهد: (ص١٧٦).

(٤) في (ص): فقال ﷺ.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن تميم الداري ﷺ: كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم: (٥٥-عبد الباقي).

(٦) في (س): إليه.

(٧) في (س): أسفلوا.

وليس في هذا الباب أَثَرٌ يُلْتَفَتُ إليه، ولا يُعَوَّلُ عليه، فلا تَشْغَلُوا بأحاديثه[١] بالًا، ولا تَسْطُرُوا بذِكْرِه[٢] مَقَالًا، فإن فَضْلَ هذه الصفات أَعْظَمُ مِنْ أَن تظهر، والذي صحَّ عن النبي ﷺ فيه عَشَرَةُ[٣] أحاديث[٤]:

الأوَّل: قوله ﷺ: «من يُرِدِ الله به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ»[٥].

[الثاني]: وقوله[٦] ﷺ: «مَثَلُ ما بَعَثَنِي الله به من الهُدَى والعِلْمِ كمثل الغَيْثِ الكثير أصاب أرضًا؛ فكانت منها طائفة طيبة قَبِلَتِ الماء فأنبتت الكَلَأَ والعُشْبَ الكثير، وكانت منها[٧] طائفةٌ[٨] إِخَاذَاتٍ[٩] أمسكت الماء فنفع الله بها الناس، فَشَرِبُوا وسُقوا وزَرَعُوا، وأصاب منها طائفةٌ أخرى، إنما هي قِيعَانٌ لا تُمْسِكُ ماءً، ولا تنبت كَلَأً، فذلك مَثَلُ من فَقُهَ في دين الله ونَفَعَه الله بما بَعَثَنِي به، فعَلِمَ وعَلَّمَ، ومَثَلُ من لم يَرْفَعْ بذلك رأسًا ولم يَقْبَلْ هُدَى الله الذي أُرْسِلْتُ به»[١٠].

---

(١) في (س) و(ص) و(ز): بأحاديثها.

(٢) في (س) و(ص): أو تذكروا.

(٣) في (د): ثلاثة، وسقطت من (ص).

(٤) ذكر منها ثمانية فقط.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن معاوية رضي الله عنه: كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، رقم: (٧١-طوق).

(٦) في (س) و(ص): قال.

(٧) في (ص) و(د): منه.

(٨) سقطت من (د).

(٩) في (ص) و(د) و(ز): أجادب، وما أثبته هو رواية أبي ذر الهروي.

(١٠) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي موسى رضي الله عنه: كتاب العلم، باب فضل من علم وعلَّم، رقم: (٧٩-طوق).

قال الإمام الحافظ(١) رضي الله عنه: فضَرَبَ النبي ﷺ ثَلاثَةَ أَمْثَالٍ لثلاثة أَحْوَالٍ، فسَّر منها الأوَّل والثاني، وتَرَكَ الثالث، وهي: الإخاذات(٢) التي تُمْسِكُ الماء ولا تُنْبِتُ الكلأ(٣)، وهو الذي يَحْفَظُ العلم ولا يَفْقَهُه ولا يَعْلَمُه، ولكنه قد بَيَّنَه في حديث آخر صَحَّ من غير الصحيح.

[**الثالث**]: قال النبي ﷺ: «نضَّر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها، وأدَّاها كما سَمِعَها، فرُبَّ حامل فِقْهٍ غير فقيه، وربَّ حامل فِقْهٍ إلى من هو أَفْقَهُ منه»(٤).

[**الرابع**]: وقال ﷺ: «لا حسد إلَّا في اثنتين؛ رَجُلٌ آتاه الله مالًا فسَلَّطَه على/ هَلَكَتِه في الحق، ورجلٌ آتاه الله حِكْمَةً فيقضي بها ويُعَلِّمُها»(٥). ١ [٦٧/ب]

[**الخامس**]: وقال ﷺ(٦): «إذا مات المَرْءُ انقطع عمله إلا من ثلاث؛ صَدَقَةٍ جارية، أوعِلْمٍ يُنتفع به(٧)، أو وَلَدٍ صالح يدعو له»(٨).

---

(١) في (د): قال الإمام الحافظ القاضي، وفي (ص): قال الإمام أبو بكر محمد بن العربي، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي.

(٢) في (د) و(ص) و(ز): وهو الأجادب.

(٣) سقطت من (س) و(ص) و(ز).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه: أبواب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، رقم: (٢٦٥٦-بشار).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، رقم: (٧٣-طوق).

(٦) في (د): عليه السلام.

(٧) في (د): أو علم علَّمه.

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم: (١٦٣١-عبد الباقي).

قال الإمام الحافظ ﵁: وهُمْ سِتَّةٌ، هؤلاء الثلاثة[١].

وقال النبي ﷺ: «ما من مسلم يَغْرِسُ غَرْسًا أو يَزْرَعُ زَرْعًا فيأكلُ منه إنسانٌ أو بهيمةٌ إلَّا كان له حسنات إلى يوم القيامة»[٢].

وقال ﷺ[٣]: «من سنَّ سنة حسنة في الإسلام كان له أجرُها وأَجْرُ من عَمِلَ بها إلى يوم القيامة، لا يَنْقُصُ ذلك من أجورهم شيئًا، ومن سنَّ سُنَّةً سيئة في الإسلام كان عليه وِزْرُها ووِزْرُ من عَمِلَ بها إلى يوم القيامة، لا ينقص ذلك من أَوْزَارِهم شَيْئًا»[٤].

وقال النبي ﷺ: «كلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ على عمله إلَّا الذي مات مُرَابِطًا في سبيل الله؛ فإنه يُنْمَى له عملُه إلى يوم القيامة، ويأمنُ فِتْنَةَ القَبْرِ، والمجاهدُ من جاهد نفسه»[٥]، صَحِيحٌ.

[السَّادس]: وقال - أيضًا - ﷺ: «الناسُ معادن؛ خِيَارُهم في الجاهلية خِيَارُهم في الإسلام إذا فَقِهُوا»[٦].

---

(١) وذكر ابن العربي تمام الستة، وهي الأحاديث الثلاثة التي تلي قوله هذا.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس ﵁: كتاب الحرث والمزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أُكل منه، رقم: (٢٣٢٠-طوق).

(٣) في (د): عليه السَّلام.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن جرير بن عبد الله ﵄: كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة، رقم: (١٠١٧-عبد الباقي).

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه عن فَضالة بن عُبَيد ﵁: أبواب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل من مات مرابطًا، رقم: (١٦٢١-بشار).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﵁: كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين﴾، رقم: (٣٣٨٣-طوق).

[السَّابع]: وقال ﷺ: «ما اجتمع قَوْمٌ في مسجد من مساجد الله؛ يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم؛ إلَّا نزلت عليهم السَّكِينَةُ، وغَشِيَتْهُم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بَطَّأَ به عملُه لم يُسْرِعْ به نسبُه»[1].

[الثامن]: وقال ﷺ[2]: «من سَلَكَ طريقًا يلتمس فيه عِلْمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنَّة»[3].

[كتابُ العقل لداود بن المحبَّر]:

وأمَّا العَقْلُ فليس فيه حَدِيثٌ صَحِيحٌ ولا حَسَنٌ، وقد قرأنا ببغداد «كتابَ العَقْلِ»[4] لداود بن المُحَبَّر[5]، جُزْءًا على القاضي أبي المُطَهَّر

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم: (٢٦٩٩-عبد الباقي).

(٢) في (د): عليه السَّلام.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أبواب العلم عن رسول الله ﷺ، باب فضل طلب العلم، رقم: (٢٦٤٦-بشار).

(٤) قال فيه الدارقطني: «كتاب العقل وضعه أربعة، أوَّلهم ميسرة بن عبد ربه، ثم سرقه منه داود بن المحبَّر؛ فركبَّه بأسانيد غير أسانيد ميسرة، وسرقه عبد العزيز بن أبي رجاء فركبَّه بأسانيد أخَر، ثم سرقه سليمان بن عيسى السِّجْزِي فأتى بأسانيد أخرى»، تاريخ بغداد: (٩/٣٢٨)، ويروي ابن العربي «كتاب العقل» عن أبي المُطَهَّر من طريق الحارث بن أبي أسامة.

(٥) داود بن المحبَّر بن قَحْذَم بن سليمان بن ذكوان، أبو سليمان البصري، تـ ٢٠٦هـ ببغداد، روى له أبو داود وابن ماجه، قال فيه الخطيب البغدادي: «حال =

سعد بن عبد الله بن أبي الرجاء الأصفهاني، وكُلُّه أو أكثرُه آثارٌ عن النبي ﷺ ليس لها أَصْلٌ، أَمْثَلُها - ولا مَثِيلَ فيها - حَدِيثُ: «قيل له: أَقْبِلْ فأَقْبَلَ، وأَدْبِرْ فَأَدْبَرَ»[1]، وهذا الجزء هو الذي أَخَلَّ بدَاوُدَ فحَطَّ مَرْتَبَتَه؛ فلم يُرْوَ عنه[2]، وأَخُوهُ بَدَلٌ[3] تَرَكَه، فخرَّج عنه البُخاري وغيرُه، فكانَا[4] كمَا قيل في المثل مَقْلُوبًا:

دَاوُدُ مَحْمُودٌ وأنت مُذَمَّمٌ ... عَجَبًا لذاك وأنتُما من عُودِ

فلَرُبَّ عُودٍ قَدْ يُشَقُّ لمَسْجِدٍ ... نِصْفًا وسائرُه لحُشٍّ يَهُودِ[5]

= داود ظاهرة في كونه غير ثقة، ولو لم يكن له غير وضعه «كتاب العقل» بأسره لكان دليلًا كافيًا على ما ذكرتُه»، تاريخ بغداد: (٩/٣٢٨)، وقال فيه ابن عدي: «وعن داود كتاب قد صنفه في فضائل العقل، وفيه أخبار مسندة، وكل تلك الأخبار أو عامتها غير محفوظات»، الكامل: (٣/١٠١)، وينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: (٣/٤٢٤)، وتهذيب الكمال: (٨/٤٤٧).

(١) حديث موضوع، آفته داود بن المحبَّر، وأخرجه أيضًا ابن أبي الدنيا في كتاب العقل وفضله: (ص٤٠)، وليس يصح في العقل حديث؛ كما قال الحافظ ابن العربي، وكذلك قال الإمام ابن حبان، قال -رحمه الله- «لستُ أحفظ عن النبي ﷺ خبرًا صحيحًا في العقل»، روضة العقلاء: (ص١٦).

(٢) أي: لم يَعْتَنِ الحفَّاظ بأحاديثه، فلم تخَرَّجْ في الصحاح وما قاربها.

(٣) بَدَلُ بن المُحَبَّر بن المنبه التميمي البصري، وليس بأخ لداود، أخرج عنه البخاري وغيره، ينظر: تهذيب الكمال: (٤/٢٨).

(٤) في (س): فكان.

(٥) من الكامل، وهي لعبد الله بن محمد ابن أبي عُيَينة، وهما في الشعر والشعراء: (ص٧٥٥)، والأغاني: (٢٠/١١٧).

[المفاضلةُ بين الإيمان والإسلام]:

وأمَّا الإيمان والإسلام فأمرُهما عظيم، وشأنُهما كبير، وقد وردت أحاديثُ يسيرةٌ في تفصيل التفضيل[١] فيهما[٢]، فأمَّا ذواتُهما[٣] فأفضل من أن تُفَضَّلَ.

[١/٦٨أ] قال عبد الله بن مسعود:/ «والذي لا إله غيره[٤]، ما يَضُرُّ عَبْدًا يُصْبِحُ على الإسلام ويُمْسِي ما أصابه في[٥] الدنيا»[٦].

وقد روى[٧] بعضهم عن النبي ﷺ: أنه قيل له: «أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمانٌ بالله وجهادٌ في سبيله»، وسئل: «أي الإسلام خير؟ قال: أن تُطْعِمَ الطعام»، كما تقدَّم فيهما[٨].

وسئل النبي ﷺ: «أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله ندًّا وهو خَلَقَكَ»[٩]، الحديث.

(١) في (س): تفضيل التفصيل.

(٢) في (س): فيها.

(٣) في (د): ذاتهما.

(٤) في (د): «لا إله إلا هو»، «لا إله غيره».

(٥) في (د): من.

(٦) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء: (١/١٣٢).

(٧) في (د) و(ص) و(ز): روي عن النبي.

(٨) تقدَّم تخريجهما.

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كتاب التفسير، بابٌ، رقم: (٤٤٧٧-طوق).

وأمَّا الدِّينُ: فالمِلَّةُ؛ مشهورةُ الفَضائل[(١)].

تَنْبِيهٌ على وَهْمٍ: [طلب العلم فريضة]

رَوى قَوْمٌ عن النبي ﷺ: «طلبُ العلم فريضة»[(٢)].

وقال فيه بعضهم: «فريضة بعد الفريضة»[(٣)].

والأوَّل: صحيح المعنى، باطل السند.

والثاني: باطل الوجهين.

وكلُّ حِكْمَةٍ صحَّ معناها دِينًا لم يَحِلَّ أن تُنسب إلى النبي.

والثاني: فاسدُ المعنى لا يَصِحُّ أن يضاف إليه[(٤)].

قال يحيى بن معين: «من لم يَكُن له فَهْمٌ بالحديث؛ يَعْرِفُ صَحِيحَه من سَقِيمِه قبل أن ينظر في طريقه، فلا ينبغي له أن يشتغل بطلبه».

---

(١) في (س) و(ز): الفضل.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم عن أنس رضي الله عنه: (١/٢٣)، والخطيب في تاريخ بغداد: (٥/٢٥٢)، قال ابن عبد البر: «هذا حديثٌ يُروى عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة، كلها معلولة، لا حجة في شيء منها عند أهل العلم بالحديث من جهة الإسناد»، وقال إسحاق بن رَاهُويَه: «طلب العلم واجب، ولم يصح فيه الخبر»، قال ابن عبد البر: «يريد إسحاق -والله أعلم- أن حديث وجوب طلب العلم في أسانيده مقال لأهل العلم بالنقل، ولكن معناه صحيح عندهم»، جامع بيان العلم: (١/٥٣)، وسئل الإمام أحمد عن هذا الحديث فقال: «لا يثبت عندنا فيه شيء»، المنتخب من العلل للخلَّال: (ص١٢٨).

(٣) أخرجه ابن حبان في المجروحين عن ابن مسعود: (٢/١٦٠)، وفيه عباد بن كثير؛ متروك الحديث، والحديث باطل منكر.

(٤) في (س): إلى النبي ﷺ.

ولم يَقْنَع البائسون بحديث موسى في رحلته إلى الخَضِرِ يَطْلُبُ العِلْمَ حتى اختلقُوا ما لا معنى له، إلى أحاديث لا حصر لها ولا أصل.

[الوصاةُ بالأحاديث الصحيحة]:

فاقبضوا على ما في كَفِّ الإسلام منها، واضبطوا عليه بها، فياليتكم حصَّلتموه عُمْرَكُم، وما أُرَاكُمْ فاعلين ولا لها، ولو فعلتم مُطِيقِينَ إلَّا بتوفيق رَبِّ العالمين[١] وفضله ورحمته، واعتمِدوا من أحاديث[٢] الكَفِّ على ما صحَّ وثَبَتَ، ففيها ضَعِيفٌ كثير، ولا تكونوا كمن أحرز[٣] ناقةً أو شاةً من هَجْمَةٍ[٤] أو قَطِيعٍ فترك الكَوْمَاءَ[٥] والرُّبَّى[٦]، وعَمَدَ إلى المريضة والهزيلة، بل قد تركتم هذا كله وعمدتم إلى الميتة، وتركتم السمين والهزيل، وجعلتم تأكلون الميتة وتُطْعِمُونها سواكم، فياليت شعري ما حُجَّتُكم عند ربكم؟

وقد أخبرني[٧] بدمشق الشيخ الحافظ[٨] أبو محمد هِبَةُ الله بن أحمد

---

(١) في (س): فضل رب العالمين.

(٢) في (س): حديث.

(٣) في (س): جزر.

(٤) في (س): عجمة.

(٥) في طرة بـ (س): الكوماء: الطويلة السنام.

(٦) الرُّبَّى: هي التي تُرَبَّى في البيت لأجل اللبن، تاج العروس: (٢/٤٧٠).

(٧) في (ز): أخبرنا.

(٨) سقط من (ص).

الأَكْفَانِي[١]: نا أبو محمد[٢] عبد العزيز الكَتَّاني الحافظ قال: نا[٣] أبو الحُسَين[٤] عبد الوهاب[٥] الميداني[٦]: نا[٧] أبو هاشم عبد الجبار بن عبد الصمد[٨] السُّلَمِي قال: نا[٩] أبو بكر [القاسم[١٠]] العصَّار[١١]: أنا إبراهيم بن يعقوب الجُوزَجَانِي[١٢]: «بأنَّ الله عز وجل قال: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف:٥].

---

(١) المحدث العلَّامة الإمام، هبة الله بن أحمد بن محمد بن أحمد الأنصاري الدمشقي، أبو محمد ابن الأَكْفَانِي، (٤٤٤-٥٢٤هـ)، كان ثقة عارفًا ثبتًا، مَعْنِيًّا بالحديث وجَمْعِه، روى عنه ابنُ العربي «فضائل مالك بن أنس» لابن الجبَّان، و«محنة الشافعي»، والإسناد الذي أورده ابنُ العربي من طريقه هو إسنادُه إلى «أحوال الرجال» للجُوزَجاني، وأوَّل من أدخله إلى الأندلس هو ابن العربي، ذَكَرَ ذلك في آخِرِ «السراج»، ينظر: فهرس ابن خير: (ص٣٤٧)، وسير النبلاء: (١٩/٥٧٦-٥٧٨).

(٢) قوله: «أبو محمد» سقط من (س) و(ص) و(ز).

(٣) في (س): أنا.

(٤) في (س) و(د): الحَسن.

(٥) سقط من (س) و(ص) و(ز).

(٦) في (س) و(ز): الهمداني، وهو تصحيف.

(٧) في (س): أنا.

(٨) قوله: «عبد الجبار بن عبد الصمد» سقط من (س) و(ص) و(ز).

(٩) في (س): أنا.

(١٠) في طرة بـ (د) كلمة غير واضحة، ويقرب أن تكون كما كتبتها، وسقطت من النسخ الأخرى.

(١١) في (س): العطَّار، وهو تصحيف.

(١٢) في (س): الجرجاني، وهو تصحيف.

وقد حدَّثني[١] علي بن الحَسن[٢] قال: سمعت عبد الله - يعني: ابن المبارك - يقول: إذا ابتليت بالقضاء فعليك بالأثر.

قال علي[٣]: فذكرته لأبي حمزة محمد بن ميمون السُّكَّري[٤]؛ من أهل مرو، ولا بأس به، فقال: هل تدري ما الأثر؟ أن أحدثك بالشيء فتعمل به، فيقال لك يوم القيامة: من أمرك بهذا؟ فتقول: أبو حمزة، فيجاء بي[٥] فيُقال: إن هذا يزعم أنك أمرته بكذا وكذا، فإن قلتُ: نعم، خُلِّيَ عنك، ويقال لي: من أين لك هذا؟ فأقول: قال لي الأعمش، فيُسأل الأعمش، فإذا قال: نعم، خُلِّي عني، ويقال للأعمش: من أين قلت هذا؟ فيقول: قال لي إبراهيم، فيُسْأَلُ إبراهيم، فإن قال: نعم، خُلِّي عن الأعمش[٦] وأُخِذَ إبراهيم، فيقال له: من أين قلت/ هذا[٧]؟ فيقول: قال لي علقمة، فيُسأل علقمة، فإذا قال: نعم، خُلِّيَ عن إبراهيم، ويقال له: من أين قلت هذا[٨]؟ فيقول: قال لي عبد الله بن مسعود، فيسأل عبد الله بن مسعود، فإن قال: نعم، خُلِّيَ عن علقمة، ويقال لابن مسعود: من أين قلت؟ فيقول: قال لي رسول الله ﷺ، فيُسأل رسول الله ﷺ فيقول: قالي لي جبريل، حتى ينتهي إلى الرب، فهذا الأثر.

١ [٦٨/ب]

---

(١) القائل هنا هو الجُوزَجاني.
(٢) في (س) و(ص): الحُسَين، وهو تصحيف.
(٣) في (س) و(ز): قال علي بن الحُسَين.
(٤) في (س) و(ز): السَّكُوني.
(٥) سقط من (د) و(ص).
(٦) في (س): عنه.
(٧) سقط من (د) و(ص).
(٨) سقط من (ص) و(د).

فالأَمْرُ جِدٌّ غير هَزْلٍ، إذ كان يُشْفِي على جنة أو نار؛ ليس بينهما هناك منزلٌ، وليعلم أحدُكم[١] أنه مسؤولٌ عن دينه، وعمَّن[٢] أخذه، وحِلِّه وحَرَامِه[٣]، كالذي[٤] [حدَّثني أشهل بن حاتم عن ابن عون عن محمد قال: إنَّ هذا العلم دين؛ فلينظر امرؤٌ عمَّن يأخذ دينه]»[٥].

[كُتُبُ الزهد]:

وإذا لم يكن لكم بُدٌّ من قراءة «كتب الزهد» فلا تشتغلوا منها إلَّا بثلاثة؛ «كتاب ابن المبارك»، و«ابن حنبل[٦]»، و«هنَّاد بن السَّرِيِّ»[٧]، فهي أمثلها، وهم أَجَلُّ الزُّهَّادِ، وأعلمُهم، وأكثرُهم حَوْطَةً على المسلمين، وأبصرُهم بما يَرْوُون[٨].

---

(١) سقط من (س).

(٢) سقطت من (ص) و(س).

(٣) قوله: «حله وحرامه» سقط من (س) و(ص) و(ز).

(٤) بعده في (د) علامة اللحق، ولا يكاد يظهر شيء، والاستدراك من كتاب أحوال الرجال للجوزجاني: (ص٣٥٩).

(٥) أحوال الرجال للجوزجاني: (ص٣٥٩).

(٦) بعده في (س) و(ص) و(ز): والسري أبي السري، وضرب عليها في (د).

(٧) يروي ابنُ العربي «كتاب الزهد» لهنَّاد عن ابن الطُّيُوري، فهرس ابن خير: (ص٣٤١).

(٨) بعده في (ص): آخر الجزء الأوَّل، وأوَّل الثاني: بسم الله الرحمن، قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه: أقسام العلوم.

أقسامُ العلوم:

والعِلْمُ وإن كان معنًى واحدًا، وحقيقةً واحدةً؛ ولكنه يَنْقَسِمُ أقسامًا كثيرةً من جهات مختلفة، من جهة صفاته، واختلاف متعلقاته، وما يتصل به، ويرتبط معه.

أَمَّا[١] انقسامُه من جهة صفاته فأمرٌ يختصُّ به أهل السنة، فإنهم يقولون: إنه على قِسْمَيْنِ: قديم ومخلوق، فعِلْمُ الله هو الذي لا أوَّل له[٢]، يتعلَّق بالمعلومات كلها على اختلاف أنواعها؛ من قديم ومُحْدَثٍ، وموجود ومعدوم، على الجملة والتفصيل، لا يَعْزُبُ عنه معنًى يَصِحُّ أن يتعلَّق به عِلْمٌ، ولا يَتَقَدَّرُ في وَهْمٍ، فهو بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير.

والمقصود من العِلْمِ: العِلْمُ بالله تعالى، وبه يتعلَّق جميعُ المعلومات، فإنَّا نفتقرُ إلى أن نعلم ذاته وصفاتِه ومخلوقاته، ونعلم من ذلك جُمْلَةً من تفصيل، وقليلًا من كثير، إذ الإحاطةُ له خاصة، ونَعْلَمُ من وَجْهٍ، ونَجْهَلُ من وَجْهٍ، ويطرأُ علينا السَّهْوُ والذُّهُولُ والشَّكُّ، ويُعْدَمُ عِلْمُنا، وهو القُدُّوسُ عن ذلك كلِّه، وَجَبَتْ له صفات الكمال، وتفرَّد بنُعوت الجلال.

وتنقسم العلوم من جهة طُرُقِها إلى ثلاثة أقسام؛ قِسْمٍ يَثْبُتُ في النفس ابتداءً، وقِسْمٍ يُعْلَمُ بالحواس، وقِسْمٍ يُعْلَمُ بالقياس على هذين القِسْمَيْنِ؛ وهو الأكثر، وهو المأمور به، وهو المُسَمَّى بالعِلْمِ النَّظَرِيِّ[٣].

---

(١) في (ص) و(د): فأما.

(٢) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص١٩٠)، والأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/١٠).

(٣) في (د): وهو العلم المسمى بالنظري.

وينقسمُ من جهة متعلَّقاته إلى ثلاثة أقسام[1]:

الأوَّل: معرفة الله تعالى بذاته وصفاته، وأفعاله وأحكامه، وهو المطلوب.

والثاني: معرفة أفعال المكلَّفين.

والثالث: معرفة الجزاء في الآخرة.

ولو قلت: إنه قِسْمٌ واحدٌ؛ معرفة الله بذاته وصفاته وأفعاله، لدخل ذلك كلُّه فيه، وانتظم به، وينبني ذلك على معرفة المرء بنفسه، فمن لا يَعْرِفُ نَفْسَه لا يعرف ربَّه، إذ لا سبيل إلى معرفة الله إلا بالاستدلال عليه، وهذا مَسْطُورٌ مُوَضَّحٌ في كتاب الله فلْيُنْظَرْ فيه، فليس له صفة كمال، ولا/ للمُلْحِدَةِ شُعْبَةُ ضلال إلَّا وهو[2] في كتاب الله مُوَضَّحٌ، قال الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٩]. ١ [٦٩/أ]

وأمَّا أَحْكَامُ أفعال المكلفين: ففي[3] القرآن الإيضاحُ لها، والإحالةُ أيضًا على بيان النبي ﷺ فيها.

رُوي في الصحيح عن ابن مسعود: «لعن الله الواشمات والمستوشمات، والمُتَنَمِّصَاتِ، والمُتَفَلِّجَاتِ للحُسْنِ المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ الله، فجاءته امرأة فقالت: إنه بلغني أنك لَعَنْتَ كَيْتَ وكَيْتَ، فقال: وما لي لا أَلْعَنُ من لعن رسولُ الله ﷺ، ومن هو في كتاب الله، فقالتْ له: قرأتُ

---

(١) ينظر: قانون التأويل: (ص٢٣٠).

(٢) قوله: «في كتاب الله فلينظر فيه، فليس له صفة كمال، ولا للمُلْحِدَةِ شعبةُ ضلال إلَّا وهو» سقط من (د) و(ص).

(٣) في (د): في.

ما بين اللَّوْحَيْنِ فما وجدت فيه ما تقول، فقال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، أما قرأت: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧]؟ قالت: بلى، قال: فإنه قد نهى عنه»[١].

وتَزْكِيَةُ[٢] النفس وتطهيرُها والخروجُ عن آفاتها بالقَلْبِ والجَوَارِحِ عِلْمٌ مُحْكَمٌ في القرآن والسنة، وهو نِصْفُ العِلْمِ من جهة، إذ[٣] العِلْمُ وَجْهَانِ؛ معرفة الخالق، ومعرفة الخَلْقِ.

فتنخَّل لك أن علوم الشريعة[٤] ثلاثة؛ «التَّوْحِيدُ»، و«الأحكامُ»، و«التَّذْكِيرُ»، ويدخل عليها «الناسخ والمنسوخ»، وهو منها، وقد مَهَّدْنَا في ذلك فُنُونًا عظيمةً في «أنوار الفجر».

وهذه «الرسالة» هي مُجَرَّدَةٌ في قِسْمِ الذِّكْرَى، فإنَّ من معرفة النفس معرفةَ الأسماء والصفات، في الأحوال والمقامات، وسترون ذلك إن شاء الله.

فإنكم إذا عَقَلْتُم ما كنتم به مخاطبين، وعَلِمْتُم ما غَدَوْتُم به جاهلين، وذكرتم ما كنتم عنه غافلين، وصدَّقتم بما غدا سواكم به مُكَذِّبِينَ، وطلبتم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب اللباس، باب المتنمصات، رقم: (٥٩٣٩-طوق).

(٢) في (س): تزكية.

(٣) بعده في (د): إلى، ولا وجه لها.

(٤) في (د) و(ص) و(ز): الشرع، وأشار إليه في (س).

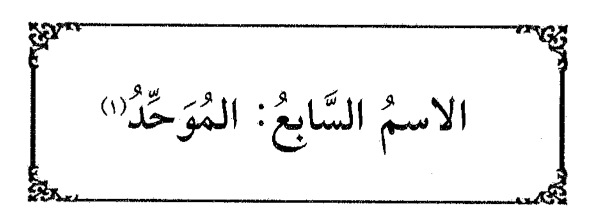
الإيمان من المؤمن[١]، والإسلام من السَّلام، وخلعتم كل معبود سواه، ولم تُؤَمِّلُوا غيره؛ فقد وَفَيْتُم بالعُهْدَةِ، وأحكمتم العُقْدَةَ.

وقد روى ابن عمر عن النبي ﷺ - واللفظ لمسلم -: «بُنِيَ الإسلام على خمس، على أن يُوَحَّدَ الله»[٢]، وذَكَرَ باقيها، فجعل التَّوْحِيدَ أَصْلَ الدِّينِ وجُمْلَتَه، وهو:

* * * * *

(١) في (س): المؤمنين.

(٢) تقدَّم تخريجه.



الاسمُ السَّابعُ: المُوَحِّدُ[١]

قال الله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة:١٦٣].

وقال النبي ﷺ - واللفظ للبخاري - لمعاذ بن جبل حين أرسله إلى اليمن: «إنك تقدم على قوم أهل الكتاب؛ فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يُوَحِّدُوا الله، فإذا فعلوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات»[٢]، وذكر الحديث.

وهو قوله في القرآن والحديث: «أن لا تشركوا بي شيئًا»، أي: لا تجعلوا له مِثْلًا في ذات ولا صفات ولا أفعال، فذلك إثباتُ حقيقة التوحيد، لَهُ ذاتًا وصفةً وفِعْلًا، وفِيكَ[٣] عَقْدًا وقَوْلًا وعَمَلًا.

بيان سهولة التوحيد:

وقد عَظَّمَه قَوْمٌ على الخلق حتَّى أَيْأَسُوهم منه، وما أعظمه قَدْرًا! وما أقربه تَيَسُّرًا[٤]! ولقد رضي الله فيه باليسير، وأدناه لعباده بالتيسير، وأمرهم به بسابق الحُكْمِ والتقدير فقال: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦].

(١) سقط من (س) و(ص) و(ز).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، رقم: (١٤٥٨-طوق).
(٣) ضرب عليها في (د).
(٤) في (س) و(ص): يسرًا.

[٦٩/ب] فالتوحيد هو: أن لا/ ترى لله شريكًا؛ بأن لا تعتقد سواه خالقًا ولا معبودًا، وأنه فعَّال لما يريد، ولا يُسأل عمَّا يفعل، والخَلْقُ[١] يُسألون، وأدلة هذا كله قرآنيةٌ قريبة على الخلق.

وقد قالوا: إنه بحر لا ساحل له، وصَدَقُوا، وهو نَهْرٌ عَذْبٌ تخوضه بالقَدَم، وتُدركه بالعلم في أسرع وقت وعلى أنهج أَمَمٍ، وإنَّما عظَّمه كثرة الشاكِّين، وتخليط المُلحدين، ونزغات الشياطين.

وإذا كُنْتَ منشرح الصدر على نُورٍ من الله لم يَعْظُمْ عليك شَيْءٌ ممَّا تَلْقَى، وإن أخطأتك الهدايةُ فأنتَ بكل طريق طَرِيحٌ مُلْقًى، وقد قابل الله كلَّ ما تخافُ[٢] اعتراضه[٣] من ذلك بحُجَجِه الظاهرة في كتابه المُبين، وبيَّنها خاتم المرسلين، وها أنا أُوردها عليكم في هذه الرسالة مَجْلُوَّةَ الحُلَى؛ على ترتيب العلماء الراسخين:

وإذا عرفتم أنه لا خالق سواه، ولا معبود إلَّاه[٤]، فله الخَلْقُ لنا وفينا، ومنَّا الطاعة له خَلْقًا وحقًّا، فمن يُرْجَى بعده لمُلِمَّةٍ؟ أو لكَشْفِ عظيمة[٥]؟ أو لهَدْيِ كَرِيمَةٍ[٦]؟ وعن هذا وقعت الإشارة من النبي في قوله لرجل[٧]: «أسلمتُ وتخلَّيتُ»[٨]، خرَّجه النسائي.

---

(١) في (ص): هم.
(٢) في (س): يخاف.
(٣) في (س): اعتقاده.
(٤) في (س) و(ز): إلا هو.
(٥) في (س) و(ص): يكشف العظيمة.
(٦) في (س) و(ص): يهدي الكريمة.
(٧) بعده في (س) و(ص) و(ز): قل، وضرب عليها في (د).
(٨) أخرجه النسائي في الكبرى من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده: كتاب الزكاة، باب من سأل بوجه الله، رقم: (٢٣٦٠-شعيب).

المعنى: قصدتُ السلامة؛ ولم أَدْعُ سواك، ولا رجوت غيرك، ولا يكون التَّخلِّي[1] في العُلُوم إلَّا بالتَخَلِّي عن الأفعال والهُمُوم.

والمُوَحِّدُ[2]: هو الذي يَعْلَمُ هذا بقلبه، ويعتقده ويقوله بلسانه، وتظهر ثمراتُه على جوارحه في أفعاله.

والمُلْحِدُ: لا يعلم ذلك ولا يقوله.

والمنافق: يقولُه ولا يعتقدُه.

والقاصر: يعتقده ويقوله، ولا يظهر أثرُه على جوارحه.

وهذا[3] الناقص الحالة، الناقص المرتبة، الناقص العاقبة.

فأمَّا نقصان حالته؛ فلا يدخل في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُومِنُونَ ٱلذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:٢]، وأمثاله.

وأما نقصان مرتبته؛ فإنه لا يكون شاهدًا دُنيا[4] ولا آخرة، ولا يكون إمامًا ولا أمينًا.

وأمَّا نقصان حاله في العاقبة؛ فحسب حاله في الخلاف والتقصير، وقد تَخْتَلِجُ الشكوك في القلب، وتعترض العوارض حتى يأتي الله باليقين.

[إسلامُ أبي سفيان وزوجه هند رضي الله عنهما]:

قال أبو سفيان حين سأله هِرَقْلُ عن النبي وصفاته ومقاله، وراجَعه هِرَقْلُ عن ذلك بما راجعه في الحديث المشهور، قال أبو سفيان: «فما زلت مُوقِنًا أن أَمْرَ رسول الله ﷺ سيظهر»[5].

---

(١) في (س): التخلي، وفي (ص): التجلي.

(٢) في (د) و(ص): الموحد.

(٣) في (د): هو.

(٤) في (س): دينًا.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الوحي، رقم: (٧-طوق).

فلمَّا كان ليلة الفتح ولقيه العبَّاس بالأذاخر، وجاء به، ووَقَفَ بين يدي رسول الله ﷺ[١]، وعُمَرُ قد تبعه ليقتله، فقال له النبي ﷺ: «أما آن لك أن تشهد أن لا إله إلا الله؟ فقال له أبو سفيان[٢]: أما هذا فقد علمتُ أنه لو كان مع الله إله غيره لأغنى عني[٣]، قال له: أما آن لك أن تشهد أن محمدًا رسول الله؟ قال له أبو سفيان: أمَّا هذه ففي النفس منها شيء، فقال له العباس: ويحك؛ تَشَهَّدْ قبل أن تُضرب عنقك، فتشهَّد[٤] شهادة الحق»[٥].

ولم تكن تخفى[٦] على أبي سفيان منزلتُه، ولا ضَلَّتْ عليه معجزتُه، ولكنها كانت أَنَفَةً دَنِيَّةً، وهِمَّةً جَاهِلِيَّةً، وحالًا[٧] اقتضتها العصبيَّةُ، وحَسُنَ بعد ذلك إسلامُه،/ وإسلامُ الفاضلة زَوْجِهِ؛ هِنْدِ بنت عُتْبَةَ، وجاءت إلى النبي ﷺ فقالت له: «يا رسول الله، والله ما كان على ظهر الأرض أَهْلُ خِبَاءٍ أحب إليَّ من أن يَذِلُّوا من أهل خبائك، وما أصبح اليوم على ظهر الأرض أَهْلُ خباء أحب إليَّ أن يَعِزُّوا من أهل خبائك، فقال لها رسول الله[٨] ﷺ: وأنا كذلك»[٩]، وناهيك بها[١٠] منقبةً وشرفًا.

[١/٧٠أ]

---

(١) بعده في (د): به.

(٢) قوله: «فقال له أبو سفيان» سقط من (س).

(٣) في (س) و(ص): لو كان غير الله لأغنى عني.

(٤) في (س) و(ز): فشهد.

(٥) أخرجه الطبراني في أكبر معاجمه عن ابن عباس رضي الله عنهما: (١١/٨)، رقم: (٧٢٦٤)، فيه محمد بن إسحاق، وهو حسن الحديث.

(٦) في (د): لم يكن يخفى.

(٧) في (د): حال.

(٨) في (د) و(ص) و(ز): النبي.

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: كتاب مناقب الأنصار، باب ذكر هند بنت عتبة رضي الله عنها، رقم: (٣٨٢٥-طوق).

(١٠) في (د) و(ص): بهذا.

وعندي هاهُنا نُكْتَةٌ؛ أن بني أمية إنَّما ارتفعوا بهذه الإشارة، واسْتَسْعَدُوا[١] بهِنْدٍ فيها، وما أجرى الله على لسان النبي[٢] منها، فاعتزَّ القَوْمُ ومَلَكُوا الأرض، وظَهَرُوا على من[٣] سواهم ممَّن ناوأهم، ما أقاموا الحق واعتمدوا التأويل، فلما غَيَّرُوا غيَّر الله بهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١٢].

قال الإمام الحافظ أبو بكر[٤] ﷺ: فقد تبيَّن أن حقيقة التوحيد أن لا تعتقد خالقًا إلَّا الله، ولا معبودًا سواه، وأنه فعَّال لما يريد، وأنه قد كتب العبدَ شَقِيًّا أو سعيدًا، صحيحًا[٥] أو مُعْوَجًّا، مُقَدَّرًا عليه رِزْقُه أو مُوَسَّعًا، طائعًا أو عاصيًا، مُعَمَّرًا أو غير مُعَمَّرٍ[٦]، أو مُعْتَبَطًا[٧]، وأبلغ[٨] رسولُه أمرَه ونهيه[٩]، وعرَّفه ما ابتلاه به من ذلك؛ في طاعة يمتثلها، أو معصية يجتنبها، ووعد بالثواب[١٠] لمن أطاع، وأوعد بالعقاب لمن عصى.

---

(١) في طرة بـ (د): انتفعوا، وصحَّحها.

(٢) في (د) و(ص) و(ز): رسوله.

(٣) سقطت من (س) و(ز).

(٤) في (د): قال الإمام الحافظ، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي.

(٥) في (س): في خـ: مستقيمًا.

(٦) قوله: «أو غير معمرٍ» سقط من (س) و(ص) و(ز).

(٧) في (د) و(ز): مغتبطًا.
المُعْتَبَطُ: من مات شابًا، تاج العروس: (١٩/٤٦٧).

(٨) في (ص): أنهى، وفي (س): أنه.

(٩) في (س): نُهاه.

(١٠) في (س): الثواب.

قالت الصحابة للنبي ﷺ: «يا رسول الله، هذا الذي نحن فيه أَمْرٌ قد فُرِغَ منه أم أَمْرٌ مُسْتَأْنَفٌ؟ فقال لهم: فَرَغَ ربُّكم، قالوا له[١]: ففيم العمل؟ فقال: اعملوا فكلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له، أمَّا من كان من أهل السعادة فيُيَسَّرُ[٢] إلى عَمَلِ أهل السعادة، وأمَّا من كان من أهل الشَّقاوة فيُيَسَّرُ[٣] إلى عَمَلِ[٤] الشقاوة، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:٥ - ١٠]»[٥].

فانقادوا وفَهِمُوا أن الأمر لله والحُكْمَ له، وأن هذه الأَعْمَالَ الجَارِيَةَ على جَوَارِحِ الخَلْقِ عَلَامَاتٌ على ما للعبد عند الله.

فإن خطر ببالك أن العملَ غيرُ مُغْنٍ عنك، وأنه قد خُطَّ في جَبِينِك ما خُطَّ، وحُطَّ رَحْلُك من الدارين حَيْثُ حُطَّ، فأجمعت[٦] على التخلي عن العمل، والاستسلام لسابق القَدَرِ، فتلك علامة الهلكة.

وإن خطر[٧] وغَلَبَ على الخاطر الاستسلامُ للعمل والقدر، وجرى على الجوارح الامتثالُ؛ فذلك دليلُ الله للعباد على الفوز في المعاد.

---

(١) سقط من (س) و(ص).
(٢) في (ص): فَسَيُيَسَّرُ، ومرَّضها في (د).
(٣) في (ص): فسييسر، ومرَّضها في (د).
(٤) في (د) و(ص): لعمل.
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن علي رضي الله عنه: كتاب التفسير، رقم: (٤٩٤٩- طوق).
(٦) في (د): فاجتمعت.
(٧) سقط من (د) و(ص).

والباري تعالى هو الذي دبَّر الأمور، وقدَّر المقادير، وابتلى بها عبادَه وأخبرهم عنها، وأَحْكَمَ فاتحتها وخاتمتها، وليس في فِعْلِه عَبَثٌ، ولا في حُكْمِه[1] سَفَهٌ، ولا في خبره كَذِبٌ، ولا في أفعاله تناقض، ولا في أقواله تعارض، قال الله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ [آل عمران:٧٢] ،/ وقال سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ [الحجرات:٧-٨] .

[١ /٧٠/ب]

يعني: كل ذلك خَلَقَ فيهم أفعالَه، وأنفذ فيهم إرادته[2]، ثم أخبر عنهم بأنهم الراشدون بصفة الفاعل، وكُلُّهم بما فيه[3] مفعول، وذلك كله بنعمته وحِكْمَتِه ورحمته.

وقال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ١٤ - ١٥].

وفَاتَحَ الله رسوله بنصره، وأَوْعَدَ[4] إليه أن يَرْمِي بأمره، فامتثل ذلك من حَدِّه، وأنجز الله له فَاخِرَ وعده، وهزم جُنْدَ[5] الأحزاب بجُنْدِه، ثم قال له[6] مُطْلِعًا على الحقيقة، وناهجًا له سواءَ الطريقة: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧].

---

(١) في (د): فعله.
(٢) في (ص): إراداته.
(٣) في (ص): وجعلهم بما فيهم.
(٤) في (ص): أوعز.
(٥) في (ز): جنود.
(٦) سقطت من (س).

[حَقِيقَةُ الكَسْبِ][١]:

وهو قد رمى بدليل قوله: ﴿رَمَيْتَ﴾، وأضاف الفعل إليه ونفاه عنه، وكلاهما صِدْقٌ، فإنه أضافه إليه عربيَّةً[٢]، ونفاه عنه حقيقةً، ويحتمل أنه أضافه إليه لأنه خَلَقَ الحركة فيه، ونفاه عنه لأن التبليغ إلى الكفار[٣] المرمي به كان من خَلْقِ الله في عَبْدِهِ، يُدَبِّرُ الأمر، يُفَصِّلُ الآيات، ويُبَلِّغُها إلينا محكمات ومتشابهات.

فإن قيل: فهذا هو القول بالجبر؟

قلنا: ليس في الجبر خَبَرٌ[٤]، وإنكارُ القَدَرِ كُفْرٌ، ونحن بُرَآءُ من الوجهين:

أمَّا القَدَرُ فصحيحٌ على ما بيَّناه وأوضحناه.

وأمَّا أن الله خَالِقُ كل شيء، وأن[٥] العبد لا يخلق شيئًا؛ فبَيِّنٌ ظاهرٌ مقطوعٌ به.

وأمَّا لفظ الجَبْرِ فمُعَارِضٌ للشرع[٦]؛ فإنَّ الله خلق المشيئة في العبد وأثبتها له لفظًا، ونفاها عنه خَلْقًا، فالقول بالجَبْرِ تكذيبٌ لله، والقول بخَلْقِ المرء لِفِعْلٍ تَشْرِيكٌ مع الله، والاعتقادُ لما قال الله وأَخْبَرَ به ورَتَّبَ عليه قَوْلَه

---

(١) من طرة بـ (س)، وفوقها: بخطه، أي: ممَّا وُجِدَ بخطِّ القاضي ابن العربي.

(٢) في (س): عزيمة، وما أثبتناه صحَّحه بطرته.

(٣) في (ص): للكفار للمرمي به.

(٤) في (س) و(ز): خير.

(٥) سقط من (س).

(٦) في (ص): الشريعة.

وشَرِيعَتَه حَتْمٌ من الله، وهو سبحانه قد سَلَكَ بكُلِّ فَرِيقٍ على كلٍّ[١] طريق، واختار لنا بفضله ورحمته جادَّة التحقيق، والحمد لله رب العالمين.

فإن قيل: فلِمَ يُعَاقِبُ على ما فعل؟

قلنا: هو حاكمٌ لا يُسأل، وقد غبَّرنا وجوهكم[٢] وطمسناها في «كُتُبِ الاعتقاد» بأدلتها[٣].

فائدة:

سمعتُ الفقراء ببغداد يقولون: «إنَّ ما نقله أهلُ التفسير؛ من أن عيسى كان يَخْلُقُ من الطير كهيئة الطير وينفخ فيه فيكون طائرًا بإذن الله، فإذا طار شيئًا سَقَطَ مَيِّتًا ولم تَدُمْ له حياة، لأنَّ عيسى كان يَخْلُقُ ولا يَرْزُقُ، ولو رَزَقَ كما خَلَقَ لم يَبْقَ أَحَدٌ إلَّا قال: هو الله؛ فِتْنَةً، إلَّا مَن آتاه الله هُداه».

وقد قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ [العنكبوت:١٩]، وأنت ترى الرزق يَجْرِي على أيديهم؛ ويُعْطُونَ ويَحْرِمُون، ولكنه مَوَاطِنُ لمقدورات[٤] الله، فتعلَّق بها أهلُ الجهل بالله.

وقد ثَبَتَ وصَحَّ عن النبي ﷺ من طريق زيد بن أرقم - واللفظ له - قال: «غزونا مع رسول الله ﷺ فذكر الحديث،/ وقال: فكنتُ مع عمي؛ فسمعتُ عبد الله بن أُبَي بن سلول يقول: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ

١ [٧١/أ]

(١) سقطت من (ص).

(٢) يقصد بالوجوه هنا الأقوال والشبه.

(٣) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٢٧٠).

(٤) في (ص): بمقدورات.

حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾ [المنافقون:٧]، و﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون:٨]، فذكرتُ ذلك لعَمِّي، فذَكَرَ ذلك عَمِّي لرسول الله ﷺ، فدعاني فحدَّثتُه، فأرسل إلى عبد الله بن أُبَي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، وكذَّبني النبي ﷺ وصدَّقهم، فأصابني غَمٌّ لم يُصِبْنِي مثلُه قَطُّ، فجَلَسْتُ في بيتي، فقال عمي: ما أردت إلَّا أن كذبك[1] رسول الله ﷺ ومَقَتَك، فأنزل الله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون:١]، فأرسل إليَّ النبيُّ ﷺ فقرأها عليَّ[2]، وقال: إن الله قد صدَّقك»[3].

وهو الذي يقول فيه رسول الله ﷺ: «هو الذي أوفى الله بأُذُنِه»[4].

فأخبر الله سبحانه أن خزائن السماوات والأرض لله، وأن قول العبد: أنفق أو لا[5] تنفق في غير الطاعة؛ لَغْوٌ، وأن المعتبر في الطاعة قول النبي ﷺ: «أنفق يا بلال، ولا تَخْشَ من ذي العرش إِقْلالًا»[6]، وكذلك قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الزمر:٣٥]،

---

(١) في (س): في خـ: أكذبك.

(٢) سقطت من (ص).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، قوله: ﴿إذا جاءك المنافقون﴾، رقم: (٤٩٠٠-طوق).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: كتاب التفسير، قوله: ﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا﴾، رقم: (٤٩٠٦-طوق).

(٥) في (ص) و(ز): ولا.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في الزهد عن مسروق، وهو مرسل: (ص١٥).

وهو[١] قد ضَمِنَ الكفاية من التخويف والتوحيد، فينبغي أن لا[٢] يخاف غَيْرَ الله، وسَنُبَيِّنُ[٣] ذلك في موضعه إن شاء الله.

مُتَمِّمَةٌ: [في زيادة الإيمان ونقصانه]

لم يختلف أَحَدٌ من المتقدمين من الصحابة والتابعين والسَّلَفِ الصالحين[٤] في أن الإيمان والعلم يزيد وينقص، حتَّى نَشَأَتِ المبتدعة من القدرية وإخوانهم، فتكلموا بألفاظ الأوائل؛ من عَرَضٍ وجَوْهَرٍ، وحامل ومحمول، وخاضوا في أن العَرَضَ يتجدَّد، وأن الجَوْهَرَ الفَرْدَ لا يتعدَّد، ورَكَّبُوا عليه أدلة التوحيد، وهذا وإن كان يُفْضِي إلى تحقيق، ولكنه خُرُوجٌ عن سيرة السلف، ويصلح للغَلَبَةِ في الجدال، وإلَّا فقد أغنى الله في كتابه بما وضع من أدلته، «وليس منَّا من لم يتغنَّ بالقرآن[٥]»[٦]، ولَوْ لَمْ يُمَكِّنُوا أنفسهم من هذه[٧] الألفاظ معهم، ولا انقادوا في تَرْدَادِها في النظر إليهم؛ لكانوا قد سَدُّوا من البدعة بابًا، وطَمَسُوا وَجْهًا، فإن المداخلة لهم فيها أَطَالَ النَّفَسَ، وما حَلَّتْ عُقْدَةَ الحَبَسِ[٨].

---

(١) سقط من (ص).

(٢) سقطت من (ص).

(٣) في (د): نبين.

(٤) في (ص): الماضين.

(٥) أي: يستغني بالقرآن، وبدلائله عن تلك الأقوال والتعمُّقات.

(٦) يأتي تخريجُه في اسم «القارئ».

(٧) سقطت من (ص).

(٨) أفاد من قول ابن العربي هذا الإمامُ ابن مخلص السبتي في كتابه «أدلة التوحيد والنبوة»: (ق٢/ب).

ونحن وإن كنا نقول: إن العَرَضَ لا يقوم بنفسه وأنه يتجدَّد، وأن الجوهر الفرد لا يتعدَّد، وحُكْمُنا بأن الإيمان والعلم والاعتقاد أَعْرَاضٌ، فإنَّا نقول: إنها تزيد وتنقص، وتقوى وتضعف، وتستقيم وتنحرف، وقد ورد بذلك القرآن، وهو الغاية في البيان، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰناً﴾ [التوبة:١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [المدثر:٣١][(١)]، وقال: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى﴾ [مريم:٧٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰناً وَتَسْلِيماً﴾ [الأحزاب:٢٢]، وقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾ [الحج:١١]، وقال: ﴿فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰناً﴾[(٢)] [آل عمران:١٧٣]. / [٧١/ب]

وقال[(٣)] ﷺ: «ذَاقَ طَعْمَ الإيمان من رَضِيَ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمُحَمَّدٍ نبيًّا»[(٤)].

وقال ﷺ: «لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه[(٥)] وأهله وولده والناس أجمعين، فقال له عمر: إنك لأحب إليَّ إلَّا من نفسي، قال له رسول الله ﷺ: لا، حتى أكون أحب إليك من نفسك،

---

(١) لم ترد هذه الآية في (ص).
(٢) بعدها في (س): ﴿فما زادهم إلَّا إيمانًا وتسليمًا﴾.
(٣) في (ص): قال رسول الله.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن العباس ﷺ: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولًا فهو مؤمن، وإن ارتكب المعاصي الكبائر، رقم: (٣٤-عبد الباقي).
(٥) سقط من (ص).

قال له عمر: فإنك أحب إليَّ من نفسي[١]، قال: فالآن يا عمر»[٢]، خرَّجه البخاري.

وقال: «لن يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه»[٣].

وقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»[٤].

وقال ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه؛ وذلك أضعف الإيمان»[٥].

قال الإمام الحافظ[٦]: ومن يَعْجَبْ فَعَجَبٌ[٧] ممَّن يتأوَّل هذه الآيات والأخبارَ والحقيقةُ تعضدها، وذلك أنهم جَهِلُوا أو[٨] غَفَلُوا عن حقيقة

---

(١) قوله: «قال له رسول الله ﷺ: لا، حتى أكون أحب إليك من نفسك، قال له عمر: فإنك أحب إليَّ من نفسي» سقط من (س).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، رقم: (٦٦٣٢-طوق).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم: (١٣-طوق).

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي شُرَيح الكعبي رضي الله عنه: كتاب الجامع، جامع ما جاء في الطعام والشراب، (٢/٣١٠)، رقم: (٢٦٤٢-المجلس العلمي الأعلى).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب بيان أن النهي عن المنكر من الإيمان، رقم: (٤٩-عبد الباقي).

(٦) في (د): قال الإمام الحافظ القاضي رضي الله عنه، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي رضي الله عنه.

(٧) في (ص): فيعجب.

(٨) في (س): و.

الزيادة والنقص، والوجود والعدم، وذلك أن الشيء لا يزيد بذاته ولا ينقص بها، وإنَّما يزيد بشيء[١]؛ كان جوهرًا أو عَرَضًا، فإن وُجِدَ مِثْلُه أو مِثْلَيْه[٢] زاد، فإن عُدِمَ ذلك الوجود بعده نَقَصَ، فإن عُدِمَ أصلُه الأوَّل كان نَفْيًا مَحْضًا، فالعَدَمُ نَفْيُ الوجود[٣] الأول، والنقص نَفْيُ الوجود[٤] الثاني الذي به كانت الزيادة، ولن يزال العبدُ أبدًا في زيادة المعرفة بنَفْسِه وبرَبِّه وبدِينِه ما تراخى أجلُه، وإذا طرأت[٥] عليه غفلةٌ أو ذُهُولٌ أو شكٌّ في معلوم فانعدم ذلك الزائد على الأصل كان نقصًا، حتى لو عُدِمَ الأول الذي حَصَلَ له به الحكم، أو الثاني الذي جُعِلَ مثله في الفَرْضِيَّةِ والعصمة، كان في وُجُودِ الأول عَدَمًا حقيقةً وحُكْمًا، وحُكِمَ عليه بالكفر، وإن عُدِمَ الثاني كان كافرًا حُكْمًا، وهذا ممَّا[٦] كان لا ينبغي أن[٧] يخفى على أَحَدٍ من المحققين.

وكأنِّي بشَيْخٍ مُزَمِّلٍ[٨]، وفَتًى مُحَضْرَمٍ مُؤَنَّبٍ[٩]؛ يرى هذا الكلام

---

(١) في (س) و(ص) و(ز): وإنما يوجد الشيء.
(٢) قوله: «أو مثليه» سقط من (س) و(ص) و(ز).
(٣) في (د): الموجود.
(٤) في (د): الموجود.
(٥) في (س) و(ص) و(ز): طرأ.
(٦) سقطت من (س)، وفي (ز): كان ممَّا.
(٧) في (د) و(ص): ينبغي ألا.
(٨) في (د) و(س): مُؤَيَّل، ومرَّضها في (د)، وفي الطرة: مُرْمِل، وصحَّحها، وفي (ص) و(ز): مؤبل، وما أثبتناه من طرة بـ (س): وقال: في نسخة أخرى، وصحَّحه، والمزمل: المقصر المتهاون في الأمر، تاج العروس: (١٤٢/٢٩).
(٩) في (د): مخضرم مُزَبَّب، وفوق «مزبَّب» علامة التمريض، وفي الطرة: مؤنب، وصحَّحها.

فيقولُ كما قال الذين من قبلهم في مِثْلِي، تَشَابَهَتْ قلوبهم مع قلوب الذين كانوا مِن قَبْلِي: «فُلَانٌ ضَعِيفٌ في أصول الدين»، وقد بيَّن الله الآيات لقوم يوقنون.

والقاطع للدَّاء الحاسم لما يطرأ عليك من قِبَلِهم من الشُّبَهِ والأَنْبَاءِ حَدِيثُ حَنْظَلَةَ وأبي هريرة - واللفظ لحنظلة -: قال أبو عثمان النَّهْدِي عن حنظلة الأُسَيْدِي[1]، وكان من كُتَّابِ رسول الله ﷺ: أنه مرَّ بأبي بكر وهو يبكي فقال: «مالك يا حنظلة؟ فقال: نافق حنظلة يا أبا بكر؛ نكون عند رسول الله ﷺ فيُذَكِّرُنا[2] بالنار والجنة[3] كأنَّا رَأْيَ عَيْنٍ، فإذا رجعنا إلى الأزواج والضَّيْعَةِ نَسِينَا كثيرًا، قال: فوالله إنا كذلك، انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ، فانطلقنا، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: مالك يا حنظلة؟ قال: نافق حنظلة يا رسول الله، نكون عندك تُذَكِّرُنا بالنار والجنة[4] كأنَّا رَأْيَ عَيْنٍ، فإذا رجعنا عافسنا[5] الأزواج والضَّيْعَةَ ونَسِينَا كثيرًا، فقال رسول الله ﷺ:/ لو أنكم[6] تدومون على الحال التي تقومون بها من عندي لصافحتكم الملائكة في مجالسكم، وفي طُرُقكم، وعلى فُرُشِكم، ولكن يا حنظلة؛ ساعةٌ وساعةٌ»[7].

١ [٧٢/أ]

(١) في (س) و(ز): الأسدي.

(٢) في (د) و(ص): يذكرنا.

(٣) في (س) و(ص): بالجنة والنار.

(٤) في (س) و(ص) و(ز): بالجنة والنار.

(٥) في (ص): غافسنا.

(٦) سقطت من (س) و(ص) و(ز).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة، رقم: (٢٧٥٠-عبد الباقي).

تكملة: [في قول الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله]

اختلف الناس في قَوْلِ الرجل: أنا مُؤْمِنٌ إن شاء الله، على ثلاثة أَقْوَالٍ:

أحدُها: أنه يَجِبُ عليه إذا أخبر عن نفسه بالإيمان أن يَقْرِنَه بالمشيئة.

[ثانيها]: وقال آخرون: لا ينبغي أن يفعله.

[ثالثها]: وقال آخرون: إن فَعَلَه جاز، أو تَرَكَه فمِثْلُه.

والقول فيه طويل، وَجِيزُه: أن العبد لمَّا كان لا يَمْلِكُ عَقْدَه ولا قَوْلَه ولا فِعْلَه كان حقًّا عليه أن يُضيفه إلى مشيئة من هو بيده، فإذا صرَّح به فقد قال الحقيقة، وهذا[1] قَوْلُ من أوجبَه؛ لأنه لَوْ لَمْ يفعل ذلك لكان قد أَثْبَتَ لنفسه ما رُبَّما لم يَثْبُتْ له.

وأمَّا من قال: إنه يُمْنَعُ منه؛ فلأنه يدل على شَكٍّ في دوام الحال، وهو إنَّما ينبغي أن يَجْزِمَ عَقْدَه، والباري يُنْجِزُ[2] وَعْدَه، ويُظْهِرُ ما عنده.

وأمَّا من قال: إنه جائز له؛ فهو عندي على تَأْوِيلٍ، كأنه يقول: أنا مُؤْمِنٌ الآن جَزْمًا، إن شاء الله أن يُجَدِّدَ لي فيه كل وقت عَزْمًا.

والذي يَصِحُّ من هذه الأقوال: إِطْلَاقُ القول بأنه مؤمن، ولا يدخله استثناء؛ بتأويل ولا بغير تأويل[3]، قال النبي ﷺ: «لا يقولن أحدكم: اللهم

---

(١) في (ص) و(د): فهذا.

(٢) في (ص) و(د) و(ز): سينفذ.

(٣) في (س): بغير تأويل ولا تأويل.

اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليَعْزِمِ المسألة، فإنه لا مُكْرِهَ له»[١].

وقد انقرض عَصْرُ الرسول ﷺ والصحابة ولم يُسْمَعْ فيه[٢] قَطُّ: «أنا مؤمن إن شاء الله»، ولا وَرَدَ ذلك من طريق يَصِحُّ.

والذي أوقعهم في ذلك حديث أبي هريرة: «خرج النبي ﷺ إلى المقبرة فقال: السَّلامُ عليكم دارَ قَوْمٍ مؤمنين، وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون»[٣]، فلمَّا قال النبي: «وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون[٤]»، فأدخل المشيئة في الموت الذي لا مَحِيدَ عنه، دَخَلَتْ في كل ما بعده ممَّا يمكن أن يكون أو لا يكون، وإذا كان فيُمْكِنُ أن يَثْبُتَ أو لا يَثْبُتَ، وقد بيَّنَّا معنى هذا الحديث في كتاب «القَبَسِ»[٥] وغيره من جميع وُجُوهِه، وأَوْضَحْنَا إِبْطَالَ قَوْلِ من قال: إنَّ معناه: وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون؛ على الإيمان قَطْعًا في خاصَّته، وظاهرًا فيمن معه من أصحابه، وذكرنا تأويل ذلك الحديث في موضعه.

وقد قيل: إن معناه: وإنا إن شاء الله بكم لاحقون في هذه البقعة؛ لأن النبي ﷺ كان يرجو الشهادة في سبيل الله ويتمنَّاها، ولم يكن يعلم كيفية

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي هريرة رضي الله عنه: ما جاء في الدعاء، (٢٦٣/١)، رقم: (٥٧٠-المجلس العلمي الأعلى).

(٢) في (ص) و(د): قط فيه.

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: جامع الوضوء، (١١٧/١)، رقم: (٦٦-المجلس العلمي الأعلى).

(٤) قوله: «فلمَّا قال النبي: وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون» سقط من (س).

(٥) القبس: (١٥١/١-١٥٣).

موته، وتَحَقَّقَ أن الوجه الذي شاء الله أن يموت عليه سيظهر عند حضور[١] أجله، فصَرَفَ رسول الله[٢] ﷺ الاستثناءَ بالمشيئة إلى تلك الحالة الخفية.

وقد قال النبي ﷺ: «المدينةُ يأتيها الدَّجَّالُ فيجد الملائكة يحرسونها، فلا يقربها الدَّجَّالُ ولا الطاعون إن شاء الله»[٣]، فربَّما تعلَّقوا به،/ والنبيُّ إنَّما استثنى فيه لأنه كذلك أُوحِيَ إليه[٤]، فنَقَلَ كما عُلِّمَ. [٧٢/ب]

ولم يُنْقَلْ في حديث عن النبي ﷺ أنه شَرَطَ على أَحَدٍ في الإيمان الاستثناءَ، ولا تَطَوَّعَ به أَحَدٌ فأَقَرَّهُ عليه، بل نُقِلَ عنه ضدُّه؛ مِنْ أنه كان يُخْبِرُهم بالإيمان والإسلام وأركانه ووظائفه؛ فيُجِيبُون إليه، ويُسْلِمُونَ فيه، ويُقِرُّونَ به من غير استثناء، وقد قال - كما تقدَّم في الصحيح لرجل -: «قُلْ: آمنتُ بالله، ثم استقم»[٥]، ولم يَجْرِ للمشيئة ذِكْرٌ؛ فدَلَّ على أنه من التَّنَطُّعِ الفاسد.

* * * * *

---

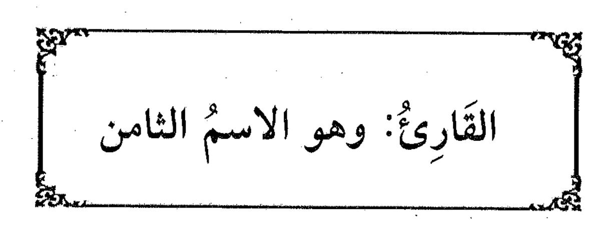
(١) في (س) و(ز): حلول.

(٢) قوله: «رسول الله» لم يرد في (س) و(ز).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: كتاب الفتن، باب لا يدخل الدجَّال المدينة، رقم: (٧١٣٤-طوق).

(٤) في (ص) و(د): إليه به.

(٥) تقدَّم تخريجه.



القَارِئُ: وهو الاسمُ الثامن

ولمَّا كانت[١] معجزة النبي ﷺ القرآن؛ الذي هو منبع العلوم ومعدن المعارف، فاجتمعت فيه الدِّلَالَةُ على الصدق، والدِّلَالَةُ على الإنباء[٢]، والإيضاحُ لجميع العلوم والأنباء، كان الإقبالُ عليه فَرْضَ الأمَّة، ودَأْبَ الصحابة، وقد أبقى الله لنا معجزة نَبِيِّنَا، وجَعَلَ فيه علومنا وهدايتنا، وأضلَّ به أعداءنا، فالعاقل العالم[٣] المؤمن المسلم الدَّيِّنُ المُوَحِّدُ هو القارئُ، وعلى قَدْرِ قراءته يكون عِلْمُه وإيمانُه وإسلامُه وتوحيدُه ودينُه؛ وفَضْلُه كُلُّه.

فضائله:

وقد قال النبي ﷺ: «خَيْرُكم من تعلَّم القرآن وعلَّمه»[٤].

وقال ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين؛ رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار»[٥].

وقال: «مَثَلُ المؤمن الذي يقرأ القرآن مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ؛ ريحُها طَيِّبٌ وطَعْمُها طَيِّبٌ، ومَثَلُ المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مَثَلُ التَّمْرَةِ التي لا رِيحَ

---

(١) في (ز) و(س): كان.

(٢) في (ص) و(د) و(س): الابتلاء، ومرَّضها في (د)، وأثبتنا ما صحَّحه بالطرة.

(٣) سقط من (س) و(ز).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن عثمان ﷺ: كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه، رقم: (٥٠٢٧-طوق).

(٥) تقدَّم تخريجه.

لها وطعمُها حُلْوٌ، ومَثَلُ المنافق - وفي رواية: الفاجر[١] - الذي لا يقرأ القرآن مَثَلُ الحَنْظَلَةِ ليس لها رِيحٌ وطعمُها مُرٌّ، ومَثَلُ المنافق الذي[٢] يقرأ القرآن مَثَلُ الريحانة؛ ريحُها طَيِّبٌ وطعمُها مُرٌّ»[٣].

وفي رواية: «مَثَلُ المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأُتْرُجَّةِ، والمؤمن الذي يقرأ القرآن ولا يعمل به كالتمرة»[٤].

وقال عبد الرحمن بن عوف: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة تحت العرش يوم القيامة؛ القرآن يُحَاجُّ العباد؛ له ظهر وبطن، والأمانة، والرَّحِمُ؛ تنادي ألَا مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَه الله، ومن قَطَعَنِي قَطَعَه الله»[٥].

قال رسول الله ﷺ: «يُقال لصاحب القرآن: اقْرَأْ وارْقَ ورَتِّلْ كما كنت تُرَتِّلُ في الدنيا، فإنَّ منزلتك عند آخر آية تقرأها، ويزاد بكل حَرْفٍ حسنة»[٦].

---

(١) أخرجها البخاري في صحيحه: كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام، رقم: (٥٠٢٠-طوق).

(٢) قوله: «لا يقرأ القرآن مَثَلُ الحَنْظَلَةِ ليس لها رِيحٌ وطعمُها مُرٌّ، ومَثَلُ المنافق الذي» سقط من (د) و(ص).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري ﵁: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة حافظ القرآن، رقم: (٧٩٧-عبد الباقي).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري ﵁: كتاب فضائل القرآن، باب من راءى بقراءة القرآن أو تأكَّل به أو فخر به، رقم: (٥٠٥٩-طوق).

(٥) أخرجه البغوي في شرح السنة: كتاب البر والصلة، ثواب صلة الرحم وإثم من قطعها، (١٣/٢٢)، رقم: (٣٤٣٣-شعيب)، وأخرجه العُقَيلي في ضعفائه: (٤/٥)، وقال: «لا يصح إسناده».

(٦) تقدَّم تخريجه.

وقال ﷺ: «إنَّ الذي ليس في جوفه مِنَ القرآن شيءٌ كالبيت الخَرِبِ»(١).

وقال ﷺ: «تعاهدوا القرآن؛ فإنه(٢) أَشَدُّ تَفَصِّيًا من صدور الرجال من النَّعَمِ من عُقُلِها»(٣).

١ [٧٣/أ] وصحَّ عنه ﷺ أنه كان يجمع في الدَّفْنِ بين القتلى يوم أُحُدٍ، فإذا أُشير له إلى أحدهم/ أنه كان(٤) أكثرَ قرآنًا قدَّمه في اللَّحْدِ(٥).

وقال ﷺ - وصَحَّ -: «يَؤُمُّ القَوْمَ أقرؤهم لكتاب الله»(٦).

وقال ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السَّفَرَةِ الكرام البَرَرَةِ، والذي يقرؤه وهو عليه شَاقٌّ له أجران»(٧).

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه عن ابن عباس رضي الله عنهما: أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٢٩١٣-بشار).

(٢) في (د) و(ص) و(ز): فلهو.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأمر بتعهد القرآن، رقم: (٧٩٠-عبد الباقي).

(٤) سقطت من (س).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، رقم: (١٣٤٣-طوق).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه: كتاب المساجد، باب من أحق بالإمامة؟ رقم: (٦٧٣-عبد الباقي).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتعتع فيه، رقم: (٧٩٨-عبد الباقي).

وصحَّ عن محمد بن كَعْبٍ عن ابن مسعود عنه أنه قال: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعَشْرِ أمثالها، لا أقول أَلَمّ حَرْفٌ؛ الأَلِفُ حَرْفٌ، ولامٌ حَرْفٌ، ومِيمٌ حَرْفٌ»[1].

وقال ﷺ: «ما أَذِنَ الله لشَيْءٍ كأَذَنِه[2] لنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بالقرآن»[3].

يُرِيدُ: يَجْهَرُ به؛ في تفسير سفيان[4].

وقال غيره[5]: يرى أنه قد صار به من الأغنياء.

وهو الصحيح.

قال الله لرسوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجر:٨٧ - ٨٨].

وقال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه:١٢٩ - ١٣٠].

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه عن ابن مسعود رضي الله عنه: أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ما له من الأجر، رقم: (٢٩١٠- بشار).

(٢) في (د): كإِذْنِه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب فضائل القرآن، باب من لم يتغنَّ بالقرآن، رقم: (٥٠٢٤-طوق).

(٤) في الجامع الصحيح (٦/١٩١-طوق): «وقال صاحب له: يريد: يجهر به»، ولم ينسبه لسفيان.

(٥) في الجامع الصحيح (٦/١٩١-طوق): «قال سفيان: تفسيره: يستغني به».

يُرِيدُ: وما رَزَقَكَ الله من القرآن خَيْرٌ وأَبْقَى[١].

فاتحة الكتاب:

قال النبي ﷺ لأُبَيٍّ: «لأعلمنَّك سورةً من القرآن ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مِثْلَها، قال: نعم يا رسول الله، قال: كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة؟ قال: فقرأ أُمَّ القرآن، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده؛ ما أنزل[٢] الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، وأنها سَبْعٌ من المثاني - أو: «السبع المثاني»[٣] - والقرآن العظيم الذي أُعطيته»[٤].

ومِن **فَضْلِهَا**: أنها رُقْيَةٌ عُظْمَى؛ قال أبو سعيد الخدري: «كُنَّا في مَسِيرٍ لنا فنزلنا بحَيٍّ من أحياء العرب[٥]، فجاءت جارية فقالت: إن سيد الحي سَلِيمٌ، وإنَّ نَفَرَنا غَيْبٌ، فهل منكم من راقٍ؟ فقام معها رَجُلٌ ما كُنَّا نَأْبُنُه[٦] بِرُقْيَةٍ، فرقاه فبرأ، فأمر له بثلاثين شاةً، وسقانا لَبَنَه[٧]، فلمَّا رجع قلنا له:

---

(١) قوله: «يُرِيدُ: وما رزقك الله من القرآن خير وأبقى» سقط من (د).

(٢) في (د) و(ص): ما أنزل في التوراة.

(٣) أخرج هذه الرواية البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، بابُ ما جاء في فاتحة الكتاب، رقم: (٤٤٧٤-طوق).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، بابُ ما جاء في فضل فاتحة الكتاب، رقم: (٢٨٧٥-بشار).

(٥) قوله: «بحَيٍّ من أحياء العرب» سقط من (ص) و(س) و (ز).

(٦) في (س): في خـ: نُؤَبِّنُه.

(٧) في (ص): لبنًا.

أَكُنْتَ تُحْسِنُ رُقْيَةً أم كنت تَرْقِي؟ قال: لا[١]، ما رَقَيْتُ إلَّا بأُمِّ القرآن، قلنا: لا تُحْدِثُوا شَيْئًا حتى نأتي رسول الله ﷺ، فلمَّا قَدِمْنَا[٢] المدينة ذكرناه للنبي ﷺ فقال: وما كان يُدريه أنها رُقْيَةٌ؟ اقسمُوا[٣] واضربُوا لي بسَهْمٍ»[٤].

سورة البقرة:

قال النبي ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، فإن[٥] البيت الذي تُقرأ فيه البقرة لا يدخله الشيطان»[٦].

ومن الحديث الحسن[٧]: «أن النبي ﷺ بَعَثَ بَعْثًا وهُمْ ذَوُو عَدَدٍ فاستقرأهم[٨]، فاستقرأ كلَّ واحد[٩] ما معه من القرآن، فأتى على رَجُلٍ من أَحْدَثِهِم سِنًّا، قال: ما معك يا فلان؟ قال: معي كذا وكذا، وسورة البقرة،/ قال: أو معك سورة البقرة؟ قال: نعم، قال: اذهب [٧٣/ب]

(١) سقطت من (س).

(٢) في (س): ذكرنا، وهو سبق قلم.

(٣) في (ص): اقسموه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل القرآن، بابُ فاتحة الكتاب، رقم: (٥٠٠٧-طوق).

(٥) في (س) و(ز): إن.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، رقم: (٧٨٠-عبد الباقي).

(٧) في (س): الصحيح.

(٨) سقطت من (د).

(٩) في (ص): رجل.

فإنك[1] أميرهم، فقال رجل من أشرافهم: والله يا رسول الله ما منعني أن أتعلم سورة البقرة إلا خشية[2] ألا أقوم بها، فقال رسول الله ﷺ: تعلَّموا القرآن فاقرءوه وأَقْرِئوه، فإن مَثَلَ القرآن لمن تعلَّمه فأقرأه[3] وقام به كمَثَلِ جِرَابٍ مَحْشُوٍّ مِسْكًا، يفوح بريحه كلَّ مكان، ومَثَلُ من تعلَّمه فيَرْقُدُ وهو في جَوْفِه كمَثَلِ جِرَابٍ أُوكِيَ على مِسْكٍ[4]»[5].

ومن الحَسَنِ: قال رسول الله ﷺ: «لكلِّ شيء سَنَامٌ، وسنام القرآن سورة البقرة، وفيها آيةٌ هي سَيِّدَةُ آيِ القرآن؛ وهي: آية الكرسي»[6].

«ومن قرأ ﴿حمٓ﴾ المؤمن إلى ﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ وآية الكرسي حين يُصْبِحُ حُفِظَ بهما حتى يُمْسِي، ومن قرأهما حين يُمْسِي حُفِظَ بهما حتى يصبح»[7].

---

(١) في (ص): فأنت.

(٢) في (ص): خشيت.

(٣) في (ص): فقرأه.

(٤) في جامع الترمذي (٥/٦-بشار): «ومثلُ من تعلَّمه فيرقد وهو في جوفه مسك»، وهي عبارة مختلة؛ للسَّقَطِ الذي لحقها، صوابها ما أثبته، وهو الموافق لنسخة ابن العربي من الترمذي: (ق١٩٤/ب-فيض الله).

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي، رقم: (٢٨٧٦-بشار).

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي، رقم: (٢٨٧٨-بشار)، قال أبو عيسى: «هذا حديث غريب»، يستضعفه.

(٧) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي، رقم: (٢٨٧٩-بشار)، قال أبو عيسى: «هذا حديث غريب».

وقد قال الشيطان لأبي هريرة: «إذا قرأتَ آية الكرسي لا يقربك شيطان، فقال النبي ﷺ: صَدَقَكَ وهو كذوب»[١]، صحَّحه قَوْمٌ وضعَّفه آخرون، وأدخله البخاري مَقْطُوعًا[٢].

وعن أبي سعيد الخدري: «أن أُسَيْدَ بن حُضَيْر بَيْنَا هو يقرأ من الليل سُورَةَ البقرة وفَرَسُه مربوطة عنده إذ جالت الفرس، فسَكَتَ فسَكَنَتْ، فقرأ[٣] فجالت، فسكت فسكنت، ثم قرأ[٤] فجالت، فلمَّا أصبح حدَّث النبي[٥]، قال: فرَفَعْتُ بصري إلى السماء؛ فإذا مِثْلُ الظُّلَّةِ فيها أمثالُ المصابيح عَرَّجَتْ في الجَوِّ حتى لا أراها، قال: تلك الملائكة أَذِنَتْ بصوتك، ولو قَرَأْتَ لأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ الناس إليها لا تتوارى منهم»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل القرآن، فضل البقرة، رقم: (٥٠١٠-طوق).

(٢) يقصد ابن العربي أن الحديث منقطع؛ لعدم تصريح البخاري بالتحديث، ففي صحيحه: «وقال عثمان بن الهيثم»، وكذلك هو في جميع الأبواب التي أدخله فيها، ووصله الإسماعيلي وغيره، وعثمان بن الهيثم من شيوخ البخاري، فيحمل قوله ذلك على السماع، ولعلَّ لهذه العلة صحَّحه من صحَّحه، وكأنَّ ابن العربي لم يقنع منه بذلك حتى يصرح بالتحديث، والله أعلم، ينظر: الفتح: (٤/٤٨٨).

(٣) في (د): فقرأها.

(٤) في (د): قرأها.

(٥) في (د) و(ص) و(ز): النبي ﷺ.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب نزول السكينة لقراءة القرآن، رقم: (٧٩٦-عبد الباقي).

خاتمتها:

ثَبَتَ في الصحيح عن ابن عباس قال: «بينما جبريل عند النبي ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا من فوقه فرفع رأسه فقال: هذا بابٌ من السماء فُتِحَ لم يُفْتَحْ قَطُّ إلا اليوم، فنزل منه مَلَكٌ إلى الأرض لم ينزل قطُّ إلا اليوم، فسَلَّمَ فقال: أَبْشِرْ بنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لم يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَك؛ فاتحة الكتاب، وخواتم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما[1] إلَّا أُعطيته»[2].

وعن عبد الله: «لمَّا أُسْرِيَ بالنبي ﷺ انتهى إلى سِدْرَةِ المُنْتَهَى فأُعْطِيَ ثَلَاثًا؛ أُعْطِي الصلوات الخمس، وخواتم سورة البقرة، وغُفِرَ لمن لم يُشْرِكْ بالله من أُمَّتِه المُقْحِمَات[3]»[4].

وقال رسول الله ﷺ: «الآيتان من آخر سورة البقرة؛ من قرأ بهما في لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»[5].

---

(١) في (س): منها.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، رقم: (٨٠٦-عبد الباقي).

(٣) في (د): المنجمات.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، بابٌ في ذكر سدرة المنتهى، رقم: (١٧٣-عبد الباقي).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه: كتاب فضائل القرآن، فضل البقرة، رقم: (٥٠٠٩-طوق).

آل عمران:

معها[١]: قال النبي ﷺ: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرأوا الزهراوين؛ البقرة وسورة آل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان[٢]، أو غيايتان، أو فِرْقان[٣]/من طَيْرٍ صَوَافَّ، بينهما شَرَقٌ، تُظَلِّلَانِ[٤] صاحبهما، وتحاجَّان عن صاحبهما، اقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البَطَلَةُ»[٥].

[١/٧٤أ]

وفي رواية منه: «يؤتى يوم القيامة[٦] بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به، تَقْدُمه سورة البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان»[٧]، بنحوه[٨].

سورة الكهف:

في الصحيح: «بينما رَجُلٌ يقرأ سورة الكهف إذ رأى دابَّته[٩] تركض، فنظر فإذا مِثْلُ الغمامة أو[١٠] السحابة، فجعلت تدنو وتدنو[١١]، وفرسُه تنفر،

---

(١) في (د): منها.

(٢) في (د): غيامتان أو غيابتان.

(٣) في (د): خرقان، وفي (ز): جرفان.

(٤) في (ص): تظلان.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي أمامة الباهلي ﷺ: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، رقم: (٨٠٤-عبد الباقي).

(٦) في (د) و(ز) و(ص): بالقرآن يوم القيامة.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي أمامة الباهلي ﷺ: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، رقم: (٨٠٥-عبد الباقي).

(٨) في (ز): بنحوه في الصحيح.

(٩) في (ص): دابة.

(١٠) سقطت من (د).

(١١) سقطت من (د) و(ص).

فأتى رسولَ الله ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: تلك السكينة نزلت مع القرآن، أو أنزلت على القرآن»[١].

وعن أبي الدرداء: «من قرأ ثلاث آيات من أوَّل[٢] الكهف عُصِمَ من فتنة الدجَّال»[٣].

سورة ألم السجدة:

فيها: أن النبي ﷺ كان يقرأها يوم الجمعة في صلاة الصبح[٤].

حم الدخان:

حديثُها منكر لا يُلتفت إليه[٥].

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ الترمذي في جامعه عن البراء رضي الله عنه: أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل سورة الكهف، رقم: (٢٨٨٥-بشار)، وأصله في صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، فضل الكهف، رقم: (٥٠١١-طوق).

(٢) سقط من (ص).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل سورة الكهف، رقم: (٢٨٨٦-بشار).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في يوم الجمعة، رقم: (٨٨٠-عبد الباقي).

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل حم الدخان، رقم: (٢٨٨٨-بشار).

سورة المُلْكِ:

لا حديث فيها إلَّا قوله ﷺ: «سورة الملك ثلاثون آية، تجادل عن صاحبها»[١]، صحَّ[٢].

سورة إذا زلزلت والكافرون:

من الحَسَنِ: عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أصحابه: «هل تزوجت يا فلان؟ قال: لا، والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوج به، قال[٣]: أليس معك: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؟ قال: بلى، قال: ثُلُثُ القرآن، قال: أليس معك: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾؟ قال: بلى، قال: رُبُعُ القرآن، قال[٤]: أليس معك: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن[٥]، قال: أليس معك: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾؟ قال: بلى، قال: رُبُعُ القرآن، قال: تَزَوَّجْ تَزَوَّجْ»[٦].

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في سورة الملك، رقم: (٢٨٩١-بشار)، وقوله: «تجادل عن صاحبها» أخرجه الإمام مالك في الموطأ: ما جاء في قراءة قل هو الله أحد وتبارك، (١/٢٦٠)، رقم: (٥٦١-المجلس العلمي الأعلى).

(٢) سقطت من (د) و(س) و(ز).

(٣) سقطت من (س).

(٤) سقطت من (س).

(٥) قوله: «قال: ربع القرآن» سقط من (س) و(ص).

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في إذا زلزلت، رقم: (٢٨٩٥-بشار).

سورة الإخلاص:

قال النبي ﷺ: «قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن»[١]، في حديث مالك وغيره.

قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي[٢] رضي الله عنه: قد ظنَّ قَوْمٌ فيها تأويلات، وقد كَشَفَ الحديثُ الصحيح بعضَها، قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «احشُدوا؛ فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن، قال: فحشد من حشد، ثم خرج نبي الله فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ثم دخل، فقال بعضُنا لبعض: قال رسول الله ﷺ: سأقرأ عليكم ثلث القرآن، إني لأُرى هذا خبرًا جاءه من السماء، ثم خرج نبي الله ﷺ فقال: إني قلتُ: سأقرأ عليكم ثلث القرآن، أَلَا وإنَّها تَعْدِلُ ثُلُثَ القرآن»[٣].

وحديث عائشة: «أن النبي بعث رَجُلًا على سَرِيَّةٍ؛ وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم[٤] بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلمَّا رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: سلوه لأي شيء كان[٥] يصنع ذلك؟ فسألوه،

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: ما جاء في قراءة قل هو الله أحد وتبارك، (١/٢٦٠)، رقم: (٥٥٩-المجلس العلمي الأعلى).

(٢) في (د): قال الإمام الحافظ القاضي.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة قل هو الله أحد، رقم: (٨١٢-عبد الباقي).

(٤) في (س): فختم.

(٥) سقطت من (د) و(ص) و(ز).

فقال[١]: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأها[٢]، فقال: أخبروه أن الله يحبه»[٣].

[سورة الفلق والناس]:

١ وعن عُقبة بن عامر: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر أيَّ[٤] آيات أنزلت الليلة/ لم يُرَ مثلهن: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»[٥]. [٧٤/ب]

وعن عائشة: «كان النبي إذا آوى إلى فراشه كلَّ ليلة؛ جمع كَفَّيْه ثم نَفَثَ فيهما، ثم قرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات»[٦].

قالت عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وَجَعُه؛ كنتُ أقرأ عليه وأمسح بيده رَجَاءَ بركتها»[٧].

---

(١) في (س): فقالوا.

(٢) في (د) و(ص): أقرأ بها.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة قل هو الله أحد، رقم: (٨١٣-عبد الباقي).

(٤) سقطت من (د) و(ص).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة المعوذتين، رقم: (٨١٤-عبد الباقي).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل القرآن، المعوذات، رقم: (٥٠١٧-طوق).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل القرآن، المعوذات، رقم: (٥٠١٦-طوق).

[التحذيرُ ممَّا لم يصحَّ في باب فضائل القرآن]:

قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي[١] رضي الله عنه: لم يَبْقَ من الصحيح ما أَذْكُرُه، وقد اقتحم الناس في فضائل القرآن وسُوَرِهِ أحاديثَ كثيرة، منها ضَعِيفٌ لا يُعَوَّلُ عليه، ومنه ما لم يُنْزِلِ الله به من سلطان، وأَشْبَهُ ما جُمِعَ في ذلك «كتابُ ابنِ أبي شَيْبَةَ»[٢] و«كتابُ أبي عُبَيْدٍ»[٣]؛ وفيهما[٤] باطلٌ عظيم، وحَشْوٌ كثير، وانتقى الأئمة - نفعهم الله - من ذلك الحَشْوِ جُمْلَةً، واستخرجوا من ذلك المنتقى الصحيحَ، وهو الذي أوردناه عليكم؛ فتَمَسَّكُوا به.

وقد ذَكَرَ الحاكمُ وغيرُه من شيوخ المحدثين: «أنَّ رَجُلًا من الزهاد انتدَبَ في وَضْع أحاديث في فضائل القرآن وسُوَرِهِ، فقيل له: لم فعلت هذا؟ فقال: رأيتُ الناس قد زَهِدُوا في القرآن فأحببت أن أُرَغِّبَهم فيه، فقيل له: فإن النبي ﷺ قال: «من كذب عليَّ مُتَعَمِّدًا فليتبوأ مقعده من النار»[٥]، فقال: أنا ما كذبت عليه، إنما كذبت له»[٦].

---

(١) في (د): قال الإمام الحافظ القاضي، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن العربي.

(٢) هو كتاب ثواب القرآن، أفاد منه أبو القاسم الملَّاحي في لمحات الأنوار، وسمَّاه بالاسم الذي أثبته له: (١/٥٣).

(٣) هو كتاب فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، مطبوع مشتهر، وسمَّاه بهذا الاسم أبو القاسم الملَّاحي في لمحات الأنوار: (٣/١٣٦٦).

(٤) في (د): فيها.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، رقم: (١٢٩١-طوق).

(٦) المدخل: (ص١٣٥).

فتأمَّلوا - رحمكم الله - كَيْدَ الشيطان على هذا الزاهد بهذا الزُّهْدِ؛ حتى قَرَنَ بها[١] هذا الجهل، وخَزَلَ عنها هذا الهُدَى.

حالُ القُرَّاءِ:

وقد كان القُرَّاءُ أصحابَ مَجْلِسِ عُمَرَ ومُشَاوَرِيهِ[٢] ومُسَاوِرِيهِ[٣]، وكان ابن عباس يُقْرِئُ رِجَالًا؛ منهم: عبد الرحمن بن عوف، وما توفي رسول الله ﷺ حتى استظهر ابنُ عبَّاس المُفَصَّلَ في حياة رسول الله ﷺ[٤]، وكان أهل الصُّفَّةِ يُكثرون من القرآن.

وقال أنس: «مات رسول الله ﷺ ولم يجمع القرآن غَيْرُ أربعة: أُبَيّ - وفي رواية: أبو الدرداء -، ومعاذُ بن جَبَلٍ، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، أحد عمومتي، ونحن ورثناه -يعني: نفسه[٥] -»[٦]، حاشا الخلفاء؛ فإنهم كانوا يستظهرون القرآن كما ثبت في الروايات، وعبد الله بن عمر، وابن[٧] مسعود[٨].

---

(١) في (د): به، وفي (ز): بهما.

(٢) الحوادث والبدع للطرطوشي: (ص١٧٧).

(٣) في (ص): مساورته، وفي (د): مشاورته، وسقطت من (ز).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم الصبيان القرآن، رقم: (٥٠٣٥-طوق).

(٥) سقطت من (د) و(ص).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ، رقم: (٥٠٠٤-طوق).

(٧) في (س) و(ص): عبد الله بن مسعود، وضرب على «عبد الله» في (د).

(٨) ينظر: الجامع الصحيح للبخاري (٦/١٨٩-طوق): كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ، والسنن الكبرى للنسائي (٧/٢٤٩-شعيب): كتاب فضائل القرآن، ذكر قراء القرآن.

وذِكْرُ أَنسٍ لهؤلاء يحتمل وَجْهَيْنِ[١]:

[الأوَّل]: إمَّا أنهم الذين عَرَفَ[٢].

[الثاني]: وإمَّا أنهم[٣] الذين كانوا جمعوه على عهد رسول الله ﷺ؛ فإن ابن عباس أخذه عن أُبَيٍّ بعد ذلك، وأَدْرَكَ حِفْظَه جماعةٌ يَكْثُرُ عَدَدُهم[٤].

وقال عمر: «أقرؤنا أُبَيٌّ، وإنَّا لَنَدَعُ من لَحْنِ أُبَيٍّ، وأُبَيٌّ يقول: أخذتُه[٥] مِنْ فِي رسول الله/، فلا أتركه لشيء، قال الله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة:١٠٥]»[٦]. [١/ ٧٥/أ]

وقال ابنُ مسعود[٧]: «والذي لا إله غيره؛ ما أُنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آيةٌ من كتاب الله إلَّا وأنا أعلم فيما[٨] أنزلت، ولو أعلمُ أَحَدًا أَعْلَمَ بكتاب الله مِنِّي تُبَلِّغُنيهِ الإِبِلُ لرَكِبْتُ إليه»[٩].

---

(١) تنظر وجوهًا أخرى لقول أَنَسٍ في: شرح ابن بطَّال: (١٠/ ٢٤٢).
(٢) المعلم للمازري: (٣/ ١٥٢).
(٣) سقطت من (ص) و(س) و(ز).
(٤) يُنظر في هذا كلام الإمام المازَري في المُعْلِم -وهو نفيس جدًّا-: (٣/ ١٥٠- ١٥٣)، والمسالك: (٣/ ٤١٠)، وشرح ابن بطَّال: (١٠/ ٢٤١-٢٤٤).
(٥) في (د): أخذه.
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ، رقم: (٥٠٠٥-طوق).
(٧) في (س) و(ص) و(ز): عبد الله بن مسعود، وضرب على «عبد الله» في (د).
(٨) في (د) و(ص) و(ز): فيمن.
(٩) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ، رقم: (٥٠٠٢-طوق).

تَحْسِينُ القراءة[١]:

ثَبَتَ من كل طريق أن النبي ﷺ قال لأبي موسى: «لقد أُوتِيتَ مِزْمَارًا من مزامير آل داود، قال له أبو موسى: لو علمتُ أنك تسمعني لحَبَّرْتُه لك تَحْبِيرًا»[٢].

وقال معاوية بن قُرَّةَ عن[٣] عبد الله بن مُغَفَّلِ المُزَنِي، قال[٤]: «رَأَيْتُ رسول الله ﷺ يوم الفتح على ناقة له يقرأُ سورة الفتح، قال: فرَجَّعَ فيها، ثم قرأ معاوية يَحْكِي قراءة ابن مُغَفَّلٍ، وقال: لولا أن يجتمع الناس عَلَيَّ لرَجَّعْتُ كما رَجَّعَ ابن مُغَفَّلٍ؛ يَحْكِي قراءة[٥] النبيِّ ﷺ، قال شعبة: فقلت لمعاوية: كيف كان ترجيعُه؟ فقال: ءآ ءآ ءآ[٦]، ثلاث مرَّات»[٧].

وكان عمر بن الخطاب يقول لأبي موسى الأشعري: «شَوِّقْنَا ربَّنا - أو: خَوِّفْنَا رَبَّنا -، قال: فيقرأ»[٨]، لـمَا كان عليه من تَحْبِيرِ القراءة وتحسينها.

---

(١) ينظر: أحكام القرآن: (١٥٩٦/٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصون بالقراءة، رقم: (٥٠٤٨-طوق)، وقوله: «لحبَّرته لك تحبيرًا» أخرجه النسائي في الكبرى: كتاب فضائل القرآن، تحبير القرآن، رقم: (٨٠٠٤-شعيب).

(٣) في (س): لعبد الله، وهو تصحيف.

(٤) سقطت من (د) و(ص).

(٥) سقطت من (د) و(ص) و(ز).

(٦) في (د) و(ص): أ أ أ.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ذكر قراءة النبي ﷺ سورة الفتح يوم فتح مكة، رقم: (٧٩٤-عبد الباقي).

(٨) أخرجه الإمام أحمد في الزهد: (ص١٤٨).

وكَرِهَ مَالِكٌ التَّطْرِيبَ في الأَذَانِ[١]؛ لأنه لم يكن سُنَّةً، وأَحْسَنَ ما شاء أن يُحْسِنَ، ولم يَرَ لمن يأخذ على التَّلْحِينِ في رمضان أُجْرَةً ولا أَجْرًا؛ لأنه كَرِهَه، وذلك لأن نِيَّةَ[٢] الدنيا دخلته[٣]، وكأنه إنَّما يبيعُ صوته.

والأُجْرَةُ على الصلاة جائزة عندنا، والقراءة بالتلحين سنة، وسماعُه يزيدُ إيمانًا بالقرآن وغِبْطَةً، ويُكْسِبُ القَلْبَ[٤] خَشْيَةً.

سَمِعْتُ بمصر ابن الرَّفَّاءِ[٥] يَقْرَأُ: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ في ذي الحجة سنة خَمْسٍ وثمانين وأربع مائة، فكأني ما سمعتها قَطُّ، ولقد مَرِضَ في وَبَاءٍ كان بها، ثم خرج فجلس «بمسجد العَالِمِ» وقرأ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٢]، وجَعَلَ يُرَدِّدُها، وقرأ: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص:٤٠]، فكادت نفسي تطير شَعَاعًا[٦]، وأَدْرَكَتْهُ بطُول المرض عَيْلَةٌ؛ فرَأَيْتُ الثياب قد رُمِيَتْ عليه في المجلس حتى صارت كُومًا حال بيني وبينه.

---

(١) المدوَّنة: (١/٥٩).

(٢) في طرة بـ (س): زينة.

(٣) في (س) و(ص): دخلت.

(٤) في (ص) و(د): القلوب.

(٥) ذكره ابن العربي في أحكام القرآن: (٤/١٥٩٦)، وذكر أنه سمع منه بالقرافة، ولم أجد له ذِكْرًا في كتب التراجم.

(٦) يقال: طار فؤاده شَعَاعًا، أي: تفرقت همومه، تاج العروس: (٢١/٢٧٥).

وسَمِعْتُ لَيْلَةً تَاجَ القُرَّاءِ ابنَ لِفْتَةَ[1] يَقْرَأُ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾[2] في «جامع عَمْرٍو[3]»؛ فما عَلِمْتُ أَلَيْلًا كان أم نَهارًا؟

وسَمِعْتُ الكَازَرُونِيَّ[4] بالمسجد الأقصى يقرأ: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء:١].

[٧٥/ب] وكان أبو بكر الطُّوسِي[5] إمامُ «الصخرة المقدَّسة» يَقْرَأُ في صلاة/ الصبح بالسُّوَرِ الطِّوَالِ، وكنتُ أُصَلِّي أبدًا معه، وكان أحسن الخَلْقِ صَوْتًا، وكان يُسْمَعُ صَوْتُه إذا أَعْلَنَ من ديار لُوطٍ، على أَقَلَّ مِنْ فَرْسَخٍ.

---

(١) ذكره في الأحكام: (٤/١٥٩٦)، وذكره بمثل ما ذكره به هنا.

(٢) بعدها في (س): ﴿عسى﴾، [الإسراء:٧٩].

(٣) في (س): عمر.

(٤) لم أقف على من ذكره من أهل التواريخ، وترجم الذهبي لأبي عبد الله الكازروني، وذكر عنه أنه كان مقرئًا، توفي عام ٤٥٥هـ، فلعله والد هذا، سير النبلاء: (١٨/١٧١-١٧٢)، وفي طبقات التاج (٧/٤٨): محمد الكازَروني، وذكر أنه توفي في الوَجْدِ، وكان مع أبي حامد وإسماعيل الطُّوسِيين، وغيرهما، فلعله هو، وقال فيه ابن العربي (الأحكام: ٤/١٥٩٦): «كان ابن الكازروني يأوي إلى المسجد الأقصى، ثم تمتَّعنا به ثلاث سنوات، ولقد كان يقرأ في مهد عيسى فيُسمع من الطور، فلا يقدر أحدٌ أن يصنع شيئًا طول قراءته إلا الإنصات إليه».

(٥) إمام الصخرة المقدسة، المقرئ الصوفي، محمد بن أحمد بن علي، أبو بكر الطوسي، مات شهيداً؛ قتله الصليبيُّون في شعبان من عام ٤٩٢هـ، تاريخ دمشق: (٥١/٨٩).

وكان تاجُ القُرَّاءِ الكَفِيفُ بمدينة السَّلام أَعْظَمَ خَلْقِ الله حُنْجُرَةً، وأحلاهم تلحينًا، سمعته بدار بَهَاءِ المُلْكِ[١] إزاء المدرسة النِّظامية يقرأ: ﴿وَالسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ [البروج:١]، فأَجِدُ أَعْضَائِي تَفَصَّلُ، حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]، فظننتُ أنَّ سَقْفَ الإِيوَانِ يُنْقَضُ علينا.

وعلى الجُمْلَةِ: فإن في القوم طَبْعًا صَوْتًا، وفي هوائهم صفاءً، وفي قلوبهم رحمة[٢]، وفي أنفسهم رقة، يتميَّزون بها على[٣] أهل الجفاء والجهالة والقسوة.

وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه رقيق القلب، خاشع الجوارح، حَسَنَ الصوت، فإذا قرأ تَقَصَّفَ[٤] عليه نساءُ المشركين وصبيانُهم، حتى قالوا لحَلِيفِه ابنِ الدَّغِنَةَ: «إمَّا أن تَكُفَّه وإمَّا أن[٥] تُخفِرَ عهدك، فقال له: يا أبا بكر، اعبد ربك في بيتك ولا تتظاهر لهم، قال: بل أصرف عليك جِوَارَك وأرضى بجوار الله ورسوله»[٦]، فصرفه عليه، وأَذِنَ الله لرسوله حينئذ في

---

(١) بهاء المُلْكِ ابن نظام المُلْكِ، ورد ذِكْرُه في الكامل لابن الأثير، في حوادث عام ٤٨٧هـ، عند تولية المستظهر بالله، (٨/٤٩٤).

(٢) في (س): وفي أنفسهم رقة، وفي قلوبهم رحمة.

(٣) في (س): عن.

(٤) التقصف: الاجتماع والازدحام، تاج العروس: (٢٤/٢٦٣).

(٥) سقطت من (د).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كتاب الكفالة، باب جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ وعقده، رقم: (٢٢٩٧-طوق).

الهجرة، فخرج رسول الله ﷺ به معه، وترك ما كان له من أهل وقرابة؛ استئثارًا به، وتَوْفِيَةً لحقه، وعَمَلًا بمقتضى منزلته في الدين ومرتبته، وثِقَةً بمُنَّتِه، وأُنْسًا بصحبته، فمن ذا يطمع في مرتبته؟

وقد يُصِيبُ بَعْضَ الناس غَشْيٌ عند القراءة، وقد يبقى قلبُه على حاله.

ورُوي[١] أن الرَّبيع بن خُثَيم سمع: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ٨ - ١٠]، فخَرَّ مَغْشِيًّا عليه؛ ولم يُفِقْ إلَّا في اليوم الثاني ذلك الوقت، فسُئِلَ ابنُ مسعود عن صلاته فقال: «لا إعادة عليه»[٢].

ورُوي عن ابن عمر أنه مرَّ برجل ساقط فقال: «ما هذا؟ قال: إنه إذا قُرِئَ عليه القرآن يصيبُه مثل هذا، قال: إنَّا لنخشى الله وما نسقط»[٣].

ورأيت رَجُلًا بمجلس عالم العلماء الرازي[٤] بالرَّيْحَانِيِّينَ[٥] قد سمعه[٦] يتكلَّم ويُشَوِّقُ للحج ويتلو، وكان إلى جانبي[٧] رَجُلٌ على دُكَّانٍ؛

---

(١) في (د) و(ص): روي.

(٢) الزهد للإمام أحمد: (ص٤٠١)، والحلية لأبي نعيم: (٢/١١٠)، ولم أجده كما ذكره ابن العربي هنا، والله أعلم.

(٣) الزهد للإمام أحمد: (ص٢٤٢).

(٤) لم أهتد إلى معرفة عينه وحاله بعد بحث، غير أن ابن العربي ذَكَرَ في موضع آخر من هذا الكتاب أنه قَدِمَ إلى بغداد بنيَّة الحج، وذكر أن أصله من الري.

(٥) في (س) و(د): الريحانتين، وفي قانون التأويل (ص١١٥): «سوق الريحانيين»، وهو أحد أسواق بغداد، وفي مراصد الاطلاع (٢/٥٠٦): «دار الريحانيين: دار في دار الخلافة، مشرفة على سوق الريحانيين».

(٦) في (د) و(ص): فسمعته.

(٧) في (د): في خـ: جنبي.

فسقط مَغْشِيًّا عليه، وشُجَّ جَبِينُه، وكان إلى جانبي[١] رَجُلٌ من أصحابي فتعجبتُ[٢] منه، فقال لي: غلبت على بلادكم القسوة.

وصلَّى رجلٌ العشاء خلف إمام فقرأ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين:٦]، فخرَّ الرَجُلُ[٣] وراءه[٤] مَغْشِيًّا عليه، فلمَّا سَلَّمَ الإمامُ[٥] أَلْفَوْهُ مَيِّتًا، فاحتُمِل إلى منزله، فلمَّا كان في[٦] اليوم الثاني حُمِلَ إلى المقبرة، ومشى معه جِيرَتُه، فقالوا: «من يصلي عليه؟ فقال بعض الصوفية: يصلي عليه الذي قتله»، يعني: الإمام الذي قرأ الآية.

وقال عبد الله بن عُبَيد[٧]: «كان عُبَيْدُ بن عُمَيْرٍ يَقُصُّ لابن الزبير، وابن عمر قاعدٌ ناحيةً[٨]، وهو يقول: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ إلى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء:٤١ - ٤٢]، فبكى ابنُ عمر حتَّى لَثَّقَ خَدَّيْهِ[٩]/ ،وبَلَّ لحيتَه، قال [٧٦/أ]

---

(١) في (د): في خـ: جنبي.

(٢) في (س): فتعجب.

(٣) في (س): رجل.

(٤) سقط من (س).

(٥) في (د): الناس.

(٦) لم ترد في (س).

(٧) قوله: «قال عبد الله بن عبيد» سقط من (س) و(ص) و(ز).

(٨) في (ص) و(ز): حجرة، وفي (س): حُجْزَة.

(٩) في (د) و(ص): حتى لثق ابن عمر خدَّيه، وفي (د) أيضًا: لثق ابن عمر ثوبَه، وابتلت لحيتُه.

عبد الله بن عُبَيد[١]: فهَمِمْتُ أن أقوم إلى عُبَيْدٍ فأقول له: أَقْصِرْ، فإنَّك قد آذَيْتَ الشيخ»[٢].

مَدُّ القراءة:

قال أَنَسٌ: «كانت قراءة النبي مَدًّا، ثم قَرَأَ أَنَسٌ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، يَمُدُّ بسم الله، ويَمُدُّ بالرحمن، ويَمُدُّ بالرحيم»[٣].

وقد كان النبي ﷺ يُسْرِعُ بالقراءة[٤]، وكان ممَّا يحرك به لسانَه وشَفَتَيْه[٥]، حتى قال الله له: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة:١٦]، فكان إذا أتاه جبريل أَطْرَقَ، فإذا ذهب قَرَأَهُ كما وعده الله[٦].

[تَرتِيبُ القراءة وترتيلُها]:

وحديث عبد الله بن عمرو مَشْهُورٌ في ترتيب القراءة وترتيلها، وهو أن يقرأه في شَهْرٍ، وأقلُّه في ثلاث[٧]، ولم يجعل لعبد الله سبيلًا إلى أقلَّ منها، وقال ﷺ: «لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث»[٨].

---

(١) قوله: «قال عبد الله بن عبيد» سقط من (س) و(ص) و(ز).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء مختصرًا: (ص١٠٧-١٠٨)، رقم: (١١٢-١١٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل القرآن، باب مد القراءة، رقم: (٥٠٤٦-طوق).

(٤) في (د): القراءة.

(٥) بعده في (س) و(ص) و(ز): «يشتد عليه»، وضرب عليها في (د).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما: كتاب فضائل القرآن، باب الترتيل في القراءة، رقم: (٥٠٤٤-طوق).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصوم، باب صوم يوم وإفطار يوم، رقم: (١٩٧٨-طوق).

(٨) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب القراءات عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٢٩٤٩-بشار).

وقد رأيتُ من أصحابنا من كان يختمه مَرَّةً في الليل، ومَرَّةً في النهار؛ سَفَرًا وحَضَرًا، لرُطوبة لسانه، واطِّراد عَمَلِه بذلك وعادته، وهذا هو[١] الذي يَرْعَى طريق الذكر دون الاعتبار به.

فأمَّا الاعتبار به[٢] فقد[٣] يكون بالآية الواحدة في الليلة الواحدة، فقد قال الترمذي: أخبرنا أبو بكر محمد بن نافع البصري: أنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن إسماعيل بن مسلم العبْدي عن أبي المتوكل عن عائشة ﵂ قالت: «قام رسول الله ﷺ بآية من القرآن ليلة»[٤].

وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ لم يأذن لعبد الله بن عمرو في أقل من خمس ليال[٥].

وقد روى أحمد أنه نقله من أربعين ليلة إلى سبع ليال[٦].

وروى ذلك أبو داود، وقال: «ولم ينزل عن سَبْعٍ[٧]»[٨].

---

(١) سقط من (س).
(٢) قوله: «فأما الاعتبار به» سقط من (د).
(٣) في (س): وقد.
(٤) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الصلاة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في قراءة الليل، رقم: (٤٤٨-بشار).
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل القرآن، باب في كم يُقرأ القرآن، رقم: (٥٠٥٣-طوق).
(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو ﵄: (٥٢/١١)، رقم: (٦٥٠٦-شعيب).
(٧) قوله: «وروى ذلك أبو داود وقال: ولم ينزل عن سَبْعٍ» سقط من (س) و(ز).
(٨) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الصلاة، باب في كم يقرأ القرآن؟ رقم: (١٣٨٨-شعيب).

وروى أبو داود أيضًا[١] عن عبد الله بن عمرو عن النبي عليه السلام أنه قال: «لا يفقه القرآن من قرأه في أقل من ثلاث»[٢].

وروى أحمد عن عثمان أنه كان يُوتِرُ بالقرآن في ركعة[٣].

ورُوي عن سعيد بن جُبَيْرٍ أنه قرأ القرآن في ركعة في الكعبة[٤].

والترتيلُ أَحَبُّ إلى أهل العلم.

سماعُه من الغَيْرِ والبكاءُ عليه:

قال النبي ﷺ لعبد الله بن مسعود: «اقرأ عليَّ القرآن، قال: أقرأ عَلَيْكَ وعَلَيْكَ أُنزل، قال: إني أُحِبُّ أن أسمعه من غيري، فقرأت سورة النساء، حتى أتيت إلى قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾، قال: حسبك الآن، فالتفت إليه وإذا[٥] عيناه تذرفان»[٦].

وقد قال الله: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٥].

فالنبي ﷺ بكى رَهْبَةً لذلك اليوم العظيم، وهؤلاء بَكَوا شَوْقًا إلى الله حين سَمِعُوا كلامَه.

---

(١) سقطت من (س) و(ز) و(ص).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الصلاة، باب في كم يقرأ القرآن؟ رقم: (١٣٩٤-شعيب).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في الزهد عن زوج عثمان ﵁: (ص١٥٨).

(٤) جامع الترمذي: (٥/٦٣-بشار).

(٥) في (د) و(ص): فإذا.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل القرآن، باب البكاء عند قراءة القرآن، رقم: (٥٠٥٥-طوق).

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٨].

فإن كان المرادُ به من تقدَّم ممَّن أسلم من الأمم؛ فإنَّما بَكَوا تَذْكِرَةً لِمَا كان نَزَلَ عليهم، وتقدَّم من التعريف به لهم، أو لمَا فاتهم من أيَّامهم قبل هذه التذكرة، أو على من فاته ذلك من قَوْمِهم ومعارفهم/، أو على عواقبهم التي لا يعرفونها[1]. [٧٦/ب]

والبُكَاءُ رِقَّةٌ في القلب، مُمَدَّحَةٌ في الخلق، معدودة في الفضائل، وأين هذا من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الفرقان: ٧٣]؟

وهم على أقسام:

منهم: الكفار.

ومنهم: الغافلون.

ومنهم: الذين وَرَدَ ذِكْرُهم في الأثر: «ينثرونه نَثْرَ الدَّقَلِ»[2]، «يتعجَّلونه ولا يتأجَّلونه»[3]، يمرون عليه بغير فَهْمٍ ولا تثبت، صُمٌّ عن سماعه، عُمْيٌ عن رؤية عِبَرِه.

---

(١) في (د) و(ص): يعلمونها، وأشار إليها في (س).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه عن عبد الله بن مسعود موقوفًا: أبواب الصلاة عن رسول الله ﷺ، باب ما ذكر في قراءة سورتين في ركعة، رقم: (٦٠٢-بشار).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا: (٢٣/١٤٤)، رقم: (١٤٨٥٥-شعيب).

ومنهم: من يُقِيمُ حروفه في مخارجها.

ومنهم: من يُقْبِلُ على جميع القراءات، وليته جَمَعَ الصحيح منها، أو عرف كيف يجمعها، وهذا كله مذموم، وإقبال على ما لا يُحتاج إليه، أو إعراضٌ عمَّا يلزم، وقد بيَّناه في غير موضع[١].

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أَسِيفًا؛ إذا قرأ بكى شَوْقًا وخَوْفًا.

وقد رأيت من يَعِيبُ البكاء ويقول: إنه صفة الضعفاء، والنبي ﷺ قد مدحها، قال: «عينان لن تمسهما النار أبدًا، عَيْنٌ بَكَتْ من خشية الله، وعَيْنٌ سهرت في سبيل الله»[٢].

وبُكَاءُ الشوق - عندي - خشية، فإنه حَذَرٌ من فوات المتاع بالمحبوب.

وقد كنت فاوضتُ في ذلك شَيْخِيَ الزَّاهِدَ أبا بكر[٣] القُرَشِي[٤]، وكانت فيَّ[٥] قَسْوَةٌ جِبِلِّيَّةٌ[٦]، وشَكَوْتُ إليه ما بقلبي من ذلك، فقال لي: «تَبَاكَ إذا لم يُطِعْكَ البكاء، وتَحَازَنْ إذا لم يُجِبْكَ الحُزْنُ، حتى تتَّخذه عادة، وإن مَدَّ الله في عمري لأجمعنَّ كتابًا في البكاء»، وفارقتُه ولم أَدْرِ ما فَعَلَ بعدي.

---

(١) ينظر: العارضة: (١٠/٧١)، والعواصم: (ص٣٦١).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه عن ابن عباس رضي الله عنهما: أبواب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله، رقم: (١٦٣٩-بشار).

(٣) في (س): وأبا بكر.

(٤) هو الإمام أبو بكر الطُّرطوشي تـ ٥٢٠هـ، تقدَّم التعريف به في السِّفر الأوَّل.

(٥) في (س): فيه، وهو تصحيف.

(٦) في (د) و(س) و(ص): جبلية.

وكان عبد الله بن عمرو[١] يبكي وهو ساجد في الحِجْرِ، فمرَّ به رجل[٢]، فقال له[٣]: «أَتَعْجَبُ[٤] مني أن أبكي من خشية الله؟ وهذا القمر يبكي من خشية الله[٥]، ونظر إلى القمر وقد شَفَّ إلى[٦] أن يغيب»[٧].

وكانت أمُّ يعلى بن[٨] عطاء تصنع لعبد الله بن عمرو[٩] الكُحْلَ، وكان يُكثر من البكاء ويُغلق عليه بابَه حتى رَسَعَتْ[١٠] عيناه[١١].

وقد جَمَعَه ابنُ أبي الدُّنْيَا فأَحْسَنَ فيه[١٢]؛ لولا صِغَرُ حَجْمِه[١٣].

[شكوى ابن العربي من أحوال زمانه]:

وقد عَظُمَ الخَطْبُ في هذا الزمان حتى لا يَدْرِي العَبْدُ على أي شيء يَبْكِي؛ أعلى فوات دنياه؟ أم على ذهاب دينه؟ أم على[١٤] إخوانه في

---

(١) في (س) و(ز): عمر.
(٢) قوله: «في الحجر، فمرَّ به رجل» سقط من (س) و(ص) و(ز).
(٣) سقطت من (س) و(ص) و(ز).
(٤) في (س) و(ص): العجب.
(٥) قوله: «من خشية الله» سقط من (د).
(٦) سقط من (س) و(د) و(ص) و(ز)، والمثبت من (ل).
(٧) أخرجه ابن المبارك في الزهد عن ابن أبي مُلَيكة: (٢/٨٦٠)، رقم: (١١٤٥).
(٨) في (ص): بنت.
(٩) في (س) و(ز): عمر.
(١٠) في (ز): تصدَّعت، وفي (د): رَسَّعَتْ، وفي (ص): وسعت، ورَسَعَتْ عيناه: التصقت أجفانها، تاج العروس: (٢١/٨٨).
(١١) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (١/٢٩٠).
(١٢) قوله: «فأحسن فيه» سقط من (س).
(١٣) يقصد «كتاب الرقة والبكاء»، وهو منشور في مجلَّدة لطيفة.
(١٤) سقطت من (س) و(ص) و(ز).

القربات؟ أم على[1] أعوانه على الصالحات؟ أم على دروس العلم وطُمُوسِه؟ أم على اتفاق الخَلْقِ على إنكار المعروف وتعريف المنكر؟ أم على نفسه التي لا تطاوعه على طاعة؟ أم[2] على[3] عِرْسِه التي تطالبه بما ليس له به طاقة؟ أم على ولده الذي لا يَرَى فيه[4] للعين قُرَّةً؟ أم على جاره الذي لا يُغْضِي له على عورة؟ أم على أميره الذي لا يَرْعَى فيه إلًّا ولا ذِمَّةً؟ أم على فَقْدِ صَبْرِهِ الذي يغلبه على الانفراد عن الخَلْقِ، والاستبداد[5] بالربِّ؛ حين لم يَجِدْ سواه، ولا رأى حُسْنًا في[6] غيره؟ أم على عَدَمِ مَحَلِّ الهجرة حتى يخرج عن هذه الأمة إلى موضع يَأْمَنُ فيه ما يتوقع من نِقْمَةٍ؟

١ أما - والله - إنه لينبغي أن يَتْرُكَ هذا كلَّه؛ ويَرْجِعَ على[7] نفسه الخائنة له باللَّوْمِ، وليجادلها؛ فلعَلَّها[8] إن كانت لم تَرِعْ/ أَمْسِ تُطِعِ اليَوْمَ. [٧٧/أ]

---

(١) سقطت من (س) و(ز).

(٢) في (س) و(ص) و(ز): أو.

(٣) سقطت من (س) و(ص) و(ز).

(٤) في (س) و(ز): للعين فيه.

(٥) في (د) - أيضًا -: الاكتفاء.

(٦) في (س) و(ز): في.

(٧) في (س): إلى.

(٨) في (س): فعلَّها.

[تَتِمَّةُ الحديث عن البكاء]:

قال لي عَطَاءٌ[١] - شيخُ الفقهاء والفقراء بالمسجد الأقصى[٢] -: أين أعين البُكَاءِ؟ وأين أسباب الاشتياق إلى المولى لا إلى اللِّوَى؟ وجرى القَوْلُ يَوْمَنا وليلَه[٣]، وجرَّ الحديثُ على المشافهة ذَيْلَه، حتى قال لي: ما سَمِعْتُ في البكاء أَحْسَنَ من قَوْلِ الشَّاعر[٤]:

أَتَتْنِي تُؤَنِّبُنِي[٥] في البُكَا ... فأَهْلًا بها وبتَأْنِيبِهَا

تَقُولُ وفي قَوْلِهَا حِشْمَةٌ: ... أَتَبْكِي بعَيْنٍ تَرَانِي بِهَا؟

فقلت: إذا اسْتَحْسَنَتْ غَيْرَكُمْ ... أَمَرْتُ جُفُوني بتَعْذِيبِهَا

وأَصْلُ البكاء إنَّما هو على فَقْدِ المحبوب، أو نزول المكروه، وأيُّ محبوب أعظمُ من الله تعالى وطاعته؟ أو[٦] أيُّ مكروه أصعبُ من سَخَطِ الله وعذابه؟

---

(١) الإمام الفقيه، شيخ الشافعية، أبو الفضل عطاء المقدسي، لقيه ابن العربي عام ٤٨٧هـ ببيت المقدس، وذكر أنه فقيه الشافعية (القانون: ص٩٤)، ونعته في العارضة بفقيه بيت المقدس وصُوفِيِّها، (٢٣٩/٨)، وذكر مفاوضته لأبي منصور التركي في إحدى مسائل العلم بالمسجد الأقصى، وأحال على كتابه «عيان الأعيان»، ينظر الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٤٣١/٢)، وترجمتُه في: الأنس الجليل: (٤٣٥/١).

(٢) قوله: «بالمسجد الأقصى» سقط من (س)، وفي (ز): في المسجد الأقصى.

(٣) في (د) و(ل): يومًا وليلة.

(٤) الأبيات من المتقارب، ونسبها النُّوَيري في نهاية الأرب: (٥٦/٢) إلى سلم الخاسر، ونسبها ابن جُمَيع الصيداوي في معجم شيوخه: (ص٣٤٩) إلى ابن المعتز، وأغرب المقري بنسبتها في النفح والأزهار إلى ابن العربي، وسكت عن هذه النسبة إحسان عباس.

(٥) في (د) - أيضًا -: تُعَاتِبُنِي ... وبِتَعْتِيبِهَا.

(٦) في (س) و(ص) و(ز): و.

ألَا ترى أن السحرة لمَّا تَحَقَّقَتْ هذه الحقيقة واستمرت عليها من غير مَثْنَوِيَّةٍ عزيمة قالت لفرعون: ﴿فَاقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [طه:٧١].

وقد قال الله تعالى مخبرًا عن الأنبياء ومن انضاف إليهم من الأولياء: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّداً وَبُكِيّاً﴾ [مريم:٥٨]، وإنَّما كان بكاؤهم على أنَّ ما انتهَوا إليه من السجود - وهو الغاية في الذلة - لا يقوم بحق النعمة، فرأوا أنفسَهم بعَيْنِ التقصير فيما عليهم من الحق.

ومن فَضْلِ الله على الخلق أن جَعَلَ البكاء راحةً لهم في الدنيا، وأَجْرًا لهم في الأخرى، وقد بكى السفهاءُ على الأطلال وآثارها، والهفوات وأطوارها، والشَّهوات وأَوْطَارِها، فابْكِ أنت على ما مضى من أيَّامك الأُوَلِ في غَيْرِ عَمَلٍ، وفي ذلك ما[1] قُلْتُ:

يا نَفْسِي وَيْحَكِ[2] كَمْ ذا أَنْتِ في وَسَنِ ... لا تَبْكِيَنَّ على الآثار في[3] الدِّمَنِ

وابكي على عَمَلٍ قد كُنْتِ تاركةً ... أوقاتَه هَمَلًا في سَالِفِ الزَّمَنِ

يا فُرْصَةً لم تزل عنها مدافعة ... كالطِّفْلِ يُخْدَعُ باللُّعْبَى عن اللَّبَنِ

أيَّامَ تعملُ في دنياك مجتهدًا ... مِن كلِّ يَعْمَلَةٍ[4] كَوْمَاءَ كالفَدَنِ

---

(١) سقطت من (س).

(٢) في (س): يا ويح نفسك.

(٣) في (ل): في خـ: و.

(٤) اليعملة: الناقة النجيبة المطبوعة على العمل، تاج العروس: (٥٨/٣٠).

تَحَفَّظِي ببقايا العُمْرِ جَاهِدَةً ... من أن تَمُرَّ[1] على حالٍ من الغَبَنِ
وكيف أرجو بلوغًا ما أُؤَمِّلُه ... ولَسْتُ أَسْعَى إلى التحقيق في سَنَنِ
واللهُ لا يقبل الأعمالَ خالصةً ... حتَّى تكون على هَدْيٍ من السُّنَنِ

وقد قال النبي ﷺ - في الصحيح -: «لو تعلمون ما أَعْلَمُ لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا»[2].

وقد جاء هذا القول في حديث طويل ضعيف فلا تلتفتوا إليه.

ومن الحديث الحَسَنِ: قال النبي ﷺ: «لا يَلِجُ النَّارَ من بَكَى من خَشْيَةِ الله حتى يعود اللَّبَنُ في الضَّرْعِ»[3]/. [٧٧/ب]

والأوَّلُ أَصَحُّ.

الانتقاءُ للآيات بحَسَبِ الأغراض:

وقد تختلف القلوب في القراءة[4]؛ فمنها قَلْبٌ يَخْلُقُ الله[5] له الرجاء، وآخَرُ يخلق له التخويف، وآخَرُ يخلق له التوحيد، فينتقون آيةً آيةً لأمر يَتَوَجَّهُ.

---

(١) في (س) و(ص): يمر.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾، رقم: (٤٦٢١-طوق).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أبواب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله، رقم: (١٦٣٣-بشار).

(٤) في (د): القراءات.

(٥) لم يرد في (د) و(ص) و(ز) و(ل).

وفي الحديث الحَسَنِ: أن النبي ﷺ سَمِعَ بِلَالًا يقرأ هكذا فأَقَرَّهُ ورَضِيَه[١].

ونَصُّه[٢]: عن عبد الله بن رباح عن أبي قتادة: «أن النبي ﷺ خرج ليلة؛ فإذا هو بأبي بكر رضي الله عنه يُصَلِّي؛ يَخْفِضُ من صوته، قال[٣]: ومرَّ بعمر بن الخطاب وهو يُصَلِّي رافعًا[٤] صوتَه، فقال: يا رسول الله؛ أُوقِظُ الوسنان، وأطردُ الشيطان، فقال النبي ﷺ: يا أبا بكر، ارفع من صوتك شيئًا، وقال لعمر: اخفض من صوتك شيئًا»[٥].

ورواه عن أبي هريرة بنحوه، وزاد[٦]: «وقد سمعتك يا بلال وأنت تقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة، قال[٧]: كَلَامٌ طَيِّبٌ يَجْمَعُه[٨] الله؛ بعضه إلى بعض، قال[٩] النبي عليه السَّلام: كلكم قد[١٠] أصاب»[١١]، خرَّجه أبو داود.

---

(١) سقط من (س) و(ص) و(ز).

(٢) سقط من (د).

(٣) سقط من (د) و(ص) و(ل).

(٤) في (ص): وهو يرفع صوته.

(٥) أخرجه أبو داود في السنن: كتاب الصلاة، باب رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل، رقم: (١٣٢٩-شعيب).

(٦) في (ل): زاد.

(٧) في (س): فقال.

(٨) في (س) و(ص): يجمع.

(٩) في (س): قال عليه السلام.

(١٠) سقطت من (د).

(١١) أخرجه أبو داود في السنن: كتاب الصلاة، باب رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل، رقم: (١٣٣٠-شعيب).

وقد روى أحمد[١] عن سلمان: «أنه اجتمع الناس إليه بالمدائن؛ فقرأ عليهم سورة يوسف، فجعلوا يتفرَّقون عنه، فقال: أَبِزُخْرُفٍ[٢] من القول؟ تريدون آية من سورة كذا، وآية من سورة كذا»[٣].

وقد أَذِنَ النبي ﷺ في اختيار السُّوَرِ[٤].

وروى أبو داود: «قال رجل للنبي ﷺ: أَقْرِئْنِي[٥] يا رسول الله، قال: اقرأ ثلاثًا من ذوات ﴿الٓر﴾، قال: كَبِرَتْ سِنِّي، واشتدَّ قَلْبِي، وغَلُظَ لساني، قال: اقرأ ثلاثًا من ذوات ﴿حمٓ﴾، فقال مِثْلَ مقالته، فقال: اقرأ ثلاثًا من المُسَبِّحَاتِ، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أَقْرِئْنِي سورة جامعة، فأقرأه النبي ﷺ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾، حتَّى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليها أبدًا، فقال النبي ﷺ: أَفْلَحَ الرُّوَيْجِلُ»[٦].

---

(١) في (د) و(ص): أحمد بن حنبل.

(٢) في (س) و(ز): الزخرف.

(٣) عادة ابن العربي إذا أحال على الإمام أحمد يقصد كتاب الزهد له، ولم أجد الأثر في المنشور منه، وهو في الحلية لأبي نُعَيم: (١/٢٠٣).

(٤) منه حديث عبد الله بن مسعود، خرَّجه أبو داود في السنن: كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن، رقم: (١٣٩٦-شعيب).

(٥) في (س) و(د): أقرني.

(٦) أخرجه أبو داود في السنن عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن، رقم: (١٣٩٩-شعيب).

حقيقة القراءة:

والذي يقرأ القرآن مُتَعَلِّمًا كالذي يقرأه مُؤْتَجِرًا[١]؛ في أنَّ كل واحد منهما يلزمُه أن يكون له مُتَدَبِّرًا، وفيه مُتَفَقِّهًا، وبه عاملًا، فما كان أَحَدٌ من الصحابة يقرأُ آيةً ولا يتجاوزها إلى سواها حتى يَفْهَمَ معناها، وبذلك كانت كما جاءت الآثار[٢].

قال النبي ﷺ: «أيكم يُحِبُّ أن يغدو كل يوم إلى بُطْحان أو العَقِيق فيأتي بناقتين كَوْمَاوَيْنِ في غير إِثْمٍ ولا قطيعة رَحِمٍ؟ قالوا: يا رسول الله، كلنا نحب ذلك، قال: أفلا يغدو أَحَدُكم إلى المسجد فيَعْلَمُ أو يقرأ آيةً أو آيتين من كتاب الله؛ خَيْرٌ له من ناقة أو[٣] ناقتين، وثلاثٌ خَيْرٌ له من ثلاث، وأَرْبَعٌ خَيْرٌ له من أربع، ومن أَعْدادِهِنَّ من الإبل»[٤].

١ وعن أبي هريرة قال[٥]: قال رسول الله ﷺ: «أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يَجِدَ فيه ثَلَاثَ خَلِفَاتٍ[٦] عِظَامٍ سِمَانٍ؟ قلنا: نعم، قال:/ [٧٨/أ] فثلاثُ آيات يقرأ بهن أحدُكم في صلاته خَيْرٌ له من ثلاث خَلِفات عِظَامٍ سِمَانٍ»[٧].

---

(١) في (ز): مُتَّجِرًا.

(٢) قوله: «جاءت الآثار» سقط من (س) و(ص) و(ل) و(ز).

(٣) قوله: «ناقة أو» سقط من (ص) و(ز) (س) و(ل).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر ﷺ: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه، رقم: (٨٠٣-عبد الباقي).

(٥) سقط من (س) و(ص) و(ز).

(٦) في طرة بـ (د): الخَلِفات: النُّوقُ الحوامل، الواحدة: خَلِفَةٌ.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه، رقم: (٨٠٢-عبد الباقي).

وقَوْلُه في هذا الحديث[١]: «يَقْرَأُ ويَعْلَمُ» سواءٌ؛ لأنَّ من قرأ ولم يَعْلَمَ واقتصر على التلاوة دون عَقْلِ المَتْلُوِّ وفِقْهِه فقد خاب سعيَه، وأُفِنَ رأيَه، وغَبِنَ نفسَه، وسَفِهَ عقلَه[٢].

وقد ثبت عن النبي ﷺ ذَمُّ ذلك في حديثين عظيمين صحيحين:

أحدهما: قوله ﷺ: «إنكم في زمان كثير فقهاؤه، قليل قراؤه، يَحْفَظُونَ فيه حدود القرآن، ويُضَيِّعُون حروفه، وسيأتي على الناس زمانٌ كثيرٌ قراؤُه، قليلٌ فقهاؤُه، تُحْفَظُ فيه[٣] حروفُ القرآن، وتُضَيَّعُ حدودُه»[٤].

الثاني: قوله ﷺ: «يَخْرُجُ من ضِئْضِئِ هذا[٥] - وفي رواية: من قبل المشرق - قَوْمٌ يقرؤون القرآن لا يُجَاوِزُ حناجرهم، يَمْرُقُونَ من الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْم من الرَّمِيَّةِ»[٦]، وذَكَرَ الحديث، فذَمَّهُم على التلاوة دون العمل، وهُمْ يَدَّعُونه ولا يعقلونه، ويقولون: «كتابُ الله إِمَامُنا»، وقد نبذوه وراء ظهورهم.

وقد صحَّ أنَّ ابن عمر أقام على البقرة ثماني سنين يتعلمها[٧].

---

(١) قوله: «في هذا الحديث» سقط من (س).

(٢) المعنى: خَسِرَ نفسه، وأفسد رأيَه، ينظر: الروض الأُنُف: (٤/١٥٤).

(٣) سقطت من (س).

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفًا: جامع الصلاة، (١/٢٣٣)، رقم: (٤٨١-المجلس العلمي الأعلى).

(٥) سقط من (س).

(٦) أخرجه الإمام مالك في الموطأ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: ما جاء في القرآن، (١/٢٥٧)، رقم: (٥٤٧-المجلس العلمي الأعلى).

(٧) أخرجه الإمام مالك في الموطأ بلاغًا: ما جاء في القرآن، (١/٢٥٧)، رقم: (٥٤٨-المجلس العلمي الأعلى).

وقد قال العلماء: «فيها أَلْفُ أَمْرٍ، وأَلْفُ نَهْيٍ، وأَلْفُ حُكْمٍ، وأَلْفُ خَبَرٍ»[١]، وقال ابن مسعود: «من أراد العلم فليُثَوِّرِ[٢] القرآن، فإنَّ فيه عِلْمَ الأوَّلين والآخِرين»[٣].

صِفَةُ التَّعْلِيمِ:

وقد بيَّنَّا في كتاب «قانون التأويل»[٤] كيف يُقْرَأُ القرآن ويُعْلَمُ ويُعَلَّمُ، وقد كان عِلْمُ الألفاظ ومدلولاتها[٥] عند[٦] الصدر الأوَّل؛ لأنهم كانوا عَرَبًا عَرْبَاءَ[٧]؛ يعرفون معاني الألفاظ ومقاطع الكلام، ثم اختلط الخلق حتى فَسَدَتِ الأَلْسُنُ، وضَلَّتِ القلوب عن الحقائق حتى فسدت المعاني، فتعيَّن علينا - والحالةُ هذه - أن نبدأ بعِلْمِ الألفاظ؛ على وَجْهِ دِلَالَتِهَا على مدلولها، وأن نعلم مقاطع التعبير عنها؛ وهي الفصاحةُ التي يتميز[٨] بها لسانُ العرب الذي ورد القرآن به، وهو الذي نحاول معرفته.

فينبغي أن يُنَشَّأَ الطفل على تعليم العربية ومقاطع الكلام، ويُحَفَّظَ أشعار العرب وأمثالها، ويُلْقَى إليه من الحساب ما يُقِيمُ به دينه، ويكون دُسْتُورًا لِعِلْمِ الفرائض، واستخراج المعلوم من المجهول، ففيه منفعةٌ في الدين، وتمرينٌ للأفهام، ويُدَرَّسُ من القرآن المفصَّل عند استقلاله ببعض

---

(١) وفي المسالك للقاضي (٣/٤٠٩): «سمعت بعض أشياخي يقول».

(٢) ثوَّر القرآن: بحث عن معانيه وعن علمه، وتثوير القرآن: قراءته ومفاتشة العلماء به في تفسيره ومعانيه، تاج العروس: (١٠/٣٤٣).

(٣) أخرجه الطبراني في أكبر معاجمه: (٩/١٤٦)، رقم: (٨٦٦٦).

(٤) قانون التأويل: (ص٣٤٦-٣٤٨)، وينظر: العواصم: (ص٣٧٠).

(٥) في (س) و(ص): مداولاتها.

(٦) في (س): في.

(٧) في (د) و(ز): عُرْبًا.

(٨) في (د) و(ص): تميَّز.

هذه المقاصد، حتى إذا رَوِيَ من هذا الغرض مشى إلى العالم فأقرأه القرآن بتفسيره، ودرَّسه إيَّاه بمعناه، ويأخذه به من أوَّله، فلا يخطئ في وجهين:

أحدهما: أن يُعَلِّمَهُ القرآنَ منكوسًا[١]، ولا يقرأه[٢] كذلك إلَّا منكوس القلب.

والثاني: أن يُحَفِّظَ الصبيَّ كتاب الله وهو لا يَعْقِلُ منه حَرْفًا، فيتكلَّف استظهارَ ما لا طاقة له به، وإنَّما يَمُرُّ عليه كالعربي يحفظ التوراة بالعِبْرَانيَّة.

وإن عَقَلَ الصَّبِيُّ منه الألفاظ المستعملة عنده «كجاء» و«قام» و«قَعَدَ»/ و«جَلَسَ» لم يَقْدِرْ على رَبْطِها بما يتَّصلُ به، ولا فهْم ما تقتضيه فيما انتظمت معه. [٧٨/ب]

فإن قَدَّرَ الله ونظرتُم في شيء من التفسير فأُحَذِّرُكم أنَّ كُتُبَ التفسير مشحونة بالأحاديث الموضوعة والمقاصد الفاسدة، فلا تقرؤوا[٣] منها إلَّا المُسْنَدَاتِ؛ «كتفسير عبد الرزَّاق»، و«ابن المنذر»، و«الطبري» لمن أراد أن يَتَبَحَّرَ، وأمَّا هذه المجموعات من غير أسانيد؛ فإنها مُشْتَمِلَةٌ على

---

(١) لعله يقصد بذلك ما جرت به عادة المغاربة من التدرج في حفظ القرآن للصبي؛ فتكون البَداءة بأواخر السُّوَرِ، ثم يترقَّى به إلى ما فوقه، إلى أن تكون سورة البقرة من آخر ما يحفظ، فهذا معنى التنكيس، أو يكون معنى التنكيس أن يقرأ آيَ السُّورة الواحدة منكوسة، أي: يقرأ من آخرها إلى أولها؛ وذلك ليقتدر على الحفظ، ويستدلُّ به الواحد على تمكنه منه، وجريان القرآن على لسانه، وهذا لا يجوز قطعًا، ففيه من الفساد الشيء الكثير، ينظر: شرح ابن بطَّال: (١٠/٢٣٩)، والحوادث والبدع للطرطوشي: (ص٣٠١-٣٠٢).

(٢) في (ل): يقرأ.

(٣) في (د) و(ز): تقرؤون.

مَغْوَاة، لا يكون لأَحَدٍ معها نجاة، منها ما وَقَعَ فيها مؤلفوها غفلة، ومنها ما اعتمدوه جهالة، وأَسْلَمُ ما في هذه المختصرات «كُتُبُ[١] أبي الحسن الحَوْفِي[٢]»؛ التي[٣] ترجمها[٤] لبعض ملوك الأندلس[٥] ابنُ عمَّار

---

(١) في (س): كتاب.

(٢) الإمام العلَّامة، النحوي المفسر، علي بن إبراهيم بن سعيد، أبو الحسن الحَوْفي، مالكي المذهب، من أخص تلاميذ أبي بكر الأُدْفُوي، توفي عام ٤٣٠هـ، ولقي جماعة من علماء المغرب القادمين إلى مصر، له تفاسير عدة، منها: «إعراب القرآن»، و«البرهان في علوم القرآن»، وهو كتاب كبير، ذكر ابن خير أنه في مائة سفر ضخمة، وذكر ياقوت المستعصمي أنه في ثلاثين مجلدة بخط دقيق، يوجد بعضه، واسمه: «البرهان في علوم القرآن؛ من الغريب والإعراب، والقراءات والتفسير، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، وعدد الآي والتنزيل»، حُقِّقَ بعضه في رسائل جامعية، ونَقَدَ طريقته في التفسير الإمامُ ابن دحية السبتي، نقله عنه ابن الملقن في البدر المنير: (٤٧٢/٧)، ينظر في أخباره: فهرس ابن خير: (ص١٠٥)، ومعجم الأدباء: (١٦٤٣/٤-١٦٤٤)، وإنباه الرواة: (٢٢١/٢-٢٢٢)، وسير النبلاء: (٥٢١/١٧-٥٢٢).

(٣) في (د) و(س) و(ص) و(ز): الذي، ومرَّضها في (ل).

(٤) في (س): جمعها.

(٥) هو: الأمير الموفق، أبو الجيش مجاهد بن عبد الله العامري، مَلِكُ دانية لأزيد من ثلاثين سنة، وكان من أهل العلم، قصده العلماء والفقهاء من المشرق والمغرب، وألَّفوا له تواليف مفيدة في سائر العلوم، وممَّن قصده أبو عمرو المقرئ، وابن عبد البر، وابن عمَّار المهدوي، وابن سِيدَه، وغيرهم كثير، توفي عام ٤٣٦هـ، ترجمته في: جذوة المقتبس: (ص٥٢٢-٥٢٤)، والبيان المعرب لابن عذاري: (١٥٦/٣-١٥٧)، والمغرب لابن سعيد: (٤٠١/٢)، وأعمال الأعلام لابن الخطيب: (ص٢١٧-٢٢٠).

المهـدوي[١] باسـمه، أيَّـان[٢] ورد عليهـا؛ عـام المجاعـة الكبـرى[٣]، منـذ تسعين[٤] عامًا، فقد قرأتُها «بـالثَّغْرِ المحـروس» و«الفُـسْطَاط»، ولـم أَرَ فيهـا مُنْكَرًا.

وإيَّاكم و«كُتُبَ القَصَصِ»، فإنكم بقِلَّةِ تَمَـرُّنِكُم بالعلوم تَتَجَرَّعُـونَ منهـا الغُصَصَ، أمَّا في الدنيا فبالجهالات، وأمَّا في الآخرة فإنه يُخـاف علـيكم أن يُقال فيكم: ﴿وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾[٥] عن اقتدائهم بالذين لا يعلمون.

قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي[٦] ﷺ: فـإذا كُنْـتَ جَارِيًـا علـى هذا السَّنَنِ فأنت «العَابِدُ».

---

(١) الإمام العلَّامة، المقرئ المفسر، أحمد بن عمَّار، أبـو العبـاس المهـدوي، تَلْمَذَ لأبي الحسن القابسي، ودخل الأندلس في حدود عـام ٤٣٠هـ، وألـف التـآليف الجليلـة، طبـع لـه منهـا: «التحـصيل لفوائـد كتـاب التحـصيل»، وهـو مختـصر «التفصيل الجامع لعلوم التنزيل»، ألَّفه برسم الأمير مجاهد العامري، وكانت وفاة ابـن عمَّـار بالأنـدلس بعـد ٤٤٠هـ، ترجمتـه فـي: جـذوة المقتـبس: (ص١٦٧-١٦٨)، والـصلة: (١/١٣٨)، وإنبـاه الـرواة: (١/١٢٦-١٢٧)، وكتـاب العُمُـر: (١/١٢٢-١٢٧)، وينظر: التحصيل لابن عمَّار: (١/١٠٧).

(٢) في (ص): إبَّان.

(٣) في طرة بـ (ص): قال الأشيري: «أظن عام المجاعة كان سنة الخمـسين أو الـستين وأربعمائة»، قلتُ: كلامُ ابن العربي يحوم حول الأربعين وأربع مائـة، وهـو قريـب من قول من قال: «إن دخول ابن عمَّار كان في حدود الثلاثين وأربع مائة».

(٤) في (د): تسعون.

(٥) [الصافات:٢٤].

(٦) في (د): قـال الإمـام الحـافظ القاضـي، وفـي (ص): قـال الحـافظ أبـو بكـر بـن عبد الله، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر، وفي (ل): قال الإمام.

العَابِدُ[١]: وهو الاسمُ التَّاسِعُ

وقد اختلفت عباراتُ[٢] الناس في العبادة على أربعة أقوال[٣]:

أحدُها: الطاعة.

الثاني: التَّذَلُّلُ.

الثالث: عَبَدَ: دَانَ.

الرابع: عَبَدَ: قَهَرَ.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ [الزخرف:٨١].

قال قَوْمٌ: «إن عبد بفتح الفاء[٤] وكَسْرِ العَيْنِ معناه: أَنِفَ وغَضِبَ»[٥].

والذي عندي: أنَّ بِنَاءَ «ع ب د» في العربية مَوْضُوعٌ للذِّلَّةِ؛ وهي: تصريفُ الجوارح في أَمْرِ الغَيْرِ أو منفعته، وقد يأتي[٦] للتَّعَزُّزِ، وكَثِيرٌ من الألفاظ العربية تُستعمل في الشيء وضِدِّهِ[٧].

---

(١) سقط من (د) و(س) و(ص) و(ز).

(٢) في (س): عبارة.

(٣) ينظر: الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٤٧٢/٢).

(٤) في (س): الباء، وفي (ص) و(ل): بفتح العين وكسر الباء.

(٥) تفسير الطبري: (٦٥٦/٢٠-التركي)، ومعجم مقاييس اللغة: (٢٠٧/٤).

(٦) في (د) و(ص): تأتي.

(٧) معجم مقاييس اللغة: (٢٠٥/٤).

والذين قالوا: إنَّ عبد بمعنى أَنِفَ ؛ لم يكن مأخوذًا - والله أعلم - إلَّا من هذه الآية ، فإنْ كان تأويلُها كما قال قَوْمٌ: إنَّ معناها[(١)]: «إن قلتم: إنَّ للرحمن ولدًا فأنا أوَّلُ من يَعْبُدُ الرحمن[(٢)]»[(٣)].

وقد رُوي عن علي بن أبي طالب ﵁ أنه قال حين نُسِبَ إليه أنه[(٤)] قَتَلَ عثمان: أَنَّه عَبِدَ، يعني: غَضِبَ[(٥)].

وهذه كلُّها أقوالٌ مصنوعة[(٦)]، مَبْنِيَّةٌ على تأويل الآية، وليس للعبادة مَعْنًى إلَّا التذلُّل، فاعلمُوه واطرحُوا غَيْرَه.

وقد قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَالإنسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وقد خَفِيَتْ هذه الآية على المبتدعة وعلى أهل السُّنَّةِ.

فقال قَوْمٌ من المبتدعة: «خَلَقَهم وأراد منهم العبادة، ففَعَلُوا ما أرادوا».

تعالى الله أن يكون في مُلْكِهِ ما لا يُرِيد.

وقال بعضُ أهل السُّنَّةِ: «إن كان خَلَقَهُم/ ليعبدوه فقد وُجِدَ من لا يَعْبُدُه، ولا يَصِحُّ أن يكون في خبره خُلْفٌ، وأيضًا فإنَّه غَنِيٌّ عن عبادتهم، وظاهرُ الآية يُعْطِي أنه خَلَقَهُم لما هو غَنِيٌّ عنه[(٧)]». [٧٩/أ]

---

(١) قوله: «إن معناها» سقط من (س) و(ز).

(٢) في (ص): فأنا أوَّلُ العابدين.

(٣) تفسير الطبري: (٢٠/٢٥٤-التركي).

(٤) سقط من (س).

(٥) يقارن بما في تفسير الطبري: (٢٠/٦٥٧-التركي)، ومعجم مقاييس اللغة: (٤/٢٠٧).

(٦) في (س): موضوعة.

(٧) في (س): عنهم.

وقال قَوْمٌ من القَدَرِيَّةِ: «إنَّ العبادة وُقُوعُ أفعال العباد على وَفْقِ أَمْرِ المَوْلَى».

فأخرجوا الأفعال عن العبادة ما لم تكن[١] موافقة للأمر[٢]؛ لِيُثَبِّتُوا بذلك أنه لا يريد المعصية.

وقال أهلُ السنة: «إن العبادة هي وقوعُ أفعال العباد على حُكْمِ المَوْلَى، لا جَرَمَ كل طاعة ومعصية وخَيْرٍ وشَرٍّ ظَهَرَ من العباد، فإنه بحُكْمِ المَوْلَى وقضائه، والأمورُ تَجْرِي على حسب مراد الله تعالى، لا[٣] على مقتضى أَمْرِه ونَهْيِه»[٤].

ولمَّا جَهِلَ هذا الأَصْلَ المبتدعةُ وغَفَلَ عنه[٥] المُفَسِّرُون خلَّطُوا في هذه الآية:

فقال قَوْمٌ: «معناها الخصوص وإن كانت[٦] جاءت بلفظ العموم»[٧].

وهذا ضعيفٌ لوجهين:

أحدهما: أن العموم إنما يُخَصُّ لحاجة، ولا حاجة هاهُنا.

---

(١) في (د): يكن.

(٢) في (د) و(ص) و(ل): الأمر.

(٣) سقطت من (س).

(٤) تفسير الطبري: (٢١/٥٥٥-التركي)، والحدود لابن فُورَك: (ص١٢٣).

(٥) في (س): عنها.

(٦) في (س) و(ص) و(ز): كان.

(٧) هو قول زيد بن أسلم، ذكره الطبري: (٢١/٥٥٣-التركي)، وهو قول الضحَّاك وسفيان أيضًا، ذكره عنهما الثعلبي في الكشف والبيان: (٩/١٢٠)، وينظر: معاني القرآن للزجَّاج: (٥/٥٨).

الثاني: أن[1] الأصل الذي يَدْعُو إلى الخُصوص فاسدٌ، ولا يُبْنَى عليه.

ومنهم من قال: معناه: «وما خلقتُ الجن والإنس إلَّا لآمُرَهم بالعبادة»[2].

والمعنى صحيحٌ؛ ولكنه تركيب لا تعضدُه العربية، ولا تقتضيه الفصاحة، والقُرْآنُ طَلَقُ[3] العربيَّة، وبَيِّنُ[4] الفصاحة.

والمعنى الصحيحُ في الآية[5]: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، أي: لتَجْرِيَ أفعالهم على مُقْتَضَى قضائي، فيكون فِعْلُ العبد على مقتضى حُكْمِ المَوْلَى، وإنَّما يخرج فِعْلُ العبد عن حُكْمِ المولى إذا كان مغلوبًا، والغالب لا يَخْرُجُ شيءٌ عن حُكْمِه، وهو الله وحده، وقد فَهِمَ بعضُ الصالحين هذا الحق، فقيل له: «ما أراد الله من الخلق؟ فقال: ما هُم عليه».

والغَفَلَةُ ظنُّوا أن تفسير العبادة هاهُنَا الطاعة، ورَأَوا بَعْضَ الخلق لا يُطِيعُ[6] فطَلَبُوا للآية معنًى غير معناها، ولو عَقَلُوا معنى ذلك وفَهِمُوا أيضًا

---

(١) في (س): أن الأصل يدعو، وفوقه: بخطه، أي: كذلك وُجِدَ بخطِّ المصنف.

(٢) ينظر: تفسير ابن عطية: (٨/٨٢).

(٣) الطَّلَقُ -بالتحريك- هو: القَيْدُ من أَدَمٍ، ومعناه هُنا: أن القرآن قَيْدُ العربية، وهو حاكمٌ عليها وعلى عباراتها ومُرَكَّباتها، تاج العروس: (٢٦/٩٨).

(٤) في (س) و(د) و(ص) و(ز): نيِّر، وضرب عليه في (ل).

(٥) هو قول الطبري: (٢١/٥٥٥-التركي)، وينظر: أدلة التوحيد لابن مُخْلِصٍ السبتي: (ق١٦٧/ب).

(٦) في طرة بـ (د): لا يطيعون، وصحَّحها.

معنى السجود كما قال الله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد:١٦]، فالكافر يَكْفُرُ بلسانه، وجوارحُه كلُّها مؤمنة، نعم؛ ولسانُه الكاذب شاهدٌ لله، عابدٌ له في تكذيبه به[١]؛ لأنه جَرَى بحُكْم قضائه، ونَفَذَ بمُقْتَضَى تقديره، فلم يخرج شيءٌ عن مُلْكِه، وقد قال الله تعالى: ﴿عِبَادِي﴾ في مواضع من كتابه، منها قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر:٤٢]، فأضافهم إلى نفسه؛ بما وَهَبَهم من الحِفْظِ والعِصْمَةِ، فهم لا تضرهم الوساوسُ باستجارتهم بالله، وإذا قَرُبَ الشيطان من قَلْبِ العالِمِ أَحْرَقَه نُورُ العِلْمِ، وإذا دنا من قَلْبِ[٢] الغافل أحرقه تجديدُ الذِّكْرِ وإحضارُ التوحيد.

قال النبي ﷺ: «إن الشيطان يأتي أحدَكم فيقول له: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ فيقول له: الله[٣]، فيقول له: من خلق الله؟ فإذا وجد ذلك أحدُكم فليَقُلْ:/ لا إله إلا الله»[٤]. [٧٩/ب]

وقال في موضع آخَرَ: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [الزخرف:٦٨]، وإنَّما يكون عبدُه الذي يخاطبه بهذه المخاطبة الشريفة من لم يَكُنْ في أَسْرِ غيره، وأمَّا[٥] من استعبده هَوَاهُ واستمكن منه الطَّمَعُ واسْتَرَقَّتْهُ كل خَسِيسَةٍ ونَقِيصَةٍ فلا يكون منهم، ولا يُدْعَوْنَ، بل يُدْعَى عليهم.

---

(١) سقط من (س).
(٢) سقط من (ص).
(٣) قوله: «فيقول له: الله» سقط من (س).
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، رقم: (١٣٤-عبد الباقي).
(٥) سقط من (د) و(ص) و(ل).

قال النبي ﷺ: «تَعِسَ عبد الدينار، تَعِسَ عبد الدرهم، تَعِسَ عبد القَطِيفَةِ، تَعِسَ عبد الخَمِيصَةِ، تَعِسَ وانتَكَسَ، وإذا شِيكَ فلا انتَقَشَ»[١]، وقد قال الله تعالى: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٧].

والمعبود: هو الذي تَجْعَلُ له قلبَك وعملَك، فمن جعله للحَجَرِ فهو عابدُ صَنَمٍ، ومن جعله للذهب والفضة فغَدَا فيه وراح، وعَمِلَ له وسعى، ورأى أنه هو المقصود الأَوْفَى؛ فهو على مَنْزِلَةٍ من عبادة غير الله، ولذلك دعا عليه رسول الله ﷺ في الحديث المتقدِّم.

وقد[٢] قال تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه:١٣].

والمعنى: تَذَلَّلْ لحُكْمِي، واستَسْلِمْ لأَمْرِي، وانْقَدْ لامتثال حَدِّي[٣]، واخضع لسُلْطَانِي، وذلك بإقامة الصلاة لذِكْرِي.

يعني: إِذا ذَكَرْتُهَا[٤] لك، وخَلَقْتُ لك العِلْمَ بها.

والصلاة هي العبادة كلها؛ فإنها تشتمل على فِعْلِ القلب واللسان والجوارح، وهي الجملة الآدمية المُتَوَجِّهُ إليها الابتلاءُ بالأمر والنهي، والوظائف الشرعية التي أَوَّلها إخلاصُ القلب، وآخرُها السجودُ بتَمْرِيغِ الوَجْهِ لله تعالى.

---

(١) تقدَّم تخريجه في السفر الأوَّل.

(٢) سقطت من (د) و(ص) و(ل).

(٣) في (س) و(ز): خوفي.

(٤) في طرة بـ (س): «قوله: ذكرتها، هذا تفسير على قراءة: ﴿للذكرى﴾».

ولما بَلَغَ النبيُّ ﷺ الغَايَةَ من[1] التذلل والتواضع لله والمسكنة[2]، وصار اسمُ العَبْدِ فيه حقيقة؛ حين[3] لم يَعْصِ الله قَطُّ؛ لا قبل النبوَّة ولا بعدها؛ رَفَعَهُ الله إلى سِدْرَةِ المنتهى، وأَوْصَلَه إلى مَوْضِع يَسْمَعُ فيه صَرِيفَ الأقلام، وأخبر عنه[4] باسم العَبْدِ، فقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الإسراء:١].

التقدير: سبحان الذي رَفَعَ المُتَذَلِّلَ له إلى أَعَزِّ مَوْضِعٍ عنده.

وقال[5] له: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ [مريم:٦٥]، فكذلك[6] فَعَلَ ﷺ، فلقد قام حتى تَفَطَّرَتْ قدماه، وكان نهارُه كلُّه في عبادة مولاه، حتى إذا طرأت عليه غَفَلَاتُ الآدميَّة بمُعَافَسَةِ الأهل والطعام تاب إلى الله في اليوم والليلة مائة مرة، ووَذَرَ[7] الدنيا[8]؛ ولم يَمُدَّ إليها عَيْنًا، ولم ينتقم لنفسه.

ولا يَتِمُّ الصبر على العبادة إلَّا بترك الدنيا، قال أبو الدرداء - فيما رواه ابن حنبل -: «كنت تاجرًا؛ فلمَّا أَسْلَمْتُ حاولت التجارة والعبادة فلم يَجْتَمِعَا، فأخذت العبادة وتَرَكْتُ التجارة»[9].

---

(١) في (س): في.

(٢) في (س): السكينة فيه.

(٣) في (س) و(ص): حتى، ومرَّضاها في (د) و(ل).

(٤) قوله: «وأخبر عنه» سقط من (س) و(ص).

(٥) في (س): فقال.

(٦) في (س): وكذلك.

(٧) في (ز): ترك.

(٨) في (ص): الزينة.

(٩) أخرجه الإمام أحمد في الزهد: (ص١٧٢).

وقال في عيسى وعنه: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [مريم:٢٩]، مُعْتَرِفًا[١] بما هو عليه، وبما يجب في صفته/. [٨٠/أ]

قال علماؤنا: المعنى في الاحتجاج على النصارى: إِنْ صَدَقَ عيسى بَطَلَ قولُكم[٢]، وإِنْ كَذَبَ فلا يَكُونُ ابنًا لله، ولا خلاف بيننا وبينهم في أن عيسى عبد الله من تَسْمِيَتِهِ لنَفْسِهِ، وادَّعَوا أن الله سمَّاه ابنًا، فبذلك قامت هذه[٣] الحجة عليهم.

[صفاتُ عباد الرحمن]:

وقد قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان:٦٣]، فوصفهم باثنتي[٤] عشرة صفة، وبذلك اختصُّوا أن يُضِيفَهم إلى نفسه.

الصِّفَةُ الأولى: قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان:٦٣]

الهَوْنُ[٥] الرِّفْقُ، يُريد به: التواضع والخشوع، وهو[٦] ضِدُّ الذين يمشون على الأرض مَرَحًا.

الثانية: إذا جُهِلَ عليه[٧] لا يَجْهَلُ مثل جَهْلِه ولا فوقه

---

(١) في (س): في خـ: معرفًا.

(٢) في (د): في خـ: قولهم.

(٣) سقطت من (س) و(ز).

(٤) في (ز) و(س): باثني.

(٥) في (س): والهون.

(٦) سقط من (د) و(ص) و(ل).

(٧) في (س): عليهم.

كما قال الذي لم يَكُنْ له دِينٌ، وكان له حَمِيَّةُ الجاهلية ونَخوة[١] الأعرابية:

أَلَا لَا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِينَا[٢]

ولكنَّه يُقَابِلُ بالحَسَنِ من القَوْلِ، إن ذَمَّه مَدَحَه، وإن ساءَه فرَّحه، أو يسكت عنه[٣] ويُعْرِضُ عنه، كما قال بعضُ أصحابنا[٤]:

إنَّ صَبْرِي على الجفاء صَوَابُ وسُكُوتي عن السَّفِيهِ جَوَابُ

فَهْوَ لا شَكَّ كالذي قِيلَ فيه: مَنْزِلٌ عَامِرٌ وعَقْلٌ[٥] خَرَابُ

وإن ذَكَرَ أَحَدٌ لهم عَيْبًا سَكَتُوا عن عَيْبِه.

وقيل: يقال له: «سلام عليكم»، يُذَكِّرُ بالسلامة، ويُعَرِّفُ أن الله رقيب عليه، قال النبي ﷺ في الصائم: «فلا يَرْفُثْ ولا يجهل، فإن امرؤٌ قاتله أو شاتمه فليَقُلْ إنِّي صائم»[٦]، ولا يُقابِل قِتَالَه بقِتَالٍ، ولا سَبَّه بسَبٍّ.

---

(١) في (س): نجدة.

(٢) هو من الوافر، لعمرو بن كُلثوم في معلَّقته المشهورة، شرح القصائد التسع المشهورات للنحَّاس: (٢/٢٢٨)، وشرح المعلقات السبع للزوزني: (ص١٧٨).

(٣) سقطت من (س).

(٤) البيتان من الخفيف، ولم أجدهما، والشطر الأخير فيه لجَحْظَة البرمكي، من جملة بيتين، وهما:

قلت لما رأيته في قصور مشرفات، ونعمة لا تعاب

رب ما أبين التباين فيه منزل عامر، وعقل خراب

ذكرهما له الثعالبي في الإعجاز والإيجاز: (ص٢١٣)، وأدب الدنيا والدين: (ص١٦٦).

(٥) في (د) - أيضًا -: نفس.

(٦) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي هريرة رضي الله عنه: جامع الصيام، (١/٣٥٦)، رقم: (٨٦٣-المجلس العلمي الأعلى).

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٤]

يَعْنِي: أَنَّهم[١] بالنهار في صَمْتٍ وكَفٍّ، وهُم بالليل في سُجُودٍ ورُكُوعٍ، وقِرَاءَةٍ وفِعْلٍ[٢].

وقد قُلْتُ في ذلك أبياتًا ربَّما أفادت الصالحين ذِكْرَى، وهي:

إِلَيْكَ إِلَهَ الخلق قاموا تَعَبُّدَا ... وذَلُّوا خُضُوعًا يَرْفَعُونَ لَكَ اليَدَا

بِإِخْلَاصِ قَلْبٍ وانتصاب جوارحٍ ... يَخِرُّونَ للأَذْقَانِ يَبْكُونَ سُجَّدَا

نَهَارُهم صَوْمٌ ولَيْلُهُم بُكَا[٣] ... ودينُهم رَعْيٌ ودُنياهم[٤] سُدَا[٥]

فبالحِكَم اللَّاتِي تَوَلَّتْ نظامَهم ... وبالكَلِمِ اللَّاتِي أَنَالَتْهُمُ الهُدَى

أَزِلْ حَسَدَ الحُسَّادِ عَنِّي بكَبْتِهِم ... فأَنْتَ الذي صَيَّرْتَهُم لي حُسَّدَا

وهذا كقوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ١٠]، ولم يَذْكُرِ الركوع؛ لأن ذِكْرَ السُّجُودِ ذِكْرٌ له، والسُّجُودُ هو الانحناء، وأوَّله خَفْضُ الرأس، وآخِرُه وَضْعُ الوجه على الأرض، وإذا انحنى نِصْفُ بدنه وبَقِيَ النِّصْفُ الآخَرُ/ قائمًا[٦]؛ فهو آخِرُ الركوع عَرَبِيَّةً، وأَوَّلُه[٧] ابتداءُ خَفْضِ الرأس، وهذا كلُّه يفعله خَوْفًا من الله، ورجاءً في الرحمة.

[٨٠/ب]

---

(١) سقطت من (س).

(٢) مرَّضها في (ل).

(٣) في (س) و(د) و(ص): هُدًى، ومرَّضها في (ل).

(٤) في (د): وأخراهم.

(٥) في (د): صدًا.

(٦) في (س): فإنما هو.

(٧) في (س): أوَّل السجود.

وهذا رَدٌّ على من يقول: «إنَّ الله إنَّما حقيقةُ عبادته ألَّا يَخْطُرَ بباله ثوابٌ ولا عقابٌ»، وهذا لَغْوٌ من الكلام لا يُساوي سماعه، وأصلُهم فيه حديثٌ ينسبونه إلى عُمَرَ: «نِعْمَ العَبْدُ صُهَيْبٌ، لَوْ لَمْ يَخَفِ الله لَمْ يَعْصِه»[1]، وهذا لم يثبت، والذي ثَبَتَ من قَوْلِ الله في كتابه وقَوْلِ النبي ﷺ في سُنَّتِه[2] غَيْرُ هذا[3]، ولا تَجِدُ في هذين[4] الموضعين الكريمين أَثَرًا لهذه النَّزْغَةِ[5] الباردة[6].

فإن قيل: قد قال النبي ﷺ: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه»[7].

---

(١) أورده أبو عُبَيد القاسم بن سلَّام في غريبه بغير إسناد: (٤/٢٨٤)، وذكر السخاوي في المقاصد الحسنة (ص٤٤٩) أن شيخه الحافظ ابن حجر ظَفِرَ به بغير إسناد في «مشكل الحديث» لابن قُتَيبة، ثم نقل عنه أنه قال: «أراد: أن صهيبًا إنما يطيع الله حبًّا لا لمخافة عقابه»، وقولُه هذا الذي نسبه له ابن حجر لم أجده في «مشكل الحديث» لابن قُتَيبة، وإنما هو في غريب أبي عُبَيد: (٤/٢٨٥)، والحديث لا أصل له.

(٢) قوله: «في سنته» سقط من (ز).

(٣) قوله: «غير هذا» سقط من (س) و(ص) و(ز).

(٤) سقطت من (د) و(ص).

(٥) في (ص): الشرعة، وفي (د) و(ز): النزعة.

(٦) ينظر: الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/١١٣).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب الإيمان، باب تطوع قيام رمضان من الإيمان، رقم: (٣٧-طوق).

قلنا: الاحتسابُ هو ألَّا يطلب عليه ثوابًا إلا في الآخرة، يَعُدُّه على الله، ولا يرتجي به شيئًا في الدنيا، وأن يحسب[١] ذلك على الحسيب المُقِيتِ.

ولا تصدرُ مِثْلُ[٢] هذه العبادة[٣] إلَّا عن العالم بالله؛ الذي يَتَحَقَّقُ أنه لله كله[٤]، فتصريفُه لشَيء[٥] من الزمن[٦] في غير ما أَمَرَه[٧] به تَعَدٍّ منه، ولذلك قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٠].

أي[٨]: إنما يَذْكُرُ ذلك[٩] ولا ينساه من لُبُّه حاضرٌ، أي: عِلْمُهُ معه مُتَمَادٍ[١٠]؛ لا تقطعه الغفلات، ولا تُذهبه الشهوات.

ثم أعقبه بقوله: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ [الزمر: ١١]، أي: اجعلوا بينكم وبينه وقاية من العمل، على ما يأتي بيانُه في اسم «المُتَّقِي» إن شاء الله تعالى.

---

(١) في (س) و(ص): يحتسب.

(٢) سقطت من (س).

(٣) في (س) و(ل): العبارة.

(٤) في (س) و(ز): كله لله.

(٥) في (س) و(ز): شيئًا.

(٦) في (س): الزمان.

(٧) في (س) و(ز): أُمر.

(٨) سقطت من (ص).

(٩) قوله: «أي: إنما يذكر ذلك» سقط من (س) و(ز).

(١٠) سقطت من (س)، وفي (ص) و(د): متمادي.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ [الفرقان: ٦٥]

قال الإمامُ أبو بكر[(١)] رضي الله عنه: قال بعضُ الفقراء: «هذا مقامٌ عظيمٌ تَطِيشُ فيه الألباب، وتخضع له الرقاب؛ لأنه وصفهم بما وصفهم من صفات الطاعة، ثم أخبر عنهم بأنه لا يَكْمُلُ ذلك منهم حتى يَقِفُوا مَوْقِفَ المذنب المعترف بالتقصير، فيقول: اصرف عنِّي عذاب جهنم، كأنه استحقر عملَه لتقصيره[(٢)] عمَّا يَجِبُ عليه من حَقِّ مولاه»[(٣)].

وهذا وإن كان حَسَنًا له وَجْهٌ صحيحٌ؛ فإن هنالك مَعْنًى أقوى منه، وهُوَ أنَّ الأثر الصحيح قد ثبت بأنه: «ما من نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إلَّا وقد كُتب مكانُها من الجنة أو النار»[(٤)]، وهذا لم يَعْلَمْ مكانه، ولا صَحَّتْ عنده خاتمتُه[(٥)]، فهو يسأل وِقَايَةَ عذاب جهنَّم بحُسْنِ الخاتمة له.

الخامسة: قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ [الفرقان: ٦٧]

وقد بيَّنَّا في «قِسْمِ الأحكام»[(٦)] ما يتعلَّق بهذه الآية من «القِسْمِ الثالث».

---

(١) في (د): قال الإمام الحافظ، وفي (ص) و(ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي، وفي (ل): قال الإمام أبو بكر بن العربي.

(٢) في (س) و(ز): بتقصيره.

(٣) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٦٤٩).

(٤) تقدَّم تخريجه في السِّفر الأوَّل.

(٥) سقطت من (س).

(٦) أحكام القرآن: (٣/١٤٣٠-١٤٣١).

فأمَّا ما يتعلَّق بها[١] من القِسْمِ الرابع في[٢] «التذكير»: فإن الإسراف أن يُنْفِقَ بِنِيَّةِ الشهوة والهوى، فأمَّا لو تصدَّق بجميع ماله لم يَكُن إسرافًا؛ إذا[٣] وَثِقَ من نَفْسِه[٤] بالصبر على فَقْدِ المعيشة، ولو مات هَزِلًا، وإن لم يَثِقْ بنفسه فإنه إسرافٌ منه؛ لأن العمل لا يكون طاعةً إلَّا بنيَّة، ولا تصحُّ له[٥] نِيَّةُ القُرْبَةِ مع/ اعتقاده أنه[٦] يندم غدًا.

١ [٨١/أ]

وأمَّا الإقتار: فهو حَبْسُ المال عن حقوق الله تعالى، أو عن الصدقة التَّطَوُّعِ؛ لابتغاء ثواب الله.

فأمَّا التضييق على النفس عن الشهوات لتَتَعَوَّدَ الاجْتِزَاءَ باليَسِيرِ فليس ذلك بإقتار[٧].

واختلف الناسُ هل يَفْعَلُ ذلك على الدوام؟

فمَذْهَبُ الصوفية أن يفعله على الدوام؛ حتَّى يَنْحُلَ بَدَنُه، ويَضْعُفَ جِسْمُه، ويَقِفَ على جِلْفِ الخبز والماء، لا يزيد عليه، «وقد كان أَحَدُ بَنِي الزُّبَيْرِ يمشي على سوق الفاكهانِيِّين؛ فإذا رأى الحُمْرَةَ والصُّفْرَةَ والخُضْرَةَ جسَّها بيده وشمَّها، وقال: موعدي وإياك الجنة»[٨].

---

(١) قوله: «من القسم الثالث. فأمَّا ما يتعلَّق بها» سقط من (س)، وفي (ص) و(د): به.

(٢) في (ل): من، في.

(٣) في (س): فإذا.

(٤) في (س) و(ز): بنفسه.

(٥) سقطت من (س).

(٦) في (س) و(د) و(ص) و(ز): أن.

(٧) لطائف الإشارات: (٢/ ٦٥٠).

(٨) لم أهتد إلى موضعه في كتب الأثر.

ولم يَسْلُكِ النبي ﷺ ولا الصحابة[1] هذا المسلك، ولكنه يُشْبِهُ أن يكون هذا زمانَه لمن أطاقه؛ لغلبة الحرام على الأرض، فتكون غلبة الحرام على الأرض الآن مُوجِبَةً عليه قَوْلَ[2] النبي ﷺ: «حَسْبُ ابن آدم لُقيمات يُقِمْنَ صُلْبَه»[3]، كما جاء في الخبر عنه ﷺ.

السَّادسة: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان:٦٨]

قال الفُقَرَاءُ: «إن كان المراد به الأصنام في الظاهر، فإنه تنبيه على أن لا يَسْكُنَ أحدٌ إلى غير الله في نَفْعٍ أو دَفْعٍ؛ لأنه قد أَمَرَ الله رَسُولَه أن يَتَبَرَّأَ من نَفْعِ نَفْسِه وضَرِّهَا، فكيف أن ينفع غيره»[4].

وإنَّ قَطْعَ العلائق بين القلب وبين غير الله لَمِنْ أَوْجَبِ الواجبات، ولكن هذا هاهُنا[5] تَنْبِيهٌ بعيدٌ قد وقع التصريحُ به في موضعٍ آخَرَ.

السَّابعة: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفرقان:٦٨]

قَتْلُ النَّفْسِ يكون بوُجُوهٍ:

منها: قَتْلُ العَدَاءِ، وهو: القَصْدُ إلى الإتلاف على معنى التشفي والانتقام.

---

(١) في (س): وأصحابه.

(٢) في (س): قال.

(٣) تقدَّم تخريجه في السِّفر الأوَّل.

(٤) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٦٥٠).

(٥) في (د): هذا هنا.

ومِنْ قَتْلِ المؤمن إِذَايَتُه، قال النبي ﷺ: «لَعْنُ المؤمن كقتله»[(١)].
وأَخْذُ ماله قَتْلٌ له.
وتَنْكِيدُ عيشه بالهموم والغموم قَتْلٌ له؛ فإنَّ الكاسفَ البال مَيِّتٌ.
وسجنُه قَتْلٌ له؛ فإن المسجون مَعْدُودٌ في جُمْلَةِ الموتى.

ومن المُحَرَّمِ قَتْلُه لنفْسِه بتركها مُخَلَّاةَ العِنَانِ مع هواها، سالكةً سَبِيلَ شهوتها؛ فإنها سيئة الاختيار، أَمَّارَةٌ بالسُّوءِ، والسَّفِيهُ إذا لم يُنْهَ مَأْمُورٌ.

ثم قال تعالى: ﴿إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾، وقَتْلُكَ نَفْسَكَ بالحَقِّ: أن تقمعها عن الشهوات، وتصرفها عن المخالفات، وتردَّها إلى الصراط المستقيم، وتأخذها بقانون الدِّين، وفي الأثر: «الكَيِّسُ من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من أَتْبَعَ نفسه هواها وتمنَّى على الله الأماني[(٢)]»[(٣)].

الثامنة: قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَزْنُونَ﴾ [الفرقان:٦٨]

هو ألَّا يسعى بقَدَمٍ، ولا يَلْمَسَ بجارحة، ولا يُقَبِّلَ، ولا ينظر، ولا يستمع إلى ما لا يَحِلُّ له، مع القُدْرَةِ على ذلك والتمكن منه، من غير تَقِيَّةٍ إلَّا من الله، وهذه المَنْزِلَةُ ما عَلِمناها ثَبَتَتْ لأَحَدٍ إلَّا ليُوسُفَ صلوات الله عليه؛ لأن امرأة العزيز دَعَتْه، / ولَمَسَتْهُ، وقَطَّعَتْ عليه ثَوْبَه، فما أَصْغَى ولا نَظَر، وولَّى عنها وأَدْبَر، بعد أن حدَّثته نفسُه المُتَمَنِّيَةُ بما لا يستطيع البَشَرُ ردَّه عن أنفسهم، فلم يُتْبِعِ الهَمَّ الهَمَّ، وقطَعَه وما تَمَّ، وخاف مولاه،

١ [٨١/ب]

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن ثابت بن الضحَّاك رضي الله عنه: كتاب الأدب، باب ما ينهى من السِّباب واللعن، رقم: (٦٠٤٧-طوق).
(٢) سقطت من (س) و(د) و(ص) و(ز).
(٣) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٢٤٥٩-بشار)، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن».

وأَكْرَمَ من أَكْرَمَ مَثْوَاه، وحَفِظَ المروءة والدِّيَانَة، وصار ما كان مُدَّخَرًا له عند الله من النُّبُوَّةِ والمَكَانَة، وبه سُمِّيَ الصِّدِّيقَ؛ فإنه اتَّفق قولُه وفِعْلُه واعتقادُه على الطاعة، وما خالف قَطُّ مولاه في ساعة، كما أخبر سبحانه عنه، وهو الصَّادِقُ المَقَالِ، الكَرِيمُ الفِعَالِ[١]، الكَبِيرُ المُتَعَال.

قال الإمام الحافظ أبو بكر[٢] رضي الله عنه: هؤلاء الذين جمعوا هذه الصفات الأمهات هم الذين وَصَلُوا إلى رحمته بطاعته، التي كانت ابتداء رحمته، فبرحمته وصلوا إلى رحمته، وكانوا في مُتَعَلَّقِ ما وصفهم[٣] الرحمن به[٤] من صفاته بلسان الحقيقة والشريعة، وهم الذين يقال لهم: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ [الزخرف:٦٨ - ٦٩]، طلبوا السَّلَامَةَ من كل جهة فكَمَلَتْ لهم علائقها، وحصلت عندهم متعلَّقاتُها، فاستحقُّوا النعيم الدائم والفوز الأكبر بعملهم[٥] الذي هو من جُمْلَةِ رحمة مولاهم، قال النبي ﷺ: «لن يدخل أَحَدٌ منكم الجنة بعمله، قيل له[٦]: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمَّدني الله برحمة منه وفضل»[٧].

---

(١) في (س): الفعَّال.

(٢) في (د): قال الإمام الحافظ، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي، وفي (ل): قال الإمام.

(٣) قوله: «ما وصفهم» سقط من (د) و(ص) و(ل).

(٤) سقطت من (س) و(ص).

(٥) في (س) و(ص) و(ز): لعملهم، وضعَّفها في (ل).

(٦) سقطت من (س) و(ز).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، بابٌ لن يدخل أحدٌ الجنة بعمله، رقم: (٢٨١٦-عبد الباقي).

نكـتة:

قـال الله لرسـوله: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٠]، نَزَلَتْ في قَوْمٍ أَنَابُوا، لكنَّهم قدَّموا الإشراك والقتل والزنا، وأنواع المعاصي والخطيئات، فخافُوا أن لا يُقْبَلُوا، فبذلك المِقْدَارِ من الإنابة قيل لهم: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾، يعني: بالتوبة، وذلك قَوْلُه بعَقِبِ هذه الصفات: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحاً فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [الفرقان: ٧٠].

التاسعة: قوله تعالى: ﴿وَٱلذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَاماً﴾ [الفرقان: ٧٢]

أَخْبَرَ الله عنهم أنهم لا يحضرون مَجْلِسَ باطل، ولا يُقِيمُونَ بِمَشْهَدِ زُورٍ، فإن مرُّوا به وصادفوه من غير قَصْدٍ مَرُّوا به كِرَامًا عنه، يعني: مُعْرِضِينَ.

قال الإمام الحافظ[1] **أبو بكر** رضي الله عنه: إذا لم يَقْدِرُوا على تغييره كانت كرامتُهم كراهيتَه، وإذا قَدَرُوا على تغييره كانت كرامتُهم تغييرَه.

وحقيقة اللَّغْوِ: ما لا فائدة فيه، وقد يكون فيه فائدة[2] مُضِرَّةٌ[3]، فإن

---

(١) في (س): قال الإمام الحافظ القاضي، وفي (ص): قال الإمام الحافظ، وفي (ز) و(ل): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي.

(٢) في (د) و(ص): آفة.

(٣) سقطت من (س) و(د) و(ص) و(ز).

لم يكن فيه فائدة فكرامتُهم تَرْكُه، وإن كانت فيه فائدة[1] مضرة - وهذه حقيقته[2] - فكرامتُهم تَغْيِيرُه/. [٨٢/أ]

العاشرة: قولُه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الفرقان:٧٣]

القُلُوبُ مَجْبُولَةٌ على الغَفْلَةِ، مُفْتَقِرَةٌ إلى الذِّكْرِ، فإذا ذُكِّرَتْ فلا يخلو أن تَمُجَّ الذِّكْرَى، وتقول: قلوبنا في أَكِنَّةٍ، وفي آذننا وَقْرٌ، ولا نرى ممَّا تقول شيئًا، ويقولوا[3]: سمعنا وهم لا يسمعون، فهذان على حُكْمِ الهَلَكَةِ، وإن قالوا: سمعنا وأطعنا، واعتبروا وتفكَّروا، واحتملُوا واعتملُوا بما عَلِمُوا؛ فهُم المُراد هاهُنا.

الحادية عشرة[4]: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان:٧٤]

قال الإمام الحافظ أبو بكر[5] رضي الله عنه: هذا يَدُلُّ على فَضْلِ النِّكَاحِ على العُزُوبَةِ، وأنَّ من صفات العابد الزوجية وطلب الولد؛ لبقاء العمل بدُعائه

---

(١) قوله: «فكرامتهم تركه، وإن كانت فيه فائدة» سقط من (س).

(٢) في (د) و(ص): حقيقة.

(٣) في (د): يقولون.

(٤) في (س) و(د) و(ص) و(ز): عشر.

(٥) في (د): قال الإمام الحافظ القاضي، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي، وفي (ل): قال الإمام رحمه الله.

بعده؛ وطاعته ودُعائه له، فإنَّ ذلك يَجْرِي له ثوابُه كلُّه بعد موته، وقد تقدَّم فَضْلُ ذلك[١] في «قِسْمِ المقامات»[٢].

وقُرَّةُ العَيْنِ: هي أن تَسْكُنَ عينُه على الزوجة والولد، فلا يتعدَّى إلى أَحَدٍ غيرهما؛ بما يَرَى فيهما من الخصال المطلوبة والحقوق القائمة.

الثانية عشر: قوله: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾ [الفرقان:٧٤]

سَأَلُوه[٣] في أن تدوم لهم هذه الصفاتُ إذا حَصَلَتْ، ويشاهدُها غيرُهم إذا فُعِلَتْ، فيكونون لهم قدوة، ويجري لهم ثوابُ اقتدائهم بهم إلى يوم القيامة، قال النبي ﷺ: «من سنَّ سُنَّةً حسنة في الإسلام كان له أجرُها وأَجْرُ من عَمِلَ بها إلى يوم القيامة، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن سَنَّ سُنَّةً سيئة كان عليه وزرُها ووِزْرُ من عَمِلَ بها إلى يوم القيامة، لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئًا»[٤].

تَكْمِلَةٌ:

قال أَهْلُ الزُّهْدِ: ولمَّا عدَّد الله هذه الأعمال ونبَّه على هذه الصفات وأَخْبَرَ بجزائها؛ صَغَّرَه وما أَعْظَمَه، وقَلَّلَه وما أكثره، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الفرقان:٧٥].

ومن يَقْدُرُها قَدْرَها أو يَعْرِفُ[٥] وَصْفَها أو يُحْصِي فَضْلَها؟

---

(١) في (س) و(ز): النكاح.

(٢) ذَكَرَ ذلك في المقام الأوَّل، وهو مقام الحياة الدنيا، من السفر الأوَّل.

(٣) في (س) و(د) و(ص) و(ز): سألوا.

(٤) تقدَّم تخريجه.

(٥) في (س) و(ز) و(ف): ويعرف.

وبفَضْلِه عَظَّمَ ضِيَافَةَ إبراهيمَ الخليل عليه السلام[1] للملائكة، قال: ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات:٢٦].

ثم ذَكَرَ حال من يَسْكُنُ الغُرْفَةَ وبيَّنها[2] فقال: ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ [الفرقان:٧٥]، يعني بالتحية: المَلَكَ.

وقيل: البشرى والبشاشة، والبِرَّ والكرامة.

ويُسْمِعُهم كلامَه بغير واسطة، ويُريهم نفسه، فيتجلَّى[3] لهم من غير تَكَلُّفِ نَقْلٍ ولا قَطْعِ مَسَافَةٍ، ولا ضَيْمٍ ولا ضَمٍّ[4]؛ قَطَعُوا المسافة بالهجرة إليه نُصْرَةً لرسول الله ﷺ، وجهادًا لأعداء الله، وقصدًا إلى بيت الله، ومَشْيًا بالخُطَى لعمارة مساجد[5] الله، ولعيادة مريضٍ ابتغاء ثواب الله، والصلاة على مَيِّتٍ/ [٨٢/ب] رجاءَ رحمة الله، وزيارة أَخٍ صِلَةً[6] لِوَجْهِ الله، فاليوم يُجْزَى بأن يلقاه ربُّه في مكانه، ولا يتكلَّف لذلك عملًا[7] ولا مؤونة، فيُسمعه قوله[8]، ويُريه نفسه، وهذا لا تكافيه الدنيا ولا الآخرة، ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس:٥٨].

---

(١) قوله: «الخليل عليه السَّلام» لم يرد في (ل) و(د) و(ص).
(٢) في (س) و(ص): ثم بيَّن سكن الغرفة وبيتها، وفي (د): بيَّن سكن الغرفة وبينها، ومرَّضهما في (ل)، وفي طرة بـ (د) إشارة إلى ما أثبتناه.
(٣) في (س): ويتجلى.
(٤) في (د) و(ص): ولا ضم ولا ضيم.
(٥) في (س): مسجد.
(٦) في (س): لصلة، وفي (ص): يصله.
(٧) في (د): يُتكلف لذلك عمل.
(٨) في (س): كلامه.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور:٣٢]، وهذا يشهد لما عَضَدْنَاهُ من نكاح العابد والصالح، ويُبَيِّنُ أن نكاحه سَبَبٌ لغناه وسَعَةِ رزقه.

وعَبْدُك هو الذي لا يخدم إلَّا لك، ولا يتصرَّف إلا بأمرك، ولا يرجو سواك، قال النبي ﷺ: «إن الله أمر يحيى بن زكرياء بخَمْسٍ كلمات ليعمل بها، ويَأْمُرَ بني إسرائيل أن يعملوا بها، وأنه كاد يُبْطِئُ[1] بها، فقال[2] عيسى: إن الله أَمَرَكَ بخمس كلمات لتعمل بها، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، فإما أن تأمرهم، وإما أن آمرهم، فقال يحيى: أخشى إن سبقتني بها أن يُخْسَفَ بي أو أُعَذَّبَ، فجمع الناسَ في بيت المقدس، فامتلأ المسجد وقَعَدُوا على الشُّرَفِ، فقال: إنَّ الله أمرني بخَمْسٍ كلمات أن أعمل بِهِنَّ، وآمرُكم أن تعملوا بهن؛ أوَّلهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، فإن مَثَلَ من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله بذَهَبٍ أو وَرِقٍ، فقال: هذه داري، وهذا عملي، فاعْمَلْ وأَدِّ إِلَيَّ، فكان يعمل ويؤدي إلى غير سَيِّدِه، فأيكم يرضى أن يكون كذلك؟ وأنَّ الله أمركم بالصلاة، فإذا صلَّيتم فلا تلتفتُوا، فإنَّ الله يَنْصِبُ وَجْهَه لوَجْهِ عَبْدِه في صلاته ما لم يلتفت، وآمركم بالصيام، فإن مَثَلَ ذلك كمَثَلِ رَجُلٍ في عصابة مَعَهُ صُرَّةٌ فيها مِسْكٌ، وكلهم يَعْجَبُ أو يُعْجِبُه ريحُها، وإنَّ رِيحَ الصائم عند الله أَطْيَبُ من ريح المِسْكِ، وآمرُكم بالصدقة، فإن مَثَلَ ذلك كمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ العدو

---

(١) في (س): أن يبطئ.

(٢) في (س): فقال له.

فأَوْثَقُوا يَدَهُ إلى عُنُقِه، وقدَّموه ليضربوا عُنُقَه، فقال: أنا أفديه منكم بالقليل وبالكثير، ففَدَى نفسَه منهم، وآمرُكم أن تذكروا الله، فإنَّ مَثَلَ ذلك كمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ العَدُوُّ في أَثَرِه سِرَاعًا[١]، حتَّى أتى على حِصْنٍ حَصِينٍ فأَحْرَزَ نَفْسَه منهم، كذلك العَبْدُ؛ لا يُحْرِزُ نفسه من الشيطان إلَّا بذكر الله.

قال النبي ﷺ: «وأنا آمركم بخَمْسٍ التي أمرني الله بِهِنَّ؛ السَّمع والطاعة، والجهاد، والهجرة، والجماعة، فإن[٢] من فارق الجماعة قِيدَ شِبْرٍ[٣] فقد[٤] خَلَعَ رِبْقَ[٥] الإسلام من عنقه، إلَّا أن يراجِع، ومن ادَّعى دعوى الجاهلية فإنه[٦] من جُثَى[٧] جهنم، فقال رجل: يا رسول الله[٨]، وإن صلى وإن[٩] صام؟ قال: وإن صلى وإن[١٠] صام، فادْعُوا بدَعْوَى الله الذي[١١] سمَّاكم المسلمين/ المؤمنين عبادَ الله»[١٢]. [٨٣/أ]

(١) في (د): مُسْرِعًا.

(٢) في (د): فإنه.

(٣) في (ل) و(د) و(ص): شبرًا.

(٤) سقط من (س).

(٥) في (س) و(د): زِيق، وزِيقُ القميص: ما أحاط بالعنق منه، تاج العروس: (٢٥/٤٢٩).

(٦) سقط من (س).

(٧) في (س): الحُثَى، والجُثَى: التراب المجموع.

(٨) قوله: «يا رسول الله» لم يرد في (س).

(٩) لم ترد في (س) و(د) و(ص) و(ز).

(١٠) لم ترد في (س) و(د) و(ص) و(ز).

(١١) في (س) و(د).

(١٢) أخرجه الترمذي في جامعه عن الحارث الأشعري رضي الله عنه: أبواب الأمثال عن رسول الله ﷺ، بابُ ما جاء في مثل الصيام والصلاة والصدقة، رقم: (٢٨٦٣-بشار).

قال الإمام الحافظ أبو بكر[١] رضي الله عنه: هذا حَدِيثٌ[٢] صَحِيحٌ مَلِيحٌ، جمع أُصُولًا عظيمة من «القِسْمِ الرابع»[٣]، وفيه من «القِسْمِ الأوَّل»[٤]: أنَّ كبائر الذنوب تَرْجَحُ الصلاة[٥] والصيام، وصاحبُها في المشيئة، والله أعلم[٦].

ولن يُوَفِّيَ العبدُ العبادة حقَّها حتى لا يبقى له مُباحٌ إلَّا يَرُدُّهُ[٧] بالنيَّة طاعةً، فيأكل ويشرب ليَعْبُدَ، ويلبسُ ليَسْتُرَ عَوْرَته، ويأخذُ نفسَه في كلِّ أَمْرِهِ المُبَاحِ بأن يَقْصِدَ به وَجْهًا من الفَضْلِ والأَجْرِ.

وقد قال النبيُّ ﷺ: «بَضْعُ الرَّجُلِ أَهْلَه صَدَقَةٌ، قيل له: أيقضي أحدُنا شهوته ويؤجر؟ قال: أرأيت لو وضعها في حرام، أليس يأثم؟ قالوا: نعم، قال: فكذلك يؤجر»[٨].

يعني: بما يَنْوِي من عِصْمَةِ نَفْسِه وأَهْلِه، وبِنَاءِ بَيْتٍ في الإسلام، ووَلَدٍ يَعْبُدُ الله[٩]، وغَيْرِ ذلك.

---

(١) في (د) و(ل): قال الإمام الحافظ، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي.

(٢) في (س): هذا صحيح حديث مليح.

(٣) أي: قسم التذكير.

(٤) أي: قسم التوحيد.

(٥) في (د): بالصلاة.

(٦) قوله: «والله أعلم» سقط من (د).

(٧) في (س): ردَّه.

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه: كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، رقم: (١٠٠٦-عبد الباقي).

(٩) قوله: «يعبد الله» سقط من (س).

وقد قال جبريل للنبي ﷺ: «ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإنك إلَّا[١] تراه فإنه يراك»[٢]، فشَرَطَ في العبادة العِلْمَ باطِّلَاعِ المولى وعِلْمِه بالعَمَلِ ورؤيته له.

وبذلك يكون العَبْدُ «مُحْسِنًا».

* * * * *

(١) في (ف): فإن لم تكن.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان، رقم: (٥٠-طوق).

المُحْسِنُ: وهو الاسمُ العاشر

قال علماؤنا[١]: الحَسَنُ[٢] في العربية عبارةٌ عن كل معنًى لا يتطرَّق إليه نَهْيٌ، ولا يتعلَّق به نَقْدٌ، ولا يؤخذ عليه عَيْبٌ، ولا يوجد فيه نَقْصٌ، وبقَدْرِ ما يَسْلَمُ من هذه المعاني يكون حُسْنُه، وقد تكون هذه الآفات مُؤَثِّرَةً في أَصْلِ العَمَلِ[٣]، وفي رُكْنٍ من أركانه، أو في شَرْطٍ من شرائطه، فيسقط جميعُه[٤]، وقد يكون في غيرها فيُحْتَمَلُ[٥]، وسيأتي ذلك مَبْثُوثًا في الكتاب كله[٦].

وقد ضَرَبَ جبريلُ عليه السلام[٧] لِلْوَجْهِ الذي يَحْسُنُ به العمل مَثَلًا؛ هو تنزيلُ العامل نفسَه أنَّ الله يراه، فإذا عَلِمَ ذلك لم يَرَهُ حيثُ نهاه، وإنما يكون التقصير بحسب التشكيك في اطلاع الله تعالى عليه، أو بحسب الغفلة

---

(١) بعده في (س) و(د) و(ص) و(ف): وهو الاسم العاشر: المحسن.

(٢) في (س) و(د) و(ص) و(ز) و(ف): هو، وضرب عليها في (ل).

(٣) في (د) - أيضًا -: في خـ: العلم.

(٤) قوله: «تكون هذه الآفات مُؤَثِّرَةً في أَصْلِ العَمَلِ، وفي رُكْنٍ من أركانه، أو في شَرْطٍ من شرائطه، فيسقط جميعُه» سقط من (ص).

(٥) في (س): فيحمل.

(٦) سقط من (س).

(٧) في (س) و(ف): للنبي ﷺ.

عنه، أو بتعجيز المَوْلَى[(١)]، أو بالتقحم على نقمته[(٢)]، أو بالاتكال على ما عُهِدَ من[(٣)] عفوه، فهذه خمسةُ وجوه لا سادس لها ينفصل[(٤)] عنها.

فأمَّا الشكُّ في اطِّلَاعِ المولى أو بتعجيزه[(٥)] عن الانتقام فكُفْرٌ[(٦)] لا يُغْفَرُ.

وأمَّا غيرها فمغفورٌ إذا شاء، إلَّا أن بعضها أَشَدُّ من بعض، والغفلة أخفُّها، ويليه الاتكال على عفوه، وأشدُّ هذا الأخف التَّقَحُّمُ رِضًى بالنقمة، ونعوذ بالله من سوء القضاء.

قال الإمام[(٧)] رضي الله عنه: ولا يَتِمُّ الإحسانُ إلَّا بأن يَنْتَظِمَ القَوْلُ والعَمَلُ؛ فلا ينطق إلَّا بما يفعل، ولا يأمر إلا بما يمتثل، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٢] / [٨٣/ب]

وذلك في قَوْلٍ: «النبيُّون»[(٨)]، وهذا ما[(٩)] لا ريب فيه.

---

(١) في (س) و(ف): المولى له.

(٢) في (س): نفسه.

(٣) قوله: «ما عهد من» سقط من (س).

(٤) في (د) و(ز): تنفصل.

(٥) في (د) - أيضًا -: وبتعجيزه، وفي (س) و(ص) و(ف): أو تعجيزه.

(٦) في (س): فكفره.

(٧) في (د): قال الإمام الحافظ القاضي، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي، وفي (ل): قال الإمام الحافظ، وفي (ف): قال الإمام.

(٨) لطائف الإشارات: (٣/٣٣١).

(٩) في (س) و(د): ممَّا.

وقيل: «هُمُ الأئمة الذين يقتدى بهم»[١].

وقيل: «المؤذنون»[٢].

وقيل: «هو الذي لا يرى غير الله»، وسيأتي تمامُه إن شاء الله.

وقد قال الله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر:٦٤].

قال أهلُ الزهد: «خَلَقَ الله كل شيء فَذَكَرَهُ، ثمَّ عَطَفَ من جملة ما خلق على تَحْسِينِ الإنسان دون سائر الأعيان، وكذلك قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:٤]»[٣].

قال: أنا[٤] أبو الحُسَين الأَزْدِي الصُّوفي[٥] قال: أنا[٦] أبو بكر بن ثابت الحافظ قال: أنا[٧] أبو محمد الحسن الخلَّال: «حملني أبي إلى بعض شيوخ الصوفية ليدعُوَ لي، فقال لي: ما اسمك؟ قلت له: حسن، قال: إن الله قد حَسَّنَ اسمك فحَسِّنْ فِعْلَك»[٨].

---

(١) لطائف الإشارات: (٣/٣٣١).
(٢) لطائف الإشارات: (٣/٣٣١).
(٣) لطائف الإشارات: (٣/٣١٤).
(٤) في (س) و(د) و(ص) و(ف) و(ز): لنا.
(٥) هو الإمام الحافظ المبارك بن عبد الجبَّار الصيرفي، عُرِف بابن الطُّيُورِي، تقدَّم التعريف به في السِّفْرِ الأوَّل.
(٦) في (س) و(د) و(ص) و(ف) و(ز): لنا.
(٧) في (س) و(د) و(ص) و(ف) و(ز): لنا.
(٨) تاريخ بغداد: (٢/٩٧).

قال الحافظ أبو بكر[١] رضي الله عنه: ولعائشة رضي الله عنها كَلَامٌ ذكره البخاريُّ عنها، هو خاتمة الباب وفِقْهُ المسألة، أَدْرَكَتْهُ بفضل علمها: «إذا أَعْجَبَكَ حُسْنُ عَمَلِ امرئٍ فقل له: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:١٠٦]»[٢].

يراه الله مُشَاهَدَةً وإِحَاطَةً، ويراه النبيُّ والمؤمنون ظاهرًا، فيحكمون له بحُكْمِ الظاهر، ومَرَدُّه إلى الله، فينبئكم أجمعين بخفاياه وبواطنه، وعليه يقع المجازاة[٣].

وقال أحمد عن ابن مسعود: «الناس كلهم قد أحسنوا القول، فمن وافق قولُه فِعْلَه فذلك الذي أصاب حظَّه، ومن خالفه فإنما يُوتِغُ[٤] نفسَه»[٥].

وإذا فَهِمْتَ الإحسان فهو الإخلاصُ[٦] بعينه[٧]، أو قُلْ: فائدتُه.

---

(١) في (د): قال الإمام الحافظ القاضي، وفي (ص): قال الإمام الحافظ، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي، وفي (ل): قال الإمام، وفي (ف): قال أبو بكر.

(٢) ذكره البخاري في صحيحه مُعَلَّقًا: كتاب التوحيد، باب قوله الله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾.

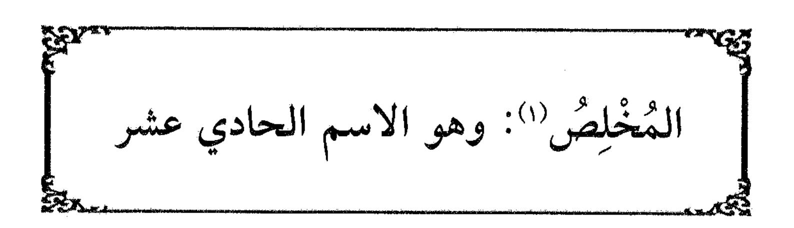
(٣) في (س) و(ف): الجزاء.

(٤) في (د) و(س) و(ص) و(ف) و(ز): يوبخ، ومرَّضها: وفي (د)- أيضًا -: في خـ: يرتع، وفي طرة بـ (ل): يُوتِغ: أي: يَهلك، يقال: وَتِغَ الرجل وتغًا: هَلَكَ.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في الزهد: (ص٢٠٠).

(٦) في (د): في خـ: المخلص، وبعده في (ل): به، وضرب عليها في (د).

(٧) في (س) و(ف): نفسه.



المُخْلِصُ[١]: وهو الاسم الحادي عشر

فإنَّ كلَّ[٢] عَمَلٍ خَلُصَ من الآفات فهو حَسَنٌ، ولا يكون حَسَنًا حتى يكون خَالِصًا لم يَشُبْهُ ما يُكْرَهُ.

قال الله تعالى: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل:٦٦].

يعني: ليس فيه شَوْبٌ ممَّا جاوره، وهو حَسَنُ اللَّوْنِ، حَسَنُ الرَّائِحَةِ، حَسَنُ الطَّعْمِ[٣]، فكلُّ خالص حَسَنٌ، وكلُّ حَسَنٍ خالصٌ[٤]؛ عُمُومًا في الوجوه كُلِّها أو خُصُوصًا[٥].

قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣]، كما قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:١١١]، وهو قَوْلُ النبي ﷺ للذي سأله: «قل: آمنت بالله، ثم استقم»[٦]، فإن الاستقامة هو استفعالٌ من قام، وهو العَمَلُ بحدود

---

(١) سقط من (س) و(د) و(ص) و(ز) و(ف).

(٢) في (ص): كان.

(٣) في (س): المطعم.

(٤) بعده في (س) و(ف): كله.

(٥) ينظر: قانون التأويل: (ص٣٨٠-٣٨٣).

(٦) تقدَّم تخريجه.

الله دائمًا، وهو قَصْدُ السبيل، وهو الذي قيل له ﷺ: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هود:١١٢]، وهذا خطابٌ له وللجميع؛ خصوصًا وعمومًا.

وقد اختلف الناسُ فيه بحَسَبِ مَوَاقِعِ «اسْتَفْعَلَ» في اللغة:

فقيل: معناه: سَلِ الاستقامة[١].

أي[٢]: أن يُقِيمَكَ الله على الحق.

وقيل/: معناه: أَقِمْ[٣] على ما أمرناك به. [١/٨٤أ]

أي: داوم وواظب من غير إِخْلَالٍ بها[٤]، ولا انحراف عنها.

وقال أهل الزهد: «الاستقامةُ أَنَّ من سلك الطريق إلى الله لا ينحرف ولا يقف حتى يصل إلى الله، فإن وقف فلينظر ما أوقفه، وليجهَد في دفعه حتى ينفُذ، فإنه إن رجع هلك، وإن انحرف هوى[٥]، وربما أغوى، وإن وقف لم يُعذر».

وربما كان موقفُه غَيْرَ تَامٍّ ولا كافٍ، وكان أمامه ممَّا حُجِبَ عنه ما يَعْتَرِضُ عليه ويطلب منه، ومُوقَفه[٦] من الآفات سيأتي في بقية الأسماء والصفات إن شاء الله.

---

(١) لطائف الإشارات للقُشَيري: (٢/١٦٠).
(٢) سقطت من (س) و(د) و(ص) و(ز) و(ف).
(٣) في (د): في خـ: اقتصر.
(٤) سقطت من (س).
(٥) في (د): أهوى.
(٦) في (س) و(ف): مواقعه، وفي (د) و(ص): ومواقفه، ومرَّضها في (ل).

وقال لي[1] أبو الفضائل الصُّوفِي[2]: قال لنا ابنُ هوازن شيخُ الطريقة: «المستقيم من لم يرجع عن طريق الله ولا انحرف عنها ما لم يصل إلى الله، ووصل سَيْرَه بسُراه، ووَرَعَه بتَقْوَاه، وبالغ في ترك هواه»[3].

وقال أبو سعد[4] الزنجاني[5] عنه[6]: «إن الاستقامة هي استقامة النفوس بنَفْيِ الشهوة، واستقامة القلوب بنَفْيِ الغفلة، واستقامة الأرواح بنَفْيِ العَلاقة[7]»[8].

---

(١) في (س): لنا.

(٢) هو أبو الفضائل بن طَوق، يروي ابنُ العربي من طريقه «لطائف الإشارات» للإمام القُشَيري، تقدَّم التعريف به في السِّفْرِ الأوَّل.

(٣) لطائف الإشارت للقشيري: (٢/١٦٠).

(٤) في (س) و(ف) و(ص): سعيد.

(٥) الإمام العلَّامة، محمد بن طاهر الزنجاني، أبو سعد الخراساني، نزيل بيت المقدس، أخذ عن إمام الحرمين، وأبي المظفر الإسفراييني، وأبي القاسم القُشَيري، روى ابنُ العربي عنه كتاب «الإرشاد» و«الشامل» و«البرهان» لأبي المعالي، وكتاب «الأوسط في الاعتقاد» لأبي المظفر، و«لطائف الإشارات» لأبي القاسم، لقيه ببيت المقدس عام ٤٨٧هـ، وأفاد منه، وروى عنه مجالسه في التفسير والفقه والتذكير، ونشر كثيرًا منها في كتابه هذا؛ «سراج المريدين»، ويظهر لي -والله أعلم- أنه من جملة من استُشهد عند دخول الصليبيين بيت المقدس عام ٤٩٢هـ، ويدل على ذلك نعتُ ابن العربي له بالشهيد، ينظر: قانون التأويل: (ص٩٧)، وفهرس ابن خير: (ص٣١٩).

(٦) سقطت من (س).

(٧) قوله: «بنفي العلاقة» سقط من (ز).

(٨) لطائف الإشارت للقشيري: (٢/١٦٠).

قال الإمام الحافظ أبو بكر[١] رضي الله عنه: هذه هي[٢] صفة محمد ﷺ.

قَالَا[٣] في خبرهما فيما نحن فيه: «فاستقامة العابد أن لا يُؤْثِرَ نفسَه على العبادة، ولا يُخِلَّ بأدائها، بل يفعلها بعُسْرِها ويُسْرِها، واستقامةُ الزاهد أن لا يرجع إلى الدنيا، بل ينبذ قليلَها وكثيرَها[٤]، واستقامةُ التائب ألَّا يُلِمَّ بعد التوبة بذنب»[٥].

قال الإمام أبو بكر[٦] رضي الله عنه: والفائدةُ العُظْمَى قوله: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود:١١٣]، في وجه اتصال[٧] نَظْمِها بما قبلها، وقد أفضنا في ذلك في «أنوار الفجر» بكَثِيرٍ، وبيَّنَّا ما فيها من القليل والكثير.

والمقدارُ الذي يتعلق بهذه الاستضاءة: النَّهْيُ عن تعلق القلوب بحَالٍ غير ما بيَّنَّاه، فلا يَتَعَلَّقْ لِلْعَابِدِ قَلْبٌ بحال المُهْمِلِ، ولا الزَّاهِدِ بحال

---

(١) في (د): قال الإمام الحافظ القاضي، وفي (ص): قال الإمام الحافظ، وفي (ز) قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي، وفي (ل): قال الإمام رحمه الله.

(٢) سقطت من (س) و(ص) و(د) و(ف) و(ز).

(٣) أي: ابن طوق والزنجاني، فيما يرويانه عن الإمام القشيري.

(٤) بعده في (س) و(ص) و(ز) و(ف): «كما روي»، وضرب عليه في (د)، وبعده بياض في (د) و(ز).

(٥) لطائف الإشارت للقشيري: (٢/١٦٠).

(٦) في (د): قال الإمام الحافظ القاضي، وفي (ص): قال الإمام الحافظ، وفي (ز) قال الإمام أبو بكر بن العربي، وفي (ل): قال الإمام رحمه الله.

(٧) في (س): اتصالها بما قبلها.

المُنْهَمِكِ[(١)] في الدنيا، ولا التَّائِبِ[(٢)] بحال العاصي، فيرى كلَّ وَاحِدٍ[(٣)] من أهل الخير المتقدمين أَوَّلًا[(٤)] المُتَخَلِّينَ مع شهواتهم في حال سلامة ونعمة، وكرامة في الدنيا وعافية، فيتعلَّق لهم[(٥)] بهم قَلْبٌ، أو تكون لهم[(٦)] إليهم صُحْبَةٌ، فيَجُوزُوا[(٧)] بهم عن طريقهم، وتَفْسُدُ[(٨)] بهم أحوالهم، وتنفر منهم قلوبهم، يستأنسون بهم في الدنيا، وهم لا ينتصرون[(٩)] بهم في الأُخْرَى[(١٠)].

قال الإمام الحافظ أبو بكر[(١١)]: وهذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ [فصلت:٢٩].

قالوا: استقاموا في التوحيد فلم يشركوا[(١٢)]، واستقاموا على العلم فلم[(١٣)] يقلدوا، واستقاموا على الطاعة ولم يعصوا، فأمَّا من استقام ولم

---

(١) في (د): المنهمل.
(٢) في (د) و(ص): للتائب.
(٣) في (س) و(ف): أحد.
(٤) في (س): أو.
(٥) في (د) - أيضًا -: له.
(٦) في (د): له.
(٧) في (س) و(ص) و(ف): فيجُوزون، ومرَّضها في (ل).
(٨) في (س): وتُفْسِدُهم.
(٩) في (س): ينصرون.
(١٠) في (س): الآخرة.
(١١) في (د): قال الإمام الحافظ القاضي ﷺ، وفي (ص): قال الإمام الحافظ ﷺ، وفي (ز) قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي ﷺ، وفي (ل): قال الإمام رحمه الله.
(١٢) في (س) و(ص) و(ز): يشكوا.
(١٣) في (س) و(د) و(ص): ولم.

١ يشرك فقد أَمِنَ من الخلود في النار بأصل الاستقامة، ويأمن من دخول النار [٨٤/ب] بكمال/ الاستقامة.

وقد كنت قَيَّدْتُ في ذلك كلمات مفيدات في الباب، وشرحناها مبسوطةً[١] في «أنوار الفجر»، ثم رأينا الآن في هذه الاستضاءة أن نُورِدَها مُجْمَلَةً بألفاظ مفسرة، تُلْمِحُ بالغرض منها، وتُلِيحُ على نهج الطريق إليها، وهي أربع[٢]:

الأولى[٣]: في قوله: ﴿ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾: استقاموا بصفاء عَقْدِهم فلم يُكَدِّرُوه، ووفاء عَهْدِهم فلم يَنْقُضُوه، لا سيما وقد وَكَّدُوه[٤].

الثانية: استقاموا في قَصْدِهم بصِحَّةِ وُدِّهِم، رُوِيَ أن النبي ﷺ قال له رجل: «متى الساعة؟ قال: ما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها من كبير عَمَلٍ؛ إلَّا أني أحب الله ورسوله، قال: المرء مع من أحب، قال راويه أَنَسٌ: فما فرح المسلمون بشيء بعد الإسلام فَرَحَهم بهذا»[٥].

الثالثة: استقاموا بحالهم، في وقتهم ومآلهم.

الرابعة: هُمُ[٦] الذين أقاموا على طاعته، واستقاموا على معرفته، وعَقَدُوا على محبته، وقاموا بشروط خدمته، فكانوا أهلًا لجنته[٧].

---

(١) في (س) و(ص) و(ز) و(ف): مبسوطًا.
(٢) في (س) و(ف): عبارات أربع، وفي (د) أربع عبارة، وفي (ص): عبارة العبادة.
(٣) قبلها في (س) و(د) و(ف): العبارة، ومرَّضها في (ل).
(٤) في (ص): وكروه.
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب، رقم: (٢٦٣٩-عبد الباقي).
(٦) في (س) و(ز): وهم.
(٧) لطائف الإشارات للقشيري: (٣/٣٢٨).

ومن أوقع معنًى في الباب، ما قاله أهل اللباب - زائدًا على ما قدَّمناه في الباب -: إن الزاهد لا يستقيم إلَّا بأن لا يحرص ولا يفرح ولا يتمتع بجاه الدنيا؛ فإن الجاه مِلْكُ القلوب، والقلوبُ أشرف من الأموال، فالجاهُ أشرف معاني الغنى[١] وأفتنُها.

واستقامةُ المُتَعَبِّدِ بأن يَفِرَّ عن الرياء إِنْ فَعَلَ، ويجتنب الفترة إذا هَمَّ أن يترك.

واستقامةُ العَالِمِ أن لا يختلف قولُه وفِعْلُه، ولا يخلط عِلْمَه بالتوحيد بعِلْمِه[٢] بأحكام الدنيا، بل يَفِرُّ عنها كما فعل مالك ﵁، وقد صُودِرَ على أن يَحْكُمَ ويُفْتِي ويُصْحَبَ فتفادى من الكلِّ، وأراد الخُمول فأظهره الله وقدَّمه، وقد رُوِيَ: «أنه وجَّه المهديُّ إليه لمَّا قَدِمَ المدينة بثلاثة آلاف دينار، ثم مضى وحجَّ، فلمَّا قَفَلَ وجَّه إليه الرَّبِيعَ وقال: إن أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام، ويقول لك: تُعَادِلُه إلى مدينة السَّلَام، فقال له: أقرئه السلام، وقل له: قال النبي ﷺ: «والمدينة خَيْرٌ لهم لو كانوا يعلمون»[٣]، والمالُ عندي على حاله»[٤].

ومع الإحسان - كما قُلْنَا - يكونُ الإخلاص، وهُوَ هُوَ، ولكنَّه يتخصَّص عن جميع ما تقدَّم بأنه مَعْنًى يوجدُ بالقلب، ويحصلُ في الباطن؛ فتظهرُ آثاره وهو كامن.

---

(١) في (س): المعنى.

(٢) في (س): علمه.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الحج، باب فضل المدينة، رقم: (١٣٣٦- عبد الباقي).

(٤) الانتقاء لابن عبد البر: (ص٨٤)، وترتيب المدارك: (٢/١٠٠).

أخبرني[1] الحافظ أبو الفضل إسماعيل بن الفضل الأصبهاني[2] بمكة، وكتبه لي بخطه، وأظنه كان ذلك في الكعبة، وأغلبُ ظنِّي أنه بالمسجد الحرام بقراءته علينا، وسألته عن الإخلاص فقال: نا الشيخ أبو بكر أحمد بن علي بن خلف، وسألته عن الإخلاص[3]، قال: نا أبو عبد الرحمن السُّلَمِي، وسألناه عن الإخلاص قال: سمعت علي بن سعيد/ الثَّغْرِي وأحمد بن محمد بن زكرياء، وسألتهما عن الإخلاص، قالا: سمعنا علي بن إبراهيم الشَّقِيقِي، وسألناه عن الإخلاص، قال: سمعت محمد بن جعفر الخصَّاف، وسألته عن الإخلاص، قال: سألت أحمد بن بشَّار[4] عن

١ [٨٥/أ]

---

(١) في (س): أخبرنا.

(٢) الإمام الحافظ، المحدث العلَّامة، قِوَامُ السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل القُرَشي التَّيْمِي، أبو الفضل الأصبهاني، عُرف بالجُوزِي، ومعناه -بلسان أهل أصبهان-: الطير الصغير، (٤٥٧-٥٣٥هـ)، من أعيان العلماء، ومن أكابر المفسرين، قال فيه أبو عامر العَبْدَرِي: «ما رأيت أحدًا قط مثل إسماعيل، ذاكرتُه فرأيتُه حافظًا للحديث، عارفًا بكل علم، متفننًا»، لقيه ابن العربي عام ٤٨٩هـ بمكَّة المعظَّمة، وكذلك ببغداد، وسمع منه وأفاد، وسمع منه «الأحاديث المسلسلة» من تأليفه، له من المصنفات الشيء الكثير، من أحفلها كتابه في التفسير، وسمَّاه «الجامع»، في ثلاثين مجلدًا، و«سير السلف»، و«الحجة في بيان المحجة»، و«الترغيب والترهيب»، وهذه الثلاثة منشورة، وله أيضًا: «شرح الصحيح»، حُقِّقَ في رسالة جامعية بالمغرب، وغير ذلك من الكتب والتواليف، ترجمته في: الأنساب: (٣٦٨/٣)، وسير النبلاء: (٨٠/٢٠-٨٨)، وينظر: القبس: (٨٠٧/٢).

(٣) قوله: «بقراءته علينا، وسألته عن الإخلاص فقال: نا الشيخ أبو بكر أحمد بن علي بن خلف، وسألته عن الإخلاص» سقط من (س).

(٤) في (س) و(د) و(ف): يسار، ومرَّضها في (ص).

الإخلاص ما هو[١]؟ قال: سألت أبا يعقوب الشَّرِيطِي عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت أحمد بن غسَّان[٢] عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت أحمد بن عطاء الهُجَيْمِي[٣] عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت عبد الواحد بن زيد عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت الحسن البصري عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت حُذَيفة عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت النبي ﷺ عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت جبريل عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت ربَّ العزة عن الإخلاص ما هو؟ قال: «هو سِرٌّ من سِرِّي، استودعته قَلْبَ من أحببتُ من عبادي»[٤].

قال لنا الحافظ أبو الفضل إسماعيل: «هذا حديث[٥] غريب، ما كتبناه إلَّا من حديث الشيخ أبي عبد الرحمن السُّلَمِي، وقع لي عاليًا بحمد الله ومَنِّه».

وأنا أبو الفضائل بن طوق عن ابن هوازن: «قال البُوشَنْجِي: الإخلاص ما لم يكتبه الملكان».

---

(١) قوله: «ما هو» سقط من (د) و(ص).

(٢) في (س): عقيل.

(٣) في (د): الهجمي.

(٤) أخرجه ابن العربي - أيضًا - في مسلسلاته، ومن طريقه ابنُ الطيلسان في الجواهر المفصَّلات (ق٥/ب)، وأخرجه أبو القاسم القُشَيري في رسالته عن أبي عبد الرحمن السُّلَمي: (ص٢٤٠)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان: (٦/٢)، وذكر الواحدي أنه حدَّثه به بإسناده مسلسلًا، البسيط: (٣٦٨/٣)، وهو حديث منكر، وينظر: فتح الباري: (١٠٩/٤)، والجواهر المكلَّلة للسَّخاوي: (ص٢٧٠).

(٥) قوله: «هذا حديث» سقط من (د) و(ص).

وقد دَخَلَ[١] مع حديثه حديثُ غيره.

قال الفُضَيْل: «العملُ من أجل الناس رياء، وترك العمل من أجلهم شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما[٢]»[٣].

وقال البُوشَنجي: «الإخلاص ما لم يكتبه الملكان، ولم يفسده الشيطان، ولا يطلع عليه الإنسان»[٤].

وهذا بابٌ من العلم الذي تصدَّينا له.

وقال رؤيم: «ألا يرى الفعل»[٥].

وقال حذيفة المرعشي[٦]: «هو أن يستوي الفعل ظاهرًا وباطنًا»[٧].

وقال أبو يعقوب المكفوف: «هو أن يكتم حسناته كما يكتم سيئاته».

وقال سهل: «هو الإفلاس».

وقال الدَّارَانِي: «للمُرائي ثلاث علامات؛ يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان مع الناس، ويزيد في العمل إذا مُدِحَ».

---

(١) في (ف): ذكر.

(٢) قوله: «أن يعافيك الله منهما» سقط من (س) و(ف) و(ز).

(٣) الرسالة للقشيري: (ص٢٤٠).

(٤) الرسالة للقشيري: (ص٢٤١).

(٥) الرسالة للقشيري: (ص٢٤١).

(٦) في (س): المرتعشي.

(٧) الرسالة للقشيري: (ص٢٤١).

وقيل: «الإخلاصُ ما يُقصد به الصدق، ويراد به الحق سبحانه»[١].

وقيل: «هو ما لا تشوبه الآفات، ولا يترخص فيه بالتأويلات»[٢].

وقيل: «هو ما سُتِرَ عن[٣] الخلائق، وصَفَا[٤] من العلائق[٥]»[٦].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥]، فقرر الإخلاص بالعبادة لأنه شرطها ووصفها، وروحها ومعناها.

وقال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣].

وقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [النساء:١٤٥].

وقال: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠].

فأمركم[٧] سبحانه أن تعبدوه مخلصين له الدين، والإخلاص ألا يكون شيء من حركات العبد ولا من سكناته، في جوارحه ومفاصله، وكلامه

---

(١) الرسالة للقشيري: (ص٢٤١).
(٢) اللمع لأبي نصر السرَّاج: (ص٣٠٧).
(٣) في (د): من.
(٤) في (د): صُفِّيَ.
(٥) قوله: «وأنا أبو الفضائل بن طوق عن ابن هوازن .. وقيل: هو ما سُتِرَ عن الخلائق، وصَفَا من العلائق» سقط من (ص).
(٦) الإحياء: (ص١٧٥٢).
(٧) في (د) - أيضًا -: وأمرهم.

وسكناته؛ إلا لله، مُصَفًّى من الخلل، حَنِيفًا إلى الحق، بعيدًا[1] من الباطل، غير خارج عن سَنَنِ الحق، وحينئذ يكون/ لله؛ كما قال: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾، وقد قال الله: «إني لا أقبل عَمَلًا أُشْرِكَ معي فيه أَحَدٌ[2] غيري، أنا أغنى الأغنياء عن الشريك»[3]. [٨٥/ب]

وأمَّا إن قَصَدَ به دُنْيَا فإنَّه لم يكن لله حتى يُقال فيه: إنه إخلاص[4]، ولكنه كما قال النبي ﷺ عن القارئ: «يقال له: كذبت، بل أردت أن يقال: فلان قارئ، فقد قِيلَ»[5].

وربَّما قَصَدَ ذلك ولم يَجْرِ[6] ذلك على أَلْسِنَةِ الناس، بل يكون مُحَقَّرًا فيهم، فهذا قد خَسِرَ الدنيا والآخرة، ومن كان يرجو لقاء ربه لِيَصِلَ إلى رؤيته وثوابه ورضاه في جواره فليُصْلِحْ عملَه وليُخْلِصْ قصدَه.

وأمَّا قوله: ﴿وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾، أي: استوى ظاهرُهم وباطنُهم ليزول عنهم نفاقُهم، والله أعلم.

وقال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا﴾ [مريم:٥١]، قُرِئَ بفتح اللَّام، يشهد له قوله: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه:٤١]،

---

(١) سقطت من (د).

(٢) سقط من (س) و(ص) و(ز) و(ف).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، رقم: (٢٩٨٥-عبد الباقي).

(٤) في (د) و(ص) و(ز): خالص.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، رقم: (١٩٠٥-عبد الباقي).

(٦) في (س): يجد.

وقرئ بكَسْرِ اللَّام، وهو بهما جَمِيعًا: أَخْلَصَهُ الله وأَخْلَصَ لله، لم يكن فيه لغير الله حَظٌّ، ولا أخذته في الله لومة لائم، ولا استفزه طَمَعٌ على إيثار حَظٍّ على طاعته[١]، ولم يُغْضِ في الله على شيء، حتى إن مَلَكَ الموت لمَّا جاءه - دون المقدمة التي كانت بينه وبين الله - صَكَّهُ ففَقَأَ عينَه[٢].

ومن أراد[٣] غَيْرَ الله مُطْلَقًا بعمله كله أو بعض[٤] عمله دَخَلَ في الحديث الصحيح عن عائشة ﵂: أن معاوية كتب إليها لتكتب له[٥] بما سمعت من رسول الله ﷺ، فكتبت إليه بفِقْهِها وثاقب فَهْمِها وعظيم عِلْمِها: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من التمس رضى الناس بسخط الله وكله الله إليهم، ومن التمس رضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس»[٦].

وما كان أحوج معاوية إلى هذه الوصية! فإنه كانت له فَضْلَةُ حِلْمٍ تَسَعُ أخلاق الناس؛ فخَشِيَتْ عليه أن يَنْسَحِبَ حِلْمُه على مسامحةٍ فيما لا يجوز، فما نبَّهت منه غافلًا، ولا ذَكَّرَتْ نَاسِيًا، ولقد ساد وساس، حتَّى وَجَدَ الناسُ فَقْدَه، ولم يَجِدُوا بعده مثله[٧]، فإيَّاكم ثم إيَّاكم أن تسمعُوا فيه قَوْلَ المؤرخين! فهُم عن الحَقِّ جِدُّ نَاكِبِينَ.

---

(١) في (د) و(ص): طاعة.

(٢) تقدَّم تخريجه في السفر الأوَّل.

(٣) في (د) و(ص): وهو إذا أراد.

(٤) في (د): ببعض.

(٥) في (د) و(ص) و(ز): إليه.

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، بابٌ منه، رقم: (٢٤١٤-بشار).

(٧) في (د) و(ص) و(ز): مثله بعده.

وإذا عَلِمْتُم هذه المقدمة بجميع معانيها في هذا الاسم، وتحقَّقتم أنه سِرٌّ لا جَهْرٌ، ومن قَبِيلِ أعمال القلوب لا من اكتساب الجوارح، فتحقَّقوا أنَّ عنه تَنْشَأُ الأفعال، وعليه ينبني عَمَلُ الجوارح.

وفي «مصنف عبد الرزاق»: وذكر في الجامع عن أبي هريرة قال: «القَلْبُ مَلِكٌ وله جنوده، فإذا أَصْلَحَ الله الملك صَلَحَتْ جُنُوده[1]، وإذا أَفْسَدَ[2] الله المَلِكَ فَسَدَتْ جنوده، الأُذُنَانِ قِمْعٌ[3]، العينان مَسْلَحَةٌ[4]، اللسان تُرجمان، اليدان جناحان، الرجلان بَرِيدٌ، الكَبِدُ رحمةٌ، الطِّحَالُ ضَحِكٌ، الرئة نَفَسٌ،/ فإذا صَلَحَ المَلِكُ صَلَحَتْ جنوده، وإذا فَسَدَ الملك فَسَدَتْ جنوده»[5].

١ [٨٦/أ]

وهذا لا يُحتاج إليه مع كلام النبوَّة ويَنْبُوعِ الحكمة، قال محمَّد ﷺ: «ألَا وإنَّ في الجسد مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كلُّه، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[6].

ويليه اللسان؛ وهو تُرْجُمَانُه، فإذا اتَّفَقَا في قَصْدٍ حَسَنٍ انتظم الأمرُ واطَّرَدَ الخَيْرُ، وإذا اضطربَا اختلَّ الكُلُّ جملة وتفصيلًا.

---

(١) في (د) و(ص) و(ز): جنود.

(٢) في (د): فسد الملك.

(٣) ينظر تاج العروس: (٢٢/٨٢).

(٤) المَسلحة: هي موضع كالثغر أو المَرْقَبِ، يكون فيه أقوام يرقبون العدو لئلَّا يطرقهم على غفلة، تاج العروس: (٦/٤٧٩).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه: كتاب الجامع، بابُ القلب، رقم: (٢٠٣٧٥).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم: (٥٢-طوق).

وفي الحديث: «إذا أصبح ابنُ آدم كَفَّرَتْ أعضاؤه اللسان، تقول له: اتق الله فينا، فإنك إن استقمت استقمنا، وإن اعْوَجَجْتَ اعوججنا»[١]، وقد بيَّنَّا حقيقة هذا المَثَلِ في كتاب «قانون التأويل»[٢] فليُطْلَبْ فيه.

بديعة:

والأَفْعَالُ وإن كانت تصدر[٣] عن إشارة القلب، ومُرَكَّبَةً[٤] على المعاني القائمة به؛ فإنها تؤثر في إدامة حال القلب إذا تصرَّفت على مقتضى صَدَرِها[٥] منه، فإن كان في الخير فهي عادة، وإن كان في الشر فهي لجاجة، ألا ترى إلى عظيم تأثير السجود في تأكيد خضوع القلب، ويَعْضُدُ هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥]، وسيأتي بيان ذلك في اسم «المُصَلِّي» إن شاء الله.

تحقيق: [في حقيقة النية]

ولمَّا كان حال الأعمال تنبني[٦] على القلب وتَصْدُرُ عن المعاني القائمة به؛ نبَّه النبي ﷺ على[٧] الحقيقة فيه فقال: «الأعمال بالنيات،

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حفظ اللسان، رقم: (٢٤٠٧-بشار)، ورجَّح أبو عيسى وَقْفَه.

(٢) قانون التأويل: (ص١٦٦).

(٣) في (س): صادرة.

(٤) في (د): وهي مركبة.

(٥) في (ص) و(س): صدره.

(٦) في (د): ينبني.

(٧) في (د): عن.

ولكل امرئ ما نوى»[١]، وصار هذا الحديث - وإن كان من الآحاد[٢] - ثُلُثَ الإسلام في قَوْلٍ[٣]، ورُبُعَه في قَوْلٍ[٤]، وجُمْلَتَه عند قَوْمٍ آخرين، والأوَّلان أَصَحُّ من الثالث، والثاني أصحُّ من الأوَّل، وقد بينَّا ذلك في «شرح الحديث».

والنِّيَّةُ عندهم - مُطْلَقًا -: هي القَصْدُ[٥].

وفي العبادات: هي قَصْدُ التقرب[٦] إلى المعبود[٧]، ولها مقام عظيم في الدين.

قال ابن مسعود: «النجاة في اثنتين، والهَلَكَةُ في اثنتين، النجاةُ في النية والنُّهَى، والهَلَكَةُ في القُنوط والإعجاب»[٨].

والتقريبُ في حقيقة النية ما نُورِدُه عليك:

وهو أن الله خلق العَبْدَ وخلق له مُلَائِمًا، وخلق له مُبَايِنًا، وخَلَقَهُ لا يعلم شيئًا، وإن كان مُهَيَّئًا لِأَنْ يَعْلَمَ، فإذا خَلَقَ له العِلْمَ بالشيء مثلًا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم: (١-طوق).

(٢) في (ص): الأحاديث.

(٣) شرح الصحيح لابن بطال: (٣٢/١).

(٤) قوت القلوب: (١٣٤٨/٣)، وفتح الباري: (١١/١).

(٥) شرح الصحيح للخطابي: (١١٢/١).

(٦) في (س): التقريب.

(٧) ينظر: الحدود لابن فُورَك: (ص١١٦).

(٨) أخرجه هنَّاد في الزهد: (ص٤٣٩)، رقم: (٨٦٩).

موجودًا وخَلَقَ[١] له العِلْمَ به مُلَائِمًا خَلَقَ له إليه مَيْلًا، وعليه إقبالًا، وخَلَقَ له التردد في الملاءمة:

هل هي من جميع الوجوه أو من بعضها؟

أو هل[٢] هي ملائمة المبدأ والمآل جميعًا أم تختلف حال الملاءمة فيهما[٣]؟

ولا تزال الخواطر تتعارض، والنَّظَرُ يَزِنُ مقاديرها في مجاريها، حتى إذا خَلَقَه له معلومًا ملائمًا من كل وَجْهٍ في كلِّ حال، ومَنَعَ[٤] العوارض القاطعة، خَلَقَ له عليه القُدرة، وكان الإقدامُ منه على الفِعْلِ بالقدرة الأوَّلية، وحَصَلَ/ الوجود. [٨٦/ب]

فالخاطر الأوَّلُ من المَيْلِ: تُسَمِّيه العَرَبُ هَمًّا.

والثاني: تُسَمِّيه إِرَادَةً وعَزْمًا.

والثالث: المُتَجَرِّدُ عن الوساوس والعوارض والقواطع تُسَمِّيه نِيَّةً؛ مأخوذٌ من النَّوَى، وهو البُعْدُ، أي بَعُدَتْ عن كل ما يعارض ويمنع.

ولمَّا كانت هذه كلها صفات حدوث وحالَ تَغَيُّرٍ؛ تَنَزَّهَ القَدِيمُ عنها، وكانت له الإرادة التي هي صِفَةٌ شَأْنُها تَمْيِيزُ الشيء عن مثله؛ قَدِيمَة أَوَّلِيَّة تتعلق بكل مخلوق مُحْدَثٍ، ووقعت في المخلوق دَلِيلًا على الخالق بما

---

(١) في (س): أو خلق.

(٢) في (س) و(ص): وهل.

(٣) في (ص) و(ز): فيها، وسقطت من (س).

(٤) في (د) - أيضًا -: ومع.

هي عليه من هذه الأحوال الناقصة، كسائر صفاته الناقصة فيه؛ وإن كانت كَمَالًا، الكاملةُ في حَقِّ الله على الإطلاق، المُتَقَدِّسَةُ عن الآفات[١].

مَجْهَلَةٌ:

وقد ظنَّ بعضُ المُتَزَهِّدَةِ[٢] أن النية لا تدخلُ تحت الاختيار، قالوا: «لأنها انبعاثُ النفس ومَيْلُها إلى مَالَهَا فيه غَرَضٌ، والانبعاثُ والمَيْلُ إذا لم يمكن[٣] اختراعه ولا اكتسابه بمجرد الإرادة فذلك[٤] كقول الشبعان: نويتُ أن اشتهي الطعام»[٥]، في تَطْوِيلٍ مُمِلٍّ، وقَوْلٍ مُخْتَلٍّ.

مَعْلَمَةٌ:

وليست النية ما أشاروا إليه، وإنما هي ما بيَّنَّاه، وهذا إنَّما بَنَوْهُ على قَوْلِ بعضهم في تأويل قوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل:٦٤]: «إن من وقع في المعصية أو في المَهْلَكَةِ باختياره لا يكون مُضْطَرًّا»، وسنُبَيِّنُ فساد[٦] هذا في اسم[٧] «الدَّاعي» إن شاء الله.

---

(١) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص١٩٨).

(٢) هو الإمام أبو حامد الطوسي.

(٣) في (ص) و(س) و(ز): يكن.

(٤) في (س) و(ص) و(ز): فإن ذلك.

(٥) الإحياء: (ص١٧٤٣).

(٦) سقطت من (س) و(د) و(ص).

(٧) في (ص): أسماء.

وأمَّا[١] قولهم عن الشبعان: «نويتُ أن أشتهي الطعام»، فلا يماثل مسألة النية، واقْرُنْهَا بما قدَّمناه حتى ترى أن هذا كلامٌ في غير كُنْهِه؛ نِبَالٌ دُونَ نِصَالٍ، وبَدَنٌ بغير أَوْصَالٍ، وقد بيَّنَّا أنه لا تكون نيَّة إلا بعد تَقَدُّمِ مَيْلٍ.

وقولهم: «إن الانبعاث لا يُمْكِنُ اختراعُه ولا اكتسابُه» دَعْوَى، المَيْلُ فِعْلٌ من الأَفْعَالِ التي ليست بضرورية، ولذلك تَرَكَّبَتْ عليه النية، ولو كانت النية لا تدخل تحت الاختيار لمَا كانت شرطًا في صحة الأعمال الاختيارية، وهذا أَبْيَنُ من إِطْنَابٍ فيه.

تَوْكِيدٌ:

وقد اتفقت الأُمَّةُ والعقلاء من كل طائفة على التكلم في الترجيح بين النية والعمل، ولو كانت النيةُ ضروريةً والعملُ اختياريًا ما وقع بينهم ترجيح، وأيُّ حاجة تدعو إلى أن يقال: «إن النية لا تدخل تحت الاختيار»[٢]، ويُفَسَّرُ ذلك [٣]بما شاء الله من التأويل، حتى إنهم قد أكثروا عن النبي عليه السلام أنه قال: «نية المؤمن خَيْرٌ من عمله»[٤]، ولم يَصِحَّ من ذلك حَرْفٌ عنه.

---

(١) في (س): وأمَّا عن.

(٢) الإحياء: (ص١٧٤٣).

(٣) في (د) - أيضًا -: من.

(٤) أخرجه الطبراني في أكبر معاجمه عن سهل بن سعد السَّاعدي ﷺ: (٥/١٨٥)، رقم: (٥٩٤٢)، وضعَّفه الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: الإحياء: (ص١٧٣٥)، هامش رقم (١).

أَمَا إِنَّها مسألة واقعة، فلا بد من بيان[1] معناها؛ لأنه موجود في الدين، مُشْكِلٌ بين المسلمين، وإيضاحُه في معالم الدين موجود مشكل[2]، قالوا فيها سبعة أقوال[3]:

الأوَّل: إن[4] النية سِرٌّ، والعَمَلُ جَهْرٌ، والسِّرُّ أَفْضَلُ من الجَهْرِ.

[١/٨٧أ] الثاني: إنَّ العمل لا يدوم، والنية/ تدوم.

الثالث: إن معناه: نية المؤمن خَيْرٌ من جُمْلَةِ عَمَلِه الخَيِّرِ.

الرابع: إن النية بمجردها خير من العمل بمجرده.

الخامس: إن النية تكتب وحدها حسنة دون عمل، ولا يكتب العملُ دون نية.

السَّادس: إن النية لها في تبديل صفات الأعمال شرعًا تأثيرٌ ما، فإنها تَرُدُّ المُبَاحَ طاعةً حتى يكون فيه حَظٌّ، بل حُظُوظٌ من الثواب، ولم تُوضَعُ في الأصل لذلك.

السَّابع: إن الجزاء في القيامة يقع على النية لا على العمل؛ لأن العبد يُطِيعُ في الدنيا - مثلًا - ثمانين عامًا، فيُثِيبُه الله في الجنة ثوابًا دائمًا أَضْعَافَ مُدَّةِ طاعته، ويزيده ما لا تحصيل له ولا نهاية، وذلك فيما يقابل النية، لأنه كان من نيته: أنه لو عُمِّرَ دهره كلَّه من غير انقطاع لكان في طاعة

---

(١) سقطت من (س).

(٢) مرَّضها في (د).

(٣) أورد هذه الأقوال أبو حامد في الإحياء: (ص١٧٣٥-١٧٣٦)، وأصلُها في قُوتِ القلوب: (٣/١٣٤٥-١٣٤٦).

(٤) سقطت من (ص) و(س) و(ز).

ربه أبدًا، فأعطاه الله على هذه النية المُنْسَحِبَةِ على[١] آماد لا نهاية لها، ولم يُعْطِه على عَمَلِه المحصور المقدَّر.

إيضاحُه:

قُلْنَا: ليس هذا الذي قلتم كله[٢] - لو كان مُسَلَّمًا - يَقْتَضِي[٣] ما قُلْتُم[٤] من تفضيل النية على العمل، وإنما هي صُوَرٌ صَحِيحَةٌ وأحكامٌ بَيِّنَةٌ رَكَّبْتُمُوهَا على غير أدلتها ونَسَبْتُمُوهَا إلى دَعَاوٍ.

أمَّا قولهم: إنَّ عَمَلَ السِّرِّ أفضلُ من عمل العلانية؛ فهو أَمْرٌ غير مُسَلَّمٍ على الإطلاق، وإنما فيه تفصيلٌ؛ يأتي في موضعه من اسم «المُتَصَدِّقِ» إن شاء الله.

وأمَّا قولهم: إن النية تدوم والعمل لا يدوم؛ فليس بصحيح، فإن نية الرجل عَمَلٌ من جُمْلَةِ أعماله؛ فما[٥] دام موجودًا فنيتُه[٦] وسائرُ أعماله موجودة، وإذا عُدِمَ عُدِمَ ذلك كله، وإن أشاروا به إلى القول السابع؛ وهو: اعتقاده[٧] العمل الدائم لو أبقاه الله، وعليه يقع الجزاء لا على عمله، فذلك القول ضعيف؛ فإن الجزاء لا يقع على العمل ولا على النية، وإنما هو

---

(١) في (س): عن.

(٢) سقط من (س) و(ف).

(٣) في (د): بمقتضِي، وفي (ص): بمقتضٍ.

(٤) قوله: «ما قلتم» سقط من (س).

(٥) في (س): ما.

(٦) في (ص): فبنيته.

(٧) في (س): اعتقاد.

فَضْلُ الله على ما تقدَّم في حديث ابن عمر في مُحَاجَّةِ اليهود والنصارى، وقول الله تعالى لهم: «هل ظلمتكم من أجركم[1] شيئًا؟ قالوا: لا، قال: فذلك فَضْلِي أوتيه من أشاء»[2]، ولو كان الجزاء على قَدْرِ النية ما أُعْطِي الجنة، فإن عمل أهل الأرض لا يكافئ جُزْءًا منها، ولو كان الجزاءُ على قَدْرِ العمل مُسْتَحَقًّا لكان لله تعالى أن يحاسبه بنِعَمِه عليه، فنِعْمَةُ البصر وحدها تأخذ جميع أعماله، فهذه الوجوه كلها تُضْعِفُ هذا القول وتُسْقِطُه.

وأمَّا قوله في الثالث؛ فلا مُتَعَلَّقَ لهم في غرضهم.

وأمَّا الرابع؛ فلا يصح أن تكون النية خَيْرًا من العمل، ولا يكون العملُ خَيْرًا من النية؛ لأن شَرْطَ الشيء الذي يقع الاعتدادُ به فيه لا يصح أن يقال: إنه خير منه أو مثله، كما لا يصح أن يقال: إن الطهارة خَيْرٌ من الصلاة، ولا الصلاة خَيْرٌ من الطهارة، أَمَا إنَّ في أعمال القلوب ما هو خَيْرٌ من جميع الأعمال، وهو الإيمان.

[٨٧/ب] وأمَّا قولهم:/ إن النية تكتب مفردة، ولا يكتب العمل دونها؛ فصحيح، ولكن هذا لا[3] يُوجِبُ فَضْلَ النية على العمل، ألا ترى أنه قد رُوي: «أنه لا يُنظَر في عَمَلِ عبد حتى يُنْظَرَ في صلاته»[4]، ولكنه يُكْتَبُ له العمل دونها، ويُثاب عليه آخِرًا في الشفاعة.

---

(١) في (س): أحدكم.

(٢) تقدَّم تخريجه في السفر الأوَّل.

(٣) سقطت من (س).

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ بلاغًا: كتاب الصلاة، جامع الصَّلاة، (١/٢٣٣)، رقم: (٤٨٢-المجلس العلمي الأعلى).

وأمَّا قولهم: إن النية لها تبديل في الأعمال؛ فذلك لا يوجب تقدمها عليها، وإنما ذلك بمنزلة الطهارة، فإن لها تبديلًا في الأحوال.

وإذا[١] فَهِمْتُمْ حقيقة النية؛ فالإخلاصُ فيها أن لا يمتزج القَصْدُ بها إلى الله مع شيء سواه كما قدَّمناه، وذلك لا يكون إلا مع قوة العلم بالله، وصريح الإيمان، وقوة الإسلام.

وقال بعضُ المُتَعَبِّدِينَ - وهو رُوَيْمُ بن أحمد[٢] -: «لا يكون الإخلاصُ إلَّا لرَجُلٍ لم يَقْصِدْ بعَمَلِه عِوَضًا؛ لا في الدنيا ولا في الآخرة، وإنما يَنْوِي الخِدْمَةَ لحَقِّ المَوْلَى خاصَّةً»[٣].

ومن فَهِمَ المَوْلَى لم يَقُلْ هذا؛ لأنه يتعالى عن الحظوظ، وإن كانت تجب له الحقوق، قال النبي ﷺ: «قال الله تعالى: لو أن أهل الأرض اجتمعوا على أتقى قَلْبِ رَجُلٍ ما زاد ذلك في مُلْكِي، ولو أن أهل الأرض اجتمعوا على أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ ما نقص ذلك من مُلْكِي»[٤]، وما يقصد أَحَدٌ بطاعته إلَّا حَظَّ نَفْسِه في خَلَاصٍ من عقاب، أو[٥] اجتلاب ثواب، ولذلك خُلِقَتِ السماواتُ والأرضُ.

وقد قال القاضي أبو بكر: «إنَّ هذا كُفْرٌ»[٦]، وصَدَقَ.

---

(١) في (س) و(ز): فإذا.

(٢) في (س) و(ص): رؤيم بن ماتع.

(٣) الرسالة للقشيري: (ص٢٤١)، والإحياء: (ص١٧٥٢).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم: (٢٥٧٧-عبد الباقي).

(٥) في (د): و.

(٦) الإحياء: (ص١٧٥٢).

وقال بعض الصوفية[١]: «هذا الذي ذكره القاضي حَقٌّ، ولكن الذي أراده رؤيم: أن يتبرأ العاملُ من حظوظ النفس الشهوانية في الجنة؛ التي هي الأكل والشرب والجماع، فأمَّا التلذذ بمعرفة الله ورؤيته فذلك غاية الآمال عندهم، وحَظُّهم معبودُهم لا غير».

قال الإمامُ الحافظ أبو بكر[٢] رضي الله عنه: وهذا غَيْرُ مَنْكُورٍ، ولكن النيات في ذلك تختلف، فمن كان أَمَلُه نَعِيمَ الجنة ورؤيةَ الله فهو في غاية الإخلاص، ومن كان أملُه رؤية الله خاصَّة فهو أشرف؛ وذلك لأن الساكن بالجنة يستغني عن الطعام والشراب، وإنما يفعله لَذَّةً لا عن حاجة، ورؤية الله في الجنة ليست دائمة، وهي إذا كانت لا يُعَادِلُها نَعِيمٌ، كما لا يعادلُ رضاه ثواب، وفي ألفاظ القوم اختلاطٌ يُوجِبُ الإيهام، فهذا تخْلِيصُه.

وقد قال بعضهم: «الإخلاصُ ما استتر عن الخلق وصَفَا من العُلَقِ[٣]»[٤].

وهذا لا يلزم، بل يكونُ الإخلاص مع عِلْمِ الخَلْقِ بالإيمان[٥] والصلاة والصيام.

---

(١) هو الإمام أبو حامد الطُّوسِي، ينظر: الإحياء: (ص١٧٥٢).

(٢) في (د): قال الإمام الحافظ، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي.

(٣) في (د): في خـ: العلائق.

(٤) الإحياء: (ص١٧٥٢).

(٥) في (س) و(ص): في الإيمان.

وقال آخرون: « الإخلاصُ[1] تَصْفِيَةُ الأعمال من الكَدُورَاتِ»[2].

وخَصَّصَهُ المُحَاسِبِي فقال: «الإخلاصُ إخراج الخَلْقِ عن معاملة الرب»[3].

المعنى: إذا عملت عَمَلًا لله فلا تُدْخِلْ فيه قصد عُلْقَةٍ[4] من عَلَائِقِ الخَلْقِ.

وقال الفُضَيْلُ كلمة حسنة جمع فيها المراد وهي: «ترك العمل من أجل الناس رِيَاءٌ، والعملُ لأجلهم شِرْكٌ،/ والإخلاصُ أن يعافيك الله منهما»[5]. [٨٨/أ]

[مسائل في الإخلاص من كتاب «النوادر» للمحاسبي[6]]:

ويَكْشِفُ لك القناع في ذلك صُوَرٌ[7] نَازِلَةٌ في مسائل مخصوصة؛ ذَكَرَهَا في كتاب «النوادر»[8]، وهي[9] متفرقة متشعبة، جماعُها اثنتا عَشْرَةَ صُورَةً:

---

(١) سقط من (س) و(ز) و(ص) و(ف).

(٢) الإحياء: (ص١٧٥٢).

(٣) الإحياء: (ص١٧٥٢).

(٤) في (س): علاقة.

(٥) الرسالة للقشيري: (ص٢٤١).

(٦) أفاد من هذه المسائل أبو إسحاق الشاطبي في الموافقات: (٢/٣٦٢-٣٦٣).

(٧) في (د): صورة.

(٨) وهو من كتب المُحاسبي، طالعه القاضي بالفُسطاط، وأفاد منه كما نبَّه إلى ذلك في مقدمة «السِّرَاجِ».

(٩) في (د): هي.

الأولى:

صلاة الجماعة في المسجد للأُنْسِ بالجيران، أو بالليل لمُرَاقَبَةٍ، أو مُرَاصَدَةٍ[١]، أو مُطَالَعَةٍ لأَحْوَالٍ[٢].

الثانية:

صيامُه توفيرًا للمال، أو استراحةً من عَمَلِ الفِطْرِ، أو احتماءً من أَلَمٍ وَجَدَه، أو مَرَضٍ يتوقعه، أوبِطْنَةٍ تقدَّمت له.

الثالثة:

صدقتُه لمَا يَجِدُ في نفسه من لَذَّةِ إِفَاضَةِ المال والفَضْلِ على الخَلْقِ.

الرابعة:

حَجُّه لرؤية البلاد، والاستراحة من الأنكاد الثائرة في الأوطان.

الخامسة:

الهِجْرَةُ مخافة الضرر بالعدو[٣]، أو بالمال، أو الأهل والولد، أو إلحاح الفَقراء[٤].

السَّادسة:

تَعَلُّمُ العِلْمِ ليحتمي به من الظلم، أو ليستجلب[٥] له حظًّا من الدنيا.

---

(١) في (س) و(ز): لمراصدة.

(٢) في (د) و(ص): ومطالعة الأحوال.

(٣) في (د): في خـ: بالجسد، وفي خـ: بالبدن.

(٤) في (س) و(ص) و(ز) و(ف): الفَقْر.

(٥) في (د): وليستجلب، وفي (س): أو يستجلب.

السَّابعة:

حجُّه ماشيًا ليتوفَّر له الكراء.

الثامنة:

كَتْبُه مُصْحَفًا ليَصْلُحَ خَطُّه.

التاسعة:

أن يتوضأ تَبَرُّدًا.

العاشرة:

الاعتكافُ فِرَارًا من الكراء.

الحادية عشر:

أن يَعُودَ المرضى ليُعاد، وكذلك الصلاة على الجنائز ونحوه[١].

الثانية عشر:

أن يفعل ذلك كلَّه ليُنظر إليه بعين الصلاح.

[الجوابُ عن هذه المسائل]:

فهذه أُمَّهَاتٌ تكشفُ لكم كَثِيرًا من النازلات من أمثالها، وقد قال جُمْلَةٌ من الزهاد: «إن هذه النوازل إذا وقعت هكذا خرجت عن الإخلاص»، ونحن نُبَيِّنُ لكم حقيقتها على رَسْم الزهد، وحقيقتَها في الشَّرْع، على ما تقع عليه عند الله، على ما فَهِمْنَاهُ عن الله ورسوله وصحابته، فنقول:

---

(١) في (س) و(ص) و(ز): وغيره.

أَمَّا صلاةُ الجماعة فلها فوائدُ جَمَّةٌ تَبْلُغُ خَمْسًا[١] وعِشْرِينَ؛ ما أَعْلَمُ أَحَدًا على وجه الأرض[٢] يعرفها[٣]، أَمَا إِنَّه قد جمعها من جمعها بدَعَاوٍ واعتداء، فمن جُمْلَتِها:

إظهارُ الدين، والإعلان بشعائر الإسلام حتى تَنْغَمِرَ[٤] الأرضُ بالطاعة، ويشترك جميع الخلق ويتألفون على العبادة، وهو المقصود الأكبر من الدِّينِ، وبه يتضاعف الثواب، فمن خرج إلى المسجد بهذه النية، أو بنية الاعتكاف به، أو انتظار الصلاة فيه، أو بقَصْدٍ هو لله؛ فهو في طاعة، ومن خرج لغير ذلك كُتبت له صلاةُ فَذٍّ، ولا يبطلُ أَجْرُ صلاته بنية[٥] ما خرج إليه[٦]، لأَنَّها نِيَّةٌ في غير العبادة، فلا يَنْقُصُه ذلك من أجرها، وإنما هو محرومٌ بفَوَاتِ أُجُورٍ كثيرة.

وأَمَّا من ارتقب أَمْرًا بليل أو نهار؛ فترك نَوْمَه أو شُغْلَه، وقال: ريثما أنتظر مَطْلَبِي أقرأ وأصلي، فثوابه كامل؛ لأنه رَجُلٌ أقام على حاجته، وقام بعبادة ربه، ويَا مَا أَحْسَنَ هذا فِعَالًا.

وأَمَّا من صام للوجوه التي تقدَّمت فصومُه أيضًا صحيح، وتلك المقاصدُ صحيحةٌ؛ فإنه من[٧] وَفَّرَ الغداء للعَشَاءِ/ لئلَّا يَتْعَبَ بتكَسُّبِهَا، [٨٨/ب]

(١) في (س) و(ص): خَمْسة.

(٢) سقط من (س) و(ص) و(ز) و(ف).

(٣) في (ص) و(س) و(ز) و(ف): عرفها.

(٤) في (س) و(ف): تنعم، وفي (ز): تنهز.

(٥) في (س) و(ص) و(ز): منه.

(٦) في (س) و(ص) و(ز): إليها.

(٧) في (د): إن.

واحتمى احتراسًا من الألم، أو استراحةً من العمل؛ فهي كلها مقاصد دينية.

وأمَّا من تصدَّق مُتَلَذِّذًا بالعطاء لما في سِنْخِه[١] من الكرم؛ فذلك حَسَنٌ جِدًّا، ودالٌّ على باطنة جميلة، وما أجدر هذا بإفاضة كَرَمِ الله عليه، ما لم يَقْصِدْ مَحْمَدَةً أو مِلْكَ قَلْبِ أَحَدٍ، فيعودُ ذلك كله للدنيا، ولا يكون منه شيء لله تعالى.

وأمَّا حَجُّه لرؤية البلاد فلا يخلو أن يقصد به راحة النفس؛ فهو حَظٌّ عاجلٌ لا ثواب له في خُطاه، وإنما يُكْتَبُ له أَجْرُ عَمَلِ الحج إذا حَصَلَ بمكة.

خرج أبو بكر بن دَاوُد[٢] من بغداذ مُشَيِّعًا لصاحب له[٣]، حتى بلغ ذات عِرْقٍ[٤]، وهو لا يستطيع فراقه، فلمَّا لَبَّى الناسُ بالحج سَكَتَ، فقيل له: «أَلَا تُلَبِّي؟ فقال[٥]: لا أفعل، لأني خرجت مُشَيِّعًا لهذا».

---

(١) السِّنْخُ: السَّجِيَّةُ.

(٢) الإمام الحافظ، والأديب الشَّاعر، العلَّامة المتفنن، محمد بن داود بن علي الأصبهاني، أبو بكر الظاهري، تـ ٢٩٧هـ، له من الكتب: «كتاب الوصول إلى معرفة الأصول»، و«كتاب الإيجاز»، وغيرها، وطبع له منها: «كتاب الزَّهْرَة»، ترجمته في: الفهرست: (١/٦٣)، وتاريخ بغداد: (٣/١٥٨-١٦٧)، والدر الثمين لابن أنجب: (١/١٣٨-١٤٠)، وسير النبلاء: (١٣/١٠٩-١١٦).

(٣) لعل صاحبه هذا هو محمد بن جامع الصيدلاني، وكان كَلِفًا به، ينظر: تاريخ بغداد: (٣/١٦٣).

(٤) ذات عِرْقٍ: هو ميقات أهل العراق، تبعد عن مكة المعظمة باثنين وأربعين ميلًا، فتح الباري: (٣/٣٨٩).

(٥) في (د): قال.

وقد أخطأ؛ فإنه قد كان قضى حَقَّ التَّشْيِيعِ، فكان من حقه أن يقضي حَقَّ البلوغ إلى موضع الزيارة والكفَّارة، ولو خرج بنية الحج ورؤية البلاد للاعتبار لكانت نِيَّتَيْنِ، ولتضاعف[1] له الأجرُ مرَّتين.

وأمَّا استراحته من الأنكاد بالخروج للحج أو للهجرة فهو دَأْبُ المرسلين، وسُنَّةُ الماضين، قد قال الخليل ﷺ[2]: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات:٩٩]، وقال كليم الله: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:٢٠]، وكلُّ إِذَايَةٍ قَلَّتْ أو كَثُرَتْ؛ كانت في الدين أو في البدن أو في المال، إذا توارى عنها المرءُ بالله آجَرَه الله وكَفَاهُ.

وأمَّا إذا خرج من الفقر لئلَّا يُعَيَّرَ به في بلده، أو لتعذُّر أسباب المعاش عليه فيه؛ فإن ذلك جائزٌ له، ولا يُعَارِضُ هذا بنيَّة الحج ولا نيَّة الهجرة.

فأمَّا تَعَلُّمُ العِلْمِ ليَحْتَمِيَ به من الظلم فنِيَّةٌ جميلةٌ؛ لا تؤثر في مثوبة ولا تنقص من أجر، وأحقُّ ما وفَّى المرءُ به[3] نفسَه طاعةُ الله وعِلْمُه وكلامُه[4]، فالاستغناءُ بالقرآن والعِلْمِ عن كلِّ شيء أَصْلٌ في الدِّين.

---

(١) في (س) و(ز): لضُوعِف به، وما أثبتناه صحَّحه بطرة بـ (س)، وهو كذلك في (د) و(ص).

(٢) في (س) و(ص) و(ز): خير البرية، ومرَّضها في (د).

(٣) في (س) و(ص) و(ز) و(ف): به المرء.

(٤) سقطت من (د) و(ص).

وأمَّا حَجُّه ماشيًا ليَتَوَفَّرَ مالُه ؛ فقد روى البخاري: «أن أَنَسًا حَجَّ على رَحْلٍ رَثٍّ[١] ولم يكن شحيحًا»[٢] ، يريد: أنه لم يَحُجَّ بأُبَّهَةٍ ولا في رفاهية ؛ لأنه مَوْضِعُ تَوَاضُعٍ واختصار ، وبَذَاذَةٍ ورِثَّةٍ.

فإن قَصَدَ توفير المال ليصرفه في وَجْهٍ آخَرَ من البِرِّ في هذه المسألة وغَيْرِها فهو مأجورٌ في الوجهين ، وإن كان حَبَسَه حُبًّا للمال وكثرة فهو مأجورٌ في حَجِّهِ ومَشْيِه ، فإن[٣] أَعْطَى صدقة المال وحَبَسَه بعد إخراج الصدقة فهو مَغْبُونٌ في ذلك ، مُرْبِحٌ في حَجِّه ومَشْيِه[٤].

وأمَّا إن توضَّأ تَبَرُّدًا فلا ينقص من أجره شيء ، وله ما نَوَى من الطهارة.

وأمَّا الاعتكاف فِرَارًا من الكراء/ فكمسألة الحجِّ المتقدِّمة آنِفًا سواء. [١/٨٩أ]

وأمَّا أن يَعُودَ ليُعاد ، ويَحْمِلَ الموتى ليُحْمَلَ ، ويُصَلِّي ليُصَلَّى عليه ؛ فذلك أفضلُ النيات ، وأكملُ القُرُبَاتِ ، ومن أَفْضَلِ الأعمال التعاونُ على الصالحات.

وأمَّا أن يفعل ذلك كلَّه ليُنظر إليه بعَيْنِ الصَّلَاح ؛ فإني سألتُ شيخنا الإمام أبا منصور الشِّيرَازِي الصُّوفِي[٥] عن قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ

---

(١) سقطت من (د) و(ص).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الحج ، باب الحج على الرَّحْلِ ، رقم: (١٥١٧-طوق).

(٣) في (س) و(ص): وإن.

(٤) قوله: «وإن أَعْطَى صدقة المال وحَبَسَه بعد إخراج الصدقة فهو مَغْبُونٌ في ذلك ، مُرْبِحٌ في حَجِّه ومَشْيِه» سقط من (ص).

(٥) الإمام أبو منصور الشيرازي ، من علماء بغداد ووُعَّاظِها ، وكان له مجلس =

وَبَيَّنُواْ﴾ [البقرة:١٥٩]، ما بَيَّنُوا؟ قال: «أظهروا أفعالهم للناس بالصَّلاح والطاعات، قلت: ويلزم ذلك؟ قال: نعم؛ لتثبت أمانتُه، وتَصِحَّ إمامتُه، وتُقبل شهادتُه»[1].

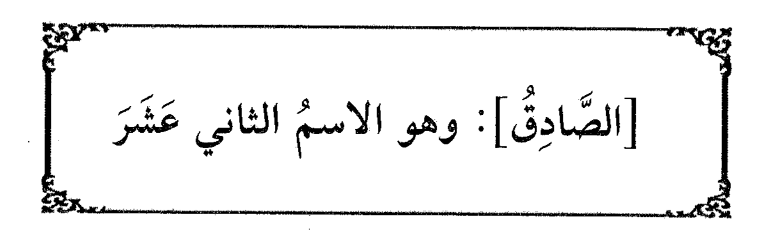
قلتُ أنا: ويَقْتَدِي غيرُه به.

فإذا انتهى إلى هذه المرتبة كان مُخْلِصًا «صَادِقًا».

* * * * *

= يُذَكِّرُ فيه الناس، قال الإمام ابنُ العربي -في اسم «القاصِّ»-: «وحضرتُ يومًا مجلس شيخنا الإمام أبي منصور الشيرازي بنهر مُعَلَّى، وعادةُ الوُعَّاظِ ألَّا يرقى المنبر إلَّا عالم يجيب عن كل سؤال»، ونهر المُعَلَّى هو الموضع الذي كان فيه دَسْتُ الخلافة ومحلها، وفيه نزل ابن العربي مع والده، ينظر: معجم البلدان: (٥/٣٢٤).

(١) أفاد من هذا أبو إسحاق الشاطبي في الموافقات: (٢/٣٦١-٣٦٢).



[الصَّادِقُ]: وهو الاسمُ الثاني عَشَرَ

وهو من الأسماء الخاصَّة، والأوصاف الشريفة، ووَصَفَ الله به نفسَه ورسولَه، وخاصَّةَ عبادِهِ من أنبيائه وأوليائه، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِى جَآءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر:٣٢]، وهو[١] مُحَمَّدٌ ﷺ نَصًّا، وهو كل مُسْلِمٍ تنبيهًا.

أوَّلهم: أبو بكر الصديق[٢].

وآخرُهم: عيسى عليه السَّلام.

وهو من خصائص محمد ﷺ ومناقبه، وقد سُقْنَا ذلك على وَجْهٍ[٣] من التفسير في «أنوار الفجر»، فإنه كما قال محمد ﷺ: «ينزل فيكم عيسى[٤] حَكَمًا مُقْسِطًا، يكسرُ الصليب، ويقتلُ الخنزير، ويضع الجزية، ويؤمكم منكم»[٥].

---

(١) قوله: «وهو» سقط من (س) و(ز).

(٢) في (د) و(ص): أبو بكر.

(٣) في (د) و(ص): وجهه.

(٤) سقطت من (س) و(ص) و(ز) و(ف).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكمًا بشريعة نبيِّنا ﷺ، رقم: (١٥٥-عبد الباقي).

وفي رواية: «وإمامكم[1] منكم»[2].

وفي بعض الروايات: «أنه يصلي وراء إمامنا»[3].

والأوَّل أصح.

وينكح ويتزوج، ويموت ويُدفن في الروضة إلى جنب محمد ﷺ، قال الراوي: «بقي في البيت مَوْضِعُ قَبْرٍ»[4]، وعليه تقوم الساعة.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٦].

وقال في إسماعيل: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ [مريم:٥٤]، وعد من نفسه الصبر على ذَبْحِ أبيه له، فَآلَ ذلك إلى نزول الفداء، وصِدْقُ الوَعْدِ دليلٌ على صِحَّةِ العهد.

وقال النبي ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البِرِّ، وإن البِرَّ يهدي إلى الجنة»[5].

---

(١) قوله: «مُقْسِطًا، يكسرُ الصليب، ويقتلُ الخنزير، ويضع الجزية، ويؤمكم منكم، وفي رواية: وإمامكم» سقط من (ص).

(٢) الصحيح لمسلم: (١/١٣٦-عبد الباقي).

(٣) الصحيح لمسلم: (١/١٣٧-عبد الباقي).

(٤) الجامع: (٦/١٢-بشار)، والقائل هنا هو: أبو مودود المدني.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه: كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾، رقم: (٦٠٩٤-طوق).

فـلا جَـرَمَ أثنـى الله علـى قَـوْمٍ فقـال: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ﴾ [الأحزاب:٢٣]، وهو أَنَسُ بن النَّضْرِ؛ نزل ذلك فيه حين غاب عن بَدْرٍ، فقال: «غِبْتُ عن أوَّل مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رسول الله ﷺ، لئن أشهدني الله مع النبي ﷺ لَيَرَيَنَّ الله ما أَصْنَعُ، فقاتَل يوم أُحُدٍ بعد ذلك بعام فقُتِلَ، فوُجِدَ فيه نَيِّفٌ على ثمانين؛ من بين[1] ضربة بسيف، ورمية بسهم، وطعنة برُمح، قالت أخته: فما عرفتُه إلَّا ببَنانِه»[2].

[٨٩/ب] وأعظمُ الصِّدْقِ منزلةً/ الصِّدْقُ على الله وعلى رسوله، وأعظمُ الكَذِبِ دَرَكَةً الكَذِبُ على الله وعلى رسوله، ولم يُكْذَبْ على أَحَدٍ ما كُذِبَ[3] على الله وعلى رسوله؛ بقَصْدٍ وبغير قَصْدٍ، بما سَوَّلَ لهم[4] الشيطان.

وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: «يأتي على الناس زمانٌ يحدثونكم بما[5] لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإيَّاكم وإيَّاهم»[6].

---

(١) سقطت من (د) و(ص).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس ﵁: كتاب الجهاد، باب قول الله تعالى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾، رقم: (٢٨٠٥-طوق).

(٣) قوله: «ما كذب» سقط من (س).

(٤) سقط من (د) و(ص).

(٥) في (س) و(ص) و(ز): ما.

(٦) أخرجه مسلم في مقدمة الصحيح عن أبي هريرة ﵁: باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، رقم: (٦-عبد الباقي).

والوعيدُ في ذلك مشهور شديد، وأكثرُ ما يجري على ألسنة القَوْم الموسومين بالصلاح[١]؛ لغفلتهم وطلبهم الفضائل من غير مَعْدِنِها، وسترى ذلك مُنبَّهًا عليه في مواضع[٢] إن شاء الله.

وحقيقةُ الصِّدْقِ قد بيَّنَّاها في غير موضع[٣]، وهو: الثبوتُ في جميع الأحوال[٤] والأعمال على قَدَم الحق، والاستمرارُ في جميع الأحوال على حُكْم الشَّرْع، وذلك في ثلاثة وجوه؛ صِدْقٌ في القلب، وصِدْقٌ في القول، وصِدْقٌ في الفعل[٥].

فأمَّا صِدْقُ القلب فهو بالنية الخالصة كما قدَّمنا، قال[٦] النبي ﷺ: «من قَاتَلَ لتكون كلمةُ الله هي العُليا فهو في سبيل الله»[٧].

وكما قال[٨] ﷺ: «من قال لا إله إلا الله مُخْلِصًا من قلبه، - وفي رواية: صادقًا من قلبه، أي: ثابتًا لم تُزَعْزِعْهُ شُبْهَةٌ ولا أَثَّرَتْ فيه رِيبَةٌ - دخل الجنة»[٩].

---

(١) ينظر: مقدمة الصحيح لمسلم: (١/١٧-١٨).

(٢) قوله: «في مواضع» سقط من (س) و(ز).

(٣) ينظر: الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/١٧٣).

(٤) في (س) و(ص): الأعمال والأحوال.

(٥) في (س) و(ز): صدق في القلب، وصدق في الفعل، وصدق في اللسان.

(٦) في (س): كما قال.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، رقم: (١٩٠٤-عبد الباقي).

(٨) في (ص): وكما قال أيضًا عليه السَّلام.

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه عن معاذ رضي الله عنه: كتاب العلم، بابُ من خصَّ بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا، رقم: (١٢٨-طوق).

وقال عليه السَّلام: «من سأل الشهادة صادقًا من قلبه بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»[١].

وأمَّا الصدق في اللسان فبأن[٢] لا يكون خَبَرُه بخلاف عمله في الماضي، فأمَّا المُستقبَل فيدخل في قِسْمِ الوفاء بالوَعْدِ، وهل هو كَذِبٌ أم لا؟ فيه خلافٌ، ودَعْ عنك الاسم؛ فإنه كَذِبٌ مَعْنًى، وفيه إِثْمُ الكاذب، إذ لا يجوز خُلْفُ الوَعْدِ إلَّا لعُذْرٍ[٣]، كما لا يجوز الإخبارُ عن الشيء بخلاف ما هو عليه إلَّا لعُذْرٍ[٤].

فإذا احتاج إلى الكذب فله في المعاريض مندوحةٌ؛ فينطق بلسانه بما[٥] لا يعتقده بقلبِه، مثل أن يُكره على الكفر فينطقُ بلسانه، ومثل أن يُدَارِي أميرَه ومن يتوقَّعه، وصديقَه وزوجَه وولدَه وجارَه، فيقول لهم كلامًا مُحْتَمِلًا، يقصدُ به بقَلْبِه خلافَ ما يُورِدُه بلسانه، فيفهمون عنه ما أرادوا، وهو قد نَوَى ما خَلَصَ به في اعتقاده[٦].

وأمَّا الصِّدْقُ في الأعمال فبأن[٧] يكون على وَفْقِ الاعتقاد والقول.

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه عن سهل بن حُنَيف ﷺ: أبواب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ، بابُ ما جاء فيمن سأل الشهادة، رقم: (١٦٥٣-بشار).

(٢) في (د): فأن.

(٣) في (د): بعذر.

(٤) ينظر: الإحياء: (ص١٧٥٩).

(٥) في (س): ما.

(٦) ينظر: الإحياء: (ص١٧٥٩).

(٧) في (د): فأن.

وأمَّا الصدق في الاستمرار فهو الذي عليه المُعَوَّلُ في خاتمة[١] الأمر كله؛ فإن الاختلافَ في الأقوال والتناقضَ في الابتداء والانتهاء يدلُّ على أنَّ العَقْدَ في أَصْلِه مختل[٢]، والاطِّرادُ على حال واحدة في ذلك كُلِّه يَدُلُّ على قُوَّةِ العَقْدِ واستحكامه.

ومن شَرَفِ الصِّدْقِ أنه من صفات الباري تعالى وأسمائه الحسنى[٣]، قال سبحانه: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٩٥].

[٩٠/أ] ووَصَفَ الصادقين من عباده بصفاتهم التي وَاظَبُوا عليها/ واعتَمَلُوا بها، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُومِنُونَ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِے سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنِ ٱلْبِرُّ مَنَ ـامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ اِ۬لَاخِرِ وَالْمَلَٰٓئِكَةِ وَالْكِتَٰبِ وَالنَّبِيٓـِٕينَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِے اِ۬لْقُرْبَىٰ وَالْيَتَٰمَىٰ وَالْمَسَٰكِينَ وَابْنَ ٱلسَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِے اِ۬لرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمُۥٓ إِذَا عَٰهَدُواْ وَالصَّٰبِرِينَ فِے اِ۬لْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٦].

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ اِ۬لْمُهَٰجِرِينَ ٱلذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰناً وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر:٨].

---

(١) في (د): في خـ: عائد.

(٢) في (س) و(ز): مختل في أصله.

(٣) الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (١٧٣/١).

وقال تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾.

وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُومِنُونَ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾؛ فبيَّن أنَّ الإيمانَ الذي يُوجِبُ الأَمَانَ لصاحبه ما كان على وَصْفِه[١].

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلذِينَ صَدَقُواْ﴾، يعني: أولئك الذين صَدَّقَ فِعْلُهم قَوْلَهم وعَقْدَهم، ولم تُبْقِ هذه الآية خَيْرًا[٢] إلَّا تَضَمَّنَتْهُ؛ نَصًّا أو مُقْتَضًى، وقد بينَّاها في «أنوار الفجر».

وأما قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَاجِرِينَ﴾؛ فأولئك هم العصبة الأولى، والذين هُمْ بهذه الصفة أَحْرَى وأَوْلَى؛ كانوا مقدار مائة رجل، ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾، رَدًّا على رُوَيْمٍ ومن قال بقوله؛ من أنه لا يَبْتَغِي بالعمل ثَوَابًا[٣].

والفَقِيرُ الصَّادِقُ هو الذي تَرَكَ كُلَّ سَبَبٍ[٤]؛ من أَهْلٍ ومَالٍ وعِلَاقَةٍ، وفرَّغ أوقاته للعبادة، ولم يَعْطِفْ بقلبه على شيء سِوَى الله تعالى، ووقف مع الحق راضيًا بجَرَيَانِ حُكْمِه فيه.

وقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾؛ بَيِّنٌ فيه.

وقد عَقَدَ الباب كلَّه قولُه تعالى: ﴿وَالذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد:١٨].

---

(١) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٤٥٧).

(٢) في (ص): خبرًا.

(٣) قولُ رؤيم بن أحمد قد تقدَّم في اسم «المخلص».

(٤) مرَّضها في (د).

يعني: أنه إذا طَلَبَ الأَمَانَ بالله في توحيده، وبالرسول في تصديقه، وشَهِدَتْ له أفعاله بصِدْقِه؛ فهو الصِّدِّيقُ[١]، مبالغةً في صِفَةِ الصِّدْقِ، وبذلك تَصِحُّ له صِفَةُ «الصَّالِح[٢]».

* * * * *

---

(١) في (س): الصالح.

(٢) في (س): الصدِّيق.

[الصَّالِحُ]: وهو الاسمُ الثَّالث عشر

فإنه الذي[١] لم يَدْخُلْ[٢] في عَقْدِه[٣] رَيْبٌ، ولا في نِيَّتِه شَوْبٌ، ولا في قَوْلِه خُلْفٌ، ولا في عَمَلِه آفَةٌ، فاشتمل على الصَّلَاحِ من جميع نواحيه، ولَوَى عليه أَطْرَافَه.

وأَشَدُّه - ما تقدَّم مِنْ أَنَّ أَصْدَقَ الشهادة على تَصْحِيحِ ما تدعو إليه الخَلْقَ - أن لا تخالف بفِعَالِك[٤] ما تَنْطِقُ به من مَقَالِك، ألا ترى/ إلى قول صالح مَدْيَنَ: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ [هود:٨٨]، ولا إِصْلَاحَ إلَّا من صَلَاحٍ.

[٨٩/ب]

ويُروى عن جعفر الصادق أنه قال: «الصِّدْقُ هو[٥] مجاهدة النفس على مخالفة هواها من الشهوات والراحات، حتى لا يختار على الله غيرَه، كما لم يختر عليك غيرك حين قال لكم: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ [الحج:٧٦]»[٦].

(١) سقط من (ص) و(س) و(ز) و(ف).

(٢) سقط من (ف).

(٣) في (س) و(ص) و(ز) و(ف): عهده.

(٤) في (د) و(ص) و(س) و(ز) و(ف): بأفعالك، ومرَّضها في (د)، وما أثبتناه من طرتها.

(٥) مرَّضها في (د).

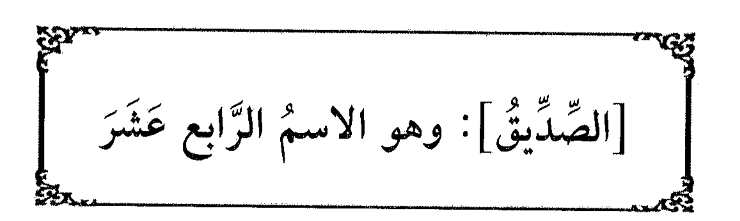
(٦) الإحياء: (ص١٧٦٤).

قال الحافظ أبو بَكْرٍ[١]: ويتمادى الصِّدْقُ إلى الوفاة، وبعمومه في الاعتقاد والأفعال والأقوال تَحْصُلُ[٢] الصِّدِّيقِيَّةُ؛ فيكونُ «صِدِّيقًا».

* * * * *

(١) في (د): قال أبو بكر بن العربي، وفي (ص): قال الإمام الحافظ ﵁، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي ﵁.

(٢) في (د): فتحصل.



[الصِّدِّيقُ]: وهو الاسمُ الرَّابع عَشَرَ

ولمَّا لَمْ[١] يَبْلُغْ ذلك[٢] إلَّا بِشِقِّ النَّفْسِ، ولم يَنَلْهُ إلَّا بغاية الجُهْدِ، سُمِّيَ «المُجَاهِد[٣]».

* * * * *

(١) في (س) و(ز) و(ف): ولم يبلغ.

(٢) سقطت من (س).

(٣) في (س): وسمي مجاهدًا.

[المُجَاهِدُ]: وهو الاسمُ الخامس عشر

وعليه مَدَارُ ما تقدَّم من الأسماء، نعم؛ وما يأتي بعده، فإن العبد بالمجاهدة يبدأُ أَمْرَه، وعليها يَسْتَمِرُّ، وبها يَخْتِمُ[١]، قال الله تعالى فيها عُمُومًا مُؤَبَّدًا: ﴿وَالَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩]، وقال: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج:٧٦].

قال علماؤنا: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، قال: «جَاهَدُوا أَوَّلًا بتَرْكِ المحرمات، وثانيًا بتَرْكِ الشبهات[٢]، وثالثًا بتَرْكِ الفَضَلَاتِ، ورابعًا بقَطْعِ العَلَاقات، وخامسًا بتَوَقِّي[٣] الأشغال في جميع الأوقات»[٤].

وقال بعضُهم في ذلك عبارةً مُوجَزَةً مُوعِبَةً من كَلِمَتَيْنِ، أخذت الطَّرَفَيْنِ، وجمعت الأوساطَ: «الجِهَادُ حِفْظُ الحَوَاسِّ لله، وعَدُّ الأَنْفَاسِ مع الله»[٥].

---

(١) ينظر: العارضة: (٨/٩٤).

(٢) في (س) و(ف): الشهوات.

(٣) في (د): بتوفي.

(٤) لطائف الإشارات: (٣/١٠٦).

(٥) لطائف الإشارت: (٣/١٠٦).

وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾، فجاؤوا فيها بالمعنى الوافي، قالوا: «حَقُّ الجهاد هو مُوَافَقَةُ الأَمْرِ في القَدْرِ[١] والوَقْتِ والنَّوْعِ، فإذا حَصَلَ في شيء منه مخالفةٌ لم يَنْطَلِقْ عليه اسمُ المجاهدة كمالًا ولا تحقيقًا»[٢].

والمجاهدةُ على أقسام: المجاهدة بالنفس، والمجاهدة بالقلب، والمجاهدة بالجوارح، والمجاهدة بالمال[٣].

فالمجاهدةُ بالنفس[٤] أن لا يَدَّخِرَ شَيْئًا، وسيأتي تفسيرُ ذلك، وحالُ النبي ﷺ وفِعْلُه فيه إن شاء الله، فإن ادَّخَرَ فلْيَبْذُلْهُ في طاعة الله، وليَتَحَمَّلِ المَشَاقَّ، ولا يَطْلُبِ الرُّخَصَ والاِرْتِفَاقَ.

وأمَّا المجاهدةُ بالقلب فرَفْعُ الخواطر الفاسدة، ورَدُّ الوسوسة بذكر الله والاستعاذة، وقد سأل عن ذلك رَسُولَ الله ﷺ حنظلةُ[٥]، وقد قال رسول الله[٦] ﷺ[٧]: «إن الشيطان يأتي أَحَدَكم فيقول: من خَلَقَ كذا؟ من خلق كذا؟ فيقول: الله، حتى يقول له: من خلق الله؟ فإذا وَجَدَ ذلك أحدُكم فليقل: لا إله إلا الله»[٨].

---

(١) في (د): القيمة.

(٢) لطائف الإشارات: (٢/٥٦٤).

(٣) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٥٦٤).

(٤) في (س) و(ف): للنفس.

(٥) تقدَّم تخريجه.

(٦) قوله: «رسول الله» لم يرد في (س) و(ص) و(ز) و(ف).

(٧) بعده في (س) و(ص) و(ز) و(ف): «ما تقدَّم»، وضرب عليها في (د).

(٨) تقدَّم تخريجه.

وأمَّا المجاهدةُ بالمال فبِقَطْع العلائق[1] بَيْنَهُ وبَيْنَه؛ حتى يَبْذُلَه في سبيل الله، ويُفَرِّقَه آناء الليل والنهار، ويقول به في الصدقة: هكذا وهكذا[2]،/ ويُهْلِكَه في الحق، ويَتَحَقَّقُ ذلك بتقديم الأَشَقِّ على الأَخَفِّ متى تَعَارَضَا، ولا يَفْتُرْ عن مجاهدة النفس لحظةً، وهذا كلُّه لِمَا اجتباك، وما[3] اصطفاك حتى عَلِمَ فِعْلَكَ.

١ [٩٠/أ]

قال بعضُ شيوخ الفقراء: «كما لم يَمْنَعْهُ ما عَلِمَ فيك من عَيْبٍ أن يَجْتَبِيَكَ للإسلام، كذلك لا يَمْنَعُه ما عَلِمَ فيك من عَيْبٍ أن يغفر لك بفَضْلِه ورَحْمَتِه»[4].

نكتة[5]:

قال الإمام أبو بكر بن العربي[6] ﷺ: قالوا: فلمَّا كانت[7] المجاهدةُ مَهُولَةَ السَّمَاعِ في الأَسْمَاعِ؛ قال - مُبَيِّنًا سُهُولَةَ المسالك، وهَوْنَ المدارك -: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾[8] [الحج:٧٦]، قد قام بها قبلكم، وعَمِلَ بها سواكم؛ لأنه لم يتجاوز ما ذُكِرَ طَوْقَ المأمور، ولا خَرَجَ عن سَبِيلِ التَّيْسِيرِ.

---

(١) في (د) و(ص) و(ز): العلاقة.

(٢) في (س) و(ص) و(ف): هكذا وهكذا في الصدقة.

(٣) سقطت من (د) و(ص).

(٤) لطائف الإشارات: (٢/٥٦٤).

(٥) سقطت من (س) و(ص) و(ز) و(ف).

(٦) في (د): قال الإمام الحافظ، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي.

(٧) بعده في (س) و(ص) و(ز) و(ف): هذه، وضرب عليها في (د).

(٨) في (س): «﴿ما جعل عليكم في الدين من حرج﴾، هي ملة أبيكم إبراهيم»، وفوق «هي» رمز التضعيف في (د).

[نَزَغَاتُ الشيطان وسُبُلُ العصمة منها]:

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد:٣٢]، وذلك يكون - كما تقدَّم - بِبَذْلِ الطاعة، واستعمال غاية[١] القوة، والاستمرار على ذلك طُولَ المدة، حَسَبَ مَا يأتي في اسم «الصابر» إن شاء الله عز وجل، ومُكَافَحَةِ العَدُوِّ بغاية الشِّدَّةِ، وهُوَ في الأصل الشَّيْطَانُ الذي يأمر بالفحشاء والمنكر، ويَنْتَصِبُ للعبد في كُلِّ سَبِيلٍ من سُبُلِ الطاعة، ويَطْمِسُ عليه وجوه الخير.

وقد قال النبي ﷺ: «قَعَدَ الشيطانُ لابن آدم في طريق الإسلام فقال له: أَتُسْلِمُ وتَذَرُ دِينَكَ ودِينَ آبائك؟ فَخَالَفَهُ فَأَسْلَمَ، ثم قَعَدَ له في طريق الهجرة فقال له: أَتُهَاجِرُ وتَذَرُ أَهْلَكَ ووَلَدَكَ ومَالَكَ؟ فخالَفه فهاجر، ثُمَّ قَعَدَ له في طريق الجهاد فقال له: أَتُجَاهِدُ فتُقْتَلُ فتُنْكَحُ أَهْلُكَ ويُقْسَمُ مَالُكَ؟ فخالَفه فقُتِلَ، فحَقٌّ على الله أن يُدْخِلَه الجنة»[٢].

ودخل ﷺ على أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِهِ يوم مات أَبُو سَلَمَةَ، وهي تريد أن تَبْكِيَه، فقال لها: «أتريدين أن تُدْخِلِي الشيطانَ بَيْتًا أَخْرَجَه الله منه؟ مَرَّتَيْنِ»[٣].

---

(١) في (س) و(ص) و(ز): عامة.

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، رقم: (٩٢٢-عبد الباقي).

وعن عائشة في حَدِيثٍ: أن النبي ﷺ قال: «ما منكم من أَحَدٍ إلَّا وله شيطانٌ، قالت له: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، حتى أعانني الله عليه فأسلم»[١].

وفي بعض طُرُقِه: «ولا يأمرني إلَّا بخير»[٢].

وقد قال الله تعالى للشيطان: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً﴾ [الإسراء:٦٤].

وهذا أَمْرُ تَهْدِيدٍ لا أَمْرُ تكليف، أفادنا الله به الإعلامَ بأنَّه سَيَفْعَلُ ذلك كلَّه، وأنه سَيَعْصِمُ منه عباده الذين استخلصهم لنفسه، إذ لا سلطان له على أَحَدٍ، أي[٣]: لا تَسَلُّطَ ولا حُجَّةَ[٤]، الحُجَّةُ لله تعالى، والقدرة له، والمقدور له، وفِعْلُ إبليس لا تأثير له إلَّا إظهارُ العلامة على حُكْمِ الله تعالى في العبد، إذ المقدورُ بالقدرة الحادثة لا يتجاوز مَحَلَّ القدرة، ومَنْعُه

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب تحريش الشيطان، وبعث سراياه لفتنة الناس، وأن مع كل إنسان قرينًا، رقم: (٢٨١٥-عبد الباقي).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب تحريش الشيطان، وبعث سراياه لفتنة الناس، وأن مع كل إنسان قرينًا، رقم: (٢٨١٤-عبد الباقي).

(٣) سقطت من (س).

(٤) قال الإمام ابن عطية (٥/٥١٠): «وتفسيرُه هنا بالحجة قَلِقٌ»، كأنه لم يرتض ما ذهب إليه ابنُ العربي في تفسير «السلطان» الوارد في هذه الآية.

سُلْطَانَ الشيطان بأن لَّا يَخْلُقَ له قُدْرَةً، وذلك مُبَيَّنٌ في «كُتُبِ الأصول»(١)، مَبْنِيٌّ على أنَّ من/ اصطفاه لعبادته في الأوَّل بعِلْمِه وكتابه المكنون، وجدَّد له(٢) الاصطفاء عند الوقاع بأن خَلَقَ الذِّكْرَ(٣) لأبيه؛ ليقول ما قال النبي ﷺ: «لو أن أحدكم إذا أتى أهلَه قال: اللهم جَنِّبْنَا الشيطان، وجَنِّبِ الشيطان ما رزقتنا، فقُضِي بينهما وَلَدٌ لم يَضُرَّه الشيطانُ»(٤).

[٩٠/ب]

وقال ﷺ: «ما من مولود يُولَدُ إلا يَمَسُّه(٥) الشيطان في جَنْبِه فيَسْتَهِلُّ صارخًا، إلَّا مَرْيَمَ وابنَها، لقوله تعالى: ﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران:٣٦]»(٦).

ويَعْصِمُه الله منه عند النوم؛ إذا آوى إلى فراشه أن يقرأ آية الكرسي، فلا يقربه شيطانٌ(٧).

---

(١) المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٢٧٣)، والأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٣٦٩/١).

(٢) سقط من (د) و(ص).

(٣) في (س) و(ص): الذكرى، ومرَّضها في (د).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عباس ﵄: كتاب النكاح، باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع، رقم: (١٤٣٤-عبد الباقي).

(٥) في (د) و(ص): مسه.

(٦) أخرجه. البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﵁: كتاب التفسير، ﴿وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾، رقم: (٤٥٤٨-طوق).

(٧) يقصد به حديث أبي هريرة ﵁: «إذا أويتَ إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي؛ لن يزال معك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح»، أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل القرآن، باب فضل البقرة، رقم: (٥٠١٠-طوق).

وقال النبي ﷺ: «يَعْقِدُ الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عُقَدٍ؛ يَضْرِبُ مكان كُلِّ عُقْدَةٍ: عليك لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فإن استيقظ فذَكَرَ الله انحلَّت عُقْدَةٌ، وإن توضَّأ انحلَّت عُقدة، وإن صلَّى انحلَّت عقدة؛ فأصبح نشيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وإلَّا أصبح خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَان»[1].

وقال ﷺ في رَجُلٍ نام عن الصلاة: «بَالَ الشَّيْطَانُ في أُذُنِه»[2].

ودواؤه في الوسوسة بالاستعاذة[3]، قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

فإن قيل: نَرَى أَنْفُسَنا إذا وَجَدْنَا من الشيطان وَسْوَاسًا نستعيذُ؛ فلا نَجِدُ له عنَّا انصرافًا، فكيف هذا مع ما[4] تَلَوْتَه علينا آنِفًا مُذَكِّرًا به؟

قُلْنَا: عنه ثلاثةُ أجوبة:

الأوَّل: أنَّ هذا خطابٌ[5] للنبي ﷺ في قَوْلٍ، وهو الذي يَرْتَدِعُ الشيطانُ عن وَسْوَاسِه بذِكْرَى رَبِّه، لضَعْفِ[6] وَسْوَسَتِه له، وقُوَّةِ ذِكْرِ النبي ﷺ لربه تعالى وحاله في مرتبته ومنزلته[7].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب التهجد، بابُ عَقْدِ الشيطان على قافية الرأس إذا لم يُصَلِّ بالليل، رقم: (١١٤٢-طوق).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه: كتاب التهجد، باب إذا نام ولم يُصَلِّ بالَ الشيطان في أُذُنِه، رقم: (١١٤٤-طوق).

(٣) في (ص): الاستعاذة.

(٤) بعده في (س) و(ص) و(ز): نتلوه، وضرب عليها في (د).

(٥) في (س) و(ف): الخطاب.

(٦) في (س): أضعف.

(٧) سقطت من (س).

وهذا على هذا القَوْلِ كان(١) قبل أن يُعينه الله عليه(٢) فيُسلم، فلمَّا أسلم لم يَأْمُرْه(٣) إلَّا بخَيْرٍ، وغَيْرُه من الشيطان لم يكن له إليه سبيل إلَّا في مرة واحدة.

في الصحيح: «أنَّه(٤) تَفَلَّتَ عليه وهو في الصلاة، فأوثقه إلى سارية من سواري المسجد، ثم قال: ذكرتُ قول أخي سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ [ص:٣٥]»(٥)، فردَّه الله تعالى خاسئًا، ولولا ذلك لأصبح يَلْعَبُ به وِلْدَانُ المدينة، فهذا حالُ النبي ﷺ.

الثاني: أن هذا خطاب للنبي عليه السلام والمُرَادُ به(٦) أُمَّتُه.

الثالث: أن أمته قد خُوطبت بعده وبُيِّنَ لهم حالهم كما بُيِّنَ له حالُه، فقيل لهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾ [الأعراف:٢٠١] - يعني: من الشياطين - ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٢]، والذين لا يتقون الله يكونون معهم أَمْدَادًا في المعصية لهم.

فأخبر تعالى أن النبي ﷺ يكفيه مُجَرَّدُ الاستعاذة في فراره منه إذا تَطَلَّعَ إليه، وأخبر أن المُتَّقِينَ من الأمة إذا مسَّهم منه طائف(٧) استعاذوا بالله

---

(١) في (س): «وهذا على هذا القول وهذا كان»، وهي عبارة مضطربة.
(٢) سقطت من (س).
(٣) في (س): يأمر.
(٤) سقطت من (س) و(ص).
(٥) تقدَّم تخريجه في السفر الأوَّل.
(٦) سقطت من (د) و(ص).
(٧) في (ص) و(د): طيف.

١ منه، وتَذَكَّرُوا أن ذلك مَسٌّ من عنده؛ فاستبصروا وارتدعوا وزَهَقَ عنهم، [٩١/أ] ومن كان من إخوانه،/ مَشَى مع الشيطان في ميدانه.

وعلى القَوْلِ بأن إخوانهم - يعني: من الشياطين -، يكون المعنى: أن الشياطين لا يألون في النَّزْغِ، وهم لا يألون في الاستعاذة، ويتعاركون حتى يغلب حُسْنُ القضاء أو سُوءُ القَدَرِ فيَنْفُذُ الحُكْمُ.

والصحيحُ - عندي - أن المراد به: وإخوانهم، أي: إخوان الشياطين من العصاة؛ يَمُدُّونَ بالمعصية معهم، ولا يستبصرون[١]، ولا يستعيذون، ولا يرجعون، وإن استعاذوا فبألسنتهم، وقلوبهم مشحونة بطاعتهم، مملوءة من مادَّتهم في الشهوات، فهُم إليهم[٢] راجعون، ومعهم مرتبطون.

وإنَّما الحكمة في ذلك أن الله أَعْلَمَ أنه لا بد أن يكون للشيطان مجال في قلوب [المؤمنين[٣]]، مع كلِّ أَحَدٍ حالٌ؛ فلكل صَارِمٍ نَبْوَةٌ، ولكل عالم[٤] هَفْوَةٌ، ولكل عابد شِرَّةٌ، ولكل عامل[٥] فَتْرَةٌ، ولكل سائر وَقْفَةٌ، ولكل قائل[٦] حُجَّةٌ، وهذا سَيِّدُ البشر ﷺ يُغَانُ على قلبه الشريف فيتُوبُ من كل ذنب في اليوم مائة مرة[٧]، فكيف بأمثالكم مع ما أنتم عليه في أحوالكم؟

---

(١) في (د): يستقصرون، وفي (ص): يُقْصِرون.

(٢) في (س): إليه.

(٣) قوله: «مجال في قلوب المؤمنين» سقط من (س) و(ص) و(ز) و(ف).

(٤) في (د): حليم.

(٥) في (د): عالم.

(٦) في (ص): عالم، وفي (س): عامل.

(٧) تقدَّم تخريجه.

[من فضائل عمَّار بن ياسر رضي الله عنه]:

قال القاضي أبو بكر[١]: وممَّن أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه ﷺ عَمَّارُ بن يَاسِرٍ، وبهذا استَدَلَّ المُحَقِّقُون على أن الطائفتين اللَّتين تَبَاغَتَا تطلبان الحق؛ أن طائفة عمَّار كانت أَقْرَبَ إليه وأَحَقَّ به لبُعْدِ الشيطان عن عمَّار، وما جَذَبَهُ إلَّا المَلَكُ، إذ لم يكن للشيطان عليه[٢] سَبِيلٌ.

[منزلةُ علي رضي الله عنه عند ابن العربي]:

ولو أَدْرَكْتُ الحال في صَبْوَتِي لكُنْتُ مع عَمَّارٍ وعَلِيٍّ، ولو أَدْرَكْتُه في مَشْيَخَتِي لَلَزِمْتُ غَنَمِي أو[٣] ضَيْعَتِي، ولخَاصَمْتُ مُعَاوِيَةَ مَعَ عَلِيٍّ، وأنا لهما مُحِبٌّ ومُعَظِّمٌ، ولِعَلِيٍّ مُقَدِّمٌ؛ لِعَظِيم مَنْزِلَتِه، وعُلُوِّ دَرَجَتِه، وإنَّ أَحَدًا بعد الثلاثة الخُلَفاء[٤] لا يُدْرِكُ شَأْوَه، ولا يَلْحَقُ مَنْزِلَتَه، ولا خِلَافَةَ بعده.

وكذلك كان عُمَرُ رضي الله عنه منه مُجَارًا[٥]، ففي الصحيح: أن النبي ﷺ قال له: «ما سَلَكْتَ قَطُّ فَجًّا إلَّا سَلَكَ الشيطانُ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ»[٦].

---

(١) لم ترد في (ص) و(س).

(٢) في (س) و(ف): عليه للشيطان.

(٣) في (س) و(ف): و.

(٤) في (س) و(ف): الخلفاء الثلاثة.

(٥) في (س): مجار.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، رقم: (٣٦٨٣-طوق).

وأبو بكر الصديق[1] رضي الله عنه أَعْظَمُ منه؛ لأنه وُزِنَ بجميع الأمة - وفيهم عُمَرُ - فرَجَحَهُم أبو بكر[2].

وأمَّا عثمان وعلي فمعصومان منه؛ ما تَطَرَّقَ قَطُّ إليهما، ولا دار حولهما، ولقد كانت أبوابُهما مسدودةً عنه، وخَيْلُه ورَجْلُه مهزومةً دونهما.

[العصمةُ من الشيطان]:

وقد يتَّفق أن يكون - مَعْشَرَ المُرِيدِينَ[3] - بينكم وبينه حجاب، فقد صحَّ من كل طريق، وعند كل فريق: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قال[4]: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير؛ في يَوْمٍ مائة مرة كانت له عِدْلَ عَشْرِ رقاب، وكُتبت له مائة حسنة، ومُحِيَتْ عنه مائة سيئة[5]، وكانت له حِرْزًا من الشيطان يَوْمَه ذلك حتى يُمْسِي، ولم يأت أَحَدٌ بأفضل ممَّا جاء به إلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أكثر من ذلك»[6].

ويستجيرُ منه بيتُك بالتسمية، في الصحيح عن جَابِرٍ: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا اسْتَجْنَحَ اللَّيْلُ فكُفُّوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب

---

(١) سقط من (س) و(ف) و(ص).

(٢) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة: (١/٣٧٨)، رقم: (٨٢١)، والبيهقي في شعب الإيمان موقوفًا على عمر رضي الله عنه: (١/١٤٤)، رقم: (٣٥)، وصحَّح إسناده الحافظ السخاوي، ينظر: المقاصد الحسنة: (ص٣٤٩).

(٣) في (س) و(ز) و(ف): معشر المريدين أن يكون.

(٤) قوله: «من قال» سقط من (س).

(٥) في (س) و(ز): خطيئة.

(٦) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي هريرة رضي الله عنه: ما جاء في ذكر الله تبارك وتعالى، (١/٢٦١)، رقم: (٥٦٢ -المجلس العلمي الأعلى).

سَاعَةٌ من العشاء/ فخَلُّوهم، وأَغْلِقْ بابَك واذكر اسم الله، وأَطْفِ مصباحَك واذكر اسم الله، وأَوْكِ سِقَاكَ واذكر اسم الله، وخَمِّرْ إناءك واذكر اسم الله، ولو أن تَعْرُضَ عليه شيئًا»[١]. [١/٩١/ب]

أَمَا إنه يَتَطَرَّقُ إلى العباد بالشهوات؛ وهي مُرَكَّبَةٌ في طِبَاع البَشَرِ، وبالآمال؛ ولها علاقة بالقلوب، وهي مركبة عليها، والشهوات مَذْمُومَةٌ على ألسنة الشرائع، ما وردت في حديث عن النبي ﷺ ولا عن أَحَدٍ من الصحابة ﷺ.

قال النبي ﷺ: «حُفَّتِ الجنة بالمكاره، وحُفَّتِ النَّارُ بالشهوات»[٢]، فلا يتمنَّاها أَحَدٌ لأنها على شَفِيرِ جَهَنَّمَ، وإنَّما تُتَمَنَّى الطاعاتُ والخيراتُ والكُفْأَةُ[٣] والكفاية، وأمَّا غير ذلك فلا ينبغي لأَحَدٍ أن يَتَمَنَّى بَلَاءَ الله، قال النبي ﷺ: «اسألوا الله العفو والعافية»[٤].

وكان سُمْنُونٌ[٥] قد غلب عليه مقامُ المَحَبَّةِ فقال:

وَلَيْسَ لِي فِي سِوَاكَ حَظٌّ ... فَكَيْفَ مَا شِئْتَ فَاخْتَبِرْنِي[٦]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم: (٣٢٨٠-طوق).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك ﷺ: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم: (٢٨٢٢-عبد الباقي).

(٣) في (د): الكِلاءة، وفي (ز): المكافأة.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي بكر ﷺ: أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٣٥٥٨-بشار).

(٥) في طرة بـ (س) ومن خط القاضي: بخطه: سُمنون من شيوخ الصوفية.

(٦) البيت من مخلع البسيط، وهو لسُمنون، كما في ترجمته في رسالة القُشَيري: (ص٧٠)، وطبقات الأولياء لابن الملقن: (ص١٦٧).

فابتُلِيَ بعُسْرِ البَوْلِ، فلم يستطع الصبر، فكان يمشي على المكاتب ويقول للصبيان: «ادعوا لعَمِّكم الكذَّاب»[١].

ومعنى قوله ﷺ: «حُفَّتِ الجَنَّةُ بالمكاره، وحُفَّتِ النَّارُ بالشهوات»، أي: جُعِلَتْ على حَفَافَيْهَا[٢]؛ وهي جوانبُها، وتَوَهَّمَ الناس أنها[٣] ضُرِبَ فيها المثل بجَعْلِهَا في جوانبها من خارج، ولو كان ذلك ما كان مثلًا صحيحًا، وإنَّما هي من داخل، وهذه صورتها:

الجَنَّة

الصبر		الألم
	المكاره	
الفقر		العدو

النَّار

المال		النساء
	الشهوات	
الجاه		المطاعم

---

(١) رسالة القُشَيري: (ص٧٠).

(٢) في (ز): حِقَاقَيْهَا.

(٣) في (ص): أنما.

وعن هذا عبَّر ابنُ مسعود لقوله: «الجنة حُفَّتْ بالمكاره، والنَّار حُفَّتْ بالشهوات، فمن اطَّلَعَ الحجاب واقع[1] ما وراءه»[2]، وكلٌّ من تصوَّرها من خَارِجٍ ضلَّ عن معنى الحديث وعن حقيقة الحال.

فإن قيل: فقد قال: «حُجِبَتِ النارُ بالشهوات».

قُلْنَا: المعنى واحد؛ لأن الأعمى عن التقوى الذي قد أخذ سَمْعَه وبَصَرَه الشهواتُ، يراها ولا يرى النار التي هي فيها[3]، وإن كانت فيها باستيلاء الجهالة ورَيْنِ الغفلة على[4] قلبه، كالطائر يرى الحبة في داخل الفخ وهي محجوبة به، ولا يرى الفخَّ لغلبة شهوة الحبة على قلبه وتَعَلُّقِ باله بها، وجهله بما جُعلت فيه وحُجبت به.

واختصارُ ذلك نَبْذُ ثلاثة[5] مَعَانٍ - والله أعلم -:

المَنْبُوذُ الأَوَّلُ: الدُّنْيَا

إلَّا ما لا بدَّ منه[6]؛ فإنك إن عَلَّقَتْ أَمَلَكَ بها أَذْهَلَتْكَ، وإن تَنَاوَلْتَها نَبَذَتْكَ وأَلْهَتْكَ، وليس يمكنك أن تكون فيها[7] قائمًا ولا بينهما سالمًا،

---

(١) في (س) و(ز) و(ف): واقف.

(٢) أخرجه أبو داود في الزهد: (ص١٥٣)، رقم: (١٦١).

(٣) في (س) و(ز): معها.

(٤) في (س) و(ز): عن.

(٥) في (د): ثلاث.

(٦) في (ز): له منه.

(٧) في (د): بها.

وفَضْلُ القوَّة على القيام بها لم يُؤْتَ إلَّا لمَخْصُوصِينَ[١] ؛ كداود وسليمان، وأيوب ويوسف.

١ ألا ترى إلى احتراز النبي ﷺ عنها في شأن الخَمِيصَةِ حين صلَّى بها ولها عَلَمٌ، فلمَّا أَكْمَلَ صَلَاتَه قال: «أَلْهَتْنِي/ هذه آنِفًا عن صلاتي، فاذهبوا [٩٢/أ] بهذه الخَمِيصَةِ إلى أبي جَهْمٍ، وائتوني بأَنْبِجَانِيَتِه»[٢].

وكذلك صلَّى العصر ثم خرج مُسْرِعًا ودخل بيته، وأخرج[٣] ذُهَيْبَةً[٤] وقسَّمها، وقال: «خَشِيتُ أن يَبِيتَ عندي منها شيء»، يعني: ولم يَصِلْ إلى مُسْتَحِقِّه.

وكذلك فعل الأنصاري؛ فإنه صلَّى في حائط له وطَفِقَ دُبْسِيٌّ[٥] يطير في أثناء الحائط ويتردَّد فأعجبه، فلمَّا نظر إليه ورجع إلى صلاته فلم يَدْرِ كَمْ صَلَّى، فجعل ذلك الحائط صدقة كِفَاءً لما فاته من تلك اللَّمْحَةِ في الصلاة[٦].

---

(١) في (س): مخصوص.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن عائشة ﵂: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب كراهة الصلاة في ثوب له أعلام، رقم: (٥٥٦-عبد الباقي).

(٣) في (د) و(ص) و(ز): ثم أخرج.

(٤) في (د): ذَهيبة، وفي (ص): ذَهَبَة.

(٥) الدُّبْسِيُّ: طائر في لونه دُبْسَةٌ، وهي حمرة وسواد، التعليق على الموطأ للوقشي: (١٤٤/١).

(٦) أخرجه الإمام مالك من حديث أبي طلحة الأنصاري ﵁: كتاب الصلاة، النظر في الصلاة إلى ما يشغلك عنها، (١٧٣/١)، رقم: (٢٦٣-المجلس العلمي الأعلى).

ولو كان لزَبْرَجِها آخِرٌ أو لشهواتها[١] وَقْفٌ لعَسُرَ ضبطُه، فكيف ولا نهاية لها[٢].

المنبوذُ الثاني: الخَلْقُ

وهُمْ على قِسْمَيْنِ:

أحدهما: أَهْلُ جِلْدَتِك.

والثاني: من يُخالفك في مِلَّتِك.

فأمَّا الذين يخالفونك في مِلَّتِك فتدعوهم إلى الدخول فيها.

وأمَّا الذين يكونون على مِلَّتِكَ ويَتَلَبَّسُونَ بجِلْدَتِكَ فالسنةُ مخالطتُهم، والمحافظةُ على حدود الله معهم، والتعاون على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما بينهم، وسيأتي ذلك كله مشروحًا إن شاء الله.

وقد كانت معرفتُهم نِعْمَةً، وصُحْبَتُهم خَصْلَةً، وائتلافُهم مِنَّةً، ثم انقلبت[٣] الحال حسبما أَنْذَرَ به الصَّادِقُ فقال: «يأتي على الناس زَمَانٌ يكونُ خَيْرَ مال المسلم غَنَمٌ يتبعُ بها شَعَفَ الجبال ومواقع القَطْرِ، يَفِرُّ بدينه من الفتن»[٤].

---

(١) في (س) و(ز): ولشهواتها.

(٢) في (ص) و(ز): له.

(٣) في (س): انقلب.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كتاب الفتن، باب التعرب في الفتن، رقم: (٧٠٨٨-طوق).

وذُكِرَ عن[١] أَنَسٌ عن النبي ﷺ قال، قال عُمَرُ في حديث آخَرَ: «نعوذ بالله من سوء الفتن»، فقال النبي ﷺ: «ما رأيت في الخير والشر كاليوم»[٢].

وقال حذيفة: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر؛ مخافة أن يُدْرِكَنِي، فقلتُ: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شَرٍّ؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، قال: وفيه دَخَنٌ، قلت: وما دَخَنُه؟ قال: قَوْمٌ يُهْدُونَ بغير هُدًى، تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دُعَاةٌ على أبواب جهنم، ومن أجابهم إليها قَذَفُوه فيها، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: هُمْ[٣] من جِلْدَتِنَا، ويتكلمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلتُ: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كُلَّها، ولو أن تعض بأصل شجرة؛ حتى يُدركك الموتُ وأنت على ذلك»[٤].

---

(١) سقطت من (س).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الفتن، باب التعوذ من الفتن، رقم: (٧٠٨٩-طوق).

(٣) سقطت من(س) و(ص) و(ز).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الفتن، باب كيف الأمرُ إذا لم تكن جماعة؟ رقم: (٧٠٨٤-طوق).

ودخل سَلَمَةُ بن الأَكْوَعِ على الحجَّاج ؛ وقد كان خرج إلى الرَّبَذَةِ حين قُتِلَ عثمان رضي الله عنه ، وتزوج امرأة هناك[١] ، ووَلَدَتْ له أولادًا ، فلم يَزَلْ بها حتى كان[٢] قبل أن يموت بلَيَالٍ فنزل المدينة ، فقال له الحجَّاج: «ارتددت على عَقِبَيْكَ[٣] ، قال: لا ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَذِنَ لنا في البَدْوِ»[٤].

ومازال الناس يعتزلون ويخالطون ، كل وَاحِدٍ على[٥] ما يعلمُ من نفسه ويَتَأَتَّى له من أمره.

وقد كان العُمَرِيُّ[٦] بالمدينة مُعْتَزِلًا /. [٩٢/ب]

وكان مالكٌ رضي الله عنه مخالطًا ، وكُلٌّ على طريقة ، ثم اعتزل مالكٌ في[٧] آخِرِ عُمُرِه ، فيُروى أنه أقام ثمان عشرة سنة لم يَخْرُجْ إلى المسجد ، فقيل له في ذلك ، فقال: «ليس كل أَحَدٍ يُمكن أن يُخْبِرَ بعُذره»[٨].

واختلف الناس في عذره على ثلاثة أقوال:

---

(١) في (س): هنالك.

(٢) سقطت من (د) و(ص).

(٣) في (س): عقبك.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الفتن ، باب التعرب في الفتنة ، رقم: (٧٠٨٧-طوق).

(٥) في (س) و(ف): و.

(٦) العُمَري: هو عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله ، من ولد عمر بن الخطاب ، الجامع لأبي عيسى: (٤/٤١٣-بشار) ، وصحيح ابن حبان: (٩/٥٤-إحسان).

(٧) سقطت من (د) و(ص) و(ز).

(٨) ترتيب المدارك: (٢/٥٥).

فقيل: لئلَّا يرى المناكير[١].

وقيل: لئلَّا يمشي إلى السلطان.

وقيل: كانت به[٢] إِبْرِدَةٌ[٣]، فكان يرى تنزيهَ المسجد عنها[٤].

وقال النبي ﷺ: «يُوشِكُ أن يضرب الناس أَكْبَادَ الإبل فلا يجدون أعلم من عالم المدينة»[٥].

فقيل: هو العُمَرِيُّ[٦].

وقيل: هو مالك[٧].

وهو الأصح؛ لأنه لم يظهر للعُمَرِيِّ عِلْمٌ، وعِلْمُ مالك طَبَّقَ الآفاق.

وكان القاضي أبو بكر[٨] خَلُوطًا، وتولَّى الأحكام.

---

(١) ترتيب المدارك: (٢/٥٥).

(٢) في (س): له.

(٣) الإبردة - بكسر الهمزة والراء -: بَرْدٌ في الجوف ورطوبة غالبتان، ويقال: رجل به إِبْرِدَةٌ، أي: يَقْطُرُ بوله ولا ينبسط إلى النساء، تاج العروس: (٧/٤١٤).

(٤) ترتيب المدارك: (٢/٥٥).

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أبوابُ العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في عالم المدينة، رقم: (٢٦٨٠-بشار)، وقال: «هذا حديث حسن»، وأخرجه ابن حبان في صحيحه: كتاب الحج، باب فضل المدينة، رقم: (٣٧٣٦-إحسان).

(٦) الجامع لأبي عيسى: (٤/٤١٣-بشار).

(٧) الجامع لأبي عيسى: (٤/٤١٣-بشار)، وصحيح ابن حبان: (٩/٥٤-إحسان).

(٨) الإمام النظَّار، شيخ السنة، ولسان الأمة، محمد بن الطيب بن محمد البصري، القاضي أبو بكر بن الباقلاني الأشعري المالكي، قال فيه أبو عمران الفاسي: =

وكان الأستاذ أبو إسحاق[1] مُعْتَزِلًا.

وكان أبو بكر بن فُورَكٍ[2] مُتَبَتِّلًا؛ حتى انتهى إلى أن يُكَلِّمَه المَلَكُ في اليقظة.

= «كان سَيِّدَ أهل السنة في زمانه، وإمام مُتكلمي أهل الحق في وقتنا»، وأثنى عليه جماعة، منهم الإمام الحافظ أبو الحسن الدارقطني، وغيره ممن هم في منزلة مشيخته، وله جلالة عظيمة، ومصنفاته كثيرة جدًّا، اعتنى بها الناس؛ وتناقلوها وشرحوها واختصروها، منها: «هداية المسترشدين»، يوجد بعضه، وأصله في عشرين مجلدًا، واختصره ابن الخطَّاب الإشبيلي في ستة عشر سِفْرًا، كانت منه نسخة بالقيروان في القرن الحادي عشر، ومنها: «إكفار المتأولين»، توجد نسخة منه وحيدة في الخزانة العامة بالرباط، من كتب الفقيه الحافظ عبد الحي الكتاني، وعليها طُرَرٌ بخط الإمام أحمد بن المبارك السجلماسي، توفي رضي الله عنه عام ٤٠٣هـ، ترجمته في: تاريخ بغداد: (٣/٣٦٤-٣٦٩)، وترتيب المدارك: (٧/٤٤-٧٠)، وتبيين كذب المفتري: (ص٢١٧-٢٢٦)، وسير النبلاء: (١٧/١٩٠-١٩٣).

(١) الإمام الحافظ النظَّار، جامع أشتات العلوم، الأستاذ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإسفراييني، أحد الأفراد في معرفة الكلام، وعمدة من عُمَدِ المذهب الأشعري، وصاحب المصنفات الجليلة، توفي عام ٤١٨هـ، له «عقيدة» في ورقات، و«الجامع الجلي» و«الجامع الخفي»، في عشرة أسفار، وهو من الكتب التي أدخلها أبو بكر بن العربي إلى الأندلس، و«مسائل الدَّوْرِ»، منها نسخة بالحمزاوية في ورقات، ترجمته في: طبقات الفقهاء للشيرازي: (ص١٢٦-١٢٧)، وتبيين كذب المفتري: (ص٢٤٣-٢٤٤)، والسير للذهبي: (١٧/٣٥٣-٣٥٦)، ، وطبقات الشافعية للتاج: (٤/٢٥٦-٢٦٢).

(٢) الإمام الجليل، شيخ المتكلمين، وأستاذ المحققين، أحد الأفراد في زمانه، صاحب التصانيف، أبو بكر محمد بن الحسن بن فُورَك الأصبهاني، بلغت =

ونادى الله عز وجلَّ أبو[1] إسحاق في المنام، وقال[2] له: «إني أسألك التوبة منذ أربعين سنة ولم تتيسر[3] لي، فقال[4] له: سألتني عظيمًا[5]»، وذكر حديثًا طويلًا.

[التعريفُ بالإمام نَصْرِ بن إبراهيم المقدسي[6]]:

وقد رأيتُ من أهل التَّبَتُّلِ جماعةً؛ لم أَرَ فيهم أَحَدًا يَعْدِلُ أبا الفَتْحِ نَصْرَ بن إبراهيم، الإمامَ الزاهدَ، لَقِيتُه في جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين وأربعمائة، وكان ابتداءُ حاله أن أصله[7] من «نابُلُس»؛ قَرْيَةٍ حريق إبراهيم، خَيْفٌ بين جبلين، أنهارًا وثمارًا وظِلَالًا، ومياهًا باردة، ونِعْمَةً سابغة، وأَمْنًا مُطَّرِدًا.

= مصنفاته في أصول الفقه وأصول الدين ومعاني القرآن قريبًا من مائة مصنف، منها «مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري»، و«مشكل الحديث وبيانه»، وهما منشوران، و«تفسيره للقرآن»، يوجد ما يقارب النصف منه، و«طبقات المتكلمين»، و«أسماء الله تعالى»، وهما مفقودان، توفي -رحمه الله- مسمومًا، في طريق عودته من غزنة عام ٤٠٦هـ، ينظر: تبيين كذب المفتري: (ص٢٣٢-٢٣٣)، وسير النبلاء: (١٧/٢١٤-٢١٧)، والوافي بالوفيات: (٢/٢٥٤)، وطبقات الشَّافعية للسبكي: (٤/١٢٧-١٣٥).

(١) في (س) و(ص): أبا.

(٢) في (س) و(ص) و(ف): وقد قال، وضرب على «قد» في (د).

(٣) في (د) - أيضًا -: في خـ: تيسَّر.

(٤) في (س): وقال.

(٥) في (س): في عظيم، وفي (ص): في عظيمة.

(٦) تقدَّم التعريف به وبمصادر ترجمته في السِّفر الأوَّل.

(٧) في (س) و(ص): أصلهم.

ونَشَأَ مع أبيه «ببيت المقدس»، وكانت لهم[١] دُورٌ وضِيَاعٌ، فتوفي أبوه وهو شابٌّ، فبقي مُدَّةً، ثم جَذَبَتْهُ سَابِقَةٌ سَعِيدِيَّةٌ، فخطفت من قلبه المحبة الدنياوية، وخرج حاجًّا، ثم جاهد ورجع إلى الموطن، فحَبَّسَ إحدى دَارَيْهِ على الطلبة مع مُعْظَمِ ماله، وجَعَلَ النَّظَرَ فيها[٢] إلى يحيى بن مُفَرِّج[٣] شَيْخِ أصحابه، وشَرَطَ أنَّ نَصِيبَه منها[٤] كأَنْصِبَائِهِمْ، وحبَّس الدار الأخرى على الأيتام الذين لا أَبَ لهم، وضَيْعَةً من ضِيَاعِهِ لِيُنْفَقَ عليهم منها، حتى يتعلَّموا القرآن.

وخرج إلى «دمشق» لأجل كونها حينئذ في طاعة المصريين[٥]، واعتكف «بجامع دمشق» أربعين عامًا، وكان يأتيه نصيبُه مع الطلبة فعَيْشُه منه، وتَبَتَّلَ هذه المدة العُظْمَى، وانقطع إلى الله عَالِمًا مُتَعَلِّمًا مُعَلِّمًا، حتى توفي سنة تسعين وأربعمائة، وعليه جُبَّةُ سِمْطٍ سوداء - أخبرني بعضُ

---

(١) بعده في (س) و(ص) و(ز) و(ف): به، ومرَّضها في(د).

(٢) في (س) و(ز): فيه.

(٣) الإمام العلَّامة، يحيى بن مُفَرِّج المقدسي، القاضي الرشيد، صاحب المدرسة الشافعية، من كبار أصحاب الإمام نصر بن إبراهيم، وهو من شيوخ ابن العربي، حضر عنده في المناظرة بمدرسته؛ ومعه فيها من جاور المسجد الأقصى من علماء الآفاق، وكان استخلفه الفقيه نصر على مدرسته تلك، وتسمى أيضًا بالمدرسة الناصرية، ينظر: قانون التأويل: (ص٩١)، والعواصم: (ص٣٧٢)، والأُنس الجليل: (٧٦/٢).

(٤) في (س) و(ف): فيها.

(٥) يقصد بهم دولة بني عُبَيد الإسماعيلية.

أصحابنا(١) أنه بها دَخَلَ مُعْتَكَفَه -، ودَوَاةٍ، وسَطلٍ(٢) صُفْرٍ كان يشرب به ويتوضأ، قال لي: حَجَّ معي وغزا، ونَيَّفَ على التسعين وهو يَكْتُبُ في «المِزْهَرِيِّ» ثمانين سَطْرًا بخطٍّ دقيق، لكنَّ أسنانه تساقطت، ومات وما تلَّبس بالدنيا ولا صَحِبَ من أهلها أحدًا، ولا رأى إلَّا من دخل إليه مُتَعَلِّمًا، وملأ أصحابُه الآفاق وأنجب، فنِعْمَ ما نَجَبَ(٣).

[المجاورةُ بالمسجد الأقصى - طهَّره الله -]:

[٩٣/أ] وأمَّا «المَسْجِدُ الأقصى»/ فكان منهم مَمْلُوءًا - كان - «بالسَّكِينة»(٤)، و«بمحراب زكرياء»(٥)، و«بباب التوبة والرحمة»(٦)، و«بمَهْدِ عيسى»(٧)،

---

(١) في (س): أصحابه.

(٢) في (د) - أيضًا -: سَيْطل.

(٣) في (ز): أنجب.

(٤) باب السَّكينة: هو أحد أبواب المسجد الأقصى، وهو من عُمَدِ أبوابه، ومنه يخرج إلى الشارع الأعظم، ينظر: الأنس الجليل: (٢/٧٢).

(٥) محراب زكرياء عليه السَّلام: هو بجوار الباب الشرقي من المسجد الأقصى، ينظر: الأنس الجليل: (٢/٤٨).

(٦) باب التوبة وباب الرحمة: هما من الأبواب غير المُشْرَعَةِ، ويقال: إن الذي أغلقهما هو سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبجوار باب الرحمة مدرسة نصر بن إبراهيم المقدسي شيخ ابن العربي، ينظر: الأنس الجليل: (٢/٦٨).

(٧) مهد عيسى عليه السَّلام: هو مسجد تحت الأرض، أسفل سوق المعرفة، ويقال: إنه كان محراب مريم عليها السَّلام، ينظر: الأنس الجليل: (٢/٥٢).

و«بقُبَّةِ السِّلْسِلَةِ»[١]، و«بقُبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ»[٢]، و«بقُبَّةِ جِبْرِيلَ عليه السلام»[٣]، و«بالصخرة المقدَّسة»[٤]، و«بمحراب داود»[٥]، و«بباب حِطَّة»[٦]، و«بباب الأَسْبَاطِ»[٧]، بكُلِّ وَاحِدٍ رَجُلٌ عالمٌ منقطعٌ إلى الله، لم يخرج من المسجد مُذْ دخل إليه حتى استُشْهِدَ به[٨].

---

(١) قبة السلسلة: هي على صفة قبة الصخرة، وهي شرقيها، بين الباب الشرقي ودرج البُراق، ينظر: الأنس الجليل: (٥٦/٢).

(٢) قبة النبي سيدنا مُحَمَّدٍ ﷺ: هي قبة المعراج، على يمين الصخرة والصحن من جهة الغرب، ينظر: الأنس الجليل: (٥٨/٢).

(٣) قبة جبريل عليه السَّلام: كانت بجوار قبة المعراج قبة لطيفة، ثم أُزِليت، فلعلها هي، ينظر: الأنس الجليل: (٥٨/٢).

(٤) الصخرة المقدسة: في وسط المسجد، على الصحن الكبير المرتفع في أرض المسجد، ينظر: القبس: (١٠٧٦/٣)، والأنس الجليل: (٥٣/٢).

(٥) محراب داود عليه السَّلام: هو بظاهر الجامع في صحن المسجد من جهة الشرق، بالقرب من مهد عيسى، ويقال غيره، ينظر: الأنس الجليل: (٥١/٢)، و(٤٨٥/١).

(٦) باب حطة: في جهة الشمال من المسجد، سُمِّيَ بذلك لأن الله أمر بني إسرائيل أن يَدخلوا منه ويقولوا: حِطَّة، ينظر: الأنس الجليل: (٧٠/٢).

(٧) باب الأسباط: نسبة لأسباط بني إسرائيل، وهو قريب من باب الرحمة وباب التوبة، في مؤخرة المسجد، في آخر جهة الشمال من جهة الشرق، ينظر: الأنس الجليل: (٦٩/٢).

(٨) في كتاب العبر لابن خلدون (١٨٤/٥): «أُحْصِيَ القتلى من الأئمة والعلماء والعُبَّاد والزهَّاد المُجاوِرين بالمسجد فكانوا سبعين ألفًا أو يزيدون».

وكان «ببيت رَامَةَ»[١] مُتَعَبَّدِ إبراهيم، وبقرية «حَبْرُون[٢]»[٣]؛ حيث قبرُه، و«بحُلَحُول[٤]»[٥] قرية يونس حيث تُوُفِّيَ[٦]، و«بسَبَسْطِيَّة»[٧] قرية يحيى، و«بنابُلُس» - برابطة المنجنيق تتخذ[٨] لإبراهيم عليه السَّلام - جماعةٌ لا يُحْصَوْنَ؛ مشتغلين بالله، مقبلين عليه، خُرُوجًا[٩] عن الدنيا وإن كانوا فيها، معرضين عنها وإن كانوا منها.

[الإقامة بالمُنَسْتِير[١٠]]:

ورأيت «بمُنَسْتِير إفريقية» جماعةً على الطريقة المُثلى في العزلة عن الدنيا، أَقَمْتُ عندهم عشرين يومًا فكَأَنِّي في الآخرة؛ طِيبُ عِيشَةٍ[١١]،

---

(١) بيت رامة: قرية مشهورة بين غور الأردن والبلقاء، معجم البلدان: (١/٥٢٠).
(٢) في (س): جيرون، وفي (ز): حيرون.
(٣) حَبْرون: هي القرية التي دُفن بها إبراهيم عليه السَّلام، وغلب على اسمها الخليل، قريبة من بيت المقدس، معجم البلدان: (٢/٢١٢)، وينظر في صفة قبر إبراهيم الخليل عليه السَّلام ومن جاوره من الأنبياء: أحكام القرآن: (٣/١١٠٣).
(٤) في (س): جلجول، وفي (ص): حلحلول.
(٥) حلحول: قرية بين بيت المقدس ومدينة الخليل، بها قبر يونس عليه السَّلام، وضبطها ياقوت بالفتح ثم سكون، معجم البلدان: (٢/٢٩٠).
(٦) ينظر: القبس: (٣/١١٥٨).
(٧) سَبَسْطِية: بلدة قريبة من بيت المقدس، بها قبر زكرياء وابنه يحيى عليهما السَّلام، معجم البلدان: (٣/١٨٤).
(٨) سقطت من (س) و(ص) و(ز) و(ف)، وكذلك قرأتها في (د)، فلعل الصواب فيها: الذي اتخذ.
(٩) في (س) و(ص): خروجٌ.
(١٠) كان ذلك عام ٤٩٤هـ، في صَدَره من المشرق.
(١١) في (د): عيش.

وسلامةُ دِينٍ، ثم جَذَبَتْنِي صِلَةُ الرحم، فَقَطَعَتْنِي عن الله مقادير[١] سماوية، فَاعْجَبْ - فَدَيْتُكَ - من قَطْعٍ بوَصْلٍ، ومن أَجْرٍ بذَنْبٍ، ومن إِعْرَاضٍ بإِقْبَالٍ، وذلك بضَرْبٍ من العَجْزِ والتقصير، وغَلَبَةِ حُبِّ الدنيا على القلب، ومسامحة في استدراج، وإلَّا فما أَسْهَلَ الجَمْعَ بين معاقد التقوى، وأَقْرَبَ التَّحْصِيلَ لوجوه الخلاص، ولكن بحَذْفِ العلائق وقَطْعِ الشهوات، وذلك يَعْسُرُ مع الإقبال عليها، ويَسْهُلُ مع التوفيق للإعراض عنها، ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٤].

ولقد قال لي شيخي[٢] في العبادة: «لا يَذْهَبْ لك الزمان في مصاولة الأقران ومواصلة الإخوان».

ولم أَرَ للخلاص شيئًا أَقْرَبَ من طريقين:

إمَّا أن يُغلق المرء على نفسه باب بيته.

وإمَّا أن يَخْرُجَ إلى مَوْضِعٍ لا يُعرف فيه.

فإن اضطُرَّ أَحَدٌ إلى مخالطة الناس فليكن معهم ببدنه، وليفارقهم بقلبه ولسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، ولا يفارقُ السكوت.

أنشدني محمد بن عبد الملك الصُّوفِي[٣] قال: أنشدني أبو الفضل الجَوْهَرِي:

---

(١) في (س) و(ف): بمقادير.

(٢) لعله الفقيه أبو بكر الطُّرطوشي تـ ٥٢٠هـ، تقدَّم التعريف به في السِّفر الأوَّل.

(٣) هو محمد بن عبد الملك التِّنِّيسِي، لقيه ابنُ العربي بمدينة بغداد، ولم أهتد إلى ترجمته بعد طول بحث، ويُكْثِرُ ابنُ العربي عنه رواية نوادر أبي الفضل الجوهري، ينظر: المطرب لابن دحية: (ص٢١٤)، ورحلة ابن رُشَيد: (١٣٩/٥)، ونفح الطيب: (٤٢/٢).

الخَيْـرُ أَجْمَـعُ فـي الـسكوتْ وفــي ملازمــة البيــوتْ[1]

وقُلْتُ:

حَــازَ الــسَّلَامَةَ مُــسْلِمٌ يَــأْوِي إلــى سَــكَنٍ وقُــوتْ

مــاذا يُؤَمِّــلُ بعــد أَنْ يَــأْوِي إلــى بَيْــتٍ وبِيــتْ

وقال أحمد: قال ابن مسعود لابنه: «يا بني؛ لِيَسَعْكَ بيتُك، وامْلِكْ عليك لسانك، وابْكِ من ذِكْرِ خطيئتك»[2].

فإن قلتم: فالعالم ماذا يصنع؟ أيختفي فلا يهتدي به أحدٌ ولا يقتدي؟

قلنا: نعم؛ فإنه إن ظَهَرَ سُعِيَ عليه في أن يُخْمَلَ أو يُقْبَرَ، وقد تستَّر الأنبياء والأولياء، ورأيتُ لعبد الغني بن سعيد الحافظ[3] «كتاب

---

(١) البيتان من مجزوء الكامل، وهو لمنصور بن إسماعيل الفقيه الشافعي المعروف، وبعده بيت آخر وهو:

فــإذا تــأَتَّى ذا وذ لــك فاقتنع بأقلِّ قـوت

وأسندهما البيهقي إليه في شعب الإيمان: (٧/١٠٠)، وذكرهما ابن عبد البر له في التمهيد: (١٧/٤٤٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في الزهد: (ص١٩٥)، وفي معناه حديث أخرجه الترمذي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعًا: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حفظ اللسان، رقم: (٢٤٠٦-بشار)، وقال: «هذا حديث حسن».

(٣) الإمام الحافظ، المحدث العلَّامة، الناقد النسَّابة، عبد الغني بن سعيد بن بشر بن مروان المصري، أبو محمد الأَزْدِي، (٣٣٢-٤٠٩هـ)، أفاد من أبي الحسن الدارقطني، وشهد له بعُلُوِّه في الحديث والنقد، ويروي عنه بالإجازة حافظ المغرب ابن عبد البر، له من المصنفات: «المؤتلف والمختلف»، و«مشتبه النسبة»، و«التنبيه على أوهام كتاب المدخل» لأبي عبد الله الحاكم، وكتابه =

المَسْتُورِينَ» بخَطِّه بالفُسْطَاط[١]، لم أر كتابًا مثله، بَدَأ/ بإبراهيم إلى زمانه، [٩٣/ب] في عدة أجزاء.

فإن قلتم: قد قال النبي ﷺ: «عليكم بالجماعة، فإن يد الله عليها، فإن الشيطان ذِئْبُ الإنسان، يأخذُ الشاة القاصية»[٢].

قلنا: هذا حديثٌ باطلٌ، والمعنى حق، والجماعة[٣] لا تُفَارَقُ في الاعتقاد والعمل إذا كانوا على حَقٍّ وفي هدنة، وإذا رأيتَ الباطل والفتنة فالْبَسْ حُلَلَ النَّوَى، وانتَوِ فيمن انتَوَى.

وبالجملة؛ فإن البلاد المشرقية أَمْكَنُ للعزلة من البلاد المغربية؛ لسعة أقطار تلك وتمهُّد[٤] أمورها، وضِيقِ هذه عن آمال أهلها، وتلك لسعتها[٥] يَقِلُّ فيها الحاسد، ويكثُر المُساعد، ولا يُعدَم المُساند.

= هذا الذي ذكره له الإمام ابن العربي يوجد بعضه باسم «كتاب المُتَوارين»، منه قطعة في ظاهرية دمشق في سبع ورقات، وزعم العلَّامة الدكتور محمد فؤاد سزكين أنه كتاب مُفْرَدٌ فيمن اختفى خوفًا من الحجَّاج، وليس بذاك، بل هو قطعة من كتابه الكبير فيمن تستَّر وتوارى، والله أعلم، ينظر: سير النبلاء: (١٧/٢٦٩-٢٧٣)، وتاريخ التراث العربي: (١/٤٦١).

(١) في (د) و(ص): رأيت بخط عبد الغني بن سعيد الحافظ كتاب المستورين بالفسطاط.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: (٣٦/٣٥٨)، رقم: (٢٢٠٢٩-شعيب).

(٣) قوله: «فإن يد الله عليها .. والمعنى حق والجماعة» سقط من (ف).

(٤) في (س) و(ف): تمهيد.

(٥) في (س) و(ز) و(ف): لسعة أقطارها.

وفي مدارس العلم هناك مَنَالٌ[١]، وبروابط الصوفية مَجَالٌ رَحْبٌ للعبد[٢] مع خُلُوصِ النية، وإن انفردتَ اليوم لم تجد أصحابًا[٣]، وإن وجدتهم تَطَرَّقَتْ إليهم التهمة، وتعرَّضوا بأنفسهم إلى الهَلَكَةِ[٤].

قال لي بعض أشياخي: «إذا أردتَ أن تزهد في لقاء الناس فأَقْبِلْ على الفرائض، فإنك إذا لَزِمْتَها لم تجد لنفسك وَقْتًا خَالِيًا لهم».

فاختبرتُ ذلك في الصلاة؛ فوالله ما وجدتها تُبْقِي[٥] من الزمان للعِلْمِ[٦] إلَّا أقلَّه، ويا أَسَفِي أن أقبلتُ على طَلَبِ العِلْمِ ولم أُقْبِلْ على العمل.

[الدعواتُ الثلاث لابن العربي]:

وقد كنت بمكَّة في ذي الحجة سنة تسع وثمانين وأربعمائة؛ فكنت أَبِيتُ بين المقام وزمزم وأعتكفُ فيه، وأَتَذَكَّرُ قَوْلَ النبي ﷺ: «ماءُ زمزم لِمَا شُرِبَ له»[٧]، فكنتُ أَشْرَبُه بنِيَّةِ العِلْمِ آناء الليل والنهار، فوَهَبَنِي الله ما

---

(١) سقطت من (ص) و(د).

(٢) في (د) و(ص): لله، وفي (س) و(ف): رحب لله للعبد.

(٣) في (د) -أيضا-: صاحبًا.

(٤) في (د) و(ص): للهلكة.

(٥) بعده في (س) و(ف): لي، ومرَّضها في (د).

(٦) سقط من (س) و(ز).

(٧) أخرجه الإمام أحمد في المسند عن جابر رضي الله عنه: (٢٣/١٤٠)، رقم: (١٤٨٤٩-شعيب)، وابنُ العربي في العارضة عن ابن عباس رضي الله عنهما: (٤/٢٣٣)، قال ابن حجر: «رجاله مُوَثَّقون، إلا أنه اختُلف في إرساله ووصله، وإرسالُه أصح»، الفتح: (٣/٤٩٣)، وذكر السخاوي أن ممَّن صحَّحه ابن عُيَينة والدِّمْياطي =

شاء، ولم أشربه بنية العمل، ودعوتُ الله بالملتزم ثلاث دعوات، فَرَأَيْتُ الاثنتين وبَقِيَتِ الواحدة، والله يَمُنُّ بها عليَّ، فهي العُمْدَةُ[1].

= والمنذري، المقاصد الحسنة: (٣٥٧)، وضعَّفه ابنُ القطان الفاسي، ينظر: بيان الوهم: (٤٧٨/٣).

(١) قال الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي الأشيري – رحمه الله –: «أذكر من هذه الدعوات التي ذكر شيخُنا الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي ﷺ ما رجوتُ أنه نال بركتها، وصادف عند ربه خيرَها:
أمَّا **العلم**: فكتبه وتواليفه تشهد له؛ فإن له في علوم القرآن: من «التفسير»، و«الأحكام»، و«الناسخ والمنسوخ»، و«المشكل»، و«معاني أسماء الله تعالى»، و«معاني أسماء المؤمن»، وهو هذا الكتاب، وغير ذلك من علوم القرآن؛ ما تشهد بتبحره فيه. وأمَّا علوم الحديث فله «كتاب النَّيِّرَيْنِ في شرح الصحيحين»؛ ما لم يَسْبِقْهُ أَحَدٌ إلى مثله، وله «عارضة الأحوذي في شرح الترمذي»، إلى غير ذلك من علوم الحديث، وله في أصول الفقه مصنفات عدة، وفي أصول الديانات مثلها. وله في النحو «ملجئة المتفقهين»؛ ما أعرب عن تقدمه فيه. وله نَيِّفٌ على ثلاثين تأليفًا؛ بين كبير ومتوسط وصغير، أكبرها ما يفي بنحو خمسة آلاف ورقة؛ وهو «النيرين في شرح الحديث»، و«أنوار الفجر في علوم الذكر»، إلى غير ذلك ممَّا يطول ذكره.
وأمَّا الدعوة الثانية: فهي –والله أعلم– **الظهور في القيام بالحق**، فقد وَلِيَ القضاءَ ببلده إشبيلية وأقام فيها العدل؛ حتى حسده من كان مساعدًا، ونابذه من كان معاندًا، ثم امتُحن فيه فصَبَرَ صَبْرَ أُولِي العزم؛ حتى انجلت محنته عن دين تَقِي، وعِرْضٍ نَقِي.
وأمَّا الثالثة –والله أعلم–: فهي **الشهادة**، فقد رُزِقَها –رحمه الله–، أُشخص عن بلده، وغُرِّبَ عن أهله وولده، حتى مات في غير وطنه، على خير سَنَنِه، فرحمة الله عليه ورضوانه، فلقد كان أَوْحَدَ زمانِه، وفردًا في جميع شانِه»، انتهى من طرة بالنسخة الآصفية من سراج المريدين: (ق١٠٧/ب).

فكانت الأولى: أن يجعلني من العلماء؛ حتى لا يتكلم أَحَدٌ بشيء مِنْ فَنٍّ مِنَ العِلْم؛ إن كان حقًّا إلَّا عَلِمْتُه، وإن كان باطلًا إلَّا قَدَرْتُ عليه[1]، إثباتًا للأوَّل، ونَفْيًا للثاني، فآتاني الله ذلك.

وآتاني الثانية، وبقيت الثالثة.

فيا ليتني كنتُ شَرِبْتُ ماء زمزم للعَمَلِ، ودعوت الله فيه في المُلْتَزَمِ.

ومن يستطع[2] أن يَتَجَرَّدَ ويُجَرِّدَ زمانه للعبادة[3]؛ باجتناب نواهي الفرائض، وامتثال أوامرها، ويبقى له منه جُزْءٌ لشيء؟

ما أَظُنُّ ذلك ممَّا[4] يُطاق في وقتنا إلا مع غَمْضِ العينين عن الخلق.

[الاعتصامُ بالقرآن]:

وقد قال النبي ﷺ: «ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن»[5]، فإذا افتقرتَ فهو غِنَاكَ عن المال، وإن[6] اشتقت إلى الأَهْلِ والوَلَدِ فهو يُغنيك عنهم، وإذا تطَّلعت إلى الناس فهو أُنْسُكَ دونهم، وإذا أردت لقاء من مضى أو من يأتي ففيه أنباؤهم، وإذا أردتَ الأنبياء فليس لك سَنَدٌ إليهم مثله، وإن أردتَ الله فهو كلامُه وصِفَتُه، وأحكامُه وسُنَّتُه في خلقه وأَمْرِه، مُذْ خَلَقَ[7]

---

(١) في (د): قرَّرت.

(٢) في (س) و(ف): يستطيع.

(٣) في (ص): للعمارة، وسقطت من (ز).

(٤) سقطت من (س).

(٥) تقدَّم تخريجه.

(٦) في (س) و(ص) و(ف): إذا، ومرَّضها في (د).

(٧) قوله: «مذ خلق» سقط من (س) و(ز).

١
[٩٤/أ]

إلى أن ينتهي إلى الثواب والعقاب، وعَلِّقْ قلبك بما شِئْتَ/ من الهُدى والضلال والخير والشرِّ؛ ففيه شفاؤه.

المنبوذُ الثالث: النَّفْسُ

وهي[١] أوَّلُ[٢] الشواغل وآخِرُها وأَوْسَاطُها، ولها ثلاثةُ أوصاف:

الأوَّل: وصفُها الأَوْلَى[٣] بسِنْخِها المُعْتَلِّ؛ فإنَّها من طِينٍ، أو في طِينٍ، وهي الأمَّارة بالسوء.

الثاني: اللوَّامة؛ وهي التي إذا عَثَرَتْ استقلَّت، وإذا طَغَتْ رَجَعَتْ، وإذا عَصَتْ استغفرت، وهي أبدًا في اضطراب.

الثالثة: النفس المطمئنة، وهي التي سارت على الجادَّة، واستقرت في مَوْطِنِ الطاعة.

وبين ابتداء حالها الأوَّلِ[٤] وبلوغها الثالثة بَلَايَا ونُوَبٌ[٥] وتَرْدَادَاتٌ[٦]، لا يُخَلِّصُ منها إلَّا السابقةُ الحُسْنَى.

[براءةُ يوسف عليه السَّلام]:

وقد غَلِطَ بعضُ[٧] الناس في أَنْ ظَنَّ بيوسف الصديق عليه السَّلام؛ أنها حَمَلَتْهُ على أن يأتي[٨] مَحْظُورًا، وسبحان الله، ﴿مَا يَكُونُ لَنَآ أَن

---

(١) في (س) و(ف): هو.

(٢) في (د): أولى.

(٣) سقط من (س) و(ز)، وفي (ص): الأول.

(٤) في (ص) و(ز): الأولى.

(٥) في (س): في خـ: ذنوب.

(٦) في (س) و(ص) و(ف): ترددات.

(٧) ينظر: تفسير ابن أبي زَمَنِين: (٣٢١/٢).

(٨) في (س) و(ف) و(ص): باشر.

نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٦]، ما فعل يوسف إلَّا ما أخبر الله عنه؛ من أنَّ المرأة لَجَّتْ[١] في مطالبته على نفسه، ولَجَّجَتْ في بحار المنازعة، وهجمت عليه، ومزَّقت ثيابه، وهي مالكةُ أمره، فثبت بطِيبِ الأصل وطهارة الجَيْبِ، وخَطَرَ له هَمُّ الآدمية، فدفعه بالسَّابقة الإلَهية، وما أتى فُحْشًا[٢] ولا سُوءًا، وما[٣] كان منه إلَّا الهَمُّ الذي لا يؤاخذ به أَحَدٌ، فهو هَمَّ وما تَمَّ، وهي هَمَّتْ وتَمَّتْ، واجتهدتْ في بَذْلِ نفسها، وجَذْبِهِ إليها، وهَتْكِ[٤] حجاب الحياء بينها وبينه، ورَفْعِ الخوف عن العاقبة في ذلك، والخلوة التي لا يُؤمن معها العار، فغَلَبَ الجِدُّ الجَدَّ[٥]، وما تجاوز يوسفُ الأَمْرَ والحَدَّ[٦].

وكان ما[٧] قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ [يوسف:٢٤]، يعني: جاءت بهذا كله، ويعني[٨] ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾: خَطَرَ على باله الأَمْرُ بحُكْمِ البشرية، ورأى برهان ربه، يعني: ذكَّره الله الإيمانَ وما يلزم، وتَحْرِيمَ الله، ومجانبة المأثم، وهذا هو البُرهان الأعظم، وغيرُ ذلك ممَّا ذَكَرَ النَّاسُ

---

(١) في (س): لحت.

(٢) في (س): فحشاء.

(٣) في (ص): لا، وأشار إليها في (د).

(٤) في (د): هتكت، وأشار إليها في (س)، وبعدها لحق، وطرة بغير خط الأصل، وفيها: سِتْرَ، ومرَّض: الحياء.

(٥) في (س): الجَدّ الجَدَّ، وفي (ص): الجَدَّ الجِدَّ.

(٦) ينظر: لطائف الإشارات: (١٧٨/٢).

(٧) في (س) و(ف): كما.

(٨) في (د) و(ص) و(ز): يعني، ومرَّضها في (د).

تَخَرُّصٌ وتَوَهُّمٌ[١]، واستطالةٌ على أنبياء الله وكتابه، فحَذَارِ منهم ثُمَّ حَذَارِ[٢].

وأمَّا النفس اللوَّامة فتَوَهَّمَ بعضُ الناس أنها المرادة في قوله عليه السلام: «مَثَلُ المؤمن كمَثَلِ الخَامَةِ من الزرع، تُفيئها الرِّيحُ مَرَّةً هاهنا، ومَرَّةً هاهنا، ومَثَلُ الكافر كمَثَلِ الأَرْزَةِ المُجْذِية[٣]، حتى يكون انجعافُها مَرَّةً»[٤].

وقالوا: إن قوله: «إن الريح تُفيئها مرَّة ومرَّة»: أنه إِقْبَالُه على الذنب، ورجوعُه إلى التوبة.

وليس به، وإنما هُوَ: ما هو المؤمن عليه من الكَوْنِ في حال العافية مرَّة، وفي بلاء الله أُخرى.

والنَّفْسُ عَدُوٌّ مُبِينٌ، قال عمر بن الخطاب بحضرة النبي عليه السلام: «أَيْ عَدُوَّاتِ أنفسهن، أَتهَبْنَنِي ولا تَهَبْنَ رسول الله ﷺ؟ فقلن له: أنت أَغْلَظُ وأفظُّ[٥]»[٦].

---

(١) في (س): توهيم.

(٢) ينظر: لطائف الإشارات: (١٧٨/٢).

(٣) سقطت من (د) و(س) و(ز).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن كعب بن مالك رضي الله عنه: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، بابُ مَثل المؤمن كالزرع ومثل الكافر كشجر الأرز، رقم: (٢٨١٠-عبد الباقي).

(٥) في (س) و(ص) و(ف) و(ز): أفظ وأغلظ.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه، رقم: (٢٣٩٦-عبد الباقي).

[٩٤/ب] وكان أبو بكر رضي الله عنه ممَّن يَرُبُّ[١] رَسُولَ الله/ ﷺ، وكان عُمَرُ ممَّن يَذُبُّ عن رسول الله ﷺ، وحسَّانُ ممَّن يُنَافِحُ عن رسول الله ﷺ، وسائرُ الصحابة على هذين القِسْمَيْنِ إلَّا الأوَّل[٢]؛ فلم يَنْزِلْ في منزلة أبي بَكْرٍ أَحَدٌ.

وللنَّفْسِ ثَلَاثَةُ أَعْوَانٍ؛ إبليس، والدنيا، والهوى، وليس لها إلَّا نَاصِرٌ واحدٌ؛ وهو العقل، والكلُّ من جُنْدِ الله، أولئك من حِزْبِ الشيطان، والعَقْلُ من حِزْبِ الرحمن، والقضاءُ مُسَيْطِرٌ على الكلِّ، يفصلُ بين تنازعهم، ويَمْضِي بكل أحد إلى ما كُتِبَ له، قال بعضُهم[٣]:

إنِّي بُلِيتُ بأَرْبَعٍ يَرْمِينَنِي ... بالنَّبْلِ عن قَوْسٍ لها تَوْتِيرُ
إبليسُ والدنيا ونَفْسِي والهوى ... يا ربِّ أنت على الخلاص قَدِيرُ

والنفسُ أشدُّها لأنها بعَيْنِ[٤] المحبوب، وفي لِبْسَتِه تتراءى بصِفَتِه، وتَتَلَبَّسُ بهيئته، وتُزَيِّنُ القبيح، وتستر الداء، وتَجْلُو كلَّ مكروه بِصِفَةِ[٥] المحبوب، كما قال القائل - وهو الفرزدق[٦] -:

وعَيْنُ الرِّضَا عن كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ ... ولكنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي المَسَاوِيَا[٧]

---

(١) في (د) و(س): يذب عن.
(٢) في (ص): الأولى.
(٣) البيتان من الكامل، وهما في تفسير القرطبي: (٢٠/٦٧)، والتذكرة له: (٢/٨٨٠)، وغيرها من كتب الوعظ غير منسُوبَين.
(٤) في (د): في خـ: بين المحبوب.
(٥) في (س) و(ف): فصفة.
(٦) قوله: «وهو الفرزدق» لم يرد في (ص) و(س) و(ز) و(ف).
(٧) البيت من الطويل، وهو لعبد الله بن معاوية في الأغاني: (١٢/٢٥٠)، والكامل: (١/١٧٢)، وغلط من ينسبه للمتنبي.

قال لي أبو القاسم بن[1] الخواتيمي[2] بالمسجد الأقصى وقد جَرَرْنَا ذَيْلَ المذاكرة على ما أدَّى إلى إنشادي هذا البيت له[3]، فقال لي: هذا حَسَنٌ، وأَحْسَنُ منه قَوْلُ الآخر[4]:

أَفْسَدْتُمْ نَظَرِي عَلَيَّ فلا أرى مُذْ غِبْتُمُ حَسَنًا إلى أن تَقْدَمُوا
ودَعُوا مَلَامِي لَيْسَ يَحْسُنُ أن تَرَى عَيْنُ الرِّضَا والسُّخْطِ أَحْسَنَ مِنْكُمُ

فإن قيل: كَلَامُ الوَرَعِ والزهد والتخويف ليس على طريق النسيب.

قلنا: قَلْبُ المعنى الحَسَنِ إلى معنى الحق والحقائق عِلْمٌ، ورَدُّ الكلام إلى السبيل القويم دِينٌ، ولا تُبَالِ[5] بمَقْصَدِ قائله.

ثبت أن عائشة رضي الله عنها كانت من أحفظ الناس للأشعار والأخبار؛ هي وأبوها وأختُها أسماء، وكان أبو كَبير الهُذَلِي الشَّاعر قد وصف رَبِيبَه تَأَبَّطَ شَرًّا بقَصِيدٍ[6]، منها قولُه[7]:

---

(١) في (س): ابن أبي الخواتيمي.

(٢) عبد الجليل بن عمر بن محمد بن بكران المقدسي، ابن الخَوَاتِيمِي الطبيب، سمع ببيت المقدس الفقيه نصر بن إبراهيم، وقَدِمَ دمشق بعد أخذ بيت المقدس فاستوطنها، وبها توفي، وكان ينظر في وقوف الجامع، ويتولَّى البيمارستان، تاريخ دمشق: (٣٤/٤١).

(٣) سقطت من (س) و(ز).

(٤) من الكامل، وهما لسداد بن إبراهيم، المعروف بالطاهر الجزري، أوردهما له ياقوت في معجم الأدباء: (١٤١٥/٣)، والصفدي في الوافي بالوفيات: (٧٨/١٥)، وابن شاكر في فوات الوفيات: (٤٥/٢).

(٥) في (د): أُبال.

(٦) في (د): قصيدة.

(٧) البيت من البسيط، لأبي كبير الهذلي، من قصيدة يصف فيها تأبَّط شرًّا، وهي في ديوان الهذليين: القسم الثاني: (ص٩٤).

وإذا نَظَـرْتَ إلـى أَسِـرَّةِ وَجْهِـه   بَرَقَـتْ كبَـرْقِ العـارض المُتَهَلِّـلِ

فدَخَلَ رسولُ الله ﷺ على عائشة فنَظَرَتْهُ وقالت: أنت يا رسول الله أَحَقُّ بقَوْلِ أبي كبير الهُذَلِي:

وإذا نَظَـرْتَ إلـى أَسِـرَّةِ وَجْهِـه   بَرَقَتْ كبَرْقِ العَارِضِ المُتَهَلِّلِ[١]

فأخذت الأمر من يَدِ غَيْرِ مُسْتَحِقِّهِ ووَضَعَتْهُ في حَقِّهِ.

وقال الهُذَلِي في قَصِيدٍ له[٢]:

وعَيَّرَهـا الواشـون أنِّـي أُحِبُّهـا   وتلـك شَـكَاةٌ ظَـاهِرٌ عنك عارُهـا

فلمَّا قَتَلَ الحَجَّاجُ عبد الله بن الزُّبَيْر ابنَ أسماء بِنْتِ أبي بَكْرٍ الصديق؛ المُسَمَّاة بذات النِّطَاقَيْنِ، كان يقول له[٣]: يا ابنَ ذات النِّطَاقَيْنِ، فبلغ ذلك أسماءَ فقالت: إِيهًا والله[٤]:

وتِـلْكَ شَـكَاةٌ ظَـاهِـرٌ عـنك عـارُها[٥]

أي: هذا قَوْلٌ ليس فيه عَيْبٌ.

وأخذته من العشق والغزل فرَدَّتْهُ إلى الحق.

أي[٦]: هذا قَوْلٌ زال عارُه، وذهب عيبُه، بل فيه غايةُ الشَّرَفِ.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق محمد بن إسماعيل البخاري: (٢/٤٩).

(٢) البحر من الطويل، وهو لأبي ذؤيب الهذلي، من قصيدة في ديوان الهذليين: القسم الأول: (ص٢١).

(٣) في (س): لها.

(٤) في (د) و(ص): والإله.

(٥) طبقات ابن سعد: (١٠/٢٣٨).

(٦) سقطت من (س).

١
[٩٥/أ]

قالت أسماء[(١)]: «سمَّاني رسول الله ﷺ بذات النِّطَاقَيْنِ؛/ فإنه لمَّا أراد الهجرة مع أبي بكر صَنَعَتُ لهما سُفْرَةً، وأردت شدَّها فلم أجد، فشَقَقْتُ نِطَاقِي بِنِصْفَيْنِ؛ وشَدَدْتُه بأحدهما وانتطَقْتُ بالآخر، فقال لي رسول الله ﷺ: أَنْتِ ذاتُ النِّطَاقَيْنِ»[(٢)].

فصار هذا أَصْلًا في رَدِّ المعاني من مقاصد البطالة إلى الجلالة، ومن طُرُقِ الباطل إلى وجوه الحق، ومن المخلوق الذي ليس له عَمَلٌ إلى الخالق الذي له الأمر كلُّه.

قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي[(٣)] رضي الله عنه: ولِي[(٤)] في ذلك نُكْتَةٌ بديعة؛ وهي أن النفس تَمِيلُ إلى اللَّهْوِ، وتُسْرِعُ إلى الغزل، فيُنْشِدُ المرءُ الأشعار[(٥)] الغزلية تَأْنِيسًا لها[(٦)]، ويَقْصِدُ بها الحقائق الإلَهية والشمائل النبوية تحقيقًا معها، حتى يُرِيها أنَّ صَغْوَهُ مَعَهَا أوَّلًا، ويَرُدُّها إلى الحقيقة آخِرًا، والأشعارُ الغَزَلِيَّةُ من سلاح الشيطان، فإذا قُوتِلَ بها يرى أن الغلبة في كل حَالٍ عليه.

وللنَّفْسِ خُدْعَةٌ أُخْرَى، وهي: أنَّها مُخَالِطَتُكَ، وإذا كان بينك وبين العَدُوِّ مسافةٌ أو حجابٌ كُنْتَ من ضَرَرِهِ آمَنَ وأَبْعَدَ، فإذا[(٧)] نزل معك في

---

(١) سقطت من (د) و(ص).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، (٣٩٠٧-طوق).

(٣) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.

(٤) سقط من (س).

(٥) في (ز): إلى الأشعار.

(٦) مرَّضها في (د).

(٧) في (ص) و(د): فأمَّا إذا.

بلدك أو سَاكَنَكَ في بيتك لـم يُمْكِنْكَ الاحتراسُ منه بحال، ولو تَحَرَّزْتَ لغَلَبَكَ بطُولِ المجاهدة، وقد قال العبَّاسُ بن الأَحْنَفِ أو غيرُه[١]:

نَفْسِي إلى ما ضَرَّني داعي ... تُكْثِرُ أَسْقَامِي وأَوْجَاعِي
لقُلَّ ما أَبْقَى على ما أرى ... يُوشِكُ أن يَنْعَانِيَ النَّاعِي[٢]
كَيْفَ احْتِرَاسِي مِن عَدُوِّي ... إذا كان عَدُوِّي بين أَضْلَاعِي

فإن جَهِلْتَها فقد تَعَجَّلَ هَلَاكُك، وإن عَلِمْتَها وقَاسَيْتَها فقد طال تَعَبُك، فانظر لِمَا يُخَلِّصُك، فإنه قريب لمن أعانه الله بتوفيقه.

رياضةُ النَّفْسِ:

ومن الحَقِّ عليك أن تحملها على مَكَارِهِ العبادة طاقةً، حتى تأنس بها فتفعلها طاعةً، فإنَّ التدريب في العبادة والتمرين في الطاعة[٣] سُنَّةٌ قائمة، وسِيرَةٌ شَرْعِيَّةٌ.

في الصحيح: عن الرُّبَيِّع بِنْتِ مُعَوِّذِ بن عَفْرَاءَ قالت: «أرسل النبيُّ ﷺ غَدَاةَ عاشوراء إلى قُرَى الأنصار: من أَصْبَحَ مُفْطِرًا فليُتِمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِه، ومن أصبح صائمًا فليَصُمْ، قالت: فكُنَّا نَصُومُه بَعْدُ، ونُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا، ونجعلُ لهم اللعبة من العِهْنِ، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذلك حتَّى يكون عند الإفطار»[٤].

---

(١) الأبيات من السريع، وهي لأبي الفضل العباس بن الأحنف في ديوانه: (ص١٧٨-١٧٩)، وفيه: قلبي إلى ما ضرني.
(٢) سقط هذا البيت من (د) و(ص).
(٣) في (س): الطاعات.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصوم، باب صوم الصبيان، رقم: (١٩٦٠-طوق).

[أسماءُ النفس وأحوالها]:

ولها أَسْمَاءٌ في أحوال، وهذه إشارةٌ إليها:

اعلموا - وفَّقكم الله - أنَّ بِنَاءَ «ن ف س» في لسان العرب يَتَصَرَّفُ على مَعَانٍ قد بينَّاها في «الأَمَدِ»[1] وغيرِه.

أَصْلُها: أنَّها ذَاتُ الشيء، ورُوحُه، ورَفِيعُه[2]، ودمُه، ويرتبط بهذه الأربعة غيرُها[3]، وربَّما رجعت إلى اثنتين[4]، وقد تكون - كما قدَّمنا - مَمْدُوحَةً، وقد تكون مَذْمُومَةً.

وقد عبَّر الله بها عنه فقال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة:١١٨].

حتَّى قال بعض الغافلين: «إنَّ الأَوَّلَ هُوَ الثاني بعَيْنِه».

[٩٥/ب] وهو/ غباوة أو تعسف.

وإنَّما معناه: تَعْلَمُ غَيْبِي ولا أَعْلَمُ غَيْبَكَ، وضَرَبَ له مَثَلًا ما في نَفْسِ الإنسان، أي: ما في ذاته مَطْوِيًّا، أَلَا تراه كيف بَيَّنَهُ بقوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾، كما قال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران:٢٨]، أي: صفاته؛ لأنها قائمة به، وذلك غضبُه وسَخَطُه، وأفعالُه من نقمته وعقابه، وأُضِيفَ الكُلُّ إلى النَّفْسِ لأنها تقوم به وتَصْدُرُ عنه، كما قال: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي

---

(١) الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (١/٢٦٧-٢٦٩).

(٢) في (ص): رفعته.

(٣) بعدها في (ز) سَقَطٌ بمقدار ورقتين.

(٤) في (د) و(ص): اثنين.

أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة:٢٣٣] ، أي: يَعْلَمُ غَيْبَكم ويَطَّلِعُ على سرائركم[١]، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٥].

وقد قال: ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف:١٨٨].

المعنى: «تَسْلِيمُ الأقدار والأفعال لله بالتَّبَرِّي عن الحَوْلِ والقُوَّةِ، وأنَّ أَمْرَه كُلَّه لله، وتصرُّفَه بأجمعه بطَوْلِ رَبِّه، ولذلك تختلف عليه الأحوالُ بغير مراده؛ ما بين يُسْرٍ وعُسْرٍ، وذِكْرَى ونسيان، ولو كان الأَمْرُ بمُرَادِي ولم يَكُنْ بِيَدِ غَيْرِي لتشابهت أحوالي، وتناسقت[٢] أعمالي»[٣]، فهذا شأن البشرية فاعلموه.

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [الأعراف:١٨٩].

أي: «ذات واحدة، وموجود واحد، وأخلاقكم مختلفة، وهِمَمُكم متباينة، وصوركم متفاوتة، ومنازلكم متغايرة، وأطواركم متعاقبة، ومقاصدكم شتَّى متنافرة»[٤].

ألا ترى إلى[٥] النطفة وهي ذاتٌ واحدةٌ؛ كيف تَشَكَّلَتْ بأشكال، وتعاقبت عليها أحوال، فبعضُها لَحْمٌ، وبعضها عَصَبٌ، وبعضُها شَعَرٌ، وبعضها ظُفْرٌ، وبعضها عِرْقٌ، وبعضها جِلْدٌ، وبعضها مُخٌّ، وبعضها صُلْبٌ،

---

(١) في (س): سرائكم، وهو سبق قلم.
(٢) في (د): تناسبت.
(٣) لطائف الإشارات للقُشَيري: (١/٥٩٤).
(٤) ينظر: لطائف الإشارات: (١/٥٩٤-٥٩٥).
(٥) في (س) و(ف): أن.

وبعضها رَخْوٌ، كلٌّ بهيئة مخصوصة، وكيفية معلومة، ورُكِّبَ عليها السَّمْعُ والبَصَرُ، وجُعِلَ فيها الفِكْرُ والغَضَبُ، والقدرة والعلم، والشجاعة والجُبْنُ والحقد، والأوصاف التي يَقْصُرُ عنها العَدُّ، وذلك قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ﴾ [المومنون:١٤]، وقد بيَّناه في كتاب «أنوار الفجر»، في سِفْرٍ يَحْمِلُه فَرَسٌ، ويُضِيءُ كالقَبَسِ.

والنَّفْسُ حيث ما رَدَّدْنَاهُ نُرِيد به الجُمْلَةَ الآدمية بذاتها وصفاتها، وروحها ونَفْسِها، وجميع ما تشتمل عليه ظاهرًا وباطنًا.

وللآدمي ثلاثُ حالاتٍ أخبر الله عنه[1] بثلاثة أخبار:

أحدها: أن تكون المعصية شأنَه كلَّه.

الثانية: أن يكون مُطِيعًا من وَجْهٍ وفي حال، عاصيًا من وَجْهٍ وفي حال.

الثالثة: أن يكون مُطِيعًا في كل حال أو في أكثر الأحوال، بحيث يغلب خيرُه شرَّه، دُنياه وأُخراه[2].

فالنَّفْسُ الأولى[3]: هي الأمَّارة بالسوء.

والنفس الثانية: هي اللوَّامة كما قدَّمنا[4].

والثالثة: هي[5] المطمئنة.

---

(١) في (د): عنها.

(٢) في (س): دنيا وآخرة.

(٣) في (د): الأوَّل.

(٤) في (ص) و(د): قدَّمناه.

(٥) سقطت من (س).

[منازلُ النفس المطمئنة]:

وذلك في ثمانية[١] منازل:

المنزلة الأولى: أن تطمئن بالتوحيد حتى لا يلحقها رَيْبٌ.

الثانية: أن تطمئن بالذِّكْرِ حتى/ لا ترى لسواه لذة، ففي الصحيح: «أن النبي عليه السَّلام مشى في بعض أسفاره فعَلَا جَبَلًا فقال: هذا جُمْدَان، سِيرُوا، سَبَقَ المُفَرِّدُون، وهم الذين أُهْتِرُوا[٢] بذِكْرِ الله، يَضَعُ الذِّكْرُ عنهم أوزارهم»[٣]. [٩٦/أ]

الثالثة: أن يستقرَّ اليقين في قلبه بحيث لا يتطرَّق إليه وسواس؛ وهذا للأنبياء، فإن تطرَّق دَفَعَهُ بالتوحيد؛ وهذا للأولياء، فإن تطرَّق دَفَعَهُ بالمجاهدة؛ وهذا للمؤمنين.

قالت الصحابة: «يا رسول الله، إنَّا نَجِدُ في أنفسنا ما أن نَخِرَّ من السماء فتَخَطَّفُنَا الطَّيْرُ أَخَفُ علينا[٤] من ذلك، قال: أَوَ قَدْ وجدتموه؟ قالوا: نعم، قال: ذلك صريح الإيمان»[٥].

---

(١) في (د) و(ص): ثماني.

(٢) في (د): اهتزوا.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة ﵁: أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٣٥٩٦-بشار)، وأصله في الصحيح، أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب الحث على ذكر الله تعالى، رقم: (٢٦٧٦-عبد الباقي).

(٤) في (د): إلينا.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﵁: كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقول من وجدها، رقم: (١٣٢-عبد الباقي).

يعني: مجاهدة دَفْعِه، فجعله الله بفضله صريح الإيمان.

الرابعة: الطُّمأنينة بطاعة الله، حتى لا تجري على جوارحه معصية.

الخامسة: الطمأنينة بالتوبة، وهذا مُمْكِنٌ للناس في الكبائر، مُتَعَذِّرٌ في الصغائر، إلَّا على الأولياء.

السَّادسة: الطمأنينة بالتوبة، حتى لا يبقى للمعصية أَثَرٌ في النفس.

السَّابعة: الطمأنينة بالبشارة، كقول الصادق: «فلان في الجنة»، وكقوله: «ما من أَحَدٍ يَشْهَدُ أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدًا رسول الله صِدْقًا من قلبه إلَّا حَرَّمَهُ الله على النار»[١]، وذلك إذا قالها آمِنًا في نفسه، حاضرًا بعقله، وتصديقًا من قلبه.

الثامنة[٢]: الطمأنينة بالبشارة عند الموت من جِهَةِ المَلَكِ القابض لرُوحِه.

ويَتَرَكَّبُ عليه ما بيَّناه في «قانون التأويل»، فخُذْ منه ورَكِّبْ عليه سائر الأحوال يأتك منه أَمْرٌ عظيمٌ قَوْلًا وعملًا.

ولشَرَفِ النَّفْسِ اللَّوَّامَةِ أَقْسَمَ الله تعالى بها في كتابه تعظيمًا لها؛ إذ هي أَكْثَرُ أحوال العبد، قال النبي ﷺ: «لو لم تُذْنِبُوا لجاء الله بقوم يُذنبون فيغفر[٣] لهم»[٤].

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) في (د): المنزلة الثامنة.

(٣) في (س) و(ز) و(ف): حتى يغفر.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب التوبة، باب سقوط =

وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس:٧-٨]، وفيها خَمْسَةُ أقوال[١]:

الأوَّل: أَلْهَمَهَا طَرِيقَ الخَيْرِ وطَرِيقَ الشَّرِّ، وهو قوله في السُّورة التي قبلها: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:١٠]، ثم قسَّمه فريقين، وخلق فيه مُتعارِضين؛ الشهوة والعقل، ورتَّب عليه عَسْكَرَيْنِ؛ الملائكة والشياطين، وسَلْطَنَ عليهم فِعْلَيْنِ؛ التوفيق والخذلان، ورَدَّدَهُمْ[٢] على كتابين؛ أُمٍّ فوق العرش، وبِنْتٍ فوق الفرش، ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد:٤٠]، فطوبى لمن خرج في قِسْمِ السعادة وحُسْنُ مآب، ووَيْلٌ للأخيرَين[٣] وسُوءُ العذاب.

والأوصافُ والأخلاقُ مكتوبة، والمقادير ماضية[٤]، والأسباب مقدَّرة، وسترون تَرْتِيبَها في بقية الكتاب إن شاء الله.

ونَبْذُ[٥] النَّفْسِ عِصْيَانُها في الشهوات أوَّلًا، ويتركَّب عليه[٦] عِصْيَانُها في المحرَّمات، فمن مَلَكَها في الشهوة لم يَخْطُرْ/ له المُحَرَّمُ على بال، ومن [٩٦/ب]

= الذنوب بالاستغفار، رقم: (٢٧٤٩-عبد الباقي)، ولفظه فيه: «لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله فيَغْفِرُ لهم».

(١) تنظر في: تفسير الطبري: (٤١٥/٢٤-التركي)، ولطائف الإشارات للقشيري: (٧٣٣/٣).

(٢) في (س): ردهم.

(٣) في (ص) و(د): للآخرين.

(٤) في (ص) و(د): مرضية.

(٥) في (د): بيد، وهو تصحيف.

(٦) في (د): عليها.

ساعدها في الشهوة وجرى معها عليها سَاوَرَتْهُ وجَرَّتْهُ حتى تُوقِعَه في المحرَّم، فإن الشهوة للمُحَرَّمِ حِمًى وشُبْهَةٌ[١]، والرَّاتِعُ حول الحِمَى يُوشِكُ أن يُوَاقِعَه[٢].

والطِبُّ لهذا الداء إذا وقع بالتوبة، والاحتراسُ منه السَّعْيُ في اكتساب الأخلاق[٣] المحمودة والصفات الشريفة، وتطهيرُها عن الرذائل والآفات بالأخلاق الممدوحة، وفي هذا كان النبي ﷺ يدعو فيقول: «ربِّ آتِ نفسي تقواها، وزكِّها أنت خَيْرُ من زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها»[٤].

ويقول عليه السلام: «اللهم إنِّي أعوذ بك من شَرِّ نَفْسِي»[٥]، ويُوعِزُ بذلك إلى المؤمنين.

ومن فَعَلَ ذلك منكم وحاز ذلك وصار به فهو «الصَّالِحُ»، وتفسيرُ ذلك: أن يكتسب أوَّلًا من هذا صِفَةَ «المُصَلِّي».

* * * * *

---

(١) مرَّضها في (د).

(٢) في (د): وقع فيه، وما أثبتناه أشار إليه في طرته.

(٣) في (ص) و(د): الأسماء.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم رضي الله عنه: كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عُمِل، رقم: (٢٧٢٢-عبد الباقي).

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، بابٌ منه، رقم: (٣٣٩٢-بشار).

[المُصَلِّي]: وهو الاسمُ السَّادس عشر

والصَّلَاةُ مقرونةٌ بالشهادتين، وهي تَأْدِيَةُ الطَّاعَةِ، وجُمْلَةُ العبادة؛ على ما تقدَّم بيانُه.

وقد جعلها الله من خصال إسماعيل فقال تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ﴾ [مريم:٥٥].

ومن دعوة أبيه إبراهيم عليه السَّلام: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ [إبراهيم:٤٢].

ولا يُوصَفُ بالكفر من تَرَكَ شيئًا من الأعمال الصَّالحة سواها، قال النبي ﷺ: «من تَرَكَ الصلاة كَفَرَ»[١]، «وبين العبد وبين الكفر تَرْكُ الصلاة»[٢].

ومَن امتنع مِن أداء الزكاة أُخِذَتْ منه كَرْهًا، ومن امتنع من الوضوء وُضِّئَ، ومن امتنع من الصيام حُبِسَ في بَيْتٍ مُوثَقًا حال وجوب الإمساك، [ومَن امتنع مِن] الصلاة قُتِل[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في ترك الصلاة، رقم: (٢٦٢١-بشار).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في ترك الصلاة، رقم: (٢٦٢٠-بشار).

(٣) قوله: «الصلاة قُتل» سقط من (ص) و(س) و(ف).

وكلُّ عبادة من زكاة[١] وحج وصيام تَسْقُطُ عن العبد بأعذار، وتتبعَّضُ[٢] بأسباب، والصلاةُ ملازمة له في كل حال؛ قائمًا وقاعدًا، وعلى جَنْبٍ، وراكبًا وماشيًا، وبالإشارة.

وقد قال النبي ﷺ[٣]: «من فاتته صلاة العصر وُتِرَ أهلَه ومالَه»[٤].

وقال ﷺ: «من تَرَكَ صلاة العصر حَبِطَ عَمَلُه»[٥].

وما رأيتُ فيها رجاءً إلَّا حديث عُبادة، قال: قال النبي ﷺ: «خَمْسُ صلوات كتبهنَّ الله على العباد في اليوم والليلة، من جاء بهنَّ لم يُضَيِّعْ منهن شيئًا استخفافًا بحقِّهن كان له عند الله عَهْدٌ أن يُدخله الجنة، ومن لم يأت بهنَّ فليس له عند الله عَهْدٌ، إن شاء عذَّبه وإن شاء غفر له»[٦].

ولا تدخل المشيئة على كافر.

---

(١) في (د): وزكاة.

(٢) في (س) و(ف) و(ز): تتعذر.

(٣) في (س): عليه السَّلام.

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن ابن عمر رضي الله عنهما: كتاب وقوت الصلاة، جامع الوقوت، (١/١٠٤)، رقم: (٢١-المجلس العلمي الأعلى)، ولفظه فيه: «كأنما وتر أهله وماله».

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن بُرَيدة رضي الله عنه: كتاب مواقيت الصلاة، باب من ترك العصر، رقم: (٥٥٣-طوق).

(٦) أخرجه أبو داود في سننه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: كتاب الصلاة، باب المحافظة على الوقت، رقم: (٤٢٥-شعيب).

وقال النبي ﷺ: «لو أنَّ نَهْرًا بباب أحدكم يغتسلُ فيه كلَّ يوم خَمْسًا، هل[١] يُبْقِي[٢] من دَرَنِه شيئًا؟ قالوا: لا، قال: فذلك مَثَلُ الصلوات الخمس، يمحو الله بهنَّ الخطايا»[٣].

وأصاب رَجُلٌ من امرأة قُبْلَةً فأتى النبيَّ ﷺ فأخبره، فأنزل الله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود:١١٤]، / فقال الرجل: «يا رسول الله، أَلِي هذا خاصَّة؟ فقال: بل[٤] لمن عَمِلَ بها من أُمَّتِي»[٥]. [٩٧/أ]

وقال له رجل: «يا رسول الله[٦]، أَصَبْتُ حَدًّا فأَقِمْ عَلَيَّ، فقال[٧] له: أليس قد صلَّيت معنا؟ قال: نعم، قال: فإنَّ الله قد غفر لك حَدَّكَ»[٨].

وقال ابنُ مسعود: «أوَّلُ ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخِرُ ما تفقدون منه الصلاة»[٩].

---

(١) بعده في (د) علامة اللحق، ولا يظهر شيء.

(٢) في (د): يبقين.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفَّارة، رقم: (٥٢٨-طوق).

(٤) في (د): بلى.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي عثمان النهدي رضي الله عنه: كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفَّارة، رقم: (٥٢٦-طوق).

(٦) قوله: «يا رسول الله» لم يرد في (د) و(ص).

(٧) في (د) و(ص): قال.

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي أمامة رضي الله عنه: كتاب التوبة، باب قوله تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾، رقم: (٢٧٦٥-عبد الباقي).

(٩) أخرجه بنحوه الإمام أحمد عن حذيفة رضي الله عنه في الزهد: (ص٢٦٥).

وأنا أقول: آخِرُ ما يُفْقَدُ منه الأَمْرُ بالمعروف، ثم التوحيد.

وقد اتَّفَقَ الفقهاء على قَتْلِ من تَرَكَ الصلاة، وإنما اختلفوا في صِفَةِ قَتْلِه[١].

فقال بعضهم: يُقتل بالسيف.

وقال أهل العراق: يُقتل بالسَّوْطِ[٢].

وقد سئل النبي ﷺ: «أَيُّ الأعمال أفضل؟ قال: الصلاة لوقتها»[٣].

وثبت عنه أنه قال: «الصلاة لأوَّل وَقْتِها»[٤].

وكما أنها أَفْضَلُ الأعمال، كذلك هي في تَرْكِها أَشَدُّ الكبائر[٥].

وروى أحمد بن حنبل عن أبي الدرداء: «إني لأَعْلَمُ بشِرَارِكُم من البَيطار بالخيل؛ هم الذين لا يأتون الصلاة إلا دُبْرًا، ولا يسمعون القرآن إلا هُجْرًا، ولا يُعْتَقُ مُحَرَّرُهم[٦]»[٧].

---

(١) ينظر: التمهيد: (٤/٢٢٥)، ونهاية المطلب: (٢/٦٥١)، والمقدمات: (١/١٤٤)، والعواصم: (ص٢٦٣-٢٦٤).

(٢) العواصم: (ص٢٦٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، رقم: (٥٢٧-طوق).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه عن أم فروة رضي الله عنها: أبواب الصلاة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الوقت الأول من الفضل، رقم: (١٧٠-بشار)، وأشار أبو عيسى إلى ضعفه.

(٥) في (س): كذلك تركها أشد الكبائر، وفي (ص): هو أشد.

(٦) قوله: «ولا يعتق محررهم» سقط من (س) و(ص) و(ف) و(ز)، وبعده في (د) - أيضًا - ما لم أتبيَّنه، وظهر لي منه: «أي: .. لم يطلقوه»، وبعدها كلمتان لم أستطع قراءتهما، والله أعلم.

(٧) أخرجه أبو نُعَيم في الحلية: (١/٢٢١)، ولم أجده في الزهد للإمام أحمد.

وقد رُوِيَ في الحديث الحسن: «إنَّ أوَّل ما يُقضى فيه من الحقوق الدِّمَاءُ»[١]، «وأوَّلُ ما ينظر فيه من الأعمال الصلاةُ، فإن جاء بها نُظِرَ في سائر عمله، وإن لم يأت بها لم يُنظر له[٢] في شيء»[٣].

وقال ﷺ - في الصحيح -: «تَرَوْنَ ربَّكم كما ترون القمر ليلة البدر، لا تُضَامُونَ في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا، ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾[٤] [ق:٣٩]»[٥].

[مراعاةُ أوقات الصلاة بالآلة الشمسية]:

وقد قال أبو الدرداء: «سبعة في ظل الله يوم القيامة؛ فذكر منهم[٦]: ورَجُلٌ يراعي الشمس لمواقيت الصلاة»[٧].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه: كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة، رقم: (٦٥٣٣-طوق).

(٢) سقط من (د) و(ص).

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ بلاغًا: جامع الصلاة، (١/٢٣٣)، رقم: (٤٨٢-المجلس العلمي الأعلى).

(٤) في (س) و(ز) و(ف): وقبل غروبها، وفي جميع النسخ: ﴿فسبح﴾، وكذلك هي في صحيح البخاري.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن جرير رضي الله عنه: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، رقم: (٥٥٤-طوق).

(٦) في (س) و(ص) و(ف): منها.

(٧) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد عن سلمان رضي الله عنه موقوفًا: (ص١٨٩).

ويُرِيدُ به: ببَصَرِه، لا بآلَةٍ؛ فإن النَّظَرَ في «الآلَةِ» مُحْدَثٌ، لم يكن قَطُّ في القرون الثلاثة المُثْنَى عليها، فاقذفُوها من قلوبكم قبل أن تَرْمُوا بها من أيديكم، فإن الشيطان لمَّا رأى الناس يزهدون تَدَيُّنًا عن «الإِسْطِرْلَاب» هَجَمَ عليهم في «آلة» سمَّاها «مِيزَانًا»، فاغترَّ الناس بها، ولم يعلموا في أي كِفَّةٍ توضع من[1] الميزان، وما أنزل الله بها من سلطان، ولا كان عليها السَّلَفُ في سائر الأزمان.

وكان آخِرُ ما أوصى به النبيُّ ﷺ: «الصلاة، وما ملكت أيمانكم»[2].

[فرائضُ وسُنَنُ وفضائلُ الصلاة]:

وهي فريضةٌ، ولها فرائضٌ وسُنَنٌ وفضائلُ في قول العلماء.

قال لي ذَانَشْمَنْد[3]: «إذا صلَّى المرءُ فليأت بهيئة الصلاة المعلومة، وليس يحتاج أن يَنْوِيَ بها فَرْضًا من سُنَّةٍ، ولا يُعَيِّنُه في النيَّة، وإنما ينوي الصَّلَاةَ مُطْلَقًا على هيئتها المعلومة الكاملة».

[٩٧/ب] وهذا صحيحٌ؛ لأنه[4] لا يَخْلُو أن يكون نَظَّارًا/ أو مُقَلِّدًا، وأيهما كان فليس يَخْلُصُ له عِلْمُ الفَرْضِ منها من النفل إلَّا بعد عناء؛ لاختلاف الأدلة في ذلك، واختلاف الروايات، فلا النَّظَّارُ يخلصُ له دليل، ولا المُقَلِّدُ تصحُّ له رواية.

---

(١) في (د): في.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه عن علي رضي الله عنه: كتاب الأدب، بابٌ في حق المملوك، رقم: (٥١٥٦-شعيب).

(٣) في (س) و(ص): ذانشمند، ويعني به الإمام أبا حامد الطوسي رحمه الله، ومعناه: عالم العلماء، كذا في طرة بـ (س).

(٤) سقط من (س).

وهذا النَّبِيُّ ﷺ لم يُبَيِّنْ للأعرابي فَرْضًا من سُنَّةٍ، وإنما قال له: «صَلِّ»، وعَلَّمَه مُطْلَقَ الهيئة، فقال له: «كَبِّرْ، واقرأ ما تيسَّر معك من القرآن»، وفي رواية: «فاتحة الكتاب، وما تيسر معك من القرآن»، والأوَّل أصح، «ثم اركع حتى تطمئنَّ راكعًا، ثم ارفع حتى تستويَ قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئنَّ ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئنَّ جالسًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا[١]، ثم افعل في صلاتك[٢] كلها ذلك»[٣]، فلَمْ يَسْتَوْفِ له هيئة الصلاة، وقد كان نَزَلَ كَمَالُهَا.

ووَصَفَ عَشَرَةٌ من أصحاب النبي ﷺ صلاتَه؛ روى محمد بن عمرو بن عطاء[٤] عن أبي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، قال: سمعته وهو في عشرة من أصحاب النبي عليه السَّلام - أحدُهم أبو قتادة - يقول: «أنا أَعْلَمُكم بصلاة رسول الله ﷺ، قالوا: ما كنت أَقْدَمَنا له صحبة، ولا أكثرنا له إِتْيَانًا، قال: بلى، قالوا: فاعرض[٥]، فقال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة اعتدل قائمًا، ورفع يديه حتى يُحَاذِيَ بهما مَنْكِبَيْهِ، فإذا أراد أن يركع رَفَعَ يَدَيْه حتى يُحاذي بهما منكبيه، فإذا أراد أن يَرْفَعَ رَفَعَ يَدَيْه حتى يحاذي بهما

---

(١) قوله: «ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا» سقط من (س) و(ف) و(ص).

(٢) في (س) و(ف) و(ز): صلواتك، ومرَّضها في (د)، وأثبت في الطرة: صلاتك، وصحَّحها.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب الأذان، باب استواء الظهر في الركوع، رقم: (٧٩٣-طوق).

(٤) في (س) و(د) و(ف): فقالوا: عن عمرو بن عطاء.

(٥) في (س): فأعرض.

منكبيه، ثم قال: الله أكبر، وركع ثم اعتدل، فلم يَصُبَّ رأسَه ولم يُقْنِعْ، ووضع يديه على ركبتيه، ثم قال: سمع الله لمن حمده، ورفع يديه واعتدل حتَّى يرجع كلُّ عَظْمٍ في موضعه مُعْتَدِلًا، ثم أَهْوَى[١] إلى الأرض، ثم قال: الله أكبر، ثم جَافَى عَضُدَيْه عن بطنه، وفَتَخَ أصابع رجليه، ثم ثَنَى رِجْلَه اليُسرى وقَعَدَ عليها، ثم اعتدل حتى يرجع كلُّ عَظْمٍ في موضعه مُعْتَدِلًا، ثم أَهْوَى ساجدًا، ثم قال: الله أكبر، ثم ثَنَى رِجْلَه وقَعَدَ واعتدل حتَّى يَرْجِعَ كُلُّ عَظْمٍ في موضعه، ثم نهض، ثم صنع في الركعة الثانية مثل ذلك، حتى إذا قام من السجدتين كبَّر ورَفَعَ يديه حتى يُحاذي بهما منكبيه؛ كما صنع حين افتتح الصلاة، ثم صنع كذلك حتى كانت الركعة التي تنقضي فيها الصلاة أخَّر رِجْلَه اليسرى وقعد على شِقِّهِ مُتَوَرِّكًا، ثم سَلَّم»[٢].

قال الإمام الحافظ أبو بكر[٣] رضي الله عنه: فالحديثُ الأوَّل في أَمْرِه، والثاني في فِعْلِه، وليس في واحد منهما استيفاءٌ للفرائض على رأيكم، ومنها فَرْضٌ[٤]، ومنها ما ليس بفَرْضٍ، والخَطْبُ في ذلك مُعْضِلٌ، وما رأيتُ من كَشَفَ هذه الكُرْبَةَ، وقد بيَّنتُها في «شَرْحِ الحَدِيثِ» و«المسائل»[٥].

---

(١) في (د) و(ص): هوى.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الصلاة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في وصف الصلاة، رقم: (٣٠٤-بشار).

(٣) في (د) و(ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي.

(٤) قوله: «ومنها فرض» سقط من (د) و(ص).

(٥) ينظر: القبس: (١/٢١٧).

١ والذي أَجْمَعَتْ عليه الأمة في الصَّلَاةِ النِّيَّةُ عند الدخول، دون تكبير وقراءة آية واحدة بالعجمية، والركوع دون الطمأنينة، والسجود/ كذلك، [٩٨/أ] والخروجُ عن الصلاة بنِيَّةٍ دون سَلَامٍ بأي فِعْلٍ كان ممَّا يضادُّ الصلاة، فلو اقتصر أَحَدٌ على ما أجمعت[1] عليه الأمة في فرائض الصلاة لجاء بصورة لَعِبٍ لا بصورة عبادة، وإذا جاء بما وَصَفَ أبو حُمَيْدٍ جاء بصفة حسنة، وليست[2] بفَرْضٍ بالإجماع، فلذلك قال: «إنَّ عليه أن يأتي بالصلاة على أكمل الأوصاف، ولا يُعيِّنَ في نِيَّتِهِ فَرْضًا من سُنَّةٍ»[3]، وإنما عليه الاقتداء بالنبي عليه السَّلام.

فإن قيل: فما يفعل إذا سَهَا؟

قلنا: لم يُبْنَ[4] الكتابَ لمن سَهَا.

يُروى أن أحمد بن حنبل كان يمشي إلى شيبان الراعي[5] العابد زائرًا، فقال له الشافعي: «يا أبا عبد الله؛ أريد أن أزور معك شيبان، فقال له أحمد بن حنبل: أخاف أن تُكَلِّمَه بما يَكْرَهُ، قال: لا[6]، فتَوَاعَدَا ومَشَيَا إليه، فلمَّا بلغاه أَلْفَيَاهُ قد جعل الغَنَمَ في القِبْلَةِ يَحْرُسُها وهو[7] يُصَلِّي، فلمَّا سَلَّمَ

---

(١) في (د): اجتمعت.

(٢) في (ف) و(س): ليس.

(٣) يقصد قول الغزالي المتقدِّم.

(٤) في (س) و(ف): نَبْنِ.

(٥) العابد الزاهد، شيبان الراعي، توفي في حدود السبعين ومائة، أخباره في: الحلية: (٣١٧/٨)، وتاريخ الإسلام: (٤١٠/٤-٤١١)، والوافي بالوفيات: (١١٨/١٦).

(٦) سقطت من (س).

(٧) سقط من (س) و(ص).

قصداه وسلَّما عليه، وتحدَّثا، فلمَّا أرادَا الانقلاب عنه قال له الشافعي: من نسي سجدة من صلاته لا يدري من أي ركعة هي؟ قال له شيبان: ولِمَ نَسِيَ؟ هذا قَلْبٌ غَافِلٌ عن الله، فكَرِهَ أحمدُ مقالته، وقال له: قد كنتُ نَهَيْتُك عن هذا»[١].

فلهذا[٢] لم نَبْنِ[٣] هذا[٤] الكتاب على هذا الباب.

صلاةُ الجماعة:

والجماعة معنى الدين، وشعارُ الإسلام، وهي فرض كفاية، وليست من فرائض الأعيان، ولو لم يكن فيها إلَّا تَضْعِيفُ الأجر أو الدرجات؛ من عَشْرٍ، إلى خَمْسٍ وعشرين درجة، إلى سَبْعٍ وعشرين جُزْءًا.

ولو تركها أَهْلُ مِصْرٍ قُوتِلُوا، أو أَهْلُ حَارَةٍ أُجْبِرُوا[٥] عليها وأُكْرِهُوا.

وقد تطرَّق الخَلَلُ إليها اليوم بفساد الناس وفساد الأئمة؛ فأمَّا عامةُ الناس فلا يُمَكَّنُوا من التَّخَلُّفِ عنها، ولا حُجَّةَ لهم في إمامهم أن يكون غير رِضًى[٦] عندهم، فإنه مِثْلُهم، وإنما يَطْلُبُ الأَفْضَلَ الأَفْضَلُ، وإنَّما يكون

---

(١) رسالة القُشَيري: (ص٤٣٥)، والسائلُ فيها أحمد لا الشافعي، ويبعد أن تكون هذه الحكاية صحيحة، فوفاةُ شيبان الراعي كانت قبل أن يلقى الإمامُ أحمدُ شيخَه الشافعي، والله أعلم.

(٢) في (د) و(ص): فلذلك.

(٣) في (ص): يُبْنَ.

(٤) سقط من (س).

(٥) في (س) و(ف): جُبِروا.

(٦) في (د): رَضِيّ.

إمامُك مِثْلَك، وتقول: «لا أصلي خلفه»، فلا تُصَلِّ أنت إذًا، فإنَّ ما يَقْدَحُ في صلاتك يَقْدَحُ في صلاته، وما تَصِحُّ به صلاتُه تَصِحُّ به صلاتُك.

[إمامةُ الفاسق]:

ومسألةُ إمامة الفاسق ذَهَبَتْ بما فيها لعُموم هذه الصفة، ولو لم يتقدَّم اليوم للإمامة إلَّا عَدْلٌ؛ ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾.

«والصَّلَاةُ أَحْسَنُ ما يَفْعَلُ الناس، فإذا أَحْسَنُوا فأَحْسِنْ معهم، وإذا أساؤوا فاجتنب إساءتهم»[1]، إلَّا أن يَجُوزَ الرَّجُلُ مَرْتَبَتَه، وتَشْتَهِرَ للعَالِمِ منزلتُه، ويتخلَّف عن المسجد، فيَذْكُرُ عُذْرًا أو لا يذكره، فيُقْبَلُ ذلك منه ويُخَلَّى[2]، كما فَعَلَ مَالِكٌ وغيرُه من العلماء.

وقد قال عثمان بن أبي العاص: «لولا الجُمُعَةُ وصلاةُ الجماعة لبَنَيْتُ في أعلى داري هذه بَيْتًا، فلم أخرج منه حتى أخرج إلى قبري»[3].

فإن خاف فساد حاله تَرَكَ ذلك كلَّه؛ ودَخَلَ في سِرْبٍ، وعَضَّ على أَصْلِ شجرة.

---

(١) أخرجه البخاري من قول عثمان رضي الله عنه: كتاب الأذان، باب إمامة المفتون والمبتدع، رقم: (٦٩٥-طوق).

(٢) سقط من (س)، وبعده في (س) و(ص) و(ف): وما رأى، وضرب عليه في (د).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في الزهد: (ص١٩٠).

[٩٨/ب] وروى البخاري/ - في كتاب الصلاة - عن أبي هريرة قال: «يُصَلُّونَ لكم، فإن أصابوا فلكم، وإن أخطأوا فلكم وعليهم»[١].

[الرفعُ قبل الإمام]:

وأشدُّ ما على الناس[٢] في[٣] القدوة أنهم يضعون قبل الإمام ويرفعون استعجالًا؛ لأن نواصيهم بيد شيطان[٤]، وهلَّا تفكروا في أنهم لا يُسَلِّمُونَ قبله، وينبغي لهم أن لا يضعوا رؤوسهم للركوع حتى يَرَوْهُ راكعًا مطمئنًا، فإن لم يكونوا بحيث يَرَوْنَه فحتَّى يُتِمَّ[٥] تكبيره، وكذلك لا يرفعوا حتى يُتِمَّ تكبيره، ولا يُكَبِّرُوا للإحرام حتى يُتِمَّ تكبيره، ولا يُسَلِّمُوا حتى يُتِمَّ تسليمه.

وفي صحيح الحديث: «أمَا يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يُحَوِّلَ الله صُورَتَه صُورَةَ حِمَارٍ؟»[٦].

قال علماؤنا: يعني به: «صورة الحمار الباطنة من البلادة»[٧].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأذان، باب إذا لم يتم الإمام وأتم من خلفه، رقم: (٦٩٤-طوق).

(٢) في (د): الإنسان، ومرَّضها.

(٣) في (س): من.

(٤) إشارة إلى الحديث الذي أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي هريرة ﷺ موقوفًا: كتاب الصلاة، ما يفعل من رفع رأسه قبل الإمام، (١/١٦٨)، رقم: (٢٤٧-المجلس العلمي الأعلى).

(٥) في (د): يتمم.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب الأذان، باب إثم من رفع رأسه قبل الإمام، رقم: (٦٩١-طوق).

(٧) الإحياء: (ص١٢٠).

ولا بَلَادَةَ أَعْظَمُ من أن يَرْبِطَ معه نِيَّةَ الاقتداء به ثم يُلْزِمُ نفسه أَلَّا يَعْقِدَ[١] الصلاة قبله، ثم يخالفه ويَحُلُّ[٢] ما رَبَطَ من الاقتداء به.

وفيه: «أن أَحَدًا منَّا ما كان يَحْنِي ظهره حتى يَسْتَتِمَّ النبيُّ ﷺ ساجدًا، ثم نقعُ سُجُودًا بعده»[٣].

صِفَةُ النِيَّةِ:

بَعَثَ الله مُحَمَّدًا ﷺ بالحنِيفِيَّة[٤] السَّمحة فقال: «صلُّوا الظهر والعصر، وكذا وكذا»، فهو الذي يفتقر المرء إليه.

وقال بعضهم - مُتَنَطِّعًا -: «يَنْوِي فَرْضَ الوَقْتِ»[٥].

وهذا إنما هو لمن كانت عليه صلاةٌ[٦] مَنْسِيَّةٌ فهو يَقْضِيها، فيفتقرُ إلى التمييز.

وتنطَّع بعضهم فقال: «أقولُها بلساني»[٧].

---

(١) في (د) - أيضًا -: يُتِم.

(٢) في (د): يُخِل بما.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن البراء رضي الله عنه: كتاب الأذان، باب متى يسجد من خلف الإمام، رقم: (٦٩٠-طوق).

(٤) في (د): الحنفية.

(٥) ذَكَرَ ذلك الإمامُ أبو المعالي في نهاية المطلب: (١١٧/٢)، وأحال على كتابه «الأساليب»، ولعلَّ ابن العربي أخذه من هذا، فهو من جملة الكتب التي أدخلها إلى الأندلس، وينظر: الإحياء: (ص١٨٠).

(٦) سقطت من (س) و(ص).

(٧) نهاية المطلب: (١٧٠/٢).

وليستْ حينئذ بنِيَّةٍ[١]، ولم يُشْرَعْ عندنا افتتاحُ قَوْلٍ قبل النية.

وبعد التكبير؛ اختلف الناس فيما يُقال ويُقرأ.

وجاء بعضهم بالـدَّرْدَبِيسِ[٢] فقال: «يُجَرِّدُ الإيمان، ويُحْضِرُ التَّوْحِيدَ»[٣].

وهذا باطلٌ قَطْعًا، فإن هذا يَلْزَمُ في كُلِّ فِعْلِ طَاعَةٍ أو تَرْكٍ، ولا يمكن هذا، فلم يَبْقَ إلَّا أنَّ حُكْمَ الإيمان عليه مُسْتَرْسِلٌ، وتكفي نِيَّةُ القُرْبَةِ للآمِرِ بها، أو نِيَّةُ التَّرْكِ للنَّاهِي عنه، وقد قال تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام:١٦٤ - ١٦٥]، فليس على العبد أكثر من ذلك.

[نَقْدُ قول ابن رشد في تقديم النية على التكبير]:

وتَعَدَّى حَدَّه من ليس من أهل الفِقْهِ فقال: «يجوز تقديمُها قبل التكبير»[٤]، حَمْلًا على مسألة في الطهارة - ليس لها أَصْلٌ في الرواية - في الحمَّام والنَّهْرِ، ولو صَحَّتْ لَمَا حُمِلَ أَصْلٌ متفق عليه؛ وهو النية في الصلاة، على فَرْعٍ مُخْتَلَفٍ فيه؛ وهو النية في الوضوء، فهذا عَكْسُ الإسلام، وقَلْبُ الأدلة، ولا يَفْعَلُ هذا إلَّا منكوس القَلْبِ[٥].

---

(١) في (س): نية.

(٢) الدردبيس: الداهية، تاج العروس: (١٦/٦٣).

(٣) ولأبي المعالي قولٌ قريبٌ منه، ذكره ابن العربي في المسالك: (٢/٣٤٥)، والقبس: (١/٢١٠).

(٤) هذا قَوْلُ الإمام ابن رُشْدٍ الكبير رحمه الله، ذَكَرَه في المقدمات الممهدات: (١/١٥٦، ١٧٠).

(٥) ينظر: القبس: (١/٢٠٩-٢١٠)، والمسالك: (٢/٣٤٥).

صِفَةُ القراءة:

١ يَقْرَأُ الإمامُ والفَذُّ بغير خلاف، وأمَّا المأموم فيما جَهَرَ فيه الإمامُ فلا[١] يَحِلُّ له أن يَقْرَأَ؛ لأنَّ فَرْضَه/ الاستماعُ والإنصاتُ. [٩٩/أ]

وأمَّا الذي يُسِرُّ فيه الإمام أَوْ لَا يَسْمَعُه المأموم[٢] فليقرأ فيه ضرورةً، فإن لم يَقْرَأْ بَطَلَتْ صَلاَتُه عندي، ولا يقرأ إلَّا بقلبه، فإن قَرَأَ بلسانه وقَلْبُه ذاهلٌ لم تُكْتَبْ[٣] له، ولا أَقْبَلَ الله عليه؛ لأنه يُعْرِضُ عنه، ومن أَعْرَضَ أَعْرَضَ الله عنه.

قال النبي ﷺ - في صحيح[٤] الصحيح -: قال الله تعالى: «قَسَمْتُ الصلاة بيني وبين عبدي نِصْفَيْنِ؛ فنِصْفُها لي ونصفُها لعبدي، ولعَبْدِي ما سأل، قال رسول الله ﷺ: اقرأوا، يقول العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، يقول الله: حَمِدَنِي عَبْدِي، يقول العبد: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، يقول الله: أثنى عَلَيَّ عَبْدِي، يقول العبد: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، يقول الله: مَجَّدَنِي عبدي، يقول العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فهذه الآيةُ بَيْنِي وبين عبدي، ولعَبْدِي ما سأل، يقول العبد: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، وقرأ إلى آخرها، فهؤلاء لعبدي، ولعبدي ما سأل»[٥].

---

(١) في (س): لا.

(٢) في (د): في خـ: المأمومون.

(٣) في (د): تكتب.

(٤) مرَّضها في (د)، ولا معنى لتمريضه، فصحيح الصحيح عند الإمام ابن العربي هو كتاب «الموطأ» للإمام مالك رضي الله عنه.

(٥) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الصلاة، القراءة خلف الإمام فيما لا يجهر فيه الإمام، (١/١٦١)، رقم: (٢٢٦-المجلس العلمي الأعلى).

وهذا إنَّما يكونُ لسالم القَلْبِ حَاضِرِ النِّيَّةِ، فهو الذي يَتَّصِفُ بأنه حَمِدَ ومَجَّدَ وأَثْنَى، ولذلك قال النبي ﷺ: «أمَا يخشى الذي يَرْفَعُ رأسه إلى السماء في الصلاة أن يُخْطَفَ بصرُه»[(١)]، وذلك أن النبي عليه السَّلام أخبر «أن الله تعالى تِلْقَاءَ وجهه»[(٢)]، فإذا صار الربُّ في قِبْلَتِه، وكان - كما صَحَّ - تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فكيف يرفع بصره إلى غيره[(٣)]؟

والسماءُ قِبْلَةٌ للدعاء، والكعبة قِبْلَةٌ للصَّلاة، والله فيهما جميعًا؛ تعظيمًا وعِلْمًا، وليس فيهما إحاطةً ومكانًا[(٤)].

وليَعْلَمْ أنه قائمٌ بين يَدَي الله، وهو عليه مقبل[(٥)]، فلا يلتفت ولا يعبث، وليُقْبِلْ عليه بقلبه، فإنَّ النية تُحَرِّمُ الكلام والأفعال والأقوال، إلَّا فيما[(٦)] كان من[(٧)] الصلاة في اليَسِيرِ؛ ضَرُورَةَ البشرية، ونَفْيًا للحرج عن الأمة في هذه المِلَّةِ.

فإذا ركع فليُمَكِّنْ يَدَيْه، وليَهْصِرْ ظهره، ولا يَرْفَعُ رأسه ولا يَخْفِضُه، وإنما يكون نِصْفُه الأسفلُ قائمًا، ونصفُه الأعلى نائمًا مُعْتَدِلَ النَّوْمِ؛ بحيث

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الصلاة، باب النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة، رقم: (٤٢٩-عبد الباقي).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما: كتاب الصلاة، باب حك البزاق باليد من المسجد، رقم: (٤٠٦-طوق).

(٣) في (س) و(ف): السماء.

(٤) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص١٦٤)، والأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٤٣٩/١).

(٥) في (د): مقبل عليه.

(٦) في (د): ما.

(٧) في (د): ما كان في.

لو جُعِلَ على ظهره كُوزُ مَاءٍ لم يَنْكَفِ منه شَيْءٌ، ثم يَفْعَلُ كما في حديث النبي ﷺ آمِرًا وفَاعِلًا[١]، وكلُّ فِعْلٍ منها بخشوع وملاطفة وتَمَلُّقٍ، حتى إذا سَجَدَ عَلِمَ أنه أَقْرَبُ ما يكون من رَبِّه، فليُكْثِرْ من تعظيمه ومسألته، ولا يَنْقُرُ أَرْبَعًا؛ لا يَذْكُرُ الله فيها إلَّا قَلِيلًا، وإذا[٢] ركع قال: «سبحان الله العظيم[٣] وبحمده»، ثلاثًا، فإذا رفع رأسه من الركوع قال: «ربَّنا ولك الحمد حَمْدًا كثيرًا طَيِّبًا مباركًا فيه»، فإذا سجد قال: «سبحان ربي الأعلى»، ثلاثًا، فإذا رفع رأسه من السجود[٤] قال بين السَّجدتين: «اللهم اغفر لي، وارحمني، وارزقني»، ولا يُخْلِي[٥] هذه الأحوال من[٦] ذِكْرِ الله؛ فإنها أجسادٌ، والذِّكْرُ فيها أَرْوَاحُها، وفي ذلك آثارٌ[٧] كثيرةٌ صِحَاحٌ،/ اطلبوها واذكرُوا ما أمكنكم منها. [٩٩/ب]

ويُبَكِّرُ في أوَّل الوقت بها، فإن أفضل الأعمال الصلاة لأوَّل وَقْتِها، والتأخيرُ جائز، ولكن إن مات عصَّاه[٨] قَوْمٌ وأَثَّمُوه، وفَاتَهُ عند الآخرين ما لا يَنْجَبِرُ له أبدًا.

وقد قال عمر رضي الله عنه: «لا حَظَّ في الإسلام لمن تَرَكَ الصلاة»[٩].

---

(١) في (د): أمرًا وفعلًا.

(٢) في (د): فإذا.

(٣) في (د) و(ص): سبحان الله.

(٤) في (س) و(ف): السجدة.

(٥) في (ص): تخلي.

(٦) في (د) و(ص): عن.

(٧) في (د): أخبار.

(٨) في (د): عصَّوه.

(٩) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: كتاب الطهارة، العمل فيمن غلبه الدم من جرح أو رعاف، (١٢٦/١)، رقم: (٩٥-المجلس العلمي الأعلى).

وقال: «من حفظها»؛ يعني: في نفسها، «وحافظ عليها»[١]؛ يريد: دَاوَمَ عليها.

ولا يأتي بها صُورَةً بلا رُوحٍ؛ فإنَّ المقصود بها إِصْلَاحُ الباطن وتَمْرِينُ الأعضاء في الظاهر؛ باكتساب الذِّلَّةِ، والاعتراف بالعِزَّة[٢] للعَلِيِّ المُتَعَالِي، فلا يستقبلُ القِبْلَةَ بجسده، ويستقبل بقَلْبِه المعاصي أو الدنيا؛ فيتناقض ظاهرُه وباطنُه، فيكون نوعًا من النفاق، أو إعراضًا[٣] محضًا عن الله وإقبالًا على غيره، كما قال بعضُ البَطَّالِين[٤]:

أراني إذا صَلَّيْتُ يَمَّمْتُ نحوها بوَجْهِي وإن كان المُصَلَّى وَرَائِيَا
ووالله ما أَدْرِي إذا ما قَضَيْتُها اثنتين صَلَّيْتُ الضُّحَى أم ثَمَانِيَا

وهذه حالُ الناس مع دنياهم في عبادتهم اليوم، إلا أن الرجل قد يَتَدَبَّرُ ما يقرأ أو يَعرِضُ له ذِكْرٌ من أَمْرِ الأُخْرَى[٥] فيَلْحَقُه سَهْوٌ، وهذا عند الله عَفْوٌ، ولا يقدر على حَبْسِ القلب على فِعْلِ الصلاة إلَّا صَابِرٌ، كما لا يقدرُ على الدخول فيها إلَّا صَابِرٌ، ولأَجْلِ هذا قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُواْ

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ من قول عمر رضي الله عنه: كتاب وقوت الصلاة، وقوت الصلاة، (١/١٠٠)، رقم: (٧-المجلس العلمي الأعلى).

(٢) في (د): بالعز.

(٣) في (د) و(ص): وإعراضًا.

(٤) البيتان من الطويل، ووقع في نسبتها وألفاظها وترتيبها خلاف، فهي للمجنون في ديوانه (ص١٢٤) بترتيب آخر، وهما في الأمالي: (١/٢١٤) منسوبان له أيضًا بتأخير وتقديم، ونَسب الثاني له ابن حجة في قصيدة في خزانة الأدب: (١/٤٢٤)، ونُسب الثاني لذي الرُّمَّة، وهو في ديوانه: (٢/١٣٠٩).

(٥) في (د): الآخرة.

بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة:٤٤]، وقد قال النبي ﷺ: «إن المصلي يناجي ربه»(١)، وما تجلَّى الله لشيء إلَّا خَشَعَ له، إلَّا قلب الغافل.

ومن حِفْظِ الصَّلَاةِ أن تدخل فيها بالهَيْبَةِ(٢) وبالتعظيم، وتقوم فيها بحالة الأدب.

ونَعْتُ الخشوع تَفْرِيغُ القلب لها، ولذلك قال الله - إذ كانت الخمرُ حَلَالًا -: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء:٤٣]، لأنه يَفُوتُ معه(٣) رُوحُ الصلاة؛ من حضورِ النيَّة، وفَهْمِ القراءة، ولُزُومِ الخُشُوعِ، وتحقيقِ قَصْدِ القُرْبَةِ.

قال الحَارِثُ وأصحابُه: «وسُكْرُ الغَفْلَةِ أَشَدُّ من سُكْرِ الخَمْرَةِ(٤) إذا استولى حُبُّ الدنيا على النفس، وتراكمت شُغُوبُها(٥) على القَلْبِ؛ لأن سُكْرَ الخَمْرِ منه إِفَاقَةٌ، وهذه لا إفاقةَ منها(٦)».

طهارةُ الصلاة:

وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة:٧]، فَأَمَرَ بالطهارة للصَّلاة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس ﷺ: كتاب الصلاة ومواقيتها، باب المصلي يناجي ربه عز وجل، رقم: (٥٣١-طوق).

(٢) في (د) و(ص) و(ف): تدخل فيها، مرَّضها في (د)، وفي (س): تخرج فيها، وفي (ز): منها.

(٣) في (س) و(ف): منه.

(٤) في (د): الخمر.

(٥) في (د): شعوبها، وفي (ز): شغوفها.

(٦) في (س): لها.

وقال علماؤنا: «إن طهارة العلانية هذه الآية، وطهارةُ السرائر مشروعةٌ مثلُها وآكَدُ[١]»[٢].

وكما أن طهارة الأبدان الماءُ، فكذلك طهارة السرائر التقوى، فإن فاتت فالتوبة، وما جُعِلَتْ هذه[٣] الطهارة/ في هذه الأعضاء إلَّا أنها مَحَلُّ الخطايا، فإذا قَارَفَتْهَا طَهَّرَها الماءُ بالنيَّة؛ فنَظَّفَها عن الذي تَرَحَّضَتْ[٤] به، وغسلها ممَّا توسَّخت منه، ولو لم تكن نيَّة ما كانت طهارة، ولا وقعت كفَّارة، وإن لم تجد ذلك وَقَعَتْ دَرَجَاتٍ وقُرْبَةً.

١ [١٠٠/أ]

قالوا[٥]: وكما عليك غَسْل وجهك إذا أردت استقبال الله به فاغْسِلْهُ بالنية عن بَذْلِه للأَشْكَالِ المحتاجين مثلك؛ الذين لا يقدرون على شيء لك إلَّا به[٦]، وأَقْبِلْ بوجهك الذي هو القَصْدُ إلى الله وحده دون مَزْجِه بغيره، فإنه قد أَقْبَلَ عليك، واغْسِلْ يديك عن ملامسة الحرام، حتى ترفعهما إلى الله طاهرتين عن نَتْنِ[٧] الآثام، وأنت[٨] تَسْتَعْظِمُ وتَسْتَنْكِفُ عن رَفْعِهما[٩] إليه مملوءتين نَتْنًا، وما تَنَاوَلْتَ بهما وجَمَعْتَ فيهما أَنْتَنُ ممَّا اسْتَنْتَنْتَ،

---

(١) في (د): وأكثر، وفي (ص) و(ز): وأكبر.

(٢) لطائف الإشارات للقُشَيري: (١/٤٠٥).

(٣) سقطت من (د) و(ص).

(٤) في (س): ترخصت.

(٥) لطائف الإشارات للقُشَيري: (١/٤٠٥)، وزاد عليه ابن العربي زيادات.

(٦) في (س) و(ف): بك.

(٧) سقطت من (د) و(ص).

(٨) في (د) و(ص) و(ز): فأنت.

(٩) في (د): رفعها.

وكما تَطْهُرُ الرَّأْسُ عن قَتَرَةٍ[١] تَعْلَقُ[٢] به، فتطهيرُه عمَّا في باطنك من نَخْوَةِ كِبْرٍ[٣]، وعَجْرَفِيَّةِ عُجْبٍ، أو تَوَاضُعِ لمَلِكٍ، أو لغَنِيٍّ، أو لظالم، أو في غَرَضٍ من الدنيا أوكد عليك[٤]؛ فإنَّ الله قد شَرَّفَهُ وشرَّفك به، فلا يكونُ لك عَمَلٌ إلَّا طاعةَ من شَرَّفكُما، وأنَّ الله أَمَرَكَ بغَسْلِ الرجلين، وهُما بَرِيدَاكَ، فصُنْهُما عن النَّقْلِ فيما لا يَحِلُّ لك.

وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا۟﴾ [المائدة:٧]، فأَوْجَبَ غَسْلَ جميع البدن، فطَهِّرْ أنت سِرَّكَ كلَّه عن عُمُومِهِ بالمُحَرَّمَاتِ، أو عِمَارَتِه بالبطالات، أو انسيابه في أَوْدِيَةِ الغَفَلَاتِ.

وكما إذا لم يَجِدِ المُتَطَهِّرُ[٥] الماءَ وأُعْطِيَ التراب بَدَلًا منه، فكذلك إذا لم يَجِدِ المُكِبُّ على المعاصي مُحَمَّدًا يَسْتَغْفِرُ له فَلْيَلْجَأْ إلى استغفار الله، فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣]، أو يستعين بإشارات الصَّالحين، وسيرة[٦] العلماء الراسخين، فلن يَعْدَمَ من عندهم تَسْدِيدًا، ولن[٧] يَفْقِدَ من لدنهم مَزِيدًا إن كان مُرِيدًا[٨].

---

(١) في (د): قتر.

(٢) في (د): عن قَترٍ يتعلق.

(٣) في (د): وكبر.

(٤) سقطت من (س).

(٥) ضبَّب عليها في (د).

(٦) في (د): بسيرة.

(٧) في (س) و(ف) و(ص): لا.

(٨) ينظر: لطائف الإشارات: (١/٤٠٥).

أخبرني أبو بكر الصوفي[١] - شيخي الأوَّل - قال[٢]: «جاءني رجلٌ فقال لي: إنه لم يَبْقَ ذَنْبٌ في الدنيا إلَّا ارتكبته، ولا معصية إلا أتيتُها، ولا كبيرة إلا تلبَّست بها، فماذا ترى لي؟ قال: ورأيتُ في وجهه سُفْعَةَ إصرار، وبَشَرَةَ تَمَادٍ واستمرار، فقلت له: يا هذا، وهلَّا أَبْقَيْتَ للصلح مَوْضِعًا، فبَدَرَنِي بالجواب قبل أن أُتِمَّ الكلام، وقال لي: وأَيُّ مَوْضِعٍ للصُّلْحِ أَعْظَمُ مِنْ أنَّ[٣] وَجْهِي لم يَسْجُدْ قَطُّ لسواه، ولا مَرَّغْتُه في التراب لغيره، فهالني قولُه، وأعجبني لُبُّه[٤]، وقلت له: أرجو لك الخير، والتَّوْبَةُ تَمْحُو جميع ما ذكرتَ، ولا يَتَعَاظَمُ معها ذنبٌ ممَّا وَصَفْتَ».

وقال[٥] شيوخُ نيسابور: «إذا عَدِمَ المُريد صحة الإرادة فليُقْبِلْ على وظائف العبادة، فإن جوارحه إذا تمرَّنت بها سَكَنَ/ قلبُه إليها، فاستنار له ما كان أَظْلَمَ، وانشرح ما أُبْهِمَ عليه واسْتَعْجَمَ، فهي شِفَاءُ العليل[٦]، وأُنْسُ المُسْتَوْحِشِ[٧]». [١٠٠/ب]

كان النبي ﷺ يقول: «يا بلال، أَرِحْنَا بالصلاة»[٨]، فأخبر أنه ما كان

---

(١) هو الإمام أبو بكر الطُّرطوشي، تقدَّم التعريف به في السِّفْرِ الأوَّل.

(٢) في (س): فقال.

(٣) سقطت من (س).

(٤) في (د) و(ص): نُبْلُه.

(٥) في (س) و(ف): قال.

(٦) في (س) و(ص) و(ف): الغليل.

(٧) في (س): المتوحش.

(٨) أخرجه أبو داود في السنن: كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، رقم: (٤٩٨٥ -شعيب).

يَجِدُ راحةً إلَّا فيها، ولم لا؟ وهي مناجاةُ المولى بأسرار البلاء والابتلاء، وهي غايةُ لَذَّةِ الآدمِيِّينَ، ومُنْتَهى أُمْنِيَةِ الطَّالِبينَ.

وإيَّاها عَنَى بَعْضُ البَطَّالِينَ حين قال[1]:

وإنـي لأَسْتَغْشِي ومـا بـيَ نَعْسَةٌ ... لعـلَّ خَيَـالًا مِنْـكِ يَلْقَـى خَيَالِيَـا

وأَخْرُجُ من بين الجُلُوسِ لعلَّني[2] ... أُحَدِّثُ عَنْكِ النَّفسَ باللَّيْلِ[3] خاليَا[4]

أخبرني أبو بكر النَّجِيب بن الأسعد[5] الصُّوفِي[6]، قال[7]: أخبرنا[8]

---

(١) في (س) و(ف): فقال.

(٢) في (د): لعلي.

(٣) في (د): يا ليل.

(٤) الأبيات للمجنون، وتقدَّم تخريجها.

(٥) في (س) و(ف): الأشقر.

(٦) الإمام المحدث العلَّامة، محمد بن طَرْخَان بن يَلْتكين بن مُبارِز بن بَجْكَم التركي، أبو بكر النَّجِيب بن الأسعد الصُّوفِي البغدادي، (٤٤٦-٥١٣هـ)، والطَّرْخَان: اسمٌ للرئيس الشريف في قومه، وضبطه السيِّد الزَّبيدي بالفتح، وغلَّط من ضبطه بغير ذلك، فقال: «ولا تَكْسِرْ وإن فَعَلَه المحدثون، والصوابُ الاقتصار على الفتح»، تاج العروس: (٣٠٢/٧)، وكان ذا حظ من عبادة وتأله وزُهْدٍ، لقيه ابن العربي ببغداد، وسمع منه الكثير، ومن طريقه يتصل بكتاب «جذوة المقتبس» لابن فَتُّوحٍ الأندلسي، قرأه عليه بدرب نُصَيْرٍ، وروى عنه أيضًا: «المغازي والسِّيَر» لابن إسحاق، و«أدب الدنيا والدين» للماوَردي، و«كتاب الغريبين» للهَرَوي، وغيرها، ينظر: قانون التأويل: (ص٢٩١) -ولم يَعْرِفْهُ مُحَقِّقُه، فلم يذكر فيه شيئًا-، وفهرس ابن خير: (ص٢٨١)، وسير النبلاء: (٤٢٣/١٩)، وطبقات الشَّافعية للتَّاج: (١٠٦/٦-١٠٧).

(٧) سقط من (س) و(ص) و(ف).

(٨) في (س): أخبرني.

أبو عبد الله الرُّصَافِي الصُّوفِي[١]: أخبرنا[٢] علي بن سعيد[٣]: أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الوارث قال: «رأيتُ يحيى بن مالك بن عائذ[٤] - وهو شيخٌ كبيرٌ - يُهَادَى إلى المسجد، وقد دخل والصلاة تُقام، قال: فسمعته يُنْشِدُ بأعلى صوته:

يا ربُّ لا تَسْلُبْنِي حُبَّها أبدًا ... ويَرْحَمُ الله عبدًا قال آمينَا[٥]

قال: فلم أَشُكَّ أنه يريد[٦] الصلاة»[٧].

قال علماؤنا: وهذا كلُّه إنما يريد الله به تَطْهِيرَنَا، وإنَّما يَرْجِعُ إلى منفعتنا؛ فإن الباري تعالى مُقَدَّسٌ أن يرجع إليه نَفْعٌ أو يَنَالَه مِنَّا خَيْرٌ، فيُطَهِّرُ أبداننا عن الأقذار ليجعل ذلك عُنْوَانًا لنا؛ لنُطَهِّرَ عن المعاصي ظَوَاهِرَنا، وعن الرذائل قُلُوبَنا، وعن الغفلات سَرَائِرَنا، ونُطَهِّرَ نِيَّاتِنَا عن التَّعَلُّقِ بالأمثال، وآمَالَنَا عن الإِكْبَابِ عليها في مُتَعَلَّقَاتِ الدنيا والاشتغال بها، ونُطَهِّرَ[٨] عقائدنا عن تَوَهُّمِه أو اتِّهَامِه[٩].

---

(١) هو الإمام العلَّامة المحدث، أبو عبد الله محمد بن فتُّوح الحُمَيدي الظاهري، توفي عام ٤٨٨هـ، لم يدركه ابن العربي، وإنما أدرك تلاميذه.

(٢) (س): أخبرني.

(٣) هو الإمام الحافظ أبو محمد علي بن سعيد بن حزم الظاهري، توفي عام ٤٥٦هـ بلَبْلة، ويتصل به ابن العربي وبمصنفاته من جهة والده الوزير أبي محمَّد، رحمهما الله ورضي عنهما.

(٤) في (ص) و(س): عائد.

(٥) البيت من البسيط، وهو لمجنون ليلى في ديوانه: (ص٣١).

(٦) في (د): أراد.

(٧) جذوة المقتبس: (ص١٥٨).

(٨) في (د): يطهر.

(٩) في (س) و(ف): واتهامه.

قال تعالى: ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة:٧]، لإِتْمَامِ[١] النِّعْمَةِ وُجُوهٌ لا تُحْصَى[٢]:

فمنها[٣]: التيسير للاعتمال بها.

ومنها: التمادي فيها.

ومنها: المحافظة عليها.

ومنها: القَبُولُ لها.

ومنها: الاعتصام بها.

فإنَّ المصلي في ذمة الله، وذِمَّةُ الله لا تُخفَرُ، ولذلك ينبغي للعبد عَقْدُها حتى تشتد مرابطها، وتستحكم معاقدها، فلا يكون للشيطان مَدْخَلٌ إليها، ولا لسُوءِ[٤] المقدار عَمَلٌ فيها، وهذا معنى قوله: ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ حيث وَقَعَ.

أي: لَازِمُوا وأديموا[٥] مناجاتي فيها، ولا تُخِلُّوا بشَرْطٍ، ولا تَلَبَّسُوا بسُوءِ أدب، وما تكرهونه فلا تأتونه.

أخبرنا الشيخ[٦] أبو الحُسَين[٧] الأَزْدِي[٨]: أخبرنا الحسن بن

---

(١) في (س) و(ص): إتمام.

(٢) ينظر: لطائف الإشارات: (١/٤٠٦).

(٣) في (س) و(ف) و(ص): منها.

(٤) في (س): في خـ: لسوى الله، وصحَّحه.

(٥) في (س): داوموا.

(٦) في (س) و(ف): أنا.

(٧) في (ص): الحسن.

(٨) هو الإمام ابن الطُّيوري، تقدَّم التعريف به في السِّفرِ الأوَّل، ويروي عنه هنا كتاب «الزهد» للإمام أحمد بن حنبل.

علي[١]: أخبرنا ابنُ حمدان: أخبرنا عبد الله بن حنبل عن أبيه أحمد[٢]: حدَّثنا عمر بن أيوب: أخبرنا جعفر عن[٣] ميمون قال: «إنَّ[٤] حذيفة وسلمان نَزَلَا على قِبْطِيَّةٍ، فلمَّا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ قالا: أَهَاهُنا[٥] مكانٌ/ طاهر يُصَلَّى[٦] فيه؟ قالت: طَهِّرْ قلبك، قال أحدُهما للآخر: خُذْهَا كَلِمَةَ حِكْمَةٍ من قَلْبٍ كَافِرٍ، وقال لها سلمانُ: فَقُهْتِ»[٧].

١ [١٠١/أ]

زِينَةُ[٨] الصَّلاة:

ولقد أَمَرَ الله تعالى بالسُّتْرَةِ فيها، لما[٩] يَقْبُحُ مطالعته من المنظرة[١٠] إلى العورة، ومَنَّ بها على الخليقة فقال: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [الأعراف:٢٥]، فقَبَّحَها لنا، وأمرنا[١١] بسَتْرِها بلِبَاسٍ هَيَّأَ[١٢] مَنَافِعَه، وأَلْهَمَ استعماله.

---

(١) هو أبو محمد الجوهري، ينظر: فهرس ابن خير: (ص٢٨٧).

(٢) مرضه في (د)، وفي الطرة: ابن أحمد، وصحَّحه.

(٣) في (د): بن.

(٤) سقطت من (س) و(ص).

(٥) في (س) و(ص): هاهنا.

(٦) في (ص): نُصلي.

(٧) الزهد للإمام أحمد: (ص١٨٩).

(٨) في (د): رتبة، وفي (س): نية.

(٩) في (س) و(ف) و(ص): فيما تقبح.

(١٠) في (ص): النظر، في (س): النظرة.

(١١) في (د) و(ص): أمر.

(١٢) في (د) و(ز): مُبَيِّنًا.

ثم قال: وثوب التقوى - لاتخاذ[١] الوقاية به من الذنوب - خَيْرٌ؛ فإن لباس الدنيا يَقِي من آفاتها، ولباس التقوى يَقِي من آفات الدنيا والآخرة[٢].

وزِينَةُ المسجد الذي جُعِلَ عبارة عن الصلاة في الظاهر مَنْعُ الجاهلية من كَشْفِ العورة عند الطواف بالبيت.

وإذا كان العبدُ طائعًا لمولاه دائمًا، وطالبًا لجدواه مستمرًّا؛ فليتزيَّنْ باللِّبْسَةِ المُعَدَّةِ لذلك، وهي حُلَّةُ التقوى، وصيانة النَّجْوَى، والخروجُ إلى الحقيقة عن الدَّعْوَى.

مَزِيدُ فَضْلٍ:

ومن كَرَمِ المَوْلَى أنه ضَرَبَ لعباده ميقاتًا لمناجاته في مُعْظَمِ الأوقات إلَّا في ثلاثة؛ عند وقوف الشمس في كَبِدِ السماء، وبعد الصبح حتى تطلع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب.

وقد شرَّف موسى بأن ضَرَبَ له ميقاتًا للمناجاة، وواعده للملاقاة، وشرَّف مُوسَى بالمكاشفة[٣]؛ وأنت - أيُّها العَبْدُ - مُخَاطَبٌ أيضًا ومُكَلَّمٌ، ولكن سَتَسْمَعُه في ميعادك[٤] وميقاتك في الجنَّة.

موعظة:

واعلموا - معشر المريدين - أن الصلاة إن لم تكن بالقَلْبِ وتُقَامُ بالجهر والسِّرِّ[٥] كانت مردودةً على صاحبها، فإنَّها ناقصةٌ في ذاتها، ولو

---

(١) في (س): لاتحاد.

(٢) ينظر: لطائف الإشارات: (١/٥٢٨).

(٣) في (س) - أيضًا -: بالمكالمة.

(٤) في (س): معادك.

(٥) في (س): بالسر والجهر.

نَقَصَ شَرْطٌ من شروطها لكانت ناقضةً[١]، فكيف إذا ذهب روحها؟ ولو أن عَبْدَكَ يَخْدُمُكَ وقلبُه مع غيرك لاستحق عندك العقوبة، أَوْ لاسْتَوْجَبَ الخَيْبَةَ.

وقد دعاك ربُّك إلى استغراق أوقاتك في عباداته[٢] فقال: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ [هود:١١٤]، فإن إخلاءَ لَحْظَةٍ من الزمان دون خِدْمَةٍ حَسْرَةٌ ونِقْمَةٌ.

وأنتَ - أيُّها العبدُ - تستكثر أو تستعظم أن تسجد أو تُمْضِي أوقاتَك كلَّها معمورة بالسجود له، وله ﴿يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾ [الرعد:١٥]، وأنتَ إذا سجدت طَوْعًا فقد حُزْتَ المرتبة العليا، والذي يسجدُ كَرْهًا عند حلول البلاء به خاصَّةً هو الكافر.

فأنتَ تَجَنَّبْ أن تسجد تَقِيَّةً لشيء، أو اجتلابًا لشيء، وإنَّما تكون طاعةً وقُرْبَةً، ويكون سجودُك بقلبك قبل جِسْمِك، وبقَصْدِك قبل وجهك، وذلك بعد تَحَقُّقِكَ أنه/ [١٠١/ب] هو[٣] الذي يَخْلُقُ سجودك وركوعك، وقَصْدَكَ ونِيَّتَكَ، وجميع أحوالك وصفاتك، فهذه عَقِيدَةُ الأَبِ الأكرم، وخَيْرِ البَرِيَّةِ المُعَظَّمِ، إبْرَاهِيمَ المُقَدَّمِ، حيث قال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم:٤٢]، فسأله أن يَخْلُقَ له أفعال الصلاة، إذ الجَعْلُ: الخَلْقُ، وهو سبحانه خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، والأعمال التي تَقُومُ بأبدان العباد منها، وهذا دَلِيلٌ عظيمٌ[٤] في الردِّ على القَدَرِيَّةِ في دعواهم أن الله لا يَخْلُقُ أعمال

---

(١) في (ص) و(س) و(ف): ناقصة.

(٢) في (ص): عباداتك، وفي (س) و(ف): عبادتك.

(٣) سقط من (د) و(ص).

(٤) سقط من (س) و(ز).

العباد، وهم الذين يخلقونها، تعالى الله عن[١] أن يَشِذَّ شَيْءٌ عن عِلْمِه[٢] وقُدْرَتِه[٣].

وأَنْتَ تُناجيه وهو قِبَل وَجْهِك فلا تُعرض عنه، ولا تلتفت إلى سواه؛ فإن ذلك اختلاسٌ يَخْتَلِسُه الشيطانُ من صلاتك[٤]، وكان النبي ﷺ لا يلتفت؛ لا في الصلاة ولا في غيرها، وكذلك كان أبو بَكْرٍ لا يلتفت في الصلاة[٥].

وروى البخاري عن أبي هريرة قال: «خرج النبي ﷺ لحاجته وكان لا يلتفت[٦]»[٧]، وقد تقدَّمت وَصِيَّةُ يحيى[٨] عليه السَّلام عن الله: «بأن لا تلتفتوا في الصلاة»[٩].

---

(١) سقط من (س) و(ز).
(٢) مرَّضها في (د)، وكتب في الطرة: خلقه، من غير تصحيح لها.
(٣) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٢٦١)، والأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/٢٩٤).
(٤) حديث: «هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد»؛ أخرجه البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كتاب الأذان، باب الالتفات في الصلاة، رقم: (٧٥١-طوق).
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: كتاب الأذان، باب من دخل ليؤم الناس فجاء الإمام الأول، رقم: (٦٨٤-طوق).
(٦) قوله: «في الصلاة، وروى البخاري عن أبي هريرة قال: خرج النبي ﷺ لحاجته وكان لا يلتفت» سقط من (س).
(٧) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الوضوء، باب الاستنجاء بالحجارة، رقم: (١٥٥-طوق).
(٨) في (ص): يحيى بن زكرياء عليهما السَّلام.
(٩) سبق تخريجه.

الاستراحةُ إلى الصلاة من أنكاد الدنيا وشُغُوبِها:

ولقد قال الله تعالى لنبيِّه وصَفِيِّه عليه السَّلام: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجر:٨٨]، فقد آتيناك من القرآن ما هو خيرٌ[1] منهم، حتى قال بعض المُتَزَهِّدَةِ[2]: «إن الله قَبَضَ بَصَرَ مُحَمَّدٍ عن الخَلْقِ، وأَرْسَلَ بَصَرَ موسى إلى الجبل».

وهذا تقصير؛ إنما أرسل الله بَصَرَ موسى على الجبل دِلَالَةً وعِبْرَةً، وقال لرسوله عليه السَّلام: ولا تحزن على ما فاتك منهم من إِقْبَالٍ عليك، وأَعْلِمْهُم بأنك[3] نَذِيرٌ بعذاب ينزلُ بهم كنزوله بمن تَقَاسَمَ من قَوْمِ صَالِحٍ، وبمن قَسَّم كتابنا إليك؛ فآمَنَ ببعضه وكَفَرَ ببعضه، واصْدَعْ بما تؤمر، وأعرض عمَّن لا يَقْبَلُ، فقد كفيناك من يستهزئ بك، ونحن عالمون بضِيقِ صَدْرِك بقولهم، فإن آذَوْكَ بالكلام القبيح فأَسْمِعْنا نَحْنُ مِنْكَ الكَلَامَ الحَسَنَ، ونَاجِنَا في سجودك، فذلك سَلْوَةٌ لك.

لمَّا عَلِمَ الله من استغراق قَلْبِ مُحَمَّدٍ وعِلْمِه، بأنه قد أَقْبَلَ عليه ولم يَبْقَ في قلبه مَحَلٌّ لغيره، قال الله له: قِفْ[4] في هذا المقام واستمر على العبادة، فسيأتيك يَقِينُ ما عندك عِلْمُه، أو يَقِينُ ما أخبرناهم به، فيأتيهم يقينُهم على شَكٍّ، ويأتي يَقِينُ النبي ﷺ على يَقِينٍ سَابِقٍ يَرْدِفُ يَقِينَ مُشَاهَدَةٍ على يَقِينِ تَصْدِيقٍ، وكذلك قال له: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق:٣٩].

---

(١) في (د) و(ص): خيرًا.

(٢) هو الإمام أبو القاسم القُشَيري، ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٢٨٠).

(٣) في (س): أنك. (٤) في (س) و(ص): وقف.

فإذا عَمَّتْ عبادتُك جميع الأوقات أَحْلَلْنَاكَ عندنا بأعلى الدرجات، فينبغي لكُلِّ من نزل به مَكْرُوهٌ، أو ضاق صَدْرُه بأَمْرٍ أن يلجأ إلى الصلاة؛ فإنها رَاحَةُ الفؤاد، ورَأْسُ الاعتماد.

[١٠٢/أ] وقال الله تعالى لموسى:/ ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِىٓ﴾ [طه:١٣].

قيل: «لتَذْكُرَني فيها وأذكرك بها»[١].

وقيل: «عند خَلْقِ الذِّكْرِ لك بها»[٢].

والكلُّ صحيح.

فالأوَّل: شَرَفٌ.

والثاني: شَرْطٌ.

وشَرَفُ الشيء بشَرْطِه، وبذلك يُدْرَكُ الفوزُ والنجاة، ويَحْصُلُ الفلاح والمُلْكُ، كما قال الله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون:١ - ٢]، فتستوي في الشرف سرائرُهم وعلانيتُهم، و تخشعُ بواطنُهم بخُشُوعِ[٣] ظواهرهم.

كان النبيُّ ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي؛ يتأوَّل القرآن»[٤]، ويُكْثِرُ من ذلك.

---

(١) الكشف والبيان: (٢٤٠/٦).

(٢) الكشف والبيان: (٢٤١/٦).

(٣) في (س) و(ص): خشوع.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كتاب الأذان، باب التسبيح والدعاء في السجود، رقم: (٨١٧-طوق).

وإنما يكون خاشعًا إذا كان قلبُه حاضرًا، ولسانُه ذاكرًا، فإن الصلاة جَسَدٌ ورُوحٌ ومَحَاسِنٌ، فجسدُها الأفعال، وروحُها الخشوع والإخلاص، ومحاسنُها الذِّكْرُ.

كان النبيُّ ﷺ إذا كَبَّر يقول: «﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:٨٠]، ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٤ - ١٦٥]»[١]، فإذا قالها أحدُكم فليَقُلْ: «وأنا من المسلمين»[٢].

ويقرأ[٣] فاتحة[٤] الكتاب وسورة، وإذا مرَّ بآية رحمة سأل، وإذا مرَّ بآية عذاب استعاذ، فإذا ركع لم يقرأ، ولكنه إن شاء سبَّح، وإن شاء قال ما رُوِيَ قَبْلُ، وإذا سبَّح فليَقُلْ كما[٥] ثَبَتَ عن النبي ﷺ: «سبحان ربي العظيم وبحمده»[٦]؛ ثلاث مرات، وقد تمَّ رُكُوعُه، وذلك أدناه.

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه: كتاب الصلاة، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء، رقم: (٧٦٠-شعيب).

(٢) أخرجه أبو داود في السنن عن ابن المنكدر وابن أبي فروة من قولهما: كتاب الصلاة، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء، رقم: (٧٦٢-شعيب).

(٣) في (س) و(ف): فيقرأ.

(٤) في (د) و(ص): الفاتحة.

(٥) في (س): ما.

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه عن ابن مسعود رضي الله عنه: أبواب الصلاة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في التسبيح في الركوع والسجود، رقم: (٢٦١-بشار)، والحديث منقطع، وصحَّ من حديث حذيفة رضي الله عنه، أخرجه الترمذي: رقم: (٢٦٢-بشار)، وأبو داود: كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، رقم: (٨٧١-شعيب).

وإذا رَفَعَ رأسه من الركوع قال: «ربَّنا ولك الحمد؛ ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما[١]، وملء ما شئت من شيء بعد، أنت أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد[٢]، وكلنا لك عبد: اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجَدِّ منك الجَدُّ»[٣]، وهو إذا قال ذلك ووافق[٤] قَوْلُه قَوْلَ الملائكة غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه.

وإذا سَجَدَ فليَقُلْ في سجوده: «سبحان ربي الأعلى؛ سجد وجهي للذي خلقه وصوَّره، وشَقَّ سمعه وبصره، فتبارك الله أحسن الخالقين»[٥].

وقال النبيُّ ﷺ في سجوده: «اللَّهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، لا أُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»[٦].

ولتُكْثِرُوا من الدعاء في سجودكم، قال أبو هريرة: «أَقْرَبُ ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء»[٧].

---

(١) قوله: «ملء ما بينهما» سقط من (س).
(٢) قوله: «أحق ما قال العبد» سقط من (س).
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن أبي أوفى رضي الله عنه: كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع، رقم: (٤٧٦-عبد الباقي).
(٤) في (د): فوافق.
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم: (٧٧١-عبد الباقي).
(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم: (٤٨٦-عبد الباقي).
(٧) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم: (٤٨٢-عبد الباقي).

وقد ثبت في الصحيح أنه كان يقول في سجوده: «اللهم اغفر لي ذنبي كلَّه، دِقَّه وجِلَّه، وأوَّلَه وآخرَه، وعلانيتَه وسِرَّه»[١].

والسجودُ أفضل أحوال الصلاة، فقد روى أبو فراس ربيعة بن كعب الأَسْلَمِي حديثاً[٢] ليس له في الصحيح لمُسْلِمٍ[٣] غيرُه، قال: «كنتُ أَبِيتُ مع النبي ﷺ فأتيتُه بوَضُوءٍ[٤]/وحاجته، فقال لي: سَلْ، قلتُ: أسألُك مرافقتك في الجنة، قال: فأَعِنِّي على نفسك بكثرة السجود»[٥].

١ [١٠٢/ب]

وروى مَعدان بن أبي طلحة قال: «لَقِيتُ ثوبان فقلتُ: أخبرني بعمل يُدخلني الله به الجنة، فسكت، ثم سألْتُه فسكت، ثم سألْتُه الثالثة، فقال: سألتُ عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: عليك بكثرة السجود؛ فإنك لا تسجد لله سَجْدَةً إلَّا رَفَعَكَ الله بها درجة، وحَطَّ بها عنك[٦] خطيئة، قال معدان: ثم لَقِيتُ أبا الدرداء فسألته، فقال لي مِثْلَ ما قال ثَوْبَانُ»[٧].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم: (٤٨٣-عبد الباقي).

(٢) سقط من (س).

(٣) سقط من (د) و(س).

(٤) في (د) و(ص): وضوئه.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه، رقم: (٤٨٩-عبد الباقي).

(٦) في (د) و(ص): عنك بها.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه، رقم: (٤٨٨-عبد الباقي).

وكان النبي عليه السَّلام يُطِيلُ القيام، قال ابنُ مسعود: «صَلَّيْتُ وراءه فأطال؛ حتى هَمَمْتُ بأَمْرِ سُوءٍ، قال الراوي: فقلت له: وبِمَ هَمَمْتَ؟ قال: هَمَمْتُ أن أدعه وأنصرف»(١).

وقد قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر:١٠](٢)، ولم يذكر الركوع.

وقيل: هو القنوت قبلهما(٣).

والصحيحُ: أن السجود أفضلُ من الركوع، والركوعُ أفضلُ من القيام، وما شُرِعَ القيامُ عند أهل التأويل إلَّا ليكون الركوع، والسُّجُودُ ينبني(٤) عليه حقيقةً وحُكْمًا.

تَتْمِيمٌ:

ثم قال بعد ذلك: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون:٣]، وقد يكون اللَّغْوُ في الاعتقاد والقَوْلِ والعَمَلِ، والاعتقادُ أَشَدُّه، وما شَغَلَ عن الله فهو لَغْوٌ، والسَّهْوُ لَغْوٌ مَعْفُوٌّ عنه، محمودٌ إذا كان على سُنَّةٍ(٥).

وقد يكون اللَّغْوُ كُفْرًا إذا كان في الاعتقاد عن الله، وعليه يَحُومُ الشيطان؛ فإنه يبتدئ بالوسوسة في شُعُوبِ الدنيا، لعلَّه أن يتعلَّق بجُزْءٍ من اللَّغْوِ في جَنْبِ الله تعالى.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التهجد، باب طول القيام في صلاة الليل، رقم: (١١٣٥-طوق).

(٢) في (د) و(ص): ﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجدًا وقائمًا﴾.

(٣) في (س): قبلها.

(٤) في (د): يبنى.

(٥) في (ص) و(ز): أعلى منه، في (س): بأعلى منه.

وقد يكون اللَّغْوُ لَهْوًا من الدنيا، فيشغل عن الذِّكْرِ خاصَّة، وعن الحَقِّ فِعْلًا، والاعتقادُ سَلِيمٌ، ولكنه مغمورٌ، فالأوَّلُ كُفْرٌ، وهذا هُجْرٌ.

وإذا كان العبدُ بين سَهْوٍ ولَغْوٍ ولَهْوٍ وهُجْرٍ كان ممَّن قال الله فيه: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣]، إلَّا أن تتداركه خاتمةٌ أو حُرمة سابقة.

[منافعُ الصلاة]:

ومنفعةُ الصلاة القِيَامُ بحَقِّ العبادة؛ فإنها تُستخدم فيها الأعضاءُ كُلُّها؛ ظاهرُها وباطنُها، ولذلك قال النبيُّ ﷺ لمولاه أَفْلَحَ - وقد حَجَزَ بين وجهه(١) التُّرابُ(٢) -: «تَرِّبْ وَجْهَكَ يا أَفْلَحُ»(٣)، حديث حسن.

وانصرف النبيُّ ﷺ - في الصحيح - من الصلاة وعلى أنفه وأَرْنَبَتِه أَثَرُ الماء والطين(٤).

وقال النبي عليه السَّلام: «أُمِرْتُ أن أسجد على سبعة أَعْظُمٍ؛ الوَجْهِ، - وأشار بيده على أنفه -، واليدين، والرِّجْلَيْنِ، والرُّكْبَتَيْنِ»(٥).

---

(١) في (س) و(ص) و(ف): بينه وبين وجهه الأرض.

(٢) سقط من (ص) و(س).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه عن أم سلمة رضي الله عنها: كتاب الصلاة، باب ما جاء في كراهية النفخ في الصلاة، رقم: (٣٨١-بشار)، وضعَّفه أبو عيسى.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كتاب الأذان، باب السجود على الأنف والسجود على الطين، رقم: (٨١٣-طوق).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما: كتاب الأذان، باب السجود على الأنف، رقم: (٨١٢-طوق).

[١٠٣/أ] وحَرَّمَ الله على النار(١) أن تأكل من ابن آدَمَ/ أَثَرَ السُّجُودِ(٢).

كَوْنُه في خُفارة الله:

فيَأْمَنُ الخُفْرَةَ، قال النبي ﷺ: «من صلَّى الصبح لم يزل في ذِمَّةِ الله»(٣).

الوفاءُ بالعهد:

كما في حديث عُبادة المتقدم(٤)، وكما في حديث مُسْلِمٍ: «العَهْدُ الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»(٥).

إِدْرَارُ الرِّزْقِ:

قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه:١٣١].

حِمَايَةُ الدَّمِ:

قال النبي ﷺ: «أليس يصلي؟ قال: بلى، ولا صلاة له، قال: أولئك الذين نهاني الله عنهم»(٦)، أخذته العامَّة من الفقهاء فقالوا: قال النبي ﷺ: «نُهِيتُ عن قَتْلِ المصلين».

---

(١) في (س): الأرض.

(٢) تقدَّم تخريجه في السِّفْرِ الأوَّل.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة، رقم: (٦٥٦-عبد الباقي).

(٤) تقدَّم تخريجه.

(٥) تقدَّم تخريجه.

(٦) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: كتاب الصلاة، جامع الصلاة، (١/٢٣١)، رقم: (٤٧٦-المجلس العلمي الأعلى).

الازْعِوَاءُ عن الفحشاء والمنكر:

ومن فوائد شيخنا[١] الشهيد أبي سَعْدٍ[٢] محمد بن طاهر الزَّنْجَانِي - رحمه الله - بالمسجد الأقصى - طَهَّرَهُ الله[٣] - قال: «معنى قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥]، المعنى: ينبغي أن تَنْهَى عن ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٥]، أي: ينبغي للمؤمن أن يتوكل على الله، فإن رَأَيْتَ أَحَدًا لا يتوكَّل فلا يُخْرِجُه ذلك عن الإيمان، كذلك صَلَاةٌ لا تنهى عن الفحشاء والمنكر؛ لا تخْرُجُ عن أن تكون صَلَاةً»[٤].

قال **الإمام الحافظ**[٥] **أبو بكر بن العربي** رضي الله عنه: وكما قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»[٦]، ولا يُخْرِجُه ذلك عن[٧] الإيمان.

قال علماؤنا المُتَزَهِّدَةُ: «إنَّ الصلاة الحقيقية هي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، وخَبَرُ الله حَقٌّ، وحَقِيقَةٌ وصِدْقٌ، فكلُّ صلاة لا تنهى عن الفحشاء والمنكر فليست بصلاة تامَّةٍ، كما أنَّ كل إيمان لا يَعْرَى عن الكبائر فليس بإيمان كامل، ولا يَخْلُصُ إلى الإيمان[٨]، وهي صُورَةُ صلاة، دون رُوحٍ ولا معنًى»[٩].

---

(١) سقط من (د) و(ص).
(٢) في (س) و(ف): الشهيد أبي سعيد .. الشهيد.
(٣) في (ص): عمره الله بالإسلام، وبعدها في (د) و(ص): رحمه الله.
(٤) لطائف الإشارات: (٣/٩٨).
(٥) في (د): قال الإمام الحافظ.
(٦) تقدَّم تخريجه. (٧) في (د): من.
(٨) مرَّضها في (ص) وفي الطرة: ظ - أي: الظاهر -: أمان.
(٩) لطائف الإشارات: (٣/٩٨-٩٩).

وروى[١] أحمد بن حنبل عن عبد الله -يعني: ابن مسعود -: «من لم تأمره الصلاة بالمعروف وتنهاه عن المنكر لم تَزِدْهُ من الله إلَّا بُعْدًا»[٢].

وقال أَنَسٌ: «كان بعضنا يدعو لبعض: جَعَلَ الله عليكم صلاة قوم أبرار؛ يقومون الليل ويصومون النهار، ليسوا بآثِمَةٍ[٣] ولا فُجَّارٍ».

وقال قَوْمٌ: «الفحشاءُ: الدنيا، والمنكر: النفس»[٤].

وقيل: «الفحشاء: المعاصي، والمنكر: الاعتقادُ أنك صَلَّيْتَ أو عَمِلْتَ، أو أن ترى لنفسك عَمَلًا»[٥].

وغلا قَوْمٌ[٦] من الصوفية فقالوا[٧]: «إن[٨] الفحشاءَ رُؤْيَتُها، والمنكرَ طَلَبُ العِوَضِ عليها»[٩].

وعَظُمَ ذلك على قَوْمٍ، والأَمْرُ فيه قريبٌ:

إن أرادوا بطَلَبِ العِوَضِ عليها اعتقادَهم أن لا ينوي أَحَدٌ بعمله ثوابًا فلا أراه.

---

(١) في (د) و(ص): وقد روى.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره: (١٨/٤٠٩-التركي)، ولم أقف عليه في الزهد للإمام أحمد.

(٣) في (ص): بأَثَمَةٍ.

(٤) لطائف الإشارات: (٣/٩٩).

(٥) لطائف الإشارات: (٣/٩٩).

(٦) في (س) - أيضًا -: بعضهم.

(٧) في (س) و(ز): فقال.

(٨) سقطت من (د) و(ص).

(٩) لطائف الإشارات: (٣/٩٩).

وإن أرادوا بها استحقارَها، ويا ليتها تخلَّصُ من العقاب، فكيف أن يُرجى عليها ثَوَابٌ؟ فهو الدينُ القَوِيمُ، والاعتقادُ السَّلِيمُ.

[١٠٣/ب] وأمَّا/ الذي[١] يُشِيرُونَ إليه[٢] بما تقدَّم عنهم من عبادة الله لذاته لا لنَعِيمه[٣] وثوابه؛ فهو بَاطِلٌ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩ - ٣٠].

وقيل: المعنى: أَقِمِ الصلاة بحقيقتها، فلا يبقى معها فحشاء ولا منكر، فتكون أهلًا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال الحكيمُ لولده: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [لقمان:١٦]، فإذا فَعَلْتَ ذلك كُنْتَ كما قال الحَكِيمُ الإِسْلَامِيُّ[٤]:

لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتَأْتِيَ مِثْلَه عَارٌ عليك إذا فَعَلْتَ عَظِيمُ[٥]
ابْدَأْ بنفسك فانْهَهَا عن غَيِّهَا فإذا انتهتْ عنه فأنت حَكِيمُ
فهناك يَنْفَعُ إن وَعَظْتَ[٦] ويُقْتَدَى بالعِلْمِ منك ويَنْفَعُ التَّعْلِيمُ

---

(١) في (س): الذين.

(٢) في (ص): إليهم.

(٣) في (د): نعمه، وفي (ص): نعمته.

(٤) الأبيات من الكامل، ونَسب الأوَّل منها سيبويه إلى الأخطل: (٣/٤١)، وليس في ديوانه، ونُسب إلى غيره، قال البغدادي: «والمشهور أنه لأبي الأسود»، ثم ساق القصيدة برمتها، ينظر: الخزانة: (٨/٥٦٦).

(٥) سقط هذا البيت من (س) و(ص) و(ز).

(٦) في (د) - أيضًا -: ما تقول، ويقتدى بالفعل، وفي (ص): في خـ: بالقول.

ويَصِحُّ ذلك في نفسك وفي غيرك، فإنك إذا كسرتْ شهوة من شهواتك انكسرت سَوْرَةٌ[1] أخرى، وتَدَاعَى الكُلُّ للذهاب، وإذا كَسَرْتَ شهواتك تعدَّى ذلك منك إلى غيرك بالاقتداء والتغيير.

رِبْحُ العُمُرِ:

لا سيما والمَرْءُ بين عبادة[2] وعادة، يُعِينُ عليها سَعْيٌ في الرزق، ومَعَاشٌ للقوة، وعَوْدٌ إلى الأصل بالعبادة، فإذا أَفْنَيْتَ عُمُرَك في هذه العادة وفي[3] هذه العبادة كان رِبْحًا كله، وكان محسوبًا لك لا عليك، والإقلالُ من النَّوْمِ رِبْحٌ بالإِقْلَالِ من الأَكْلِ؛ فإنه مَوْتٌ قاطعٌ عن العمل، إلَّا ما لا بدَّ منه؛ فإنه يُكتب له نومُه ويقظتُه.

في الحديث الصحيح: «أقوم وأنام، وأرجو في نَوْمِي ما أرجو في يقظتي[4]»[5]، وهذا صحيح، كما يَرْجُو من الأَجْرِ في يَوْمِ فِطْرِه ما يَرْجُو[6] في يوم صَوْمِه.

ويجب أن يكون صَغْوُه إلى التَّعَبِ أكثر من الراحة، ألا ترى كيف وَصَفَ الله قَوْمًا فقال: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ

---

(١) في (د) - أيضًا -: شهوة.

(٢) في (س): عادة، وهي سبق قلم.

(٣) في (د) و(ص): وهذه.

(٤) في (ص) - أيضًا -: قَوْمَتِي.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس ﷺ موقوفًا: كتاب المغازي، بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، رقم: (٤٣٤١-طوق).

(٦) في (د) و(ص): يرجوه.

ﭐلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٥ - ١٧]، فأخبر الله تعالى أن المؤمن هو الذي[1] إذا ذُكِّر بالله وآياته أَقْبَلَ على صلاته وخَرَّ لله خاشعًا، وذَكَرَ السجود لأنه مُعْظَمُ الصلاة كما قدَّمنا، فيسجدون بأبدانهم خُضْعَانًا في المحاريب، وأَعْظَمُ من ذلك ما اشتملت عليه القلوب والسرائر، ولم يستكبر عن ذلك بأن يراه مَذَلَّةً كما فَعَلَ إبليسُ.

قال النبي ﷺ: «إذا سجد ابنُ آدَمَ اعتزل الشيطانُ يبكي، يقول: يا ويلتاه[2]، أُمِرَ ابنُ آدم بالسجود فسَجَدَ فله الجنة، وأُمِرْتُ بالسجود فأَبَيْتُ فَلِيَ النار»[3].

١ [١٠٤/أ]

ويكونُ[4] سجودُه في وَقْتٍ يُلَائِمُ فيه/ المَضْجَعُ الجَنْبَ فيُجَافِيه[5] هو عنه، يَنْبُو بلَحْمِه عن الفراش قيامًا بحق التعبد، ووفاءً بوظيفة التهجد، وفي الباطن تتجافى القلوب عن مِهَادِ الآمال والتنعم، بجَوَلَانِ الخواطر في صلاح الأحوال، واقتضاء التنعم[6] بالبُكَرِ والآصَالِ.

«كان عُمَرُ بن الخطاب ﵁ يصلي صلاة العشاء ثم يأمرنا أن نضع عند رأسه تَوْرًا[7] من ماء، فيَتَعَارُّ من الليل فيَضَعُ يده في الماء فيَمْسَحُ يَدَه

---

(١) قوله: «هو الذي» سقط من (س).

(٢) في (د) و(ص): يا ويلاه.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﵁: كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، رقم: (٨١-عبد الباقي).

(٤) في (د): في خـ: ويُكَرِّرُ.

(٥) في (س): فيجافي.

(٦) في (د) و(ص): النعم.

(٧) في (س) و(ف): كوزًا.

ووجهه[١]، ثم يذكر الله حتى يُغْفِي، ثم يَتَعَارُّ حتى تأتيه السَّاعة التي يقوم فيها»[٢].

وكان أبو هريرة وعمرو بن دينار جَزَّآ[٣] اللَّيْلَ ثلاثة أجزاء؛ جُزْءٌ يُصَلِّي - ثُلُثٌ -، وجُزْءٌ ينام - ثُلُثٌ -، وجزءٌ يَذْكُرُ فيه حديث النبي[٤] ﷺ - ثُلُثٌ[٥] -.

واللَّيْلُ أُنْسُ الأَحباب[٦]، ومِيقَاتُ مُنَاجَاةِ رَبِّ الأَرْبَابِ، قال أبو سعد[٧] محمد بن طاهر في «فوائده المَقْدِسِيَّةِ»: «قال الله: ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ [يونس:٦٧]، أي[٨]: عن كُلِّ شُغْلٍ وحَدِيثٍ سِوَى حَدِيثِ من يُحِبُّونَ النَّهَارَ - زَمَانَ الدُّنْيَا - مَعَاشًا، قال الله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة:١٠]».

واللَّيْلُ وَقْتُ الحُزْنِ أو وَقْتُ السرور، فأمَّا من غَلَبَ عليه الرَّجَاءُ فلَيْلُه في لَذَّةِ المناجاة وطَرَبِ المَسَرَّةِ، كما قال شاعرُهم[٩]:

---

(١) في (س): بوجهه، وفي (ص): وجهه ويده.
(٢) أخرجه الإمام أحمد في الزهد: (ص١٤٨).
(٣) في (ص): جزؤوا.
(٤) في (د) و(ص): رسول الله.
(٥) الزهد للإمام أحمد: (ص٢٢١)، والحلية: (٣/٣٤٨).
(٦) في (س): الأخيار.
(٧) في (س) و(ف): سعيد.
(٨) سقطت من (س) و(ص) و(ز).
(٩) البيت من الخفيف، ونسبه العسكري في ديوان المعاني: (١/٣٥٣)، والراغب في المحاضرات: (٢/١٠٦)، لإبراهيم بن العباس، ونسبه الزمخشري في ربيع الأبرار: (١/٦٩)، وابن حمدون في التذكرة: (٥/٣٣٥)، لأبي نواس، وليس في ديوانه.

لَيْلَــةٌ كــاد يلتقــي طَرَفَاهَــا   قِــصَرًا وهــي ليلــةُ المــيلادِ

وأمَّا من غَلَبَ عليه مَقَامُ الخَوْفِ فلَيْلُه أَسَفٌ وحُزْنٌ، كما يقول شَاعِرٌ[1]:

كَـمْ ليلـة منـك لا صَبَاحَ لهـا   أَفْنَيْتُهـا قَابِـضًا علـى كَبِـدِي

قد غَصَّتِ العينُ بالـدموع وقـد   وَضَعْتُ خَدِّي على بَنَانِ يَـدِي

وهُمُ الذين أخبر الله عنهم بقوله: ﴿يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾.

وأمَّا من غَلَبَ عليه حالُ الجهالة، وخُتِمَ على قلبه بـرَيْنِ البَطَالَةِ فهو كما قال الآخَرُ[2]:

نَهَــارُكَ بَطَّــالٌ وليلُــك نــائمُ   كـذلك فـي الدُّنيا تَعِيشُ البهـائمُ

ومن فوائدها في وَقْتِ اللَّيْلِ نَيْلُ المنازل، والتَّرَقِّي إلى شَرَفِ[3] المطالب، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩]، فأعطاهُ الله بما[4] خَصَّه به من فَرْضِ قيام الليل المَقَامَ المَحْمُودَ بالشفاعة، وجعله للأمة ميقاتًا للإجابة.

---

(١) هما لأحمد بن يوسف الكاتب كما في تاريخ دمشق: (٦٨/٢٣٣)، وفي بغية الطلب لابن العديم: (٣/١٢٧٤).

(٢) البيت من الطويل، وهو في بعض كتب التفاسير؛ كالمحرر الوجيز: (٣/٢٦٠)، وتفسير الثعلبي: (٣/١٨١).

(٣) في (د): شريف، وضبَّب عليها، وأثبت في الطُّرة ما أثبتنا، وفي (ز): أشرف.

(٤) في (د): مما.

فإذا انتصف الليلُ نَزَلَ الله إلى السَّماء الدنيا يقول: «هل من داع فأستجيب له؟ هل من سائل فأُعطيه؟ هل من مُسْتَغْفِرٍ فأَغفر له؟ حتى يطلع الفَجْرُ»(١).

وفي رواية: «إذا ذهب ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلِ»(٢).

وفي رواية: «الآخِر(٣)».

والكُلُّ صحيح.

[١٠٤/ب] وكما أُعْطِيَ لمُحَمَّدٍ(٤) ﷺ المقامُ المحمود/ بصلاة الليل؛ كذلك(٥) قال لهؤلاء المُتَجَافِينَ غَيْرِ الجَافِينَ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً﴾(٦) بعملهم ذلك، وهُم الذين وصفهم الله بقوله: ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات:١٧]، واقتَدَوا برسوله حين قيل له: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِّصْفَهُۥٓ﴾ [المزمل:١ - ٢]، فكان قيامُ الليل - قالت عائشة: - «فَرْضًا(٧) على جميع الأمَّة حَوْلًا»(٨)، ثم نَسَخَهُ الله تعالى بقوله: ﴿عَلِمَ أَن

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، رقم: (٧٥٨-عبد الباقي).

(٢) أخرجها والتي تليها مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، رقم: (٧٥٨-عبد الباقي).

(٣) قوله: «الأَوَّلِ، وفي رواية: الآخر» سقط من (س).

(٤) في (د): مُحَمَّد.

(٥) سقطت من (س).

(٦) [السجدة:١٧].

(٧) في (د): فُرِضَ.

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض، رقم: (٧٤٦-عبد الباقي).

لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ [المزمل:١٨]، وبَقِيَتْ فَرِيضَتُه[١] على مُبَلِّغِه ﷺ لِيَنَالَ به دَرَجَته الموعود بها.

ومن فوائدها: الاستغناءُ من الفقْرِ، كان النبيُّ ﷺ إذا رأى أَهْلَه جاعُوا قال: «الصَّلَاةَ[٢] الصَّلَاةَ»[٣]، ذَكَرَه أحمد.

[فضائلُ صلاة الجمعة]:

وممَّا ينبغي أن تحافظوا عليه[٤] صلاةُ الجمعة؛ فإنها خِصِّيصَةُ هذه الأمة، قال النبي ﷺ: «نحن الآخِرون السَّابقون يوم القيامة، بيد أنهم أُوتوا الكتاب من قبلنا وأُوتيناه من بعدهم، فهذا اليوم الذي اختلفُوا فيه، فهدانا الله له، فاليهود غداً، والنصارى بعد غَدٍ»[٥].

وفَضِيلَتُها بيَوْمِهَا، وسَاعَتُها لا[٦] تُوَازَى، والسَّاعةُ التي فيها خَفِيَتْ على[٧] كَثِيرٍ من الصحابة، وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ: «أنها من حِين يَصْعَدُ الإمامُ على المنبر إلى أن يَفْرُغَ منها»[٨]، وهذا حديثٌ صحيحٌ مشهورٌ، خَفِيَ على أصحابنا المُتَوَلِّينَ القَوْلَ في شَرْح الحديث؛ لأنهم جُهَّالٌ بالصحيح، فيُقْبِلُونَ على ما لا ينفعهم الله به من سواه[٩].

---

(١) في (س): فرضيته. (٢) في (س): وا أهلاه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في الزهد مرسلاً: (ص١٥).

(٤) في (س) و(ف): يحافظ عليها.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، رقم: (٨٥٥-عبد الباقي).

(٦) في (د) و(ص): ولا. (٧) في (د) و(ز): عن.

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: كتاب الجمعة، بابٌ في السَّاعة التي في يوم الجمعة، رقم: (٨٥٣-عبد الباقي).

(٩) ينظر: المسالك: (٢/٤٤٦)، والعارضة: (٢/٣٩٩).

ولا تُخَصُّ ليلتُها[1] بقيام، ولا نهارُها بصيام، فقد ثبت النَّهْيُ عن النبي ﷺ في ذلك[2]، وإنما هي عبادةُ صلاة، وما رُوي أن النبي ﷺ صامها[3] قط، وإنَّما رُوِيَ أنه كان يصوم الإثنين والخميس ويندب إليهما[4]، وفي غيرهما أحاديثُ حِسَانٌ لم تصحَّ.

وأمَّا يومُ الجمعة فالنَّهْيُ فيه صحيحٌ فلا ترتكبوه، وهي بَدَلٌ عن الظُّهر؛ فإن جبريل عليه السَّلام نزل بصلاة الظهر وصلَّاها النبيُّ ﷺ وأصحابُه[5] مُدَّةً[6]، وبعد ذلك عَيَّنَ له الجمعة، فالأُولَى[7] هي الأصل، والأُخْرَى هي[8] بَدَلٌ عنها[9].

ومعنى تَسْمِيَتِها بَدَلًا شيئان:

أحدهما: أنهما لا يجتمعان، وهذا حُكْمُ البَدَلِ والمُبْدَلِ منه[10].

---

(١) في (د): يُخَص ليلُها.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الصوم، باب صوم يوم الجمعة، رقم: (١٩٨٥-طوق).

(٣) في (د) و(ص): صامه.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه: كتاب الصيام، بابُ استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والإثنين والخميس، رقم: (١١٦٢-عبد الباقي).

(٥) سقط من (س) و(ز)، وبعده في (د): مرة.

(٦) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه: كتاب وقوت الصلاة، وقوت الصلاة، (٩٨/١)، رقم: (١-المجلس العلمي الأعلى).

(٧) في (د): الأوَّل.

(٨) سقط من (س).

(٩) ينظر: العارضة: (٤١٤/٢)، وأحكام القرآن: (١٨٠٣/٤).

(١٠) سقطت من (س) و(ص).

والثاني: أن الجمعة إذا تَعَذَّرَتْ رجعنا إلى الأَصْلِ؛ وهي الظُّهر.

ولِلْمُفَرِّعِينَ في ذلك كَلَامٌ لَغْوٌ لا يُفِيدُ حُكْمًا، ولا يَتَعَلَّقُ به مَعْنًى، وقد وَقَعَتْ مسائلُ ظَنُّوا أنها تنبني على هذا الأصل، وليس كذلك، وقد بينَّاها في «مسائل الفروع».

حِكَايَةٌ:

١ ولقد كُنْتُ بالمسجد الأقصى - طهَّره الله - مع المُتَعَبِّدِينَ والمُرِيدِينَ نَعْتَمِدُ[(١)] الجمعة بالدعاء، ويُقِيمُونَ النهار كلَّه في المسجد لا/ يُكَلِّمُونَ [١٠٥/أ] أَحَدًا، وكان هناك رَجُلٌ يُعَضِّهُ[(٢)] الجُمُعَاتِ؛ فيأخذُ عِضَةً في يومٍ إلى الضحى، وفي آخَرَ عِضَةً إلى الزوال، وفي آخَرَ عِضَةً إلى العصر، وفي آخَرَ عِضَةً إلى اللَّيْلِ، فتكلَّمنا في ذلك يَوْمًا مع شيخنا أبي بَكْرٍ القُرَشِي الصُّوفِي[(٣)] فقال: «ولعلها في اليوم الذي عِضَتُه فيه[(٤)] من الصبح إلى الضحى تَكُونُ من الضحى إلى الظهر، وكذلك تَتَبَدَّلُ في الجُمَع كما تَتَبَدَّلُ لَيْلَةُ القَدْرِ في العَشْرِ الأواخر[(٥)] في الأعوام، فتكون[(٦)] في عامٍ ليلة، وفي آخَرَ سواها؛ على ما وردتْ به الآثار»، ونَحْنُ في ذلك كُلِّه غَفَلَةٌ، حتى قَرَأْنَا «كتاب مُسْلِمٍ» بمكة وبغداد، فأَلْفَيْنَاهَا فيها[(٧)].

---

(١) في (د): نعتدُّ.

(٢) عضَّه الجمعات: فَرَّقَها، مِنْ عَضَّيْتُ الشيء إذا فَرَّقْتُه، تاج العروس: (٣٦/٤٤٤).

(٣) هو الإمام أبو بكر الطُّرطوشي.

(٤) سقط من (س).

(٥) سقطت من (ص) و(س) و(ز).

(٦) في (س): فيكون.

(٧) سقطت من (س).

وقلتُ له: فهذا المعتكفُ نهارَه طالبًا لساعة الجمعة؛ إنْ خرج لوضوء فكانت تلك السَّاعة فيها؟

قال لي أبو بكر المذكور: تحصل له بَرَكَتُها؛ لأنه خَرَجَ في ضَرُورَةٍ لا بُدَّ له منها.

[تَشْدِيدُ الوعيد على من تَرَكَ الصَّلاة]:

وقد تَشَدَّدَ الوعيدُ على من تركها، ألا ترى إلى قوله تعالى مُخْبِرًا عن سؤال المجرمين: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر:٤١ - ٤٢].

وفي الصحيح أن النبي ﷺ رأى رَجُلًا يُرْضَخُ رأسُه بحَجَرٍ، ثم يعودُ صَحِيحًا، ثم يُرْضَخُ هكذا أبدًا، فقال: «يا جبريل، ما هذا؟ قال: هذا[1] الذي ينام عن الصَّلاة المكتوبة»[2].

فَإِذْ[3] تُوُعِّدْتَ على فِعْلِها فالزمها، ففي ذلك نَزَلَتْ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِي يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ [العلق:٩ - ١٠]، إلى قوله: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ [العلق:٢٠]، والوَيْلُ لمن تركها، أو كان ساهيًا عنها مع فِعْلِها، فأَتَى بها صُوَرًا لا معاني لها؛ إنَّه ليُخَافُ عليه أن يكون كما قال الله تعالى مُخْبِرًا عن قَوْمٍ: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ [الغاشية:٣].

---

(١) في (د) و(ص): هو.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه: كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، رقم: (٧٠٤٧-طوق).

(٣) في (س) و(ص) و(ف): فإنْ.

قال لنا أبو محمد عبد الله بن[١] عبد الرزاق بن فُضَيل[٢] الدمشقي في «فوائده»: إن قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون:٥]: وَعِيدٌ لمن تركها، ليس لمن[٣] ذَهِلَ فيها[٤]، لقوله: ﴿عَن﴾، ولم يقل: «في صلاتهم».

وهذه مُلْحَةٌ[٥] ذَكَرَها الخَطَّابِيُّ وغيرُه.

وأَشَدُّه - عندي - أن يَذْهَلَ عنها بعد التلبُّس بها، فإنه عَقَدَ الإِقْبَالَ ثم أَعْرَضَ عن الله تعالى، ونسألُه سبحانه التوفيق.

فإن فَرَّطَ فيها فتوبتُه أن يَقْضِيَها، ولا يَجْعَلُ مع كُلِّ صَلَاةٍ صَلَاةً، ولا يَقْطَعُ النوافل لأجلها، وإنما يشتغل بها ليلًا ونهارًا، ويُقَدِّمُها على فُضُولِ مَعَاشِه، وأخبار دنياه، ولا يُقَدِّمُ عليها شيئًا إلَّا ضرورة المعاش، ولا يشتغل بأموره الزائدة على حاجته، حتى إذا جاء وَقْتُ الصلاة أَقْبَلَ على القضاء للفوائت وترك النوافل فهذا مَأْثُومٌ.

وقد قال أحمد بن حنبل: كانت عُثَامَةُ[٦] أُمُّ ابنِ[٧] أبي الدرداء دَخَلَ عليها ولدُها يومًا وقد كُفَّ بصرُها وقد صلى، فقالت: أصليتم يا بُنَي؟ قال: نعم، قالت[٨]:/ [١٠٥/ب]

(١) قوله: «عبد الله بن» سقط من (ص) و(س) و(ز).
(٢) تقدَّم التعريف به في السِّفْرِ الأوَّل.
(٣) سقطت من (س).
(٤) في (س) و(ز): عنها.
(٥) في (ص): مَجَلَّة.
(٦) في (ص): عَثَّامة.
(٧) سقطت من (ص).
(٨) الأبيات من مجزوء الكامل، وهي لعثامة أم بلال بن أبي الدرداء، نسبها لها =

عشامَ مَالَكِ لاهِيَهْ ... حَلَّتْ بِدَارِكِ دَاهِيَهْ
ابْكِ الصلاةَ لوَقْتِها ... إن كُنْتِ يَوْمًا بَاكِيَهْ
وابْكِ القُرَانَ إذا تُلِي ... قَدْ كُنْتِ يومًا تَالِيَهْ
تَتْلِينَهُ بتَفَكُّرٍ ... ودُمُوعُ عَيْنِكِ جَارِيَهْ
فاليَوْمَ لا تَتْلِينَهُ ... إلَّا وعندك تَالِيَهْ
لَهْفِي عَلَيْكِ صَبَابَةٌ ... ما عِشْتُ طُولَ حَيَاتِيَهْ

قال الإمام الحافظ[١] ﷺ: ومن زَعَمَ أنَّ من تَرَكَ الصَّلاة مُتَعَمِّدًا أنه لا يَقْضِيهَا فقد خرج عن الإسلام، يُسْتَتَابُ، وقد بيَّنَّاها في كتاب «العواصم»[٢] وغيرها، ووَيْلهم.

ثبت[٣] في الصحيح أنَّ النبي ﷺ قال: «ما تَقَرَّبَ إليَّ عبدي بشيء أفضل من أداء ما افترضتُه عليه»[٤]، فكيف يَتْرُكُ هو فرائضه ويشتغلُ بطلب الزائد على القوت[٥]؟ فإن قال: لعيالي، قيل[٦] له: فَرْضُك أَوْكَدُ من عيالك بإِجْمَاعٍ من الأمة، وبالله التوفيق.

= الإمام أحمد في الزهد: (ص٢١٣)، والسُّلَمي في طبقات الصوفية: (ص٣٩٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق: (٦٩/٢٦٧).

(١) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ز): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي.

(٢) العواصم: (ص٢٦٠-٢٦٢).

(٣) سقطت من (د) و(ص).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم: (٦٥٠٢-طوق).

(٥) في (س): القرب.

(٦) في (س): قال.

[الصَّلَاةُ على رسول الله ﷺ]:

ومن جُمْلَةِ الصلاة تَخْصِيصُ مُحَمَّدٍ ﷺ بالدُّعَاءِ له والصَّلَاةِ عليه.

قال محمد بن المَوَّازِ ومحمد بن إدريس(١): «هي من فرائض الصلاة»(٢).

وهو الصحيح، وقد بيَّنَّاهُ في «مسائل الخلاف»(٣).

وصُورَتُه ما في «الموطأ»: «اللهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ، وعلى آل مُحَمَّدٍ، كما صليت على إبراهيم، وبارك على مُحَمَّدٍ، وعلى آل مُحَمَّدٍ، كما باركت على إبراهيم، إنك حميد مجيد»(٤).

والروايات في ذلك كثيرةٌ، ولا أصل لها.

وذِكْرُ الرَّحْمَةِ في الصَّلاة على النبي ﷺ بِدْعَةٌ؛ فإن الصحابة سألوه كيف نُصَلِّي عليك فلم يجبهم حتى أُوحِيَ إليه بهذا النَّصِّ؛ خَالِيًا عن التَّرَحُّمِ عليه، فذِكْرُها فيه اسْتِقْصَارٌ عليه(٥)، وذلك لا يَحِلُّ، أَمَا إنَّه يُتَرَحَّمُ على النبي ﷺ في كل حين(٦).

---

(١) بعده في (س) و(ص) و(ف) و(ز): المُطَّلِبي، ومرَّضها في (د).

(٢) ينظر: الاستذكار: (٦/٢٥٦).

(٣) ينظر: المسالك: (٢/٣٨٩).

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي مسعود الأنصاري ﵁: كتاب قصر الصلاة، ما جاء في الصلاة على النبي ﷺ، (١/٢٢٦)، رقم: (٤٥٩-المجلس العلمي الأعلى).

(٥) سقطت من (د) و(ص).

(٦) ينظر: العارضة: (٢/٣٩٠).

والحِكْمَةُ في ذلك(١) وفي تَرْكِ التَّرَحُّمِ عليه في الصَّلاة أنه قد تقدَّم التَّرَحُّمُ عليه في التشهد، فلا فائدة في تَكْرَارِهِ(٢).

تَقُولُ: «التحيات لله، الزَّاكيات لله، الطيِّبات الصلوات لله، السَّلام عليك أيُّها النبيء ورحمة الله وبركاته، السَّلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهدُ أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدًا عبدُه ورسولُه»(٣)، «اللهم صلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آل محمد، أو: على أزواجه وذريته»(٤)، حسب ما تقدَّم، وإيَّاكَ والزيادةَ على هذا، فإن الأمة أَجْمَعَتْ على ذلك.

وقد غَلِطَ فيه أبو مُحَمَّدِ بن أبي زَيْدٍ - رحمه الله - غَلَطًا عَظِيمًا(٥)؛ فإنه مَزَجَ تَشَهُّدَ الصَّلاَةِ بِتَشَهُّدِ الوصية، فخَلَطَ من وجهين:

أحدهما: أنه مَزَجَ سَقِيمًا بصحيح.

والثاني: أنه لم يُرَاعِ ما أجمعتْ عليه الأمَّة، وما عَلِمَتْهُ الصحابةُ، حتى زَادَ هو فيه من قِبَلِ نَفْسِه ما لا أصل له(٦).

---

(١) قوله: «في ذلك» سقط من (د) و(ص).

(٢) في (د) و(ص): تكرارها.

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كتاب الصلاة الأوَّل، التشهد في الصلاة، (١/١٦٦)، رقم: (٢٤٢-المجلس العلمي الأعلى).

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي حُمَيد السَّاعِدي رضي الله عنه: كتاب قصر الصلاة، ما جاء في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، (١/٢٢٦)، رقم: (٤٥٨-المجلس العلمي الأعلى).

(٥) كتاب الرسالة في واجب أمور الديانة: (ص٣٧-أصل ابن الأزرق).

(٦) ينظر: القبس: (١/٢٤١)، والاستذكار: (٦/٢٦٢).

وفي الصَّلَاةِ على النبي ﷺ وفَضَائِلِها أَحَادِيثُ كثيرةٌ لم يَصِحَّ منها شَيْءٌ، ولا شَكَّ في أنَّ له فَضْلًا لا يُحْصَى، لكنه لم يَرِدْ فيه سَنَدٌ يُعْتَمَدُ عليه[1]/. [١٠٦/أ]

ذِكْرُ الدُّعَاءِ:

ولمَّا كانت الصَّلَاةُ مَوْضُوعَةً دِينًا، مَحْفُوظَةً شَرْعًا، مَأْمُورًا بها مِلَّةً، مُعَظَّمَةً عبادةً؛ لاشتمالها - كما قدَّمنا - على عقائد وأقوال وأفعال، وكان من جُمْلَتِها «الذِّكْرُ» و«الدُّعَاءُ»، وكانَا اسْمَيْنِ من أَخَصِّ[2] الأسماء وأَفْضَلِها[3] وأَرْفَعِها عند الله، وأَدْنَاهَا منه[4] مَكَانَةً؛ اشتملت عليها أَجَلُّ[5] العبادات قَدْرًا، فهُمَا:

* * * * *

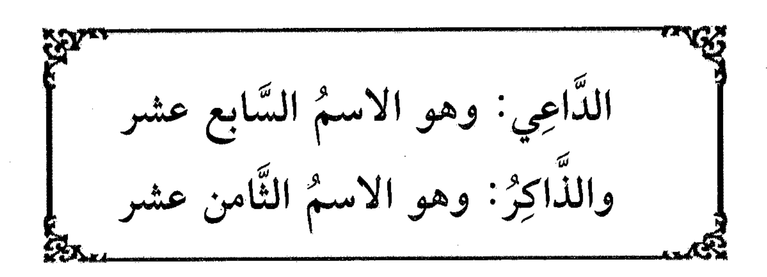
(١) قَصْدُ ابن العربي من هذا أن الأحاديث التي وَرَدَتْ فيها المبالغة في ذِكْرِ فضلها كثيرٌ منها لا يصح، وليس معناه إنكار ثبوت الفضل مطلقًا، فقد صحَّح بعضًا منها، ينظر: العارضة: (٢/٣٩٠).

(٢) في (ص): أحظ.

(٣) في (د): أفضلهما.

(٤) مرَّضها في (د).

(٥) في (ص): أخص.



الدَّاعِي: وهو الاسمُ السَّابع عشر
والذَّاكِرُ: وهو الاسمُ الثَّامن عشر

ولمَّا كان معناهما أو أَحَدُ معانيهما[١] - على ما بيَّنَّاه في «كُتُبِ الأصول والحديث والفقه» - الدُّعَاء[٢]؛ عَطَفْنَا عليه عِنَانَ البَيَانِ، وأقبلنا عليه بنَوْعٍ من تخصيص الإيضاح والشرح والتنبيه عليه.

وهو في أَصْلِ العربية: عبارةٌ عن النداء[٣].

وفي عُرْفِ الشَّرْعِ والعربية: عبارةٌ عن الطَّلَبِ.

وقد ذَهَبَ بَعْضُ غُلَاةِ الصوفية إلى أنَّ الدعاء لا ينبغي، وإنما حَقُّ العَبْدِ أن يستسلم إلى مَجَارِي الأقدار[٤]، ولا يختار على الله شيئًا، وذلك ممَّا يُحْكَى عن أبي مَنْصُورٍ، وقد كان غَيْرَ مُحَقِّقٍ ولا منصور[٥]، ورَأَى أنَّ ما جاء من ذلك في لسان الشَّرْعِ القصدَ به رِفْقُ الخَلْقِ، فكل من حَقَّقَ

---

(١) في (د) و(ص) و(ز): معانيها.

(٢) ضبب عليها في (د).

(٣) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٣٠٦-٣٠٧)، والأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (١٧٥/٢)، والعارضة: (٤٩٥/١٠).

(٤) في (د) و(ص): القدر.

(٥) حكاه أبو القاسم القُشَيري عن أبي بكر الواسطي، الرسالة: (ص٢٩٦)، وينظر: شأن الدعاء للخطابي: (ص٦).

القضاء والقدر فينبغي له أن يستسلم ويستأسر، وهذه سخافةٌ تَجُرُّ إلى تَرْكِ العَمَلِ، فإن القضاء قد سَبَقَ، والعمل زيادةٌ.

وقد بيَّنَّا أنَّ الصحابة سألت النبيَّ ﷺ عن ذلك، وأجابها بالحقيقة هنالك[١]، وقد قيل للنبي ﷺ: «أَيَرُدُّ الدعاءُ من قَدَرِ الله شيئًا؟ قال: الدعاءُ من القَدَرِ»[٢].

المعنى: أن الله إذا أراد بعَبْدٍ خَيْرًا يَسَّرَهُ للدُّعاء، فدَفَعَ عنه به[٣] البلاءَ، وكان ذلك من جُمْلَةِ القَدَرِ والقضاء.

ولهذا المعنى قال النبي ﷺ: «لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت[٤]، لِيَعْزِمِ المسألة؛ فإنه لا مُكْرِهَ له»[٥].

وفي رواية: «فإن الله[٦] لا يتعاظمه شيء»[٧].

---

(١) يقصد به حديث: «اعملوا؛ فكُلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له»، وقد تقدَّم تخريجه.

(٢) في جامع الترمذي من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه: «لا يرد القضاء إلَّا الدعاء»، أبوابُ القدر عن رسول الله ﷺ، بابُ ما جاء لا يرد القدر إلَّا الدعاء، رقم: (٢١٣٩-بشار).

(٣) في (ص): به عنه، وسقطت من (س).

(٤) قوله: «اللهم ارحمني إن شئت» سقط من (س).

(٥) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي هريرة رضي الله عنه: ما جاء في الدعاء، (١/٢٦٣)، رقم: (٥٧٠-المجلس العلمي الأعلى).

(٦) في (ص): قال الله تعالى، ولم يرد في (س).

(٧) أخرجها مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء، باب العزم بالدعاء، رقم: (٢٦٧٩-عبد الباقي).

وقال: «يُستجاب لأحدكم ما لم يَعْجَلْ، قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال؟ قال: يقول: قد دعوتُ فلم يُسْتَجَبْ لي، يَسْتَحْسِرُ عند ذلك ويَدَعُ الدُّعَاءَ»[١].

وقال ﷺ: «دَعْوَةُ الرجل لأخيه بظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عند رَأْسِه مَلَكٌ، كلَّما دعا لأخيه بخَيْرٍ قال المَلَكُ المُوَكَّلُ: آمين، ولك بِمِثْلِ ذلك[٢]»[٣].

وقال ﷺ: «اتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها[٤] وبين الله حجابٌ»[٥].

وقال ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا على أولادكم، ولا على أموالكم، لا تُوَافِقُوا سَاعَةً يُسْأَلُ فيها[٦] عطاء فيُستجاب لكم»[٧].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الذكر والدعاء، باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل، رقم: (٢٧٣٥-عبد الباقي).

(٢) سقطت من (د) و(ص)، وفي (س): في خـ: «المُوَكَّل: ولك بمثله».

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أم الدرداء رضي الله عنها: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، رقم: (٢٧٣٣-عبد الباقي).

(٤) في (س): بينه.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما: كتاب المظالم، باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم، رقم: (٢٤٤٨-طوق).

(٦) في (س) و(ف): فيه.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه: كتاب الزهد والرقاق، بابُ حديث جابر الطويل، وقصة أبي اليسر، رقم: (٣٠٠٩-عبد الباقي).

وقد قال النبي ﷺ: «لكُلِّ نَبيٍّ دَعْوَةٌ مستجابة، فتَعَجَّلَ كلُّ نبيٍّ دعوته، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأُمَّتِي يوم القيامة، فهي نائلةٌ إن شاء الله من مات من أُمَّتِي لا يُشرك بالله شيئًا[١]»[٢].

وثَبَتَ أنَّ النبيَّ ﷺ قال:/ «الدُّعَاءُ هو العبادة»[٣]، وقرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

[١٠٦/ب]

وثبت أنه قال: «ما من دَاعٍ يَدْعُو إلَّا كان بين إحدى ثلاث؛ إمَّا أن يُستجاب له، وإمَّا أن يُعَوَّضَ، وإمَّا أن يُدَّخَرَ له[٤]»[٥].

وثَبَتَ أن عمر رضي الله عنه قال: «استأذنتُ النبي ﷺ في العمرة فأَذِنَ لي وقال: أشركنا يا أُخَيَّ في دُعائك»[٦].

---

(١) بعده في (د) و(ص): وقال: «دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة»، وقد تقدَّم هذا الحديث.

(٢) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي هريرة رضي الله عنه: ما جاء في الدعاء، (٢٦٣/١)، رقم: (٥٦٨-المجلس العلمي الأعلى).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه: أبوابُ الدعوات عن رسول الله ﷺ، بابُ ما جاء في فضل الدعاء، رقم: (٣٣٧٢-بشار).

(٤) سقط من (س).

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: (٣٧٤/١)، رقم: (٧١٠).

(٦) أخرجه أبو داود في السنن عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كتاب الصلاة، باب الدعاء، رقم: (١٤٩٨-شعيب).

إِجَابَةُ المُضْطَرِّ[١]:

وقال سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل:٦٤].

وللعَبْدِ حالتان؛ حالة اختيار، وحالة ضرورة، وكل واحدة مَحَلٌّ للعبادة، ومن عبادات الاختيار[٢] الشُّكْرُ، ومن عبادات الضرورة الصَّبْرُ، وكل واحدة - أيضًا - مَحَلٌّ للدعاء، فالرخاءُ مَحَلٌّ دعاء العافية، والضرورة مَحَلٌّ دعاء الكشف، وأكثرُ ما ينفع الدعاءُ في الضرورة بما تقدَّم من الرخاء.

قال الله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء:٨٦ - ٨٧]، وليس هاهنا صَرِيحُ دعاء، وإنما هو مضمونُ قوله: ﴿سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فاعترف بالظلم لأنه استعفى[٣] منه، فكان تلويحًا، ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: نُخَلِّصُهم من هَمِّهم بما سَبَقَ من عَمَلِهم، وذلك قوله: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات:١٤٣ - ١٤٤]، وهذا حِفْظٌ من الله لعبده يونس؛ لأنه راعى له حَقَّ تعبده، وحَفِظَ ذِمَامَ ما سَلَفَ له في طاعته، فقال: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

---

(١) قوله: «إجابة المضطر» سقط من (د) و(ص).

(٢) في (د) - أيضًا -: الاختيار، وفي (ص): الرجاء.

(٣) في (س): استغفر.

قال الأستاذ أبو القاسم: «صَحِبَ ذا النون الحُوتُ أيامًا قلائل، فإلى يوم القيامة يقال له: ذو[١] النون، فما ظنُّك بعَبْدٍ عَبَدَه سبعين سَنَةً، أَيَبْطُلُ[٢] هذا عنده[٣]؟ لا يُظَنُّ به ذلك»[٤].

وقال أبو المعالي: «قوله: لا تُفَضِّلُوني على يونس بن متَّى[٥]، المعنى: فإنِّي لم أكن[٦] وأنا في سِدْرَةِ المنتهى بأَقْرَبَ إلى الله منه وهو في قَعْرِ البحر في بَطْنِ الحوت، وهذا يدلُّ على أن الباري سبحانه وتعالى ليس في جِهَةٍ»[٧].

---

(١) في (د) و(ص): ذا.

(٢) في (ص) و(س) و(ف): يبطل.

(٣) في (س): عمره.

(٤) لطائف الإشارات: (٢/٥١٩).

(٥) تقدَّم تخريجه.

(٦) في (د): نكن.

(٧) قال ابنُ العربي (الأحكام: ٤/١٦٢١): «أَخْبَرَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ من أَصْحَابِنَا عن إِمَامِ الحَرَمَيْنِ أَبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجُوَيني أَنَّهُ سُئِلَ: هل الباري تعالى في جِهَةٍ؟ فَقَالَ: لا، هو يَتَعَالَى عن ذَلِكَ، قِيلَ له: ما الدَّلِيلُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: الدَّلِيلُ عَلَيْهِ قولُه ﷺ: «لا تُفَضِّلُونِي على يُونُسَ بن مَتَّى»، فقيل له: ما وَجْهُ الدَّلِيلِ من هذا الخَبَرِ؟ قال: لا أَقُولُهُ حَتَّى يَأْخُذَ ضَيْفِي هذا أَلْفَ دِينَارٍ يَقْضِي بها دَيْنَهُ، فقام رجلان فقالا: هي علينا. فقال: لا يَتْبَعُ بها اثْنَيْنِ؛ لأَنَّهُ يَشُقُّ عَلَيْهِ، فقال وَاحِدٌ: هي عَلَيَّ، فَقَالَ: إنَّ يُونُسَ بن مَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ في البَحْرِ، فَالتَقَمَهُ الحُوتُ، وَصَارَ في قَعْرِ البَحْرِ في ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ، وَنَادَى: ﴿لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، كما أَخْبَرَ الله عنه، ولم يَكُنْ مُحَمَّدٌ ﷺ بِأَقْرَبَ من الله من يُونُسَ حين جَلَسَ على الرَّفْرَفِ الأَخْضَرِ، وارْتَقَى به، =

وقال النبي عليه السَّلام - واللفظ لابن عمر -: «بينما ثلاثةٌ يمشون إذ أصابهم مَطَرٌ فآوَوا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصِّدْقُ، فليَدْعُ كلُّ رَجُلٍ منكم بما يعلم أنه قد صَدَقَ فيه، فقال أحدُهم: اللهم إن كنتَ تَعْلَمُ أنه كان لي أَجِيرٌ عَمِلَ لي على فَرَقٍ من أَرُزٍّ فذهب وتركه، وإني عَمَدْتُ إلى ذلك الفَرَقِ فزرعتُه، فصار من أمره أنِّي[1] اشتريتُ فيه[2] بَقَرًا، وإنه أتاني يطلب أَجْرَه، فقلت له: اعمِد إلى تلك البَقَرِ فسُقْهَا، فقال لي: إنما لي عندك فَرَقٌ من أَرُزٍّ، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فإنها[3] من ذلك الفَرَقِ، / فَسَاقَهَا، فإن كنتَ تَعْلَمُ أنِّي فعلتُ ذلك من خشيتك فافرُج عنا، فانساخَت الصخرةُ عنهم، وقال الآخَر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنتُ آتيهما كل ليلة بلَبَنِ غَنَمٍ، فأبطأتُ عنهما ليلة فنأى بي[4] الشجر، فجئتُ وقد رَقَدَا[5]، وأهلي يَتَضَاغَونَ من الجوع، وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي، وكرهتُ أن أُوقظهما، وكرهتُ أن أدعهما فيستكينا لشربتيهما[6]، فلم أزل

١ [١٠٧/أ]

= وصَعِدَ حَتَّى انْتَهَى به إلى مَوْضِعٍ يَسْمَعُ منه صرير الأَقْلَامِ، ونَاجَاهُ رَبُّهُ بما نَاجَاهُ، وأوحى إلى عَبْدِهِ ما أَوْحَى بِأَقْرَبَ من الله من يُونُسَ بن مَتَّى في بَطْنِ الحُوتِ وظُلْمَةِ البَحْرِ»، وأفاد من هذا النص الفقيه زَرُّوق في كتابه اغتنام الفوائد في شرح قواعد العقائد: (ص٩٣-٩٤).

(١) في (س) و(ف): إلى أن.

(٢) في (د) - أيضًا -: به.

(٣) في (س): فسقها فإنها.

(٤) في (س): نآ بأبي، وفي (ص): فأبي، ومرَّضها.

(٥) في (د): رقدوا.

(٦) في (د): لشربيهما.

أَنْتَظِرُهما[١] حتى طلع الفجرُ، فإن كنتَ تعلم أني فعلتُ ذلك من خشيتك ففَرِّجْ عنَّا، فانساخت عنهم الصخرةُ[٢] حتى نظروا إلى السماء، ولا يستطيعون الخروج، فقال الآخَر: اللَّهم إن كنت تعلم أنه كانت لي ابنة[٣] عَمٍّ من أَحَبِّ الناس إليَّ، وإني رَاوَدْتُها عن نفسها، فقالت: لا، إلا أن آتِيَهَا بمائة دينار، فطلبتُها حتى قَدَرْتُ عليها، فأتيتُها بها فدَفَعْتُها إليها، فأَمْكَنَتْنِي من نفسها، فلمَّا قَعَدْتُ بين رِجْلَيْهَا قالت: اتق الله، ولا تَفُضَّ الخاتم إلَّا بحقه، فقُمْتُ وتَرَكْتُ المائة دينار، فإن كُنْتَ تَعْلَمُ أني فَعَلْتُ ذلك من خشيتك ففَرِّجْ عنَّا، فَفَرَّجَ الله عنهم وخَرَجُوا»[٤].

فهؤلاء قَوْمٌ دَعَوا وتَوَسَّلُوا.

وحَقِيقَةُ الاضطرار: أن تَنْزِلَ الشِّدَّةُ ولا تكونُ وَسِيلَةٌ إلَّا الإقرار له بالربوبية، وإن كانت وقعت المخالفات.

وإني لأَعْجَبُ من قَلْبٍ غَافِلٍ تَفَطَّنَ لهذه الحقيقة فقال[٥]:

إن كان لا يَدْعُوكَ إلَّا مُحْسِنٌ ... فمن ذا الذي يَدْعُو ويَرْجُو[٦] المُجْرِمُ

---

(١) في (س) و(ف): أَنْظُرُهما.

(٢) في (س) و(ف): الصخرة عنهم.

(٣) في (د): بنت.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأنبياء، حديث الغار، رقم: (٣٤٦٥- طوق).

(٥) هذا البيت والذي بعده من الكامل، وهما لأبي نواس في ديوانه: (ص٦١٨).

(٦) في (د): فمن الذي يرجو المسيئ المجرم، وفي (ص): فمن ذا الذي يدعو إليه المجرم.

وصَدَقَ، ثم قال:

أَدْعُوكَ رَبِّي كما أَمَرْتَ تَضَرُّعًا ... فإذا رَدَدْتَ يَدِي فمَنْ ذا يَرْحَمُ

وكَذَبَ، ما دَعَاهُ كما أَمَرَ، وإنَّما[1] دعاه كما قَدَرَ وقُدِّرَ.

والخطباءُ يقولون على المنابر: «اللهم إنَّا قد دعوناك كما أمرتنا، فاستجب لنا كما وعدتنا، إنك لا تخلف الميعاد»، وصدق والله.

وأمَّا هُمْ فأخاف أن تكون دَعْوَى؛ فإن شروط الدعاء معلومة، وهي عندنا معدومة.

واختلف الناسُ في إجابة المضطر على أربعة أقوال[2]:

الأوَّل: أن الإجابة بالقول، وأمَّا كَشْفُ السوء فبالطَّوْلِ[3].

الثاني: أن الإجابة بالكلام، وكشف السوء بالإنعام.

الثالث: أن دعاء المضطر والمظلوم لا مَرَدَّ له، ولكن لكُلِّ أجل كتاب، كما يُرْوَى في دعوة المظلوم أن الله يقول: «لأنصرنَّك ولو بعد حين»[4].

الرابع: قال الأستاذ أبو القاسم: «للجِنَايَةِ سِرَايَةٌ، فمن كان للجناية مختارًا فليس تَسْلَمُ له دعوى[5] الاضطرار عند سِرَايَةِ جُرْمِه[6] الذي سَلَفَ

---

(١) في (د) و(ص): إنما.

(٢) تنظر في: لطائف الإشارات للقشيري: (٣/٤٤).

(٣) في (د) و(ص): فهو بالطول.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب الرقائق، باب الأدعية، (٣/١٥٨)، رقم: (٨٧٤-إحسان).

(٥) في (د): دعوة. (٦) في (س): جُرْحِه.

وهو مختارٌ فيه، فأكثرُ الناس يتوهَّمون أنهم مضطرون، وذلك الاضطرارُ سِرَايَةُ[١] ما بَدَرَ منهم/ في حال وَهَمِ[٢] اختيارهم[٣]، وما دام العبدُ يتوهَّم من نفسه شيئًا من الحَوْلِ والحِيلَةِ، ويرى لنفسه شيئًا من الأسباب[٤] يعتمد عليه أو يستند إليه؛ فليس بمضطر، إلَّا أن يرى نفسه كالغريق في البحر، والضال في المتاهة، والمضطر يرى عِنانه بيد سَيِّدِه، وزِمامه في قبضته؛ كالمَيِّتِ بيد غاسله، ولا يرى لنفسه استحقاقًا [للنَّجاة[٥]]؛ لأنه يخاف أن يَقرأَ[٦] اسمَه في ديوان الشقاوة، فلا ينبغي للمضطر أن يستعين بأَحَدٍ في أن يدعو له؛ لأنَّ الله وَعَدَ[٧] الإجابةَ له، لا لمن يدعو له»[٨].

١ [١٠٧/ب]

ثم كما وَعَدَ المضطر الإجابة وكَشْفَ السُّوءِ وَعَدَهُ أن يجعله خليفةً في الأرض، ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:٥]، لم يقل: إزالة، ولكن قال: ﴿مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾، كذلك قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل:٦٤]، ثم قال[٩]: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٤]، فإن العبد إذا زال عنه عُسْرُه وكُشِفَ عنه ضُرُّهُ كان كما قال القائلُ:

---

(١) قوله: «جُرْحِه الذي سَلَفَ وهو مختارٌ فيه، فأكثرُ الناس يتوهمون أنهم مضطرون، وذلك الاضطرارُ سِرَايَةُ» سقط من (ص).
(٢) سقطت من (ص) و(س).
(٣) ضبَّب عليها في (د).
(٤) في (س): الأشياء.
(٥) زيادة من لطائف الإشارات: (٣/٤٥).
(٦) في (س): يقر.
(٧) في (د): وعده.
(٨) لطائف الإشارات للقُشَيري: (٣/٤٥).
(٩) قوله: «ثم قال» سقط من (س).

كأن الفَتَى لم يَعْرَ يومًا إذا اكْتَسَى ولم يَكُ صُعْلُوكًا إذا ما تَمَوَّلَا[١]

قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي[٢] رضي الله عنه: أمَّا الذي قاله الأستاذ: «من سِرَايَةِ الجناية»، فليس يُسَلَّمُ له؛ فإنَّ كل أَحَدٍ له ذَنْبٌ، وما أصابه فبذنبه، ويعفو عن كثير.

[حقيقةُ المُضْطَرِّ]:

والمُضْطَرُّ هو الذي يُوقِعُه ذنبُه في أُنْشُوطَةٍ، فيتطارحُ على ربه ويتَمَلَّقُ له، ويرمي بنفسه بين يديه ويستسلم إليه، ويعترف بالذنب لديه، ولو كان إجرامُه يقطعُ دعاءه لكان ذلك يأسًا، و﴿لاَ يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧].

وأمَّا قوله: «إن حقيقة المضطر من يرى نفسه كالغريق في البحر، والضَّالِّ في المتاهة؛ الذي ليست[٣] له حيلة»، فصحيحٌ، وكذلك هو كلُّ مؤمن مع ربه؛ فإنه يعلم أنه لا يملك لنفسه شيئًا ولا لغيره، ويرى أنه إن عاقب فله ذلك بمُلْكِهِ، وإن عفا عنه[٤] فبفضله، وإن أجاب فبوعده، وإن لم يُجِبِ العَبْدَ فيما سَلَفَ من تقصيره في حقه؛ وهذا هُوَ المُضْطَرُّ.

---

(١) البيت من الطويل، وهو من قطعة لجابر بن ثعلب الطائي، وهو في ديوان الحماسة: (ص٥٦)، والكامل: (٣١١/١)، ولطائف الإشارات للقشيري: (٨٣/٢).

(٢) في (د): قال الإمام الحافظ، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.

(٣) في (د) و(ص): ليس.

(٤) سقطت من (د) و(ص).

ولا تعجبُوا - معشر المريدين - من دُعاء ذي النون في بطن الحوت مُضْطَرًّا، فإنه قد كان على درجة عظيمة من الاختيار؛ بأن أَبْقَى معه عقله وجنانه[١]، ودفع عنه الشيطان[٢]، فتمكَّن من التضرع إليه كما كان يَتَمَكَّنُ في البَرِّ في منزله.

[أَوَّلُ المُضْطَرِّينَ]:

وأَوَّلُ من دعا من المضطرين بعد ما قاسى البلاء المُبين والكَرْبَ العظيم نُوحٌ عليه السَّلام، قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح:٢٨ - ٢٩]، فاستجاب الله له، ويقول يوم القيامة: «لستُ لها - يعني: الشفاعة -؛ إني دَعَوْتُ على قَوْمِي»[٣].

[١٠٨/أ]

وقال بعضُ/ الناس: «إنه لم يَدْعُ عليهم حتى قال الله له: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود:٣٦]»[٤].

ولو كان[٥] هذا هكذا لم يكن في الدعاء ما يُوقِفُه عن التقدم في الشفاعة؛ فإنه كان يكون واضعًا للدعوة مَوْضِعَها.

ودعا مُوسَى وهارون صلى الله عليهما[٦] فقالا: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس:٨٨].

---

(١) في (د) و(ص): حياته.
(٢) سقط من (د) و(ص).
(٣) تقدَّم تخريجه في السفر الأوَّل.
(٤) لطائف الإشارات: (٢/١٣٥).
(٥) في (س): ولم يكن.
(٦) في (س) و(ف): عليهما السَّلام.

وقد قال بعضُ المُفَسِّرينَ[١]: «إن دعوة موسى هذه كانت بإِذْنٍ؛ لأن الأنبياء ضُمِنَتْ لهم العِصْمَةُ».

فدلَّ على أن الدعاء بهذه الجملة كان[٢] بإِذْنٍ، ويَعْضُدُه قوله في التخلي عن الشفاعة: «إني قتلتُ نَفْسًا[٣] لم أُؤْمَرْ بقتلها»[٤]، ولم يقل: دَعَوْتُ على فرعون وقَوْمِه.

وقد حكى رسول الله ﷺ: أن نَبِيًّا من الأنبياء جَرَحَه قَوْمُه، فجَعَلَ يسيلُ الدم[٥]، وجَعَلَ يَمْسَحُ الدَّمَ ويقول: «اللَّهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[٦].

وأمَّا مُحَمَّدٌ ﷺ فقال حين خرج فَارًّا إلى الطائف وطَرَدُوهُ: «اللهم إليك أشكو ضَعْفَ قُوَّتِي، وقِلَّةَ حيلتي، وهَوَانِي على النَّاسِ، يا أرحم الراحمين، اللهم أنت رَبُّ المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تَكِلُنِي، إلى بعيد يَتَجَهَّمُنِي، أو إلى عَدُوٍّ مَلَّكْتَه أَمْرِي، إن لم يكن بك عليَّ غَضَبٌ فلا أبالي، ولكن عَافِيَتُك أَوْسَعُ لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظُّلَمُ، وصَلَحَ عليه أمرُ الدنيا والآخرة؛ أن تُحِلَّ غَضَبَك بي، أو تُنْزِلَ سَخَطَكَ عَلَيَّ، لك العُتْبَى حتى تَرْضَى، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بك»[٧].

---

(١) هو الأستاذ أبو القاسم القُشَيري، ذكره في لطائف الإشارات: (٢/١١٣).

(٢) في (د): كانت.

(٣) في (س): إني قتلت منهم نفسًا.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) في (س) و(ف): جعل الدم يسيل.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه: كتاب الأنبياء، بابٌ، رقم: (٣٤٧٧-طوق).

(٧) أورده ابن هشام في السيرة: (٢/٦٨).

وقال ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ وقد تَصَافُّوا: «اللهم أَحِنْهُم الغداة»[١]، فاستُجِيبَ له.

وقال عليه السَّلام[٢]: «اللهم الْعَنْ أبا جَهْلِ بن هشام، وعُتبة بن ربيعة، وشيبة[٣] بن ربيعة، والوليد بن عتبة، ورِعْلًا وذَكْوَان، وعُصَيَّةَ عَصَتِ الله ورسوله»[٤]، فاستجيب له، وفي ذلك كَلَامٌ بيَّنَّاه في «الناسخ والمنسوخ»[٥] و«شَرْحِ الحديث».

وخَفِيَ على الأستاذ أبي القاسم أن الكافر المضطر[٦] قد يستجيب الله له إمْلَاءً واستدراجًا، فكيف لا يستجيب لمن معه أَصْلُ الإيمان تَرْوِيحًا وانفراجًا؟

[دخولُ ابن العربي المُنَستير عام ٤٩٤هـ]:

لمَّا[٧] دَخَلْتُ المُنَسْتِيرَ[٨] سنة أربع وتسعين وأربعمائة؛ أخبرني[٩] رؤساؤها العابدون، ومشيختها الزاهدون: «أن الروم أَرْسَوا إليهم وطلبُوا

---

(١) أورده ابن هشام في السيرة: (٢/٢٦٤).

(٢) في (س) و(ص): ﷺ.

(٣) في (د): عتبة، وسقط من (ص).

(٤) حديث: «اللهم عليك بأبي جهل» أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه: كتاب الوضوء، باب إذا أُلقي على المصلي قَذَرٌ أو جيفة لم تفسد عليه صلاته، رقم: (٢٤٠-طوق)، وحديث «اللهم الْعَن بني لِحْيَان ورِعْلًا وذَكْوَان» أخرجه مسلم في صحيحه عن خُفاف رضي الله عنه: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة، رقم: (٦٧٩-عبد الباقي).

(٥) الناسخ والمنسوخ: (٢/١١٤-١١٥).

(٦) في (س): المضطر والكافر.

(٧) في (د): ولما.

(٨) بعده في (س) و(ص) و(ف): رباط جُمَّة، وضرب عليه في (د).

(٩) في (ص): أخبروني.

شراء الماء منهم، على ما تفعله العرب معهم، فبذلوا لهم المال العظيم فيه فامتنعوا عليهم؛ لأنه عَوْنٌ لهم على غَزْوِ المسلمين، وحَبَسَتْهُم الرِّيحُ عندهم[١] أيَّامًا، حتى كادوا يموتون عَطَشًا، فأَخْرَجُوا أناجيلهم وفتَحُوها، وجَأَرُوا واستسقَوا واستشفعوا[٢]، فأنشأ الله السَّحَابَ/ وأَلْقَحَها، وأمطرهم مَطَرًا عظيمًا، فسُقُوا وشُفِّعُوا، ونَصَبُوا الأنطاع، وجمعوا المياه[٣]، وملؤوا جِرَارَهم وجُرُبَهم»[٤].

[١٠٨/ب]

قالوا لي: «فلمَّا رأينا ذلك قامت المَشْيَخَةُ المُخْلِصَةُ وقالوا: معاشر المنقطعين إلى الله؛ إن هذه أمة كافرة أخلصت فاستُجِيب لها، فتعال نخلص فيهم لعله يُستجاب لنا، فنشرنا المصاحف وانتدبنا للدعاء؛ أن يمكننا الله منهم، ولا يفتنَّا بهم، ولا[٥] يفتنهم بنا، فأرسل الله رِيحًا بحرية؛ فمحت السَّحاب وأعصفت عليهم، وهَالَ البَحْرُ، وعَظُمَ المَوْجُ، واضطربت القطائع، فكلَّما زادوا مَرْسًى زادت الريحُ، حتى قَطَعَتْ حبالهم، ورَمَتْهُم إلينا واحدةً بعد أُخْرَى، ترمي الأمواجُ بالقِطْعَةِ على الحجارة فتنكسرُ، ويَخْرُجُونَ فتُضْرَبُ رِقَابُهم؛ واحدًا بعد آخَرَ، ويَقْذِفُ البَحْرُ جميع ما في القِطْعَةِ فنَغْنَمُه هكذا؛ واحدةً بعد أُخْرَى، حتى هَلَكَ جَمِيعُهم، والحمد لله رب العالمين».

---

(١) سقطت من (س).

(٢) سقطت من (ص) و(س) و(ز).

(٣) في (د) - أيضًا -: الماء.

(٤) وأورد هذه الحكاية أيضًا أبو بكر الفهري في سراج الملوك: (٢/٦٦٤).

(٥) في (س) و(ص): ويفتنهم.

[رِفْقُ إبراهيم عليه السَّلام]:

وقد قال الله تعالى مُخْبِرًا عن ناحية الرِّفْقِ وجِهَةِ اللِّينِ من الخليل إبراهيم صلوات الله عليه: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم:٣٨].

قال المُفَسِّرُونَ[1]: «قال: ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾، ولم يقل: «ومن عصاك»، فطَلَبَ الرَّحْمَةَ فيما كان من[2] حَقِّ نفسه، ولم ينتصر لها».

وهذا ضعيفٌ؛ فإن عِصْيَانَه عِصْيَانُ الله حَقِيقَةً، وقد قال النبي ﷺ يوم بَدْرٍ لمَّا اختار أبو بكر الفداءَ وعُمَرُ القَتْلَ: «مِثْلُك يا أبا بكر مِثْلُ إبراهيم، في قوله[3]: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي﴾ الآية، ومِثْلُك يا عمر كمِثْلِ نوح، قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّاراً﴾، ومِثْلِ موسى، قال: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾»[4].

[من شروط الدعاء]:

وقد قال الله لموسى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس:٨٩].

---

(١) هو الأستاذ أبو القاسم، وذَكَرَ هذا في لطائف الإشارات: (٢/٢٥٦).

(٢) في (س) و(ص) و(ز): حقَّ نفسه.

(٣) قوله: «في قوله» سقط من (س).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (٦/١٢٨)، رقم: (٣٢٣٢-شعيب)، والترمذي في جامعه مختصرًا: أبوابُ الجهاد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في المشورة، رقم: (١٧١٤-بشار)، وفيه انقطاع.

قيل: معناه: ولا[١] تَسْتَعْجِلَا[٢].

وقيل: من شَرْطِ الدعاء صِدْقُ الافتقار في الابتداء، وتَرْكُ العَجَلَةِ في الانتهاء، وكَمَالُ الرضا بالقضاء[٣].

وقيل: الاستقامةُ أن يَثِقَ بالإجابة من الثلاثة الأَوْجُهِ التي قال رسول الله ﷺ إنها تكون بها.

وما قاله الأستاذ «من أن المضطر لا يَسْأَلُ[٤] الدعاءَ له»؛ فغير صحيح، هذا النبي ﷺ - في الصحيح - قد قال لعمر: «يا أخي أَشْرِكْنا في دعائك»[٥]، وهو غير محتاج إليه، ولكنها فَضِيلَةٌ لعُمَرَ، وسُنَّةٌ في الاستعانة بدُعاء الغَيْرِ، والآثارُ في ذلك كثيرةٌ أوردناها في «أنوار الفَجْرِ».

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٥]/. [١٠٩/أ]

وقد كُنَّا أَمْلَيْنا في «أَنْوَارِ الفَجْرِ» في تَفْسِيرِ قوله: ﴿أُجِيبُ﴾ عِشْرِينَ قَوْلًا، أَصَحُّها الوجوه الثلاثة التي تقدَّمت.

[المفاضلةُ بين الذِّكْرِ والدعاء]:

وقد اختلف الناسُ في الذِّكْرِ والدُّعَاءِ أيهما أفضل[٦]؟

---

(١) في (ص) و(د): لا.
(٢) لطائف الإشارات: (١١٣/٢).
(٣) لطائف الإشارات: (١١٣/٢).
(٤) في (ص): لا يقبل.
(٥) تقدَّم تخريجه.
(٦) ينظر: المسالك: (٤٣٨/٣)، والعارضة: (٥٣/١٠-٥٤).

فقال قَوْمٌ: الذِّكْرُ أَفْضَلُ، وذكروا في ذلك حديثًا: «من شَغَلَهُ ذِكْرِي عن مسألتي أعطيتُه أفضل ما أُعطي السائلين»(١).

وهذا ممَّا لم يَصِحَّ سندُه.

وردَّه(٢) قَوْمٌ إلى المسألة الأولى؛ من أن الدُّعَاءَ اختيارٌ على الله، والذِّكْرَ إقبالٌ على الله.

والذي أقوله: إن الدعاء ذِكْرٌ وتَذَلُّلٌ، فإن حَضَرَتْ نِيَّةٌ قَوِيَّةٌ في الذِّكْرِ والاستكفاء به والاستغناء به فإنِّي أَرْجُوها.

قال النبي ﷺ: «لا يَقْعُدُ قَوْمٌ يذكرون الله إلا حَفَّتْهُم الملائكة، وغَشِيَتهم الرحمة، ونزلت عليهم السَّكينة، وذكرهم الله فيمن عنده»(٣).

وحديث: «هذا جُمدان؛ سِيرُوا، سَبَقَ المُفْرِدُون، الذين أُهْتِرُوا(٤) بذكر الله»(٥)، قد تقدَّم(٦).

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي سعيد رضي الله عنه: أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٢٩٢٦-بشار)، ولفظه فيه: «من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي»، قال أبو حاتم: «هذا حديث منكر، ومحمد بن الحسن ليس بالقوي»، العلل: (٤/٦٩١).

(٢) في (س): رد.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم: (٢٦٩٩-عبد الباقي).

(٤) في (د): اهتزوا.

(٥) تقدَّم تخريجه.

(٦) قوله: «قد تقدم» سقط من (س) و(ص) و(ز).

وقال تعالى: «أنا عند ظَنِّ عَبْدِي بي، وأنا معه إذا ذكرني»[١].

وقال ﷺ: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذِّكْرِ، فإذا وجدوا قَوْمًا يذكرون الله تنادَوا: هلمُّوا إلى حاجتكم، قال: فيحفُّونهم بأجنحتهم إلى السَّماء، فإذا تفرَّقوا عَرَجُوا إلى السَّماء، فيسألهم ربُّهم - وهو أعلم بهم -: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عبادك في الأرض، قال: فيسألهم ربهم - وهو أعلم بهم[٢] -: ما يقولُ عبادي؟ قالوا: يُسَبِّحُونَكَ ويُكَبِّرُونَكَ، ويحمدونك ويُهَلِّلُونَكَ ويُمَجِّدُونَكَ، فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا، والله ما رأوك، فيقول: وكيف لو رأوني؟ قال: فيقولون: لو رأوك لكانوا[٣] أشد لك[٤] عبادةً، وأشدَّ تمجيدًا، وأكثر تسبيحًا، قال[٥]: فيقول: وما يسألون[٦]؟ فيقولون: الجنة، فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا، والله ما رأوها، فيقول: وكيف لو رأوها؟ قال: فيقولون: لو أنهم[٧] رأوها لكانوا أشدَّ عليها حِرْصًا، وأشدَّ لها طَلَبًا، وأعظم فيها رغبةً، قال: فممَّ يتعوَّذون؟ فيقولون: من النار، قال: وهل رأوها؟ قال: فيقولون: لا، والله ما رأوها، قال: فيقول: وكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الذكر والدعاء، رقم: (٢٦٧٥-عبد الباقي).

(٢) قوله: «من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عبادك في الأرض، قال: فيسألهم ربهم - وهو أعلم بهم -:» سقط من (س) و(ص).

(٣) في (س): كانوا.

(٤) مرَّضها في (د).

(٥) سقطت من (س).

(٦) في (د) و(ص): يسألوني، وفي (ز): يسألونني.

(٧) سقطت من (ص) و(س) و(ز).

رأوها لكانوا[١] أشدَّ منها فِرَارًا، وأشدَّ لها مخافةً، قالوا: ويستغفرونك، قال: فيقول: أُشْهِدُكم أني قد غفرتُ لهم، وأعطيتُهم ما سألوا، وأَجَرْتُهم ممَّا استجارُوا، قال: فيقول مَلَكٌ من الملائكة: فيهم فُلَانٌ، ليس منهم، إنما جاء لحاجته، - وفي رواية: فلانٌ خَطَّاءٌ، إنما مَرَّ فجلس معهم -، فيقول: وله قد غفرتُ، هُم القَوْمُ لا يشقى جليسهم»[٢].

وليس بعد هذا الحديث مَطْلَبٌ لأحد، وفيه فَضْلُ الدعاء والذِّكْرِ[٣] والاستغفار، وكلها مُرْتَبِطٌ بعضُها ببعض.

وثبت أن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بخير أعمالكم»[٤]، الحديث.

وقال النبي ﷺ: «أفضل الكلام أربع:/ سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولأن أقولها أَحَبُّ إليَّ ممَّا طَلَعَتْ عليه الشَّمْسُ»[٥]. [١٠٩/ب ١]

وقال ﷺ: «من قال سبحان الله وبحمده في يَوْمٍ مائة مَرَّةٍ غُفرت خطاياه وإن كانت مثل زَبَدِ البحر، ولم يأت أَحَدٌ بمثل ما جاء به إلا من عَمِلَ أكثر من ذلك»[٦].

---

(١) في (س): كانوا.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل مجالس الذكر، رقم: (٢٦٨٩-عبد الباقي).

(٣) سقط من (س).

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي الدرداء رضي الله عنه: ما جاء في ذكر الله تبارك وتعالى، (١/٢٦٢)، رقم: (٥٦٦-المجلس العلمي الأعلى).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم: (٢٦٩٥-عبد الباقي).

(٦) أخرجه الإمام مالك في الموطَّأ عن أبي هريرة رضي الله عنه: ما جاء في ذكر الله تبارك وتعالى، (١/٢٦١)، رقم: (٥٦٣-المجلس العلمي الأعلى).

وقال ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن؛ سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[١].

وقال ﷺ: «أيعجز أحدُكم أن تُكتب[٢] له كل يَوْمٍ ألف حسنة؛ يسبح مائة تسبيحة، فيُكتب له ألف حسنة»[٣].

وسئل النبي ﷺ: «أي الكلام أفضل؟ قال: ما اصطفى الله لملائكته؛ سبحان الله وبحمده»[٤].

وعن جُوَيْرِيَةَ بنت الحارث: «أن النبي ﷺ خرج عنها بُكْرَةً حين صلَّى الصبح، ووجدها في مسجدها بعد أن أضحى وهي جالسةٌ، قال لها: مازلت على هذه الحال منذ[٥] فارقتك؟ قالت: نعم، قال لها: لقد قُلْتُ بعدك أربع كلمات ثلاث مرات؛ لو وُزِنَتْ بما قُلْتِ اليوم لَوَزَنَتْهُنَّ؛ سبحان الله العظيم وبحمده، عَدَدَ خَلْقِه، ورضا نَفْسِه، وزِنَةَ عَرْشِه، ومِدَادَ كلماته»[٦].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم: (٢٦٩٤-عبد الباقي).

(٢) في (د): يكتب.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن سعد رضي الله عنه: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم: (٢٦٩٨-عبد الباقي).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل سبحان الله وبحمده، رقم: (٢٧٣١-عبد الباقي).

(٥) في (د) و(ص): مذ.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، رقم: (٢٧٢٦-عبد الباقي).

وقال ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، لَهُ المُلْكُ وله الحَمْدُ، وهو على كل شيء قدير، في يَوْمٍ مائة مرة كانت له عِدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وكُتِبَتْ له مائة حسنة، ومُحِيَتْ عنه مائة سيئة، وكانت له حِرْزًا من الشيطان يَوْمَه ذلك حتى يُمْسِي، ولم يَأْتِ أَحَدٌ بأفضل ممَّا جاء به إلَّا من عَمِلَ أكثر منه»[١].

وقال ﷺ: «لا حول ولا قوة إلا بالله كَنْزٌ من كنوز الجنة»[٢].

ومن الحديث الحسن: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لا إله إلا الله، وأَفْضَلُ الدعاء الحمدُ لله»[٣].

فاقتصروا على هذا الصحيح، ففيه كِفَايَتُكم.

وليكن استخدامُكم لجوارحكم[٤] في الطاعة أَكْثَرَ من استخدامكم لألسنتكم في الذِّكْرِ، فكونوا سُكُوتًا عُمَّالًا مُطِيعِينَ، ولا تقتصروا من العمل على ذِكْرِ اللِّسَانِ.

وقد قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥١].

وقال عنه النبي ﷺ: «قال الله[٥]: من ذَكَرني في نفسه ذكرتُه في نفسي، ومن ذَكَرني في ملأ ذكرتُه في ملأ خير من مَلَئِه، ومن جاء بالحسنة

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﵁: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم: (٢٦٩١-عبد الباقي).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري ﵁: كتاب الدعوات، باب قول لا حول ولا قوة إلا بالله، رقم: (٦٤٠٩-طوق).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه عن جابر بن عبد الله ﵄: أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، رقم: (٣٣٨٣-بشار).

(٤) في (س): بجوارحكم.

(٥) قوله: «قال الله» لم يرد في (س).

فله عشرُ أمثالها أو أزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاءُ السيئة بمثلها[1] أو أغفرُ، ومن تقرَّب مني شِبْرًا تقربتُ منه ذِرَاعًا، ومن تقرَّب مني ذراعًا تقربت منه باعًا[2]، ومن آتاني يمشي أتيتُه هَرْوَلَةً، ومن لَقِيَنِي بقِرَابِ الأرض خطيئةً لا يشرك بي شيئًا لَقِيتُه بمثلها مغفرةً، ومن عادى لي وليًّا فقد آذنتُه بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عَبْدٌ[3]/بشيء أحبَّ إلي ممَّا افترضتُه عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطُش بها، ورِجْلَه التي يمشي بها، فلئن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه، وما ترددت في شيء أنا فاعلُه تَرَدُّدِي عن[4] نَفْسِ عبدي المؤمن، يَكْرَهُ الموت وأنا أكره مَسَاءَته»[5].

[١/١١٠أ]

وفي «فوائد أبي الفضائل بن طَوْقٍ» التي أخبرنا بها بمدينة السَّلام، في قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ جُمْلَةٌ كافيةٌ.

نُبْذَتُها: أن العبد يجبُ عليه[6] - بحَقِّ الإلَهية وحُكْم العبودية - أن يكون دَائِمَ الذِّكْرِ لله[7]، قائم الفِكْرِ في آياته، إلا أنَّ ذلك يفُوتُ طَوْقَ البشرية، فجعل الله تعالى للذِّكْرِ أَوْقَاتًا، وضَرَبَ له مِيقَاتًا، وهو وإن كان يفُوتُ طَوْقَ البشرية فإنه حَقُّ العبودية، فما للعبد وتَصرفه[8] لنفسه التي هي مَمْلُوكَةٌ لغيره في عَمَلِ غيره.

---

(١) في (د) و(ص): مثلها.

(٢) قوله: «ومن تقرَّب مني ذراعًا تقربت منه باعًا» سقط من (س).

(٣) في (د): عبدي.

(٤) في (س): في، وضَرَبَ عليها في (د).

(٥) تقدَّم تخريجه.

(٦) في (د): له، وسقطت من (ص).

(٧) لم يرد في (د) و(ص).

(٨) في (د) و(ص): تصريفه.

[نَقْدُ قول من فرَّق بين العبادة والعبودية]:

ويُفَرِّقُونَ بين العبادة والعبودية:

فالعبادةُ عندهم هي[١] في قَوْلٍ وعَمَلٍ مخصوص.

والعبودية هو[٢]: خَلْعُ النَّفْسِ عن النَّفْسِ، والاستسلامُ بالكلية إلى الله تعالى.

وهذا وإن كان صحيحًا فلا يُمكن، وما لا[٣] يُمْكِنُ لا يؤمر به شرعًا، فلا يتعاطاه إلا ناقص، وأنَّ القَدْرَ المشروع لا يستطيعُه أَحَدٌ، فكيف بالزيادة عليه، ولو لم يتعرَّض للذِّكْرِ[٤] طَلَبُ الأَجْرِ لكان أفضلَ مطلوب، وأوفى مرغوب؛ لِمَا يُقابله من شَرَفِ المنزلة وعَظِيمِ[٥] المرتبة في قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾، فجعل جَزَاءَ ذِكْرِه[٦] ذِكْرَه بنَفْسِه لعبده.

[تفسيرُ قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾]:

وفي ذلك للناس عباراتٌ كثيرةٌ حَضَرَنا الآن منها[٧] جُمْلَةٌ من خَمْسِينَ قَوْلًا:

---

(١) سقطت من (س) و(ص).

(٢) في (د) - أيضًا -: هي.

(٣) سقطت من (س).

(٤) في (د): الذكر.

(٥) في (س) و(ف) و(ص): عِظَمِ.

(٦) في (د) و(ص): ذكر عبده.

(٧) في (د): حضرت الآن منه، وفي (س) و(ف) و(ز): منها الآن.

الأوَّل: اذكروني بطاعتي، أَذْكُرْكُم برحمتي، قاله ابن عبَّاس وابن جُبَيْرٍ[١]، يشهدُ له قولُه عز وجل: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٢] [آل عمران:١٣٢].

الثاني: اذكروني بطاعتي، أذكركم بمَعُونَتِي[٣]، شاهدُه قولُه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩]، ومن حديث أبي هِنْدٍ الدَّارِي: قال رسول الله: «قال الله: اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي، فمن ذَكَرَنِي وهو لي مطيع فحَقٌّ عليَّ أن أذكره بمغفرتي، ومن ذَكَرَنِي وهو لي عَاصٍ فحَقٌّ عليَّ أن أذكره بمَقْتٍ[٤]»[٥].

الثالث: اذكروني بالثناء بالنِّعْمَةِ، أذكركم بالثناء بالطاعة.

الرابع: اذكروني بالشكر، أذكركم بالثواب.

الخامس: اذكروني بالدعاء، أذكركم بالإجابة.

السَّادس: قال فُضَيل[٦]: «اذكروني بالطاعة، أذكركم بالثواب»[٧]،

---

(١) تفسير الطبري: (٣/٢١١-شاكر)، ولم يذكر ابن عبَّاس.

(٢) في (س) و(د) و(ص): وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون.

(٣) الكشف والبيان: (٢/١٩)، ونسبه لابن عبَّاس.

(٤) قوله: «ومن حديث أبي هند الداري: قال رسول الله: قال الله: اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي، فمن ذكرني وهو لي مطيع فحَقٌّ عليَّ أن أذكره بمغفرتي، ومن ذكرني وهو لي عاص فحَقٌّ عليَّ أن أذكره بمَقْتٍ» سقط من (س) و(ص).

(٥) أخرجه ابن لَال والديلمي وابن عساكر، ذَكَرَ ذلك جلال الدين السيوطي، ينظر: الدر المنثور: (٢/٣٧)، والإحالة على هؤلاء مشعرة بضعف هذا الأثر.

(٦) قوله: «قال فضيل» سقط من (س).

(٧) الكشف والبيان: (٢/١٩).

بيانُه قولُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف:٣٠].

السَّابع: اذكروني بالتوحيد، أذكركم بالتسديد.

الثامن: اذكروني بالإيمان، أذكركم بثواب الجِنان[١]، شاهدُه قولُه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة:٢٤] الآية.

التاسع: اذكروني بالشُّكْرِ، أذكركم بالزيادة[٢]، شاهدُه قولُه: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٩].

[١١٠/ب]

العاشر: اذكروني على ظَهْرِ الأرض، أذكركم/ في بَطْنِها[٣].

الحادي عشر: اذكروني في الدنيا، أذكركم في العُقْبَى، قال الأصمعي: «وقفتُ بعرفات فرأيت أعرابيًّا واقفًا[٤] يقول: عَجَّتْ إليك الأصوات، بضروب اللغات، يسألونك الحاجات، وحاجتي إليك[٥] أن تذكرني عند البِلَى، إذا نَسِيَنِي أَهْلُ الدنيا»[٦].

الثاني عشر: اذكروني بإخلاص النية، أَذْكُرْكُمْ بأن أُحْيِيَكم حياة طيبة، يشهدُ له قولُه عز وجل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

---

(١) الكشف والبيان: (١٩/٢).
(٢) الكشف والبيان: (١٩/٢)، ونسبه لكَيْسان.
(٣) الكشف والبيان: (١٩/٢).
(٤) في (س): قائلًا.
(٥) سقطت من (س).
(٦) الكشف والبيان: (٢٠/٢).

الثالث عشر: اذكروني في الخَلْوَةِ، أذكركم حيث الخَلْوَةُ حقيقةً، والعَدَمُ للخَلْقِ حقيقةً، والاختفاءُ والسرُّ حقيقةً[١].

الرابع عشر: اذكروني في الملأ، أذكركم في ملأ خَيْرٍ منهم[٢].

الخامس عشر: اذكروني في الرخاء، أذكركم في الشدة[٣]، دليلُه: حديث الغار: «أن ثلاثة نَفَرٍ[٤] آووا إليه[٥] من المطر، فَدَهْدَأَ المَطَرُ صَخْرَةً على فَم الغَارِ، ولم يقدروا على الخروج، وتوسَّل كل واحد منهم إلى الله بوسيلة تقدَّم ذكرُها فأخرجهم»[٦]، وقد بَقِيَ[٧] تمامُه في اسم «الدَّاعِي».

وقال في يونس: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات:١٤٣-١٤٤].

وقال في فرعون: ﴿ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس:٩١].

السَّادس عشر: اذكروني بالنَّعْمَاءِ، أذكركم بالجزاء[٨].

السَّابع عشر: اذكروني بالتسليم لي والتفويض، أذكركم بالهداية والتعويض[٩].

---

(١) الكشف والبيان: (٢/٢٠).
(٢) في (د) و(ص): منه، ينظر: لطائف الإشارات: (١/١٣٧).
(٣) الكشف والبيان: (٢/٢٠).
(٤) سقط من (س) و(ص).
(٥) في (س) و(ص) و(ف): آووا إلى غار.
(٦) تقدَّم تخريجه.
(٧) في (د): مضى.
(٨) الكشف والبيان: (٢/٢٠).
(٩) الكشف والبيان: (٢/٢٠).

الثامن عشر: اذكروني بالمحبة، أذكركم بالقُرْبَةِ[١]، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٦].

التاسع عشر: اذكروني بالتَّوْبَةِ، أذكركم بغُفران الحَوْبَةِ[٢].

المُوَفِّي عشرين: اذكروني بالسؤال، أذكركم بالنَّوَالِ[٣].

الحادي والعشرون: اذكروني بلا غفلة، أذكركم بلا مُهْلَةٍ[٤].

الثاني والعشرون: اذكروني بالمعذرة، أذكركم بالمغفرة[٥].

الثالث والعشرون: اذكروني بالإرادة، أذكركم بالإعادة[٦].

الرابع والعشرون: اذكروني بالتنصل، أذكركم بالتفضل[٧].

الخامس والعشرون: اذكروني بالإخلاص، أذكركم بالخلاص[٨].

السَّادس والعشرون: اذكروني بقلوبكم، أذكركم بغُفران ذنوبكم.

السَّابع والعشرون: اذكروني باللِّسان[٩]، أذكركم بالإيمان.

الثامن والعشرون: اذكروني بالافتقار، أذكركم بالاقتدار[١٠].

---

(١) الكشف والبيان: (٢/٢٠).
(٢) الكشف والبيان: (٢/٢٠).
(٣) الكشف والبيان: (٢/٢٠).
(٤) الكشف والبيان: (٢/٢٠).
(٥) الكشف والبيان: (٢/٢٠).
(٦) الكشف والبيان: (٢/٢٠)، وفيه: الإفادة.
(٧) الكشف والبيان: (٢/٢٠).
(٨) الكشف والبيان: (٢/٢٠).
(٩) في (س) و(ص) و(ف) و(ز): بلا لسان، وفي الكشف (٢/٢٠): بلا نسيان.
(١٠) الكشف والبيان: (٢/٢٠).

التاسع والعشرون: اذكروني ذِكْرًا فَانِيًا، أذكركم ذِكْرًا باقيًا(١).

المُوَفِّي ثلاثين: اذكروني بالابتهال، أذكركم بالإفضال(٢).

الحادي والثلاثون: اذكروني بالاعتراف، أذكركم بمحو الاقتراف(٣).

الثاني والثلاثون: اذكروني بصفاء السرِّ، أذكركم بوفاء البِرِّ(٤).

الثالث والثلاثون: اذكروني بالتعظيم، أذكركم بالتقديم(٥).

الرابع والثلاثون: اذكروني بالتكبير، / أذكركم بالضمير(٦). [١١١/أ]

الخامس والثلاثون: اذكروني بالتحميد، أذكركم بالمزيد(٧).

السَّادس والثلاثون: اذكروني بالمناجاة، أذكركم بالنجاة(٨).

السَّابع والثلاثون: اذكروني بتَرْكِ الجفاء، أذكركم بحِفْظِ الوفاء(٩).

---

(١) الكشف والبيان: (٢/٢٠).

(٢) في (س) و(ص) و(ف) و(ز): بالاتصال، وينظر: الكشف والبيان: (٢/٢٠).

(٣) الكشف والبيان: (٢/٢٠).

(٤) الكشف والبيان: (٢/٢٠).

(٥) في (س) و(ف) و(ز): اذكروني بالتحميد، أذكركم بالمزيد، وفي الكشف والبيان (٢/٢١): بالتكريم.

(٦) في (س) و(ف) و(ز): أذكركم بالجزاء الكثير، وفي الكشف والبيان (٢/٢١): بالتطهير.

(٧) في (س) و(ف) و(ز): اذكروني بالتعظيم، أذكركم بالتكريم، وفي الكشف والبيان (٢/٢١): بالتمجيد.

(٨) الكشف والبيان: (٢/٢١).

(٩) الكشف والبيان: (٢/٢١).

الثامن والثلاثون: اذكروني بترك الخَطَا، أذكركم بفَضْلِ[١] العَطَا[٢].

التاسع والثلاثون: اذكروني بالجِدِّ في الخِدْمَةِ، أذكركم بنَفْي الحَدِّ في النِّعْمَةِ[٣]، يَعْضُدُه قولُه: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان:١٩].

المُوَفِّي أربعين: اذكروني من حيث أنتم، أذكركم من حيث أنا، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٤] [العنكبوت:٤٥]، ويتفرَّعُ هذا على الوجوه المذكورة في «قانون التأويل» بجميع المتعلَّقات، مما يكمل للباري ويَجِبُ له، وممَّا يليقُ بالعبد وينبغي له، وقد بينَّاها في «أَنْوَارِ الفَجْرِ»، فالقطُوها منها فإنها طَوِيلَةٌ.

الحادي والأربعون: اذكروني بالقَبُولِ، أذكركم ببُلوغ المأمول وإيتاء السُّولِ.

الثاني والأربعون: اذكروني بالموافقة، أذكركم بالمُكَارَمَةِ[٥]، وما أحسن قول القائل[٦]:

وإنَّما المَرْءُ[٧] حَدِيثٌ بعده فكُنْ حَدِيثًا حَسَنًا لمن وَعَى

---

(١) في (س): بفعل.

(٢) الكشف والبيان: (٢/٢١).

(٣) الكشف والبيان: (٢/٢١)، وفي عبارة الكشف تحريف كثير.

(٤) الكشف والبيان: (٢/٢١).

(٥) لطائف الإشارات: (١/١٣٧).

(٦) البيت من الرجَز، وهو من مقصورة ابن دُرَيد، كما في شرحها للخطيب التِّبْرِيزي: (ص٧٤)، وشرحها المسمى الفوائد المحصورة في شرح المقصورة لابن هشام اللخمي: (٢/٥٦٣).

(٧) في (د): إنما الناس حديث حسن.

الثالث والأربعون: اذكروني بقَطْعِ العلائق، أذكركم بوَصْلِ الحقائق[١].

الرابع والأربعون: اذكروني بتَرْكِ كل خطيئة، أذكركم بتَرْكِ كل مؤاخذة، قال الله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠].

الخامس والأربعون: اذكروني بلا حساب، أذكركم بلا عذاب.

السَّادس والأربعون: اذكروني بلا عدد، أذكركم بلا أَمَدٍ، وما أحسن قوله[٢]:

الله يعلم[٣] أنِّي لَسْتُ أَذْكُره ... وكيف يذكرُه من ليس ينساهُ

السَّابع والأربعون: اذكروني لِذَاتِي، أُنِلْكُم لَذَّاتِي.

الثامن والأربعون: اذكروني بنِعَمِي، أذكركم بكَرَمِي.

التاسع والأربعون: اذكروني، أَذْكُرْكُمْ وإن لم تذكروني، قال علماؤنا[٤]: لأن نعمه دائمة عليه؛ وهو ذِكْرُه.

المُوَفِّي خَمْسِينَ: اذكروني كيف كنتم، أَذْكُرْكُمْ في كل حَالٍ منكم[٥]. أمَّا المؤمن فيذكره بخير ما يُذْكَرُ[٦] به أَحَدٌ[٧].

---

(١) لطائف الإشارات: (١/١٣٧).

(٢) من البسيط، وهو من قطعة لعبد الصمد بن المعذل يعاتب بها أخًا له، وهي في العِقْدِ: (٢/٣٠٥)، ونَسَبَها في عيون الأخبار: (٣/٢٧) إلى علي بن الجَهْمِ.

(٣) في (س): أعلم.

(٤) في (د) و(ص): العلماء.

(٥) الكشف والبيان: (٢/٢١).

(٦) في (د) و(ص): يذكره.

(٧) سقط من (س).

وأَمَّا الكافر فيَرِدُ عليه شر ما ذَكَرَهُ[١] به أَحَدٌ.

قال الرَّبِيعُ: «إني لأعلم إذا ذكرني الله، قيل له: ومن أين؟ قال: إذا ذكرتُه، لقوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾»[٢].

قال الحافظ أبو بكر[٣] رضي الله عنه: وهذا يعني به ذِكْرَ الإحسان، وإلا فالباري تعالى يَذْكُرُ كلَّ أحد بعَمَلِه، ولأجله غَلَا بعضُ الزهَّاد وقد قيل له: «اذكر الله، فقال: ومِثْلِي يذكرُه؟ إذا غَسَلْتُ فَمِي بسبعين تَوْبَةً مُتَقَبَّلَةً ذكرتُه»[٤].

وكان بعضُهم يُنْشِدُ إذا رأى ما هو عليه من المعصية وأَرَادَ الذِّكْرَ:/ [١/١١١/ب]

ما إن ذَكَرْتُكَ إِلَاهُمَّ تَلْعَنُنِي ... جَوَارِحِي ولساني عند ذِكْرَاكَا

حتى كأنَّ رقيبًا منك يَهْتِفُ بي ... إِيَّاك ويحك[٥] والتَّذْكَارَ إِيَّاكَا[٦]

وكذلك اختلفُوا في الاستغفار مع الإصرار، فقال بعضهم:

أستغفرُ الله مِنْ أستغفرُ الله ... من لَفْظَةٍ صَدَرَتْ خالفتُ معناهَا

وكيف أرجو إِجَابَاتِ[٧] الدُّعَاءِ وقد ... سَدَدْتُ بالذنب عند الله مَجْرَاهَا[٨]

---

(١) في (د) و(ص): ذُكر.

(٢) الكشف والبيان: (٢/٢١)، ونسبه لأبي عثمان النهدي.

(٣) في (د): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.

(٤) رسالة القشيري: (ص٢٥٦).

(٥) في (س) و(ف): إِيَّاك، وفي (ص): إياك تذكره إياك إياكا.

(٦) من البسيط، وهما في الرسالة القشيرية: (ص٢٥٦)، وطبقات الأولياء لابن الملقن: (ص١٤٨)، وتاريخ دمشق: (٦٦/٦٦)، أنشدهما أبو بكر الشِّبْلِي.

(٧) في (د): إجابة.

(٨) من البسيط، وهما في تفسير ابن رجب: (١/١٥٢)، وجامع العلوم والحكم له: (٢/٤١٠).

وقال الآخرون[١]: «بل يستغفر».

ومن الحِكْمَةِ[٢]: «ما أَصَرَّ من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة».

وبه أقولُ.

ومن[٣] الحَقِّ لكل مُذْنِبٍ أن يستغفر، وإن عَلِمَ من نفسه أنه مُصِرٌّ، وإني لأعجبُ من تَوْفِيقٍ يُسِّرَ له شيخُ البَطَّالِينَ فقال:

إِنْ كان لا يدعوك إلَّا مُحْسِنٌ فمن الذي يَدْعُو ويرجو المُجْرِمُ[٤]

وفي الحديث: «إذا أذنب العبدُ ثم استغفر قال الله تعالى: عَلِمَ عبدي أن له ربًّا يغفرُ الذنوب، قد غَفَرْتُ له»[٥]، ولم يَذْكُرْ تَوْبَةً؛ فدَلَّ على أن التوبة منزلةٌ أخرى، زائدةٌ عليها عالية.

فالتزموا - ألزمكم الله تحقيقه، ويسَّر لكم توفيقه - ما ألزمكم الشرع، وانتهجوا السبيل التي شَرَعَ لكم، وخُذُوا من الذِّكْرِ والدعاء الصحيح، وأعرضوا عمَّا سواه.

شِعْرٌ[٦]:

فالعُمْرُ أَنْفَسُ من أن تُنفقوه سُدًى في غير ما صَحَّ من وَحْيٍ وقُرْآنِ

فاستنجِدوه لِمَا تَرْجُونَ من أَمَلٍ واسْتَمْجِدُوه بغُفران ورِضْوَانِ

---

(١) في (ص): الآخر.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بابٌ، رقم: (٣٥٥٩-بشار)، وضعَّفه.

(٣) في (د) و(ص): فمن.

(٤) تقدَّم تخريجه.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكرَّرت الذنوب والتوبة، رقم: (٢٧٥٨-عبد الباقي).

(٦) سقطت من (س) و(ف) و(ص) و(ز).

واسْتَسْمِنُوه وعُوجُوا عن غَثَاثَتِه ... كلُّ ذلك من تَلْبِيسِ شَيْطَانِ[١]

[الاعتداءُ في الدعاء]:

وقد انتدَبَ قَوْمٌ تَجَرَّدُوا للخير بزعمهم، لم يكن لهم عِلْمٌ بالحديث، فذَكَرُوا[٢] كل[٣] مُتَرَدِّيَةٍ ونَطِيحَةٍ في الذِّكْرِ والأدعية وغير ذلك، كابن نَجَاحٍ[٤] والسَّمَرْقَنْدِي[٥]، ولا عجب إلَّا من إمامنا وشَيْخ العَصْرِ نَصْرِ بن إبْرَاهِيمَ المَقْدِسِيِّ؛ فإنه جَمَعَ كتابًا في الزُّهْدِ[٦]، فجعل يُرَتِّبُ صلاة الأيام والأدعية، وهي كلها موضوعةٌ لا أَصْلَ لها، مناكيرُ لا يُعْرَفُ راويها[٧].

---

(١) من البسيط، ولعله من شعر ابن العربي رحمه الله.

(٢) في (س) و(ف): ذكروا.

(٣) في (د): لكل.

(٤) الفقيه العلَّامة، الواعظ الزاهد، يحيى بن نجاح القرطبي، أبو الحُسَين بن الفلَّاس، نزل مصر وبها توفي، وكانت وفاته عام ٤٢٢هـ، وكتابه الذي يشير إليه ابن العربي هو كتاب «سُبُل الخيرات»؛ في المواعظ والزهد والرقائق، انتشر بأيدي الناس في زمانه، وسُمِع منه بمكة المعظَّمة، ينظر: الصلة: (٢/٣١١)، وفهرس ابن خير: (ص٣٦٠).

(٥) الإمام الفقيه، العلَّامة الزاهد، نصر بن محمد بن إبراهيم الحنفي، أبو الليث السمرقندي، توفي عام ٣٧٥هـ، له من الكتب في الرقائق والزهد: «تنبيه الغافلين»، وهو منشور، ترجمته في: سير النبلاء: (١٦/٣٢٢-٣٢٣)، والجواهر المضية: (٣/٥٤٤-٥٤٥).

(٦) يقصد به كتابه «المصباح والداعي إلى الفلاح»، سمعه ابنُ العربي منه عام ٤٨٩هـ، قُبَيل وفاته بيسير، ينظر: العارضة: (٣/٣٠٨)، وفهرس ابن خير: (ص٢٠٣).

(٧) في (ص) و(د): لا تعرف رواتها.

واعتدى(١) الناس على شريعتهم، واغتدَوا(٢) إلى صحائف ليست في تأليف، «كدعاء(٣) فلان»، و«تسبيح فلان»، فاللهَ اللهَ عِبَادَ الله، أَقْبِلُوا على دينكم، واقبضوهُ بيده، وعَوِّلُوا على عُمَدِه، واقتدُوا بأئمته؛ مَالِكٍ، والبخاري، ومسلم، والترمذي، وأبي داود، والنسائي، وهي تَوْصِيَتِي إليكم(٤)، وحُجَّتِي عليكم، وفَرِيضَتِي التي تَعَيَّنَتْ عليَّ أَدَّيْتُها إليكم، وفَائِدَةُ رِحْلَتِي التي نَأَيْتُ بها عنكم، والله خَلِيفَتِي عليكم، وهو حسبُنا ونِعْمَ الوكيل(٥).

نُكَتُ القرآن في الصلاة:

١ ومن غَرِيبِ مَنْزِلَتِها ما رَكَّبَ الله فيها وعليها في كتابه، وذلك كثيرٌ، الحاضرُ/ منها الآنَ قولُه تعالى: ﴿هُدىً لِّلْمُتَّقِينَ ٱلذِينَ يُومِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ١ - ٢] الآية، فجعل الله القرآن هُدًى لمن أقام الصلاة وآتى الزكاة، كما جعله هُدًى للمؤمنين، وشِفَاءً لمن طَلَبَ(٦) الأمان، وحَقَّقَ ذلك بالقول والفعل فاهتدى، وكان ذلك له(٧) سِرَاجًا، فيُقِيمُ صُوَرَها(٨) بجسده، ويحفظ معانيها ومقاصدها بقلبه. [١١٢/أ]

---

(١) في (د): احتدى.

(٢) في (د): عَمَدُوا، وفي (ص): عَدَوا.

(٣) في (د): فدَعَا فلانٌ.

(٤) في (د) و(ص): لكم.

(٥) في (س) - أيضًا -: وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(٦) في (س) و(ص): فطلب.

(٧) في (س) و(ف): له ذلك.

(٨) في (د): صورتها.

وقد قَرَنَها الله بالصَّبْرِ في قوله: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة:٤٤]، فالصَّبْرُ فَطْمُ النفس عن المعتادات، والصَّلَاةُ استخدام الجوارح في المشقَّات، والتردد بين اختلاف الحالات حتى تَتَمَرَّنَ بتَرْكِ الشهوات(١).

ومن تعظيمها اتخاذُ الأوطان لها؛ وهي المساجد، أَذِنَ اللهُ في ترفيعها، وقد ذكرنا فيها في «شرح الحديث» نَحْوًا من مائة حُكْمٍ، فلتُطْلَبْ(٢) هنالك.

ولم تَزَلِ الشرائع على هذا حتى أَكْرَمَ الله هذه الأمة بأن جعل الأرضَ لها مسجدًا، ولم يكن ذلك لمن قبلها، فالوقتُ كلُّه لها، والمحلُّ كلُّه لها، إلَّا ما استثنى من ذلك، وهو قليل، وجَعَلَ بَيْتَه(٣) قِبْلَةً، وما مَكَّنَ من ذلك أَحَدًا قبل هذه الأمة، وطَهَّرَه حين(٤) خَلَقَه، وأَوْعَزَ(٥) بذلك إلى خَلْقِه، وفي ذلك فوائدُ بينَّاها في «أنوار الفجر».

وكَرَّرَ الاستعانة بالصبر والصلاة عند حلول المكاره، والصَّبْرُ آخِرُ الأَمْرِ يَأْسًا(٦)؛ فقَدَّمَه الله بالأَمْرِ في أَوَّله أَجْرًا، وقَرَنَه بالصَّلاة استدفاعًا لغير ما نَزَلَ، وتَخْفِيفًا ممَّا(٧) وقع، فيُكَافَأُ بصلاة الله عليه، فما جَعَلَ الله جَزَاءَ الصَّلَاةِ إلَّا الصَّلَاةَ، كما جعل جَزَاءَ الذِّكْرِ الذِّكْرَ، فقال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ

---

(١) ينظر: لطائف الإشارات: (٨٧/١).

(٢) في (د): فليطلب.

(٣) في (ص): نَبِيَّه.

(٤) في (س): حتى.

(٥) في (د) و(س): أوعد.

(٦) في (س) و(ف): بأسًا.

(٧) في (د) - أيضًا -: لما.

أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥١]، وجَعَلَ جَزَاءَ[١] الإِنْفَاقِ الإِنْفَاقَ، قال النبي ﷺ: «يا بلالُ؛ أنفق، ولا تخش من ذي العرش إِقْلَالًا»[٢]، وقال الله تعالى: «أَنْفِقْ يُنْفَقْ[٣] عليك».

وبذلك يتمُّ الهُدى الذي قدَّمناه، كما قال: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٦]، ولذلك أَمَرَ بالمحافظة عليها فقال: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ [البقرة:٢٣٦]، والمحافظةُ عليها دُخُولُها بنيَّة الهَيْبَةِ، والخروجُ عنها بنيَّة التعظيم، وبيَّن أن فيها صَلَاةً[٤] مُعَظَّمَةً، وأَبْهَمَها حتى يَعُمَّهَا التعظيم، فقال: ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾[٥] [البقرة:٢٣٦].

ثم أخبر الله أنَّ آكِلَ الرِّبَا مُعْتَلُّ العَقْلِ[٦]، مُخْتَلُّ الأَمَلِ، مُتَصَرِّفٌ في خَبَلٍ، ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة:٢٧٤] الآية[٧].

ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٢٧٦]،

---

(١) قوله: «فقال تعالى: اذكروني أذكركم، وجَعَلَ جَزَاءَ» سقط من (ص) و(س) و(ز).

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) في (ص) و(د): أنفق.

(٤) في (س): هيئة، وسقطت من (ص).

(٥) قوله: «فقال: والصلاة الوسطى» لم يرد في (س) و(ص) و(ز).

(٦) في (د): العمل، وأشار إليها في (س)، وصحَّحها.

(٧) قوله: ﴿الذين ياكلون﴾ الآية، ثم قال» لم يرد في (ص) و(س) و(ز).

أي[١]: لَهُمُ الأمنُ والعِوَضُ عمَّا أنفقُوا، وهذا الذي تراه للمُرْبِي من نُمُوٍّ مَمْحُوقٌ، والذي ترى من عَدَمِ المُتَصَدِّقِ[٢] بَاقٍ مَوْجُودٌ، والمعاني بذواتها لا بصُوَرِها.

وكذلك رُدَّ من الكفر إلى الإيمان، ومن الخَوْضِ في الباطل إلى الصلاة؛ لترتفع الحَيْرَةُ، وتُغفر الزَّلَّةُ، كما قال: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً﴾ إلى قوله/: ﴿وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ﴾ [الأنعام: ٧٠ - ٧٢]، أي: الزمُوا المناجاة والتقوى. [١١٢/ب]

وقال الخليل[٣]: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٨٠].

وقال لمُحَمَّدٍ ﷺ[٤]: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٤ - ١٦٥]، يعني: في زمانكم.

وقال: ﴿إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[٥] [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]؛ على[٦] صراط مستقيم، وهو أن لا ترى من دونه شَيْئًا.

---

(١) قوله: ﴿إن الذين آمنوا﴾، أي» لم يرد في (ص) و(س) و(ز).
(٢) في (س): المُصَّدِّقِ.
(٣) بعده في (ص): صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه وعلى جميع النبيين.
(٤) في (د): عليه السَّلام.
(٥) في (س): دينا قيما ملة أبيكم على صراط مستقيم، وفي (ص) و(ز): دينا قيما ملة إبراهيم على صراط مستقيم.
(٦) في (د): إلى.

والدِّينُ القَيِّمُ: ما لا تَمْثِيلَ فيه ولا تعطيل؛

والحَنِيفُ: المائلُ إلى الحق، الزائلُ عن الباطل[١]، وهو من غَرِيبِ الأسماء؛ فإنه عند الناس في العاهات، وهو عند الله في أعلى الدرجات.

مسألة:

وقد حضرتُ مثله[٢] في بغداذ، في قصة غريبة ذكرتُها في كتاب «تَرْتِيبِ الرِّحْلَةِ للتَّرْغِيبِ في المِلَّةِ».

[عَظَمَةُ الصلاة]:

ولمَّا استقام النبيُّ[٣] ﷺ على الطريقة، وكُوشِفَ بالحقيقة، وارتقى إلى أعلى الدرجات؛ قال: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[٤]، شهد أنَّ القَادِرَ[٥] عليه، والمُجْرِيَ لأموره، والمُصَرِّفَ له، والمُنَقِّلَ من حَالٍ إلى حَالٍ، ومن وَصْفٍ إلى وَصْفٍ، ومُصَرِّفَه في العبادات حَالَ الحياة، وفي الدرجات بعد الممات؛ هو اللهُ وحده، لا يُشاركه في ذلك أَحَدٌ، وهذه نهايةُ التَّوْحِيدِ وإِخْلَاصِ العبادة.

وقد وَصَفَ الله المؤمنين بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ

---

(١) معاني القرآن للزجاج: (٣/٢٢٢).

(٢) سقطت من (س).

(٣) في (س) و(ف) و(ز): استقام الأمر للنبي.

(٤) بعده في (ص): الآيتين.

(٥) في (ص) و(س): للقادر، ولم ترد أنَّ فيهما.

حَقّاً لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[١] [الأنفال:٢-٤] بأنهم إذا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قلوبهم، لغلبة مقام الخَوْفِ عليهم، وأَدْأَبُوا أنفسهم في العبادة بإقامة الصلاة، وأنفقوا المال من غير ادِّخار؛ لأن قلوبهم غَنِيَّةٌ من المعرفة، وأبدانهم مشتغلة بالخدمة، فمن أَحْسَنَ منهم فهو في أعلى الدرجات، ومن أساء فله مغفرة السيئات، وكذلك من أناب إليها بعد الفرار منها، كان مع من ابتدأ عملها، لقوله: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة:١١].

ومن فَضْلِها سُمِّيَتْ جَمِيعُ الأعمال بها، قال الله تعالى مُخْبِرًا عن حال شُعَيب عليه السَّلام: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ [هود:٨٧]، أي: أعمالك الصالحة؛ وذلك أنه كثيرًا[٢] ما كان يصلي؛ بِحَمْلِ سائر فِعْلِه على مُعْظَمِه، وهي الصلاة.

وقيل: أُطْلِقَ على كُلِّ عَمَلٍ اسْمُ الصَّلَاةِ تَشْرِيفًا، كما أُطْلِقَ عليه اسمُ الإيمان، إذ المعنى في الكُلِّ وَاحِدٌ.

ولأنها عبادةُ الملائكة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٦].

وقال تعالى في جميع الخَلْقِ[٣]: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [الرعد:١٦]، ثم ميَّز[٤]

---

(١) لم ترد الآيتان في (س) و(ص) و(ف) و(ز)، واجتهدت في قراءتها، وإن كانت الطرة بـ (د) لا تُعِين؛ لسُوء التصوير.

(٢) في (ص) و(د): كان كثيرًا، وسقطت «ما» من (ص).

(٣) قوله: «في جميع الخلق» سقط من (س).

(٤) في (س) و(ف) و(ص): فسَّر.

بَعْضَهم وفصَّل في مَوْضِعٍ آخر، فقال: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[1] [النحل:٤٩].

[١١٣/أ] والسُّجُودُ بالاعتقاد/ والقول والفعل والحال، وهي الدِّلَالَةُ على الوحدانية بحاله[2]، فإذا حصَّلها رَجَعَ الأَجْرُ إلى الأوَّل فاستقرَّت في قلبه، وتحقَّق بها اعتقادُه، واستمرَّت[3] صفاتُها على وَجْهٍ بيَّنَّاه من قبلُ، ويأتي مَزِيدُ بَيَانٍ فيما بعد ذلك من الأسماء والصفات إن شاء الله.

صَلَاةُ النَّافِلَةِ:

وإذا أَحْكَمَ الفرائض فليَعْطِفْ عِنَانَ الاجتهاد إلى النوافل، وأَوْكَدُها السُّنَنُ التي نَدَبَ النبيُّ ﷺ إليها أو[4] أوجبها، على اختلاف العلماء، وليَعْطِفْ على مُجَرَّدِ الفَضْلِ بعد ذلك، وهي اثنتا عشرة ركعة: أَرْبَعٌ قبل الظهر، وركعتان بعدها، وركعتان قبل العصر، وركعتان بعد المغرب في بيته، وركعتان بعد الجمعة في بيته، وركعتان عند حلول الشمس من المشرق بالنسبة التي تَجِبُ صلاة العصر في كونها من المغرب؛ وهو الضحى؛ الذي من أتى بها[5] كان من الأوَّابين[6]، وحَمَى ثَلَاثَمِائَةٍ وسِتِّينَ عَظْمًا فيه من النار، قال النبيُّ ﷺ: «يُصْبِحُ على كل سُلَامَى من ابن آدم

(١) قوله: «فقال: ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة» لم يرد في (س) و(ص).
(٢) في (ص): بجلاله، وسقطت من (د).
(٣) في (د): استرَّت.
(٤) في (ص): تحت.
(٥) في (د): بهما.
(٦) في (س) و(ز): الأوَّلين.

صدقة»، وذَكَرَ الحديث: «فأمرُه بالمعروف صدقة، ونهيُه عن المنكر صدقة[1]»، وذَكَرَ خِصَالاً؛ إلى أن قال: «وركعتا الضحى تُجزئان من ذلك»[2]، فإن قَدَرَ فإحدى عشرة ركعة من الليل، وأقلُّها ثلاث؛ إن شاء أَوَّلَ الليل، وإن شاء آخِرَه، فقد كان أبو بكر ﷺ يُوتِرُ أَوَّلَهُ، ويقول: «واحَرَزَاهُ، وأبتغي النوافل»[3]، وكان عُمَرُ ﷺ يُوتِرُ آخره[4]، وكلٌّ على قَدْرِ ما يَعْلَمُ من نَفْسِه.

[صَلاَةُ الجنازة]:

وصَلاَةُ الجنازة فَرْضٌ على الكِفَايَةِ، يأخذها الناس هيئة، وما أعظمها، تجمعُ ثَلاَثَ عَشْرَةَ خَصْلَةً:

العِبْرَة؛

النُّصْرَة؛

العِوَضِيَّة؛

التذكرة؛

الموعظة؛

الكرامة؛

---

(١) قوله: «وذَكَرَ الحديث: فأمرُه بالمعروف صدقة، ونهيُه عن المنكر صدقة» سقط من (س).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف: (١٥/٣)، ومن طريقه الخطَّابي في غريب الحديث: (١٤/٢).

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: كتاب صلاة الليل، الأمر بالوتر، (١٩٤/١)، رقم: (٣٢٤-المجلس العلمي الأعلى).

الراحة ؛

المَثُوبة ؛

الدعاء ؛

الشَّرِكَة في الرحمة ؛

الأُنْس من الوحدة ؛

الوفاء بعد الوفاة ؛

التعزية .

فأمَّا العِبْرَةُ فهو مِثْلُك ، وكأنَّ بِكَ مِثْلَه:

فما نحنُ إلَّا مثلهم غير أنَّنا أَقَمْنَا قليلًا بَعْدَهُمْ وتَقَدَّمُوا[١]

وأمَّا النُّصْرَةُ فإن المسلم يَتَعيَّنُ على المسلم أن ينصره حيًّا فيما ينزلُ به من المكروه ، وبه كَلَامٌ وحِرَاكٌ وعَقْلٌ ، فكيف به[٢] إذا ذَهَبَ ذلك[٣] كلُّه ؟ فلم يُعَبِّرْ بلسانه عن حاجته[٤] ، ولا تحرَّك لمُنَاوَلَتِه[٥] ، ولا عَقَلَ شَيْئًا من الذي كان فيه في حياته .

وأمَّا العِوَضِيَةُ ؛ فإن غَسَّلْتَ غُسِّلْتَ ، أو حَمَلْتَ ودَفَنْتَ ، حُمِلْتَ ودُفِنْتَ ، لم أَرَ في تلك البلاد الكريمة[٦] اسْتِئْجَارًا على شيء من ذلك ،

---

(١) البيت من الطويل ، وهو في الأغاني: (٢١/٣٨٩) ، وكأنه نسبه للفرزدق ، وليس في ديوانه ، والكامل: (٢/٣٧٠) ، وعيون الأخبار: (٣/٦١) .

(٢) سقط من (ص) و(د) و(ز) .

(٣) سقط من (ص) و(س) و(ز) و(ف) .

(٤) في (د): حاجة .

(٥) في (ص): لمثاوبته .

(٦) في (ص): المكرمة .

إِنَّما يُغَسِّلُ الرَّجُلَ جارُه، أو صاحبُه، أو قريبُه، فإذا كُفِّنَ قال قائل: «احْمِلُوا تُحْمَلُوا»، فانتَدَبَ إلى حَمْلِه كلُّ من حَضَرَ أو عَبَرَ[١].

وأمَّا التذكرة فإن المَرْءَ في غَفْلَةٍ، حتى إذا رأى الجنازة ثَابَ إليه ذُكْرُه الذي ذَهِلَ عنه، وقد[٢] كان النبيُّ ﷺ/إذا رآها قام إليها، وقال: «إنها لنَفْسٌ[٣] أوانُها فَزَعٌ[٤]»[٥]، ثم نُسِخَ ذلك[٦]، وبقي القيامُ إليها بالقَلْبِ. ١ [١١٣/ب]

وأمَّا الموعظةُ؛ فبالحذر من أن ينزل بك[٧] مثلُ ذلك، فتُعِدَّ له بوصية وعَمَلٍ واستدراكِ فَائِتٍ من توبة واستغفار.

وأمَّا الكرامةُ؛ فله بستره[٨]، فإنه جِيفَةٌ كما سمَّاه النبي ﷺ في المؤمن، فكيف غيره؟

ولك بألَّا ترى ما تَكْرَهُ[٩] فيه أو منه، وبذلك تحصلُ الراحة لك وله؛ فإنك تَقْدُمُه إلى مدفنه؛ وهو موضع إِطْلَاعِه على منزله في الجنة.

---

(١) قال في العارضة (٤/٣٤٤): «وليس في تلك الديار أَحَدٌ لحمل الجنائز، ولكن يُبرَز الميت على الطريق، وينادي مُنَادٍ: احملوا تُحمَلوا، فيبادر الناس إليه حتى يَتَضَايَقُوا عليه».

(٢) في (س): فقد.

(٣) في (س) و(ف) و(ص): إنه نفس.

(٤) في (س) و(د): فزغ، وفي (ص): فزع.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه: كتاب الجنائز، باب القيام للجنازة، رقم: (٩٦٠-عبد الباقي)، ولفظه فيه: «إن الموت فزع».

(٦) ينظر: المسالك: (٣/٥٦٢).

(٧) في (س): بها، وفي (ز): عليك، وضرب عليها في (د).

(٨) في (ص): فإنه يستره.

(٩) في (د): يُكره.

وأمَّا المثوبةُ؛ «فمن صلَّى على جنازة فلَهُ قِيرَاطٌ، ومن اتَّبعها حتَّى تُدْفَنَ فله قِيرَاطَانِ؛ أصغرُهما مثلُ أُحُدٍ»[١].

وأمَّا الدعاءُ؛ فإن عَلِمْتَ فيه[٢] خَيْرًا قُلْتَ: «هذا عبدُك فلان، ولا نعلم إلَّا خيرًا، وأنت أعلمُ به، فاغفر لنا وله»[٣]، ولا تَقُلْ: «إلَّا ما تَعْلَمُ»، كذا قال النبي ﷺ.

قال العلماء: «فإن عَلِمْتَ غيره؛ فإن كان من أهل الأهواء قُلْتَ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر:٦]، وإن كان عاصيًا قُلْتَ - إن أَرَدْتَ له الخير -: اللَّهم إنه لا يتعاظمك ذنب، ولا تنقصك رحمة، ولا تَغِيضُ خزائنك من مَوْهَبَةٍ، فارحمه وهَبْ[٤] له عفوك، إنك أنت العفو الغفور».

فإنَّك إذا دَعَوْتَ له أخذت حَظَّكَ منه، وأخذ حظَّه منك، من كان منكما أَصْلَحُ انتفع بِصَاحِبِه[٥].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الجنائز، باب فضل الصلاة على الجنازة واتباعها، رقم: (٩٤٥-عبد الباقي).

(٢) في (س) و(ف): فيها.

(٣) أخرجه بنحوه الطبراني في الدعاء من قول عمر رضي الله عنه: (٣/١٣٦٠)، رقم: (١١٩٤).

(٤) في (د) و(ص): هبه.

(٥) قوله: «فإنَّك إذا دَعَوْتَ له أخذت حَظَّكَ منه، وأخذ حظَّه منك، من كان منكما أَصْلَحُ انتفع بِصَاحِبِه» موضعه في (د) و(ص) بعد قوله: «وأما الدعاء»، وفي طُرّة في (س): «هنا موضعه في أخرى»، فدلَّ على اختلاف النسخ بين التقديم والتأخير، ولعل ما أثبتناه يكون أوفق وأقوم.

وأمَّا الشَّرِكَةُ في الرحمة؛ فيما يكون من القَبُولِ للدعاء، أو بما[١] يكون له[٢] من قَبُولِ شفاعتكم فيه، أو بما يعودُ عليكم من بركته.

وأمَّا الأُنْسُ من الوحدة؛ فإنه إذا أُنزل في قبره يُستحبُّ أن يجلس عليه سَاعَةً يَسْتَأْنِسُ المَيِّتُ بهم؛ حتى يُرَاجِعَ المَلَكَيْنِ[٣] رُسَلَ ربِّه.

وأمَّا الوفاء؛ فلأنَّه[٤] كان له صاحبًا، والمُسْلِمُ للمسلم ذُخْرٌ في المُلِمَّاتِ، وهذا آخِرُ ما يكون بينهما، فيجب أن يَفِيَ[٥] به، وهو مَتَاعٌ قَلِيلٌ من حَبِيبٍ مُفَارِقٍ.

وأمَّا التعزية؛ فقد قال النبي ﷺ: «من عَزَّى مُصَابًا فله مِثْلُ أَجْرِه»[٦].

قيل: دعا له[٧].

وقيل: قال[٨] كَلَامًا حَسَنًا؛ يُسَلِّيه به[٩] ويَقَعُ منه[١٠] مَوْقِعَه[١١].

---

(١) قوله: «فيكون من القَبُولِ للدعاء، أو بما» سقط من (ص).

(٢) سقطت من (س).

(٣) سقط من (د) و(ص).

(٤) في (س) و(ص) و(ف): فإنه.

(٥) في (د): يفيئ له.

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه عن ابن مسعود رضي الله عنه: أبوابُ الجنائز عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في أجر من عزَّى مصابًا، رقم: (١٠٧٣-بشار)، وضعَّف أبو عيسى هذا الحديث، ورجَّح وقفه، وضعَّفه ابن العربي في العارضة: (٤/٣٩٦).

(٧) العارضة: (٤/٣٩٦).

(٨) سقطت من (س).

(٩) سقط من (س) و(د).

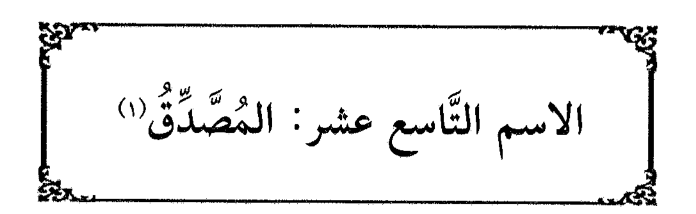
(١٠) في (س): مثله.

(١١) العارضة: (٤/٣٩٦).

وقد عَلِمَ كُلُّ مسلم أن للباري سبحانه على العبد نِعَمًا لا تُحْصَى، فمنها: نِعْمَةُ البَدَنِ، وهي الصِّحَّةُ والسَّلامة، ومنها: نِعْمَةُ المال، وهي الغِنَى والثروة، فجَعَلَ شُكْرَ نِعْمَةِ البَدَنِ الصَّلَاةَ، وجَعَلَ شُكْرَ نِعْمَةِ المال الصَّدَقَةَ[1]، فكَانَ:

* * * * *

(١) ينظر: المسالك: (٤/١٠).



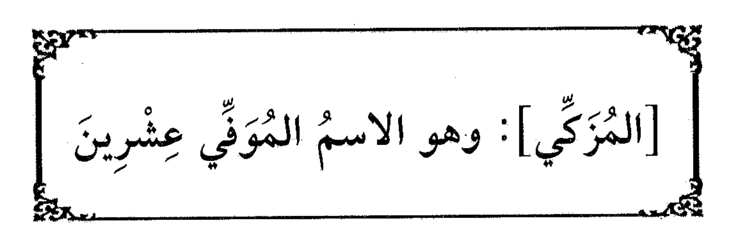
الاسم التَّاسع عشر: المُصَّدِّقُ(١)

وهو يَرْجِعُ إلى الصِّدْقِ؛ كما تقدَّم في تفسيره، لمُوَافَقَةِ إنفاقه لاعتقاده(٢)، ويُسَمَّى «المُزَكِّي».

* * * * *

(١) في (س) و(ص) و(ف) و(ز): المتصدق، ومرَّضها في (د).

(٢) ينظر: المسالك: (٤/١٠).



[المُزَكِّي]: وهو الاسمُ المُوَفِّي عِشْرِينَ

والمُزَكِّي أَعَمُّ من المُصَدِّقِ[١]؛ لأن متعلَّقاته في العربيَّة أكثرُ، وقد بيَّنَّا ذلك في مَوْضِعِه.

والمُصَدِّقُ والمُزَكِّي: هو/ الذي يَقْضِي ما الله عليه من حَقٍّ في ماله لأَرْبَابِهِ الذين أحالهم عليه به، حسبما بينَّاه في «قِسْمِ المَقَامَاتِ الأَوَّلِ»[٢]. [١١٤/أ]

ويَزِيدُ المُزَكِّي عليه بأنه الذي يُطَهِّرُ نفسه من أَدْنَاسِ الذنوب، كما يُطَهِّرُ ماله من أدناس الحقوق، فالصَّدَقَةُ أَوْسَاخُ الناس، كما رُوِيَ[٣] في الحديث الصحيح[٤].

ولمَّا كانت النِّعْمَتَانِ في البَدَنِ والمال مُقْتَرِنَتَيْنِ؛ بهما يَتِمُّ للمرء وجودُه ومعاشُه واستقلالُه، قَرَنَ الله بينهما في الفَرْضِ والشُّكْرِ، والعِوَضِ والأَجْرِ، فقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة:٤٢]، وقال تعالى: ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [المائدة:٥٧].

---

(١) في (س) و(ص): المتصدق.

(٢) في السِّفْرِ الأوَّل.

(٣) في (د) و(ص) و(ز): ورد.

(٤) حديث «إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد؛ إنما هي أوساخ الناس»، أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز، باب ترك استعمال آل النبي على الصدقة، رقم: (١٠٧٢-عبد الباقي).

وأَفْرَدَ أيضًا الصَّلاة في موضعٍ لرُكْنِيَتِها، وأفرد الصدقة في موضعٍ آخر لركنيتها، وذَكَرَ التزكية في مَوْضِعٍ آخَرَ عُمُومًا، وتولَّى بيان ذلك بعِلْمِه وحُكْمِه وحِكْمَتِه[١]، بأَبْدَعِ وَصْفٍ وأَعْظَمِ وَصْفٍ، ولولا التَّطْوِيلُ لتتبَّعناها لكم على نَظْمِ القرآن آيَةً آيَةً، كما فعلنا في الصَّلاة، لكن ذلك الدُّسْتُورَ الذي قدَّمناه[٢] في الصَّلاة اجعلُوه في الزَّكاة بأفهامكم، وبما رَتَّبْنَا[٣] في «قانون التأويل»[٤]، وسَنُبَيِّنُ نحنُ من هذه المعاني في بقية الكتاب ما يُعِينُ على معرفة الطريق إليه إن شاء الله.

[فوائدُ الصدقة]:

وبالجُمْلَةِ فلا مَزِيَّةَ[٥] في الصدقة أَعْظَمَ من التَحَلِّي بأوصاف الإلَهية؛ أن تُقَسِّمَ الرِّزْقَ نائبًا عن الله، كما يُقَسِّمُه الله.

فإن كنت عالمًا وتَحَلَّيْتَ بهذا الاسم؛ فقَسَّمْتَ العِلْمَ وبَثَثْتَهُ في الناس، وكان لك بَذْلُ العِلْمِ وقِسْمَتُه، ونَشْرُ[٦] المال وهِبَتُه؛ فقد تَمَّ لك شَرَفُ الدنيا والآخرة، قال النبي ﷺ: «لا حَسَدَ إلَّا في اثنتين؛ رَجُلٌ آتاه الله الحِكْمَةَ فهو يَقْضِي بها ويُعَلِّمُها، ورَجُلٌ آتاه الله مالًا فهو يُنْفِقُه آناء اللَّيْلِ والنَّهَارِ»[٧].

---

(١) سقطت من (د) و(ص).

(٢) في (س) و(ف): قدَّمنا.

(٣) في (ز): رتبناه، وفي (ص): دللناه.

(٤) قانون التأويل: (ص٢٩٧-٣٠٧).

(٥) في (س) و(ف) و(ص) و(ز): تريد.

(٦) في (د): نشر.

(٧) تقدَّم تخريجه.

ولصِحَّةِ تداخلهما وانتظامها قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنَ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:١٠٤] الآية.

والصَّلَاةُ مَنْمَاةٌ للمال، والصدقة مَحْمَاةٌ للبدن، مَنْجَاةٌ وتقوًى له[١]، قال النبي ﷺ: «اتقوا النار ولو بشِقِّ تمرة، فإن لم يجد[٢] فبكلمة طيبة»[٣]، وهي[٤] عِصْمَةٌ لماله[٥]، كما أن الصلاة عِصْمَةٌ لبدنه، وهما «الأختان» في ألسنة الفقهاء[٦].

والوَجْهُ العظيم في تطهير الزكاة للبدن قَلْعُ الشُحِّ والبُخْلِ من القلب، وتُزَكِّيهِم[٧] - أيضًا - على[٨] أن يَلْحَظُوهَا، أو ينظروا إليها، أو يَعْتَدُّوا بها، وإنَّما يجعلونها وَسِيلَةً بين أيديهم، وذَخِيرَةً لهم في استقرارهم.

ومن شَرَفِهَا: قال النبي ﷺ: «إنَّ الصدقة لتقعُ في كَفِّ الرحمن قبل أن تقع في كَفِّ السائل»[٩]، وهو[١٠] عبارةٌ عن القَبُولِ، فإنَّ/ السَّائِلَ إذا قَبِلَ [١١٤/ب]

---

(١) في (س) و(ف): والصلاة منماة للمال، والزكاة محماة للبدن، ومنجاة وتقوية، وفي طرة بـ(س): والصلاة منماة للبدن، والصدقة منماة للمال وتقوية له، وصحَّحهما.

(٢) في (د) و(ز): تجد، وفي (ص): تجدوا.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن عَدِي بن حاتم ﵁: كتاب الجنائز، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، رقم: (١٠١٦-عبد الباقي).

(٤) سقطت من (س) و(ص) و(ف) و(ز).

(٥) في (د): ماله.

(٦) في (ص): العلماء.

(٧) في (د) و(ص): يزكيهم.

(٨) في (ص): عن، وسقط من (س) و(ف).

(٩) أخرجه عبد الرزاق في التفسير عن ابن مسعود ﵁ موقوفًا: (١/٢٨٧)، والطبراني في أكبر معاجمه: (٩/١١٤).

(١٠) سقط من (د) و(ص).

مَدَّ يَدَه وأَخَذَ الصَّدَقَةَ وجَمَعَ عليها كَفَّه، فكان ذلك علامةً على قَبُولها، وحَوْزُها[١] مِلْكٌ له[٢]، فأخبر النبيُّ ﷺ عن قَبُوله وادِّخاره لها عنده لصاحبها بحال القَبْضِ لها، والاحتياز[٣] في الكَفِّ، وهو هيئة التملك[٤] والقبول، والإخبارُ بلسان الحال عن المقال والمَقَالِ عن الحال أَصْلُ الفصاحة، وهو كثير مُتَقَرَّرٌ في العربية[٥].

وقد مَدَحَ الله قومًا على النفقة فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

والمعنى: «لا يدَّخرون شيئًا عن الله، ويؤثرونه على جميع الأشياء، يُنفقون أبدانهم في الطاعات، ويُنفقون أموالهم في اقتناء الخيرات، وابتغاء القربات[٦]، ووجوه الصدقات[٧]»[٨]، فيقومون بحَقِّ النِّعْمَتَيْنِ.

وأَوَّلُ من فَعَلَ ذلك أبو بكر رضي الله عنه؛ جاء بماله كُلِّه فقُبِلَ منه، وجاء عمر رضي الله عنه بنِصْفِ ماله فقُبِلَ منه[٩].

---

(١) في (د): حوزه.

(٢) في (د) و(ص): لها.

(٣) في (س) و(ز): الاختيار.

(٤) في (د): التمليك.

(٥) ينظر: القبس: (٢/٤٥٢).

(٦) قوله: «وابتغاء القربات» سقط من (ص).

(٧) في (س) و(ف): الصدقة.

(٨) لطائف الإشارات: (٢/٢٧٧-٢٧٨).

(٩) أخرجه الترمذي في جامعه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٣٦٧٥-بشار).

وروى عبد الرزَّاق - في تَفْسِيرِ سُورَةِ التَّوْبَةِ -: «أنَّ عبد الرحمن بن عوف جاء بِنِصْفِ ماله فقُبِلَ منه»(١).

وجاء كَعْبُ بن مالك(٢) وأبو لُبَابَةَ(٣) -كما بينَّاه في «أنوار الفَجْرِ(٤)» - بأموالهما، فقُبِلَ منهما الثُّلُثُ.

وقيل فيهما وفي بقية الخَلْقِ: ﴿خُذْ مِنَ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣]، ولا تأخذ أموالهم؛ فإن قلوبهم لا تحتمله، ونفوسهم لا تَطِيبُ بأخذ أموالهم(٥)، فصار ذلك سُنَّةً حسبما بينَّاه في «كُتُبِ(٦) الفِقْهِ»(٧).

ومن فَضْلِها تَعْيِينُ باب لها في الجنة، فإن للجنة ثمانية أبواب، أَحَدُها باب الصَّدَقَةِ(٨).

وإذا قامت الصَّلَاةُ بِشُكْرِ نِعْمَةِ البَدَنِ، وقامت الصَّدَقَةُ بِشُكْرِ نِعْمَةِ المَالِ؛ وَقَعَ الثَّنَاءُ(٩) في شُكْرِ نِعْمَةِ البَدَنِ في الصِّيَامِ، فكَانَ:

---

(١) تفسير عبد الرزاق: (١/٢٨٣).
(٢) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة تبوك، رقم: (٤٤١٨-طوق).
(٣) تفسير عبد الرزاق: (١/٢٨٦)، وينظر: أحكام القرآن: (٢/١٠١٠).
(٤) قوله: «في أنوار الفجر» سقط من (د) و(س) و(ز).
(٥) في (د) و(ص): بإخراجه.
(٦) في (ص): كتاب.
(٧) أحكام القرآن: (٢/١٠١٠).
(٨) الإشارة هنا إلى حديث: «من كان من أهل الصدقة دُعِيَ من باب الصدقة»، أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الجهاد، ما جاء في الخيل والمسابقة بينها والإنفاق في الغزو، (١/٤٩٠)، رقم: (١٣٤٧-المجلس العلمي الأعلى).
(٩) في (د) الكلمة غير واضحة.

الصَّائِمُ: وهو الاسمُ الحادي والعشرون

مُقَامًا[(١)] لشُكْرِ نِعَمِه[(٢)]، بتَسْوِيغ الغذاء من الطعام والشراب؛ فإنَّ الصحة واستواء الأعضاء لا يعادلهما شيء، وبالحَرَى أن تقوم بها الصلاة بفَضْلِ الله، فتبقى نعمة الغذاء وهي مادة البقاء، شَرَعَ الله له الإمساك عنها بنيَّة العبادة شُكْرًا، ووعد عليه مثوبة وأجرًا، وأَوْسَعَه ثَنَاءً وفَضْلًا، ولو لم يَكُنْ إلَّا قوله تعالى: «الصَّوْمُ لي وأنا أَجْزِي به»[(٣)].

وقد كان الصَّوْمُ في شَرْع من مضى على أَصْلِه في العربية: الإِمْسَاكُ عن الكلام والشراب والطعام[(٤)]، قال الله تعالى مُخْبِرًا عن الصَّالحة: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم:٢٥].

وكان الصَّوْمُ في أوَّل الإسلام الليل والنهار إلَّا سَاعَةَ الفِطْرِ قبل النَّوْمِ، ثم رَحِمَ الله هذه الأمة فجعل للصَّوْم النَّهَارَ دون اللَّيل.

وقالت الصُّوفِيَّةُ: «الصَّوْمُ على ثلاثة أقسام؛ صَوْمٌ عن الطعام والشراب والوَطْءِ، وصَوْمٌ عن جميع المُحَرَّمَاتِ، وصَوْمٌ عمَّا سوى الله تعالى، فلا يَنْظُرْ إلى غيره، وليُمْسِكْ عمَّن سواه»[(٥)].

---

(١) خبر فكان، وفي (د): فقامًا، وفي (ص): قيامًا.

(٢) في (د): نعمة.

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطَّأ عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الصيام، جامع الصيام، (١/٣٥٦)، رقم: (٨٦٤-المجلس العلمي الأعلى).

(٤) ينظر: شرح ابن بطَّال: (٣/١١)، والعارضة: (٣/٢٣٠).

(٥) ينظر: لطائف الإشارات: (١/١٥٢)، والإحياء: (ص٢٧٧)، وقوت القلوب: (٣/١٢٤٥)، وينظر - أيضًا -: العارضة: (٣/٢٣١).

[١١٥/أ] وهذا كلُّه له وَجْهٌ صَحِيحٌ؛ فإن تَعَلُّقَ القَلْبِ/ بغَيْرِ الله، وجَرْيَ اللِّسَانِ بذِكْرِ سواه، واستعمالَ الجوارح في عَمَلٍ لا يكونُ له لا يَنْبَغِي، وكذلك المحرَّمات، معلومٌ قَطْعًا أن الخطاب بها مستمرٌّ على العباد دائمًا، ويتأكدُ ذلك بالصوم؛ فإن انتهاك الحُرْمَةِ في غير الصوم ذَنْبٌ، وانتهاكُها[١] في الصوم ذَنْبَانِ، وتتضاعفُ السيِّئات بتضاعف الحُرُمَاتِ.

قال النبي ﷺ: «من لم يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ والعَمَلَ به فلَيْسَ لله حَاجَةٌ في أن يَدَعَ طعامه وشرابه»[٢].

وقد قال جماعةٌ من السلف: «إنَّ الغِيبَةَ تُفْطِرُ الصائم وعليه القضاء لأجل هذا الحديث؛ وذلك لأن أَجْرَ الصائم لا يفي بإثم الغيبة لأنها من الكبائر، والكبائر من العبادات لا تُكَفِّرُ الكبائر من السيئات إلَّا بالموازنة»[٣].

وقال النبيُّ ﷺ: «إذا دخل رمضان فُتحت أبواب الجنة - وقيل: الرحمة -، وغُلِّقَتْ أبواب النار، وسُلْسِلَتِ الشياطين»[٤].

ومن الحديث الحسن: «صُفِّدَتِ الشياطينُ ومَرَدَةُ الجِنِّ، وغُلِّقَتْ أبوابُ النار، فلم يُفتح منها بابٌ، وفُتحت أبواب الجنة فلم يُغلق منها

---

(١) في (د): انتهاكه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﵁: كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، رقم: (١٩٠٣-طوق).

(٣) ينظر: قوت القلوب: (١٢٤٧/٣)، والإحياء: (ص٢٧٧)، وفتح الباري: (١٠٤/٤)، وهو قَوْلُ الأوزاعي وسفيان.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﵁: كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان، رقم: (١٠٧٩-عبد الباقي).

باب، ويُنَادِي مُنَادِي: يا بَاغِيَ الخير أَقْبِلْ، ويا بَاغِيَ الشرِّ أَقْصِرْ، ولله عُتَقَاءُ من النار، وذلك كلَّ ليلة»[١].

[فضائلُ الصوم[٢]]:

وقال ﷺ: «قال الله[٣]: كلُّ عَمَلِ ابن آدم له إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به، يَدَعُ شهوته وطعامه وشرابه من أجلي، وقال: للصائم فرحتان، فرحة عند إفطاره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخُلوف فم الصائم أطيبُ عند الله من ريح المِسْكِ، والصيام جُنَّةٌ»[٤].

فهذه أَحَدَ عشر[٥] خصلة، كلُّ واحدة منهن[٦] تُوَازِي الدنيا:

الخصلة الأولى: «كلُّ عَمَلِ ابن آدم له» فيه قولان:

أحدهما: يعلم مقدار ثوابه.

والثاني: «كل عَمَلِ ابن آدم له»، أي: صفته؛ لأنها[٧] حركات وسكنات، وتلك لا تليق بالله.

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة ﷺ: أبواب الصوم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل شهر رمضان، رقم: (٦٨٢-بشار).

(٢) ينظر: العارضة: (٣/٣٢٤-٣٢٧)، والقبس: (٢/٤٨١-٤٨٢)، والمسالك: (٤/٢٣٦-٢٤٢).

(٣) قوله: «قال الله» لم يرد في (د) و(ص).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم؟ رقم: (١٩٠٤-طوق).

(٥) في (س) و(ص): إحدى عشرة، وفي (ف): إحدى عشر.

(٦) في (س): خصلة منها، وفي (س) - أيضًا -: وفي خـ: واحدة.

(٧) في (د) و(ص): فإنها.

الخصلة الثانية: «إلَّا الصوم»؛ ويتَرَكَّبُ القولان على القِسْم الأوَّل في الخصلة الأولى، فيكون المعنى: أن الصوم لا يَعْلَمُ أَحَدٌ مقدار ما يُثَابُ[1] عليه، ويَدُلُّ عليه قوله فيه: «الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبع مائة ضعف، إلَّا الصوم، فإنه لي وأنا أَجْزِي به»[2].

أو يكون المعنى: إلا الصوم، فإنه صِفَةٌ من صفاتي، إذ لا يَطْعَمُ، وأنا الذي لا يَطْعَمُ بحال[3]، ولا يجوز عليه أن يَطْعَمَ، فإذا تَكَلَّفَ ذلك العَبْدُ وتعاطاه فلا تعلم نَفْسٌ قَدْرَ ثوابه.

الخصلة الثالثة: قوله: «لي»؛ وفيه أقوالٌ، لُبَابُها سَبْعَةٌ[4]:

الأوَّل: «لي[5]»، أي: صِفَتِي، كما تقدَّم، فمن تعاطاه فثوابُه غير مُحَصَّلٍ لأَحَدٍ.

[١١٥/ب] الثاني: أضافه إليه إضافةَ تَشْرِيفٍ - وإن كانت الأعمال كلُّها له -/ كما قال: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [الحج:٢٤]، تنبيهًا على شَرَفِهِ[6].

الثالث: أي: لا يعلمه غيري[7]؛ فإن كلَّ عَمَلٍ لا يُمكن العبد أن يستره[8] إلا الصوم، فيُمكن أن لا يطَّلع عليه أَحَدٌ إلا الله[9].

---

(١) في (ص): مقدار ثوابه.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ الإمام مالك في الموطَّأ عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الصيام، جامع الصيام، (٣٥٦/١)، رقم: (٨٦٤-المجلس العلمي الأعلى).

(٣) ينظر: التوضيح لابن الملقن: (٢٧/١٣).

(٤) ينظر: القبس: (٤٨١/٢)، والعارضة: (٣٢٤/٣).

(٥) سقطت من (س) و(ص).

(٦) في (ص): شرفها.

(٧) في (س) و(ف): غيره.

(٨) في (س): يشهره.

(٩) غريب الحديث لابن سلَّام: (٣٢٩/٣)، وشرح الصحيح للخطَّابي: (٩٤٠/٢).

الرابع: من صفة ملائكتي؛ لأن العبد إذا لم يأكل تَشَبَّهَ بالملائكة، وهو[١] أقوى من الأول عندي وأَوْلى، فعليه ينبغي أن يكون المعوَّل.

الخامس: أنا الذي أعلمُ مقدار ثوابه، وقد تقدَّم ذِكْرُه في الأقوال.

السَّادس: أن معنى قوله: «الصوم لي»، أي: يَقْمَعُ عَدُوِّي، وهو الشيطان؛ لأن سَبِيلَ الشيطان إلى الآدمي الشهواتُ، فإذا تُرِكَتْ خاب[٢] وذَلَّ، وانحَسَر[٣] وانْخَنَس.

السَّابع: رُوِيَ - ولم يصحَّ، فربُّك أعلم -: «أنَّ غُرَمَاءَ العبد لا يُجْعَلُ لهم إلى الصوم سَبِيلٌ»[٤]، وذلك عندي - والله أعلم - إذا لم يكن مَعْلُومًا لأحد، ولا مَكْتُوبًا في الصُّحُفِ، فيسترُه الله له ويخبِّؤه عليه رِفْقًا به، حتى

---

(١) في (د) و(ص): هذا.

(٢) في (د) و(ص): ذاب.

(٣) مرَّضها في (د)، وفي (ص): انحشر، وفي (ز): انخسر.

(٤) قال ابن العربي (المسالك: ٤/٢٤١): «رُوِي في بعض الآثار: أن العبد يأتي يوم القيامة بحسناته؛ ويأتي قد ضرب هذا، وشتم هذا، وأخذ مال هذا، فتدفع حسناته لغرمائه، إلا الصيام، يقول الله: هو لي، ليس إليه سبيل»، وقال ابن حجر (الفتح: ٤/١٠٩): «روى البيهقي من طريق إسحاق بن أيوب بن حسَّان الواسطي عن أبيه عن ابن عُيَينة: إذا كان يوم القيامة يُحَاسِبُ الله عبده ويؤدي ما عليه من المظالم من عمله، حتى لا يبقى له إلا الصوم، فيتحمَّل الله ما بقي عليه من المظالم، ويُدْخِله بالصوم الجنة»، وصحَّحه من قول ابن عُيَينة، واعترض أبو العباس القرطبي قول ابن العربي وردَّه في المُفْهِم: (٣/٢١٢)، وردَّ ابن حجر ما ذهب إليه أبو العباس، ومال إلى ما قرَّره ابن العربي، ينظر: الفتح: (٤/١٠٩)، والتوضيح لابن الملقن: (١٣/٢٦).

يكون له جُنَّة من العذاب، فيطرح[١] أولئك عليه سيئاتهم، فتذهبُ عنهم ويَقِيهِ الصوم، فلا تضر[٢] لأصحابها لزوالها عنهم ولا له؛ لأن الصوم جُنَّته[٣].

الخصلة الرابعة: قوله: «وأنا أجزي به»، إشارة إلى أنه لا يتولَّى ذلك نائبٌ؛ من مَلَكٍ أو سِوَاهُ تَشْرِيفًا له[٤].

الخصلة الخامسة: قوله: «يَدَعُ شهوته من أجلي»، ولم يقل: تُعْدِمُ ولا تُضْعِفُ[٥]، كما تقول الصوفية، وإنما قال: يَدَعُ شهوته مع وجودها وقوَّتها، وذلك أَعْظَمُ في المجاهدة وأَكْثَرُ في الثواب.

الخصلة السَّادسة: قوله تعالى: «وطعامه وشرابه»، بَيَانٌ بأن الشهوة متروكة مقموعة، والطعام والشراب متروك، فهما متروكان:

أحدهما: نَفْسِيٌّ.

والآخَرُ: بَدَنِي.

وهنالك من لا تقوى شهوتُه للطعام، فتكون له الخصلة الواحدة؛ وهي الترك، فإذا اجتمعتا[٦] كان أفضل، إلَّا أن يكون ضَعيف[٧] الشهوة لِحُرْمَةٍ في ذلك، واعتمال وارتياض، فيكون لها من الفَضْلِ مثلُ الأوَّل.

---

(١) في (س) و(ف) و(ص): فيطرحون.

(٢) في (س): تصبر، وفي (ص): تصر، وفي (ز): تضير.

(٣) في (س) و(ف) و(ص): جنة.

(٤) هو قَوْلُ أبي نصر الداودي، ينظر: التوضيح لابن الملقن: (١٣/٢٧).

(٥) في (ص) و(ز): يُعدم ولا يُضعف.

(٦) في (د) و(ص): اجتمعَا.

(٧) في (س) و(ف): ضعف.

الخصلة السَّابعة: قوله: «من أجلي»، أي: امتثالًا لأمري، وانقيادًا لحُكْمِي، بيانُ الفَرْقِ[1] بين العبادة والعادة[2].

الخصلة الثامنة: قوله: «للصَّائم فرحتان[3]؛ فرحة عند إفطاره»، قال عَامَّةُ العلماء: فَرْحَةٌ بالأكل لشَوْقِه إليه وصَبْرِه عنه، ويَعْضُدُ هذا قوله: «يَدَعُ شهوته»، أي[4]: يدعها[5] لله تعالى، حتى إذا انتهى الأمد[6] المحدود اقتضى شهوته بعد ما قضى عبادته، وأين أفضل من هذا؟

وقالت الصوفية - وساعدهم على ذلك بعض المتفقهة -: معناه: «الفَرَحُ بتمام العبادة؛ سليمة من[7] نواقصها[8]».

وقلتُ أنا: إنها[9] فرحة لها مفروحان[10]؛ قضاء الشهوة، وسلامة العبادة، ولا تعارض بينهما حتى يمتنع اجتماعهما.

الخصلة التاسعة: «فرحة عند لقاء ربه»، لِمَا يرى من ثوابه.

---

(١) في (س) و(ف): للفرق.

(٢) في (س) و(ف): العادة والعبادة.

(٣) سقطت من (ص) و(د).

(٤) سقطت من (ص) و(س) و(ز).

(٥) في (س) و(ف) و(ص): فيدعها.

(٦) في (ص) و(س) و(ز): الأمر.

(٧) في (ص) و(د): عن.

(٨) في (س) و(ص) و(ف): نواقضها.

(٩) سقطت من (ص) و(د).

(١٠) في (د): مفرحان، وفي الطرة: في خـ: وجهان، وفي (ص): فرحتان.

[١١٦/أ] **الخصلة العاشرة:**/ قوله: «ولخُلُوفِ فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»، يريدُ أن تَغْيِيرَ فَمِ الصائم إلى الرائحة الكريهة أَطْيَبُ عند الله من طِيبِ رِيحِ المِسْكِ عندكم[١]، الإشارةُ إلى أن العباد يستحبون رائحة المِسْكِ الطَّيِّبَةِ[٢]، ولا يستحبُّون الدَّفْرَة، وهذه الرائحة الكريهة هي التي يُحِبُّ الله، وضَرَبَ الطِّيبَ مَثَلًا للمحبة، والمحبةُ عبارةٌ عن المثوبة.

الخصلة الحادية عشر: قوله: «والصيام جُنَّةٌ»، وهذا نصٌّ في أنه وقاية، مِنَ المِجَنِّ، وهو ما يُتَّقَى به في الحَرْبِ من الطَّعْنِ والضَّرْبِ[٣].

قال الإمام الحافظ[٤] **أبو بكر بن العربي** ﷺ: وناهِيكَ بهذا فَضْلًا، وإنه لكَافٍ في شَرَفِ الصَّوْمِ، فلا تطلبوا بعده فَضْلًا فإنه يُجْزِئكم.

وفائدةُ الصوم تكثرُ وجوهها، وقد مَضَتْ منها في هذا الكلام جُمَلٌ.

وقد قال جماعة من الزهَّاد: إن قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٢]، أي: تضعف شهواتكم[٥].

وقيل: لعلَّه يتذكر الجائعين؛ ولذلك قيل له - في أوَّل الأمر -: إن شئت أن تُعَوِّضَ عن[٦] الصيام إطعامَ المساكين فافْعَلْ.

---

(١) شرح الصحيح للخطَّابي: (٢/٩٤٠).

(٢) ضبَّب عليها في (د).

(٣) شرح الصحيح لابن بطَّال: (٨/٣).

(٤) في (د): قال الإمام الحافظ، وفي (ص): قال الإمام، وفي (ز): قال الإمام الحافظ القاضي.

(٥) أحكام القرآن: (٧٥/١)، وينظر: الجامع لأبي عبد الله القرطبي: (١٢٦/٣).

(٦) في (ص) و(د): على.

وقيل: لتَقِلَّ مؤونته؛ فيَقِلُّ[١] كَسْبُه، فيَتَفَرَّغُ[٢] زمانُه للعبادة.

وقيل: ليرتدع عن المعاصي، فإن حَالَةً قد[٣] تُحَرِّمُ عليه المباح أَحْرَى أن تمنعه من المحظور.

فركِّبوا على هذا الأُنموذج ما قرَّرناه في «قانون التأويل» من المعاني والألفاظ التي تَحْتَمِلُه.

والسَّحُورُ سُنَّةٌ؛ ثبت أن النبي ﷺ قال[٤]: «تَسَحَّرُوا، فإنَّ في السَّحور بركة»[٥]، ووجوه بركته[٦] كثيرة، وفائدته[٧] أن يُقَسِّمَ غِذاءه بين وَقْتَيْنِ، حتى لا يلحقه ضَجَرٌ بالصوم، ولا يناله مرض[٨]، ولذلك مُنِعَ من[٩] الوِصَالُ.

وأرادت الصحابةُ أن تُواصل فمنعهم النبي ﷺ رِفْقًا بهم[١٠]، ثم

---

(١) في (ص): يثقل.

(٢) في (ص): فيفرغُ زمانُه.

(٣) سقطت من (ص) و(د).

(٤) سقط من (س).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: كتاب الصوم، باب بركة السحور، رقم: (١٩٢٣-طوق).

(٦) في (د) و(ز): بركتها.

(٧) في (ص) و(ز): فائدتها.

(٨) في (س): مرص.

(٩) سقطت من (ص) و(س) و(ز).

(١٠) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: كتاب الصوم، باب الوصال، رقم: (١٩٦١-طوق)، ولفظه فيه: «لا تواصلوا، قالوا: إنك تواصل، قال: لست كأحد منكم؛ إني أُطعم وأُسقى».

وَاصَلَ بهم مُنَكِّلًا لهم[١]؛ لتعَرُّضِهِمْ لِفِعْلِ ما لم يُفْرَضْ[٢] عليهم، تشبيهًا بالأمم الخالفة[٣]، فإنها كانت تَزِيدُ في الفَرْضِ، ثم تعجز عن الجميع، والناسُ منقسمون في ذلك، فمن قَدَرَ عليه فليفعله، ومن لم يقدر فلا أقلَّ من تَمْرَةٍ اتباعًا[٤] للسُّنَّةِ، واغتنامًا للبركة، واعتقادًا للفَرْقِ بيننا وبين أهل الكتاب، ولو لم يكن من بَرَكَةِ السَّحُورِ إلَّا أنَّ في الصحيح؛ قال النبي ﷺ: «لا تواصلوا، فأيُّكم أراد أن يُواصلَ فليُوَاصِلْ حتى السَّحَرِ»[٥].

وتَعْجِيلُ الفِطْرِ سُنَّةٌ[٦]؛ ففي الصحيح: «لا يزالُ الناس بخَيْرٍ ما عجَّلوا الفِطْرَ»[٧]، «وإذا أَقْبَلَ اللَّيْلُ من هاهنا، وأدبر النهار من هاهنا، فقد أفطر الصائم»[٨]، أي: دَخَلَ في وَقْتِ الفِطْرِ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب الصوم، باب التنكيل لمن أكثر الوصال، رقم: (١٩٦٥-طوق)، ولفظه فيه: «فلمَّا أَبَوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يومًا، ثم يومًا، ثم رأوا الهلال، فقال: لو تأخَّر لزدتكم، كالتنكيل لهم حين أَبَوا أن ينتهوا».

(٢) في (ص) و(د): يفرض الله.

(٣) في (ص) و(د) و(ز): الماضية، وأشار إليها في (س).

(٤) سقطت من (ص) و(د) و(ز).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري ﷺ: كتاب الصوم، باب الوصال إلى السحر، رقم: (١٩٦٧-طوق).

(٦) قوله: «في الصحيح قال النبي ﷺ: لا تواصلوا، فأيُّكم أراد أن يُواصلَ فليُوَاصِلْ حتى السَّحَرِ. وتَعْجِيلُ الفطور سنة» سقط من (ص).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد ﷺ: كتاب الصوم، باب تعجيل الفطر، رقم: (١٩٥٧-طوق).

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب ﷺ: كتاب الصوم، باب متى يحل فطر الصائم؟ رقم: (١٩٥٤-طوق).

١ [١١٦/ب]

ورأيتُ المدينة المُقَدَّسَةَ في غَرْبِيِّهَا[١] جَبَلُ أُحُدٍ، فلا يُمكن أحدٌ أن يتحقَّق[٢] - وخاصَّةً/ في أيام الشتاء - غُرُوبَ الشمس، لأنها تسكن وراء[٣] ذلك الجبل العظيم، ولكن يَنْظُرُ طلوع الليل من المشرق، وسقوط الشمس عن عمائم الجبال، ولذلك كانوا إذا اغتاموا[٤] ربما يُفطرون في زمان النبي ﷺ وأبي بكر[٥] وعمر، ثم تطلع الشمس[٦].

ولا يتقدَّمُ الشَّهْرَ بصَوْمٍ، قال النبيُّ ﷺ: «لا يتقدَّمنَّ أحدُكم الشَّهْرَ بيوم ولا بيومين، إلا أن يكون رَجُلٌ كان يصوم صَوْمَه، فليصم ذلك اليوم»[٧].

وفي سنن أبي داود وغيرها: «إذا انتصف شعبان فلا يصومنَّ أحدُكم حتى يدخل رمضان»[٨].

---

(١) في (ص): غربها.

(٢) بعدها في (س): غروبها.

(٣) في (د): من وراء.

(٤) في (س) و(ف): أغاموا، وفي (ص): غاموا.

(٥) قوله: «وأبي بكر» سقط من (د) و(ص).

(٦) أخرج البخاري من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: «أفطرنا على عهد النبي ﷺ يوم غَيْمٍ ثم طلعت الشمس»، كتاب الصوم، باب إذا أفطر في رمضان ثم طلعت الشمس، رقم: (١٩٥٩-طوق).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الصوم، باب لا يتقدَّمن رمضان بصوم يوم ولا يومين، رقم: (١٩١٤-طوق).

(٨) أخرجه أبو داود في السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الصوم، باب في كراهية ذلك، رقم: (٢٣٣٧-شعيب).

[صيامُ سِتٍّ من شوَّال[١]]:

ولا يُشَيِّعُه بصوم ستة أيام ولا سواها؛ فإن العِلَّةَ التي[٢] نُهِيَ عن سَبْقِه بصَوْمٍ هي العِلَّةُ بعينها موجودةٌ مُتَمَكِّنَةٌ في التَّشْيِيعِ، وهي أن الله تعالى قد حَدَّ حُدُودًا ووظَّفَ وَظَائِفَ[٣] لكل أمة، ونهاها عن الزيادة في شيء منها أو النقص لها، وأمر بالمحافظة عليها، فغيَّرت الأمم وزادت ونقصت، وترَهَّبت وابتدعت، وحذَّر الله هذه الأمة من ذلك؛ إِقَامَةً للحجة عليهم، ثم أخبرهم أنهم فاعلون لِيَنْفُذَ الكتاب عليهم، فقال: «لتركبن سَنَنَ من كان قبلكم، شِبْرًا بشِبْرٍ، وذِرَاعًا بذِرَاعٍ، حتى لو دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتموه»[٤]، وأبى الله لمن سَبَقَ إلَّا أن يُبَدِّلُوا الصوم[٥]، فحَذَارِ - أيتها الأمة المرحومة - من ذلك، فلا تصوموا قبل رمضان ولا بعده، وأقْبِلُوا[٦] على ما ألزمكم الله بالامتثال، وخُذُوا ما أعطاكم؛ فإنه بكم رؤوف رحيم.

فإن قيل: فقد قال ﷺ: «من صام رمضان وسِتًّا من شَوَّال فكأنَّما صام الدهر»[٧]؟

---

(١) ينظر: العارضة: (٣/٣٢٢).

(٢) سقطت من (س).

(٣) في (ص): وضف وضائف.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ: لتتبعن سنن من كان قبلكم، رقم: (٧٣٢٠-طوق).

(٥) في (د): الصيام.

(٦) في (د) و(ص): واقبلوا ما.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: كتاب الصيام، باب استحباب صوم ستة أيام من شوال إتْبَاعًا لرمضان، رقم: (١١٦٤-عبد الباقي).

قلنا: الفائدة في ذلك: أن الله أَعْلَمَ العَبْدَ بأن سِتَّةً[١] وثلاثين يَوْمًا في الفضل[٢] تَعْدِلُ ثلاثمائة وستين يومًا في الأجر، تأكيدًا وتنبيهًا، لِمَا أُعْلِمْنَا به عن ربنا في القرآن بقوله: ﴿مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام:١٦١]، وأنت فصُمْ سِتَّةَ أيَّام من أيِّ شَهْرٍ كان مع رمضان، قبله أو بعده، فإنك حَائِزٌ لتلك الفضيلة.

فإن قيل: لفظ الحديث: «ثم أَتْبَعَهُ سِتًّا من شوَّال»؟

قلنا: بإجماع من[٣] الأمة أن غَيْرَ شَوَّالٍ أَفْضَلُ من شَوَّال.

فإن قال: أخافُ أن أموت قبل أن أصومها فأتعجَّل؟

قلنا له[٤]: ولم لا تخاف أن تموت قبل أن يخرج الوقت للصَّلاة؟ وأنت تؤخرها عن أوَّل الوقت، وصلاةٌ واحدةٌ تفوتك أَعْظَمُ عند الله[٥] إثمًا وأحسنُ أجرًا من رمضانَيْن، فأنت تتوانى في الصَّلاة، وتُعَجِّلُ[٦] ستة أيام من شوَّال، تالله ما هذا إلَّا من الشَّيطان.

وما رأيتُ أَحَدًا من أشياخي كُلِّهم يفعلُها، إلَّا واحدًا[٧]؛ كان يُصْبِحُ/ [١/١١٧أ]

---

(١) في (س) و(ف) و(ص) و(ز): ستًّا.

(٢) في (ص): الفصل.

(٣) لم ترد في (س).

(٤) سقط من (س) و(ص).

(٥) قوله: «عند الله» لم يرد في (د).

(٦) في (ص): تتعجل، وفي (د): تَعْجَلُ بستة.

(٧) لعله يقصد شيخه الفقيه الحافظ أبا عامر محمد بن سعدون العبدري، الداودي، ثم الشافعي، الأندلسي، نزيل بغداد، فقد ذُكِرَ عنه تنقصه من الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه، ذكر ذلك ابنُ عساكر في تاريخه، وأما نسبته إلى البدعة فقد شُهر =

ثَانِيَ الفِطْرِ صائمًا لها، وكانت عليه رائحةُ بِدْعَةٍ وكَرَاهَةٍ[1] لمَالِكٍ، فكان يعتمدُ ذلك لذلك، وما كنتُ أراها خالصةً، وربُّك أعلمُ به.

[من آداب الصيام]:

ومن آدابه إذا أكمل صَوْمَ الشَّهْرِ امتثالُ ما رَوَى أبو داود وغيرُه: عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يقولنَّ أحدُكم: قُمْتُ رمضان كلَّه، ولا صُمْتُ رَمَضَانَ كلَّه»[2]، ورَكَّبَ[3] الناسُ على هذا: «لا يقولنَّ صَلَّيْتُ»، وزاد فيه بعضهم: «إن شاء الله»، وذلك كلُّه خَطَأٌ، إنما ينبغي له أن يجتنب قَصْدَ التَّزْكِيَةِ، فإذا قال: صَلَّيْتُ أو صُمْتُ، فقد صَدَقَ، حَسْبُه[4] ما استطاع، ولا يقولُ: صَلَّيْتُ كما يجب، أو الصلاةَ كلَّها، ولا صُمْتُ أيضًا كما يَجِبُ، ولا رمضانَ كلَّه، لأنه قد يَغْفُلُ، أو يُقَصِّرُ، فكُرِهَ له لأجل ذلك، فأمَّا لأجل القَبُولِ فلا يدخلُ ذلك فيه.

= عنه القول بالتجسيم، توفي عام ٥٢٤هـ، قال فيه ابن العربي: «لم أر ببغداد أنبل منه»، وقال فيه أيضًا: «هو ثقة حافظ مُقَيِّدٌ»، سمع منه ابنُ العربي «سنن أبي داود»؛ رواية اللؤلؤي، توفي عام ٥٢٤هـ، ترجمته في: الصلة: (٢/١٩٧)، وتاريخ دمشق: (٥٣/٥٩-٦١)، وسير النبلاء: (١٩/٥٧٩-٥٨٣)، وينظر: فهرس ابن خير: (ص١٤٣).

(١) في (د): كراهية.

(٢) أخرجه أبو داود في السنن عن أبي بَكْرَةَ رضي الله عنه: كتاب الصوم، باب من يقول: صمت رمضان كله، رقم: (٢٤١٥-شعيب).

(٣) في (ص): رتب.

(٤) في (د) و(ص): حسب.

[صَوْمُ النَّفْلِ]:

وصَوْمُ النَّفْلِ مُرَغَّبٌ فيه، وقد ذكر النبيُّ ﷺ الشُّهُورَ المُمَدَّحَةَ في الصوم والأيام، كان النبي ﷺ كَثِيرَ الصيام، ولكنه ما استكمل صَوْمَ شَهْرٍ قَطُّ، وكان أكثر ما يصوم في شعبان[١]، وكان يصوم شعبان إلَّا قليلًا.

وقال ﷺ لِعِمْرَانَ: «أَصُمْتَ من سَرَرِ[٢] شعبان شيئًا؟ قال: لا، - يعني: من وسطه - قال: فإذا أفطرتَ فصُمْ يومين»[٣]، ولم يَذْكُرْ له سِتًّا من شوَّال، لأنَّ المُرَادَ بسِتٍّ من شوَّال ما قدَّمناه[٤] من سِتَّةِ أيَّامٍ من أيَّامِ الفِطْرِ، أيّ شَهْرٍ كان.

وقال ﷺ: «أفضلُ الصيام شَهْرُ الله المحرَّم»[٥].

«وما كان النبي ﷺ يَتَحَرَّى صَوْمَ يَوْمٍ يُفَضِّلُه على سائر الأيام إلَّا يوم[٦] عاشوراء»[٧].

---

(١) حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «ما رأيتُ رسول الله استكمل صيام شهر قط إلا رمضان، وما رأيتُه في شهر أكثر صيامًا منه في شعبان»، أخرجه الإمام مالك في الموطَّأ: كتاب الصيام، جامع الصيام، (٣٥٦/١)، رقم: (٨٦٢-المجلس العلمي الأعلى).

(٢) قال الكسائي: السَّرار آخِرُ الشَّهْرِ، ليلة يَسْتَتِرُّ الهلال، غريب الحديث لابن سلَّام: (٢٤/٤)، وردَّه في المشارق، وقال: إنه وسطُه، (٢١٢/٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن عمران بن حُصَين رضي الله عنه: كتاب الصيام، باب صوم سرر شعبان، رقم: (١١٦١-عبد الباقي).

(٤) في (ص): قدَّرنا، وفي (د): قدَّمنا.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الصيام، باب فضل صوم المحرم، رقم: (١١٦٣-عبد الباقي).

(٦) سقط من (د).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: كتاب الصوم، باب صيام عاشوراء، رقم: (٢٠٠٦-طوق).

وقال ﷺ: «لئن عِشْتُ إلى قَابِلٍ لأصومنَّ التاسع»(١).

«وصَوْمُ يوم عَرَفَةَ يُكَفِّرُ سَنَةً قبله وسنة بعده، وصيامُ يوم عاشوراء يُكَفِّرُ سَنَةً قبله»(٢).

وسُئِلَ ﷺ عن صوم يوم الإثنين فقال: «فيه وُلِدْتُ، وفيه أُنْزِلَ عَلَيَّ»(٣).

وكان ﷺ يصوم ثلاثة أيام من الشهر، لا يبالي أيها كانت(٤).

وقال أبو هريرة: «أوصاني خليلي بثلاث(٥)؛ بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتين من الضحى(٦)، ولا أنام إلَّا على وِتْرٍ»(٧).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما: كتاب الصيام، باب أي يوم يصام في عاشوراء؟ رقم: (١١٣٤-عبد الباقي).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي قتادة رضي الله عنه: كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والإثنين والخميس، رقم: (١١٦٢-عبد الباقي).

(٣) هو حديث أبي قتادة السَّابق.

(٤) هو حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والإثنين والخميس، رقم: (١١٦٠-عبد الباقي).

(٥) سقطت من (س) و(ص) و(ز).

(٦) قوله: «وركعتين من الضحى» سقط من (س) و(ص) و(ز).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى، رقم: (٧٢١-عبد الباقي).

١ ودخل النبي ﷺ على جُوَيْرِيَةَ يوم الجمعة وهي صائمة، فقال: «أَصُمْتِ أَمْسِ؟ قالت: لا، قال لها[1]: أتريدين/ أن تصومي غدًا؟ قالت: لا، قال: فَأَفْطِرِي»[2]. [١١٧/ب]

وفي الصحيح: «أن النبي ﷺ نهى عن صَوْمِ يوم الجمعة»[3]، ورُوي في الحَسَنِ أنه كان يَصُومُه[4]، والنهيُّ أَصَحُّ.

وفي الحِسَانِ: أن النبي ﷺ قال: «لا تصوموا يوم السبت إلَّا فيما افتُرِضَ عليكم، وإن[5] لم يَجِدْ إلا لِحَاءَ عِنَبَةٍ[6] أو عُودَ شَجَرَةٍ فليمضغه»[7]، ولم يصح.

وفي الصحيح: «ما من أيام أحبُّ إلى الله العمل فيها من عَشْرِ ذي الحجة»[8].

---

(١) سقط من (س).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصوم، باب صوم يوم الجمعة، فإذا أصبح صائمًا يوم الجمعة فعليه أن يفطر، رقم: (١٩٨٦-طوق).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الصوم، باب صوم يوم الجمعة، فإذا أصبح صائمًا يوم الجمعة فعليه أن يفطر، رقم: (١٩٨٥-طوق).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الصوم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في صوم يوم الجمعة، رقم: (٧٤٢-بشار).

(٥) في (د) و(ص): فإن.

(٦) في (ص): نخاعته.

(٧) أخرجه أبو داود في السنن: كتاب الصوم، باب النهي أن يخص يوم السبت بصوم، رقم: (٢٤٢١-شعيب)، قال أبو داود: «قال مالك: هذا كذب».

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما: كتاب العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق، رقم: (٩٦٩-طوق).

وفي الصحيح: أن النبي ﷺ قال: «من صام يومًا في سبيل الله باعد الله وَجْهَه من النار سبعين خَرِيفًا»[١].

وفي الصحيح عن عائشة: «ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ صائمًا في العَشْرِ قَطُّ»[٢].

وقال ﷺ - في الصحيح من طُرُقٍ -: «ما أفطر[٣] ولا صام من صام الدهر»[٤]، وهو مكروه، والمأذونُ فيه صَوْمُ داود، «كان يصوم يومًا ويُفْطِرُ يَوْمًا، ولا يَفِرُّ إذا لاقى[٥]»[٦].

والنَّاسُ في العبادات أقسامٌ، منهم من تَسْهُلُ عليه الصلاة، ومنهم من يَخِفُّ عليه الصوم، ومنهم من تخف عليه الصدقة، فيأخذُ كلُّ أحد قِسْمَه الذي كُتب له[٧]، فيدخل على بابه الذي وُعِدَ[٨] به، قال النبي ﷺ: «فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الرَّيَّانِ»[٩].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كتاب الصيام، باب فضل الصيام في سبيل الله، رقم: (١١٥٣-عبد الباقي).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كتاب الاعتكاف، باب صوم عشر ذي الحجة، رقم: (١١٧٦-عبد الباقي).

(٣) قوله: «ما أفطر» سقط من (س) و(ف).

(٤) هو حديث أبي قتادة رضي الله عنه، تقدَّم تخريجه.

(٥) في (ص): لَقِي.

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أبواب الصوم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في سرد الصوم، رقم: (٧٧٠-بشار).

(٧) سقط من (س).

(٨) في (ص): وعده.

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب فضائل الصحابة، بابٌ، رقم: (٣٦٦٦-طوق).

[الاعتكافُ]:

وللصَّوْمِ أَخٌ كريمٌ، وصَاحِبٌ شَرِيفٌ، ومُنَاسِبٌ رفيعٌ[١]، وهو الاعتكافُ، ولم يتفطَّن لما بينهما من التَّلَاصُقِ إلَّا مالكٌ - رحمه الله - ومَن قال بقوله، حين قال: «لا يكون الاعتكاف إلَّا بصوم[٢]»[٣]، وليس فيه حديثٌ صحيح، لا في نَفْيِه ولا في إثباته[٤]، إلا أن في الصحيح: أن النبي ﷺ قال له عمر: «يا رسول الله، إني نذرت أن أعتكف ليلةً في الجاهلية، قال: أَوْفِ بنَذْرِكَ»[٥].

وإنما جُعِلَ الليل عبارة عن اليوم؛ على عَادَةٍ عَرَبِيَّةٍ مشهورة، نقلها أهلُ العربية في كتبهم، ولذلك يقولون: صُمْنَا خَمْسًا، فيُعَبِّرونَ بالليالي عن الأيام؛ لأنها عندهم المتقدمة لها المُعَبِّرَة[٦]، وبها الحسابُ، ولم يفهم حقيقة الاعتكاف من قال: «إنه بغير صوم»[٧]، فإن معناه القيام على بِسَاطِ

---

(١) سقط من (س) و(ص) و(ز).

(٢) في (ص): في المسجد.

(٣) الموطأ: كتاب الاعتكاف، ما لا يجوز الاعتكاف إلَّا به، (٣٦٥/١)، رقم: (٨٨٨-المجلس العلمي الأعلى).

(٤) ينظر: المسالك: (٢٥٤/٤)، وفيه: «فليس لأحد من علمائنا فيه على وجوب الصيام دليلٌ به احتفال».

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الاعتكاف، باب من لم ير عليه صومًا إذا اعتكف، رقم: (٢٠٤٢-طوق).

(٦) في (د): لها العبرة، وضبَّب على العبرة، وفي (ز): ولها العبرة، وسقطت من (ص).

(٧) هو قول الإمام الشافعي، ينظر: الإشراف للقاضي عبد الوهَّاب: (٤٥٢/١).

القُرْبَةِ لِرَبِّ العزة على الدوام، بالليالي والأيَّام، وقَطْعِ علائق المباحات، حتى يكون مُقْبِلًا بقلبه بالنية، وبَدَنِهِ[١] بالخدمة لله رب العالمين[٢].

وإذا كان لا يتكلم إلَّا بالذِّكْرِ[٣]، فكذلك لا يُقْبِلُ على طعام ولا شراب؛ لأن الطعام والشراب مُعْظَمُ مقصود الدنيا أو كلها، وإذا لم يُجَامِعْ - بإجماع - فأولى أن لا يأكل، أو هو مثله، إلَّا أنَّ قَطْعَ الجماع دَائِمٌ، لأن مثله شُرِعَ[٤] في الإحرام في الحج، ودوامُ قَطْعِ الأكل لم يُشْرَعْ مثلُه، ولا[٥] يصحُّ أن يُشْرَعَ لما فيه من الهَلَكَةِ، فكان الصَّوْمُ والفِطْرُ في وَقْتَيْهِمَا جميعًا بين الأمرين؛ في حَقِّ العبادة،/ وحق النفس المتعبدة، فيُوَفِّي كلَّ ذي حَقٍّ حقَّه. [١١٨/أ]

وتَبَيَّنَ[٦] أن المقصود من الاعتكاف تفريغُ العبد نفسَه بالكُلِّيَّةِ من كل وَجْهٍ لله سبحانه في المَحَلِّ المخصوص بالعبادة، ولهذا قال مالك - رحمه الله[٧] -: «لا يَقْرَأُ العِلْمَ»[٨]، لأنه عنده من أسباب[٩] الدنيا، وقال غيره:

---

(١) في (د) و(ص): ببدنه.

(٢) ينظر: المسالك: (٤/٢٥٣).

(٣) في (د): بذكر الله، وفي (ص): بذكر.

(٤) سقط من (س) و(ص) و(ز).

(٥) في (د): لم.

(٦) في (س) و(ف): يبيِّن.

(٧) قوله: «رحمه الله» لم يرد في (د) و(ص).

(٨) المدونة: (١/٢٢٩)، وينظر: المسالك: (٤/٢٥٤).

(٩) في (ص): باب.

«يقرأ[١]»[٢]، وما قاله[٣] مالكٌ أوْلى، وإنَّما ينبغي أن يُقْبِلَ على كل ما يُكْسِبُه رغبةً أو رهبةً، فإمَّا أن يذكر ما تَرَكَ، أو يُقْبِلَ بالذِّكْرِ على ما أعرض عنه[٤]، فذلك تقارض[٥] وتناقض.

[المعتكفون]:

وقد رأيتُ[٦] من المعتكفين والمعتكفات ما لا يُحْصِي عَدَدَهم إلَّا خالقُهم، وقد كانت مريمُ رضوانُ الله عليها[٧] منهم، وليست نَبِيَّةً في الأصح من الأقوال، ولكنها لمَّا لَزِمَتْ بَيْتَ رَبِّها، واستغرقت أوقاتها في طاعته، وأعرضت عن الدنيا وأبنائها[٨]؛ تَكَفَّلَ الله لها بالرِّزْقِ؛ من غير أن يَجْرِي على يَدَيْ أَحَدٍ من الخَلْقِ، فكان: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّآءُ ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٣٧].

وكان زكرياءُ نَبِيًّا، فقيَّضه الله لها كافلًا، ونالته بركتُها، واشتملت عليها الدعوة المباركة من أمها، وإنَّما كان سؤالُ زكرياء لها[٩] لأنه ظنَّ أن غيره من أوليائها وقراباتها يأتيها به، فأخبرته أنه لا يدخل عليها أَحَدٌ،

---

(١) في (ص): يقرأه.

(٢) وهو قول ابن وهب، ينظر: المسالك: (٤/٢٥٤).

(٣) سقط من (س). (٤) سقطت من (س).

(٥) في (د): تفارض، وفي (ص): تعارض.

(٦) بعده في (د): جماعة، ومرَّضها.

(٧) قوله: «رضوان الله عليها» لم يرد في (د) و(ص).

(٨) في (ص) و(ز): أبنائها.

(٩) بعدها في (د) لَحَقٌ، ولم يظهر لي شيء.

ولكنها تجده موضوعًا في مكانه، فتعلم أنه من عند الله، لأن أَحَدَ القِسْمَيْنِ إذا انتفى؛ وهو أن يجري على يَدَيْ أَحَدٍ من الخلق، وَجَبَ أن يكون من جهة الخالق، وكلُّ قِسْمَيْنِ عقليين إذا زال أحدُهما تَعَيَّنَ الآخرُ.

[تفسيرُ قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾]

وقد قال الله تعالى في صِفَةِ قَوْمٍ التزموا بابَه واغتلقوا[1] حِجَابَه: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٦ - ٣٧].

واختُلِفَ في قوله: ﴿تُرْفَعَ﴾[2]:

فقيل: مفعوله مُضْمَرٌ فيها[3]، التقديرُ: ترفع فيها الحوائج إلى الله عز وجل.

وقيل - وهو الأصح -: تُرْفَعُ عن شأن الدنيا، وتُجَرَّدُ للآخرة، فإنها سُوقُها، وهي مناقضةٌ لسوق الدنيا.

قال النبيُّ ﷺ: «أبغضُ البلاد إلى الله أسواقُها، وأَحَبُّها إلى الله مساجدها»[4]، والمساجد بيوت العبادة، والقلوب بيوت الإيمان والإرادة.

---

(١) في (س) و(ف): اخترقوا، وفي (س) - أيضًا -: في خـ: اعتلقوا، وصحَّحها.

(٢) ينظر: أحكام القرآن: (٣/١٣٨٩)، وتفسير الطبري: (١٧/٣١٧-التركي).

(٣) سقطت من (س) و(ص) و(ز).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح وفضل المساجد، رقم: (٦٧١-عبد الباقي).

﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا﴾: أي: يلتزمونها[١] للتسبيح والتقديس.

هؤلاء الرجال الذين ﴿لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ﴾، أي: لا يشغلهم[٢] عن ذِكْرِ الله تجارةٌ في الدنيا، أَيْ: عَمَلٌ يطلبون به أكثر ممَّا هم فيه/ منها، ولا مبايعة، أي: لا يشغلهم طَلَبُ رِبْحٍ في الدنيا، ولا بَذْلُ عَيْنٍ بعَيْنٍ، فقد يكون للرجل غَرَضٌ في الربح في البيع[٣] والتجارة، وقد يكون له غَرَضٌ في عَيْنِ[٤] الشيء المطلوب، ولا عن الصلاة ولا عن الصدقة.

١ [١١٨/ب]

[نكتة]:

قالوا[٥]: «وفي قوله: ﴿لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ﴾، ولم يقل: لا يتَّجرون؛ نكتة، هي أن الجمع بينهما مُمْكِنٌ، فهذا يقتضي أن يجمع بين تجارته وعبادته[٦] من غير أن تُلْهِيه، ولكن فيما[٧] لا بدَّ له[٨] منه فيه».

وهذا معنى قول مالك: «إن المعتكف لا بأس بأن يبتاع الشيء اليسير لغَدَائِه أو لعشائه[٩]»[١٠].

---

(١) في (د): يلتزمها، وفي (ص): يلزمونها.

(٢) قوله: «لا يشغلهم» سقط من (ص).

(٣) في (س): والبيع.

(٤) في (س): غير.

(٥) هو قَوْلُ الإمام أبي القاسم القُشَيري، ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٦١٤).

(٦) في (د) و(ص): تجارة وعبادة.

(٧) في (س): فيها.

(٨) سقطت من (س) و(ص).

(٩) في (س) و(ف): عشائه، وفي (ص): ولعشائه.

(١٠) المدونة: (١/٢٢٨).

والأَوَّلُ أقوى لا مِرْيَةَ فيه.

وقيل: إن[١] المراد بقوله ذلك: «الذين إذا[٢] سَمِعُوا صَوْتَ[٣] المؤذن «حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح[٤]»؛ تركوا ما هم فيه[٥] من التجارة والبيع، وأقبلوا إلى العبادة، وأجابوا داعي الله، وقامُوا لأداء حقه[٦]»[٧].

[حكاية]:

وقد كان من أصحابنا بتلك الديار[٨] رَجُلٌ صَالِحٌ حَدَّادٌ؛ إذا صلَّى الصبح قَعَدَ يذكرُ الله، ثم يحضر مجلس الذكر، ثم يقومُ إلى حِدَادَتِه، فإذا سمع النداء؛ إن كان والمِطْرَقَةُ مرتفعةٌ بيده لِيَصُبَّها على السَّنْدَانِ رَمَى بها، ولم يوصلها إليه[٩]، وخرج وتوضَّأ[١٠]، وجاء المسجد فصلَّى الظهر، وأقام في حِلَقِ الذِّكْرِ والصلاة إلى العصر، ثم يخرج بعد الصلاة للنَّظَرِ في فِطْرِه، ويُصَلِّي المغرب في المسجد، ويُفْطِرُ في منزله، ويَخْرُجُ فيُصَلِّي إلى أن يُصَلِّيَ العشاء الآخرة[١١]، ثم يرجع إلى منزله فينام حتى السَّحَر، فيقومُ

---

(١) سقطت من (س) و(ص) و(ز).

(٢) سقطت من (س) و(ز).

(٣) في (د) - أيضًا -: قول.

(٤) قوله: «حي على الفلاح» سقط من (س) و(ص) و(ز).

(٥) في (د): فيها، وأشار إلى ما أثبتناه.

(٦) سقط من (س).

(٧) لطائف الإشارات: (٢/٦١٤).

(٨) بالإسكندرية، ينظر: الأحكام: (٤/١٨٧٣).

(٩) في (س): إليها.

(١٠) في (ش) و(ف): فتوضأ.

(١١) سقطت من (د) و(ص).

يُصَلِّي[١] حتى الفجر، ثم يخرج إلى المسجد لِمِثْلِ حاله في يَوْمٍ قبله، هكذا عُمُره.

[حقيقةُ الاعتكاف]:

وفي الحديث الصحيح: قال النبي ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلَّا ظله، فذَكَرَ: ورَجُلٌ قلبُه مُعَلَّقٌ بالمسجد»[٢]، من حين يخرجُ منه حتى يعود إليه، فهو أبدًا في اعتكاف.

وبهذا كله يظهرُ لك أن الاعتكاف تَرْكُ ما سوى الله من الشهوات والمباحات، والإقبال عليه بالطاعة، فإِنْ تَرَكَ الأهل والوَلَدَ والمال فذلك على قِسْمَيْنِ:

أحدهما: أن يَتْرُكَهُ بنِيَّةٍ أن لا يَعُودَ إليه فهُوَ:

* * * * *

(١) في (س) و(ص) و(ف): فيصلي.
(٢) تقدَّم تخريجه.

المُهَاجِرُ: وهو الاسمُ الثاني والعشرون

صِفَةٌ كَرِيمَةٌ، وخِطَّةٌ شَرِيفَةٌ، تمنَّاها النبيُّ ﷺ كرامةً للأنصار، فقال: «لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار»(١).

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ [الحشر:٨].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ﴾ [التوبة:٢٠].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ [النساء:٩٦].

وقال تعالى: ﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت:٥٦].

وقد كانت هذه الحالة لبني إسرائيل؛ فلم يَحْفَظُوا رَسْمَها(٢)، ولا أُعْطُوا اسْمَها.

والهِجْرَةُ في لسان العرب لِمَعَانٍ كَثِيرةٍ؛ مَرْجِعُها إلى البعد، وقد ذكرناها/ [١١٩/أ] في «شرح الحديث» و«كتاب الأحكام»(٣) مُوعَبَةً.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي ﷺ: «لولا الهجرة لكنتُ من الأنصار»، رقم: (٣٧٧٩-طوق).

(٢) في (د): رتبتها.

(٣) أحكام القرآن: (٤١٨/١-٤١٩).

والحِكْمَةُ في ذِكْرِهَا بلفظ[١] المُفاعلة ما فيها بين العبد وبين الشيطان[٢] من المنازعة، حسبما بيَّناهُ قبلُ في قوله ﷺ: «قَعَدَ الشيطانُ لابن آدم[٣] في طريق الإيمان، وقعد له في طريق الهجرة؛ فقال له: أتهاجر وتَذَرُ أهلك وولدك ومالك، فخالفه فهاجر، إلى قوله: فحَقٌّ على الله أن يُدخله الجنة».

وفي[٤] أصل الهجرة التي نشأتْ[٥] عنه وجهان:

أحدهما: خَوْفُ المُحِقِّ من المُبْطِلِ على نفسه وأهله وماله.

والثاني[٦]: قِلَّةُ المعين على الحق، وعَدَمُ القَابِلِ[٧] له، فيخرج إلى مَوْضِعٍ يَأْمَنُ فيه[٨]، ويُبَلِّغُ، ويُقْبَلُ قولُه[٩] فينتشر، ويقومُ الحَقُّ، ويَشِيعُ الخير، وتعمُّ الطاعة، ويُتَّبَعُ[١٠]، ويُقضى فَرْضُ العبادة المستحقة لله سبحانه، وهذا ممَّا أجمعت عليه الأمة.

---

(١) في (س) و(ف): بمعنى.

(٢) في (د) و(ص): بين العبد والشيطان.

(٣) قوله: «لابن آدم» سقط من (س).

(٤) في (د) و(ص): وأصل الهجرة.

(٥) في (د) و(ص): تنشَّأت، وفي (ص): نشأت على.

(٦) في (د) و(ص) و(ز) و(س): أو قلة المعين، من غير قوله: والثاني، وما أثبتناه صحَّحه في (د).

(٧) في (د) و(ص): القائل.

(٨) سقطت من (د) و(ص).

(٩) سقط من (س) و(ص) و(ز).

(١٠) سقطت من (د) و(ص).

[العِلَّةُ في بقاء الطرطوشي بمصر[١]]:

وقد كنتُ أَتَكَلَّمُ كثيرًا بعد انْكِفَائِي عن العراق إلى الثَّغْرِ مع شيخنا أبي بكر الفِهْرِي في معنى مُقامه بتلك الأرض التي غلبت فيها المناكير على الجماهير، وتعدَّى إلى التوحيد وأصل الدين، وأُشِيرُ عليه بالخروج، ونتناظرُ[٢] في ذلك، وأحتجُّ عليه بالهجرة فيقول لي: «إني لا أخاف على نفسي شيئًا، وأدفع عن قلوب المؤمنين بمُقامي هذا كثيرًا من الشُّبَهِ، وأُقِيمُ بين قَوْمٍ لهم قَبُولٌ للعِلْمِ، وحِرْصٌ على الطلب، ومعرفةٌ بالنظر، فأما بلاد المغرب - وإن كانوا على طريقة واحدة - فقد استولى عليهم الجَهْلُ، وفشا فيهم التقليدُ، وزَهِدُوا في النظر، وحُجِّرَتْ أَمْلَاكُهُمْ[٣] عليهم في[٤] ذلك، سيرة أَمَوِيَّة، ونشأة تقليدية، فإن سَلِمْتُ[٥] بينهم عِشْتُ ضَائِعًا عندهم»، وجرى بيني وبينهم في ذلك كلام كثير، بدأْتُه[٦] في «الأمالي[٧]»، واستوفيتُه[٨] في كتاب «ترتيب الرِّحْلَةِ للتَّرْغِيبِ في المِلَّةِ[٩]».

---

(١) ينظر: أحكام القرآن: (١/٤٨٥).

(٢) في (د): تناظروا، وفي (ص): نتناظر معه.

(٣) قوله: «وحجرت أملاكهم» في موضعه بياض بـ (ص).

(٤) سقطت من (ص).

(٥) في (د) و(ص): سكنت.

(٦) في (ص): بدأناه.

(٧) في (د): الأُوَل، وما أثبتناه أشار إليه في طرته.

(٨) في (د): أستوفيه، وفي (ص): استوفيناه.

(٩) بعده في (د) قوله: «وغَالَبَتْنُ الأقدار فغَلَبَتْ عَلَيَّ بحياة الوالدة؛ التي لم يكن لها غيري، وكانت لَهْفَى حَسْرَى بَاكِيَةً عليَّ، فتعيَّن في الدِّينِ أن أَكِرَّ =

[مناقبُ أبي القاسم السُّيُورِي]:

وقد كان أبو القاسم عبد الخالق بن عبد الوارث السُّيُورِي[١] زاهدًا عالمًا، وكان مقيمًا بالقيروان مع شَحْنِهَا بالبدع، وظهور ما ظَهَرَ فيها من الفتن، ولكن كان فيها قَوْمٌ فضلاء يَأْنَسُ[٢] بهم، ويَسْكُنُ إليهم، وكان يُثَبِّتُ قلوب المؤمنين، ويَدْفَعُ في شُبَهِ المبتدعين.

[من ضوابط الهجرة]:

وكلُّ بُقْعَةٍ اليوم مشحونةٌ بالبدع والمظالم والمناكير، ولكن هي دركات[٣]؛ فأيُّها كان أَخَفَّ كانت الهجرةُ إليه أَوْجَبَ، إذ عَدَمُ بعض الشرِّ خَيْرٌ، وتخفيفُ بعضه خيرٌ، ولو لَزِمَ الإنسانُ بَيْتَه في داره ولم يخرج كما فعل جماعةٌ بمصر حين دخلها المُغِيرُونَ[٤] لكان ذلك رأيًا، والأمرُ مشهورٌ، والله أعلم.

= عليها راجعًا، مُمْتَثِلًا لأمر الله، وله فيَّ حِكْمَةٌ بعد انقيادي لطاعته وطاعتها، ثم ماتت وقد وترني الأهل والولد، وانتهى كل شيء إلى ما كتب له من الحال والأمد، وليس لأحد عن قضاء الله ملتحد. اللَّهم إنَّا نعوذُ بك من دَرْكِ الشَّقَاءِ، وسوء القضاء، وجَهْدِ البلاء، وشماتة الأعداء»، وأشار الناسخ إلى ما أثبتناه.

(١) الإمام الفقيه، العلَّامة المستبحر، عبد الخالق بن عبد الوارث التميمي القَرَوِي، أبو القاسم السُّيُوري، تـ ٤٦٠هـ، قرأ على أبي عمران الفاسي، والأَذَري، واعتنى بالأصلين، وكان فقيهًا نظَّارًا، ينظر في ترجمته: ترتيب المدارك: (٨/٦٥-٦٦)، ومعالم الإيمان: (٣/١٨١-١٨٤)، والعُمُر: (٢/١٨٧-١٨٨).

(٢) في (د) و(ص): أَنِسَ بهم وسَكَنَ.

(٣) في (س) و(ف): درجات.

(٤) يقصد بهم العُبَيديِّين.

[الباعثُ على رجوع ابن العربي إلى الأندلس]:

وغَالَبَتُ الأقدار فغَلَبَتْ عَلَيَّ بحياة الوالدة؛ التي لم يكن لها[١] غيري، وكانت لَهْفَى حَسْرَى بَاكِيَةً عليَّ، فتعيَّن في الدِّينِ أن أَكِرَّ عليها راجعًا، مُمْتَثِلًا لأمر الله، وله فيَّ حِكْمَةٌ[٢] بعد/ انقيادي لطاعته وطاعتها، ثم ماتت وقد وَتَرَنِي[٣] الأَهْلُ والوَلَدُ، وانتهى كُلُّ شيء إلى ما كُتِبَ[٤] له من الحال[٥] والأَمَدِ، وليس لأحد عن قضاء الله مُلْتَحَدٌ.

[١١٩/ب]

اللَّهم إنَّا نعوذُ بك من دَرَكِ الشَّقَاءِ، وسوء القضاء، وجَهْدِ البلاء، وشماتة الأعداء.

[أقسامُ الهجرة[٦]]:

والهِجْرَةُ على أقسام، رُؤُوسُها ثَمَانِيَةٌ:

الأوَّل: الهِجْرَةُ من الخَوْفِ على الدِّينِ والنفس، كهجرة النبي ﷺ آخِرًا أَوَّلًا، فإنه وأُمَّتُه الآخِرُون السَّابقون، نَبِيٌّ بنَبِيٍّ، وأُمَّةٌ بأُمَّةٍ، فكانت له ولهم للخَوْفِ[٧]، فلمَّا استقر في دَارٍ وأَمِنَ الذَرَا[٨]، وعَمَرَ الحَرَا[٩]؛ تعيَّن على كل مسلم القَصْدُ إليه، وحَرُمَ عليه البقاءُ دونه، إلَّا لمن أَذِنَ له، تَحْرِيمًا

---

(١) سقطت من (س).
(٢) في (د) و(ص): حكمه.
(٣) في (ص): وتد بي.
(٤) في (ص): كنت.
(٥) سقطت من (ص).
(٦) ينظر: أحكام القرآن: (١/٤٨٤).
(٧) في (ص): هجرة الخوف.
(٨) في (ص): الردى، وينظر في معاني الذَّرَا: تاج العروس: (٣٨/٩٠).
(٩) ينظر: تاج العروس: (٣٧/٤١٨).

يَقْتَضِي له إن لم يجتنبه(١) تحريم الجنة، إذ كان من شروط الإيمان حينئذ التي لا يجزئ إلَّا بها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء:٩٦-٩٨].

قال ابن عبَّاس: «كنتُ أنا وأُمِّي من المُستضعفين»(٢)، فإنها أَسْلَمَتْ وتبِعَها في الإسلام، وخرج عن حُكْمِ أبيه على ما يجب في الدِّين، خلافًا لمن قال: «إنه لا يتبع إلَّا أباه»، وليس ذلك بصحيح، ولا يُعَوَّلُ(٣) عليه(٤).

فلمَّا فَتَحَ الله على نَبِيِّهِ مكة أسقط الهجرة، [قال رسولُ] الله ﷺ: «[لا هجرة] بعد الفتح، ولكن جهاد ونية(٥)»(٦)، وقال عليه السَّلام: «اعمل من وراء البحار، فإن الله لن يَتِرَكَ من عملك شيئًا»(٧).

---

(١) في (ص) و(د): يجبه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله﴾، رقم: (٤٥٨٧-طوق).

(٣) في (د): بمعول.

(٤) ينظر: العارضة: (٩/١٠٤).

(٥) قوله: «قال رسول الله ﷺ: لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية» لم يرد في (ص) و(س) و(ز).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن عائشة ﵂: كتاب الإمارة، باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير، رقم: (١٨٦٤-عبد الباقي).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري ﵁: كتاب الإمارة، باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير، رقم: (١٨٦٥-عبد الباقي).

الثاني: الخُرُوجُ من أرض يُسَبُّ فيها[١] السَّلَفُ، وقد قال مالك: «لا يَحِلُّ لأحد أن يُقِيمَ بأَرْضٍ يُسَبُّ فيها[٢] السَّلَفُ»[٣]، وهذا الفقه صحيحٌ؛ وذلك أن المُنْكَرَ إذا كان معك لم يَحِلَّ لك أن تكون معه إذا لم تَقْدِرْ على تغييره، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨].

[سَجْنُ الطرطوشي خمس سنين]:

وقد كُنْتُ أُكَلِّمُ شيخنا الفِهْرِيَّ في مُقامه بها، فيقول: «لا آمَنُ من[٤] الإِذَايَةِ»، فلم يَمُرَّ به إلا قَلِيلٌ فقُصِدَ بالمطالبة، وسُجِنَ خمسة أعوام، في صُورَةِ بِرٍّ وإِكْرَامٍ، والله يرفعه في أعلى الدرجات بحُسْنِ نيته، وسَدَادِ طريقته برَحْمَتِه.

[تتمة أقسام الهجرة]:

الثالث: الخروج من أجل الإذاية على النفس، وهي وإن كانت داخلة في القِسْمِ الأوَّل، ولكنها تَنْفَرِدُ عنها بأن النبي ﷺ خرج[٥] خائفًا، وإلى بقعة تمهَّد[٦] فيها الإسلام، وهذا يَخْرُجُ لمُجَرَّدِ[٧] الخَوْفِ.

---

(١) في (س): فيه.

(٢) في (س): فيه.

(٣) الانتقاء لابن عبد البر: (ص٧٢)، وينظر: أحكام القرآن: (١/٤٨٤).

(٤) سقطت من (ص) و(د) و(ز).

(٥) في (ص) و(ف) و(س): في القسم، وضرب عليها في (د).

(٦) في (ص): يتمهد.

(٧) في (ص) و(د): بمجرد.

وأَوَّلُ ما يُرْوَى ذلك/ عن الخليل عليه السَّلام؛ فإن الله لما آتاهُ رُشْدَه [١٢٠/أ] ويسَّر له من السداد والتوحيد سَبِيلَه وقَصْدَه؛ حتى بَلَغَ من الهداية إلى أن يَعْلَمَ أنَّ من يَنْتَقِلُ ويَزُولُ ويَتَصَرَّفُ بين الطُّلوع والأُفول ليس برَبٍّ، ولولا ما كان سَبَقَ[١] له من الرُّشْدِ[٢] ما عَرَفَهُ مُحْدَثًا قَبْلَ أن يراه مُنْتَقِلًا[٣]، ولمَا كان مُحْتَجًّا على قَوْمِه بما لم يَعْرِفْ من حاله، ولكن لمَّا سَبَقَتْ له المعرفةُ بالمخلوقات كُلِّهَا، وأنها صادرةٌ عن الخالق وحده؛ الذي لا يتغيَّر بالحالات، ولا يُشْبِهُ المُحْدَثَاتِ، حينئذ دعا قومه إلى الحِجَاجِ بما آتاه الله من الدليل الذي أخبر عنه بقوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأنعام: ٨٤].

ومِثْلُها في الدليل قولُه تعالى: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٤]، فغيَّر المنكر بالحق، واستدلَّ عليه بالدليل الحق، وهو **دَلِيلُ الخُلْفِ**؛ الذي ينفع في قلوب المبتدئين[٤] أعظم مما ينفع **الدَّلِيلُ المُطَّرِدُ**، فإنك تُرِي الجاهل في الجدال أنَّك معه؛ حتى تنتهي به إلى موضع لا يُمْكِنُه الاطِّرَادُ إليه[٥]، فتدعوه الضرورة إلى أن يَرْجِعَ معك إلى هَدْمِ ما بَنَى، وحَلِّ ما عَقَدَ، فتبلغ المُرَادَ في لُطْفٍ بحِكْمَةِ[٦] اللَّطِيفِ وحُكْمِه.

---

(١) في (س): سنن.

(٢) في (س): رشد.

(٣) في (ص): مستقبلًا.

(٤) في (د): المهتدين، وفي (ص): المبتدعين.

(٥) في (ص) و(د) و(ز): عليه.

(٦) في (د): لحكمة.

ورَمَوْهُ في النار فأنجاهُ الله منها، ورأى أنه في مِحَنٍ متواترة فقال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات:٩٩]، فخرج من بينهم إلى الله ببَدَنِه، كما كان أبدًا ذاهبًا إلى(١) الله بقلبه، فذهابُه في طاعته أَوْجَبَ ذَهَابَه إليه.

واختُلِفَ في الهداية التي طَلَبَ، وكانت حاصلةً له من قَبْلُ، إذ لو لم تكن(٢) هدايةٌ لما دعا إلى التوحيد، ولا كانت منه الحِجَاجُ، ولا طُولِبَ في نفسه.

فقيل: طَلَبَ الهداية في الاستقبال، وسأل أن تَسْتَمِرَّ له(٣).

وقيل: سأل الهداية إلى موضع يَأْمَنُ فيه.

وقيل: إلى أعوان يكونون معه.

فأَخْرَجَهُ الله من الشام إلى مصر.

تَوْطِئَةٌ لمُحَمَّدٍ ﷺ وتَأْسِيسُ الحَالِ له(٤):

وسَارَ هو وزوجُه لا ثالث معهما، فلمَّا دخل مِصْرَ تحدَّث الناسُ بجمال سَارَةَ، فبَلَغَ خَبَرُها جَبَّارَها؛ فأرسل إليه أن يَبْعَثَ بها، فلم يَقْدِرْ على الامتناع، إلَّا أنه قال لها: «إن سألك فقولي له: إنك أختي، فإنه ليس على الأرض أَحَدٌ يَعْبُدُ الله غَيْرِي وغيرك(٥)»(٦)، وقد بيَّنَّا فوائد الحديث في «أَنْوَارِ الفَجْرِ»، وفيه بَدَائِعُ وحِكَمٌ.

---

(١) في (د) و(ص) و(ز): إليه.

(٢) في (د): يكن.

(٣) لطائف الإشارات: (٢٣٧/٣).

(٤) في (س): «توطئةً .. تأسيسَ»، متصلة بما قبلها، ولم يجعلها ترجمة مفردة.

(٥) بعده في (ص): حقيقة الإكراه.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلًا﴾، رقم: (٣٣٥٨-طوق).

ونهاها[١] أن تُقِرَّ بالزوجية، فلمَّا دَخَلَتْ[٢] عليه تَنَاوَلَهَا[٣] فغُطَّ[٤] واضطرب، فقال: «ادْعِي الله لي ولا أضرك، فدَعَتْ فَحُلَّ، ثم عاد إليها فأُخِذَ، حتى عاد[٥]/ثلاث مرات، فقال للذي جَاءَهُ[٦] بها: لم تأتني بإنسان، إنما أتيتني[٧] بشيطان، فأخدمها هاجر، فانصرفت وإبراهيم يصلي، فقالت: أشعرتَ أن الله كَبَتَ[٨] الكافر وأخدمَ وليدة؟ قال أبو هريرة: فتلك أُمُّكم يا بني ماء السماء»[٩].

[١٢٠/ب]

ووَهَبَتْهَا سَارَةُ لإبراهيم، فحَمَلَتْ منه بإسماعيل، فلمَّا ولدته غَارَتْ بها، فخرج بها إبراهيمُ مأمورًا من السماء في القِفَارِ والفَيَافِي، إلى أن أَنْزَلَهُ الله على عُقْرَةِ[١٠] زَمْزَمَ تحت سَرْحَةٍ، فتركها وولَّى عنها، وكان من الحديث ما عَلِمْتُم[١١]، وآلَ[١٢] الحَالُ إلى عمارة البيت وتِبْيَانِ الأثر[١٣] لنبِيِّنَا ﷺ.

---

(١) في طُرة منقولة من خَطِّ القاضي بـ (س): بوَّب البخاري عليه تبويبًا في كتاب النكاح لم أَرَ من يعرفُه.

(٢) في (د) و(ز): أدخلت.

(٣) في (د) و(ز): تناولنا.

(٤) في (ص): سقط.

(٥) سقط من (د) و(ص)، وفي (ص): من ثلاث مرات.

(٦) في (ص): جاء.

(٧) في (د) و(ص): جئتني.

(٨) في (ص): أكبت.

(٩) هو حديث أبي هريرة السَّابق.

(١٠) في طرة بـ (س): عقرة الحوض: مقام الشارب منه.

(١١) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما: كتاب الأنبياء، باب يزفون، رقم: (٣٣٦٤-طوق).

(١٢) في (ص): آلت.

(١٣) في (ص) و(د): الأمر.

وكذلك خَرَجَ موسى خائفًا يَتَرَقَّبُ فَارًّا من الرَّهَبِ، واختُلِف في خوفه على ما بيَّناه في «المُشْكِلَيْنِ»:

وأَقْوَاهُ: خوفه على نفسه، يَتَوَقَّعُ أن يُقْتَصَّ أَثَرُه، ويترقب[1] النصرة من الله له[2]، قال: ﴿رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص:٢٠]، ولم يَكُ[3] بعدُ نَبِيًّا، فتَعْسًا لمن يَنْسُبُ الأنبياءَ قبل البَعْثِ إلى جَهْلٍ بالله وبأحكامه.

ولقد كان مُحَمَّدٌ ﷺ أَعْلَمَ بالله من موسى قَبْلُ وبَعْدُ، وخرج أيضًا مُتَرَجِّيًا كما خرج مُتَرَقِّبًا، وخرج بعد ذلك مُهَاجِرًا إلى موضع الخوف بعد التأمين والنصرة.

وسأل[4] الرِّفْقَ بأن يُشْرَكَ معه أخوه في الرسالة، فأُعطي سؤله، ولمَّا وَاعَدَهُ الله ليلقاه لم يسأل أن يَحْمِلَ معه أخاه، واستخلفه بعده فلم يقدر على الوفاء.

قال الناس: «ولو استخلف موسى اللهَ لمَا أَحْدَثَ بنو إسرائيل شيئًا، كما لو لم يَسْتَحْفِظْ يعقوبُ على يوسف[5] الإخوة لما وقع في الذِّلَّةِ والهَلَكَةِ، كما لو لم يستخلف - على ما ذكره أهل التفسير - آدمُ قَابِيلَ على أهله وولده لما قُتِلَ هابيل».

---

(١) في (ص) و(د): يرقب.

(٢) لطائف الإشارات: (٥٩/٣).

(٣) في (د): يكن.

(٤) في (ص) و(د): فسأل.

(٥) في (س): يعقوب.

ألا ترى إلى هاجر[١] كيف قالت لإبراهيم حين قَفَّى[٢]: «آالله أمرك أن تتركنا هاهنا[٣]؟ قال لها: نعم، قالت: إذًا لا يُضَيِّعُنا الله»[٤]، فسار واستخلفه عليهم.

[السِّرُّ في عدم استخلاف رسول الله]:

وكذلك لم يستخلف رسولُ الله ﷺ على الأمة أَحَدًا، والسِّرُّ في ذلك غَرِيبٌ، وهو أنه ﷺ لمَّا تَلَا قول الله تعالى في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم:٣٨]، وقال عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الأنعام:١٢٠]، فرفع يَدَيْه وقال: «اللَّهم أُمَّتِي أُمَّتِي، وبكى، فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمد ﷺ - وربُّك أعلم - فاسأله: ما يبكيك؟ فأتاه جبريل وسأله[٥]، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال - وهو أعلم -، فقال الله: يا جبريل اذهب إلى مُحَمَّدٍ ﷺ فقل له[٦]: إنا سَنُرْضِيكَ في أُمَّتِكَ/ ولا نسوؤك»[٧]. [١٢١/أ]

(١) في (د) و(س): سارة.

(٢) في (ص) و(د): فقأ.

(٣) في (ص): آالله أمرك بهذا.

(٤) هو حديث ابن عباس السَّابق.

(٥) في (ص) و(د): فسأله.

(٦) سقطت من (ص) و(د).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: كتاب الإيمان، باب دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم، رقم: (٢٠٢-عبد الباقي).

فلمَّا تحقَّق الإرضاءُ له وَثِقَ بذلك وسَكَتَ عنهم، وهذا المعنى هو الذي أشار إليه المُفَسِّرُونَ في قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى:٥]، قال: «والله لا يَرْضَى مُحَمَّدٌ وواحدٌ من أُمَّتِه في النَّار».

[تتمة أقسام الهجرة]:

الرابع: الخُرُوجُ من أَرْضِ الكُفْرِ، فلا يَحِلُّ لمُسْلِمٍ أن يبقى فيها بإجماع من الأمة، وإن اختلفوا في حُكْمِه مع مُقامه فيها؛ هل له حُرْمَةُ المسلم أم لا؟ حسب ما بيَّناه في «مسائل الخلاف»(١).

الخامس: الهِجْرَةُ في طَلَبِ الدِّينِ، وقد فَعَلَه قَوْمٌ(٢) في الجاهلية، فَمِمَّنَ أَنْجَبَ فيه وَرَقَةُ بن نوفل(٣) وزَيْدٌ، ومِمَّن خُذِلَ عنه أُمَيَّةُ بن أبي الصَّلْتِ الثَّقَفِي، وفَعَلَهُ في الشريعة جماعةٌ أَوَّلُهم الكَلِيمُ؛ الجَلِيلُ القَدْرِ العَظِيمُ، فإنه رَحَلَ في طَلَبِ العلم، وماذا كان عنده من العلم! ولكن تَعَطَّشَ إلى المزيد، كما يَفْعَلُه المُحَقِّقُ المريد، فكيف من بَلَغَ إلى غايته؟

وقد قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٣].

وقد رَحَلَ جَابِرُ بن عبد الله إلى عبد الله بن أنيس مَسِيرَةَ شَهْرٍ لِيَسْمَعَ منه حديثًا واحدًا(٤).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: (٢٠/١٧٩-التركي).

(٢) في (ص) و(د) و(ز): جماعة، وأشار إليها في (س).

(٣) قوله: «ابن نوفل» لم يرد في (ص) و(د).

(٤) الجامع الصحيح: (١/٢٦-طوق).

ولا يَتِمُّ طَلَبُ العِلْمِ والهِجْرَةُ فيه إلَّا كما قال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل في حَدِيثٍ طَوِيلٍ؛ ذَكَرَ فيه رُبَاعِيَاتٍ كثيرة؛ فيها: «أن يَطْلُبَ العِلْمَ بأَرْبَعٍ؛ بالبلاد، والجبال[1]، والبَرَارِي، والبحار، إلى قوله: فإذا صَبَرَ على ذلك ابتلاهُ الله في الدنيا بأَرْبَعٍ؛ بشماتة الأعداء، وملامة[2] الأصدقاء، وطَعْنِ الجُهَلَاءِ، وحَسَدِ العلماء، فإذا صَبَرَ على ذلك أكرمه الله في الدنيا بأَرْبَعٍ؛ بعِزِّ القناعة، وبهيبة النفس[3]، ولذة العلم، وحِبَرَةِ[4] الأبد، وأثابه في الآخرة بأربع؛ بالشفاعة لمن أراد من إخوانه، وبظِلِّ العَرْشِ يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّه، ويَسْقي من أراد من حَوْضِ النبي عليه السلام، وبجوار النبيِّين في أعلى عِلِّيِّين»[5].

وقد ذَخَرَ[6] الله هذا الاسم لأصحاب محمد ﷺ؛ فَشَرَّفَهُمْ به، واختصَّهم من بين سائر الأمم، فقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الحشر:٨]، وقالت بنو إسرائيل: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا

---

(١) سقطت من (ص).

(٢) في (ص): بملازمة.

(٣) في (ص): بتهنية العيش.

(٤) في (ص): خيرة.

(٥) أخرجه القاضي عياض عن ابن العربي في الغُنية: (ص٦٩)، وابن بشكوال في الفوائد المنتخبة: (١/٤٠٣-٤٠٦)، وذَكَرَ أنه سمعه منه بإشبيلية عام ٥١٦هـ، وفي الإسناد أبو عصمة نوح الجامع، متَّهم متروك.

(٦) في (ص): ذكر.

وَأَبْنَآءِنَا﴾ [البقرة:٢٤٤]، فلم يُسَمَّوا به، لأنه كان مَذْخُورًا لأُمَّةِ محمَّد ﷺ فحُرِمَتْه[1].

حكاية:

وقد رُوِيَ أن بعض الطلبة قال لأُمِّه: «إنِّي[2] أردتُ طلب العلم [فذَرِينِي][3] لله[4]، قالت له: قد فعلت[5]، فخرج مُهَاجِرًا إليه، فلمَّا تَعَلَّمَ عاد فدَقَّ الباب عليها، فقالت: من؟ قال لها: ابنك، قالت: وما أردتَ؟ قد تركناك[6] لله ولا نعود فيما تَرَكْنَا[7] له»[8].

[١٢١/ب] السَّادس: الهِجْرَةُ في طَلَبِ الحَلَالِ،/ قال الله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت:٥٦]، فالدنيا أَوْسَعُ من أن يَضِيقَ بمُرِيدٍ موضع، فَإِنْ نَبَا به مَنْزِلٌ لوجه من الوجوه الصادَّة عن العبادة فسبيلُه أن يرتحل عن ذلك الموضع إلى سواه.

---

(١) في (س) و(ف): فحرمت، وفي (ز): بحرمة، وهو تصحيف، وفي (س) - أيضًا -: في خـ: بحرمته.

(٢) في (س): إن.

(٣) في (س) و(د): فذرني، وفي (ص): فهبعيني بالله، ومرَّضها، وفي الطرة: فتستعيني، وصحَّحها، والمثبت من الأحكام: (١/٢٧٠).

(٤) في (س): له.

(٥) في (ص): وهبتك له.

(٦) في (ص): وهبناك.

(٧) في (ص): وهبنا، دون قوله: له.

(٨) في الأحكام (١/٢٧٠): «قال رجل من الصوفية لأمه».

وإذا مــا جُفِيــتُ كُنْــتُ حَرِيًّــا   أن أُرَى غَيْرَ مُصْبِحٍ حَيْثُ أُمْسِي[١]

السَّابع: الهِجْرَةُ من أرض الفتنة، قال النبي ﷺ: «خَيْرُ مال المسلم غَنَمٌ يتبعُ بها شَعَفَ الجبال[٢] ومواقع القَطْرِ، يفرُّ بدِينِه من الفِتَنِ»[٣].

وقد قال ثوبانُ لأبي عامر: «اسجن نفسك، واتخذ[٤] حمولة وأَنْسَاعًا، وأربعين عَنْزًا شُقْرًا[٥]، فكأني بك قد أُخرجت منها كفرًا كفرًا، قال: وحَذَّرَنِي[٦] فَضْلَ المال»[٧].

فهذه حالة؛ فإذا ظَهَرَ الفسادُ في البر والبحر فليَقْصِدْ أَمْثَلَ البلاد؛ فإنَّ الله سبحانه لا يُسَوِّي بينهما في الفساد أبدًا، إلَّا عند قيام السَّاعة.

وقد تقدَّم حديثُ سعد بن أبي وقاص في اعتزاله في الفتنة[٨]، وكذلك فَعَلَ جماعةٌ من الصحابة؛ لأن الفتنة ظُلْمَةٌ، وقد يُنِيرُ فيها التأويل، وقد يُظْلِمُ، وظُلْمَتُه أكثر، فكان الحَزْمُ تَرْكَها وهِجْرَتَها.

قال النبي ﷺ: «المُهَاجِرُ من هَجَرَ ما نهى الله عنه»[٩].

---

(١) البيت من الخفيف، وهو للبحتري من قصيدته السينية العصماء في وصف إيوان كسرى، وهي في ديوانه: (١١٥٤/٢)، وفيها: «جديرًا» بَدَلَ «حريًّا».

(٢) سقط من (س).

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) في (س) و(ف): وأَعِدَّ.

(٥) في (ص) و(ز): شعرًا.

(٦) في (س) و(ف): وحذَّرني حذَّرني.

(٧) الفتن لنُعَيم بن حمَّاد: (ص٤٠٥)، وفيه: اشحذ سيفك.

(٨) في السِّفْرِ الأوَّل.

(٩) تقدَّم تخريجه.

يعني: أن المهاجر لوطنه وماله[١] وإن كان مُهَاجِرًا؛ فلا يَتِمُّ له ذلك إلا بعد أن يَبْعُدَ عمَّا نهاه الله عنه[٢]، كما أن المؤمن وإن كان من شَهِدَ شهادة الحق، فإن المؤمن بالحق من أَمِنَ الناسُ شرَّه، وذلك باستكمال الشرائع، والمحافظة على الشعائر أبدًا؛ أَمْرًا بالامتثال، ونَهْيًا بالاجتناب، والمُهَاجِرُ من هَجَرَ الشُّبُهَاتِ[٣] والمباحات من الشهوات.

قال ابن سِيرِينَ: «إن رَجُلًا قال لابن عمر: اجعل لك[٤] جَوَارِشَ، قال: وأيُّ شيء الجوارش؟ قال: شيءٌ إذا كَظَّكَ الطعامُ فأَصَبْتَ منه سَهَّلَ عنك[٥]، فقال له ابن عمر: ما شَبِعْتُ مُذْ أربعة أشهر، وما بي أَلَّا أكون واحدًا، ولكن[٦] عَهِدْتُ قَوْمًا يشبعون مرَّة ويجوعون أخرى»[٧].

ثم قال بعدُ: «والله ما شَبِعْتُ مُذْ أربع عشرة سنة، ولا مرَّة واحدة»[٨].

الثامن: وقد ذَكَرَ بعضُهم الهجرة[٩] من بَلَدِ الغلاء إلى بلد الرخاء.

---

(١) في (د): حاله.

(٢) قوله: «يعني: أن المهاجر لوطنه وماله وإن كان مُهَاجِرًا؛ فلا يَتِمُّ له ذلك إلا بعد أن يُبْعِدَ عمَّا نهاه الله عنه» سقط من (ص).

(٣) بعده في (س) و(ص) و(ف) و(ز) قوله: «والمهاجر من هجر»، وضرب عليه في (د).

(٤) سقطت من (س).

(٥) بعده في (س) و(ف) و(ص): قال، وضرب عليها في (د).

(٦) في (ص) و(د) و(ز): لكني.

(٧) الزهد للإمام أحمد: (ص٢٣٧).

(٨) الزهد للإمام أحمد: (ص٢٤١).

(٩) في (س) و(ف): الخروج.

قال سفيان الثَّوْرِي: «كُنْ في موضع تَمْلَأُ فيه جِرَابَكَ خُبْزًا بدرهم»[١].

وقال بِشْرٌ: «إذا اهتممتَ بالغلاء أو رِخَصِ السِّعْرِ فاذكر الموت؛ فإنك لا تهتم بغلاء السِّعْرِ ولا رِخَصِه[٢]»[٣]/. [١/١٢٢أ]

ومن الهِجْرَةِ الوَاجِبَةِ[٤] للأهل والوطن الخُرُوجُ إلى الحَجِّ، وهو:

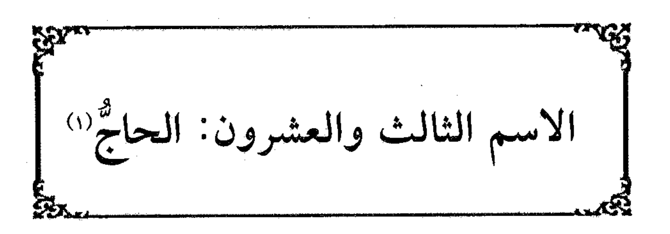
* * * * *

(١) قوت القلوب: (١٢٦٨/٣).

(٢) بعده في طرة بـ (د): انتهى الجزء الرابع، بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وآله وسلَّم تسليمًا.

(٣) حلية الأولياء: (٣٤٧/٨).

(٤) قوله: «ومن الهجرة الواجبة» سقط من (ص).



الاسم الثالث والعشرون: الحاجُّ[(١)]

إذا تَعَيَّنَ فَرْضُه[(٢)]، وفي وَقْتِ تَعَيُّنِ فَرْضِه خِلَافٌ بين العلماء وفي شروطه[(٣)]، وهو أَحَدُ أركان الإسلام[(٤)]، ودِعَامَةٌ من دعائم الإيمان، يُتْرَكُ له الأهلُ والولد، ولا يُشَاوَرُ[(٥)] فيه[(٦)] الأب والأم، وما رأيتم من أنه يُشَاوِرُ أباه فإنَّما ذلك إذا لم يَجِبْ[(٧)]، فيكون قَضَاءُ حَقِّ الأب في تأنيسه أولى منه، ولو وَجَبَ[(٨)] عليه[(٩)] ما كان للأب فيه رَأْيٌ؛ كالصيام والزكاة والصلاة[(١٠)].

---

(١) قوله: «وهو الاسم الثالث والعشرون: الحاجُّ» سقط من (س)، وسقط الحاج من (ص) و(ز).

(٢) سقط من (ص).

(٣) في (ص): باب الحج وشرطه.

(٤) ينظر: القبس: (٥٣٩/٢).

(٥) في (س): يتشاور.

(٦) سقط من (ص) و(د) و(ز).

(٧) ينظر: المقدمات الممهدات: (٢٨٢/١).

(٨) في (س): وأوجب.

(٩) سقط من (س) و(ف) و(د).

(١٠) ينظر: أحكام القرآن: (٢٨٨/١-٢٨٩).

صحَّ أن النبي ﷺ سُئِلَ أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمانٌ بالله، قيل: ثم أي؟ قال: جهادٌ[١] في سبيل الله، قيل: ثم أي؟ قال: حَجٌّ مبرور»[٢].

وقال ﷺ: «الحج المبرور ليس له ثواب عند الله إلا الجنة»[٣].

والحَجُّ[٤] هو القَصْدُ؛ فلا تَقْصِدْ بَيْتَ رَبِّكَ حتى تَقْصِدَ إلى ربك[٥]، ولا يَتَحَرَّكْ بَدَنُكَ إليه[٦] حتى تُقْبِلَ بقلبك عليه، وإذا أقبلت ببدنك عليه فأَحْرَمْتَ ولَبَّيْتَ فحِلُّكَ الطواف بالبيت، وإذا أَحْرَمْتَ ولَبَّيْتَ بقَصْدِ القَلْبِ إليه فحِلُّكَ أن تراه إن شاء الله عز وجل.

وجَعَلَ تَرْكَ الحَجِّ لمن قَدَرَ عليه كترك الصلاة لمن قَدَرَ عليها، قال النبي ﷺ: «من ترك الصلاة كفر»[٧]، كذلك قال تعالى في تارك الحَجِّ[٨]: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧]، وهذه زيادة تهديد[٩] تدلُّ على زيادة تخصيص.

---

(١) في (س) و(ف) و(ص): الجهاد.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، رقم: (١٥١٨-طوق).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، رقم: (١٣٤٩-عبد الباقي).

(٤) سقط من (س).

(٥) قوله: «إلى ربك» سقط من (ص).

(٦) سقطت من (س) و(ص)، وفي (س): بذلك، وصوابه ما أثبتنا.

(٧) تقدَّم تخريجه.

(٨) قوله: «في تارك الحج» سقط من (س).

(٩) في (س): شديدة.

والعَجَبُ مِمَّن يقولُ[1]: «إن الحج لا يجب على أهل المغرب»، وهو يسافر من قُطْرٍ إلى قُطْرٍ، ويخرق البحار، ويقطع المخاوف؛ في مقاصد دينية أو دنياوية، والحالُ واحدة؛ في الخوف والأمن، والحلال والحرام، وإنفاق المال وإعطائه في الطريق وغيره لمن لا يرضى[2].

فإن قيل: فإن طَلَبَ منه الظالم في الطريق أو في دخول مكة مالًا؟

قُلنا: قال بعض الناس: «لا يدخل، ولا يعطيه، وليرجع»[3].

والذي أراه أن يعطي، ولا ينبغي أن يكون في ذلك خلافٌ؛ فإن الرجل بإجماعٍ من الأمة يجوزُ له أن يمنع عِرْضَه ممَّن ينتهكه بماله، وقالوا:

---

(١) يقصد به الإمام ابن رشد الكبير، وقد قال ذلك بعد أن استفتاه أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، فقد كتب إليه يسأله: «هل الحج أفضل لأهل الأندلس أم الجهاد؟ فأجابه ابن رشد بقوله: فَرْضُ الحج ساقط على أهل الأندلس في وقتنا هذا لعدم الاستطاعة التي جعلها الله شرطًا في الوجوب؛ لأن الاستطاعة هي القدرة على الوصول مع الأمن على النفس والمال، وذلك معدوم في هذا الزمان، فبان أن الجهاد الذي لا تُحْصَى فضائله في القرآن والسنة المتواترة والآثار أفضل منه، وأنَّ ذلك أبين من أن يحتاج فيه إلى السؤال عنه»، روضة النسرين لابن صَعْد: (ص٧١-٧٢)، وممَّن قال بقول ابن رُشْدٍ من أكابر المفتين: عبد الحق الصقلي، وابن حمدين، وابن الحاج القرطبي، وأبو بكر الطرطوشي، والمازَري، واللخمي، وغيرهم، ينظر: المعيار: (١/٤٣٢-٤٣٦).

(٢) أفاد من قول ابن العربي هذا ابنُ صَعْد في روضة النسرين: (ص٧٢)، والونشريسي في المعيار: (١/٤٣٣).

(٣) هو قول الإمام أبي طالب المكي، قوت القلوب: (٣/١٢٥٥)، ويشبه أن يكون قول الإمام الشافعي، ينظر: الجامع للقرطبي: (٥/٢٢٦-التركي).

«ما وقى المَرْءُ به عِرْضَه فهو صدقة»[(١)]، وكذلك ينبغي أن يشتري دينه ممَّن يمنعه[(٢)].

ولو أن ظالمًا قال لرجل: لا أُمَكِّنُكَ من الوَضوء والصلاة إلَّا بجُعْلٍ؛ لوَجَبَ عليه أن يُعْطِيَهُ، وهل كانت الهجرة وترك الأموال والأهل والوطن إلَّا للسَّيْفِ[(٣)]؟ وهي اليوم بَاقِيَةٌ على من آمَنَ في دار الحرب، أن يشتري[(٤)] الدِّينَ بتَرْكِ الأهل والمال والولد، فتَفَطَّنُوا لهذا فإنه دَقِيقٌ غابت عنه قلوب الغافلين.

[المجاورة بمكَّة]:

والمُجَاوَرَةُ بمَكَّةَ لها فَضْلٌ عظيم، وإني لأستحبُّها،/ ومن يجاور العبد [١٢٢/ب] مثل ربه، ولمن يأوي أكرم منه، وما أدري كيف قَدَرَ من يقول: «تُكْرَهُ المجاورة بمكة»[(٥)]؟ ولقد سمعتُ في ذلك تعليلات لا تساوي سماعها،

(١) أخرجه الدارقطني في سننه عن جابر ﷺ مرفوعًا: كتاب البيوع، باب الصلح، رقم: (٢٨٩٥-شعيب)، والبغوي في شرح السنة: كتاب الزكاة، باب كل معروف صدقة، رقم: (١٦٤٦-شعيب)، وفي إسنادهما عبد الحميد بن الحسن الهلالي، وثَّقه ابن معين، ينظر: الكامل: (٥/٣٢٢)، وساق له هذا الحديث، فلعله ممَّا أنكر عليه، والله أعلم.

(٢) في (ص) و(د): منعه.

(٣) في (س) و(د) و(ص): السلف، وما أثبتناه صحَّحه في (د) و(ص) في طرتيهما.

(٤) في (ص): اشترى، وفي (س) و(ف) و(ز): إلا شراء.

(٥) هو قول جماعة من أهل العلم، منهم الإمام أبو حنيفة النعمان، والإمام سفيان الثوري، والإمام ابن عُيينة، قوت القلوب: (٣/١٢٦٥-١٢٦٦)، وينظر في اعتلالات الكارهين: المسالك: (٧/١٦٦).

نعم؛ يمكن أن يُتكلَّم بين مكة والمدينة وأيهما[١] أفضل[٢]، ومجاورة من هي أكرم، فأمَّا أن تُكْرَهَ واحدة منهما[٣] فحَاشَا لله.

[أقسامُ الحاجِّ]:

والحَاجُّ قِسْمَانِ؛ رِجَالٌ ورُكْبَانٌ[٤]، كما قال الله: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ﴾ [الحج:٢٥].

قال المفسرون: «أَذَّنَ إبراهيم بالحج فأسمعه الله عز وجل جميع الخلق؛ بأن أحياهم له، فمن أجاب حَجَّ، ومن سَمِعَ ولم يُجِبْ أو لم يَسْمَعْ لم يَحُجَّ»[٥].

وقال المحققون: «معناه[٦]: أَعْلَمَ بالفرض عليهم جَمِيعَهم، فيأتي من كُتِبَ حَاجًّا منهم، فهو لفظ عموم، والمرادُ به الخصوص»[٧].

وهذا التأويلُ الأخير أقوى[٨]، وإن كان الأوَّل مُمْكِنًا.

ولقد رأيتُ الجَهْلَ قد انتهى بقَوْمٍ إلى أن يقولوا ليلة المزدلفة قائمين على سَطْحِ مَسْجِدِ المشعر الحرام: «يا فلان: حُجَّ»، فيُنَادِي كلُّ واحد باسم

---

(١) في (س) و(ف): أيهما.

(٢) ينظر: المسالك: (٧/١٦٣-١٧٣).

(٣) في (ص): منهن، وفي (ز): منها.

(٤) ينظر: شرح الصحيح لابن بطَّال: (٤/١٨٨).

(٥) لطائف الإشارات: (٢/٥٣٩).

(٦) سقط من (س).

(٧) تفسير الطبري: (١٦/٥١٧-التركي).

(٨) في (ص) و(د) و(ز): وبهذا التأويل الأخير أقول.

حَبِيبِه أو جاره، ويقول: «إنه إذا فُعِلَ ذلك به[1] حَجَّ»، فقلتُ لبعض جيراني: هذا باطل، نَادِ[2] حتى ترى، فنادَى معي، وانقلبنا إلى البلد[3]، فما حجَّ من نُودِيَ باسمه إلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ.

قال علماؤنا: قُدِّمَ الرَّجَّالَةُ على الرُّكْبَانِ لوجهين:

أحدهما: أن الرَّاجِلَ أَكْثَرُ[4].

[الثاني]: وقيل: لأنه أفضل[5].

وروى ابن حنبل عن تَمِيمٍ الداري: «أنه قرأ القرآن في الصلاة قائمًا، وقرأه راكعًا، وقرأه ساجدًا، وحَجَّ خَبَبًا[6]»[7].

وبَنَى بِشْرُ بن كَعْبٍ[8] قَبْرًا؛ وقرأ فيه القرآن، ودُفِنَ[9] فيه.

وأخبرني محمد الفُسْطَاطِي الصُّوفِي[10] أنه حَجَّ مع أبي الفضل الجَوْهَرِي، فقال: «قال لنا أبو الفضل يومًا في الطريق، كنتُ أرى البارحة

---

(١) سقطت من (ص) و(س) و(ز).

(٢) في (ص) و(د): فناد.

(٣) في (ص) و(س) و(ف): البلاد.

(٤) لطائف الإشارات: (٢/٥٣٩).

(٥) تفسير الطبري: (١٦/٥١٨-التركي).

(٦) في (د): مَشْيًا، وفي (س): خسًا.

(٧) الزهد للإمام أحمد: (ص٢٤٨).

(٨) في (د): بشير بن كعب، وفي (ص): كعب بن بشر.

(٩) في (د): فدفن.

(١٠) هو محمد بن عبد الملك التِّنِّيسي المصري، صاحب أبي الفضل الجوهري، تقدَّم ذِكْرُه.

بابًا من[1] السماء قد[2] فُتِحَ[3]، فنزل منه[4] ثلاثة أَمْلَاكٍ، بيد أحدهم طَسْتٌ، وبيد الآخر إبريق، وبيد الآخر مِنْدِيلٌ، فانتهوا إلى طَرَفِ[5] القافلة، فقال أحدهم: خُذْ رِجْلَي ذلك الرجل[6]، قال: نعم، فأخرجها من تحت الثياب ثم وضعها في الطَّسْتِ، وصَبَّ صاحبُ الإبريق على الرِّجْلَين[7]، وجعل صاحبُ الطَّسْتِ يغسلها، حتى إذا انتظفت أَخَذَهَا صاحبُ المنديل وجَفَّفَها، ثم رَدَّها في دِثَارِها، وجاء آخَرُ ليأخذ رِجْلَيْ[8] آخَرَ فقال له صاحبه: لا تأخذها، هو راكب، وتَتَبَّعُوا جميع من في القافلة هكذا، حتى وصلوا إليَّ، فمدَّ يده ليأخذ رِجْلِي؛ فقال له صاحبه: هو راكب، فلمَّا فَرَغُوا بجميع من فيها صَعِدُوا على مَرْقَاهُم إلى السماء حتى غابوا فيها».

[حَجَّةُ ابن العربي وما لقي فيها من الأهوال]:

١ فَتَفَسَّرَ لي أَمْرٌ كنتُ منه مُتَعَجِّبًا، وذلك أني خَرَجْتُ من الكُوفَةِ إلى مَكَّةَ سنة تِسْعٍ وثَمَانِينَ راكبًا مُعَادِلًا لأبي/ [١٢٣/أ] - رحمة الله عليه[9] -، حتى بلغنا مكة فقضينا حجَّنا، ثم عُدْنَا إليها، فلمَّا كُنَّا ببَطْنِ نَخْلَة ضَرَبَنَا بَرَدٌ

---

(١) في (د): في.

(٢) سقط من (س) و(ف).

(٣) في (ص): فتحت.

(٤) سقطت من (س)، وفي (ص): قد فتحت فنزل منها.

(٥) سقط من (س) و(د) و(ز).

(٦) سقط من (ص) و(س) و(ز).

(٧) قوله: «على الرجلين» سقط من (د).

(٨) في (د) و(ز): رجليه.

(٩) في (س) و(ف): رحمه الله.

عَظِيمُ الجِرْمِ، قَتَلَ كثيرًا من الإبل والناس، وحَمَلَ وادي نخلة علينا، وكنَّا فيمن بَكَّرَ فعَبَرَ، فمن صادفه السَّيْلُ فيه حَمَلَهُ إلى البحر فلم يُرَ أبدًا، وعُدْنا نَفَرًا قليلًا، وحَدَثَ في الجِمَالِ طاعونٌ؛ تَرَى الجَمَلَ يُبتاع بخمسين دينارًا، فتأخذه[١] الغُدَّةُ فيصيحُ ويرمي بنفسه إلى الأرض، فيُنْحَرُ[٢] ويقتسمه الناس، ويرمون رحالهم في البيداء ويَتَعَرَّوْنَ[٣] من ثيابهم، ومَضَتْ جِمَالُنا هكذا؛ في حَدِيثٍ طويل بيَّناه في كتاب «ترتيب الرحلة»، ودعت الضرورة إلى أن أمشي رَاجِلًا من فَيْدَ إلى الكوفة خَمْسَ عَشْرَةَ مَرْحَلَةً لموت الجمال، ومعنا الكِراء لو وجدنا الجمال، لكن الطاعون استولى عليها[٤]، ورَمَيْنَا جميع ما كان معنا، ولم يَبْقَ عَلَيَّ إلَّا لِبَاسِي، وكنتُ أمشي مع أصحابنا من الطلبة نتذاكر ونتناظر[٥] ونَتَسَلَّى على[٦] الرَّجْلَةِ النَّهَارَ كلَّه، حتى إذا جاء الليل وَقَعْتُ على اسم المَيِّتِ، وأوقدنا النار، وقَطَعْنَا لحم أرجلنا، وكَوَيْنَاهَا بالشحم، وربطناها بالخِرَقِ، وكنت أضطجعُ وأقول: هذا مرقدي الذي يبعثني الله عز وجل منه وأنام، فإذا أصبحتُ وجدت خِفَّةً، وكأنِّي لم أكن رَجُلَ البارحة، فإذا أخذت في المشي عادتْ قُوَّتِي، وتَصَلَّبَ لَحْمِي[٧] الأحمر عند مِشْيَتِي، وكانت هذه عادتي في نهاري وليلتي[٨]، وأنا أتعجَّب

---

(١) في (ص) و(د): ثم تأخذه.

(٢) في (د): فيخرُّ.

(٣) في (س): يتبرؤون، وفي (ز): يتبرون، وفي (ص): ينبزون.

(٤) في (د): استولى على الجمال.

(٥) في (س) و(ف): نتناظر ونتذاكر.

(٦) في (د): عن.

(٧) في (ص) و(د): اللحم.

(٨) في (ص) و(د): ليلي.

من وُثُوبِ تَجَلُّدِي[١]، وقُوَّتِي بعد ذهاب لَحْمِي وجِلْدَتِي، حتَّى حُدِّثْتُ بهذا الحديث، فعَلِمْتُ يقينًا صِحَّةَ قَوْلِ النبي ﷺ للأشعريين: «لستُ أنا حملتُكم[٢]، ولكنَّ الله[٣] حملكم»[٤].

ورَأَيْتُ قَوْلَ البخاري في[٥] باب من حَدَّثَ[٦] عن مَشَاهِدِهِ في الحرب - وأدخل عن طلحة بن عُبيد الله أنه تَرَّسَ على[٧] النبي ﷺ يوم أُحُدٍ[٨] - فحَدَّثْتُ.

ومن[٩] الدليل على أن الرَّجْلَةَ أفضل الحَدِيثُ الصحيح عن النبي ﷺ: «ما اغبرَّت قَدَمَا عبد في سبيل الله إلَّا حَرَّمَهُمَا الله على النار»[١٠].

فإن رَكِبَ فليركب على رَحْلٍ مُخْتَصَرٍ، فقد قال البخاري: «حَجَّ أَنَسٌ على رَحْلٍ، ولم يكن شحيحًا»[١١].

---

(١) في (ص): ثبوت خلدي.
(٢) في (ص): أحملكم.
(٣) في (د): الله تعالى.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم، رقم: (٦٦٤٩-طوق).
(٥) سقطت من (د) و(ص) و(ف).
(٦) في (س) و(ف): يحدث.
(٧) في (ص) و(د): عن.
(٨) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد، باب من حدَّث بمشاهده في الحرب، رقم: (٢٨٢٤-طوق).
(٩) في (د) و(ص): والدليل.
(١٠) تقدَّم تخريجه.
(١١) تقدَّم تخريجه.

المعنى[١]: أنه آثَرَ التواضع؛ لأنه مَوْضِعُ شَعَثٍ وخَشْيَةٍ، وخُرُوجًا[٢] عن الهيئة والبِزَّةِ.

قال علماؤنا: «وإنما حَجَّ النبي عليه السَّلام رَاكِبًا لِئَلَّا يَشُقَّ على أمته، وطاف رَاكِبًا ليُرِيَ جَمِيعَ الناس فِعْلَه ﷺ».

وقد روى الترمذي: نا محمود[٣] بن غيلان: نا أبو داود الحَفَري[٤] عن سفيان عن الربيع بن صَبِيح عن يزيد بن أبان عن أنس بن مالك[٥]/ قال: «حَجَّ رسول الله ﷺ على رَحْلٍ رَثٍّ، وعليه قَطِيفَةٌ لا تساوي أربعة دراهم، قال[٦]: اللهم اجعله[٧] حجًّا لا رياء فيه ولا سُمْعَة»[٨]. [١٢٣/ب]

وحجَّ بعضُ[٩] الصوفية[١٠] سبعين حَجَّةً ماشيًا، فلمَّا كان في آخرها قال: «اللَّهم إني أظن أن هذه آخِر حجَّتي، فإن كُنْتَ قَبِلْتَها أو قَبِلْتَ منها

---

(١) في (ص) و(د): يعني.

(٢) في (ص) و(د) و(ز): خروج.

(٣) في (س) و(د) و(ز): محمد، وهو سبق قلم.

(٤) في (س) و(ف): الحميري.

(٥) قوله: «نا محمود بن غيلان: نا أبو داود الحَفَري عن سفيان عن الربيع بن صَبِيح عن يزيد بن أبان عن أنس بن مالك» ضرب عليه في في (د).

(٦) في (د): فقال، وفي (ص): وقال.

(٧) سقط من (س).

(٨) الشمائل: (ص٢٠٧)، رقم: (٣٣٢)، وضعَّف إسناده ابنُ حجر في الفتح: (٣/٣٨١).

(٩) هو أبو تراب النخشبي، تـ ٢٤٥هـ، ترجمته في: تاريخ بغداد: (١٤/٢٦٦-٢٦٨).

(١٠) في (س) و(ف): المتصوفة.

شيئًا؛ فإني أُشهدك أني قد تصدَّقتُ بها على المذنبين من أمة محمد ﷺ، أو من أهل الموقف، فرأى الله تعالى في المنام، فقال له: أعلينا تَتَسَخَّى؟ أُشهدك أَنِّي قد غفرتُ لهم ولك»[١].

وقد قيل لابن عمر: «ما أكثر الحاج! فقال: ما أقلهم»[٢].

نَظَرَ الأَوَّلُ إلى كثرة الرَّاكِبِ؛ ونظر ابنُ عمر إلى قلة المُخْلِصِ.

وكان الدَّامَغاني[٣] بعرفة إذا رأى ذلك الجمع العظيم يَخِرُّونَ يقول: «اللَّهم اقبَلني معهم وإن كنت زائفًا، فقد يسمحُ الناقد وإن كان عارفًا»[٤].

[حقيقةُ الحاجِّ]:

والحاجُّ[٥] - عند الجميع -: من عَقَدَ[٦] بقلبه رَفْضَ[٧] الدنيا كما رفضها بلباسه، وأن يتجرَّد للمولى كما تجرَّد عن هيئة الدنيا، وينبذ كل طريق، ويرجع إليه بالتحقيق، وإذا اغتسل من الأدناس الظاهرة فليغسل قلبه

---

(١) تاريخ بغداد: (١٤/٢٦٨)، ونحوها في قوت القلوب: (٣/١٢٦٤).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف: كتاب المناسك، باب ما أقل الحاج، (٥/١٩)، رقم: (٨٨٣٦).

(٣) الإمام الفقيه العلَّامة، محمد بن علي بن حَسُّويَه، أبو عبد الله الدامَغاني الحنفي، (٣٩٨-٤٧٨هـ)، ترجمته في: تاريخ بغداد: (٤/١٨٣-١٨٤)، والأنساب: (٥/٢٥٩)، وسير النبلاء: (١٨/٤٨٥-٤٨٧).

(٤) ذكر ابنُ العربي في القبس (٢/٥٧٧) أن الفقيه القاضي أبا المعالي عَزِيزي بن شَيْذَلَةَ أخبره بهذا الذي حكاه عن الإمام الدامَغاني.

(٥) ينظر: القبس: (٢/٥٧٦-٥٧٧).

(٦) في (ص): عمر.

(٧) في (ص): ورفض.

من الأوضار[١] الباطنة، وإذا استجاب لسانُه[٢] بالتلبية فينبغي أن يستجيب كلُّ عُضْوٍ من أعضائه بالخضوع له، وإذا بَلَغَ الموقف وَقَفَ بقلبه عليه، فلم يَسْرَحْ كما لا يسرحُ بدنُه، وإذا عرَّف تعرَّف إلى الله بتبرئة عن كل شيء إلَّا هو، واعترف بتقصيره عن حقه، فيتعرَّف الله إليه بأفضاله عليه، فإذا بَلَغَ المَشْعَرَ الحرام استشعر المِنَّةَ في التيسير لسُلوك[٣] تلك المقامات، واستشعر القبول أو الرد، وإذا بلغ مِنًى نفى عن نفسه كل هَوًى ومُنًى، إلَّا[٤] المولى جلَّ وتعالى[٥]، وإذا رمى الجمار فليُلْزِمْ[٦] نفسه الأمَّارة بالسوء بخَلْعِ كل هوى[٧] يتعلق بها، وشهوة تنزع إليها، فإذا دخل الحَرَمَ فلا يصح له بعدُ أن يقرب إلى مُحَرَّمٍ؛ وهو أحد التأويلين في قوله ﷺ: «الحَجُّ المبرور ليس له عند الله جزاءٌ إلَّا الجنة»[٨].

فقيل: يَبَرُّه[٩] بأن[١٠] لا يعصي بعده[١١].

---

(١) في (د): الأوضران، وفي الطرة: لعله: الأدران.

(٢) في (س): بلسانه.

(٣) في (د): بسلوك، وسقط من (ص).

(٤) في (س): إلى.

(٥) قوله: «جل وتعالى» لم يرد في (د) و(ص).

(٦) في (د) و(ز): فليرم، وفي (س): يلزم.

(٧) في (د) و(ص) و(ز): لهو.

(٨) تقدَّم تخريجه.

(٩) في (د): برُّه.

(١٠) في (د): أن.

(١١) يشبه أن يكون قول الحسن البصري، ينظر: قوت القلوب: (١٢٥٩/٣).

وقيل: أن لا يعصي فيه[١]، لقوله: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٦].

وإذا رأى البيت بعينه فليَرَ رَبَّ البيت بقلبه، وإذا حَلَّ[٢] من إحرامه بالطواف فلا يَحُلَّ عَقْدَ القلب إلا بأن تُدار عليه الأكواس في الجنة ويطاف، وكما خرج من بيته إلى بيت ربه[٣]، فليخرج من البيت إلى الله تعالى بقَلْبِه[٤].

والحاجُّ هو: الأشعث الأغبر في لباسه وجِلْدِه، وهو الأشعث القلب الأغبرُه؛ الذي لا يميل إلى مناظر[٥] الدنيا.

[١٢٤/أ] وقد قال فَتْحُ الموصلي في هذا المعنى أبياتًا، وهي[٦]:/

إليك حَجِّي لا للبيت والأثر ... وفيك سعيي لا للرُّكْنِ والحجر

صفاءُ وُدِّي صَفَايَ حين أعبُره ... وزمزمُ دمعتي تجري مع المطر[٧]

عِرْفَانُه عَرَفَاتِي والمُنَى بمِنًى ... وموقفي ومقامي دونهم خَطَرِي[٨]

---

(١) ينظر: قوت القلوب: (١٢٥٩/٣).

(٢) في (ص): انحل.

(٣) في (د): ربه عز وجل.

(٤) سقطت من (د) و(ص).

(٥) في (ص): خاطر.

(٦) من البسيط، وهي من جملة أبيات أوردها ابن الجوزي في المدهش: (ص١٤٩)، وفي مثير الغرام: (١٣/٢)، ونسبها لمحمد بن أحمد الشيرازي.

(٧) في (د): البصر.

(٨) في طرة بـ (د):

عرفانكم عرفاتي إذ مِنًى مِنَنٌ ... وموقفي وقفةٌ في الخوف والخطر

وجَمْرُ قلبي جِمَارِي حين أقذفه والهَدْيُ جسمي الذي يغني عن الجُزُرِ
زَادِي رجائي له والشوقُ راحلتي والماءُ من عَبَرَاتِي والهوى سَمَرِي

وقد قال[١] بعض[٢] العلماء: إنه لا تُعَارِضُ التجارةُ نِيَّةَ الحج، لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة:١٩٧].

قالوا: هي التجارة في مواسم الحج[٣].

وقد روى أبو داود وغيره؛ عن أبي أمامة التَّيْمِي[٤] قال: «كنتُ رجلًا أُكْرِي في هذا الوجه، وكان الناس يقولون: ليس لك حج، فسألت ابن عمر فقال: ألست تُحْرِمُ وتُلَبِّي، وتطوف بالبيت، وتُفِيض من عرفات، وترمي الجمار؟ قال: قلت: بلى، قال: فإن لك حجًّا؛ جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله عن مِثْلِ ما سألتني عنه، فسكت عنه رسول الله ﷺ، فلم يُجِبْهُ حتى نزلت هذه الآية عليه، وقال: لك حجٌّ»[٥].

ومن قَطَعَ مسافةً من المشرق إلى المغرب أو من المغرب إلى المشرق لقصد البيت؛ فإن قَطَعَ العُمُرَ قَطَعَ[٦] مَسَافَةً إلى لقائه؛ فلا يَسْتَطْوِلُهَا إلَّا الأحباب، ولا يستقصرها إلَّا الذين لا يوقنون بهذا الثواب[٧].

---

(١) سقطت من (س).

(٢) سقطت من (ص).

(٣) تفسير الطبري: (٤/١٦٥-شاكر).

(٤) في (ص): الباهلي.

(٥) أخرجه أبو داود في السنن: كتاب المناسك، باب الكَرِيِّ، رقم: (١٧٣٣-شعيب).

(٦) سقطت من (س).

(٧) قوله: «بهذا الثواب» لم يرد في (د) و(س) و(ز).

فإذا[١] وصلتَ إلى البيت لتشهد منافع لك؛ فالمنافعُ التي تشهدها من ربك أعظمُ من التي تشهدها[٢] من بيته، ولا يعرف[٣] أحدٌ قَدْرَ الحب ولا سببه إلا من حجَّ فدخل مكة؛ فيرى وادياً غير ذي زرع؛ رَمْلٌ مُنْهَالٌ، وبَلَدٌ غير مِيهالٍ[٤]، في وسطه بيتٌ مبنيٌّ من حجارة سود، غير عالي البناء[٥]، ولا مرصوف البناء، في أحد أركانه حَجَرٌ أسود أملس، قد حَفَّهُ جبلان أسودان من حجارة حُرْشٍ، لا ماء ولا مرعى، فيدخل القلب من محبته ما لا يَقْدِرُ أحدٌ على صفته، ويغلب النفس من هيبته[٦] ما يكاد يقع من خشيته، فيجري الدمع على وجنته، ولا يدري ما هذه العلاقة بمهجته، وكلما أتبعه البصر تضاعفت فيه البصيرة.

أخبرني[٧] محمد بن عبد الملك الصُّوفي قال: حَجَجْنَا مع الشيخ أبي الفضل الجوهري؛ وذكر حديثًا طويلًا، بيانُه[٨] في كتاب «ترتيب[٩] الرحلة»، فلمَّا دخلنا معه[١٠] مكة وَوَلَجْنَا من باب بني شَيْبَةَ وعاين البَيْتَ؛

---

(١) في (ص): وإذا.

(٢) في (د): تشهد.

(٣) في (د): يعلم.

(٤) في (س): مهيال.

(٥) في (ص): غير مُحكمة النَّجْرِ، ولا عالي البناء.

(٦) في (س): هيأته.

(٧) في (س) و(ف): أنا، أي: أخبرنا.

(٨) في (ص): أثبتناه.

(٩) سقطت من (س)، وفي (ص): أثبتناه في كتاب ترتيب الرحلة للترغيب في الملة.

(١٠) سقطت من (ص) و(س).

أخضل الدمعُ شيبتَه[١]، وطفق يمشي إليه خاشعًا، ويتوقل متواضعًا،/ فلمَّا دنا منه وعاين ما عليه من الحُلَلِ الدِّيبَاجِيَّةِ والأَنْمَاطِ الإِسْتَبْرَقِيَّةِ أنشدَ:

ما عُلِّقَ الدُّرُّ على نحرها ... إلَّا لما يُخشى من العَيْنِ

تقول والدُّرُّ على نحرها: ... من علَّق الشَّيْنَ على[٢] الزَّيْنِ[٣]

فوالذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؛ إنها متجردة[٤] أجمل منها في تلك[٥] الحال مكسوَّة، وما شبَّهتها[٦] في فَضْلِ جمالها متجردةً على جمالها مكسوةً إلَّا بما قال عليُّ بن العباس:

وأحسنُ من عِقْدِ العقيلة جيدُها ... وأحسنُ من سِرْبَالها المتجردُ[٧]

ولقد كنت أُلْصِقُ خَدِّي بجُدُرَاتِها مع قِضَّتِها؛ وكأنها[٨] خَدُّ جارية زهراء.

وأمَّا استلامُ الحجر؛ فوالذي خَلَقَ الماء والحجر، إنه لأَلَذُّ في قلبي[٩] من رَشْفِ رُضَابِ الكواعب للعازب، ولا يمكنكم أن تدركوا حقيقة ذلك

---

(١) في (ف): شيبَه.

(٢) في (د): من، وفوقها: على، وصحَّحها.

(٣) تقدَّم تخريجهما في السفر الأوَّل.

(٤) في (د) و(ص): لمتجردة.

(٥) في (د) و(ص): بتلك.

(٦) في (ص): أُشَبِّهُها.

(٧) تقدَّم تخريجه في السفر الأوَّل.

(٨) في (د) و(ص): كأنه.

(٩) في (د): القلب، وسقط من (ص).

بالصفة والتمثيل[١] حتى تباشروه[٢]، كما لا يمكن تعريفُ العِنِّينِ لَذَّةَ الجماع بالوصف والتمثيل حتى يباشره.

وقال أبو سَعْدٍ الشهيد الصوفي: كان الأستاذ أبو القاسم القُشَيْرِي يُنْشِدُ:

لستُ من جملة المحبين إن لم ... أجعل القلب بيته والمقامَا
وطوافي إجالةُ السر فيه وهو ... ركني إذا أردتُ استلامَا[٣]

ولو لم يكن من فضل البيت إلا استواء الخلق فيه؛ قال الله تعالى: ﴿سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ [الحج:٢٣]، «وإنَّما يعتبر[٤] فيه السَّبْقُ والتَّقدُّمُ[٥]»[٦].

قال النبي ﷺ: «مِنًى مُناخ من سَبَقَ»[٧]، فلا منزلة هنالك[٨] إلا للسَّابقين.

---

(١) سقط من (س) و(ص).
(٢) في (ص) و(س) و(د): تعاينوه، ومرَّضها في (د)، وأثبتنا ما أثبت في طُرَّتِه، ورمز لها بـ: خـ.
(٣) البيتان من الخفيف، أنشدهما أبو القاسم في لطائف الإشارات: (٢/٥٣٩)، وساقهما ابن عساكر في تاريخ دمشق: (٦٦/٧٢)، وابن الجوزي في مثير الغرام: (٢/١١)، في ترجمة أبي بكر الشِّبْلِي.
(٤) في (س) و(ف): تعتبر.
(٥) مرَّضها في (د)، وفي الطرة كلمة لم أتبينها لسوء التصوير.
(٦) لطائف الإشارات: (٢/٥٣٧).
(٧) أخرجه الترمذي في جامعه عن أم المؤمنين عائشة ﵂: كتاب الحج، باب ما جاء أن منى مُناخ من سبق، رقم: (٨٨١-بشار).
(٨) في (س) و(ف): هناك.

ومنازلُ الكرام تستوي فيها الأقدام؛ فلا ترتيب فيها إلَّا بالأعمال، ولا صَدَّ ولا طَرْدَ[١]، وإنما هو كله وِصَالٌ واتصال، فإذا وصل العبد إليه فليُكْثِرْ من ذِكْرِ من قصد إليه، وليَسْتَوْفِ منافعه بنيَّة خالصة؛ كما قدَّمنا وجوهها، وهي منافع الآخرة ليس للدنيا في ذلك حَظٌّ، ولينحروا[٢] هداياهم ليُطعموها الفقراء إحياءً لسنة نبيِّهم، وصاحب مِلَّتِهم، ومُعَرِّفهم[٣] بتسميتهم، وأبي[٤] حَبِيبِهم وصَفِيِّهم، وتكون مطاياهم يوم رَجْلَتهم، ويأخذوا في قضاء التَّفَثِ، وهذا حَرْفٌ لم يعلمه[٥] إلَّا قليل، منهم مالك بن أنس رضي الله عنه[٦].

وحقيقته عندي: تمامُ العبادة لتطهير البدن والقلب، وفي ذلك الوفاء بالنذر؛ لأنه عَقَدَ النيَّة بقلبه[٧] في الإحرام ونَطَقَ بلسانه، فإن عَقَدَ التوبة فلا يَحُلَّها[٨] ولا يَنْقُضْها/ فيرجعَ إلى العصيان.

١ [١٢٥/أ]

ومن عَقَدَ اعتناق الطاعة فلا يَحُلَّ يداً عن عاتق، وإذا طاف بالبيت فمعناه قُصُورُ الآمال عليه، فليقتصر بأمله على الله عز وجل، ولا يُعَلِّقْهُ[٩] بسواه، وليُعَظِّمْ حرمات الله تعالى.

---

(١) قولُه هذا اقتبسه من لطائف الإشارات: (٢/٥٣٧).

(٢) في (س) و(ف): ليتحرَّوا.

(٣) مرَّضها في (د)، وفي الطرة كلمة لم أتبينها لسوء التصوير.

(٤) في (د) و(ص): أي.

(٥) في طرة بـ (س): يعقله، وصحَّحها، كما صحَّح ما أثبتنا.

(٦) قال الإمام مالك: «التفث حلق الشعر، ولبس الثياب، وما أتبع ذلك مما يحل به المُحرم»، ينظر: أحكام القرآن: (٣/١٢٨٢-١٢٨٣).

(٧) في (س): بقلب.

(٨) قوله: «فلا يحلها» سقط من (د) و(ص).

(٩) في (د): يسأله سواه.

ومن الحكمة: «ما زنى غيور قط، ولا فَجَرَ صاحب حُرْمَة»[١].

وقال أهلُ الزهد: «تَرْكُ الخدمة يوجب العقوبة، وهَتْكُ الحُرْمَةِ يوجب النقمة»[٢].

ولا يُرَجَّى[٣] هاتك الحُرمة، فإن فيه استخفافًا يرجع إلى الإنكار، والتعظيم من تقوى القلب، كما أن الكف عن ملابسة الفواحش من تقوى الجوارح.

ومن لُطْفِ الباري تعالى وتمكين الشرائع في القلوب وتحبيبها إلى الخلق تَعْلِيقُها بالعبادة، فإنَّ النفس القاصرة لها أُلْفَةٌ، والنفسُ الكريمة هي التي تعرف مقادير المِنَنِ[٤] المستأنفة، فقال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ [الحج:٣٢].

والشرائع متفقة على المعارف، مختلفة في الطاعات؛ بحسب ما عَلِمَ الله من المصالح، فقَوْمٌ ثقَّل عليهم وضاعف الإِصْرَ، وقَوْمٌ خفَّف عنهم[٥] وضاعف الأجر.

---

(١) لطائف الإشارات: (٥٤١/٢).

(٢) لطائف الإشارات: (٥٤١/٢).

(٣) في (د): يرتجي.

(٤) في (د) و(س): المُنى، ومرَّضها في (د)، والمثبت من الطرة، وصحَّحه.

(٥) سقطت من (د) و(س).

وقال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة:١٦٢]، أمرٌ منه للكل بأن[1] يستسلموا لحُكْمِه؛ بلا استكراه ولا ضَجَرٍ في القلب ولا في الكلام[2]، وذلك بتصفية[3] الأعمال من الآفات، وتصفية الأخلاق من الكدورات، وتصفية الأحوال من التفريطات[4]، حتى يكون من المُخْبِتِينَ[5].

* * * * *

---

(١) في (د): أن.

(٢) قوله: «بأن يستسلموا لحُكْمِه؛ بلا استكراه ولا ضَجَرٍ في القلب ولا في الكلام» سقط من (ص).

(٣) في (د): بتصفيته.

(٤) لطائف الإشارات: (٢/٥٤٤).

(٥) في (س): المُجِيبِينَ.

وهو الاسمُ الرَّابع والعشرون: المُخْبِتُ[١]

وهو: «المستديمُ للطاعة بشرط الاستقامة؛ على[٢] الاستطاعة[٣]»[٤].

وعلامته الوجل عند ذكر الله؛ مخافة الرد، أو حذرًا من سوء العاقبة، أو توقعًا للخروج من الدنيا على غفلة من غير استعداد وأُهْبَةٍ، أو حياء من الله تعالى إذا ذكر اطلاعه عليه، وقد يقع منه ما لا يحبه أو يغفل عنه، وهو لا ينساه بنعمه ولطفه، أو خوفًا من المكر والاستدراج[٥]، وأقرب الخلق إلى الله تعالى قلبًا أكثرهم له خوفًا[٦].

ومن علامة المُخْبِتِينَ[٧] الصَّبْرُ على ما أصابهم، خَمَدُوا[٨] تحت جريان المقادير، ولم يكرهوا ما نزل بهم من التقدير[٩].

---

(١) سقط من (ص).
(٢) أي: على قدر الاستطاعة.
(٣) في (د) - أيضًا -: قوله: «على الاستطاعة»، ضرب عليه، وقال: كذلك في خـ.
(٤) لطائف الإشارات: (٢/٥٤٤).
(٥) لطائف الإشارات: (٢/٥٤٤).
(٦) في (س) و(ف): وأقرب القلوب إلى الله أكثرهم له خوفًا، وفي (ص): وأقرب الخلق إلى الله أكثرهم له خشية.
(٧) في (س): المجيبين، ورمز لها بـ:خـ.
(٨) في (ص): خمدًا، وأشار إليها في (د)، وفي (س): خمرُوا.
(٩) لطائف الإشارات: (٢/٥٤٤).

وفي طلب الفَرَجِ منه اختلافٌ بينهم، فمنهم من سأله، ومنهم من سأل الزيادة فيه، ومنهم من توقَّف على المقدار، وذلك كله بطرقه وأخباره مذكورٌ في «أنوار الفجر».

وتحقيقه عندي: أن سؤال الفَرَجِ جائز على الإطلاق، فإن كان لإقالة العَثْرَةِ واستدراك ما فَرَطَ من زَلَّةٍ، أو وَقَعَ من غفلة؛ فإنه عبادة، ومن علاماته الفَزَعُ إلى الصلاة/ عند الخوف والرجاء، والوقوف أبدًا على باب النَّجْوَى، ويا[1] ما أحسن قول القائل[2]: [١٢٥/ب]

إذا ما تمنَّى الناس[3] رَوْحًا وراحةً   تمنَّيتُ أن أشكو إليك وتسمعَا[4]

وقال آخر[5]:

إذا ما تمنَّى الناس رَوْحًا وراحةً   تمنيتُ يا ربَّاه ألقاك خاليَا[6]

---

(١) سقط من (س) و(ص) و(ف).

(٢) من الطويل، ووقع فيه دمج، فصدره للمجنون، وتمامُه:

.... تمنَّيتُ أن ألقاك يا ليل خاليَا

وهو في ديوانه: (ص٥٧)، وعجزُه للعبَّاس بن الأحنف، وأوَّله:

تمنَّى رجالٌ ما أحبوا وإنَّما ....

وهو في ديوانه: (ص١٧١)، وإنما أورده ابنُ العربي هكذا لأنه كذلك هو باللطائف لأبي القاسم القُشَيري: (٢/٥٤٥).

(٣) في (د) - أيضًا -: المرء.

(٤) في (س): تسمع، وفي (ص): تشهد.

(٥) في (د): غيره، وسقط من (ص).

(٦) من الطويل، لمجنون ليلى، ديوانه: (ص٥٧).

غيرُه[١]:

أحبُّ المكانَ القَفْرَ من أجل أنَّني ... بـه أتمنَّى باسـمه غيـر مُعْجَـمِ[٢]

فخُذْهُ منه، وضعه في موضعه بدلًا عنه.

ومن علاماته إنفاقُ المال في مرضاته؛ فيُسَلِّمُ بدنه للعبادة، وماله للصدقة؛ كما فعل أبو بكر الصديق[٣] رضي الله عنه، فإنه جاء بجميع ماله إلى الله تعالى فقَبِلَه الله تعالى منه[٤]، وجاء غيرُه به فقبل منه الثُلُثَ[٥]، وعُومِلَ كلُّ أحد على مقدار قلبه.

ومن جملة الإنفاق وأشرفه البُدْنُ[٦] التي جعلها الله تعالى من الشعائر، وقد بيَّناها في القسم الثالث من «الأحكام»[٧]، وحَظُّ القسم الرابع منها ما أشرنا إليه في «التذكير» الآن.

[منافعُ البُدْنِ]:

وقد جعل الله عز وجلَّ فيها خيرًا من وجوه كثيرة، منها[٨]:

---

(١) سقط من (س) و(ص).

(٢) من الطويل، وهو من قصيدة لذي الرُّمَّة في ديوانه: (١١٧٢/٢)، وفيه: «أتغنى» بدل «تمنى».

(٣) لم يرد في (د).

(٤) تقدَّم تخريجه.

(٥) تقدَّم تخريجه.

(٦) بيَّض لها في (س).

(٧) أحكام القرآن: (١٢٨٨/٣).

(٨) لطائف الإشارات: (٥٤٥/٢).

الركوبُ لها.

الحملُ عليها.

الشرب لألبانها.

أكلُ لحومها.

الانتفاعُ بوَبَرِها.

الاعتبار بخَلْقِها؛ كيف سُخِّرَتْ على قوتها وعِظَم[١] جثتها؟ كيف تنقادُ للصغير مع كبرها؛ تَنْوِيخًا وركوبًا، وحَمْلًا ونُزُولًا ونَحْرًا، لا تستطيع نفعًا ولا ضرًّا، صبرُها على العطش عشرًا، اجتزاؤها بالعَلَفِ اليسير، سرورها بالحُدَاءِ[٢]، واستراحتُها ونشاطُها بالصوت الحسن؛ مع كثافة أبدانها، وغِلَظِ أكبادها، إلى غير ذلك من غرائبها، وهي مستوفاة في «أنوار الفجر»، هذه نبذة منها، وفائدةُ نَحْرِها ما قدَّمناه.

ومن فوائدها[٣]: إطعامُ القانع؛ وهو عند الزهاد الذي ألقى جلباب الحياء، وكشف صفحة[٤] وجهه للسؤال[٥].

والمُعْتَرُّ: الذي يَتَحَمَّلُ ويَتَجَمَّلُ، وقلبه من الحاجة قاتم[٦]، وهو لسِرِّه كاتم[٧].

---

(١) سقطت من (س) و(ص).

(٢) في (س): الحُرا، وفوقه كذا.

(٣) في (د): فوائده.

(٤) في (د) و(ص): صفحته.

(٥) لطائف الإشارات: (٢/٥٤٦).

(٦) في (ف): قاثم، وفي (ص): قائم.

(٧) لطائف الإشارات: (٢/٥٤٦).

وفائدتها أيضًا: ظهور التقوى منكم بامتثال أمره، واجتناب نهيه، والمبادرة إلى حدوده؛ حتى يتحقق إِكْبَارُكم له، ليُكْبِرَكُم[١] لذِكْرِه، فيبشركم رسوله صلى الله عليه إذا أحسنتم، بأن يستوي ما أسررتم وما أعلنتم.

[من علامات المخبتين]:

ومن علامته العظمى عند أهل الزهد أن لا يشتغل قلبك عن[٢] أمر ربك، وأن يكون عملك كله له[٣] بلَذَّةٍ من نفسك، كما كنت تَلَذُّ قبل ذلك بذِكْرِ آبائك ومناقبهم، وسَلَفِك وأيَّامهم، فإن كان لآبائكم حقُّ التربية فأنا ربُّهم وربُّكم، وإن كان للفخر فبي فليفتخروا، وبما عندي فلتفرحوا وتدخروا[٤]، وإن كان للبِرِّ فأنا البَرُّ، وهو لي أوجب، وإن كان لأسلافكم مناقبُ فأنا الله الذي لا إله إلا هو[٥]، له الأسماء الحسنى، وإن كنتم لا/ تَمَلُّونَ من ذِكْرِ آبائكم فأنا أحقُّ أن لا يُمَلَّ من ذِكْري، فإنَّ أباك قد ينساك، وقد يعجز عن حالك، وأنا لا أنساك وأحفظك وأتولَّاك[٦].

[١٢٦/أ]

وقد قال بَعْضُهم هاهنا: «قوله تعالى: ﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾ [البقرة:١٩٩]، ولم يقل: أمهاتكم؛ لأن الأب يُذكر احترامًا، والأم شفقةً، والله تعالى هو الذي يَرْحَمُ ولا يُرحم، ويُطْعِمُ ولا يُطْعَمُ»[٧].

---

(١) في (د) و(ص): لتكثيركم بذكره.
(٢) في (ص): من.
(٣) سقط من (ص) و(س).
(٤) في (س): تذخروا.
(٥) قوله: «لا إله إلا هو» لم يرد في (د) و(ص).
(٦) لطائف الإشارات: (١/١٦٧).
(٧) لطائف الإشارات: (١/١٦٧).

وعندي: أن القوم لا[1] يذكرون امرأة، ولا يفخرون بها، وإنما كان فخرهم بآبائهم؛ فالمناقب للرجال، والعفة والستر للنساء.

وقوله: ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾؛ أمرهم بأن يَتَعَوَّضُوا من ذِكْرِ الآباء ذِكْرَ الله وتكبيره، أو يزيدون على ذلك، وهو أفضله.

وأخبر تعالى أن الناس على قسمين:

منهم: من يقول: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا﴾، أي: حظُّه كلُّه في الدنيا؛ لأنه لا يعرف غيرها بذلك، ما له في الآخرة من خلاق.

ومنهم: من يحفظ الدَّارَيْنِ، ويسأل في المَنْزِلَتَيْنِ؛ دار العمل، ودار الجزاء.

[معاني الحسنة المرجوَّة]:

وللعلماء في ذلك أقوال كثيرةٌ؛ أُمَّهاتُها سِتَّةٌ:

الأول[2]: آتِنَا حسنة تنتظمُ بها جميعُ الحسنات؛ وهي الإيمان المتصل بالمآل، فإنَّ من حصلت له هذه الصفة لم يُخَلَّدْ في النار، وحسنة الآخرة المغفرة، فإذا غُفِرَ له فليس[3] بعده إلَّا كل خير، ولذلك بدأ الله الخَلْقَ عند الإفاضة بالاستغفار[4].

الثاني: الحسنة في الدنيا العُزُوفُ عنها بمعرفة قَدْرِها، والحسنةُ في الآخرة الأَمْنُ من الفَزَعِ[5].

---

(١) في (د) و(ص): ما.

(٢) في (س): الأولى.

(٣) في (د): فبعده ليس.

(٤) لطائف الإشارات: (١/١٦٨).

(٥) لطائف الإشارات: (١/١٦٨).

الثالث: الحسنة في الدنيا معرفتُه، والحسنة في الآخرة صفتُه.

الرابع: الحسنةُ في الدنيا أن يغنيك عن خلقه، وفي الآخرة أن يَهَبَ ما قِبَلك[١] من حقه.

الخامس: الحسنة في الدنيا التوفيقُ للخدمة، وحسنة الآخرة تحقيق الوُصلة[٢].

يعني: بالرضا عنكم، فلا يسخط أبدًا عليكم[٣].

السَّادس: الحسنةُ في الدنيا العافيةُ، والحسنة في الآخرة الأَمْنُ[٤].

وقد روي أن النبي ﷺ دخل على رجل يعوده فوجده مثل الفَرْخِ، فقال له: «هل كنت تقول شيئًا؟ قال: كنت أقول: اللهم ما كنت مُعَاقبي به في الآخرة فعَجِّلْه لي[٥] في الدنيا، فقال له النبي ﷺ: إنك لا تستطيعُه، هلَّا قلتَ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة:١٩٩] الآية»[٦].

وبهذا أقول.

---

(١) في (ص): كان.

(٢) لطائف الإشارات: (١/١٦٩).

(٣) سقط من (س) و(ص).

(٤) الكشف والبيان: (٢/١١٦).

(٥) سقطت من (س).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس ﷺ: كتاب الذكر والدعاء، باب كراهة الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا، رقم: (٢٦٨٨-عبد الباقي).

[ذِكْرُ الله في الأَيَّام المعدودات]:

ثم قال سبحانه: وإذا كنتم ذاكرين فخُصُّوا الأيام المعدودة، وهي أيامُ الرَّمْيِ، على ما بيَّناه في «الأحكام»[1]، فإنَّ ذلك آخِرُ نُسُكِكُمْ.

﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [البقرة:٢٠١]؛ خَفَّفَ على الخلق الرجوع عنه إلى الأهل والوطن؛ لمَا علم من علاقة قلوبهم، فأعادهم بأبدانهم، وعَلَّقَ قلوبهم بما عاينوه من مكانهم.

[١٢٦/ب] وذلك قوله:/ ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة:١٢٤]، فلا يراه أحدٌ إلا تمنَّى أن يعود إليه، وإن حَمَلَهُ شَوْقُ الأهل وحب الوطن على أن يفارقه.

وقد رأيتُ الفراق وذُقته، وأكلتُه وشربتُه، وساورني وساورتُه؛ فما رأيت فراقًا أبعد مُلْتَقًى، ولا استفالاً أقصى مُرْتَقًى من فراق المُحَصَّبِ.

فريقان: منهم جازعٌ بَطْنَ نخلة وآخرُ منهم قاطعٌ نَجْدَ كَبْكَبِ[2]

منهم مُشَرِّقٌ إلى الغاية، ومُغَرِّبٌ إلى النهاية، وشَمالي بغير موعد، وجَنوبي ولات حين مرصد، ولا شك - والله أعلم[3] - أنه عِيَارٌ[4] لفراق[5] يوم الموقف، فإنه بين أَخْذٍ إلى الجنة، ومَحْمُولٍ إلى النار، ولا ملتقى أبدًا.

---

(١) أحكام القرآن: (١/١٤٠).

(٢) من الطويل، وهو لامرئ القيس من قصيدة في ديوانه: (ص١٤).

(٣) قوله: «والله أعلم» لم يرد في (س).

(٤) في (ص): عيان، وأثبت الناسخ: عنوان.

(٥) في (د): بفراق يوم، وفي (س): ليوم الموقف.

وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾ [البقرة:٢٠٠]؛ إنْ خيرًا فخيرًا، وإنْ شرًّا فشرًّا، ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾؛ للكل في القيامة، ولمن اصطفى في كل نَفْسٍ، ويأتي[1] بيانُه إن شاء الله تعالى.

تقسيم[2]:

قال المُفَسِّرُونَ: «ذَكَرَ اللهُ من يسأل[3] الدنيا وحَظَّها، ومن يسألُ[4] الآخرة وفَضْلَها، ولم يذكر الرَّاضين بالقضاء، المُسَلِّمِينَ[5] للأمر، السَّاكنين[6] عن كل دعاء»[7].

قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي[8] رضي الله عنه: وهذا ممَّا لم أعلمه، ولا أقول به، ولا يُتصوَّر له معنى، وإنما هو من تلك الأغراض؛ في أن الدعاء تَحَكُّمٌ على الله، وذلك لَغْوٌ، أَمَا إنه قد يكون الرضا بالقضاء في بعض أحوال العبد، وذلك لا يمنع من أن يكون في غالب أحواله من أهل السؤال والدعاء.

---

(١) في (د) و(س) و(ف): سيأتي.

(٢) بيَّض لها في (س).

(٣) في (ص): سأل.

(٤) في (ص): سأل.

(٥) في (ص): المستسلمين.

(٦) في (س) و(د): السَّاكتين، وفي طرة بـ (س): في خـ: الناكبين.

(٧) لطائف الإشارات: (١٦٩/٢).

(٨) في (د): قال الإمام الحافظ، وفي الطرة: قال القاضي أبو بكر، وفي (ص): قال الإمام أبو بكر العربي.

[الهجرةُ إلى رسول الله ﷺ]:

ويُعْقِبُ[١] الحجَّ الهجرةُ إلى مُحَمَّدٍ ﷺ، والوقوفُ ببابه الكريم، ومناجاتُه على قُرْبٍ، والتَّشَرُّفُ[٢] بروضته المقدسَّة.

قال علماؤنا: «هم أحياء؛ يعلمون الدَّاخِلَ والخَارِجَ[٣]».

وقد ثبت عن عائشة ﵂ أنها كانت تَحْسِرُ خمارها أيَّان كان النبي ﷺ[٤] وحده، فلمَّا صار فيه من صار كانت تَتَسَتَّرُ دائمًا[٥].

ومن طَيِّبِ ما سمعت[٦] من الكلام قَوْلُ خَطِيبِ «الخَلِيلِ» - رحمة الله عليه[٧] - في مسجده بإزاء[٨] قبره في خُطْبَتِه[٩]: «اللهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آل مُحَمَّدٍ، كما صلَّيت على خَلِيلِك إبراهيم[١٠] هذا»، ويُشِيرُ إلى قبره

---

(١) في (د): تعقب.

(٢) في (س): التشريف.

(٣) في (ص): هم أيضًا يعلمون الداخل عليهم والخارج.

(٤) في (د): عليه السَّلام.

(٥) حديث «كنت أدخل بيتي الذي دُفن فيه رسول الله ﷺ وأبي فأضع ثوبي وأقول: إنما هو زوجي وأبي، فلمَّا دُفن عمر معهم فوالله ما دخلته إلَّا وأنا مشدودة عليَّ ثيابي، حياءً من عمر»، أخرجه الإمام أحمد في المسند: (٤٢/٤٤١)، رقم: (٢٥٦٦٠-شعيب).

(٦) في (د) و(ص): سمعته.

(٧) في (ص): عليه السلام، وأشار إليه في (د).

(٨) في (د): إزاء.

(٩) في (د): خطبة.

(١٠) لم يرد في (س).

أمامه من غَرْبِيِّ المسجد في وسطه، وقول خطيب المدينة: «اللَّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ نبيك هذا - ويشير إليه وهو من[1] شَرْقِيِّ المنبر - كما صلَّيت على إبراهيم».

أخبرني محمد بن عبد الملك[2] التِّنِّيسِي قال: لمَّا وصلنا مع الشيخ أبي الفضل الجَوْهَرِي إلى المدينة، وأشرفنا على الثَّنِيَّةِ، ورأينا[3] القُبَّةَ، وأشرق لنا نورُها السَّاطع الطالع المتصل بالسماء في منتصف النهار، وقد أربى[4] على نُورِ/ الشمس؛ وَثَبَ الشيخ أبو الفضل عن بَعِيرِهِ وأنشد: [١٢٧/ب]

نزلنا عن الأكوار[5] نَمْشِي كرامةً لمن بان عنه أن يُلِمَّ[6] به رَكْبَا[7]

ومَشَيْنَا حتى بلغنا إلى المسجد، والشيخ أبو الفضل يُنْشِدُ هذه[8] الأبيات[9]:

---

(١) في (د) و(ص): في، وأشار إليها في (س).

(٢) بعدها في (ص): الصوفي.

(٣) في (د) و(ص): فرأينا.

(٤) في (ص): رَبَا.

(٥) في (س): الأكوان.

(٦) في (ص): نُلِم.

(٧) البيت من الطويل، وهو من قصيدة للمتنبي يمدح فيها سيف الدولة، ديوانه: (١/١٣٥).

(٨) قوله: «هذه الأبيات» سقط من (س) و(ص) و(ف).

(٩) من الخفيف، وهي في المنشور لابن الجوزي: (ص٢١)، ونفح الطيب: (١/٤٠)، والبيت الثاني في المدهش لابن الجوزي: (ص١٤٧)، لأبي بكر الشِّبْلِي.

قلت للقلب إذ تراءى لعيني رَسْمُ دار لَهُمْ فهَاجَ اشتياقي[١]
هذه دارهم وأنت مُحِبٌّ ما احتباسُ الدموع في الآمَاقِ[٢]
والمغاني للصَّبِّ فيها معانٍ هي تُدْعَى مصارع العُشَّاقِ
حُلَّ عِقْدَ الدموع واحْلُلْ رُبَاهَا واهْجُرِ الصبر واقْضِ حَقَّ الفِرَاقِ

[مناجاةُ ابن العربي لرسول الله]:

ولقد وصلتُ إليها والحمد لله، وأشرفتُ من الثَّنِيَّةِ، ورأيتُ النور ساطعًا إلى السماء بفضل الله تعالى، وصلَّيتُ في الروضة، وناجيتُ الرسول وَحْدِي لَيْلًا من جهة رأسه، وتسمَّيتُ له، وتشفَّعتُ به، فنسأل الله الذي يختص برحمته من يشاء، ويمنُّ على من يشاء من عباده؛ أن لا يجعل ذلك عناءً، ولا يُصَيِّرَه هباءً، بفضله ورحمته.

قال الإمام الحافظ[٣] رضي الله عنه: ولمَّا كان الذِّكْرُ من الأسماء المتقدمة مع أصحابه، وكان على وجهين؛ منه ما يكون في الخلوة، كما جاء في الحديث[٤]: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فذكر: ورجلٌ ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»، وقد يَذْكُرُ[٥] مع غيره، كما جاء عنه ﷺ أنه قال[٦]: «من ذَكَرَني في نفسه ذَكَرْتُه في نفسي، ومن ذَكَرَني في مَلَأٍ ذَكَرْتُه في

(١) سقط هذا البيت من (د) و(س).
(٢) في (د) - أيضًا -: ما بقاء هذه الأبيات في الآماق.
(٣) في (ص): قال الإمام أبو بكر العربي.
(٤) تقدَّم تخريجه.
(٥) في (س) و(ف): نذكره، ومرَّضها في (د).
(٦) تقدَّم تخريجه.

مَلَأٍ خَيْرٍ مِن مَلَائِه»، فهذا الذَّاكِرُ مع غيره هو مُذَّكِرٌ[١] أيضًا؛ لأن[٢] الله تعالى عند سماع من معه يذكرُه يَخْلُقُ له العلم الثاني به[٣]؛ الذي هو الذِّكْرُ، كما بيَّناه في حقيقته، فصار المُذَكِّرُ من الأسماء المذكورة[٤].

* * * * *

(١) في (ص): مذكور.

(٢) في (س) و(ف): لآلَاء.

(٣) في (س): له، وسقط من (ف).

(٤) في (ص) و(س) و(ف): فصار من الأسماء المُذكِّر.

وهو الاسمُ الخامسُ والعشرون: المُذَكِّرُ[١]

لقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية:٢١]، وقوله: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم:٧]، وقوله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥].

فأخبر الله تعالى أنه أرسل مُحَمَّدًا رسوله مُذَكِّرًا؛ فذَكِّر العاصين بالعقوبة والتخويف ليرتدعوا، وذَكِّر المطيعين بالثواب ليزدادوا رغبة؛ فيُكْثِرُوا من الطاعات والعبادات، وذَكِّر العالمين فيما صرفتُ عنهم من مِحَنٍ، وما أسديتُ إليهم من مِنَنٍ، وما أَنَلْتُهم من الفِعْلِ الحسن، وذَكِّر الأغنياء بما أَفَضْتُ عليهم[٢] من الأرزاق، وذَكِّر الفقراء بعظيم ما صرفتُ عنهم لما[٣] عوَّضتهم به[٤]، وذَكِّر المبتلين بما ألزمتهم من الصبر، وذَكِّر المصابين بما وَعَدْتُهم من الأجر، وذَكِّر الداعين بما أخبرتهم به من الإجابة، وذَكِّر المجتهدين بما أعددتُ لهم من المثوبة[٥]، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾[٦] [ق:٣٧].

---

(١) سقط من (س) و(ص).

(٢) في (د) - أيضًا -: فيهم.

(٣) في (د): وما.

(٤) في (ص): وذكِّر الفقراء بما صرفتُ عنهم لعظيم ما عوضتهم.

(٥) ينظر: لطائف الإشارات: (٣/٤٧٠).

(٦) في (س) و(ف): إن في ذلك كله، ومرَّض «كله» في (د)، وخلت منها (ص).

[١٢٨/أ] قيل: عقل حاضر[١]/.

وقيل: قلب غير لَاهٍ، ولا مُشْتَغِلٍ بما لم يُنْدَبْ إليه.

﴿أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ﴾، أي: أصغى إلى ما يُقال له بباطنه، ولم يكن حيران من خِلَطِ الدنيا، ولا سكران من شرابها؛ بل كان على نُورٍ من ربه، فهو في اعتبار واستبصار[٢].

ومن[٣] الحديث الصحيح: «قَلْبُ المؤمن بين أُصْبُعَيْنِ من أصابع الرحمن»[٤]، تارة يدفع عنها[٥] البلاء، و يُفيض عليها[٦] النعماء[٧]، وتارة يغمسها[٨] في الظلماء، وقَلْبٌ يُكْسِبُه النعوت الحميدة، وقلب يكسوه الصفات الذميمة، فهو الذي قال فيه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾[٩]، أي: يسَّرته لقبوله، وطهَّرته من تضليله.

ومن الحكمة المبثوثة في القراطيس: «إن القلوب أواني، فأوعاها للخير أنورُها، وأجلاها ما رَقَّ وصَفَا منها، وقَلْبُ الكافر إناءٌ منكوس، لا

---

(١) لطائف الإشارات: (٣/٤٥٦).

(٢) ينظر: لطائف الإشارات: (٣/٤٥٦).

(٣) في (د) أيضًا: في.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أبواب القدر عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن، رقم: (٢١٤٠-بشار).

(٥) في (ص): عنه، وأشار إليه في (د) و(س).

(٦) في (ص): عليه، وأشار إليها في (د) و(س).

(٧) سقطت من (س).

(٨) في (د) و(س) - أيضًا-: يغمسه، وفي (ص): يغيبه.

(٩) ينظر: لطائف الإشارات: (٣/٤٥٦).

يدخل فيه شيء، وقَلْبُ المنافق إناء مكسور، ما يلقى في أوله يخرج من أسفله، وقلب المؤمن إناء صحيح غير منكوس ولا مكسور[١]، يدخل فيه الإيمان ويبقى»[٢].

ولكن هذه القلوب مختلفة؛ فمنها مُلَطَّخٌ بالغفلات وفنون الآفات، ومنها صَافٍ عن الكدورات[٣].

[أحاديثُ القلوب]:

قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي[٤] ﵁: الصَّحِيحُ في أحاديث القلوب أربعة:

الأوَّل: قوله ﷺ: «ألا إن في الجسد بَضْعَةً[٥]، إذا صلحت صلح الجسد[٦]، وإذا فسدت فسد الجسد[٧]؛ ألا وهي القلب»[٨].

الثاني: قوله: «إنه بين أُصْبُعَيْنِ من أصابع الرحمن»[٩].

الثالث: قوله ﷺ: «لا، ومقلب القلوب»[١٠]، في يَمِينِه.

---

(١) لم يرد في (س)، وفي (ص): إناء صحيح غير مكسور.

(٢) لطائف الإشارات: (٣/٤٥٦).

(٣) لطائف الإشارات: (٣/٤٥٦).

(٤) في (د): قال الإمام الحافظ، وفي (ص): قال الإمام.

(٥) في (د) و(ص): مضغة، وأشار إليها في (س).

(٦) في (ص): سائر الجسد.

(٧) في (ص): سائر الجسد.

(٨) تقدَّم تخريجه.

(٩) تقدَّم تخريجه.

(١٠) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب مقلب القلوب، رقم: (٧٣٩١-طوق).

الرابع: قوله: «تُعرض الفِتَنُ على القلوب كالحصير عُودًا عُودًا، فأيُّ قلب أُشربها نُكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نُكتت فيه نكتة بيضاء؛ حتى يصير على قَلْبَيْنِ، على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنةٌ ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مُرْبَدٌّ[1] كالكُوزِ مُجَخِّيًا[2]، لا يعرف معروفًا، ولا يُنكر منكرًا، إلا ما أُشرب من هواه»[3].

وهذه تكفيكم[4]، فلا تلتفتوا بعدها إلى سواها.

[أيَّامُ الله]:

وأمَّا قوله تعالى لموسى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾؛ يريد أيام العافية والنعم، وهي الأيام[5] التي يعدُّها الحازم، وأيامُ الطاعة هي التي يعدُّها العالم.

قال لي عطاء المقدسي: «كان شيخ صوفي إذا كان له يوم صالح خالص جعل جَوْزَةً في بُرَنِيَّةٍ، فإذا سئل عن عمره أخرج البُرَنِيَّة وحلَّ شَنَاقَها، وعدَّد[6] الجوْزَ، وقال: هذا عُمُرِي»[7].

وكذلك - لَعَمْرُ أبيكم - هو، فإنَّ يومك هو الذي لك، ويومُك الذي عليك لا يضاف/ إليك. [١٢٨/ب]

---

(١) في (س): مرباد.
(٢) في (س): مخجيًا.
(٣) تقدَّم تخريجه.
(٤) في (س) و(ص) و(ف): هذا يكفيكم.
(٥) سقطت من (س).
(٦) في (ص): عدَّ.
(٧) ذكرها ابنُ العربي - أيضًا - في الأحكام: (١١١٦/٣).

وأين[١] أيامي التي كانت لي؟ ويا أسفي عليها، وإني لأقولُ فيها ما أخبرنا به أبو الفضائل[٢] بن طَوْق قال: أنشدنا الأستاذ أبو القاسم[٣]:

سَقْيًا لها ولطِيبِها ولحُسْنِها[٤] وبهائها

أيَّام لم تَلِجِ النَّوى بين العصا ولِحَائِها

وقيل[٥]: أَمَرَ الله موسى أن يُذَكِّرهم أيام العَدَمِ؛ أيَّام لم تكن[٦] للعبيد[٧] عين ولا أثر، ولا لمخلوق خبر ولا وفاق، ولا وفاء ولا نقضُ عَهْدٍ[٨]، ولا ذنب ولا التواء، كان متعلق العلم متناول القدرة، مقصور الحكم على الإرادة، وفي ذلك كله آياتٌ لكل صبَّار شكور، رَضِيَ بحكمه[٩]، بدَّل لذيذ العيش بأَشَرِّه[١٠]، ولكل شكور غَرَقٌ في المِنَنِ، ولم يخرج كل واحد منهما عن حده، وذلك كله دعاءٌ إلى الحق، واستنهاجٌ

---

(١) في طرة بـ (د): في خـ: وإن.

(٢) في (س): الفضل.

(٣) البيتان من مجزوء الكامل، وأنشدهما أبو القاسم القُشَيري في لطائف الإشارات: (٢/٢٤٠).

(٤) سقطت من (ص).

(٥) لطائف الإشارات: (٢/٢٤٠).

(٦) في (د): يكن.

(٧) في (ص): العبد.

(٨) في (د): في خـ: ولا نقض ولا عهد.

(٩) في (د): بحكمته.

(١٠) في (س) و(ص): بشَرِّه، ومرَّضها في (د)، وأثبتنا ما أورده في طُرَّته وصحَّحه.

لسبيل الله ؛ كما قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥].

والدعاءُ إلى سبيل الله ما حَثَّ[١] على طاعة الله، وزَجَرَ[٢] عن المخالفة[٣].

والحكمةُ هي أن لا يخالف قولُه فعلَه[٤] ؛ فيُدْعَى بالحَكِيمِ.

* * * * *

(١) في (س) و(د): بالحث، ومرَّضها، وفي (ص): والحث، والمثبت ما صحَّحه ناسخ (د) بطرته.

(٢) في (س) و(ص): زجرهم.

(٣) لطائف الإشارات: (٢/٣٢٩).

(٤) لطائف الإشارات: (٢/٣٢٩).

[الحَكِيمُ]: وهو الاسم السَّادس والعشرون

والموعظة: هو[1] كلُّ[2] كلام يَخْلُقُ الله عنده قَبُولَ القلب لما يُلْقَى إليه من الخير.

والحسنة: هي ما صَدَرَتْ عن عِلْمٍ وصواب، برِفْقٍ ولِينٍ، دون أن يكون فيه تَعَسُّفٌ ولا تَعْيِيرٌ ولا إِخْجَالٌ[3].

ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه:٤٣]، فصار هذا أصلًا في الرِّفْقِ في الموعظة.

قال علماؤنا: «وإنما أمرهما بالمُلَايَنَةِ معه في الخطاب لأنه كان أوَّل ما دعوه إلى الدين، وفي حال الدعوة يجب التمكين؛ فإنه وَقْتُ المُهْلَةِ، فلا بدَّ من الإمهال، ريثما يَنْظُرُ؛ ألا ترى إلى قوله لنَبِيِّنَا ﷺ[4]: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وهو الإمهال، حتى ينظروا ويستدلُّوا، وذلك حسب ما اقتضته صِفَةُ الحلم[5]، فإن الخلق على حُكْمِ صفاته[6] العُلَى وأسمائه

---

(١) في (د) - أيضًا -: هي، وسقطت من (ص).

(٢) في (د): قل.

(٣) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٣٢٩).

(٤) قوله: «لنبينا ﷺ» لم يرد في (س) و(ز).

(٥) في (ص): العلم.

(٦) في (س) و(ف) و(ص): صفات الباري.

الحسنى يُجْزَوْنَ، وكذلك قال الله تعالى: قل لهم[1]: ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ﴾ [سبأ:٤٦]، فإذا ظهر من المَدْعُوِّ العنادُ والإباءُ حينئذ يُقَابَلُ بالغلظة»[2].

وقد[3] قال بعض علمائنا[4]: «علَّمهما لقاءَ الأكابر وإن كانوا كُفَّارًا، فلهم رُتْبَةُ[5] التسلط[6] على عباد الله»[7].

وبهذا استدلَّ جَمَاعَةٌ من الزهَّاد على رِفْقِ الله بالمؤمنين[8] عند السؤال؛ فإنه إذا كان يُشْرَعُ الرِّفْقُ في سؤال الأعداء الكافرين، فذلك أحرى من لُطْفِه بالمؤمنين، فيكون ذلك عُنْوَانًا على سؤال الملك في القبر؛ فإنه إذا رَفَقَ بمن جَحَدَه، فأولى أن يَرْفُقَ بمن وَحَّدَه[9]/. [١٢٩/أ]

ومن أحسن عبارة فيه قولُ بعضهم: «ألا ترى إلى رِفْقِه بمن قال: أنا، فكيف ترى رِفْقَه بمن قال: أنت»[10].

---

(١) في (س) و(ف): قال الله له.

(٢) لطائف الإشارات: (٢/٤٥٩).

(٣) سقطت من (س).

(٤) في (س) و(ف) و(ص): بعضهم، ومرَّضها في (د)، وما أثبتناه أشار إليه في (س).

(٥) في (د) و(ص): رِقْبَة.

(٦) في (ص): التسليط.

(٧) لطائف الإشارات: (٢/٤٥٩).

(٨) في (د): المؤمن.

(٩) لطائف الإشارات: (٢/٤٥٩).

(١٠) لطائف الإشارات: (٢/٤٥٩).

وقيل: «رَفَقَ بموسى في تربيته فقيل له: ارفُق به[1] حتى تقضي حقه في الدنيا؛ فلا يبقى له في الآخرة مكافأة»[2].

وعلى هذا المعنى كَسَا النبيُّ ﷺ عبد الله بن أُبَيٍّ قَمِيصَه، وإن مات منافقًا، مكافأةً لقميصه الذي كَسَاهُ هو[3] يوم بَدْرٍ العبَّاس[4]؛ حتى يموت ولا يَدَ له عند النبي ﷺ في الآخِرَة.

والحِكْمَةُ العُظْمَى[5] في قوله تعالى: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:٤٣]؛ أنه لم يُعْلِمْهُمَا أنه لا يؤمن، لئلَّا تلحقهما فَتْرَةٌ في الدعوة[6].

وكذلك شَأْنُ «المُذَكِّرِ»، يَعُمُّ بذكراه[7]، والباري تعالى يَخْلُقُ القَبُولَ لمن أراد، ومِن هذا كُلِّه يكتسبُ وَصْفَ «الواعظ».

* * * * *

(١) مرَّضها في (د).

(٢) لطائف الإشارات: (٢/٤٥٩).

(٣) سقط من (ص).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن جابر رضي الله عنه: كتاب الجنائز، باب هل يخرج الميت من القبر واللحد لِعِلَّةٍ؟ رقم: (١٣٥٠-طوق).

(٥) في (س) و(ف): العظيمة.

(٦) لطائف الإشارات: (٢/٤٦٠).

(٧) في (س) و(ص) و(ف): بذكره.

[الوَاعِظُ]: وهو الاسمُ السَّابع والعشرون

وفي صَحِيحِ الحَدِيثِ: «كان النبي ﷺ يَتَخَوَّلُنا بالموعظة مخافة السَّآمَةِ علينا»(١).

وصلَّى النبي ﷺ العيد ثم خطب الناس، ثم مشى إلى النساء فذكَّرهنَّ ووعظهنَّ، فجعلنَ يتصدَّقنَ، وطَفِقَتِ المَرْأَةُ تُلقي قُرْطَها وسِخَابَها وخَدَمَتَها في ثَوْبِ بِلَالٍ(٢).

فكان هذا دليلًا على سؤال الكبير للفقير الناسَ، وجمعه عنده حتى يُفَرِّقَه، وقد فَسَدَ الناسُ فزالت هذه الحال؛ لما يَلْحَقُ في ذلك من الظِّنَّةِ، ويتطرَّقُ إليه من التُّهمة، ودخله من الفُجَّارِ من الخيانة والاحتجان دون من جُمِعَ له، وليست هذه الخصلة(٣) مختصة بمن يُبَشِّرُ ويُنْذِرُ بالوعد والوعيد، دون من يُبَيِّنُ الأحكام، ويَزْجُرُ عن مخالفة السُّنَّةِ(٤) وتَعَدِّي المصلحة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات، باب الموعظة ساعة بعد ساعة، رقم: (٦٤١١-طوق).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب العيدين، باب موعظة الإمام النساء يوم العيد، رقم: (٩٧٨-طوق).

(٣) في (د): الحلية، وضَبَّبَ عليها.

(٤) قوله: «ودخله من الفجار من الخيانة والاحتجان دون من جُمِعَ له، وليست هذه الخصلة مختصة بمن يُبَشِّرُ ويُنْذِرُ بالوعد والوعيد، دون من يُبَيِّنُ الأحكام، ويزجر عن مخالفة السنة» سقط من (ص).

ففي الصحيح عن ابن مسعود: «أن رجلًا قال: يا رسول الله، إني لأتأخَّر عن الصلاة في الفجر ممَّا يُطَوِّلُ بنا فلانٌ فيها، فغضب رسول الله ﷺ، ما رأيتُه غَضِبَ في موعظة[1] كان أشد منها[2] يومئذ[3]، ثم[4] قال: أيها الناس، إن منكم منفرين، فمن أَمَّ الناس فليَتَجَوَّزْ، فإن خَلْفَه الضعيف والكبير وذا الحاجة»[5].

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُومِنِينَ﴾ [يونس:٥٧].

فالموعظة للعامَّة، والشِّفَاءُ للخاصَّة، فهنالك من يُصغي بظاهره فلا يتأثَّر بذلك قلبُه، ومنهم من يُصْغِي بسِرِّه فيبلغ إلى قلبه فيُشْفَى من دائه على حسب دوائه[6]، فشفاء المذنب الرحمة، وشفاء المطيع النعمة، وشفاءُ العلماء بالله تعالى القُرْبَةُ، وشفاء العاصين التوبة، وشفاء المُحِبِّينَ لَذَّةُ المناجاة بالحكمة[7]، فيفرح السَّامعُ بذلك كله، وهو الذي/ ينبغي أن يُفْرَحَ به، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨].

[١/ب]

---

(١) في (س): موضع، ومرَّضها في (د)، وفي (ص): مكان.
(٢) في (س): فيه، وأشار إليه في (د).
(٣) سقط من (س).
(٤) سقط من (س) و(ف).
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه: كتاب الأذان، باب تخفيف الإمام في القيام وإتمام الركوع والسجود، رقم: (٧٠٢-طوق).
(٦) في (ص): دائه، وفي (د): خنائه، كذا قرأتها، والله أعلم.
(٧) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/١٠٢).

يعني[١] ﴿بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾: أي: بإحسانه؛ الذي ليس بواجب عليه عند أهل السنة[٢].

والرَّحْمَةُ: إمَّا إرادة النعمة، وهي الأصلُ، أو نَفْسُ النعمة، وذلك لا يُحصى، كما أخبر الله تعالى[٣].

وقيل: فضل الله: ما أتاح لهم من الخيرات، ورحمته: ما أزاح عنهم من الآفات[٤].

وقيل: فضل الله: ما أكرمهم به من الطاعات، ورحمته: ما حماهم به من الزلَّات[٥].

وقيل: فضل الله: ابتداء[٦] التوفيق، ورحمته: دوام[٧] التحقيق، ما لم يسلبه عنهم.

وقيل: فضل الله: أنْ عرَّفهم بنفسه أوَّلًا بالأدلة، ورحمته: أن أراهم نفسه مُعَايَنَةً[٨].

وقيل: فضلُ الله: ما وَعَدَ به أهل الطاعة من إحسانه، ورحمته: ما خصَّ به أهل المعاصي من غفرانه[٩].

---

(١) في (د) - أيضًا -: معنى.
(٢) لطائف الإشارات: (١٠٢/٢).
(٣) لطائف الإشارات: (١٠٢/٢).
(٤) لطائف الإشارات: (١٠٢/٢).
(٥) لطائف الإشارات: (١٠٢/٢).
(٦) في اللطائف (١٠٢/٢): دوام.
(٧) في اللطائف (١٠٢/٢): تمام.
(٨) لطائف الإشارات: (١٠٣/٢).
(٩) لطائف الإشارات: (١٠٣/٢).

وقيل: فضل الله: الجنة، ورحمته: الرؤية[١].

وقيل: رحمته: رضاه الذي لا سَخَطَ بعده[٢].

﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من مَالِ الدنيا، أو عَمَلِ الآخِرَة[٣].

ويَعْضُدُ ذلك الحديث الصحيح الذي كان يقوله النبي ﷺ عند تمامه من الصَّلاة: «اللَّهم لا مانع لما أعطيت، ولا مُعْطِيَ لما منعت، ولا ينفع ذا الجَدِّ منك الجَدُّ»[٤]، وهذا من الأسماء الإلّهية، وهي أشرفها، فإنَّ كُلَّ اسم للرَّبِّ إذا[٥] أَذِنَ فيه للعبد فقد شَرَّفَه[٦]، فما أبقى المولى للعبد من الإحسان والشرف وجهًا إلَّا أَذِنَ له فيه؛ حتى[٧] في التَّسَمِّي[٨] باسمه، وقد بيَّنا أن اسم[٩] الحكيم[١٠] يرجع إلى العالم[١١]، والعاقل عالم[١٢]؛ فيُسَمَّى حكيمًا،

---

(١) لطائف الإشارات: (٢/١٠٣).

(٢) قوله: «وقيل: فضلُ الله: ما وَعَدَ به أهل الطاعة من إحسانه، ورحمته: ما خصَّ به أهل المعاصي من غفرانه. وقيل: فضل الله: الجنة، ورحمته: الرؤية. وقيل: رحمته: رضاه الذي لا سَخَطَ بعده» تقدَّم في (س) و(ف) و(ص) و(ز) عن موضعه هنا.

(٣) في (س) و(ف) و(ص): دنيا .. آخرة.

(٤) تقدَّم تخريجه.

(٥) ضبَّب عليها في (د)، وفي الطرة كلمة لم نتبينها، وصحَّحها.

(٦) في (ص): فهو شرفه.

(٧) قوله: «فيه حتى» سقط من (س) و(ص) و(ف).

(٨) في (س): في خـ: بالتسمي.

(٩) سقط من (س).

(١٠) في (س): الحَكَم.

(١١) ينظر: الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/٢٣٠).

(١٢) سقط من (س).

والفَهمُ عالم، وعِلْمُ[1] النُّبُوَّةِ عِلْمٌ شريف؛ فهو حكيم، والعملُ بما عَلِمَ عِلْمٌ[2]، ولذلك قال النبي عليه السَّلام[3]: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»[4].

ويُسَمَّى الفِعْلُ المنتظم به[5] حِكْمَةً، والقول الصائب؛ لأنه عن العلم يَصْدُرُ، كما يُسَمَّى المقدورُ قُدْرَةً، والباري تعالى حكيم؛ لأنه لا يُوقِعُ أفعاله إلَّا على مقتضى إرادته، وذلك بحسب ما عَلِمَ، ولا يكون موجودٌ[6] إلَّا أن يريده الله عَزَّ وجل، كيف ما كان؛ من طاعة أو معصية.

وغايةُ الحكمة أن يعمل المرءُ بما عَلِمَ، كما قال الأوَّل:

يا أيُّها الرجل المُعَلِّمُ غيره ... هلَّا لنفسك ذلك التعليمُ[7]

تصفُ الدواء من الظَّما ومِـ ... ـنَ الضنا ودواه أنت سقيمُ[8]

ابدأ بنفسك فانْهَها عن غَيِّها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيمُ

فهناك ينفعُ إن وَعَظْتَ ويُقتدى[9] ... بالعلم منك وينفعُ التعليمُ[10]

---

(١) سقط من (س).

(٢) في (ص): والعمل بها علم.

(٣) في (س) و(ف) و(ص): ﷺ.

(٤) تقدَّم تخريجه.

(٥) لم ترد في (ص) و(د).

(٦) في (س) و(ف) و(ص): موجودًا.

(٧) لم يرد في (د) و(س).

(٨) لم يرد في (د) و(س).

(٩) في (ص): يهتدى.

(١٠) تقدَّم تخريجها.

وفي معارضته قال سفيان بن عُيينة:

اعملْ بعِلْمِي ولا تنظر إلى عَمَلِي ... يَنْفَعْكَ عِلْمِي ولا يَضْرُرْكَ تَقْصِيرِي[١]

وفي ذلك كلام طويل ذكرناه[٢] في[٣] مواضعه؛ حسبما أشرنا إليه في «قانون التأويل»[٤].

والصحيحُ هو الأول، ولكن إذا سمعت حَقًّا فَخُذْهُ، وإن كان من لسان مُبْطِلٍ، واسْتَنِرْ أنتَ به، وإن احترقَ هو فيه، ولا يَقْدِرُ على ذلك كلُّ أحد، وإنما يكون كذلك من خَصَّه الله به، كما قال تعالى:/ [١٣٠/أ] ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة:٢٦٨].

فأخبر أن الحكمة يؤتيها من يشاء، ولا يتذكَّر بالذِّكْرَى إلَّا من كان له لُبٌّ، أي: من[٥] كان علمُه[٦] حاضرًا، ولم تَلْحَقْهُ غفلة.

وأصلُ الحكمة أن تحكم نفسك، فمن لم يحكم نفسه فليس بقوي ولا ذي[٧] حِكْمَةٍ، ولهذه الحكمة طهَّر الله نبيَّه داود ممَّا نسبه إليه أهلُ التفسير؛ ممَّا كذبت عليه الإسرائيليَّة؛ من أنه شُغِفَ بالمرأة، وعرَّض

---

(١) من البسيط، وهو للخليل بن أحمد الفراهيدي في المعارف لابن قُتَيبة: (ص٥٤٢)، ولباب الآداب للثعالبي: (ص١٦١)، وسِمط اللآلي: (٨١٥/١).

(٢) في (س): اذكروه، وفي (ص): مذكور.

(٣) في (س) و(ص): من.

(٤) قانون التأويل: (ص٢٥٤-٢٥٥).

(٥) في (د): كمن.

(٦) في (ص): عقله.

(٧) في (د): ذا.

زَوْجَها للمَنِيَّةِ، وخَلَفَه عليها، وهذا افتراءٌ على الله وعلى رسوله، وقد بيَّناه في «أنوار الفجر»[١]، و«الأحكام»[٢]، و«كتاب الأنبياء».

وقد قال الله سبحانه في أوَّل السورة: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص:١٦].

يعني: ذا القوة.

فأثبت له القوة، ولا قوة لمن غلبته نفسُه في الهوى، فاقتضى هذا القولُ نَفْيَ ما نَسَبَهُ[٣] إليه الجَهَلَةُ عنه.

ثم قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص:١٩]، وأصلُها كما بيَّنا أن يحكم نفسه، فأخبر الله عنه أنه قَوِيٌّ حَاكِمٌ على نفسه، فكيف تغلبه نَفْسُه[٤] على علاقة حُبِّ امرأة ومعه منهن تِسْعٌ[٥] وتسعون امرأة؟ هل هذا إلَّا عين المحال على ذوي[٦] الهيئات والمروءات؟ فكيف على أهل النبوات؟ وما عَمِلَ داودُ إلا ما أخبر الله عنه، ولا عاتبه إلا على ما أخبر أنه فَعَلَه، فاقرأ القِصَّةَ واعلم ما قاله الله فاعتقده، ولا تَزِدْ عليه، فإنه الصادق، وهم الكاذبون.

وإذا أردتم أن تكونوا حكماء فعليكم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله؛ فهي الغاية، وإيَّاكم وهذه الكتب التي تُنْسَبُ إلى الحكمة، فإنها مجموعة

---

(١) في (س) و(ف): الأنوار.
(٢) أحكام القرآن: (٤/١٦٣٤).
(٣) في (س) و(ف): نسب.
(٤) في (س) و(ف): نفس.
(٥) في (د): تسعة.
(٦) في (ص): ذي.

مـن أقـوال الفلاسـفة[١] والمُعَطِّلَـةِ؛ ككتـاب «دِمْنَـةَ وكَلِيلَـةَ» الـذي[٢] تَرْجَمَـهُ الملحدون، والكتب التي جمعتها الملحدة؛ كالجاحظ وغيره، ليُشْغِلَ[٣] بها الخلقَ عن كلام الله وكلام نَبِيِّه[٤]، ودُسَّ فيها من كلام الله تعالى وكلام نَبِيِّه مـا لـم يـصح؛ ليـصيد[٥] بـذلك قلـوب الفتيـان، ويجـذب إليهـا أعنـاق الرُّعنان[٦]، حتى يكون المُتَحَذْلِقُ منهم في جملة أهل الغفلة من[٧] الرُّعيان.

[التَّعْرِيفُ بأبي الفضل الجوهري ونوادره]:

ولم يكن في المتأخرين من الصَّالحين أعظـم رتبـة[٨] مـن أبـي الفـضل الجَوْهَرِي، وإن كان لم يكن عنده عِلْمٌ، ولكن[٩] كان عنده طَبْعٌ.

أخبرني الحاجُّ أحمد بن محمد اليَمَنِـي[١٠]، قـال لـي[١١]: دخلتُ عليه فقلتُ له: أريد أن أحج، وقد تـردَّدت بـين الجـادَّة أو الـصعيد، فعلـى أيهمـا تَدُلُّنِي؟ فقال لي: ارفع يديك فقُلْ:

---

(١) في (ف) و(د): الفسقة، ومرَّضها.

(٢) في (س) و(ف): التي.

(٣) في (س) و(ف): لتُشْغَلَ.

(٤) في (د): كلام الله تعالى ورسوله.

(٥) في (د) و(ص): ليتصيَّد، وضعَّفها في (د)، وكتب في طرته: ليتعبد، من غير تصحيح.

(٦) في (س) و(ف): الرعثان.

(٧) قوله: «ويجذب إليها أعناق الرُّعنان، حتى يكون المتحذلق منهم في جملة أهل الغفلة من» سقط من (ص).

(٨) في (ص): وثبة.

(٩) في (س): لا.

(١٠) لم أهتد إلى معرفته، وهو من أصحاب أبي الفضل الجوهري، وغالب الظن أن يكون لقيه بمصر، فقد أخذ ابنُ العربي عن عَدَدٍ من أصحاب الجوهري، والله أعلم.

(١١) ضبَّب عليها في (د).

يــا لطيفًــا بعبــده أنــت تعطــي وتمنــعُ
قــد تحيَّــرتُ ســيدي دُلَّنِــي كيــف أصــنعُ[1]

فَقُلْتُهـا، ففَتَحَ الله لـي ورَكِبْتُ الـصعيد؛/ فـصعدت علـى حـاجتي، وقضيتُ حَجَّتي. [١٣٠/ب]

وأخبرني محمد بن عبد الملك التِّنِّيسِي، قال لـي[2]: كـان الـشيخ أبـو الفضل الجوهري[3] وإن لم يكن عنده[4] عِلْمٌ، فكان عنده دِينٌ وفَهْمٌ وطَبْعٌ؛ أصبح يومًا فقال في مجلسه: أرسلتُ البارحة في سُكَّرٍ يُبتاع لي، فجاء[5] بـه الرسول، فلما أَدْنَيْتُه مني وجدت عليه رائحة الـصِّيرِ[6]، فقلـت لـه: مـا هـذه الرائحة[7] عليه؟ فقال لي: ما أدري، فقلت لـه: ارجع فانظرها، فرجع إلـى الفامي[8] فوجد زِيرَ[9] زجاج كان فيه السُّكَّرَ يجاور زِيرَ زجاج كان فيه الـصِّيرُ المُمَلَّحُ، وذكر أنه تعلَّق به من ذلك، فقلتُ: آهْ[10]، أَوْصَلَ إليـه الأذى مـن وراء حجـاب، وبقيـتُ مُتَمَلْمِلًا علـى الفـراش أعجـبُ مـن خَـرْقِ الرائحـة

---

(١) البيتان من مجزوء الخفيف، ولم أقف عليهما في غير هذا الديوان.

(٢) ضبَّب عليها في (د).

(٣) سقط من (د) و(ص).

(٤) في (د): له.

(٥) في (د) و(ص): فجاءني.

(٦) في (د) و(ص): صير.

(٧) في (د): الرائي.

(٨) الفامي: بائع الفُوم؛ وهي الحنطة والحمص، تاج العروس: (٢٢٢/٣٣).

(٩) الزِّيرُ: الدَّنُّ، تاج العروس: (٤٨٣/١١).

(١٠) في (ص): إذًا.

للحُجُبِ ووصولها إلى قلب السُّكَّرِ[١]؛ وتأثيرها فيه بكثرة الملازمة، وطول المجاورة، وتمادي الصحبة، وجعل يضرب لذلك مثلًا للقلب وتأثيره بما عليه[٢] من الحُجُبِ بما يُلقى[٣] إليه، حتى مضى أكثرُ النهار، وما انقطع له الكلام بكل نادرة.

أخبرني أبو عبد الله محمد بن قاسم العُثْمَانِي[٤]، قال لي: إن مصر كما تراها من غلبة الفجور، واستيلاء الفسق، وعلانية الملاهي، وتَجَرُّمِ الخلق، وانهماكهم[٥] في كل معصية، ولا يقدرُ أحدٌ من خَلْقِ الله على التغيير، وما كان أبو الفضل الجوهري ولا غيرُه ممَّن يستجرئ على الخروج منها، فاتَّفق ليلة أن يَبِيتَ في جواره دَسْتٌ عظيم[٦]؛ من زَمْرٍ وطَبْلٍ ودَكٍّ، فشغله ذلك عن العبادة، وأصبح إلى المجلس وقال: يا أصحابنا[٧]،

---

(١) في (د): قبب.

(٢) في (د): ضرب عليه، وعلى «ضرب» تضبيب.

(٣) في (د): يلقي.

(٤) الفقيه الشَّهِيد، محمد بن قاسم العُثماني، أبو عبد الله الكاتب، نزيل بيت المقدس، روى عنه ابنُ العربي «نوادر أبي الفضل الجوهري»، و«قصيدة ابن عبد الصمد السرقسطي» في إكرام الشيوخ والبِرِّ بهم، وسمعها منه ببيت المقدس، وروى عنه «قصيدته في مناسك الحج»، وسمعها منه بمصر، ويُفْهَمُ من نَعْتِ ابن العربي له بالشهيد بأنه من جُمْلَةِ من استُشْهِدَ من المرابطين ببيت المقدس، فتكون وفاته في شعبان من عام ٤٩٢هـ، عند دَخْلَةِ الصَّلِيبِيِّينَ، ينظر: قانون التأويل: (ص٨٩)، وأحكام القرآن: (١٧٤٢/٤)، وفهرس ابن خير: (ص٥٠٧).

(٥) في (د) و(ص): انهمالهم.

(٦) سقط من (س).

(٧) في (س) و(ف) و(ص): «وقال: أصحابي».

جاورني البارحة وُعَّاظٌ ملؤوا مسامعي حكمةً الليل كلَّه؛ صاحبُ نَايٍ، وصاحبُ قرقرة؛ وهي التي تُسَمَّى هاهنا أَجْوَال[١]، وصاحبُ كَبَرٍ، قال: فأمَّا صاحبُ النَّاي ففتَحَ باب الدَّعْوَى؛ فكان يقول: «لي، لي، لي»، فيقول له صاحب القرقرة: «لي ولك، لي ولك»، فيقول له صاحب الكَبَر: «ستعلم ستعلم، إذا كُشِفَ الغطاء فتندم، رَمْ رَمْ، رَمْ رَمْ[٢]»، فكان ذلك مثلًا لتنازع رجلين في الدنيا؛

أحدهما: يريد[٣] أن يختص بها[٤] قَسْرًا.

والآخر: يريد أن يُدارِيَها، ويتمتَّع بها شركة.

والثالث: زاهد فيها، عارف بها[٥]، يقول لكل واحد منهما: «ما[٦] أنت اليوم إلَّا[٧] في عَمًى، وسينكشف لك الغطاء غدًا؛ فتبصر حين لا تنفعك تَبْصِرَةُ الهدى».

وقُضِي[٨] المجلس من[٩] هذا الفن[١٠] في غرائب.

---

(١) في (ص): الدف، وفي (د): أغوال، وما زال هذا اللفظ يستعمل عندنا بشمال المغرب.

(٢) قوله: «رم رم، رم رم» سقط من (ص).

(٣) سقط من (س).

(٤) سقطت من (س).

(٥) في (ص): بقدرها.

(٦) سقطت من (س) و(ف) و(ص).

(٧) سقطت من (س) و(ف) و(ص).

(٨) في (س): قضى، وفي (ص): مضى.

(٩) في (ص): في.

(١٠) سقط من (د) و(س).

فانظروا - رحمكم الله - إلى فَهْم هذا الرجل وسَعَةِ ذِهْنِه، كيف غُلِبَ على سماع المنكر، ولم يستطع أن يُغَيِّرَ ولا أن يُصِمَّ أُذُنَيْهِ، فقَبِلَه[1] على[2] الحق وردَّه إلى الخير، واتَّعظ به اللَّيْلَ كلَّه، فكأنه كان صاحب مجلس/ يُلقي إلى الخلق[3] الخير[4]، وهذا حُكْمٌ ضروري، كَشْفُ سَرِيرَةٍ من عِلْمٍ دِينِيٍّ.

١ [١٣١/أ]

وقد كنتُ أعجبُ من هذا[5] حتى عَلِمْتُ من أين أَخَذَها، أو من وافق فيها إن كان لم يرها؛ وهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فإنَّ[6] في «كتب الزهد» أن عليًّا رضي الله عنه سَمِعَ ناقوسًا يُطَنْطِنُ، فقال: «أتدرون ما يقول هذا الناقوس؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول: كذا، وذَكَرَ[7] تقديسًا للباري وتعظيمًا»[8].

وكنتُ أعجب أيضًا[9] من ذلك حتى تَبَيَّنْتُ[10] قَوْلَ الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤].

---

(١) في (س): في خـ: فقَلَبَهُ، وأشار إليها في (د).

(٢) سقط من (ص).

(٣) في (س): الناس، وما أثبتناه صحَّحه في طرته، وهو الذي في (د).

(٤) قوله: «واتعظ به اللَّيْلَ كله، فكأنه كان صاحب مجلس يُلقي إلى الخلق الخير» سقط من (ص).

(٥) قوله: «من هذا» سقط من (س).

(٦) في (س): قال.

(٧) في (ص) و(ف) و(س): وكذا.

(٨) رسالة القُشَيري: (ص٣٨٢).

(٩) في (س) و(ف) و(ص): أيضًا أعجبُ.

(١٠) في (ص): تلوتُ.

قال ابن عبَّاس: «كُفْرُ الكافر تسبيحٌ لله وتقديسٌ».

قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي[١] رضي الله عنه: المعنى[٢] فيه: أنه أَمْرٌ جرى بقَدَرِ الله وإرادته، مع ما فيه من مخالفة أمره، وتَعَدِّي حَدِّه، وذلك دليلٌ على سَعَةِ مُلْكِه، وبديع حِكْمَتِه، وانفراده بعلمه، وإلزامه الخلق التسليم لأمره، والإقرار بالعجز عن دَرْكِه.

قال الإمام الحافظ أبو بكر[٣] رضي الله عنه: وذلك لما قدَّمنا بيانه؛ بأنه[٤] ما من شيء إلَّا يُسَبِّحُ بحمده[٥]؛ يعبد الله كما يجب للمولى على عبده، ويُسَبِّحُ كما يستحق[٦] بحمده، «ومن لم يُسَبِّحْ تَسْبِيحَ قَالَة، سبَّح تَسْبِيحَ حَالَة[٧]»[٨].

فإذا رتَّب هذا من قوله ونَظَمَه من كلامه سُمِّيَ «القاص».

* * * * *

---

(١) في (د): قال الإمام الحافظ، وفي (ص): قال الإمام.

(٢) بيَّض لها في (د).

(٣) في (د): قال الإمام الحافظ، ولم يرد في (ص).

(٤) في (ص): لأنه.

(٥) قوله: «يسبح بحمده» سقط من (د) و(ص).

(٦) في (ص): سبق.

(٧) في (س) و(ص) و(ف): دلالة.

(٨) لطائف الإشارات: (٢/٣٥٠).

[القَاصُّ]: وهو الاسمُ الثامن والعشرون

وحقيقتُه: هو الذي يُتْبِعُ القَوْلَ القَوْلَ، والقَصَصُ هو القول الثاني، كما أنه في الفعل: وَضْعُ الأثر على الأثر، وهو من أسماء الباري من حيث الأفعال.

قال الله سبحانه: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود:١١٩]، فقَرَنَ بين الثلاثة الأسماء؛ «القاصِّ»، و«المُذَكِّرِ»، و«الواعظِ».

وفي الحديث الصحيح: أن النبي ﷺ قال: «يرحم الله موسى؛ وَدِدْنَا لو صبر حتى يقصَّ الله علينا من أمرهما[1]»[2].

فعرَّفه الله تعالى أخبار[3] النَّبِيِّينَ، وسيرة المرسلين[4] الماضين، ومُقاساتهم للأمم، وصبْرهم على الأذى، ونصْرهم على الأعداء، ليُثَبِّتَ نفسه؛ لما يُقاسي من عنادهم، وليتعلَّق بالرجاء في إرشادهم، ويسعد[5]

---

(١) بعده في (س) و(ف): شيئًا.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي بن كعب رضي الله عنه: كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكل العلم إلى الله، رقم: (١٢٢-طوق).

(٣) في (د): بأخبار.

(٤) سقطت من (س)، وفي (ص): سيرة الصالحين.

(٥) في (س) و(ف): يصعد.

بمنزلة[١] عند الله بما ولّاه[٢] من ذلك وتولّاه، وليكشف له[٣] بذلك عن شَرِيفِ منزلته التي رقّاه[٤] إليها، ممَّا لم يَرْتَقِ إليها[٥] أحدٌ[٦].

ومن عظيم تشريفه أنه أَطْلَعَهُ على أخبار من مضى، ولم[٧] يَطَّلِعْ على خبره[٨] أحد[٩]، وقد نالت هذه البركةَ أُمَّتُه، فإنها عَرَفَتْ أخبار الماضين، ولم يعرف لها أحدٌ خبرًا[١٠] سواها.

وقد قيل: «إن ثبوته بمن يُسْمِع كان أكثر من ثبوته واعتداده[١١] بما يُسْمَع، وأُنْسُه بالمُحَدِّثِ كان أكثر من أُنسه بالحديث»[١٢].

والقَصَصُ والتَّذْكِيرُ[١٣] سيرة سابقة؛ لم تَزَلْ في عهد الخلفاء، وبحضرة الصحابة والعلماء، وكان يدخل فيها من ليس من أهلها فيُصَدُّ

---

(١) في (س) و(ف) و(ص): منزلته.

(٢) في (ص): والاه.

(٣) سقطت من (س).

(٤) في (س) و(ف) و(د): أرقاه، ومرَّضها في (د).

(٥) في (ص): إليه.

(٦) لطائف الإشارات: (٢/١٦٣).

(٧) في (ص): لا.

(٨) في (د): أخباره.

(٩) لطائف الإشارات: (٢/١٦٣).

(١٠) قوله: «وقد نالت هذه البركة أمته، فإنها عرفت أخبار الماضين، ولم يعرف لها أحدٌ خبرًا» سقط من (س).

(١١) في (س): اعتذاره، وهو تصحيف.

(١٢) لطائف الإشارات: (٢/١٦٣).

(١٣) في (ص): الحديث، وفي (س): التذكير، وكتبه بلون أحمر، كأنه ترجمة من تراجم الكتاب.

١

ويُمْنَعُ، ثم اتَّسَعَ الخَرْقُ على/ الرَّاقع، وجاء من اختلال[1] الحال ما ليس له دافع[2]، وانتهت الحال إلى أن يُقَصَّ بأقبح القصص؛ من الكذب والمحال وما لا أصل له في الدين، وباض الشيطان وفرَّخ، وسلخ[3] من الإسلام من سلخ، حتى لم يَبْقَ للعلم طَبَاخٌ[4] بما اعتجن من الباطل واطَّبخ، ودعا إلى مأدبته الجَفَلَى، فعمَّ بهذه الحادثة في الأقطار كلها البلاء، ودخل فيه المُدَّعُونَ على العلماء، والسفهاء على الحكماء[5]. [١٣١/ب]

كنتُ يومًا بمسجد[6] «بَابِ[7] أَبْرَزَ»[8] في مجلس[9] أبي عبد الله[10] بن أبي نَصْرٍ التَّمِيمِي المُتَكَلِّمِ[11]؛ ونحن نقرأ في

---

(١) في (د) و(ص): انحلال.

(٢) في (ص): ليس بدافع.

(٣) في (س): سرخ.

(٤) في (س): طبخ، وفي (ص): طباخًا.

(٥) في (د): الحكمة.

(٦) في (د) - أيضًا -: بدمشق، وسقط من (ص).

(٧) في (د): بباب.

(٨) باب أبرز: أحد أبواب بغداد.

(٩) في (ص): مسجد، وأشار إليه في (د).

(١٠) في (ص): محمد.

(١١) الإمام الحافظ، المقرئ المتكلم، محمد بن عَتِيق بن محمد بن أبي نصر التَّمِيمِي القَرَوِي، أبو عبد الله بن أبي كُدَيَّة، أخذ بالقيروان عن الإمام أبي عبد الله الأَذَرِي، صاحب القاضي أبي بكر الباقلّاني، دَرَسَ عليه عام ٤٤٣هـ، وهذا يُفِيد أن الأَذَرِي كان حيًّا في ذلك التاريخ، وهو تاريخ ابتداء دراسته للكلام، وقد اختلف الناس في تاريخ وفاته، فذكر الرُّشاطي أنه توفي =

سقيفة[١] المسجد، وفي صَدْرِه واعظ، وقد اغتصَّ المسجد بأهله، ولمَّا انقضت القراءةُ لَفَتُّ إلى سماعه لَحْظَةً من خاطري، فسمعته ينشد الناس[٢]، وجَعَلَ يقول[٣]:

جُرْحُ قلبي من الهوى ليس يَبْرَا كيف يبرا وقد تعشَّق[٥] بَدْرَا
أنا إن مُتُّ فاحْفِرَا[٤] ليَ قبرَا عند دار الحبيب يا لَكَ قَبْرَا
واكْتُبَا من دمي على لَوْحِ قَبْرِي رحم الله عاشقًا مات صَبْرَا[٦]

=عام ٤٢٣هـ (تراجم المؤلفين التونسيين: ١/٤٥)، وأرَّخه ابن الذهبي ضمن من تُوُفِّيَ قريبًا من الأربع مائة والأربعين (تاريخ الإسلام: ٩/٦٠٠)، وهذا التاريخ الذي أوردناه يُؤكد ما ذكره ابن الذهبي، وقد أخذ أبو عبد الله بالأندلس عن ابن عبد البر، وسمع بمصر من الشِّهاب القُضاعي، ودخل دمشق قبل عام ثمانين وأربع مائة، لقيه ابنُ العربي ببغداد، وأخذ عنه واختصَّ به، وكان أبو عبد الله قائمًا بعلم الكلام، مناظرًا فيه، مُسْتَوْلِيًا على مباحثه ومطالبه، فتصدَّر بالنِّظامية، وأخذ الناس عنه ذلك، ورَمَتْهُ الحَنْبُلِيَّةُ بما هو بَرَاءٌ منه، وجَرَتْ له معهم فِتَنٌ ومِحَنٌ، مات - رحمه الله - عام ٥١٢هـ، وقد نَيَّفَ على التسعين، ودُفِنَ في تُرْبَةِ إمام أهل السنة أبي الحسن الأشعري، ترجمته في: تاريخ دمشق: (٥٤/١٨٨-١٩٠)، ومعجم البلدان: (٤/٤٢١)، وسير النبلاء: (١٩/٤١٧-٤١٨)، والوافي بالوفيات: (٤/٥٩).

(١) في (د): سقيف.

(٢) سقطت من (ص).

(٣) قوله: «وجعل يقول» سقط من (س) و(ص) و(ف).

(٤) في (ص): فاحفروا، وفي البيت الذي يليه: واكتبوا.

(٥) في (س): تعشقت.

(٦) الأبيات من الخفيف، ولم أقف عليها في ديوان آخر.

وإذا به يتكلَّم في الزيارة ويُشَوِّقُ[١] إليها، ويتمنَّى أن يكون بها، وأن يموت عندها؛ فيدفن[٢] في ذلك الجوار الكريم.

[نَقْدُ إطلاق العشق على الله تعالى]:

وللصوفية في إطلاق العِشْقِ على الله تجاوزٌ عظيم، واعتداء كبير، ولولا إطلاقُه للمحبة ما أطلقناها عليه[٣]، فكيف أن نتعدَّاها[٤] إلى سواها من ألفاظ المُجَّانِ[٥]؟ وليس لها[٦] أصل في الشريعة، وقد يكون لانتزاع المعاني من الشعر[٧] وَجْهٌ، ولكن ليس بهذا[٨] الإفراط الذي لا يَحِلُّ.

[حكاية]:

وكان ببغداذ واعظٌ[٩] يقال له ابن عطاء[١٠]؛ يتكلَّم على الخاطر، ذَكَرَ

---

(١) في (ص): يتشوق.

(٢) في (ص): ويدفن.

(٣) سقط من (د) و(س).

(٤) في (س) و(ف) و(ص): تتعدَّاها.

(٥) في (س): المجاز، وفي (ص): المحال.

(٦) في (د) و(ص): له.

(٧) في (ص): السر.

(٨) في (د): إلى هذا.

(٩) في (ص): وعاظ منهم.

(١٠) الإمام الزاهد، العالم العابد، أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء، أبو العباس الأَدَمِي الصُّوفِي، من طبقة الجُنَيد، ومن أنبل متصوفة بغداد، له لسانٌ في فهم القرآن، ويؤثر عنه كلمات لِطَافٌ في الأحوال والمقامات، توفي ببغداد عام ٣٠٩هـ، ترجمته في: طبقات الصوفية للسُّلَمي: (ص٢٦٥-٢٧٢)، وحلية الأولياء: (١٠/٣٠٢-٣٠٥)، وتاريخ بغداد: (٦/١٦٤-١٧٠)، ورسالة القُشَيري: (ص٧٤).

يومًا على المنبر قصة يوسف؛ وبرَّأه ممَّا نَسَبَ إليه المبطلون وجَهِلَه المفسرون، فقام رَجُلٌ من أفناء[١] الناس في آخر المجلس فقال له: يا سيدنا الإمام؛ فإذًا يوسف هَمَّ وما تَمَّ، فقال له على البديهة: نعم؛ لأن العناية جاءت من ثَمَّ، ورفع يده[٢] إلى السَّماء[٣].

[من آفات الوُعَّاظِ]:

ولهم في الكذب تَلْفِيقَاتٌ مُزَوَّرَةٌ يقصدون بها التَّمْلِيحَ[٤]؛ هي[٥] تُكِبُّهم[٦] على وجوههم في النار، سمعتُ واعظًا منهم بالرَّيْحَانِيِّينَ تحت المنظرة بالدار العزيزة، وهو يقول: «لمَّا كُسِيَ آدمُ الحُلَّةَ، ووُضِعَ على رأسه التاج؛ خطا ثلاث خطوات، فأخذت الخطوة الأولى الملوك فتَجَبَّرَتْ[٧]، وأخذت الثانية أهل المعاش فسَعَتْ في الآفاق واضطربت[٨]، وأخذت الخطوة الثالثة الصوفية فتواجدت»، فهذه كذبة شنعاء؛ لأن آدم لم يفعل شيئًا من ذلك، ولا رواه بَشَرٌ، وما كان له[٩] ليتكبَّر في حال من الأحوال، ولا في موضع من/ المواضع، فكيف في الجنة؟ ولا بين الخُطا والسَّفَرِ[١٠] [١٣٢/أ]

---

(١) في (ف): أبناء.

(٢) في (د) و(ص): يديه.

(٣) ينظر: أحكام القرآن: (٣/١٠٨٢-١٠٨٣).

(٤) في (ص): الملح، وفي (د): التلويح.

(٥) في (س): حتى.

(٦) في (س): يكبهم.

(٧) في (ص): فتبخترت بها.

(٨) قوله: «في الآفاق واضطربت» سقط من (ص).

(٩) سقط من (د) و(ص).

(١٠) في (ص): السعي.

والوَجْدِ نسبة، وكانت[١] هذه كذبة فاترة غير متناسبة[٢]، مُؤْثِمَةً غير مستحسنة عند الجاهل ولا مُسَلَّمَة.

[طرائقُ الوُعَّاظِ]:

ومن أحسن ما شاهدتُ منهم[٣] أن عالمًا عَتَبَ عليه السلطان بغير ذنب، وهمَّ بعقوبته، وحَجَرَ عليه العلم والخَلْقَ، ثم عفا عنه، وأَذِنَ له في الجلوس، فلمَّا رقى المنبر وقرأ القارئ؛ فلمَّا أكمل عُشْرَهُ قام على رِجْلَيْهِ وأنشد[٤]:

أَلَمِي ما مثله أَلَمُ ... وسقامي دونه السَّقَمُ

هكذا في البِرِّ[٥] يُفعل بي ... كيف لو زَلَّتْ بيَ القَدَمُ

ثم زَهق[٦] على المنبر وتدحرج على درجاته، حتى وصل إلى الأرض على قَدَمَيْهِ مُسْتَقِلًّا، لم تتغيَّر له هيئة من لباسه، ثم عاد مسرعًا إلى المنبر، وأنشأ القَوْلَ في وعظه.

ورأيتُ منهم[٧] رجلًا يتكلَّم على محاسبة العبد على الذنوب يوم القيامة بين يدي الله، وتقريرِه عليها[٨] ذنبًا ذنبًا؛ عبدي تذكرُ يوم كذا وكذا؛

---

(١) في (د) و(ص): فكانت.

(٢) في (د) و(ص): مناسبة.

(٣) سقط من (س).

(٤) البيتان من المديد، ولم أقف عليهما في كتاب آخر.

(٥) في (ص): بالبر.

(٦) في (ص): زعق عن.

(٧) في (س) و(ف): منها، وسقطت من (ص).

(٨) في (ص): عليه، وسقط من (س).

إذ فعلتَ كذا وكذا، فقام رجل من الصوفية مُتَعَبِّدٌ؛ ورمى بنفسه بين يديه، وطَرَحَ ثيابه مِنْ عليه، وجعل يقول: أنا هو ذاك، بالله نَادِ عليَّ، فلم يبق أَحَدٌ إلا تخيَّل الحالة وبكى، وعلا[١] ذلك في المجلس حتى وجدتُ قلبي على جموده[٢] قد لاَنَ، وانحللتُ حتى وقعتُ على حائط المقصورة بظَهْرِي من رِقَّةِ القلب.

[مجلسُ الإمام أبي منصور الشيرازي]:

وحضرتُ يومًا مجلس شيخنا الإمام أبي منصور الشيرازي بنهر مُعَلَّى، وعادةُ الوُعَّاظِ أَلَّا يرقى المنبر إلا عالم يجيب عن كل سؤال، ويستوي على المنبر، ويأخذ[٣] القراءُ القاعدون بين يديه في القراءة، فتُرمى الرقاع بالأَسْوِلَةِ[٤] من كل جانب، وتتداولها الأيدي حتى تبلغ إليه، فيجعلها تحت ركبتيه، فإذَا تَمَّ القارئون أخذها واحدة واحدة، وقال: هذا يسأل عن[٥] كذا، وجوابُه كذا، فلا يتلعثم في واحدة منها، ويأتي بكل ما يَحْسُنُ ويَشْفِي الصدور ويكمل، فكتبتُ له - وأنا صغير السن - رُقْعَةً أقول له: ما الحكمة في أن الله قال[٦] - مخبرًا عن إبليس -: ﴿مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾، ولم يقل: من فوقهم، ولا من

---

(١) في (ص): وعلا البكاء في ذلك المجلس.

(٢) في (د): جمود فيه.

(٣) في (ص) و(د): ثم يأخذ.

(٤) في (س) و(ف): الأسئلة.

(٥) سقطت من (د).

(٦) في (ص): يقول.

تحتهم؟ ورَمَيْتُها[١] في بعض الأيام[٢] في جملة الرِّقَاعِ؛ فلمَّا تكلَّم عليها، وبلغت الدَّوْلَةُ إلى رُقْعَتِي، وليس له عِلْمٌ بصاحب واحدة منها، وقال[٣]: هذا[٤] يسأل عن قول الله كذا، ويا حبيبي؛ هذا وقد مَكَّنَه الله من أربع جهات يكون تسع مائة وتسعة وتسعون للنار، وواحدٌ للجنة، فكيف لو جاء من الجهات كلها؟ ما رأى أحدٌ الجنة أبدًا،/ ولكن إذا غَشِيَ من الجهات الأربع غَشِيَتِ الرحمة من فوقنا، وثَبَّتَتِ السكينةُ أقدامنا فنجونا، فعجبت من قوله: يا حبيبي، وناداني مناداة الصبيان، وهذا فنٌّ يُسَمُّونه الكلام على الخواطر.

١ [١٣٢/ب]

[الكلامُ على الخواطر]:

قال لي بعضُ أشياخي بالمسجد الأقصى من الصوفية: كنتُ يومًا في مجلس أبي سعيد الصوفي[٥] بنيشاغور، وهو يتكلم في حفل عظيم، فرأيته يصنع شيئًا على المنبر، فقلت في نفسي: يا ليت شعري، إن كان[٦] هذا الذي يفعل[٧] الشيخ يجوز أم لا؟ فصرف وجهه إلى جهتي وأنا في ناحية من الخَلْقِ[٨]، وجعل يقول: «رُوَاسْت، رُوَاسْت»، يعني: يجوز، يجوز.

---

(١) في (س): رميته.
(٢) قوله: «في بعض الأيام» سقط من (س).
(٣) في (ص) و(د): قال.
(٤) في (ص): وهذا.
(٥) وَرَدَ ذِكْرُه في سراج الملوك لأبي بكر الفهري: (٢/٥١٦-٥١٧)، وذَكَرَ هناك أنه باني المدرسة النظامية لخواجا بُزُرْك، وذَكَرَ سيرتَه في شراء الخانات والدُّورِ والبساتين، وقد جَعَلَ كُلَّ ذلك مُحَبَّسًا على الصوفية والفقراء.
(٦) قوله: «إن كان» سقط من (ص).
(٧) في (ص) و(د): فعله.
(٨) في (د): الحلقة.

ولهم في ذلك كراماتٌ في مقامات لا يعلمها أهلُ هذه البلاد[١].

أخبرني أبو الحُسَين[٢] المبارك بن عبد الجبَّار بمنزله بالقَطِيعَةِ وأنا أقرأ عليه «غريب الحديث» لابن قُتيبة، قال لنا: كنت أختلفُ إلى سماع هذا الكتاب على أبي الحسن علي بن عمر[٣] القزويني[٤] الحربي[٥]، بالحَرْبِيَّةِ[٦] من الجانب الغربي كل يوم؛ من الظهر إلى العصر، فصرتُ يومًا[٧] مع صاحبي من القطيعة إلى الحربيَّة[٨] في القائلة، ولطول الطريق استعنَّا[٩] بالحديث، فقلنا: إن شيخنا أبا الحسن لا يُخرج أبدًا يده من كُمِّه، وإنَّما يُمسك الأجزاء بأكمامه، ويُناولها[١٠] بأكمامه[١١]، ولا يَطَّلِعُ له أحدٌ على يد، فقال لي صاحبي: ولعل به بَرَصًا، فهو يستره، وبلغنا المسجد بالحربية[١٢]، ودخلنا وركعنا، وانتظرنا حتى خرج فصلَّى بنا، فلمَّا فَرَغْنَا تحلَّقنا إليه[١٣]،

---

(١) يقصد بلاد الأندلس.

(٢) في (س) و(ف) و(ص): الحسن.

(٣) ترجمته في: تاريخ بغداد: (٤٩٨/١٣)، وسير النبلاء: (٦٠٩/١٧-٦١٣).

(٤) في (د): الغزوني، وفي (ص): الغروي.

(٥) في (س): الخربي.

(٦) في (د): الخربية.

(٧) في (د) و(ص): مع صاحبي يومًا.

(٨) في (س): الخربية.

(٩) في طرة بـ (د): اشتغلنا.

(١٠) في (د): تناوله، وسقطت من (ص).

(١١) سقطت من (س) و(ص).

(١٢) في (س): الحديث.

(١٣) في (د) و(ص): عليه.

فمدَّ يده وتناول بها جُزْءَ «الغريب» الذي كنا نقرأ فيه، ثم أخرج يديه[١] من كُمَّيْهِ، وفتحه وحوَّل ورقه يطلبُ المَوْقِفَ، وهو يقول: الحمد لله على العافية، ثم أعطانا الجزء، وصرف يديه في كُمَّيْه، وما رأيناها قبل ذلك ولا بعده.

[اعتناءُ الوُعَّاظِ بالشعر]:

وسمعتُ محمد بن عبد الملك الواعظ[٢] وهو على المنبر[٣]، في الملتزم بين الركن والمقام، وهو يَعِظُ في ليلة من ليالي كانون الأوَّل[٤]؛ من حين فراغنا من صلاة العتمة إلى الفجر، ما نزل ولا انقطع له كلام في التملق لله والتحبب والتعطف[٥]، وأنشد في تلك الليلة نحوًا من ألف بيت، وقد قيَّدنا منها كثيرًا في «ترتيب الرحلة»، وكان من جملتها هذه الأبيات[٦]:

بسطتُ نحو الحبيب كفًّا ... أسأله بالغداة عَطْفَا

وقلتُ: يا سيدي تراني ... وليس[٧] ما بي عليك يَخْفَى

---

(١) في (د): يده.

(٢) هو محمد بن عبد الملك التِّنِّيسِي المصري الصوفي، تقدَّم التعريف به.

(٣) بعده في (س) و(ف): يقول.

(٤) قَصَدَ الإمام ابن العربي أن يُظهر طُول الزمان الذي تحدَّث فيه وذكَّر ووعظ وابتهل، من غير انقطاع، فليالي كانون الأوَّل طويلة، والمدة الزمنية بين العتمة والغداة ما يقارب عشر ساعات، لهذا ذَكَرَ الشهر الأعجمي؛ لأنه أبلغ في الإفادة.

(٥) في (س) و(ف): التعطف والتحبب.

(٦) قوله: «هذه الأبيات» سقط من (د) و(ص).

(٧) في (د): فليس، وفي (ص): وليس حالي.

ولـم أزل دائمًـا لمـا بـي ... أذرفُ دمـع الجفـون[١] ذَرْفَـا
حتَّـى أتـاني الجـوابُ منـه ... وقيل لي في الجواب: تُكْفَى[٢]

وهو رافعٌ يديه يقول: «يا سيدي تراني، يا سيدي تراني[٣]»، والخلق يجأرون[٤]، والمسجد الحرام قد امتلأ بالأصوات[٥] والجؤار والبكاء، والناس يتساقطون يمينًا وشمالًا، صَعْقًا وإغماءً/. [١٣٣/أ]

وسمعتُ الرازي الإمام على المنبر بمدينة السَّلام يتكلم على الحج وفضائله، ويُحَرِّكُ الناس للحج معه، وقد كان قَدِمَ من الرَّيِّ[٦] بتلك النيَّة، فأنشد يصفُ خروجه من بلده:

جعلـوا الحـج حجـةً للفـراق ... واسـتحلُّوا خيانـة الميثـاقِ
وأراقـوا دمَ القلـوب اشـتياقًا ... حـين ولَّـت ركـابهم للعـراقِ[٧]
وطَوَوْا نـشرهم فهُـمْ نَشَرُ المِسْـ ... ـكِ عليهم مُبَشِّرًا بالتلاقِ[٨]
قُـلْ لحـاديهم: رُويـدًا فقلبـي ... كلما سُقْتَ عِيسَهم في السياقِ
فوق تلك الجمال من لو أقاموا ... لحملنـاهم علـى الأحـداقِ
وتمنيـتُ أن أكـون بعيـدًا ... والـذي بيننـا مـن الـوُدِّ بَـاقِ

---

(١) في (ص): العيون.
(٢) الأبيات من مخلع البسيط، ولم أقف عليها في كتاب آخر.
(٣) قوله: «يا سيدي» سقط من (س) و(ص).
(٤) في (ص): يخرون.
(٥) في (د): في خـ: بالصوات والخوات.
(٦) قوله: «من الري» سقط من (ص).
(٧) في (د): الفراق.
(٨) سقط هذا البيت وما يتلوه من (د) و(س).

رُبَّ هَجْرٍ يكون من خوف هَجْرٍ وفِرَاقٍ يكون خَوْفَ الفِرَاقِ[١]

[من تفسير أهل الإشارة]:

وسمعتُ القاضي المُرْشِدَ النَّسَوِي[٢] شيخَ الصوفية بمَهْدِ عيسى صلوات الله عليه؛ في ليلة النصف من رمضان، في أوَّل ختمات المسجد الأقصى، والكازَرُوني مقرئ الأرض يقرأ بين يديه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ [الأعراف:١٤٣]، بمجلس ذكرناه في كتاب[٣] «ترتيب الرحلة» كله مُسْتَوْفًى، ومن[٤] جملته أمور صوفيَّة لا معنى لها عندي، وعقليَّة لا مردَّ لها مِنِّي، وأدبيَّة يحتمل[٥] أن تكون، وشعريَّة[٦] على طريقة القوم.

قال: قَوْلُه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾، قال: «جاء موسى ولم يَبْقَ شيء من موسى لموسى»[٧].

وقال: آلَافُ الآلَافِ[٨] خَطَوْا خُطًى كثيرة ولم يُذكروا، واختصَّ له بفضله موسى، فذكر خُطاه في إقباله للمواعدة تشريفًا، يختص برحمته من

---

(١) الأبيات من الخفيف، والأول والخامس في ديوان الوَأْوَاء الدمشقي: (ص١٦٠)، وأربعة أبيات منها في آداب الصحبة للسُّلَمي: (ص٩٧)، باختلافٍ في الترتيب.

(٢) ذكره ابنُ العربي أيضًا في الناسخ والمنسوخ: (١٦٥/٢)، ولم أهتد لما يفيد في التعريف بحاله.

(٣) سقط من (ص) و(ف) و(س).

(٤) في (د) و(ص): من.

(٥) في (د): تحتمل.

(٦) في (ص): شعرية.

(٧) لطائف الإشارات: (٥٦٤/١).

(٨) في (د) و(ص): آلاف.

يشاء[١]، ولمَّا جاء موسى للميقات بسط الله له الكرامة، وأسمعه كلامه، فلم يتمالك أن قال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾، غلبه[٢] الحب، وأَدَلَّ بالقرب، فسأل الرؤية[٣].

وأبرحُ ما يكون الشوق يومًا إذا دَنَتِ الخيامُ من الخيام[٤]

وكان موسى في أيام المُواعدة يقول: «من كانت له إلى الله حاجة فليذكرها لي»، فلمَّا أسمعه الكلام استولت عليه العظمة فنسي ما كان حُمِّلَ، وغَلَبَه[٥] الشَّوْقُ فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾[٦].

فيا لَيْلَ كم من[٧] حاجة لي مُهِمَّةٌ إذا جئتكم يا لَيْلَ[٨] لم أَدْرِ ما هيَا[٩]

ثم أنشد[١٠]:

أُرَوِّي[١] ما أقول إذا افترقنا وأجمع دائبًا[٢] حُجَجَ المقال

فأنساها إذا نحن التقينا وأَنْطِقُ[٣] حين أنطقُ بالمُحال[٤]

---

(١) لطائف الإشارات: (١/٥٦٤).

(٢) في (د) و(ص): غلب عليه.

(٣) لطائف الإشارات: (١/٥٦٤).

(٤) من الوافر، وهو لإسحاق الموصلي، وهو عند القالي مُسْنَدًا في أماليه: (١/١١٠)، وفي الموشَّح للمَرْزُباني: (ص٣٧٣)، ويُروى - أيضًا -: إذا دنت الديارُ من الديارِ، وإنما أخذه القاضي النَّسَوِي من لطائف الإشارات: (١/٥٦٥).

(٥) في (د): غلب عليه.

(٦) لطائف الإشارات: (١/٥٦٥).

(٧) سقطت من (د).

(٨) في (س): بالليل.

(٩) من الطويل، للمجنون في ديوانه: (ص١٢٢).

(١٠) قوله: «ثم أنشد» سقط من (س).

ثم قال[٥]: اقرأ يا أستاذ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾، فقرأه[٦] القارئ، فأنشد[٧]:

لو عَلِمْنَا مجيئكم لنَثَرْنَا ... مُهَجَ النَّفْسِ أو سواد العيون

وبَسَطْنَا على الطريق جُفُونًا ... ليكون المَمَرُّ فوق الجفون[٨]

وأنشد[٩]:

قالوا: تَوَقَّ رجالَ الحي إن لهم

عينًا عليك إذا ما نِمْتَ لم تَنَمِ

فقلتُ: إن دمي أقصى مرادهم

وما غَلَتْ نظرةٌ منهم بسَفْكِ دَمِ

والله لو علمتْ نفسي بمن هَوِيَتْ

جاءت على رأسها فضلًا عن[١٠] القَدَمِ[١١]

---

(١) في (س): أروني. (٢) في (س): دانيًا.

(٣) في (س): فأنطق.

(٤) من الوافر، وهو في الرسالة القشيرية: (ص١٥٢)، والزهرة للظاهري: (١٢/١)، غير منسوبين.

(٥) في (ص): «يا قارئًا بالعشر، ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا﴾».

(٦) في (ص): فقرأ.

(٧) في (ص): ثم أنشد، وتأخر البيتان اللذان بعده عمًّا في (س) و(د).

(٨) البيتان من الخفيف، وهما في سِلْكِ الدرر في أعيان القرن الثاني عشر: (٢٣٩/٣).

(٩) في (ص): ثم أنشد.

(١٠) في (س) و(ف): على.

(١١) الأبيات من البسيط، وهي في مواهب الجليل: (٤٩٨/٢)، والأوَّلان منها في البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقد: (١٧٠/١).

[١٣٣/ب] /قال الله لموسى[١]: «لن تراني حتى يراني، صاحب السبع المثاني»، لئن[٢] كان الله اصطفى موسى بالكلام فقد اصطفى[٣] مُحَمَّدًا ﷺ بالكلام والرؤية.

طلب موسى الرؤية فقيل له: ﴿انظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾، فموسى لم يقل: «لا أريد الجبل، إنما أريد أنتَ»، ولكنه امتثل ما أُمِرَ[٤]، كما قالوا[٥]:

أريدُ وصاله ويريد هجري فأتركُ ما أريدُ لما يريدُ[٦]

وقَالَ مِنْ أَمْثَالِ هذا ما قال، ومَشَى هكذا ما مشى، إلى[٧] الفجر من[٨] العِشَا، ولم أقدر أن أحتمل ذلك لخروجه عن حَدِّ القانون الشرعي الذي مهَّدناه في «قانون التأويل»[٩].

---

(١) في (د) و(ص): يا موسى.

(٢) في (د) و(ص): قد.

(٣) في (د) و(ص): واصطفى.

(٤) لطائف الإشارات: (٥٦٧/١).

(٥) في (ص): قال، وبعدها في (د) كلمة غير واضحة تقرب أن تكون: وأنشد.

(٦) من الوافر، أنشده أبو القاسم القُشَيري في اللطائف: (٥٦٧/١)، ونسبه الصفدي في الوافي بالوفيات: (١٦٠/١٨)، وابن الكُتْبي في فوات الوفيات: (٣٠١/٢)، لعبد الرحمن بن مروان، المعروف بابن المُنَجِّمِ الواعظ.

(٧) في (ص): من، وسقطت من (س).

(٨) في (ص): إلى.

(٩) قانون التأويل: (ص١٩٦-١٩٧).

وكنتُ أرى القاضي المذكور وجميع الحضور قد استولى عليهم البكاء والخشوع، والحنين والذَّنِين[١]، والتوجع والتفجع، والدعاء والتضرع، وأنا متفكر في هذه الألفاظ، متوقل[٢] على هذه الأغراض، فما تلتئم لي[٣]، فكنتُ أقول: هل حال بيني وبين هؤلاء قسوة مغربية أم غفلة شهوانية أم نية دينية؟ وتأملتُ عند تفقهي ذلك كلَّه، فعلمت أنه ليس على طريق من مضى، فأعرضتُ عنه وقلت: لا أرضى، وقد[٤] بَيَّنْتُ خروجه عن التأويل في «القانون»[٥]، وكلكم يرى خروجه، ويُدْرِكُ مفارقته لما ينبغي، وسنشير في بقية الباب و«الأسماء» إلى هذا الغرض إن شاء الله.

[رُكُوبُ بعض الوعاظ مَتْنَ الكذب على رسول الله]:

ومنهم من يستجيزُ الكذب على النبي ﷺ صُرَاحًا، ولا يرى في ذلك جُنَاحًا، كما أخبرني محمد بن عبد الملك عن أبي الفضل الجوهري، قال: ذكر لنا يومًا أن النبي ﷺ مرض فعاده أبو بكر، فلمَّا رآه أبو بكر[٦] خاف[٧] عليه، حتى خرج من عنده عليلًا، ووجد النبيُّ ﷺ خِفَّةً فجاء يعود أبا

---

(١) في (ص): الأنين.

والذنين: المخاط يسيل من الأنف، ينظر: تاج العروس: (٦٦/٣٥).

(٢) في (ص): متوكل.

(٣) في (س): تليتم به.

(٤) سقطت من (س) و(ص).

(٥) قانون التأويل: (ص١٩٦-١٩٧).

(٦) قوله: «فلما رآه أبو بكر» سقط من (د) و(ص).

(٧) في (د) و(ص): فخاف.

بكر، فلمَّا رآه أبو بكر قد برئ ثَابَتْ إليه نفسُه وعادت إليه صحتُه، فقال أبو بكر رضي الله عنه[١]:

مـرض الحبيب فعُدْتُه فمرضتُ من حَذَرِي عليه
شُفِيَ الحبيبُ فعادني فشُفِيتُ[٢] من نظري إليه[٣]

وهذا شيء ما أنزل الله به من سلطان، بل هو غاية البهتان، وقد قدَّمنا أن هذا الشيخ كان رجلًا[٤] عفيفًا ولم يكن عالمًا.

[تَوْطِيدُ القول في القصص]:

ومن أحسن[٥] الإيراد في القصص أن يُوَطِّد[٦] القول ويأتي به على قلوب حاضرة ووجوه مقبلة، وفي الحديث: «حَدِّثِ الناس ما حَدَجُوك[٧] بأبصارهم»[٨]، وإن رأى غفلة فليستدع الناسَ[٩] حضورهم وإنصاتهم، قال:

---

(١) ذَكَرَ هذه الحكاية منسوبة إلى الإمام الشافعي أبو طالب المكي في قوت القلوب، ولم أقف عليها كما ذكرها ابنُ العربي عن أبي الفضل الجوهري، ينظر: القوت: (١٥٨٠/٣).

(٢) في (د) و(ص): فبريت، وأشار إليه في (س).

(٣) البيتان من مجزوء الكامل، وهي للشَّافعي في ديوانه: (ص٤٠٣)، ونُسِبت لغيره.

(٤) سقط من (س) و(ف).

(٥) في (د): حسن.

(٦) في (ص): يطرد، وفي (د): توطد.

(٧) في (س): جرحوك، وفي (ص): حدقوا إلي.
حدجوك بأبصارهم: رَمَوْكَ بها، أي: حَدِّثهم ما داموا يشتهون حديثك، فإذا أعرضوا عنك فاسكت، ينظر: شرح السنة: (٣١٤/١).

(٨) أورده البغوي في شرح السنة عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفًا: (٣١٤/١).

(٩) سقطت من (د) و(ص).

«إنَّ[١] النبي ﷺ في حجة الوداع، استَنْصَتَ الناس ثم قال: لا ترجعوا بعدي كُفَّارًا؛ يضربُ بعضكم رقاب بعض»[٢].

١ جلس يومًا أبو الفضل الجَوْهَرِي على المنبر؛ فقرأ القارئ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم،/ فقال: والله لا منعتُها من أحد[٣] أبدًا، وسكت، وعاد القارئ للاستعاذة، فلمَّا أكملها قال أبو الفضل: والله لا منعتها من أحد أبدا، وسكت[٤]، وعاد القارئ إلى الاستعاذة، فلمَّا أكملها قال أبو الفضل: والله لا منعتها من أحد أبدًا، وعاد القارئ إلى الاستعاذة[٥]، فقال الناس: ما معنى هذا[٦]؟ [١٣٤/أ]

وأقبلت القلوب على كلامه مُتَعَجِّبَةً من قوله هذا، ولمَّا[٧] استقبلته الوجوه قال: رُوي عن محمد بن واسع أنه قال: «خرجتُ يومًا إلى المسجد فلقيتُ الشيطان في طريقي، فقال لي: يا محمد بن واسع، إني كلما رُمتك وجدت حجابًا بيني وبينك؛ لا أستطيع أن أبلغ إليك معه، فقال له ابن واسع: إني أقول كل يوم إذا أصبحت: اللهم إنك سلَّطت علينا الشيطان

---

(١) سقطت من (د) و(س).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن جرير ﷺ: كتاب المغازي، باب حجة الوداع، رقم: (٤٤٠٥-طوق).

(٣) قوله: «من أحد» سقط من(ص).

(٤) سقطت من (د).

(٥) في (د): للاستعاذة.

(٦) قوله: «وسكت، وعاد القارئ للاستعاذة، فلمَّا أكملها قال أبو الفضل: والله لا منعتها من أحد أبدا، وسكت، فلما أكملها قال أبو الفضل: والله لا منعتها من أحد أبدًا، وعاد القارئ إلى الاستعاذة، فقال الناس: ما معنى هذا؟» سقط من (ص).

(٧) في (د) و(س): واستقبلته.

عدوًّا من أعدائنا؛ يرانا هو وقَبِيلُه من حيث لا نراه، اللهم أَيْئِسْهُ[١] منَّا كما أيأسته[٢] من عفوك، وقَنِّطْهُ منَّا كما قنَّطته من رحمتك، وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين جنتك، إنك على كل شيء قدير، فقال له الشيطان: بالله لا تخبر بها أحدًا أبدًا، فقال: والله لا منعتها من أحد أبدًا[٣]».

فانظروا إلى حُسْنِ هذا السياق في جَمْع القلوب على السماع والإصغاء، حتى يقع القَوْلُ موقعَه؛ فيكون أوعى له وأثبت لتحصيله.

[من نوادر الوعاظ]:

ومن نوادرهم: ما سمعتُ بعضهم؛ وقرأ القارئ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ [الفتح:٢٩]، إلى خاتمة الفتح، فقام وأنشد:

حُبُّ صَحْبِ النبي خالط لحمي وجرى في مفاصلي فاعذروني
أنا والله مُغْرَمٌ بهواهم[٤] عَلِّلُوني بذِكْرِهم عَلِّلُوني[٥]

ثم أخذ في ذِكْرِ الصحابة، وكان مجلسًا عظيمًا، فيه علوم جَمَّةٌ، من جملتها[٦]: «إن قوله: ﴿مَعَهُۥ﴾: أبو بكر، ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾: عُمَرُ، ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾: عثمانُ، ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾: عَلِيٌّ»[٧].

---

(١) في (ص): آيسه.

(٢) في (ص): آيسته.

(٣) قوله: «فقال: والله لا منعتها من أحد أبدًا» سقط من (س).

(٤) في (د): في هواهم، وفي (ص): من هواهم.

(٥) من الخفيف، ونسبهما موفق الدين ابن الشيخ الشارعي في مرشد الزوار إلى قبور الأبرار: (١/٣٠١) إلى الشيخ أبي الفضل الجوهري الواعظ.

(٦) في (د) و(ص): جملتها.

(٧) لطائف الإشارات: (٣/٤٣٣).

قال الإمام الحافظ أبو بكر[(١)] رضي الله عنه: الآية عامَّة في المؤمنين، إلا أن هؤلاء الأُوَل أوائلُ، وكلٌّ[(٢)] من بعدهم أواخر، وهذا ذِكْرُهم في التوراة، وذكرهم في الإنجيل ﴿كَزَرْعٍ﴾: مُحَمَّدٌ، ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾: أَصْحَابُه[(٣)]، كان واحدًا[(٤)] ثم تتامَّت إليه الصحابة، فيقوى ويَشْتَدُّ، ويَعْظُمُ ويَكْثُرُ؛ حتى يستوي على سُوقِهِ، وتظهر ثمرته، وتعم منفعته، ليغيظ بهم أجمعين الكفَّار، هم قُرَّةُ عين الولي، وغَيْظُ عين الحسود، فكلُّ من قَرَّتْ عينُه بهم فهو مؤمن، وكُلُّ من كَرِهَ منهم واحدًا فهو كافر[(٥)].

قال مالك: «لا أرى في الفيء حقًّا لمن لم يكن على مقتضى قوله: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]»[(٦)]/. [١٣٤/ب]

وقد أَحْسَنَ القائل:

وعَامِلٍ بالذنوب يأمرُ بالبرِّ ... كهَادٍ يخوضُ في الظُّلَمِ
أو كطبيب قد شَفَّهُ سَقَمٌ ... وهو يُدَاوِي من ذلك السَّقَمِ
يا واعظ الناس غير متعظ ... نَفْسَك عَاتِبْ أو لا[(٧)] فلا تَلُمِ[(٨)]

---

(١) في (د): قال الإمام الحافظ، وفي (ص): قال الإمام أبو بكر بن العربي.
(٢) في (س): كان.
(٣) في (س): أبو بكر وأصحابه، وفي (ص): ﴿أخرج شطأه فآزره﴾.
(٤) في (س): واحدًا منهم.
(٥) يُقارَن بما في لطائف الإشارات: (٣/٤٣٤).
(٦) مسند الموطأ للجوهري: (ص١١٢)، والانتقاء لابن عبد البر: (ص٧٣).
(٧) في (د): أولى.
(٨) الأبيات من المنسرح، وهي لأحمد بن يوسف الكاتب، يعاتب جارية له، وهي في الأغاني: (٢٣/١٢٨)، وزهر الآداب: (٢/٤٨٧).

قال الإمام الحافظ أبو بكر[١] رضي الله عنه: وهذا كله يَتَنَضَّدُ[٢] ويتأكد بالتفكر؛ فإنه من أَجَلِّ العبادات وأعظم الطاعات، ويختص بالقلب، ليس للجوارح فيه أثر، فيكون[٣] مُتَفَكِّرًا[٤].

* * * * *

(١) في (د): قال الإمام الحافظ، وفي (ص): قال الإمام أبو بكر بن العربي.

(٢) في (د): ينتصر، وفي (ص): يعتضد.

(٣) سقط من (د).

(٤) قوله: «فيكون مُتَفَكِّرًا» سقط من (ص)، وفي (د): التفكر، ومرَّضها.

وهو الاسمُ التاسع والعشرون: المُتَفَكِّرُ(١)

وحقيقتُه: تَرَدُّدُ العلوم في القلب، وترتيبُها حتى تُثْمِرَ أَمْثَالَها في أمثالها(٢).

وهو الذِّكْرُ بعينه، وهو النَّظَرُ، وكل ناظر متفكر، وكل متفكر مُتَذَكِّرٌ؛ إذ حقيقة المتفعل طالب الفعل، وسَتَرَوْنَ تَرْتِيبَ ذلك في الأمثلة إن شاء الله؛ فإنَّ قومًا(٣) أرادوا الفرق بينهما(٤)، وجعلوا لكل واحد حقيقة، ولو كان ذلك صحيحًا لما أجدى، أَمَا إنهم أرادوا أن يجعلوا لمراتب الفكر أسماء ويفصلوا بينها بها(٥)، وإذا أطلقنا الاسم على جميعها لم يضرَّنا ذلك.

وممَّا يجبُ أن تعرفوه مُقَدِّمَةٌ بين يدي النظر في هذا الاسم أنه ليس فيه حديث صحيح عن النبي ﷺ، ولا عن العَشَرَةِ الأبرار، فلا تلتفتوا إليها، فجميع ما أورده(٦) المصنفون باطلٌ.

---

(١) سقط من (س) و(ص).

(٢) ينظر: أحكام القرآن: (٢/٨١٦).

(٣) يقصد شيخَه الإمامَ أبا حامد، ينظر: الإحياء: (ص١٨٠١).

(٤) في (س): في خـ: أن يجعلوا بينهما فرقًا.

(٥) في (س): وبينها.

(٦) في (ص): أوردوه عليكم.

أَمَا إن فيه آيات كثيرة، وإذا[١] وجدتم في المسألة آية واحدة - فكيف آيات كثيرة[٢]؟ - فلا تطلبوا عليها حديثًا - وإن كان صحيحًا - حتى تُحْكِمُوا ما في القرآن، إلَّا أن تفتقر الآيةُ إلى بيان، فحينئذ تطلبون الحديث، فكيف بأن تطلبوا مع كتاب الله أحاديث لا أصل لها عن رسول الله ﷺ ولا عن جِلَّةِ أصحابه[٣]؟

ومن الآيات فيه قولُه: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران:١٩١]، وقد ثبت «أنَّ ابن عبَّاس بات عند النبي ﷺ فاستيقظ وقرأ العشر الآيات خواتم آل عمران، ثم قام وتوضَّأ وصلَّى حتى أصبح»[٤]، وليس في الحديث ذِكْرٌ للآية بحرف[٥]، فأبى الشيطان إلا أن يزيد في الحديث ويأتي بطامَّة فيه[٦] ليس لها أصل، فلا تلتفتوا إليها.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ [سبأ:٤٦][٧].

وقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ إلى قوله: ﴿لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٠ - ١١].

---

(١) في (س) و(ف): إن.
(٢) سقطت من (د).
(٣) في (ص): الصحابة، وأشار إليها في (د).
(٤) سبق تخريجه.
(٥) أخرجه أبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ عن عائشة ﵂: (١٢٠/٣)، وفيه: «ويل لمن قرأ هذه الآية ولم يتفكر فيها»، وأخرجه ابن حبان في صحيحه: (٣٨٦/٢)، رقم: (٦٢٠-إحسان).
(٦) سقطت من (س) و(ص).
(٧) في (د) و(ص): ﴿أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة﴾.

وقـــال: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٦٨ - ٦٩].

وقال: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾ [الروم:٧].

وقـــال تعـــالى: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:٥٠]. / ١ [١٣٥/أ]

وفائدةُ الفكر زيادةُ العلم به والإيمان واليقين والإسلام، ودوامُ الذكر تثبيتًا للتوحيد في القلوب.

وقد روى ابنُ القاسم عن مالك: قيل لأم الدرداء: «ما كان عملُ أبي الدرداء؟ قالت: كان شأنه التفكر»[١].

وقيل لمالك: «أترى التفكر عملًا؟ قال: نعم، هو اليقين[٢]»[٣].

وقيل لابن المسيب: «في الصلاة بين الظهر والعصر، فقال[٤]: ليست هذه عبادة، إنما العبادة الورعُ عمَّا حرَّم الله، والفِكْرُ[٥] في أمر الله»[٦].

---

(١) البيان والتحصيل: (١٧/٥٨٠).

(٢) في (س): من العمل، وفي (ص) و(د): العمل، وضبَّب عليه، وما أثبتناه صحَّحه ناسخ (د) في طرته.

(٣) البيان والتحصيل: (١٧/٥٨٠).

(٤) في (ص) و(س) و(ف): قال.

(٥) في (ص): التفكر.

(٦) البيان والتحصيل: (١٧/٥٨١).

قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي[١] ﵁: كان ابن عمر يصلي من الظهر إلى العصر، وكان يَرِعُ[٢] عمَّا حرَّم الله، فأراد سعيد بن المسيب أن يُبيِّنَ أن الوَرَعَ عمَّا حرم الله والفِكْرَ في أمر الله خَيْرٌ من الصلاة دون وَرَعٍ كما يفعله الناس، فإنهم يصلون ويصومون ولا يَرِعُون[٣] عن حرام، ولا يتفكَّرون في أمر.

[مجالُ الفِكْرِ ومَحَالُّه[٤]]:

ومجالُ الفكر ومَحَالُّه أفعال الله، وهي منقسمة إلى قسمين:

عامَّة: كالسَّماوات والأرض، وما اشتملت عليه من صنوف الآيات وعجائب المخلوقات.

وخاصَّة: وهي: ذات المُتَفَكِّرِ وأفعاله[٥].

فأمَّا أفعال الله العامَّة إذا تفكر الناظر فيها فإنها تفيدُه معرفةً بقَدْرِ كل فكرة، وإيمانًا بإزاء كل عبرة، وتوحيدًا عند كل نظرة، وذلك هو المطلوب الأكبر، والمقصود الأظهر؛ فإذا رأى السماء سقفًا مرفوعًا، والأرض مِهَادًا موضوعًا، قد[٦] زُيِّنَتْ تلك بشمسها[٧] وقمرها وزُهْرِها، ورُتِّبَ طلوعُها وغروبُها، ودُبِّرَ مَسِيرُها ذاهبةً وراجعةً، مَمْحُوَّةً ونَيِّرَةً، وقد زُخْرِفَتْ هذه

---

(١) في (د): قال الإمام الحافظ، وفي (ص): قال الإمام أبو بكر بن العربي.

(٢) في (ص): يتورع.

(٣) في (ص): يتورعون.

(٤) ينظر: أحكام القرآن: (٢/٨١٧).

(٥) قوله: «وهي: ذات المتفكر وأفعاله» بيَّض له في (ص).

(٦) في (د): وقد.

(٧) في (س) و(ف) و(ص): شمسها.

بأشجارها، وشُقَّتْ بأنهارها، وصُيِّرَتْ خزانةً للأقوات، وقُدِّرَتْ معاشًا للحيوانات، وأُرْسِيَتْ بالجبال ودُحِيَتْ[١]، وهُيِّئَتْ للنبات وأُكرمت؛ تَحَقَّقَ أن في كل جزء من ذلك عِبْرَةً تستغرقُ الفِكْرَةَ.

والجماداتُ والحيواناتُ إذا نُظِرَ في أصنافها وأنواعها، ودُبِّرَ اختلافُها واتفاقُها، واشتراكُها فيما تشترك فيه، وانفرادُها، وتسخيرُ بعضها لبعض، وتَقَلُّبُها في الأرض والبحار؛ عَذْبِها ومِلْحِها، صغيرها وكبيرها ومحيطها[٢]، كل ذلك مبهت مفيد، عظيم الملك وسعة القدرة.

والهواء ترى أنه جسم محسوس، وهو غذاء النفس والروح لبعض الحيوانات، وهو قاتلُ الآخرين، أو قاتلُهم عَدَمُ غذائهم؛ وهو الماء، والأوَّل أصح؛ لأن الماء كما يقتل حيوان البر وإن كان من غذائه، كذلك[٣] الهواء يقتل حيوان الماء.

ولتعجب[٤] من ركوده ثم اضطرابه؛ وهي الريح، وإنزالُ الغيث من السماء أَمْرٌ معجز، ودليل نَيِّر.

ونفسُ الإنسان وذاتُه أقربها إليه نظرًا، / وأكثرها عبرة[٥] - إن فتَّش - عِبَرًا؛ فإنه لم يكن شيئًا مذكورًا، ثم كان نطفة من ماء دافق، ثم تردَّد - كما أخبر الله عنه - في أطوار الاجتنان[٦]، حتى أخرجه إلى صفة الإنسان [١٣٥/ب]

---

(١) بعده في (ص): الأرض.
(٢) بعدها في طرة بـ (د): في خـ: وما لها.
(٣) في (س): كان.
(٤) في (د): ليعجب.
(٥) سقطت من (س).
(٦) في (ص): الاجتناء.

فأنشأه خلقًا سَوِيًّا، ضعيفًا ثم قويًّا، جهولًا ثم عالمًا، مُخَلًّى ثم مُقَيَّدًا مُبْتَلًى بالأمر والنهي، بعد أن كان معافًى، محفوفًا بآفات، مشحونًا بدناءات من الصفات، مدفوعًا[١] إلى تطهيرها عمَّا سَدِكَ[٢] بها، وإقبالها على ما حُدَّ لها.

قال الله تعالى لنبيه عليه السَّلام: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٣].

فهذا فضلُه عليه في ذاته، وفضلُه علينا به[٣] أن بلَّغ رسالات ربه، وبيَّن[٤] عنه ما أُمر به، وأوعز إلينا[٥] العمل النافع والضار، وبيَّن لنا النجدين، وأوضح لنا[٦] سبيل النجاة، وحذَّر من[٧] طريق الهلكة، فتعيَّن علينا - والحالة هذه[٨] - الفكرة في أنفسنا حتى نعرف قَدْرَنا وقدر خالقنا، ولَزِمَتِ الفِكْرَةُ والنظر فيما وَظَّفَ من أَمْرٍ ونَهْيٍ علينا، فكان هذا رأسَ العبادة، حتى إذا تقرَّر في النفس وجب العطفُ على العمل.

---

(١) في (د): مرفوعًا.

(٢) في (ص): ينزل.

(٣) سقطت من (س)، وفي (ص): عليه أنه إن بلَّغ.

(٤) في (س): بلغ، وما أثبتناه أشار إليه وصحَّحه.

(٥) في (ص): النبي صل الله عليه وسلم.

(٦) سقطت من (د) و(ص).

(٧) في (د) و(ص): عن.

(٨) في (د) و(ف): والحال له هذه.

[المفاضلةُ بين العمل والفِكْرِ[1]]:

وقد اختلف في أي الحالين أفضل ؛ العمل أم الفكر ؟

فذهب قَوْمٌ من السلف إلى أن الفكر أفضل ، منهم: أبو الدرداء ، وسعيد بن المسيب ، والحسن ، وقد تقدَّم.

وقال الحسن: «تفكر ساعة خير من قيام ليلة»[2].

وقال مالك بن أنس - رحمه الله - كما بيَّنَّا: «الفكر عمل من الأعمال ، وهو اليقين»[3].

وقد تقدَّم فِعْلُ ابن عمر.

وصَغْوُ الصوفية إلى أن الفكر أفضل من كل عمل.

وذهب[4] أكثرُ الفقهاء إلى أن العبادة أفضل.

وبه أقول.

والدليلُ عليه حالُ النبي ﷺ في كثرة صلاته بالليل ، وما كان يَقِفُ على آية ليلةً ، إنَّما رُوي عنه ﷺ أنه كان إذا مر بآية رحمة سأل ، وإذا مرَّ بآية عذاب استعاذ[5] ، فلا يعدل بعمله شيء.

---

(١) ينظر: أحكام القرآن: (٨١٨/٢).

(٢) الإحياء: (ص١٧٩٩) ، وإنما يُعْرَفُ هذا عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، وهو في الحلية عنه: (٢٠٩/١).

(٣) البيان والتحصيل: (٥٨٠/١٧).

(٤) سقط من (س) و(ص).

(٥) سبق تخريجه.

والفِكْرُ حسن لمن كان قوي النظر، شديد العارضة، مستمر المِرَرِ[١] في الأدلة ومتعلقاتها؛ فالفكرة له أفضل في بعض الأوقات[٢].

وأمَّا عمومٌ بعموم؛ فلا يعدل العملَ بالسنة شيءٌ، وانظروا[٣] إلى الحديث الصحيح: عن ابن عباس: «أن النبي ﷺ قام فمسح النوم عن وجهه، ثم قرأ الآيات الخواتم من سورة آل عمران، ثم توضأ وصلى حتى طلع الفجر، فأخذ ساعة في العبرة، واستوفى/ بقية الليل في التهجد للعبادة»[٤]. [١٣٦/أ]

[الفِكْرُ في الله عز وجل][٥]:

فأمَّا الفِكْرُ في الله فقد روى الضعفاء عن النبي ﷺ أنه قال: «تفكَّروا في خَلْقِ الله، ولا تفكَّروا في ذات الله»[٦]، وهذا حديث باطل، وإنما حضَّ الله على الفكر في آياته، والاعتبار بمخلوقاته؛ لأن ذاته لا يُتَصَوَّرُ الفِكْرُ فيها؛ لأن الفِكْرَ والنظر إنَّما هو لما[٧] له مِثْلٌ[٨]، ولمَّا لم يكن لها مِثْلٌ لم يُتَصَوَّرْ فيها فِكْرٌ.

---

(١) في (ص): النظر.

(٢) في (س): في خـ: الأحوال.

(٣) في (د) و(ص): انظر.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) من طرة بـ (س)، وفوقه: بخطه، أي بخط ابن العربي.

(٦) أخرجه هنَّاد في الزهد من طريق الأعمش مرسلًا: (٤٦٩/٢)، رقم: (٩٤٥)، وكذلك عن الحسن مرسلًا: (٤٦٩/٢)، رقم: (٩٤٦)، وأبو نُعَيم في الحلية عن ابن سلام رضي الله عنه: (٦٧/٦)، وورد عند آخرين بأسانيد لا تخلو من ضعف، وينظر: المقاصد الحسنة: (ص١٥٩)، رقم: (٣٤٢).

(٧) في (س) و(ص): لها.

(٨) قوله: «له مثل» سقط من (س) و(ص).

وقد قالت طائفةٌ من[(١)] الصُّوفِيَّةِ: «إن الفِكْرَ في الله إنما امتنع لأن العقول تتحيَّر فيه، فلا يُطِيقُه إلا الصِّدِّيقُونَ، وإذا أطاقوه لم يُطِيقوا دوامه، ولو تعرَّضوا له لأفادهم حيرة ودَهَشًا»[(٢)].

وقد أخذه بعضُ[(٣)] المغاربة فقال في صفة أهل الإيمان: «يعتبر المتفكرون[(٤)] بآياته[(٥)]، ولا يتفكَّرون في مائية ذاته»، وهذا كلُّه نَوْعٌ من الغفلة؛ فإن الصفات التي تقوم بذات العبد على ضربين:

منها: ما لا يصح أن تتعلق بالباري سبحانه.

ومنها: ما يصح تعلقها به.

ولا خلاف في أن العلم يَتَعَلَّقُ بالباري باتفاق، فهو لنا معلوم، ولا يُؤَثِّرُ عِلْمُنا فيه، فإن العلم لا يُؤَثِّرُ في المعلوم، ولم يَجُزْ أن تتعلَّق لنا[(٦)] بالباري قدرة ولا إرادة؛ لأنهما صفتان تؤثران في المقدور، والباري سبحانه يُؤَثِّرُ ولا يَتَأَثَّرُ.

واختلف الناس في الرؤية هل تتعلق به؟

وقد دللنا على أنها تتعلق به، ولا استحالة في ذلك ولا آفة، والنظر والفكر علوم مجموعة يتركب عليها علم، فلا استحالة في أن يتعلق

(١) قوله: «طائفة من» سقط من (ص).
(٢) الإحياء: (ص١٨١٠).
(٣) هو الإمام أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، وذَكَرَه في الرسالة: (ص٩- أصل ابن الأزرق).
(٤) في (ف): المتفكر.
(٥) في (د) و(ص): يتفكرون في مخلوقاته.
(٦) سقطت من (س) و(ص).

بالباري، وليس في ذلك دَهَشٌ ولا حيرة، إنما في ذلك شُبَهٌ وبدعة، ولم يرد الباري سبحانه أن يُعْلِمَ بصفاته ضرورة، وإنَّما قدَّر أن يُدْرَكَ بالنظر، وبتحرير العلم من الشُّبَهِ.

فإذا قال المبتدع: كيف تؤمنون بموجود ليس داخل العالم ولا خارج العالم[١]، وليس بجسم ولا عَرَضٍ؟

قلنا له: حقيقة الإيمان به أنه ليس كمثله شيء، ولا يحويه مكان، وهذه الألفاظ التي جُمعت[٢] فاسدة، لا يوصف الباري بأنه داخل ولا خارج، ولا أنه مؤلف، ولا أنه معدوم، ولا زائل، ولا يَحُولُ ولا يزول، ولا يتغيَّر بما خلق.

وألفاظ المبتدعة هي الفاسدة، فأمَّا العِلْمُ بالباري وذاته وصفاته فصحيح، ونَفْيُ المِثْلِيَّةِ عنه أصحُّ شيء، وليس له مائيَّة إلا ذلك، فأيُّ نَهْيٍ عن هذا أو نفي له؟ وكلُّه بَيِّنٌ، وهو على المؤمن هَيِّنٌ.

[قُصُور الخَلْقِ عن معرفة الله عز وجل][٣]:

ولا تعجبوا إلا ممَّن ينتمي إلى التحقيق، ويدَّعي قصور الخلق عن معرفة الله، مع أنه أظهر الموجودات، ولا يعلم السبب في قصور الخلق، فقال: «إنه[٤] إنما صار أظهر الموجودات لأنه مدلول عليه بكل وجه، شاهد له كل شيء، / ليس في ملكوت السماوات والأرض ذرة إلا وهي عليه [١٣٦/ب]

(١) في (ص): منه.

(٢) في (د): جمعتم.

(٣) من طرة بـ (س)، وفوقها: بخطه، أي: بخط ابن العربي.

(٤) سقطت من (س).

دالة[١]، فلعظيم[٢] ظهوره خفي، كما يبهر ضوء الشمس الخفاش، فلا يرى بالنهار، فضعفت عقول الخلق عن إدراك حقيقة الحق، وما عَمَّ وجوده حتى لا ضد له عَسُرَ دَرْكُه، ونورُ الشمس لم تكن تدرك حقائق المرئيات به لولا عَدَمُه، فبعدمه استبان حالُه، ولو كان للباري[٣] عَدَمٌ[٤] لأدركنا التفرقة بين الحالين، أو[٥] لو كان بعض الأشياء موجودًا به وبعضها موجودًا بغيره لأدركنا التفرقة بينهما في الدلالة، ومَنْ قَوِيَتْ بصيرتُه واعتدل أمره لم ير إلا الله، وعلم أن وجود الأشياء به، فلم ينظر إلَّا فيه»[٦].

قال الإمام الحافظ رضي الله عنه[٧]: هذا كلام هائل، وليس وراءه طائل، إذا ظهر الشيء عُلم، وإذا زاد ظهورًا[٨] زاد علمًا به[٩]، ولو قدَّرت الظهور إلى غير غاية لكان العلم كذلك، ولم يرجع خفيًّا[١٠] أبدًا، وهذا معلوم ضرورة،

---

(١) في (د) و(ص): دلالة، وأشار إليها في (س).

(٢) في (ص): فلعِظَمِ.

(٣) في (س) و(ف): الباري.

(٤) بعده في (ص) و(ف) و(س): لانهدت السماوات والأرض، وضرب عليها في (د).

(٥) في (ص) و(ف) و(س): و.

(٦) الإحياء: (ص١٦٨٦)، وينظر في نقضه - أيضًا - الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٤٩٩/١-٥٠٣).

(٧) في (د): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي، وفي (ص): قال الإمام أبو بكر بن العربي.

(٨) مرَّضها في (د)، وفي الطرة: في خـ: ظهر.

(٩) سقطت من (د) و(ص).

(١٠) فوقها في (د) - بخط مغاير -: ظاهرًا.

ولا يصح[١] لأحد أن يقول: إنَّ العلم إذا زاد يعود جهلًا، ولا إذا كثرت الحركة تعود سُكُونًا، هذه خرافات باردة، وتقديرُ عَدَمِ الإله محال، وفَرْضُ المحال لا يفيد شيئًا، ولو فرضنا أنَّ[٢] مع الله فاعلًا غيره لما كان إلهًا[٣] واحدٌ[٤] منهما، وذلك محال.

وإنَّما قَصُرَ الخَلْقُ عن معرفة الله تعالى لكثرة معارضة الشُّبَهِ للأدلة، ولو شاء ربك لجعله كله دليلًا، ولكن أراد أن يُضِلَّ من يشاء، ويهدي من يشاء، وكلما ازددتَ في الله تعالى فِكْرَةً ازددتَ له[٥] معرفة.

وقد جعل بعضُهم[٦] من مَحَالِّ[٧] الفكرة أفعالَ الإنسان، وإنها لموضعُ تَفَكُّرٍ، فإنها تدلُّ على الباري سبحانه من جهة وجودها، واختلافها في أنفسها، وانقسامها إلى موجودة بقلبه، وإلى قائمة بجوارحه، وقد تعلَّق بها الابتلاء، وأُمِرَ فيها ونُهِيَ، ووجب عليه منها[٨] وحَرُم، وهذا كله مَحَلٌّ للعبرة، ومحل للمعرفة، ومحل للسعي والنظر في امتثال الأوامر بها واجتناب النواهي عنها.

---

(١) ضبَّب عليها في (د)، وفي الطرة: يصلح، وقال: هي من خـ.

(٢) سقطت من (س) و(د).

(٣) في (ف): الله.

(٤) في (س) و(ف): إله واحد.

(٥) في (د) و(ص): به.

(٦) هو الإمام أبو حامد الطوسي، ينظر: الإحياء: (ص١٨٠٣).

(٧) في (س): مجال.

(٨) ضرب عليها في (د).

وللعبد في ذلك شُغْلٌ عظيم، بحيث لو تفرَّغ لها لم يقم بها[١] إلَّا عن جهد، فإنها تستغرق العمر، بل اليوم، بل السَّاعة، فمن غفل عنها لم يعرفها، ومن تعاطاها فبالحَرَى أن يستقلَّ بها، وهذه هي العبادة، وهي المنزلة.

وإذا لم يَقْدِرْ المرءُ على ذلك فليُحافظ على امتثال دعائم الإسلام، وليتحرَّز[٢] من الكبائر السَّبع عشرة؛ فترجى[٣] له مع ذلك العاقبة الجميلة إن شاء الله.

وركَّب الناسُ على هذا المقام فَضْلَ العالم على العابد، ورَوَوا في ذلك عن النبي ﷺ آثارًا ليس منها حرف واحد يصح، فلا تلتفتوا إليها، وأَشْبَهُ ما رُوي في ذلك عن ابن عباس، ولكنه حُرِّفَ، هو من باب آخر، وليس من هذا الباب في شيء.

سئل ابن عباس: عن رجل عنده فَضْلُ معرفة وربما قَارَفَ،/ وآخر أقل منه معرفة ولم يُقارِفْ؟ فقال: «لا أعدل بالسَّلامة شيئًا»[٤]. [١٣٧/أ]

والذي رُوي من الحديث الحَسَنِ فيما يقرب من هذا المعنى: عن جابر أن رجلًا ذُكِرَ عند النبي ﷺ بعبادة واجتهاد، وذُكِرَ الآخَرُ[٥] برَعَةٍ[٦]، فقال النبي ﷺ: «لا أعدل بالرِّعَةِ[٧] شيئًا»[٨].

---

(١) في (د) - أيضًا -: به. (٢) في (س): ليحترز.

(٣) في (د): يرجى.

(٤) أخرجه ابن وهب في جامعه: (٢/٥٠٠)، رقم: (٣٨٦)، والبيهقي في شُعَب الإيمان: (٩/٤٢٧)، رقم: (٦٩٢٨).

(٥) في (د) و(ص): آخر.

(٦) في (س) و(ف): الدعة. (٧) في (س) و(ف): الدعة.

(٨) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله =

ويَجِبُ أن تعلموا ممَّا قدَّمنا لكم في اسم «المؤمن» و«العالم» من البيان؛ أن العالم المؤمن لا يعصي، فإن أَلْفَيْتَ منهما[١] معصية ففيما لم يحصل له[٢] به عِلْمٌ، فلتُجَدِّدْ به عهدًا هنالك.

ولمَّا كان الفِكْرُ في المخلوقات والعبرة بالآيات[٣] تدل على الذات، وهي: الطريق إلى العلم؛ لأن الشاهد يدل على الغائب باتفاق من العقلاء[٤]، والعالم صاحب معرفة وحقائق، والعامل صاحب خدمة وطرائق، والعالم لا يبرح عن بساط المَلِكِ، والعامل يتصرف في خدمة الملك، والكل في خدمته، ولكن للحضور معنًى، وقد بيَّنَّا ذلك فيما تقدَّم، وسنزيده تبصرة، والأوَّل يقتضي الثاني.

قال الله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران:١٩١][٥]، إذا نظروا إلى السماوات وما نِيطَ بها من التدبيرات، والأرض وما اختزن فيها من الأقوات، وتعارض الليل والنهار على الأوقات، وما في اختلافها من التدبير والتقديرات، وتعارض الأمثال[٦] والآجال عليهما في الدورات؛

= ﷺ، بابٌ منه، رقم: (٢٥١٩-بشار)، وضعَّفه أبو عيسى، فلعل نسخة ابن العربي من الترمذي فيها غيرُ ذلك، فلهذا صرَّح بتحسينه.

(١) في (ص): منه، وأشار إليها في (د).

(٢) سقط من (س).

(٣) في (ص): الآت.

(٤) في (س) و(ف): العملاء.

(٥) في (ص): ويتفكرون في خلق السماوات والأرض.

(٦) في (د) و(س) و(ص): الآمال، ومرَّضها في (د)، وما أثبتناه صححه في طرته.

عَلِمُوا أن هذا في نفسه ليس بمقصود، ولو كان ذلك ما كان إلَّا باطلًا لا فائدة فيه، وتحقَّقوا أن خالقها ومُدَبِّرَهَا أوجدها لما وراءها.

وقد كان بعضُ فصحاء المتفكرين من أهل الفترة يقول: «ليل داج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهر، وسحاب تُسَخَّر، وأرض تُمطر، وموجود ومعدوم، وماض وآت، وأحياء وأموات، إن في السماء لخبرًا، وإن في الأرض لعِبَرًا»، وهذا ممَّا تَلَقَّفَهُ فلَفَقَه، وسَمِعَه[١] فوعاه وعَقَلَهُ، ونظر فيه فاستبصره، وعلى هذا نبَّه بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٨٥]، فبَادِرُوا بالإيمان[٢] به قبل الفوت، وسرعةُ الأجل تُكَدِّرُ لذة الأمل[٣].

وأمَّا الفِكْرَةُ في نزول الغيث وما يترتَّب عليه من النبات؛ فقد أَحْكَمَ الله بيانَه في كل موضع وَرَدَ من كتابه، وأوضح به أن ذلك بقدرة الباري وإرادته، لا بطَبْعٍ، حسبما بيَّناه في «كتب الأصول»، وأمليناه عليكم في هذه الأيام[٤] في كتاب «العواصم»[٥].

والفِكْرَةُ في النَّحْلِ أبدعُ آية؛ في إحكام بناء بيوتها، ولذاذة قيئها، وما تقذفه من بطونها نوعًا بعد أن قطعته[٦] أنواعًا، وأخذته طعامًا فأعطته شرابًا.

---

(١) قوله: «فلفقه، وسمعه» سقط من (س).
(٢) في (د): الإيمان.
(٣) في (ص): فبادروا به قبل سرعة الأجل وتكدر الأمل، وفي (د): يكدر.
(٤) عام ٥٣٦هـ، ينظر: العواصم: (ص٣١٤).
(٥) العواصم: (ص١٢٧-١٣١).
(٦) في (ص): تطعمه.

١ ومن أعظم العبرة في النحل أنها ليس لها منزلة في القِيمَةِ[1]، ولا مرتبة[2] في القوة، ولا منظرة في الصورة[3]، وجعل ما يخرج منها لذيذَ/ [١٣٧/ب] الكأس، شفاءً للنَّاس.

وانظروا[4] إلى الإنسان وقيمته، وقوته ومنظرته، وحسن صورته، وقذارة ما يخرج منه، فأين الطبع؟ قاتلهم الله أنى يؤفكون، أي ذنب للإنسان؟ وأي فَضْلٍ[5] للنحل؟ وأي فضيلة للدُّودِ في جَعْلِ الإبريسَم مُودَعًا فيها؟ وجَعْلِ الدُّرِّ في الصَّدَفِ؛ وهو أوحش الحيوان البحري[6]، وأودع الذَّهَبَ الرَّغام، وأودع القلب معرفته، فإذا بالعبد قد دنَّسه بالرِّيبَةِ، ورَحَضَه[7] بالمخالفة.

[جَلَالُ رسول الله عليه السَّلام][8]:

وإن تَفَكَّرَ المُتَفَكِّرُ في النبي ﷺ عَلِمَ بشَاهِدِ حَالِه صِدْقَ مقاله، وسَخِرَ ممَّن ينسبه إلى الشِّعْرِ، وليس كلامه على إقرائه، أو إلى الجنون، وليس على صفاته، كان النبي ﷺ يأخذه بُرَحَاءُ الوحي فيشتد عليه حتى يضطرب

---

(١) في (د): القيامة.

(٢) في (ص): منزلة.

(٣) في (س) و(ف): السورة.

(٤) في (د): انظر.

(٥) في (د) و(س) و(ص): فضيلة، وضبب عليها في (د)، والمثبت ممَّا صحَّحه بطرته.

(٦) في (د) و(ص): حيوان البحر.

(٧) في (ص): وخطه.

(٨) من طرة بـ (س)، وذكر أنها بخطه، أي: بخط ابن العربي.

ويُغْشَى عليه[١]، ويَرْفَضُّ عَرَقًا، ثم يُفِيقُ أزهر اللون، حاضر القلب، حَدِيدَ الذهن نشيطًا، والذي يتخبَّطه الشيطان من المَسِّ بعَكْسِه، فجعله[٢] الله آيةً في فتنة، وقد قال الله تعالى[٣]: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ:٤٦]، ولكنهم عَمُوا عن الرشد، وصَمُّوا عن الحق، ولا يستوي الأعمى والبصير.

وكما لا يَتَمَاثَلُ الضوء والظلام، كذلك لا يستوي الأعمى والبصير، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾ [فاطر:١٩ - ٢١]، وكما[٤] لا تستوي هذه المعاني، كذلك لا يستوي العالم والجاهل، والمؤالف والمخالف، والمساعد والمعاند، والموصول والمقطوع، والمقبول والمردود، والمُقَرَّبُ والمحجوب، والمصطفى في البداية والمُقْصَى في النهاية، ولا من أشهدناه خَلْقَنا، ولا من أغفلنا قلبه عن ذِكْرِنا، وإذا أَمْعَنَ في الفكرة، وصَقَلَتْ قلبَه العِبْرَةُ، ووَقَفَ على ما هو عليه من الصفة؛ عَلِمَ أنه فقير حقير[٥]، وأنَّ خالقه وربَّه الغني الحميد العظيم، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥]، وهو:

---

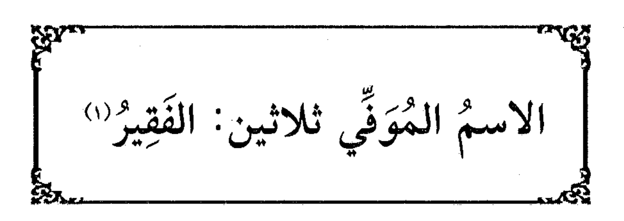
(١) سبق تخريجه.

(٢) في (د) و(س) و(ص): جعلها، ومرَّضها في (د)، والمثبت صحَّحه بطرته.

(٣) قوله: «الله تعالى: قل» لم يرد في (س) و(ص) و(ف).

(٤) في (د): كما.

(٥) في (د): حقير فقير.



الاسمُ المُوَفِّي ثلاثين: الفَقِيرُ(١)

قال علماؤنا: «ومن فَضْلِ الفقر أنه قدَّمه على الهجرة، وأنه كان سَيِّدَهم ﷺ»(٢).

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٧٢].

ومن الحديث الصحيح: «اطَّلعتُ في الجنة فرأيتُ أكثر أهلها الفقراء»(٣).

وقال الله تعالى لنَبيِّه ﷺ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾(٤) [طه:١٢٩-١٣٠].

وقال تعالى في مَدْحِهم: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾(٥) [الكهف:٢٨].

---

(١) سقط من (س) و(ص).

(٢) قوت القلوب: (١٤٩٣/٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن عمران بن حصين ﷺ: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم: (٣٢٤١-طوق).

(٤) تقدَّمت الآية على التي قبلها في (س) و(ف).

(٥) في النسخ: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم﴾.

وفي الحديث الصحيح: «ألا أخبركم بأهل الجنة؛/ كل ضعيف مُتَضَعِّفٍ»[1]. [١٣٨/أ]

وسئل أبو علي الدقَّاق: أي الوصفين أفضل؛ الغنى أو الفقر؟

قال[2]: «الغنى؛ لأنه وَصْفُ الحق، والفقر وصف الخلق، ووصفُ الحق[3] أفضل من وصف الخلق»[4].

وثبت في الصحيح: أن الفقراء قالوا: «يا رسول الله، ذهب أهل الدُّثور بالأجور؛ يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فُضول أموال يتصدَّقون بها، قال لهم: ألا أخبركم بأمر إذا فعلتموه تُدركون من قَبلكم، وتسبقون من جاء بعدكم، ولا يأتي أحدٌ بما[5] جئتم به إلا من جاء بمثله؛ تسبحون في دبر كل صلاة عشرًا، وتحمدون عشرًا، وتكبرون عشرًا - وفي رواية: ثلاثة[6] وثلاثين في كل واحدة -، فسمع ذلك الأغنياء ففعلوه، فذكر ذلك الفقراءُ لرسول الله ﷺ فقال لهم: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»[7].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن حارثة بن وهب الخزاعي رضي الله عنه: كتاب التفسير، ﴿ن والقلم﴾، رقم: (٤٩١٨-طوق).

(٢) في (د): فقال.

(٣) قوله: «والفقر وصف الخلق، ووصف الحق» سقط من (د).

(٤) رسالة القشيري: (ص٣٠٦)، ويُروى عن ابن عطاء، قوت القلوب: (٢/٨١٣).

(٥) في (د) و(ص): بمثل.

(٦) في (د) و(ص): ثلاثًا.

(٧) تقدَّم تخريجه.

وقد أبدأ الناس في ذلك وأعادوا، وتكلَّمتُ في ذلك مع رجلين من أهل الطريقة؛ الطُّرطوشي والطُّوسي، ووقعت المفاوضة[١] في ذلك مرارًا، وكتب كل واحد منهم فيه[٢] وأملى، وحَمَلْتُه عنهما، ولم يكن في ذلك كله[٣] شفاء، فبَيْنَا أنا يومًا في «الثغر[٤] المحروس»، إذا برجل قد[٥] دخل عليَّ بمجلد صغير نحو «الإرشاد»، فقال لي: هذا كلام في التفضيل[٦] بين الفقر والغنى غيرُ مُتَرْجَمٍ، فنظرته واحتبست[٧] به، ثم طالعته؛ فإذا به فائدة الأيام[٨]، وكلام إمام أي إمام، أتى فيه بالحقيقة، وكشف عن الطريقة، ولم أعلم من هو[٩].

لُبَابُ قَوْلِه - في كلمات مختصرة على طريق التقريب -: أن الفقر عبارة عن العجز، والغنى عبارة عن القدرة، وهما صفتان من صفات الإنسان قائمتان به، فإنما يكون غنيًّا وفقيرًا بصفاته الموجودة بذاته، قال النبي ﷺ[١٠]: «ليس الغنى عن كثرة العَرَضِ، وإنما[١١] الغِنَى غِنَى النفس»،

---

(١) في (ص): المعارضة.

(٢) سقطت من (س).

(٣) سقطت من (س).

(٤) في (د): بالثغر.

(٥) سقط من (س).

(٦) في (ص): الفضل.

(٧) في (د): احتبسته، ومرَّضها، وفي الطرة: في خـ: احتبسه.

(٨) قوله: «غيرُ مُتَرْجَمٍ، فنظرته واحتبست به، ثم طالعته؛ فإذا به فائدة الأيام» سقط من (ص).

(٩) لعله للإمام أبي منصور البغدادي، ذكره له التاج في طبقاته: (٥/١٤٠).

(١٠) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض، رقم: (١٠٥١-عبد الباقي).

(١١) في (د) و(س): لكن.

ولذلك لم يكن الغَنِيُّ بالحقيقة ولا[١] على الإطلاق إلا الله وحده[٢]؛ فإنه موصوف بالقدرة الواجبة له، مُنَزَّهٌ عن الحاجة، والعبد موصوف بالعجز، ملازم[٣] بالحاجة، فهو فقير أصلًا ووصفًا وحالًا، وإنما يكون غنيًّا بالاكتساب، فالمخلوق مفتقر إلى خالقه في إيجاده، مفتقر إليه في إنعامه، فإنْ عَدِمَ المال كان فقيرًا إليه، وإن وجده كان غنيًّا به، فإنَّ من افتقر إلى شيء كان غنيًّا بوجوده، فالفقير بالحقيقة العبد، وإنما يكون غنيًّا إذا عوَّل على مولاه، ولم ينظر إلى أحد سواه؛ فإن تعلَّق بالُه بشيء من الدنيا ورأى في نفسه أنه فقير إليه فهو عَبْدُه، وإنما شَرَفُ العبد افتقارُه إلى مولاه،/ وعِزُّه خضوعه له، وما أحسن ما قال بعضهم فيه:

وإذا تَذَلَّلَتِ الرقابُ تقربًا ... منَّا إليك فعِزُّها في ذُلِّها[٤]

فالغَنِيُّ المتعلق البال بالمال، الحريص عليه الراغب فيه؛ هو الفقير حقيقة، وعادمُه الذي يقول: ما أنا به، ولا رغبة لي[٥] فيه، إنما هي ضرورة العيش، فإذا وجدتها فغيرُها زيادة تشغل عن الإرادة؛ هو[٦] الغنيُّ حقيقة، وليس كل قلب يصفو هذا الصفاء.

---

(١) سقطت من (د).

(٢) في (ص): لم يكن الغِنى على الحقيقة إلا لله وحده.

(٣) ضبَّب عليها في (د)، وكأنه أراد أن يُمَرِّضَ حتى التي قبلها، فتكون العبارة: موصوف بالحاجة، فهو فقير، والله أعلم.

(٤) البيت من الكامل، وهو لأبي إسحاق الصابئ، من قصيدة له يمدح عَضُدَ الدولة، في التذكرة الحمدونية: (٤/١٨٢)، والمنتحل للثعالبي: (ص٣٥)، واليتيمة له: (٢/٢٧٤)، وأنشده أبو القاسم القُشَيري في اللطائف: (٣/١٩٩).

(٥) في (د): ولا بي رغبة، وفي (ص): ولا حاجة لي.

(٦) في (د) و(ص): فهو.

ويقدرُ الفقير أن يقول بنِيَّتِه[١] - إذا رأى الغني يتصدق -: لو كان عندي مال مثله[٢] لفعلتُ فعله، فيُكتب له أجره ويُعطى منزلته ولم يَنْصَبْ في كَسْبٍ، كما ورد في الحديث الصحيح، ولذلك أعطى الله هذه المنزلة لمحمد[٣] ﷺ؛ فأغناه بصفاته لا بالأموال، فهو الفقير إلى ربه، الغني باعتقاده ونيته[٤]، المُعرض عن الدنيا بعد تمكنه منها وقدرته[٥]، وأبو بكر رضي الله عنه حين أعطى جميع ماله ولم يَلْتَفِتْ إليه[٦].

وإذا فتح الله على رجل في مال، وفتح على آخر في نية وعمل؛ فلا خلاف أن صاحب العمل والنية[٧] أرجح وأربح، وأهنأ عيشًا، وأكثر اقتداءً بمُحَمَّدٍ وشَبَهًا به[٨].

خَطَرُ الفقر[٩]:

ولكن للفقر[١٠] أخطار، لا يقدر عليها ولا يخلص منها إلا الأبرار.

منها: أنه يميل إلى المال وكسبه، ولكنه لا يقدر أو لا يدري كيف يطلبه، وهو الحرص.

---

(١) في (ص): بنية.
(٢) في (د) و(ص): لو كان لي مثله.
(٣) في (د): مُحَمَّدًا.
(٤) في (ص): قلبه.
(٥) بعدها في (د) علامة اللحق، ولا يظهر شيء يسرة الورقة.
(٦) تقدَّم تخريجه.
(٧) في (د) و(ص): النية والعمل.
(٨) سقطت من (س) و(ص).
(٩) في (س): الفقير.
(١٠) في (س) و(ص): للفقير.

ومنها: أن يحبه ولا يتعرض لطلبه، وهذا هو القانع، وهي خصلة محمودة، ومنزلة حسنة.

ومنها: أن لا يحبه، ولو جاءه لم يُقبل عليه، وهذه حالة شريفة، ومنزلة رفيعة، ولكن لم يحمل الله ولا رسولُه الخَلْقَ عليها، بل قال لهم: «ما أتاك من هذا المال من غير مسألة ولا إشراف نفس فخُذْهُ، وما لا فلا تُتْبِعْه نفسك»[1]، ولا يشير النبي ﷺ ولا يدل في الرِّفْقِ إلَّا على منزلة عالية، حتى إذا كان ثَمَنًا لدِينِك فدَعْهُ، وهذه الحالة هي الزُّهْدُ، وصاحبُها هو «الزَّاهد».

---

(١) تقدَّم تخريجه.

آخِرُ السِّفْرِ الثاني من كتاب «سراج المريدين في سبيل الدين» للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، ضبط نصَّه وخرَّج أحاديثه ووثَّق نقوله وترجم لأعلامه وصنع فهارسه وقدَّم له الدكتور عبد الله بن عبد السَّلام بن عبد الله بن محمد بن التِّهامي المصمودي التَّوْرَاتي القَصْرِي، عفا الله عنه وعن آبائه، وذلك في شهر ربيع الأنور من عام ١٤٣٧هـ، بتِطَّاوْن - حرسها الله تعالى - قاعدة شمال المغرب الأقصى، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد، وعلى أزواجه وذريته، وصحابته المُعَدَّلِينَ، ومن تبعهم من الصالحين، والحمد لله رب العالمين.

فهرس الموضوعات

استِطْرَادٌ: وهو البابُ الثَّاني من الكِتَابِ.................... ٥
الاسمُ الأوَّل: العَالِـمُ ٨
الاسمُ الثاني: العَاقِلُ ١٠
الاسمُ الثالث: الإنسانُ ١٣
الاسم الرَّابعُ: المؤمن.. ١٦
الاسم الخامس: المسلم ١٧
نكتة إسلامية: ٢٢
تحقيق: ٢٤
تَبْيِينٌ: ٢٦
[نكتة بديعة]: ٣٢
[الدِّيِّنُ]: وهو الاسمُ السَّادس........................... ٣٤
تَنْبِيهٌ على وَهْمٍ:.. ٣٨
تكملة: ٣٩
فَضَائِلُ العِلْمِ وما يَرْتَبِطُ به من العَقْلِ والإِسْلَامِ والإيمان والدِّينِ: ٣٩
[كتابُ العقل لداود بن المحبَّر]: ٤٣

[المفاضلةُ بين الإيمان والإسلام]: ٤٥
تَنْبيهٌ على وَهْمٍ: [طلب العلم فريضة] ٤٦
[الوصاةُ بالأحاديث الصحيحة]: ٤٧
[كُتُبُ الزهد]: ٥٠
أقسامُ العلوم: ٥١
الاسمُ السَّابِعُ: المُوَحِّدُ ٥٥
[إسلامُ أبي سفيان وزوجه هند رضي الله عنهما]: ٥٧
[حَقِيقَةُ الكَسْبِ]: ٦٢
فائدة: ٦٣
مُتَمِّمَةٌ: [في زيادة الإيمان ونقصانه] ٦٥
تكملة: [في قول الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله] ٧٠
القَارِئُ: وهو الاسمُ الثامن ٧٣
فضائله: ٧٣
فاتحة الكتاب: ٧٧
سورة البقرة: ٧٨
خاتمتها: ٨١
آل عمران: ٨٢
سورة الكهف: ٨٢
سورة ألم السجدة: ٨٣
حم الدخان: ٨٣
سورة المُلْكِ: ٨٤

سورة إذا زلزلت والكافرون: ٨٤
سورة الإخلاص: ٨٥
[سورة الفلق والناس]: ٨٦
[التحذيرُ ممَّا لم يصحَّ في باب فضائل القرآن]: ٨٧
حالُ القُرَّاءِ: ٨٨
تَحْسِينُ القراءة: ٩٠
[تَرتِيبُ القراءة وترتيلُها]: ٩٦
سماعُه من الغَيْرِ والبكاءُ عليه: ٩٨
[شكوى ابن العربي من أحوال زمانه]: ١٠١
[تَتِمَّةُ الحديث عن البكاء]: ١٠٣
الانتقاءُ للآيات بحَسَبِ الأغراض: ١٠٥
حقيقة القراءة: ١٠٨
صِفَةُ التَّعْلِيمِ: ١١٠
العَابِدُ: وهو الاسمُ التَّاسِعُ ١١٤
[صفاتُ عباد الرحمن]: ١٢١
الصِّفَةُ الأولى: قوله: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ ١٢١
الثانية: إذا جُهِلَ عليه لا يَجْهَلُ مثل جَهْلِه ولا فوقه............ ١٢١
الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ ١٢٣
الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ ١٢٦
الخامسة: قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ ١٢٦

السَّادسة: قوله تعالى: ﴿وَالذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَهاً ءاخَرَ﴾ ١٢٨
السَّابعة: قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ .. ١٢٨
نكتة: ١٣١
التاسعة: قوله تعالى: ﴿وَالذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِاللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَاماً﴾ ١٣١
العاشرة: قولُه تعالى: ﴿وَالذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً﴾ ١٣٢
الحادية عشرة: قوله تعالى: ﴿وَالذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنَ ازْوَاجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ ١٣٢
الثانية عشر: قوله: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾ ١٣٣
تَكْمِلَةٌ: ١٣٣
المُحْسِنُ: وهو الاسمُ العاشر ١٣٩
المُخْلِصُ: وهو الاسم الحادي عشر ١٤٣
تحقيق: [في حقيقة النية] ١٥٧
مَجْهَلَةٌ: ١٦٠
مَعْلَمَةٌ: ١٦٠
تَوْكِيدٌ: ١٦١
إيضاحُه: ١٦٣
[مسائل في الإخلاص من كتاب «النوادر» للمحاسبي]: ١٦٧

الأولى: ١٦٨
الثالثة: ١٦٨
الرابعة: ١٦٨
الخامسة: ١٦٨
السَّادسة: ١٦٨
السَّابعة: ١٦٩
الثامنة: ١٦٩
التاسعة: ١٦٩
العاشرة: ١٦٩
الحادية عشر: ١٦٩
الثانية عشر: ١٦٩
[الجوابُ عن هذه المسائل]: ١٦٩
[الصَّادِقُ]: وهو الاسمُ الثاني عَشَرَ ١٧٥
[الصَّالِحُ]: وهو الاسمُ الثَّالث عشر ١٨٣
[الصِّدِّيقُ]: وهو الاسمُ الرَّابع عَشَرَ ١٨٥
[المُجَاهِدُ]: وهو الاسمُ الخامس عشر ١٨٦
[نَزَغَاتُ الشيطان وسُبُلُ العصمة منها]: ١٨٩
[من فضائل عمَّار بن ياسر]: ١٩٥
[منزلةُ علي عند ابن العربي]: ١٩٥
[العصمةُ من الشيطان]: ١٩٦
المَنْبُوذُ الأَوَّلُ: الدُّنْيا ١٩٩

المنبوذُ الثاني: الخَلْقُ ٢٠١
[التعريفُ بالإمام نَصْرِ بن إبراهيم المقدسي]: ٢٠٦
[المجاورةُ بالمسجد الأقصى - طهَّره الله -]: ٢٠٨
[الإقامة بالمُنَسْتِير]: ٢١٠
[الدعواتُ الثلاث لابن العربي]: ٢١٤
المنبوذُ الثالث: النَّفْسُ ٢١٧
[براءةُ يوسف عليه السَّلام]: ٢١٧
[أسماءُ النفس وأحوالها]: ٢٢٥
[منازلُ النفس المطمئنة]: ٢٢٨
[المُصَلِّي]: وهو الاسمُ السَّادس عشر ٢٣٢
[مراعاةُ أوقات الصلاة بالآلة الشمسية]: ٢٣٦
[فرائضُ وسُنَنُ وفضائلُ الصلاة]: ٢٣٧
صلاةُ الجماعة: ٢٤١
[إمامةُ الفاسق]: ٢٤٢
[الرفعُ قبل الإمام]: ٢٤٣
صِفَةُ النِيَّةِ: ٢٤٤
[نَقْدُ قول ابن رشد في تقديم النية على التكبير]: ٢٤٥
صِفَةُ القراءة: ٢٤٦
طهارةُ الصلاة: ٢٥٠
زِينَةُ الصَّلاة: ٢٥٧
مَزِيدُ فَضْلٍ: ٢٥٨

موعظة: ٢٥٨
الاستراحةُ إلى الصلاة من أنكاد الدنيا وشُغُوبِها: ٢٦١
تَتْمِيمٌ: ٢٦٦
[منافعُ الصلاة]: ٢٦٧
كَوْنُه في خُفارة الله: ٢٦٨
الوفاءُ بالعهد: ٢٦٨
إِدْرَارُ الرِّزْقِ: ٢٦٨
حِمَايَةُ الدَّمِ: ٢٦٨
الارْعِوَاءُ عن الفحشاء والمنكر: ٢٦٩
رِبْحُ العُمُرِ: ٢٧٢
[فضائلُ صلاة الجمعة]: ٢٧٧
حِكَايَةٌ: ٢٧٩
[تَشْدِيدُ الوعيد على من تَرَكَ الصَّلاة]: ٢٨٠
[الصَّلاَةُ على رسول الله ﷺ]: ٢٨٣
ذِكْرُ الدُّعَاءِ: ٢٨٥
الدَّاعِي: **وهو الاسمُ السَّابع عشر** ٢٨٦
والذَّاكِرُ: **وهو الاسمُ الثَّامن عشر** ٢٨٦
إِجَابَةُ المُضْطَرِّ: ٢٩٠
[حقيقةُ المُضْطَرِّ]: ٢٩٦
[أَوَّلُ المُضْطَرِّينَ]: ٢٩٧
[دخولُ ابن العربي المُنَستير عام ٤٩٤هـ]: ٢٩٩

[رِفْقُ إبراهيم عليه السَّلام]: ٣٠١
[من شروط الدعاء]: ٣٠١
[المفاضلةُ بين الذِّكْرِ والدعاء]: ٣٠٢
[نَقْدُ قول من فرَّق بين العبادة والعبودية]: ٣٠٩
[تفسيرُ قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾]: ٣٠٩
[الاعتداءُ في الدعاء]: ٣١٩
نُكَتُ القرآن في الصلاة: ٣٢٠
مسألة: ٣٢٤
[عَظَمَةُ الصلاة]: ٣٢٤
صَلَاةُ النَّافِلَةِ: ٣٢٦
[صَلَاةُ الجنازة]: ٣٢٧
الاسم التَّاسع عشر: المُصَدِّقُ ٣٣٣
[المُزَكِّي]: وهو الاسمُ المُوَفِّي عِشْرِينَ ٣٣٤
[فوائدُ الصدقة]: ٣٣٥
الصَّائِمُ: وهو الاسمُ الحادي والعشرون ٣٣٩
[فضائلُ الصوم]: ٣٤١
[صيامُ سِتٍّ من شوَّال]: ٣٥٠
[من آداب الصيام]: ٣٥٢
[صَوْمُ النَّفْلِ]: ٣٥٣
[الاعتكافُ]: ٣٥٧
[المعتكفون]: ٣٥٩

[تفسيرُ قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾] ٣٦٠

[نكتة]: ٣٦١

[حكاية]: ٣٦٢

[حقيقةُ الاعتكاف]: ٣٦٣

المُهَاجِرُ: وهو الاسمُ الثاني والعشرون ٣٦٤

[العِلَّةُ في بقاء الطرطوشي بمصر]: ٣٦٦

[مناقبُ أبي القاسم السُّيُورِي]: ٣٦٧

[من ضوابط الهجرة]: ٣٦٧

[الباعثُ على رجوع ابن العربي إلى الأندلس]: ٣٦٨

[أقسامُ الهجرة]: ٣٦٨

[سَجْنُ الطرطوشي خمس سنين]: ٣٧٠

[تتمة أقسام الهجرة]: ٣٧٠

تَوْطِئَةٌ لمُحَمَّدٍ ﷺ وتَأْسِيسُ الحَالِ له: ٣٧٢

[السِّرُّ في عدم استخلاف رسول الله]: ٣٧٥

[تتمة أقسام الهجرة]: ٣٧٦

حكاية: ٣٧٨

الاسم الثالث والعشرون: الحاجُّ ٣٨٢

[المجاورة بمكَّة]: ٣٨٥

[أقسامُ الحاجِّ]: ٣٨٦

[حَجَّةُ ابن العربي وما لقي فيها من الأهوال]: ٣٨٨

[حقيقةُ الحاجِّ]: ٣٩٢

وهو الاسمُ الرَّابع والعشرون: المُخْبِتُ ٤٠٢
[منافعُ البُدْنِ]: ٤٠٤
[من علامات المخبتين]: ٤٠٦
[معاني الحسنة المرجوَّة]: ٤٠٧
[ذِكْرُ الله في الأيَّام المعدودات]: ٤٠٩
تقسيم: ٤١٠
[الهجرةُ إلى رسول الله ﷺ]: ٤١١
[مناجاةُ ابن العربي لرسول الله]: ٤١٣
وهو الاسمُ الخامسُ والعشرون: المُذَكِّرُ ٤١٥
[أحاديثُ القلوب]: ٤١٧
[أيَّامُ الله]: ٤١٨
[الحَكِيمُ]: وهو الاسم السَّادس والعشرون ٤٢١
[الوَاعِظُ]: وهو الاسمُ السَّابع والعشرون ٤٢٤
[التَّعْرِيفُ بأبي الفضل الجوهري ونوادره]: ٤٣١
[القَاصُّ]: وهو الاسمُ الثامن والعشرون ٤٣٧
[نَقْدُ إطلاق العشق على الله تعالى]: ٤٤١
[حكاية]: ٤٤١
[من آفات الوُعَّاظِ]: ٤٤٢
[طرائقُ الوُعَّاظِ]: ٤٤٣
[مجلسُ الإمام أبي منصور الشيرازي]: ٤٤٤
[الكلامُ على الخواطر]: ٤٤٥

[اعتناءُ الوُعَّاظِ بالشعر]: ٤٤٧
[من تفسير أهل الإشارة]: ٤٤٩
[رُكُوبُ بعض الوعاظ مَتْنَ الكذب على رسول الله]: ٤٥٣
[تَوْطِيدُ القول في القصص]: ٤٥٤
[من نوادر الوعاظ]: ٤٥٦
وهو الاسمُ التاسع والعشرون: المُتَفَكِّرُ ٤٥٩
[مجالُ الفِكْرِ ومَحَالُّه]: ٤٦٢
[المفاضلةُ بين العمل والفِكْرِ]: ٤٦٥
[الفِكْرُ في الله عز وجل]: ٤٦٦
[قُصُور الخَلْقِ عن معرفة الله عز وجل]: ٤٦٨
[جَلَالُ رسول الله عليه السَّلام]: ٤٧٤
الاسمُ المُوَفِّي ثلاثين: الفَقِيرُ ٤٧٦
خَطَرُ الفقر: ٤٨٠
فهرس الموضوعات ٤٨٣







سراج المريدين في سبيل الدين



دار الحديث الكتانية

المملكة المغربية : طنجة - شارع لبنان -إقامة يامنة- الطابق الثالث رقم ٤٧
هاتف ٠٠٢١٢٦٦٥٦٩٩٣١٤٧
الجمهورية اللبنانية : بيروت - شارع برج أبي حيدر- ص.ب ٥٥٥٦-١٤ بيروت
هاتف ٨٤١٦٣٦-١-٠٠٩٦١/٢٨٧٨١٩-٣-٠٠٩٦١
e-mail. dar.alkatani@gmail.com

الكتاب : سراج المريدين في سبيل الدين لاستنارة الأسماء والصفات في المقامات والحالات الدينية والدنيوية بالأدلة العقلية والشرعية القرآنية والسنية

المؤلف : الإمام الحافظ أبو بكر ابن العربي المعافري

تحقيق: الدكتور عبد الله التوراتي

الطبعة : الأولى ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

تطلب منشوراتنا من

المغرب: دار الأمان - الرباط - زنقة المأمونية
هاتف : ٠٠٢١٢٥٣٧٧٢٦٣٧٨٧

الأردن : دار مسك -عمان -العبدلي
هاتف : ٠٠٩٦٢٧٩٦٠٥٤٨٠٠

تركيا : دار الشامي - استانبول - بايزيد
هاتف : ٠٠٩٠٢١٢٥٢٦٠٥٤٦-٠٠٩٠٥٤٢٣٣٢٣١٥٧

القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر - ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي
هاتف : ٠٠٢٠٢٢٥٩٣٢٨٢٠



أعلاق أندلسية
إشبيلية (٤)

سلسلة مؤلفات الإمام
أبي بكر ابن العربي (٤)

سراج المريدين في سبيل الدين

لاستنارة الأسماء والصفات في المقامات والحالات
الدينية والدنيوية بالأدلة العقلية والشرعية القرآنية والسنية
وهو القسم الرابع من علوم القرآن في التذكير

إملاء
إمام الأئمة وزين الملة الفقيه الحافظ النظار
أبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد ابن العربي المعافري الإشبيلي
المتوفى سنة ٥٤٣ هـ

ضبط نصه وخرج أحاديثه ووثق نقوله
الدكتور عبد الله التوراتي

السفر الثالث

دار الحديث الكتانية


بسم الله الرحمن الرحيم

[الزَّاهِدُ]: وهو الاسمُ الحادي والثلاثون

وحقيقتُه: الإعراضُ عن الشيء بعدم[١] الرغبة فيه، إذا كان للنفس مَيْلٌ إليه، أو حاجة فيه[٢].

وقد تكون هنالك حالة، وهي: أن يَفِرَّ من المال فِرَارَه من السُّمِّ[٣]، وهي المرتبة العليا[٤]، وهي قليلٌ فينا، كثيرٌ في السَّلَفِ[٥].

خَطَرُ الغِنَى:

ثم[٦] إنَّ للغنى أخطارًا[٧] ومخاوف:

منها: أن لا يؤدي حقَّ الله فيه، كما فَعَلَ ثَعْلَبَةُ[٨]، وكما يفعل اليوم كَثِيرٌ من الناس، وليتهم أدَّوا الزكاة، وإذا أَدَّوْهَا فتبقى هنالك حُقُوقٌ سواها

---

(١) في (د) و(ص): بعد.

(٢) ينظر: الإحياء: (ص١٥٧١).

(٣) في (ص): الأسد.

(٤) في (ص): المنزلة العلية.

(٥) ينظر: الإحياء: (ص١٥٤٢).

(٦) في (د) و(ص): كما.

(٧) في (د) و(ص) و(ف): أخطار.

(٨) حديث ثعلبة أخرجه الطبري في تفسيره عن أبي أُمامة ﷺ: (١٤/٣٧٠-شاكر)، والطبراني في أكبر معاجمه: (٨/٢٦٠)، وهو في قوت القلوب: (٢/٧٨٩)، وضعَّفه ابن حجر في الفتح: (٣/٢٦٦).

١

[١٣٩/أ] بعوارض تعرضُ[١]، فإن قام بها خرج المال/ عن يده، وإن حَبَسَه عنها كان على غَرَرٍ من نفسه.

ومنها: ألَّا يقوم بشكره.

ومنها: أن[٢] يُلْهِيَه عن عبادة ربه.

ومنها: أن يتوسَّع به[٣] في شهواته فيتعجَّل طَيِّبَاتِهِ.

ومنها: أن يتوسَّل به من طريق الأَنَفَةِ أو الشهوة إلى ما لا يَحِلُّ، فمن العِصْمَةِ أن لا تَقْدِرَ.

وكما أن الفقير يضطر إلى السؤال، فكذلك الغني يضطر إلى العطاء، والسؤال وإن كان أذلَّ من العطاء، ولكنه أخفُّ على فاعله في الأكثر، وإذا توجَّه السؤال على الغني، كيف حتى يخرج عن مقتضى الجواب؟ ولذلك كان كثير من الناس لا يقول لأحد[٤]: كيف حالك؟ لأنه إن كان سؤال مُراءاة بالعادة فهو آثِمٌ، وإن كان عن حقيقة؛ فإذا كشف له عورة[٥] أو أَطْلَعَه على حاجة[٦] كيف يصنع؟ أيسترُ العورة ويسدُّ[٧] الخَلَّةَ؟ أم يُعْرِضُ عنه فتَبْطُلُ فائدة السؤال؟

---

(١) في (س): تعزو، وفي (ص): تعرف وآداب.

(٢) في (د): ألَّا.

(٣) في (د) - أيضًا -: بها.

(٤) في (د): لرجل.

(٥) في (ص): عن عورة، ومرَّضها في (د).

(٦) في (ص): حالة.

(٧) في (د) و(ص): أو يسد.

مغالاة:

حتى انتهى الإسرافُ بقوم إلى أن يقولوا: «إن حقيقة الزهد من زَهِدَ في الجنة والحُور، وأعرض عمَّا فيها من النعيم والحُبور، وصرف قلبه إلى الله وحده»[١]، وهذه طريقة ضعيفة؛ إنما رغبت الأنبياء في النعيم، ومن جملته رؤية الله سبحانه.

ومناطُ الأمل فيها ما يقرن الله بها من النضرة واللذة ويخلقه عندها، فالكُلُّ نعيمٌ مخلوق[٢] محبوب، وبعضه أفضل من بعض.

وقد قال النبيُّ ﷺ: «إن الله يقول لأهل الجنة: أَلَا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وما أفضل من ذلك؟ فيقول: رضائي، فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»[٣]، فجعل الأمن من الزوال وتمادي الوصال غايةَ الآمال، وليس فوقه مثال.

ولا يبعد أن يكون في الجنة من يقول: «أَمَلِي أن أراك»، كما يقول آخر: «أملي أن أزرع»، وتتفاوت الآمَالُ على قَدْرِ مقاصد الرجال، وبعضُها أفضل من بعض.

والزُّهْدُ إنما هو عبارةٌ عن تَرْكِ المباحات في الدنيا، فإذا خرجنا عن متاع الدنيا لم يكن زُهْدٌ[٤]، إنما هو رغبة كله، ونعيم دائم، وإنما يرغب الزاهد عن المباحات لما يرجو من الأَعْوَاضِ الكريمة في الجنات، كما

---

(١) هو قول الإمام أبي حامد الطوسي، ينظر: الإحياء: (ص١٥٨٢).

(٢) سقطت من (ص).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) في (ص): زهدًا.

يصبر الفقير على مَضَضِ الحاجات ليرفع عن نفسه مَضَضَ التعب في الدنيا والحساب في الآخرة[١].

وربما تَقْصُرُ[٢] المرتبة في الدرجات، كما أن من تَرَكَ الدنيا طَلَبَ جَاهٍ[٣] أو ثَنَاءٍ لم يكن زاهدًا، إنما هو مُبْتَاعٌ، وليته كان مبتاعَ[٤] ما يبقى بما يفنى، وإنَّما هو بائعٌ حظًّا بأبخس[٥] منه، لا بأعلى.

وقد تقدَّم القولُ في «المقام الأوَّل»[٦] على حال النبي ﷺ في معاشه[٧] ولباسه[٨] وأصحابه، وتفصيل المنازل وتفضيلها.

[شرائطُ الزهد]:

[١٣٩/ب] ولا يزهد في الدنيا إلَّا/ من[٩] عَرَفَها وتَحَقَّقَ خساستها عند الله وهَوَانَها.

---

(١) ينظر: الإحياء: (ص١٥٧١).

(٢) في (ص): ورثوا القصور، وهو تصحيف.

(٣) في (ص): حاجة.

(٤) في (س): مبتاعًا.

(٥) في (د) و(ص): بأخس.

(٦) في السفر الأوَّل.

(٧) في (س): مقامه.

(٨) سقطت من (د) و(س).

(٩) هنا تنتهي النسخة (س)، سقط من آخرها مقدار ثلاث ورقات.

وقد ثبت أن النبي مَرَّ بجَدْيٍ أَصَكٍّ[1] ميِّت، فقال لأصحابه: «أترون أهل هذه طرحوها إلَّا من هوانها؟ الدنيا أهون[2] عند الله من هذه على أهلها»[3].

قال الله: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس:٢٤].

وقال: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف:٤٤][4].

وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:٢١].

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) قوله: «وهوانها، وقد ثبت أن النبي مر بجدي أصك ميت، فقال لأصحابه: أترون أهل هذه طرحوها إلا من هوانها؟ الدنيا أهون» سقط من (ص).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه: كتاب الزهد والرقائق، رقم: (٢٩٥٧-عبد الباقي).

(٤) بعدها في (ص): ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف:٤٥].

وقال سبحانه: ﴿إِعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلاَمْوَالِ وَالاَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ اَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرِيٰهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰماً وَفِي ٱلاَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلاَّ مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد:١٩].

وقال: ﴿وَمَا هَٰذِهِ اِلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلاَخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:٦٤].

إلى نظائر لها، فصَّل الله الآيات فيها، وجعلها ذِكْرَى لمن عَقَلَها، وأبان قُدْرَتَهُ عليها، وعَرَفَ مقدارها، وضَرَبَ المَثَلَ لها ومنها وبها[١].

والأصلُ أنه شبَّه الحياة الدنيا بما أنزله من السماء، فنبَتَ به[٢] النبات، وظهرت الثمار، واخضرَّت[٣] الأرض، وأوطن أربابُها نفوسَهم عليها، واطمأنُّوا بها[٤]، فإذا[٥] بجائحة قد نَزَلَتْ بهم بغتة، كأن لم تكن، وكذلك الإنسانُ بعد تمام سِنِّه وكمال قُوَّتِه وغضارة شبيبته؛ اخترمته المنيَّة[٦]، فيقول فيه المغرورُ به[٧]:

---

(١) في (ص): بها ومنها.

(٢) سقطت من (ص).

(٣) في (ص): اخضرت به.

(٤) سقطت من (ص).

(٥) في (ص): وإذ.

(٦) لطائف الإشارات: (٢/٨٨).

(٧) في (ص): فيقول عند ذلك فيه المغرور.

فقـدناه لمـا تـمَّ واعـتمَّ بـالعُلَى   كذاكَ كُسوفُ البَدْرِ عند تمامِه[١]

[بدائعُ في ضرب الله المثل للدنيا بماء السَّماء]:

وفي ضَرْبِ الله سبحانه المَثَلَ للدنيا بالماء المنزل من السماء بدائعُ:

الأوَّل: أنَّ المطـر لا يُـستنزل بالحِيلَـةِ، كـذلك الـدنيا لا تُنـال إلَّا بالقِـسْمَةِ[٢]، قـال تعـالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف:٣١].

الثانيـة: أنـه وإن كـان المطـر لا يُحْيِـي إلَّا بتقـدير الله، فإنـه يُـستنزَل بالرغبة والسؤال، كذلك الرِّزْقُ يُلْتَمَسُ من الله[٣].

الثالثة: أن المطر في موضعه سَبَبُ الحيـاة، وفـي غيـر موضـعه سَبَبُ الخراب، كذلك المال لمستحقه سبب سلامته، وانتفاع المُتَّصِلِينَ به، وعنـد من لا يستحقه سَبَبُ طغيانه وبلاء[٤] من اتصَّل به[٥].

الرابعة[٦]: أن الماء إذا جاء بقَـدَرٍ نَفَـعَ، وإذا زاد علـى الحاجـة أَضَـرَّ، كذلك المال؛ إذا كان بقَدْرِ الكفاية فصاحبه في نَعِيمٍ، وإذا زاد فـصاحبُهُ فـي نَصَبٍ أو طغيان[٧].

---

(١) من الطويل، وهو لأبي الفتح البُسْتِي وقبله بيت، وهُمَا في ديوانـه: (ص٢٩٧)، يرثي بهما الصَّاحب، وأنشده أبو القاسم القُشَيري في اللطائف: (٨٩/٢).
(٢) لطائف الإشارات: (٨٩/٢).
(٣) لطائف الإشارات: (٨٩/٢).
(٤) في (ص): بلائه.
(٥) لطائف الإشارات: (٨٩/٢).
(٦) في (ص): الرابع.
(٧) لطائف الإشارات: (٨٩/٢).

الخامسة: أن الماء إذا كان جاريًا كان طَيِّبًا، وإذا اختُزِن تغيَّر، كذلك المال؛ إذا أَجْرَاهُ صاحبُه في مجاريه طاب، وإذا احتجنه خَبُثَ عليه[١] وعاب[٢].

السَّادسة: أن الماء إذا كان طاهرًا صَلَحَ للنبات والعبادات، وإذا كان نَجِسًا لم يصلح للعبادة[٣]، كذلك المال؛ إذا كان حلالًا استقام به المعاش والطاعة، وخَلُصَ من التِّبَاعَةِ[٤]، وإذا كان حرامًا إن كسا عَرِيَّتَه فقد[٥] أبدى عورته، أو سَدَّ جَوْعَتَه فقد أسقط حُرْمَتَه[٦].

السَّابعة: أن الماء إذا ثار عنه النبات، وخرجت به الأشجار، وأَيْنَعَتْ به الأزهار، واختلفت عليها المناظر للنُّظَّارِ، لا يأمن أن تُصِيبَه آفة من غير ارتقاب، وتنقلب عليه الحال بما لم يكن في حساب؛ فإنَّ المال إذا نما بيد صاحبه وتفنَّن في[٧] أنواعه، وعَمَّمَ[٨] به جميع لذَّاته، وكثُرت عليه الأعداد من الأزواج والأولاد، ورأى أن أحواله صافية، ومراتبه عالية، ومقاديره غالية، وآماله متدانية، ورياض لذَّته[٩] زاهرة، وغصون[١٠] أُنْسِه مُتَهَدِّلَةٌ[١١]،

---

(١) سقطت من (ص).

(٢) لطائف الإشارات: (٢/٨٩).

(٣) في (ص): العبادات.

(٤) في (ص): التبعة.

(٥) في (ص): فلقد.

(٦) لطائف الإشارات: (٢/٨٩).

(٧) سقطت من (ص).

(٨) في (ص): تنعم.

(٩) في (ص): لذاته.

(١٠) في (ص): عضون.

(١١) في (ص): المتدللة.

إذَا بالدَّمار[١] قد أخذ[٢] الدِّيار، والذهاب قد جرى على الأحباب، والأموال قد تَقَسَّمَتْ بيد الانتهاب، واختُطِف[٣] هو من بينها[٤] أَرْجَى ما كان[٥] لها، وأَحْرَصَه[٦] عليها، وأَغْبَطَه[٧] بها، وأَشْوَقَه[٨] إليها[٩].

الثامنة: أنَّ من غَرَّتْهُ بأمانيها، وخَدَعَتْهُ بالأطماع فيها؛ دَسَّتْ له[١٠] الصَّابَ في شرابها، والحنظل في حَلْوَائِها[١١]، والشَّرَى في أَوْيِها[١٢]، تَعِدُ[١٣] فلا تَفِي، وتأخذ أكثر مما تُعْطِي، وتكسر العدات[١٤] وتخلفها، وتقيم الآفات وتُخْلِقُها[١٥]، نِعَمُها مَشُوبَةٌ بنقمها، وبؤسها أخو مأنوسها، وبلاؤها

---

(١) في (ص): الزمان.

(٢) في (ص): أبدأ.

(٣) في (د): أو اختطف.

(٤) في (ص): بينهم.

(٥) في (ص): يكون.

(٦) في (د) - أيضًا -: أحرص.

(٧) في (د) - أيضًا -: أغبط.

(٨) في (د): أشوق.

(٩) لطائف الإشارات: (٢/٨٩).

(١٠) سقط من (ص).

(١١) مرَّضها في (د)، وفي الطرة: دول.

(١٢) في (ص): أربها.

(١٣) ضبَّب عليها في (د).

(١٤) في (ص): ويكثر العذاب.

(١٥) في (ف): يخلفها.

في ضمن[١] عطائها، المغرور من اغترَّ بها، والمغبون من أخذها عن الآخرة بَدَلًا، أو لم[٢] يبغ عنها حِوَلًا، أو لم[٣] يظنَّ نفسه عنها مُنْتَقِلًا[٤].

ألم تَرَوْا[٥] أن الله ضرب لذلك[٦] مثلًا صاحب الجنَّتين، على الوصف الذي ذكرهما[٧] سبحانه في كتابه، مع الآخر الذي لم يكن له مِثْلُها، فشكر أحدُهما خالقَه، وكفر الآخَرُ رازقَه، فأصبح الكافر وقد أخذتها[٨] الجائحة، فذلك مَثَلٌ لرجلين[٩]:

أحدهما: صَفَا له الوقت، ومهَّد له فَراش اللطف، وتمكَّن في الرضى من البَسْطِ[١٠]، فجرى على السبيل من البداية إلى النهاية؛ بصِدْقِ المعاملة، وعِزِّ القناعة، والرضى بالقَسْم، والشُّكْرِ على رَفْعِ المؤونة[١١].

والآخَر: الذي أُعطي ووُسِّعَ عليه، فلم يُقَدِّرْ ما أُهِّل له، وسَكَنَ إليه[١٢] دون واهية، ولم يفطن أنه عارية إذا عَمِلَ فيها بالوجه المأمور به،

---

(١) في (ص): طلب.
(٢) في (ص): ولم.
(٣) في (ص): ولم.
(٤) لطائف الإشارات: (٢/٣٩٨).
(٥) في (ص): تر.
(٦) في (ص): لك.
(٧) في (ص): ذكرها.
(٨) في (د): أخذته، وضبَّب عليها.
(٩) في (ص): الرجلين.
(١٠) في (ص): البطش.
(١١) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٣٩٦).
(١٢) في (ص): له.

وبليَّة إذا خُولِفَ به وجهه، فإذا بوقته قد أَظْلَمَ، ونوره قد أَغْيَمَ، وليله قد اذْلَهَمَّ، ونزلت القدرة بالعبرة، لبيان المنزلة وعدم النصرة[١]، وحقَّت عليه الكلمة[٢].

التاسعة: قوله[٣]: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ ٱلرِّيَاحُ﴾ [الكهف:٤٤]؛ إن[٤] كان هذا عن جائحة فهذه والآية التي قبلها سواء، وإن كان مَثَلًا للزَّرْعِ الذي أُخِذَ[٥] حَبُّه، ونُبِذَ[٦] قِشْرُه، فصار هشيمًا تذروه الرياح، أو زِبْلًا تتكرَّم به الأرض وتنداح[٧]، فيكون ذلك لبديعة مَثَلًا، وهي:

العاشرة: إنَّ المال إذا أَخَذَ العبدُ منه حاجته في المعاش، وأرسل باقيه في الشهوات كان معدومًا[٨]، في حق الدنيا هشيمًا، وعاد به مذؤومًا[٩]، وصار وقته مذمومًا.

الحادية عشر: التنبيه على تفصيل[١٠] معنى الدنيا من المال والبنين؛ لأنها[١١] مناط الاعتضاد، ومُعْتَمَدُ العباد والاعتداد[١٢]، فإذا اغترَّ بماله،

---

(١) في (ص): النضرة.

(٢) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٣٩٦).

(٣) سقطت من (د).

(٤) في (ص): فإن.

(٥) في (ص): أخرجته.

(٦) في (ص): لين.

(٧) في (ص): تتراح.

(٨) في (ص): مغبونًا.

(٩) في (ص): مذمومًا.

(١٠) في (ص): تفضيل.

(١١) في (ص): بأنها.

(١٢) في (ص): الاعتماد، ومرَّضها في (د).

واعتز بأولاده[١]، وتاه في غَفَلَاتِه، وفَنِيَتْ عليه قوابلُ[٢] أوقاته، وهو نَاسٍ لمولاه؛ خَسِرَ في حالِه، وندم في مآلِه[٣]، فإن هذا كله ذاهبٌ في نفسه، أو هو ذاهبٌ عنه يومًا، قيل[٤]:

فالمرء رهن مصائب لا تنقضي ... حتى يغيَّب في بواطن[٧] رمسِهِ
فمُؤَجَّلٌ[٥] يلقى الرَّدَى في أهلهِ[٦] ... ومُعَجَّلٌ[٨] يلقى الردى في نفسِهِ[٩]

وزينةُ[١٠] الدنيا بكرائمها، وزينة الآخرة بعظائمها، وزينة الدنيا ما يفنى، وزينة الآخرة ما يبقى.

وحقيقة الحال فيه: أن ما كان للنفس فيه حَظٌّ فهو من الدنيا[١١] وزينتها، ويدخل في ذلك الجاه وقبول الخلق وجميع المألوفات[١٢].

---

(١) في (د): اغتر.
(٢) قوله: «عليه قوابل» سقط من (ص).
(٣) لطائف الإشارات: (٢/٣٩٨).
(٤) قوله: «يومًا، قيل» سقط من (ص).
(٥) في (ص): فمعجل.
(٦) في (ص): رمسه.
(٧) في (ص): مواطن.
(٨) في (ص): مؤجل.
(٩) البيتان من الكامل، وهما لأبي فراس الحمداني، في ديوانه: (ص٢٠٢).
(١٠) في (ص): «وزينت الدنيا بكرائمها، والآخرة بعظائمها، وزينت الدنيا بما يفنى، وزينت الآخرة بما يبقى».
(١١) في (ص): للدنيا.
(١٢) لطائف الإشارات: (٢/٣٩٨).

﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ [الكهف:٤٥]: هي الأعمال الخالصة، كما تقدَّم اتِّسَاقُه[١] كما يجب؛ من ذِكْرٍ طَيِّبٍ، وعمل صالح؛ فإنهما يُصعَدان ويُحْفَظان، وهذان يذهبان ويفنيان[٢].

الثانية عشر: في وَجْهِ الذكرى[٣]؛ فإن الزرع يخرج مختلف الألوان، ثم يهيج فتراه مُصْفَرًّا، ثم يجعله حُطَامًا؛ التنبيهُ باختلاف أحوال الزرع من حين خَلْقِه واستنباته، إلى انبتاته على المرء[٤]، من أوَّل نشأته إلى وفاته، والزرع لا يخرج حبُّه[٥] إلا بعد الجفاف، كذلك المرء لا يطيبُ عَمَلُه إلَّا إذا راض نفسه، وأزال صَوْلَه[٦]، قبل أن يُرَدَّ إلى أرذل العمر، وهو حال الضعف في القوة، والوهن في الأعضاء، وقد كان النبيُّ ﷺ - في صحيح الحديث - يقول: «وأعوذ بك أن أُرَدَّ إلى أرذل العُمُرِ»[٧]، ورَكَّبَ الناسُ على هذا التفسير الصحيح أمثالًا:

الأوَّل: أن يُرَدَّ إلى المعصية بعد الطاعة.

الثاني: أن يُرَدَّ[٨] إلى مساعدة الأماني بعد مجاهدة[٩] النفس.

---

(١) في (د): الشَّاقَّة، وفي (س): السَّاقة.
(٢) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٣٩٨).
(٣) في (ص): الذكر.
(٤) في (ص): إلى إنشائه على المؤمن.
(٥) في (ص): منه.
(٦) في (ص): صولته.
(٧) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس ﵁: كتاب الدعوات، باب التعوذ من أرذل العمر، رقم: (٦٣٧١-طوق).
(٨) قوله: «أن يرد» سقط من (د).
(٩) في (د): مؤاخذة.

الثالث: أن يُرَدَّ إلى[1] السعي لحَظِّ نفسه[2]، والركون إلى الدعة بعد الاجتهاد والعبادة[3]، كان النبيُّ ﷺ إذا عَمِلَ عَمَلًا أثبته، وكان يتوقَّاه رِفْقًا بالأُمَّة[4].

الرابع: أن يُرَدَّ إلى[5] إفناء العُمُرِ في مَلَاذِّ[6] المعصية.

الخامس: إفناؤه[7] بين الجُهَّالِ.

كان كسرى إذا عَتَبَ على عالم سَجَنَه مع جاهل.

السَّادس: الذل بعد العز.

الثالثة عشر: سمَّاها باسمها المحقق، ووصفها بصفتها الخاصة[8]، فقال: ﴿أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [الحديد:١٩].

المعنى[9]: أنها في الحال شاغلة، وفي المآل غير لابثة، مُطمعة غير مشبعة، تجري على غير سَنَنِ الاستقامة، جَرْيَ لُعاب الصبيان والمفندين من المتقادمين[10] في الأسنان، وتُلهي عن الصواب واستبصار الحق[11].

---

(١) قوله: «أن يرد إلى» سقط من (د).

(٢) في (ص): النفس.

(٣) في (ص): في العبادة.

(٤) في (ص): بأمته صلى الله عليه.

(٥) قوله: «أن يرد إلى» سقط من (د).

(٦) في (ص): باب.

(٧) في (ص): إفناء العمر.

(٨) في (ص): بوصفها الخاص.

(٩) في (د) - أيضًا -: أي.

(١٠) في (ص): المتقدمين.

(١١) لطائف الإشارات: (٣/٥٤١).

وحقيقةُ اللهو: هو[1] الاشتغال عن الشيء بما لا يفيد، أو بما هو دونه، وأشده بالمكاثرة[2] في الأموال، والمفاخرة في الأولاد، ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾؛ لمن أَخَذَها من غير وجهها، أو صَرَفَها في غير طريقها[3]، ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾؛ لمن قَدَرَها قَدْرَها، وعَلِمَ أنها جِيفَةٌ ملقاة، تتهاوش عليها الكلاب.

الرابعة عشر: أن المرء إنما يُكِبُّ عليها ويتهافت فيها حُبًّا للجاه[4]، والدارُ الآخرة هي الحيوان، أي: دار الحياة، ففي تلك الحياة[5] الباقية يجب أن يرغب[6]، وهي التي ينبغي أن يُمَهِّدَ ويُحَسِّنَ، وينظر فيها ويستعدَّ لها، فأمَّا هذه الحياة المستعارة، والمنامة[7] الغرَّارة؛ فيجب أن تُطْرَحَ طَرْحَ مِثْلِها، ولا يسكن إلى مائها وظِلِّها، وقليلٌ من الناس من مَلَكَ نفسه عنها، منهم: أبو ذَرٍّ، وأبو الدرداء.

[وقوفُ ابن العربي على قبر أبي ذَرٍّ بالرَّبَذَةِ]:

وقفتُ على قبر أبي ذَرٍّ بالرَّبَذَةِ مهل ذي الحجة سنة تسع وثمانين وأربع مائة، وهو على قارعة الطريق من الكوفة إلى مكة، غريبًا مفردًا، لا

---

(١) سقط من (د).

(٢) في (ص): المكاثرة.

(٣) قوله: «لمن أخذها من غير وجهها، أو صرفها في غير طريقها» سقط من (ص).

(٤) في (ص): الحياة، وأشار لها في (د).

(٥) قوله: «ففي تلك الحياة» سقط من (ص).

(٦) في (ص): يرغب فيها.

(٧) سقطت من (ص).

أُنْسَ[١] ولا عمارة؛ خرج هنالك أيَّامَ عثمان على وجه سليم صحيح[٢]، بيَّنَّاه في كتاب «العواصم»[٣]، لم يقدح في أحد، ولا قصَّر ببشر[٤]، ولا انتسب إليه فيه ظُلم، فأقام بها حتى مات رضي الله عنه[٥].

ولا أذكر أبا بكر وعمر وعثمان وعليًّا[٦]؛ فإنهم أعظم وأعلى، ومن التابعين خَلْقٌ كثير.

[زُهْدُ عامر بن عبد قيس]:

وما رأيتُ أبدع[٧] في زُهْدِه[٨] من عامر بن عبد قَيْسٍ العَنْبَرِي[٩]، قال عُبَيد الله بن الحسن: «قدمتُ الشام فسألتُ عن عامر، قال: فقيل: إنه يأوي إلى عجوز هاهنا، قال: فسألتها عنه، فقالت: هو في سفح ذلك الجبل؛ ليله ونهاره، فإن كانت لك إليه حاجة فتجيئه[١٠] عند فطوره[١١]، قال: فأتيتُه

---

(١) في (ص): أنيس.

(٢) في (ص): صحيح سليم.

(٣) العواصم: (ص٢٨٤-٢٨٦).

(٤) في (ص): قصد شرًّا.

(٥) في (ص): رحمه الله.

(٦) في (د): علي.

(٧) في (ص): أورع.

(٨) في (ص): زهد.

(٩) الزاهد الولي، عامر بن عبد قيس العنبري البصري، أبو عمرو التميمي، من أهل الفضل والعبادة والصدق، وله أخبار في الزهد والتقلل من متاع الدنيا، توفي في زمن معاوية، ترجمته وأخباره في: الزهد للإمام أحمد: (ص٢٦٩-٢٧٨)، وحلية الأولياء: (٢/٨٧-٩٥)، وسير النبلاء: (٤/١٥-١٩).

(١٠) في (ص): فجئه.

(١١) في (د) - أيضًا -: فطره، وبيَّض لها في (ص).

فَسَلَّمْتُ عليه فردَّ علي السَّلام[١]، وسألني مساءلة[٢] رجل عهدته بالأمس، ولم يسألني عن أحد من أهله وعشيرته، ولم تَسُمْنِي[٣] العشاء، قال: قلت[٤]: يا عامر، لقد[٥] رأيتُ منك عجبًا، قال: وما هو؟ قلتُ[٦]: غِبْتَ عن أهلك وعشيرتك من حيث تعلم، ولم تسألني عمَّن مات منهم ومن عاش[٧]، وقد علمتَ مكاني فيهم[٨]، وساءلتني مساءلة رجل عهدته بالأمس، ولم يَسُمْني[٩] العشاء، قال لي[١٠]: أمَّا قولك في مساءلتي إيَّاك فقد رأيتك صالحًا، فعن أي شيء أسألك؟ وأمَّا عشيرتي وأهلي؛ من مات منهم فقد مات، ومن بقي فسيموت، فعن أي شيء أسأل؟ وأمَّا العشاء؛ فقد عهدتك تأكل طعام الأمراء، وطعامي فيه خشونة، ولم أظنَّ أن بك حاجة إليه»[١١].

وقال له رجل: «رضيتَ من شَرَفِك وحَسَبِك[١٢] بيتَك هذا ولباسَك هذا[١٣]؟ قال: هذه قُرَّةُ عين عامر»[١٤].

---

(١) سقطت من (د).

(٢) في (ف): مسألة.

(٣) في (ص): يسمن.

(٤) في (ص): فقلت له.

(٥) سقطت من (د).

(٦) في (د): قال.

(٧) في (ص): ولم تسألني عن أحد منهم.

(٨) في (ص): منهم.

(٩) في (ص): تتسمن.

(١٠) سقطت من (د).

(١١) الزهد للإمام أحمد: (ص٢٧٢).

(١٢) في (ص): نسبك.

(١٣) سقط من (د).

(١٤) الزهد للإمام أحمد: (ص٢٧٢).

[زُهْدُ أبي يزيد البِسطامي]:

وما رأيتُ أبدع في مَثَلِ الدنيا وقَدْرِها وقِيمَةِ إبليس صاحبها من قول أبي يزيد البِسْطَامِي؛ فإنه رُوي عنه في[١] أخبار العُبَّادِ أنه دخل على قوم فيهم أبو موسى عبد الرحيم الصُّوفِي، فقال لهم: في أي شيء تتكلمون؟ قالوا: في الزهد، قال[٢]: في أي أنواعه؟ قالوا[٣]: في الزهد في الدنيا، فنَفَضَ[٤] يده، وقال: ظننتُ أنه يُتكلَّم[٥] في شيء، الدنيا لا شيء، مَثَلُ من تَرَكَ الدنيا - عند أهل المعرفة - مَثَلُ من مَنَعَه كَلْبٌ عند باب المَلِكِ عن[٦] الدخول إليه، فألقى له[٧] لقمة شَغَلَه[٨] بها ودخل الباب، ووصل إلى الملك وأقبل عليه فنال القُرْبَ منه، أفترى[٩] أنه يرى لنفسه عند الملك يدًا بأن ألقى لكلبه لقمة في مقابلة ما ناله، فالشيطان كَلْبٌ على باب الله؛ يمنع الناس من الدخول عليه، والباب مفتوح، والحجاب مرفوع، والإذن موجود، والشرط غير مفقود»[١٠].

---

(١) سقطت من (ص).

(٢) في (د): قالوا، وهو سبق قلم.

(٣) في (د): قال.

(٤) في (ص): «قال: فقبض».

(٥) في (ص): أنكم تتكلمون.

(٦) في (ص): من.

(٧) في (ص): إليه.

(٨) في (ص): فشغله.

(٩) ضبَّب عليها في (د)، وفي الطرة: في خـ: أترى.

(١٠) الإحياء: (ص١٥٨١).

[شهواتُ الدنيا]:

وكان[١] مِن الزهاد[٢] مَن الدنانيرُ والدراهم عنده بمنزلة البَعَرِ، وهي معنى الدنيا، فمن أهانها فقد أخذ بزِمَامِ الزُّهْدِ، وقد بيَّنَّا أن الزهد قَطْعُ حظوظ النفس كلها؛ لاعتقادك أن النفس بشهواتها[٣] حقيرة، وبطاعاتها[٤] عظيمة، وهذه كما قدَّمنا المنزلة العظمى[٥]؛ فإن الدنيا كلها محبوبة مشتهاة، لأغراض ملائمة ومخالفة، والمخالف يفيد الملائم ويُعِينُ عليه، وأصولها سبعة، وهي في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤][٦].

وهذا البَعْضُ يَدُلُّ على ما سواه، وأشدُّ ما يُهلك الناس على العموم من هذه السَّبعة الأحمران، وهما: الذهب والفضة، فمن اتَّقى هذه الشهوات فله خَيْرٌ من ذلك؛ وهو جنَّات تجري من تحتها الأنهار، فيها ما تشتهيه الأَنْفُسُ وتَلَذُّ الأعين، وأزواج مُطَهَّرَةٌ؛ ليس فيهن[٧] دَنَسٌ ولا قَذَرٌ، ورضوانٌ من الله الذي هو أجلُّ من ذلك.

---

(١) قبله في (ف) و(ص): قد، وضرب عليها في (د).

(٢) في (ص): كان الزهري في الدنانير، وهو تصحيف.

(٣) في (ص): شهواتها.

(٤) في (ص): طاعاتها.

(٥) في (ص): وهذا كله غاية المنزلة.

(٦) في (ص): قوله تعالى: ﴿زين للناس حب الشهوات﴾ إلى آخر الآية.

(٧) في (ف) و(ص): فيها.

ثم ذَكَرَ في آية أخرى خمسة منها: ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ﴾ [الحديد:١٩]، فاللعبُ راحة النفس، واللهو آفتُها؛ فإن الدنيا رُتْبَةٌ وُضِعَتْ لبلاء الأعمال في الحسن والقبح، وجُبِلَتِ القلوب على المفاخرة، وحُبِّبَ[1] إليها المكاثرة، وقد ذَكَرَها في آيةٍ أخرى فقال باختصار أَوْعَبَ[2] من هذا، فقال: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾[3] [العنكبوت:٦٤]، إذ ذلك لجميعها.

ثم من[4] عَظِيمِ[5] الفصاحة وسَعَةِ العِلْم رَدُّ الكل إلى واحد، فقال: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعات:٣٩]، فإن العبد مُتَرَدِّدٌ بين عَقْلٍ وشَهْوَةٍ ولَمَّتَيْنِ؛ من المَلَكِ لَمَّةٌ بالعقل، ومن الشيطان لَمَّةٌ بالشهوة، ومن الله التوفيق للمَلَكِ، والخذلان للشيطان، والعِلْمُ الأوَّل والقلم[6] السَّابق قد نَفَذَ، والكلُّ يصير إلى ما يصيرُ إليه، وإذا اتَّبع العبد مُناه، واتخذ إلهه هواه، وانقاد لكل ما يتمنَّاه[7]؛ فذلك هَلَكُهُ، وينبغي أن يجعل المؤمنُ بين عَيْنَيْه حديث النبي عليه السَّلام الصحيح[8]: «الدنيا سِجْنُ المؤمن، وجَنَّةُ الكافر»[9].

---

(١) في (ص): حببت. (٢) في (ص): أوضح.

(٣) في النسخ: «إنما الحياة الدنيا لعب ولهو».

(٤) سقطت من (ص).

(٥) في (ص): تعظيم.

(٦) في (ص): العلم.

(٧) قوله: «وا تخذ إلهه هواه، وانقاد لكل ما يتمناه» سقط من (ص).

(٨) في (ص): في الصحيح.

(٩) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة ﷺ: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، رقم: (٢٣٢٤-بشار).

حكاية[١]:

كان سَهْلُ الصُّعلوكي[٢] الفقيه[٣] من أهل[٤] خراسان[٥]، وكان[٦] ممَّن جمع رئاسة الدين والدنيا، خرج عليه يومًا وهو في موكبه من مِسْخَنِ حمَّام يهوديٌّ في أَطْمَارٍ سُخْمٍ[٧] من دخانه، فقال له: «ألستم تَرْوُونَ عن نَبِيِّكُم: «أنَّ الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»؟ وأنا عبد كافر وترى حالي[٨]، وأنت مؤمن وترى حالك، فقال له على البديهة: إذا سِرْتَ[٩] غدًا إلى عذاب الله كانت هذه جنتك، وإذا سرتُ[١٠] أنا إلى نعيم الله ورضوانه كان هذا سِجْنِي»، فعجب الخلقُ من فقهه وبداهته، والحديثُ صحيحٌ جِدًّا.

---

(١) من هنا تبدأ النسخة (ك)، وهي السفر الثاني من سراج المريدين.

(٢) الإمام الفقيه، شيخ الشافعية، ومفتي نيسابور، سهل بن محمد العجلي الحَنَفِي -نَسَبًا-، أبو الطيب الصُّعلوكي، تـ ٤٠٤هـ، تفقَّه وتخرَّج على والده أبي سهل، وبلغ شأوًا رفيعًا في بلده، وناظر وأملى وحدَّث، ترجمته في: الأنساب: (٨/٦٤)، وتبيين كذب المفتري: (ص٢١١-٢١٤)، وطبقات الشَّافعية: (٤/٣٩٣-٤٠٤).

(٣) بعده في (ص): الحنفي، وضَرَبَ عليها في (د).

(٤) سقطت من (ص).

(٥) قوله: «من أهل خراسان» قُرِضَ موضعُها في (ك).

(٦) في (ك) و(د): كان.

(٧) في (د): مسخم.

(٨) في (د) - أيضًا -: ما بي.

(٩) في (ص): صرت.

(١٠) في (ص): صرت.

ومن الحديث الحسن: «الدنيا سِجْنُ المؤمن وسِنَتُه، فإذا فارق الدنيا فارق السِّجْنَ والسَّنَةَ»[١].

[حَقُّ الآدَمِيِّ من الدنيا]:

ولابن آدم أن يستوفي حقَّه كما قدَّمنا، ولا حساب عليه فيه، وليس له فيما سواه حق.

صحَّ[٢] عن عثمان أن النبي ﷺ قال: «ليس لابن آدم حَقٌّ في سوى هذه الخصال؛ بيت يسكنه، وثوب يواري عورته، وجِلْفُ الخبز والماء»[٣].

قال النَّضْرُ بن شُمَيْل: «يعني بالجِلْفِ: ليس معه إدام»[٤].

وصحَّ أن النبي قال: «ابن آدم؛ أن تَبْذُلَ الفضل خَيْرٌ لك، وأن تُمْسِكَه شَرٌّ لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تَعُولُ، واليدُ العليا خَيْرٌ من اليد السُّفْلَى»[٥].

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: (٤٨٧/١)، رقم: (٥٥٣)، ومن طريقه الإمام أحمد في المسند: (٤٤٢/١١)، رقم: (٦٨٥٥-شعيب)، وذكر السخاوي أن الحاكم صحَّحه، ينظر: المقاصد: (ص٢١٧)، وفي المسند: السَّنة: بفتح السين، وأثبتُّها كما وجدتها مضبوطة في النسخ.

(٢) في (د): وصحَّ.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه: أبوابُ الزهد عن رسول الله ﷺ، بابٌ منه، رقم: (٢٣٤١-بشار)، وصحَّحه.

(٤) الجامع: (١٦٥/٤-بشار).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي أمامة رضي الله عنه: كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، رقم: (١٠٣٦-عبد الباقي).

[مَثَلُ الدنيا في حديث رسول الله ﷺ]:

وقد ضرب النبيُّ مَثَلَ الدنيا في حديث بَدِيعٍ صحيح رتَّبناه في كتاب «قانون التأويل»[١]، بما نصُّه: فقال النبي ﷺ: «أيها الناس، والله ما أخشى عليكم إلا ما يُخْرِجُ الله لكم من زهرة الدنيا، قالوا: يا رسول الله، وما زهرة الدنيا؟ قال: بركات الأرض، فقالوا[٢] أو قال رجل: أيأتي الخير بالشر؟ فسكت عنه رسول الله، قلنا: ما شأنك؟ تُكَلِّمُ رسول الله ولا يُكَلِّمُكَ، قال: ورأينا أنه يُنْزَلُ عليه، فأفاق فمسح عنه الرُّحَضَاءَ، وقال: أين السائل؟ وكأنَّه حَمِدَه، فقال: إنه لا يأتي الخير إلَّا بالخير، ثلاثًا، وإنَّ ما يُنبت الربيعُ يقتل حَبَطًا أو يُلِمُّ، إلَّا آكِلَةَ الخَضِرِ، أكلتْ حتى إذا امتلأت خاصرتاها استقبلتْ عين الشمس فثَلَطَتْ[٣] وبالت، ثم رتعتْ، وأن هذا المال خَضِرٌ حُلْوٌ، نِعْمَ صاحب المسلم هو؛ لمن أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل، وأنه من يأخذه/ بغير حقه فهو كالذي يأكل ولا يشبع»[٤]. (٢ [١/ب])

فضرب النبيُّ مثلًا لستة[٥]: الربيع، البهيمة الهالكة بالأكل، آكلة الخضر، الشمس، ثَلَطَتْ وبالت، عادت فأكلت؛ لستة: لصاحب[٦] المال،

---

(١) قانون التأويل: (ص٢٨٧-٢٨٩).

(٢) في (ك) و(ص): فقال.

(٣) الثَّلَطُ: الرجيع الرقيق، وأكثر ما يقال للإبل والبقر والفِيَلة، النهاية لابن الأثير: (١/٢٢٠).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري ﷺ: كتاب الزكاة، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا، رقم: (١٠٥٢-عبد الباقي).

(٥) في (ص): بستة، وأشار إليها في (ك).

(٦) سقطت من (ك) و(ص).

الهالك بجَمْعِه وإيعابه، المجتزئ منه باليسير الكافي، نور الإسلام، أداء[١] الحق[٢]، عاد فاكتسب.

فانظروا - رحمكم الله - كيف يتحصَّل هذا المَثَلُ للمُعْتَبِرِينَ مع سلوك سبيل المهتدين، لكن بالإيجاز[٣] مع هذا الاستيفاء.

وذلك أن المال في لسان الشريعة خَيْرٌ محمود، ومعنى ممدوح، كما قال: «نعم صاحب المسلم هو» بعد ذلك، ومع أنه خَيْرٌ في القرآن، ونِعْمَ الصاحب في الحديث؛ فإنه مَخُوفُ العاقبة، لاحتماله النفع والضر، ووجود ذلك مُشَاهَدٌ[٤] فيه، والسَّائل في الحديث لكون الخير المرجو يأتي بالشر المَخُوفِ[٥]، سأل ذاهلًا عن انقسام حال المال وعن غلبة الشهوة باكتسابه وتَصَرُّفِ النفس فيه بأنواع لذَّاتها، فبيَّن لنا النبيُّ «أن الخير لا يأتي إلَّا بالخير» بالوحي المُنْزَلِ عليه، وأكدَّ ذلك ليقوى ثُبوته في القلب[٦]، ويتحقَّق أن ما صدر عن النبي كان عن عِلْمٍ أَسْمَعَه بيانَه بعد ذلك.

فوقع التَّمْثِيلُ في البيان بين المال والمُكْتَسِبِ[٧] له، وبين البهيمة ورَتْعِها في زهرة الربيع، وهو: **التقابل الأوَّل**.

---

(١) في (د): إذا

(٢) في المنشور من القانون (ص٢٨٨): إذا الحق، وهو تصحيف، صوابه ما أثبته، وكذلك هو في نسخة سليم آغا من القانون: (ق٣٦/ب).

(٣) في (ك): الإنجاز.

(٤) في (ص): مشاهدًا.

(٥) هنا تنتهي نسخة (ف).

(٦) في (د): قلب السائل.

(٧) في (ك): المنتسب.

وبين القَتْلِ حَبَطًا أو الإشراف على الموت حِسًّا، وبين الهلاك في الدين أو مقاربته حُكْمًا إن لم تتداركه بصيرة، وهو: **التقابل الثاني**.

وبين المقتصد على كَسْبِ المال بقَدْرِ الكفاية وبين البهيمة المجتزئة بالخَضِرِ، وهو: **التقابل الثالث**.

وبين الاهتداء بنور الشريعة في المال، وبين استقبال الماشية الشمس على طريق الاستمراء والاستراحة من الرَّتْعِ[١]، وهو: **التقابل الرابع**.

وبين الثَّلْطِ والبول اللذين كانا يعودان لو بَقَيَا على الماشية بالهَلَكَةِ، وبين أداء الحق، وهو: **التقابل الخامس**.

وبين العَوْدِ إلى الأكل بعد الاستراحة وإخراج الفضل، وبين العود إلى كسب المال بعد أداء الحق، وهو: **التقابل السَّادس**.

إلى آخر تمام الكلام في تحقيق التمثيل على التفصيل، بما هو مُوَضَّحٌ في «قانون التأويل[٢]»[٣]، فعرَّف فيها الدنيا ومقدارها، وكيفية الانتفاع بها، وآفتها ومثالها[٤]، ووجه الخلاص منها، وفائدة الانكفاف عنها.

٢ [٢/أ]

ويُروى/ عن مالك بن أنس أنه قال: «الزهد التقوى»، ولم أحفظه، ولعله أراد: تَرْكَ الشبهات؛ فإنه كان له تَوَسُّعٌ في المباحات.

---

(١) في (ص): المرتع.

(٢) في (ك) و(ص) و(د): القانون، ومرَّضها في (د).

(٣) قانون التأويل: (ص٢٨٩).

(٤) في (ك): ما لها، ومرَّضها في (د)، والمثبت صحَّحه بطرته.

[زُهَّادُ الصَّحابة]:

والزُّهْدُ هو حَالُ أبي بكر وعمر وأبي ذَرٍّ وأبي الدرداء وتَمِيمِ الدَّارِي، ومن ماثلهم، وما أكثر الزهَّاد في الصحابة ﷺ، وعبد الرحمن والزبير زاهدان، فلا تلتفت لرواية الجاهلين: «أنه يدخل الجنة حَبْوًا»[(١)]، ما يسبقه إليها أحد، والزبير لا يعادله بَشَرٌ، ولو تَتَبَّعْتُهم لك لرأيتَ أمرًا غريبًا يجهله الناس.

ولن يلحق أَحَدٌ في الزهد منزلة عثمان؛ فإنه زَهِدَ في نفسه فباعها لئلا تهراق[(٢)] لمسلم مِحْجَمَةُ دَمٍ، وحتى لا تنشأ الفتنة من قِبَله ولا في أيَّامه، ودفع الكل عنه، واستسلم لأمر الله سبحانه.

أحوالُ الزَّاهِدِ[(٣)]:

وهي سبعة[(٤)]:

الأوَّل: لباسُه؛ وقد تقدَّم في الحالة الأولى[(٥)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند عن عائشة ﵂: (٤١/٣٣٧)، رقم: (٢٤٨٤٢- شعيب)، والطبراني في أكبر معاجمه: (١/١٢٩)، رقم: (٢٦٤)، ومن طريقه أبو نُعَيم في معرفة الصحابة: (١/١٢٣)، رقم: (٤٨٦)، ومدار الحديث على عمارة بن زادان، ضعَّفه غير واحد، وقال الإمام أحمد: «هذا الحديث كذب منكر»، ينظر: الموضوعات لابن الجوزي: (٢/١٣).

(٢) في (ص): يهراق.

(٣) في (ص): الزهد.

(٤) في (د) - أيضًا -: سبع.

(٥) أي: قسم المقامات، وهو القسم الأوَّل من الكتاب.

الثانية: طعامه؛ وقد تقدَّم أيضًا بيانُه فيها[١].

الثالثة: هَدْيُه؛ وهو المقصود، فينبغي ألَّا يكون فِعْلُه وحاله[٢] بخلاف كلامه، إن أَمَرَ فلا يُكَذِّبُه لباسُه، ولا يعترض عليه أَكْلُه، بل تكون أحواله الثلاثة متعاضدة.

وقد نظر رافع بن خُدَيج إلى الأمير بالكوفة وهو يَعِظُ فقال: «انظروا إلى أميركم؛ يعظ الناس وعليه ثياب الفُسَّاقِ»[٣]، وكان عليه ثياب رِقَاقٌ.

ونُجَدِّدُ العهد عندكم والتوصية لكم بأن يكون المرء في لباسه ومطعمه ومَشْرَبِه على الحالة الوَسِطَةِ إن وَجَدَ الحلال، فإن لم يجده؛ فعلى الأقل حتَّى لو لم يجد إلَّا ثوبًا من وَرَقِ المَوْزِ أو سَعَفِ النَّخْلِ فليَسْتَتِرْ به.

وليس من الزهد تَرْكُ النكاح كما قدَّمنا، إلا أن يكون الرجل لا غَرَضَ له في النساء، ولا يَقْدِرُ على رِزْقِها من الحلال، أو يخاف الفتنة من قِبَلِها؛ فيكون تركُها أولى له.

صَحِبَ رجلٌ عامرَ بن عبد قَيْسٍ في سَفَرٍ، فلمَّا عرَّس القومُ أصلح من متاعه ثم دخل غَيْضَةً، قال: «فصلَّى وجلستُ خلفه، فلمَّا كان من آخر الليل أو في السَّحَرِ قال: اللَّهم إني سألتك ثلاثًا فأعطيتني ثِنْتَيْنِ[٤] ومنعتني واحدة، اللَّهم فأعطينيها حتى أعبدك كما أريد، فلمَّا بَرَقَ الفَجْرُ/ التفت فرآني فقال: أنتَ منذ الليلة تراعيني؟ وشدَّ عليَّ لسانه[٥]، قلت: لَتُخْبِرَنِّي

٢ [٢/ب]

(١) في القسم الأوَّل من الكتاب.

(٢) في (د) و(ك) و(ص): قوله، وضبَّب عليها في (ص).

(٣) قوت القلوب: (٤٦٨/١).

(٤) في (د): اثنتين.

(٥) سقطت من (ك) و(ص).

بهذه الثلاث أو لأخبرنَّ بحالك، فأخذ عليَّ العهد، ثم قال: سألتُ ربي أن يُذهب عن قلبي حب النساء ففَعَلَ، وألَّا أخشى غَيْرَه ففَعَلَ، وأن يُذهب عَنِّي النوم حتى أعبده الليل والنهار فمَنَعَنِيهَا»[١].

وقال عامر: «وجدتُ الدنيا أربع خصال؛ المال، والنساء، والمطعم، والنوم، فأمَّا المال فلا حاجة لي فيه، وأما النساء فلا أبالي؛ رأيتُ امرأة أو رأيت جِدَارًا، وأمَّا الطعام والنوم فلم أجد منهما بُدًّا، وأيمُ الله لأُضِرَّنَّ بهما»[٢].

فكان إذا جاء الليل جعله نهارًا[٣]، وإذا جاء النهارُ صام ونام.

والذي عندي ما قلتُ لكم: إن النبي شَرِبَ الماء البارد والحُلْوَ، وكان يُعجبه ويستهديه[٤]، ويأكل ما[٥] وَجَدَ، ويصبر إذا فَقَدَ[٦]، وليس بنا مَعْدِلٌ عن سُنَّتِهِ في الحلال[٧].

الرابعة[٨]: مسكنه؛ وأفضلُه جَبَلٌ أو موضع خالي في هذا الزمان، أو قَعْرُ بيته إن أمكنه، حتى يدخل عليه فيه مَلَكُ الموت، والله يُعِيذُ من دُخُولِ

---

(١) الزهد للإمام أحمد: (ص٢٧١).

(٢) الزهد للإمام أحمد: (ص٢٧٤).

(٣) قوله: «جعله نهارًا» سقط من (ص).

(٤) في (ص): يستلذ به.

(٥) في (د) - أيضًا -: إذا.

(٦) في (ص): افتقر.

(٧) تقدَّم ذِكْرُ ذلك في القسم الأوَّل من الكتاب، وهو قسم المقامات.

(٨) في (د): والرابعة.

ظالم عليه، وقد قال النبيُّ لمن قال له: «يُدخل عليَّ في بيتي»؟ قال: «كن عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل»(١).

[فتنةُ الحَرَّةِ]:

ولمَّا كان في فتنة الحَرَّةِ وخَلَعَ أهلُ المدينة يَزِيدَ(٢) بفُضُولهم؛ خرج عبد الله بن عمر عنهم في جماعة، وبقي أبو سعيد الخُدْرِي مُسْتَسْلِمًا لقضاء الله، فلمَّا أحاطت الجيوش بالمدينة وقُتِلَتِ الخَلْقُ؛ دخل أبو سعيد الخدري في غَارٍ في ذلك اليوم، فدخل عليه رَجُلٌ(٣) ثم خرج، فقال لرجل من أهل الشام: «أَدُلُّكَ على رجل تَقْتُلُه؟ فلمَّا انتهى الشامي إلى باب الغار قال لأبي سعيد - وفي عُنُقِ أبي سعيد السَّيْفُ -: اخرج إليَّ، قال: لا، وإن تدخل عليَّ أقتلك، فدخل الشَّامي عليه، فوضع أبو سعيد السَّيْفَ، وقال: بُؤْ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار، وذلك جزاء الظالمين، فقال أبو سعيد الخدري: أنتَ، قال: نعم، قال: فاستغفر(٤) لي، قال: غفر الله لك»(٥).

---

(١) هو بألفاظ قريبة منه في المسند للإمام أحمد، أخرجه من حديث خالد بن عُرْفُطة رضي الله عنه: (١٧٧/٣٧)، رقم: (٢٢٤٩٩-شعيب)، ولفظه: «فإن استطعت أن تكون عبد الله المقتول لا القاتل فافعل»، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن خبَّاب بن الأرت رضي الله عنه: (٦٠/٤)، رقم: (٣٦٢٩)، ولفظه فيه: «فإن أدركتك فكن عبد الله المقتول»، وينظر: البدر المنير: (٨/٩)، وتلخيص الحبير: (١٥٧/٤).

(٢) في (ص): يزيد بن معاوية.

(٣) بعده في (ك): ثم رجل، وضرب عليها في (د).

(٤) في (ص): استغفر.

(٥) تاريخ دمشق لابن عساكر: (٣٩٤/٢٠).

[حكاية]:

وقد كان بالصخرة المقدَّسة شيخ صالح معتكف، مُلَازِمٌ عُمْرَه لها؛ ليلًا ونهارًا، شاهدتُ هَدْيَه، وعبدتُ الله بُرْهَةً معه، وكان قد حَفَرَ قبرًا في الطُّورِ بإزاء مسجد عمر بن الخطاب بالسَّاهرة، فكان يخرج إليه كل ٢ خميس/ ويضطجع فيه، ويقول: «هذا يا نفسي بيتُك، هذا مأواك، هذه [٣/أ] دارُك، ما ادَّخرت لها؟ ما أعددت فيها؟ وإليها عن قَرِيبٍ المَصِيرُ، والأَمَدُ للمقام[١] فيها طويل»، ويبكي حتى تكاد نَفْسُه تذهب، ثم يعود إلى الصخرة المقدَّسة معتكفه[٢]، فقدَّر الله أن يقتله[٣] الرُّومُ على باب قُبَّةِ الصخرة؛ شهيدًا في جملة شهداء المسجد الأقصى، ولم يدفن فيه، صدق الله: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٤] [لقمان:٣٤].

[تَتِمَّةُ الحديث في أحوال الزاهد]:

فإن لم يَتَّفِقْ فدارٌ يبتاعها أو يَبْتَنِيها[٥]، ولا بأس أن يَبْتَنِيها[٦] ببناء يَثْبُتُ؛ لئلَّا يحتاج في كل وقت إلى رَمِّها فيكون شُغْلًا، ولا يتطاول فيها بجَوْدَةِ صِفَةٍ ولا بارتفاع، إلَّا أن يخاف اللصوص؛ فليرفع حتى يأمن، ولو شاء ربُّك لمَنَعَ الإمامُ بنِيَّتِه وعَدْلِه اللصوص[٧]، ولكن لم يفعلوا؛ فاحتاج الناس إلى التحصين.

---

(١) في (ص): أمد المقام.

(٢) في (ص): ثم يعود إلى معتكفه بالصخرة المقدسة.

(٣) في (ص) و(د): تقتله.

(٤) في (ك): والله عليم خبير.

(٥) في (ص) و(د): يبنيها.

(٦) في (ص) و(د): يبنيها.

(٧) في (ص) و(ك) و(د): اللص، وضبَّب عليها في (د)، والمثبت من الطرة.

وليس في البُنْيَانِ حديث صحيح إلَّا حديث المطاولة[١]، أَمَا إنَّ[٢] النبي تُوُفِّيَ ولم يضع لَبِنَةً على لَبِنَةٍ، وإنَّما كان عَرِيشًا كعَرِيشِ موسى.

الخامسة: صَبْرُه على الحاجة إن عرضت به[٣]، أو نزلت به جائحة أو فاقة؛ لأنه[٤] قد بيَّنَّا أنه لا بد من معرفة المرء بربِّه وبنفسه، وبما عنده، وبما يحتاج أن يصحبه ويتزوَّده؛ وهو العمل الصالح، حتى لا يظهر شيء من ذلك عليه، كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿يَحْسِبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾[٥] [البقرة:٢٧٢].

السِّمِيَّاءُ[٦] التي يُعْرَفُونَ بها رِضَاهُم بحُكْمِ المولى.

وقيل: السِّيماءُ: التَّجَمُّلُ[٧]، كما قال: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج:٥]، في أحد[٨] الأقوال.

وقيل: مجانبة أهل الدنيا.

وقيل: أن يُؤْثِرَ على نفسه؛ حتى يتوهَّم المُعطي له أن الذي أعطاه غَنِيٌّ[٩].

---

(١) يقصد حديث جبريل، وفيه: «وإذا تطاول رعاة الإبل البُهْمُ في البنيان»، أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم السَّاعة، رقم: (٥٠-طوق).

(٢) سقطت من (ك).

(٣) سقطت من (ك) و(ص).

(٤) في (ك) و(ص): لأنا، ومرَّضها في (د).

(٥) في (ك) و(ص): يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف.

(٦) قبله في (ك) و(ص): هي، وضرب عليها في (د).

(٧) في (ص): التحمل.

(٨) في (ك): الأحد.

(٩) الكشف والبيان: (١/٢٧٧).

وقيل: هو ألَّا يدَّخر خَوْفَ[1] غَدٍ.

وقيل: أن لا يسأل إلَّا الله؛ كما قال العبد الصالح: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:٢٤].

المعنى: أنا محتاج إلى رِزْقِي الذي كتبته لي، فإن كان فأَوْصِلْه إليَّ، وارفع حاجتي به.

وقيل: هو الذي يتعرَّض ولا يُصَرِّحُ بالسؤال، كما تقدَّم.

السَّادسة: قد بيَّنَّا أنه لا يُناقض الزُّهْدَ قَبُولُ الخير من[2] الدنيا إذا جاء، فقد كان الزهَّاد يقبلون عطاء الملوك، ومنهم من يَرُدُّه؛ وذلك إذا لم يخافوا أن يكون ثمنًا لدِينِهم/ كما تقدَّم، فإن صرَّح بالسؤال فليصدُق عن حاجته.

٢ [٣/ب]

سمعتُ بجامع الخَلِيفَةِ بمدينة السَّلام رجلًا يقول: «أيُّها الناس؛ تروحون إلى الجمعة في كسوتها، وليس لها عندي شارة مستجدَّة، فكساه أبو طاهر النَّرنيني[3] أثوابًا[4] للجمعة، فخرج فيها[5] للثَّانية»[6].

---

(١) في (د) - أيضًا -: جور.

(٢) في (د) - أيضًا -: في.

(٣) في (ص): النرسي، وفي (د): البرسيي، وفي العارضة (٣/١١٠): المرسي، وفي جامع القرطبي (٤/٣٨٠): البرسني، ولم أعرفه حتى يمكنني أن أضبط اسمه، فالله أعلم به.

(٤) في (ص) و(ك): أحد التُّنَّاء، وأصلحها في (ص): أجدَّ الثياب، وفي جامع القرطبي نقلًا عن ابن العربي (٤/٣٨٠-التركي): أخذ الثناء، وفي أحكام القرآن لابن العربي (١/٢٤٠): لأخذ الثناء بها، وكلاهما تصحيف، يقال: هو من تُنَّاء تلك الكُورة، أي: أصله منها وفاضل من فضلائها، تاج العروس: (١/١٦١).

(٥) في (د) - أيضًا -: بها.

(٦) ينظر: القبس: (٣/١١٩٠)، والعارضة: (٣/١١٠).

وسمعتُهم يقولون: «اشتهيتُ كذا، اشتهيتُ كذا[١]، اشتهيتُ جِذَابَةً[٢]»[٣].

والقَدْرُ الكافي[٤] منها إذا كان مُتْقِنًا بدينار؛ فيبدي التصريح بالحاجة، فمن أعطى عليها أُجِرَ، ومن أخذها لم يأثم، فإن كَذَبَ أو أَوْهَمَ في السؤال أنه يحتاج شيئًا وهو يَجِدُه[٥] فقد أَثِمَ، وإذا صرَّح بالسؤال فيه؛ إن كانت حاجة تعيَّن كشفُها، قال النبي ﷺ: «رُدُّوا السَّائل ولو بظِلْفٍ مُحْرَقٍ»[٦]، وإن كانت شهوة لم يلزم ذلك؛ وإن كانت فيه مَثُوبَةٌ.

وحرَّم بعضُ الصوفية السؤال، قال: «وهو تَشْنِيعٌ من العبد على المولى»[٧].

[نَقْدُ قول الصوفية: السؤال تشنيع من العبد على المولى]

قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي رضي الله عنه: وهذا جَهْلٌ عظيم، ومُتاخمة للمعتزلة في حَمْلِ أفعال الله على أفعال العباد، ولقد أخبرنا الله أنَّ

---

(١) قوله: «اشتهيت كذا» سقط من (د).

(٢) الجذب: الشحمة التي تكون في رأس النخلة؛ يُكشط عنها الليف فتؤكل، فلعلها هي، وغريب أن تشتهى من قبل السؤَّال، وكذلك وردت في القبس -نسخة نور عثمانية-: (ق١٧٦/ب)، ينظر: تاج العروس: (١٤٣/٢).

(٣) ينظر: القبس: (١١٩٠/٣).

(٤) سقطت من (ك) و(ص).

(٥) في (ك) و(ص): غيره.

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه عن أم بُجَيْدٍ رضي الله عنها: أبواب الزكاة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حق السائل، رقم: (٦٦٥-بشار).

(٧) الإحياء: (ص١٥٦٤).

من عباده فقيرًا وغنيًّا، وأمرنا بأن نَعُودَ على الفقراء، وذلك من حُكْمِه وحِكْمَتِه، فأيُّ تشنيع في أن يُخْبِرَ عن حاله التي تختصُّ به[١]؟ وقد أعلمنا الله بها في الجملة، فهذا من ذلك التفصيل.

قالوا: «وفيها إذلالُ المرء نفسه»[٢].

قلنا: وأيُّ ذُلٍّ في أن يُحِيلَك مولاك بنعمة أعطاها لك على[٣] عبد آخَرَ أخيك بحَقٍّ[٤] هو له عنده، الذُّلُّ على المسؤول لا على السَّائل؛ فإنه خازنُك، إن أعطاك ما أُمِرَ به أُجِرَ، وإن تردَّد أو تكرَّه أَثِمَ.

قالوا: «وفيها إيذاء للمسؤول؛ لأنه إن سَمَحَ شَقَّ عليه مفارقة ماله، وإن بخل تصوَّر بصورة مذمومة»[٥].

قلنا لهم: شَقَّ الله عليهم، ولِمَ يبخلون بما آتاهم الله من فَضْلِه؟ أيحسبونه خيرًا لهم؟ بل هو شرٌّ لهم.

ورَوَوْا في ذلك حديثًا عن النبي: «مسألة الناس من الفواحش»[٦].

قلنا لهم: من أعظم الفواحش وأكبر الكبائر وأَشَدِّ الموبقات روايةُ هذا الحديث.

---

(١) في (د): تختص بها.

(٢) الإحياء: (ص١٥٦٤).

(٣) في (د) - أيضًا -: يد، وفي (ص): على يد.

(٤) في (د): يحق.

(٥) الإحياء: (ص١٥٦٤).

(٦) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: «لا أصل له»، ينظر: الإحياء: (ص١٥٦٤)، هامش رقم (١).

وأمَّا تحريمُ السؤال للغني فلا خلاف فيه في الجملة، وإن اختلفوا في تفصيله، والذي يكشف القناع أن يُصَرِّحَ بسؤاله، إلَّا أن السلطانَ يسأله الغني والفقير لحقوقهم عنده، فالسؤال اليوم ذِكْرَى، حتى إذا مُنِعَ صَبَرَ[1] وأدَّى الذي عليه، وسأل الله الذي له.

٢ [٤/أ]

وقد لَبِسَ النبيُّ ثوبًا وهو محتاج إليه؛ فسأله إيَّاه رجلٌ[2]، فأعطاه له،/ فلِيمَ على ذلك فقال: «أردتُ أن تكون[3] كفني»[4]، فهذا رجلٌ لم يسأل لغَرَضِ الحاجة، وإنَّما سأل لغرض البركة والتَّحَصُّنِ بثَوْبٍ لَبِسَه النبيُّ.

وقد ذَكَرَتِ الصوفيةُ حكايةً جرت: «أنَّ شَقِيقًا[5] قَدِمَ على إبراهيم بن أدهم من خراسان، فقال له: كيف تركت الفقراء من أصحابك؟ قال: تركتهم؛ إن أُعطوا شكروا، وإن مُنِعُوا صبروا، قال له: كذا[6] تركتُ كلاب بَلْخ، قال له شقيق: فكيف الفقراء يا أبا إسحاق عندك[7]؟ قال: الذين إن مُنعوا شكروا، وإن أُعطوا آثَرُوا، فقبَّل رأسه وقال: صدقت يا أستاذ»[8].

وكلاهما درجتان شريفتان؛ الأولى حالة العُبَّاد، والثانية حالة الزُّهَّاد.

---

(١) في (ك): صبره.

(٢) في (ص): رجل إيَّاه.

(٣) في (د): يكون.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن سهل رضي الله عنه: كتاب الجنائز، باب من استعد الكفن في زمن النبي ﷺ فلم ينكر عليه، رقم: (١٢٧٧-طوق).

(٥) في (ص): شقيقًا البلخي.

(٦) في (ص) و(د): هكذا.

(٧) سقطت من (ك) و(ص).

(٨) الإحياء: (ص١٥٧٠).

السَّابعة: إذا كان عنده ما يكفيه فلا يسأل، وأقلُّه: قُوتُ يوم، وأكثُره: مسكن، وملبس، وخادم، وقوت شهر، وبين الحالتين منازلُ اختلف الناس فيها، والصحيحُ أنَّ السؤال مع ذلك كله جائز؛ بالكشف عن الحقيقة إذا وجد مظنة رجاء، وتحقَّق بفضل(١) عطاء.

[أحاديثُ المسألة الصحيحة]:

وليس في الباب حديثٌ صحيح إلَّا اثنا عشر حديثًا:

الأوَّل: حديث قَبِيصة: «إن المسألة لا تحل إلَّا لأحد ثلاثة؛ رجل تحمَّل حَمَالَةً، فحلت له المسألة حتى يصيبها، ثم يُمْسِك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله، فحَلَّتْ له المسألة حتى يصيب قِوَامًا من عيش، ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوي الحِجَا من قومه: أصابتْ فلانًا فاقةٌ، فحلَّت له المسألة، حتى يصيب سَدَادًا من عيش، وما سوى ذلك سُحْتٌ»(٢).

[الثاني]: وقال ابن عمر: قال رسول الله: «ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس على وجهه مُزْعَةُ لحم»(٣).

[الثالث]: وعن أبي هريرة: قال رسول الله: «من سأل الناس أموالهم تَكَثُّرًا فإنما يسأل جَمْرًا، فليستكثر أو ليستقل»(٤).

---

(١) في (ك) و(ص): مفصل.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزكاة، باب من تحل له المسألة، رقم: (١٠٤٤-عبد الباقي).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس، رقم: (١٠٤٠-عبد الباقي).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس، رقم: (١٠٤١-عبد الباقي).

[الرابع]: وعن معاوية: قال رسول الله: «لا يسألني أحد منكم شيئًا فتُخْرِجُه له مسألته وأنا له[١] كَارِهٌ فيُبارَكَ له فيه»[٢].

[الخامس]: وعن أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خيرٌ له من أن يأتي رجلًا فسأله[٣]؛ أعطاه أو منعه»[٤].

[السَّادس]: وعن ثوبان: قال النبي: «من يضمن لي واحدة أضمن له الجنة؛ لا يسأل الناس شيئًا، فقال ثوبان: أنا، فكان لا يسأل أحدًا شيئًا»[٥]، وكان مَوْلَى رسول الله.

٢ [٤/ب]

[السَّابع]: وعنه:/ أنه قال ﷺ: «ليس المسكين الطوَّاف؛ الذي تَرُدُّه اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان، إنما المسكين الذي لا يجد غِنًى يُغنيه، ولا يُفطن له فيُتصدَّق عليه، ولا يسألُ الناس شيئًا»[٦].

---

(١) سقطت من (ص).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، رقم: (١٠٣٨-عبد الباقي).

(٣) في (ص) و(د): فيسأله.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزكاة، باب كراهة مسألة الناس، رقم: (١٠٤٢-عبد الباقي).

(٥) أخرجه أبو داود في السنن: كتاب الزكاة، باب كراهية المسألة، رقم: (١٦٤٣-شعيب).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ؓ: كتاب الزكاة، باب المسكين الذي لا يجد غنى، ولا يفطن له فيتصدق عليه، رقم: (١٠٣٩-عبد الباقي).

وفي أخرى: «إنَّما المسكين الذي يتعفَّف، اقرؤوا إن شئتم: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًاۗ﴾ [البقرة:٢٧٢]»(١).

[الثامن]: وقال أبو سعيد: «إن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم؛ حتى نفد ما عنده، ثم قال: ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يتصبَّر يُصَبِّرْهُ الله، وما أُعْطِيَ أحدٌ عطاء هو خير وأوسع من الصبر»(٢).

فهذه الصِّحَاحُ كلُّها في الباب.

[التاسع]: وروى الترمذي وأبو داود والنسائي عن ابن مسعود: قال النبي ﷺ: «من سأل وله ما يُغنيه جاءت خُمُوشًا أو كُدُوحًا في وجهه يوم القيامة، قيل: يا رسول الله، وما يغنيه؟ قال: خمسون درهمًا، أو حسابها من الذهب»(٣).

[العاشر]: وروى النسائي عن عمرو بن شُعَيب عنه: «من سأل وله أربعون درهمًا فهو مُلْحِفٌ»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه من رواية عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الزكاة، باب المسكين الذي لا يجد غنى، ولا يفطن له فيتصدق عليه، رقم: (١٠٣٩-عبد الباقي).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر، رقم: (١٠٥٣-عبد الباقي).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الزكاة عن رسول الله ﷺ، باب من تحل له الزكاة، رقم: (٦٥٠-بشار)، وأخرجه أبو داود في السنن: كتاب الزكاة، باب من يعطى من الصدقة، وحد الغنى، رقم: (١٦٢٦-شعيب)، وأخرجه النسائي في الكبرى: كتاب الزكاة، حَدُّ الغنى؛ ما هو؟ رقم: (٢٣٨٤-شعيب).

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى: كتاب الزكاة، من الملحف؟ رقم: (٢٣٨٦-شعيب).

[الحادي عشر]: وروى مع أبي داود عنه: «من سأل وله أُوقِيَّة فقد أَلْحَفَ»[١]، وهي: الأربعون درهمًا.

[الثاني عشر]: وروى الثلاثة عن سَمُرَةَ: قال النبيُّ ﷺ: «المسألة كُدُوح يكدح بها الرجل وجهه، فمن شاء كدح، ومن شاء ترك، إلا أن يسأل الرجل ذا سلطان، أو شيئًا لا يَجِدُ منه بُدًّا»[٢].

[فوائدُ أحاديث المسألة]:

قال الإمام الحافظ[٣] رضي الله عنه: فتَنَخَّلَ من صحيح الحديث خمسة معاني:

الأَوَّل: أن العِفَّةَ وتَرْكَ السؤال أفضل.

الثاني: أن السؤال جائز؛ حتى يَجِدَ سَدَادًا من عَوَزٍ غير مفسر.

الثالث: أن في الأحاديث الحِسان: «أن الأُوقِيَّةَ تمنع المسألة»، وذلك - والله أعلم - للواحد، فأمَّا ذو العيال فقد تَنْقُصُ عن كِسْوَتِهم ونَفَقَتِهم.

الرابع: أن المسألة تُؤَثِّرُ في جاه الرجل ومنزلته عند الله يوم القيامة.

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن: كتاب الزكاة، باب من يعطى الصدقة، وحد الغنى، رقم: (١٦٢٧-شعيب)، وأخرجه النسائي في الكبرى: كتاب الزكاة، من الملحف؟ رقم: (٢٣٨٧-شعيب).

(٢) أخرجه أبو داود في السنن عن سَمُرَةَ رضي الله عنه: كتاب الزكاة، باب ما تجوز فيه المسألة، رقم: (١٦٣٩-شعيب)، وأخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الزكاة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في النهي عن المسألة، رقم: (٦٨١-بشار)، وأخرجه النسائي في الكبرى: كتاب الزكاة، مسألة الرجل ذا سلطان، رقم: (٢٣٩١-شعيب).

(٣) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي.

الخامس: أنها إن كانت باطلة عن غير حاجة فهي جَمْرُ جهنم، فليَسْتَكْثِرْ أو ليَسْتَقِلَّ، فإن[1] كان لا يَقْدِرُ على جُزْءٍ من ذلك ولا يحتمل، فلا شَيْءَ أحسن له من العِفَّةِ، فيَكْتَسِبُ صِفَةَ «المُتَوَكِّلِ».

* * * * *

(١) في (ص) و(ك): فإنه لا.

[المُتَوَكِّلُ]: وهو الاسمُ الثاني والثلاثون

وحقيقتُه: الذي اتَّخَذَ وكيلًا.

وهو في العربية[١]: عبارةٌ عن الذي وُكِلَتْ إليه الأمور وأُلْقِيَتْ إليه المقاليد[٢].

ولم يعلم تأويله أهل اللغة، ولا تفطَّن لحقيقته رؤساؤها[٣].

٢ [٥/أ]

والذي بيده جميعُ الأمور/ وله مقاليد السماوات والأرض هو[٤] الله، فهو الوَكِيلُ حقيقةً[٥]، قال سبحانه: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء:٦٥].

وقال: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ [الإسراء:٢].

وقال تعالى مُخبِرًا عن المؤمنين ومُعَلِّمًا لهم التوحيد لرب العالمين: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣].

فإذا اتخذه العبدُ وكيلًا وتحقَّق هذا الاسم له، وسلَّمه عَقْدًا وفعلًا فهو المُتَوَكِّلُ حقيقة؛ قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٥].

---

(١) أي: الوكيل.

(٢) ينظر: الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/٤٦٢).

(٣) ينظر: كتاب الغريبين: (٦/٢٠٣١).

(٤) في (ك): وهو، وضرب على الواو في (د).

(٥) ينظر: الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/٤٦٤).

وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم:١٥].

وقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣].

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

وقال: ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف:٦٧].

وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الشعراء:٢١٦-٢١٧].

وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الفرقان:٥٨].

وقال ﷺ: «يدخلُ الجنة من أُمَّتِي سبعون ألفًا بغير حساب، وهم الذين لا يكتوون، ولا يتطيَّرون، ولا يسترقون، وعلى ربهم يتوكلون، فقام عُكَّاشَةُ بن مِحْصَنٍ فقال: ادع الله يا رسول الله أن يجعلني منهم، قال: أنت منهم، ثم قام آخر، فقال: ادع الله يا رسول الله أن يجعلني منهم، قال: سبقك بها عُكَّاشَةُ»(١).

وصحَّ عن المغيرة بن شعبة: أن رسول الله قال: «من اكتوى أو استرقى فقد بَرِئَ من التوكل»(٢).

وصحَّ عن عمر بن الخطاب: أن النبي قال: «لو توكلتم على الله حق توكله لرُزقتم كما تُرزق الطير؛ تغدو خِمَاصًا وتروح بِطَانًا»(٣).

---

(١) تقدَّم تخريجُه في السِّفرِ الأوَّل.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الطب عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كراهية الرقية، رقم: (٢٠٥٥-بشار).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب في التوكل على الله، رقم: (٢٣٤٤-بشار).

وصحَّ عنه من طريق أنس: قال: «كان أخوان على عهد النبي ؛ فكان أحدهما يأتي النبي ، والآخر يحترف ، فشكى المحترفُ أخاه إلى النبي ، فقال له النبي: ولعلك تُرْزَقُ به»[١].

وليس وراء هذه الأحاديث في الباب شيء يُعَوَّلُ عليه ، فهذه آياتُه وأحاديثُه الصِّحَاحُ التي يُعَوَّلُ عليها.

فمَدَحَ الله التَّوَكُّلَ وأَمَرَ به ، وحقيقتُه كما قدَّمنا: اتخاذُ الوكيل ، وهو الذي يَكْفِيكَ العمل ، ويُبَلِّغُكَ الأمل ، وإنَّما يكون ذلك بشرطين:

أحدهما: القدرة.

والثاني[٢]: الصدق.

فإذا عَلِمْتَ صاحبَك قادرًا على ما تُلْقِي إليه ، صادقًا فيما يَعِدُكَ به ؛ اتخذته وكيلًا ، واعتمدت عليه كَفِيلًا ، ووثقته جميلًا.

والعبدُ خُلِقَ محتاجًا ، ومولاه قادر ، وقد وَعَدَه[٣] بالرزق والكفاية ، وأَمَرَه بالطاعة والعبادة ، فإذا تحقَّق قُدْرَتَه وعَلِمَ صِدْقَه اتخذه وَكِيلًا ، ورَضِيَ به كفيلًا ، وتَوَكَّفَ منه فِعْلًا جَمِيلًا ، وعَكَفَ على بابه بخدمته وعبادته بُكْرَةً وأصيلًا.

وبهذ المعنى/ قال المؤمنون حين غلبهم الكافرون واستولى عليهم الخوفُ من جهتهم: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ ، وقيل[٤] لهم: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. [٥/ب] ٢

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ ، باب في التوكل على الله ، رقم: (٢٣٤٥-بشار).

(٢) في (ك): الثاني.

(٣) في (ك): وعد.

(٤) في (ص) و(ك): وقال.

وأخبرهم أنه يُحِبُّهم، وبالمحبة تَتَأَتَّى الآمال؛ فإنها تُزْعِجُ النفس إلى قضاء حاجة المحبوب، وبه قيل للنبي ﷺ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ﴾ الذي لا يُغْلَبُ[١]، ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾[٢] الذي عَمَّتْ رحمتُه كل شيء ووَسِعَتْ، وانتهت إلى المُوَحِّدِ والمُلْحِدِ وبلغت، فإن عَدَلَ عن هذا معه واتَّهمه ولم يَثِقْ بمَوْعُودِه؛ فجعل يطلبُ رِزْقَه من حيث لم[٣] يؤمر به، ويُضِيعُ عمله الذي أُمِر به؛ فقد نَقَضَ توحيده، وعَدِمَ تسديده.

ولذلك قال العلماء - رحمة الله عليهم -: «إن الله قال لخَلْقِه: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم:٣٨]، فوَكَلَهم في الثواب إلى العمل، وضمن لهم الرزق فقال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:٦]، وأخبر أنه مُخْتَزَنٌ في السَّماء بقوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر:٢١]، وقال: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢]، وأَقْسَمَ على ذلك بقوله: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات:٢٣]».

فقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾: إخبارٌ منه سبحانه أنه لا يعطيه إلَّا على سعيه، وهو مُعْطِي الشيء[٤] في أصله، وواهبُ الإرادة في وصفه، والهادي إليه، والمتفضل به، والمُجازي عليه.

---

(١) قوله: «الذي لا يغلب» سقط من (ص)، وضرب عليه في (د).

(٢) [الشعراء:٢١٦].

(٣) في (ك): لم.

(٤) في (ك) و(د) و(ص): السعي، ومرَّضها في (د)، والمثبت صحَّحه بطرته.

[أقسامُ السَّاعين]:

والسَّاعُونَ سبعةُ أقسام:

الأوَّل: ساعٍ[١] للدنيا؛ فذلك الذي خَسِرَتْ صفقته[٢].

والثاني[٣]: سَاعٍ للآخرة؛ فذلك الذي شُكِرَ سَعْيُه، قال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً﴾ [الإسراء:١٨ - ١٩].

والثالث[٤]: سَاعٍ في تعجيل الجنة؛ فذلك الذي ربحت صفقته[٥].

الرابع: ساعٍ في قهر نفسه؛ وذلك الواصل إلى رضوان الله[٦].

الخامس: ساعٍ إلى الإرادة؛ وذلك الذي يتولَّى الله عونه[٧].

السَّادس: مُذْنِبٌ ساعٍ إلى التوبة؛ فذلك الذي يرجو القبول والمغفرة[٨].

السَّابع: ساعٍ إلى الله في كل نَفَس، فهو غير مطرود عن الله ولا مُحْتَبَس[٩].

---

(١) في (ك): ساعي.

(٢) لطائف الإشارات: (٤٨٩/٣).

(٣) في (ص) و(ك): الثاني.

(٤) في (د): الثالث.

(٥) لطائف الإشارات: (٤٨٩/٣).

(٦) لطائف الإشارات: (٤٨٩/٣).

(٧) لطائف الإشارات: (٤٨٩/٣).

(٨) لطائف الإشارات: (٤٨٩/٣).

(٨) لطائف الإشارات: (٤٨٩/٣).

[قولُه تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾]

٢ قال علماؤنا: «ما قال الله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]/ إلَّا ليُرِيحَ القلوب عن تَعَبِ[1] التقسيم والافتكار، ومجانبة الازدحام في طلب الرزق»[2]. [٦/أ]

وقد قال النبيُّ ﷺ: «إذا أُحِيلَ أحدُكم على مليءٍ فليَتْبَعْ»[3]، وقد أحالكم على نفسه، فمَنِ الجاهلُ الذي يجعل إلى سواه ثِقَةَ قلبه وأُنْسَ نفسه؟

قال المُحَقِّقُونَ: «وإذا كان الرِّزْقُ على الله فمن المحال طَلَبُه من غير الله، ثم إن الرزق الذي أحال عليه وأخبر أنه ضَمِنَه في السماء؛ وما كان في السماء لا يوجد في السوق، ولا في الطواف في المشرق والمغرب، ومن الحق على كل مؤمن أن يطلبه في مظانه، وأن يستخرجه من أماكنه ومكامنه، وإذا كان في السماء فلا يُنزله إلَّا الذي يرقى إلى[4] السماء؛ وهو الكَلِمُ الطَّيِّبُ والعمل الصالح»[5].

نكتة:

قال علماؤنا: «لمَّا ضَمِنَ الله الرزق وأخبر أنه في السماء لم يُعْلِمْ بمقداره، ولا قال للناس: لكم ما يكفيكم، ولكم ما تشتهيه نفوسكم، بل

---

(١) في (ص) و(ك) و(د): طلب، وضبَّب عليها في (د)، والمثبت صحَّحه بطرته.

(٢) لطائف الإشارات: (١٢٣/٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب المساقاة، باب تحريم مَطْلِ الغني، رقم: (١٥٦٤-عبد الباقي).

(٤) كأنه ضرب عليها في (د).

(٥) يقارن بما في لطائف الإشارات: (٤٦٥/٣).

تركه موكولًا إلى مشيئته، فمن شاء وسَّع رزقه، ومن شاء قتَره، ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف:٣١]، فلمَّا سمع المؤمنون ذلك أيقنوا بالعلم، واطمأنت نفوسهم بالحق؛ فسلَّموا للمولى حُكْمَه في عبيده، فالأغنياءُ سكنوا إلى المعيشة، وعكفوا على ما بأيديهم من المال، والفقراء قنعوا بقوله: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾، فلم يتجاوزوه، وقالوا: أنت تكفينا أنت، حُكْمُك فينا ماض، وكلنا بك راض، وليس منَّا لما عندك من مُتَقَاضٍ»[١].

وقد بيَّن النبيُّ ذلك للأنصار حين عزَّ عليهم إعطاءُ النبي من الغنائم لسواهم وتركهم، وقالوا: «إذا كان الفَزَعُ دُعِينَا، فإذا كان العطاء نُسِينَا، فجمعهم النبي في قبة من أَدَمٍ، ثم قال: ما حديثٌ بلغني عنكم؟ فصَدَقُوه، فقال: أما ترضون أن يرجع الناس بالشاء والنَّعَم[٢] وترجعون برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذي نفسي بيده لمَا تنقلبون به خيرٌ مما ينقلبون به، فقالوا: رضينا، رضينا»[٣].

وبيَّن الحكمة في ذلك فقال: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان:٢٠]؛ استفهامٌ في معنى الأمر عند بعضهم[٤]، وحقيقتُه[٥] التثبيت.

---

(١) يقارن بما في لطائف الإشارات: (٣/٣٦٦-٣٦٧).

(٢) في (ص): البعير.

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) لطائف الإشارات: (٢/٦٣١).

(٥) في (ك): حقيقة.

٢
[٦/ب]

معناه: إن رَضِيتُمْ فُزْتُمْ،/ وإن اعترضتم لم تبلغوا آمَالَكم وهَلَكْتُمْ.

[قولُه تعالى: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ﴾]

وأمَّا قوله: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ﴾؛ ففيه سبعة أقوال(١):

الأوَّل: في السَّحاب.

الثاني: قسمة رزقكم، يعني: مكتوبًا.

الثالث: من جُعِلَ ذلك إليه من الملائكة.

[الرابع]: وقيل: ما توعدون ابتداءً، المعنى: آت.

[الخامس]: وقيل: الخير والشر.

[السَّادس]: وقيل: الخير خاصة، وقيل: الشر خاصة.

[السَّابع]: وقيل: الجنة، وقيل: الجنة والنار.

فهذه سبعة أقوال كلها صحيح، إلَّا النار؛ فليست في السماء، وإنَّما هي في الهاوية، وإنَّما هو شيء تُقُوِّلَ على الضحَّاك(٢)، وهو رأي الفلاسفة، ولا قول أفسد منه.

والخَيْرُ في السماء(٣)، والشَّرُّ في السماء(٤)، والجَنَّةُ في السماء

---

(١) تنظر هذه الأقوال في: الكشف والبيان: (٩/١١٤-١١٥)، ولطائف الإشارات: (٣/٤٦٤-٤٦٥).

(٢) ينظر: تفسير الطبري: (٢١/٥٢٢-التركي).

(٣) قوله: «في السماء» سقط من (ك).

(٤) بعده في (ك) و(د): «لأن الملك ينزل بهما على العبد، وليس الشر منا ولا الخير منا مفعولين في السماء»، وضرب عليها في (د).

موجودةٌ ذاتًا؛ هي فوق السماوات، وفوقها عَرْشُ الرحمن، كما تقدَّم في الحديث الصحيح[١].

وسَمِعَ بعضُ العرب هذه الآية فقال: «من اللئيم الذي أَحْوَجَ الكريم إلى اليمين؟»[٢].

[نكتة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾]

وقد أَقْسَمَ الباري أنه حَقٌّ كما تنطقون، وخَصَّ النطق لأنَّ به طلبوه، وبه أنكروه، ولأنَّ النطق لا يتشكَّل في المِرْآةِ؛ لأن كلام الإنسان لا يتكلَّم به غيرُه، فكذلك رِزْقُه لا يأكلُه غيرُه[٣]، ولأنه لا تدخله استحالة.

وقيل: لأنه الخصِّيصة للإنسان من سائر الحيوان.

فيَنْزِلُ الرزقُ - من السماء - الهُدَى على قلوب الأولياء، وتنزل الطاعة على جوارح الأولياء، وينزل الصدق على ألسنة الأصفياء، وينزل النُّورُ على الصُّدُورِ، وينزل القوت[٤] على المتوكلين، وتُصَبُّ الدنيا على المفتونين، وينزل الحرمان على أهل الحرص، وينزل الفقر على الخاصَّة، وينزل الحرام على المطرودين، وينزل الكفر والجحود على الظالمين، وينزل المَكْرُ على المغترين، وينزل الذُّلُّ على المتكبرين، وينزل العِزُّ على المتواضعين، وهكذا إلى آخر صفات الآدَمِيِّينَ؛ قضاءٌ محتومٌ، ورِزْقٌ مقسومٌ.

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) الكشف والبيان: (٩/١١٥).
(٣) لطائف الإشارات: (٣/٤٦٥).
(٤) في (ك): القرب.

[مؤانسةُ رسول الله بالتوكُّل حين تعرضه لأذى المشركين]:

وقد آنَسَ الله رَسُولَه[١] بالتَّوَكُّلِ عن مَذَلَّةِ المشركين؛ حين طرحوا عليه النَّجَاسَةَ وهو سَاجِدٌ، وخَنَقُوهُ بثَوْبِهِ حتى كاد يَمُوتُ، بقوله له: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾[٢]، أي: أنت[٣]، أنت[٤] عبده، فليست هذه مَذَلَّةً؛ لأنها تحت قدرة الإزالة.

وإذا سَكَتَ القادرُ على السَّبِّ عن الجواب[٥] فهو جَوَابٌ في عِزٍّ، وإذا[٦] عفا عن الانتصار مع القدرة فهو غاية الجاه والتَّمَكُّنِ[٧].

٢ [٧/أ]

ثم قال: ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾، معناه: أنه ما مَكَّنَ منك/ إلَّا رَحْمَةً لك، ورحمةُ الله تُدْرَكُ بالإذاية أكثر من العناية؛ لحكمة بالغة ليست من هذه العلوم الأربعة[٨].

---

(١) بعده في (ك) و(ص): «التأنيس من المذلة»، وضرب عليه في (د).

(٢) في النسخ: وتوكل.

(٣) قوله: «الرحيم، أي: أنت» سقط من (ك) و(ص).

(٤) في (ك) و(ص): وأنت.

(٥) في (ك): عن الجواب على السب، وفي (د) و(ص): على الجواب على السب، ومرَّضها في (ص)، والمثبت صحَّحه بطرته.

(٦) سقط من (ك) و(ص).

(٧) في (د): التمكين.

(٨) القَصْدُ هنا بالعلوم الأربعة حسب تقسيم الإمام ابن العربي -وهي على الوِلاء-: التوحيد، والناسخ والمنسوخ، والأحكام، والتذكير، فلعله يُلِيحُ إلى قسم آخر من علوم القرآن؛ وهو علم السياسة الشرعية، والله أعلم.

ثم قال: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الشعراء:٢١٧]، هو رَأْيُ الإذاية، ورَأْيُ الانتصاب للعبادة.

ثم قال: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء:٢١٨]، وهي غاية الطاعة، وأَقْرَبُ ما يكون العَبْدُ من رَبِّه في سجوده.

وقيل: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾، أي: بتقلبك[1] في أصلاب المُوَحِّدِينَ الطَّاهرين؛ من الأنبياء[2] والمرسلين[3].

المعنى: فَثِقْ به في العصمة، واعلم أنك في جنَّاتك بين بَلَاءٍ ونعمة في[4] رحمة[5].

حالُ التفويض:

ثم قال له[6]: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]، معناه: فَوِّضِ الأمور إليَّ، وهو التَّخَلِّي عن التَّعَلُّقِ بالأسباب، كما تقدَّم من قول النبي للرجل: «قل: أسلمتُ لله وتخلَّيت»[7]، وهي غاية الإيمان والتوحيد، وهو[8]:

---

(١) في (د): تقلبك.

(٢) في (د): الأنبياء والمؤمنين.

(٣) لطائف الإشارات: (٣/٢١).

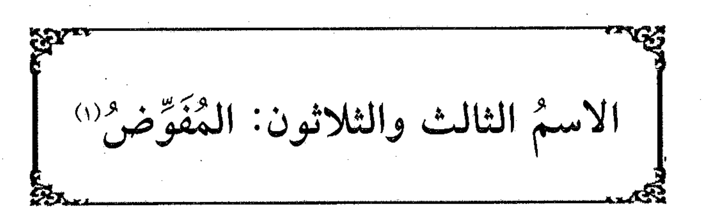
(٤) قوله: «الطاهرين؛ من الأنبياء والمرسلين، المعنى: فثق به في العصمة، واعلم أنك في جناتك بين بلاء ونعمة في» سقط من (ص).

(٥) في (ك) و(د): في حالتك من بلاء ونعماء في رحمة، ومرَّضها في (د)، والمثبت صحَّحه بطرته.

(٦) سقط من (ك).

(٧) سبق تخريجه.

(٨) في (ص): المفوض، وهو، وسقط من (ك).



الاسمُ الثالث والثلاثون: المُفَوِّضُ[(١)]

أخبرني الطُّيُورِي وابنُ الأكفاني: عن الشيخ الصالح ابن سِكِّينَة[(٢)] عن بكر بن شاذان الواعظ عن جعفر بن محمد بن نُصَير[(٣)] عن محمد بن الحسن بن بكر الشيباني: نا محمد بن إسماعيل بن الحباب[(٤)] الحِمْيري[(٥)] عن أبيه[(٦)]: «فذكر محنة الشافعي، وأنه حُمِلَ إلى الرشيد مُقَيَّدًا، وأُحْضِرَ بين يديه، وأُجْلِسَ له بِشْرٌ المَرِيسِي، فسأله عن التوحيد فقال: لا تَتَّهِمْه ولا تَتَوَهَّمْه[(٧)]، فأُبْهِتَ بِشْرٌ».

---

(١) سقط من (ك).

(٢) في (ص): سُكَينة، وكذلك هي في فهرس ابن خير: (ص٣٧٥-بشار)، وهو تصحيف، وصوابه ما أثبت، وكذلك وَرَدَ في توضيح المشتبه: (١٢٨/٥)، وابن سِكِّينَة توفي عام ٤٦٩هـ، ترجمتُه في: سير النبلاء: (٣٤٦/١٨).

(٣) في فهرسة ابن خير (ص٣٧٥-بشار): نَصْر، وهو تصحيف، صوابه ما أثبت، وجعفر بن نُصَير هو الخُلْدِي تـ ٣٤٨هـ، ترجمتُه في تاريخ بغداد: (١٤٥/٨-١٥٢).

(٤) في فهرس ابن خير: الجبَّاب، وهو تصحيف، صوابه ما أثبت.

(٥) في فهرس ابن خير (٣٧٥-بشار): الحُمَيدي، وهو تصحيف، وورد كما أثبته في الجواهر والدرر: (١٢٥٩/٣).

(٦) هذا إسناد ابنُ العربي إلى كتاب «محنة الشافعي» لإسماعيل بن الحباب الحِمْيَرِي، يرويه عنه ابنُ خير في فهرسته (ص٣٧٥).

(٧) في (ك) و(ص): ألَّا تتوهمه، ولا تتهمه.

ولله دَرُّه[١]، فلقد جَمَعَ العِلْمَ بالله في كَلِمَتَيْنِ.

[حقيقةُ التفويض]:

وبناءُ «ف و ض» في العربية للإرسال من الضبط وحَلِّ الرَّبْطِ.

فإذا حَلَّ العبدُ نفسه عن رباط الأسباب وتعلَّق بمُسَبِّبِها فهو المُفَوِّضُ، وهو غاية التوكل، قال تعالى مُخْبِرًا عن العبد الصالح: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر:٤٤].

ومن عَلِمَ أن الحادثات كلها حاصلة من الله، ولا يقدر على الإيجاد أحدٌ إلا هو، فإذا[٢] عَرَفَ هذا الأصل وتَحَقَّقَ هذا المعنى تبيَّن له أن مراده لا يحصل له إلَّا من قِبَلِ الخالق المُوَحَّدِ، وهو الله وحده، وهذا فَرْضٌ على كل أَحَدٍ عِلْمُه، وهو شرط الإيمان[٣]، ومن لم يعتقده كافر بالله، وهو معنى قوله سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٥].

[درجاتُ التفويض]:

٢ وما زاد على هذا القَدْرِ فهي درجات، حتى ينتهي إلى التخلي؛ فيَسْكُنُ قَلْبٌ لهذا الاعتقاد، وينزعج آخَرُ، والناسُ/ في السُّكُونِ والانزعاج على درجات، ولكل دَرَجَةٍ من هذه الأقسام اسمٌ؛ من حيث الاشتقاق تارة، ومن حيث الاصطلاح أخرى[٤]، أُمَّهاتُها سِتٌّ: [٧/ب]

---

(١) في (ص): در الشافعي.

(٢) في (ك): إذا.

(٣) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٦٤٣).

(٤) لطائف الإشارات: (٢/٦٤٣).

الدَّرَجَةُ الأولى: أن يكتفي المَرْءُ بما في يده[١]، فلا يطلب زيادة عليه؛ فيريح نفسه من تعلق الآمال، وبدنه من كَدِّ الطلب، واسم هذه الحالة القناعة[٢]، واسم المتلبس بها «القانع»، وهو من «الأسماء»، ووَرَدَ هذا اللفظ في الأحاديث الحِسَانِ، وليس له في الصحيح مورد، إلا أنه ثبت وصحَّ عن عبد الله بن عمر: أن رسول الله قال: «قد أفلح من أسلم وكان رِزْقُه كِفَافًا وقَنَّعَهُ الله»[٣]، خرَّجه الترمذي وغيره.

وعن فَضالة بن عُبَيد نحوُه، وفيه: «وقَنَعَ»[٤]، وصحَّحه أيضًا.

الدرجة الثانية: أن يَسْكُنَ قلبُه إذا عَدِمَ الأسباب، فيكون مُتَوَكِّلًا بإرادته، واثقًا بوعده[٥].

الدرجة الثالثة: أن يطلب معاشه ويكون ساكن القلب، رابط الجأش، واثقًا بالوعد، وهو «المُتَوَكِّلُ»[٦]؛ كما قال النبيُّ: «لو توكَّلتم على الله حق توكله لرُزقتم[٧] كما تُرزَق الطير؛ تغدو خِمَاصًا، وتروح بِطَانًا»[٨]، فحَقِّقِ التوكل مع الغُدُوِّ في طلب الرزق والرواح.

---

(١) في (د) - أيضًا -: يديه.

(٢) لطائف الإشارات: (٢/٦٤٣).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه عن عبد الله بن عمرو ﷺ: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه، رقم: (٢٣٤٨-بشار).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاءفي الكفاف والصبر عليه، رقم: (٢٣٤٩-بشار).

(٥) لطائف الإشارات: (٢/٦٤٤).

(٦) لطائف الإشارات: (٢/٦٤٤).

(٧) في (ك) و(د): لرزقكم، وضعَّفها في (د).

(٨) تقدَّم تخريجه.

الدرجة الرابعة[١]: أن يُغْلِقَ على نفسه باب البيت، ويفتح بينه وبين الله باب السماء بالذِّكْرِ والعبادة، فذلك هو آخِرُ التفويض، وعليه كانت مريم - رضوانُ الله عليها وصلاتُه - .

وقد كان بعضُ الصالحين قيل له: «أرأيت لو أغلقتَ على نفسك باب بيتك؛ أكان الرزقُ يأتيك؟ قال: نعم، ولا بدَّ، ويدخل عليَّ[٢] من كُوَّةٍ في أعلاه، قيل له: فجَرِّبْ، قال: قد جرَّبته تسعة أشهر»[٣].

والتجربةُ بإجماع العلماء تَثْبُتُ بثلاث مرَّات.

الدرجة الخامسة: إن[٤] فَعَلَ ذلك فحُرِمَ؛ أن يستوي عنده المَنْعُ والعَطَاءُ[٥]، وصاحبُ هذه الدرجة يُسَمَّى «الراضي»[٦].

* * * * *

---

(١) ينظر: الإحياء: (ص١٦٢٨).

(٢) في (ك) و(د): عليك.

(٣) ينظر: القبس: (٣/١١١٩).

(٤) في (د): إذا، وما أثبتناه أشار إليه.

(٥) في (ك) و(د) و(ص): مع العطاء، ومرَّضها في (د)، والمُثبت صحَّحه بطرته.

(٦) لطائف الإشارات: (٢/٦٤٤).

الرَّاضِي[١]: وهو الاسمُ الرابع والثلاثون

وإذا وَجَدَ العبدُ بَرْدَ الرِّضَى فقد تعجَّل رضى الله في الدنيا، وذلك الذي أيَّده الله برُوحٍ منه، يُؤَيَّدُ[٢] بعَقْدٍ خالص وحالة حسنة، وليس بعد هذا مَنْزِلٌ يرتقي إليه في الدنيا، إلَّا أن علماء الصوفية[٣] يزعمون أن هنالك **درجة سادسة**، وهي:

٢ [٨/أ]

«استيلاءُ/ سلطان الحقيقة بما يأخذُ العبدَ عن جملته بالكُلِّيَّةِ، فتكون العبارة عن هذه الحالة الخمود والاستهلاك والفناء»[٤].

[نَقْدُ القُشَيري في قوله باستيلاء سلطان الحقيقة على العبد وذهوله بها]:

قال الإمام الحافظ رضي الله عنه: وهذا لا يُتصوَّر عندنا في الآدَمِيَّةِ، ولا في الحياة الدنيوية، وإنَّما العبارات المعتادة المألوفة الممكنة هي أن يكون العبدُ كالطفل في المَهْدِ، لا شيء[٥] من قِبَله إلَّا[٦] أن يُرْضِعَه من هو في

---

(١) سقط من (د) و(ص) و(ك).

(٢) في (ك) و(د) و(ب): يريد.

(٣) هو قول أبي القاسم القُشَيري.

(٤) لطائف الإشارات: (٢/٦٤٤).

(٥) في (د): ينشأ.

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): إلى.

حضانته[١]؛ فتزول نفسه عن الاستشراف، ويَفْرُغُ قلبُه عن تعب الانتظار، وإذا جرت المقادير عليه سَكَنَ.

وقد قالوا: «إذا وَثِقَ القلبُ بمجاري القِسْمَةِ لم يضرَّه الكَسْبُ، ولا قَدَحَ في تَوَكُّلِهِ»[٢].

وقد قالوا: «إنَّ المتوكلين العوام إذا أُعْطُوا شكروا، وإذا مُنِعُوا صبروا»[٣]، وقد تقدَّم ذَمُّ[٤] ذلك[٥]، «والخواص الذين إذا أُعْطُوا آثَرُوا، وإذا مُنِعُوا شكروا»[٦]، وقد تقدَّم مَدْحُه[٧].

ومن فَضْلِ الله أنه يَجُودُ على العبد تارةً بتيسير الأسباب من حيث لا يحتسب ولا يكتسب، ويَجُودُ على الأولياء من غير طَلَبٍ[٨].

التَّوَكُّلُ في الأسباب الأخروية:

ومن حكمة الله أنه جعل التوكل في الأسباب الدنيوية إلى حَدٍّ[٩]، فأمَّا التوكل على الله في إصلاح أمور الآخرة فهو غامض على الأكثر، خَفِيٌّ على الأعظم.

---

(١) لطائف الإشارات: (٢/٦٤٥).
(٢) لطائف الإشارات: (٢/٦٤٥).
(٣) لطائف الإشارات: (٢/٦٤٥).
(٤) ضبَّب عليها في (د).
(٥) تقدَّم ذلك في اسم «الزاهد».
(٦) لطائف الإشارات: (٢/٦٤٥).
(٧) تقدَّم ذلك في اسم «الزاهد».
(٨) لطائف الإشارات: (٢/٦٤٦).
(٩) لطائف الإشارات: (٢/٦٤٦).

فمن «فوائد أبي سَعْدٍ[١] الشهيد[٢]» في شأن التوكل: «أمَّا الأسباب الدنيوية فالواجبُ أن يكون السُّكُونُ عند طلبها غالبًا، والحركة ضرورية، وأمَّا في أمر الآخرة وما يتعلَّق بالطاعات فالواجبُ البِدَار والجِد، والانكماش والخروج عن أوطان الكسل، وترك الجُنوح إلى الفشل، والذي يتصف بالتَّوَانِي في العبادات، ويتباكى في تلافي ما ضيَّعه من إرضاء الخصوم، والقيام بحق الواجبات، ثم يعتقد في نفسه أنه يَتَوَكَّلُ على الله في أن يعفو عنه فهو مُتَمَنٍّ[٣] معلول الحال، مَمْكُورٌ مُستدرَج، بل الواجب أن يبذل جهده ويستفرغ وُسْعَه، ثم لا يعتمد على طاعته، بل يبرأُ لله من حوله وقوَّته، ويُعَوِّلُ بعد الاجتهاد في العمل على رحمته، ولا يخلو لحظة عن[٤] مخافته، وهم الذين وصفهم الله بقوله: ﴿نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَامِلِينَ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت:٥٨ - ٥٩].

[٨/ب] يعني: صبروا/ على العمل، ودأبوا في الطاعة، وتوكَّلوا بعد ذلك كله[٥] على الله في القبول»[٦].

نَعَم؛

---

(١) في (ك) و(ص): سعيد.

(٢) سبق التعريف به في السفر الثاني.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): مُتَمَنِّي.

(٤) في (ك): عين.

(٥) سقط من (ك) و(ص).

(٦) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٦٤٦).

المُتَمَنِّي: وهو الاسمُ الخامس والثلاثون

قد يُحْمَدُ[١] في تعلق البال بصالح الأعمال، وأَكْرَمُ[٢] الأسباب في نَيْلِ الآمال، وقد حصرتُ منها وُجُوهًا أُصُولًا لغيرها، وهي أحد عشر:

[ما يُحْمَدُ من التمني]:

الأوَّل: تَمَنِّي الشهادة في سبيل الله؛ ما لم يعارضها تَفْوِيتُ فَضْلٍ آخر بها[٣]، لقول عمر: «اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، ووفاة ببلد رسولك»[٤]، فكان يخاف من فوات الموت بدار[٥] الهجرة؛ لقول النبي ﷺ: «ولكن البائس سعد بن خولة، يَرْثِي له رسولُ الله أن مات بمكّة»[٦].

---

(١) في (ك): نحمد.

(٢) في (ك): إكرام.

(٣) في (ك): آخرتها.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل المدينة، بابٌ، رقم: (١٨٩٠- طوق).

(٥) قوله: «الموت بدار» سقط من (ك) و(ص).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، رقم: (١٦٢٨- عبد الباقي).

قال النبيُّ ﷺ: «وددت أني أُقتَل في سبيل الله ثم أُحيى، ثم أُقتَل ثم أُحيى، ثم أُقتَل ثم أُحيى، ثم أُقتَل[1]؛ ثلاثًا، يقول أبو هريرة: أشهد لله، ثلاثًا[2]»[3].

الثاني: تَمَنِّي الموت لفساد الدين.

الثالث: تَمَنِّي الاستدراك لما فات، كقول النبي: «لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ ما سُقْتُ الهَدْيَ، ولجعلتها عُمْرَةً»[4]؛ لما رأى في أصحابه من مَشَقَّتِهم في خروجه عنهم بأن يكون وحده في حَجَّتِه قارنًا بين الحجة[5] والعمرة، وقد أمرهم بفَسْخ الحج، وأن يكون كلهم متمتعًا إلا آحَادًا، منهم: علي[6]، وأبو موسى؛ لعِلَلٍ بيَّنَّاها في «شرح الحديث».

الرابع[7]: تَمَنِّي الخير المستقبل، منه قَوْلُ النبي: «لا حسد إلَّا في اثنتين؛ رجل آتاه الله مالًا فهو ينفقه آناء الليل والنهار، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويُعَلِّمُها»[8].

---

(١) قوله: «ثم أحيا ثم أقتل» سقط من (ك) و(ص).

(٢) في (ك) و(ص) و(د) و(ب): ويليها، ومرضها في (د).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التمني، باب ما جاء في التمني، ومن تَمَنَّى الشهادة، رقم: (٧٢٢٧-طوق).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كتاب التمني، باب قول النبي ﷺ: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت»، رقم: (٧٢٢٩-طوق).

(٥) في (د) و(ب): الحج.

(٦) في صحيح الجُعْفِي: «وجاء عَلِيٌّ من اليمن معه الهدي، فقال: أهللت بما أَهَلَّ به رسول الله ﷺ»، أخرجه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: كتاب التمني، باب قول النبي ﷺ: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت»، رقم: (٧٢٣٠-طوق).

(٧) في (د): والرابع.

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب التمني، باب تمني القرآن والعلم، رقم: (٧٢٣٢-طوق).

ونَحْوٌ منه قَوْلُه: «لو كان عندي أُحُدٌ ذَهَبًا لأحببتُ أن لا يَمُرَّ[١] عليَّ ثالث[٢] وعندي منه درهم، ليس شيء أرصده في دَيْنٍ عليَّ أجدُ من يَقْبَلُه»[٣]، وفيه تَمَنِّي زوال الدنيا إذا خاف مُنتزعًا.

الخامس: تَمَنِّي العصمة من الآفات الدنيوية بالأسباب، قالت عائشة: «أَرِقَ النبيُّ ليلة فقال: ليت رجلًا صالحًا[٤] من أصحابي يحرسني الليلة، إذ سمعنا صَوْتَ السلاح، قال النبي: من هذا؟ قال: سعد، جئت لأحرسك، فنام النبي حتى سمعتُ غَطِيطَه»[٥].

السَّادس: تَمَنِّي الاستكثار من الأعمال الصالحة والصبر عليها، قال النبي: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة ووضوء»[٦]، وقال: «لولا أن أشق على أمتي لأخَّرت العشاء إلى نصف الليل»[٧]. /

٢ [٩/أ]

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): تمر.

(٢) في (د) و(ص) و(ب): ثالثة.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﵁: كتاب التمني، باب تمني الخير، رقم: (٧٢٢٨-طوق).

(٤) سقطت من (ص)، وضبَّب عليها في (د).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة ﵂: كتاب التمني، باب قوله ﷺ: «ليت كذا وكذا»، رقم: (٧٢٣١-طوق).

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة ﵁: أبواب الطهارة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في السواك، رقم: (٢٢-بشار).

(٧) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة ﵁: أبواب الصلاة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في تأخير العشاء الآخرة، رقم: (١٦٧-بشار).

السَّابع: تَمَنِّي العمل الحسن إذا حالت دونه تَقِيَّةٌ، كقول النبي: «لولا حِدْثَانُ عهد قومك بالكُفْرِ[١] لهدمتُ البيت، ورَدَدْتُه على قواعد إبراهيم»[٢].

الثامن: أنه يجوز للمرء أن يتمنَّى من الخير في العمل الصالح[٣] أكثر ممَّا هو فيه، لقول النبي ﷺ: «لولا الهجرة لكنتُ امرَأً من الأنصار»[٤].

التاسع: تَمَنِّي الانتقام ممَّن يتعمَّق في الدين، ويزيد على الهَدْي العام المستقيم؛ لأن النبي ﷺ وَاصَلَ آخِرَ الشهر وواصل نَاسٌ، فبلغ النبيَّ فقال: «لو مُدَّ الشهر لواصلت وِصَالًا يدع المتعمقون تعمقهم، إني لست مثلكم، إني أَبِيتُ يُطعمني ربي ويسقيني[٥]»[٦].

العاشر: تَمَنِّي الزيادة في العلم، قال النبي ﷺ: «يرحم الله موسى، وَدِدْنا لو صَبَرَ حتى يَقُصَّ الله علينا من أمرهما»[٧].

الحادي عشر: تَمَنِّي الموت قبل الهَرَمِ، كان النبي يستعيذُ أن يُرَدَّ إلى أرذل العُمُر[٨].

---

(١) في (ب): عهدك بالكفر.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة ﵂: كتاب التمني، باب ما يجوز من اللَّوْ، رقم: (٧٢٤٣-طوق).

(٣) مرَّضها في (د).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﵁: كتاب التمني، باب ما يجوز من اللَّوْ، رقم: (٧٢٤٤-طوق).

(٥) في (ك) و(ب): يسقين.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس ﵁: كتاب التمني، باب ما يجوز من اللَّوْ، رقم: (٧٢٤١-طوق).

(٧) سبق تخريجه.

(٨) تقدَّم تخريجه.

قال الإمام الحافظ[١] رضي الله عنه: فهذه أصول التَّمَنِّي، وعليه تتركَّب فُرُوعُه، وهي كثيرة؛ ولكن اللبيب يحمل على كل أُمٍّ منها بِنْتَها، ويَرُدُّ إلى كل أصل منها فَرْعَه.

بيانُ مسايرة التوكل مع الأسباب:

وإذ قد تبيَّن أن التوكل لا ينافي مباشرة الأسباب؛ إذا تَحَقَّقَ العبدُ أنه مدفوع إليها بنوع من المقدار، وأنها مُسَخَّرَةٌ له بحِكْمَةٍ من التقدير، وأنَّ مُياسرَتها ومباشرتها لا ينافي[٢] حقيقة التوكل ولا حقَّه، فإنها خمسة أنواع:

النَّوع الأوَّل: ألَّا يَتَكَلَّفَ عَمَلَ طعام ولا كَسْبَه، وإنما يثق بالفُتُوح، فقد بيَّنَّا فيما تقدَّم[٣] أنَّ هذا يَعْسُرُ في هذه البلاد[٤]، وأنَّ[٥] أهلها على درجة عظيمة من دناءة الهمة، ووفور الخسة، وأمَّا تلك البلاد التي شاهدنا؛ فإن عُلِمَ ذلك من العبد تقاطرت عليه الأرزاقُ حتَّى لا يَعْلَمَ من أين يأخذُها.

النوع الثاني[٦]: أن يخرج بغير زاد؛ إمَّا للسياحة، وإمَّا في الإرادة، وإمَّا لعبادة؛ من حج، أو صلة رَحِمٍ، أو صديق، أو عَدُوٍّ، ونحو ذلك، وقد قال الله: ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ [البقرة:١٩٦]، وقد قدَّمنا الكلام عليه في اسم «الحاج»[٧]، وهو أَمْرٌ بالعموم للعموم والمصلحة[٨].

---

(١) في (ب): قال الإمام.
(٢) في (ك): تنافي.
(٣) في القسم الأول من الكتاب، مقام الحياة الدنيا.
(٤) أي: الأندلس.
(٥) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).
(٦) ينظر: الإحياء: (ص١٦٢٧).
(٧) في السفر الثاني.
(٨) في (ك): للمصلحة.

[خروجُ الخضر مع موسى - عليهما السَّلام - بغير زاد]:

وعلى هذا ينبني خروج الخَضِرِ مع موسى بغير زَادٍ[١]، حتى ﴿أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ إِسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ [الكهف:٧٦].

[٩/ب] وقد قيل: «إنَّما استطعما لأن الطعام كان فَرْضًا عليهم/ في شَرْعِهم»[٢].

وقيل: «لأن السؤال عند الحاجة جائز».

وقيل: «لأنه فَنِيَ الزاد».

وقيل: «لأنهما[٣] لم يَجِدَا ما يبتاعان، فبَاتَا جائعيْن، فلمَّا قام الخَضِرُ لإقامة الجدار قال له[٤]: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾، إن كُنْتَ لا تبتغيه لأجلك فَابْغِهِ لأجلنا»[٥].

ومن الفوائد: «أن موسى في هذا السَّفَرِ كان سَفَرَ تأديب، فرُدَّ إلى تحمل المشقة، وحين آوى إلى ظل الصخرة وقال: ﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:٢٤] ولم يطلب شيئًا كان محمولًا في تلك السَّفْرَةِ، وفي هذه[٦] مُتَحَمِّلًا»[٧].

---

(١) في (ك) و(ص): بغير زاد مع موسى.

(٢) لطائف الإشارات: (٢/٤١١).

(٣) في (ك) و(ص): لأنه.

(٤) ضبَّب عليها في (د)، ولم ترد في (ب).

(٥) لطائف الإشارات: (٢/٤١١).

(٦) في (د): هذا.

(٧) لطائف الإشارات: (٢/٤١١).

قال أهلُ الباطن في القرآن: «لمَّا كان موسى في المخاطبة مع الخضر في أمر السفينة وأمر الغلام مُحْتَسِبًا لغيره لم يفارقه الخضر، ولمَّا تكلم في حَظِّ نفسه في الثالثة فَارَقَهُ»[١].

قال الإمام الحافظ[٢] رضي الله عنه: هذا تَكَلُّفٌ، بل قال النبي ﷺ: «كانت الأولى من موسى نسيانًا»[٣]، وكانت الثانية شَرْطًا، وأمَّا الثالثة فهي وفاءٌ بالشرط.

«وكان موسى يُحِبُّ صُحْبَةَ الخضر للاستزادة في العلم، وكان الخَضِرُ يريد مفارقته للانفراد بالله»[٤].

وقد قال النبي ﷺ: «يرحم الله موسى، وددنا لو صبر حتى يقصَّ الله علينا من شأنهما»[٥].

وقد خرج النبيُّ إلى الطائف فرارًا[٦] عن[٧] مكة من قريش بغير زاد، وهاجر إلى المدينة بسُفْرَةٍ[٨]، وكان يخرج قبل المبعث إلى حِرَاء للخَلْوَة والتعبد بزَادِهِ.

---

(١) لطائف الإشارات: (٢/٤١١).

(٢) في (ب): قال الإمام.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأيمان والنذور، باب إذا حنث ناسيًا في الأيمان، رقم: (٦٦٧٢-طوق).

(٤) لطائف الإشارات: (٢/٤١١).

(٥) تقدَّم تخريجه.

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): فارًّا.

(٧) في (ك) و(ص) و(ب): من.

(٨) تقدَّم تخريجه.

[تتمة الحديث عن أنواع التوكل]:

النوع الثالث: أن يخرج بأسباب المحاولة للكسب والرزق؛ كالقِرْبَة والفأس والدَّلْوِ[١].

وقد كنتُ أسافر مع الأتراك في القِفَار فلا يحملون إلَّا القوس والقَدَّاحة والسَّطيحة[٢]، فإذا أرادوا غذاءً رَمَوا طيرًا أو حيوانًا فلا يخطئونه، ثم قَدَحُوا نارًا وأجَّجُوا حطبًا، واشتووا وأكلوا حلالًا طِلْقًا.

ويجوزُ أن يخرج الرجل مُعَوِّلًا على الثمار الصحراوية، والحشائش المُغَذِّيَةِ، وقد يجوزُ له الخروج مُعَوِّلًا على صنعته، فهذا سَبَبٌ قَوِيٌّ.

النوع الرابع: طَلَبُ الرزق؛ وقد تقدَّم في المقام الأوَّل[٣] كَيْفِيَّتُه ووُجُوهُ كَسْبِهِ بما يُغْنِي عن إعادته، فإنَّ قَصْدَنا الاختصار.

وأحوجُ الخلق إلى الكسب المُعِيلُ، وهو:

النوع الخامس[٤]:/وقد قال الصِّدِّيقُ: «إن حِرْفَتِي لم تكن تعجز عن مؤونة أهلي، وسيأكل آلُ أبي بكر من هذا المال»[٥]. [٢/١٠/أ]

يعني: باشتغاله بأمور المسلمين.

---

(١) بعده في (ك) و(ص) و(ب): «والشَّفرة والقَدَّاحة والقوس، أو القوس والقدَّاحة والفأس، وأقلُّه: القوس، والدَّلْوُ، والقدَّاحة»، وضرب عليه في (د).

(٢) السطيحة: المزادة، تاج العروس: (٦/٤٧٢).

(٣) أي: مقام الحياة الدنيا.

(٤) ينظر: الإحياء: (ص١٦٣٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، رقم: (٢٠٧٠-طوق).

وقد قال الله في حال المُعِيلِ أعظم بيان: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه:١٣١]، فجعل الصلاة مفتاح باب الرزق، بل مفتاح كل خير.

وقد قيل: ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾: أي: لا نسألك أن تَرْزُقَ أحدًا[١].

يعني: أهلك فمن[٢] سواهم، بل[٣] نحن نرزقك وإيَّاهم، فعليك أَمْرَهم بالعبادة، وعلينا رِزْقُهم.

وقوله: ﴿وَاصْطَبِرْ﴾، معناه: تَكَلَّفِ الصبرَ وصَابِرْه، ولَازِمْه حتى تَغْلِبَه، ويصير عادةً سهلة.

ويُستحب للمُعِيلِ إذا عَدِمَ الرزق أن يجمع أهله فيصلي بهم ويدعو؛ فإنه يُفتَح له على كل حال بفضل الله.

قد[٤] قال وُهَيْبُ بن الورد: «لو كانت السماء نحاسًا، والأرض رصاصًا، واهتممتُ برزقي لظننتُ أني مُشْرِكٌ»[٥].

وقال الحسن بن أبي الحسن البصري: «وَدِدْتُ أن أهل البصرة في عِيَالِي، وأن حبَّة بدينار»[٦].

---

(١) لطائف الإشارات: (٢/٤٨٩).

(٢) في (ص): ممن.

(٣) سقط من (ك).

(٤) في (ب): فقد، ومرَّضها في (د).

(٥) الإحياء: (ص١٦٣٤).

(٦) الإحياء: (ص١٦٣٤).

وهذا ممَّا لم أفهمه لقُصُورِ عِلْمِي عن عِلْمِه، فإن صحَّ فإنه إشارة إلى عُلُوِّ درجته في التوكل، والثقة بالله في وفائه بوعده وسَعَةِ خزائنه، ولكن بَقِيَّ عليَّ الغلاء[1]، ولا صبر للعامَّة معه.

[أَسْوِلَةٌ في التوكل وأجوبتها]:

فإن قال: «أَرْحَلُ لطَلَبِ رِزْقي»، كان الجواب على قَدْرِ حاله؛

فإن كان من أهل العلم قلتَ له: الرزق في السماء، فأَنْزِلْهُ بمجاديحه[2].

وإن كان من أهل العمل قلتَ له: اطلبه بمحاسن الأسباب وجائزاتها.

فإن قيل: فقد بيَّنتم أن التعلق بالأسباب الجالبة للنفع المقتضية للكسب المفيدة للرزق جائز، وأن ذلك لا ينافي التوكل، فماذا تقولون في الأسبابِ الرافعة للضر، هل يُناقِضُ مباشرتها حال التوكل؟

فإن قلتم: يناقض التعلق بها حق التوكل وحقيقته.

قلنا لكم: فما الفرق بينها وبين الأسباب الجالبة؟

وإن قلتم: لا يناقضها؟

قلنا لكم: فما معنى قول النبي: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب؛ هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيَّرون، وعلى ربهم يتوكلون»، وقد تقدَّم من قول الله: ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل:٩].

---

(١) في (ب): العلاء.

(٢) في (ص): بمجادحه.

٢ [١٠/ب]

ويَعْسُرُ[١] مقام التوكل؛ قال أبو سليمان الدَّارَانِي لأحمد بن أبي الحَوَارَى[٢]: «كل مقام وجدتُ/ لي فيه نصيبًا إلَّا مقام التوكل»[٣].

قال علماؤنا: «الأسباب المتوقعة على قسمين: مقطوع بها، ومظنون»[٤].

وزاد بعضُهم[٥] قِسْمًا ثالثًا، وهو الموهوم.

قال: «فتَرْكُ الموهوم من شرط التوكل، وهي التي نِسْبَتُها إلى دَفْعِ الضرر نِسْبَةَ الكي والرقية؛ فإن الكي والرقية قد تُقْدِمُ [به] على المحذور دَفْعًا لما يُتَوَقَّعُ، وقد يُستعمَل بعد نزول المحذور للإزالة»[٦].

وقد وصف النبيُّ المتوكلين بتَرْكِ الكي والرقية والتطير، ولم يصفهم بأنهم إذا وصلوا إلى موضع بارد لم يَتَدَثَّرُوا[٧].

وأكلُ الثُّومِ في السَّفَرِ البارد هو من قَبِيل التعمق في الأسباب[٨].

والذي عندي في الباب أن التوكل بترك الأسباب جائز، واستعمالُها جائز، والأفضل تركها لمن قدر عليه.

---

(١) في (ص): يعتبر.

(٢) ينظر: تاج العروس: (١٠٦/١١).

(٣) الإحياء: (ص١٦٢٩).

(٤) الإحياء: (ص١٦٢٥).

(٥) هو الإمام أبو حامد الطوسي، ينظر: الإحياء: (ص١٦٢٥).

(٦) الإحياء: (ص١٦٣٩).

(٧) ينظر: الإحياء: (ص١٦٣٩).

(٨) الإحياء: (ص١٦٣٩).

والمدفوعُ ضَرَرُه[١] على ثلاثة أقسام:

ضرر آدَمِي؛

وضرر حيوان؛

وضرر جماد؛

وهنالك قسم رابع؛ وهو المرض.

فأمَّا ضررُ الآدمي فمشروعٌ دَفْعُه، ومشروعٌ طَلَبُ الأسباب له، وبعضُها يجب، وبعضها لا يجب.

فأمَّا الذي يجبُ؛ فدَفْعُ ضرر الكفَّار، فقد أمر الله بأخذ الأسلحة، واستعداد ما يمكن من قوَّة، وقد حرز النبي ﷺ[٢] نفسه، وقد خرج ليلًا فارًّا[٣]، وقد قال الله لموسى[٤]: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا﴾[٥] [الدخان:٢٢].

وأمَّا الذي لا يجبُ؛ فإذا قَصَدَكَ الظالم للقتل فاحترس منه، واخْفِ نفسك عنه، واهرب ما أمكنك، فإن هجم عليك وافتتن[٦] وفتن، ودخل عليك بيتك؛ فلا تبهش[٧] إليه بقصبة، وكن عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل، وتوكَّل على الله فيه.

---

(١) في (ك): ضره.

(٢) قوله: «النبي ﷺ» لم يرد في (ك) و(ب).

(٣) في (ب): فارًّا موسى.

(٤) في (ب): له.

(٥) ينظر: الإحياء: (ص١٦٤٠).

(٦) في (ك): افتتن.

(٧) في (ب): ترهش.

وقد كان النبيُّ يأمر بدفع ضرر العين بالرُّقْيَةِ والاستعاذة، وبعد وقوعه باغتسال العائن وصَبِّ المغسول به[١] عليه[٢].

وقد قال يعقوب: ﴿يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ [يوسف:٦٧].

قال قتادةُ ومجاهدٌ وابنُ إسحاق: «كانوا قد أُوتوا صورة وجمالًا، فخشي عليهم أَنْفُسَ الناس»[٣].

خَشِيَ نَبِيُّ الله العَيْنَ على بَنِيهِ، وهذا من التوقِّي وترك التعرض والخروج عن الأسباب المتوقعة من ضرر الغير، ولكنه حذر عليهم، وأمرهم بالتحرز، وأخبرهم أن الحُكْمَ لله، وأنه بعد أَمْرِهِ لهم بالتحرز هو على الله في حِفْظِهم مُتَوَكِّلٌ، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُومِنُونَ﴾[٤] [التوبة:٥١].

٢ [١١/أ]

وأمَّا سائرُ الحيوان فادْفَعْهُم بالقتل/ والاحتراس؛ كالسَّبُع، والحيَّة، والعقرب، والفأر، والكلب العقور، وكل ما آذى[٥] من صغير أو كبير.

وأمَّا الجماد؛ فلا تَمُرَّ بجدار مائل، ولا تجلس إليه.

وقد قيل: «إن الجدار المائل كان الخَضِرُ يخاف من إذايته، فأراد هدمه؛ فخاف افتضاح الكنز فأقامه».

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) تفسير الطبري: (١٦/١٧٣-شاكر).

(٤) في (ك) و(د) و(ب): وعليه فليتوكل المومنون.

(٥) في (ب): كل أذًى.

وهذه دعوى.

أمَا إنه في غريب الحديث: «أن النبي كان إذا مَرَّ بطِرْبَالٍ[١] مائل أسرع المشي»[٢]، يقال: بالباء المعجمة بواحدة، والياء المعجمة باثنتين من تحتها.

وكذلك يدفع عن ماله في الأحوال كلها، ولكن الأفضل ألا يفدي ماله بنفسه، وإن كان قد أَذِنَ الله له[٣] في الدفع عن ماله بنفسه رخصة[٤]؛ لما علم من علاقة الأموال بالنفوس، وللصَّالحين في ذلك سيرة نذكرها إن شاء الله.

وأمَّا قِسْمُ المرض فتارةً يخافه، وتارةً يتوهَّمه؛ فإن توهَّمه فلا يجوز له[٥] أن ينظر له، وإن خافه بأن يُخَلِّطَ في طعامه وفي رياضته فذلك جائز له[٦]، والأفضلُ تركه، وأكثرُ ما تحدث الأمراض في الأطعمة والأشربة والرياضة من طريقين:

أحدهما: أن يأكل ويشرب ولا يذكر الله، أو يُسْرِف، أو يكون من غير وجهه.

[ثانيهما]: وفي الرياضة بأن يتصرَّف في غير طاعة، أو يتكلَّف ما لا يطيق منها، فذلك مكروه.

---

(١) الطربال: البناء المرتفع، غريب الحديث: (٢/٢٥٨).
(٢) أخرجه أبو عُبَيد في الغريب: (٢/٢٥٧).
(٣) سقطت من (ب) و(ك) و(ص).
(٤) في (د) - أيضًا -: رحمة.
(٥) سقط من (ص) و(د).
(٦) في (ك) و(ص) و(ب): له جائز.

قال النبيُّ ﷺ: «عليكم من الأعمال بما تُطِيقون، فإن الله لا يمل حتى تَمَلُّوا»[١].

وأمَّا إذا نَزَلَ المرضُ فالتَّطَبُّبُ أفضلُ لاستبقاء الصحة التي أَسْأَرَ[٢] المرض، وإعادة ما أذهب منها، فإن الطاعة لا تتم إلَّا بها، وقد بيَّنَّا أنواع الطب وأقسامه والأدوية وأنواعها، فلا وجه لإعادته.

ويجوزُ الابتداءُ بالرُّقْيَةِ من غير مرض للاحتراس من إذاية المؤذين، ومن حدوث الأمراض، كقوله: «من تصبَّح بسبع تمرات من عَجْوَةٍ لم يضرَّه ذلك اليوم سُمٌّ ولا سِحْرٌ»[٣]، وكقوله[٤]: «من نَزَلَ منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامَّات من شَرِّ ما خَلَقَ لم يضرَّه شيء حتى يرتحل»[٥]، وكقوله: «من قال حين يصبح: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم - ثلاث مرات - لم يضرَّه شيء»[٦]، يرويه أبانُ بن عثمان عن عثمان عن النبي، قال: «وكان[٧] أبانُ

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) أسأر: أبقى، تاج العروس: (١١/٤٨٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص ﷺ: كتاب الأشربة، باب فضل تمر المدينة، رقم: (٢٠٤٧-عبد الباقي).

(٤) في (د) - أيضًا -: كذلك.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن خولة بنت حكيم السُّلَمية ﷺ: كتاب الذكر والدعاء، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، رقم: (٢٧٠٨-عبد الباقي).

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى، رقم: (٣٣٨٨-بشار).

(٧) في (ك) و(ص): فكان.

٢
[١١/ب] أصابه طرف فالج، فكان[١] قد حدَّث بهذا الحديث، / فنظر إليه رجل فقال: نسيتُ أن أقولها ذلك اليوم، ليُنْفِذَ الله فيَّ قَدَرَه»[٢]، وذلك كثير جِدًّا، متنوع عَدًّا.

وقد تقدَّم رُقْيَةُ النبي لغيره ولنفسه[٣]، وأنه كان يمسح بدنه كل ليلة قبل أن يرقد، وتَرَقَّى في مرض موته[٤]، وكَوَى من[٥] المرض الحاصل، وقد نَهَى عن الدخول بأرض[٦] الوباء والتعرض لبلاء الله.

فإن قيل: فهل يجوز تَرْكُ التداوي للمريض؟

قلنا: ذلك جائز بأسباب:

أحدها: أن يكون المرض زَمَانَةً لا يرجو بُرْأَه.

الثاني: أن يترك التداوي رغبةً في ثواب المرض[٧] إذا وجد من نفسه قُوَّةً على الصبر على ذلك، وذلك عندي ما لم تبطل له طاعة.

الثالثة: يرجو الكفارة لذنوبه، كما ورد في الحديث[٨].

الرابع: أن يكون المرضُ يمنعه من معصية، أو يمنع منه ظالمًا، فيُؤْثِرُ تماديه ليكتفي بذلك ضُرًّا[٩] غيره.

---

(١) في (د): وكان.
(٢) هو الحديث السابق.
(٣) تقدَّم تخريجه.
(٤) تقدَّم تخريجه.
(٥) في (ب): في.
(٦) في (ص): في أرض.
(٧) في (ك): المريض.
(٨) سبق تخريجه.
(٩) في (ص): ضررًا.

الخامس: أن يستشعر بالمرض ذِكْرَ الله له، وأنه من الأولياء، فدوام الصحة مكروه، وفي ذلك آثار كثيرة.

فإن قيل: لأي شيء لم يترك النبيُّ التداوي وهو أفضل؟

قلنا: النبي لا تضره الأسباب؛ لعظيم منزلته في التوكل، وعَلَّمَ الخَلْقَ بفعله الآداب.

فإن قيل: فقد صحَّ عن النبي[١] أنه قال: «من اكتوى أو استرقى فقد برئ من التوكل»[٢].

قلنا: فيه وجهان[٣]:

أحدهما: أن ذلك منسوخ.

الثاني: أن يسكن إليها، وهو أحد التأويلات في قوله: «هم الذين لا يكتوون، ولا يسترقون»[٤]، أي: لا يسكنون إلى ذلك، ألا ترى إلى قوله: «ولا يتطيَّرون»، فإنه يشهد له.

كتمانُ المرض[٥]:

فإن قيل: أيُّ الحالين أفضل؛ كتمان المرض أو إظهاره؟

قلنا: الإخفاء أفضل لأنه أسلم، ويجوزُ إظهاره لوجوه:

---

(١) قوله: «عن النبي» سقط من (د) و(ص).

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) ينظر: العارضة: (٧/٢٨١).

(٤) تقدَّم تخريجه.

(٥) ينظر: الإحياء: (ص١٦٥٤).

الأوَّل: أن يتداوى.

الثاني: أن يستدعي الدعاء.

وفي الحديث الصحيح: «أن النبي قال لعائشة - إذ قالت: وارأساه -: بل أنا وارأساه، لقد هممت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد؛ أن يقول قائل أو يتمنَّى مُتَمَنٍّ»[١].

وهذا كلُّه من الرضا بالقضاء والاستسلام لأمر الله تعالى كما بيَّناه؛ إذا عَلِمَ أن الأمر كله لله، وأنه/ لا حول ولا قوة إلا بالله، وتحقَّق أنَّ كلَّ ما يحاوله من فِعْلٍ خَلْقُ الله، أو كل ما يتعلق به من سبب فهو صُنْعُ الله، أو كل ما يتأتَّى به من قدرة فهي لله، وأنه ما يتعاطى من ذلك فهو بأمر الله، فإن استفاد شيئًا فلم يستفده فإنه منه، إنَّما استفاده[٢] بأنه من خالقه ومُقَدِّرِه، ومُدَبِّرِه ومُيَسِّرِه، فإذن لا حول ولا قوة إلَّا بالله حقًّا، ولا إله إلَّا الله صِدْقًا، أي: لا خالق غيره، سبحان الله عن أن يكون معه خالق، ولا إله إلا الله، أي: هو المنفرد[٣] بالإيجاد، والله أكبر من كل موجود يُتحقَّق أو يُتوهَّم، ولا حول ولا قوة على تدبير أمر[٤] إلا بالله، وهي الباقيات الصالحات، وترتيبُها على حسب قولها، والعالمُ بها الواقفُ عندها هو «الرَّاضِي».

[١٢/أ]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المرضى، باب قول المريض: إني وجع، رقم: (٥٦٦٦-طوق).

(٢) في (ك): استفاده.

(٣) في (ب): المتفرد.

(٤) سقطت من (ك) و(ص).

الحكايات في التوكل:

ذُكِرَ في «الطبقات» عن حُذَيفة المَرْعَشِي أنه خدم إبراهيم بن أدهم، ورأى منه عجبًا، قال: «بَقِينَا في طريق مكة أيَّامًا لم نجد طعامًا، ثم دخلنا الكوفة فآوَيْنَا إلى مسجد خراب، فنظر إليَّ إبراهيم وقال: يا حذيفة، أرى بك الجوع، فقلت: هو ما رأى الشيخ، فقال: عليَّ بدواة وقرطاس، فجئته فكتب فيه[1]: بسم الله الرحمن الرحيم، أنت المقصود إليه بكل حال، والمشار إليه بكل معنى:

أنا حامد أنا ذاكر أنا شاكر ... أنا جائع أنا ظامئ[3] أنا عَارِ

هي ستة وأنا الضمين لنصفها[2] ... فكن الضمين لنصفها[4] يا باري

مدحي لغيرك لَهَبُ نار خضتُها ... فأَجِرْ عُبَيْدك من دخول النارِ[5]

ثم دفع إليَّ الرقعة[6] وقال: اخرج، ولا تُعَلِّقْ قلبك بغير الله، وادفع لأوَّل من تلقى، فأوَّلُ من لقيتُ رجلًا راكبًا بَغْلَةً، فناولته الرقعة فأخذها[7] وبكى، وقال: ما فعل صاحب هذه الرقعة؟ فقلت: في المسجد الفلاني، فدفع إليَّ صُرَّةً فيها ست مائة دينار، ثم لقيتُ رجلًا آخر فقال: هذا

---

(١) سقطت من (ك) و(ص).

(٢) في (ب): بنصفها.

(٣) في (ص) و(د) و(ب): نائم.

(٤) في (ب): بنصفها.

(٥) من الكامل، وهي في أحسن ما سمعت: (ص٩٢) منسوبًا للخليع، والمستطرف: (ص١٥٨)، ورسالة القشيري: (ص٢٠٤).

(٦) في طرة بـ (د): الرخصة، وصحَّحها.

(٧) في (ك) و(ب): أخذ.

نصراني، فجئتُ إبراهيم فأخبرته القصة، فقال لا تمسها فإنه يجيئ السَّاعة، فجاء النصراني وقبَّل رأس إبراهيم وأَسْلَمَ»[١].

قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي[٢] رضي الله عنه: فهذه آدَابُ أهل تلك الأقطار مع المُرِيدين والواصلين[٣]، وأمَّا أهل هذه البلاد - رَاجَعَ الله بهم - فلو وقعت الرقعة في يد فقيه لبَصَقَ عليها وطَرَحَها، ولو وقعت في يد ظالم - دع نصرانيًّا - لم يلتفت/ إليها؛ لدناءتهم. ٢ [١٢/ب]

حكاية:

كان مالكُ بن دينار لا يربط بابه إلَّا بحَبْلٍ، ويقول: «لولا الكلاب ما سددته».

وكما كان يتَّكل في صَرْفِ اللص عنه؛ أَلَا كان[٤] يتَّكل في صرف الكلب؟

ويُحتمل أن يكون وَثِقَ من ربه أن يمنعه من المعصية، ودخول الكلب ليس من هذا الباب.

حكاية:

رُوي أن الربيع بن خُثَيم كانت له فرس ابتاعها بعشرين ألفًا، فسُرِقَتْ وهو يصلي، فلم يقم إلى اللص حين رآه يَحُلُّ عِقَالَها، وقال لأصحابه: «هي صدقة عليه»[٥].

---

(١) رسالة القشيري: (ص٢٠٤-٢٠٥).

(٢) في (ب): قال الإمام الحافظ رحمه الله.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): فهذه آداب المريدين والواصلين مع أهل تلك الأقطار.

(٤) سقط من (ك) و(ب).

(٥) الإحياء: (ص١٦٤٣).

وفي غريب الحديث: «أن عائشة دعت على لص فقال: لا تُسَبِّخِي[١] عنه[٢]»[٣].

وقيل لبعض الصالحين: «ادع على من سرق متاعك وظلمك، فقال: ما ظلم إلَّا نفسه، أما يكفيه المسكينُ ظُلْمَه لنفسه حتى أزيده شرًّا»[٤].

حكاية[٥]:

أخبرنا ابن يوسف[٦] عن أبي ذَرٍّ عن الدارقطني قال: نا أبو محمد بن صاعد: نا[٧] الحُسَين بن الحسن المروزي: نا عبد الله بن المبارك: نا سفيان بن عُيَينة عن أبي سِنَانٍ قال: سمعتُ سعيد بن جُبَير يقول: «لُدِغْتُ فأمرتني أُمِّي أن أسترقي، فكرهتُ أن أعصيها، فناولتُ الرَّقَّاءَ يَدِي التي لم

---

(١) في (د): تجني، وضبَّب عليها، ولا تسبخي: أي: لا تخففي عنه بدعائك، كتاب الغريبين: (٣/٨٥٥).

(٢) في (د): عليه.

(٣) كتاب الغريبين: (٣/٨٥٥).

(٤) الإحياء: (ص١٦٤٤).

(٥) سقطت هذه الترجمة من (ص)، إلا قوله: «وهذه حالة لا تمكن إلَّا لصابر».

(٦) الفقيه العلَّامة المحدث، أحمد بن عبد القادر بن يوسف، أبو الحُسَين البغدادي، (٤١١-٤٩٢هـ)، لقي أبا ذَرٍّ الهَرَوِي، وأخذ عن أبي القاسم الحُرفي، ودخل بلاد المغرب، روى عنه ابنُ العربي كتابَ «معيشة النبي ﷺ وتَخَلِّيهم من الدنيا» من تصنيف الإمام أبي ذَرٍّ الهروي، وكُتُبَ ابن أبي الدنيا، وهي كثيرة، وكتاب «ياقوتة الصراط في غريب القرآن» لأبي عمر المُطَرِّز، ينظر: فهرس ابن خير: (ص٣٤٢)، وسير النبلاء: (١٩/١٦٣-١٦٤).

(٧) في (د): قال.

تُلْدَغْ»[١] - وأبو سنان ضِرَارُ بن مُرَّةَ الشيباني كوفي، روى عنه الثوري وشعبة، ولم نعلم أنه روى عنه ابن عُيَينة[٢] -، وهذه حَالَةٌ لا تُمْكِنُ إلَّا لصَابِرٍ[٣].

* * * * *

(١) الخبر من كتاب «معيشة النبي» لأبي ذر الهروي، ولا نعرف عن وجوده شيئًا، فهو من جملة التراث الذي طُوِي عنَّا خَبَرُه، والأَثَرُ في الإحياء: (ص١٦٠٣).

(٢) ذَكَرَ أبو الحجاج المِزِّي ابنَ عيينة في جملة من روى عن أبي سِنان، تهذيب الكمال: (٣٠٧/١٣).

(٣) في (ب): للصَّابر.

الصَّابِرُ(١): وهو الاسمُ السَّادس والثلاثون

وهو وَصْفٌ كريم، وحَظٌّ لمن وُهِبَ له عظيم، وقد كَثُرَ ذِكْرُه في الشريعة قرآنًا وسنة، وجُعِلَ أَجْرُه موازيًا لأجر جميع العمل، فإن الله قال: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحاً مِّن ذَكَرٍ اَوُ انثىٰ وَهُوَ مُومِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر:٤٠].

وقال في الصبر: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١١].

يريد: غير معدود، وإنما هو جُزَافٌ، وبه يتمُّ للعبد بلوغُ الأمل في الدنيا، وهلاك العدو.

قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف:١٣٦ - ١٣٧].

وأخبر أن الله مع الصَّابرين، وماذا يرغبُ من كان الله معه في شيء بعده؟!

وأحاديثُ الصبر قليلة، أَمَا إنَّ الناس قد أكثروا منها؛ في الصحيح - واللفظ للموطأ -: «من يستعفف يُعِفه الله، ومن يستغن يُغنه الله، ومن يَتَصَبَّرْ يُصَبِّره الله، وما أُعطي أحدٌ عطاءً(٢) هو خَيْرٌ وأَوْسَعُ من الصبر»(٣).

---

(١) سقط من (د) و(ك) و(ص).

(٢) سقطت من (ك).

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كتاب الجامع، ما جاء في التعفف في المسألة، (٢/٣٥٧)، رقم: (٢٨٠٤-المجلس العلمي الأعلى).

ومَرَّ النبي ﷺ على امرأة تبكي على قبر، فقال لها النبي: «اتق الله واصبري، قالت له: إنك لم تُصَبْ بمصيبتي، فلمَّا مرَّ قيل لها: إنه النبي، فجاءت بابه فلم تجد عليه بوَّابين،/ فقالت له: لم أعرفك يا رسول الله، فقال: إنَّ الصبر عند الصدمة الأولى»[١].

٢ [١٣/أ]

فرأى صلى الله عليه أنها لو صبرت في حين المصيبة لحازت أجر الصابرين، وإذْ فاتها ذلك فلو صبرت حين موعظته لها لكان لها أجرٌ أقل من ذلك، فلما رَدَّت الوعظ وأرادت بعد ذلك استدراك ما فاتها قال لها: «قد فاتتك الخصلة الكبرى؛ وهي الصبر عند الصدمة الأولى في أوَّل المصيبة».

وقد أخبرنا محمد بن الأسعد الصوفي[٢]: أخبرنا محمد بن فُتُّوح قال: [أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، قال:][٣] قرأتُ في كتاب أبي الفتح بن مسرور البلخي[٤]: حدَّثنا أبو القاسم بن شِبْلُونَ[٥] الحافظ: أخبرنا أحمد بن يحيى بن الشامة: حدَّثني أبي قال: حدثنا خالي إبراهيم بن قاسم بن هلال: حدَّثني فُطَيس السَّبَائِي قال: سمعت مالك بن أنس رضي الله عنه[٦] في قول الله: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]، قال: «يُثْبَتُ[٧] عليه حتى الأنين في مرضه»[٨].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: كتاب الجنائز، بابٌ في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى، رقم: (٩٢٦-عبد الباقي).

(٢) هو أبو بكر محمد بن طَرخان التركي، سبق التعريف به.

(٣) زيادة من الجذوة: (ص٣٠٥).

(٤) في (د): البرخي.

(٥) في الجذوة (ص٣٠٣): سهلون، وهو الصواب.

(٦) قوله: «رضي الله عنه» لم يرد في (ك) و(ص) و(ب).

(٧) في (ك): يثيب، وفي (د) - أيضًا -: يكتب.

(٨) جذوة المقتبس: (ص٣٠٦).

قال الإمام الحافظ[١]: وكأنه رأى هذا مُعَارِضًا للصبر، وهي درجة عظيمة؛ لأنه لا يمكن تَرْكُ الأنين لكل قلب، وقد قال النبي: «وارأساه»[٢]، والكلام أقوى من الأنين، فالله أعلم[٣].

وحديثُ «الصبر نصف الإيمان»[٤] ضعيف جدًّا، فلا تشغلوا به بالًا، بل الإيمان هو الصبر كله؛ لأن الشريعة على قسمين: مأمور، ومزجور، ولا يطاقُ الامتثال ولا الانكفاف إلا بالصبر، فإن حقيقته[٥]: فِعْلُ ما تكرهه النفس من اعتقاد أو عمل، بدلًا ممَّا تؤثره وتهواه[٦].

والنَّفْسُ مائلة إلى الراحة، حريصة على ارتكاب الشهوة، وأوامرُ الشرع ونواهيه مخالفة لهواها، فلم يَصِلْ عبد إلى ذلك إلَّا بالصبر، والشَّهَوَاتُ والرَّاحَاتُ تكثرُ؛ فإذا كسر شهوته صبر، وإذا آثَرَ التعب على راحته صبر، وإذا كانت الشهوة في الفَرْجِ فقضاها كما أَذِنَ له الشرع أُجِرَ، وإن تعلَّقت بما لم يأذن فيه الشرع فتركها كان على جُزْءٍ من الصبر، يقال له:

---

(١) في (ب): قال الإمام رحمه الله، وفي (ك): قال أبي رضي الله عنه.

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) قوله: «في الصحيح - واللفظ للموطأ-: من يستعفف.. والله أعلم» سقط من (ص).

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه عن ابن مسعود رضي الله عنه: (١٥/٣٠٣)، والقُضاعي في مسنده: (١/١٢٦)، قال أبو علي النيسابوري: «هذا حديث منكر»، لسان الميزان: (٧/١١٣).

(٥) في لطائف الإشارات (٣/٢٧٢): «الصبر حَبْسُ النفس على ما تكرهه»، وينظر: قوت القلوب: (٢/٥٤٣).

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): يؤثره ويهواه.

عفة، وهو[١] أَخَصُّه، وكذلك يقال: عفيف الفم واليد واللسان؛ إذا لم يُقَابِلْ به شَهْوَةً عَرَضَتْ له، صَدَمَها أمرٌ أو نهيٌ، كما يقال في احتمال مَكْرُوهِ الحوادث النازلة بالعبد: شجاعة، فهي في العُرْفِ مخصوصة بالحرب، وهي في الحقيقة عبارة عن ثُبُوتِ القلب عند حلول النوائب، وإن تعلَّقت الشهوةُ بالتَّشَفِّي والانتقام فعارضها كان «حليمًا».

* * * * *

---

(١) في (ك): هذا.

الحَلِيمُ[١]: وهو الاسمُ السَّابع والثلاثون

إذا تَرَكَه مع القدرة عليه، وذلك بالحقيقة ليس إلَّا لله[٢]، فالله وحده هو الحليمُ حقًّا؛ لأنه يؤخر العقوبة مع القدرة/ على الاستعجال.

٢ [١٣/ب]

وبهذا دخل الصَّبْرُ في جميع خصال الإيمان، فكل من مشى على طريقه فهم: ﴿ٱلذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ [الزمر:١١]، وكل من مال إلى الشهوات هم: ﴿ٱلذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾ [البقرة:٨٥]، وهنالك من تُنازعه شهوته وتَرُدُّه عقيدته، فهو أبدًا في حرب ونزاع، وهي حالة محمودة، والأوَّلُ أشرف منزلة.

[درجاتُ الصبر]:

ودرجاتُ الصبر أعظمُها تَرْكُ التَّشَفِّي والانتقام عند الغضب[٣]؛ ألا ترى إلى ثناء الله على إبراهيم به حين قال: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنِ اِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَـٰدِلُنَا[٤]﴾ [هود:٧٣]، يعني: طَفِقَ يجادلنا في قوم لُوطٍ، وذلك قَوْلُه: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطاً﴾ [العنكبوت:٣٢]، فغَلَّبَ إبراهيمُ تَرْكَ الانتقام لما[٥]

---

(١) سقط من (ك) و(د) و(ص).

(٢) في (د) - أيضًا -: الله.

(٣) وهي الدرجة الأولى.

(٤) قوله: «يجادلنا» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٥) في (ك) و(ص): بما.

يَحِقُّ[١] لِلُوطٍ[٢] من الإكرام، إلى أن قيل له: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ [العنكبوت:٣٢].

قال علماؤنا: «وهذا يدل على أنَّ للباري أَنْ يعذب البريء؛ ألا ترى إلى إبراهيم مع وفارة علمه كيف[٣] جعل يدفع عنه مخافة أن يفعل الباري به[٤] ما له أن يفعل، فطلب من الله فضله لا عدله، وكرمه لا حقه»[٥].

وقيل له: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ[٦]﴾ [هود:٧٥]، إنَّ العذاب قد نزل، والحُكْمَ قد نفذ، والقَوْلَ قد وجب، والكلمة قد حقَّت[٧].

ويليها: تَرْكُ المناهي[٨].

ويليها: تَرْكُ الشهوات[٩]، والاقتصار على الحاجة؛ وهو الزهد.

حالةُ العَبْدِ:

وكُلُّ ما يكون فيه الآدمي في الدنيا لا يخلو من أن يُوَافِقَ هواه أو يخالفه، أو يكون في طاعة أو في[١٠] غير طاعة؛ من مباح أو معصية، وكلُّ

---

(١) في (س) و(ص): لحق.
(٢) في (ص) و(ك): لوط.
(٣) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).
(٤) سقطت من (ك).
(٥) لطائف الإشارات: (٣/٩٦).
(٦) قوله: «عن هذا» سقط من (ك) و(ب).
(٧) لطائف الإشارات: (٢/١٤٨).
(٨) وهي الدرجة الثانية من درجات الصبر.
(٩) وهي الدرجة الثالثة من درجات الصبر.
(١٠) لم ترد في (د) و(ص) و(ب)

ما يرتبط به الصبر؛ فإنه يصبر على فعل الطاعة كما تقدَّم، ويصبر على ألَّا يراها ويعتد بها، ويصبر على ألَّا يذكرها، ويصبر عن المعاصي، ويصبر على ألَّا يعتد بوَرَعِه، ويصبر عن[١] المباحات؛ وهو الزهد، ويصبر عن الشبهات[٢] وهو «الوَرَعُ»[٣].

* * * * *

(١) في (د): على، عن.

(٢) في (د): الشهوات، الشبهات.

(٣) وهي الدرجة الرابعة من درجات الصبر.

الوَرَعُ[١]: وهو الاسمُ الثامن والثلاثون

ويَدْخُلُ في الأقوال والأفعال، فكلُّ فِعْلٍ يتردد بين النهي والأمر ويتعارضان فيه فليتركه، وكلُّ قَوْلٍ يتردد بين النفع لغيره والضرر فليسكت عنه.

الدرجة الخامسة:

أن يصبر على الأذى، وقد أمر اللهُ رسولَه بذلك في مواضع كثيرة من كتابه، وأمر المسلمين بذلك في قوله: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران:١٨٦]، وأخبر عن الأمم الماضية بمِثْلِه في قولهم[٢]: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا﴾ [إبراهيم:١٥]، وقال النبي عليه السَّلام حين انتُهك عِرْضُه الكريم/ السَّليم: «يرحم الله موسى؛ لقد أُوذِيَ بأكثر من هذا فصبر»[٣]. ٢ [١٤/أ]

ولمَا جُبِلت عليه القلوبُ من حب الانتقام أُذِنَ في الاقتصاص، فقال: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ [النحل:١٢٦].

---

(١) سقط من (د) و(ص) و(ك).

(٢) في (د): قوله، قولهم.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه: كتاب الأدب، باب الصبر على الأذى، رقم: (٦١٠٠-طوق).

وقد جمعه بعضهم في ثلاثة أنواع، فقال: «صبر على فرائض الله، وصبر عن[١] محارم الله، وصبر على المصائب في ذات الله»[٢].

قال النبي في دعائه: «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تَحُولُ به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تُهَوِّنُ به علينا مصائب الدنيا»[٣]، وهذا بيان أن العلم بالمصيبة وطريقها يُهَوِّنُها.

ولا يخرج عن[٤] الصبر[٥] بحُزْنِ القلب ولا بدَمْعِ العين، قال النبي ﷺ: «إن الله لا يُعَذِّبُ بحُزْنِ القلب ولا بدمع العين، ولكنه يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم»[٦]، يريد[٧] بالقول الذي يصدر منه، فلا يكون إلَّا خيرًا.

قال النبي ﷺ: «ليس منَّا من ضرب الخدود، وشَقَّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية»[٨].

---

(١) في (ك): على.

(٢) الإحياء: (ص١٤١٢).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه عن ابن عمر رضي الله عنهما: أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٣٥٠٢-بشار).

(٤) في (ص): إلى.

(٥) في (ص) و(د): المعصية، ومرَّضها في (د).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما: كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض، رقم: (١٣٠٤-طوق).

(٧) مرَّضها في (د)، وفوقها: ولا، ولم أتبين معناها.

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية، رقم: (١٠٣-عبد الباقي).

وقال: «ليس منَّا من سلقَ وخرقَ وحلقَ»[١].

وممَّا يُفعل ببغداد وبالأندلس إذا مات الميت أن يُغَيِّرُوا هيأتهم بلباس البياض؛ إذ من زيهم ببغداد وبالأندلس لباس السواد.

وقد قال النبي ﷺ في موت الزوج لأم سلمة: «قل: اللهم أَجِرْنِي في مصيبتي، وأعقبني منها عُقْبَى حسنة»[٢].

ومرَّ - كما تقدَّم - بامرأة تبكي على قبر، فقال لها: «اتق الله واصبري، فقالت له: إنك لم تُصب بمصيبتي، ثم قيل لها: هو رسول الله، فجاءت إليه فلم تجد عنده بوَّابين، فقالت له: إني لم أعلم بك يا رسول الله، فقال: إنَّما الصبر عند الصدمة الأولى»[٣].

وفي الصحيح: «أن أم سُلَيم توفي ابنها، وكان زوجها غائبًا، فجاء فقال: كيف الصبي؟ قالت: هَدَأَ[٤] نَفَسُه، فأكل ووطئ بعد أن تصنَّعت له، ثم أعلمته، فغدا إلى رسول الله فأعلمه، فقال: اللهم بارك لهم في ليلتهم»[٥]، انتهى الحديث الصحيح.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري ﷺ: كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية، رقم: (١٠٤-عبد الباقي).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المريض والميت، رقم: (٩١٩-عبد الباقي).

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) في (د) و(ك): هذا.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب من لم يُظْهِرْ حُزْنَه عند المصيبة، رقم: (١٣٠١-طوق).

ولمَّا مات إبراهيمُ ابنُه ومات ابنُ ابنته فاضت عيناه، فقيل له: «وما هذا؟ فقال: هي رحمة، وإنَّما يرحم الله من عباده الرحماء»[١].

وقال الله تعالى - مُخْبِرًا عن يعقوب -: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف:١٨].

ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «الصبر الجميل؛ الذي لا شكوى معه[٢]»[٣].

وقال الله تعالى لعباده المؤمنين: ﴿ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:٢٠٠].

فالصبرُ فيما تنفرد به، والمصابرةُ فيما ينازعك العدو عليه، والرِّبَاطُ التزامُ ما عقدت عليه من الصبر[٤].

وقد قيل:/ «الصَّبْرُ أوَّلًا، ثم التَّصَبُّرُ، ثم المُصَابَرَةُ، ثم الاصطبار»[٥]. [١٤/ب] ٢

والذي عندي أنه كله واحد، له أوَّل وآخِر.

وقيل: «اصبروا على الطاعات وعن المخالفات، وصابروا عن[٦] الهوى والشهوات، واقطعوا المُنَى والعلاقات، ورابطوا بالاستقامة في جميع الحالات»[٧].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، رقم: (٩٢٣-عبد الباقي).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): فصبر جميل، قال: الذي لا شكوى فيه، وقوله: «قال: الذي لا شكوى فيه» ضرب عليه في (د).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره عن حبان بن أبي جبلة مرسلًا: (٥٨٤/١٥).

(٤) لطائف الإشارات: (٣٠٩/١).

(٥) لطائف الإشارات: (٣٠٩/١).

(٦) في (ك): على.

(٧) لطائف الإشارات: (٣٠٩/١).

وقيل: «اصبروا بنفوسكم، وصابروا بقلوبكم، ورابطوا بجوارحكم».

ويقال: «اصبروا عن ملاحظة الثواب، وصابروا على الدنو والزُّلْفَةِ من الله، ورابطوا على باب العدو[١]، واتقوا الله في مغازيه[٢] حتى تفلحوا».

المعنى: تظفروا.

وقال علماؤنا: «إن قوله: ﴿وَصَابِرُواْ﴾، أي: خُذُوا الصبر شيئًا بعد شيء».

قال النبي ﷺ: «إن هذا الدين متين، فأوغل فيه برِفْقٍ، فإن المُنْبَتَّ لا أرضًا قطع، ولا ظَهْرًا أبقى، ولن يشادَّ أَحَدٌ هذا الدين إلَّا غلبه»[٣].

المعنى في ذلك: أنك لا تقدر أن تأخذ من الطاعات إلَّا الأقل، أَمَا إن الذي يلزمك ألَّا تترك شيئًا من المعاصي إلَّا تَجْتَنِبه.

قال النبي ﷺ مُبَيِّنًا لهذا المعنى: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه»[٤].

وما من حيوان إلَّا رَكَّبَ الله فيه الصبر، حتى إنَّ صَبْرَ البهائم ممَّا خلقه الله فيهم[٥] حكمة وآية.

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): العزة.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): معارفه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده مختصرًا عن أنس بن مالك رضي الله عنه: (٢٠/٣٤٦)، رقم: (١٣٠٥٢-شعيب)، وأخرجه القُضاعي في مسنده من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: (٢/٣٤٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، رقم: (٧٢٨٨-طوق).

(٥) في (د): فيهم، فيها.

وقد أنكر بعضُ[١] أشياخنا صَبْرَ البهائم واستبعده؛ لمَّا رآه ينبني على غير[٢] معارف.

وهذا ضَعِيفٌ من قوله مع قوته في العلم؛ فإن العلم المتعلق بمنفعة المعاش ومضرته[٣] موجود عند البهائم، بل عندها من المعاني[٤] في تدبير المعاش ما لا يُدْرِكُه الآدَمِي، والذي يدلُّك على ما عندها من ذلك أمران عظيمان:

أحدهما: المشاهدة؛ لتصرفها في فجورها وتقواها.

الثاني: أن النبي ﷺ قد أخبر عنها بأنها ذات رحمة وحنان، قال النبي ﷺ: «إن الله خلق مائة رحمة، وأعطى الخلق منها واحدة، فبها تَرْفَعُ البهيمة حافرها عن ولدها»[٥]، هذا في الصحيح.

وفي الحَسَنِ: «أن طائرًا أَخَذَتْ أَفْرُخَه[٦] الصحابةُ في بعض الأسفار، فجاءت الأم فلم تجدهم، ورأتهم بأيدي الآخذين لهم، فجَعَلَتْ تُرَفْرِفُ عليهم، حتى أمر النبيُّ بصرفهم إليها، ثم قال: أترون رُحْمَ هذه بأولادها؟ فالله أرحمُ بعباده منها»[٧].

---

(١) هو أبو حامد الطوسي، الإحياء: (ص١٤٠١).

(٢) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٣) بعده في جميع النسخ: والترجيح إذا تعارضت، وضرب عليها في (د).

(٤) في (ب): المعارف.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب الأدب، باب جعل الله الرحمة مائة جزءًا، رقم: (٦٠٠٠-طوق).

(٦) في (د): أفراخه، وفي (ص): أن الصحابة أخذت أفرخ طائر.

(٧) أخرجه بنحوه أبو داود في السنن: كتاب الجهاد، باب في كراهية حرق العدو بالنار، رقم: (٢٦٧٥-شعيب).

وإذا كان فيها الرحمة والرقة ففيها الصَّبْرُ، وقد ذكرنا من ذلك جُزْءًا غريبًا في[١] كتاب[٢] «ترتيب الرحلة»، حصَّلناه بنواحي كربلاء.

استطراد:

٢ [١٥/أ]

غلا بعضُ الناس/ فقال: «إن الصبر حظُّ القاصرين، والدرجة العليا الشكر؛ فإن المصيبة إذا نزلت فهي في التحقيق[٣] نِعْمَةٌ من الله تُوجِبُ الشكر».

قال الإمام الحافظ ﷺ: وهذا لازم في نفسه، لكن ليس بملزم للخلق، وإنَّما هي درجة إلى الحق، فإذا رأى أن الباري قد أخذ منه ما أعطاه شكره على ما أبقاه، نعم؛ وعلى ما أخذ، فإنه ما أخذه إلَّا ليعطيه أفضل منه، فهو موضع الشكر العظيم، وهو:

* * * * *

(١) سقطت من (ص).

(٢) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٣) في (د): التحقق.

الاسمُ التاسع والثلاثون: الشَّاكِرُ[١]

أَمَا إنه قد ينفردُ الصَّبْرُ عن الشكر في فوات الطاعة للعبد، فهو مَوْضِعُ صَبْرٍ وليس بموضع شُكْرٍ، ولعظيم هذه الرتبة أخبر الله عنها بالقلة فقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣]؛ ولذلك صار الصبر والشكر قرينَيْنِ، بل أخوين، وهو سبب المزيد؛ قال الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٩].

ولبعض البلغاء حكمة[٢] بديعة؛ قال في خطبة: «معلوم أن الله قضى للنعم إذا حُصِّنَتْ بالشكر أن يستدني منها القصي، ويستأنس النافر الوحشي، وإذا قُرِنَتْ بالكفر أن يرحل منها القاطن، وتستوحش المعاطن»[٣].

يقول الله في القرآن المجيد: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

ومن «فوائد أبي سَعْدٍ الشهيد»: «إن الله أَعْلَمَ أَنَّكم إن شكرتم إنعامه زادكم إكرامه، وإن كفرتم أَحَلَّ بكم امتحانه، وأنزل بكم فراقه وهجرانه»[٤].

---

(١) في (ب): الشاكر، وهو الاسم التاسع والثلاثون، وسقط من (ص).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): في كلمة، ومرَّضها في (د).

(٣) الذخيرة لابن بسَّام: (٤/٢/٦٣٨).

(٤) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٢٤١).

وقيل: المعنى: «إن عرفتم قَدْرَ أفضالي لأزيدنكم من نوالي، وأُشهدكم جمالي، وأُعَرِّفكم جلالي»[١].

وقيل: «لئن شكرتم بإدامة العبادة لأزيدنكم فوق الإرادة»[٢].

وقيل: «لئن شكرتم مِنْحَتِي للُطْفِي لأزيدنكم العلم بوَصْفِي[٣]»[٤].

وقيل: «لئن شكرتم حاضر نِعَمِي لأزيدنكم غائب كَرَمِي»[٥].

وقيل: «لئن شكرتم ما خوَّلتكم من عطائي لأزيدنكم ما وعدتكم من لقائي»[٦].

وقيل: «لئن كفرتم ما منحتكم من السرائر لأَسْلُبَنَّكم ما ألبستكم من الظواهر»[٧].

وقيل: «لئن كفرتم بدعوتى[٨] استحقاقها لأسلبنَّكم حلاوة مذاقها، ولئن كفرتم أنتم ومن في الأرض جميعًا فإن الله لغني حميد»[٩].

---

(١) لطائف الإشارات: (٢/٢٤١).

(٢) لطائف الإشارات: (٢/٢٤١).

(٣) قوله: «وقيل: لئن شكرتم بإدامة العبادة لأزيدنكم فوق الإرادة. وقيل: «لئن شكرتم مِنْحَتِي للُطْفِي لأزيدنكم العلم بوَصْفِي» سقط من (ص).

(٤) لطائف الإشارات: (٢/٢٤١).

(٥) لطائف الإشارات: (٢/٢٤١).

(٦) لطائف الإشارات: (٢/٢٤١).

(٧) لطائف الإشارات: (٢/٢٤١).

(٨) في (ك) و(ص) و(ب): بدعوى.

(٩) لطائف الإشارات: (٢/٢٤١).

وفي الحديث الصحيح: أن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: «عبادي؛ لو أن أوَّلكم وآخركم، وإنسكم وجنكم،/ اجتمعوا على أتقى قلب رجل ما زاد ذلك في مُلكي، عبادي؛ لو أن أوَّلكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، اجتمعوا على أفجر قلب رجل ما نقص ذلك من مُلْكِي»(١). ٢ [١٥/ب]

حقيقة الشكر:

ولا نُطَوِّلُ عليكم في بيان معنى الشكر؛ فإنه أقربُ شيء في العلم، وهو تصريف النعمة في الطاعة، فإذا أَنْعَمَ الباري على العبد نِعْمَةً فصرفها في طاعته فقد شَكَرَها، وإن صرفها في معاصيه فقد كَفَرَها.

وليس الشُّكْرُ بمجرد(٢) القول باللسان، بل إنه منه وعُنوانه، وعلامته ودليلٌ عليه، وقد كان النبيُّ يدأب في العبادة، ويواظب على الطاعة، وينبذ الدنيا زهادةً، حتى ضعف بدنه، وحَطَمَهُ السِّنُّ(٣)، وتفطَّرت قدماه، فقيل له: «تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخر! فقال: أفلا أكون عبدًا شكورًا»(٤).

معناه: أَصْرِفُ نِعَمَ رَبِّي في طاعته(٥).

وقد أثنى الله على نُوحٍ بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء:٣]؛ فإنه لَبِثَ في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يُضْرَبُ، حتَّى يُتْرَكَ باسم

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): مجرد.

(٣) في (ك): الناس، البأس، ورمز لهما بـ: معًا، وفي (ص): البأس، وفي (ب): الناس.

(٤) تقدَّم تخريجه.

(٥) في (ك): طاعاته.

المَيِّتِ، فلا يَرْدَعُه ذلك عن القيام بأمر ربه، وتبليغ رسالاته، وما شكا ذلك قط، ولا تَضَجَّرَ[١] منه، وبهذا كان الصَّبْرُ أخا الشكر، فلمَّا قيل له: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود:٣٦]؛ حينئذ دعَا عليهم، واعتدَّ بعد ذلك دعوته تقصيرًا لعظيم[٢] عبادته، حتى اعتذر بها عن سؤال الشفاعة، فيقول للخلق يوم القيامة: «إني دعوتُ على قومي»[٣]، إشارة إلى أنه فاته إذ أعلمه الله ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾؛ أن يَكِلَهُم إلى الله حتى يَنْفُذَ فيهم حُكْمُه، ويبقى هو مُلَازِمَ رَسْمِه.

وقد قال قَوْمٌ في حقيقة الشكور: «إنه الذي يشكر على الشكر»[٤].

ولأجل هذا قال قوم: «إنه لا يطاق».

وأنشدوا فيه لمحمود الورَّاق:

إذا كان شُكْرِي نِعْمَةَ الله نِعْمَةً ... عليَّ له في مثلها يجبُ الشُّكْرُ

فكيف أؤدي حقَّ ما هو مُنْعَمٌ[٥] ... وإن طالت الأيام واتَّصل العُمْرُ[٦]

وذَكَرَ الأبيات، وبهذا بَطَلَ مَذْهَبُ القدرية في قولهم: «إن شكر المنعم واجب بالعقل»، فإنَّ العقل يُعْطِي أنه لا آخِرَ للشكر، وبالشَّرْعِ عرفنا أن الفرض يسقط بالقَدْرِ المستطاع، والقول المُرَاعَى المُرَاعِي.

---

(١) في (ك): يضجر.

(٢) فوقها في (د) كلمة لم أتبينها، ولم يصححها الناسخ.

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) لطائف الإشارات: (٢/٣٣٥).

(٥) في (د) و(ب): مُنعِم.

(٦) من الطويل، وهي لمحمود الوراق في أحسن ما سمعت للثعالبي: (ص٧)، وزهر الآداب: (١/١٣٨)، وفيها: فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله.

وقيل: «الشكور هو الذي يصرف ماله في الصدقة، وبدنه في الطاعة، ولسانه في الذِّكْرِ، وقلبه في الفِكْرِ»[١].

٢ [١٦/أ]

ولذلك أثنى/ الله على إبراهيم فقال: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ [النحل:١٢١]؛ لأنه بَذَلَ مَالَه للضِّيفَانِ، وبَدَنَه للنيران، وقلبه للرحمن؛ فاتخذه الله خليلًا، واصطفاه دون الخلق وليًّا، وكان به - أبدًا - حَفِيًّا، ووهب له إسحاق ويعقوب ومن ذريته، وجعل الكُلَّ نَبِيًّا.

[الوصاةُ بالأحاديث الصحيحة]:

والآياتُ في الشكر كثيرة، والأحاديث قليلة، فلا تلتفتوا إليها، فإنَّ مَثَلَ من يطلب العلم بالحديث الضعيف والباطل كمن يصلي بطهارة الماء المُتَغَيِّرِ والنَّجِسِ، فلا يطلب الحق إلَّا بالحق، ولا يعضد الصحيح إلا بالصحيح.

[استعمالُ نعم الله في المكروهات كفران لها]:

وقد وردت زيادةٌ للصُّوفِيَّةِ في هذا الباب حسنة، حيث قالت: «إن استعمال نِعَمِ الله في المكروهات كُفْرَانٌ لها»، بل في تَرْكِ الأدب، ألا ترى إلى عثمان كيف لم يَمَسَّ ذَكَرَه بيَمِينِه منذ[٢] بايع بها رسول الله[٣]، فرأى أن اتصال يده بيد رسول الله نعمة، ورأى من شُكْرِها ألَّا يستعمل يده في محظور ولا مكروه ولا في ترك أدب، ورأى أن ذلك العضو مَحَلُّ أقذار من

---

(١) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٣٣٥).

(٢) في (ك): مذ.

(٣) يشير إلى حديث: «فوالله ما تغنَّيت ولا تمنَّيت، ولا مسست فرجي بيميني منذ بايعت رسول الله»، أخرجه الطبراني في أكبر معاجمه: (٥/١٩٣).

وجه، وشهوات من آخر، فطهَّره[1] عن محل الأقذار، وقدَّسه عن مظانِّ الشهوات لمَّا باشر به أكرم الجوارح في أشرف القُربات.

قال الإمام الحافظ[2] رضي الله عنه: فتَفَطَّنَ[3] لدَقِيقَةٍ[4] عظيمة جازاه الله بها؛ وهي أن جعل يد رسول الله بدل يده[5] يوم الحُدَيبية حين بايع الناسُ على الموت، وغاب عثمانُ فضرب رسولُ الله ﷺ بإِحْدَى يديه على الأخرى[6] بيده على الأخرى، وبايع بهما، وقال: «هذه يد عثمان»[7]، وناهيك بهذا[8] مرتبة.

وقد حَقَّقَ الله تعالى هذا المعنى بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

أي: ليكون كُلُّهم لكُلِّي.

---

(١) في (د) - أيضًا -: فطهر يده، وفي (ص): فطهَّر يمينه.

(٢) في (ب): قال الإمام ابن العربي، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): فتفطنتُ، وما أثبتناه أشار إليه في (ك).

(٤) في (د): رقيقة.

(٥) بعده في (ك) و(ص) و(ب): فقال، وضرب عليها في (د).

(٦) قوله: «فضرب رسول الله ﷺ بإِحْدَى يده على الأخرى» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي رضي الله عنه، رقم: (٣٦٩٨-طوق).

(٨) في (د) - أيضًا -: بها، وفي (ص): بهذه.

وقد يتفق أن يجتمع المكروه[١] والمحظور وترك الأدب في قضية واحدة، مثل أن يأخذ المصحف ويده ملطوخة بالنجاسة مُحْدِثًا بيساره، أو كمن[٢] يبيع حُرًّا وقت النداء يوم الجمعة، فهذه حرمات متروكة، وظلمات بعضها فوق بعض مركومة، وكفران على كفران؛ ربَّما أدَّى إلى سَلْبِ الإيمان، فلا يزال العبد يُلَابِسُ المعاصي ويستهين بارتكابها ويستسهل مواقعها[٣] حتى تُوقِعَه[٤] في سَلْبِ الإيمان.

ولاقتحام الخلق المعاصي تارة، والمكروهات أخرى، ونبذ الآداب ثالثًا[٥] قال إبليس:/ ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٦].

٢ [١٦/ب]

درجاتُ الشَّاكرين:

والنَّاسُ في الشُّكْرِ درجات:

الأولى[٦]: الملائكة؛ لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، ويسبحون الليل والنهار لا يفترون.

[الثانية]: ويليهم الأنبياء، وقد اختُلف في فَضْلِ بعضهم على بعض، وأفضلُ الأنبياء مرتبة في الشكر مُحَمَّدٌ ﷺ.

[الثالثة]: ويليهم العلماء، وهم الذين يخشون الله ولا يخالفون ما علموه من أمره وشَرْعِه.

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): المحظور والمكروه.

(٢) في (ك) و(ب): وكان، وضرب عليها في (د).

(٣) في (د): بمواقعها.

(٤) في (د): تواقعه، وسقطت من (ص).

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): ثالثة.

(٦) في (د): الأول.

وينقسم النَّاسُ بعد ذلك إلى أنواع شتى ، شُكْرُ كل أحد[١] على مقداره وحاله في قِسْمِ النعمة التي أُوتِيَها.

أنواعُ النعم:

فإنَّ نِعَمَ الله أنواعٌ ، ولا يُحْصَرُ[٢] تفاصيلها ، أمَا إنَّها ربَّما عُلِمَتْ على التبعيض ، فيقال: النعمة نعمتان:

نعمةُ دنيا.

ونعمةُ آخرة.

فنعمة[٣] الدنيا العافية ، ونعمة الآخرة النجاة من العذاب.

وتنقسمُ من وجه آخر إلى نعمتين:

خاصة.

وعامَّة.

فالخاصَّة: ما كانت في حق المرء وحده.

والعامَّة: ما تناولها[٤] مع غيره.

فإذا كانت خاصَّةً حَمِدَ الله على ما خصَّه به.

وقالت طائفة من الصوفية: «إنَّ ذلك ذنب».

---

(١) في (د) - أيضًا -: واحد.

(٢) في (ص): تُحصر.

(٣) في (د) و(ك): فالنعمة.

(٤) في (ب): تناولته.

قال سَرِيٌّ: «أنا منذ ثلاثين سنة في الاستغفار؛ لقولي: الحمد لله مرة؛ إذ وقع حريق ببغداد، فاستقبلني رجل فقال: نجا حانوتك، فقلت: الحمد لله، فأنا أستغفر الله من ذلك لأنِّي رأيتُ لنفسي خيرًا ممَّا للمسلمين»[١].

قال ابن العربي[٢]: وهذا تغلغل في حالة سمحت فيه الشريعة، كان النبي ﷺ إذا آوى ويقول لمن آوى إلى فراشه: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وكفانا وآوَانا، وكَم مَن لا كَافِيَ له ولا مُؤْوِيَ»[٣].

أَمَا إِنَّه ينبغي أن يكون مُتَحَزِّنًا على ما فَاتَ من فَاتَهُ ذلك، فيجمع بين نهاية التدقيق[٤] وغاية الشكر، والله أعلم.

وتنقسم من وجه[٥] آخر إلى نعمة في البدن ونعمة في المال، وربما زاد بعضهم فيه نِعْمَةَ العِرْضِ، وهو صحيح؛ فإنَّ الله تعالى نوَّعها على لسان رسوله[٦] ثلاثة، فقال: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام؛ كحُرْمَةِ يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا»[٧].

---

(١) رسالة القُشَيري: (ص٤٥).

(٢) في (ب): قال الإمام رحمه الله.

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) في (ب): التنافس.

(٥) قوله: «آخر إلى نعمتين خاصة وعامة.. وتنقسم من وجه» سقط من (ص).

(٦) في (ك) و(ب) و(ص): نبيه.

(٧) تقدَّم تخريجه.

[قولُـه تعـالى: ﴿ٱلرَّحۡمَـٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ خَلَقَ ٱلۡإِنسَـٰنَ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾]

ويحصرُ لك ضَبْطَ نَشْرِها أنَّ كل موجود فيك أو لك أو لغيرك تعود إليك منفعته أو لغيرك فإنها من فِعْلِ الله، فكلُّ موجود له يجب عليك الشُّكْرُ فيه، ويجمع ذلك قولُه تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَـٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ خَلَقَ ٱلۡإِنسَـٰنَ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٍ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾ [الرحمان: ١ - ٧] . /

٢ [١٧/أ]

قال الإمام الحافظ[١] رضي الله عنه: فبيَّن أنه سبحانه برحمته علَّم القرآن؛ رَحِمَهم وعصمهم عن الشِّرْكِ، وأكرمهم، وأَوْعَزَ إليهم[٢] بكلمة التقوى، وألزمهم وعرَّفهم كلامه، وأنزل عليهم كتابه، وعلَّمهم آياته[٣].

وفائدتُه: «أنَّ الله انفرد بتعليم الخَلْقِ القرآنَ[٤]، وجَرَتْ سُنَّتُه سبحانه أنه إذا أعطى نبيًّا شيئًا أعطى أمته منه، وأشركهم معه فيه، فلمَّا قال له[٥]: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُ﴾ [النساء: ١١٢]؛ قال لنا: ﴿ٱلرَّحۡمَـٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ خَلَقَ ٱلۡإِنسَـٰنَ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾»[٦].

---

(١) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.
(٢) في طرة بـ (ك) بغير خط الناسخ: أمرهم.
(٣) سقطت من (ك) و(ب) و(ص).
(٤) في (د): القرآن الخلق.
(٥) سقط من (د).
(٦) لطائف الإشارات: (٣/٥٠٢).

ويقال: «علَّم الله آدم الأسماء كلها، ثم أَمَرَهُ بعَرْضِها على الملائكة، فقال: ﴿أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ [البقرة:٣٢]، وعلَّم المسلمين القرآن»(١).

وقال ﷺ: «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب»(٢)، «والمصلي يناجي ربه»(٣)، فقال لآدم: «اذكر ما عَلَّمْتُك للملائكة، وقال لنا: ناجني يا عبدي بما عَلَّمتك»(٤).

قال بَعْضُهم: «قد يُلَاطَفُ أولادُ الخَدَمِ بما لا يُصْنَعُ مع آبائهم»(٥).

وقد قال أهلُ التفسير: «إن الله علَّم الأرواح القرآن قبل تركيبها في الأجسام بلا واسطة، والصِّبْيَانُ إنَّما يتعلمون القرآن في حال صغرهم قبل أن يسمعوا كلامًا(٦) سواه»(٧).

وفي هذا مُتَعَلَّقٌ لأهل المغرب في ابتدائهم الصبيان بتعليم القرآن، لو صحَّ.

---

(١) لطائف الإشارات: (٣/٥٠٢).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: أبواب الصلاة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء أنه لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب، رقم: (٢٤٧-بشار).

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: كتاب الصلاة، العمل في القراءة، (١/١٥٩)، رقم: (٢١٥-المجلس العلمي الأعلى).

(٤) لطائف الإشارات: (٣/٥٠٣).

(٥) لطائف الإشارات: (٣/٥٠٣).

(٦) في (ك) و(ب): كلام.

(٧) لطائف الإشارات: (٣/٥٠٣).

ويقال: «برحمته علَّمهم القرآن، لا بقراءة القرآن وَصَلُوا إلى رحمته، فَضْلُه سَبَقَ عَمَلَهم[١]»[٢].

ثم قال: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾، الإنسان هاهنا جِنْسُ الخلق، علَّمهم البيان فَفَضَّلَهُمْ به على[٣] جميع الحيوان، وعلَّمهم ألسنتهم التي يتخاطبون بها، والبيانُ العِلْمُ، وقد شرحنا ذلك في «كُتُبِ الأصول»[٤].

وقيل: «هذا رَدٌّ على أهل مكة حين قالوا: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل:١٠٣]، فقال الله: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾، الآيات»[٥].

وقيل: «الإنسانُ: آدم»[٦].

وقيل: «البيانُ الذي خُصَّ به الإنسان الاعتبارُ؛ حتى عَلِمُوا كيف يخاطبون أمثالهم وأشكالهم، وأمَّا أهلُ الإيمان والمعرفة فعَلَّمَهُمْ كيف يخاطبون مولاهم»[٧].

وبيانُ العِبَرِ[٨] يختلف[٩]:

---

(١) في (د): عليهم.

(٢) لطائف الإشارات: (٣/٥٠٣).

(٣) في (ك) و(ب) و(ص): عن.

(٤) لطائف الإشارات: (٣/٥٠٣).

(٥) لطائف الإشارات: (٣/٥٠٣).

(٦) لطائف الإشارات: (٣/٥٠٣).

(٧) لطائف الإشارات: (٣/٥٠٣).

(٨) في (ك): الغير، وطُمِسَ موضعُها في (د) و(ب).

(٩) ينظر: لطائف الإشارات: (٣/٥٠٤).

فبيانٌ بلسان؛

وبيانٌ بقلب؛

وبيانٌ بنَفْسٍ؛

وبيانٌ بدَمْعٍ؛

وبيانٌ بلَحْظٍ؛

وبيانٌ بإشارة؛

وفي كل واحد أَثَرٌ ونَظَرٌ، بيانُه في موضعه لا نُطَوِّلُ به هاهُنا.

٢ ومن نِعَمِه أن جعل الشمس والقمر/ بحُسْبَان، حتى ينتهي إلى تَكْوِيرِ [١٧/ب] الشَّمْسِ وخَسْفِ القمر.

ونجومُ السماء وشَجَرُ الأرض يسجدُ[١] في أَصَحِّ الأقوال.

ورَفْعُ السماء بغير عَمَدٍ[٢].

ووَضْعُ الميزان.

قيل: هو الشَّاهِينُ؛ ليعتبر الناسُ الإنصاف[٣].

وقيل: الميزانُ: العَدْلُ[٤].

وأمرهم أَلَّا يَطْغَوا فيه، وذلك بأن يحفظوا العَدْلَ في جميع الأمور؛ في حقوق الله سبحانه، وفي حقوق الآدَمِيِّينَ؛ بتَرْكِ الحَيْفِ، ومجاوزة الحَدِّ

---

(١) في (ص): تسجد.

(٢) في (د): أمرهم.

(٣) لطائف الإشارات: (٣/٥٠٤).

(٤) لطائف الإشارات: (٣/٥٠٤).

في كل شيء، فيُعْتَبَرُ في الأعمال الإخلاص، وفي الأقوال الصدق، وفي الأنفاس التحقيق ومساواة الظاهر للباطن، وترك المداهنة والخداع والمكر، ودقائق الشرك وخفايا النفاق، وعوارض الخيانات وسوء الأخلاق[١].

وقوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾: بالمكيال الذي تَكْتَالُ يَجِبُ[٢] أن يُكتال لك[٣]، واشرب ممَّا[٤] تَسْقِي، وانتظر أن تُعامَل بما تُعامِل، فكما تَدِينُ تُدان[٥].

قال الإمام الحافظ[٦] رضي الله عنه: فهذا كله يقتضي أن تُرَاعِيَ أمر الله في كل حالة وعمل، فإن الكل منه، وهو الآمِرُ بالعَدْلِ فيه، والعَدْلُ أن تَرُدَّ نعمته في خِدْمَتِه، وألَّا تخرج فيها[٧] عن شِرْعَتِه، فمن لَبِسَ الحرير أو أكل الكثير أو وطئ الأجنبية[٨] فقد أَخْسَرَ الميزان، وعَدَلَ عن العَدْلِ.

وقد قال النبي ﷺ في المال: «نِعْمَ صاحب المسلم؛ ما أطعم منه المسكين وابنَ السبيل»[٩].

وكذلك إذا أنفق شبابه في عبادة الله، وأفنى عمره في طاعة الله.

---

(١) لطائف الإشارات: (٣/٥٠٥).

(٢) في (ص) و(ب): تحب.

(٣) في (ص): بالمكيال الذي تُحب أن يكتال لك به.

(٤) في (ك): بما.

(٥) لطائف الإشارات: (٣/٥٠٥).

(٦) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه.

(٧) في (ك): فيه.

(٨) في (ك) و(ص) و(ب): الأجنبي، وأشار إليه في (د).

(٩) سبق تخريجه.

وكما قال النبي في المال: «إنه نعم صاحب المسلم»[١]، فكذلك يكون الفقر؛ نِعْمَ صاحب المسلم، ما قَصَّرَ به أملَه، وحَسَّنَ عمله، وأتبعه رِضَى الله وشكره، ولا يعتقدُ أنه في حال فقره أقل منه في حال غناه، هذا نبيُّنا كان يُؤذى ويُضرب ويُهان ويُجلى، ثم ملَّكه الله النواصي، وأباح له الصَّيَاصِي، وجمع على محبته قلوب الدَّاني والقاصي، ولم تكن نعمة الله عليه في إحدى الحالتين بأقلَّ من الأخرى.

فإن قيل: وكيف يكون المالُ نعمة وهو زينة الحياة الدنيا؟

قلنا: هو معونة على الطاعة، وفتنة في الشهوة، وكذلك الولد؛ هو سبيلٌ إلى الخيرات وفتنة، وكذلك صحة البدن، فإذا سَلِمَتْ عن الغوائل كانت نعمة، وإذا اقترنت بها آفة كانت نقمة، ولكثرة آفة المال رُغِبَ عنه، ولأنَّ صحة البدن أَصْلٌ في الطاعات رُغِبَ فيها، فالحاجةُ إليها آكَدُ من الحاجة/ إلى المال والولد. ٢ [١٨/أ]

وكلُّ ما فيك وفي الأرض نِعْمَةٌ من الله عليك، تزداد بالشكر في متعلقات إرادتك الدينية، وتذهب بالكفران في متعلقات[٢] إرادتك الشهوانية، كما قال: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان:١٩]، وقال في مقابلة ذلك: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ [الأنعام:١٢١]، لتسلم النِّعَمُ ظاهرُها وباطنُها من الإثم ظاهرِه وباطنِه[٣]، فيتطهَّر الظاهرُ من دَرَنِ[٤] الظاهر، ويتطهَّر الباطن من دَرَنِ[٥] الباطن.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) في طرة بـ (د): متعلق، وصححَّها.

(٣) في (ك) و(ب): ظاهرة وباطنة.

(٤) في (ك): دون.

(٥) في (ك): دون.

[فائدةُ الشكر]:

ومن أعظم[1] نعمة لله[2] على الخلق تسخيرُ الملائكة لهم في الرزق؛ من ابتداء أحواله، إلى أن يكون لك غذاءٌ في فمك ملائمًا لشهواتك، وبهذا كله تُستجلب فائدة الشكر، وهي المزيد، قال الله في القرآن المجيد: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٩].

فإن قيل: فما وجه الزيادة؟

قلنا: قد ذَكَرْنَا فيما تقدَّم ألفاظًا وَعْظِيَّةً فيها حقائق علمية، لا يتفطَّن لها إلَّا الحاذق.

وأمَّا أهلُ الفقه فقد قالوا في ذلك أقوالًا أربعة[3]:

الأوَّل: أنَّ قوله: ﴿لَأَزِيدَنَّكُم﴾ مُطْلَقٌ قَيَّدَهُ قَوْلُه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج:١٨]، فإنه فعَّال لما يريد، كما قال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠].

الثاني: أنَّ هذا مخصوص بقَوْمٍ دون قَوْمٍ.

الثالث: أن[4] معناه: لأزيدنكم إلَّا أن تَعْصُوا، ولا يتفق لهم إلَّا أن يَعْصُوا.

الرابع: إذا لم يظهر المزيد على صاحب النعمة عَلِمْنَا أنَّه لم يشكر.

---

(١) في (ص): أعم.

(٢) في (ك): الله.

(٣) لم أهتد إل معرفتها بعد بحث ونظر في كتب التفسير، والله أعلم.

(٤) مرَّضها في (د).

وهذا أقواها في النظر، وإن كان الكُلُّ مُحتملًا، وبعضُه أقوى من بعض.

[آفةُ الشكر]:

وليَحْذَرِ العبدُ آفَةَ الشُّكْرِ، وهي من وجهين:

أحدهما: الغفلة عنه باسْتِدْرَارِ النِّعَمِ.

الثاني: اعتقادُ استحقاقها.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون:٩]، وقال: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر:١ - ٢]، فإنَّك إذا كنت لله كان الله لك، وإذا اشتغلت بالله نَظَرَ لك الله فيما اشتغلت عنه به[1]، ولا تغترُّوا بسلامة أوقاتكم، ولا بتمادي نعمكم؛ عن أن تُقبلوا على عبادة ربكم، وتَرْقُبُوا آجالكم، وتتأهَّبُوا لما بين أيديكم، ولا تركنوا إلى العَطَنِ في مَبَارِكِ التسويف، وديار التخلف والتَّخْلِيف.

وقد قال الجاهلُ في نِعَمِ الله إذا ذُكِرَتْ[2] عنده واستمرت عليه: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص:٧٨]، ذَكَرَ حَظَّ[3] نفسه ونسي ربَّه، واعتقد أنه أُوتِيَ ما يستوجب، وحصل ما عنده بحق،/ وخرج على قومه في شَارَتِه العظيمة، وهيئته العجيبة، فلمَّا عاينوه انقسموا بالمقدار إلى نوعين:

٢ [١٨/ب]

---

(١) لطائف الإشارات: (٣/٥٩١).

(٢) في (ك) و(ب): كثرت.

(٣) في (ك) و(ب) و(ص): لَحَظَ، ومرَّضها في (د).

أحدهما: من كُتب له سوء الدار؛ فقالوا: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص:٧٩]، فتمنَّوا مثل حاله، وكان جامعًا مُحْتَجِنًا، وقد ذمَّ النبيُّ هذا، وأخبر عن سوء مآله، كما تقدَّم بيانُنا له عنه بقوله فيه.

وقال أهل الصَّحْوِ عن سُكْرِ[1] الدنيا، الناظرون بعين البصيرة إليها، العالمون بسوء عاقبة قارون فيها، مُؤَجَّلًا وإن[2] أُمْهِلَ مُعَجَّلًا: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [القصص:٨٠]، فلمَّا نزلت به العقوبة نَدِمُوا، وقالوا: ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ [القصص: ٨٢].

يعني: منَّ الله علينا بفَقْدِ حال قارون.

وقد يُقَصِّرُ العبدُ في الشكر؛ لأنَّه يرى غيره أكثر نعمة منه، وينبغي له أن يتأمَّل وجهين:

أحدهما: ما آتاه الله ممَّا لا يستحقه عليه من نِعَمِه عنده، وأنه لم يقم بَعْدُ بشُكْرِها، ولا يغتر بذلك الذي ربَّما كانت له[3] إِمْلَاءً.

ولْيَنْظُرْ - **في الوجه الثاني** - إلى من دونه من أهل الفقر والزَّمَانَةِ والكفر بالله والجُحُودِ له، ولْيَمُرَّ على المقبرة؛ فإنه ربَّما يظهر إليه أن مَيِّتًا فيها يَوَدُّ أن يكون في مثل حاله، فإذا كان من الممكن ذلك فليَعْلَمْ أنه على نعمة.

---

(١) في (ك): شكر.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): إن.

(٣) سقط من (ك).

وقد يَجْهَلُ وَجْهَ النِّعْمَةِ في البلاء فلا يَشْكُرُ؟

قلنا: البلاء والنعمة اسمان غريبان[١]؛ فإنَّ البلاء منه ما هو نعمة، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُومِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَناً﴾ [الأنفال:١٧].

قال علماؤنا: معناه: «يُعطيهم المِنَحَ ليظهر شكرهم، وقد يُعطيهم المحن ليظهر صبرهم، فالبلاءُ الحسن تحقيق الشُّكْرِ في المنحة، وتحقيق الصَّبْرِ في المحنة»[٢].

وقال المحققون: «كل ما يفعل الباري حَسَنٌ، فإنَّ له أن يفعله».

وقالت الصوفية: «حَسُنَ البلاءُ لأنه منه، وطاب البلاءُ لأنه فيه»[٣].

وقَوْلُ المحققين أصحُّ عندي، وأجرى على الأصول.

وقيل: «البلاء الحسن ما لا دعوى فيه إن كانت منحة، وما لا شكوى فيه[٤] إن كانت محنة»[٥].

وقيل: «بلاءُ كل أحد على قدر حاله ومقامه، فأصفاهم وَلَاءً أقواهم بَلَاءً»[٦].

قال النبي ﷺ: «أشدُّ الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل، فالأمثل»[٧].

---

(١) في (ك) و(ص): عربيان.

(٢) لطائف الإشارات: (٦١١/١).

(٣) لطائف الإشارات: (٦١١/١).

(٤) سقطت من (ك) و(ب) و(ص).

(٥) لطائف الإشارات: (٦١١/١).

(٦) لطائف الإشارات: (٦١١/١).

(٧) تقدَّم تخريجه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١] [الأنفال:١٧]، هذا تسلية لقوم، وتهديد لآخرين[٢].

المعنى: أن الله يسمع قولكم في المسرَّة، وأنينكم في المضرَّة، فيحملُ البلاءَ عن من يراه، ويُديمه على ما يراه.

٢ [١٩/أ]

وقد مَنَعَ الله رسولَه ﷺ من[٣]/ الشَّكْوَى حين اشتدَّ عليه الكَرْبُ والبلاء، فقال له[٤]: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ أَلسَّٰجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَاتِيَكَ أَلْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٧ - ٩٨].

وأَمَرَه بالصبر فقال: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [طه:١٢٨].

ولم يأذن له في أكثر من العبادة، وقال له: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُومِنِينَ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ أَلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتَ اَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء:١ - ٣].

قيل له: لعلك تقتل نفسك غمًّا إذ لم يؤمنوا، ما عليك منهم، لست بمسيطر عليهم، إنَّما أنت مُذَكِّرٌ[٥].

---

(١) في النسخ: ﴿وأن الله سميع عليم﴾.
(٢) لطائف الإشارات: (٦١١/١).
(٣) في (د): عن، من.
(٤) سقط من (د) و(ب) و(ص).
(٥) ينظر: لطائف الإشارات: (٦/٣).

وقيل: إنه سُلِّيَ حين كان يريد أن يَرْمِيَ نفسه من الجبال غمًّا.

والأوَّل أصح؛ لأنه إنما كان يَهُمُّ بطرح نفسه من الجبل حين أبطأ عنه جبريل عليه السَّلام شوقًا إليه، وأَسَفًا على انقطاع الوحي عنه[(١)].

ومنه أيضًا ما يكون نقمة، وكذلك النعمة قد تكون استدراجًا، ولذلك اختلف الناس؛ هل لله على الكافر نعمة أم لا؟

وإذا أردتَ بلاءً مطلقًا فهو معاندة الله، وإذا أردت النعمة المطلقة فهي طاعة الله، وأعظم بلائه المطلق الكفر، وأعظم نعمه المطلقة الإيمان، ولا يُتصوَّر شُكْرٌ في الكفر ولا صَبْرٌ.

وللمعاصي درجات يطول تَعْدَادُها، ولكن إذا نظرنا في مصائب الدين فلا صبر فيها ولا شكر، أمَا إنه لا صبر فيها؛ فلأجل أنه بَلِيَّةٌ على العبد من قِبَله، يلزمه الخروج عنها بالتوبة، وأمَّا شُكْرُ الله عليها فمحال؛ لأنَّها تُورِثُه[(٢)] العذاب والبُعْدَ من الله.

وأمَّا مصائب الدنيا فتلك التي يُتصوَّر فيها الصبر كما تقدَّم، وللشكر فيها[(٣)] وجوه:

الأول: على أن لم تكن أعظم ممَّا هي.

---

(١) حديثُ هَمِّ رسول الله بالتردي من شواهق الجبال حديثٌ أخرجه البخاري عن الزهري بلاغًا: كتاب التعبير، رقم: (٦٩٨٢-طوق)، وهو حديث لا يصح لانقطاعه، ينظر: فتح الباري: (١٢/٣٥٩).

(٢) في (ب): تورث.

(٣) في (ك) و(ب): فيه.

الثاني: على[١] أنها[٢] إن[٣] لم تَكُنْ في دِينِه فكم ترى ممَّن أُصيب بدينه.

الثالث: أنه يرى أنه تخفيف من ذنوبه أو حَطٌّ، إذ قد ثبت في الحديث الصحيح - كما قدَّمنا - أن المصائب تحطُّ الذنوب.

الرابع: أنه يرى أن ثوابها أفضل منها، فهذه نعمة عظيمة؛ حيث أُخِذَ منه فأُعطي أفضل، وقد تقدَّم بيانُه.

ولا خلاف بين العلماء أن الصبر على المصيبة أهونُ من الشُّكْرِ على النعمة، قال عبد الرحمن بن عوف[٤]: «ابتُلينا بالضَّرَّاءِ فصبرنا، وابتُلينا بالسَّرَّاءِ فلم نصبر»[٥].

ومن جَمَعَ الصَّبْرَ والشُّكْرَ فهُوَ «الحَامِدُ».

* * * * *

(١) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٢) في (ص): إنما.

(٣) سقط من (د).

(٤) قوله: «عبد الرحمن بن عوف» سقط من (ك) و(ب) و(ص).

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٢٤٦٤-بشار).

الحامدُ[١]: وهو الاسمُ المُوَفِّي أربعين

وليس فيه[٢] حديث يُعَوَّلُ عليه، والحديثُ الذي يقال فيه: «الحمَّادون[٣] لله»[٤] لا أصل له./ ٢ [١٩/ب]

ولكن من جَمَعَ بين الوجهين فأثنى وشَكَر[٥]، وأطاع وتواضع[٦] عند النعمة وصَبَر، ولم يضجر عند البلاء؛ فهُوَ «الحامد»، وقد كان النبي ﷺ يستعيذ من دَرَكِ الشقاء، وسوء القضاء، وجَهْدِ البلاء، وشماتة الأعداء، كما كان يستعيذ من فتنة الغنى والفقر، وفتنة المحيا والممات، ويأمر بسؤال الله العفو والعافية، ويتردَّد في أحواله بين خوف نقمة ربه[٧] ورجاء مغفرته، وهما: «الرجاء» و«الخوف[٨]».

---

(١) سقط من (د) و(ك) و(ص).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): فيهم.

(٣) في (ب): الحامدون، وأشار إليه في (د).

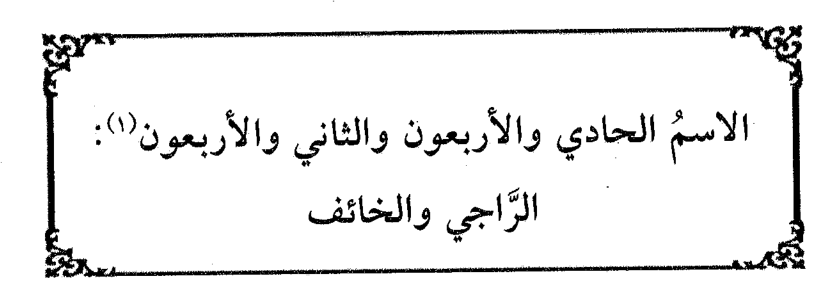
(٤) أخرجه الطبراني في أكبر معاجمه من حديث عمران بن حُصَين رضي الله عنه: (١٨/١٢٥)، رقم: (٢٥٤)، وفي الإسناد من لم أقف لهم على أثر.

(٥) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٦) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٧) ضبَّب عليها في (د).

(٨) قوله: «الرجاء والخوف» سقط من (د) و(ك) و(ص).



الاسمُ الحادي والأربعون والثاني والأربعون[١]: الرَّاجي والخائف

وهما متعارضان؛

فالرجاء معناه[٢]: غلبة ظن بلوغ الأمل على القلب.

والخوف: غلبة ظن وصول المكروه.

فأما ترتيبُ ذلك وتنزيلُه في الدنيا وأسبابها فمعلومٌ عند كثير من الناس، وأما في باب الآخرة فقد خَفِيَ على[٣] الخلق حتى لم[٤] يُدْرِكْهُ أكثرُهم، وإنما انفرد بمعرفته أهلُ السُّنَّةِ؛ فإنَّ الناس في مقامهما[٥] على ثلاث فِرَقٍ:

فرقة قالت: «لا خوف مع لا إله إلا الله»[٦].

---

(١) في (ك): الاسم التاسع والثلاثون والمُوَفِّي أربعين، وفي (ب): الراجي والخائف: وهما الاسم الحادي والثاني والأربعون، وفي (ص): الاسم الحادي والأربعون والاسم الثاني والأربعون.

(٢) في (ك) و(ب) و(ص): معنًى.

(٣) في (ك): عن.

(٤) في (د): في خـ: لا.

(٥) في (د): مقاميهما.

(٦) هو قول المرجئة، ينظر: قوت القلوب: (٦٦٣/٢).

وفرقة قالت: «لا رجاء مع مواقعة ذنب واحد من الكبائر»[١]، وهي التي ردَّ عليها أبو عُبَيد[٢].

وفرقة ثالثة توسَّطت، وقالت: «لا خوف مع الانكفاف عن المزجور والامتثال للمأمور، ولا رجاء مع الكفر بالله».

وإذا تحصَّلت الشهادتان وواقع العبدُ مع ذلك الذنوب فهو على رجاء من المغفرة وخوف من العقوبة، فلينظر لنفسه في الارتقاء عن هذه المنزلة إلى مقام التائبين حتى يحصل من الناجين.

وقال فريقٌ - بعد أن يتوب أو يكون مطيعًا لم يَعْصِ -: لا ينبغي له أن يفارق الفَرَقَ[٣] على الهلكة؛ فإنه لا يعلم هل وفَّى بما عاهد عليه الله؟ وهل امتثل ما أمر به وهل تَحْسُنُ[٤] خاتمته؟

وهذه كلها مخاوف لا يقع فيها الأَمْنُ إلَّا عند الوفاء[٥]، فيكون أيضًا على هذه المنازل الشريفة راجيًا في رحمة الله خائفًا لعقاب الله عز وجل.

حالُ الأنبياء في الخوف:

حتى إنَّ الأنبياء يخافون الله مع أنه أمَّنهم وعرَّفهم منازلهم، وأخبرهم بحُسْنِ الخاتمة لهم، وقد اختلف الناسُ في جهة خوفهم مع الثقة بأَمْنِهم

---

(١) وهو قول القدرية، ينظر: الإيمان لأبي عبيد: (ص١٠١)، وقوت القلوب: (٢/٦٦٣).

(٢) في (د) و (ك) و(ب) و(ص): ورد عليها الوعيد، ومرَّضها في (د).

(٣) الفَرَقُ: الخوف.

(٤) في (د): وهو يُحسن.

(٥) في (ك) و(ب) و(ص): الوفاة.

بصِدْقِ الوعد ووُجُوبِهِ من الله لهم، ولم يأت أحدٌ بشيء، وقد بيَّنَّاه في «كتاب المُشْكِلَيْنِ».

أحسنُه وأحقُّه قَوْلُ الأستاذ الإسفرايني[1]، إِذْ قيل له: «ممَّا[2] كان يخاف النبي وقد أَمِنَ العذاب؟ قال: من العتاب، وهو أَشَدُّ على الأحباب».

٢ [٢٠/أ]

ويظهر هذا من حديث الشفاعة[3]؛ فإنَّ الأنبياء إنَّما ذكروا/ الحياءَ من أمور أَتَوْهَا لا تُوجب عقابًا، فالله أعلم؛ لعلهم خافوا عليها عتابًا.

وقد رُويت عن النبي وسائر الأنبياء أحاديثُ في خوفهم من الله لا يَحِلُّ لمسلم أن ينظر فيها، مَلأَ المتزهِّدون منها كُتُبَهم لجهلهم بالطرائق[4].

وقد رُوي عن عائشة أنها قالت: «كان النبيُّ إذا رأى مَخِيلَةً في السماء أقبل وأدبر، فإذا مطرتْ سُرِّيَ عنه، قالت: فقلتُ له، فقال: وما أدري؟ لعله كما قال: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف:٢٤]»[5]، وهو حديث حسن في الباب، صحيح من اللُّباب، يفتح في المعرفة سبيلًا قد بيَّنَّاها في موضعها.

فإن قيل: فالعشرةُ من الصحابة ومن شهد له النبيُّ بالجنة من سواهم ممَّ كانوا يخافون؟ وعلى مَ كانوا يبكون؟ ويخرج من كلامهم أنهم كانوا بما هم عليه فَزِعِينَ.

---

(١) في (ك) و(ب): الإسفراني.

(٢) في (ك) و(ب): ممَّ.

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) ينظر: قوت القلوب: (٦٥٩/٢)، والإحياء: (ص١٥٣١).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله: ﴿وهو الذي أرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته﴾، رقم: (٣٢٠٥-طوق).

أجاب بعضُهم بأنهم كانوا يخافون على الخاتمة.

وهذا باطلٌ في بعضهم؛ ممَّن قال له النبي: «رَأَيْتُكَ في الجنة في منزلك، وأنت بها[١] رفيقي، ومنزلُك فيها عال»[٢]، ونحو ذلك.

والصَّحِيحُ عندي ما قال في ذلك المتأخرون: من أنه ضَمِنَ لهم ذلك[٣] بشرط استغفارهم وبقائهم إلى الخاتمة على حالهم، فكانوا راهبين على فوات الشرط، أو يخافون على التقصير عن المنزلة بما كان من أمرهم بعد النبي ﷺ[٤].

وقد روى البخاري أنَّ أبا بُرْدَةَ بن أبي موسى قال: «قال لي عبد الله بن عمر: هل تدري ما قال أبي لأبيك؟ قال: لا، قال: فإن أبي قال لأبيك: يا أبا موسى، هل يَسُرُّكَ إسلامُنا مع رسول الله ﷺ وهجرتنا معه وجهادنا معه وعملنا كله معه بَرَدَ[٥] لنا[٦]، وأنَّ كلَّ عمل عملناه بعده نجونا منه كِفَافًا؛ رأسًا برأس؟ فقال أبي: لا، والله، قد جاهدنا بعد رسول الله وصلَّينا وصُمنا وعملنا خيرًا كثيرًا، وأسلم على أيدينا بَشَرٌ كثير، وإنِّي لأرجو[٧] ذلك، قال أبي: لكنِّي أنا - والذي نَفْسُ عمر بيده - لوددتُ أنَّ

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): بها.

(٢) وردت أحاديث كثيرة فيمن شهد له رسول الله بالجنة، تنظر في أبواب المناقب من الصحيحين والسنن.

(٣) بعده في (ك) و(ص): كله، وضرب عليها في (د).

(٤) ينظر: أعلام الحديث: (١٦٥٦/٣).

(٥) بَرَدَ: خلص.

(٦) قوله: «برد لنا» سقط من (ص).

(٧) في (ك) و(ص) و(ب): وإنا لنرجو.

ذلك بَرَدَ لنا، وأنَّ كل شيء عملناه بعده نجونا منه كِفَافًا؛ رأسًا برأس، فقلت: إن أباك - والله - خَيْرٌ من أبي»[١]، ولستُ أعلم حديثًا صحيحًا وَرَدَ فيه لفظُ الرجاء غير هذا.

٢ [٢٠/ب]

أَمَا إِنَّ المعاني في الرجاء والخوف الواردة/ في الأخبار كثيرة، وفي الأحاديث الحسان أخبارٌ كثيرة جدًّا فيها ذِكْرُ الرجاء، وأطنب المصنفون في ذلك بما لا أصل له؛ فلا تُعَوِّلُوا عليه، فأمَّا الآيات؛ فذِكْرُ الرجاء والخوف فيها كثير[٢].

[حالُ الملائكة في الخوف]:

وأمَّا حالُ الملائكة في الخوف فعلى منزلة عظيمة، قال الله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل:٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء:٢٨]، فأخبر الله سبحانه أنهم يخافون ويُشفقون على أنفسهم من خشيته وليس لهم ذنب، وهذه الآية من أصول أهل[٣] السنة في أن لله أن يُعَذِّبَ البريء من الذنب، ولولا ذلك ما خافته الملائكة؛ لعِلْمِها بأنه لا يُعَذِّبُ إلَّا من أذنب[٤].

ثم قال: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء:٢٩]، وقد عَلِمَ أنه لا يقولونه، ولكنه علم أن لو كان كيف يكون

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ، رقم: (٣٩١٥-طوق).

(٢) في (ك): كثيرة.

(٣) سقطت من (ك) و(ب) و(ص).

(٤) ينظر: لطائف الإشارات: (٤٩٩/٢).

حُكْمُه، والله سبحانه يعلم ما يكون كيف يكون، ويعلم ما لا يكون ممَّا يجوز أن يكون أن لو كان كيف كان يكون.

ومِثْلُه قَوْلُه: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس:٩٤]، وهو لم يشكَّ ولم يسأل، ولا يشكُّ ولا يسأل، ولكن الباري علم ما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون، وذلك كُلُّه تأديب للعبد[١] وتحذير له.

وقد روى أحمد في «الزهد» عن النبي: «أن جبريل نزل عليه وهو يبكي، فقال له: ما يبكيك؟ فقال: والله ما جَفَّتْ لي عَيْنٌ مُذْ خَلَقَ الله النار مخافة أن أعصيه فيعذبني بها»[٢].

وهذا الأصلُ صحيح على مذهب أهل السنة؛ فإن العصمة عندنا إنَّما هي بيد الله، هو خالق القدرة على الطاعة، فإذا لم يخلقها وخلق ضدها للعبد - وهي القدرة على المعصية - عصى، وقد بيَّنَّا ذلك في «كُتب التوحيد».

[حالُ المؤمنين في الخوف والرجاء]:

وبقي النَّظَرُ في حال المؤمنين في الخوف والرجاء كما قلنا، وتَرَدُّدُهم بين المقامين يُسَمَّى رجاءً، وقد قال بعضهم: «إنه تَمَنٍّ»[٣]، وجعل الرجاء في وجود الأعمال الصالحة، واجتناب المعاصي للخلاص، مع ما هنالك من خَوْفِ الطوارئ، وإذا كان عَمَلٌ سَيِّئ[٤] لم يكن رجاء، ولكنه إن تعلَّق

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): للغير.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في الزهد بنحوه مرسلًا: (ص٣٦).

(٣) الإحياء: (ص١٤٨٩).

(٤) في (د): على شيء، وفي (ك): عمل في شيء.

له أَمَلٌ بالمغفرة مع المعاصي فهو مُغْتَرٌّ أحمق، ففي الحديث الحَسَنِ: «الكَيِّسُ من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من أَتْبَعَ نفسه هواها وتمنَّى على الله»[١]/. ٢ [٢١/أ]

والذي أعتقده أن الرجاء[٢] إذا كان معه الإيمان فرجاء المغفرة للذنوب أنه رجاء حقيقة، وفي مقابلته خَوْفٌ لاستيفاء العقاب حقيقة.

[درجاتُ الرجاء والخوف]:

وللرجاء درجات، وللخوف درجات، فأعلى درجاته ملازمة الأمر بالامتثال، والمحافظة على الحدود بالاجتناب، وأدناها التزام التوحيد، وألَّا يسجد لغير الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢١٩]، فهؤلاء في رَوْحِ الرجاء يقينًا، وقال أيضًا: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:١٠٣]، فحقَّق الرجاء لمن عمل عملًا صالحًا، وأضاف إليه عملًا سَيِّئًا.

قال بعضهم: «العمل الصالح: التوبة»[٣].

ولو كان كذلك لم يؤخر العمل السيئ في الذِّكْرِ، ولا قال في آخر الآية: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾، فإنَّ معناه عسى الله أن يُيَسِّرَ لهم التوبة، وإنَّما هو خبر عن قوم أطاعوا وعصوا، فأخبر أن الزَّلَّةَ لا تُحبط ثواب الطاعة، ولو أحبطته لم يكن العملُ صالحًا[٤].

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) في (د): في خـ: الرجل.

(٣) لطائف الإشارات: (٢/٥٩).

(٤) لطائف الإشارات: (٢/٥٩).

ونَظِيـرُ الأوَّل قولُـه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر:٢٩].

قال قَوْمٌ: معناه: «قاموا بحق الأمر والنهي، فصَحَّ لهم منزلة الرجاء».

وقال آخرون: «إنه لم يستوف لهم كل عمل، ولكنه اقتصر على التلاوة والصلاة والزكاة، فيكون معها الرجاء؛ وإن وقع بعد ذلك تقصير».

وقال جماعة من العلماء: «أَشَدُّ آية في كتاب الله قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة:٧٠]».

وقيل: «إن هؤلاء الذين يرجون التجارة هم الرجال الذين يُسَبِّحُونَ في المساجد بالغُدُوِّ والآصال، و﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾، ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾[١]، و﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾».

وهذا يَقِينٌ، ولكن ما ذكرناه مظنونٌ مَرْجُوٌّ في درجة من الرجاء كما بيَّنَّاه.

ومن الأحاديث الصِّحَاحِ في معنى الرجاء حديثُ أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «خلق الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جُزْءًا، وأنزل في الأرض جُزْءًا واحدًا، فمن ذلك/ الجزء يتراحم الخلق، حتى ترفع الفرسُ حافرها عن ولدها خشية أن تُصِيبَه»[٢]. ٢ [٢١/ب]

(١) [النور:٣٦].

(٢) تقدَّم تخريجه.

فلو يعلم الكافر بكُلِّ الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكُلِّ الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار، وقد تقدَّم حديثُ «الرجل الذي لم يبتئر[١] خيرًا قط، وأمر بإحراق بَنِيه له[٢]، وتفريقه في البر والبحر، وأن الله أعاده خلقًا سَوِيًّا، وقال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: مخافتك، فما تلافاه غيرُها»[٣].

وصحَّ عن أنس بن مالك أنه قال: «إنكم لتعملون أعمالًا هي أدق في أعينكم من الشَّعَرِ، كنَّا نعدُّها على عهد النبي من المُوبِقات»[٤].

ومن أعظم الذنوب عند الله أن يقول العبد: «أنا أعصي؛ فإن المغفرة معي عُدَّة»، وقد ذَمَّ الله المُقْدِم على هذه الصفة فقال: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف:١٦٩]، ركنوا إلى عاجل الدنيا، وجعلوا نصيبهم من الآخرة المُنَى، وقالوا بحُكْمِهم: ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾[٥].

ومن علامات الاستدراج ركوبُ الزَّلَّةِ في حال المُهْلَةِ[٦].

---

(١) في (ص): يفعل.

(٢) في (د): في خـ: نفسه.

(٣) تقدَّم تخريجه في السفر الأوَّل.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب ما يُتَّقَى من محقرات الذنوب، رقم: (٦٤٩٢-طوق).

(٥) لطائف الإشارات: (٥٨٣/١).

(٦) لطائف الإشارات: (٥٨٣/١).

أَمَا إنَّ العبد إذا واقع الذنب غَفْلَةً بشهوة ثم تذكر بعد ذلك العقوبة فقال: رب اغفر لي؛ نادمًا، قال الله: «عَلِمَ عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب، أُشْهِدُكُمْ أني قد غَفَرْتُ له»[١].

وقد قال الله: ﴿لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٠]، ﴿وَلاَ تَاْيْـَسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف:٨٧]، وهو ضِدُّ الرجاء، فنهى عنه ليكتسب الرجاء بدلًا منه، والمعنى: لا تُبعِد ذلك ولا تَيأس منه إذا طَلَبْتَه بأسبابه.

وقد روى المُفَسِّرُونَ: «أن الآية نزلت في قَوْمٍ من أهل مكة أرادوا الإسلام ففَزِعُوا ممَّا أَتَوا من الذنوب؛ من قَتْلٍ وزِنًا، فنزلت الآية، وأَرْسَلَ بها إليهم»[٢].

والذي صحَّ من ظاهر الآية أنَّ الله قال: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾، فأضافهم إليه، فإن كان ما قال المفسرون صحيحًا فإضافتهم إليه بسبب ما اعتقدوا من الإسلام وأنابوا إليه، لكنهم خافوا ألَّا يُقْبَل منهم، وإن لم يكن ذلك صحيحًا فالآيةُ فِينَا، فإنَّا أسرفنا على أنفسنا، واكتسبنا ذنوبنا، واقترفنا خَطَايَا[٣]، ونسينا وأخطأنا،/ فلمَّا جزعنا من الرد وخِفْنَا؛ قيل لنا: ﴿لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ وأنيبوا إليه، أي: ارجعوا إليه بالكُلِّيَّةِ، فقد كنتم معه بالحسنة، وبِنْتُمْ عنه بالسيئة، فارجعوا إليه بالكلية، وأَتْبِعُوا ما أَتَيْتُمْ بالندم.

٢ [٢٢/أ]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾، رقم: (٧٥٠٧-طوق).

(٢) تفسير الطبري: (٢٢٦/٢٠-التركي).

(٣) في (ك) و(ب) و(ص): خطايانا.

قال علماؤنا: «والفَرْقُ بين الإنابة والتوبة أنَّ الإنابة رُجُوعُ مُسْتَحْيٍ ممَّا اقترف، والتوبةُ[١] رُجُوعُ خائفٍ ممَّا اجترم»[٢].

﴿وَأَسْلِمُواْ﴾؛ أي: أَخْلِصُوا له بعد الإنابة، وكُونُوا على أسباب السلامة، واجتنبوا ورطات الهلكة؛ من قبل أن ينزل عليكم العذاب بغتةً في الدنيا أو بالموت.

ومن «فوائد أبي سَعْدٍ الشهيد»: «إنَّ قوله: ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾: مَدْحٌ، وقوله: ﴿أَسْرَفُواْ﴾: ذَمٌّ، فلمَّا قال: ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾؛ طمع المطيعون في النداء، ونَكَسَ العاصون رؤوسهم، فلمَّا قال: ﴿ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾؛ انتعشت قلوب العصاة ورفعوا رؤوسهم، ثم أكد القصة بقوله: ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾؛ لأنَّ الذنب لا يعود إلَّا على صاحبه، ولا يؤذي به إلَّا نفسه، والله غَنِيٌّ عن الطاعة، مقدَّس عنها وعن المعصية، وزاد الأمر فضلًا فقال: ﴿يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ﴾، وهذه الألف واللَّام لاستغراق الجنس، ثم أكَّد الحال تأكيدًا على تأكيد بقوله: ﴿جَمِيعًاۚ﴾»[٣].

وقد قال الله مُخْبِرًا عن قَوْمٍ دَرَجُوا على الوفاء، ولزموا حال الصفاء، وقاموا بحَقِّ الاستيفاء، وبذلوا أنفسهم لله تعالى واستمرُّوا على الطريق، وطالبوا قلوبهم بالتحقيق، وأخذوها[٤] في سبيل التضييق، وحاسبوها بالتدقيق، فما زاغوا عن طريق الجَهْدِ، ورَاعَوا حقوق العهد، وسَلَّمُوا

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): التائب.

(٢) لطائف الإشارات: (٣/٢٨٨).

(٣) ينظر: لطائف الإشارات: (٣/٢٨٧).

(٤) في (د): في خـ: أمرُّوها.

تسليمًا، ولم يُوهِنهم[١] خوفٌ، ولا أضعفتهم مصيبة، ولا استكانوا لحادثة[٢]، ولا فتَرُوا في عبادة، ولا أَيِسُوا[٣] عن طاعة بعادة، وجادوا بأنفسهم في سبيل الله، وصانوا بمُهَجِهم[٤] رسول الله، فما كان قولُهم بعد ذلك كُلِّه[٥] إلَّا: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٧].

فيا **معشر المريدين**: بأي لسان نقولها نحن، وأتينا الغُدَرَ[٦]، وشربنا الكَدَرَ، وقصَّرنا، وعَقَلْنا عن حقوق الله نفوسَنا وأموالَنا، وعُجْنا عن الطريق، وأرسلنا أنفسنا وقلوبنا، فجارت عن سَنَنِ التحقيق، واستلهى ٢ قُلُوبَنا/ الهوى، ومشينا جادِّين في سبيل الرَّدَى[٧]، وجئنا الطاعة بالهُوَيْنى، [٢٢/ب] واكتفينا في طلب النجاة بالمُنَى[٨]، وأهملنا أحوالنا فلم نراعها، وأنفسنا فلم[٩] نحاسبها، ومِلْنا إلى الراحة واغتنمناها، ولم نراع العهد الذي علينا، ولم نطلب السَّلامة كما أُمرنا، وأَوْهَننا الطمعُ فضلًا عن الخوف، وعَجَّزَتْنا المصائب، وأهانتنا الحوادث، وأذلَّتنا الأطماع، وفتَرْنا في العبادات،

---

(١) في (ك) و(ص): يهنهم.

(٢) في (ك) و(ص): حادث.

(٣) في (ك): أنسوا.

(٤) في (ك): بمهجتهم.

(٥) ضبَّب عليها في (د).

(٦) في (د) و (ك) و(ب): القذر.

(٧) في (ك) و(ب) و(د): الهوى، ومرَّضها في (د)، وفي (ص): الونى.

(٨) قوله: «واكتفينا في طلب النجاة بالمنى» سقط من (د) و(ك) و(ب).

(٩) قوله: «نراعها، وأنفسنا فلم» سقط من (ك) و(د) و(ب).

وأَنِسْنَا بالعادات، وبخلنا بأنفسنا عن المُشْتَرَى الهَيِّنِ الفاني بالثمن الغالي الباقي، وما وَقَيْنا أديانَنا بأموالنا فضلًا عن نفوسنا، فيا لَلَّه ويا للمسلمين من هذا الحادث العظيم، الذي ليس له فرج إلا بالإقلاع والاستغفار، فلتتكلَّفوا ذلك بألسنتكم إن لم تَصْفُ عليه قلوبكم، والزموه[1] ظاهرًا؛ فإنَّ باب[2] الله مع الملازمة سيفتح؛ بانتظام الباطن به، وإخلاص النية معه، فيتَّصِلُ القَبُولُ إن شاء الله.

[أسبابُ الرجاء والخوف]:

وليس لأسباب الرجاء والخوف حَصْرٌ، وإنما هي تيسيرات يُوقِعُها الله في القلوب بحسب ما يختار لها من المنازل، ولكن مرجعها إلى الآيات والأخبار، حتى كان بعضُ العُبَّادِ يقول: «إن أرجى آية في كتاب الله آيةُ الدَّيْنِ؛ فإن الدنيا حقيرة، والدَّيْنُ[3] فيها أحقرُ من النقد، وقد أنزل الله فيها أطول آية في القرآن، فالذي حفظ أقل الدنيا بالاحتياط بمصلحة عباده في الدنيا يحفظ أدنى عباده بأعظم وسائله؛ وهي شهادةُ الحق في الآخرة».

وكذلك في جانب الخوف عَاقَبَ الكفار بأقصر آية في القرآن، وهي قوله: ﴿ذُقۡ﴾ [الدخان:٤٦]، فأهانه بالعذاب، وأظهر التشفي عليه بالانتقام، وثَرَّبَ[4] عليه بالكلام، وعرَّفه ما انتهى إليه من سوء المقام، وهذا غاية العذاب.

---

(١) في (ك): والتزموه.

(٢) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٣) في (ك): الذين.

(٤) ثرَّب: وبَّخه ولامه وعيَّره بذنبه، تاج العروس: (٢/٨٣).

ومن أسباب الرجاء أنَّ الله قال في الملائكة أنهم يستغفرون لمن في الأرض مع ذنوبهم، كما يستغفرون لهم مع طاعتهم؛ في قوله مُخْبِرًا عنهم: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلذِينَ تَابُواْ وَاتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر:٦]، ولولا مغفرتُه ورحمتُه[١] لما رَزَقَ من يَكْفُرُ به لحظة.

وقال المفسرون: «إنَّهم في هذه الآية يستغفرون للعاصين»[٢].

وليس كذلك؛ فإنَّ الله أخبر أنهم في هذه الآية[٣] إنَّما يستغفرون[٤] للذين تابوا.

وقال[٥] قَوْمٌ في قوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى:٣]: «إنَّها منسوخة بالآية التي في «غافر»».

٢ [٢٣/أ]

وقد بيَّنَّا في كتاب «الناسخ والمنسوخ»[٦]/ بطلانَ ذلك، وحقَّقنا أنه عُمُومٌ في «عٓسٓقٓ»[٧] خصَّه ما في «غافر»، وبيَّن أنهم يستغفرون للمؤمنين ممَّن في الأرض، فإنما تستغفر الملائكة للعاصين من المؤمنين لا للكافرين؛ لأنها قد عَلِمَتْ أن الله لا يغفر لكل كافر.

---

(١) في (ك) و(ب) و(ص): بوجه.

(٢) لطائف الإشارات: (٣/٢٩٧).

(٣) سقطت من (ك).

(٤) قوله: «للعاصين، وليس كذلك، فإنَّ الله أخبر أنهم في هذه الآية(٤) إنَّما يستغفرون» سقط من (ص).

(٥) في (ك) و(ب) و(ص): كما قال، وضرب على «كما» في (د).

(٦) الناسخ والمنسوخ: (٢/٣٥١).

(٧) في (ص): ﴿حم عسق﴾.

ويحتمل أن تكون الملائكة تسأل المغفرة للكُفَّارِ بالتوفيق لمُبَاشَرَةِ[١] سبب المغفرة، وهو الإيمان، كما رُوي أن نبيًّا كان قومه جرحوه فيقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[٢]، ولكن ليس ذلك في شَرْعِنَا.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد:٧]، ولولا ظلمهم وذنوبهم ما كان غَفَّارًا، ولولا كونُه غَفَّارًا ما أذنبوا، وهو الأَصْلُ والأَوْلَى.

ومغفرتُه للكفَّار بإمهاله، وللمؤمن بإفضاله، فكلُّ أحد نالته مغفرته ورحمته، ولكنَّها مكتوبة على الإطلاق ﴿لِلذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦]، يعني: الشرك؛ فلا يسجدون لغيري، وكل من لم يُصَلِّ فهو سَاجِدٌ لغير الله بفِعْلِه.

وقال: ﴿وَيُؤتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، بيانًا أن حقوق الآدميين لا يغفرها إلَّا برضاهم.

وقال: ﴿وَالذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤمِنُونَ﴾، المعنى: لا يَرَوْنَ فِعْلًا إلَّا لنا، ومن زَعَمَ أنَّ مع الله فاعلًا فهو كافر[٣].

والذين يتبعون الرسول النبي الأمي؛ هو مُنَبَّأٌ من الله، رَفِيعٌ عنده، مأمورٌ بالإبلاغ إلى الخلق، وكم من نبي لم يُرْسَلْ فجَمَعَ الله له الفَضِيلتين؛ فَضْلَ الرسالة، وفَضْلَ النبوة، وزاده فضيلةً أن جعله أُمِّيًّا، ومع ذلك عَلَّمَه ما لا يقدر عليه[٤] الكاتب النِّحْرِيرُ، ولا العالم الماهر، أستغفر الله؛ بل أَلْفُ أَلْفٍ أو أزيد، إلى ما أوصله الله إليه من المعارف.

---

(١) في (د): مياسرة.

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) في (ص): فقد كفر.

(٤) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

ثُمَّ قال بعضُ العلماء: «فلمَّا أراد أن يكتب بعد تمام النعمة وتَقَرُّرِ المعجزة كَتَبَ»[(١)].

وهو مذهب بعض التابعين[(٢)].

ومن فضائله التي[(٣)] يتعلق بها الرجاءُ أنه لا يُخْزِيهِ الله تعالى، قال سبحانه: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [التحريم:٨]، وهي من آيات الرجاء؛ فإن الله أَمَّنَ رَسُولَه من الخِزْيِ؛ وهو الاستحياء والمذلة، وهو أكرم الخلق وسَيِّدُهم.

قال أبو جعفر محمد بن علي[(٤)]: «يا أهل العراق؛ أنتم تزعمون أن أرجى آيةٍ في كتاب الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[(٥)]، ونحنُ نرى أرجى آية في كتاب الله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى:٥]، فيا معشر المريدين؛/ فهل يرضى مُحَمَّدٌ أبدًا وأَحَدٌ ممَّن صدَّقه في النار؟»[(٦)].

٢ [٢٣/ب]

---

(١) ينظر: تحقيق المذهب لأبي الوليد الباجي: (ص١٩٨)، والعارضة: (٨/١٤٦-١٤٧).

(٢) وممن شُهِرَ عنه القول بذلك التابعي الجليل عون بن عبد الله بن عتبة، قال: «ما مات النبيُّ ﷺ حتى قرأ وكتب»، حلية الأولياء: (٤/٢٦٥)، ويأتي مزيد بيان له في آخر السفر الرابع، اسم «الغريب».

(٣) في (ك): الذي.

(٤) الإمام الحافظ، والحجة الناسك، محمد بن علي بن الحُسَين بن علي بن أبي طالب، أبو جعفر الباقر، رضي الله عنه وعن آبائه، ترجمته في: سير النبلاء: (٤/٤٠١-٤٠٩).

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): ﴿لا تقنطوا من رحمة الله﴾.

(٦) قوت القلوب: (٢/٥٨٧).

ثُمَّ بِفَضْلِ الله وبرحمته قد أَمَّنَ المؤمنين من الخِزْيِ أيضًا في أحد القولين في الآية، المعنى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ﴾ ﷺ، ولا يخزي ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾، ﴿نُورُهُمْ﴾ الذي اهتدوا به في الدنيا ﴿يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، ﴿وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ﴾ كُتُبُهم.

وقيل: «بأيمانهم نور»[١].

وهو الأظهر.

كان النبي يقول في دعائه بالليل: «اللهم اجعل في قلبي نُورًا، وفي نفسي نورًا، وفي صدري نورًا، وفي لساني نورًا، وفي سمعي نورًا، وفي بصري نورًا، وفي شَعَرِي نورًا، وفي بَشَرِي نورًا، وفي مُخِّي نورًا، وفي عَظْمِي نورًا، وفي لَحْمِي نورًا، وعن يميني نورًا، وعن يساري نورًا، وفوقي نورًا، وتحتي نورًا، وأمامي نورًا، وخلفي نورًا، وفي قبري نورًا، وعند لقائك نورًا، وعلى الصراط نورًا، واجعل لي نورًا، واجعلني نورًا، وأعطني نورًا، وأَعْظِمْ لي نورًا، وارزقني نورًا»، فهذه خمسة وعشرون نُورًا، منها في «صحيح مسلم»[٢] سبع عشرة دعوة، والباقي من[٣] «الحِسَانِ»[٤].

---

(١) لطائف الإشارات: (٣/٦٠٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم: (٧٦٣-عبد الباقي).

(٣) في (ب): في، وأشار إليها في (د).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب منه، رقم: (٣٤١٩-بشار).

فالمؤمنون يضرعون إلى الله في أن يُتَمِّمَ نُورَهم حتى يصلوا به إلى الجنة؛ إذ نُورُ المنافق يُطْفِئُه حَرُّ النار عند الصراط لضعفه، ونُورُ المؤمن لقوَّته لا يؤثر فيه ريحُ نَارٍ[١]، ولا يطفئه إعصار.

ومن أخبار الرجاء العظيمة قَوْلُه ﷺ: «لا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان»[٢]، ويعارضه في الخوف الحديث الصحيح مثله: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خَرْدَلٍ من كِبْرٍ»[٣]، وهو مُشْكِلٌ، قد بيَّنَّاه في موضعه.

نُكْتَتُه وجهان:

أحدهما: أن مَعْنَى[٤] «لا يدخل النار مَن في قلبه[٥] مثقالُ ذرَّة من إيمان»؛ أي: لا يَتَغَشَّاه وإن دخل صاحبُه النار، فإنما يكون في ضَحْضَاحِها؛ فإن الله قد أخبر عن أهل النار الذين يدخلونها بأنها تتغشَّاهم في قوله لهم: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر:١٥].

الثاني: أن يكون معناه: أنه لا ترى[٦] النارُ قلبًا[٧] فيه هذا القَدْر، ولا تأكله ولا تُسَلَّطُ[٨] عليه، كما أنَّ الله حرَّم أعضاء السجود على النار؛ فكذلك حرَّم قَلْبَ الإيمان على النار.

---

(١) في (د): النار.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر، رقم: (٩١-عبد الباقي).

(٣) هو حديث ابن مسعود السَّابق.

(٤) في (ص) و (ك) و(ب): معناه.

(٥) قوله: «من في قلبه» سقط من (ك).

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): يرى.

(٧) في (ك) و(ص) و(ب): قلب.

(٨) في (ك) و(ب): تتسلط.

وقال بعضهم: معناه: «لا يدخلون[١] النار دخول خلود».

والأوَّلان أقوى.

وأمَّا الجنة فلا يدخلها مثقالُ ذرَّة من كِبْرٍ[٢].

وقد قال بعضهم: «إن الحديث على ظاهره، وأنه لا يدخل الجنة من في قلبه[٣] مثقال ذَرَّةٍ من كِبْرٍ؛ لأنه يُطَهَّرُ إن غُفِرَ له أو عُذِّبَ؛ فلا يدخل الجنة شيءٌ من ذلك، كما أنه لا يُخَلَّدُ في النار مع مثقال ذرَّة من إيمان أبدًا». / ٢ [٢٤/أ]

وذَكَرَ النبيُّ ﷺ الوَجْهَيْنِ لتردُّد العبد بين حالتين؛ الخوف والرجاء، حتى يكون برجائه راغبًا[٤] في العمل، وبخوفه[٥] كافًّا عن الذنوب، باكيًا على ما فَرَطَ من التقصير.

وقد قال بَعْضُ المتعبدين: «إن البكاء والرقة التي تَعْرُو عند سماع القرآن فيبكي وإن كان خوفًا فإنه قاصر؛ لأنه بسَبَبٍ عارض، فإذا زال[٦] السَّبَبُ عاد القلبُ إلى ما كان فيه من التَّلَهِّي»[٧].

---

(١) في (ك): يدخلوا، وفي (ب): يدخل.

(٢) في (ك) و(د) و(ب): كفر، وضبَّب عليها في (د).

(٣) قوله: «من في قلبه» سقط من (ك) و(ب) و(ص)، وفي (ص): الجنة مع مثقال.

(٤) في (ص) و(ك): غائبًا.

(٥) في (ك) و(ص): لخوفه.

(٦) في (ك): نال.

(٧) هذا قَوْلُ أبي حامد، وهو في إحيائه: (ص١٥٠٥).

وإلى هذا المعنى أشار الحَكِيمُ بقوله:

نُــرَاعُ إذَا الجنــائزُ أقبلتنــا[١] ونلهـو حـين تـذهب[٢] مُـدبرات
كرَوْعَــةِ ثَلَّــةٍ لمغـارِ ذِيـبٍ فلمَّـا غـاب عـادت رَاتِعـات[٣]

قال الإمام الحافظ[٤] رضي الله عنه: وهذا قَوْلٌ صحيح، ولكنه جعل الخوف المذكور قاصرًا، وكلامه فيه قاصر، وتحقيق القول فيه: إنَّ الله مَدَحَ هذا القَدْرَ من الخوف في هذا الوقت بهذا السبب فقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة:٨٥]، وقال: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم:٥٨]، وقال: ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء:١٠٧]، وقال: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء:١٠٨]، فتارةً يبكي من عرفان الحق الذي فاته فيما قبلُ، وتارةً يزداد خشوعًا إلى ما كان عليه.

فإذا استقرَّت هذه الحالة فلا يخلو أن يرجع إلى غفلة أو يرجع إلى معصية، فإن رجع إلى غفلة لم يضرَّه ذلك، والدليلُ عليه حديث حنظلة المتقدِّم، قال فيه: «قلت: نافق حنظلة يا رسول الله، قال: وما ذلك؟ قلت:

---

(١) في (ص): قابلتنا.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): تعرض.

(٣) من الوافر، وهي لعُروة بن أذينة في البيان والتبيُّن: (٣/٢٠١)، والحيوان: (٦/٥٠٧)، وفي ملحق ديوانه: (ص٣٠٩)، وفيها في البيت الأوَّل:
ويُحْزِننا بكاء الباكيات.

(٤) في (ك): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي، وفي (ب): قال الإمام أبو بكر بن العربي، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.

يا رسول الله، نكون عندك تُذَكِّرُنا بالنار والجنة كأنَّا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا[١] الأزواج والأولاد والضَّيعات فنسينا كثيرًا، فقال رسول الله: والذي نفسي بيده، لو تدومون على ما تكونون عندي وفي[٢] الذِّكْرِ لصافحتكم الملائكة على فُرُشِكم وفي طُرُقِكم، ولكن يا حنظلة؛ ساعة وساعة»[٣].

وإن رجع إلى معصية فهو ممَّن خَلَطَ عملًا صالحًا وآخر سَيِّئًا، ومن[٤] اقتحم الشهوة ولام النفس فهو خائفٌ من وجه، مُسَوِّفٌ من آخر، فهذا هو الرجاء القاصر.

كما أن الكامل فيه هو الذي يتخلَّى عن الشهوات خوفًا من التقصير والإملاء والتدريج[٥] إلى الشُّبهات، ويكفُّ عن السيِّئات[٦] خوفًا من الوقوع في المحرَّمات، ويَفِرُّ عن[٧] المحرَّمات/ خوفًا من العقوبات وسوء الخاتمة، فهو بهذه الآخِرَةِ «عَفِيفٌ» أو «مُتَّقِي»، وبالتي قبلها «وَرِعٌ»، وبالتي قبلها «زَاهِدٌ»، فإن تخلَّى عمَّا هو سوى الله خوفًا من تَقْصِيرٍ في حق الله فهو «صِدِّيقٌ»، وقد مضى بيانُه في موضعه؛ فإنَّ هذه الأسماء تتداخلُ من وجوه[٨].

٢ [٢٤/ب]

(١) في (د): غافسنا.

(٢) في (ك) و(ب): في.

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) في (ك) و(ص): وممَّن.

(٥) في (ك): الترع، ومرَّضها، وفي الطرة: التذرع، وصحَّحها، وهي التي في (ب)، وفي (ص): النزع، وفي (د): في خـ: النزوع.

(٦) في (ك) و(ب): الشبهات.

(٧) في (د): عن، من.

(٨) ينظر: الإحياء: (ص١٥٠٤).

[الخوف من سوء الخاتمة]:

وأعظمُ المخاوف سُوءُ الخاتمة، وله سببان:

أحدهما: الوَلَعُ[١] بالدنيا وأهلها.

والثاني: المثابرة على المعاصي، والخير عادة، والشر لجاجة.

وأشدُّ حديث في الخوف قَوْلُ النبي ﷺ: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلَّا ذراع أو باع فيسبق عليه الكتاب؛ فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار»[٢].

وقد قاتل رجلٌ مع النبي وأبلى بلاءً عظيمًا، فقال النبي ﷺ: «هو في النار، فكان آخرُ أمره بعد اجتهاده أن أثخنته الجراحات؛ فوضع ذُبَابَ[٣] السَّيْفِ بين ثَدْيَيْهِ، وتحامل عليه فمات، فأُخبر النبيُّ ﷺ فقال: أَشهد أَنِّي رسول الله»[٤].

ولذلك كانت الصحابة تتمنَّى أن تكون دَاجِنًا يُذبح، أو شجرة تُعْضَدُ[٥]؛ لأنه غائب[٦] عن الخلق دِيوَانُهم، فالمرءُ لا يدري في أي ديوان ثَبَتَ اسمه؛ أفي ديوان السعادة أم في ديوان الشقاوة؟

---

(١) في (د) - أيضًا -: الوَلُوع.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه: كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله، رقم: (٢٦٤٣-عبد الباقي).

(٣) ذُباب السَّيْفِ: حَدُّه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد رضي الله عنه: كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، رقم: (٤٢٠٢-طوق).

(٥) ذكر ذلك الإمام أحمد في الزهد عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (ص٢٠٦).

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): غاب.

فأَوْجَبَ هذا خوفًا لا أَمْنَ معه إلَّا باطِّلاع حال[١] الخاتمة على المآل[٢]؛ ولذلك قال النبي ﷺ: «فَرَغَ ربُّكم؛ اعملُوا فكلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلق له، أمَّا من كان من أهل السعادة فيُيَسَّرُ[٣] لعمل أهل السعادة»[٤]، فجعل العمل الصالح علامةً في الأغلب والأكثر، وبهذا يقع الأُنْسُ.

ومن أعظم المخاوف أيضًا سوء الحساب، وهو أن يَبْدُوَ له من الله ما لم يكن يحتسب؛ من انكشاف ما يظنُّه طاعةً معصيةً، أو مناقشة الحساب، وهو دون هذا وإن كان عظيمًا، فإنَّ وراءه العذاب؛ لقوله في الحديث الصحيح: «من نُوقِشَ الحساب عُذِّبَ»[٥].

قال الإمام الحافظ[٦] رضي الله عنه: وإنَّ الله لا يهدي إلَّا خائفًا لله، قال تعالى في «ألواح موسى»: ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف:١٥٤]، وقال في كتابنا: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١]، وبذلك وصَّى كلَّ أمَّة، وكما أنه لا يهتدي إلَّا مُتَّقِي؛ كذلك لا يتذكَّر إلَّا خائف.

قال تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ [الأعلى:١٠]، أي: لا ينتفع بالذكرى إلَّا من يخشى، وهو «العَالِمُ»، كما قال الله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨]، فإذا زال العِلْمُ استوى عنده الحق والباطل فلم ينتفع بشيء.

---

(١) في (ب): على.

(٢) في (ك) و(ب) و(ص): الحال.

(٣) في (ك) و(ب): فسيُيَسَّرُ.

(٤) تقدَّم تخريجه.

(٥) تقدَّم تخريجه.

(٦) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ب): قال الإمام.

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار[١] والظُّلَمُ[٢]/ ٢

[٢٥/أ] قال الإمام الحافظ[٣] رضي الله عنه: وقد بيَّنَّا أنَّ الخوف والرجاء مقامان، وهما أخوان، ربطهما الله في كتابه ارتباطهما في صفاته، فقال: ﴿إِعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:١٠٠]، وقال: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر:٤٩ - ٥٠]، وقال: ﴿حمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ [غافر:١ - ٢]؛ فهذان للرجاء، ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾؛ فهذا للخوف، ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾؛ إن كان المرادُ به القدرة رجع إلى الخوف، وإن كان المرادُ به الفضل رجع إلى الرجاء، فكان الرجاء في هذه الآية أغلب من الخوف.

وقد اختلف الناسُ في أيِّ الحالين أفضل، وأي الحالتين[٤] أَوْلَى أن يكون عليها العبد، وأطالوا في ذلك النَّفَس، وما حَلُّوا عُقْدَةَ الحَبَس، وقد بيَّنَّاه في موضعه.

الحاصلُ من لُبابه هاهنا أن نقول: إنَّا قد قرَّرنا في مواضع من «أَمَالِينَا» شروط القول في التفضيل، ولا سيما في رسالة «تفصيل التفضيل بين التكبير والتهليل»[٥]، وإذا قلت أيهما أفضل: الخبز أو الماء أو العسل أو

---

(١) في (د): الأضواء، الأنوار.

(٢) من البسيط، وهو للمتنبي من قصيدة يعاتب فيها سيف الدولة، ديوانه: (١٠٠٩/٢).

(٣) في (ص): قال الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ب): قال الإمام.

(٤) في (ك) و(ص): الحالين.

(٥) ينظر: القبس: (١٠٨٥/٣).

الخل؟ لم يستقم إلَّا مع تقسيم وتنويع، واختلاف حال ومَحَلٍّ، وسبب وفائدة، وقد يتعذَّر[١] التفضيل مع ذلك كله[٢].

ولكن نَرُدُّ[٣] السؤال عن هذه الصورة إلى عبارة أخرى، فنقول[٤]: العبدُ المؤمن إلى أيِّ الحالين هو أحوج؛ أن يغلب على قلبه الرجاء، أو يغلب على قلبه الخوف؟

قلنا له: أمَّا في حال المُهَلِ واستقبال الأَمَلِ فهو إلى الخوف أحوج، حتى يَكُفَّ عن[٥] غَرْبِهِ، ويُصلح من قلبه، ويُقبل على الله بحُبِّه، ويُجافي عن مضجعه بجَنبه[٦]، ويعلم تقصيره في حق مولاه بلُبِّه، ويتحقَّق أنه على شَكٍّ في تقريبه له وقُرْبِه، وعلى جهالة من مآل أمره وعُقْبِه، فإذا أحسَّ بالمنيَّة فأَحْوَجُ ما هو إلى الرجاء؛ وإنْ[٧] كان الغالب على فِعْلِه الحَسَنُ، ففي الحديث الحَسَنِ[٨] الصحيح[٩]: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا مع عبدي إذا ذكرني»[١٠].

---

(١) في طُرة بـ (د): يتعدد.

(٢) ينظر: الإحياء: (ص١٥١٣).

(٣) في (د): ترد.

(٤) في (د): فيقول.

(٥) في (ك) و(ب): من.

(٦) في (د): لجنبه.

(٧) في (ك) و(ص): إن.

(٨) سقط من (ك) و(ب).

(٩) سقط من (ص).

(١٠) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب الذكر والدعاء، باب الحث على ذكر الله تعالى، رقم: (٢٦٧٥-عبد الباقي).

قال العلماء: «ذلك عند الإحساس بالموت».

فإن قيل: فقد ثبت في الصحيح: أن الله قال: «إن رحمتي تغلب غضبي»[١]، وفي لفظ آخر: «إنَّ رحمتي سبقت غضبي»[٢]، فاقتضى هذا غَلَبَةَ الرجاء.

قلنا: لا شكَّ أنَّ الرحمة أضعاف الغضب، وهي غالبتُه، ولكن بَعْثُ النار من كل ألف تِسْعُ مائة وتسعةٌ وتسعون للنار،/ وواحدٌ للجنة[٣]. ٢ [٢٥/ب]

فيا معشر المريدين: ليَرْجِعْ كلُّ واحد منكم إلى نفسه فينظر في مَآلِه من حاله، حتى يرى أنَّ الخوف عليه أغلبُ للتقصير الكثير، إنَّما يكون الرجاء أغلب لأصحاب مُحَمَّدٍ ﷺ، والسَّلَفِ الأوَّل الكريم.

قال الإمام الحافظ[٤] رضي الله عنه: أَمَا إِنَّ مِن أعظم أخبار الرجاء قولُه ﷺ في الصحيح: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني»[٥]، بَيْدَ أنَّ أكثر الناس لم يفهمه.

وحقيقتُه: أن العبد إذا أطاع الله وظنَّ به[٦] أنه لا يُضِيعُ أجر من أحسن عملًا فهو عند ظنه، وكذلك إذا دعاه وظنَّ أنه مُجِيبُه فهو عند ظنه به[٧]،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه من رواية المغيرة: كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله، رقم: (٢٧٥١-عبد الباقي).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه من رواية ابن عُيَينة: كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله، رقم: (٢٧٥١-عبد الباقي).

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) في (ب): قال ابن العربي، وفي (ك): قال أبي.

(٥) تقدَّم تخريجه.

(٦) سقطت من (ك).

(٧) سقط من (ك).

وإذا استجار به وظنَّ أنه يُجِيرُه فهو عند ظنه، وإذا عصاه وظنَّ أنه يغفر له فهو مغرور، وكذلك إذا دعاه ومَطْعَمُه حرام، ومشربُه حرام، وملبسُه حرام، فأنَّى يُستجاب له[1]؟ كما جاء في الحديث الصحيح.

فإذا ظنَّ الإجابة فهو مغرور، وكذلك إذا استجار به وهو يَهْتِكُ حريمه، فكيف يرجو إجارته؟

بَيْدَ أنه ينبغي له أن يقول: «يا من بيده ملكوت كل شيء، وهو يُجير ولا يُجار عليه، استجرتُ بك من شَرِّ نفسي، وشر كل دابة رَبِّي[2] آخذٌ بناصيتها، فأَجِرْنِي»، فربَّما أُجِيبَ[3]، والله أعلم.

ومن أغرب ما حَصَّلْتُ في رحلتي ما أخبرني به القاضي أبو الحسن علي بن الحُسَين الخِلَعِي الزاهد[4]، قال: أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج يحيى الإشبيلي[5] - مُحَدِّثٌ مكثر -، قال: أخبرنا أبو

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب، رقم: (١٠١٥-عبد الباقي).

(٢) في (د): ربي، أنت.

(٣) في (د): أجير، ومرَّضه.

(٤) الإمام الفقيه، الحافظ الحُجَّة، علي بن الحُسَين الخِلَعِي، أبو الحسن القَرَافي، (٤٠٥-٤٩٢هـ)، كان معتزلاً بالقرافة، وكان مقصد الناس لعُلُوِّ إسناده وروايته، قال فيه ابنُ العربي: «شيخ معتزل في القرافة، له عُلُوٌّ في الرواية، وعنده فوائد»، أخذ عنه من أهل الأندلس أبو علي بن سُكَّرَة، وأبو عبد الله بن فُتُّوح، وكان ابنُ العربي ربَّما يقرأ في حضرته ما يريد الخِلَعِي إسماعه، ينظر: معجم السَّفَر: (ص٣٨١)، وسير النبلاء: (١٩/٧٤-٧٩)، وطبقات الشَّافعية للتَّاج: (٥/٢٥٣-٢٥٥).

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): أحمد بن محمد بن الحاج بن يحيى يعني الإشبيلي، وضرب في (د) على «بن» و«يعني».

الطيِّب محمد بن جعفر بن دُرَان[1] غُنْدَر: أخبرنا إسماعيل بن علي بن علي الشافعي: أخبرنا محمد بن إبراهيم بن كثير الصيرفي: أخبرنا أبو نُوَاس الحسن بن هانئ: أخبرنا حمَّاد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يموتنَّ أحدكم حتى يُحْسِنَ الظن بالله عز وجل، فإن حُسْنَ الظن بالله ثَمَنُ الجنة»[2].

وقد قال مَكْحُولٌ[3] في ذلك نكتة بديعة: «من عبد الله بالخوف فهو حَرُورِيٌّ، ومن عبده بالرجاء فهو مرجئ، ومن عبده بالمحبة فهو زنديق، ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو مُحِبٌّ»[4].

فأمَّا قوله: «من عبد الله بالخوف فهو حَرُوري»؛ فهو[5] إشارة إلى أنه يعتقد إنفاذ الوعيد.

وقوله[6]: «من عبده بالرجاء فهو مرجئ[7]»؛ إشارةٌ إلى أنه يرى أن المؤمن لا تضره معصية.

---

(١) في (د): ذران.

(٢) أخرجه بهذا الإسناد أبو عبد الله بن فَتُّوح في جذوة المقتبس: (ص١٦٠)، وإنما استغربه ابن العربي لأن في الإسناد أبا نواس الشَّاعر، واستغرابه له يَدُلُّ على ضعفه عنده، لتفرد أبي نواس بهذه الزيادة في آخر الحديث، وليس مثله من يُقبَل منه ذلك، والله أعلم.

(٣) في (ك): محكول.

(٤) الإحياء: (ص١٥١٥).

(٥) سقطت من (د) و(ب) و(ص).

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): و.

(٧) قوله:« فهو مرجئ» سقط من (ك) و(ب) و(ص).

وقوله[١]: «ومن عبده بالمحبة [فهو زنديق]»؛ يشير إلى أنه ليس بين الذاتين مناسبة ولا متعلق لذة حتى[٢] يعبده لها، وإنما هو عبد وسَيِّدٌ، وكامل وناقص، ومُقَدَّسٌ وذو آفات.

ومن عَبَدَه بالكُلِّ فهو مُوَحِّدٌ صحيح، وعلى ذِكْرِه «المُحِبُّ».

*   *   *   *   *

(١) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٢) في (ص): متى.

المُحِبُّ[(١)]: وهو الاسم الثالث[(٢)] والأربعون

٢ [٢٦/أ]

فإنَّ الله تعالى قد ذَكَرَها/ في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ.

وأوَّلُ ما أُلْقِي إليكم منها[(٣)] - معشر المريدين - أنَّ الشرع لم يَرِدْ إلَّا بلفظ المحبة خاصَّة، وأَدْخَلَ فيها من لا يدري الشَّوق والعشق، ولم يَرِدْ بهما شَرْعٌ؛ لا في الصحيح ولا في السَّقيم، فلا تلتفتوا إليها، ولا تذكروها بألسنتكم حكايةً لها.

قال الله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٤].

وقال: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١].

وقال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٦].

وفي الصحيح ذُكِرَ حُبُّ الله في أحاديث كثيرة، قال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورَسُولُه أحبَّ إليه ممَّا سواهما»[(٤)].

وقال الله مُؤَكِّدًا لذلك ومُبَيِّنًا له أو أَخَذَهُ النبي ﷺ منه: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ

---

(١) سقط من (ك) و(د) و(ص).

(٢) في (ك) و(د): الحادي.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): فيها.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، رقم: (١٦-طوق).

ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤].

وقد قال رجل للنبي: «متى السَّاعة؟ قال: وما أعددتَ لها؟ قال: ما أعددتُ لها من كبير شيء أَحْمَدُ عليه نفسي، إلَّا أنِّي أُحِبُّ الله ورسوله، قال: المرء مع من أحب، قال أنس: فما فرح المسلمون بشيء بعد الإسلام أشد من فرحهم بهذه الكلمة»(١).

وكان أَنَسٌ يقول: «إنِّي أحبُّ الله ورسوله، وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهما»(٢).

[حقيقة المحبة]:

وحقيقةُ المحبة هي المَيْلُ بالطبع إلى المُوافق المُلائم للنفس، فخَلَقَ الله الحواسَّ رَبِيئَةً للعبد(٣)، وطليعةً على المحسوسات، تُلْقِيها إلى قلبه فتميل(٤) إلى كل ما يُوافق منها، وتنفر عن كل ما يُخالف(٥).

ومنازل الملائم والمخالف كثيرة، وكل أحد يعلمها جملة وتفصيلًا، فلا فائدة لتَعْدَادِها في هذه الاستضاءة، ولكنْ هاهنا نكتةٌ حسنةٌ لم أر أحدًا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، رقم: (٣٦٨٨-طوق).

(٢) هو حديث أنس السَّابق.

(٣) في (ص): للعبد ربيئة للعبد، وصحَّحها.

(٤) في (ك) و(ب): فيميل.

(٥) ينظر: الإحياء: (ص١٦٥٩).

ذكرها ؛ وهي أنَّ الملائم للنفس قد يكون[١] بوساطة الحواس ، وقد تكون بغير وساطة[٢] ، وإذا كان كيف ما كان فإنَّما يعود إلى النفس كله مع الجوارح كالجوارح[٣] ، فإنَّها مفردة عنها ، لا لذة لها ولا نعيم إلا عند الفلاسفة[٤] .

وكلُّ أحد إنما يُحِبُّ نفسه ، ولا يتصور أن يحب أحد غيره ؛ فإن تعلَّق بقلبك لحب غيرك أَثَرٌ فإنَّ ذلك عائد إليك ؛ تَوَهُّمًا أو تحقيقًا .

[أجناسُ المحبة عند الصوفية]:

٢ [٢٦/ب]

وقد/ عَدَّدَتِ الصُّوفية[٥] للحب أسبابًا خمسة ، منها:

حُبُّ الإنسان نفسه ؛

وحب من أحسن إليه ؛

وحب من لم يُحسن إليه[٦] إذا كان محسنًا ؛

وحب الجمال ؛

وحب المناسبة ؛ وهي المشابهة بين الرُّوحَيْنِ[٧] ، أو الخَلْقين ، أو كلاهما .

---

(١) في (ك): تكون .

(٢) في (ك) و(ب): واسطة .

(٣) سقطت من (ك) و(ب) و(ص) .

(٤) ينظر: الإحياء: (ص١٦٥٩) .

(٥) الإحياء: (ص١٦٦٠-١٦٦٣) .

(٦) سقطت من (ك) و(ص) و(ب) .

(٧) في (ك) و(د): الزوجين .

[نَقْضُ ما ذهب إليه أبو حامد في أجناس المحبة]:

ونحن لا نشتغل بتفصيل إبطال ذلك، وإنَّما ندَّعي ونُثْبِتُ أنَّ الإنسان لا يحب إلَّا نفسه، والإحسانُ والحُسْنُ[١] والجمالُ والمشابهةُ كلها إليه عائدة؛ بما يَتَوَهَّمُ من ملائم وموافق فيها أو يَتَحَقَّقُ.

فأمَّا محبة النبي والملائكة[٢]؛ فلِمَا وَصَلَ على أيديهم من النفع، وما وجب لهم بذلك من الحق الذي لا يُدانى، وكذلك خلفاؤه[٣]، على قَدْرِ الخالف والخلافة، وقد أنقذ الله برسوله الخلق من النار، فأيُّ شيء يوازي هذا من المخلوقات والأفعال؟

وأمَّا محبة الله؛ فزعمت الصوفية[٤] أنَّ أسباب المحبة الخمسة هي موجودة في الله، حتى المناسبة، وهو قَوْلٌ تكاد الدفاتر تتمزَّق منه، وتُفَضُّ الأفواه، وتموت القلوب من الاحتلاط[٥] لسماع[٦] هذا الاختلاط الذي ينفيه العقل والشرع.

النَّسَبُ[٧] والسَّبَبُ مُحَالَانِ على الله؛ فلا يقال في ذات الباري مناسبة ولا تسبيب، نعم؛ من أفعاله النَّسب والسبب، كسائر الأفعال كلها، والمحبة هي الإرادة أو نَوْعٌ منها، ومن المحال أن تتعلَّق المحبة بذات

---

(١) في (ص) و(ك) و(ب): المحسن.
(٢) في (ك) و(د) و(ص) و(ب): المَلَك، وضبَّب عليها في (د).
(٣) في (ك) و(ص): خلفاؤهم، وفي (ب): خلفاؤهما.
(٤) هو قول أبي حامد، الإحياء: (ص١٦٦٤).
(٥) في (ك) و(د): الاختلاط، والاحتلاط: الغضب، تاج العروس: (٢٠٩/١٩).
(٦) في (ك): بسماع.
(٧) في (ك) و(ص) و(ب): ومقلوبه، وضرب عليه في (د).

الباري أو الإرادة، إنما يصح[1] أن يتعلق بذاته العِلْمُ والرؤية والسَّماع، وهي الإدراكات التي لا تؤثر في المُدْرَكِ.

فأمَّا الإرادة والقدرة والمحبة فمُحَالٌ أن يتعلق شيء منها أو من أمثالها بذاته أو صفاته، وقد حلَّاها بَعْضُهم[2] بأنها مناسبة في الصفات؛ التي هي القدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام، وهذا من أعظم الأوهام، ألم تَرَوْا إلى عِلْمِ ابن عباس فيما رُوي عنه أنه قال: «ليس في الدنيا ممَّا في الجنة إلَّا الأسماء»[3]، هذا وهي مخلوقة محصورة، ولا مناسبة بينهما، فكيف أن يكون بين العبد وبين ربه مناسبة في القَدْرِ الذي وقعت المشاركة فيه بإذنه في الأسماء؟

٢ [٢٧/أ]

لقد أسقط هذا القائلُ[4]/نَفْسَه من الجَوْزَاءِ إلى المَعْزَاءِ[5]، وأي مناسبة في الأسماء؟ أين السماء من كل شيء أَظَلَّكَ فهو سماء؟ هيهات؛ ما جعل الله هذه الأُنْمُوذَجَاتِ من الأسماء فِينَا إلَّا لنعرفه بنا ونُفَرِّقَه مِنَّا، الباري عالم، والعبد عالم[6]، ولكن أين؟ ومن أين؟ وكيف لنا به؟ ما عِلْمُ الأوَّلين والآخرين من عِلْمِ الباري إلَّا كنقطة من بَحْرٍ[7]، وما يصح من نسبة

---

(١) في (ب): يصلح.

(٢) ينظر: الإحياء: (ص١٦٧٠).

(٣) تفسير الطبري: (١/٣٩٦-شاكر).

(٤) هو أبو حامد الطوسي.

(٥) المَعْزَاءُ: المكان الكثير الحصى الصُّلب، تاج العروس: (١٥/٣٣٧).

(٦) قوله: «والعبد عالم» سقط من (ك) و(د) و(ص).

(٧) في (ب) و(ك) و(ص) و(د): بحور، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته، وصحَّحها.

المحصور إلى ما ليس بمحصور؟ وأين البَقَّةُ من العرش؟ ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ وكل ذرة في السماوات والأرض والعرش كاتبة: ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان:٢٦]، وقد علمتم أن الباري موجود، وأنتم موجودون، وأيُّ نسبة بين المَوْجُودِين؟

الباري قادر، وآيَةُ قدرته مخلوقاته وما أعظمها! وما أيسر دليلها! وهو أَنَّه[١] لو كان من في السماوات والأرض يجتمعون على بَقَّةٍ ما خلقوها، فدَعْ ما وراءها، نعم؛ ولا عَلِمُوا حُكْمَها[٢]، فخَلِّ[٣] سواها[٤].

وقد ضرب الله مثلاً للعباد من عظيم قُدْرَتِه، أنه يجعل يوم القيامة السماوات على إصبع، والأرضين على أصبع؛ وفي الصحيح: «جاء حَبْرٌ من الأحبار إلى رسول الله فقال: يا محمد، إنَّا نجد أنَّ الله تعالى يجعل السماوات على إصبع[٥]، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا المَلِك - وفي رواية: فيَهُزُّهن[٦] -، ثم يقول: أنا المَلِكُ، فضحك النبي حتى بدت

---

(١) في (ص): هوانه.

(٢) في (ك) و(د) و(ص) و(ب): حكمتها، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته، ورمز لها بـ: خـ.

(٣) في (ص): فدع.

(٤) في (ص): سواءها.

(٥) قوله: «الأرضين على أصبع؛ وفي الصحيح: جاء حَبْرٌ من الأحبار إلى رسول الله فقال: يا محمد، إنَّا نجد أنَّ الله تعالى يجعل السماوات على إصبع» سقط من (ص).

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): فيهزهزهن.

نواجذه، تصديقًا لقول الحَبْرِ، ثم قرأ رسول الله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٤]»[١].

وهذا أَحْقَرُ عنده من تصريف حبَّة خردل في كَفِّكَ، ولكن لا يمكن ضَرْبُ المثل لك إلَّا كذلك، ولا تَضِيقُ قدرته على أن يخلق أمثال هذا العَالَم، نعم؛ ولا أكمل منه، خلافًا للصوفية[٢] الذين يقولون: «لا أكمل من هذا»، وهو نَحْوٌ[٣] فلسفي لا يُساوي سماعه، وقد بيَّنَّاه في «المشكلين».

وهو الجليل الجميل[٤]، وجماله وجلاله تَنَزُّهُه عن النقائص والآفات، وتَقَدُّسُه عن صفات المُحْدَثات، وهذا الجمال هو الكمال عن النقائص، فإذا نَزَّهْتَه فقل: هو الذي لا مِثْلَ له، ولا تقل: لا ضِدَّ له؛ لأنَّ الضِّدَّيْنِ/ إنَّما يتضادَّان على المَحَلِّ، ولا يُتَصَوَّرُ وجود الباري في مَحَلٍّ مع المُحْدَثِ، فلا يتصور التضاد. ٢ [٢٧/ب]

فإذا قلت: لا ضِدَّ له؛ أَوْهَمْتَ أنه إذا حَلَّ بمَحَلٍّ لم يَقُمْ به غيرُه، بل هو الصمد الذي لا يتجزَّأ، ولا يتعدَّد، ولا يتقلَّص، ولا يتمدَّد، ولا يزيد، ولا ينقص، ولا يخرج عن حُكْمِه أَحَدٌ، ولا يُوجَدُ من دونه مُلْتَحَدٌ، القادر

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾، رقم: (٤٨١١-طوق).

(٢) يقصد به شيخه الإمام أبا حامد، وقد استوفى الرد على مقالته تلك في كتاب الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/٣٩٤-٣٩٧).

(٣) في (ك) و(ب): بَحْرٌ.

(٤) في (د) و(ص): الجميل الجليل.

الذي لا يَقِفُ عليه أَمْرٌ إلى حد، المريد الذي لا يتوقف ما يريده ولا يرتد، أعناق الجبابرة تحت بطشه وسَطْوَتِه، والسماوات والأرضون في قبضته، أَوَّلٌ لا أَوَّلَ له، آخِرٌ لا آخِرَ له، القيُّوم الذي قام بنفسه، وقام كل شيء به، الله خالق كل شيء، الحي المفيد حياة كل حي، الموجود بعد كل شيء، له العزة والجبروت، والمُلْكُ والملكوت، لا يستطيعه أَحَدٌ بوصف، وكيف وسَيِّدُ الأوَّلين والآخرين قد اعترف في ذلك بالتقصير[١]؟ وقال: «لا أُحصي ثَناءً عليك، أنت كما أَثْنَيْتَ على نفسك»[٢]، وقد نَظَمْتُ هذا المعنى فقلتُ:

ما لي بوصف إله الخلق[٣] من قِبَلِ ... جلَّت معاليه عن قَوْلِي وعن عَمَلِي

لا حَمْدَ إلَّا الذي قد جاء عنه لَهُ ... فَرْدٌ عن المِثْلِ معلوم على المَثَلِ

يا أيُّها المتعاطي وَصْفَه صَلَفًا ... مَهْلًا فقد خُلِقَ الإنسان من عَجَلِ

سَلْنِي عن الدِّينِ والدنيا أُجِبْكَ وعن ... محامد الله رَبِّ الناس لا تَسَلِ

فإنَّها عَظُمَتْ عن قَدْرِنا شَرَفًا ... فليس في دَرْكِها حَظٌّ من الأَمَلِ

هذا النبي وقد أُوتِي جوامعَه ... من الكلام بلا عِيٍّ ولا خَطَلِ

قد قال: لا أُحْسِنُ الإخبار عنه ولا ... أُحْصِي ثناءً عليه آخِرَ الأَجَلِ

وأنت إن كُنْتَ تبغي وَصْفَه فلقد ... رَكِبْتَ في الأَمْرِ ظَهْرَ الحادث الجَلَلِ

وقد وجدتُ مكان القول ذا سَعَةٍ ... فإن وجدتَ لسانًا قائلًا فَقُلِ

ما كلَّف الله نفسًا فوق طاقتها ... ولا يُقابَل حَوْلُ الله بالحِيَلِ[٤]

---

(١) قارن بما في الإحياء: (ص١٦٦٨-١٦٦٩).

(٢) سَلَفَ تخريجُه.

(٣) في (ك) و(ص): الإله الحق.

(٤) الأبيات من بحر البَسِيطِ.

نكتة:

والذي يَدُلُّكَ على صحة المقدمة التي رتَّبناها أوَّلًا ؛ أنَّ لَذَّةَ اللَّمْسِ والطَّعْمِ والذَّوْقِ[١] والسَّمْعِ في الألحان معلوم محسوس ، فالآدَمِيُّ يَجِدُ[٢] ذلك كلَّه لما له[٣] فيه من حاصل اللذة.

٢ وفوق المحسوسات أو تحتها أو معها لَذَّةُ القهر والاستيلاء ، والقدرة التي يكون بها الاستعلاء ، ولذة الفرح/ والثناء ، وحَبْرَةُ العِلْمِ والاطلاع على كل ما خَفِيَ ؛ موجودةٌ في النفس غير محسوسة ، وقلنا لكم باشتراكهما. [٢٨/أ]

وقد[٤] يظهر أن لذة القدرة والعلم والفرح والثناء والقهر إنَّما يجدها المرء لما فيها من تَأَتِّي أمل الأكل والوطء ؛ حتى لا يكون فيه[٥] معارضة ، وقد يظهر أن هذه اللذات وإن كانت تعود بمنفعة على البدن والنفس في أَصْلَي اللذات وهي الأكل والوطء ؛ فإنَّ[٦] لها في نفسها لذة موجودة وإن لم تتعلَّق بما يعود إلى الجوارح ، ألا ترى أنَّ للناس فَرَحًا إِذْ[٧] فاتهم الاستيلاءُ على نَيْلِ السماء أن يكون لهم عليها بالعِلْمِ نوعٌ من الاستيلاء ؛ فيقولون: إنَّ فيها أفلاكًا ، وكذا وكذا نَجْمًا ، ومدارُها على وجه كذا ، أو النَّجْمُ الفلاني أعلاها ، وفلان تحته ، والقمر آخِرُها ، فيفرحون بالدعوى إذ فاتهم

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): وبعض ، وضرب عليها في (د).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب) و(د): يحب ، وضبَّب عليها في (د) ، والمثبت صحَّحه بطرته.

(٣) سقط من (د) و(ب) و(ص).

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): قد.

(٥) في (ك) و(ص): فيها ، وفي (ب): فيهما.

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): إنها.

(٧) في (د): إذا.

الاستيلاءُ، وقد بيَّنَّا في كتاب «العواصم من القواصم»[١] تحقيق ذلك كله وطريق النظر فيه، فمن أراده فلينظر هنالك فيه.

وتعدَّى قَوْمٌ فقالوا: «إن ترتيبها يدلُّ على ما يكون في غدٍ»[٢]، ويتحلَّون بأنَّ الله عَلَّمَهُمْ هذا ودلَّهم عليه، والله قد كذَّبهم فيه برهانًا، وكذَّبهم فيه عيانًا، قال تعالى مُتَمَدِّحًا: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام:٦٠]، وقال مُتَكَبِّرًا مُتَجَبِّرًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان:٣٣]، فمن قال: «إنه يشاركه في ذلك أَحَدٌ»؛ فأَشْرِكْ بين السَّيْفِ وبين عُنُقِه بِنِصْفَيْنِ.

ولا يمتنع أن تكون اللذَّة التي تدخل على القلب تتعدَّى إلى الجوارح بسِراية[٣]، كما تتعدَّى اللذة التي تدخل على الجوارح إلى القلب بسراية[٤]، وأنَّ الخلق المؤمنين يرون الله في القيامة؛ فيكون ذلك أفضل نَعِيمٍ عندهم.

قال علماؤنا: «يَقْرُنُ الله برؤيته فَنًّا من الرَّوْح والسرور لم يُعهد مثله، ولا يُقْرَنُ بلذة رؤية محبوب ولا جميل، ولا مَلِكٍ قاهر محسن، ولا بشيء من لَذَّاتِ الدنيا ولو اجتمعوا».

وما يُحكى عن الصوفية في إحالتهم بمحبتهم على الله لِذَاتِه فأكثر تلك الحكايات مصنوعات[٥]، أو لهم فيها تأويلات وأغراض، لو كانت

---

(١) العواصم: (ص١٣٣-١٣٤).

(٢) ينظر: العواصم من القواصم: (ص١٧٣).

(٣) في (د): بسراية.

(٤) في (د): بسراتة.

(٥) في (ص): مصوغات.

للسَّلَفِ لدَلُّونا عليها[١] ونظرنا فيها، ولكنَّا قد أغنانا الله عنها بسيرة السَّلَفِ الصَّالح قبلهم،/ والآياتُ التي تلوناها عليكم والأخبارُ التي سردناها لكم يكفيكم في تَكَسُّبِ الاسم والتعلق به. ٢ [٢٨/ب]

[محبة الله عند السَّلف الصالح]:

ومَحَبَّةُ الله عند السَّلَفِ هي محبة أوليائه وأفعاله وحدوده، وإن كان ذَكَرَ نفسه مع الأولياء فتأكيداً[٢] في الثناء، كما قال: ﴿ٱلذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المائدة:٣٥]، والحِرَابَةُ لا تَصِحُّ على الله منَّا، وكذلك لا يصح أن تتعلق به إرادتنا.

[محبة المؤمنين لله]:

والكفَّار يحبون أصنامهم، ﴿وَٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلهِۗ﴾ [البقرة:١٦٤]، وقد بيَّنَّا في «الأنوار[٣]» معنى الآية؛ بما لُبابه في ستة أوجه:

الأوَّل: أنَّ الكفار ينحتون[٤] الأصنام بأيديهم، ثم يَذِلُّونَ لها ويخضعون[٥] ويعبدون[٦]، فالله أحقُّ بالعبادة؛ الذي خلقنا ابتداءً، وأفاض علينا ابتلاءً.

---

(١) في (د) و(ص): إليه.

(٢) في (ب): فتأكيد.

(٣) في (ص): الإقرار، وضبَّب عليها.

(٤) في (ك) و(د) و(ص) و(ب): يتخذون، وضبَّب عليها في (د)، والمُثبت صحَّحه بطرته.

(٥) في (ص) و (ك) و(ب) و(د): لها، وضرب عليها في (د).

(٦) في (ص): يعبدونها.

الثاني: أنَّ حب الكفار للأصنام حُبٌّ هَوًى منشأه الجهل، وحبُّ المؤمنين[١] لله حبٌّ هُدًى، اقتضاه الشرع وأكَّده العقل[٢].

الثالث: أن حبَّ الأصنام تقليد، وهذا الحب من المؤمنين لله بالدليل والبرهان.

الرابع: أن الكفار يعبدون من رَأَوْا، والمؤمنون يعبدون من لم يَرَوْا، وذلك أغربُ[٣] وأبلغ[٤].

الخامس: أنَّ الله أحب المؤمنين أوَّلًا؛ فلذلك أحبُّوه[٥].

السَّادس: أنَّ محبة الكفار محبة الجِنْسِ للجنس، وهذا معلوم جِبِلَّةً، ومحبة المؤمنين لله ليست مَحَبَّةَ مجانسة ولا مناسبة، فهي أعزُّ وأكرم، وأحقُّ وأعظم[٦].

[محبة الله للمؤمنين]:

وفي قوله: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ أَعْظَمُ آية، وأَوْكَدُ عِلْمٍ.

قال علماؤنا وغيرهم: المعنى: «إن كنتم تحبون الله بالعِلَّةِ فإنَّ الله يحبكم من غير عِلَّةٍ»[٧].

---

(١) في (ص) و (ك) و(ب): المؤمن.
(٢) لطائف الإشارات: (١/١٤٥).
(٣) في (ك) و(ب): أعرف.
(٤) لطائف الإشارات: (١/١٤٥).
(٥) لطائف الإشارات: (١/١٤٥).
(٦) لطائف الإشارات: (١/١٤٥).
(٧) لطائف الإشارات: (١/٢٣٥).

فإذا[١] وجد العَبْدُ حلاوة الطاعة في نفسه نشأت المحبة، وآثَرَ الله على كل شيء؛ حتى على نفسه.

ومَحَبَّةُ الله للعبد إحسانُه إليه ولُطْفُه به بعد إرادة ذلك له، وهي المحبة الأولى حقيقة، وقد تكون محبةُ الله له مَدْحَه[٢] له وثناءَه[٣] عليه، وقد بيَّنَّا حقيقة ذلك في كتاب «الأمد الأقصى»[٤]، والحمد لله[٥].

قال بعضهم: «وقد ظَهَرَتْ هاهنا منزلتان لكَرِيمَيْنِ، قال إبراهيم: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾ [إبراهيم:٣٨]، وقال الله لمُحَمَّدٍ: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾، وهاهنا قَطَعَ أطماعَ[٦] الكافَّة أن تسلم لأَحَدٍ نَفْسٌ إلَّا ومقتداهم مُحَمَّدٌ، وإمامُهم سَيِّدُ الأوَّلين والآخرين أحمدُ»[٧].

٢ [٢٩/أ]

قال في «فوائد الشَّهِيدِ»[٨]: «هذه آية عظيمة؛ فإنَّه/ أخبر أن المحبة ليست باجتلاب طاعة معلولة، ولا تتجرد[٩] عن آفة، فإنه قال: ﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، فلم يجعل من شرط المحبة الخُلُوصَ عن الذنوب، بل أخبر أنَّها تكون مع الذنوب، وأن المحبة تُسقطها، وبيَّن أن المحبة تُوجب الغفران»[١٠].

---

(١) في (ك) و(ص): وإذا.

(٢) في (د): مدحة.

(٣) في (ك): ثناؤه.

(٤) الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٦٨/٢).

(٥) قوله: «والحمد لله» سقط من (ك) و(ب) و(ص).

(٦) في (ص): الأطماع.

(٧) لطائف الإشارات: (٢٣٥/١).

(٨) أي: فوائد أبي سعد الزنجاني.

(٩) في (ب): بتجرد.

(١٠) لطائف الإشارات: (٢٣٦/١).

وهـذه الآيـة خَيْرٌ للعبـاد مـن ألـف آيـة كمـا جـاء فـي الحـديث فـي السُّبُحَاتِ[١].

[بشارات وإشارات]:

وفي قوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٦]؛ بشاراتٌ وإشاراتٌ:

الأوَّل: أنَّ من لم يَرْتَدَّ فإنَّ الله يُحِبُّه[٢].

الثانية: أنَّ من كان مؤمنًا يجب أن يكون لله محبًّا، فمن لم يحبَّ ربَّه فليس بصحيح الإيمان[٣].

الثالثة: أنَّ هذه الآية وما قبلها اقتضت جواز محبَّة الله للعبد ومحبَّة العبد لله[٤]، ومَحَبَّةُ الله للعبد إمَّا أن تكون بمعنى الرحمة عليه، أو الإحسان إليه، أو المدح له - كما تقدَّم - والثناء عليه، أو إرادتِه[٥] لتقريبه وإدنائه[٦].

وفرَّق بعضهم بين الرحمة والمحبة؛ فقال: «المحبة إرادته لإنعام مخصوص، والرحمة إرادته لكل إنعام»[٧].

---

(١) في (ك): المُسبحات.

(٢) لطائف الإشارات: (١/٤٣١).

(٣) لطائف الإشارات: (١/٤٣١).

(٤) قوله: «ومحبة العبد لله» سقط من (ص) و(د).

(٥) في (د): وإرادته.

(٦) لطائف الإشارات: (١/٤٣١).

(٧) لطائف الإشارات: (١/٤٣١).

والمعنيان متقاربان، وإرادة الله واحدة؛ تختلف أسماؤها باختلاف متعلقاتها[١].

وأمَّا محبة العبد لله فهي معنًى يجده في نفسه، يحمله ذلك المعنى على طاعته، وهو - والله أعلم - نُورٌ تكمل به معرفته، وتُقَوِّي عقيدتَه.

ويقال: «المحبة نتيجة الهِمَّةِ، فمن كانت همتُه أعلى كانت محبته أقوى»[٢].

وقال الله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾؛ والله لولا أنه أحبهم ما أحبُّوه أبدًا.

ثم وصفهم فقال: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٥٦]، يبذلون المُهَجَ في المحبوب من غير كراهة، ويُهلكون الأنفس في الذب عن المحبوب من غير إذْهان[٣]، يجاهدون في سبيل الله بأداء الطاعة بجوارحهم، وبقطع الآمال عن قلوبهم، وبجُؤَارهم[٤] في إهلاك أعداء الله وأعدائهم، ولا يخافون لومة لائم[٥].

المعنى: أن عقائدهم قد خلصت فلا يلتفتون إلى حظ أحد، ولا يراعون جَانِبَ غَيْرٍ من هُمْ له، وبه، ومنه، وهذه صفة المُحِبِّينَ.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾[٦]؛ وليس هذا تخييرًا في إيثار الحُضُوضِ[٧] على الحقوق، ولكنه تحذير وتهديد، ومرور

---

(١) لطائف الإشارات: (١/٤٣٢).

(٢) ينظر: لطائف الإشارات: (١/٤٣٢).

(٣) في (د): إدمان.

(٤) في طرة بـ (د): الظاهر: بجدهم.

(٥) لطائف الإشارات: (١/٤٣٢).

(٦) في (د): ﴿قل ان كان آباؤكم أو ابناؤكم﴾.

(٧) في (ص) و (ك) و(ب): الحظوظ.

الأيـام، ودوام الإعـلام[١]، والمواظبـة علـى الأعمـال؛ تُخْـرِجُ الـدَّفِينَ[٢]، وتُظْهِرُ الأحوال[٣].

شِعْرٌ[٤]:

سـوف تـرى إذا انجلـى الغبـارُ أفـرسٌ تحتـك أم حمـارُ[٥]

٢ ونـبَّههم علـى علامـة المحبـة بقَطْعِ العلاقـات، ومفارقـة العـادات، وهجـران/ [٢٩/ب] القرابـات، ونبـذ الـشهوات، والرجـوع إلـى الله فـي دوام الحالات[٦].

ومن أمثال العُبَّادِ: «من نَفَقَتْ سوق دينه كسدت سوق حظوظه، وما لم تَخْلُ منك مساهلُ[٧] الشهوات لم تُعْمَرْ بك مساجدُ الطاعات»[٨].

ولا يَعْمُـرُ مـواطن الطاعـات إلَّا مـن خـرَّب ديـار الراحـات؛ فالزاهـد يعمرهـا بتخريـب دار علاقتـه، والمُوَحِّـدُ بتخريـب وَطَـنِ تَمَنِّيـه، والعـارف

---

(١) فـي (ص) و (ك) و(ب) و(د): الأعـوام، وضـبَّب عليهـا فـي (د)، والمثبـت صحَّحه بطرته.

(٢) في (ب): الرقيق، أو: الدقيق.

(٣) ينظر: لطائف الإشارات: (١٨/٢).

(٤) سقطت من (ص) و(ب) و(د).

(٥) من الرجز، وهو لابن المعتز في التمثيل والمحاضرة: (ص٣٤٥) منسوبًا له، وأنشده أبو القاسم القشيري في لطائفه: (١٨/٢).

(٦) ينظر: لطائف الإشارات: (١٨/٢).

(٧) في (ص): مشاهد، وفي طرة بـ (د): الظاهر: مسالك، وأيضًا: مزايل.

(٨) ينظر: لطائف الإشارات: (١٨/٢).

بتخريب مكان لحظاته[١] وسكناته، والمحب بتخريب كل ما ليس لله فيه وجه يُقصد، ولكل أحد من الخلق رُتبة[٢].

ولمَّا ذُكِرُوا مع غيرهم قال قائلهم:

لا تَعْرِضَنَّ لذِكْرِنا في ذِكْرِهم ... ليس الصحيح إذا مشى كالمُقْعَدِ[٣]

مزيدُ بيان:

ولمَّا أخبر الله تعالى بأنَّ الذين آمنوا أَشَدُّ حُبًّا لله، يعني: من الكفار لأصنامهم، على الوجه الذي تقدَّم بيانُه، فالمؤمنون أيضًا يتفاوتون[٤] في محبة الله ومحبة رسوله على مراتب، فأكثرهم له محبة أعظمهم له طاعة؛ فإنَّ من يحبك لا يعصيك، ولا يراك حيث نهاك، وقد قال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وولده ونفسه والناس أجمعين، قال له عمر بن الخطاب[٥]: لأنت أحبُّ إليَّ من الكل إلَّا من نفسي، قال له: لا تؤمن حتى أكون أحب إليك من نفسك، قال له: فأنت أحب إليَّ من نفسي، قال له: فالآن يا عمر»[٦].

[محبة المرء للغير ووُجُوهُها]:

ومَحَبَّةُ المرء لغيره تكون بأربعة وجوه:

---

(١) في (د): لحاظته.

(٢) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/١٤).

(٣) من الكامل، وهو في لطائف الإشارات: (٢/١٤)، وحلية الأولياء: (٨/٢٦٦).

(٤) في (د): متفاوتون.

(٥) قوله: «ابن الخطاب» سقط من (ك).

(٦) تقدَّم تخريجه.

الأوَّل: بإرادة الخير له من كل وجه.

الثاني: يذكره بالخير في كل حال.

الثالث: بمواساته.

الرابع: بإيثاره له على نفسه.

فأمَّا الوجهان الأوَّلان ففرضان على الإطلاق.

وأمَّا المواساة ففَرْضٌ على الوجه الذي بيَّناه في المقام الأوَّل من هذا الكتاب(١).

وأمَّا إيثارُه له على نفسه فلا يلزم ذلك إلَّا في حق النبي، فلا يلزم أن تؤثر غيرك على نفسك، أما إنَّه إن فعلتَ ذلك كان من مناقبك وأَجَلِّ حسناتك.

والإيثارُ في مكارم الأخلاق ومراتب الحسنات أَصْلٌ معلوم، قال الله سبحانه مُثْنِيًا على الأنصار: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:٩].

وأمَّا إيثارُ الله على النفس(٢) فغيرُ لازم في حقه؛ لأنه إذا خاف العبدُ على ماله أو نفسه فكان فِداؤه بالكفر جاز أن يَتَلَفَّظَ به بلسانه، ولا يعتقده بقلبه،/ وكذلك في عِرْضِ النبي صان الله قَدْرَه، وهذه رحمة من الله ورُخْصَةٌ. ٢ [٣٠/أ]

وإنَّما كانت تلك الفُروض مع الرفاهية والاختيار، دون الضرورة والإكراه.

---

(١) أي: مقام الحياة الدنيا من السِّفْرِ الأوَّل.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): النفس على الله.

[صِلَةُ المحبة بالمعرفة]:

ومع أنَّ المحبة تنقسم على هذه الوجوه؛ فإنَّها تقوى وتضعف بحسب قوة المعرفة وضعفها، ألا ترى كيف كانت معرفة عمر على درجة لا يُحِبُّ النبيَّ فيها أكثر من نفسه، ثم عرَّفه بالواجب، فلمَّا انتهى إليه انتهت قوة المعرفة، وكانت معرفة أبي بكر بالله أكثر منه، وقد تبيَّن ذلك في أفعالهما؛ فإنَّ أبا بكر جاء بماله كله إلى النبي فقَبِلَهُ منه(١)، وترك أبو بكر نَفْسَه وأهلَه تحت حُكْمِ الله ورِزْقِه، وجاء عمر بنصف ماله وقال: «تركت لأهلي نصفه الآخَر»(٢)، وجاء كعب وأبو لبابة بجميع مَالَيْهما فلم يُقْبَلْ منهما(٣)؛ لأنهما جَاءَا به في حال خوف، وتحت تَقِيَّةٍ من ذنب، وجاء أبو بكر وعمر مُتَبَرِّعَيْنِ ابتداءً مع صلاح الحال مع الله والإقبال عليهما، فعلم النبيُّ من أبي لبابة وكعب أنهما إذا عَدِمَا أموالهما لم تكن قلوبهما من الصَّفاء والصبر، والثقة بالموعود والسكون إلى الضَّمَانِ؛ كما كانت بوجود المال، فأخذ الثُّلُثَ تطهيرًا لهما، وأبقى الثُّلُثَيْنِ بأيديهما تَثْبِيتًا لهما.

[درجاتُ المعرفة]:

وإذا ثبت هذا فدرجاتُ المعرفة بالله لا حَصْرَ لها، فقد بلغ النبيُّ من المعرفة ما بلغ، ومع ذلك قيل له: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١١]، ولهذا كان الخَلْقُ بعده في درجة القصور في المعرفة، وقُصُورُهم بوجهين من حالين:

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) تقدَّم تخريجه.

أمَّا **الوجه الأوَّل** - وهو الأصل -: فإنَّ الله لا يُحاط به علمًا، ولم يخلق البشر على ذلك النصاب، ولا بلَّغهم تلك الرتبة.

وأمَّا **الوجه الثاني**: فإنَّ المقدار الذي شَرَعَ للخلق منهاجه من معرفته عليه حُجُبٌ كثيرة، أصلها حب الدنيا، وضرورة الآدَمِي إلى الحاجة منها؛ فإن الضرورة إلى الحاجة قاطع عن المعرفة الكاملة، والحبُّ للدنيا ربَّما قَطَعَ عن جميعها أو معظمها، وبقدر إعراض الناس عن الدنيا يكون علمهم بالله تعالى.

[نَقْضُ كلام أبي حامد في معرفة الله]:

وقد وَهِمَ في هذا الفصل أبو حامد الغزالي وهمًا كبيرًا على قَدْرِه، فقال: «إنَّ السبب في خفاء الله عن أكثر الخلق ظهوره وجلاؤه؛ فإنه ليس في الملكوت ذرَّة إلا وهي دليل عليه وشاهدة به، ولما كثُر ذلك وعظُم وظهر غَلَبَ[1] العقولَ وبهرها، كما يعتري البصير مع ضوء الشمس، وكما أنه يضعف بصرُه عن نور الشمس كذلك تَضْعُفُ بصائرُ/ الخلق عن إدراك معرفة الله»[2]. ٢ [٣٠/ب]

وقال: «هذا معنى قوله: حِجَابُه النُّورُ».

وذَكَرَ كلامًا ضعيفًا بيَّنَّاه في كتاب «الأمد الأقصى»[3]، لم أَرَ ذِكْرَه لكم لوجهين:

---

(١) في (د): غلف.

(٢) الإحياء: (ص١٦٨٦-١٦٨٧).

(٣) الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٤٩٩/١-٥٠٣).

أحدهما: بشاعته.

والثاني: فساده.

وهذا كلام لا معنى له؛ لأن الله قد كَلَّفَنا عِلْمَه كما بيَّنَّاه[١] من قبل، ونَصَبَ عليه أدلته، وما ذكره من التمثيل بنور الشمس لا معنى له؛ لأنَّ نور البصر هو الذي يضعفُ عن نُورٍ أقوى منه في الإدراك.

وأمَّا المعرفةُ بالله أو بغيره فليس في ذلك نُورٌ إلَّا على طريق التمثيل، فلا جَرَمَ لضعف أبصارنا لا نرى الملائكة ولا الجن، فضلًا عن الله سبحانه، فإذا خلق لنا رؤيته رأيناه، وبخَلْقِه الرؤيةَ يرتفعُ الحجاب الذي ذكر؛ وهو النور، لأنها تكون أقوى منه، وقد خلق لنا العلم لنا[٢] به، فليس يصح أن يُحْمَلَ أحدُهما على الآخَرِ ولا يُنَظَّرَ[٣] به.

وبيانُ محبة الله للعبد مُحَصَّلَةٌ عند العلماء، مذكورة في القرآن والسنة، وقد ذكرنا وَجْهَ تعلقها بنا وشَرْحَ وصولها إلينا بإنعامه علينا، وإذا أحبَّ الله عبدًا أَوْصَلَ فائدة أَصْلِ المحبة إليه، وهي: الإرادة بمتعلقاتها من الإحسان والإنعام.

قال النبي ﷺ: «قال الله: لا يزال العبدُ يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها»[٤].

---

(١) في (د): بيَّنَّا.
(٢) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).
(٣) في (د) و(ص): ينطر، ورمز لها في (د) بـ: ن، أي: بيان، تصحيحًا لها.
(٤) سَلَفَ تخريجه.

المعنى فيه: أنه يُيَسِّرُ الطاعات على الجوارح، فلا تظهر فيها معصية، وهذا[١] أجلُّ أنواع المحبة.

[نَقْضُ دعوى محبوبية اليهود والنصارى لله تعالى]:

وقد وردت آيةٌ عظمى[٢] للخلق فيها أكرم بشرى، وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [المائدة:٢٠]، وهذا يدل على أنَّ الحبيب لا يُعَذَّبُ بذنبه إذا كان له إحسانٌ إلى ربه.

وحقيقةُ الآية على التفصيل والتأصيل في «التوحيد» و«التذكير» خمسةُ أوجه:

الأوَّل: أنَّ البُنُوَّةَ تقتضي المجانسة، والله مُنَزَّهٌ عنها[٣].

الثاني: أنَّ المحبة بين المتجانسين تقتضي المخالطة[٤] والمؤانسة والمجاورة، وهو تعالى مُقَدَّسٌ عن ذلك[٥].

الثالث: أنَّ المُحْدَثَ لا يصحُّ أن يكون بعضًا للمُحْدِثِ؛ لأنَّ المُحْدِثَ لا بعض له، والأَحَدِيَّةُ واجبة لله، والعَدَدِيَّةُ محالٌ على الله، فإذا

---

(١) في (د) و(ك) و(ص) و(ب): هذه، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

(٢) في (د): في خ: عظيمة.

(٣) لطائف الإشارات: (٤٤١/١).

(٤) في (ك) و(ب) و(ص) و(د): الاختلاط، وضبَّب عليها في (د)، والمثبت من طرتها.

(٥) لطائف الإشارات: (٤٤١/١).

لم يكن له عدد لم يَجُزْ أن يكون له وَلَدٌ، فإذا لم يكن له وَلَدٌ على الوجه الذي اعتقدوه[١] لم يكن بينهم وبينه محبة[٢].

٢ [٣١/أ]

الرَّابع[٣]:/ الأمانُ من العذاب للمحبوب من الذنوب[٤].

الخامس: أنَّ هذا ينبني على قولهم: «إنهم أبناء الله، وإنه يعذبهم أيَّامًا معدودة»؛ فتناقض[٥] قولهم.

فإن قيل: إن النصارى اليوم يقولون: إنَّ أحدًا منَّا لم يقل: «إنهم أبناء الله».

قلنا: هذا ما لا ينفعكم اليوم، لو كان أهلُ ذلك العصر لم يَقُولُوهُ ما وجدوا على النبي مَطْعَنًا أعظم من هذا، ولَتَعَلَّقُوا به وصرَّحوا بذِكْرِه، وساعدهم على ذلك المشركون من قومه، فلمَّا سلَّموا تسليمًا دلَّ ذلك على صِدْقِ القول وصِحَّةِ الحُجَّةِ.

[علاماتُ المحبة]:

وللمحبة علاماتٌ كما بيَّناه، وهي من الله العِصْمَةُ عن المعاصي أو بعضها، فيكون[٦] له كل المحبة أو جُزْءٌ منها.

---

(١) في (ك): اعتقدوا.

(٢) لطائف الإشارات: (١/٤٤١).

(٣) لطائف الإشارات: (١/٤٤١).

(٤) في (ك) و(ب) و(ص): بالذنوب.

(٥) في (ك): فيناقض.

(٦) في (ك): تكون.

وعلامةُ محبة العبد طاعة الله، فإذا أحبَّ الله العبدَ خلَقَ له قُدْرَةَ الطاعة فأطاعه، وإذا خَلَقَ له قُدْرَةَ المعصية عصاه، وإذا لم يخلق له قدرة على شيء من ذلك لم يأت به، وبعَدَمِ خَلْقِ قدرة الطاعة[١] عَصَاهُ، وبعدم خَلْقِ قدرة المعصية[٢] له يدل على أنَّه راضٍ عنه.

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨].

فأخبر تعالى أنهم[٣] رضي عنهم حين أحبَّهم، فيسَّر لهم البيعة على الموت، أو على أن لا يَفِرُّوا عن النبي ﷺ، وعَلِمَ ما طرأ على قلوبهم من الاضطراب والتشكك[٤] حين قال لهم النبي: إنكم تدخلون المسجد الحرام؛ ﴿ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾؛ فلمَّا صُدُّوا اضطربوا وشَكُّوا، وتوَقَّفَ عمر وجاء النبيَّ، فقال له: «لم أخبرك أنك تدخله العام، وجاء إلى أبي بكر فقال له: ما هذا؟ وقال له أبو بكر: لم يقل النبي ﷺ: إنَّ ذلك يكون[٥] العام، وإنه كائن ولا بدَّ»[٦]، فرجع عمر إلى التثبيت[٧] وغيره

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب) و(د): المعصية، ومرَّضها في (د)، والمثبت من الطرة، ولم يُصَحِّحها أو يُشِرْ إلى كونها من نسخة أخرى.

(٢) قوله: «عصاه، وبعدم خَلْقِ قدرة المعصية» سقط من (د) و(ك) و(ب).

(٣) في (ك) و(ص): أنه، وأشار إليها في (د).

(٤) في (ك) و(ب) و(ص): التشكيك.

(٥) في (د): يكون ذلك.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه: كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم: (٢٧٣٢-طوق).

(٧) في (ص): التثبت.

من الأعمال، فذلك قوله: ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾[١].

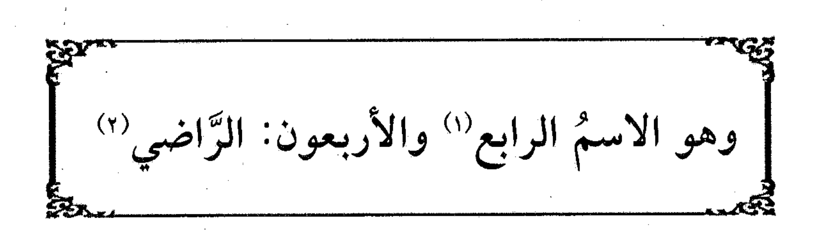
وهذه علامة الرضى؛ فإنَّ القَلْبَ إذا اضطرب، والشَّكَّ إذا تطرَّق، وكان الله للعبد مُحِبًّا وعنه راضياً ساق إليه أسباب الثبات؛ إمَّا بخَلْقِ[٢] العِلْمِ له ابتداءً من غير تعليم من غيره، كما فعل بأبي بكر، وإمَّا بتعليم الغير له وتنبيهه عليه، كما فعل بعُمَرَ مع النبي وأبي بكر، فلا يضره بعد ذلك ما طرأ على قلبه من طَيْفِ الشيطان، وذلك هو قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١]، فَرَضِيَ عنهم أوَّلاً، فلمَّا سكنت قلوبهم بتَثْبِيتِه رَضُوا عنه[٣]./ [٣١/ب] ٢

* * * * *

(١) لطائف الإشارات: (٣/٤٢٦-٤٢٧).

(٢) في (ك): يخلق.

(٣) لطائف الإشارات: (٣/٤٢٧).



وهو الاسمُ الرابع(١) والأربعون: الرَّاضي(٢)

وفي الحديث الصحيح: «إنَّ الباري يقول: يا أهل الجنة، فيقولون: لبَّيْك ربنا وسَعْدَيْك، فيقول: وهل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تُعْطِ أحدًا من خلقك، فيقول: أنا أُعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا ربَّنا، وأيُّ شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحِلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»(٣)، وذلك تفسير قوله: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة:٧٢]، وقوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

[حقيقةُ الراضي]:

وقد يُفَسَّرُ اسمُ «الراضي» بالذي(٤) قَطَعَ الأمل ووقف حيثُ ما وقف به في الدنيا، وفي الآخرة: هو الذي حَسِرَ(٥) أملُه، ولم يبق له متطلَّع إليه بكثرة ما وصل إليه.

---

(١) في (ك): الثاني.

(٢) سقط من (ك) و(ص)، ولم ترد هذه الترجمة في (ب).

(٣) سَلَفَ تخريجه.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): وهو الذي، وضرب على «هو» في (د).

(٥) في (د) و(ب): خسر، ومرَّضها في (د)، وفي الطرة: حسن، وصحَّحها، وفي (ص): جسر.

وقد يقف الأملُ بأهل الدنيا على أغراض ولأسباب، فيقول: رضيتُ، أي: وقفت، ويكون حُكم ذلك حُكم سببه[١]؛ إمَّا عن قناعة، وإمَّا عن حصول أمل، وإمَّا عن عِلْمٍ بتعذُّره، وإمَّا عن تَقِيَّةٍ في[٢] طلبه.

وقد أخبر الله عمَّن أنكر الآخرة وقَنِعَ بالدنيا فقال[٣]: ﴿وَرَضُواْ بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾ [يونس:٧]، أي: لم يَبْقَ لهم في سواها أَمَلٌ.

[الراضون من الأنبياء والصحابة]:

وقليل من يقف به أملُه على ما يكره عن ما يحب، منهم: أيُّوبُ؛ فإنه أَصْلُ الرضى بالقضاء، ومنهم جماعة لا تُحصى، من أَجَلِّهم سعدُ بن أبي وقَّاص؛ كان مُجَابَ الدعوة بدعوة النبي له في ذلك، قال عبد الله بن السائب: «أتيته[٤] وأنا غلام، فتقدَّمت إليه فعرفني، وقال: أنتَ قارئ مكة؟ قلت: نعم، ورأيتُ الناس يُهرعون إليه، ويسألونه أن يدعو لهم، فقلتُ: هلَّا دعوتَ لنفسك؛ فردَّ الله عليك بَصَرَك[٥]؟ فتبسَّم وقال: يا بُني، قضاءُ الله عندي أحسنُ من بَصَرِي»[٦].

وكان عمرانُ بن حُصَين استسقى بطنُه، فبقي مُلْقًى على ظهره ثلاثين سنة، وقد ثُقِبَ له في سرير من جريد[٧]، فكان عليه موضعٌ لقضاء حاجته، فدخل عليه مُطَرِّفُ بن الشِّخِّيرِ[٨] وأخوه العلاء؛ فجعل يبكي لما يرى من

---

(١) في (د): وسببه.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): من.

(٣) سقط من (ك) و(ب) و(ص).

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): فأتيته.

(٥) في (ص): هلَّا دعوت لنفسك أن يرد الله تعالى عليك بصرك.

(٦) قوت القلوب: (١٠١٩/٢).

(٧) في (د): جرير.

(٨) في (د): الشخراء.

حاله، فقال له[١]: «ممَّ تبكي؟ قال: لأني أراك على هذه الحال العظيمة، قال: لا تبك، فإنَّ أحبَّه إلى الله أحبُّه إليَّ، ثم قال: أُحَدِّثُكَ حديثًا لعل الله ينفعك به، واكتم عليَّ حتى أموت، إنَّ الملائكة تزورني فآنَسُ بهم[٢] وتُسَلِّمُ عليَّ»[٣].

٢ [٣٢/أ] قال في رواية: «ثم اكتوى فلم تُسَلِّمْ عليه»، وقال في رواية[٤]: / «اكتوينا فما أفلحن ولا أنجحن، قال: ثم تركتُ الكيَّ فرجع السَّلام»[٥]، يعني: تِيبَ عليه منه.

[هل يناقضُ الدعاء بإزالة البلاء الرضى بالقضاء؟]

فإن قيل: فهل يناقضُ الدعاءُ في إزالة البلاء الرِّضى بالقضاء؟

قلنا: نعم، يناقضه؛ ولكنه جائز، فإن كان راضيًا فليصبر عليه ولا يسأل كَشْفَه، وإن كان لا يريده فليسأل، فإنَّ ذلك مَأْذُونٌ له فيه، وهو الأرفق بالخَلْقِ، والأَلْيَقُ بهم.

وإذا فَهِمْتُمْ معنى المحبة ومتعلَّقاتها وشرف معناها وفضل خِصِّيصتها فعليكم أن تحفظوا أمرها من جميع جهاتها، وتُراعوا شروطها، وتقوموا بأسبابها، وتُراعوا بعد حصولها دوامها، فيكون بذلك وَصْفُ «الرَّعْيِ» لكم حاصلًا.

---

(١) سقط من (ك) و(ب) و(ص).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): بها.

(٣) سَلَفَ تخريجه، وينظر: قوت القلوب: (١٠١٨/٢).

(٤) قوله: «في رواية» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٥) سلف تخريجه.

الرَّاعي[١]: وهو الاسمُ الخامس[٢] والأربعون

قال الله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المومنون:٨].

وقال ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وكلكم مسؤولٌ عن رَعِيَّتِه»[٣]، وذَكَرَ الحديث الصحيح.

وقد جمع النبيُّ وجوه[٤] الرعاية والأمانة أخذًا بأطرافها على الخلق، فكان رَاعِيَ غنم؛ قال البخاري: قال رسول الله: «ما بعث الله من نبي إلَّا رَاعِيَ غنم، قال له أصحابه: وأنت؟ قال: وأنا رَعَيْتُها لأهل مكة بالقراريط»[٥].

ثم كان رَاعِيَ جميع الخَلِيقَةِ.

[أنواعُ الأماناتِ]:

والأمانةُ - وإن كانت على قسمين - أمانةُ الخلق، وأمانة الإله الحق؛ فإنها ترجع إلى الله كلها، ولها أحوال[٦]:

---

(١) سقط من (ك) و(د) و(ص).

(٢) في (ك): الثالث، وفي (ب): الرابع.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما: كتاب العتق، باب العبد راعٍ في مال سيده، رقم: (٢٥٥٨-طوق).

(٤) في (ك): وحده.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط، رقم: (٢٢٦١-طوق).

(٦) في (ك) و(د) و(ص) و(ب): محال، وضبَّب عليها في (د)، والمثبت من طرته، وصحَّحها.

الأوَّل: جوارحهم.

الثانية: قلوبهم.

الثالثة: الأمر والنهي.

الرابعة: إقرارُهم عند استخراجهم من ظَهْرِ آدم بالتوحيد.

الخامسة: محبة الله التي أودعها قلوبهم.

السَّادسة: الشهادة.

وهذه متداخلة، وقد بيَّنَّا تفصيلها في تفسير قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾[1] [الأحزاب:٧٢]، وحقَّقنا أنَّها الواجبات؛ أصولها وفروعها، والشرائع؛ جملتها وتفصيلها[2].

[حقيقةُ الرعاية]:

والرعايةُ: هي الحفظ، ومَرْجُوعُ ذلك إلى صيانة المعاني والذوات عن المكروهات، ومنه رعاية[3] الغنم؛ وهو حفظها عن الآفات، وذلك لا يمكن إلَّا بدوام المعرفة والنظر إليها دائمًا، وقد بيَّنه العَرَبِيُّ بقوله:

رأيتك ترعاني بعَيْنٍ بصيرةٍ وتبعثُ حُرَّاسًا عليَّ ونَاظِرَا[4]/ [٢/٣٢]

وبكثرة آفات النفس وعوارض الطاعات وخواطر الوساوس يفتقرُ العبد إلى مراعاة أحواله؛ فإن الغفلة عنها والاسترسال يُوقِعُ في التقصير،

---

(١) ينظر: أحكام القرآن: (٣/١٥٨٩-١٥٩٠).

(٢) ينظر: لطائف الإشارات: (٣/١٧٣).

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): رِعْيَةُ.

(٤) من الطويل، وهو للنابغة الذُّبْيَاني من قصيدة له في النعمان، ديوانه: (ص١١٦- الطاهر ابن عاشور).

ويُخْرِجُ إلى التعمد، لا سيما وعليك رقيبٌ يَرْعَى أحوالك، قال سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾[١] [الأحزاب:٥٢]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]، وقال: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨].

والرِّقْبَةُ هي المراعاة بعينها، فأخبر سبحانه أنه رقيب على كل شيء، ثم أخبر أنه رقيب علينا، وهذا صحيح.

[رِقْبَةُ الله تعالى]:

والرَّقِيبُ في اللغة هو المُرَاعِي المنتظر لما يطرأ من أحوال المرقوب، فالباري تعالى رقيب على العرش والسماوات والأرض والمخلوقات بأجمعها، ولولا مراعاته للكل لما ثبت منها شيء على صفته، ولا بقي لحظة على حالته، وهو سبحانه مُرَاعٍ لنا؛ يَتَرَقَّبُ أحوالنا بإدامتنا وإدامة أوصافنا وأفعالنا وأحوالنا، شيئًا شيئًا، دقيقة دقيقة، وجليلة جليلة، وليس في المخلوقات ولا في ملكوت الأرضين والسماوات شيء إلَّا وهو مُرَاعٍ له[٢]، رقيب عليه، بنسبة معلومة، وقَدْرٍ معلوم، موصول أو مقطوع، موجود أو معدوم، هو شَهِيدٌ على الكل، يَعُدُّ السُّكون والحركة، والخطرات واللحظات، وهو أقرب إلينا من حَبْلِ الوريد، لَا قُرْبَ مسافة؛ فإنه محال على الله، ولكنْ قُرْبُ عِلْمٍ وكرامة، وتحصيل وحفظ، وإحصاء وضبط، رَوْحٌ وأُنسٌ للمحبين، وهيبة وخوف للمراقبين، وتهديد للعاصين[٣].

---

(١) في النسخ: «إن الله كان على كل شيء رقيبًا».

(٢) في (ك): لها.

(٣) ينظر: الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/٤٧-٤٩).

وفي صحيح الحديث - كما قدَّمنا - أن الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[١].

وفيه - أيضًا -: «أنَّ الصحابة يومًا في سَفَرٍ رفعوا أصواتهم إلى الله، فقال النبي ﷺ: إنَّكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنَّما تدعون سميعًا قريبًا، إنه بينكم وبين رؤوس رحالكم»[٢].

[نَفْيُ الجهة عن الله تعالى]:

فهذا الإله المُقَدَّسُ الذي استوى على العرش؛ هو الذي في السماء إله، وفي الأرض إله، وهو الذي ينزلُ إلى السماء الدنيا كلَّ ليلة، وهو الذي يكون مع كل مُتَنَاجِيَيْنِ، وهو الذي يكون بين العبد وبين رَأْسِ رَحْلِه، وهذا يردُّ[٣] أهلَ الغباوة على بطلان[٤] ما يريدون أن يُثْبِتُوا من جِهَةٍ لله أو مقدار؛ فإنَّ الذي يكون على العرش لو كان مُقَدَّرًا لاستحال أن يكون في السماء، لأنَّها أقلُّ من العرش، واستحال أن يكون بين المرء ورَحْلِه؛/ فإنه أقل من شِبْرٍ، وليس بعد هذا البيان من الشرع لمن خالفه إلَّا العذابُ والهوان.

٢ [٣٣/أ]

[مراقبةُ الملكين للعبد]:

ومع أنه محيط بكل شيء، رقيب على كل أحد[٥]؛ فإنَّه قد خص العَبْدَ بأن جَعَلَ عليه رَقِيبَيْنِ:

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي موسى رضي الله عنه: كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا علا عقبة، رقم: (٦٣٨٤-طوق).

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): يدل.

(٤) في (د): في خـ: عن ما يريدون.

(٥) في (ك) و(د) و(ص) و(ب): أمر، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته، وقال: في خـ.

أحدهما: عن يمينه.

والآخر: عن شماله.

وهذا هو نصُّ القرآن في المَلَكَيْنِ، وليس في صفة حالهما وقُعُودِهما شيء يُعَوَّلُ على تفسيره؛ فإنه لم يصح عن النبي في ذلك كلمة، فلا تلتفتوا إلى ما في «كتب التفسير»[١]، ولا إلى ما في «كتب الزهد» من ذلك.

ومن مُمْكِنِ ما قالوا: «إن الملائكة التي تكتب الحسنات كلَّ يوم يكونون غير الذين كانوا بالأمس، وصاحب السيئات هو بعينه؛ ليكثُر شهود الخير، ويقل شهود الشر، سَتْرًا من الله على العبد»[٢].

ولو صحَّ هذا لكان جميلًا، وسِتْرُ الله على العبد أعظمُ.

وإذا[٣] كان كما قلنا: لكل قلب خاطر، وعلى كل عمل آفة، وفي كُل حال[٤] رقيب؛ وجبت المراعاة كما قلنا في المواظبة على الطاعة والمحاسبة على المعصية، كما بيَّنَّاه في «قِسْمِ الصَّبْرِ[٥]».

فعليك المرابطة لقلبك وعملك بذلك كله، والمصابرة عليه، والمحاسبة فيه، وقد قال أهلُ العبادة: «إن أعضاءك السبعة - العين والأُذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل -؛ السبعةُ أبوابُ جهنَّم[٦]، محفوفة

---

(١) ينظر: لطائف الإشارات: (٣/٤٥١).

(٢) لطائف الإشارات: (٣/٤٥١).

(٣) في (ك) و(ب) و(د): لما، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته، وفي (ص): لو.

(٤) سقط من (ك).

(٥) بعده في (ك) و(ص) و(ب): عليهما، وضرب عليها في (د).

(٦) بعدها في (ك) و(ص) و(ب): السبعة، وضرب عليها في (د).

بالشهوات»[١]، فاسددها عن نفسك، أو اسلكها لها، وسَهِّلْ سبيل الخلاص منها؛ فإنك على مَهْوَاةٍ فيها، وربَّما زَلَلْتَ فسقطت، فأيُّ لعًا لك؟

وأشدُّها اللسان؛ فإنه رطب مُسْتَرْسِلٌ، فلا يَكُبُّ الناس في النار على وجوههم إلَّا حصائدُ ألسنتهم، وإذا واظبت عليها بالمراقبة[٢] ولَازَمْتَها بالتذكرة أوشك أن يكفَّ عنك شرُّها أو يَقِلَّ.

وأنفعُه لك أن تشغلها بالأوراد، وتُرَتِّبَ عليها الطاعات، ولا تهملها ساعة، فإنَّها إن شَرَدَتْ عنك أنَّى لك بأخذها؟

قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد:٣٤].

أي: هل[٣] يعدل من لا يعلم ممَّا يفعله العبدُ شيئًا؟

﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ﴾ [الأنبياء:٤٢].

أي: ليس بيَدِ أَحَدٍ من المخلوقين نجاتُكم، وهذا زَجْرٌ للكافرين، وهيبة للمؤمنين، فاحفظ - أيها العبدُ - من يحفظك، وراقب من يكلؤك، واخش من يراك، واعلم أنَّ ما يأتيك[٤] من/ الخيرات من نَوْعَي النفع والضر[٥] فإنَّه ممَّن تولَّاك، فيجبُ[٦] عليك دوام الاعتكاف ببابه، وإيقاف القلوب على محبته، وهو سبحانه وإن كان رتَّب على ظاهرك من يرعاه، فإنَّ

[٣٣/ب]

---

(١) ينظر: قانون التأويل: (ص٢٣٨)، وأصله في الإحياء: (ص١٧٦٧).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب) و(د): المرابطة، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

(٣) قوله: «أي: هل» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): نابك، وضرب عليها في (د).

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): الدفع.

(٦) في (د): يحب.

باطنك ليس لأحد سواه، هو الذي يتولَّاه وعليه المعوَّل، فانظر ما أنت فيه تفعل.

وقد استوفى هذا بعضُ الحكماء فقال:

إذا ما خَلَوْتَ الدهر يومًا فلا تَقُلْ خَلَوْتُ ولكن قُلْ عليَّ رقيبُ
ولا تحسبن الله يغفلُ ساعةً ولا أنَّ ما يخفى عليه يغيبُ
ألم تر أنَّ اليوم أسرعُ ذاهبٍ وأنَّ غدًا للنَّاظرين قريبُ
لَهَوْنَا - لعَمْرُ الله - حتى تتابعتْ ذنوبٌ على آثارهن ذنوبُ(١)

[أنواعُ المراعاة]:

ومن المراعاة مراعاةُ الأوقات، فإنَّ العمر ثلاثُ ساعات:

التي مضت عنك فلا تنجبر؛

والتي تنتظرُ فلا تعلم أتدركها أم لا(٢)؟

والتي أنت فيها؛ فاحفظها واجعل فيها وِرْدًا، واعمرها بطاعة تربح تلك السَّاعة يوم السَّاعة.

وإن لم يكن له من اليقين والعلم والفراغ ذلك فليجعل زمانه قِسْمَيْنِ:

بعضُه لما لا بدَّ له من دنياه؛

وجلُّه لأخراه؛

---

(١) من الطويل، وهي للحسن بن عمرو الإباضي، ورُوِيت لغيره، وهي في الحماسة البصرية: (٢/٤٧)، وينظر: شعر الخوارج: (ص٢٣٤)، وأخلاق الوزيرين: (ص٣٧٤)، ومعجم الأدباء: (٢/٥٤٧)، وديوان أبي نُواس: (ص٦١٥).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): إن أدركتها.

فيكون على هذا الوجه كله للآخرة.

وقد قال الله: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص:٧٧]؛ أَمَرَ كلَّ أحد أن يسعى[١] في دنياه لآخرته[٢]، ولا ينس حظَّه من دنياه التي لا تتمُّ له إلَّا به أخراهُ.

قال علماؤنا: «ليس النصيبُ من الدنيا جَمْعَها ولا مَنْعَها، إنما النصيب من الدنيا أن يكون له منها فائدة، وذلك ما لا يُعْقِبُ في الدنيا[٣] نَدَمًا، ولا يُوجِبُ في الآخرة عُقُوبَةً»[٤].

وقيل: «النصيب من الدنيا ما يحمل على طاعة الله بالنفس، وعلى معرفته بالقلب، وعلى خدمته بالجوارح، وعلى ذِكْرِهِ باللسان»[٥].

والأوَّل أقوى.

وأنواعُ المراعات[٦] - كما قدَّمنا - بأنواع الحدود، ويجمعه رَعْيُ حق الله، ورعي حق المؤمنين، ورعي حق الذمة، ويرجع ذلك إلى رَعْيِ حَقِّ[٧] المؤمنين، والكلُّ يرجع إلى رَعْيِ حق الله.

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب) و(د): يبتغي، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرتها.

(٢) في (ك) و(ب): آخرته، وفي (ص): آخرته في دنياه.

(٣) قوله: «في الدنيا» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٤) لطائف الإشارات: (٨١/٣).

(٥) لطائف الإشارات: (٨١/٣).

(٦) في (ص): المراعاة.

(٧) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

والمراعاة كلها إنما تكون بالاعتقاد والأفعال لا بالأقوال؛ فإنَّ المنافقين يراعون الأقوال دون الاعتقاد والأفعال، ولذلك تضاعفت عقوبتهم؛ فكانوا في الدَّرَكِ الأسفل من النار.

٢ [٣٤/أ]

ومن/ المراعاة رَعْيُ الأعمال في نفسها؛ بتقديم المُهِمِّ منها فالمهم، وأُصُولُها أن تبدأ بصلاح العقيدة قبل صلاح الأقوال، وخُلوص النية قبل مباشرة الأعمال، وبتطهير القلب من الدناءات قبل النظر في اكتساب المَكْرُمَاتِ.

ومراعاة الأحوال أوكد؛ فإن الموت لا تعلم متى يقدم عليك، أليلًا أم نهارًا؟ شابًّا أم كهلًا أم شيخًا؟ بغتة أم إنذارًا؟ نائمًا أو[١] يقظانَ، كم يوم طلعتْ فيه شمسُه بأرواح[٢] السَّعادة غربت على خلاف الإرادة.

وأشدُّ المراقبة سُرُورٌ يُخاف زواله.

أشدُّ الغم كَوْنٌ في سرور ... تيقَّن عنه صاحبُهُ انتقالَا

أرى الدنيا على من كان فيها ... صُرُوفًا لا تُديم عليه حالَا[٣]

أنشدنا[٤] شيخُنا أبو الحُسَين[٥] أحمد بن عبد القادر[٦] بن يوسف الصُّوفِي:

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): أم.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب) و(د): بأوج، وضبَّب عليها في (د)، والمثبت من طرته.

(٣) منَ الوافر، وهي للمتنبي في ديوانه؛ بتقديم البيت الثاني: (٨٨٩/٢).

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): وأنشدني.

(٥) في (د) و(ص) و(ك): الحسن، وهو تصحيف.

(٦) ضرب في (د) على قوله: «أحمد ابن»، ولا معنى لِفِعْلِه هذا.

كأن رقيبًا منك يرعى خواطري وآخرُ يرعى ناظري ولساني[١]

تَقَيَّدَتْ في «ترتيب الرحلة»، ورويتُها من طريق أخرى:

كأنَّ رقيبًا منك يرعى خواطري وآخرُ يرعى ناظري ولساني
فما أبصرتْ عيناي غيرَك منظرًا من الناس إلَّا قلتُ قد رَمَقَاني
ولا عرضتْ في عارضِ الفِكْرِ خطرةٌ لغيرك إلَّا عرَّجا بعِنَاني
ولا بدرتْ مني لغيرك لفظةٌ بذِكْرَاه إلَّا قلتُ قد سَمِعَاني[٢]
تمكَّن من قلبي جلالُك إنَّني أراك على كل الجهات تَرَاني[٣]

والواجبُ على العبد أن يكون مراعيًا كلَّ حين، خائفًا يترقَّب كلَّ وقت[٤] كلَّ هداية من الله وخير.

وهذه الترجمة عظيمة عامَّة، يمكن أن تدخل تحتها أبوابُ الشريعة كلها، ولذلك قالوا: «إن المراعاة هي دوامُ العلم دون غفلة، وبقاءُ الذِّكْرِ دون طُرُوِّ[٥] سَهْوٍ».

وبهذه المحافظات كلها يُدْعَى بـ«الوَلِيِّ».

---

(١) تخريجه في الذي يليه.

(٢) قوله: «تقيَّدت في ترتيب الرحلة.. سمعاني» سقط من (ص).

(٣) من الطويل، وهي للبحتري في ملحق ديوانه: (٥/٢٦٨٢)، والأوَّل نسبه القاضي الجرجاني في الوساطة (ص١٧٧) لمحمد بن داود.

(٤) بعده في (ك) و(ب): وحين ويترقَّب، وضرب عليها في (د)، وفي (ص): راجيًا يرتقب.

(٥) في (ب): طروء.

الوَلِيُّ[١]: وهو الاسمُ السَّادس[٢] والأربعون

وهي خَصْلَةٌ[٣] شريفة، ومقام كريم، واسمٌ من أسماء الله عظيم، وقد بيَّنَّاه في كتاب «الأمد الأقصى»[٤] بأبدع وجوه البيان، ممَّا هدانا الله إليه، والحق بَيِّنٌ، وعلى العلماء هَيِّنٌ، وعن الشُّبَهِ صَيِّنٌ.

وهو عبارةٌ عن القريب من الله، المُتَوَالِي/ عليه فضلُه وإحسانُه بإدامة العصمة وتيسير الطاعة وهبة النُّصرة. [٣٤/ب] ٢

ومن قام بأمر الله تولَّى الله أموره؛ فلم يَدَعْ شيئًا من أحواله، ولا وَكَلَه إلى أشكاله، ولم يُخْلِه من أفضاله، فإن حَرَمَه شيئًا رَزَقَه الرضى بأفعاله، ورَوْحُ الرضى على الإسرار أجلُّ عطايَا الجبَّار.

فالله وَلِيٌّ: فعيل بمعنى فاعل.

والعبد وَلِيٌّ: فعيل بمعنى مفعول.

وهو - أيضًا -: مَن توالت طاعتُه لمَّا اتصلت عصمتُه، فيرجع إلى الأولى[٥]، فيكون محفوظًا في جميع أحواله من أشد المحن؛ وهي ارتكابُ المعاصي، منصورًا في جميع أفعاله[٦].

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): الرابع، وفي (ب): الخامس.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): خُطَّة.

(٤) الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/١٤٦-١٥٠).

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): الأول.

(٦) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/١٠٤).

قال بعضهم: «النبي معصوم، والولي محفوظ؛ فالنبي لا يأتي بذنب، والولي إن أتى رَاجَعَ في الحال»[١].

وفي «مسند الحارث»: عن عُبَيد بن عُمَير عن أبيه: «كنتُ مع النبي في حجة الوداع، فسمعته يقول: ألا إنَّ أولياء الله هم المصلون»[٢].

وذلك يرجع إلى القُرْبِ؛ فإنَّ المصلي يناجي ربه، وأقربُ ما يكون فيها إذا سجد[٣].

وقد وَلِعَ[٤] الناسُ باسم «الولي» وجعلوه تابعًا للنبي، وكل أحد من المؤمنين وَلِيٌّ على مقدار[٥] طاعته، وكيف ما كان فلا تجتمع الولاية والعداوة؛ فإنَّ العداوة تكون بسبب الكفر، والولاية تكون بسبب الإيمان، ومتى ما حصل مع العبد الإيمان فليس بعَدُوٍّ لله ولو عصى، وقد بيَّن الله ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٩٧]، كما قال: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف:١٩٦].

---

(١) لطائف الإشارات: (٢/١٠٥).

(٢) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار: (٢/٣٥٢)، رقم: (٨٩٨-شعيب)، وفيه عبد الحميد بن سِنان، وقال البخاري في أحاديثه عن عُبَيد بن عُمَير: «في حديثه نظر»، يستضعفه جدًّا، ضعفاء العُقَيلي: (٣/٨٠١).

(٣) قوله: «وفي مسند الحارث: عن عُبَيد بن عُمَير عن أبيه: كنتُ مع النبي في حجة الوداع فسمعته يقول: ألا إنَّ أولياء الله هم المصلون، وذلك يرجع إلى القُرب؛ فإنَّ المصلي يناجي ربه، وأقربُ ما يكون فيها إذا سجد» سقط من (ص).

(٤) في (ص): أُولع.

(٥) في (ص): قَدْر.

وأمَّا العاصون فهو الذي يتوب عليهم ويَحْلُمُ عنهم ويُرَاجِعُ بهم، فهُمْ[1] على دَرَج شَرَفِ الولاية أو دَرَكِ هلاك العداوة، والكتابُ قد سُطِّرَ، والقضاءُ قد نَفَذَ، والأمرُ قد أُبْرِمَ، والعبدُ بين الطمع والرجاء، فإمَّا هُلْكٌ، وإمَّا نجاةٌ[2].

وقد صار هذا الاسمُ في عُرْفِ المتكلمين من علمائنا والصوفية عبارةً عمَّن توالت عليه نِعَمُ الله بالعصمة، حتى تولَّاه الله بالحُرمة، فكلُّ ما أراد كان، وجميعُ ما دعا أجابه الله فيه، فهو وَلِيٌّ لله، والله وَلِيٌّ له.

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٦]، فهو قريبٌ منهم بالهداية والعصمة، وهم قريبٌ منه بالعبادة والطاعة.

ولمَّا قال/: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾، نوَّر قلوبهم بالإيمان، وجوارحهم بالطاعة، ولم يكونوا في سابق عِلْمِه في الظلمات، وإنَّما كانوا في نُورِه، ولكنه غشيتهم عَجَاجَةُ[3] الاشتراك في الاشتباك في الدنيا، ثم تداركتهم النعمة السَّابقة في الحالة العُليا، كما أنَّ النور السَّاطع بالبيان بالأدلة أدرك الكفَّار، ولكن استولى عليهم سابقُ الظلمة في القَدَرِ الأوَّلي، فساقهم إلى الهَلَكَةِ.

[٣٥/أ]

ومن غريب هذا الاسم أنه يُثْبَتُ به ويُنْفَى، ويُوجَبُ ويُسْلَبُ، تقول: تَوَلَّيْتُ فلانًا؛ إذا تقاربتُ منه، وتولَّيتُ عن فلان؛ إذا تباعدتُ عنه، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:٥٣]، وقال في الكفَّار:

---

(١) في (ب): فهو.

(٢) في (ص) و(ب): هَلَكَ.. نَجَا.

(٣) العجاجة: الغُبار، تاج العروس: (٦/٩٠).

﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ [الأنفال:٤٠]، وقال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[١] [الحديد:٢٣]، وقد يحتمل أن يكون معناه: فإن تَوَلَّوْا[٢] غير الله فاعلموا أنه هو الغني، وكذلك قوله: ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ﴾[٣]، يكون معناه: فإن تولَّوا غيركم فالله مولاكم أنتم[٤]، وإن تولَّوهم فيكونون مثلهم[٥]، كما قال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾، أي: مَن[٦] افتخر بهم واستنصَر وانخرطَ في سِلْكِهم وعَدَّ نفسَه في جملتهم ودَانَ بمحبتهم؛ كان حُكْمُه في الدنيا والآخرة حُكْمَهم.

ومن صِفَةِ الولي عند الصوفية العُزْلَةُ عن الناس، والمجانبةُ للعالَم، وهذا لفساد[٧] الخلق، وإلَّا فإذا كان الناسُ كلهم أولياءَ الله كانت الخُلطة بينهم للتعاون على البر والتقوى أولى، وقد قال النبي ﷺ: «أَغْبَطُ أوليائي بي مؤمن خفيفُ الحاذِ، ذو حَظٍّ من صلاة وصيام، أحسنَ عبادة ربه، وكان عيشُه كِفَافًا، قَلَّتْ بَوَاكِيه، وقَلَّ تُرَاثُه»[٨].

فلمَّا فسد الزمانُ صار عندهم من أوصاف الولي[٩] «السَّائحُ».

---

(١) في (د): ﴿هو الغني الحميد﴾.
(٢) في طرة بـ (ص): صوابه: ومن يتولَّ.
(٣) في (د) و(ص) و(ك): فإن تولوا.
(٤) في (ك): أنتم وهم.
(٥) في (ك) و(ب) و(ص): فتكونون مثلهم.
(٦) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).
(٧) في (ك): بفساد.
(٨) تقدَّم تخريجه في السِّفرِ الأوَّل.
(٩) في (ب): الولي عندهم.

السَّائِحُ[١]: وهو الاسمُ السَّابعُ[٢] والأربعون

قال الله تعالى: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ [التوبة:١١٢].

وليس له في السُّنَّةِ حديثٌ بحال يُعَوَّلُ عليه[٣]، إلَّا أنَّ القاسم أبا عبد الرحمن روى عن أبي أُمامةَ أن رجلًا قال: «يا رسول الله، ائذن لي في السِّيَاحَةِ، قال النبي ﷺ: إن سياحة أمتي في الجهاد في سبيل الله»[٤]، خرَّجه أبو داود وغيرُه[٥].

وإنَّ[٦] المفسرين رَوَوا أنَّ النبي قال: «السَّائحون: الصائمون»[٧].

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): الخامس، وفي (ب): السادس.

(٣) في (ب): يعول عليه بحال.

(٤) أخرجه أبو داود في السنن: كتاب الجهاد، باب في النهي عن السياحة، رقم: (٢٤٨٦-شعيب).

(٥) قوله: «يُعَوَّلُ عليه، إلَّا أنَّ القاسم أبا عبد الرحمن روى عن أبي أمامة أن رجلًا قال: يا رسول الله، ائذن لي في السياحة، قال النبي ﷺ: إن سياحة أمتي في الجهاد في سبيل الله، خرَّجه أبو داود وغيرُه» سقط من (ك) و(ص).

(٦) في (ك) و(ص): إلَّا أن.

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره عن عُبَيد بن عُمَير مرسلًا: (١٤/٥٠٢-شاكر)، وأخرجه أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ مرة موقوفًا، ومرة مرفوعًا: (١٤/٥٠٣-شاكر)، وكلامُ ابن العربي بعده يُفِيدُ أن الحديث عنده لا يَصِحُّ رَفْعُه.

[٣٥/ب] وإنَّما المشهورُ عن ابن مسعود/ وأبي هريرة وابن عباس والحسن وعطاء ومجاهد وأبي عبد الرحمن السُّلَمِي وعُبَيد بن عُمَير؛ أنه الصِّيَامُ[١].

والذي أوجب ذلك منهم نكتة، وهي أنَّ «سَاحَ» في اللغة: سال وجرى إلى غير غاية معروفة، ومنه: ساح الماء؛ وهو سَيَلَانُه على وجه الأرض[٢].

وكان فيمن سبق من الأمم يخرج الرجل بوجهه مُتَرَهِّبًا، أي: خائفًا متفردًا[٣] على[٤] الخلق، معتزلًا مستسلمًا لله، لا يتزوَّد ولا يدَّخر، مُتَوَكِّلًا حتى يَضْوَى هُزْلًا، فلما جاء الإسلام بنَفْي[٥] هذه الرهبانية وإثبات النكاح والخُلْطَةِ والائتلاف والصُّحبة زالت تلك الحالة، ثمَّ لمَّا[٦] مدح الله السَّائحين مع ما أبطل من هذه الصفة في الأُمَم الماضين ردَّها العلماءُ إلى حالة مشروعة في الإسلام تُنَاسِبُ تلك الحالة، وهي الصيام؛ لأنها حالة فيها تَرْكُ الطعام والشراب وتقليل الكلام[٧]، وإن اعتكف فتكون[٨] سياحة عالية ظاهرة، فلذلك عبَّروا عن السَّائحين بالصَّائمين.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: (١٤/٥٠٣-٥٠٥-شاكر).

(٢) ينظر: غريب الحديث لابن سلام: (١/١٩٩-٢٠٠).

(٣) في (ك) و(ب) و(ص): منفردًا.

(٤) في (ك) و(ب) و(ص): عن، وأشار إليها في (د).

(٥) في (د): ونفى.

(٦) سقطت من (ك) و(ب) و(ص).

(٧) ينظر: غريب الحديث لابن سلَّام: (٣/٣٣١)، وتفسير الطبري: (١٤/٥٠٥-شاكر).

(٨) في (ك): فيكون.

قال الإمام الحافظ[١] رضي الله عنه: وعندي أن المراد به[٢] مَدْحُ السَّائحين في آخِرِ الزمان؛ عند فساد الخلق، وغلبة الحرام على الرزق، واضطرام نار الفتنة، فتكون للسياحة[٣] حينئذ دِينًا وسُنَّةً، ويشهدُ لهذا الذي اخترناه في تأويل الآية الأحاديثُ الصحيحة الدالة على الاعتزال والفرار من الخلق عند فساد الزمان، وقد تقدَّم ذِكْرُ بعضها في أشراط الساعة[٤]، والإشارةُ إليها تغني؛ لظهور الأمر عن استيفاء القول فيها.

وقد فسد اليوم الأصنافُ كلهم، وأشدُّهم فسادًا الأمراءُ والفقهاءُ، وهم الذين تصلح بهم الأحوال، وتُنال بصلاحهم الآمال، ويَطَّرِدُ باستقامتهم الإقبال، ومع تغير هؤلاء لا بقاء ولا حال، فالهجرةَ الهجرةَ، والفِرَارَ الفِرَارَ.

والذي يَعْضُدُ الاشتقاق الأوَّل ويشهد له قَوْلُه: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ﴾ [التوبة:٢]، أي: سيروا حيث شئتم، واذهبوا أين ما اخترتم وأحببتم.

وقد قال جماعة من المفسرين: إنَّ السَّيَاحَ هو الذهاب في الأرض على طريق الاعتبار»[٥].

---

(١) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ب): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي.

(٢) سقطت من (ك).

(٣) في (ك) و(ب) و(ص): السياحة.

(٤) أي: في القسم الأول من الكتاب، وهو قسم المقامات.

(٥) لطائف الإشارات: (٢/٦٧).

وقالت الصوفية: «السَّائحون بقلوبهم بالتفكر في آفاق السماء وأقطار الأرض، والاستدلال بتغيرهما[1] على مُنشئهما، والتحقق[2] بالحكمة التي في آياتهما[3]»[4]. / [٣٦/أ]

وهذا من أشبه أقوالهم وأصحِّها.

وبهذا يَرَوْنَ أنَّ الله أبقى اسم «السَّائح» من حال الأُمَم، وأسقط اسم «الراهب»، فلا رهبانية في الإسلام؛ اسمًا ولا دِينًا، ولكن معناها من الرَّهَبِ والمخافة ما ثبَّته في قلوب المؤمنين، ولا تراهم أبدًا إلَّا وَجِلِينَ؛ أساؤوا أو أحسنوا، على ما تقدَّم في اسم «الرجاء» و«الخوف».

وقد سألتْ عائشةُ رسول الله عن قول الله: «﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [التوبة:٦١]؛ أهُم الذين يشربون ويزنون؟ قال لها[5]: لا؛ ولكنهم الذين يُصَلُّونَ ويتصدَّقون، ويخافون ألَّا يُقبَل منهم»[6].

وقد بيَّنا هذه الآية في كتاب «الأحكام»[7] بيانًا بديعًا، ورتَّبنا فيها القول ترتيبًا عجيبًا[8]، وحقَّقنا أنه لو كان الحديثُ صحيحًا لما خَفِيَ على

(١) في (ص): بتغيرها.
(٢) في (د): التحقيق.
(٣) في (ك) و(ب) و(ص): آياتها.
(٤) لطائف الإشارات: (٦٧/٢).
(٥) سقطت من (د).
(٦) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب التفسير عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة المومنون، رقم: (٣١٧٥-بشار).
(٧) أحكام القرآن: (١٣١٧/٣-١٣١٨).
(٨) سقط من (ك) و(ب) و(ص).

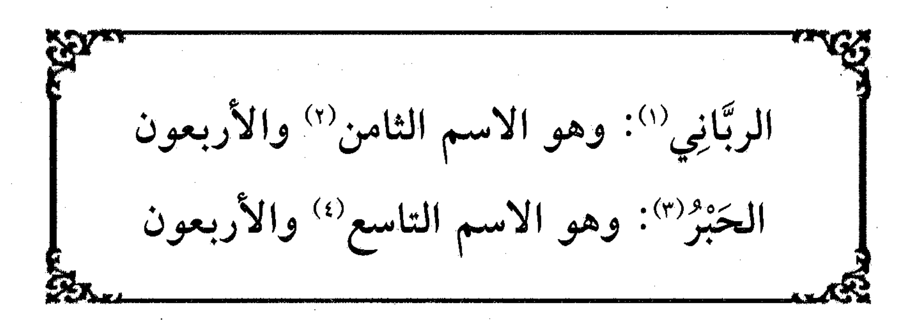
عائشة أنَّ الآية لم تَرِدْ في العصاة؛ لأنه قال سبحانه: ﴿يُوتُونَ﴾، وهو من أَفعل، وبابه الإعطاء، وذلك في الطاعات والخير، وما سألتْ عنه عائشةُ بابُه الإتيانُ إلى الشيء، والمجيءُ إليه أو بِهِ، فكانت الآية تكون على ذلك النَّسَقِ: «يأتون ما أَتَوا»، بقَصْرِ الهمزة، وهذا ما لا يخفى، والله أعلم.

وكذلك رُفِعَ عنَّا اسمُ «القَسِّ»، وإن كان من باب التتبع للمعارف والتحصيل لها، وقد قال النبي: «رأيتُ القَسَّ في الجنة»[١]، يعني: ورقة، ولكن سقط من ألسنة شريعتنا؛ فلا هو في كتابنا، ولا في سُنَّتِنا، ولا على ألسنة الصحابة منَّا.

أَمَا إنَّه بَقِيَ فينا من ذلك اسمان:

* * * * *

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه عن أبي ميسرة مرسلًا: كتاب المغازي، ما جاء في مبعث النبي ﷺ، رقم: (٣٧٥٥٢-الرشد).



الربَّانِي[١]: وهو الاسم الثامن[٢] والأربعون
الحَبْرُ[٣]: وهو الاسم التاسع[٤] والأربعون

وقد ثنَّى الله بهما أو ثَلَّثَ على مرتبة النبوة، فقال: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾ [المائدة:٤٦].

قال علماؤنا: «الربَّانيُّون[٥]: هُم العلماء الحُكماء البُصَراءُ بسياسة الناس وتدبير مصالحهم، والأحبار: هُم العلماء»[٦].

قال السُّدِّيُّ: «والمرادُ بذلك هنا[٧] في هذه الآية أبناءُ صُورِيَّا[٨]، وكان أحدُهما حَبْرًا، والآخر ربَّانيًّا[٩]، لم يُسلما، لكنهما أَعْطَيَا للنبي ﷺ العَهْدَ على ألَّا يسأل شيئًا من التوراة إلَّا صدَّقاه فيه»[١٠].

---

(١) سقط من (ك).
(٢) في (ب): السابع.
(٣) سقط من (ك).
(٤) في (ب): الثامن.
(٥) سقط من (ك) و(ب) و(ص).
(٦) تفسير الطبري: (١٠/٣٤١-شاكر).
(٧) في (ك) و(ب) و(ص): هاهنا، وضرب على «ها» في (د).
(٨) في (ص): صوريَاء.
(٩) في (ك) و(ب) و(ص) و(د): رَبِّي، وضعَّفه في (د)، والمثبت من طرته.
(١٠) تفسير الطبري: (١٠/٣٤٢-شاكر).

وقيل: «الربانيُّون: الولاة، والأحبارُ: العلماء»[١].

قال الطبري: «وتخصيص السُّدِّيِّ لابْنَي صُورِيًّا ضعيف، والآيـةُ عامَّـة في كل رَبَّانِي وحَبْرٍ»[٢]./ ٢ [٣٦/ب]

قال الإمام الحافظ[٣] رضي الله عنه: فأمَّا الربَّاني فهو الذي يُرَبِّي الناس بصغار العلم قبل كباره، يقال: ربَّ وربَّى[٤]، إذا ناقل الشيء في درجات نُمُوِّه[٥] بما يصلح له؛ حتى يبلغ إلى غايته أو مقصوده.

والله رَبُّ الخَلْقِ بهذا المعنى، على أحد التأويلات؛ فإنه يُثَبِّتُهم[٦]، ويُهيئ لهم أسباب الدوام، ويُيَسِّرُ لهم وجوه الغذاء.

وقولنا: رَبَّان؛ هو فعلان مِن رَبَّ وربَّى، والرَّبَّاني راجع إلى قولك: ربٌّ، أو إلى قولك: ربَّانٌ، ولم يُسْمَعْ[٧]، ولكن القياس يقتضيه[٨].

قال ابن عباس: «هو العالم الذي يُرَبِّي الناس بصغار العلم قبل كِباره»[٩].

---

(١) تفسير الطبري: (١٠/٣٤٣-شاكر).
(٢) تفسير الطبري: (١٠/٣٤٢-شاكر).
(٣) في (ب): قال الإمام، وفي(ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.
(٤) في (ص): ربٌّ ورَبِيٌّ.
(٥) في (ص): نبوه.
(٦) في (ك) و(ب) و(ص): يبقيهم، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.
(٧) ينظر: تاج العروس: (٢/٤٦١).
(٨) ينظر: تفسير الطبري: (٦/٥٤٣-شاكر).
(٩) ذكره البخاري مُعَلَّقًا: كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، (١/٢٥-طوق).

وهو الذي يقول لهم ما يصلح بهم، وما تبلغه أفهامهم، ويُقَدِّمُ الأوَّل على الآخِر[١]، حتى ينتهي إلى المقصود بالمعلوم[٢]، ولا يقلب الحال فيُعَلِّمُه الآخِرَ قبل الأوَّل، ويجعل عليه الأغلوطات - وهي: صعاب المسائل -، ويقصد تعجيزه، أو يعدل به عن الطريق، ومن ذلك ما لا ينبغي أن يفعله العالم بتِلْمَاذِه[٣]، ولا الأب بابنه، مثل ما يفعله الناس اليوم؛ فإنهم يُعلمون في البداية المسائل، ويتركون كتاب الله وحديث رسوله، جهلًا بالحق، وعُدُولًا عن الطريق، وربما - وهو الأكثر - يتمادى بهم الحال بهذا البائس فيموت وقد أفنى عمره في غير عِلْمٍ؛ لأنَّ الذي اشتغل به لم يعلمه على وجهه، ولا قرأه على شَرْطِه[٤]، ولا أتاه من بابه.

وأمَّا الحَبْرُ؛ فيقال: بكسر الحاء وفتحها.

قالوا: «وإنَّما سُمِّيَ كَعْبٌ الحَبْرَ لأجل كُتُبِه، وبذلك سُمِّيَ الأحبار».

[إنشادٌ]:

وقد أنشدني أَبِي[٥] عن أحمد بن الحُسَين[٦] بن حي عن عبد الملك

---

(١) في (ك) و(ب) و(ص) و(د): الأوَّل، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

(٢) في (د): العلوم.

(٣) في (ص): بتلميذه.

(٤) في (ك) و(ب) و(ص) و(د): بشرطه، وضبَّب عليها في (د)، والمثبت من طرته.

(٥) هو الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد ابن العربي المعافري، تـ ٤٩٣هـ، تقدَّم التعريف به.

(٦) في (ك) و(ص): الحسن.

ابن[١] الجَزِيري[٢] «قصيدة الآداب والسُّنَّةِ»[٣]، ليس لها نظير، كتبها إلى بَنِيه وهو في سِجْنِ السلطان[٤]، أبياتًا في ذلك، منها:

واعلم بأنَّ العلم أرفعُ رتبةٍ ... وأجلُّ مكتسب وأسنى مَفْخَرِ
والعالمُ المَدْعُوُّ حَبْرًا إنَّما ... سمَّاه باسم الحَبْرِ حَمْلُ المِحْبَرِ
فاسْلُكْ سبيل المقتنين له تَسُدْ ... إنَّ السيادة تُقتنى بالدَّفْتَرِ
تَسْمُو إلى ذي العلم أبصارُ الورى ... وتغضُّ[٦] عن ذي الجهل لا بل تَزْدَرِي
وبضُمَّرِ الأقلام يبلغ أهلها ... ما ليس يبلغ بالجياد الضُّمَّرِ
والعِلْمُ ليس بنافع أربابَه[٥] ... ما لم يُفِدْ عملًا وحُسْنَ تَبَصُّرِ[٧]

---

(١) بعده في (ك) و(ب) و(ص): أحمد، وضرب عليها في (د)، وهو الصواب.

(٢) الوزير الكاتب، أبو مروان عبد الملك بن إدريس، عُرِفَ بابن الجَزِيري، ترجمته في: جذوة المقتبس: (ص٤٠٤-٤٠٦)، والصلة: (١/٤٥٢-٤٥٣).

(٣) هي القصيدة الرائية للوزير الكاتب أبي مروان عبد الملك بن إدريس ابن الجزيري، قال ابن خير (الفهرسة: ص٥٠٣-٥٠٤): «حدَّثني بها شيخنا القاضي أبو بكر محمد ابن العربي رحمه الله، عن أبيه رحمه الله، عن ذي الوزارتين صاحب المظالم؛ أبي عمر بن حَيٍّ المذكور، عن قائلها أبي مروان الجزيري رحمه الله.. قال القاضي أبو بكر بن العربي شيخنا رحمه الله: وأخبرني بها الشيخ أبو بكر محمد بن طَرخان وأبو عامر بن سعدون، قالَا: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحُمَيدي، قال: أنشدنا أبو محمد عبد الله بن عثمان بن مروان القرشي عن الكاتب أبي أحمد عبد العزيز بن عبد الملك بن إدريس الجزيري رحمه الله، عن أبيه قائلها رحمه الله».

(٤) يقصد به: الملك المظفر بن الملك المنصور ابن أبي عامر.

(٥) في (د): أربابه، أهله.

(٦) في (د) - أيضًا -: تزيغ.

(٧) من الكامل، لابن الجَزِيري، من قصيدته العصماء التي مطلعها:

[معاني الحَبْرِ]:

وأَصْلُ «ح ب ر»: التحسينُ في العربية، قال أبو موسى الأشعري للنبي: «لو أعلم أنك تسمعني لحبَّرته لك تحبيرًا»[١]، وهو التَّزْيِينُ له.

وفي معنى تسميتهم أحبارًا سبعةُ أوجه[٢]:

٢ [٣٧/أ]

الأوَّل: أنَّهم/ حسَّنوا قلوبهم بالمعرفة[٣].

الثاني: أنَّهم زيَّنوا[٤] ألسنتهم بالصدق.

الثالث: أنَّهم حسَّنوا جوارحهم بالطاعة.

الرابع: أنَّهم حسَّنوا أخلاقهم مع الخَلْقِ.

= ألوى بعزم تجلدي وتصبري ... نأي الأحبة واعتياد تذكري

وبعضها في جذوة المقتبس: (ص٤٠٥)، وفي إعتاب الكُتَّاب لابن الأبَّار: (ص١٩٢)، وفي يتيمة الدهر: (١٠٢/٢)، وفي القصيدة المنشورة مفردة، تحقيق هلال ناجي: (ص٥٤).

وبعده في (ص): ممَّا زاد ابنُ عبد البر بيتان:

فاعمل بعلمك تُؤتِ نفسك حظَّها ... لا تَرْضَ بالتضييع حَظَّ المُخْسِرِ

سيَّان عندي عِلْمُ من لم يستفد ... عَمَلًا به وصلاةُ من لم يَطْهُرِ

وصحَّحها، ولم ترد في النسخ الأخرى، ولم أطمئن لهذه الزيادة، فلم أثبتها.

(١) تقدَّم تخريجه في السِّفرِ الثاني.

(٢) في (ص): وسمي العلماء بالله تعالى بالأحبار لمعان سبعة، وفي (ك): وهم الذين له سبعة أوجه، وفي (ب): وهم الذين له.

(٣) يُشْبِهُ أن يكون هذا الوجه الذي ذكره ابن العربي وسائر الوجوه التي تليه مما أفاده من كتاب «لطائف الإشارات» لأبي القاسم القُشَيري، ولكني لم أجده في موضعه من تفسيره المنشور، والله أعلم.

(٤) في (ك) و(ص): ربَّوا.

الخامس: أنَّهم حسَّنوا التبليغ إليهم.

السَّادس: أنَّهم حسَّنوا أفعالهم فلم تخرج عن حدود الأمر والنهي، لم يُقَصِّرُوا في الواجبات، ولم يُخِلُّوا بالمندوبات، ولم يبق عليهم حَقٌّ إلَّا قاموا به؛ إن كان لله فمن غير تقصير، وإن كان للخلق فمن غير تأخير.

السَّابع: أنهم استداموا فيما به استقاموا.

وعبَّر عن ذلك في «فوائد الشهيد»[1] فقال: «كان لهم توفيق بدوام، فلا جَرَمَ جُوزُوا في الآخرة بنعيم من غير انصرام».

وقد بيَّنَّا فيما تقدَّم من اسم «المُحْسِنِ»[2] الذي يرجع إليه ما فيه كفاية.

[تفسيرُ ابن عباس رضي الله عنه]:

وكان السَّلَفُ يقولون في ابن عباس: «إنه البَحْرُ الحَبْرُ»؛ لعظيم عِلْمِه بكتاب الله، وحُسْنِ تفسيره له؛ حين دعا له رسول الله في عِلْم كتاب الله، ولو كان إليه طريق صحيحة ما خَفِي علينا من القرآن شيء، ولكن امتلأت الطُّرُقُ إليه وإلى قتادة، وهما عالما القرآن سَعْدَانًا[3] وقتادة[4]، ففاتت من ذلك الإرادة، وعند الله العِوَضُ من ذلك وزيادة.

---

(١) الشهيد هو أبو سعد الزنجاني، سبق التعريف به.

(٢) في السفر الثاني.

(٣) السعدان: نبت في سهول الأرض، من أطيب مراعي الإبل ما دام رطبًا، تاج العروس: (٨/٢٠٠)، والقتادة: واحدة القتاد، شجر صلب ذو شوك، تاج العروس: (٩/٥)، وأراد ابن العربي من ذكر السعدان وقتادة أن فيما رُوي عن ابن عباس وقتادة ما تعرف منه وتنكر، فمنه صحيح معافى طيب، ومنه ما يكون سقيمًا تالفًا، فوجب الحذر.

(٤) في (د): قتاذة.

[الأحبارُ بالحقيقة هم علماء المسلمين]:

قال الإمام الحافظ[(١)] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وهذه الصفة وإن كانوا قد سَمَوا بها؛ فقد أَخَذَتْها بفَضْلِ الله من أيديهم هذه الأُمَّةُ، فنحن الأحبارُ حقيقةً؛ فإنَّا بتوفيق الله لنا ونِعْمَتِه علينا رَبَّيْنا هذا الدِّينَ وحفظناه، وحسَّنَّاه وبيَّنَّاه، وفرَّعناه ورتَّبنا قوانينه؛ خَلَفًا عن سَلَفٍ، واسْتَثَرْنَا من علوم كتابنا، واستَنْجَثْنَا[(٢)] من حديث رسولنا، واستنبطنا من قواعد شريعتنا، وفرَّعنا من أصولنا[(٣)]؛ ما ملأ الأرض بهجة، وشهد لنا بذلك أصدق الخلق لهجة، إذ قال: «لا تزال طائفة من أمتي منصورة ظاهرة على من خالفهم حتى يأتي أمر الله»، وأهلُ الكتاب قد[(٤)] ذهب من أيديهم دِينُهم، واسْتُحفظوه فلم يحفظوه، فلا عِلْمَ عندهم، ولا دِينَ لديهم، ولا حُكْمَ لهم، ولا قَانُونَ عندهم، بل ضَلُّوا حيارى، وأقاموا سُكارى، لا يهدون ولا يعدلون، ولم يدخلوا في قوله: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف:١٥٩]، على أنَّه خُصُوصٌ/ كان فيهم[(٥)]، وأُوتِينَاهُ نحن عُمُومًا يبقى إلى يوم القيامة[(٦)].

٢ [٣٧/ب]

---

(١) في (ك) و(ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي، وفي (ب): قال الإمام أبو بكر بن العربي.

(٢) في (ك): استنحثنا، وفي (د): استجثنا، والاستنجاث: الاستخراج، تاج العروس: (٥/٣٧١).

(٣) في (ك) و(ص): أصولها.

(٤) سقط من (ك) و(ص).

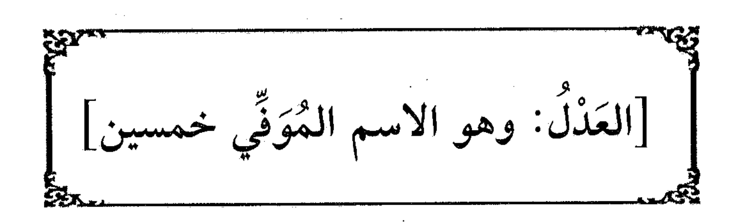
(٥) سقطت من (ك) و(ب) و(ص).

(٦) سقطت من (د).

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٢].

فنحن كلنا: عُدُولٌ، شهداءُ، هُدَاةٌ، دُعَاةٌ، أَئِمَّةٌ، فهذه خمسةُ أسماء شرَّفنا الله بها، ومَنَحَنَا إيَّاها، وأعطاها بفَضْلِه لنا.

* * * * *



[العَدْلُ: وهو الاسم المُوَفِّي خمسين]

فأمَّا(١) «العَدْلُ» منَّا: فهو الذي جرى على الطريقة، ولزم الحقيقة، ولم يَجُرْ عن(٢) السبيل؛ لا بتصريح ولا بتأويل(٣).

وقد قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل:٩٠].

وقال تعالى(٤): ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ﴾ [الأنعام:١٥٣].

وقال: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ﴾ [المائدة:٩]، ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء:١٢٨].

وقال المشؤوم ذو الخُوَيْصِرَةِ(٥) للنبي ﷺ: «اعدل، فقال له النبي ﷺ: لقد خبتَ وخسرتَ(٦) إن لم أعدل»(٧).

---

(١) في (ك) و(ص): أما.

(٢) في (ص): على، ومرَّضها.

(٣) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٣١٤)، و(١/٥١١).

(٤) قوله: «قال تعالى» لم يرد في (ك) و(د) و(ب).

(٥) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٦) في (د): خسرت وخبت.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم: (١٠٦٣-عبد الباقي).

[الشَّاهد: وهو الاسم الحادي والخمسون]

وأمَّا «الشَّاهِدُ»؛ فإنَّا - كما قدَّمنا - نحن شُهداء الرُّسُلِ على الخلق بالتبليغ.

وفي الحديث: «أن النبي ﷺ مُرَّ عليه بجنازة فأثنَوا عليها خيرًا، فقال: وجبت، ومُرَّ بأخرى فأثنَوا عليها شرًّا، فقال: وجبت، فقيل له: ما وجبت يا رسول الله؟ قال: أثنيتم على الأولى[1] خيرًا فوجبت لها الجنة، وأثنيتم على الثانية شرًّا فوجبت لها النار، أنتم شهداء الله في الأرض»[2].

نكتة[3]:

ولا يكون هذا إلَّا من الأخيار[4]، لا من العامَّة الحُشوة؛ فإنه كما لا يقبل القاضي إلَّا العدول في الحقوق، كذلك لا يقبل الله في مثل هذا إلَّا الأبرار، إلَّا أن تكون الكَافَّةُ تنطق بذلك؛ فيأتي من باب الخبر المتواتر الذي هو أقوى من الشهادة.

وأوجهُ الشهادة كثيرة، وأشدُّها أن يشهد الإنسان على نفسه في الدنيا؛ بأن يجري على لسانه من القول ما يسترسل به فيجب له، والذي لا خير فيه ولا خير منه قوله: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النور:٢٤].

---

(١) في (د): الأول.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك ﷺ: كتاب الجنائز، باب فيمن يُثنى عليه خير أو شر من الموتى، رقم: (٩٤٩-عبد الباقي).

(٣) سقطت من (د) و(ص) و(ب).

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): الأحبار.

وحقيقةُ[١] الشهادة: العِلْمُ، فنحن العلماء - وقد تقدَّم بيانه - شَهِدْنَا لله سبحانه بأنه واحد، وللنبي ﷺ بأنَّه صادق، وشهدنا للسَّلف الصالح من الصحابة بأنهم ما ضَلُّوا عن الدليل، ولا عاجوا عن السبيل، ومن لم يشهد بذلك فهو من أهل الضلال والتضليل، وقد بيَّنَّا حالهم في كتاب «العواصم من القواصم»[٢]، وسيأتي تمامُه إن شاء الله.

* * * * *

---

(١) في (د): حقيقة.

(٢) العواصم: (ص٣٥٢-٣٥٥).

[الهادي: وهو الاسم الثاني والخمسون]

وأمَّا «الهادي» منَّا: فهو الذي يميل بالناس إلى الحق[١].

وهو وارد في كتاب الله على ثمانية معاني[٢]، بيانُها في «كتاب المشكلين» في حق الله سبحانه، والهَادِي/ من الخَلْقِ هَادٍ ببعضها. ٢ [٣٨/أ]

وإنَّما كان الخَلْقُ هُدَاةً - وأوَّلهم الرُّسُلُ - نِيَابَةً عن الله تعالى وخِلَافَةً، والخَلْقُ نُوَّابٌ عن الرُّسُلِ.

وفي الحديث الصحيح: «أن النبي ﷺ جمع الأنصار فقال لهم - في حديث بَلَغَهُ عنهم -: ألم يكن أمركم شَتِيتًا فجمعه الله بي؟ ألم تكونوا خائفين فأمَّنكم الله بي؟ ألم تكونوا ضُلَّالًا فهداكم الله بي؟ ألم تكونوا عالة فأغناكم الله بي؟ وهم يقولون في ذلك كله: الله ورسوله أعلمُ[٣] وأَمَنُّ»[٤].

ومن معاني الهُدَى البيانُ؛ وقد بيَّن الله لرسوله، وبيَّن رسولُه لنا، وبيَّنَّا نحن للعامَّة؛ بما أتانا الله من فَضْلِ العلم، ورَفَعَنا به على غيرنا درجة، وخصَّنا بمنزلة الشهادات فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران:١٨]؛ حسب ما بيَّنَّاه في اسم «العالم».

---

(١) ينظر: لطائف الإشارات: (٧٣/٣).

(٢) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٤٥٣-٤٥٤).

(٣) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٤) سلف تخريجه.

وقد قال النبي ﷺ[١] لعَلِيٍّ وغيره: «لأَنْ يَهْـدِيَ الله بـك رجـلًا واحـدًا أحب إليك من حُمُرِ النَّعَمِ»[٢]، يعني: ولو تصدَّقت بهـا؛ فإن هدايـة الرجـل بك دائمة، فلَكَ أجرُ مـا عمـل، وأجـرُ الـنَّعَمِ ذاهـبٌ، علـى الوجـوه التـي[٣] بيَّنَّاها في «شرح الحديث».

* * * * *

(١) في (ك): صلى الله عليه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في (ك): الذي.

[الدَّاعِي: وهو الاسم الثالث والخمسون]

والهادي «داعي»؛ لأنه يُنادي إلى الله، ويُبَيِّنُ دين الله، وبيانُه له دعاء، وعملُه به دعاء.

والهِدَايَةُ بالفعل من العالِم أعظمُ من الهداية بالقول، وهو «الهَدْيُ»[١]، بإسكان الدَّال؛ ولذلك قال علماؤنا[٢]: «إنَّ الهَدْيَ - بإسكان الدال - في العبد أشرف من الهُدى - بفتح الدال مقصورًا -».

وباجتماع الهُدى والهَدي يكون «إمامًا».

* * * * *

(١) يأتي تفسيرُه في السِّفْرِ الرابع.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): العلماء.

[الإمامُ: وهو الاسم الرابع والخمسون]

ولمَّا كان المرءُ يطلب ما بين يديه وأَمَامَه، وكان مفتقرًا إلى تبصرة يمشي إليها وعَلَمٍ يقصده؛ سُمِّيَ كل ما يَدُلُّه على ما يتوجَّه إليه «إمامًا».

فالإمامُ من يقتدي به ويَهْتَدِي[١]، ويروح على قوله وعمله ويَغْتَدِي، وما يعتبر به أيضًا ويزدجر فيَكُفُّ ويتأخر؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر:٧٩]، أي: بطريق واضح في بيان عقوبة من فَعَلَ فِعْلَهم.

وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾ [الإسراء:٧١]، فيها خمسةُ أقوال:

الأَوَّل[٢]: بِنَبِيِّهم[٣].

الثَّاني: بكَتْبِ أعمالهم[٤].

الثَّالث[٥]: بكتاب الله المنزل عليهم[٦].

---

(١) في (ب) و(ص): تهتدي.

(٢) تفسير الطبري: (١٥/٦-التركي).

(٣) في (د): بنيتهم.

(٤) تفسير الطبري: (١٥/٧-التركي).

(٥) تفسير الطبري: (١٥/٨-التركي).

(٦) سقط من (د) و(ص).

الرَّابع[١]: بمن يقتدي بهم كلُّ أحد في زمانه[٢].

الخامس: بأمهاتهم[٣].

قال بعضهم: إلَّا آدم؛ فإنه يُدعى بكنيته: يا أبا محمد، وذلك شَرَفٌ لعيسى[٤].

٢ [٣٨/ب]

وقيل: للحسن/ والحُسَيْن[٥].

وقيل[٦]: سَتْرٌ على أولاد العُهَّرِ[٧].

قال الإمام الحافظ[٨] رضي الله عنه: وهذا كله ممكن، بَيْدَ أنَّه نقصهم[٩] أن يقولوا: يوم ندعو كل أناس بمعبودهم، كما[١٠] جاء في الحديث الصحيح: «أنَّه[١١] يُنادى يوم القيامة: لتَتْبَعْ كل أمة ما كانت تعبد، فيتبع من كان يعبد

---

(١) بعده في (ك) و(ص) و(ب): بإمامهم، وضرب عليه في (د).

(٢) تفسير الطبري: (١٥/٨-التركي).

(٣) الكشف والبيان: (٦/١١٦).

(٤) الكشف والبيان: (٦/١١٦).

(٥) الكشف والبيان: (٦/١١٦).

(٦) الكشف والبيان: (٦/١١٦).

(٧) في (ب): العُهر، وفي (ص) و(ك): العَهْر.

(٨) وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، و(ب): قال الإمام ابن العربي.

(٩) في (د): بعضهم.

(١٠) في (د): ما، ومرَّضها.

(١١) قوله: «نقصهم أن يقولوا: يوم ندعو كل أناس بمعبودهم، كما جاء في الحديث الصحيح: أنَّه»، سقط من (ك) و(ص).

الشمسَ الشمس، ويتبع من كان يعبد القمرَ القمر، ويتبع من كان يعبد الأوثانَ الأوثان، ويتبع من كان يعبد الطواغيتَ الطواغيت»[١].

وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها ولا شك، إلَّا أنها أحوال، والدعاء فيها صحيح في أوقاتها بصفاتها.

وفيهم قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَيِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [القصص:٤١]، وجعلهم هاهنا أئمة لتَلَفِهم لا لشرفهم، قدَّمهم في الخِزْيِ والهوان على كل أمة، ولكن لم يُرْشِدوا إلَّا إلى الضلال، ولم يَدُلُّوا الخلق إلَّا على المحال، وما خلصوا إلى حسن[٢] الحال، وما ذاقوا إلَّا الخزي والنَّكال.

وقال الله سبحانه في فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ [هود:٩٨]، فأَخْبَر أنهم يتبعونه بالأمر لأنه كان إمامَهم، فرُبِطُوا به وكانوا معه، وانتهَوا إلى ما انتهى إليه، فكان ذلك أصلًا في كل باغي[٣] ضلالة، وإمام كُفْرٍ أو بِدْعَةٍ.

وروى النَّوَّاس بن سمعان عن النبي ﷺ أنه قال: «ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا على كَنَفَي الصراط، دَارٌ[٤] لها أبواب مُفَتَّحَةٌ، على الأبواب سُورٌ، وداع يدعو على رأس الصراط، وداع يدعو فوقه، ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ

---

(١) تقدَّم تخريجه في السِّفْرِ الأوَّل.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): وما حصلوا إلَّا على سوء الحال، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته، وفيها: في: خـ.

(٣) في (ص): داعي.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): داران، وضرب على الألف والنون في (د).

دارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [يونس:٢٥]، والأبوابُ على كَنَفَي الصراط حُدُودُ الله، فلا يقعُ أحدٌ في حدود الله حتى يكشف الستر، والذي يدعو من فوقه واعظُ ربِّه»[١]، حديثٌ حسنٌ.

وقال[٢] ابن مسعود[٣] في حديث: «فتوسَّد رسولُ الله ﷺ فَخِذي فرَقَدَ، وكان إذا رَقَدَ نَفَخَ، فبيْنا أنا قاعد ورسول الله متوسد فَخِذِي؛ إذا أنا[٤] برجال عليهم ثياب بياض، والله أعلم ما بهم من الجمال، فانتهَوا إليَّ، فجلس طائفة منهم عند رأس رسول الله، وطائفة عند رجليه، ثم قالوا بينهم: ما رأينا عبدًا قط أُوتِيَ مثل ما أُوتي هذا النبي، إنَّ عينيه تنامان وقلبه يقظان، اضربوا له مثلًا؛ مَثَلُ سَيِّدٍ بنى قصرًا ثم جعل مأدبة[٥]، فدُعي[٦] النَّاس إلى طعامه وشرابه، فمن أجابه أكل من طعامه وشرب من شرابه، ومن لم يُجِبْه عاقبه أو قال: عذَّبه، ثم ارتفعوا، واستيقظ رسولُ الله ﷺ عند ذلك وقال: سمعتَ ما قال هؤلاء؟/ وهل تدري من هم؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: هم الملائكة، فتدري ما المثل الذي ضربوه؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: المثل الذي ضربوه: الرحمن بنى الجنة ودعا إليها عباده، فمن أجابه دخل الجنة، ومن لم يجبه عاقبه أو عذَّبه»[٧].

٢
[٣٩/أ]

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الأمثال عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في مَثَل الله لعباده، رقم: (٢٨٥٩-بشار).

(٢) في (ك) و(ب): فقال.

(٣) في (ك) و(ب) و(ص): عبد الله بن مسعود، وضرب على قوله: «عبد الله» في (د).

(٤) سقطت من (ك) و(ب) و(ص).

(٥) في (د) و(ص): مائدة.

(٦) في (ك) و(ب) و(ص): فدعا.

(٧) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الأمثال عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في مثل الله لعباده، رقم: (٢٨٦١-بشار).

وقال النبي ﷺ: «ما من داع يدعو إلى هُدًى إلَّا كان له من الأجر مثل أجور من اتَّبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا»[1].

وقال النبي ﷺ: «من سَنَّ سُنَّةً حسنة في الإسلام كان له أجرُها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن سنَّ سُنَّةً سيئة في الإسلام كان عليه وِزْرُها ووِزْرُ من عمل بها إلى يوم القيامة، لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئًا»[2].

وقد تتعارض الدعوتان بحُكم الله السَّابق، كما قال: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَالِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [غافر:٤١]؛ والدعاءُ إلى السَّبَبِ دعاءٌ إلى المسبب، والعملُ بالعلة رضًى بالحُكم، ﴿وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾؛ يريد: أجعل معه شريكًا من غير دليل، ﴿وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾ [غافر:٤٢]؛ الذي لا يؤثر في ملكه عِنَادُكم[3]، ولا يَعْظُمُ عنده أن يغفر لكم، لقد وَجَبَ وحَقَّ ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ من عبادة غيره؛ ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْآخِرَةِ﴾ [غافر:٤٣]، يعني: ليس له حياة، ولا علم، ولا قدرة، ولا إرادة[4]، ولا نفع، ولا ضُر، وقد علمنا صِدْقَنا وكَذِبَكم، يقول من دَلَّتِ المعجزة على صدقه: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ بلاغًا: كتاب القرآن، العمل في الدعاء، (١/٢٦٧)، رقم: (٥٨٤-المجلس العلمي الأعلى).

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) في (د) و(ب): عندكم.

(٤) قوله: «ولا إرادة» سقط من (د).

لَكُمْ﴾(١) إذا وجب العذاب عليكم، ولو شاء ربنا لكانت الدعوة واحدة، والحجة خالصة من الشُّبْهَةِ، ولكن هذا كله مقتضى الحكمة.

قال الإمام الحافظ(٢) رضي الله عنه: وهذا الدعاء كله والهداية لا تكون الإجابةُ فيها والقبول إلَّا بلُطْفِ الله وتيسيره، وخَلْقِ ذلك لمن يخلقه له، وتَفَضُّلٍ(٣) عليه به، كما قال: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ [الكهف:١٧]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٧١]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ [النحل:٣٧]، ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف:١٧].

[الهُدَى هدى الله]:

فبيَّن بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾، أنَّ كل داعٍ وهادٍ وإن بذل الجهد فيما فُرِضَ عليه من التبليغ؛ فإنَّ الهدى هو مِلْكٌ لله وخَلْقٌ له، يختص برحمته من يشاء(٤) بالنبوة، ويختص بالإيمان، ويختص بالعلم، ويختص بالعصمة، ويختص بالعمل الصالح، ويختص بالخَلْقِ الحَسَنِ،/ ويختص بالأخلاق الحِسَانِ، ويختص بالعافية، ويختص بالرزق، ويختص بإصلاح السريرة، وكذلك إلى ما لا يُحصى من الخيرات؛ ولهذا قال: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ [الأعراف:١٩٣]، بيَّن أنَّ المعبود هو القادر على تَوْفِيقِ المدعو وهدايته، وإذا لم يهب التوفيقَ فدعاؤك وسكوتك سواء.

٢ [٣٩/ب]

---

(١) في النسخ: وستذكرون.

(٢) في (ب): قال الإمام رحمه الله، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.

(٣) في (ك) و(ب) و(ص): يتفضل.

(٤) في (ك) و(ب) و(ص): يختص، وضرب عليها في (د).

[فَرْضُ الدعوة]:

وما سبق من القَدَرِ لا يدفع عن الدَّاعي فَرْضَ الدعوة؛ لتقوم الحجة، وتظهر الحكمة، ويخلق مالك الملوك[1] الإنابة والإيابة[2].

وقد بيَّن العلة فقال: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف:١٧٩]، يعني: لم يخلق فيها العلم بصحة قول الداعي، غلبت عليها هواجسُ الهوى، وتردَّدت ما بين خواطر الشيطان، وأعينُهم في غشاوة عن الآيات، وسمعُهم وإن كان يُدْرِكُ الأصوات فقد حُجِبَ عن المعاني؛ المعقولات منه والمفهومات، ولذلك قال: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:١٩٨]، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾[3] [يونس:٤٢]، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ في عدم الرشاد، ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[4] [الفرقان:٤٤]؛ لأنهم لم يُنْهَوا[5] ولا أُمِروا ولا زُجِروا، وكل ما زاد في تصرُّفه زاد في تخلُّفه، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾[6] [الحج:٤٤].

[التوفيقُ للقبول]:

وقد يَهْدِي الله بالتوفيق للنظر في الأدلة ثم لا يخلق القَبُولَ، فإذا خلق القبول مع صحة النظر بلغ العبد المأمول، وإلَّا فيكون قد رأى ولم يعتبر،

---

(١) ضبَّب عليها في (ص)، وفي الطرة: القلوب.
(٢) في (ك): الإباية، وفي (ب): أو الإيابة.
(٣) في النسخ: يستمع.
(٤) في النسخ: بل أضل.
(٥) في (ك): يقْبلوا.
(٦) في (د): وإنها لا تعمى الابصار.

أو اعتبر ولم يقبل، ودُعِيَ فأعرض، وذُكِّرَ فلم يَذْكُرْ، والمدار والمعوَّل على ما يخلق في القلب من البصر والسمع؛ فإنَّ العين والأذن إذا حصَّلتا وألقتا إلى القلب ما ألقتا ولم يقبل ذلك؛ صارت العينُ كأنَّها لم تبصر، والأذن كأنها لم تسمع؛ إذا[١] لم يظهر لما ألقتاه[٢] فائدة.

قال الإمام الحافظ[٣] رضي الله عنه: ولو اجتهد العبدُ غايةَ الاجتهاد ليبلغ من ذلك المراد ولم يكن فيما سبق له نصيبٌ من الكتاب بالرشاد؛ ضُرِبَ بينه وبينه أَسْدَادٌ، ولم ينفع الدعاء، ألا ترى كيف قيل لسيِّد الأولياء: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦]، هذا[٤] وهو ﷺ، كما قال الله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المومنون:٧٤]؛ صراط الله، وله شرف النبوة، ومرتبة الرسالة، وحال الخُلَّة، والمقام المحمود، والحوض المورود، ولكنك لا تهدي من أحببت؛ لأنَّ هذا[٥] من خصائص الربوبية، وإمالةُ القلب من الباطل إلى الحق/ أو صَرْفُها بالعكس من خصائص القدرة الإلَهية، فلا يكون ذلك لأَحَدٍ من البَشَرِيَّةِ[٦]. ٢ [٤٠/أ]

وصَرْفُ الباري عن ذلك بأسباب يَكْثُرُ تَعْدَادُها من أحكامه وأفعاله، ليست من غرض «التذكير»، وإنَّما هي من «قسم التوحيد»، ففيه يُنظر إن شاء الله.

---

(١) في (ك): إذ.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): ألقتَا.

(٣) في (ب): قال الإمام ابن العربي، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.

(٤) سقط من (ك) و(ب).

(٥) في (د) - أيضًا -: الهداية.

(٦) ينظر: لطائف الإشارات: (٧٣/٣).

[كيفيةُ دعاء الناس]:

وقد عَلَّمَ النبيُّ ﷺ كيفية الدعاء في الابتداء وما يترتب عليه إلى الانتهاء، يُفهم منه ويُستدل به عليه، قال لمعاذ[١] حين بعثه إلى اليمن: «إنَّك تأتي قومًا أهل كتاب، فليكن أوَّل ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ مُحَمَّدًا رسول الله، فإن هم أجابوك[٢] لذلك فأَعلمهم أنَّ الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أجابوك[٣] لذلك فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتُرَدُّ على فقرائهم، فإن هم أجابوك[٤] لذلك فخُذْهَا منهم، وتَوَقَّ كَرَائِمَ أموالهم»[٥].

وروى بُرَيْدَةُ بن الحُصَيْبِ أنَّ النبي ﷺ[٦] كان إذا بعث أميرًا أو سَرِيَّةً أو جيشًا أوصاه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيرًا، وقال: «اغزُوا باسم الله، وفي سبيل الله، وقاتلوا من كَفَرَ بالله[٧]، اغزوا؛ ولا تغدروا[٨]، ولا تغلوا، ولا تُمَثِّلُوا، ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيتَ عدوَّك من المشركين

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): ابن جبل، وضرب عليها في (د).

(٢) في (ك) و(د) و(ص) و(ب): أطاعوك، ومرَّضها في (د)، والمثبت صحَّحه بطرته.

(٣) في (ك) و(د) و(ص) و(ب): أطاعوك، ومرَّضها في (د).

(٤) في (ك) و(د) و(ص) و(ب): أطاعوك، ومرَّضها في (د).

(٥) سَلَفَ تخريجه.

(٦) قوله: «أنَّ النبي ﷺ» لم يرد في (ك) و(ص) و(ب).

(٧) في (ك) و(د) و(ص) و(ب): كفر بالله، وضبَّب عليها في (د)، والمثبت من طرته.

(٨) في (د): تعذروا.

فادعُهم إلى إحدى ثلاث خصال أو خلال؛ فأيَّتَهُمْ[1] ما أجابوك إليها فاقبل منهم، وكُفَّ عنهم، وادعهم إلى الهجرة»[2]، وقد نُسِخَ الدعاءُ إلى الهجرة، وذَكَرَ الحديث.

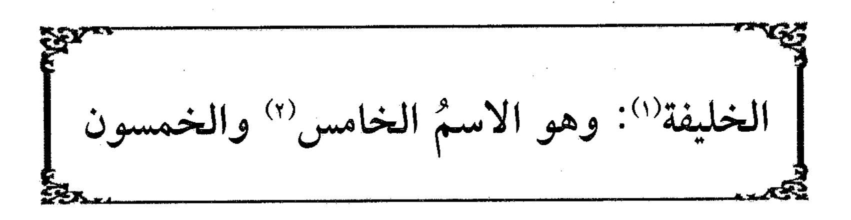
وإذا اجتمعت فيه هذه الخصال كان «خليفةً».

* * * * *

---

(١) في (ك) و(د) و(ص): فأيَّتهن، ومرَّضها في (د).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، رقم: (١٧٣١-عبد الباقي).



الخليفة[١]: وهو الاسمُ الخامس[٢] والخمسون

ومعناه في اللغة: من يقوم مقام الشيء[٣] وينوب منابه[٤].

والعظيمُ الذي لا مِثْلَ له، ولا يجوز عليه العدم، ولا يغيب عن[٥] شيء؛ سخَّر من سخَّر[٦] لما سخَّر، ثم أنعم عليه بأن سمَّاه «خليفة»؛ فقال للملائكة مُخْبِرًا عن آدم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٢٩]، ولم يُعلمهم بما خلق من شيء؛ على كثرة مخلوقاته وأوَّلها وآخرها، حتى أراد خَلْقَ آدم؛ فقال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، تشريفًا لآدم وتخصيصًا، ولِمَا رَتَّبَ عليه من الأمر والنهي، والثواب والعقاب، فلذا[٧] أنشأ منه[٨] الذرية[٩].

وقد تباين الناسُ في تأويل هذه الآية على أقوال؛ أُمَّهَاتها ثلاثة:

---

(١) سقط من (ك) و(د) و(ص).

(٢) في (ك): الثاني، وفي (ص): المُوَفِّي خمسين، وفي (ب): التاسع والأربعون.

(٣) في طرة بـ (ك): النبي.

(٤) ينظر: القبس: (١١٥٩/٣)، والعارضة: (١٣٢/٩).

(٥) كذا في جميع النسخ، وصوابه: عنه.

(٦) في (ك): سحر من سحر، وفوقهما: بيان، تنبيهًا على صحتهما.

(٧) في (ك) و(ص) و(ب): في الذي.

(٨) في (ك) و(ص) و(ب): من، وضرب عليها في (د).

(٩) ينظر: لطائف الإشارات: (٧٤/١-٧٥).

الأوَّل: أنه وذريته خَلَفَ خَلَفًا آخر قبله(١).

٢ [٤٠/ب]

الثاني: أنه أراد قومًا/ يخلفُ بعضُهم بعضًا(٢)، يعني: ذرية آدم.

الثالث: من يخلفني في الحُكم بين(٣) خَلْقِي، وهو آدمُ ومن قام مقامه من وَلَدِهِ، وهو اختيار ابن مسعود(٤).

وقد قال الله: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ص:٢٥]، وفيه ثلاثة أقوال:

الأوَّل: مَلِكًا(٥).

الثاني: خَلَفًا من الجبَّارين.

الثالث(٦): خليفة الماضي(٧).

والمختارُ(٨): خليفةً لي، كما تقدَّم.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ [الزخرف:٦٠].

---

(١) تفسير الطبري: (١/٤٤٩-شاكر).

(٢) تفسير الطبري: (١/٤٥١-شاكر).

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): بيني وبين.

(٤) تفسير الطبري: (١/٥٥٢-شاكر).

(٥) تفسير الطبري: (٢٠/٧٧-التركي).

(٦) لطائف الإشارات: (٣/٢٥٢).

(٧) سقط من (ص).

(٨) قوله: «خليفة الماضي، والمختار» سقط من (ك).

وأنَّه لمَّا توفي رسول الله ولم يَسْتَخْلِفِ؛ اسْتَخْلَفَ المسلمون أبا بكر، فكان خليفةَ رسول الله الأدنى منه وإليه، والأعلى به ومعه، فصار مَن بعده وإن كان خليفة فبواسطة؛ إمَّا محفوظة، وإمَّا مخفوضة[١].

وقد قال الله تعالى مُخْبِرًا عن موسى: ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى﴾ [الأعراف:١٤٢]، أي: قُمْ مقامي فيهم بعدي.

وقال عليٌّ للنبي صلوات الله عليه: «أَتُخَلِّفُنِي مع النساء والصبيان؟ فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ غير أنه لا نبي بعدي»[٢].

وكُلُّ خليفة «حاكم».

* * * * *

(١) في (ص): محفوضة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب غزوة تبوك، رقم: (٤٤١٦- طوق).

الحاكم[١]: وهو الاسمُ السَّادِسُ[٢] والخمسون

نِيَابَةً عن أحكم الحاكمين.

«فَاصِلٌ» ؛ نيابةً عن خير الفاصلين.

* * * * *

(١) سقط من (ك) و(د) و(ص).

(٢) في (ك): الخامس، وفي(ص): الحادي، وفي (ب):المُوَفِّي خمسين.

الفاصل(١): وهو الاسم السَّابعُ(٢) والخمسون(٣)

«قاضي»؛ نِيَابَةً عن الذي يقضي بين الخلق بحُكْمِه، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [النمل: ٨٠].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

(١) سقط من (ك) و(د) و(ص).

(٢) في (ص): الثاني، وسقط من (ك).

(٣) في (ب): الفاصل: وهو الاسم الحادي والخمسون: نيابة عن خير الفاصلين.

القاضي[١]: وهو الاسم الثامنُ[٢] والخمسون[٣]

ويحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون.

وحُكْمُ الله تعالى[٤] على معنيين:

أحدهما: ما هُم الخلق عليه من الطاعة والمعصية.

والمعنى الثاني: ما شرعه لعباده وأمرهم بامتثاله؛ فنَفَذَ[٥] ممَّا أمر ما شاء، ونفذ الكل بالمشيئة الأوَّلية، والحكمة العدلية.

فإذا خَلَّى العباد والمعاصي، ووَفَّقَ أهل الطاعة للعبادات[٦]؛ فهو حُكْمٌ.

وإذا انتقم من العاصين فهو حُكْمٌ[٧].

وإذا أمهلهم فهو حُكْمٌ.

---

(١) سقط من (ك) و(د) و(ص).

(٢) في (ك): السادس، وفي (ص): الثالث.

(٣) في (ب): القاضي: وهو الاسم الثاني والخمسون: نيابة عن الذي يقضي بين الخلق بحكمه وهو العزيز العليم، ويحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون.

(٤) بعده في (ك) و(ب): هو، وضرب عليه في (د).

(٥) في (د): فينفذ.

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): والعبادات.

(٧) في (ك): وإذا أمهلهم فهو حكم، وإذا انتقم من العاصين فهو حكم.

وإذا سلَّطهم على أهل الطاعات بالذنوب فهو حُكم.

وإذا أنزل البلاء دون واسطة أو بواسطة الإغواء[١] فهو حُكم كله.

فِعْلٌ عَدْلٌ، بِقَوْلٍ فَصْلٍ، ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام:٥٨]، وما شيء منها باطل.

٢ المعنى: بل كلُّ ذلك فِعْلٌ منه، له أن يفعله، وهو حقيقة الحق، ومن فَعَلَ ما ليس له[٢] أن يفعله فهو الباطل، وذلك يُتصور في غير حَقٍّ[٣] الإله/ [٤١/أ] سبحانه، وكلُّ هذه الأحكام خَيْرٌ وفَصْلٌ، فبذلك صار خير الفاصلين، حسب ما بيَّنَّاه في كتاب «الأمد الأقصى في معرفة الأسماء الحسنى»[٤].

قال النبي ﷺ: «القضاة ثلاثة؛ قاضيان في النار، وقاض في الجنة، رجل قضى بغير الحق وهو يعلم[٥] فذلك في النار، وقاض قضى لا يعلم فأهلك حقوق الناس فهو في النار، وقاض قضى[٦] بالحق فهو في الجنة»[٧].

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): الأعداء.

(٢) في (ك) و(ب) و(ص): «وهذا هو معنى قوله: ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلا﴾، وقوله: ﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين﴾، ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً﴾، بل كل لك فعل منه ما له» وضرب عليها في (د)، والمثبت صحَّحه بطُرَّته.

(٣) في (د): حق غير.

(٤) الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/٢٤٩-٢٥١).

(٥) في (ك) و(ب) و(ص): فعَلِمَ.

(٦) سقطت من (ك) و(ب) و(ص).

(٧) أخرجه الترمذي في جامعه عن بُرَيدة رضي الله عنه: أبواب الأحكام عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء عن رسول الله في القاضي، رقم: (١٣٢٢م-بشار).

وقد بيَّنَّا[١] معناه في كتاب «الأمد الأقصى»[٢].

والنبيُّ ﷺ قاضي القضاة، قد قيل له: «اقض بيننا بكتاب الله»[٣]، وقد قال هو: «من قضيتُ له بشيء[٤] من حق أخيه فلا يأخذه»[٥].

والقضاء في اللغة هو الفراغ، وكأنه أَكْمَلَ ما كان بينهما[٦] وتمَّمه، ويتصرَّف على وجوه كثيرة بيَّنَّاها في «المشكلين»، ولا يكون القاضي إلَّا «فقيهًا»، وهو العالم بمواقع الأحكام في عُرْفِ الشريعة.

في الصحيح: أنَّ ابن عباس قيل له: «إن معاوية يُوتِرُ بواحدة، قال: دعه؛ فإنه فقيه»[٧].

وقال النبي ﷺ: «مَثَلُ ما بعثني الله به من الهُدى والحكمة كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا؛ فكانت منها نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الماء؛ فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس؛ فشربوا وسُقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة؛ إنما هي قِيعان؛ لا تمسك ماء

---

(١) أي: معنى القاضي.

(٢) الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/٢٤٣-٢٤٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة وزيد بن خالد رضي الله عنهما: كتاب الحدود، باب الاعتراف بالزنا، رقم: (٦٨٢٧-طوق).

(٤) في (د): شيء.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن أم سلمة رضي الله عنها: كتاب الشهادات، باب من أقام البينة بعد اليمين، رقم: (٢٦٨٠-طوق).

(٦) أي: بين المتخاصمَين.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر معاوية رضي الله عنه، رقم: (٣٧٦٥-طوق).

ولا تنبت كلأً، فذلك مَثَلُ من فقُه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعَلِمَ وعلَّم، ومَثَلُ من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هُدَى الله الذي أُرْسِلْتُ به»[١].

وقال ثعلب: «يُقال: فقِه الرجل - بكسر العين[٢] - إذا فهم، وفقُه - بضمها - صار فقيهًا - يعني: أَحْكَمَ معرفة مواقع الأحكام -، وفقَه - بفتحها - إذا سبق غيره إلى الفهم[٣]»[٤]، وهو:

* * * * *

(١) تقدَّم تخريجه في السِّفْرِ الثاني.

(٢) ضبَّب عليها في (د)، وفي الطرة: القاف، وصحَّحها.

(٣) قوله: «وفقَه -بفتحها- إذا سبق غيره إلى الفهم» سقط من (ك) و(د) و(ب).

(٤) ينظر: الفقيه والمتفقه: (ص١٤٦).

الاسمُ التَّاسع[1] والخمسون: الفقيه[2]

ولم يكن هذا الاسمُ في المتقدمين موضوعًا، وإنَّما صارت خُطَّةً عند المتأخرين، وضعوها في غير موضعها.

وقد فسَّر النبي ﷺ الفِقْهَ في المَثَلِ المتقدِّم الذي بيَّنَّاه، فكُلُّ من كان به فهو «الفقيه»، ومن تعدَّى عليه واصطلح[3] في وَضْعِهِ في غير موضعه ووَصَفَ به غير/ أَهْلِه؛ فيكونُ ذلك كسائر التعبيرات[4] التي حدثتْ في الشَّريعة. ٢ [٤١/ب]

وقد كان بعضُ أشياخي - وهو محمد بن الوليد[5] - لا يكتبُ إلى أَحَدٍ فقيهًا، وكان منهم من يكتبُ[6] ويتأوَّل فيه التفاؤل له، ورجاء أن يكون كذلك في آخِرِ أمره، ولِنِيَّتِه التي اعتقدها الآن بطَلَبِه[7].

---

(١) في (ك): السَّابع، وفي (ص): الرابع.

(٢) سقط من (ك) و(ص)، وفي (ب): الفقيه: وهو الاسم الثالث والخمسون.

(٣) في (ك) و(ب) و(ص): أو اصطلح.

(٤) في (ب): التغييرات، وفي (ص): التغيرات.

(٥) هو أبو بكر الطرطوشي، سبق التعريف به.

(٦) في (ك) و(ص): يكتبه.

(٧) في (ك) و(د): مغلطة، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته، وفي (ص): مُغَلِّظَة.

[مَغْلَطَةٌ]:

وظنَّ بعضُ الناس أن حافظ الفروع فقيه، وليس بفقيه ولا حافظ؛ لأنَّ حِفْظَها ليس بفِقْهٍ في دين الله، ولا في العربية المطلقة، وإنَّما الفقيه من فَهِمَ ما قال الله وما قاله[1] رسولُه، لا ما قال من لم يلزم اتِّبَاعُه، وقد بيَّنَّا في كتاب «العواصم»[2] السَّبَبَ الذي أوجب اقتصار الناس على استظهار المسائل، ومقصودُهم به في الأكثر أَكْلُ الدنيا، والمُغْتَرُّ[3] من اعتقد أنها فِقْهٌ.

[التمكنُ في الدين شَرْطُ التمكن من الدنيا]:

وجهلوا طريق الدين والدنيا[4]؛ أمَّا طريق الدين فمَهْيَعٌ، وأمَّا الطريقُ المُوصِلُ إلى الدنيا المُمكِن فيها فهو التَّمَكُّنُ في الدِّين، وبحسب تمكنه من الدين يكون تمكنه من الدنيا، وقد بيَّن الله ذلك في كتابه الكريم بقوله تعالى في أهل الكتاب: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة:٦٨]، وإقامتُها نَصْبُها أمامهم بين أعينهم، ينظرون إليها، ويَمْتَثِلُون ما فيها.

قال لهم: ولو فعلتم ذلك لمُطِرَتْ سماؤكم، وأَنْبَتَتْ أرضكم.

وفي قَوْلٍ: لكثرت الخيراتُ لديكم، وامتلأت من الدنيا أيديكم، كما يقال: «فلان في الخير من قَرْنِه إلى قَدَمِه».

---

(١) في (ك) و(ب) و(ص): قال.

(٢) العواصم: (ص٣٦٥-٣٦٧).

(٣) في (ك) و(ب): وللمغتر اعتقاد، في (ص): وللمعتز له اعتقاد.

(٤) في (ك) و(ب) و(ص): الدنيا والدين.

فأخبر أن نَيْلَ الخير كله في الدنيا إنَّما هو بإقامة الحق والعمل بالطاعة.

ثم قال لهم: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة:٧٠]، المعنى: «ليس انتعاشكم ومعاشكم ولا مقداركم في الدنيا والعُقْبَى ولا منزلتكم في حال من الأحوال إلَّا بمراعاة الدين وإقامة الحق»(١).

وقد قال أهلُ التفسير: «إنَّ الذي كان أُوتِيَ موسى وِقْر سبعين بعيرًا من الكُتُبِ».

ونحن أُوتِينَا القرآن، وقد علمتم قَدْرَه، وبينهما ما بين السماء والأرض، وإن كان كُلٌّ من عند الله، ولكنه جَعَلَ لكُتُبِه منازل كما جَعَلَ لأنبيائه.

وكلامُه/ صفةٌ واحدة، ليس بمخلوق، كسائر صفاته العُلَى؛ من عِلْمِه وقدرته وإرادته، وسمعه وبصره(٢)، سبحانه وتعالى عمَّا يقول المبطلون عُلُوًّا كبيرًا(٣). [٢/٤٢/أ]

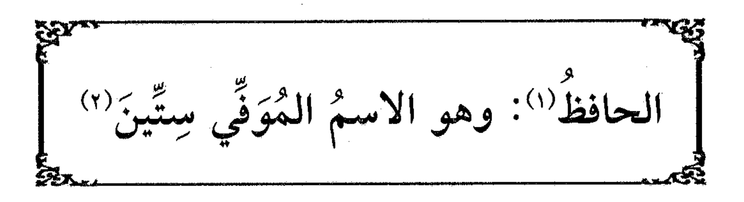
ولكنَّهم أخطؤوا الطريق، وطلبوا الفقه في غير القرآن والحديث، وفُتِحَتْ عليهم الدنيا فاعتقدوها مِنْحَةً، وهي مِحْنَةٌ، ونسأل الله المعافاة من الذي قال لقوم: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المومنون:٥٦ - ٥٧].

---

(١) لطائف الإشارات: (١/٤٣٩).

(٢) بعده في (ك) و(ب) و(ص): وكلامه، وضرب عليها في (د).

(٣) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٢١٥-٢١٦).



الحافظُ[١]: وهو الاسمُ المُوَفِّي سِتِّينَ[٢]

ولا[٣] يكون حافظًا[٤] إلَّا من حَفِظَ حَدِيثَ رسول الله ﷺ وأصحابه فيه، وبمِثْلِه يحفظُ الله دينَه، اللَّذَيْنِ لو ضاعا منَّا لهلكنا، فأمَّا أقوال الناس فلا يبلغ[٥] هذه المرتبة وإن كان لها منزلة، ولا يكون لصاحبها هذه الاسمية.

[هل يقال: حفظتُ القرآن؟]

وقد اختلف الناس هل يقال: حفظتُ القرآن أم لا؟

فمنهم من منعه؛ لأنه أَمْرٌ أخبر الله أنه انفرد به، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

ومنهم من قال: إن ذلك جائز؛ لأنه يعود إلى حِفْظِه له في نفسه وقلبه من النسيان، لا أنَّه يحفظُه في أصله ويضبطُه[٦] عن[٧] التغيير والتبديل على مرور الأزمان.

---

(١) سقط من (ك) و(د) و(ص).

(٢) في (ص): الخامس والخمسون، وفي(ب): الرابع والخمسون، في(ك): الثامن والخمسون.

(٣) في (ك) و(ب) و(ص): كما لا، وضرب على «كما» في (د).

(٤) في (د): ولا يكون حافظًا، وهو الاسم المُوَفِّي ستين.

(٥) في (ك) و(ب) و(ص): تبلغ.

(٦) في (ك) و(ب) و(ص): ضبطه.

(٧) في (ك) و(ب) و(ص): من.

وهذا الاسمُ جرى في ألسنة المُحَدِّثِينَ بالاصطلاح، كما جرى «الفقيه» في ألسنة أصحاب الفروع بالاصطلاح.

وقد قال النبي ﷺ لرجل: «ما معك من القرآن؟ قال: سورة كذا وسورة كذا، قال له: أتقرأهن[١] عن ظهر قلب؟»[٢]، ولم يقل له: أتحفظهن[٣]؟ فلذلك قال علماؤنا: يقال: استظهرت القرآن، ولا يقال: حفظته؛ لأنها كلمة لم تَجْرِ على لسان الرسول مع أنها عربية، وكانوا يقولون: جَمَعَ فلان القرآن، ولا يقولون: حَفِظَه.

وفي الحديث الصحيح: «جَمَعَ القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعةٌ؛ أُبَي، وزيد»[٤]، وذَكَرَ الحديث.

أَمَا إِنَّه نشأ هاهنا اسمٌ غريبٌ:

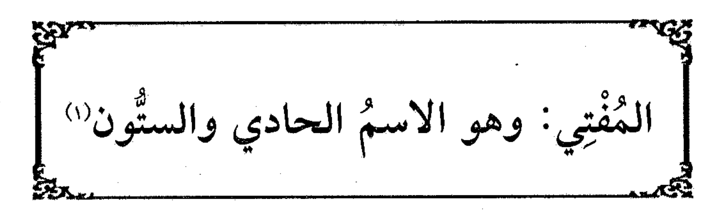
* * * * *

(١) في (ك) و(ص): تقرأهن، وفي (ب): أما تقرأهن.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد رضي الله عنه: كتاب فضائل القرآن، باب القراءة عن ظهر قلب، رقم: (٥٠٣٠-طوق).

(٣) في (ك) و(ب) و(ص): تحفظهن.

(٤) تقدَّم تخريجه في السِّفْرِ الأول.



المُفْتِي: وهو الاسمُ الحادي والستُّون[١]

وهو من أسماء الله المشتقة من أفعاله، قال في كتابه العزيز: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ﴾[٢] [النساء:١٧٥]، في موضعين[٣].

والفُتْيَا في العربية: عبارةٌ عن جواب السائل.

٢ وفي الحديث الصحيح عن عائشة حين سُحِرَ النبي ﷺ؛ فقال: «يا عائشة، أشعرت/ [٤٢/ب] أنَّ الله أفتاني فيما استفتيتُه فيه، أتاني مَلَكان؛ فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رِجْلي»[٤]، وذَكَرَ الحديث.

فيصحُّ اليوم لمن جاءه سائل فسأله عن مسألة من دِينِه أن يقال فيما يخبره به: إنَّها فُتْيَا، ويقال فيه: إنَّه يُفْتِي، ولا يكون ما يُخْبِرُهُ به فِقْهًا، ولا يقال فيه: إنَّه «فقيه»؛ لأنَّ السائل إنَّما يسأله عن مذهب رجل معيَّن قد اعتقد إمامته والتزم تقليده، فإذا سأله عن اعتقاده كان ما يُخْبِرُهُ به فِقْهًا، وكان هو بذلك الإخبار - إذا صدر عن اجتهاده[٥] من أهله في مَحَلِّه - «فقيهًا».

---

(١) في (ك): التاسع والخمسون، وفي (ب): الخامس والخمسون، وفي (ص): السادس والخمسون.

(٢) في النسخ: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾.

(٣) الموضع الأخر: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ [النساء:٢٦].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الطب، باب السحر، رقم: (٥٧٦٣-طوق).

(٥) في (ك) و(ص): اجتهاد.

ولمَّا قال الله سبحانه في بني إسرائيل: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ [المائدة:٦٨]، نشأ عنه اسمان مرتبطان، ذَكَرَهما الله في «سورة فاطر» في قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر:٣٢].

* * * * *

المقتصد[١]: وهو الاسمُ الثاني[٢] والستُّون السَّابق[٣]: وهو الاسمُ الثالث[٤] والستُّون[٥]

وقد كنَّا بالغنا في إيضاح معناهما واختلاف الناس فيهما في «مجالس أنوار الفجر»، بما قد حصَّله من حصَّله، وعند الله - إن شاء - أَجْرُه بفضله ورحمته.

والآن؛ فالإشارة فيه مُحَرَّرَةً أنَّ المفسرين اضطربوا فيها[٦] اضطرابًا كثيرًا، ونقلوا فيها أقوالًا عائرة، ونسبوها إلى أمة متقدمة وأخبار سابقة، ملؤوا منها القراطيس، وما قَرْطَسُوا منها غرضًا[٧].

والمتحصل:

أنَّ الظالم لنفسه: العاصي.

---

(١) سقط من (ك) و(د) و(ص).

(٢) في (ب): السَّادس والخمسون.

(٣) سقط من (ك) و(د) و(ص).

(٤) في (ب): السَّابع والخمسون.

(٥) في (ك): وهما الاسم الموفي الستين والحادي والستين، وفي (ص): وهما الاسم السَّابع والخمسون والثامن والخمسون، وضرب على «هما» في (د).

(٦) في (د): فيهما.

(٧) تنظر هذه الأقوال على كثرتها في: لطائف الإشارات: (٣/٢٠٥).

والمقتصد: الذي سار على قَصْدِ السبيل، ولم يضع النعمة في غير موضعها؛ بأن يستعمل ماله أو بدنه أو قلبه أو لسانه في غير طاعة الله.

والسَّابق[١] على قَصْدِ السبيل على قسمين؛ مسرع ومتباطئ، فالمسرع هو الذي يسبق إلى المحل ويحصل على المراد.

فهذه الثلاثة أصناف ممَّن[٢] اصطفى الله.

والاصطفاءُ هو افتعال من الصَّفاء، وهو إزالة الكدورات، فيزيلها على الإطلاق في الاعتقاد والقول والعمل للأنبياء، فيصفو ظاهرهم وباطنهم، وفي كُلِّهم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾ [آل عمران:٣٣]، و﴿إِصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف:١٤٤]، ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [ص:٤٦]، فهذا غاية الصفاء، وأَوَّلُ الصفاء التخليص من كُدورة الكفر بخَلْقِ الإيمان في القلوب، فإن كان هنالك/ رَيْنٌ[٣] بالغفلة أو كدورة بالمعصية؛ لا يذهب نور الإيمان، ولا تخلَق بُرْدَتُه، ولا يتكدَّر صفاء التوحيد، وإن تكدَّرت جوانبه واخْلَوْلَقَتْ حَوَاشِيهِ.

٢ [٤٣/أ]

فأورث الله كتابَه الذي هو القرآن أو سائر الكتب -وإنَّها لفي القرآن- عبادَه المصطفين من العباد، وهم أمة مُحَمَّدٍ ﷺ، فلقد اصطفى نبيَّها ﷺ على الأنبياء، ولقد اصطفاها بحُرْمَتِه على سائر الأمم، حتى خَطَّطَها[٤] بالشهادة، وأمضى الحُكْمَ بقولها على سائر الأمم.

---

(١) في (ك) و(ب) و(ص): السائر.

(٢) في (ك) و(ب) و(ص): من.

(٣) في (ك) و(ب): عين، وفي (ص): غين.

(٤) في (ص): خصَّصها.

ومنهم ظالم لنفسه، وهو العاصي في الأعمال، وعَقْدُه سالم، ولا يصح أن يكون المنافق ولا الجاحد ولا الشاكّ، قال الله سبحانه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [النساء:١٠٩].

فقوله: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءاً﴾؛ يعني: الكفر، ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾؛ يعني: المعصية، ولا يصح قَوْلُ الناس: إن قوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾: ابتداء كلام، أَمَا إِنَّه ابتداءُ كلام في العربية، ولكنه مرتبط بما قبله، والضمير في قوله: ﴿فَمِنْهُمْ﴾ راجع إلى ما[1] تقدَّم ضرورة، وهو قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾، وفيهم وقع التقسيم، ومن لم يَفْهَمْ هذا فليس من أهل العلم ولا التعليم، وفي هذه الآية بدائعُ كنَّا ذكرناها في «الأنوار»، منها:

[الأولى]: أن الميراث يكون بوجهين؛ بِسَبَبٍ ونَسَبٍ، ولا نَسَبَ هاهنا، فلم يبق إلَّا السَّبب، وهو الإيمان[2].

قال أهلُ الزهد: «والميراث يُستحَق بوجهين؛ بالفرض والتعصيب، ويُبدأ بذوي الفروض لأنهم أضعف سببًا، كذلك بُدئ هاهنا بالظالم لنفسه، وقُدِّم على السَّابق وهو دونه، والتقدُّم في الذِّكْرِ لا يقتضي التقدُّم[3] في الرتبة، ولذلك نظائر كثيرة»[4].

---

(١) في (ك) و(ب) و(ص): من.

(٢) لطائف الإشارات: (٣/٢٠٤).

(٣) في (ك) و(ص): التقديم.

(٤) لطائف الإشارات: (٣/٢٠٤).

الثانية: قَرَنَ بقوله: «الظالم» ذِكْرَ نفسه إِذْلَالًا، وقال في السَّابق: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ إِجْلَالًا، وقد يقال بفضل الله: يا ظالم لنفسه ارفع رأسك، ويا سابق لا تَطُلْ، فما كان لك فبإذن الله[١].

الثالثة: أنَّ العزيز إذا رأى ظالمًا قصمه، والكريم إذا رأى مظلومًا نصره[٢]، والعاصي في حَدِّ المظلومين، وإنَّما يكون الظالم عندهم من ظَلَمَ غيره وكَفَرَ[٣] بالله، فإن المعرفة أعظم من العبادة، ولذلك جازت النيابة في العبادة ولم تَجُزِ النيابة في المعرفة./ ٢ [٤٣/ب]

الرابعة: أنَّ الظالم من كثرت زلَّاته، والمقتصد من استوت حالاته، والسَّابق من زادت حسناته[٤].

الخامسة: قال أهل الزهد: «الظالم لنفسه من ترك الزلة، والمقتصد من ترك الغفلة، والسابق من ترك العلاقة»[٥]، يعني: فلم يرتبط من الدنيا بشيء، ولا مَدَّ عينيه منها إلى عَيْنٍ.

السَّادسة: «الظالم تارك الحرام، المقتصدُ تارك الشبهة، السَّابق تارك الفضل الزائد على الحاجة»[٦].

السَّابعة: قالوا: «للظالم المغفرة، وللمقتصد الرحمة، وللسَّابق المحبة»[٧]، والكلُّ يدخل الجنة وتتفاوت درجاتهم.

---

(١) لطائف الإشارات: (٣/٢٠٥).
(٢) لطائف الإشارات: (٣/٢٠٥).
(٣) في (ك) و(ب) و(ص): أو كفر.
(٤) لطائف الإشارات: (٣/٢٠٥).
(٥) لطائف الإشارات: (٣/٢٠٥).
(٦) لطائف الإشارات: (٣/٢٠٥).
(٧) لطائف الإشارات: (٣/٢٠٥).

الثامنة: قال بعضهم: «الظالم طالب الدنيا، والمقتصد طالب العُقْبَى، والسَّابق طالب المولى»[١]، وكثير من الخلق قالوا: لا تُحَبُّ[٢] الجنة إلَّا لرؤية الله عزَّ وجلَّ، وعبَّر عن هذا بَعْضُهم في:

المنزلة التاسعة: فقال: «الظالم طالب النجاة، والمقتصد طالب الدرجات، والسَّابق طالب المناجاة»[٣]، وإلى الذي قبله تعودُ:

العاشرة: من «فوائد الشَّهيدِ»: «إنَّ الظالم آمِنٌ من العقوبة، والمقتصد حائز[٤] المثوبة[٥]، والسَّابق فائز بالقُرْبَة»[٦].

قال الإمام الحافظ[٧] رضي الله عنه: إن كان أراد بالعقوبة الخلود فصَدَقَ، وأمَّا غير ذلك فلا يصح؛ لأنه رَأْيُ المرجئة، وقد بيَّنَّا فساده في غير موضع.

الحادية عشرة: قوله: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [فاطر:٣٢]، وأيُّ فَضْلٍ - يا معشر المريدين - أعظمُ من مَوْلًى ذَكَرَ برحمته الظالم مع السَّابق[٨]، وكل ذلك برحمته لا باستحقاق، أمَّا الظالم فحَقِيقٌ بالعقوبة، وأمَّا المقتصد فيا لَيْتَها كانت سَلَامَةً، وأمَّا السَّابق فغيرُ آمِنٍ من المَلَامَةِ؛ لما عسى أن يكون ممَّا لم يَحْتَسِبْه.

---

(١) لطائف الإشارات: (٣/٢٠٦).
(٢) في (ك) و(د) و(ص): تجب.
(٣) لطائف الإشارات: (٣/٢٠٦).
(٤) في (د): جائر.
(٥) في (ك) و(ص) و(د): بالتوبة، وضبَّب عليها في (د).
(٦) لطائف الإشارات: (٣/٢٠٦).
(٧) في (ب): قال الإمام أبو بكر، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.
(٨) لطائف الإشارات: (٣/٢٠٦).

يُحَقِّقُ ذلك كله قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ﴾ [فاطر:٣٦]، فبيَّن حال الكفَّار؛ بعد حال الظالم والمقتصد والسَّابق، فدلَّ[1] على أنَّ الظالم لنفسه لا يكون منافقًا، ولا جاحدًا، ولا مُرْتَابًا؛ لأن كل هؤلاء كافر، وهذا بَيِّنٌ، والله أعلم.

السَّابق:

وقد بيَّن الله حالَ السَّابقين مُفْرَدِينَ، فقال: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ السَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة:١٢]، بعد أن قدَّم عليهم غيرهم، كما قلنا: إنَّ ذلك لا يُصَيِّرُ في المرتبة،/ ولا يُوجِبُ عليهم سَبْقَ المنزلة، ووجوهُ السَّبْقِ لا تُحصى في الشريعة، جُمْلَتُها: التقدُّم بكل عمل، قبل كل أمل، اغتنامًا للمُهَلِ، فمنها: ٢ [٤٤/أ]

الأوَّل: السَّبْقُ بالإيمان، فهم السَّابقون إلى الجنان، ومُحَمَّدٌ أوَّلُ المسلمين، وأوَّلُ من يدخل الجنة؛ قال ﷺ: «آتي الجنة فآخُذُ بحلقة الباب فأُقَعْقِعُ، فيقول الخازن: من؟ فأقول: مُحَمَّدٌ، فيقول: بك أُمِرْتُ، أن لا أفتح لأَحَدٍ قبلك»[2].

الثاني: السَّابقون بالهجرة[3].

الثالث: السَّابقون بالنصرة.

الرَّابع: السَّابقون بالبيعة.

---

(١) في (د) و(ص): يدل.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم: (١٩٧-عبد الباقي).

(٣) لطائف الإشارات: (٣/٥١٨).

الخامس: السَّابقون إلى الخيرات[١].

السَّادس: السَّابقون إلى التوبة[٢].

السَّابع: من سبقت له الحُسنى؛ كما قال تعالى، فسبقوا إلى ما سبق لهم[٣].

الثَّامن: قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة:١٣]، ولم يقل: «المتقربون»؛ لأنَّهم لم يكن ذلك منهم، وإنَّما كان بفضل الله لهم وبرحمته[٤]، وقد بيَّن النبي ﷺ الحقيقة في الطريقة، فقال: «لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله، قيل له: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا؛ إلَّا أن يتغمَّدني الله برحمته»[٥].

التَّاسع: قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الواقعة:١٣ - ١٤]، ولم يقل: «من جنَّات النعيم»، وهذا يدلُّ على أنهم في الجنة مقرَّبون من أفضل مَن في[٦] الجنة[٧]، وذلك هو رضى الله، كما قدَّمنا في الحديث الصحيح من قوله تعالى لأهل الجنة: «أَلَا أُعطيكم أفضل منها؟ رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»[٨].

---

(١) لطائف الإشارات: (٣/٥١٨).

(٢) لطائف الإشارات: (٣/٥١٨).

(٣) لطائف الإشارات: (٣/٥١٨).

(٤) لطائف الإشارات: (٣/٥١٨).

(٥) تقدَّم تخريجه.

(٦) سقطت من (ك) و(ب).

(٧) لطائف الإشارات: (٣/٥١٨).

(٨) سبق تخريجه.

وقد أَفْرَدَ السَّابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار بالذِّكْرِ، واختلف الناسُ فيهم على أقوال يَكْثُرُ إيرادُها، ذَكَرْنَا جُمْلَتَها في «أنوار الفجر»، وأشرنا إليها في كتاب «أحكام القرآن»[1] - القسم الثالث - قبل هذا، فليُنظر فيه.

ويُحتمل أن يكون المراد بقوله: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَالأنصارِ﴾ [التوبة:١٠١]: من تقدَّم في الهجرة؛ كالمهاجرين إلى الحبشة، ومن تقدَّم في النُّصْرَةِ؛ كالمُبايِعِينَ لَيْلَتَي[2] العَقَبة، والتَّابعون لهم بإحسان: من جاء بعدهم، وكلُّ ذلك مُتَقَصًّى في موضعه[3]، وهذا «سِرَاجٌ» يَدُلُّ عليه.

قال الإمام الحافظ[4] رضي الله عنه: وباجتماع هذه الأسماء في العبد إلى بلوغه إلى هذا المقام يكون «مَلِكًا».

* * * * *

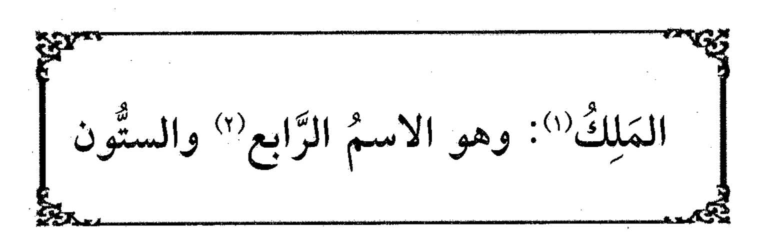
---

(١) أحكام القرآن: (٢/١٠٠٢).

(٢) في (ص): ليلة، وأشار إليها في (د).

(٣) ينظر: أحكام القرآن: (٢/١٠٠٤).

(٤) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ب): قال الإمام رحمه الله.



المَلِكُ[(١)]: وهو الاسمُ الرَّابع[(٢)] والستُّون

[٤٤/ب] وهو من الأسماء العظيمة القَدْرِ، وقد بيَّنَّاه في/ كتاب «الأمد الأقصى»[(٣)].

وحقيقتُه: القدرة على الإنشاء والإيجاد.

وفائدته: جواز التصرف على الإطلاق من غير قاطع ولا مانع.

فبالمقدار الذي مَكَّنَ له عنده من التصرُّف، وأجرى على يديه من الإنشاء، وجعله مَحَلًّا لأفعاله ومقاديره؛ سمَّاه «مَلِكًا»، ومعنى قدرته وتصرفه جريانُ أفعاله بين الجلب والدفع، وقطع الضر[(٤)] ووَصْلِ النفع.

وخاصيتُه: الأمر والنهي، وإيقاع الفعل بالغير[(٥)]، وذلك هو لله بالحقيقة، ولنا بالمجاز.

ومن شَرْطِ كَوْنِ المَرْءِ مَلِكًا[(٦)] «الحُرِّيَّةُ».

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): الثاني والستون، وفي (ص): التاسع والخمسون، وفي (ب): الثامن والخمسون.

(٣) الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (١/٣١٨-٣٣٣).

(٤) في (د): الضرر.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): في الغير.

(٦) في (ك) و(ص): مالكًا.

الحُرُّ[١]: وهو الاسمُ الخامس[٢] والستُّون

وحقيقتُه: ألَّا يكون لأحد عليه رِقٌّ ولا مِلْكٌ إلَّا لله وحده؛ فلا يكون عبدًا لأرباب الدنيا، ولا لزُخْرُفِها[٣]، ولا لزَهْرَتِها، ولا نعيمها، ولا لباسها، ولا دينارها، ولا درهمها، فإنَّ الكل من هذه الأعيان بَلِيَّةٌ، فإذا ربط بها نفسه انتكس، وفيه قال النبي ﷺ: «تَعِسَ عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد القَطِيفَةِ، تعس عبد الخَمِيصَةِ»[٤]، حسب ما تقدَّم ذِكْرُنا له.

فإذا لم يَذِلَّ، ولا تعلَّق[٥] قلبُه بأحد، ولا استخدم لسانه في الثناء على أحد، ولا استعمل جوارحه في خدمة أحد، إلَّا بالله، ولله، وفي الله؛ كان عبدًا لله، وصحَّت له الحرية عند الله، والعِتْقُ من النار، والنجاة من العذاب، وصار من خِيَارِ الخَلْقِ، وإن كان عبدًا لعَبْدٍ كان شَرَّ العبيد.

فإذا خَلَّصَ نفسه - كما قال يحيى بن زكرياء في الحديث المتقدم - تَرَقَّى[٦] بعد ذلك إلى التَّمَلُّكِ، فأوَّلُ درجات المُلْكِ مِلْكُه لرعيته المختصة

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ب): التاسع والخمسون، وفي (ص): المُوَفِّي ستين، وفي (ك): الثالث والستون.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): لزخرفتها.

(٤) تقدَّم تخريجه في السِّفْرِ الأول.

(٥) في (د): يتعلق.

(٦) في (ك): يرقى.

به، وهي جوارحه وحواسُّه، وضَمُّ نَشَرِ جُنْدِه، وهم غضبُه وشهوتُه وهواهُ، فإذا صرَّف هذه الأجناد في هذه الرعيَّة بحُكْمِ الشَّرْعِ ونُورِ العَقْلِ، وأطاعته الرعيَّة، وتصرفت الأجناد على مقتضى أَمْرِه ولم تَمْلِكْهُ، واستولى عليها ولم تغلبه؛ فهو مَلِكُ ذَاتِه.

فإذا مَلَكَ نفسَه طلب بعد ذلك النظر في مِلْكِ غير نفسه وتصريفها كما يجب[1]، وإلى هذا المعنى وقعت[2] الإشارة بقوله: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ [يوسف:١٠١].

[من محامد يوسف عليه السَّلام]:

قال علماؤنا: «فذَكَرَه بلفظ ﴿مِنَ﴾؛ التي هي للتبعيض في رأي الضعفاء، ولابتداء الغاية في رأي الأقوياء، فيُوسُفُ أُوتِيَ بعض المُلْكِ على رَأْيِ أولئك، وأُوتِيَ ابتداءَه على رأي الآخرين»[3]./ ٢ [٤٥/أ]

ليدُلَّ بذلك على أنَّ المُلْكَ بالكمال لله، والمُلْكُ الذي أَعطى للعباد سبحانه قسمان: ظاهر، وباطن.

فالمُلْكُ الظاهر: الولاية.

والمُلْكُ الباطن: مِلْكُه لنفسه[4].

حين راودته امرأة العزيز وهي مَلِكَةٌ، مَالِكَتُه سيدة جميلة عَطِرَةٌ، في خَلْوَةٍ وأَمْنٍ، ففَرَّ منها ولم يلتفت إليها، ولا داناها ولا قاربها، وخرج

---

(١) في (ص): يحب.

(٢) في (د): وقفت.

(٣) لطائف الإشارات: (٢/٢٠٩).

(٤) لطائف الإشارات: (٢/٢٠٩).

مُعْرِضًا ناظرًا لنفسه في الخلاص من الإثم والخيانة لله وللصَّاحب، وخَوْفًا من سوء العاقبة في ارتكاب ذلك، ولم يُبَالِ بمعاقبتها على خلافه لها ما كانت، ألا ترى إلى قوله: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف:٣٣]، فرَضِيَ بالسجن، ولم يرض بدناءة الزنى والخيانة، وهذا هو المُلْكُ بالحقيقة.

وقد قال بعض المريدين لبعض العارفين: «أوصني، فقال له: كُنْ[1] مَلِكًا في الدنيا، مَلِكًا في الآخرة».

والمعنى في مُلْكِ الدنيا ما شرحناه، وإذا كان كذلك تَنَقَّلَ[2] إلى مُلْكِ الآخرة، الذي قال الله فيه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً﴾ [الإنسان:٢٠].

وكان قَوْلُ يوسف: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ بعد أن ألقى إليه المَلِكُ أَمْرَ مصر حين قال له: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٥٥]، وإنَّما سأله في ذلك لوجهين:

أحدهما: أنه قد كان قال المَلِكُ: ﴿أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾ [يوسف:٥٤].

الثاني: أنه سأله في ذلك ليضع الحق موضعه، ويُوصِلَ إلى كل أحد حقَّه المحبوس عنه[3].

---

(١) في (ص): لتكن.

(٢) في (ك): ينقل.

(٣) لطائف الإشارات: (٢/١٩٠).

ولم يطلب ذلك لنفسه، وقال: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾، ولم يقل: «جميل صَبِيح»؛ ليُعْلِمَ أن الفضل في المعاني لا في الصُّوَرِ[١]، قال النبي ﷺ: «إنَّ الله لا ينظر إلى صُوَرِكم وأموالكم، وإنَّما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[٢].

الفائدة العظمى:

إنَّ الله سبحانه استخلف الخلق كلهم من آدم وذريته في الأرض بنَصِّ القرآن والسنة، قال النبي ﷺ: «إنَّ الدنيا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وإنَّ الله مستخلفكم فيها فناظرٌ كيف تعملون»[٣]، فكل أحد من هذه الذرية - بيده ناقة تُقِلُّ[٤] أو مُلْكُ الأرض - خليفةٌ على ما في يده، ينظر الله إليه[٥] كيف عمله فيها؛ بما أمره به أو نهاه عنه، ولذلك قال النبي ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وكلكم مسؤول عن رَعِيَّتِه»[٦].

[٤٥/ب] ٢

والخَلْقُ على قسمين: رُعاة،/ ورَعيَّة، فالعلماء رُعاة، والجهَّال رعية.

والعلماءُ خلفاءُ؛ آتاهم الله عِلْمَه، وردَّ الخلق إليهم فيما علموه ليسألوهم، فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣]، وقال النبي ﷺ: «إنَّما شفاء العِيِّ السؤال»[٧]، والغباوة تنكشف بالجواب.

---

(١) لطائف الإشارات: (٢/١٩٠).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري ﷺ: كتاب الذكر والدعاء، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، رقم: (٢٧٤٢-عبد الباقي).

(٤) في (ك) و(ص): باقة بقل، وفي (ب): تافه يقل، وأشار إليها في (د).

(٥) سقط من (ص) و(د).

(٦) سبق تخريجه.

(٧) سبق تخريجه.

والأنبياءُ ينابيعُ العلم وأصولُ الخلافة، والعلماء بعدهم ورثتهم، ينزلون منزلتهم، ويتكلَّمون بألسنتهم، ويُبَلِّغُونَ ما أَلْقَوا إليهم ممَّا أنزله ربُّهم عليهم.

ومَلِكُ مِصْرَ كان قد استأثر على الخلق، وعَدَلَ عن الحق، ولم يُطْلِقِ الله يوسفَ عليه، بل جعله في سجنه لما عَلِمَ من حُكْمِه، فلمَّا أخرجه من السجن و تخلَّى له عن الأمر رجع الحقُّ في نصابه، واستقرَّت الولاية في دَسْتِها بتخلِّي الغاصب لها عنها، فرجعت إلى مستحقها.

[السببُ الذي جعل العلماء يقبلون الولايات]:

ولهذا قَبِلَ العلماءُ الولايات من الولاة الذين لا يعدلون، لا على معنى النيابة عنهم، ولكن لأنَّ الله ولَّاهم الفُتْيَا والقضاء بينهم، والهداية والإرشاد لهم، فإذا منعهم وَالٍ أو تعدَّى عليهم آمِرٌ قَبَضُوا أنفسهم، وسمعوا وأطاعوا، حتى إذا تخلَّى لهم وتمكَّنوا لم يكن لهم عُذْرٌ إن لم يقبلوا، وليعدلوا فليُعْزَلُوا؛ فيكونوا قد وَفَّوا بعهد الله، وعملوا بولاية الله، ويَنْفُذُ بعد ذلك من القَدَرِ ما شاء الله، فأَفْتَوا بخلافة الله، وقَضَوا بولايته.

[المُوفُون بالعهد]:

وممَّن وَفَى بما عاهد[1] عليه الله من المتقدمين أَنَسُ بن النَّضْرِ؛ عَمُّ أَنَسِ بن مالك، غاب عن بَدْرٍ فقال: «غِبْتُ عن أوَّل قتال النبي ﷺ، لئن أشهدني الله مع النبي ليَرَيَنَّ الله ما أصنع أو ما أجد[2]، فَلَقِيَ يوم أُحُدٍ؛ فهُزِمَ الناس، فقال: اللهم إنِّي أعتذر إليك ممَّا صنع هؤلاء - يعني: المسلمين -،

---

(١) في (د): عهد. (٢) في (ب): أحد.

وأبرأُ إليك ممَّا جاء به المشركون، فتقدَّم بسيفه، فلَقِيَ سعدَ بن معاذ فقال: أي سعد؛ إني أجد ريح الجنة دون أُحُدٍ، فمضى فقُتِلَ، فما عُرِفَ حتى عرفته أخته ببنانه أو بشَامَةٍ، وبه بِضْعٌ وثمانون؛ من طعنة، وضربة، ورمية بسَهْمٍ»[١]، صحيحٌ صحيحٌ.

وممَّن أَوْفَى بعهده من المتأخرين أبو حمزة الخراساني، من شيوخ الصوفية، سمع أنَّ ناسًا بايعوا رسول الله ﷺ على أن لا يسألوا أَحَدًا شيئًا، فكان أحدُهم إذا وقع سوطه لا يسأل أحدًا رَفْعَه إليه، فقال أبو حمزة: «ربِّ[٢] إنَّ هؤلاء عاهدوا نَبِيَّك إذ رَأَوْه، وأنا أعاهدك أَلَّا أسأل أحدًا/ شيئًا أبدًا، قال: فخرج من الشام يريد مكة، فبينما[٣] هو يمشي في الطريق بالليل إذ بقي عن أصحابه لعُذْرٍ ثم اتَّبعهم، فبينما[٤] هو يمشي إليهم إذ سقط في بئر على حاشية الطريق، فلمَّا حصل في قعره قال: أستغيث لعلَّ أحدًا يسمعني فيُخرجني، ثم قال: إنَّ الذي عاهدته يراني ويسمعني، والله لا تكلَّمت بحَرْفٍ لبَشَرٍ، ثمَّ لم يلبث إلَّا يسيرًا إذ مرَّ بذلك البئر نَفَرٌ، فلمَّا رأوه على حاشية الطريق قالوا: إنه لينبغي سَدُّ هذا البئر، ثم قطعوا خشبًا ونصبوها على فَم البئر، وغَطُّوها بالتراب، فلمَّا رأى ذلك أبو حمزة قال: هذه مهلكة، فأراد أن يستغيث بهم، ثم قال: والله لا أخرج منها أبدًا، ثم رجع إلى نفسه فقال: أليس الذي عاهدتُ يرى ذلك كله؟ فسكت وتوكَّل، ثم أسند في قعر البئر مُفَكِّرًا في أمره، فإذا بالتراب يقع عليه، والخشب

٢ [٤٦/أ]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: كتاب المغازي، باب غزوة أُحُدٍ، رقم: (٤٠٤٨-طوق).

(٢) لم يرد في (ك).

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): فبينا.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): فبينا.

تُرفع، وسمع في أثناء ذلك من يقول: هات يدك، قال: فأعطيته يدي، فأقلعني[١] في مرة واحدة إلى فَم البئر، فخرجتُ ولم أر أحدًا، ثم سمعتُ هاتفًا يقول: كيف[٢] رأيت ثمرة التوكل؟»[٣]، وأنشد:

نهاني حيائي منك أن أكتم الهوى ... وأغنيتني بالعلم منك عن الكَشْفِ
تَلَطَّفْتَ في أمري فأبديتَ شاهدي ... إلى غائبي واللُّطْفُ يُدرك باللُّطفِ
تَرَاأَيْتَ لي بالعلم حتى كأنَّما ... تُخَبِّرُني بالغيب أنَّك في كَفِّ
أراني وبي من هيبتي[٤] لك وحشة ... فتؤنسني باللطف منك وبالعَطْفِ
وتُحْيِي مُحِبًّا أنت في الحبِّ حتفُه ... وذا عَجَبٍ كَوْنُ الحياة مع الحَتْفِ[٥]

فهذا رجلٌ عاهد الله؛ فوجد الوفاء على التمام والكمال فيه، فاقتدُوا - إن شاء الله - تهتدُوا.

وكما أن المَلِكَ لا يقدر على التصرف في جميع الأمور إلَّا بنائب، وعليه أن يختار من ينوب عنه، فعلى العبد ألَّا يستخدم بجارحة إلَّا أن تكون صالحة للنيابة، فإن لم تكن صالحة فلا يَسْتَنِبْها في خدمة.

وقد غلا بعضُ الصوفية في ذلك، حتى قيل له - حين أطال الصمت -: «اذكر الله، فقال: ومثلي يذكره؛ ولم أغسل فمي بألف توبة متقبلة»[٦].

---

(١) في (ب): فاقتلعني.
(٢) سقط من (د).
(٣) رسالة القشيري: (ص٢٠٣).
(٤) في (ص): همتي.
(٥) من الطويل، وهي لأبي حمزة الخراساني، في الرسالة القشيرية: (ص٢٠٣)، والحلية: (١٠/٧٨).
(٦) رسالة القُشَيري: (ص٢٥٦).

٢ وكأنه رأى أنَّ الفرض لا بد له منه، وإنَّما هرب من نَفْلِ الذِّكْرِ لِمَا كان يَعْلَمُ من نفسه/ من التقصير في الغفلة أو في المخالفة. [٤٦/ب]

وغلا آخرون في الطَّرَفِ الآخر، فقيل له: اذكر الله، فقال:

الله يعلم أني لست أذكره ... وكيف يذكره من ليس ينساهُ[١]

واعتذر الآخَرُ فقال:

ما إن ذكرتُك - إِلَاهُمَّ - يلعنني ... قلبي وسِرِّي وروحي[٢] عند ذكراكَا

حتى كأنَّ رقيبًا منك يهتف بي ... إيَّاك - وَيْحَك - والتَّذْكار إيَّاكَا[٣]

وقال بعضُهم:

عجبتُ بأن يقول: ذكرتُ ربي ... وهل أنسى فأذكرُ ما نسيتُ

أموت إذا ذكرتك ثم أحيى ... ولولا حُسن ظني ما حييتُ

فأحيى بالمُنى وأموت شوقًا ... فكم أحيى عليك وكم أموتُ

شربتُ الحُبَّ كأسًا بعد كأس ... فما نَفِدَ الشرابُ ولا رَوِيتُ

فليت خيالكم نَصْبٌ لعيني ... فإن أبصرتُ غيركم عَمِيتُ[٤]

ولو كان لمُلْكِ الدنيا رَسْمُ الجلالة على الإطلاق ما خَطَّطَ الله به الكافر، ولا سمَّى به المشرك الجاحد، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِيمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ [البقرة:٢٥٧]، إلَّا أنه قد قال قَوْمٌ: «إنَّ

---

(١) مرَّ تخريجه في السِّفْرِ الثاني.

(٢) في (ب): جوارحي ولساني، وفي (د): جوارحي وفؤادي.

(٣) مرَّ تخريجه في السِّفْرِ الثاني.

(٤) من الوافر، وهي في البداية والنهاية: (١٥/١٨٠-التركي)، وبعضها في الرسالة القشيرية: (ص١٠٨).

المراد بقوله: ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾: إبراهيم؛ لأنه أُعطي النبوة والخُلَّةَ، وهي: المُلْكُ الحقيقي».

وهذا لا يشهدُ له ظاهر الكلام، ألا ترى كيف فسَّر المُحَاجَّةَ التي أخبر عنه بها بقوله: ﴿أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ﴾، فادَّعى ذلك لنفسه ابتداءً، ولم يقل: «وأنا أحيي وأميت»، بل ابتدأ ذلك لنفسه، وكأنَّ هذا القائل فَرَّ من تسمية الكافر بالمَلِكِ، والله قد سمَّاه به نصًّا في «سورة يوسف» كما قدَّمناه.

كما أخبر عنه باسم «العزيز»، وهو من أسماء الله سبحانه، ولكنه سبحانه ذو العِزَّتَيْنِ؛ الإلَهية التي بها كان عزيزًا، والعزة المخلوقة، ولله العزة جميعًا:

الأولى: بحُكْمِ الصفة[1].

والثانية: بحُكْمِ الخِلْقَةِ[2].

كما أنَّه سبحانه ذو الرحمتين:

[**الأولى**]: رحمة هي صفة ذاتية أوَّلية[3].

[**والثانية**]: ورحمة أخرى خَلَقَها وجعلها مائة جُزْءٍ؛ بثَّ منها في الخلق واحدة، فبها يتراحمون، وبها ترفع البهيمةُ حافرها عن ولدها[4]،

---

(١) ينظر: الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (١/٣٥٩).

(٢) ينظر: الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (١/٣٦١).

(٣) ينظر: الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/٨٧).

(٤) مضى تخريجه.

والتسعة والتسعون عنده، فإذا كان يوم القيامة أخذ الرحمة من الخلق وأضافها إلى التسعة والتسعين؛ وبثَّها في الناس[١].

[أعظمُ اسم لله هو «الله»]

٢ والذي تَوَحَّدَ به الباري سبحانه اسمُ «الله»؛ فإنه انفرد به ذِكْرًا، وقَبَضَ عنه ألسنة الخَلْقِ/ تعجيزًا؛ بما[٢] استوجبه وأوجبه من التقديس والتنزيه[٣]. [٤٧/أ]

فأعظمُ اسم[٤] لله هو «الله»، وأعظمُ اسم المخلوق هو العَبْدُ، وإذا استخلص الله عبدًا لم يُبْقِ للحظوظ فيه البتة شيئًا، والمَلِكُ يكون مَلِكًا جَارَ أو عَدَلَ، لا تذهب الاسمية عنه لوجود معناها فيه؛ من التصرف في الخلق، والحُكْم بالأمر، ولكنه يكون اسمه في الدنيا مع الجور وَبَالًا، ويكون مع العدل إحسانًا وإفضالًا، وتماديًا لا يخاف عليه زوالًا.

[طاعةُ الأمير]:

قال النبي ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا، ولو أُمِّرَ عليكم عبد حبشي له زبيبتان»[٥].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) في (ص) و(ب): إنما.

(٣) ينظر: الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢٣٧/١).

(٤) في (د): في خـ: أسماء الله.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، رقم: (٧١٤٢-طوق).

وقال: «سَتَلِيكُمْ أُمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: صلُّوا في بيوتكم لوقتها، وصلُّوها معهم»[١].

وقال: «إنهم يحرمونكم حقوقكم، فأدُّوا الذي لهم، واسألوا الله الذي لكم»[٢].

فلم ير ﷺ[٣] خَلْعَ يَدٍ من طاعة؛ ولو ظلموا وخالفوا السُّنَّةَ.

وقال ﷺ: «من أطاع أميري فقد أطاعني، ومن أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصى أميري فقد عصاني، ومن عصاني فقد عصى الله»[٤].

* * * * *

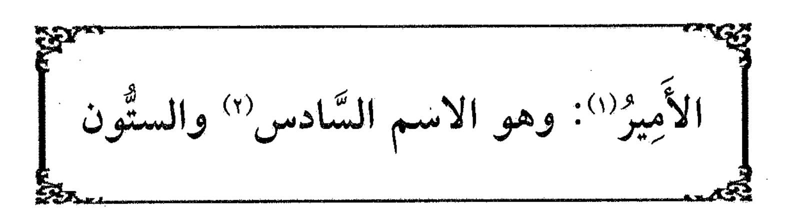
---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم: باب كراهة تأخير الصلاة عن وقتها المختار، رقم: (٦٤٨-عبد الباقي).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه: كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أُمورًا تنكرونها»، رقم: (٧٠٥٢-طوق).

(٣) في (ك): صلى الله عليه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الأحكام، رقم: (٧١٣٧-طوق).



الأَمِيرُ[(١)]: وهو الاسم السَّادس[(٢)] والستُّون

وهو: فَعِيلٌ من أَمَرَ، على معنى المبالغة في أَمَرَ، وهو الذي يأمر وينهى فتلزم طاعته، وسُمِّي بالأمير ولم يُسَمَّ بالنَّاهي لأنَّ[(٣)] الأَمْرَ سَبَقَ فينا قبل النهي؛ فإنَّ الله أمر إبليس بالسُّجُودِ لآدم قبل أن يَنْهَى آدمَ عن الشجرة، فوقع الابتلاءُ بالأمر قبل النهي؛ فلأجل ذلك قُدِّمَ عليه في الذِّكْرِ.

[الأمراءُ هم العلماء]:

وقد كان الأمراءُ قَبْلَ اليوم وفي صَدْرِ الإسلام هم العلماء، والرعيَّة هم الجند، فاطَّرَدَ النِّظَامُ وظهر دين الإسلام، وكان القَوام والقِوام، ثم فَصَلَ الله الأمر لِحِكْمَتِه[(٤)] البالغة وقضائه السَّابق، فصار العلماءُ فريقًا، والأمراءُ آخَرَ، وصارت الرعية صِنْفًا[(٥)]، وصار الجندُ آخَرَ، فتعارضت الأمور، ولم ينتظم حال الجمهور، وخرج الناس عن الطريق، ثم أرادوا الاستقامة - بزعمهم - فلم يجدوها، ولن يجدوها أبدًا؛ فإنَّ[(٦)] / [٤٧/ب] ٢ من المُحال أن يبلغ المَقْصَدَ من حاد عنه، وإن عُمِّرْنَا فسَنُبَيِّنُ ذلك إن شاء الله[(٧)].

---

(١) في (ص) و(ك) و(د): والأمير.

(٢) في (ك): الرابع، وفي (ص): الحادي، وفي (ب): الموفي ستين.

(٣) في (ص) و(ك) و(ب): فإن.

(٤) في (ص) و(ب) و(ك): بحكمته.

(٥) في (د): ضيعًا.

(٦) في (ص) و(ب) و(ك): فإنه.

(٧) ولعله يكون في السياسة الشرعية، وهو القسم الخامس من علوم القرآن، ولم يبلغنا عن الإمام أنه شَرَعَ فيه أو تمَّمه، والعِلْمُ عند الله.

[افتقارُ الأمير إلى العدل والبطانة الصالحة]:

وقد فاتَ الأميرَ اليوم[١] العَدْلُ، وفاتته الوسائط والبطائن؛ التي قال النبي ﷺ: «ما بعث الله نبيًّا ولا استخلف من خليفة إلَّا كانت له بطانتان؛ بطانة تأمره بالمعروف وتحضُّه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضُّه عليه، والمعصوم من عَصَمَ الله»[٢].

وروى البخاري عن أبي هريرة: «أنَّ أعرابيًّا قال للنبي ﷺ: متى الساعة؟ قال: إذا ضُيِّعَتِ الأمانة فانتظر السَّاعة، قال: وما إضاعتها؟ قال: إذا أُسْنِدَ الأمر إلى غير أهله»[٣].

وذلك أنَّ الخَلْقَ والدِّينَ أمانةُ الله، فإذا قُدِّمَ من لا يكون أهلًا للقيام عليها والنظر فيها فقد ضُيِّعَتْ.

وقال النبي ﷺ: «وزيراي من أهل السماء جبريل وميكائل، ووزيراي من أهل الأرض أبو بكر وعمر»[٤].

ورَوَتْ عائشةُ أن النبي قال: «من وَلِيَ عملًا فأراد الله به خيرًا جعل له وزيرًا صالحًا؛ إن نَسِيَ[٥] ذكَّره، وإن ذكر أعانه»[٦]، خرَّجه النسائي[٧].

---

(١) في (ص): العزم.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كتاب الأحكام، باب بطانة الإمام وأهل مشورته، رقم: (٧١٩٨-طوق).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، رقم: (٦٤٩٦-طوق).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٣٦٨٠-بشار)، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريب».

(٥) في (د): نسيني.

(٦) أخرجه النسائي في السنن الكبرى: كتاب البيعة، وزير الإمام، رقم: (٧٧٧٩-شعيب).

(٧) سقط هذا الحديث من (ك) و(ص).

ووزيرُ القلب العَقْلُ، وهي إحدى بطانتَيه، والبطانة الأخرى الشهوة.

وقيل: «إن بعض الملوك قال لبعض الصِّدِّيقِين: ألك حاجة؟ قال: ولي تقول ذلك؟ ولي عبدان هما سَيِّدَاكَ؛ الحرص والهوى»[١].

[أبو الطيِّب اليمني الزاهد]:

وما رأيتُ في رحلتي مَلِكًا إلَّا أبا الطيِّب اليَمَنِيَّ[٢] الزَّاهد؛ فإنه كان مَلِكًا؛ اعتزل الناس كافَّة، واعتكف دائمًا، وتجرَّد عن الدنيا، وقطع العلائق، واقتصر على جِلَفِ الخبز والماء، يأتدمُ بالزيت، لا يأكل شيئًا مَرَّتْ عليه يَدٌ، ولا استولى عليه أَحَدٌ بمِلْكٍ، إنَّما كان في أيام القيظ[٣] يخرج إلى «الفَحْصِ»[٤] في الأرض التي لا مِلْكَ لأَحَدٍ عليها، فيجمع الخِطْمِيَّ ثم يدرسه، ويستخرج بَزْرَه[٥] ويدَّخره، ويطحنه ويصنع منه خُبْزًا ويأكله، ويبتاع من تُجَّارِ الرُّوم الزيت يأتدمُ به، وكان يتوخَّى ذلك كله لغلبة الحرام وعمومه لما في أيدي الناس، فكنتَ تراه شَعِثًا قَضِفًا[٦] نَيِّرًا.

---

(١) شرح أسماء الله الحسنى لأبي القاسم القُشَيري: (ص٧٥).

(٢) في الأحكام (٢/٦٣٩): سعيد المغربي، ولعله تصحيف، وفي بعض نسخ الأحكام: سعيد العربي، وكذلك هو في المنشور من القبس: (٣/١١٥٥)، وكذلك هو في نسخة نور عثمانية من القبس، وذُكِرَ هنالك ما ذُكِرَ هنا من طريقته في طلب الحلال، ولم أقف له على ترجمة تفيد في معرفته وتجلية أمره، والله أعلم.

(٣) في (ك): القيض.

(٤) الفحص: خارج البلد، والأحواز التي تليه وتجاوره، وينظر في معناه أيضًا: تاج العروس: (١٨/٦٤).

(٥) في (ك): بذره.

(٦) في (ص): قصفًا.

[الأميرُ أمينٌ]:

وروى الحُفَّاظُ عن أم هانئ: «أنَّ النبي ﷺ قال: الصائم المتطوع أميرُ نفسه، إن شاء صام وإن شاء أفطر»[١].

وقد رُوي: «أمين نفسه»[٢]، رُوِّينَاهُ من طريق الدارقطني وغيره.

وإنَّما جعله أمينًا لأنَّ الشَّرْعَ فوَّض إليه ذلك، ولم يُلْزِمْهُ إيَّاه إلزامًا، وهو مذهبُ أكثر العلماء.

[الامتنانُ بالمُلْكِ]:

٢ [٤٨/أ]

وقد قال/ تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة:٢٢]، فذكَّرهم نِعَمَه، وقرَّرهم على ما أسدى إليهم من مِنَّتِه[٣]، ومن جملتها: أنه جعلهم مُلُوكًا بعد أن كانوا مملوكين، قادرين بعد أن كانوا مستضعفين عاجزين؛ لمَّا صبروا على البلاء أُتِيحَتْ[٤] لهم النعماء.

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى: كتاب الصيام، الرخصة للصائم المتطوع أن يفطر، رقم: (٣٢٨٨-شعيب).

(٢) أخرجه الدارقطني في السنن: كتاب الصيام، باب ما جاء في صيام التطوع والخروج منه قبل تمامه، رقم: (٢٢٢٢-شعيب)، والترمذي في جامعه: أبواب الصوم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في إفطار الصائم المتطوع، رقم: (٧٣٢-بشار).

(٣) في (ص) و(ب) و(ك): مِنَنِه.

(٤) في (د): انتخبَ، وفوقها: في خـ: فتحت.

وقد بيَّن ذلك تعالى بقوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ [القصص:٥]، فمَنَّ عليهم بالتخليص من أيديهم، وجعلهم أئمة يهتدي بهم الخلق، وبارك في أعمارهم فجعلهم وارثين، ومكَّن لهم في الأرض بأن بدَّلهم من الخوف أَمْنًا، وأَرَى فرعون وقومه ما كانوا يحذرون[١].

والباري لا بدَّ أن يُعطي، والخلق بجهلهم يعتقدون أنه يُبطئ، وهو يُمهل ولا يُهمل، ويكون الذي يريد في وقته؛ إبطاءً أو تعجُّلًا[٢]، وأعطاهم ما لم يُعط أحدًا من العالمين[٣].

ومن فوائد «أبي سَعْدٍ[٤] الشهيد»:

[الأوَّل]: قال: إنَّ الأمر لبني إسرائيل بالذِّكْرِ للنِّعَم كان[٥] على لسان نبيهم، وكان الأمرُ لهذه الأمة بخطاب الله لهم لا على لسان مخلوق، فقال: ﴿ٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[٦] [البقرة:١٥١].

الثاني: أنَّ الله أمر بني إسرائيل أن يذكروا نعمة الله[٧]، وأمرنا أن نذكره، وشتَّان بين المَذْكُورَيْنِ، وإن كانت النِّعَمُ منه[٨].

---

(١) لطائف الإشارات: (٣/٥٤).

(٢) في (ك): أبطأ أو تعجل.

(٣) ينظر: لطائف الإشارات: (٣/٥٤).

(٤) في (ص) و(ب) و(ك): سعيد.

(٥) سقط من (ص) و(ب) و(ك).

(٦) لطائف الإشارات: (١/٤١٥).

(٧) في (ص) و(ب) و(ك): نعمه.

(٨) لطائف الإشارات: (١/٤١٥).

﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾؛ وقد بيَّنَّا لكم أنَّ المَلِكَ من مَلَكَ هواه، والعبد من هو في رِقِّ شهواته وأَسْرِ لذَّاته[١].

وقيل: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾: لم يُحوجكم إلى أمثالكم، ولم يَحْبِسْكُمْ عنه بأشغالكم، وسهَّل سبيلكم إليه في عموم أحوالكم[٢]، وهي: **الثالثة**.

الرَّابعة: أنه قال: ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ إذا نظرتم كل ما آتاهم فأضعافَه آتاكم.

ومن ذلك قوله: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ [المائدة:٢٣]، وهي: **الخامسة**.

فإن كان أورثهم الأرض المقدَّسة ومصر؛ فقد أَوْرَثَنا الأرضَ كلَّها، فقال: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، فعَلِمَ الله وقدَّر/ وأراد، وتكلَّم وكتب[٣]. ٢ [٤٨/ب]

فأمَّا العِلْمُ والقدرة والإرادة والكلام؛ فذلك واجبٌ له كسائر صفاته العُلَى الذاتية.

وأمَّا الكتابة فهو الغني عنها، وله الحكمة البالغة فيها، وكلُّ ذلك علَّمه بفضله لنا، وأَلْقَى أُنْمُوذَجًا منه عندنا، وخصَّ هذه الأمة بالأرض، وقال النبي ﷺ: «زُوِيَتْ لي الأرض فأُرِيتُ مشارقها ومغاربها، وسيبلغ مُلْكُ أمَّتي ما زُوِيَ لي منها»[٤].

---

(١) لطائف الإشارات: (١/٤١٥).
(٢) لطائف الإشارات: (١/٤١٥).
(٣) لطائف الإشارات: (١/٤١٦).
(٤) تقدَّم تخريجه في السِّفْرِ الأوَّل.

وقال تعالى لنا - رأفة وامتنانًا، ورحمة وإحسانًا -: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك:١٦]، فسهَّل لنا وذلَّل، وبنُو إسرائيل صعَّب عليهم وعلَّل(١).

[حديثُ ابن العربي عن رحلته وما لَقِيَه من أهل بلده]:

وقد قال الله سبحانه للنبي ﷺ(٢): ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:١١]، وأنا أحمدُ الله إليكم، وأشكره لديكم، وأُثني بآلائه عليَّ عندكم، وأُحَدِّثُ بنِعَمِه عندي بين ظَهْرَانَيْكُمْ:

خرجتُ سنة خمس وثمانين وأربع مائة في طلب العِلْم؛ وبُرْدُ الشَّباب قَشِيب، وكأس الفتوة قَطِيب، وغصن الأماني رَطِيب، ودَوَّخْتُ من الأندلس إلى العراق، فِعْلَ الصفَّاق الأفَّاق، وأَنَخْتُ بكل(٣) حضرة، في عيشة نَضِرة؛ دين قائم، وبؤس نائم، وأُكْلٌ دائم، وأمن مُتَّصِل، وبِرٌّ وإكرام غير منفصل، وعِلْمٌ جَمٌّ، وإقبال عَمٌّ، وعلماء رُفَعاء؛ بُحُورٌ زاخرة، وأنجم زاهرة، وملوك جَمَعَ الله فيهم الدين والدنيا، وأطاب بحراهم(٤) الممات والمحيا، تفيض أيمانُهم(٥) على الضيف، ويأمن جارُهم من الحيف، أبصارهم عن المعايب مغضوضة، والمحاسنُ بعين المَبَرَّةِ لديهم ملحوظة، فأَقَمْنَا مع كلا الطائفتين في دَوْحٍ وارفة الظلال، وقَطَفْنا ثَمَرَ الأماني متصلة

---

(١) لطائف الإشارات: (٤١٦/١).

(٢) قوله: «للنبي ﷺ» لم يرد في (ص) و(ب) و(ك).

(٣) في (ك): في كل.

(٤) في (د) - أيضًا -: بطيبهم.

(٥) في (د) - أيضًا -: بركاتهم.

الإقبال، وقطعنا الزمان بالنظر في العلم، فجمعنا فنونه، وانتقينا عيونه[١]، ونثلنا مكنونه، وفضضنا خِتامه، ومَلَكْنا زِمامه، فصرَّفناه تصريف الأفعال، ودفعنا به في نَحْرِ المُحال، وشددنا عليه يد المِحال، ورجعنا منه بملْء الحقائب، ومُنْيَةِ الراغب، وحسرة الخائب، وغُصَّة المُجانب، ونحن نسأل الله أن يرزقنا العَمَل، ويُبَلِّغَنَا فيه الأَمَل؛ برحمته.

ثم عُدْنَا نَنْوِي الحقَّ الذي حصَّلنا، ونعتقدُ القيام بالقِسْطِ الذي فصَّلنا، فألفينا قلوبًا متناكرة، وأخلاقًا متنافرة، وأرواحًا لم تلتق في سبيل المعرفة، فتأتلف على أكرم خُلُقٍ وأحسن صفة، بل هي أمة أكثرُها عن الواضحة ناكبة، تَقْسِطُ[٢] فيما فَرْضُها أن تُقْسِطَ[٣]، وتَعْدِلُ[٤] عمَّا/ يلزمها فيه أن تَعْدِلَ، في جميع أحوالها؛ عقائدها، وأقوالها، وأفعالها، وهو: ٢ [٤٩/أ]

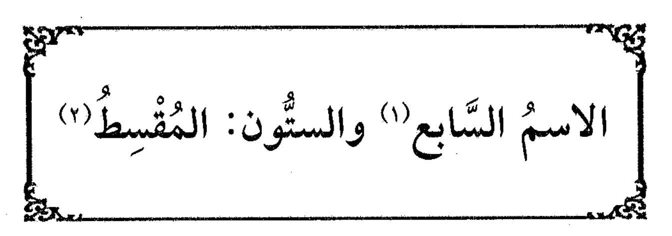
* * * * *

(١) في (ص) و(ب) و(ك): اعتمنا.

(٢) تَقسط: تَجُورُ.

(٣) تُقسط: تعدل.

(٤) تعدل: تميل.



الاسمُ السَّابع[(١)] والستُّون: المُقْسِطُ[(٢)]

وهو العادل، وقد تقدَّم تفسيره[(٣)].

تقول العرب: قَسَطَ: جار.

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن:١٥].

وتقول العرب - أيضًا -: أَقْسَطَ: عدل.

قال النبي ﷺ: «المقسطون يوم القيامة على منابر من نور، عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين»[(٤)].

[قولُه تعالى: ﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾]

وقد قال الله سبحانه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨].

ومعنى قوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: عَلِمَ الله وأخبر، وذلك في الأزل[(٥)] من غير أمد، وأبلغه إلينا على لسان رسوله، ونَصَبَ عليه البراهين، ووضع الأدلة المفضية إلى اليقين، وأوضح الآيات، وأبدى البينات، وأيَّد

(١) في (ص): الثاني، وفي (ك): الخامس.

(٢) في (ب): «المقسط: وهو الاسم الحادي والستون».

(٣) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٢٩٤).

(٤) تقدَّم تخريجه في السِّفْرِ الأوَّل.

(٥) في (ص) و(ب) و(ك): الأوَّل.

بالواضحات المعجزات، فكلُّ جُزْءٍ خَلَقَ وفَطَرَ، وأخرج من العدم وأظهر، وكان على ما أراد من الصفات من أغيار[١] مُستقبِلة، وآثار مُذَلَّلَةٍ، وأعيان[٢] قائمة ومضمحلَّة، وذوات متلاقية[٣]، وصفات في المحال متعاقبة، فذلك كله بوجوده مُفْصِحٌ، ولربوبيته[٤] مُوَضِّحٌ، وعلى عَدَمِ أوَّليته شاهد، ومُخْبِرٌ للعقول بأنه واحد، عزيز ماجد، شَهِدَ الكُلُّ بجلال[٥] قَدْرِهِ، وكمال عِزِّهِ، حتَّى لا جَحْدَ ولا جَهْلَ، ولا عرفان لمخلوق ولا عقل، ولا وفاق ولا خلاف، ولا كفر ولا إيمان، ولا فَهْمَ ولا فَدْمَ، ولا سماء ولا فضاء، ولا ظلام ولا ضياء، ولا فصول/ المزدوجات والمفردات، بالاتفاق والاختلاف في الأوقات، إلَّا وهو له شاهد بأنَّه واحد[٦].

٢ [٤٩/ب]

وقوله: ﴿وَالْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: لم يقل ذلك تعالى اعتضادًا[٧]؛ فإنَّه مقدس[٨]، وإنَّما أخبر ذلك عبادَه مُعْلِمًا لهم بأنه أسعدهم وأيَّدهم، ووفَّقهم وهداهم، وسدَّدهم لمعرفته وأرشدهم[٩].

وقال: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾؛ يعني: من بني آدم، إذا تفطَّنوا للأدلة، وتحقَّقوا الإلٰهية، وأخبروا بما وصل إليهم من ذلك، فهذا

---

(١) في (ص): أعيان.

(٢) في (ص): أغيار.

(٣) في (د): متلافية.

(٤) في (ك): بربوبيته.

(٥) في (د): بخلال.

(٦) ينظر: لطائف الإشارات: (١/٢٢٦).

(٧) في (ص) و(ك): اعتصادًا.

(٨) في (د) طرة ألحقها الناسخ بالأصل، ولم أتبينها لسوء التصوير.

(٩) لطائف الإشارات: (١/٢٢٦-٢٢٧).

تَشْرِيفٌ لهم حيث قَرَنَ بشهادته شهادَتهم، فشهدوا عن يقين، ولم يُخبروا عن ظنون وتخمين، فهم وإن لم يُدركوه حِسًّا، فلم يعلموه حَدْسًا، بل رأوه ببصائرهم، وسيعاينونه بأبصارهم، وأشهدهم فعَلِمُوا، واستشهدهم فشَهِدُوا[1].

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٢-١٧٣].

ولو لم يُعَرِّفْهُمْ ما عرفوا، ولو لم يُشْهِدْهُمْ ما شَهِدُوا، وقد بيَّنَّا تفسير قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾، وقول النبي ﷺ: «إنَّ الله مسح ظهر آدم بيمينه، فاستخرج منه ذريته أمثال الذَّرِّ، وقال لهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى»[2]، فأخبرنا الله عمَّا كان له فينا من سابق عهده، وصادق وَعْدِه، وتصريف الحال؛ كيف عُلِّمَ أَثَرُ ذلك ومن بَعْدَه[3].

مراتبُ أولي العلم[4]:

وأُولو العلم على مراتب؛ فمن عالم يعرف ذاته، ومن عالم يعرف صفاته، ومن عالم بأحكامه، وحلاله وحرامه، ومن عالم لسنته وآثاره، وعالم يستظهر كتابه، ويعرف تأويله وتفسيره، ومُحْكَمَه وتنزيله[5].

---

(١) لطائف الإشارات: (١/٢٢٧).
(٢) سبق تخريجه في السِّفْرِ الأوَّل.
(٣) لطائف الإشارات: (١/٥٨٥).
(٤) قوله: «مراتب أولي العلم» سقط من (د) و(ص) و(ك).
(٥) لطائف الإشارات: (١/٢٢٧).

وأَهْلُ العلم هم أركان الملة، ودعائم الدين، ورُفَعَاءُ الإسلام، والهادون لعباد الله، الناصحون لهم، المرشدون لمن استرشدهم، المفتون لمن سألهم، فإن كان خَلَلٌ من وَالٍ فإنَّما يعود خَلَلُه إلى الدنيا، فأمَّا الدِّينُ فلا يتعلق به من خَلَلِهم شيء، وذلك من حُكْمِ الله البديع.

والنَّاصحون من العلماء - كما قدَّمنا - أصناف[١]:

فقَوْمٌ هم دَرَسَةُ القرآن وحُفَّاظُ حديث النبي ﷺ، وهم بمنزلة الخَدَمَةِ.

وصِنْفٌ هم المَخْصُوصُونَ بالردِّ على الملحدين بالأدلة، وهم شجعان الإسلام وجُنْدُه.

وقَوْمٌ هم الذين/ رتَّبوا قانون العبادات[٢]، وشروط المعاملات، وأحكام الجراحات والمناكحات، ومقادير الجزية والدِّيَّات، والفرائض من الأموات، والأيمان والمنذورات[٣]، وفَصْلِ الحُكْمِ في المنازعات، وهم وُكلاء المَلِكِ المتصرفون في مُلْكِه. [٥٠/أ] ٢

وصِنْفٌ هم الذين اختصُّوا بخدمة المَوْلَى والعُكوف على بابه.

[الموازنةُ بين العلوم]:

وتنازع النَّاسُ في تفضيل بعضهم على بعض؛ بعد الاتفاق على أنَّ كل واحد منهم مُقْسِطٌ، «على منابر من نُورٍ، عن يمين الرحمن»[٤]، كما أخبر تعالى، وهذه النازلة تفتقر إلى تفصيل في تحصيل التفضيل:

---

(١) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٧٣).

(٢) في (ص): العباد.

(٣) في (ص) و(ك): النذورات.

(٤) تقدَّم تخريجه.

فإن هذه العلوم مرتبطة بعضها ببعض، ومنها ما لا يصحُّ أن ينفرد عن الآخر، فإنَّ الذي يحمي الشريعة عن البدع بالأدلَّة، ويَفْصِلُ النزاع بين المختلفين في المعاملات؛ لا بدَّ له من القرآن والحديث، بَيْدَ أنه لا يفتقر إلى أن يعلم الكل، بل يكفي المتعلق بالأدلة في الذَّبِّ عن المِلَّةِ أن يَعْلَمَ آيات التوحيد؛ وهي نَحْوُ العشرة آلاف[1]، ويكفي المتعلق بالأحكام أن يَعْلَمَ الثماني مائة الآية التي جمعناها[2] نحن في «الأحكام»، ويكفيه من الحديث نحو أَلْفَيْ حديث التي صحَّت عن النبي ﷺ باتفاق.

وإذا تجرَّد العاملُ للعمل من غير معرفة بهذه الأحكام كلها والدلائل؛ لم نَقُلْ: إنه أفضل من المتجرد للعِلْمِ.

ولا نقول: إنَّ الصحابة الذين تجرَّدوا للخدمة بأفضل من الذين تجرَّدوا لإصلاح الخَلْقِ.

ووَجْهُ التحقيق في ذلك تسمعونه إن شاء الله، وهو:

إنَّ العبادة ممَّا خَفِيَ على الناس تحقيقُها، وتحقيقُ العبادة -عندي-: أن يقوم المرءُ بالقِسْطِ في جميع أقواله وأفعاله، فأَصْلُه ألَّا يعصي، وفَرْعُه ألَّا يخالف السنة في المندوبات وسائر التصرفات، وأن يكون قولُه كلُّه وفعلُه جاريًا على السُّنَّةِ، فلا يتكلم إلَّا بسنة، ولا يعمل إلا بسنة، ويصلي ركعتي الضحى، وأربعًا قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين قبل العصر، وركعتين بعد المغرب في بيته، وركعتين بعد العشاء، ويُوتِرُ بثلاث؛ أوَّل الليل أو آخره، ويصلي ركعتين بعد الجمعة في بيته، ويُقبل على أنواع

---

(١) كذا قال، وهو سَبْقُ قلم منه، ولعل الكلام يستقيم بقولنا: وهي نحو الألف، والله أعلم.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): جمعنا.

العلوم؛ فلا يخصُّ[١] منها واحدًا دون آخر، ويبدأ بالأهم فالأهم، حسب ما قرَّرناه في «قانون التأويل»[٢]، ويُصلح معاشه كما رتَّبناه له[٣]، فإذا فعل ذلك حصلت له الأسماء والصفات/ التي قرَّرناها هاهنا.

٢ [٥٠/ب]

والصَّحَابَةُ الذين كانوا على هذه الصفة التي قرَّرنا أحقُّ وأكثرُ من الصحابة الذين تجرَّدوا للخدمة، والتزموا الصَّوْمَ والصَّلاة.

وتفضيلُ[٤] الأعمال بابٌ نَعْقِدُه في آخِرِ الكتاب، فَصْلًا نختمُه به إن شاء الله.

فائدة: [في الموازنة بين علماء المشرق وعلماء الأندلس]

ولقد شاهدتُ بتلك الديار الكريمة العلماءَ والمتبتِّلين لا يهدأُ لهم لسانٌ من الحركة بالقُرَبِ، والعلوم والمُلَح، والأمثال والنوادر، كلها مكتوبة في صحائف الحسنات، وأصحابكم يَرَوْنَ أن الزَّمَاتَةَ[٥] هي العبادة، والصمت هي الطاعة، وذلك لكثرة جهلهم، وقلة عِلْمِهم، فلو استرسلوا في الكلام لكَبَوا، ولو أعلنوا بالمقال لَلَغَوا[٦].

نكتة:

وقد قال الله: ﴿وَزِنُواْ بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء:٣٥]، ﴿وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ [الأعراف:٨٤]، وقال: ﴿وَأَقِيمُواْ الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُواْ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن:٧].

---

(١) في (ب): يختص.

(٢) القانون: (ص٣٤٦-٣٤٨).

(٣) في قسم المقامات: مقام الحياة الدنيا.

(٤) في (ص) و(ب): تفصيل.

(٥) في (ص): الزمانة، وفي (ب): الدماثة.

(٦) في (ص) و(ب) و(ك): لعَوَا.

وقد بيَّنَّا أنَّه العَدْلُ.

وقـال: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ﴾ [يونس:٤]، يعني: بالعدل.

وهذا ممَّا يُشْكِلُ؛ فإنَّ علماءنا من المتكلمين قالوا: «العَدْلُ وَضْعُ الشيء في موضعه، والجَوْرُ والظُّلْمُ وضعُه في غير موضعه»(١).

وللباري سبحانه أن يُعَذِّبَ الخَلْقَ بحق مِلْكِه ولو أطاعوه بتوفيقه، ولكنه أخبر أنه لا يفعل بفَضْلِه.

والقِسْطُ الذي أَمَرَ به في الوزن هو الأخذُ والإعطاء في المعاملة على طريق المماثلة، ولو كان يَجْزِينَا بمِثْلِ ما عَمِلْنَا لهَلَكْنَا، بل أنعم علينا من فضله، وزادنا من رحمته، فقال: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام:١٦١]، ولكن الآية محمولة المعنى على وجهين:

أحدهما: أنه يرجع الجزاء بالقسط إلى الجملة؛ فإنه جزاءُ الخير بالخير، والشر بالشر، قال: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم:٣٠]، وقال: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الروم:٩].

ومن يزرعِ الشوكَ لا يحصدْ به العِنَبا(٢)

---

(١) أصول الدين لأبي منصور: (ص١٣٢)، وينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٢٩٥).

(٢) هذا عجز بيت، وصدره: إذا وترت امرأً فاحذر عداوته

وهو من بحر البسيط، من جملة أبيات لصالح بن عبد القدوس في الحماسة البصرية: (٢/٥٩)، وفي ترجمته في تاريخ دمشق: (٢٣/٣٥٥)، ونهاية الأرب للنُّوَيري: (٣/٨٢)، ومنهم من ينسبها لعبد الله بن معاوية بن جعفر الطالبي.

ومن يغرس القَتَادَ لا يجني الورد، ومن[1] يُنبت الحشيش لا يقطف الثمار، ومن[2] سلك سبيل الغَيِّ[3] لم يُفْضِ إلى مَحَلِّ الرُّشْدِ.

٢ [٥١/أ] **الثاني**: وهو بَدِيعٌ قَوِيٌّ؛ أنَّ القِسْطَ الذي يجزي به هو وَعْدُه، فالقِسْطُ صِدْقُ الوَعْدِ، قال تعالى/: ﴿وَالذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِے مِن تَحْتِهَا الاَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَداًۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقّاًۖ وَمَنَ اَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ [النساء:١٢١].

وقد قال ﷺ: «ينزل ابنُ مريم فيكم حَكَمًا مُقْسِطًا، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويؤمكم منكم - وفي رواية: وإمامكم منكم -»[4]، ويقتل الدجال، ويتزوج ويموت، ويدفن مع النبي ﷺ في قُبَّةٍ واحدة[5].

وذلك قَوْلُه سبحانه: ﴿وَإِن مِّنَ اَهْلِ اِلْكِتَٰبِ إِلاَّ لَيُومِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء:١٥٨]، في **أصح التأويلين**، وهو قَوْلُ ابن عبَّاس[6].

---

(١) في (ص) و(ب) و(ك): من.

(٢) في (ص) و(ب) و(ك): من.

(٣) في (ص): الغير.

(٤) تقدَّم تخريجه.

(٥) الإشارة هنا إلى حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه موقوفًا: «مكتوب في التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه»، قال أبو مودود: «وقد بقي في البيت موضع قبر»، أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٣٦١٧-بشار)، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريب».

(٦) تفسير الطبري: (٩/٣٨٠-شاكر).

وفي **الثاني**: أنه يؤمن به الكِتَابِيُّ عند قبض روحه؛ حين لا ينفعه الإيمان به[١].

[**الثالث**]: وقال بعضهم: ﴿إِلاَّ لَيُومِنَنَّ بِهِۦ﴾: يعني: بمُحَمَّدٍ[٢].

وهو بعيد، ودعوى من غير دليل.

والمعنى في الحديث: أنَّ مُحَمَّدًا بعثه الله بالقِسْطِ ليحكم بين الناس بما أراه الله، ثم وقع الخلل في الإيمان والأعمال، فيُنْزِلُ الله عيسى خليفةً لمُحَمَّدٍ ﷺ؛ ليُعِيدَ الإيمان والأمان، ويَعُمَّ بالعدل الأرض، ويُصَدِّقَ مِيعَادَ النبي ﷺ في مُلْكِ أُمَّتِهِ للأرض كلها، حتى يكون عيسى من أصحابه، ومن أئمة دِينِه، ومن أنصاره، «فيقتل الخنزير»، ولا يرى ذَكَاتَه ولا أَكْلَه، «ويكسر الصليب»؛ لأنه كُفْرٌ، «ويضع الجزية»، معناه: لا يقبل الجزية؛ إمَّا الإيمان، وإمَّا السيف، فإذا مات عيسى اخْتَلَّتِ الأرض ورُفِعَتِ الأمانة، وضلَّ الخَلْقُ اعتقادًا وعملًا، فلا يكون في الأرض من يقول: «الله»[٣]، معناه - في أحد التأويلين -: من يذكر الله.

وقد كانت الأمانةُ ضائعةً حتى خَلَقَ الله مُحَمَّدًا ﷺ، فجعلها فيه جِبِلَّةً، فكان اسمُه عند قريش في الجاهلية[٤] «الأمين»[٥].

---

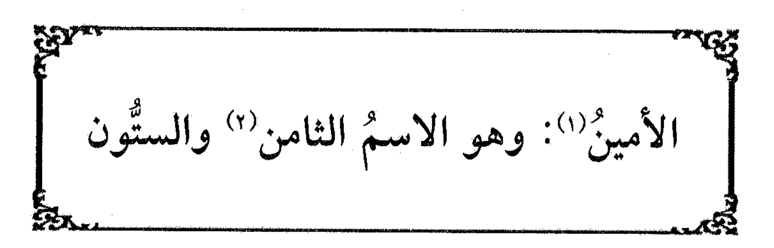
(١) تفسير الطبري: (٩/٣٨٢-شاكر).

(٢) تفسير الطبري: (٩/٣٨٦-شاكر).

(٣) سبق تخريجُه في السِّفْرِ الأوَّل.

(٤) قوله: «في الجاهلية» سقط من (ص) و(ب) و(ك).

(٥) سيرة ابن هشام: (١/٢٢٤).



الأمينُ[١]: وهو الاسمُ الثامن[٢] والستُّون

حتَّى كانت قريش تُسَمِّيه في الجاهلية «الأمين».

وقال ﷺ - وقد نَسَبَ إليه الجاهلون ما لا يليق به في جهة المال -: «أَيَأْمَنُنِي على أهل الأرض ولا تَأْمَنُونِي»[٣].

ولمَّا صالح أَهْلَ نجران سألوه أن يبعث معهم أمينًا، فقال: «لأبعثنَّ معكم أمينًا حق أمين، فاستشرف لها أصحابُ النبي ﷺ، فبعث معهم أبا عُبيدة عامر بن الجرَّاح»[٤]، فسُمِّيَ أمينَ هذه الأمة.

وقد اتفق الناس على أنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير:١٩ - ٢١]؛ أنَّه من صفة جبريل[٥]، فجبريلُ أمين، ومُحَمَّدٌ أمين الأمين[٦]، وأبو عبيدة أَمِينُ الأَمِينِ[٧]

---

(١) سقط من (ص) و(د) و(ك).

(٢) في (ص): الثالث، وفي (ب): الثاني، وفي (ك): الخامس.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد رضي الله عنه: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله عز وجل: ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر﴾، رقم: (٣٣٤٤-طوق).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن حذيفة رضي الله عنه: كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، رقم: (٤٣٨٠-طوق).

(٥) تفسير الطبري: (٢٤/١٦٤-التركي).

(٦) سقط من (ص) و(ب) و(ك).

(٧) في (ب) و(ك): أمين.

الأمِينِ، في الدرجة الثالثة من[1] الفضل، وناهيك بهذه جلالة، صلَّى الله عليهما، ورضي عنه.

٢ [٥١/ب] والأَمِينُ حقيقةً:/ هو الذي أُمِنَ ضُرُّه، واؤتمن على غيره، فهو عنده أو معه على صفته، لا تخاف عليه آفة، ولا يُتوقَّع عليه تغيير.

تقول: «أَمِنْتُ كذا، بألِفٍ واحدة»، إذا لم تخف جهته، «وآمَنْتُ فلانًا على كذا، بأَلِفين»، إذا جعلت عنده ما لا يتوقع[2] عليه آفة، «وائتمنته - بتائين فِعْلًا مضاعفًا -»: إذا اعتقدتَه أمينًا، أو اتخذتَه أمينًا.

[ما ورد من الآيات في شأن يوسف وإخوته]:

وقد قال الله تعالى في سورة يوسف: ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَاصِحُونَ﴾ [يوسف:١١]، أي: لا ترى أنه معنا في سلامة من الآفات، على ما هو عليه من الصفات، وكان هذا قَوْلَ حَسُودٍ.

يُرِيكَ الرضى والغِلُّ حَشْوُ ضُلُوعِهِ ... وقد يُسْتَسَرُّ الأمرُ تُخْشَى عواقبُهْ
ولا ينفع المَرْءَ الحَذُورَ من القضا ... حِذَارٌ فإنَّ القَدْرَ لا شك صاحبُهْ[3]

وقد كان يعقوبُ تَفَرَّسَ من إخوته الحَسَادَةَ، حتى قال ليوسف: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف:٨]، ولكن الباري لمَّا أراد أن يُنْفِذَ قضاءه أذهل يعقوب عمَّا كان خاف عليه[4]، فأسلمه

(١) في (ب): في.
(٢) في (ص) و(ب): تتوقع.
(٣) من الطويل، والأوَّل في المستطرف: (ص٤٤)، وفيه: «حشو جفونه»، والثاني لم أجده.
(٤) لطائف الإشارات: (٢/١٧١).

إليهم رغبة في راحة يوسف، وإن كان في عذاب يعقوب؛ لأنَّ من حُكْمِ المحبة إيثارَ رضى المحبوب على غرض المُحِبِّ[١].

أنشدنا محمد بن عبد الملك[٢]: أنشدنا أبو الفضل[٣]:

إذا أراد الله أمـرًا بـامرئ ... وكان ذا عَقْلٍ وسَمْعٍ وبَصَرْ

وحيلة يُعملها في دفع ما ... يأتي به مكروه أسباب القَدَرْ

غطَّى عليه سَمْعَه وعَقْلَه ... وسلَّه من ذهنه سَلَّ الشَّعَرْ

حتى إذا أنفذ فيه حُكْمَه ... ردَّ عليه عَقْلَه ليَعْتَبِرْ[٤]

وقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين، وقد جمعناها ألف آية، وأمليناها عليكم في «أنوار الفجر» مجرَّدة، لمن يريد الاعتبار بها.

وقد قال أيضًا لهم حين سألوه الولد الثاني: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف:٦٤]، وهذه من جملة الألف الآية[٥].

قال علماؤنا: «لما عرفهم بالخيانة لاحظهم بغير[٦] الأمانة»[٧].

---

(١) لطائف الإشارات: (٢/١٧٢).

(٢) هو محمد بن عبد الملك التِّنِّيسي المصري، تقدَّم التعريف به.

(٣) هو أبو الفضل الجوهري المصري، الواعظ الشهير، تقدَّم التعريف به.

(٤) من الرجز، ونسبها الثعالبي في اليتيمة (٤/٤١٧) لأبي جعفر محمد بن عبد الله بن إسماعيل، ونُسبت لغيره، وهي في أحكام القرطبي: (١٣/١٧٨-عالم الكتب).

(٥) كذا في النسخ التي بين يدي.

(٦) في (د): بعين.

(٧) لطائف الإشارات: (٢/١٩٣).

وصوابه: لمَّا اتهمهم بالخيانة لاحظهم بغير الأمانة، وفيه كلام طويل بيانُه هنالك.

ومنها: «أنَّ يعقوب لم تسكن نفسه إلى ضمانهم لِمَا سَبَقَ من شأنهم»[1].

ومنها: أنَّه قال: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حِفْظًا﴾، فمنحته هذه الكلمة الصيانة عن الخيانة، وصانته عن المهانة إلى الكرامة، وبدَّلته بالفُرْقَةِ من أبيه[2] لُقِيَّةً/ لأخيه، ولم يُصِبْهُ شيء من قِبَلِ القوم، وإنَّ في ذلك لآية للسَّائلين، وعبرة للمعتبرين، ما يُجْرِي الله على ألفاظ الآدميين من المقادير الكائنة، ويكشف به من الأغراض[3] الكامنة.

[٥٢/أ]

قالوا ليعقوب: ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا﴾، وهو ما كان يَحْبِسُهُ عنهم تُهْمَةً لهم، وإنما كان شَفَقَةً عليه، ولكنهم لمَّا[4] كانوا قد تشاوروا فيه وائتمروا به من قَتْلِهِ أو نَفْيِهِ استشعروا الخيانة، فنفوا عن أنفسهم تَعَيُّنَ[5] الأمانة، ألا ترى إلى يعقوب كيف صرَّح بالعِلَّةِ، فقال: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ﴾ [يوسف:١٣]، ثم جاءه[6] بآية، فقال: «وأخاف منكم الغفلة، فربَّما أكله الذئب».

---

(١) لطائف الإشارات: (١٩٣/٢).

(٢) في (ص): ابنه.

(٣) في (د): الأعراض.

(٤) في (ص) و(ب) و(ك): بما.

(٥) في (ب): يقين، وفي (ك): بعين، وما أثبتناه مرَّضه في (ص).

(٦) في (د): جاء.

قال بعضهم: كيف خاف الذئب والله منه قريب[١]؟

وقال آخرون: «أحوال الأنبياء ممنوعة عن الاعتراض، محروسة عن الانتقاض»[٢].

ومنها: أنَّ ما أجرى الله على لسان يعقوب من خَوْفِ الذئب عُوتِبَ به في أن يُنَبِّهَ الإخوة إلى وجه العُذْرِ منه، وحينئذ ﴿جَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾، ولولا ذِكْرُ يعقوب للذئب ما كانوا[٣] ينتبهون[٤] لذلك[٥]، والله أعلم.

ومنها: أنَّ بين قَوْلَي الإخوة في الحالين كثير:

قالوا في الحالة الأولى كَبِيرَةً: ﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ [يوسف:٩].

وقالوا هاهنا: ﴿سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ [يوسف:٦١].

ومنها: أنَّ يوسف إنَّما كلَّفهم سَوْقَ أخيهم؛ لأنه عَلِمَ من حالهم أنهم باعوه للطمع بثَمَنٍ بَخْسٍ، فوعدهم بإيفاء الكَيْلِ، وبحُسْنِ[٦] النُّزُلِ[٧]، وهي الضيافة.

---

(١) لطائف الإشارات: (٢/١٧٢).

(٢) لطائف الإشارات: (٢/١٧٢).

(٣) في (ك): كان.

(٤) في (ص): يتنبَّهون.

(٥) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/١٧٢).

(٦) في (ب): بتحسين.

(٧) لطائف الإشارات: (٢/١٩٢).

ومنها: أنَّ يوسف طلبهم بالإتيان بأخيه، والتفريق[1] بينه وبين أبيه، وقد عَلِمَ أنَّ ذلك له أفجع، وتَحَقَّقَ أنَّ نُكْأَ[2] القَرْح بالقَرْحِ أوجع.

وقد اختلف النَّاسُ في ذلك على أربعة أقوال:

الأوَّل: أنَّ ذلك فَعَلَه بإِذْنٍ، وكانت الحكمة فيه أنَّ الله أراد مضاعفة البلاء بالفراق على يعقوب؛ ليكون لأجره أعظم.

الثاني: قال بعضهم: ليكون إلى الفرَج أقرب، ومن أمثالهم: «اشْتَدِّي أزمة تَنْفَرِجِي»[3].

٢ **الثالث:** تَعَارُضُ شوق الأب والأخ، وكان الأب قد استمتع به مدة، فأراد الأخ أيضًا أن يأخذ بحظه من لقائه، والتشفي برؤيته من رُوَائِه[4]./ [٥٢/ب]

الرَّابع: أنَّ يوسف تَلَطَّفَ في استحضار أخيه بوَجْهٍ من الترغيب فيما يعود بمَنْفَعَةٍ على أبيه[5].

والذي أعتقده أنَّ ذلك كان بوَحْي من الله، أَذِنَ له في أخذه بالحِيلَةِ، وعَلِمَ أنَّ عند يعقوب من الصَّبْرِ أضعاف ذلك، وأنه لا يدخل عليه بفَقْدِ الأخ ما دخل عليه بفَقْدِ يوسف، أَلَا ترى تحقيق ذلك في قوله حين رجعوا إليه دونه: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ﴾ [يوسف: ٨٤].

---

(١) في (ص) و(ب) و(ك): فرق.

(٢) في (د): بكاء.

(٣) أخرجه القضاعي (١/ ٤٣٦، رقم ٧٤٨)، والديلمي (١/ ٤٢٦، رقم ١٧٣١)، قال العجلوني (١/ ١٤١): «رواه العسكري والديلمي والقضاعي بسَنَدٍ فيه كذَّاب».
وعمله يوسف بن محمد التُّوزَرِي -المعروف بابن النحوي- مطلعًا لقصيدته الذائعة، نسبها له في الذيل والتكملة: (٥/ ٣٥٦)، ونيل الابتهاج: (ص٥٨٣)، ونسبها ابنُ السبكي في طبقات الشافعية: (٨/ ٥٦) إلى أبي الحسن يحيى بن العطَّار القرشي الحافظ، والأوَّل أرجح.

(٤) لطائف الإشارات: (٢/ ١٩٢).

(٥) لطائف الإشارات: (٢/ ١٩٢).

قال الأستاذ أبو علي الدقّاق - شيخُ الفقراء -: «انظروا[1] إلى قوله سبحانه مُخْبِرًا عن يعقوب: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾، ولم يقل: «عَمِيَ»؛ لأنَّه لم يكن في الحقيقة عَمًى[2]، وإنَّما كان حجابًا عن رؤية غير يوسف، رِفْقًا من الله سبحانه، حتى لا يحتاج إلى أن يرى غيره؛ لأنه لا شيء أشد على الأحباب من رؤية غير المحبوب في حال فراقه»[3].

وقد قال الحكيمُ:

لمَّا تَحَقَّقْتُ أني لا أشاهدكم غَمَّضْتُ عيني فلم أنظر إلى أَحَدِ[4]

وقد كان يعقوب يَتَسَلَّى برؤية ابنه[5] بِنْيَامِين[6] في حال غيبته، فلمَّا زال عن رؤيته قال: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾؛ لأنه لمَّا مُنِعَ من النظر إلى يوسف كان يتسلَّى بالأثر، وهو أخوه، فلمَّا زال عنه آخِرًا الأثرُ كما زال أوَّلًا النظرُ تأسَّف على النظر الأوَّل[7]، وفي ذلك كله[8] كلامٌ بديعٌ مذكورٌ في موضعه.

---

(١) في (ك): انظر.

(٢) في (ص): عَمِي.

(٣) لطائف الإشارات: (٢/٢٠٠).

(٤) من البسيط، وهو للشِّبْلِي، مع بيت آخر قبله، وهو:

الناس في العيد قد سروا وقد فرحوا وما سررت به والواحدِ الصمدِ

وهو في: لطائف الإشارات: (٢/٢٠٠)، وتاريخ دمشق في ترجمته: (٦٦/٧٥)، والتبصرة لابن الجوزي: (٢/١١٠).

(٥) سقط من (ص) و(ب) و(ك).

(٦) في (ص) و(ب) و(ك): ابن يامين.

(٧) لطائف الإشارات: (٢/٢٠٠).

(٨) سقط من (ك).

[أحاديثُ الأمانة]:

ومن أحسن أحاديث الأمانة ما روى حُذيفة قال: «حدَّثنا رسول الله حديثين، رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدَّثنا أن الأمانة نزلت في جَذْرِ قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة، وحدَّثنا عن رَفْعِها فقال: ينام الرجل النومة فتُقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوَكْتِ، ثم ينام النومة فتُقبض، فيبقى أثرها مثل أثر المَجْلِ؛ كجَمْرٍ دحرجته على رِجْلِك فنَفِطَ، فتراه مُنْتَبِرًا وليس فيه شيء، فيصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحدهم يؤدي الأمانة، فيقال: إنَّ في بني فلان لرجلًا أمينًا، ويقال للرجل: ما أعقله! ما أظرفه! ما أجلده! وما في قلبه مثقال حبة من خردلٍ من إيمان، ولقد أتى عليَّ زمان لا أبالي أيكم بايعت، لئن كان مسلمًا ليردَّنه عليَّ الإسلام، ولئن كان يهوديًا أو نصرانيًا ليردَّنه عليَّ ساعيه، فأمَّا اليوم فما كنت لأبايع إلَّا فلانًا وفلانًا»[١].

٢ وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال في خطبة[٢] يوم الوداع؛ من حديث جابر الطويل/ في وصف حَجَّةِ النبي ﷺ، أنَّه قال: «اتقُّوا الله [٥٣/أ] في النساء، فإنَّكم أخذتموهن بأمانة[٣] الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن ألا يُوطِئْنَ فُرُشَكم أحدًا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الفتن، باب إذا بقي في حثالة من الناس، رقم: (٧٠٨٦-طوق).

(٢) في (ص) و(ك): حجة، وضعَّفها في (د).

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): بأمان.

ضربًا غير مبرح»[١]، وذكر الحديث، وقال: «قد تركتُ فيكم ما لن تضلوا ما اعتصمتم به، كتاب الله»[٢].

وفي حديث عمرو بن الأحوص الصحيح: أنه شهد مع النبي حجة الوداع، فحمد الله وأثنى عليه، وذكَّر ووعظ، وذَكَرَ قصة فقال: «ألا واستوصوا بالنساء خيرًا، فإنَّهنَّ عندكم عَوَانٌ، ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضربًا غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلًا، أَلَا إنَّ لكم على نسائكم حقًّا، ولنسائكم عليكم حقًّا، فأمَّا حقكم على نسائكم؛ فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذنَّ في بيوتكم لمن تكرهون، أَلَا وحَقُّهُنَّ عليكم أن تُحْسِنُوا إليهن؛ في كِسْوَتِهِنَّ وطعامهنَّ»[٣].

فأخبر ﷺ أنهنَّ عندنا عَوَانٌ؛ بأمانٍ دائر بين حقين اثنين؛ حق لهنَّ، وحق عليهنَّ، مُبيَّنَيْنِ لا ثالث لهما، وقد بيَّنَّا ذلك في «شرح الحديث» والكلام عليه.

ومن الأمانة عندك عِرْضُ أخيك المُسْلِم؛ فلا تغتبه إذا عَرَفْتَ له معصية، وقد ضرب الله مَثَلًا للمغتاب أَكْلَ لَحْم الميت، تشبيهًا للغائب بالميت، وللإذاية باللسان بالإذاية بالمِقْرَاضِ، ومن الأمثال السائرة:

وجُرْحُ اللسان كجُرْحِ اليَدِ[٤]

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم: (١٢١٨- عبد الباقي).

(٢) هو حديث جابر رضي الله عنه السَّابق.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الرضاع عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، رقم: (١١٦٣-بشار).

(٤) عجز بيت لامرئ القيس، وصدره: ولو عن نثا غيره جاءني
وهو من المتقارب، في ديوانه: (ص١٨٥).

وقد رُخِّصَ فيها في أربعة مواضع:

منها: التظلم عند من تُرجى نُصرته بدعوة، أو يقضي لك عليه بفُتْيَا أو حُكْمٍ، كقول هند عند النبي ﷺ: «إن أبا سفيان رجل مِسِّيكٌ»[١].

ومنها: تحذير المغتر به[٢] عند صحبة أو معاملة، وقد بيَّنَّاها في موضعها من «قانون التأويل»[٣] وغيره.

وإذا رَأَيْتَه على معصية فعِظْهُ ما بينك وبينه، ولا تفضحه، فقد روى أبو داود والنسائي عن عُقبة بن عامر: أنَّ النبي ﷺ قال: «من رأى عَوْرَةً فسترها كان كمن أحيى موؤودة»[٤]، تفرَّد النسائي بقوله: «من قَبْرِها»[٥].

٢ ولا يحمله على فضيحة نفسه، فقد جاء مَاعِزٌ الأسلمي إلى هُزَّال [٥٣/ب] الأسلمي/ فقال له: «يا هزَّال، إني زَنَيْتُ، فأمره أن يأتي رسول الله، فلمَّا جرى ما جرى عليه من الرَّجْم، جاء هزَّال إلى النبي ﷺ فقال له: هلَّا سترته بردائك»[٦]، خرَّجه أهلُ الصَّحيح[٧].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة ﵂: كتاب النفقات، باب نفقة المرأة إذا غاب عنها زوجها ونفقة الولد، رقم: (٥٣٥٩-طوق).

(٢) بعده في (ك) و(ص): عنه، وضرب عليها في (د).

(٣) القانون: (ص٣٨٥-٣٨٦).

(٤) أخرجه أبو داود في السنن: كتاب الأدب، بابٌ في الستر على المسلم، رقم: (٤٨٩١-شعيب).

(٥) أخرجه النسائي في السنن الكبرى: كتاب الرجم، الترغيب في ستر العورة، رقم: (٧٢٤١-شعيب).

(٦) أخرجه النسائي في السنن الكبرى: كتاب الرجم، الستر على الزاني، رقم: (٧٢٣٤-شعيب)، وأصله في الموطأ: كتاب الرجم والحدود، ما جاء في الرجم، (٢/٢٥٦)، رقم: (٢٤٦٧-المجلس العلمي الأعلى)، ومسلم في الصحيح: كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا، رقم: (١٦٩٢-عبد الباقي).

(٧) في (ك) و(ص) و(ب) و(د): خرَّجه الصحاح، وما أثبته أشار إليه في (د).

وجاء في روايات: «أنَّ أبا بكر وعمر نهياه أن يتظاهر عند رسول الله ﷺ به»[١].

وفي الحديث الحسن[٢]: «أنَّ صفوان جاء بسَارِقِ ردائه إلى النبي ﷺ[٣]، فلمَّا أمر بقطعه قال: لم أُرِدْ هذا يا رسول الله، قال[٤]: فهلَّا قبل أن تأتيني به»[٥].

أَمَا إِنَّه إذا عاينت منه معصية لله فيها حَقٌّ[٦] جاز لك أن تقوم به حِسْبَةً، كما فعل أبو بكرة مع المغيرة، ولكن الأفضل تركها، إلَّا أن يتتايع[٧] الناس في الشَّرِّ، فحينئذ يجوز رَفْعُها، أو يجب بحسب الحال في ذلك، وسيأتي بيانُه في باب الآمِرين بالمعروف والنَّاهِين عن المنكر.

وكذلك الجارُ أمانة، والجارُ عليه أمين، يغض عنه بصره، ويُصِمُّ[٨] عنه أُذُنَيْه، ويكفُّ عنه أذاه، ويَسْدِلُ[٩] دونه حِجَابَه، فإن رأى عورة سترها، أو سيئة غفرها، أو حسنة نثاها[١٠] ونشرها.

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: كتاب الرجم والحدود، ما جاء في الرجم، (٢/٢٥٥)، رقم: (٢٤٦٦-المجلس العلمي الأعلى).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): في الحسن من الحديث.

(٣) في (ك): صلى الله عليه.

(٤) بعده في (ك) و(ص): له، وضرب عليها في (د).

(٥) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: كتاب السرقة، ترك الشفاعة للسَّارق إذا بلغ السلطان، (٢/٢٦٨)، رقم: (٢٥٠٧-المجلس العلمي الأعلى).

(٦) في (ك) و(ص) و(ب) و(د): الحق، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

(٧) في (ك): يتتابع.

(٨) في (ص): يُصَمِم، وفي (د): يُصْمِتُ.

(٩) في (ص): يُسبل.

(١٠) في (د): ثناها، وهو تصحيف، ونَثَا الحديث والخبر ينثوه نثوًا: حدَّث به، وأشاعه، وأظهره، تاج العروس: (١٩/٤٠).

[حكاية]:

أخبرنا أبو بكر الصوفي[١]: أخبرنا الرُّصافي[٢]، وأخبرنا جعفر بن أحمد المقرئ[٣]، قالَا: حدَّثنا[٤] الخطيب أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الحافظ: أخبرنا علي بن أحمد الرزَّاز: أخبرنا أبو الليث نصر بن محمد الزاهد البخاري: حدَّثنا محمد بن محمد بن سهل النيسابوري: حدَّثنا أبو أحمد[٥] محمد بن أحمد الشُّعَيْبِي[٦]: حدَّثنا أسد بن نوح، حدَّثنا محمد بن عبَّاد، قالَا[٧]: حدَّثنا القاسم بن غسَّان: أخبرني أبي: حدَّثني عبد الله بن رجاء الغُدَانِي[٨]، قال:

«كان لأبي حنيفة جارٌ بالكوفة إسكافٌ، يعمل نهاره أجمع، حتى إذا جنَّه الليل رجع إلى منزله؛ وقد حَمَلَ لحمًا فطبخه، أو سمكة فشواها، ثم لا يزال يشرب، حتى إذا دبَّ الشرابُ فيه غَزِلَ[٩] بصَوْتٍ[١٠] وهو يقول:

---

(١) هو محمد بن طَرخان التركي.

(٢) هو محمد بن فتُّوح الحُمَيدي.

(٣) في (ك): المغربي.

(٤) في (ك) و(ص) و(د): أخبرنا، وضعَّفها في (د).

(٥) في (ب): محمد، وفي (د): أحمد، وضرب عليه، وفي الطرة: جعفر، وصحَّحه.

(٦) في (د) و(ب) و(ص): الشُّعَبِي، وما أثبتناه يُصَحِّحُه ما في تاريخ بغداد: (١٥/٤٩٦)، والأنساب للسمعاني: (٧/٣٤٧-٣٤٨).

(٧) سقط من (ك) و(ص) و(ب)، وفي تاريخ بغداد (١٥/٤٩٦): قال.

(٨) في (د): الغُدَّاني، وضبطناه كما جاء في الأنساب للسمعاني: (٩/١٢٧).

(٩) في المنشور من تاريخ بغداد (١٥/٤٩٥): غنى.

(١٠) في (ص): يصوت.

أضـــاعوني وأيَّ فتًـــى أضـــاعوا ليـــوم كريهـــة وسِـــداد ثَغْـــرِ[١]

فلا يزال يشرب ويُرَدِّدُ هذا البيت حتى يأخذه النوم، وكان أبو حنيفة يسمع جَلَبَته كلَّ ليلة[٢]، وكان أبو حنيفة يصلي الليل كلَّه، ففقد أبو حنيفة ليلةً صوتَه فاستخبر عنه، فقيل: أخذه الحرس[٣]، وهو محبوس مُذْ ليالٍ، فلمَّا صلَّى أبو حنيفة الصُّبْحَ من غَدٍ رَكِبَ[٤] بغله[٥]، وجاء الأميرَ فاستأذن/ [٢/٥٤أ] عليه؛ فأَذِنَ له؛ وألَّا ينزل حتى يطأ البساط، ونزل، فلم يزل الأمير يُوَسِّعُ له في مجلسه حتى أنزله مساويًا له، فقال له: ما حاجتك؟ فقال: إِسْكَافٌ أخذه الحرس منذ لَيَالٍ، يأمر الأمير بتخليته، قال: نعم، وكلُّ من أُخِذَ في[٦] تلك الليلة، فخلَّى جميعهم، فرَكِبَ أبو حنيفة والإسكاف يمشي وراءه، فلمَّا نزل مضى إليه فقال: يا فتى، أضعناك؟ قال: لا، بل حفظتَ ورعيتَ، جزاك الله خيرًا عن حُرمة الجار ورعاية الحق، وتاب الرجلُ عمَّا كان فيه»[٧].

[فضيلةُ السَّتْرِ]:

وليَقْتَدِ في ذلك من السَّتْرِ، وليَهْتَدِ بسَتْرِ الله على العباد مع اطلاعه على عوراتهم، وما[٨] يرى ويعلم من مخالفاتهم، فهو يسترها في الدنيا

---

(١) من الوافر، وهو مطلع قصيدة لعبد الله العَرْجِي في ديوانه: (ص٣٤).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب) و(د): يوم، وهو الذي في المنشور من تاريخ بغداد، وضبَّب عليه في (د)، والمثبت صحَّحه في طرته.

(٣) في المنشور من تاريخ بغداد (١٥/٤٩٧): العسس.

(٤) في (ك) و(ب): وركب. (٥) في (ص): بغلته.

(٦) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٧) تاريخ بغداد: (١٥/٤٩٦-٤٩٧)، وذكرها ابن العربي أيضًا في العارضة: (٨/٢١٣-٢١٤).

(٨) سقطت من (ك) و(ب).

عمومًا، ويغفرها في الآخرة خصوصًا، وهذا مندوب إليه شرعًا، محثوث عليه، مخصوص[١] فيه، بَيْدَ أنه في كل ذنب يختص بالعبد لا يتعدَّاه، فإن كان يلحق غيره منه ظُلْمٌ؛ فلا ينبغي له أن يُقِرَّه عليه، ولا يستره فيه[٢]، وليست هذه من الشهادات التي يلزم أداؤها، أو يقال فيها: «خَيْرُ الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل أن يُسألها»[٣].

[حقيقة الشَّهادة]:

وقد[٤] تكرَّر، ولكن لتداخل معاني الأسماء ربَّما نُشير إلى شيء منه، ثم نُحِيلُ على البيان الشَّافي في مَوْضِعٍ غيره[٥].

وحقيقةُ الشَّهادة: الإخبارُ بما عَلِمَ لِيَنْبَنِي عليه عمل.

وقد يُستعمل في غير هذا، وقد بيَّنَّاه في كتاب «الأمد الأقصى»[٦] وغيره.

والشَّهَادَاتُ التي يلزم أداؤها هي كلُّ قَوْلٍ إذا سكت عنه فات وفي وجوده منفعة.

---

(١) في (ك) و(ب): محضوض.

(٢) قوله: «وليَقْتَدِ في ذلك بالسِّتْرِ.. فإن كان يلحق غيره منه ظُلْمٌ؛ فلا ينبغي له أن يُقِرَّه عليه، ولا يستره فيه» سقط من (ص).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه: كتاب الأقضية، باب بيان خير الشهود، رقم: (١٧١٩-عبد الباقي).

(٤) قبله في (ك) و(د): وهو الاسم السَّادس والستون، وضرب عليه في (د)، وفي (ب): الشاهد: وهو الاسم الثالث والستون، وفي (ص): الرابع والستون.

(٥) قوله: «وقد تكرَّر، ولكن لتداخل معاني الأسماء ربَّما نُشير إلى شيء منه، ثم نُحيل على البيان الشَّافي في مَوْضِعِ غيره» سقط من (ص).

(٦) الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/٢٤).

«وخَيْرُ الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل أن يُسألها[(١)]»[(٢)].

معناه: أن يُخْبِرَ الذي عنده له شهادة بما عنده، ثم يكون أداؤها بحسب إرادة مَن له الحق، وإن كان لله أو لعامَّة المسلمين وجب عليه الابتداء بها قبل الطلب، ولا سيما في الوجهين إذا كان الحقُّ لله.

ومنه: شهادة عبد الرحمن بن عوف: أنَّ النبي قال في الوباء: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدَموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه»[(٣)].

ومنها: شهادة المغيرة بن شعبة: «أنَّ النبي أعطى الجَدَّةَ السُّدُسَ»[(٤)].

ومنها: شهادة الرجل على زوجه في الزنا، ولذلك صورتان:

إحداهما: أن يشهد على الرؤية.

[الثانية]: أو على نَفْيِ الحمل.

فأمَّا الشهادةُ على رؤيته لزناها فمكروهة.

وأمَّا شهادتُه على/ نَفْيِ الحمل فواجبٌ؛ فإنَّه لا ينبغي أن يُلْحِقَ بنفسه [٥٤/ب] ٢ من ليس منه، وقد بيَّنَّا ذلك في «مسائل الخلاف»، فإنه ليس من بابنا، وهي من باب الأمانة التي قلنا؛ فإنه إذا شهد عليها فلا يفيده ذلك أكثر من

---

(١) قوله: «قبل أن يُسألها» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، رقم: (٥٧٣٠-طوق).

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: كتاب الفرائض، ميراث الجدة، (١/٥٣٤)، رقم: (١٤٦٤-المجلس العلمي الأعلى).

الفراق، والفراق مع الستر أفضل وأولى، وأوجب[١] وأحرى، وأمَّا مع إلحاق غَيْرِ وَلَدِه به فلا صبر عليه.

وقد أخبرني أبي عن رجل قَاضٍ: أنَّ زوجه بَغَتْ فحملت، فكان يقول لها: «ماذا أصنع بك - قاتلك الله -؟ إن سَكَتُّ ألحقتُ بنفسي من ليس منِّي، وإن تكَّلمت فضحتُكِ وفضحتُ[٢] نفسي».

وغلَّب السُّكُوتَ، فأنا رأيت أخاه وشِبْهَه لغير رِشْدَةٍ، وتذكَّرتُ قول النبي ﷺ للمرأة: «إن جاءت به كذا[٣]، وإن جاءت[٤] به كذا؛ فهو[٥] للَّذِي قُذِفَتْ به، فجاءت به على النعت المكروه»[٦]، فقال النبي ﷺ[٧]: «لولا ما سبق لي[٨] من كتاب الله لكان لي ولها شأن»[٩].

وفي رواية: «لو كنت راجمًا أحدًا بغير كتاب الله لرجمتها»[١٠].

---

(١) بعده في (ك) و(ص): أو أحب، وضرب عليه في (د).

(٢) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٣) في (ك): بكذا، في (ب): فكذا.

(٤) في (ك): كانت.

(٥) في (ك): فهي.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الحدود، باب من أظهر الفاحشة واللطخ والتهمة بغير بينة، رقم: (٦٨٥٤-طوق).

(٧) قوله: «للمرأة: إن جاءت به كذا، وإن جاءت به كذا فهي الذي قذفت به، فجاءت به على النعت المكروه، فقال النبي ﷺ» سقط من (ص).

(٨) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، ﴿ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين﴾، رقم: (٤٧٤٧-طوق).

(١٠) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الحدود، باب من أظهر الفاحشة واللطخ والتهمة بغير بينة، رقم: (٣٨٥٥-طوق).

ورُوي عن النبي ﷺ في شهادة الإنسان على نفسه: «أنه جاءه ماعز الأسلمي فاعترف بالزنا، قال: فلما شَهِدَ على نفسه أربع مرات دعاه النبي ﷺ فقال: أَبِكَ جنون؟ قال: لا، قال: فهل أُحصنت؟ قال: نعم، فقال النبي ﷺ: اذهبوا به فارجموه»[١].

وهذا ممَّا بيَّنه الله سبحانه في قوله: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة:١٤].

وإذا قُبِلت عليه الشهادة وهي ظَنٌّ، فأَوْلَى وأَحْرَى أن يُقبَل عليه قولُه، وهو يَقِينٌ عندنا.

[شهادةُ المخلوقين لله بالإلَهية]:

وكل مخلوق يشهد لله سبحانه بالإلَهية، وأنت أحقُّ بذلك لما جُعل فيك من الصفات العليَّة، فإذا كان الجماد يشهد لله[٢] ويسبح بحمده فأنت أولى بذلك، وأحرى من قَبْلِه ومِن بَعْدِه.

فيا عجبًا كيف يعصي الإله ... أم كيف يجحده جاحدُ[٣]
ولله في كل تَحْرِيكَةٍ ... وتَسْكِينَةٍ عَلَمٌ شاهدُ[٤]
وفي كل شيء له آية ... تدلُّ على أنه واحدُ[٥]

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) في (ك): له.

(٣) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٤) من المتقارب، وهي لأبي العتاهية في ديوانه: (ص١٢٢)، وفيه: وفي كل تسكينة شاهدُ.

(٥) سقط من (ك) و(ص) و(د).

وتشهدُ أنت بمثل شهادته وأفضل، وتشهد عليه أيضًا بما شَهِدَ به على نفسه كما يشهد عليك؛ فإنه مما يجب أن تتحقَّقوه - معشر المريدين - أَنَّ السماوات ومن فيها، والأرضين[1] ومن فيها وما فيهما جميعًا؛ كلٌّ يشهد للمطيع بما أطاع، وللعاصي بما عصى، كما تشهد به عليه جوارحه، ويفرح الكلُّ بطاعته، ويبكي لمعصيته، ويأنس بعمله الصالح، ويتبرَّك به، ويستوحش من عمله السيء ويتشاءم[2] به، وهذا كله منصوصٌ في كتاب الله وعلى لسان رسوله.

[٥٥/أ] وللعلماء/ اختلافٌ في كيفيته، وقد بيَّنَّاه في «كتاب المشكلين»، فلينظر هنالك.

[الحذرُ من شهادة الزُّورِ بنسبة الفعل لغير الله تعالى]:

وليَحْذَرْ كلُّ أَحَدٍ من شهادة الزور، والكذب على الواحد والجمهور؛ فيكذب على موجودات الأرض ويكذب على السماء.

فمن كَذِبِه على الأرض وما فيها شهادتُه على النار بأنها تُحرق، أو على الجمادات كلها بأنها تفعل شيئًا، وهذه شهادة زُور، وكذب كبير، ولا يَحِلُّ لأحد أن يشهد إلَّا بما أدرك بحواسِّه، أو حصل له به العِلْمُ ابتداءً في نفسه، والذي شَاهَدَ بحواسِّه ورأى بعينه أنَّ شيئًا إذا جاور[3] النَّار احترق.

فإذا قال: شهدتُ أن الهشيم إذا اتَّصل بالنار احترق، كان هذا الكلام صِدْقًا، والشهادة حقًّا.

---

(١) في (ك) و(ص) و(د): الأرضون.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب) و(د): يستشئم، وضبَّب عليه في (د)، والمثبت من طرته.

(٣) في (د): جاوز.

وإذا قال: إنَّ النار أحرقته، كان كذبًا بَحْتًا؛ لأنَّ النار ليست بفاعلة، وإنَّما هي جماد، والجماد لا يصح منه فِعْلٌ.

فإن قال: خلق الله فيها قُوَّةً تُحرق بها.

قلنا له: هذه شهادةٌ بما لم تَرَ ولا سَمِعْتَ؛ فإنَّ القوة لا تُرى ولا تُسمع، ولا أخبر بها[١] الله ولا الصادق من رُسُلِه المبعوثين إلينا، الذين نراهم ويُكَلِّمُونَنا، فمن أين لك هذا؟

ثُمَّ قدرةٌ تخلق في جماد يَفعل بها فِعْلًا مُثَبَّجًا - فكيف مُتْقَنًا - مُحَالٌ.

فقِفْ يا وقَّاف، وقل: إن الله يفعل ما يشاء، ويخلق ما أراد، وكما لا يَشِذُّ شيء عن علمه لا يَشِذُّ عن قدرته وخَلْقِه.

ومن كَذِبِهم على السماء شهادتُهم بأنَّ الشمس والقمر يُنبتان الحشائش، ويُنتجان الثَّمَرَ من الشجر، وما لها من الفائدة إلَّا ما أخبر الله في كتابه من أنَّهما مخلوقان، مُنزلان مَنَازِلَهما لمعرفة عدد السِّنين والحساب، متعاقبان إلى الانتثار[٢] والسكون، وسوى ذلك لا كان ولا يكون.

وأشدُّه كَذِبُهم على الله؛ كقولهم[٣]: «إنه في السماء»، والسماء محصورة، جِسْمٌ مُقَدَّرٌ[٤]، ووعاء لمخلوق[٥] مُحَدَّدٌ، والباري يتقدَّس عن أن

---

(١) في (د): الله بها.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب) و(د): على الانتشار، وضعَّفه في (د)، والمثبت من طرته.

(٣) في (ك): كقولهم تعالى، وفي (ص): كقولهم عنه تعالى، في (د): كقوله تعالى.

(٤) سقط من (ص).

(٥) في (ك) و(ب): مخلوق.

يَحِلَّ بمكان، أو يَحْوِيَه شيء، ولم يفهموا ما أرادت المرأة المسؤولة بذلك؛ من كونه عالي القَدْرِ، عن أن يكون كآلهة الأرض، كما تقول العرب: فلان في السماء رِفْعَةً، وفي النجم جَلَالَةً، وقد قال النبي ﷺ: «إنه بينكم وبين رؤوس رحالكم»[١]، ولا يصح كونه هنالك، ولكن ضرب ﷺ ذلك مَثَلًا للقُرْبِ بالعلم والإحاطة، وهؤلاء يكذبون على الله بما يُضِيفونه[٢] ممَّا لا يليق/ به.

٢ [٥٥/ب]

والذين يجعلون للنار فِعْلًا وللشَّمس[٣] والقمر، ممَّن يجعلُ لله ﴿شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد:١٨].

وكذلك شهادتُه على السماوات؛ فإن الشيطان أطمعه أن يرقى إليها بالعِلْم، إذ لم يستطع أن يرقى إليها بالرؤية، فأنشد قَوْلَ المُوسَوِي[٤]:

عَزَّنِي أن أرى الديار بطَرْفِي فلعلِّي أرى الديار بِسَمْعِي[٥]

فسوَّل لهم وصوَّر عندهم أن يُعَرِّفَهم هيئَتها، ويُرِيَهم بالنظر والبصيرة؛ إذ فاتهم بالبصر كيفيتُها، وهيهات هيهات لما توعدون، إن هي إلَّا جهالتكم البُهْمَى، وما أنتم عنها بمُخرجين، ولا تكونوا فيها أبدًا مهتدين، وهذا ممَّا لا يَحِلُّ لمسلم أن يتكلم فيه ولا أن يشهد به.

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): يصفونه.

(٣) في (ك): الشمس.

(٤) في (ب): الموسمي، وفي (د): الموسي، وفي الحاشية كلمة لم أتبينها لسوء التصوير، وفوقها: خـ.

(٥) من الخفيف، وهو من أبيات للشريف الرضي، وهي في ديوانه: (١/٦٥٨).

ومِنَ السماوات مَرْئِيٌّ، وهو الكوكب، وذاتُ السماء لا يراها أحد، وإنَّما الذي يُرى هو مُنْقَطَعُ البَصَرِ، وما وراءها غير معلوم، أكثر من أن الأنبياء أخبرت عن الله أنَّ الشمس والقمر والنجوم في أفلاك تَجْرِي بأمر الله، فما رأيناه حق، وما أُخبرنا به صدق، وما وراءه:

تخَرُّصًا وأحاديثًا[١] مُلَفَّقَةً ... ليست بنَبْعٍ إذا عُدَّتْ ولا غَرْبِ[٢]

فرَأَوا من رأيهم الشَّطير وعقلهم الفَطِير أن يَرْكَبُوا أفلاك الدراري السبعة باختيارهم، فأجمعوا على أن القمر أقربُها إلينا، وأن زُحَلًا أبعدُها عنَّا، وسائرهما[٣] بينهما، واحدٌ فوق آخَر، وقد بيَّنَّا فساد الترتيب على هذا النظام للموجودات في كتاب «العواصم»[٤].

ويحتمل أن يكون ما قالوا، ولكن الذي تصوَّروا فيه من غير ظن، لا نقول من غير برهان؛ فإنه لم يكن معهم قطُّ - لحظةً من الدهر - أمران:

أحدهما: قولهم: «إنَّ السماوات هي الأفلاك»، وهذه دعوى لا سبيل أبدًا إلى إثباتها بخبر ولا نظر، لا على رأيهم وطريقتهم، ولا من غَيْرِ ذلك.

الثاني: ترتيب هذه الأفلاك واحدًا بعد آخَرَ، حتَّى يكون فَلَكُ القمر في حَيِّزٍ أقرب إلى رؤوسنا، وزُحَل أبعد من سواه منَّا، فهذا وإن كان كلٌّ منهم قد تعرَّض له.

---

(١) في (ص): أحاديث.

(٢) من البسيط، وهو لأبي تمَّام من قصيدته التي يذكر فيها عَمُّوريَّة، ديوانه: (١٧٢/١).

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): سائرها.

(٤) العواصم: (ص١٣٣-١٣٤).

ورتَّب صاحب «المَجَسْطِي»[١] كتابه على هذا، وعوَّل على الحساب الذي يؤديه إلى معرفة كسوف الشمس والقمر، فإنَّ ما وراءه لم يقدر عليه أبدًا، ورتَّب مقدمات ونتائج على سبيل البرهان، ثم لمَّا عجز قال: «رصدتُ/ فوجدتُ، ورصد فلانٌ فوجد»[٢]، فخلَّط برهانًا حسابيًا بدَعْوَى رَصْدٍ، تَرَكَّبَ على غير سَنَدٍ، وأقام[٣] دون عَمَدٍ، وهذا لا يصل المرء إلى إبطاله أو إلى صحته أو إلى الشك فيه إلَّا بعد عُمْرٍ طويل في النظر فيه، ولأيِّ معنًى يفعل الحازم ذلك؟ وأي فائدة له فيه؟ وحكمة الله بعد الإحاطة بذلك كله لا تُدرك، وما ظهر إلينا وعاينَّاه من آياته وآثارِ قدرته فيها أوضح مسلك، فما وراءها إلَّا كل مَغْوَاة، مَهْلَكٌ له موعد، وليس دون الله مُلْتَحَدٌ.

٢ [٥٦/أ]

وممَّا يتعيَّن على كل مسلم أن يشهد به - ما يُكَذِّبُونَه بأجمعهم - ما ثبت في الصحيح سَنَدًا، وهو متواتر نقلًا؛ فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر:١]، قال عبد الله بن مسعود: «انشق القمر؛ وذلك حين سألت كفار قريش رسول الله ﷺ آية، حتى رأيتُ حِرَاءَ من بين فِلْقَتَي القمر، فقال النبي ﷺ: اشهدوا»[٤]، وهذا ممَّا يستحيل عند أرباب الهندسة قولًا، ويَرَوْنَ أنَّ هذا - إن صحَّ - كان تَخْيِيلًا؛ إذ الهيئة لا تتبدَّل أبدًا، وهذا هو الحاجز بين الإلحاد والإيمان، وقد أقمنا عليه في كتاب

---

(١) المَجَسْطِي: هو الكتاب الذي وضعه بَطْلَيْمُوسُ الحكيم في عِلْمِ الهيئة، وعُرِّبَ في زمن المأمون، تاج العروس: (٢٠/٩١).

(٢) العواصم: (ص١٧٢).

(٣) في (ك) و(ب): قام.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، ﴿اقتربت الساعة﴾، رقم: (٤٨٦٤-طوق).

«العواصم من القواصم»[١] البرهانَ، وهو موجود في «كتب الأصول»، ونحن من الشهداء على ذلك، وعلى كل ما أخبرنا به نَبِيُّنا، حسب ما فعل خُزَيمة، فَبِه[٢] سُمِّيَ ذا الشهادتين[٣]، وسيتكرَّر القَوْلُ في هذا المعنى إن شاء الله.

وإذا أقام هذه الشهادات وأوصافها[٤] كان موصوفًا بالوفاء[٥].

* * * * *

---

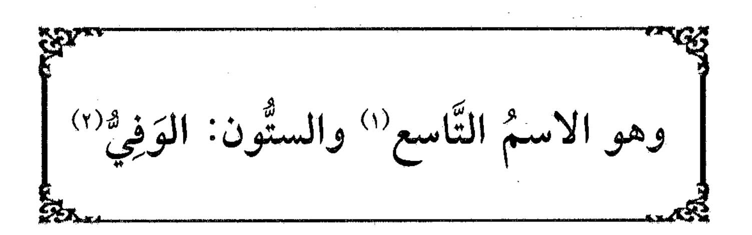
(١) العواصم: (ص١٣٤)، و(ص١٧٢).

(٢) في (ك): فيه، وما أثبتناه مرَّضه في (د)، وكتب في الطرة: فمنها، هكذا قرأتها، ولشَكِّي فيها لم أُثبتها، ورمز لها بـ: خـ.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه: كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى: من المؤمنين رجال، رقم: (٢٨٠٧-طوق).

(٤) في (ك) و(ص) و(ب) و(د): أمثالها، وضبَّب عليها في (د)، والمثبت من طرته.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): الوفي.



وهو الاسمُ التَّاسع[١] والستُّون: الوَفِيُّ[٢]

وهو[٣] عند العرب: عبارة عن كل من أكمل ما وَجَبَ عليه.

قال الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة:٣٩].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة:١].

وقال: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس:٥٩].

والعَهْدُ في لسان العرب: الإعلامُ بالشيء.

والعَقْدُ: هو ربطه واستيثاقه.

والباري تعالى قد أعلم الخلق بما ألزم، وربطهم إلى ما أمر به ونهى عنه وأحكم، فهو راجع إلى كل مأمور به ومنهي عنه في الامتثال والاجتناب؛ من واجب/ أو مندوب، ومحظور أو مكروه، ولكن أصوله معلومة.

٢ [٥٦/ب]

---

(١) في (ك): السَّابع، وفي (ص): الخامس.

(٢) في (ب): الوفي: وهو الاسم الرابع والستون، وسقط من (ك) و(ص).

(٣) في (ك) و(ص) و(د): هي، وضعَّفها في (د).

[أنواعُ العهد]:

فمنها: العهد الأوَّل في صُلْبِ آدم، فإن الخلق التزموا أنه الربُّ الواحد، فالوفاء بالعرفان أصلُ العهود والأيمان، ثم الوفاء بالإحسان - وقد تقدَّم بيانه -: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[١].

ومنها: الانكفاف عن العصيان، ولا أقلَّ من اجتناب الكبائر، فإن اجتنب الصغائر فهو الوفاء[٢].

ومنها: الوفاء للرسل بتصديقهم[٣] وبالكتب، وبالمراعاة[٤] للوَصاة بها[٥]، والوقوف عند حدودها.

ومنها: التبليغ؛ فإن من سمعه لَزِمَه أن يكون ممن يبلغ.

ويلزم الوفاءُ بعهد الآدمي كما يلزم الوفاء بعهد الله؛ فإنه من عهود الله، من حيث أمره بحفظه والوفاء به، حتى لو كان لكافر، قال الله تعالى: ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤].

ومن أعظم الخلق عند الله إثمًا من غَدَرَ بما عاهد عليه الله ولم يَفِ بما أُلزم[٦] بأمر الله، وهو ثُلُثُ النفاق أو رُبُعُه، كما قال النبي في علامات المنافق: «إذا عاهد غَدَرَ»[٧].

---

(١) سلف تخريجه.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب) و(د): الوفي، وضبَّب عليها في (د)، والمثبت من طرته.

(٣) في (ك): بتصاريفهم.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): بالمراعاة.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب) و(د): فيها، ومرَّضها في (د)، والمبثت من طرته.

(٦) في (د): في خـ: التزم من أمر الله.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو ﵄: كتاب المظالم، باب إذا خاصم فجر، رقم: (٢٤٥٩-طوق).

وأَصْلُ الوفاء بالعهد والالتزام للعقد عَقْدُ «لا إله إلا الله»؛ فإنها للمعرفة به، والتصديق برسوله[1]، والامتثال لحدوده، حتى أَمَرَ النبيُّ ﷺ بالوفاء بعهود الجاهلية والقيام بحقوقها، إلَّا ما نُسِخَ من الميراث.

وكذلك الوفاء بعقود المعاملات؛ بما فيها من الوظائف والشروط، ويتبعها من الأحكام والحقوق، كالبيع ونوعه، والنكاح في أصله، والنذور والأيمان والوعد، وذلك كله مُبَيَّنٌ في موضعه.

[حِفْظُ الأسرار]:

وقد يكون العَهْدُ بالقول، وقد يكون بالفعل، مثل أن يُحَدِّثَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ بالشيء وهو يلتفت، فيكون ذلك عهدًا في الحديث بالكتمان، فإذا أظهره فقد غَدَرَ به.

وقد يكون ما يطَّلع عليه المَرْءُ من غيره ممَّا يعلم أنه يضرُّه إظهارُه، فعَهْدُه عليه ألَّا يُطْلِعَ أحدًا عليه، وهو الذي قال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يأمن جارُه بوائقَه»[2]، وقال: «المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده»[3]، إلَّا أن يَتَوَجَّهَ فيما سَمِعَ منه حَقٌّ لغيره عليه؛ فإنه تلزمه الشهادة به عليه.

وتتعارض حينئذ الحقوق، فهذا له عَهْدٌ فيما حدَّث به، وذلك له عَهْدٌ/ فيما وجب له، فاتَّفقت الأمَّة على أنَّ عَهْدَ الذي وجب له الحق أَوْكَدُ من عهد الذي حدَّث بالقول، وسواء كان في إظهار السِّرِّ ضَرَرٌ أو لم يكن إذا جعله عندك سرًّا فإنه لا يجوز لك أن تُحَدِّثَ به. [٥٧/أ] ٢

(١) في (ك) و(ص) و(ب) و(د): برسله، وضعَّفها في (د)، والمثبت من طرته.

(٢) تقدَّم تخريجه في السِّفْرِ الثاني.

(٣) تقدم تخريجه في السِّفْرِ الثاني.

والأَصْلُ فيه أنَّ النبي ﷺ دعا ابنته[١] فاطمة في مَرَضِه، فأسرَّ إليها بشيء فبكت، ثم دعاها فأسرَّ إليها شيئًا فضحكت، فسألتها عائشة، فقالت: «ما كنت لأُفْشِي سِرَّ رسول الله، فلمَّا مات رسول الله سَأَلْتُها، فقالت: أخبرني أنه مَيِّتٌ من وجعه ذلك فبَكَيْتُ، ثم أخبرني أنِّي أوَّل أَهْلِه لحوقًا به فضحكتُ»[٢].

ومن كتمان السِّرِّ أُتِيَ يوسف؛ فإنه قال له يعقوب: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾ [يوسف:٥]، فكان هنالك من نَقَلَ ذلك إلى الإخوة - على ما روى أهل التفسير[٣] - فسَعَوا له في المكيدة.

ومن الأمثال السائرة على ألسنة العلماء: «صُدُورُ الأحرار قُبُورُ الأسرار»[٤].

كما أنَّ من الأحاديث الموضوعة الباطلة: «النهي عن إفشاء سِرِّ القَدَرِ»[٥]، فما له سِرٌّ، وإنَّما هو كله جَهْرٌ، القضاء من الله، والأمر كله لله، لا[٦] يُسأل عمَّا يفعل[٧].

---

(١) في (ك): بنته.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة ﵂: كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، رقم: (٤٣٣٣-طوق).

(٣) لطائف الإشارات: (٢/١٦٨).

(٤) حلية الأولياء: (٩/٣٧٧).

(٥) حديث: «لا تكلَّموا بشيء من القدر؛ فإنه سر الله، فلا تفشوا سر الله» خرَّجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة عن ابن عمر ﵄: (٢/٦٢٩)، رقم: (١١٢٢)، وينظر: الشريعة للآجُرِّي: (٢/٩٤٠).

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): ولا.

(٧) ينظر: الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/٩٥).

ومن الأمثال السائرة ولا يصح إسنادها: «القلوب عِيَابٌ، والشِّفَاهُ أقفالها، والألسنة[١] مفاتيحها»[٢].

وقد كانت هذه الخَصْلَةُ كريمةً مُتَّفَقًا عليها في الجاهلية، قال قيس بن الخَطِيم:

أَجُودُ بمضنون التِّلَادِ وإنَّني ... بسِرِّي[٣] عمَّن سَالَنِي لضَنِينُ

إذا جاوزَ الإثنين سِرٌّ فإنَّه ... ببَثٍّ وتكثير الوُشاة قَمِينُ

وإن ضيَّع الأقوامُ سِرًّا فإنَّني ... كَتُومٌ لأسرار العَشِيرِ أمينُ

يكون له عندي إذا ما ضَمِنْتُه ... مكان سُوَيْد[٤] الفؤاد كَمِينُ[٥]

واختلف الناس في قوله: «إذا جاوز الإثنين»:

فقيل: هما المتحدثان به؛ قائله وسامعه[٦].

وقيل: أراد الشفتين[٧].

والأوَّل أصحُّ.

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب) و(د): اللسان، وضبَّب عليها في (د)، والمبثت من طرته.

(٢) سراج الملوك: (٢/٤١٤).

(٣) في (د): بسيري.

(٤) في (ص) و(ب): مكان سويداء، وفي (د): مكان بسويداء.

(٥) الأبيات من الطويل، وهي من قصيدة لقيس بن الخطيم الأنصاري، وهي في أمالي القالي: (١/٦٨٠-٦٩٠)، مع بعض الاختلاف، وفي لباب الآداب لأسامة بن منقذ: (ص٢٣)، ونسبها مرة إلى جميل بن معمر: (ص٢٤٠)، وفي ديوان قيس بن الخطيم: (ص١٦٢، ٢٤٠)، وفيها جميعًا: «بسرك» بدل «بسري».

(٦) سراج الملوك: (٢/٤١٨).

(٧) سراج الملوك: (٢/٤١٨).

وقد قال الشَّاعر:

أَلـم تـر أنَّ غُـواة الرجـالِ لا يتركـون أديمًـا صَـحِيحَا

فـلا تُفْشِ سِـرَّكَ إلَّا إليـكَ فـإنَّ لكُـلِّ نَـصِيحٍ نَـصِيحَا[1]

وقال آخَرُ:

مـا كـلُّ معلـوم يبـاح بِـهِ احْـذَرْ لـسانك مـن جَوَانِبِـهِ

فمـرارة الكتمـان أعـذب مـن بـث تُحَـاذِرُ مـن عواقِبِـهِ/

لـيس الزمـان كمـا مـضى أَيَّـامَ[2] تَكْـرَعُ فـي مَشَارِبِهِ

هـذا زمـانٌ لـو ذُكِـرْتَ بِـهِ ضَحِكَ[3] الحُسَامُ إلى مَضَارِبِهِ[4]

٢
[٥٧/ب]

وقد ثبت أنَّ حفصة بنت عمر لمَّا تَأَيَّمَتْ عَرَضَها على أبي بكر، فقال: «ليس لي اليوم رغبة في ذلك، ثم عرضها على عثمان فلم يراجعه، قال: فكنتُ أَوْجَدَ عليه مِنِّي على أبي بكر، ثم خطبها النبي ﷺ فلَقِيَه عثمان فقال له: ما منعني من أن أرجع إليك في شأن حفصة حين كلَّمتني فيه إلَّا أني قد كنتُ سمعتُ رسول الله ﷺ يذكرها، فما كنت لأُفْشِي سِرَّ رسول الله»[5].

---

(١) البيتان من المتقارب، وينسبان لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهما في ديوانه: (ص٤٢)، بتقديم وتأخير، وفي بهجة المجالس: (١/١٠٠).

(٢) في (ب): أيان.

(٣) في (ص) و(د): صحك.

(٤) الأبيات من الكامل، وهي في سراج الملوك: (٢/٤٢٢)، وفيه: «من جوالبه».

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب النكاح، باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير، رقم: (٥١٢٢-طوق)، ووقع في سياق متنه عند ابن العربي قَلْبٌ، فمكان عثمان أبي بكر، ومكان أبي بكر عثمان.

وثبت من كل طريق وعند كل فريق أنَّ النبي كان يُسِرُّ إلى حُذَيفة بن اليمان في الفتن وشأنها، والمنافقين وأعيانها، وكان مخصوصًا بذلك عنده[١].

ولقد جَهِدْتُ منذ[٢] زمان الطَّلَبِ للعلم إلى اليوم في أن أطَّلع على وجه اصطفائه حذيفة لذلك فما قدرتُ عليه، إلَّا أنه قد ثبت أنه قال: «كان الناس يسألون رسول الله؛ يسألونه عن الخير، وكنت أسأله عن الشر»[٣]، ورسول الله ﷺ يُجِيبُه عليه، فالله أعلم كيف كان سَمْحُه له في الجواب[٤] عن تلك السرائر.

وقد كان عند أبي هريرة من ذلك شيء، وما أُراه إلَّا من كثرة حِفْظِه لما كان يسمعه، لا من جهة أنه خُصَّ في ذلك بشيء، فإنه قال: «حفظتُ عن رسول الله ﷺ وِعَاءَيْنِ؛ أمَّا أحدهما فقد بَثَثْتُه، وأمَّا الآخَرُ فلو بَثَثْتُه لقُطِعَ منِّي هذا البُلْعُوم»[٥].

---

(١) وسمَّاه أبو هريرة رضي الله عنه بصاحب سر رسول الله ﷺ، أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، رقم: (٣٨١١-بشار)، وأخرج مسلم في صحيحه عن حذيفة رضي الله عنه: «أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة»، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، رقم: (٢٨٩١-عبد الباقي).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب) و(د): من، وضعَّفها في (د)، وما أثبتناه صحَّحه بطرته.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة؟ رقم: (٧٠٨٤-طوق).

(٤) قوله: «في الجواب» سقط من (ص)، وفي (ك): السرائر في الجواب.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب العلم، باب حفظ العلم، رقم: (١٢٠-طوق).

[شكوى ابنِ العربي من أهل بلده]:

وكم عندنا من العلوم، وماذا جمعنا من الفوائد، ولم نَجِدْ لها في هذه الأقطار مَحَلًّا، ولا رأينا لها أهلًا، فخَزَنَّاها فيما بيننا وبين ربنا، وادَّخرناها ذخيرة لمُوازنة ذَنْبِنَا.

ومن أعظم السِّرِّ السِّرُّ الذي بين العبد وبين الربِّ، وذلك فِعْلُ طاعة لا يعلمها إلَّا هو، وسِرٌّ معصية لم يطَّلع عليها غيره.

فأمَّا سِرُّ الطاعة فخَزْنُه أفضل، وإفشاؤه جائز إذا أُمنت منه الغوائل، وقد تقدَّم بيانه.

وأمَّا سِرُّ المعصية فإفشاؤه معصية أخرى، ولا يزال العبدُ في رجاء من المغفرة ما لم يُحَدِّثْ بمعصيته، فإذا حدَّث بها كان الرجاء أضعف، وقد تقدَّم حديث ابن عمر في مناجاة الرب للعبد المذنب، وقوله: «أنا سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم»[١].

وأمَّا إذا تاب الرجلُ من الذنب[٢] الذي لم يطَّلع عليه غيره؛ فقد بيَّنَّا أنَّ/ الأفضل كَتْمُه، وإفشاؤه جائز إذا صحَّت فيه نية التوبة.

٢ [٥٨/أ]

موعظة: [في متعلَّقات الوفاء وثوابه]

في هذا الباب تنبيه على فُصُولٍ من متعلقات الوفاء وثوابه في باب الاعتقاد والعمل:

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) في (ك): الذنوب، وضرب عليها في (ك).

الأوَّل: أنَّ من أوفى[1] بعَهْدِ الله إذا عاهد عليه أو عَهِدَ به إليه في دار المحنة بالخِدْمَةِ جُوزِيَ في بساط النعمة بدار الكرامة بالرضى والرؤية[2].

الثاني: من أوفى بعَهْدِ الله في مجانبة الضلال رُفِعَ عنه الإِصَرُ[3] والأغلال.

الثالث: من أوفى بعهده في حِفْظِ السِّرِّ ضُوعِفَ أجرُه من البِرِّ[4]، وبيانُه أنه لا تتطرَّق إليه خيانة، ولا تجري عليه مهانة.

الرَّابع[5]: من أوفى[6] بعَهْدِ الله فلم يُؤْثِرْ عليه غَيْرَه لم يمنعه خَيْرَه[7]، فإن نَظَرَ إلى سواه وَكَلَه إليه.

الخامس: من أوفى[8] بعهد الله في عِرْفَانِه وَفَى له بإحسانه[9].

السَّادس: من أوفى[10] له بملازمة الحسنات جازاه بغُفران السيئات.

السَّابع: من أوفى بعهده معه في شرائه ومعاملته وَفَى له بمواصلته في دار كرامته.

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب) و(د): الوفاء، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.
(٢) ينظر: لطائف الإشارات: (١/٨٤).
(٣) في (ب): الإصرار.
(٤) لطائف الإشارات: (١/٨٤).
(٥) قوله: «من أوفى بعهده في حِفْظِ السِّرِّ ضُوعِفَ أجرُه من البِرِّ، وبيانه أنه لا تتطرَّق إليه خيانة، ولا تجري عليه مهانة. الرَّابع» سقط من (ص).
(٦) في (ص): وفى.
(٧) لطائف الإشارات: (١/٨٤).
(٨) في (ص): وفى.
(٩) لطائف الإشارات: (١/٨٤).
(١٠) في (ص): وفى.

الثَّامن: من أوفى[١] لله بالتبرِّي من الحَوْلِ والقوَّة وسلَّم الأَمْرَ كله له وَفَى له بالعصمة[٢]، وبلَّغه آماله[٣].

التَّاسع: من أوفى[٤] لله بالتنصُّل أعطاه الله ما شاء من التفضُّل[٥].

العاشر: من كان لله وفيًّا بالمحبة جازاه الله بالقُرْبَةِ[٦].

الحادي عشر: من قام بحق الوفاء كان من أهل الاصطفاء.

الثاني عشر: من وفَّى لله بترك الشهوات وفَّى الله له بإكمال العِدَات[٧].

الثالث عشر: لا تقولوا لغيري: «ربي»، أقول لكل من فعل ذلك منكم: «عبدي»، ولا أجعل لأحد عليه سلطانًا بعدي[٨].

قال الله سبحانه: ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [فاطر:٤١]، ولا قَبْلَ له ولا بعد، ولكن حقيقته إن أمسكهما أَحَدٌ غيره، ولمَّا كان القَبْلُ للشيء والبَعْدُ غَيْرَيْنِ له عبَّر به عنهما أو عن أحدهما.

---

(١) في (ك) و(ص): وفى.

(٢) لطائف الإشارات: (١/٨٤).

(٣) في (ك) و(ص): أمله.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): وفى.

(٥) لطائف الإشارات: (١/٨٤).

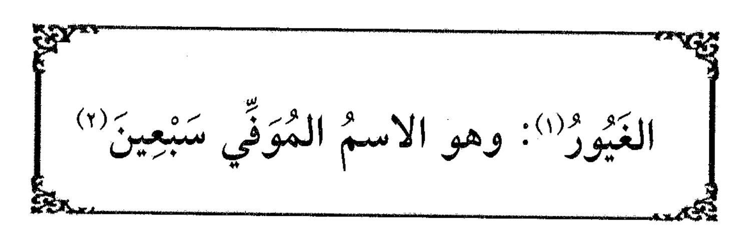
(٦) لطائف الإشارات: (١/٨٤).

(٧) لطائف الإشارات: (١/٨٥).

(٨) لطائف الإشارات: (١/٨٥).

وقـــال تعـــالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء:٦٥]، وهـذا إنَّمـا يكـون عـن تَمَكُّنِ الغيـرة مـن القلـب، فـلا يرضى أن يشارك مع الله في سلطانه سواه، وبه يُقال له: «الغَيُورُ».

* * * * *



الغَيُورُ(١): وهو الاسمُ المُوَفِّي سَبْعِينَ(٢)

٢

قال النبيُّ ﷺ لأصحابه: «أتعجبون من/ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟ لَأَنا أغيرُ منه، [٥٨/ب] والله أغير منِّي»(٣).

وقال صلى الله عليه: «لا أَحَدَ أغير من الله»(٤).

ومن غَيْرَتِهِ حرَّم الفواحش؛ ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ.

والغَيْرَةُ في لسان العرب: تَغَيُّرُ النفس عند سماع ما يكره عن العِرْضِ والمال أو رؤيتِهِ.

وظاهره سماع ما يكره في العِرْضِ، وإذا تغيَّرتْ نفسه عند السماع أو الرؤية دَفَعَ عن نفسه، كما قال سعد: «لو وجدتُ مع امرأتي رجلًا لضربته بالسيف غير مُصْفَحٍ(٥) به»(٦).

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): الثامن والستون، وفي (ص): السَّادس والستون، وفي (ب): الخامس والستون.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن المغيرة رضي الله عنه: كتاب الحدود، باب من رأى مع امرأته رجلًا فقتله، رقم: (٦٨٤٦-طوق).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه: كتاب التفسير، ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾، رقم: (٤٦٣٤-طوق).

(٥) في (د) و(ب): مفصح.

(٦) هو حديث المغيرة السَّابق.

فأُضيفت الغَيْرَةُ إلى الله حين منع الفواحش بقوله في تحريمها، وبحدوده التي وَضَعَ في الزجر عنها، وبنِقْمَتِه من فاعلها، أو بعذابه له، وهي من الخصال الكريمة.

يُروى أنَّ النبي ﷺ قال لعمر: «دخلتُ الجنة فإذا جارية توضَّأُ على باب قَصْرٍ، قلتُ: لمن هذا؟ قالت: لعمر بن الخطاب، فأردتُ أن أدخله فذكرتُ غَيْرَتَك، فبكى عمر، وقال: وعليك أغار يا رسول الله»[١].

وإذا كانت الغيرة متمكنة فيك أيها العبد ذَبًّا عن[٢] حريمك؛ فالغيرةُ في الذَّبِّ على[٣] حُرمات الله أوكدُ عليك وأولى بك.

وقد رُوي أنَّ رجلًا جاء إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله، إن امرأتي لا ترد يد لامس، قال له: طَلِّقْها، قال: إني أحبها، قال: فاستمتع بها»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، رقم: (٣٦٧٩-طوق).

(٢) في (د): على.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): عن.

(٤) أخرجه أبو داود في السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما: كتاب النكاح، باب في تزويج الأبكار، رقم: (٢٠٤٩-شعيب)، والنسائي في السنن الكبرى: كتاب الطلاق، الخُلع، رقم: (٥٦٣٠-شعيب)، ورجَّح إرساله، وقال فيه الإمام أحمد: «هذا الحديث لا يثبت، وليس له أصل»، وهناك من صحَّحه من الأئمة؛ منهم الحافظ المنذري، ينظر: البدر المنير: (٨/١٧٩-١٨٠)، ونقل الإمام ابن يوسف المقدسي تضعيف ابن العربي لهذا الحديث؛ مُقِرًّا له ومُحْتَجًّا به، أقاويل الثقات: (ص١٨٩).

وتأوَّله قَوْمٌ، والحديثُ ضعيفٌ لا أصل له، فلا تشتغلوا به، وقد تكلَّمنا على وُجُوهِهِ في موضعه من كتاب «الأمد»[١] وغيره.

وقد قال النبي ﷺ: «إنَّ الله يغار، والمؤمن يغار»[٢].

وأشدُّ ما تكون الغَيْرَةُ في المشاركة في المحبوب، والباري يحب الطاعة ويكره المعصية[٣]، ويحب منها التوبة والطهارة، ويحب التقوى، فلا ينبغي أن يشارك معه في ذلك سواه، ولتُجْعَلْ له خالصةً كما بيَّنَّاه في اسم «المخلص».

ومن أفضل وجوه الغيرة ألَّا تنتهك لغيرك حُرمة، كما تكره ذلك لنفسك، جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال له: «إني أُحب الزنا، فقال[٤] له[٥]: أتحب أن يُزنى بأمك أو بأختك أو بنتك[٦]؟ قال: لا، قال: فلا تفعل ذلك بغيرك»[٧]، وهو حَدِيثٌ حَسَنُ السَّنَدِ، حَسَنُ المَعْنَى، وذلك من صفات «الكريم».

---

(١) الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/٢٢٢-٢٢٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب التوبة، باب غيرة الله تعالى، رقم: (٢٧٦١-عبد الباقي).

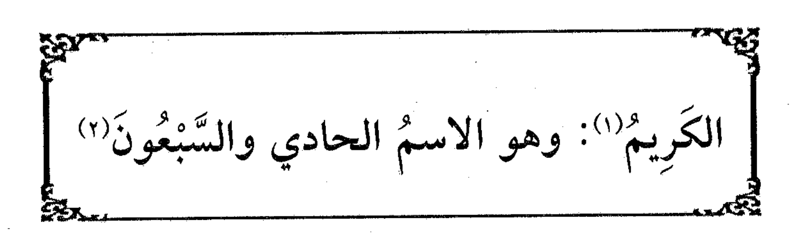
(٣) قوله: «ويكره المعصية» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): قال.

(٥) سقط من (ك).

(٦) في (ب): ببنتك.

(٧) أخرجه الإمام أحمد في المسند من حديث أبي أمامة ﷺ: (٣٦/٥٤٥)، رقم: (٢٢٢١١-شعيب).



الكَرِيمُ[١]: وهو الاسمُ الحادي والسَّبْعُونَ[٢]

وهو من الأسماء الشريفة، والخصال الكريمة، الجامعة لخصال الخير والشرف؛ دِينًا ودُنْيَا، العامة فيها[٣]، المتناولة من كل وجه بها[٤]، وقد بسطنا القَوْلَ فيه في «الأمد الأقصى»[٥]؛ في وصف الباري بالكريم سبحانه، فأمَّا الذي يختصُّ بالعبد من ذلك/ فنأخذُ فيه هاهنا إن شاء الله.

٢ [٥٩/أ]

ويجب أن تعلموا - علَّمكم الله واستعملكم - أنَّ أهل العربية متفقون على أن الكَرَمَ كما قُلْنَا: عبارة عن خصال الخير.

تقول العرب: كَرُمَ فلان؛ إذا كان كريمًا، أي: جامعًا لها.

وقد يُعبَّر به عمَّن كان فيه بعضها.

كما تقول العرب[٦] للرجل الكثير الخَيْرِ عند الناس: كريم.

وقد يكون الذي يتَّصل خيره.

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٢) في (ك): التَّاسع والستون، وفي (ص): السَّابع والستون، وفي (ب): السَّادس والستون.

(٣) في (ك) و(ب): فيهما.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): لها.

(٥) الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٤٥١/١-٤٦٧).

(٦) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

[أوصافُ شجرة الكرْم]:

وقد يكون الذي يَسْهُلُ جانبُه ولا يخشن، ويَقْرُبُ تَنَاوُلُ ما عنده ولا يبعد، ومن ذلك سُمِّيَتْ شجرةُ الكَرْمِ كَرْمَةً؛ لأنها جمعت أوصافًا سبعة كلها ممدوحة[1]:

الأوَّل: لُطْفُ شجرتها.

الثاني: طِيبُ ثمرتها.

الثالث: عدم مضرتها؛ إذ لا شوك فيها.

الرابع: قُرْبُ تناول جناها؛ فإنه قريب من اليد.

الخامس: أنه سَهْلُ القطاف.

السَّادس: أنه يؤكل أَخْضَرَ ويابسًا.

السَّابع: أنه يُتَغَذَّى به طعامًا وشرابًا.

ألا ترى أنَّ النخلة وإن كانت كريمة فإنها بعيدة المتناول، لها شَوْكٌ، وفي قَطْعِها عُسْرٌ؛ لجفاء العِثْكَال.

[من معاني الكريم]:

ولهذا المعنى تَفَطَّنَتْ مَلِكَةُ[2] سَبَأ حين قالت: ﴿إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل:٢٩].

---

(١) ينظر: الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (١/٤٥٢)، وأَصْلُه في شرح الأسماء لأبي القاسم القشيري: (ص١٦٣)، والمقصد الأسنى لأبي حامد: (ص١٠٥).

(٢) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

فقيل: لكَرَمِ صاحبه[١].

وقيل: لخَتْمِه[٢].

وقيل: لأن الطير حملته، وما حملت قط كتابَ أَحَدٍ، فعلمت أن لصاحبه قَدْرًا عظيمًا[٣].

وقيل: لحُسْنِ خَطِّه.

وقيل: لفصاحته وبيانه؛ فإنه مختصر اللفظ، فصيح المعنى، مصيب الغرض[٤].

وكذلك تقول العرب للحِصَانِ الذي تُحْمَدُ أخلاقه: طِرْفٌ كريم.

وقد تُعَبِّرُ بالكريم عمَّن انتفت عنه المكاره والدناءات، ولا شك[٥] أنه لا يشرف [الإنسانُ][٦] إلَّا بنفي الدناءات وبما فيه من المكرمات، وهذا بهذا، لأنهما متلازمان[٧].

وقد تقول العرب: فلان كريم، بمعنى مُكْرِم، وذلك من خصال الشرف وكمال السُّؤْدَدِ أن يُكرم سواه.

---

(١) تفسير الطبري: (٤٨/١٨-التركي)، والكشف والبيان: (٢٠٦/٧).

(٢) تفسير الطبري: (٤٨/١٨-التركي)، ولطائف الإشارات: (٣٥/٣).

(٣) لطائف الإشارات: (٣٥/٣).

(٤) الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٤٥٣/١).

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): إلا، وضرب عليها في (د).

(٦) صورة الكلمة في (د): الانـــا، وتحتمل: الإناء، والله أعلم، وسقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٧) في لطائف الإشارات (٣٥/٣): «الكَرَمُ نَفْيُ الدناءة».

وقال النبي ﷺ: «لا تقولوا للعنب الكَرْم[١]، إنَّما الكَرْم[٢] الرجل المؤمن»[٣]، وفي رواية: «قلب المؤمن»[٤]، صَحِيحٌ صَحِيحٌ[٥].

[خِصَالُ الكريم]:

ثم رأيتُ جماعة من الصوفية قد رَكَّبُوا على القول بأنَّ الكريم: الشريف القَدْرِ، الحسن الذات والصفات، في نَحْوٍ من عشرين عبارة[٦]:

منها: أنَّ الكريم هو الذي يُعْطِي على ألَّا يُعَاوَض، أو[٧] يعطي بغير سبب، أو الذي لا يحتاج معه إلى وسيلة.

رُوي أن حاتمًا الطائيَّ جاء إليه رجل فقال له: «اعتَفَيْتُكَ، فقال له: من أنت؟ فقال: أنا الذي أحسنتَ إليه في العام الماضي، قال:/ مرحبًا بمن تشفَّع إلينا بنا»[٨]. ٢ [٥٩/ب]

---

(١) في (ك): الكريم.

(٢) في (ك): الكريم.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب كراهة تسمية العنب كَرْمًا، رقم: (٢٢٤٧-عبد الباقي).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب كراهة تسمية العنب كَرْمًا، رقم: (٢٢٤٧-عبد الباقي).

(٥) سقط هذا الحديث من (ص).

(٦) تنظر هذه الوجوه أيضًا في: الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٤٥٣/١-٤٥٦)، وأصل بعضها في شرح الأسماء لأبي القاسم القُشَيري: (ص١٦٢-١٦٣).

(٧) في (ك): و.

(٨) أحكام القرآن: (١٢٥١/٣).

ومنها: أنَّ الكريم الذي لا يقتصر بعطائه على مستحقه، لا كما قال الطائي:

إنَّ الصنيعة لا تكون صنيعةً حتى يُصاب بها طريق المَصْنَعِ[(١)]

بل كما قال الآخَر: «أَمْطِرِ المعروف مطرًا، فإن لم تصادف أهله كنت أنت[(٢)] من أهله»[(٣)].

ومنها: أن يرى كلَّ من قَبِلَ منه ما أعطاه مُسْتَحِقًّا شكره عليه، حيث جعله أهلًا لأن يُعْطِيَه.

ومنها: ألَّا يعطي ما يحتاج لمن يحتاج، بل يعطي مع الاستغناء عن عطائه، وهي حقيقة الهَدِيَّةِ.

ومنها: ألَّا يقطع عطاءه عمن ذمَّه، أو لا يمتنع[(٤)] من ابتداء عَطِيَّتِه بسبب مَذَمَّتِه له وكراهيته.

ومنها: أن يُعطي قبل أن يُسأل، قال الشَّاعر:

رأى خَلَّتِي من حيث يخفى مكانها فكانت قَذَى عينيه حتى تَجَلَّتِ[(٥)]

---

(١) نَسَبَهُ في أدب الدنيا والدين (ص٢٠٦) إلى حسَّان ﷺ، وهو في زيادات ديوانه: (١/٤٩٣-عرفات).

(٢) سقط من (ك).

(٣) الإحياء: (ص١١٥٤).

(٤) في (د): يمنع.

(٥) من الطويل، وهو من جملة أبيات كما في الأغاني: (١٤/٢٢٠)، والحماسة البصرية: (١/١٣٥)، والكامل: (١/١٧٣)، والخزانة: (٢/٢٦٥)، منسوبًا لعبد الله بن الزبير الأسدي، وفي أمالي القالي: (١/٩٠)، غير منسوب، ونُسِبَ إلى غيره.

ومنها: أن يُعطي لمن لم يُصَرِّحْ بسؤاله، كما قال الشَّاعر في الكافر:

أَأَذْكُـرُ حـاجتي أم قـد كفـاني ... حيائي منك إنَّ شيمتك الحياءُ[١]

إذا أثنـى عليـك المـرءُ يومًـا ... كفـاه مـن تعرضـه الثنـاءُ[٢]

ومنها: أنَّ الكريم هو الذي إذا قَدَرَ عفا.

ومنها: أن الكريم هو الذي إذا وَعَدَ وفى.

ومنها: أنه الذي لا يُضَيِّعُ من قَصَدَه.

ومنها: أنه الذي لا ينتقم.

ومنها: أنه الذي لا يُعَاتِبُ على الذنب بل يَغْفِرُه غَفْرًا.

وهذه المعاني تكثر، ولو تَتَبَّعَ المَرْءُ خصال الجُودِ لجاءت منها بِحَارٌ من القول.

[تكريمُ بني آدم[٣]]:

ويا أيها المريد؛ ولم لا تكون كريمًا؟ وقد كرَّمك الله سبحانه جِنْسًا؛ بأن خَلَقَكَ آدَمِيًّا، حَيًّا، عالمًا، قادرًا، مُتَكَلِّمًا، سَمِيعًا، بَصِيرًا، مُرِيدًا[٤]، وأكرمك بأن سَخَّرَ لك البَرَّ والبحر، وسَخَّرَ لك المَحَالَّ التي تتصرَّف عليها فيه؛ من الفُلْكِ والأنعام.

---

(١) في (ص): حيائي إن شيمتك الحياء، وفي (ك) و(ب): حياؤك إن شيمتك الحياء.

(٢) من الوافر، وهما من قصيدة لأُمَيَّة بن الصلت يمدح عبد الله بن جُدعان، وهي في ديوانه: (ص١٧-١٨).

(٣) ينظر: الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (١/٤٦٣-٤٦٤)، وبعضه في الكشف والبيان: (٦/١١٤-١١٥).

(٤) في (ك) و(ص): مُدَبِّرًا.

ومنها: أن جَعَلَكَ قائمًا لا تَنْكَبُّ، فكُنْ قائمًا بالحق غير مُكِبٍّ.

ومنها: أن جَعَلَ تصرفك بيديك، حتى يصل إلى فمك[١] غذاؤك كما يحبه قَلْبُك، وسائر الأَكَلَةِ يحاولونه بأفواههم.

ومنها: أنه بَدَأَكَ بالنعمة قَبْلَ أن أَمَرَكَ بالخِدْمَةِ.

وقالت طائفة من العلماء: «إن قوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء:٧٠]: عَامٌّ في لفظه، خاصٌّ في معناه، ألا ترى إلى قوله تعالى في صفة الكفار: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج:١٨]، / وإنَّما أهانه بأنه امتنع من السجود له، ولم يخلق له القدرة عليه، فالكرامة في الطاعة، وغايتُها في تَتْرِيبِ الوجه ووَضْعِه - وهو أرفع عُضْوٍ - على أهون موجود؛ وهو التُّراب»[٢].

٢ [٦٠/أ]

ولهذا قال النبيُّ ﷺ لمولاه أَفْلَحَ: «تَرِّبْ وجهك يا أفلح»[٣]، وانصرف هو ﷺ من الصلاة وفي وجهه الكَرِيمِ الطِّينُ[٤]، سِيمَاءٌ من السجود كريمة، على غُرَّةٍ كريمة.

فإن قيل: فإن كان أراد بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ الخصوص - وهم المؤمنون - فلم أَطْلَقَ القول[٥]؟

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): فيك.

(٢) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٣٦١)، ومنه أفاد في: الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (١/٤٦٤).

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) تقدَّم تخريجه.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): اللفظ، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

قلنا: عنه ثلاثة أجوبة[١]:

الأوَّل: ما قدَّمنا من أنه عامٌّ، فما من أحد من بني آدم إلَّا وهو تحت نعمة الله وكرامتِه في الظاهر وتَعْظِيمِه، وقد يكون حقيقةً إذا كان معه الإيمان، وقد يكون استدراجًا إذا عَرِيَ عن الإيمان.

الجواب الثاني: أنه لا يُستنكَر أن يكون اللفظ عامًّا والقصد خاصًّا، وذلك في القرآن والسنة والعربية كَثِيرٌ.

الثالث: أنَّ الله أَطْلَقَ القَوْلَ بالكرامة على صفة الآدَمِيَّةِ حتى يكون الكَرَمُ ابتداءً منه لا يُقابِله عِوَضٌ.

[وُجُوهُ كرامة الله لعباده]:

قال الإمام الحافظ[٢] رضي الله عنه: وكذلك هو حقيقةً، فإنَّ خيرًا يسيرًا من كرامة الله ونِعْمَتِهِ لا يقابله شُكْرُ الدنيا، وكَرَامَةُ الله للعبد من وجوه[٣]:

أحدها: أَنْ خَلَقَ له معرفتَه.

الثاني: أن يسَّر له عبادتَه.

الثالث: أَنْ مَنَحَه مناجاته، فيُقَالُ: مع من هو فلان؟ فيقال: يناجي الله؛ إذا كان يصلي، وأيُّ كرامة تُماثل هذه الكرامة؟

---

(١) ينظر: الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (١/٤٦٤-٤٦٥).

(٢) في (ب): قال الإمام ابن العربي، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.

(٣) تنظر بعض هذه الوجوه في: لطائف الإشارات: (٢/٣٦٠-٣٦١)، وبعضها في الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (١/٤٦٥).

الرابع: أنه إن نَقَضَ التوبة لم يُمْنَعْ[١] من قَبُولِها بعد النقض إذا أعادها.

الخامس: أنه يغفر عَشَرَةً من الذنوب بطاعة واحدة.

السَّادس - أعظمها -: أنه يفرح بتوبته؛ فالله أفرح بتوبة العبد من رجل طلب[٢] ناقته في دَوِيَّة مهلكة، فلمَّا يئس منها وأيقن بالهَلَكَةِ ونام في أصل شجرة استيقظ فوجدها[٣].

السَّابع: أنه إنْ ذَكَرُوهُ ذَكَرَهُمْ، وإن استغفروه غَفَرَ لهم، وإن سألوه أعطاهم، وإن استقربوه وجدوه «قريبًا»، وإن دعوه أَلْفَوْهُ «مجيبًا»، وإن اضطروا إليه[٤] أَلْفَوْهُ «مختارًا»، لما يوافقهم «وهَّابًا»، وهو: **الثامن**، **والتاسع**، **والعاشر**، **والحادي عشر**.

الثاني عشر: أنَّهم قيل لهم: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٦]، ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [البينة:٨]، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، وهو: **الثالث عشر**، **والرابع عشر**.

[٦٠/ب]

الخامس عشر:/ «أنه يرفع الحجاب بينه وبينهم - وهو رِدَاءُ الكبرياء على وجهه - في جنة عَدْنٍ فيرونه»[٥]، ولا منزلة فوقها، ولا مطلب بعدها.

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): يمتنع.

(٢) في (ص): ضلّت.

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) في (ك) و(د): إليها.

(٥) تقدَّم تخريجه.

وإذا تحقَّقتم أن الكريم من جَمَعَ خصال الخير؛ فحَصِّلُوها اعتقادًا وقَوْلًا وعَمَلًا؛ تَتَحَقَّقُ لكم الصفة، ويَعْرِفُها فيكم أَهْلُ المعرفة.

[آثارٌ في الجُودِ بالمال]:

ومن أوصاف المُرِيدِ الكريمة التي بها يكون كريمًا في أفعاله أَلَّا يَعْتَدَّ بماله، بل أَلَّا يدَّخره عن أصحابه، إذ لا يَتِمُّ الكَرَمُ في الذات إلَّا بأن يَتْبَعَهُ الكَرَمُ في الفعل.

وأَوَّلُه: المواساة؛

وثانيه: الإيثار بالمال؛

وثالثه: الإيثار بالأهل؛

ورابعه: الإيثار بالنفس.

فأمَّا المواساة فهي معلومة وكثيرة في الخلق؛ قديمًا وحديثًا، على اختلاف مراتبهم، وتباين أزمنتهم، وذلك ينشأ من المعرفة بالله وبالدنيا وبمكارم الأخلاق؛ فتَسْخُو النفس بما تعلم أن لا قَدْرَ له، وأَنَّ قَدْرَه حقير.

ولم يكن في هذه المرتبة العالية أَحَدٌ إلَّا رسول الله، كان أجود الناس، «وكان أجود ما يكون في شهر رمضان إذا لَقِيَهُ جبريل، فلَرَسُولُ الله حينئذ أجود بالخير من الريح المرسلة»[١].

وسأله رجل فأعطاه غَنَمًا بين جبلين، فأدرك قومه وقد أسلم، وقال: «أسلموا، فإني رأيت مُحَمَّدًا يعطي عطاء من لا يخاف الفقر»[٢].

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس ﷺ: كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال: لا، وكثرة عطائه، رقم: (٢٣١٢-عبد الباقي).

وقال ﷺ: «لا تجدوني بَخِيلًا، ولا جَبَانًا، ولا كَذَّابًا»[١].

وكان لا يَرُدُّ أحدًا سأله شيئًا، وما سُئِلَ شيئًا[٢] قطُّ فقال: لا[٣].

وقال صفوان: «أعطاني رسول الله وإنَّه لأبغض الناس إليَّ، فما زال يُعطيني حتى إنَّه لأحبُّ الناس إليَّ»[٤].

وجاءه أبو بكر بماله كله[٥]، وعمر وعبد الرحمن بن عوف بنصف مالهما[٦].

ووَاسَتِ الأنصارُ المهاجرين بأموالهم، فلمَّا فتح الله الفُتُوحَ رُدَّ إلى كل أَحَدٍ مالُه، وفيه روايات.

وأمَّا الإيثارُ فقد آثَرَهُ أبو بكر بجميع ماله وبنفسه؛ خرجت حَيَّةٌ من جُحْرٍ[٧] في الغار فسَدَّ أبو بكر عنه[٨] الغار برِجْلِه، فنهشته فرقاه رسول الله[٩].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن جُبَير بن مُطْعِم رضي الله عنه: كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، رقم: (٣١٤٨-طوق).

(٢) في (د): شيء.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه: كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال: لا، وكثرة عطائه، رقم: (٢٣١١-عبد الباقي).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن صفوان رضي الله عنه: كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال: لا، وكثرة عطائه، رقم: (٢٣١٣-عبد الباقي).

(٥) تقدَّم تخريجه.

(٦) تقدَّم تخريجه.

(٧) في (ك): حجر.

(٨) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٩) ينظر: سيرة ابن هشام: (١٢٧/٢).

وآثَرَهُ عَلِيٌّ بنفسه؛ تَسَجَّى ببُرْدِهِ[١] الحَضْرَمِيِّ ونام على فراشه[٢]، وخرج رسول الله فارًّا بنفسه، مهاجرًا إلى ربه.

ووَقَاهُ طَلْحَةُ بيده فضُرِبَ فيها[٣] فشَلَّتْ[٤].

ونزل سَعْدُ بن الربيع لعبد الرحمن بن عوف عن شَطْرِ ماله وإحدى زوجتيه فلم يَقْبَلْ[٥].

وقد كان المواساةُ والإيثارُ في الجاهلية من أكرم الخصال، وقِصَّةُ كعب بن مَامَةَ في إيثاره لأخيه النَّمَرِي بالماء حتَّى مات عَطَشًا/ مشهورة[٦]. [/أ]

ولإيثار الأنصار مَدَحَهُم الله في كتابه وأثنى عليهم، فإنَّ صِلاتهم تكاثرت، ومواساتهم تظاهرت، وإيثارهم توالى، حتَّى رُوي - واللفظ للبخاري -: «أنَّ رجلًا جاء النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، أصابني الجَهْدُ، فبعث إلى نسائه، فقلن: ما معنا إلَّا الماء، قال رسول الله: من يُضِيفُ هذا الليلة يرحمه الله؟ فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق إلى امرأته فقال: أَكْرِمِي ضَيْفَ رسول الله؛ لا تدَّخريه شيئًا، فقالت: ما عندنا إلَّا قُوتُ الصِّبْيَانِ، فقال: هَيِّئِي طعامك، وأَصْبِحِي[٧] سِرَاجَك، ونَوِّمِي صبيانك إذا

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): برده.

(٢) سيرة ابن هشام: (٢/١٢٤).

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): فيه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر طلحة بن عُبَيد الله، رقم: (٣٧٢٤-طوق).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) الأمثال لأبي عُبَيد: (ص٢٤٢-٢٤٣).

(٧) في (ك): أصلحي.

أرادوا عَشَاءً، ونَطْوِي بطوننا الليلة، فهيَّأت طعامها، وأصبحت[1] سِرَاجَها، ونَوَّمَتْ صبيانها، ثم قامت كأنَّها تُصْلِحُ سراجها فأطفأته، فجعلا يُرِيَانِه أنهما يأكلان، فباتا طَاوِيَيْنِ، فلمَّا أصبح غَدَا إلى النبي ﷺ فقال: ضحك الله الليلة - أو عجب - من فعالكما، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ إلى ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩]»[2].

وكان قَيْسُ بن سعد الأنصاري من الكرام[3].

وطلحة بن عبد الله بن خَلَف الخُزاعي المعروف بطَلْحة الطَّلَحات، كان يبتاع الرقاب ويعتقها، فإذا وُلِدَ لأحد منهم وَلَدٌ سُمِّيَ بطلحة[4]، وفيه يقول الشَّاعر:

رَحِمَ الله أَعْظُمًا دفنوها … بسجِسْتان طلحة الطَّلَحَاتِ[5]

وكانت عائشةُ من الأجواد، رُوِيَ: «أنها[6] جاءتها أربعون ألف درهم، فما برحت من مكانها حتى فرَّقت جميعها، وحان[7] الفِطْرُ فقالت

---

(١) في (ك): أصلحت.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله: كتاب التفسير، ﴿ويوثرون على أنفسهم﴾، رقم: (٤٨٨٩-طوق).

(٣) ينظر: سراج الملوك: (٣٦٥/١).

(٤) سراج الملوك: (٣٦٦/١).

(٥) من الخفيف، وهو من قصيدة لعبد الله بن قيس الرُّقَيَّات يرثي طلحة الطلحات، ديوانه: (ص٢٠)، وهي أيضاً في سراج الملوك: (٣٦٦/١).

(٦) في (ك) و(ص): أنه.

(٧) في (ك) و(ص) و(ب): كان.

لخادمها: جيئي[١] بفَطوري: قالت: لا فطور لك، وهلَّا أخذت ممَّا كان بين يَدَيْكِ فَطُورًا؟ قالت لها: لو ذكَّرْتِنِي لفعلت[٢]»[٣].

ورَوى مالك في «الموطأ»: «أنَّ مسكينًا سأل عائشة وهي صائمة، وليس في بيتها إلَّا رَغِيفٌ، فقالت لمولاة لها: أعطه إيَّاه، فقالت: ليس لك ما تُفطرين عليه، فقالت: أعطه إيَّاه، ففعلت، فلمَّا أمسى[٤] أهدى لنا أهلُ بَيْتٍ شَاةً وكَفَنَها[٥]، فقالت عائشة رضي الله عنها: هذا خير من قُرْصِك»[٦].

[مُواسَاةُ ابن العربي لصاحبه أبي المعالي]:

قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله رضي الله عنه[٧]: كُنْتُ مع أبي بمدينة السَّلَامِ؛ فخَرَجَتْ عَنَّا النَّفَقَةُ في بعض الأيَّام، فقال لي: خُذْ هذه الثلاثة الأرباع الدينار، ادفعها إلى الخبَّاز، وأَجْرِ[٨] الصَّرْفَ منها، حتى يأتينا من رِزْقِ الله ما وَعَدَنَاهُ، إذ التجارة عندهم بالخبز، فخرجتُ بها؛

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): جئني.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): فعلت.

(٣) الإحياء: (ص١١٥٣).

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): أمسينا، وأشار إليها في (د).

(٥) أي: ما يغطيها من الرغفان، تاج العروس: (٣٦/٥٧).

(٦) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: كتاب الجامع، الترغيب في الصدقة، (٢/٣٥٦)، رقم: (٢٨٠٢-المجلس العلمي الأعلى).

(٧) لم ترد في (ك) و(د) و(ب).

(٨) في (ب): أخر.

٢
[٦١/ب] فلقيني في الطريق من أخبرني أنَّ/ صاحبَنا أبا المعالي المَيَّافَارِقِي وَجِعٌ[(١)]، فقلتُ: أَعُودُه في طريقي، فدَخَلْتُ عليه فأَلْفَيْتُه مُضْطَجِعًا على نِطْعٍ، تحت رأسه حَجَرٌ، وهو في نِهَايَةٍ من الضعف، وثِيَابُه التي يختلف[(٢)] بها إلى المجلس موضوعة في طَاقٍ، فسألتُه عن حالته، فكَشَفَ لي عَوْرَةً من الفَقْرِ والألم ما سمعتُ من أَحَدٍ بأعظم منها، فقلت: لا أَطْلُبُ أَثَرًا بعد عَيْنٍ، فخرجتُ إلى الطبيب؛ وأَعْلَمْتُه بحاله وضعفه، فذَكَرَ دواءً وغذاءً، وابتعتُ له فَرُّوجًا، وجئته بالدواء فاستعمله، ثم جئته بالفرُّوج وتَكَلَّفْتُه له، وتناول منه، ودَفَعْتُ إليه بَقِيَّةَ الذهب، وجئتُ إلى داري بغير شيء، وأَزْمَعْتُ على إعلام أبي بالحال، وقلت: عندنا كُتُبٌ[(٣)] وثِيَابٌ[(٤)]، وننتظر خَيْرًا، ورَأَيْتُ رَجُلًا لا ملجأ له، وتعيَّن عليَّ قَرْضُه، فلم يكن بُدٌّ من أدائه، فلمَّا جِئْتُ بابَ داري إذا عليه أبو القاسم بن أبي حامد بن عمر؛ فتًى من أبناء[(٥)] البلد، ومن أصحاب الخليفة، كان يقرأ معي، وكان مُخْلِصًا لي، فسَلَّمْتُ عليه ورَحَّبْتُ به، وقلت له: ما جاء بك وهذا افتراقُنا في المجلس؟ فقال: أردتُ تجديد العهد بك، فدخلنا وجلس في العَرْصِ[(٦)] معي؛ حيث كانت

---

(١) قبله في (د): أصابه، وضرب عليه.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): يتصرف، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

(٣) سقطت من (ص).

(٤) في (ب) و(ك): ثياب وكتب.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): ثُنَّاءِ.

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): العُرْضِي، ينظر في معنى العَرْصِ تاجَ العروس: (١٨/٢٨).

كُتُبِي ومجلسي، وكان أبي بكُتُبِه في الإيوان، وتحدَّثنا مَلِيًّا، ثم تذاكرنا مسائل، وتواعدنا للاجتماع عَشِيَّةً على ما جرى من العلم، ثم قام فشيَّعته إلى باب الدار، ثم عُدْتُ إلى موضعي، وخَلَعْتُ ثيابي لأمشي إلى أبي وأُعْلِمَه بما جرى، وجَمَعْتُ الكُتُبَ التي كنَّا فرَّقناها للنظر في الأحاديث التي تذاكرناها، فإذا بجُزْءٍ منها مضطرب الهيئة؛ ففَتَحْتُه، فإذا فيه[١] صُرَّةٌ مشدودة، فحللتها فإذا فيها ثلاثون دينارًا، فقبضتُ عليها وجئت أبي، فقال لي: أبطأتَ، ومضى النهار وفات النظر، فقلتُ: إنَّما أبطأتُ عليك لأنه كان يوم تجارة، قال لي: وكيف؟ قلتُ: أخذتُ الثلاثة الأرباع[٢] الدينار وتَجَرْتُ بها إلى الآن، فلمَّا خَلَصَتْ[٣] إليَّ ثلاثين دينارًا جِئْتُكَ بها، ورميتُ بالدنانير بين يديه، فلمَّا رآها خَجِلَ، قال: ما هذا من تجارة؟ قلت: إي والله منها، مِن عند[٤] غَنِيٍّ وَفِيٍّ، قال: بالله، قُلِ الأَمْرَ على وجهه،/ فبَقَرْتُ له الحديث؛ فعَجِبَ منه، وحَمِدَ الله عليه.

٢
[٦٢/أ]

فهذه كلها وجوه من الكَرَمِ؛ أوَّلها المواساة، وآخِرُها الإيثار، وأوَّلها إعطاء الحبة، وآخرها إعطاء المال، بل إعطاء النفس:

فالجودُ بالنفس أقصى غاية الجودِ[٥]

---

(١) سقط من (د).
(٢) في (ص): أرباع.
(٣) في (ص): حصلت.
(٤) في (ك) و(ص) و(ب): مع، ومرَّضها في (د)، والمُثبت من طرته.
(٥) عجز بيت، وهو للوليد بن مسلم، من البسيط، وهو في ديوانه: (ص١٦٤)، من قصيدة مطولة يمدح فيها داود بن يزيد، وصدره:
تجود بالنفس إذ أنت الضنين بها ....

وأمَّا أنا؛ فما أَعْطَيْتُ[١] تلك الثلاثة الأرباع الدينار لصاحبي من كَرَمٍ، إنَّما رَأَيْتُ رجلًا غريبًا، وَجِعًا فقيرًا تَالِفًا[٢]، فتَوَهَّمْتُ حالَه، وتَوَقَّعْتُ أن يكون مآلِي[٣] مآلَه، فبادرتُ بذلك الذي فَعَلْتُ شَفَقَةً لا تَكَرُّمًا[٤].

وأمَّا المعنى في تسميته بالجَوَادِ[٥]:

* * * * *

(١) في (د): أعطيته.

(٢) سقط من (د) و(ص).

(٣) سقط من (ص).

(٤) بعده في (د): انتهى الجُزْءُ، والحمد لله حقَّ حمده، والصلاة على محمد وأهله، يتلوه إن شاء الله: وأمَّا المعنى.

(٥) في (ب): الجود.

الجَوَادُ[١]: وهو الاسمُ الثاني والسَّبعون[٢]

فإنَّه من السَّيَلَانِ؛ يقال: جاد المطر يَجُودُ جودًا، وبه يقال: جاد الكريم.

وفي الأحاديث الحِسَانِ في وصف الله بأنه «جواد»[٣] لكثرة عطائه، وهو من صفات الفِعْلِ[٤].

قال الإمام الحافظ[٥] ﷺ: ولا تكمل صفات المؤمن وإيمانه إلَّا به، ولا ينتهي إلى درجة الصِّدْقِ[٦] إلَّا بالإيثار على النَّفْسِ بالنفس.

قال سفيان الثوري: «إذا كَمُلَ صِدْقُ الصادق لم يُخَلِّفْ ما في يَدَيْه»[٧].

---

(١) سقط من (ك) و(د) و(ص).

(٢) في (ك): المُوَفِّي سبعين، وفي (ب): السَّابع والستون، وفي (ص): الثَّامن والستون.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي ذر ﷺ: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٢٤٩٥-بشار)، ولَفْظُه فيه: «ذلك بأني جواد واجد ماجد»، وحسَّنه أبو عيسى.

(٤) ينظر: الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٣٩١/٢).

(٥) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): الصديق.

(٧) سراج الملوك: (٣٧٩/١).

[جُودُ أبي سهل الصعلوكي]:

وقال السُّلَمِي: «كان الأستاذ أبو سهل الصُّعْلُوكِي محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان[1] الحنفي[2] من الأجواد، وكان ابنه أبو الطيب سَهْلٌ جمع رياسة الدين والدنيا، وأخذ عنه فقهاء نيسابور، وكان أبو سهل لا يُنَاوِلُ أحدًا شيئًا، إنَّما يضعه على الأرض ويقول: الدنيا أقل من أن تُرى من أجلها يَدَيَّ على يَدَيْ[3] غيري»[4].

[جُودُ النُّورِي]:

ولمَّا سعى غُلَامُ خَلِيلٍ بالصوفية إلى الخليفة ورُفع إليه أنهم زناديق أَمَرَ بضرب أعناقهم، فأمَّا الجُنَيْدُ فاستعاذ بالفقه، وكان على مذهب أبي ثَوْرٍ، وأمَّا الشَّحَّام والرَّقَّام وأبو الحُسَين[5] النُورِي وغيرهم فقُبِضَ عليهم، وبُسط النِّطْعُ لضرب أعناقهم؛ فتقدَّم النُّورِي، فقال له السَّيَّافُ: «تدري لما تتقدَّم؟ قال: نعم، قال: وما يُعْجِلُكَ؟ قال: أُوثِرُ أصحابي بحياة ساعة، فتحيَّر السَّيَّافُ، وأنهى الخبر إلى الخليفة فردَّهم إلى القاضي ليتعرف حالهم، فألقى القاضي على أبي الحُسين النُّورِي مسائل فقهية، فأجاب عن الكل، ثم أخذ يقول: وبَعْدُ، فإنَّ لله عبادًا إذا قاموا قاموا بالله، وإذا تكلَّموا تكلَّمُوا/ بالله، وإذا فعلُوا فعلُوا لله، وسرد كلامًا بالغًا، حتى أبكى القاضي، ٢ [٦٢/ب]

---

(١) قوله: «ابن محمد بن سليمان» سقط من (د).

(٢) الحنفي نسبًا، نسبة إلى بني حنيفة.

(٣) في (ب): يد.

(٤) سراج الملوك: (١/٣٧٦).

(٥) في (ك) و(ص): الحسن.

وقال: إِنْ كان هؤلاء زنادقة فما على الأرض مُسْلِمٌ، وأرسل إلى الخليفة فأَمَرَ بالتخلِّي عنهم»[١].

[الإيثارُ من علامات المحبة]:

وقالت الصوفية: «الإيثارُ من علامات المحبة»[٢]، كما تقدَّم.

ألا ترى إلى امرأة العزيز لما تَنَاهَى حُبُّها في يوسف قالت: ﴿أَنَا رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ﴾[٣] [يوسف:٥١].

وقد ذَكَرَ بعضُ المفسرين خبرًا باطلًا: «في أنَّها لمَّا عَمِيَتْ وافتقرت لَقِيَتْ يوسف، فجرى بينهما[٤] كلام، وتزوَّجها في آخره»[٥].

ولا أصل لذلك، فلا تلتفتوا إليه.

[الجُودُ بالثواب]:

وأَعْظَمُ الكَرَمِ والجُودِ الكَرَمُ بالثواب، وبما يُعطي الله من المراتب والمنازل في دار المآب، وهذا فَصْلٌ لم أُسْبَقْ إلى بيانه، ولم أُزْحَمْ على ذِكْرِه.

وأَكْرَمُ الخَلْقِ[٦] محمد رسول الله؛ قال ﷺ: «لكل نبي دعوة، وإنِّي اختبأْتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة»[٧].

---

(١) سراج الملوك: (١/٣٦٩-٣٧١).

(٢) لطائف الإشارات: (٢/١٧٢).

(٣) لطائف الإشارات: (٢/١٨٩).

(٤) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٥) ينظر: سراج الملوك: (٢/٥١٢)، ولطائف الإشارات: (٢/١٨٤).

(٦) بعده في (ك) و(ص) و(ب): فيه، وضرب عليه في (د).

(٧) تقدَّم تخريجه.

فأخبر أنَّ كل نَبِيٍّ لمَّا أُعْطِيَ دَعْوَتَه عاد بها على ذاته، وسألها في منفعته، ومُحَمَّدٌ ﷺ جَادَ بها على أُمَّتِه، وبذلك كان أجود الخلق، وصار ذلك أصلًا في الإيثار بالثواب.

فأمَّا الدعاء فلا خلاف فيه، وكذلك ثواب المال في الصدقة.

وأمَّا ثوابُ الصلاة والصيام فلم يَقُلْ به مالك[١]، وقد ثبت عن النبي أنه قال: «من مات وعليه صَوْمٌ صام عنه وَلِيُّه»[٢]، ولم يَرِدْ في الصلاة أَثَرٌ، وكان[٣] الصيامُ قد[٤] دخله[٥] الفِدَاءُ بالمال[٦] فدخلته النِّيَابَةُ[٧].

وأمَّا الصلاة فلم أر فيها لا صحيحًا ولا سقيمًا أكثر من أن جواز الحج عن الغير باتفاق يقتضي أن يركع عنه ركعتي الطواف، فتكون هذه نيابة في الصلاة على طريق التَّبَعِ[٨] لأفعال الحج، فأمَّا ابتداءً فلا أعلمه مَرْوِيًّا ولا مَقُولًا.

---

(١) الموطأ: (١/٣٤٩-المجلس العلمي الأعلى).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كتاب الصوم، باب من مات وعليه صوم، رقم: (١٩٥٢-طوق).

(٣) في (ص): كأنَّ.

(٤) سقط من (ك) و(ب) و(ص).

(٥) في (ك): داخله.

(٦) قوله: «ولم يرد في الصلاة أَثَرٌ، وكان الصيامُ قد دخله الفداء بالمال» سقط من (ب).

(٧) ينظر: المسالك: (٤/٢٢١-٢٢٢).

(٨) في (ك): التبليغ.

[نكتة]:

وهاهنا نكتة؛ وهي أنَّ الذي ذكرناه هو فيما إذا نوى بالعمل الغير، فأمَّا إذا نوى العمل عن نفسه فلمَّا كَمُلَ وهب ثوابَه للغير؛ فلم أَرَ فيه نَصًّا عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه إلى الآن، ولكن حَفِظْتُ منه كثيرًا عن الزهَّاد.

لقد حجَّ بعضُهم سبعين حجة، فلمَّا كان في آخرها وظنَّ أنه لا يعود قال في الموقف: «ربِّ إن كنت قَبِلْتَها فقد تصدَّقتُ بها على المذنبين من أهل الموقف، فرأى الباري تعالى في المنام، فقال له تعالى[1]: علينا تَتَسَخَّى؟ قد غفرتُ لهم ولك»[2].

وتكلَّم الناسُ على جُودِ الفقير على الغني فقالوا: «إنَّه أفضل من/ [أ/] جود الغني على الفقير»، وهو صحيح؛ لأنَّه رُوي في الأثر: «سَبَقَ درهم مائة ألف درهم»[3]، وهو وإن لم يصحَّ سَنَدُه فإنَّ معناه صحيح.

مثالُه: فقير معه درهم تصدَّق به، وآخَرُ معه مائتا ألف درهم تصدَّق بمائة ألف، فيكون الأوَّل قد تصدَّق بجميع ماله، والثاني قد تصدَّق بِنِصْفِ ماله.

---

(١) في (ك) و(ب): تعالى له.

(٢) تقدَّم توثيقه.

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الزكاة، صدقة جهد المقل، رقم: (٢٣١٨-شعيب)، وإنما ضعَّف ابنُ العربي هذا الحديث لأنه من رواية ابن عَجلان، وفيه: «عن سعيد المَقْبُرِي عن أبي هريرة»، وتكلَّم فيه يحيى بن سعيد لأجل روايته عن المقبري، الجامع الكبير: (٦/٢٣٨-بشار)، ولهذا أخرج ابن خُزَيمة روايته عن زيد بن أسلم: (٤/٤٨)، والله أعلم.

ومن أبدع أمثال العرب:

ذَرِينِي أكن للمال ربًّا ولا يكن ... ليَ المال ربًّا تَحْمَدِي غِبَّه غدًا
أَرِينِي جوادًا مات هُزْلًا لعلَّني ... أرى ما تَرَيْنَ أو بَخِيلًا مُخَلَّدًا[1]

قال أحمد بن حنبل عن شُعيب بن حرب: «ليس السَّخِيُّ من أخذ المال من غير حِلِّه فبَذَّره، ولكن السخي من عُرِضَ عليه ذلك المال فتركه».

[التعريفُ بالإمام الحافظ عطيَّة الأندلسي]:

وقرأتُ على أبي بكر محمد بن طَرْخَان[2] الصُّوفِي بدرب نُصَيْرٍ من مدينة السَّلام: أخبركم أبو عبد الله محمد بن فتُّوح: أخبرني عبد العزيز بن بُندار الشِّيرَازِي قال: «لَقِيتُ عَطِيَّةَ الأندلسي[3] ببغداد وصَحِبْتُه، وكان من الإيثار والسخاء والجود بما معه على أمر عظيم، إنما يقتصر من لباسه على فُوطَةٍ ومُرَقَّعَةٍ، ويؤثر بما سوى ذلك، وكان قد جمع كُتُبًا حملها على بَخَاتِيِّ

---

(١) البيتان من الطويل، وهما لحطائط بن يعفر، كما في الأغاني: (٣٠/١٣)، والشعر والشعراء: (٢٤١/١)، وسراج الملوك: (٣٧٩/١).

(٢) الطَّرْخَان: اسمٌ للرئيس الشريف في قومه، وضبطه السيِّد الزَّبيدي بالفتح، وغلَّط من ضبطه بغير ذلك، فقال: «ولا تَكْسِرْ وإن فَعَلَه المحدثون، والصوابُ الاقتصار على الفتح»، تاج العروس: (٣٠٢/٧).

(٣) الإمام الحافظ، المحدث المُسْنِدُ، أبو محمد عطية بن سعيد بن عبد الله الأندلسي، أحد الرحَّالين والجوَّالين، وأحد أقطاب التصوف، مع زهد وتبتل، وتقلل من الدنيا، وجُود منقطع النظير، وله تصانيف كثيرة، منها: «كتابٌ في طُرُقِ حديث المِغْفَرِ ومَن رواه عن مالك بن أنس»، في أجزاء كثيرة، و«كتاب في تجويز السماع»، توفي عام ٤٠٣هـ، ترجمته في: تاريخ بغداد: (٢٧٥/١٤)، وجذوة المقتبس: (ص٤٦٨-٤٧٢)، والصلة: (٦٧/٢-٧٠).

كثيرة، فرافقته[١]، وخرجنا معه[٢] جميعًا إلى الياسرية، وليس معه إلَّا وَطاؤه ورَكْوَتُه، ومُرَقَّعَتُه عليه، قال: فعجبت من حاله ولم أعارضه، فبلغنا إلى المنزل الذي نزل فيه الناس، وذهبنا نَتَخَلَّلُ الرِّفَاقَ، ونمرُّ على النازلين، فإذا أنا بشيخ خُراساني له أُبَّهَةٌ، وهو جالس في ظِلٍّ له، وحوله حَشَمٌ كثير، قال: فدعانا وكلَّمنا بالعَجَمِيَّةِ، وقال لنا: انزلوا، فنزلنا وجلسنا عنده، فما أَطَلْنَا الجلوس حتى كلَّم بعض غلمانه، وأَتَى بالسُّفْرَةِ[٣] فوضعها بين أيدينا وفتحها، وأقسم علينا، فإذا فيها طعام كثير وحلاوة[٤] حسنة، فأكلنا وقمنا.

قال عبد العزيز: فلم نَزَلْ على هذه الحال؛ يَتَّفِقُ لنا كلَّ يوم من يدعونا ويُطعمنا ويسقينا إلى أن وصلنا مكَّة، وما رأيتُه حَمَلَ من الزَّادِ قليلًا ولا كثيرًا.

وقُرِئ عليه بمكَّة «الصحيح» للبخاري؛ روايته عن إسماعيل بن محمد الحاجبي عن الفِرَبْرِي عن البخاري[٥].

سمعتُ أبا بكر بن طَرْخَانَ يقول: سمعتُ محمد بن فتُّوح يقول: سمعت أبا غالب محمد بن أحمد بن سهل النحوي المعروف بابن بِشْرَان يقول: سمعتُ عطية بن سعيد يقول: سمعت القاسم بن علقمة الأبهري يقول: سمعت أحمد بن الحُسين الرازي يقول: سمعت محمد بن هارون يقول: سمعت أبا دجانة يقول[٦]: سَمِعْتُ ذا النُّون المصري يقول:

---

(١) سقط من (د) و(ص).

(٢) سقط من (ص) و(ب).

(٣) في (د): في خـ: وأتانا بسفرة، وفي (ص): فأتانا سفرة.

(٤) في (ص) و(ب): حلاوات.

(٥) جذوة المقتبس: (ص٤٦٩).

(٦) قوله: «سمعت أبا دجانة يقول» سقط من (ص).

أُقَلِّلُ ما بي فيك وهْوَ كثيرُ ... وأزجرُ دَمْعَ العين[١] وهو غزيرُ
وعندي دُمُوعٌ لو بَكَيْتُ ببعضها ... لفاضتْ بُحُورٌ بعدهنَّ بُحُورُ
قبورُ الورى تحت التراب وللهوى ... رجال لهم تحت الثياب قبورُ
سأبكي بأَجْفَانٍ عليك قريحة ... وأرنو بألحاظٍ إليك تشيرُ[٢]

قال القاضي أبو بكر[٣]: رأيتُ سماعَ عطية بن سعيد بن عبد الله هذا بالمشرق في الأصول، والصوفية تُعَظِّمُه، والمحدثون يُثنون عليه، والخطيب أبو بكر حافظُ بغداد يُقَدِّمُه، وله أمثال وما لهم مِثَالٌ.

وكان عطيَّةُ هذا لا ينام على الأرض إلَّا مُحْتَبِيًا، مات سنة ثلاث وأربع مائة[٤].

وهذا الخبرُ يدخل في الجُود، والتوكل، والتخلي عن الدنيا، وفصول من الأسماء والحالات.

وكان عُبيد الله بن أبي بَكْرَةَ من الأجواد، ينفق على جيرانه من الجهات الأربعة[٥]، من كل جهة أربعين دارًا، فيعطي لكل مائة وستين دارًا ما يكفي أهلها من قُوتٍ وكسوة، لما رُوِيَ في الصحيح من الوَصاة بالجار، وجاء في الآثار من تحديد الجوار بأربعين دارًا[٦].

---

(١) في المنشور من جذوة المقتبس (ص٤٧٢): دمعي عنك.

(٢) من الطويل، وهي في جذوة المقتبس: (ص٤٧١-٤٧٢)، أنشدها ذو النون.

(٣) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ب): قال ابن العربي.

(٤) تاريخ بغداد: (١٤/٢٧٥).

(٥) في (ك): الأربع.

(٦) سراج الملوك: (ص٣٧٩).

وأَحْسَنُ الكَرَمِ ما يكون من قِبَلِ الوُلَاةِ؛ فإنَّهم خُزَّانُ أموال جماعة المسلمين، وما من أحد إلَّا له عندهم حَقٌّ، أَعْطَوْهُ أو مَنَعُوهُ، فإذا جاؤوا به لأربابه كَرُمَتْ ذواتهم، وطابت صفاتهم، وصَفَتْ حالاتهم، وعلت درجاتهم، وتضاعفت بركاتهم.

[جُودُ أبي الفتح مَلِكْشَاه]:

وما رأيتُ في رحلتي، نعم؛ ولا في مُدَّتِي، واليًا جوادًا، بل رأيتُ وعاينتُ من المسرفين جُمْلَةً، ومن المُنْفِقِينَ في غير وجهه عِدَّةً، حاشا أبو الفتح(١) بن مَلِكِ خراسان البَارَسْلَان(٢).

[التعريف بخواجا بُزُرْك ومكارمه]:

ووزيرُه أبو علي خَوَاجَا بُزُرْك(٣)، كان قَبْلَ أن يَزِرَ صُوفِيًّا فقيرًا، يمشي على قدميه من مسجد الأقدام بمصر إلى أرض تُرْكُسْتان وما وَرَاءَ جَيْحَان في

---

(١) السلطان جلال الدولة، مَلِكْشَاه بن السلطان ألب أرسلان السُّلْجُوقي، تـ ٤٨٥هـ، له أعمال وصنائع، مع هيبة وجلالة، وحلم وبذل وجود، ترجمته في: سير النبلاء: (١٩/٥٤-٥٨).

(٢) كذا في النسخ، وفي المصادر التاريخية: ألب أرسلان.

(٣) هو الوزير نظام المُلْكِ، الحسن بن علي بن إسحاق، أبو علي الطوسي الشافعي الأشعري، (٤٠٨-٤٨٥هـ)، أَوَّلُ من بنى المدارس في الإسلام، قال فيه ابن عَقِيل: «بهر العقولَ سيرةُ النِّظام؛ جُودًا وكَرَمًا وعَدْلًا، وإحياءً لمعالم الدين، كانت أيَّامُه دولةَ أهل العلم، ثم ختم له بالقتل وهو مَارٌّ إلى الحج في رمضان، فمات مَلِكًا في الدنيا، مَلِكًا في الآخرة»، ترجمته في: سراج الملوك: (٢/٥١٣-٥١٥)، وسير النبلاء: (١٩/٩٤-٩٦)، والوافي بالوفيات: (١٢/٧٧-٧٩)، وأجل ترجمة له ما رَقَمَهُ التاج السُّبْكِي في طبقاته: (٤/٣٠٩-٣٢٨).

صحبة الزهاد، والتنقل من رِبَاطٍ إلى رباط، أربعين عامًا، ثم وَزَرَ أربعين عامًا، وأَمْرُه ترونه في كتاب «ترتيب الرحلة للترغيب في الملة» إن شاء الله.

وهو الصاحب الأجل السيِّد، غِيَاثُ الدولة، سيد الوزراء، رَضِيُّ أمير المؤمنين؛ أبو علي حسن الخراساني، خواجا بُزُرْك، يعني: السيِّد الكبير، فلمَّا انتهى إلى منزلة الوِزَارَةِ[١] - بصورة طويلة - رَعَى ما كان فيه من الفقر والحاجة، واشتمل على الفقهاء والصوفية، وجذب بِضَبْعِ الكُلِّ إلى الدولة، وقام على تربية المُلْكِ بأحسن السياسة، وأَوْسَعَ عَدْلًا الرياسة، حتَّى قال الناس: إنه لم يَزِرْ بَعْدَ بني بَرْمَكَ مِثْلُه.

٢ وكان[٢] عالمًا مُوَحِّدًا، وبَنُو بَرْمَك ملحدون، وكان هذا يسمع الحديث؛ فإنه كانت له رواية عالية، ولم يَبْقَ بَلَدٌ[٣] [٦٣/ب] /حَاضِرٌ بخراسان ولا بالعراق إلَّا بنى فيه المدارس للفقهاء، والرِّبَاطَاتِ للصُّوفية، ورتَّب لهم، وأَدَرَّ الأرزاق عليهم، واشترى لهم الدواوين في كل بلد، وحبَّسها على الطلبة[٤]، ووظَّف لهم الوَرَقَ للنَّسْخِ، وأثبت في ديوان كل بلد عَدَدَ من فيه من عالم وطالب، أو شيخ للصوفية أو مُرِيدٍ، وفَرَضَ لكل أحد ما يليق به ويصلح له؛ بالشام، والعراق، وخراسان، وما وراء النهر جَيْحُون، فتألَّف من ذلك سِتُّ مائة ألف دينار في العام، سوى ما يَخُصُّ به الأعيانَ منهم؛ من الصِّلات الوافرة، والكُسَا الظاهرة، ويتلقَّى به الوافدين، فيَذْكُرُ جميعُهم

---

(١) في (د): في خـ: الوزراء.

(٢) بعده في (ك) و(ص) و(ب): هذا، وضرب عليه في (د).

(٣) سقط من (ب).

(٤) قوله: «ورتَّب لهم، وأَدَرَّ الأرزاق عليهم، واشترى لهم الدواوين في كل بلد، وحبَّسها على الطلبة» سقط من (ص).

أنه كان يُخْرِجُ في ذلك بَيْتَ مال في كل عام، فائتلفت القلوبُ على محبتهم[١]، وعُمِرَتِ المساجد والرِّباطات بالدعاء لهم والثَّناء عليهم.

وسَارَ ذِكْرُ الوزير والأمير مسيرة[٢] الشمس والقمر، وصاب على الآفاق صَوْبَ المطر، وتَأَرَّجَتْ به الدنيا تَأَرُّجَ الإِنَابِ والقُطْرِ، وارتاحت إليهما النفوس ارتياحها بنَسِيم السَّحَر، فألقى الحُسَّادُ في أُمْنِيَةِ المَلِكِ أنَّ الوزير يُفْسِدُ عليه في كل عام بيت مال، على قَوْمٍ لا تنتفع بهم الدولة، ولا يعتضد بهم المُلْكُ، وأنَّ هذا المال لو عاد به المَلِكُ على جُنْدِهِ أو على ثُغُورِهِ لكان ذلك أنجع، وأَعْوَدَ على المُلْكِ بالعائدة وأنفع، وأَصْوَبَ في مدارك الرأي وأوقع، فاستدعاه وشافهه، فبكى نِظَامُ المُلْكِ وقال له: أيُّها المَلِكُ عَلِمْتَ ظُؤُورَتِي[٣] لك، وتَحَقَّقْتَ خِدْمَتِي لأبيك، وتيقَّنت تَرْبِيَتِي[٤] لمُلْكِك؛ جَلْبًا ودَفْعًا، وعائدتي بصحيح النظر له؛ فيما وقى ضُرًّا، أو جَلَبَ نَفْعًا، وأنا شيخ فَارِسِيٌّ؛ لو نُودي عليَّ فِيمَنْ يَزِيدُ ما بَلَغْتُ خمسة دنانير، وأنت غلام تُرْكِيٌّ؛ لو نُودِيَ عليك ربَّما بَلَغْتَ عشرين دينارًا، أو الغاية ثلاثين، وليس لنا عَمَلٌ يصعد إلى الله بصلاحه، بكَلِمٍ[٥] طَيِّبٍ يرفعه، وإنَّما نحن أبناء الدنيا؛ أعددنا أمدادًا، وحشدنا أجنادًا، بسلاح[٦] قصيرة، لها آماد محصورة، ولم تصحبهم تقوى، ولا تفكَّروا في العُقْبَى، وهذا الجَيْشُ[٧] الذي أَقَمْتُ لك يَسْرِي إذا هَجَعَ النَّاسُ، ويمشي إذا وقفوا،

---

(١) في (ص): محبته.

(٢) في (ك) و(ب): مسير.

(٣) الظؤورة: العاطفة والمحبة، تاج العروس: (١٢/٤٦٠).

(٤) في (ك): ترتيبي.

(٥) في (د): كلم.

(٦) في (ك): بصَلاح. (٧) في (د): الخيش.

ويصعد إذا أَسْهَلُوا[١]، يجأرون بالدعاء لك، ولجيوشك ليلًا ونهارًا، تَرْقَى سِهَامُ أدعيتهم إلى السماء السَّابعة، وتتصل بالرحمن في أعز مكان[٢]، وأشرف زمان[٣]، وهو قد استدعاها[٤] منهم، وأمرهم برفعها إليه، ووعدهم بإجابة/ الدُّعاء، وإعطاء السُّؤْلِ، ونيل المأمول، وإنَّما يُحمى المُلْكُ ويُقاتل الأعداء بالعمل الصالح والدعاء المجاب، قبل الرجال والأجناد، فبكى أبو الفتح، وكان مَلِكًا رفيقًا عادلًا، وقال له: «شا باش[٥]»[٦].

٢ [٦٤/أ]

وممَّا يزيد من فضل هذا[٧] المَلِكِ على وزيره أنَّك كنت تمشي في مُلْكِهِ مسيرة ستة أشهر - مشيتُ فيها أربعين يومًا -؛ لا تخاف فيها إلا الله والذئب على الغنم، أو الأسد على الرجال والدواب، لا وَكس ولا شطط، ولا مكس ولا ضَغط، بلاد راخية، وعيشة راضية، وأمم هادنة، وسِيَرٌ هادية، حتَّى مات؛ فاضطرمت الأرض نارًا، واضطربت بأهلها تَدْوَارًا، وانقلبت أعاليها أسافلها دمارًا، وقد بَيَّنْتُ عجائب من أمره وحاله في كتاب «ترتيب الرحلة للترغيب في الملة[٨]».

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): أسفلوا، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

(٢) في (ص): وتتَّصل بالرحمن فتصل في أشرف زمان، وتُرفع في أعز مكان.

(٣) في (ك): الزمان، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

(٤) في (د): استرعاها.

(٥) شاباش: كلمة فارسية بمعنى الاستحسان والتهنئة، ينظر: سراج الملوك: (٥١٥/٢)، هامش رقم (١٣).

(٦) أفاده ابن العربي من سراج الملوك: (٥١٤/٢-٥١٥).

(٧) سقط من (ك).

(٨) قوله: «للترغيب في الملة» سقط من (ك) و(ص) و(د).

وعلى كل[١] حَالٍ؛ فهؤلاء أولادُه في مُلْكِهم وعلى درجتهم، حين لم يعدلوا عن سيرتهم، ولا عاجوا عن طريقتهم، وعَصَمُوا عن بؤسهم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١٢]، وقد يحفظ الله الأولاد بصلاح الآباء إذا عَضَدُوا أنفسهم بتَرْكِ المخالفة والإباء، قال الله سبحانه: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف:٨١]، فذَكَرَ المُفَسِّرُونَ أنهم حُفِظُوا في حُرْمَةِ الأب السَّابع[٢].

[التعريفُ بجُودِ أبي سعيد بن الحداد الأصفهاني]:

ومن غريب الجُودِ: أنه حجَّ سنة تسعين[٣] أبو سعيد بن الحدَّاد الأصفهاني[٤]، أخو شيخنا[٥] إسماعيل[٦] البُنْدَار، نزيل بغداد، فدخل مدينة

---

(١) سقط من (ك) و(ب).

(٢) قوله: «وعلى كل حَالٍ؛ فهؤلاء أولادُه في مُلْكِهم وعلى درجتهم، حين لم يعدلوا عن سيرتهم.. فذكر المفسرون أنهم حُفِظُوا في حُرْمَةِ الأب السَّابع» سقط من (ص).

(٣) أي: سنة تسعين وأربع مائة.

(٤) لعله هو الذي وَرَدَ ذِكْرُه في سراج الملوك لأبي بكر الفهري: (٢/٥١٦-٥١٧)، واسمه فيه: أبو سعيد الصوفي، وذَكَرَ هناك أنه باني المدرسة النظامية لخواجا بُزُرْك، وذَكَرَ سيرتَه في شراء الخانات والدُّورِ والبساتين، وقد جَعَلَ كُلَّ ذلك مُحَبَّسًا على الصوفية والفقراء.

(٥) في (د): إسماعيل شيخنا البندار.

(٦) لعله الفقيه العلَّامة الإمام، إسماعيل بن عبد الملك بن علي، أبو القاسم الطوسي، ذانشمند الأكبر، ولعل ما يجعلني أميل إلى ذلك ما ذكره ابن العربي من صلة أبي حامد بأخيه، ومعرفته به، فقد كان إسماعيل عَدِيلًا لأبي حامد في رحلته إلى الشَّام عام ٤٨٩هـ، وأبو القاسم هذا ممَّن برع في الأصول والفقه =

السَّلام؛ وحَمَلَ إلى الخليفة مالًا عظيمًا، وحمل الزَّادَ على ثلاثة آلاف جَمَلٍ، خرج من «النجمية» مُعَرَّسِ الحاج بالجانب الغربي منها[١]، وأَطْعَمَ الحاجَّ من يوم خروجه إلى رجوعه؛ كل يوم، لا يهتبل أَحَدٌ بزاد، ولا ينظر في معيشة، ودَفَعَ إلى أمير الحاج وجَيْشِه الذي يَسْرِي[٢] في البَذْرَقَةِ[٣] عشرة آلاف دينار، جَذْرُه[٤] الذي كان يُعطيه الملك العادل، فلمَّا مات كان يأخذه من الناس مُقَسَّطًا على الحاجِّ[٥]، ثم أعطى ابنَ أبي هاشم عشرة آلاف دينار كِسْوَتَه، وأعطى للأشراف مثلها، ولم يبق بمكة ساكن ولا مُجَاوِرٌ إلَّا وصلت إليه صِلَتُه، وعاد إلى بغداذَ؛ فكُتِبَ له كلُّ إمام[٦] بها وطالب، وإمام[٧] ومؤذن، وصُوفِيٍّ ومُرِيدٍ، فأعطى الرؤوس مائة دينار، مائة دينار[٨]، وأعطى الأتباع من دينارين إلى عشرين دينارًا، ومشيتُ إليه بعد انكفائه عن

= وتوفي عام ٥٢٩هـ، ودفن بجوار أبي حامد الغزالي، رحمهما الله ورضي عنهما، ويجوز أن يكون غيره، والله أعلم، ترجمته في: تاريخ دمشق: (١٨/٩)، وسير النبلاء: (٦/٢٠)، والوافي بالوفيات: (٩٢/٩)، وطبقات التاج: (٤٧/٧).

(١) في (ك) و(ص) و(ب): فيها.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): يسير، وضعَّفها في (د)، والمثبت من طرته.

(٣) البذرقة: الطريق الرديئ، فارسية معربة، تاج العروس: (٣٦/٢٥).

(٤) أي: ضَرْبُ عشرة آلاف دينار في عشرة آلاف دينار، حاصله: (١،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠) دينار، فهذا الذي كان يدفعه الملك العادل إلى أمير الحج وعساكره، وهو مال جليل، ونَقْدٌ كثير.

(٥) في (ص) و(ب): الحال.

(٦) إمام في العِلْم والتدريس.

(٧) إمام الصلاة، وضرب عليه في (ك).

(٨) قوله: «مائة دينار» سقط من (ك).

٢

[٦٤/ب]

الحج مع أبي، صُحْبَةَ شيخنا أخيه إسماعيل، فدخلنا عليه؛/ وبوَصِيَّةِ أبي حامد الغزالي بِنَا وتنبيهه علينا، لنراهُ ونطَّلع حاله، وقلنا: تكون معرفة، فربما دخلنا خراسان وعرَّجنا على أصفهان، فوصلنا إلى منزله بالكَرْخ، وتقدَّم أخوه واستأذن لنا، فوصلنا إليه، وتلقَّانا ببِرٍّ وافر، وتكلَّم معنا بتُرْجُمَانٍ، ومَجْلِسُه غاصٌّ، وفي أثناء الكلام جاءت السُّفَرُ، ونُضِدَ عليها الأقراص والصحون بالألوان، فرأيتُها بأجمعها هَيْئَةَ فُولٍ مطبوخ، وهو الذي نُسَمِّيه «البَيْسَار»[1]، فقلتُ: هذه سيرة الزهاد، وإنه ليشبه ملبسَه؛ فإنه كان مُتَوَسِّطًا جدًّا، فلمَّا غسلنا أيدينا وأخذنا في الأكل إذا بالصحون اللَّوْنُ واحدٌ، والأطعمةُ مختلفة، وقد أَتَوْنَا به مُتَشَابِهًا، فَوَالعَظِيمِ الكريم العزيز الرَّحيم العَلِيِّ الحكيم الذي ابتلاني بكم بعدهم، وجعلني بَدَلًا منهم معكم، ما انفصلتُ عن ذلك المجلس إلَّا والدنيا قد خَرَجَتْ من قلبي، فما دَخَلَتْهُ إلى اليوم؛ لأنِّي علمتُ أن تلك هي الدنيا والمُلْك، لا دُنْيَا المَلِكِ العادل ولا مُلْكه، ورأيتُ أنه أَمْرٌ لا يُدْرَكُ، فوَقَفْتُ حيثُ وَقَفَتْ بي المقاديرُ، وتَرَدَّدَتْ في أثناء التدبير، ولله الحُكْمُ العلي الكبير.

ورَدَفَتْنا صِلَتُه في حُرْمَةِ أبي حامد الغزالي وأَخِيهِ[2]، وكان ذلك الذي فَعَلَ برَأْيِ الغزالي وأَمْرِه، ورجع إلى أصبهان[3] وقد أنفق بَيْتَ مال، وكان من تُنَّاهَا، لا اتصالَ له بسلطان[4]، ولا تَصَرُّفَ له معه، وخَرَجَ راكبًا

---

(١) وكذلك نُسَمِّيه إلى يوم الناس هذا.

(٢) الفقيه الواعظ، أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطُّوسِي، أبو الفتوح الغزالي، تـ ٥٢٠هـ، ترجمته في: طبقات الشافعية: (٦/٦٠-٦٢)، ولسان الميزان: (١/٦٤٧-٦٤٩).

(٣) في (ك) و(ب): أصفهان.

(٤) في (د): بسلطان.

مُسْتَبْشِرًا[١]، والغلمانُ بين يديه بأطباق الدَّنانير، والخلق يتبعونه، وهي تُنْثَرُ عليهم، وهم يلتقطونها، حتى فرغت الأطباقُ، وتقطَّعت الثياب في لَقْطِها، وربما انفكت يَدٌ، وانكسر ساقٌ.

[جُودُ ابن عمر البغدادي]:

ولقد نزلنا أضيافًا على رجل من تُنَّاءِ بغداذ، وهو ابن عمر أبي[٢] حامد[٣]، فكنَّا في ضيافته من يوم دخلناها إلى يوم خروجنا عنها، مع إرسال الدنانير والثياب في أوقات، كأنه كان معنا في الحاجة إليها على ميقات.

[جُودُ أهل بيت المقدس]:

ولقد كنَّا نخرج مع أبي بكر الفِهْرِي الصُّوفِي شَيْخِنا، فنمشي في مشاهد الأنبياء ورباطات الأصفياء؛ الأيام والأشهر، في جَمْعِ[٤] الطلبة، نَقِيلُ بمَنْهِلِ، ونبيت على منزل، في تُحَفٍ كثيرة، وخيرات معدَّدة[٥] مردَّدة، ثم نعود إلى المسجد الأقصى،/ ثم نخرج إذا طاب الهواء[٦]، وغرَّد المُكاء، وانتهى جريان الماء في الأغصان إلى الاستواء.

٢ [٦٥/أ]

---

(١) في (د): مستبشر.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): أبو.

(٣) تقدَّم ذِكْرُه، وسماه: أبو القاسم بن أبي حامد بن عمر، وهو من أصحاب الخليفة.

(٤) في (د) و(ص): جميع.

(٥) في (ك) و(ب): معدودة.

(٦) في (د): الهوى.

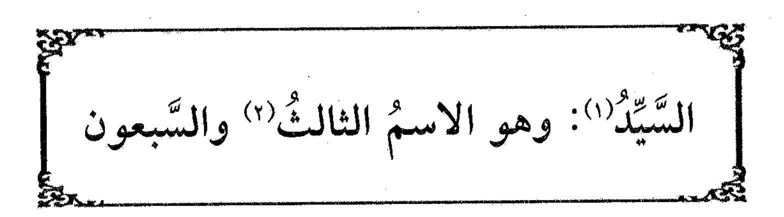
فانسِبُوا - يا معشر المريدين - بلادكم إلى تلك البلاد، أو ناسكم إلى أولئك الناس، أو أخلاقكم إلى أخلاق تلك الأمم، أو سِيَرَكُم إلى سِيَرِ تلك الطبقة، حتى تتحقَّقوا ما بينكم وبينهم من التفرقة، ومع هذا كله فقد استولت عليهم المِحَنُ، ومحقتهم الفِتَنُ[1]، فهل تنتظرون أنتم إلَّا أَشَدَّ من ذلك أو أَشَرَّ، أو السَّاعة؛ فالسَّاعة أدهى وأَمَرُّ؟

وبهذا وأمثاله حصل لهم السُّؤْدُدُ، وتَمَكَّنَ لهم المَجْدُ المُوَطَّدُ، وقال القائلُ: «إنَّك لا تلقى منهمُ إلَّا السَّيِّدَ بعد السَّيِّدِ».

* * * * *

---

(١) ينظر: العواصم: (ص٣٧١-٣٧٢).



السَّيِّدُ[١]: وهو الاسمُ الثالثُ[٢] والسَّبعون

ومعناه في اللغة والحقيقة: الذي بلغ الغاية في الفضائل، وفاق الأقران والنُّظَراء في خصال الكمال[٣].

والسَّيِّدُ بالحقيقة هو الله سبحانه الذي لا مِثْلَ له.

والنَّبِيُّ سَيِّدُ وَلَدِ آدم؛ لأنَّه فوقهم في المراتب والفضائل، وقال[٤] ﷺ: «أنا سَيِّدُ الناس يوم القيامة»[٥]، خرَّجه مسلم[٦]، وهذا ظاهر، وقد بيَّنَّاه في غير موضع.

ولمَّا نزلت قُرَيْظَةُ على حُكْمِ سعد بن معاذ أرسل إليه النبي، فجاء سعد، فلمَّا رآه النبي مُقْبِلًا قال للأنصار: «قوموا إلى سيدكم»[٧]، فأثبت له

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): الحادي والسبعون، وفي (ص): التاسع والستون، وفي (ب): الثامن والستون.

(٣) ينظر: الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (١/٤٥٠).

(٤) في (ك): قال.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم: (١٩٤-عبد الباقي).

(٦) قوله: «خرَّجه مسلم» سقط من (ص).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد، رقم: (١٧٦٨-عبد الباقي).

المنزلة على جميعهم، وحَكَمَ له بأنه أفضلهم، فسَعْدُ بن معاذ في حياة رسول الله أفضلُ الأنصار، ولا عِلْمَ لأَحَدٍ بأفضلهم بعد موته.

وخَيْرُ الناس بعد رسول الله أبو بكر.

وفي التفضيل في حياته كلامٌ بيَّنَّاه في موضعه[١].

وصار يُطْلَقُ[٢] - في العُرْفِ - على من يُرجع إليه في الآراء، ويَنْفُذُ قوله في الأمور على الجمهور، ولذلك[٣] قال الشَّاعر:

أَلَا بَكَّرَ النَّاعي بخَيْرَيْ[٤] بني أَسَدْ بعَمْرِو بن مَسْعُودٍ وبالسيِّد الصَّمَدْ[٥]

وهو الذي يُصمد إليه في الأمور، ويُقصد فيها بكل معنى، كما تقدَّم.

وقد كان بعضُ أصحابنا[٦] من المُتَعَبِّدِينَ يرى أنَّ أهل هذا[٧] المغرب ليس فيهم فقيه، فإذا كَاتَبَ أحدًا منهم قال: «إلى سَيِّدِي أبي فُلَانٍ فُلَانِ بن فُلَانٍ»، فيَتَوَرَّعُ عن أن يكتب «فقيهًا»؛ لئلا يَكْذِبَ، فيكتبُ: «سَيِّدِي»، وهي كِذْبَةٌ/ عُظْمَى؛ لأنه ليس له بمَالِكٍ، ولا له عليه فضيلةٌ يتميَّز بها، بل ربما كان من أهل المعاصي والظُّلَمِ[٨].

٢ [٦٥/ب]

---

(١) ينظر: العارضة: (٩/١٧١).

(٢) أي: السيد.

(٣) في (ك): بذلك.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): بخير.

(٥) من الطويل، وهو لامرأة من بني أسد كما في البيان والتبيُّن: (١/١٨٠)، والأغاني: (٢٢/٩٦).

(٦) لعله الفقيه الإمام أبو بكر الطرطوشي، وقد ذَكَرَ ابنُ العربي عنه ذلك في اسم «الفقيه»، أو لعله غيره، والله أعلم.

(٧) سقط من (ك).

(٨) في (ك) و(ص) و(ب): أو المظالم.

وأيضًا فإنَّ التجاوز في أن يكتب له: «فقيهًا»، ويتأوَّل فيه فَهْمَ مسألة واحدة أخفُّ عليه من أن يكتب إليه[١]: «يا سيِّدي»، ولم يَسُدْه بصفة من الصفات.

وأيضًا فإن اسم «السَّيِّدِ» يَنْطَلِقُ على الله، واسمُ «الفقيه» لا ينطلق عليه، فكيف يَحْرِمُه اسمًا يشاركه فيه المخلوقون، ويُطلق عليه اسمًا يُسَمَّى بمثله الخالق؟

وهذا إنَّما أَوْجَبَهُ عليه أنه تَفَقَّه بنفسه، وعَوَّلَ على فهمه، ولم يَحُكَّ رُكْبَتَيْه برُكْبَةِ[٢] طالب، فَضْلًا عن عالم.

وليته إذ تجوَّز فيه يكتب: «إلى فلان بن فلان سَيِّدِ قَوْمِه»، كما كتب النبي ﷺ إلى هرقل عظيم الروم[٣]، أي: تُعَظِّمُه الروم، وتعظيم الروم له باطل، ولكنه موجود حقيقة، فلذلك وَصَفَه النبي به.

وقد روى بُرَيدة عن النبي ﷺ: «لا تقولوا للمنافق سيد؛ فإنه إن يَكُ سَيِّدَكم أسخطتم ربكم»[٤]، فكيف يكتب هذا إلى الظلمة وأهل الشقاق: سيِّد؟

ولو قال أَحَدٌ: «سيد»؛ لمن يستحق ذلك ولم يكن منه عن خُلُوصِ نِيَّةٍ؛ فإن ذلك مكروه منه.

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): له، وأشار إليه في (د).

(٢) في (ك) و(د) و(ب): يحك ركبتيه طالبٌ.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه النسائي في السنن: كتاب عمل اليوم والليلة، ذكر اختلاف الأخبار في قول القائل: سيدنا وسيدي، رقم: (١٠٠٠٣-شعيب).

روى مُطَرِّفٌ عن أبيه وحُمَيد عن أنس: أنَّ رجلًا جاء إلى النبي ﷺ - وقال مُطَرِّفٌ: من بني عامر - في وفدهم، فقال له: «أنت سيدنا وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا، أنت سَيِّدُ قريش، قال النبي: السَّيِّدُ الله، قال: أنت أفضلنا[١] قَوْلًا، وأفضلنا فِعْلًا، وأعظمنا فيها طَوْلًا، قال النبي: قولوا بقولكم - وفي رواية: ليقل أحدكم بقوله -، ولا يسجره[٢] - أو لا يَسْتَجِرُّه، أو لا يستجرينكم[٣]، أو لا يستهوينكم[٤] - الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، أنا عبد الله ورسوله، ما أُحِبُّ أن ترفعوني فوق منزلتي التي أَنْزَلَنِيها الله»[٥]، وهذا كله قبل أن يُعْلِمَه الله سبحانه بمنزلته التي أَرْقَاهُ إليها.

وقد كان أبو هريرة جالسًا فجاء الحَسَنُ بن علي بن أبي طالب، فسلَّم فرَدَدْنا عليه، وأبو هريرة لا يعلم، فمشى فقلنا: «يا أبا هريرة هذا الحسن بن علي قد سلَّم علينا، فقام فلحقه[٦]، فقال: يا سيدي، قال: فقلنا: تقول له: يا سيدي؟ فقال[٧]: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه لسَيِّدٌ»[٨].

---

(١) في (ك) و(ب): «أفضلها.. وأفضلنا.. وأعظمها».

(٢) في (ب): ولا يستجره.

(٣) السنن الكبرى: رقم: (١٠٠٠٦-شعيب).

(٤) السنن الكبرى: رقم: (١٠٠٠٤-شعيب).

(٥) أخرجه النسائي في الكبرى: كتاب عمل اليوم والليلة، ذكر اختلاف الأخبار في قول القائل: سيدنا وسيدي، رقم: (١٠٠٠٧-شعيب).

(٦) في (ك): ولحقه.

(٧) في (ك): قال.

(٨) أخرجه النسائي في الكبرى: كتاب عمل اليوم والليلة، ذكر اختلاف الأخبار في قول القائل: سيدنا وسيدي، رقم: (١٠٠٠٨-شعيب).

٢ [٦٦/أ] وقال أبو بَكْرَةَ في حديثه: «ولعلَّ الله أن يُصْلِحَ به/ بين فئتين عظيمتين من المسلمين، أو بين أمَّتين[١]»[٢].

وفي الصحيح: أنَّ عمر قال: «أبو بكر سيدنا وخَيْرُنا[٣]»[٤].

وإذا علمتم هذا وكان السَّيِّدُ هو الذي يُرجع إليه ويُصمد نحوه، وكان كذلك، وجب عليه أن يكون «نَصِيحًا».

* * * * *

(١) في (ك) و(ب): أو من أمتي.

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى: كتاب عمل اليوم والليلة، ذكر اختلاف الأخبار في قول القائل: سيدنا وسيدي، رقم: (١٠٠٠٩-شعيب).

(٣) قوله: «وقد روى بُرَيدة عن النبي ﷺ: لا تقولوا للمنافق سيد.. وفي الصحيح: أنَّ عمر قال: أبو بكر سيدنا وخَيْرُنا» سقط من (ص).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، بابٌ، رقم: (٣٦٦٨-طوق).

النَّصِيحُ[١]: وهو الاسمُ الرَّابع[٢] والسَّبعون

وحقيقته: إصلاح الفاسد[٣].

ومنه: جَمْعُ المفترق، والمُحتاج[٤] إلى جمعه.

والخياطة نُصْحٌ؛ لأنها[٥] تُصلح[٦] المخيط للمنفعة وتُهَيِّئُه[٧] للمراد، قال الأوَّل[٨]:

نَصَحْتُ بني عَوْفٍ فلم يتقبَّلوا　　وَصَاتِي ولم تنجح لديهم وَسَائِلِي[٩]

وقال جرير: «بايعنا رسول الله على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والنُّصْحِ لكل مُسْلِمٍ»[١٠].

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): الثاني والسبعون، وفي (ص): الموفي سبعين، وفي (ب): التاسع والستون.

(٣) ينظر: العارضة: (٨/٢٠٢)، وسراج الملوك: (١/٣٢٦).

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): المحتاح.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): لأنه.

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): يصلح.

(٧) في (ك) و(ص) و(ب): يهيئه.

(٨) بعده في (ك) و(ص) و(ب): منهم، وضرب عليها في (د).

(٩) البيت من الطويل، وهو للنابغة في ديوانه: (ص٩٣).

(١٠) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «الدين النصيحة»، رقم: (٥٧-طوق).

[تفسيرُ قول رسول الله: «الدين النصيحة»]

ومن الحديث الحسن: عن تميم الداري[١] عن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة؛ لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، ولعَامَّتِهم»[٢]، وهو صَحِيحٌ عند مسلم، سَقِيمٌ عند البخاري[٣]، وقد أمليناه عليكم في «شرح النَّيِّرَيْنِ»[٤].

فأمَّا قوله: «لله»؛ ففيه قولان:

أحدهما: أنه استفتاحُ كلام لا يتعلق بالمعنى، كقوله: ﴿وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الأنفال: ٤٠] الآية، فقوله هاهنا: ﴿لِلهِ﴾: هو استفتاح كلام؛ لأنَّ الأرض كلها لله.

الثاني: أنَّ النصح لله توحيده بالاعتقاد، والمجادلةُ عنه لأهل الإلحاد، وإخلاصُ العمل له في الاجتهاد.

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن تميم رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم: (٥٥-عبد الباقي).

(٣) إنما قال ابن العربي هذا القول لأن أبا عبد الله البخاري أورده مُعَلَّقًا في صحيحه، ففَهِمَ منه أنه لو كان على شَرْطِهِ لأخرجه، فلمَّا لم يُخْرِجْهُ دلَّ ذلك على وجود عِلَّةٍ في الحديث مَنَعَتْهُ من إخراجه، وقد أورده البخاري في صحيحه مُعَلَّقًا: كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «الدين النصيحة»، وينظر: الفتح: (١/١٣٧-١٣٨).

(٤) ينظر في تفسيره: سراج الملوك: (١/٣٢٦-٣٢٧).

وأمَّا النُّصْحُ لكتابه؛ فمن سبعة أوجه:

الأوَّل: الإيمان به.

الثاني: تَعَلُّمُه[١].

الثالث: العمل بما فيه[٢].

الرَّابع: الوقوف عند متشابهه، والنظر في مُحْكَمِه.

الخامس: الذَّبُّ عنه.

السَّادس: تَرْكُ المِرَاءِ فيه[٣].

السَّابع: تَرْتِيلُه.

والإيمان به على الجملة فَرْضٌ بالإجماع، وكذلك العمل بما فيه فَرْضٌ أيضًا بالإجماع، على أنواع العمل الخمسة؛ فيعمل بالواجب واجبًا، ويترك[٤] المحظور محظورًا، ويأتي المندوب فَضْلًا، ويَنْكَفُّ عن المكروه تنزيهًا، ويتخيَّر في المباح كيف شاء من فِعْلٍ وتَرْكٍ.

وأمَّا الوقوف عند متشابهه ففي ذلك كلام كثير بيَّنَّاه في «قانون التأويل»[٥]، وفي «المشكلين»، وفيه أقوال كثيرة،/ وكلام طويل عريض. ٢ [٦٦/ب]

(١) في (د): بعلمه.

(٢) في (ك): العمل به.

(٣) في (د): ترك المراقبة.

(٤) في (ك): بترك، وسقط من(ص).

(٥) قانون التأويل: (ص٣٧٢-٣٧٥).

والذي أَقْدَحُ لكم به في هذا «السِّرَاجِ» أنَّ المتشابه على قسمين:

منه ما تَكِعُّ[1] عنه العامَّة؛

ومنه ما يَكِعُّ[2] عليه[3] العلماء.

فأمَّا العامَّة فحَظُّها الإيمانُ به؛

ومن كانت له قدرة فحَظُّه النظر فيه للعلم به.

وأمَّا المُحْكَمُ فطَلَبُ عِلْمِه فريضة.

وأمَّا الذبُّ عنه ففَرْضٌ على من قَدَرَ عليه.

وأمَّا تَرْكُ المِرَاءِ فيه ففَرْضٌ على جميع الأمة؛ وهو المنازعة في معانيه وفي أصله لغير وجه الله، ولا لطلب الحق والفهم والعلم، وإنَّما هو للتشكيك والتضليل وللمباهاة.

وأمَّا ترتيله ففضيلة.

وأمَّا نُصْحُ رَسُولِه فمن أربعة أوجه:

الأوَّل[4]: تَصْدِيقُه، قال الله سبحانه: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الفتح:٩].

الثاني: تَعْظِيمُه، لقوله: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح:٩].

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): تكيع، ومرَّضه في (د).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): يكيع، ومرَّضه في (د).

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): عنه.

(٤) سقط من (ك) و(ص).

الثالث: طَاعَتُه، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٨].

الرَّابع: الرِّضَى بحُكْمِه، لقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٤].

وأمَّا النُّصْحُ لأئمة المسلمين؛ فالإمامُ نائبُ رسول الله، يَجِبُ له ما يجب للرسول[1] من الحُرْمَةِ والطاعة، لكن ما يَجِبُ للنبي أَعْظَمُ بأضعاف مضاعفة، ويزيدون على النبي بما[2] لا يجب للنبي؛ لا لحرمة زائدة، ولكن لِعِلَّةٍ حادثة، من أربعة أوجه:

الأوَّل: الصَّبْرُ على أذاهم إذا لم يَعْدِلُوا.

الثاني: تَنْبِيهُهم إذا غَفَلُوا.

الثالث: تَرْكُ الثناء عليهم بما ليس فيهم.

الرَّابع[3]: الدُّعَاءُ عند فسادهم بصلاحهم.

وقد رُوي عن الفُضَيل بن عياض وعبد الله بن المبارك كلمة بَدِيعَةً من الجُودِ والإيثار على أنفسهم للأمة؛ لأنهما قَالَا: «لو كانت لنا دعوة مجابة لجعلناها في السلطان»[4].

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): لرسوله.

(٢) في (ك) و(ص): مما.

(٣) في (د): الرضى بحكم الدعاء عند فسادهم بصلاحهم، وجعلها ناسخُها لَحَقًا، ولم يظهر لي وجه في إثباتها.

(٤) حلية الأولياء: (٨/٩١).

يعنيان: لما فيه من صلاح العامة، واستقامة الأمور، وسلامة ذات البَيْنِ.

ويجب ذلك للعامة، كما قال: «ولعامَّتهم»، والعامَّة على قسمين:

داخلون في جملة الحُكَّام بفتواهم، وهم حَمَلَةُ العِلْمِ، وعلى الخلق تصديقهم فيما رَوَوا، وتقليدهم[1]، والدعاء لهم، وتعظيمهم.

٢ [٦٧/أ]

وأمَّا من عَدَاهُمْ/ فحقوقهم كثيرة، وهي[2] متفصلة[3] ومتنوعة، غايتها تعليمهم إذا جهلوا، وتقويمهم إذا عاجوا، ومقصودها إصلاح الظاهر والباطن، وتقويمها إذا احتاجوا.

[المُشَاوَرَةُ[4]]:

وعلى العامَّة من الخليفة حَقُّ المشاورة؛ من الرسول إلى أقل خَلْقٍ بعده في درجاتهم، والمُشَاوَرَةُ أَصْلُ الدين، وسُنَّةُ الله في العالمين، ومُحَمَّدٌ أَوَّلُ مستشير، وجبريل أوَّل ناصح، صلَّى الله عليهما.

نزل جبريل على النبي فقال له[5]: «إنَّ الله خيَّرك بين أن تكون نَبِيًّا مَلِكًا، أو نبيًّا عبدًا، فنظر النبي إلى جبريل كالمستشير، فأشار إليه جبريل أن تواضع، فقال النبي: أختار أن أكون عبدًا نبيًّا»[6].

---

(١) في (د): تقليده.

(٢) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٣) في (د): منفصلة.

(٤) ينظر: أحكام القرآن: (٤/١٦٦٨).

(٥) سقط من (ك).

(٦) تقدَّم تخريجه.

وفي الصحيح: «دعا رسول الله عَلِيَّ بن أبي طالب وأسامة يستشيرهما في فراق أهله، فأمَّا أسامة فأشار بالذي يعلم من براءة أهله، وأمَّا علي فقال: لم يُضَيِّقِ الله عليك، والنساء سواها كثير، وسَلِ الجارية تصدقك، فسأل بَرِيرَةَ فقال: هل رَأَيْتِ من شيء يُريبك[1]؟ قالت: ما رأيتُ أمرًا أكثر من أنها جارية حديثة السن، تنام عن عجين[2] أهلها؛ فتأتي الداجن فتأكله»[3].

وخطب النَّبِيُّ على المنبر في شأن عائشة فقال: «أَشِيرُوا عليَّ في أناس أَبَنُوا أهلي، وما علمتُ على أهلي من سوء»[4]، وذكر الحديث.

وتشاور أبو بكر مع عمر والصحابة في أمر مَنْعِ الزكاة، فلم يسمع أبو بكر منهم حين كان عنده دَلِيلُ الحق نصًّا.

حتى غالى في ذلك بعضهم فقال: «إنَّ قولَه تعالى للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[5] سُنَّةٌ في المشاورة، ولولا ذلك ما استجرأ أحدٌ منهم على المجاوبة بما قالوه، ولكنهم فهموا أنَّ الجواب منهم مطلوب فقالوا ما قالوه».

---

(١) مرَّضها في (د)، وفي الطرة ما لم أعرف قراءته، وذلك لسوء التصوير.

(٢) في (د): عجينها، ومرَّضها، وفي الطرة مثل الذي أثبتنا.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب حديث الإفك، رقم: (٤١٤١-طوق).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب التوبة، بابٌ في حديث الإفك، رقم: (٢٧٧٠-عبد الباقي).

(٥) [البقرة:٢٨].

وقال الله لرسوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩]، أَمَرَ بذلك تَطْيِيبًا لأنفسهم، وتنبيهًا لنا[١]، وذلك في الحرب خاصَّة، لا في مسائل الدين.

قال الله لنَبِيِّه: ﴿ٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ فيما قصروا، ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فيما أذنبوا، ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾ ليُثْبِتَ لهم مَحَلًّا ومنزلة، وليرفع الخَجْلَةَ[٢] عن قلوبهم وظواهرهم، ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ بعد ذلك ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

فشَاوَرَ صلَّى الله عليه، وتَشَاوَرَ أصحابُه في مقامات كثيرة، بيَّنَّاها[٣] في «أنوار الفجر».

٢ وقد مَدَحَ الذين يتشاورون فقال: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:٣٥]، في الآيات/ الجامعة، وفيها أَحَدَ عَشَرَ مَعْنًى وخَصْلَةً[٤]: [٦٧/ب]

الأوَّل: الإيمان، وقد تقدَّم بيانُه.

الثاني: التوكل، وقد تقدَّم شَرْحُه.

الثالث: قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ [الشورى:٣٥]، كُلُّ ذلك وما يأتي بعده مبنيٌّ[٥] على قاعدة قد[٦] بيَّنَها ونبَّه سبحانه عليها،

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): وتثبيتًا لها.

(٢) في (د): الحجلة.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): أمليناها، وضبَّب عليها في (د)، والمثبت من طرته.

(٤) سقطت من (ص).

(٥) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٦) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

فقال: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ في بدن أو مال، ﴿فَـ﴾ كله ﴿مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾؛ لأنه لا بد له أن يفنى، وكلُّ ما تعتقد من الراحات لا يصفو من الشوائب، وكُلُّ ذلك سريع الزوال، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [القصص:٦٠]، ولكنه لا يُعطي لأحد ابتداءً دون أن يتقدَّمه عَمَلٌ في جُمَلٍ؛ منها: الإيمان والتوكل في قِسْمِ الأوامر، ومنها:

الرَّابع: وهو اجتناب الكبائر؛ وهو الشِّرْكُ بأنواعه، والفواحش، وهي قبائح المعاصي؛ كالزنا، والخمر، والسرقة، والغصب، والكذب، والقذف، وأكل مال الربا، وأكل مال اليتيم، وفي القتل خلاف[1]؛ هل هو من نوع الكفر الموجب للتخليد أم من المعاصي الداخلة في المشيئة؟

الخامس: تَجَرُّعُ كأسات[2] الغضب، وتَسْكِينُ سَوْرَةِ النفس عند الطيش؛ بفَوْتِ أَمَلٍ، أو سماع مكروه، بل يقابلونه بالمغفرة، ويقبلون معه المعذرة، فإن غلبهم اضطجعوا، أو اغتسلوا، كما جاء في الحديث، وقد رُوي أنَّ النبي قال له رجل: «أوصني، قال: لا تغضب»[3].

السَّادس: أنه يستجيب لربه في كل ما دعاه إليه؛ من امتثال واجتناب[4].

---

(١) سقطت من (ك).

(٢) في (ك) و(ص): كامنات.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) في (ك) و(ص): أو اجتناب.

السَّابع: قوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، أي لا يستبد بأمر[١]، ويتَّهِمُ رأيه أبدًا، حتى يستعين فيه بغيره؛ ممَّن يَظُنُّ به[٢] أن عنده مَدْرَكًا لغرضه، وهذه سيرة أوَّلية، وسُنَّةٌ نبوية، وخَصْلَةٌ عند جميع الأمم مَرْضِيَّةٌ[٣].

هذا إبراهيمُ الخليل لمَّا أمره الله بذَبْحِ ولده أعلمه به، وقال له: ماذا ترى فيه؟ قال له ابنه: ﴿إِفْعَلْ مَا تُومَرُ﴾ [الصافات:١٠٢]، فسَنَّ[٤] سُنَّةً، واختبر سريرة، ورَازَ[٥] دِينًا، واستبرأ عقلًا، واستدعى طاعة، فوجد كلَّ ذلك كما أراد.

وقد قال بعضُ الحكماء: «إنفاذُ الأمر بغير رَوِيَّةٍ كالعبادة بغير نِيَّةٍ»[٦].

وهذا ممَّا يغترُّ به كثير من المُقَصِّرِينَ، وليس بشيء؛ فإنَّ العبادة بغير نية لا شيء في كل حال، والرأي بغير رويَّة قد لا يخيب[٧]، ويُفضي إلى المطلوب.

[٢/٦٨أ] وقال بعضُ المؤلفين: «لا تُشَاوِرِ/ الجماعة، وشَاوِرْ كل واحد على حِدَتِه»[٨].

---

(١) في (ك): بأمره.

(٢) في (ص): فيه به، وفي موضعهما من (ب) و(د) طمس.

(٣) ينظر: لطائف الإشارات: (٣/٣٥٧).

(٤) في (ص): فبيَّن.

(٥) في (ص) و(د): زاد، ومعنى راز: جرَّب.

(٦) سراج الملوك: (١/٣٢١).

(٧) في (ك) و(ص) و(ب): ينجب، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

(٨) سراج الملوك: (١/٣٢٢).

قال الإمام الحافظ[١] رضي الله عنه: هذا خطأ على الإطلاق، الغالب أن يُشَاوَرَ الكُلُّ في الجماعة، وهنالك أمور حُكْمُها أن يقع السؤال عنها والمشاورة فيها سِرًّا؛ تكشفها التجربة[٢].

وأنشد الحكماء:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن ... برأي لبيب أو مشورة حَازِمِ
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ... مكان الخوافي نافعٌ[٣] للقوادمِ[٤]

والرَّأْيُ في الحرب هو رُوحُ المكيدة، وقوة النصر، وحظ[٥] السَّلامة، وفاتحة الظَّفَرِ، ولقد أصاب بعضُ الأحداث فقال:

الرَّأْيُ قبل شجاعة الشجعان ... هي أُولى وهي المحل الثاني
فإذا هما اجتمعا لنفس حُرَّةٍ ... بلغت من العَلْيَا كلَّ مكانِ
ولربما طعن الفتى أقرانَه ... بالرأي قبل تَطَاعُنِ الأقرانِ[٦]

والكَيْدُ: المكر[٧]؛ وهو العمل في الظاهر بما لا يقصد في الباطن، هو أصل الآراء.

---

(١) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله، وفي (ب): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي.

(٢) قوله: «تكشفها التجربة» سقط من (ب).

(٣) في (د): تابع.

(٤) البيتان من الطويل، وهما لبشَّار بن بُرد في ديوانه: (٢/١٩٣-١٩٤).

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): حصن، ومرَّضه في (د)، والمثبت من طرته.

(٦) الأبيات من الكامل، وهي للمتنبي في ديوانه: (٢/٢٥١).

(٧) في (ك) و(ص) و(ب): والمكر.

وقال[١] النبي: «الحرب خَدْعَةٌ»[٢]؛ بفتح الخاء وإسكان الدال.

قيل: معناه: يكون بالخداع، كما تقول: الموت ضربة بالسيف، أي: تكون بها.

ورُوي بضم الخاء وفتح الدال[٣]، معناه: تخدع صاحبها، فنُسِبَ الفعل إليها، كما قالوا: ليل نائم.

وقد بيَّن الله حكمة مشاورة النبي لأصحابه، وأَعْلَمَ أنَّ ذلك برحمته في قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَانفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩]، بل كان رؤوفًا رحيمًا، فَرَزَقَهُ القوة على صحبتهم مع جَفْوَتِهم، وتبليغ الرسالة إليهم مع ما قاسى منهم، فلولا قُوَّةٌ إلَهية وضعها الله فيه وخَلَقَها له ما أطاق صُحْبَتهم، ولا احتمل أذاهم، ألا ترى إلى موسى ﷺ - قال علماؤنا: - «كيف لم يصبر عند مخاطبة أخيه، وأَخَذَ برأسه يَجُرُّه إليه»[٤].

الثَّامن: قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورى:٣٦].

قال أَهْلُ التفسير: «يعني: إذا ظَلَمُوا أباح الله لهم الانتصار من الظالم بمثل فِعْلِه، لا بزيادة عليه، كما قال في موضع آخر: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:١٩٤]»[٥].

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): قال.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه: كتاب الجهاد والسير، باب جواز الخداع في الحرب، رقم: (١٧٣٩-عبد الباقي).

(٣) مشارق الأنوار: (١/٢٣١).

(٤) لطائف الإشارات: (١/٢٩٠).

(٥) تفسير الطبري: (٢٠/٥٢٤-التركي).

وقال أَهْلُ الزهد: «انتصَرُوا/ لأنفسهم من أنفسهم»(١). [٦٨/ب]

فيكبح نفسه عن هواها، ويَرُدُّها عن شهوتها إلى طاعة مولاها، ويَقِفُها عن الركض في ميدان البطالة على خَيْلِ المخالفة.

التاسع: ﴿وَمَنْ عَصِيَ﴾ [البقرة:١٧٧]، يعني: عن الجاني.

* * * * *

(١) لطائف الإشارات: (٣/٣٥٧).

العَفُوُّ[١]: وهو الاسمُ الخامس[٢] والسَّبعون

وهي خصلة عظيمة، واسم كَرِيمٌ، أثبته الله لنَفْسِهِ بكلامه وفِعْلِه، فنَدَبَ عَبْدَه إلى أن يكون من وَصْفِه قرآنًا وسنةً.

وهو مأخوذٌ من معاني كثيرة، بيَّنَّاها في اسم «العَفُوِّ» من كتاب «الأمد الأقصى»[٣]، وفي كتاب «الأحكام»[٤]؛ في آية القصاص.

والمُرَادُ[٥] به هاهنا الإسقاطُ[٦]، فكُلُّ من تَرَكَ ما وَجَبَ له وأَسْقَطَ ما ثبت له فهو عَافِي، وإذا كَثُرَ ذلك منه فهو عَفُوٌّ، على وَزْنِ فَعُولٍ.

قال الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩].

وقال: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٣٤] الآية.

وقال: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى:٤٠].

---

(١) سقط من (ك) و(د) و(ص).

(٢) في (ك): الثالث والسبعون، وفي (ص): الحادي والسبعون، وفي(ب): الموفي سبعين.

(٣) الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/٣٦٠-٣٦١).

(٤) أحكام القرآن: (١/٦٦-٦٧).

(٥) في (ك) و(ص): المراد.

(٦) وجعله في «الأحكام» دائرًا بين العطاء والإسقاط: (١/٦٧).

وقال: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور:٢٢].

وقال: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل:١٢٦].

ورَوَتْ عائشة: «أن النبي ﷺ ما انتقم لنفسه قَطُّ ؛ إلَّا أن يُنتهك[1] حُرْمَةٌ من حُرمات الله ، فيكون أشدَّ النَّاس غضبًا ، حتى ينتقم لله»[2].

وفي الحديث الحسن: «يُنادي منادي يوم القيامة: أَلَا لِيَقُمْ من كان له على الله أجر ، فلا يقوم إلَّا من عَفَا»[3].

فأمَّا قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾: فإنَّ البخاري روى عن عبد الله بن الزبير في تفسير الآية: «أنَّ الله أَمَرَ نبيَّه أن يأخذ العفو من أخلاق الناس»[4].

وروى غيره أن النبي ﷺ سأل جبريل عنها ، فقال له: «إن الله يأمرك أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عن من ظلمك»[5].

والثابت أن عُيَينة بن حُصَين[6] دخل على عمر فقال له[7]: «إنك لا تُعطي الجَزْلَ ، ولا تحكم بالعدل ، فغضب عُمَرُ وهَمَّ أن يُوقِعَ به ، فقال له

---

(١) في (ك) و(ب): تنتهك.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كتاب المناقب ، باب صفة النبي ﷺ ، رقم: (٣٥٦٠-طوق).

(٣) أخرجه الطبراني في أوسط معاجمه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: (٢/٢٨٥) ، رقم: (١٩٩٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير ، ﴿خذ العفو وامر بالعرف﴾ ، رقم: (٤٦٤٣-طوق).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) في (ك): حصن.

(٧) سقط من (ك).

ابن أخيه الحُرُّ بن قيس: يا أمير المؤمنين، إن الله يقول: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾، قال: فما تجاوزها عمر، وكان وَقَّافًا عند كتاب الله».

وليس يمتنع أن يكون[1] معاني العَفْوِ من الإِسْقَاطِ والعطاء مرادة بالآية، على ما بيَّنَّاه في «أصول الفقه»، ويكون الله قد أمره بأن يُسْقِطَ حقَّه، ويُعطي فَضْلَه.

وأمَّا قوله: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾؛ فيعني به: المعروف[2]، أَمَرَه أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر.

٢ [٦٩/أ]

وأمَّا إِعْرَاضُه عن الجاهلين/ فقد بيَّنَّا أن بعضه منسوخ؛ وهو في حق الكفار، وبَعْضُه مُحْكَمٌ في حق المؤمنين[3].

وأمَّا قوله: ﴿ٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾؛ فهم الذين إذا فَارَ غَيْظُهم رَدُّوه عن سبيله وحبسوه، وقطعوه عن اتصاله.

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ قد بيَّنَّا أن الإحسان مع الله أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، والإحسانُ مع الناس أن تدع حقَّك كلَّه، كم كان مع من كان.

وأمَّا قوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾؛ يؤكد[4] هذا لأنه جعله من العَزْمِ، وهو جَزْمُ الإرادة على[5] ثبات القلب في مخالفة الشهوة والهوى، والعمل بمقتضى العقل والمروءة.

---

(١) في (ب): تكون.

(٢) تنظر: المسالك: (٦/٢٦).

(٣) ينظر: الناسخ والمنسوخ: (٢/٢٢١).

(٤) في (ك): تؤكد.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): عن.

وقد قال الله: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٤].

وقال: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه:١١٣].

قيل: معناه: لم نجد له عزمًا على امتثال الأمر[١].

وقيل: لم نجد له عزمًا على ترك المخالفة[٢]، يُحَقِّقُه قوله: ﴿فَنَسِيَ﴾، فأخبر الله تعالى[٣] أنَّ ذلك إنَّما واقعه نسيانًا[٤]، ولم يجد له على تَرْكِ المخالفة عزمًا ولا تعمدًا[٥]، ولم يكن النسيان في تلك الشريعة مرفوعًا عن الخلق، وإنَّما هو أَمْرٌ خُصَّتْ به هذه الأمة، وقد بيَّنَّا شَرْحَ الآية في «كتاب المشكلين» بما فيه كفاية.

وقوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى:٣٧]؛ كلمة لا يوازنها شيء، لأنَّ الذي للعبد عند الله ومن الله وبالله خَيْرٌ له ممَّا يأخذه لنفسه بإرادته ويفعله باختياره.

العاشر: إن الانتصار جائز؛ لأنَّ الله عَلِمَ من عباده أنَّ منهم من لا يملك نفسه، ولا يبلغ حَزْمُه إلى هذه الخصلة، فأَذِنَ له في النِّقْمَةِ، ورخَّص له في المكافأة، على سبيل العدل والقِسْطِ.

---

(١) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٤٨١).

(٢) لطائف الإشارات: (٢/٤٨١).

(٣) بعده في (د) علامة اللَّحَقِ، وفيه: أنه.. ذلك نسيانه.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): أنه إنما واقع ذلك نسيانًا.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): ولم نجد له عزمًا على ترك المخالفة ولا تعمدًا.

الحادي عشر: قال علماؤنا: «وقد يكون العَفْوُ لاحتقار حال الجاني أو قَدْرِ المَعْفُوِّ عنه، فهذا هو الصَّفْحُ، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ [المائدة: ١٤]»[(١)].

وقيل: معناه: أَسْقِطْهُ ولا تذكره، وهو الصَّفْحُ الجميل الذي أَمَرَ الله به رسوله.

وقيل: الصَّفْحُ الجميل هو الاعتذار عن الذنب، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾، وهذا من فضل الله سبحانه، وهذا كله يرجع إلى الإحسان، وهو يتناوله ويتضمَّنه.

فإن تَعَذَّرَتْ عليه النصائح فليُدَارِ ما استطاع، ولا يُدَاهِنْ./ [٢/٦٩]

* * * * *

(١) لطائف الإشارات: (١/٤١١-٤١٢).

المُدَارِي[١]: وهو الاسمُ السَّادسُ[٢] والسَّبْعُونَ

فإنَّ المُدَارَاةَ[٣] سُنَّةٌ.

قد رُوي عن أبي الدرداء أنه قال: «إنَّا لنَكْشِرُ في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم»[٤]، هذا على زهده وصرامته في الحق.

وقالت عائشة: «استأذن على النبي رجل فقال: ائذنوا له، فبئس أخو العشيرة، فلمَّا دخل أَلَانَ له القول، فقلت: يا رسول الله: قُلْتَ ما قُلْتَ ثم أَلَنْتَ له القول[٥]؟ قال: يا عائشة، إنَّ شَرَّ الناس منزلة من وَدَعَه الناس اتِّقاء فُحْشِه فقال ذلك»[٦].

ولم تكن غِيبَةً لأنه كافر، وأَلَانَ له القول دَفْعًا لشَرِّه عن الدين، وصارت سُنَّةً في المدافعة.

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): الرابع، وفي (ص): الثاني، وفي (ب):الحادي.

(٣) في (ك) و(ص) و(د): «ولا يداهن، فإنَّ المداراة -وهو الاسم..- سُنَّةٌ».

(٤) ذكره البخاري في صحيحه مُعَلَّقًا: كتاب الأدب، باب المداراة مع الناس.

(٥) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب المداراة مع الناس، رقم: (٦١٣١-طوق).

والمداهنة معصية، قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه[1]: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم:٩].

قال المفسرون: فيه سَبْعُ[2] تأويلات[3]:

الأَوَّل: وَدُّوا لو تَكْفُرُ فيكفرون[4].

الثاني: وَدُّوا لو تُصْعَقُ فيصعقون[5].

الثالث: لو تَلِينُ فيَلِينُونَ، قاله الفرَّاء[6].

الرَّابع: لو تَكْذِبُ فيكذبون[7]، قاله ابن عباس.

الخامس: لو تُرَخِّصُ فيُرَخِّصُونَ[8].

السَّادس: لو تُدَاهِنُ فيداهنون معك في دينهم[9].

فهذا مُنْتَهى قَوْلِ[10] جَمِيعِ[11] المفسرين، وقد بيَّنَّا لكم في «قانون التأويل»[12] كيف تتبع[13] هذا وأمثاله بالدليل.

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): ﷺ.

(٢) في (د): ستة.

(٣) ينظر: أحكام القرآن: (١٨٥٥/٤).

(٤) تفسير الطبري: (١٥٦/٢٣-التركي).

(٥) لم أجده بعد البحث.

(٦) الهداية: (٧٦٢٤/١٢).

(٧) الكشف والبيان: (١٢/١٠)، ونسبه للعَوْفِي.

(٨) تفسير الطبري: (١٥٦/٢٣-التركي).

(٩) تفسير الطبري: (١٥٧/٢٣-التركي).

(١٠) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(١١) في (ك) و(ب): جمع.

(١٢) قانون التأويل: (ص٣٤٥).

(١٣) في (ك) و(ص) و(ب): يتتبع.

أمَّا من قال: «وَدُّوا لو تكفر فيكفرون»، أو «تكذب فيكذبون»، أو «تُرَخِّصُ فيُرَخِّصُون»؛ فله وجه، ولكنه قصَّر فيه.

وأمَّا من قال: «لو تصعق فيصعقون»؛ فجزاؤه القلب والتصحيف بالسَّوْطِ لا باليد.

وفي هذه الآية غرائبُ من التفسير ومن استخراج المعاني من الألفاظ، تسمعونها - إن شاء الله -:

وذلك أن حقيقة «دَرَأَ»: دَفَعَ، وحقيقة «دَهَنَ»: لَانَ، من الدُّهْنِ، وهو اللَّيِّنُ من المائع[1].

وقد جاء لفظُ «دَرَأَ» محمودًا في الشريعة، ولم يأت لفظُ «دَهَنَ» إلَّا مذمومًا.

قال النبي ﷺ: «فليدرأه ما استطاع»[2].

ومن كلام السَّلَفِ الأوَّل: «ادرؤوا الحدود بالشبهات»[3].

وقال عمر في أبي بكر: «كنت أداري منه بعض الحَدِّ»[4].

وحيث جاء «دَهَنَ» جاء مذمومًا، قال الله: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ [الواقعة:٨٤]، وقال: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: (٢٣/١٥٧-التركي).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كتاب الصلاة، باب منع المار بين يدي المصلي، رقم: (٥٠٥-عبد الباقي).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الحدود عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في درء الحدود، رقم: (١٤٢٤-بشار)، وإنما قال ابنُ العربي: إنه من كلام السلف؛ لأنه لم يصحَّ عنده رَفْعُه، ورُوي مِثْلُه عن غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند عن عمر رضي الله عنه: (١/٤٥٢)، رقم: (٣٩١-شعيب)، وهو طرف من حديث السقيفة.

٢ وقال النبي صلوات الله عليه: «مَثَلُ القائم بحدود الله والمُدَّهِنِ فيها كمثل قَوْمٍ استهموا[1] سفينةً»[2]، الحديث./ [أ/٧٠]

وتَنَخَّلَ[3] لكم من هذا أنَّ المداراة هي دَفْعُ الشيء بحق، والمداهنة اللِّينُ الذي يكون في موضع الدَّرْءِ الواجب، فإذا لم يجب الدَّرْءُ ولِنْتَ لم تكن مُدْهِنًا[4].

وقد كانت قريش تَوَدُّ أن يَلِينَ لهم النبي ﷺ فيما كان يشدهم فيه، وتحاول[5] ذلك بوجوه[6]، والنبي لا يقبل منهم، بل يمضي على أمر الله كما ألزمه، لا يَرُدُّه عن ذلك شيء، ولا يمنعه منه خوف، وقد بيَّن الله ذلك في قوله: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٧٣ - ٧٤].

وقد تَكَلَّمَ المفسرون على هذه الآية بجَهَالَةٍ، وقد بيَّنَّاها في «المشكلين».

لُبَابُه:

قالوا: «إن المشركين منعوا النبي ﷺ من لَمْسِ الحَجَرِ حتَّى يلمس الآلهة، فحدَّث النبيُّ بذلك نفسَه، وقال: ما عليَّ، والله يعلم أني كارِهٌ»[7].

---

(١) بعده في (ك) و(ص) و(ب): في، وضرب عليها في (د).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه: كتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات، رقم: (٢٦٨٦-طوق).

(٣) في (د): يتنخل.

(٤) ينظر: أحكام القرآن: (١٨٥٦/٤).

(٥) في (د) و(ك) و(ب): يحاول.

(٦) في (د): لوجوه.

(٧) تفسير الطبري: (١٣/١٥-التركي).

وقالوا: «إنَّ ثَقِيفًا طلبت منه أن يؤخرهم بالإسلام سنة؛ حتى يجمعوا ما كانت العادة أن يقبضوه لآلهتهم، فهَمَّ النبي بذلك، فمنعه الله»[١].

وهذا كله باطل، وبعضُه أشدُّ من بعض.

أمَّا قولهم: إنه هَمَّ بلَمْسِ الآلهة؛ فما كان هذا قطُّ، ولا يجوز أن يكون؛ لا عادة ولا ديانة، أمَّا من[٢] طريق العادة فقد عَلِمَتْ قريش والخلق أنه ما ألمَّ بها قطُّ قبل أن يُبْعَثَ ولا نَظَرَ إلى جهتها، فكيف يلمسها بعد النبوة؟

الثاني: أن لَمْسَ الأصنام كُفْرٌ، فكيف يخفى على النبي أنه كفر؟ أم كيف يسامح فيه؟

ولا يجوز أن يُمْهِلَ حتى يجمعوا مال الأصنام، فإنَّ الأوَّل كُفْرٌ، والثاني معصيةٌ، وكلاهما لا يجوز على النبي.

وقد نفى الله عنه أن يَهُمَّ أو يُقَارِبَ، وبيَّن براءته في القرآن نَصًّا، حيثُ قال: «إنهم قاربوا[٣] أن يفتنوك»، يعني: بسؤالهم وطلبهم، وثَبَّتَهُ الله عن أن يقاربهم، ونفى عنه مقاربتهم بقوله: ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾، فمنع الله نبيَّه بتثبيته أن يقاربهم، فإنَّ كلمة «لولا» تدل على امتناع الشيء لوجوب[٤] غيره، والذي وجب التثبيت، والذي امتنع مقاربة الركون، فأين[٥] هذا عن هؤلاء[٦] الذين لا يعقلون؟ ويتسلَّطون على كتاب الله وهم لا يعلمون، ويبسطون ألسنتهم في الرُّسُلِ بما لا يجوز وهم لا يشعرون.

---

(١) تفسير الطبري: (١٥/١٥-التركي). (٢) سقطت من (ك).

(٣) في (د): قارنوا.

(٤) في (ص): لوجود.

(٥) بعده في (ك) و(ب) و(ص): عن، وضرب عليه في (د).

(٦) قوله: «عن هؤلاء» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

٢ [٧٠/ب]

ولذلك قال: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾، أي: تَلِينُ فَيَلِينُونَ،/ وهذا يدل على أنه لم يَكُنْ لِيَهُمَّ[١]، ولَوْ هَمَّ لَلَانَ، ولو رَكَنَ لَلَانَ، وذلك مَنْفِيٌّ عنه عقلًا وقرآنًا.

وقد تبيَّن لكم بهذا أن الدَّفْعَ إذا كان بما يجوز بَقِيَ على أصله اسمًا، فيقال له: الدَّرْءُ، ولفَاعِلِه: «المُدَارِي»، ويبقى أيضًا حُكْمًا فيكون جائزًا، فإذا كان بما لا يجوز كان إِدْهَانًا.

فركَّب المفسرون على الحقيقة إن كانوا علموها.

فمن قال: إن معناه: «وَدُّوا لو تكفر فيكفرون، أو تكذب فيكذبون»[٢]، فإنه فسَّره على المآل؛ بأنه لو فَعَلَ ذلك أو قاله كان كُفْرًا وكَذِبًا.

وكذلك من قال: «ترخَّص»؛ فإنَّ الرُّخْصَةَ هي تَرْكُ الواجب، مأخوذ من شيء رَخْصٍ، وهو النازل عن الشدة.

وأمَّا من قال: «تَلِينُ»؛ فهو الحقيقة في اللفظ واللغة.

فأمَّا السَّادس فهو اللفظ بعينه، فلم يُفِدْ شيئًا زائدًا.

وأمَّا من قال: «تلين»؛ فقد فسَّر اللفظ بمعناه عربية.

وأمَّا من قال: «ترخَّص»؛ فهو تفسير اللِّينِ، فلم يخرج عن طريق العربية.

وأمَّا من فسَّره بالكذب والكفر؛ ففسَّره بمُتَعَلَّقِه الذي كانوا أرادوا منه، فهو تفسير مُتَعَلَّقِ اللفظ، لا نفس اللفظ، وهذا ممَّا لا يُدْرَى من الكلمة، وإنَّما يُدرى من دليل آخر.

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): لم يلن لهم.

(٢) تقدَّم تخريجه.

فإن قيل: فقد قال الله: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾، معناه: مُكَذِّبُونَ.

قلنا: هذه الآية ممَّا لم يَفْهَمِ المفسرون، قد[1] قال بعضهم فيه: «إنه النفاق»[2]، وإنما هرب إليه لأنه رأى أن الكافر المعاند لم يُلَايِنْ، فلم يتمكَّن له أن يجعله فيه، فلجأ إلى المنافق الذي لَانَ ظاهرًا وخَشُنَ باطنًا، ولكنه أخطأ؛ فإنَّ المُخاطَب بهذه الآية أوَّلًا الكفار؛ لأن سورة «الواقعة» كلها مَكِّيَّةٌ بإجماع، فتفسيرُ من فسَّره بالكذب[3] مطلقًا أَخْلَصُ[4].

وأدخلهم - أيضًا - في هذا الباب حَرْفُ الباء، وهو يليق بكذب، يقال: كذَّب فلان بكذا، فلما رَأَوُا الحديث[5] وحَرْفَ الباء ركَّبوا أحدهما على الآخر، فإن كانوا طلبوا منه كفرًا صحَّ أن يقال فيه: لو تكفر[6]، وإن كانوا طلبوا منه معصية؛ قيل: معناه: لو[7] تَعْصِي.

فأمَّا أن يقتحم على تفسير الإِدْهَانِ بأنه الكفر أو الكذب دون خَبَرٍ يَرِدُ بذلك فهذا هو القول في كتاب الله بالتَّشَهِّي.

---

(١) في (ك): وقد.

(٢) الهداية: (١١/٧٢٩٤)، وهو قول الضحَّاك.

(٣) في (د): التكذيب.

(٤) تفسير الطبري: (٢٢/٣٦٨-التركي).

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): الحال، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

(٦) في (ك): تكفرون.

(٧) في (ك) و(ص) و(ب): أن.

[قانونُ التفسير]:

٢ وقد بيَّنَّا أنه لا يُفَسَّرُ القرآن إلَّا بالعربية التي نزل بها، أو بآية أخرى، [٧١/أ] أو بحديث النبي ﷺ، وغير/ ذلك باطل، لا سبيل لأحد إليه، ولا يَتَمَكَّنُ ولا يُمَكَّنُ منه.

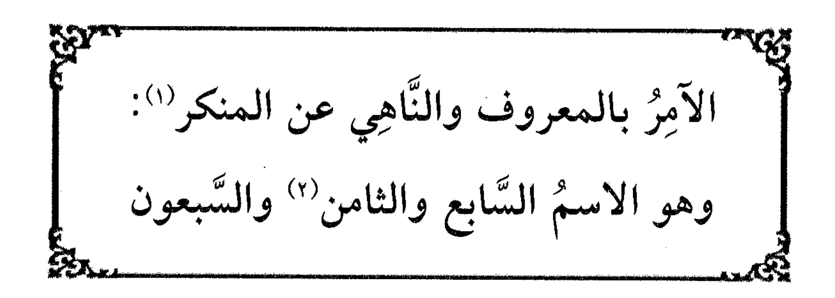
[تَوَعُّدُ رسول الله على المداهنة]:

وقد توعَّد النبي صلى الله عليه[1] في الحديث الصحيح على المداهنة؛ روى عامر الشَّعْبِي عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ أنه قال: «مَثَلُ القائم على حدود الله والمُدْهِنِ فيها كمثل قَوْمٍ استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذي أسفلها إذا استقوا من الماء مَرُّوا على من فوقهم، فقالوا: نخرق خرقًا في جهتنا هذه، ولا نُؤْذُوا من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هَلَكُوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نَجَوْا جميعًا»[2].

وإذا أَدْهَنَ في حدود الله فقد تَرَكَ الأَمْرَ بالمعروف والنَّهْيَ عن المنكر، وهو الأصلُ في الدِّينِ، وفَرْضُ النَّبِيِّينَ، وخِلَافَةُ المرسلين.

* * * * *

(١) في (ك) و(ص) و(ب): ﷺ.
(٢) تقدَّم تخريجه.



الآمِرُ بالمعروف والنَّاهِي عن المنكر(١): وهو الاسمُ السَّابع والثامن(٢) والسَّبعون

قال الله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ [المائدة:٦٥].

وقال: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة:٨١].

وقال: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة:١١٢].

وقال: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [الحج:٣٩].

وقال مُخْبِرًا عن الحكيم: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان:١٦].

فأمَّا قوله: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾؛ قال أهل الزهد: «الربَّاني هو الذي ارتقى عن الحدود، والراهب ارتقى عن الآفات، وزاد في القربات»(٣).

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د)، وفي (ب): الآمر بالمعروف: وهو الاسم الثاني والسبعون، والناهي عن المنكر: وهو الاسم الثالث والسبعون.
(٢) في (ك): الخامس والسادس، وفي (ص): الثالث والسبعون والرابع والسبعون.
(٣) لطائف الإشارات: (١/٤٣٦).

فخَصَّ العلماءَ بتغيير المنكر، واختلف الناسُ من هم على ثلاثة أقوال:

فقيل: هم العاملون العالمون[١].

وقيل: هم العالمون بالمنكر خاصَّة.

وقال قوم: هم الولاة[٢].

ولا خلاف أنَّ من شَرْطِ تغيير المنكر العلم بأنه مُنْكَرٌ، وقد بيَّنَّا شروطَه في «كُتُبِ الأصول»، وكثيرًا من فصوله في كتاب «الأحكام»[٣].

٢ وأمَّا مَن شَرَطَ العمل؛ فإنَّ أهل السنة متفقون على أنه يجوز أن يُغَيِّرَ المنكر فَاعِلُه، وهي مسألة أصولية، ولكنه قلَّ[٤] أن يؤثر التغيير للمنكر/ [٧١/ب] من مُرْتَكِبِه، وخاصَّة إذا كان التغيير بالقول، وقد قال الحكيم:

يا أيها الرجل المُعَلِّمُ غيرَه ... هلَّا لنفسك ذلك التعليمُ
تصف الدواءَ لذي السَّقام من الضنى ... ومن الضنى وجواه أنت سقيمُ
ما زلت تُلقح بالرشاد عقولنا ... قَوْلًا وأنت من الرشاد عديمُ
فابدأ بنفسك فانْهَها عن غَيِّها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيمُ
فهناك ينفع إن وعظتَ ويُقتدى ... بالقول منك وينفع التعليمُ[٥]

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): العالمون العاملون.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم: (٢٤٩٨/٨).

(٣) أحكام القرآن: (٢٦٦/١-٢٦٧)، و(٢٩٢/١-٢٩٣)، والعارضة: (٢٣/٩-٢٧).

(٤) في (د) و(ص): قبل.

(٥) مرَّ تخريجها.

وأمَّا قوله: ﴿كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾؛ فهي آية مُحْكَمَةٌ، قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِيسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة:٨٠ - ٨١]، فأخبر تعالى بأن اللعنة قد حقَّت عليهم بإتيانهم المناكير فيمن[1] أتاها، وبتَرْكِ النكير فيمن[2] كان يأباها، وبيَّن أن الرضى[3] بالمخالفة موافقة[4] للمخالف، مخالفة لمن وقع له[5] الخلاف من مرتكبه، فلم تَبْقَ موافقة بعد ذلك بين الراضي وبين من خُولِفَ بعد تمييز[6] الخلاف.

وقال: ﴿تَرَىٰ كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلذِينَ كَفَرُواْ﴾ [المائدة:٨٢]، ولا تَتِمُّ الصحبة إلَّا بمعاداة عدو الصَّاحب، ومن حكمة الجُهَّالِ قولهم: «إن الرجل من يكون صديق عَدُوَّيْنِ»، وكذَّبوا الحكمة - قولك -: «إن الرجل الذي لا يتولَّى عَدُوَّ صاحبه»، ألا ترى إلى تأكيد ذلك بقوله: ﴿وَلَوْ كَانُواْ يُومِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيٓءِ وَمَآ اُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اَتَّخَذُوهُمُۥٓ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٨٣]، فبيَّن أنهم لو كانوا أولياءَ له ما وَالَوا من عاداه[7].

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): ممَّن.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): ممن.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): الراضي، وضعَّفها في (د)، والمثبت من طرته.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): موافق، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

(٥) سقط من (ك).

(٦) في (ك) و(ب): تميز.

(٧) ينظر: لطائف الإشارات: (١/٤٤٢).

وإنَّما هلكت بنو إسرائيل لأنهم كانوا إذا رأى أحدُهم صاحبَه على منكر لم يمنعه ذلك أن يكون خَلِيطَه وشَرِيبَه وأَكِيلَه.

ومن الثابت الصحيح: أن أبا بكر الصديق قال: «أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة:١٠٧]، وإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: إنَّ الناس إذا رأوا الظالم/ فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يَعُمَّهم الله بعقاب من عنده»(١).

٢ [٧٢/أ]

وثبت عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح: أنه ﷺ قال: «من رأى منكم منكرًا فليُغَيِّرْهُ بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»(٢).

ومن الحديث الحسن: أنَّ النبي ﷺ(٣) قال لأبي ثعلبة الخُشَنِي في ذلك قولًا بديعًا، قال أبو أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِي: «أتيتُ أبا ثعلبة الخشني فقلت له: كيف تصنع بهذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾؟ فقال: أما والله لقد سألتَ عنها خبيرًا، سألتُ عنها(٤) رسول الله فقال(٥): ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيتَ شُحًّا مُطَاعًا، وهَوًى مُتَّبَعًا، ودنيا مُؤْثَرَةً، وإعجابَ كل ذي

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغيَّر المنكر، رقم: (٢١٦٨-بشار).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في (ك): صلى الله عليه.

(٤) سقطت من (د).

(٥) بعده في (ك) و(ص) و(ب): بل، وضرب عليه في (د).

رأي برأيه؛ فعليك بخاصَّة نفسك، وإيَّاك وأمر العامة، فإن من ورائكم أيَّامًا الصبرُ فيهن كالقبض على الجمر، للعامل فيهن أَجْرُ خمسين رجلًا يعملون مثل عملكم، وزاد غيره: فقال[١]: بل أجر خمسين منهم[٢]، قال: بل منكم، مرَّتين أو ثلاثًا، قال في الآخِرَةِ: لأنكم تجدون على الخير أعوانًا، وهم[٣] لا يجدون عليه أعوانًا»[٤].

وقوله: ﴿ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾؛ إخبارٌ عن دعاة الخلق إلى الحق، وتحذيرهم عن غير الله، وأوَّل ما يُغَيِّرُونَ على أنفسهم؛ فيأمرونها بالتقوى، وينهونها عن اتباع الهوى والاغترار بالمُنَى، فإذا أطاعتهم أنفسهم انتقلوا إلى سواها، واتخذوها سبيلًا[٥] إلى غيرها، وجعلوها قنطرة للعبور إلى مطلوبهم من جِنْسِ ذلك، ممَّا فيه الفوز والنعيم[٦].

وأمَّا قوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ قال أهل الزهد: «بدأوا بأنفسهم، انظر[٧] إلى قوله: ﴿أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، وذلك فِعْلُهم»[٨].

---

(١) في (د): فقالوا.
(٢) في سنن أبي داود (٥/٣٩٦-شعيب): «أجر خمسين منهم».
(٣) سقط من (ك) و(ص) و(ب).
(٤) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب التفسير عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة المائدة، رقم: (٣٠٥٨-بشار).
(٥) في (ك): سبلًا.
(٦) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٦٨).
(٧) في (ك) و(ص) و(ب): انظروا.
(٨) لطائف الإشارات: (٢/٥٥٠).

ثم قال: ﴿وَأَمَرُواْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾، وذلك في أنفسهم أوَّلًا، حتى قالوا: «إنهم إذا التزموا ذلك في أنفسهم لم يتفرَّغوا لغيرهم»[1].

وقال بعضهم: «لا يتم ذلك حتى يَحْفَظَ عن المعصية الحواس، وعن الغفلة الأنفاس»[2]، ولم[3] يتفق ذلك إلَّا لتميم الداري، وأبي الدرداء، وعُمَير بن هانئ، وأبي هريرة،/ وعامر بن عبد الله[4] بن الزبير، ونظرائهم. ٢ [٧٢/ب]

قال علماؤنا: «هذه الآية نَصٌّ على أنَّ مِن شَرْطِ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر العَلاء[5] والتمكين، ولا يصح ذلك مع شيء من الخوف»[6].

حتى قالوا: «إنها نزلت في الخلفاء الأربعة، فإنه لم يُمَكَّنْ في الأرض إلَّا لهم، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، رضي الله عنهم»[7].

وإن كان هذا قولًا؛ فالذي مُكِّنَ له أبو بكر وعمر وعثمان؛

فكان أوَّلُ حال أبي بكر شغبًا، ثم مُكِّنَ وتَمَكَّنَ.

وكان حالُ عثمان في الأوَّل تمكينًا، وشُغِبَ عليه في الآخِرِ وقُتِلَ.

---

(١) لطائف الإشارات: (٢/٥٥٠).

(٢) لطائف الإشارات: (٢/٥٥٠).

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): لا.

(٤) قوله: «ابن عبد الله» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٥) في (ك) و(د) و(ب): العدد.

(٦) يُقارَن بما في الإحياء: (ص٧٩١).

(٧) ينظر: الهداية: (٧/٤٩٠٣).

وأمَّا عليٌّ فلم يُمَكَّنْ له[١]؛ لا في الأوَّل، ولا في الآخِر، إلَّا على الوجه المعلوم، وما حصل له من التمكين لم يَعْدُ فيه عن خلافة المرسلين، ولا زَهق عن قانون الدين، ولا كان له نظيرٌ في الباقين، ولا نازعه أَحَدٌ بحق مُبينٍ، ولكنها تأويلات، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩].

وأمَّا تمكين غيرهم فقد قيل: «إنَّها نزلت في أبي بكر، وعمر، وعمَّار، وسلمان، وصُهَيب، وأبي ذَرٍّ، وأبي الدَّرداء».

والصَّحِيحُ أنها نزلت في كل مؤمن يَقْدِرُ أن يُغَيِّرَ؛ فَرْدًا أو مع غيره.

والمعروفُ: كُلُّ مأمور به.

والمنكر: كل مَنْهِيٍّ عنه؛ حتَّى: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال، وأمَّا الغيبة والنميمة والغش والخديعة والخِلابة ونظراؤها فلا كلام فيها.

[شَرَفُ لقمان الحكيم]:

وما[٢] ذَكَرَهُ تعالى عن لقمان؛ فلئن كان نبيًّا لقد يُشْبِهُ قولُه قولَهم، ولئن كان حكيمًا - وهو الصحيح - فلقد شَرَّفَ الله حكيمًا حَمَلَ الرحمنُ كلامَه إلى أكرم رُسُلِه، وأَمَرَ الأمَّة أن تقتدي به، ولقد شَرُفَ الوُعَّاظُ إذْ كان لقمانُ منهم.

ومن أوَّل قَوْلِه: ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ [لقمان:١٢]؛ قالوا: الشِّرْكُ بالله إثباتُ غَيْرٍ مع شهود الغيب، ومنه الكَلَامُ بالقلب مع الغير في الصلاة، وأَتْبَعَها في

---

(١) سقط من (ك) و(ص).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): وأما.

قصة لقمان، لا أنه من قَوْلِه، ولكن لأنَّ[١] لمَّا ذَكَرَ من حال بِرِّ الوالدين تَعَلُّقًا بالشرك في قوله: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾، فقَرَنَ شُكْرَهما بشُكْرِه ثم قال: «وإن سألاك بجِدٍّ أن تُشرك بي فليس ذلك مما أَلْزَمْتُكَهُ في جملة ما فَرَضْتُه في اقتران شُكْرِهما بشُكْرِي».

٢ [٧٣/أ]

ومن «فوائد الشهيد أبي سَعْدٍ» في قَوْلِه/: «﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: هو كلُّ ما يُوَصِّلُ العَبْدَ إلى الله، والمنكر: هو ما يشغل العَبْدَ عن الله»[٢].

قال الإمام الحافظ[٣] رضي الله عنه: ووَجْهُ هذا أن المُنْكَر على قسمين؛ من جهة النهي والعقاب قِسْمٌ، ومن جهة بَخْسِ الحظ ونقصان الأجر قِسْمٌ، فترجع فائدة أبي سعد إلى هذا الحَدِّ.

ثم قال: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾، وهذا يدلُّ على جواز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن نال العَبْدَ فيه مكروهٌ، ولا يلزم ذلك فرضًا، ولكنه إذا فَعَلَه لم يَخْسَرْ مع الله.

ثم قال له: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾، يعني: لا تتكبَّر عليهم، وأَصْلُ الصَّعَرِ المَيْلُ في اللغة، والمتكبر يُعْرِضُ عن الخلق تعاظمًا بنفسه عليهم، واستحقارًا لهم، حتى يعتقد فيها أنه فوقهم، وإذا اعتقد ذلك فهو تحتهم، وقد ذمَّ الله التكبر في كتابه وعلى لسان رسوله في عدة مواضع.

---

(١) في (ص): لِأَنْ.

(٢) لطائف الإشارات: (٣/١٣٢).

(٣) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.

ومن الحديث في مثلها: قال النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرَّة من كِبْرٍ»(١)، يعني: من كُفْرٍ، وقد تقدَّم بيانُه.

[رؤوس المُتَكَبِّرِينَ]:

وقد تكبَّر إبليسُ على آدَمَ فهَلَكَ إلى الأبد، وكان ذلك لأنه اعتقد أنه أكبر من آدم، وقد أَمَرَهُ الله أن يُعَظِّمَه حتى يكون أكبر منه عَمَلًا، كما كان أكبر منه عِلْمًا، واعترض على أَمْرِ الله برأيه السخيف وعقله الناقص، فكان هذا رَدْعًا لكل من اعتقد في نفسه ما لم يجعله الله فيه، وكان إبليسُ كما قيل:

فبات بخَيْرٍ والزمانُ مسالم ... وأصبح يومًا والزمان محاربُ(٢)

وقلتُ أنا(٣):

وغَالَبَ أَمْرَ الله فيما يظنه ... وإن طالت الأيامُ فالله غالبُ(٤)

وآدمُ وإبليسُ في أمرهما غريبة؛ كانت من آدم هفوة بشرية، تداركتها رحمة أوَّلية، وكانت من إبليس كلمة جاهلية، فنفذت فيها نقمةٌ عَصَوِيَّةٌ(٥)، أنزلته ببقعة غَضَوِيَّةٍ(٦).

---

(١) تقدَّم تخريجه في السِّفْرِ الأوَّل.

(٢) من الطويل، ولم أقف عليه.

(٣) قوله: «وقلت أنا» سقط من (د).

(٤) من الطويل.

(٥) في (ص): غضبية.

(٦) في (ص): عصوية.

وإذا الحبيبُ أتى بذنب واحدٍ جاءت محاسنُه بألف شفيعِ[1]

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف:٣٩]؛ لمَّا تعاظموا لم يُرفع لهم عمل ولا رُوح إلى السماء، وأُخِذَ بهم/ أسفل سافلين، ولا يُسمع لهم دعاء ولا نداء، بل يكون ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾، ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر:١٥]، سَدَّتِ الذنوبُ عليهم الطرق، وأحاطت بهم الخطيئات، فأحاط بهم العذاب، صُرِفُوا عن دار السعادة، واستُفِلَ بهم عن مكان السَّادة.

٢ [٧٣/ب]

وكذلك قال الله[2] فيهم: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:١٤٦]، لمَّا تراكم الرَّيْنُ على قلوبهم صاروا مُعْرِضِينَ عن الآيات، وأَصْلُه تَعَاظُمُ النفوس، فلم[3] يخلق لهم القبول لما يسمعون، وأفادهم ذلك جحود الحق بعمى الحق، حتى إذا رأوا سبيل الرشد لم يسلكوه، وإذا رأوا سبيل الغي سلكوه، وهذا لأن الرؤية لا تكون إلَّا مع التوفيق؛ لمعرفة الحق حقًّا والباطل باطلًا.

والجاحدُ للحق مع تحققه به أقبحُ حالًا من جاحده مع خفائه عليه، ولهذا سلبهم محبته، فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل:٢٣]، وإذا وجبت لهم بُغْضَتُه حقَّت عليهم لَعْنَتُه، وأسكنهم دار عذابه بعد أن توفَّاهم على حال خِزْيِهم وهوانهم، فيُنْكِرُونَ أنهم ما عملوا سُوءًا، فيُكَذِّبُهم الله والملائكة والجوارح والخلق.

---

(١) من الكامل، وهو لابن نباتة مع بيت آخر في ديوانه: (ص٣١٢).

(٢) لم يرد في (ك).

(٣) في (ك) و(ص): فلا.

وكذلك الذين دَنَّسُوا يقينهم بإعراضهم عن الطاعات؛ إذا نزلت بهم الآفات(١) أخذوا في الجزع والتضرع، وأيقنوا بأنهم مُعامَلون بما عامَلوا، مَجْزِيُّونَ بما اقترفوا، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلَّا أحصاها، وإذا داموا على الأعمال السيئة وتكبَّروا عن الأعمال الصالحة وتعاظموا على(٢) القبول لم يُؤْمَنْ عليهم سوء الخاتمة، حين لم يتدبَّروا القول، وحال بينهم وبينه الكِبْرُ، وتأخَّروا عنه القهقرى؛ فأُخِّرُوا إلى وراء الوراء، وكانوا يأتون بهُجْرِ القول بَدَلًا من القول الحق، فأسمعهم الله من ملائكته المُتَنَاوِلَةِ لهم من قُبْحِ القول وغِلْظَتِه(٣) ما كان فيه وحده هَلَاكُهم.

ومن رؤوس المتكبرين من قال: ﴿أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة:٢٥٧]، فانظروا إلى هذا الحجاب العظيم الذي أُلْقِيَ عليه، فاعتقد أنه يُحْيِي ويُمِيتُ، أو أَلْبَسَ بما عَلِمَ أنه مُحَالٌ، ليَحُوطَ مُلْكَه، ويَحْمِي قلوب العامة في اتِّباعه، ورأى أنَّ القَدْرَ الذي سلَّطه مالكُ الأعيان عليه ومكَّنه خالقُ الأشياء منها بذلك استحقَّ أن يكون هو المقصود/ وحده، والإله المعبود دون غيره.

٢ [٧٤/أ]

ونَسِيَ أوَّلَه وآخِرَه وحاله التي هو عليها، وغفل عمَّا خرج عن يده، حتى نبَّهه العَالِمُ بالله وبه عليه، فقال له: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾.

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): الوفاة، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته، وصحَّحه.

(٢) في (ك): عن.

(٣) في (ب): غلظه.

وبذلك صارت القَدَرِيَّةُ من المستكبرين على الله ؛ فإنهم يزعمون أن الله لمَّا خَلَقَ لهم القدرة والعلم والإرادة صاروا هم يفعلون بذلك كله ما أرادوا ، لا ما أراد الله ، ولا يَقْدِرُ الباري على دَفْعِهم بذلك.

[مناظرةٌ بين سُنِّيٍّ وقَدَرِيٍّ]:

ولقد اجتمع قَدَرِيٌّ وسُنِّيٌّ في دعوة في بُسْتَانِ فواكه ، فأخذوا في الحديث حتى قال القدري: «أنا خالق فِعْلِي ، ومالك نفسي ، ومُصَرِّفٌ - كيف شئتُ - أمري[1] ، واسْحَنْفَرَ[2] وخرج ، وقال: يا قوم ، أو يجهل هذا أحد[3] ؟ ومدَّ يده إلى غصن كان يتدلَّى فيه سَفَرْجَلَةٌ فقطعها ، وقال: أليس هذا فِعْلِي وقَطْعِي ؟ وما لله في هذا من عمل ، فقال له السُّنِّيُّ: إن كنتَ أنت قاطعها من موضعها فرُدَّها فيه ، فبُهِتَ بين الحاضرين ، وانقلبت الدعوة عن ظهور السني».

والقَوْمُ من الإنصاف والعقل من حيث إذا ظهرت الحجة انقادوا إليها ، ولو حادوا عنها لسقطوا من الأعين ، ولم يكن لهم عند الطلبة قَدْرٌ ، ولو كان في هذه البلاد لخلَّط في الجواب ، وأَكْثَرَ من قول غير الصواب ؛ لغلبة الجهل عليهم ، وقلة الإنصاف بينهم.

[من رؤوس المتكبرين]:

ومن رؤوس المتكبرين فِرْعَوْنُ ، أنكر الإله لموسى ، وسأله عنه سؤال الجاهل به[4] ، وكلَّما ذَكَرَ له موسى اسمًا ونَصَبَ له دليلًا قال له آخِرًا: «إنه

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): فعلي ، ومرَّضها في (د) ، والمثبت صحَّحه بطرته.

(٢) اسحنفر: مضى مسرعًا.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): أحد هذا.

(٤) سقط من (ك).

لمجنون»، فلمَّا ملأ قلبَه رُعْبُه[(١)] قال له مُهَدِّدًا: «لأسجننَّك»، وعَطَفَ على قومه فقال لهم: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص:٣٨]، وجعل يقول لأصحابه: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ للنصرة، ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر:٢٦].

رَمَتْنِي بدائها وانْسَلَّتِ

وقال: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾[(٢)] [غافر:٣٦].

قال علماؤنا: «لو لم يكن من المضاهاة بين من قال: إن المعبود في السماء، وبين فرعون إلَّا هذا القول؛ لكان كافيًا لخِزْيِ[(٣)] من قال ذلك، فقد كذَّب فرعون في قوله: إن الإله في السماء، ولو كان ذلك صحيحًا لكان فرعون مصيبًا/ من وجه، قال الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [غافر:٣٧]، فأخبر أنَّ اعتقاده أنَّ المعبود في السماء باطل، وأنه بذلك مصدود عن سبيل الرشاد، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر:٣٨]»[(٤)].

٢
[٧٤/ب]

وقد تكبَّرت قُرَيْشٌ على النبي ﷺ[(٥)]، وتعاظمت عليه كتَعَاظُم من سَبَقَ من الأمم على الرُّسُلِ، حتَّى[(٦)] استحقرتها واستضعفتها، وجهلت أن

(١) في (د): رغيه.
(٢) في النسخ: «يا هامان ابني صرحًا لعلي أطلع إلى إله موسى».
(٣) في (ص): لِخزي.
(٤) ينظر: لطائف الإشارات: (٣/٣٠٦).
(٥) في (ك): صلى الله عليه.
(٦) في (ك) و(ص) و(ب): حين، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

القوة لله، وأن محلها القلوب في الأصالة، وأن الجوارح تَبَعٌ لها[١]، وأن قوة القول أكبر من قوة الفعل، ولا أَظْهَرَ من فضل التواضع[٢]، ورَأَتْ أنه فقير يتيم فاستضعفته؛ على عادة العرب، فأعزَّه الله وأظهره[٣]، ونصره وظفَّره، وأعلاه وأقهره، وأغناه عن كل شيء سواه، وذلك بما يسَّر له من شَرْحِ صدره، فإنه شَرَحَه بالمحسوس والمعقول.

[شَرْحُ صَدْرِ رسول الله]:

فأمَّا[٤] شَرْحُه بالمحسوس ففي مرَّتين:

إحداهما: أيَّام كان عند ظِئْرِهِ السَّعدية مُسْتَرْضَعًا، حتى انتفض وخرج يرتع، فبينما هو منتبذ في بطن وَادٍ مع أتراب له من الصبيان، إذ أقبل ثلاثة رَهْطٍ معهم طَسْتٌ من ذهب مملوء ثَلْجًا، قال: «فأضجعني أَحَدُهم، فشَقَّ[٥] ما بين ثَغْرَةِ صدري[٦] إلى منتهى سُرَّتِي، فلم أجد له مسًّا، ثم أخرج حُشْوَتِي فغسلها بذلك الثلج، فأَنْعَمَ غسلها، ثم أخرج الآخَرُ قلبي فصدعه، وأخرج منه بضعة سوداء فألقاها، وتناول بيده خاتمًا[٧] من نُورٍ فخَتَمَ به قلبي، ثم أعاده مكانه، فامتلأ قلبي نُورًا، ثم ضَمُّونِي، وقالوا لي: لا تُرَعْ، لو علمتَ ما يراد بك من الخير لقرَّت عينك»[٨].

---

(١) سقطت من (ك) و(ص).

(٢) مرَّضها في (د)، وكتب في الطرة: «لا ظهر من فعل المتواضع»، ولم يظهر لي فيها وجه فلم أثبتها، ورمز لها بـ: خـ.

(٣) سقط من (ك).

(٤) في (ك): وأما.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): ثم شقَّ.

(٦) في (د): صدر.

(٧) في (ك): خاتم.

(٨) أخرجه بنحوه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله إلى السماوات وفرض الصلوات، رقم: (١٦٢-عبد الباقي).

وللحديث طُرُقٌ، وقد سُقْنَاهُ في «أنوار الفجر»، في «فَضْلِ المعجزات».

وأمَّا الثانية: ففي ليلة الإسراء؛ جاءه ثلاثة نَفَرٍ فلم يُكَلِّمُوه حتى احتملوه، فوضعوه عند زمزم، فتولَّاه منهم جبريل؛ فشقَّ من السَّحْرِ[1] إلى مَرَاقِّ البطن، قال: «فاستخرج قلبي، قال: حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله بماء زمزم حتى أنقى جوفه، ثم أتى بطَسْتٍ من ذهب فيه تَوْرٌ[2] من ذهب، مَحْشُوٌّ إيمانًا وحِكْمَةً، فحشا به صدره ولَغَادِيرَه - يعني: عُرُوق حَلْقِه -، ثم أطبقه»[3].

وهذا هو الشرح المعقول بالحكمة والنور.

[من شروط الأمر بالمعروف]:

وإذا كملت هذه العارضة عُدْنَا إلى المقصود، فقلنا:

٢ [٧٥/أ]

المُتَعَلِّقُ بهذا ممَّا نحن/ فيه: إذا لم يكن مُتَكَبِّرًا وكان متواضعًا كان لقوله في قلوب الخلق موقع[4] ومَحَلٌّ، ولمَحَلِّه جَلَالَةٌ وبِرٌّ.

ويُروى أن كعب الأحبار قال لأبي مسلم الخَوْلاني: «كيف منزلتك من قومك؟ قال: حسنة، قال كعب: إن التوراة لتقول غير ذلك، قال: وما

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): النحر، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

(٢) في (ك): ثور.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله إلى السماوات وفرض الصلوات، رقم: (١٦٤-عبد الباقي).

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): موضع، وضعَّفها في (د)، والمثبت من طرته.

تقول؟ قال: تقول: إنَّ الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه، قال له: صَدَقَتِ التوراة، وكذب أبو مسلم»[١].

قال الإمامُ الحافظ[٢] ﷺ: الأَمْرُ بالمعروف على قِسْمَيْنِ:

أحدهما: أن يكون عظيم القَدْرِ.

[الثاني]: أو يكون خاملًا.

فإن كان عظيم القدر نَفَذَ تغييره، ولم يؤثر ذلك في منزلته.

وإن كان خاملًا وأَغْلَظَ وقد خلصت نيَّتُه لله لم يُنْقِصْ ذلك منه.

وإن كان ذلك لقلة إخلاص أو بقِلَّةِ عمل فهو الذي يكرهه قَوْمُه، وتسقط منزلته عندهم، كالجار مع الجار، فإنَّ سنة التغيير معه ألَّا يُنْكِرَ عليه جَهْرًا، ولا يأخذه قَهْرًا، ولا يكشف له سِتْرًا.

وقد[٣] سُئِلَ مالك عن الرجل يأمر بالمعروف من لا يطيعه؛ كالجار والأخ، قال: «لا بأس بذلك»[٤].

وكان صِلَةُ بن أَشْيَمَ من الفضلاء، فمرَّ عليه رجل يُسْبِلُ إزاره، فهَمَّ أصحابُه أن يأخذوه أخذًا شديدًا، فقال: «دَعُونِي أَكْفِكُمْ، فقال: يا ابن أخي، إنَّ لي إليك حاجة، قال: وما حاجتك يا عم؟ قال: أُحِبُّ أن ترفع من إزارك، قال نعم، وأَنْعِمْ عَيْنَك بذلك، فرجع صِلَةُ وقال لأصحابه: لو أخذتموه بالشِّدَّة للَقِيتُم منه[٥] حِدَّة»[٦].

---

(١) الإحياء: (ص٧٨٧).

(٢) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي.

(٣) في (ك) و(ص): قد.

(٤) البيان والتحصيل: (٨٤/١٧).

(٥) سقطت من (د).

(٦) الإحياء: (ص٨١٢).

[حكايةٌ مع المقرئ محمد بن عبد الرحمن الزاهد[1]]:

وكنتُ أُصَلِّي ليلةً صلاة المغرب بالمسجد الأقصى - طهَّره الله[2] - مع إمام الباب الأخضر عند بَابِ[3] حِطَّة، الذي قيل فيه لبني إسرائيل: ﴿ادْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾[4] [البقرة:٥٧]، وفي الجماعة شيخنا أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المقرئ الزاهد، وأنا عن يمينه، وعن يساره رجل، ويَلِيهِ رجل آخر، فلمَّا قضينا الصلاة قال الرجل الذي كان ثالث المقرئ للَّذي عن يسار المقرئ ثانيه: أفسدت صلاتك، ما زِلْتَ ترفع قبل الإمام و تخفض، قال له: كذبت، قال له: بل كذلك فعلت، فإني نظرتُ إليك في صلاتك كلها، وأنت مستمر على هذا الفعل، ورَدَّ وَجْهَه إلى شيخنا أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن/ المقرئ الزاهد، وكان عن يمين هذا المصلي، فقال له: يا فقيه، أليس هكذا كان فِعْلُه؟ فقال له المقرئ: لا عِلْمَ لي، لم أشتغل بأحد ولا بصلاته، إنَّما اشتغلت بصلاتي وبنفسي، فخجل ذلك المتكلم وأُبْهِتَ، وانصرفنا نتعجَّب من ذلك[5].

٢ [٧٥/ب]

---

(١) الفقيه الإمام، العلَّامة المقرئ، محمد بن عبد الرحمن المغربي، أبو عبد الله الزاهد، وفي القبس (١١٧٥/٣): «أبو عبد الله النحوي»، وذكره ابنُ العربي في كتاب «الأحكام» و«النكت»، وظهر من خلال نقولاته عنه أنه كان نحويًّا، وينقل عنه أيضًا الإمام أبو حامد الطُّوسِي في كتابه «المنخول»، فأفاد هذا أن ابن العربي شارك أبا حامد في شيخه هذا، وغالب الظن أن يكون أبو حامد قد لقيه ببيت المقدس؛ إذ كان أحد المجاورين فيه، ينظر: أحكام القرآن: (١٠٦٠/٣)، والمنخول: (ص٩٠).

(٢) في (ص): ثبَّته الله على الإسلام.

(٣) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٤) في (ك) و(ب) و(د): ﴿ادخلوا الباب سجدا﴾.

(٥) ينظر: أحكام القرآن: (١٣٠٩/٣).

وكانت هذه عقوبة فيه حين جَهَرَ، ولو جذبه إلى نفسه وانفرد به ووعظه بلِينٍ لكان أَحْرَى[١] في الإنجاح[٢]، وأقرب إلى ما أراد إن كان أراد[٣] الصَّلاح والإصلاح.

ولقد قال مالك: «بلغني أن سعد بن أبي وقاص رأى رجلًا بين عينيه سجدة، فقال له: مُذْ كم أسلمت؟ فذكر الرجل أمدًا[٤] كأنه يُقَرِّبُه، فقال له سعد: أسلمتُ منذُ كذا وكذا وما بين عَيْنَيَّ شيء»[٥].

قال الإمام الحافظ[٦] رضي الله عنه: ومن أعظم أوصاف جهنَّم أنها يوضع فيها الرجل فتدور به النار دورة، فتندلق أقتابه، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون له: «ألست كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتِيه»[٧].

ونَعْتُه بشروطه وأوصافه في «كُتُبِ الأصول»[٨] و«الأحكام»[٩]، وإذا أَمَرْتَه بالمعروف ونَهَيْتَه عن المنكر وقُمْتَ بحَقِّ نفسك في ذلك وبحَقِّه؛ فأنتَ «الأَخُ».

---

(١) في (ك): أجرى.

(٢) في (ص): إنجاح.

(٣) بعده في (ك) و(ص) و(ب): من، وضرب عليه في (د).

(٤) في (ك) و(ص): أمرًا.

(٥) البيان والتحصيل: (١٧/٤٠٢).

(٦) في (ب): قال الإمام رحمه الله.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، رقم: (٣٢٦٧-طوق).

(٨) ذَكَرَ ابنُ العربي في «الأحكام» أنه بيَّن في كتاب «المشكلين»: الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وآياته، وأخباره، وشروطه، وفائدته، الأحكام: (١/٢٦٦).

(٩) أحكام القرآن: (١/٢٦٦-٢٦٧)، و(١/٢٩٢-٢٩٣)، والعارضة: (٩/٢٣-٢٧).

الأَخُ[(١)]: وهو الاسمُ التَّاسع[(٢)] والسَّبعون

وهو في الحقيقة: عبارة عمَّن كان أَصْلُك أَصْلَه، ومَحَلُّك مَحَلَّه، وسببكما[(٣)] في الوجود والمَحَلِّ والرُّتْبَةِ واحدٌ.

ثُمَّ صار أصلًا في الدين والملة، قال ﷺ: «لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا»[(٤)]، يعني: كما أخبر الله وأمر، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُومِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]، وقال: ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾[(٥)] [الأحزاب:٥].

وقال ﷺ: «الأنبياء إِخْوَةٌ لعَلَّاتٍ[(٦)]؛ أمهاتهم شتَّى، ودِينُهم واحد، أنا أولى الناس بعيسى في الدنيا والآخرة، ليس بيني وبينه نَبِيٌّ»[(٧)].

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ب): الرابع، وفي (ص): الخامس، وفي (ك): السابع.

(٣) في (ك) و(ص): نسبكما.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر، رقم: (٢٥٥٩-عبد الباقي).

(٥) في (د): وإخوانكم.

(٦) في (ص): لعَلَّات.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السَّلام، رقم: (٢٣٦٥-عبد الباقي).

وقال ﷺ: «لو كنتُ متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن أُخُوَّةُ الإسلام»(١).

٢
[٧٦/أ]

وخرج ﷺ/إلى المقبرة فقال: «السَّلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أني قد رأيت إخواننا، قالوا له(٢): ألسنا بإخوانك يا رسول الله؟ قال: بل أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد، وأنا فَرَطُهم على الحوض»(٣).

وقال النبي لزيد: «أنت أخونا ومولانا»(٤).

ولمَّا أراد النبي ﷺ(٥) أن يُبَيِّنَ كونهم من أصل واحد وارتباطهم كالشيء الواحد قال: «مَثَلُ المؤمنين في تراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد؛ إذا اشتكى عُضْوٌ منه تَدَاعَى سائرُه بالحُمَّى والسَّهَرِ»(٦).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري ﵁: كتاب فضائل الصحابة ﵃، باب من فضائل أبي بكر الصديق ﵁، رقم: (٢٣٨٢-عبد الباقي).

(٢) سقط من (د).

(٣) سبق تخريجه في السِّفْرِ الثاني.

(٤) ذكره البخاري في صحيحه مُعَلَّقًا عن البراء بن عازب ﵁: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ.

(٥) في (ك): صلى الله عليه.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن النعمان بن بشير ﵁: كتاب البر والصلة والآداب، باب تراجم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم: (٢٥٨٦-عبد الباقي).

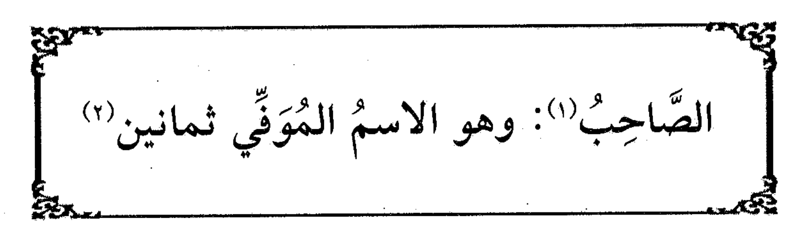
قال الإمام الحافظ[١] ﷺ: والمؤمنون بالحقيقة إخوة كما هم إخوة بالمعنى[٢]؛ فإن أباهم آدم، وأمهم حَوَّاء، وإن تباعدوا بتَبَاعُدِ[٣] الرَّحِمِ، فقد تقاربوا باتحاد الدين، إلى ما يجمعهم من رقَّة الجنسية، وأُنْسِ المشابهة، وإذا تلازما مكانًا كما اتَّحَدَا دِينًا كما استويَا نَسَبًا كان كُلُّ واحد منهما للآخر «صَاحِبًا».

* * * * *

(١) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله، وفي (ب): قال الإمام رحمه الله.

(٢) في (د): والمؤمنون بالحقيقة إخوة بالمعنى كما هم إخوة، وفي (ص): والمؤمنون بالحقيقة إخوة كما هم إخوة.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): بتعداد، ومرَّضها في (د)، وما أثبتناه صحَّحه بطرته.



الصَّاحِبُ[١]: وهو الاسمُ المُوَفِّي ثمانين[٢]

ومن ذلك قيل: أصحابُ النبي[٣].

وقال هو ﷺ: «بل أنتم أصحابي»[٤]، إخبارًا عمَّا كانوا معه عليه من الملازمة، كما كانوا معه مشتركين في الإيمان.

ومن الصحيح الثابت عن النبي ﷺ أنه قال: «دَعُوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أنفق أحدُكم كلَّ يوم مثل أُحُدٍ ذَهَبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَه»[٥]، خرَّجه بهذه الزيادة البَرْقَانِي في «الصَّحِيحِ»، فحصلت لهم هذه المرتبة، وتميَّزوا بالمنزلة الشريفة والمنقبة.

وقال في الحديث الصحيح: «خَيْرُ الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يأتي بعدي قَوْمٌ من بعد ذلك تسبقُ أيمانُهم شهاداتِهم، وشهاداتُهم أيمانَهم»[٦].

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): الثامن والسبعون، وفي (ص): السادس والسبعون، وفي (ب): الخامس والسبعون.

(٣) ينظر: العارضة: (١٠/٥٧٢).

(٤) تقدَّم تخريجه.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كتاب فضائل الصحابة، بابٌ، رقم: (٦٣٧٣-طوق)، ولَفْظُه فيه: «لو أنفق أحدكم مثل أُحُدٍ ذَهَبًا»، وقال ابن حجر: «زاد البرقاني في المصافحة من طريق أبي بكر بن عياش عن الأعمش: كل يوم، وهي زيادة حسنة»، فتح الباري: (٧/٣٤).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، رقم: (٢٥٣٣-عبد الباقي).

وجاء في الحديث الحَسَنِ: عن موسى بن إبراهيم عن طلحة بن خراش[١] عن جابر: سمعتُ رسول الله يقول: «لا تَمَسُّ النارُ مسلمًا رآني ورأى من رآني، قال طلحة: فقد رأيتُ جابر بن عبد الله، وقال موسى: قد رأيتُ طلحة، ونرجو رحمة الله»[٢].

٢ وقال رسول الله ﷺ: «اللهَ اللهَ في أصحابي، اللهَ اللهَ في أصحابي، لا تتخذوهم غَرَضًا بعدي،/ فمن أحبَّهم فبحُبِّي أحبَّهم، ومن أبغضهم فببُغْضِي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يُوشِكُ أن يأخذه»[٣]. [٧٦/ب]

والصَّحَابَةُ إِخْوَةُ النبي، وزيادةُ وَصْفِ الصُّحْبَةِ وفَضْلِها.

وقد سمَّانا ﷺ[٤] «إِخْوَةً»[٥]، ويا له من شَرَفٍ لا تعادله الدنيا بأَسْرِها! ووَدَّ أنه رَآنا، فنحن لذلك أَوَدُّ، وأعظم محبة وأحرص، ولو رأيناه صلى الله عليه[٦] لرأينا شَرَفَ الدنيا والآخرة، وقُرَّةَ عَيْنِ المؤمنين، ولو رَآنا لرأى ما يُسْخِطُه علينا، ويُسْخِنُ عَيْنَه مِنَّا[٧].

---

(١) قوله: «عن موسى بن إبراهيم عن طلحة بن خراش» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، بابُ ما جاء في فضل من رأى النبي ﷺ وصحبه، رقم: (٣٨٥٨-بشار)، وحسَّنه أبو عيسى.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه عن عبد الله بن مُغَفَّل رضي الله عنه: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب فيمن سَبَّ أصحاب النبي ﷺ، رقم: (٣٨٦٢-بشار).

(٤) في (ك): صلى الله عليه.

(٥) تقدَّم تخريجه.

(٦) في (ك): ﷺ.

(٧) قوله: «ما يُسْخِطُه علينا، ويُسْخِنُ عَيْنَه منَّا» سقط من (ص) و(ب).

[تَشَفُّعُ ابنِ العربي بحُرْمَةِ رسول الله]:

اللهم إنَّا نتشفَّع[1] إليك بحُرْمَتِه ؛ أن تُصلح خاصَّتنا وعامَّتنا ووُلَاةَ أمورنا ، إنك أرحم الراحمين ، لا إله إلا أنت ، سبحانك إني كنت من الظالمين ، اللهم أَرْضِنَا فيه ، واجعلنا ممَّن يرضى عنه ، اللهم إنك تَعْلَمُ تقديسي لك وتنزيهي ، وترفيعي له وللرُّسُلِ وتنويهي ، وتطهيرهم عمَّا نَسَبَ إليهم الجاهلون بهم ، وتبرئتهم عمَّا روى الغافلون فيهم وعنهم ، فاجْزِني بذلك جزاءَ من نَاضَلَ عن دينك ورُسُلِك ، واكتبني فيمن بلغ غاية آماله ، يا أرحم الراحمين .

[خصالُ الأُخُوَّةِ وشُرُوطُ الهجر]:

وفي الحديث المنثور: «المسلم أخو المسلم ، لا يُسْلِمُه ، ولا يَظْلِمُه»[2] .

وأنتَ وَلِيُّ أخيك المسلم إذا ظُلِمَ ، فإن ظَلَمْتَهُ كان الله وَلِيَّه عليك .

وقد نهاكم أن تتحاسدوا ، فإن حَسَدَكَ فلا تَحْسُدْه ، وأن لا تتباغضوا ، فإن أبغضك فلا تُبْغِضْه ، وأن تدابروا[3] ، فإن[4] أدبر عنك فأَقْبِلْ عليه ؛ فإنَّ الشَّرَّ إذا دَفَعْتَهُ بالخير ذَهَبَ ، وإذا جَارَيْتَهُ بالشَّرِّ اشتعل والْتَهَبَ ، «فلا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ؛ يلتقيان فيُعْرِضُ هذا ، ويُعرض هذا ،

---

(١) في (د): نستشفع .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم ظلم المسلم وخَذله واحتقاره ، رقم: (٢٥٦٤-عبد الباقي) .

(٣) قوله: «وأن تدابروا» سقط من (ك) و(ص) و(ب) .

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): وإن .

وخَيْرُهما الذي يبدأ بالسَّلام»[١]، إلَّا إذا رأيته على مُنْكَرٍ، فلا يَحِلُّ لك مخالطته، إلَّا أن يكون مُتَأَوِّلًا؛ كالحَنَفِيِّ يشرب النَّبِيذَ، إلا أن يتأوَّل تأويلًا باطلًا، فلا تحل لك صحبته، مثل أن يتزوج امرأة مُفَوِّضَةً، بلا ولي، ولا شهود، ولا إعلان، ويقول: سَكَتُّ عن الصداق على سنة التفويض، وعن الولي على مذهب[٢] من لا يراه، وعن الشهود على قَوْلِ من لا[٣] يجعله شَرْطًا في صحة النكاح، وعن الإعلان على رأي من لم يعتبره، فهذا فَاجِرٌ محدود بالرَّجْمِ/ أو الجَلْدِ؛ على حسب صفته من بَكَارَةٍ أو إِحْصَانٍ.

٢ [٧٧/أ]

وقد أَمَرَ النبيُّ بِهِجْرَانِ من عصى فتخلَّف عنه، وتَرَكَ المسلمون كَلَامَ كَعْبٍ وصَاحِبَيْه خمسين ليلةً[٤].

وقد هَجَرَتْ عائشةُ عبد الله بن الزبير حين بلغه أن عائشة باعت أو أعطت، فرآه كثيرًا، فقال: «لأَحْجُرَنَّ عليها، قالت: هو لله[٥] عليَّ نَذْرٌ أن لا أُكَلِّمَ ابن الزبير أبدًا، فاستشفع إليها حتى راجعته، وأعتقت أربعين رقبةً في نذرها، وكانت تبكي وتخاف ألَّا تفي به»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي أيوب الأنصاري ﵁: كتاب الأدب، باب الهجرة، رقم: (٦٠٧٧-طوق).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): رأي، وضعَّفه في (د)، والمثبت من طرته.

(٣) في (ك): لم، وسقط من (ص).

(٤) ذكره البخاري في صحيحه عن كعب ﵁ مُعَلَّقًا: كتاب الأدب، باب ما يجوز من الهجران لمن عصى.

(٥) في (د): الله.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب الهجرة، رقم: (٦٠٧٣-طوق).

وقد يكون بين المُحِبِّينَ نَوْعٌ من الترك لا يُبَلِّغُ إليها[١]، قال رسول الله لعائشة: «إني لأعرف غضبك ورضاك، قالت: قلت: وكيف تعرف ذلك يا رسول الله[٢]؟ قال: إذا كنتِ راضية قلت: لا، وربِّ محمد، وإذا كنتِ غَضْبَى قلت: لا، وربِّ إبراهيم، قالت: أجل يا رسول الله، والله ما أهجر إلَّا اسمك»[٣].

ولمَّا طلبتْ فاطمةُ ميراثَها من أبي بكر قال لها: «قد قال رسول الله: لا نُورَثُ»[٤]، وجرى الكلام، ورجعتْ فاطمةُ إلى بيتها فلم تُكَلِّمْه، ولا بايعه عَلِيٌّ حتى تُوُفِّيَتْ، والثلاثةُ مع رسول الله إخوانٌ على سُرُرٍ متقابلين.

وهذا الذي جرى بينهما لا تُدْرِكُهُ حسناتُنا، فكيف أن يَعُدَّه جاهل من سيئاتهم؟ ومن يكون المخذول الذي يتربَّع بين هؤلاء الثلاثة فيتكلَّم؟ حاشا لله وللمجد وللدِّين أن يكون في ذلك لأحد جَدٌّ[٥]، بل الجَلْدُ والحَدُّ[٦].

وروى الترمذي أنَّ ابن عمر جاءه رجل فقال: «إن فلانًا يقرئك السَّلام، فقال: إنه بلغني أنه قد أَحْدَثَ، فلا تقرئه مِنِّي السَّلام، فإنِّي

(١) أي: الهجران.

(٢) في (ك) و(ص): وكيف يا رسول الله؟

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب ما يجوز من الهجران لمن عصى، رقم: (٦٠٧٨-طوق).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، رقم: (٤٢٤٠-طوق)، وفيه: «فوجدتْ فاطمةُ على أبي بكر فهجرته؛ فلم تُكَلِّمْهُ حتى تُوُفِّيَتْ».

(٥) في (ص): حد.

(٦) في (ص): جد.

سمعتُ رسول الله يقول: يكون في هذه الأمة خَسْفٌ ومَسْخٌ أو قَذْفٌ في أهل القَدَرِ»[١]، صحيح حسن غريب، وهذا أَصْلٌ في هجران[٢] المبتدع واجتناب صُحْبَتِهِ.

[المنافرةُ التي كانت بين مالك وابن إسحاق[٣]]:

وقد تَهَاجَرَ مالك ومحمد بن إسحاق، وهما إمامان، ومَالِكٌ أعظم قَدْرًا، فكان محمد بن إسحاق يقول: «مالك مَوْلَى قريش، فلِمَ ترك ذلك وانتسب إلى أَصْبَح؟ لا يحلُّ له ذلك، ولا يُكَلَّمُ حتى يرجع»[٤]، وكان مالك يقول: «محمد بن إسحاق يقول: حدَّثتني فاطمة بنت المنذر، وما رآها، ولم يَتَسَوَّرْ على الحُرَمِ، وهذا هشامٌ زوجها يُقْسِمُ أنه ما كان ذلك»[٥]، / فأمَّا الأَمْرُ فصحيح منهما، وكلاهما سالم. ٢ [٧٧/ب]

أمَّا مالك فأَصْبَحِيٌّ نَسَبًا، وتَيْمِيٌّ حِلْفًا، وَرَدَ جَدُّه مكَّة فحَالَفَ التَّيْمِيِّينَ[٦]، إذ[٧] لم يكن[٨] يتفق لأحد من الغرباء أَمْرٌ بمكَّة ولا بغيرها من

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب القدر عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٢١٥٢-بشار).

(٢) في (ك): هجر.

(٣) ينظر في الخصومة التي كانت بينهما: تاريخ بغداد: (٢/١٩-٢١).

(٤) ينظر: الانتقاء لابن عبد البر: (ص٤٠).

(٥) ينظر: تاريخ بغداد: (٢/١٨).

(٦) في (د): اليتمين.

(٧) في (د): إذا.

(٨) سقط من (د) و(ب).

القبائل إلَّا بحِلْفٍ، وخصوصًا الحَرم لشَرَفِه، فإن انتسب لأبيه جاز، وإن انتسب إلى حِلْفِه جاز، ورأى مالك أن النَّسَبَ آكَدُ من الحِلْفِ، إذ قد اختُلِفَ في الحِلْفِ هل نُسِخَ كلُّه أو بعضه، أو بقي بأسره؟ ورأى مَالِكٌ نَسْخَه.

وأمَّا قَوْلُ ابن إسحاق: «حدَّثتني فاطمة»، وإنكارُ مالك وزوجها لذلك، فليس يمتنع أن تُحَدِّثَ فاطمةُ زوجَها، أو ذا[1] رَحِمِها، أو امرأةً، أو نساءً، ومُحَمَّدٌ يسمع، فيقول محمد[2]: حدَّثتني فاطمة، بما سمعها تُحَدِّثُ لغيره[3]، وذلك في الحديث جائزٌ إجماعًا؛ بأن يقول الرجل لرجلين أو ثلاثة: أُحَدِّثُكم بكذا، ويسمعه غيرهما ممَّن لم يعلم به المُحَدِّثُ، فيجوز للآخر أن يقول: أخبرني فلان، وحدَّثني، وسَمِعْتُه، وإن لم يقصده.

وفي الشهادة قال مُحَمَّدٌ: «إذا أَشْهَدَكَ فلان وآخر يسمع فلا يحل له أن يشهد»[4].

وقال غيره: «إذا أَشْهَدَ واحدًا أو اثنين وسمعه الغير شَهِدُوا على إشهاده، وإن لم يقصد إِشْهَادَهم»[5].

فهذان فاضلان خَرَجَا عن العُهْدَةِ، وبرئت منهما السَّاحة، ولهما المغفرة والرحمة.

---

(١) في (د) و(ص): ذي.

(٢) لم يرد في (د).

(٣) في (ص): غيره، وفي (ك) و(ب): لغيرها.

(٤) هو قول الإمام محمد بن الموَّاز، النوادر والزيادات: (٨/٢٥٦).

(٥) هو قول الإمام أشهب، النوادر والزيادات: (٨/٢٥٧).

[أُخُوَّةُ الرَّحِمِ]:

فإذا كانت الأُخُوَّةُ بالأبوَّة أو بالبنوَّة فلها جِبِلِّيَّةٌ تحميها، فإذا بَعُدَتْ بالعمومة والخُؤولة فللشريعة تأكيدٌ في صِلَتِها، قال سبحانه: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد:٢٣]، فقرن القطيعة بالكفر؛ وهو الفساد في الأرض، واتَّفقت عليه الملل[1]، واستدعته القرائح، وطابت به الأرواح، وتفاخرت به الأشراف، وذكره أبو سفيان لهِرَقْلَ في صفة المصطفى، فقال: «يأمرنا بالصلاة والصدقة، وكذا وكذا، وصِلَةِ الرحم»[2].

وقال صِرْمَةُ في الجاهلية بالمدينة:

يا بَنِيَّ الأرحامَ لا تقطعوها ... وصلوها قريبة من زِيَالِ

يا بنيَّ التخومَ لا تظلموها ... إن ظلم التخوم ذو عُقَّالِ

يا بنيَّ الأيامَ لا تأمنوها ... واحذروا مَكْرَهَا ومَكْرَ[3] اللَّيَالِي / [٧٨/أ]

واعلموا أن أمرها لنَفَادِ الْـ ... ـخَلْقِ ما كان من جَدِيدٍ وبَالِي[4]

---

(١) في (ص): المال.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب صلة المرأة أمها ولها زوج، رقم: (٥٩٨٠-طوق).

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): مر، وضبَّب عليها، والمثبت من طرته.

(٤) من الخفيف، وهي لأبي قيس صرمة بن أبي أنس، أوصى بها بنيه عند الموت، وهي في التعازي والمراثي للمبرد: (ص١٢٦)، والمعارف لابن قتيبة: (ص٦٢).

وقال ﷺ[١]: «من سرَّه أن يُبْسَطَ له في رزقه ويُنْسَأَ في[٢] أثره فليَصِلْ رَحِمَه»[٣]، «وإنَّ الله لمَّا خلق الخلق قامت الرحم فأخذت بحَقْوِ الرحمن، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: أما ترضين أن أَصِلَ من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فهو لك، قال رسول الله: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾»[٤].

وقال: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بالعرش، تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله»[٥].

وقال: «لا يدخل الجنة قاطعُ رَحِمٍ[٦]»[٧].

وقال: «الرحم شِجْنَةٌ من الله، من وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته»[٨].

---

(١) في (ك): صلى الله عليه.

(٢) سقط من (ك) و(ص).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، رقم: (٥٩٨٥-طوق).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله، رقم: (٥٩٨٧طوق).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كتاب البر والصلة والأدب، باب صلة الرحم، رقم: (٢٥٥٥-عبد الباقي).

(٦) سقطت من (د).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه عن جُبَير بن مُطْعِمٍ رضي الله عنه: كتاب الأدب، باب إثم القاطع، رقم: (٥٩٨٤-طوق).

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله، رقم: (٥٩٨٩-طوق).

وقال النبي صلوات الله عليه: «إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنَّما وليِّيَ الله، وصالح المؤمنين، ولكن لهم رَحِمٌ سَأَبُلُّهَا ببِلَالِهَا»[١].

وقال[٢]: «ليس[٣] الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قُطِعَتْ رَحِمُه وَصَلَها»[٤].

وعن أبي هريرة أن رجلًا قال: «يا رسول الله، إن لي قرابة؛ أَصِلُهم ويقطعوني، وأُحْسِنُ إليهم ويُسِيئُونَ إليَّ، وأَحْلُمُ عنهم ويجهلون عليَّ، فقال: لئن كان كما قلتَ فكأنَّما تُسِفُّهم المَلَّ، ولا يزال معك من الله ظَهِيرٌ عليهم ما دُمْتَ على ذلك»[٥].

قال الإمام الحافظ[٦] رضي الله عنه: هذه أحاديثُ صِلَةِ الرَّحِم الصِّحَاحِ، وما بعدها مِنْهُ ما لا بأس به، ومِنْهُ ما لا أصل له، وليتكم وفَّيتم بهذا[٧] في قولكم وفعلكم، حتى تُضيفوا إليه غيره ممَّا لم يصح.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن عمرو بن العاص رضي الله عنه: كتاب الأدب، باب يبل الرحم ببلالها، رقم: (٥٩٩٠-طوق).

(٢) سقط من (ك).

(٣) في (ك): وليس.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: كتاب الأدب، باب ليس الواصل بالمكافئ، رقم: (٥٩٩١-طوق).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب البر والصلة والأدب، باب صلة الرحم، رقم: (٢٥٥٨-عبد الباقي).

(٦) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ب): قال الإمام.

(٧) في (ك): بها.

والذي يؤكِّد صِلَةَ الرَّحِمِ أنَّها لا تنقطع مع الكفر؛ قالت أسماء بنت أبي بكر: «قلت: يا رسول الله، إن أُمِّي قَدِمَتْ عليَّ راغبة، وهي مشركة، أفأصلُها[١]؟ قال: نعم، صِلِي أمَّك»[٢]، صحيح من الصحيح.

وقد فسَّرنا قول النبي ﷺ: «من سَرَّهُ أن يُبْسَطَ له في رزقه ويُنْسَأَ له في أَثَرِه فليَصِلْ رَحِمَه» في كتاب «العِوَضِ المحمود» إملاءً عليكم، وفي كتاب «المشكلين»، وبيَّنا قوله: «أَخَذَتْ بحَقْوِ الرحمن» في «المشكلين».

٢ والمعنى فيه: أنَّ الله قد أثبت لنفسه رِدَاءً وإزارًا، وهو الحَقْوُ، فقال: [٧٨/ب] «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري،/ من نازعني واحدًا منهما قصمته»[٣]، ورُوي: «والعِزُّ إزاري[٤]».

فضَرَبَ مثلًا للرَّحِمِ المتعلق بعَظَمَةِ الله لتُعَظَّمَ، حيث رُوي في الحسان بمعناه[٥]: «أنا الرحمن، وهي الرحم، خَلَقْتُها وشَقَقْتُها من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته»[٦]، وهذا معنى قوله في الصحيح: «الرَّحِمُ شِجْنَةٌ»، كما تقدَّم، أي: «قرابة مُشْتَبِكَةٌ»، قاله أبو عُبَيد[٧].

---

(١) في (د): فأصلها.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب صلة المرأة أمها ولها زوج، رقم: (٥٩٧٩-طوق).

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) بعده في (ص) و(ب): من نازعني واحدًا منهما قصمته.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): معناه.

(٦) تقدَّم تخريجه.

(٧) غريب الحديث لأبي عُبَيد: (١/٢٦٤).

[نَقْدُ كلام أبي عُبيد في تفسير الشِّجْنَةِ]:

وكَبُرَتْ كلمة خرجت من فيه، لم يَقْدُرْهَا قَدْرَها؛ لمَّا كان عَرِيًّا من طريق تقديس الله، وإنَّما كان طريقُه اللغة والعلم المسمَّى في اصطلاحهم بالفقه؛ معرفة أحكام أفعال المكلفين، وكان لم يتمرَّس بالنظر في طريق العلم بالله، ولا تُضَافُ القرابة من الله إلى العبد، وقد نفى الله ذلك، وكفَّر به من قاله، في قوله: ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات:١٥٨]، وإنَّما الشُّجُونُ في المحسوس هي الأغصان في الأشجار، والعُرُوقُ في الأبدان، وهي في المعقول: معاني الحديث التي يتعلَّق بعضها ببعض، ومنه المَثَلُ: «الحديث ذو شجون»[١]، فتَشَاجُنُ المحسوسات هي اتصالُ بعضها ببعض في حَيِّزٍ، وتَمَاسُّها في مكان، وتَشَاجُنُ المعقولات ارتباطُ بعضها ببعض دلالةً، وتشاجن الرحم وارتباطها بالرحمن إنَّما هو ارتباطُها في الدِّلالة به، والأَمْرُ بحِفْظِها منه، وهذه كلمة عُبَيْدِيَّةٌ[٢]، بها تعلَّقت في إلحادها الطائفة الفلسفيَّة[٣]، وركَّبت عليها ما أغوى طائفة من البريَّة، فخذوها بيضاء بحمد الله نقيَّة.

[تفسيرُ حديث: إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء]:

وأمَّا قوله عليه السَّلام: «إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنما وليِّيَ الله وصالح المؤمنين»[٤]، فإنَّ هذا الحديث وقع في البخاري مُبَيَّضًا، قال

---

(١) غريب الحديث لأبي عُبيد: (١/٢٦٤).

(٢) نسبة إلى أبي عُبَيد.

(٣) إذ قالوا: «هذا نَسَبٌ بين الله وبين الرحم»، ينظر: العارضة: (٨/١٩٢).

(٤) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٠/٤٢٠): «قال أبو بكر بن العربي =

فيه: «إن آل أبي فلان»، قال البخاري: «وكان في كتاب محمد بن جعفر بياض»[١]، والمعنى فيه: أني لست أَخُصُّ قرابتي الماسَّة ولا فَصِيلَتِي الأدنين[٢] بولاية دون سائر المسلمين، أَمَا إِنَّ رحمهم معي في الطَّالِبِيَّةِ سَأَبُلُّها بِبِلَالها، معناه: أُعطيها حقَّها، فإن القطيعة في العربية يُبْسٌ، والصِّلَةُ بَلٌّ، قال الشَّاعر:

فلا تُوبِسُوا[٣] بيني وبينكم الثَّرَى ... فإنَّ الذي بيني وبينكم مُثْرِي[٤]

[حديثُ: ليس الواصل بالمكافئ]:

٢ وأمَّا قوله: «ليس الواصل بالمكافئ»: فإنَّ المعنى فيه بَيِّنٌ؛ لأنه إذا وَصَلَ لمكافأة/ سابقة أو وَصَلَ يَتَوَكَّفُ مكافأة لاحقة[٥] فهو بائع ومبتاع، [٧٩/أ]

= في «سراج المريدين»: كان في أصل حديث عمرو بن العاص: «إن آل أبي طالب»، فغيَّر «آل أبي فلان»، كذا جزم به، وتعقَّبه بعضُ الناس وبالغ في التشنيع عليه، ونسبه إلى التحامل على آل أبي طالب، ولم يُصِبْ هذا المُنْكِرُ؛ فإن هذه الرواية التي أشار إليها ابنُ العربي موجودة في «مستخرج أبي نُعيم»، من طريق الفضل بن المُوَفَّقِ عن عَنْبَسَةَ بن عبد الواحد بِسَنَدِ البخاري؛ عن بيان بن بِشْرٍ عن قيس بن أبي حازم عن عمرو بن العاص رَفَعَه: «إن لبني أبي طالب رَحِمًا أَبُلُّها ببلالها»، وقد أخرجه الإسماعيلي من هذا الوجه أيضًا، لكن أَبْهَمَ لَفْظَ «طالب»، وكأنَّ الحامل لمن أَبْهَمَ هذا الموضع ظنهم أن ذلك يقتضي نقصًا في آل أبي طالب، وليس كما توهَّموه».

(١) الجامع الصحيح: (٨/٦-طوق).

(٢) في (ك): الأدنون، وضعَّفها في (د).

(٣) في (د): تولجوا.

(٤) البيت من الطويل، وهو لجرير في ديوانه: (٢/٤٢١).

(٥) مرَّضها في (د)، وفي الطرة ما لم أهتد لقراءته، لبَتْرٍ لحق تلك الكلمة.

وتاجر طمَّاع، وإنَّما الواصل بالحقيقة هو الذي يَصِلَ لا عن عِوَضٍ مُتقدِّمٍ ولا مُتَوَقَّعٍ.

[حديث: كأنما تُسِفُّهم المَلَّ]:

وأمَّا قوله: «كأنما تُسِفُّهم المَلَّ»: فإنه مَثَلٌ ضَرَبَه بين فِعْلِه وفِعْلِهم، هو يَبُلُّ ويَبْرُدُ، وكل واحدٍ[١] منهم يُضْرِمُ ويُوقِدُ آثامًا يَلْقَوْنَ حرارتها، فكأنما[٢] يُطعمهم المَلَّ، وهو الرماد الحارُّ.

قال الإمام الحافظ[٣] رضي الله عنه: ومن فَضْلِ[٤] صِلَةِ الرَّحِمِ أنَّ النبي ﷺ جعلها مُقَدَّمَةً على العِتْقِ، ففي الصحيح: أن ميمونة زَوْجَ النبي أخبرته أنها قد أعتقت وليدتها، قال: «أَوَ فَعَلْتِ؟ قالت: نعم، قال لها: أَمَا إِنك لو أعطيتِها أخوالك كان أعظم لأجرك»[٥].

[أحكامُ الأُخُوَّةِ]:

أحكامُ الأخوَّة كثيرة، أمَّهاتُها سبع[٦] عشرة:

---

(١) سقط من (د) و(ص).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): فكأنه، وضبَّب عليها في (د)، والمثبت من طرته.

(٣) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله، وفي (ب): قال الإمام.

(٤) في (ك) و(ب): أفضل.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الهبة وفضلها، باب هبة المرأة لغير زوجها وعتقها إذا كان لها زوج، رقم: (٢٥٩٢-طوق).

(٦) في (ص): عشرة، وفي (د): أحد عشرة.

الأَوَّل: النصرة؛ قال النبي ﷺ: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، قالوا: يا رسول الله، هذا ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟ قال: تكفُّه عن الظلم، فذلك[١] نصرك إيَّاه»[٢].

الثاني: الإيثار؛ آخى رسولُ الله[٣] بين سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف، فقال له سعد: «هذا نِصْفُ مالي لك، وإحدى زَوْجَتَيَّ أنزلُ لك عنها، فقال له عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دُلُّونِي على السُّوق»[٤]، وذكر الحديث.

وقال أبو موسى: قال النبي ﷺ: «إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو وقلَّ[٥] طعامهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم بالسويَّة، فأنا منهم وهُمْ مني»[٦].

وفي الصحيح: «أن رجلًا من الأنصار أعتق غلامًا له عن دُبُرٍ، ولم يكن له مال غيره، فاشتراه نُعَيم بن النحَّام بثماني مائة درهم فدفعها إليه»[٧]، زاد[٨] وقال: «إذا كان أحدكم فقيرًا فليبدأ بنفسه، وإن كان فيها

---

(١) في (ك) و(ص): فذاك.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: كتاب المظالم، باب أعن أخاك ظالمًا أو مظلومًا، رقم: (٢٤٤٤-طوق).
(٣) في (ب): النبي ﷺ.
(٤) تقدَّم تخريجه.
(٥) في (ص): أو قلَّ.
(٦) تقدَّم تخريجه.
(٧) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأحكام، باب بيع الإمام على الناس أموالهم وضياعهم، رقم: (٧١٨٦-طوق).
(٨) كذا في جميع النسخ، وبعده في (ص) بياض، ورمز له بـ: صـ.

فَضْلٌ فعلى عياله، فإن كان فيها فَضْلٌ فعلى قرابته، فإن كان فيها فَضْلٌ فهاهنا وهاهنا»[١].

الثالث: الافتقاد عند الغيبة عن العادة، فإذا غاب عنه اليوم الأوَّل لم يَرَهُ شيئًا، فإذا كان في الثاني اهتبل، فإذا كان في الثالث ولم يأت سأل، فيعلم سَبَبَ[٢] ذلك؛ إن كان غائبًا دعا له، وهو **الرَّابع**، وإن كان مريضًا عاده، وهو **الخامس**.

٢ [٧٩/ب]

فإن تأكَّدت/ الأخوة فليطَّلع حاله مرَّتين في اليوم، قالت عائشة ﵂: «وقَلَّ يومٌ مَرَّ علينا إلَّا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طَرَفَيِ النهار؛ غدوة وعشيَّة»[٣]، وذلك لعظيم المحبة وكثرة الاهتبال.

وقيل غير ذلك، وبيانُه في «شرح الحديث».

فإن لم يطالعه إلَّا في الأحيان بالزيارة؛ فإنه[٤] جاء[٥] في الأثر: «أن رجلًا زار أخًا له في الله فبعث الله على مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا[٦]»[٧]، الحديث.

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن: كتاب العتاق، باب في بيع المدبر، رقم: (٣٩٥٧-شعيب).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): فيعمل بحساب، وضبَّب عليها في (د)، والمثبت صحَّحه بطرته.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب هل يزور صاحبه كل يوم أو بكرة وعشيًّا؟ رقم: (٦٠٧٩-طوق).

(٤) في (د): فإن.

(٥) سقط من (ك) و(د).

(٦) في (ك) و(د): ملك.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﵁: كتاب البر والصلة والأدب، بابٌ في فضل الحب في الله، رقم: (٢٥٦٧-عبد الباقي).

ومنه: أن رجلًا لقيه في الطريق فقال له: «أين تريد؟ قال: أريد فلانًا أزوره، قال: أَبَيْنَكَ وبينه رَحِمٌ تصلها أو نعمة تَرُبُّها؟ قال: لا، قال: فمَهْ؟ قال: أحبه في الله، قال: فإني رسول ربك إليك أنه يُحِبُّك بحُبِّك إيَّاه»[١].

ومن الأمثال الغرَّارة قولهم: «زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا»[٢]، ولم يَزَلْ بَعْدُ[٣] حتَّى رفعوه إلى النبي ﷺ، وهو منه بريءٌ.

وقد أنشدني أبو القاسم عبد العزيز[٤] بن قيس[٥] بثَغْرِ عسقلان للقاضي أبي بكر ابن حسَّان العسقلاني:

زُرْ من يحبك كلَّ يوم لا تكن ... ممَّن يُغِبُّ زيارة الأحبابِ
ودَع القليل من الجفاء فإنه ... فيما حَكَوا يُنْمِي نماءَ خِضَابِ
لو صحَّ ما بين الخليل وخِلِّه ... لاستعملا ما جاء[٦] في الإِغْبَابِ
وإذا تهاون بالزيارة صاحبٌ ... هانت مودَّته على الأصحابِ[٧]

---

(١) هو حديث أبي هريرة السَّابق.

(٢) الأمثال لأبي عُبَيد: (ص١٤٨)، قال ابن حِبَّان (روضة العقلاء: ص١١٦): «رُوي عن النبي ﷺ أخبارٌ كثيرة تُصَرِّحُ بنفي الإكثار من الزيارة، حيث يقول: زُرْ غِبًّا تزدد حُبًّا، إلا أنه لا يصح منها خَبَرٌ من جهة النقل»، وقال ابن حجر (فتح الباري: ١٠/٤٩٨): «قد ورد من طُرُقٍ أكثرها غرائب، لا يخلو واحد منها من مقال».

(٣) قوله: «ولم يزل بعد» سقط من (ك) و(د).

(٤) لم أهتد إلى معرفته، ولم يذكره أَحَدٌ ممَّن اعتنى بتتبع مشيخة ابن العربي، فيُستدرَك عليهم.

(٥) في (ك): قريش.

(٦) في (ب): قيل.

(٧) من الكامل.

قال الإمام الحافظ[١]: وهذا إنَّما ينبني على صحة المودَّة، واستحكام العُقْدَةِ، والحرص على الاستكثار، والحاجة الدائرة بين القاصد والمقصود إليه وفراغهما لذلك[٢].

السَّادس: أن يحمل جَفْوَتَه وغِلْظَتَه، قال عُمَرُ في أبي بكر: «وكنت أداري منه بعض الحد»[٣]، وناهيك من غلظة عمر أن يداري من أبي بكر حِدَّةً يزيد بها عليه، وإن أبا بكر كان ساكنًا، فإذا تحرَّك لله لم يثبت له شيء، فكان إذا ثار لله سَكَنَ باللِّينِ، واكتسب ذلك عُمَرُ حتى كان كذلك.

السَّابع: أن يَتَخَدَّمَ له أموره قبل أن يُكَلِّفَه ذلك، إذا علم أنها له، وتحقَّق حاجته إليها، فأمَّا إذا كَلَّفَه ذلك فلا كلام فيه.

الثامن: ألَّا[٤] يكون بينه وبينه تَحَفُّظٌ، وليبسط نفسه ويده على مَالِه.

التاسع: ألَّا[٥] يكون بينه وبينه حِرْزٌ[٦]، وهذا مذهب الصوفية، وأمَّا الفقهاء فلا يرون ذلك، لَاهُمَّ[٧] إلَّا أن مالكًا/ أنزل الصَّدِيقَ المُلَاطِفَ منزلة الابن في الشهادات خاصَّة، وأَسْقَطَ شهادته لصديقه، ولم يُنزله منزلته في سائر الأحكام، وقد بيَّنَّا ذلك في «مسائل الفقه»[٨].

٢ [٨٠/أ]

---

(١) في (ب): قال الإمام.

(٢) قوله: «ومن الأمثال الغرارة.. وفراغما لذلك» سقط من (ص).

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) في (د): من ألا، وفي (ص): إلا أن.

(٥) في (ص): إلا أن.

(٦) في (د): حزْر.

(٧) في (ك): لهم.

(٨) ينظر: أحكام القرآن: (١/٢٥٥).

العاشر: أن يريد ما يريد، ويكره ما يكره، ويصل من وصل، ويقطع من قطع.

الحادي عشر[١]: أن يشفع له في الدنيا إن احتاج إلى ذلك، وفي الآخرة، كما ورد في الحديث الصحيح، ويشفع عندنا فيه ما لم يُصِبْ حَدًّا، فإذا أصاب حَدًّا فقد وجبت عليه اللعنة إنْ سعى في إسقاطه بعد وجوبه بشفاعته[٢] دون شُبْهَةٍ، فإن تَطَلَّبَ له شهبة جاز، كقوله: «لعلك قبَّلت، لعلك غمزت»[٣].

ومن دعاء الجنائز: «اللهم جئنا شفعاء له فشَفِّعْنَا فيه»، وليس ينبغي لكل أحد أن يبسط لسانه بهذه الكلمة، إلَّا[٤] أن يعلم من نفسه السَّلامة من الكبائر، فإذا سلم من الكبائر فحينئذ يكون شهيدًا، فيقول: «اللهم إني أُشهدك، وأَشهد عندك»، أو يقول: «اللهم إني جئتُ شفيعًا»، وأمَّا إذا كان مُتَلَطِّخًا[٥] بالخطايا مُرَحَّضًا بالذنوب فقال: «اللهم إنا جئنا شُفعاء له»؛ ربَّما دخل في المَثَلِ:

جئنا به نشفع[٦] في حاجة   فاحتاج في الإذن إلى شافع[٧]

ولذلك لم يكن بالحقيقة هذا الاسمُ:

---

(١) بعده في (د) لَحَقٌ، لعله في كلمتين، ولكن طُمِسَ موضعهما، فلا يظهر كبير شيء.
(٢) في (ك) و(ص) و(ب): بشفاعة.
(٣) تقدَّم تخريجه.
(٤) سقط من (ك) و(ص).
(٥) مرَّضها في (ك)، وكتب في طرته: متخلطًا، وصحَّحها.
(٦) في (ك) و(ب): يشفع.
(٧) من السريع، وهو لدعبل الخزاعي في ديوانه: (ص٩٧).

الشَّفِيعُ[١]: وهو الاسمُ الحادي والثمانون[٢]

إلَّا لمُحَمَّدٍ ﷺ[٣]، ولأقرانه، ولمن تبعهم بإحسان في الأعمال والإيمان.

ومن مشهور الحديث: «اشفعوا تؤجروا، وليَقْضِ الله على لسان رسوله ما شاء»[٤].

ورُوي في الحسن: «من سأل القضاء وابتغى فيه شفعاء وُكِلَ إليه»[٥]، وذلك إذا وَلِيَ كذلك، ولا يلي بشفاعة عند إمام عَدْلٍ أبدًا، فلذلك لا تكون ولاية، ولا يكون فيها هداية.

وفي الحديث الصحيح من رواية ابن عَجْلان عن محمد بن يحيى بن حَبَّان عن الصُّنَابِحي أنه قال: «دخلتُ على عُبادة بن الصَّامت وهو في

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): التاسع والسبعون، وفي (ص): السابع والسبعون، وفي (ب): السادس والسبعون.

(٣) في (ك): صلى الله عليه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها، رقم: (١٤٣٢-طوق).

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه عن أنس رضي الله عنه: أبواب الأحكام عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء عن رسول الله ﷺ في القاضي، رقم: (١٣٢٤-بشار)، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريب».

الموت، فبكيتُ، فقال: مَهْلًا، لم تبكي؟ فوالله لئن استُشْهِدْتُ لأشهدنَّ لك، ولئن شُفِّعْتُ لأشفعنَّ لك، ولئن استطعت لأنفعنَّك، ثم قال: والله، ما من حديث سمعتُه/ من رسول الله لكم فيه خَيْرٌ إلَّا حدَّثتكموه، إلَّا حديثًا واحدًا، وسوف أُحَدِّثُكُمُوهُ اليوم وقد أُحِيطَ بنفسي، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: من شهد أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمد رسول الله حرَّمه الله على النار»[1]، فلم يَضْمَنْ لفَضْلِه وعِلْمِه بمَكْرِ الله وما يُحرف من القلوب في اللحظات شهادةً له ولا شفاعةً، ولكنه قال له[2]: «إن كنتَ من أهل الشهادة أو الشفاعة فأنا لك شهيد وشفيع».

٢ [٨٠/ب]

ولذلك قال النبي صلى الله عليه حين وَقَفَ على أهل أُحُدٍ: «أنا أشهد[3] على هؤلاء»[4]، الحديث إلى آخِرِه.

وهو ﷺ[5] شفيع الشفعاء، وشهيد الشهداء، وقاضي القضاة والحق.

الثاني عشر[6]: في الصحيح: «أن النبي ﷺ مُرَّ بجنازة فأثني عليها خيرًا[7]، فقال النبي ﷺ: وجبت، ومُرَّ بأخرى فأثنى عليها شرًّا[8]، فقال:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، رقم: (٢٩-عبد الباقي).

(٢) سقط من (د).

(٣) في (ب): شهيد.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: كتاب المغازي، باب من قُتِلَ من المسلمين يوم أُحُدٍ، رقم: (٤٠٧٩-طوق).

(٥) في (ك): صلى الله عليه.

(٦) بعده في (د) لَحَقٌ، وهو شبه مطموس، ومقداره كلمتان أو ثلاث.

(٧) في (ك) و(ص) و(د): خير.

(٨) في (ب): شرٌّ.

وجبت، قيل له: وما وجبت يا رسول الله؟ قال: أثنيتم على الأولى خيرًا فوجبت لها الجنة، وأثنيتم على الثانية شرًّا فوجبت لها النار، أنتم شهداء الله في الأرض»[١].

كما أنه قال ﷺ[٢]: «من صلَّى عليه مائة فشَفَعُوا له شُفِّعُوا فيه»[٣].

[مَحْمُودُ الثناء ومَذْمُومُه]:

وهذا الثناء مُسْتَحَبٌّ في مواطن، مكروه في مواطن، فأمَّا الموطن الذي يُسْتَحَبُّ فيه فما بعد الموت، ولا خلاف فيه، وهو التأبين والرثاء؛ أن تَذْكُرَ خصال الرجل ومناقبه بعد موته، فإذا كان ذلك في حياته؛ فإن كان في مَغِيبِه فلا بأس به، إذا خَلَصَتْ فيه نية القائل، وسَلِمَتْ فيه عقيدة الشاهد، ولم يقصد أن يُبَلِّغَ ذلك إليه، وإذا كان ذلك في حضوره فإنه مكروه، ثبت أن النبي ﷺ سمع رجلًا يُثني على رجل، فقال: «ويلك[٤]؛ قَطَعْتَ عُنُقَ صاحبك، مِرَارًا، قال: من كان منكم مادحًا أخاه لا محالة فليَقُلْ: أحسبُ فلانًا، والله حسيبُه، ولا أُزَكِّي على الله أحدًا، أحسبُ كذا وكذا، إن كان يعلم ذلك منه»[٥]، وهو «المُزَكِّي» بذلك.

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) في (ك): صلى الله عليه.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كتاب الجنائز، باب من صلى عليه مائة شفعوا فيه، رقم: (٩٤٧-عبد الباقي).

(٤) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي بكرة رضي الله عنه: كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط، وخِيفَ منه فتنة على الممدوح، رقم: (٣٠٠٠-عبد الباقي).

المُزَكِّي(١): وهو الاسمُ الثاني والثمانون(٢)

وهذا هو في أشهر الأقوال تَفْسِيرُ قوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم:٣١]، أي: لا يُزَكِّي أَحَدٌ أَحَدًا قاطعًا به، وإن كان يعلمه؛ فإن الباطن خَفِيٌّ عنه، والعاقبة محجوبة عنه، حتى قال العلماء(٣): «لا يُزَكِّي نفسه؛ فإن زكَّاها عملًا وطاعةً فلا يُزَكِّيها/ اعتقادًا وشهادةً، وليَكُنْ عند نفسه ناقصًا قاصرًا، مُقَصِّرًا مذنبًا». [٨١/أ] ٢

قال شيخُنا القاضي أبو المعالي عَزِيزي(٤) بن عبد الملك بن شِيذَلَة(٥) الصُّوفِي(٦): كان شيخُنا الدَّامَغَانِي(٧) يقول في عَرَفَة إذا شاهد ذلك الجمع

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): الموفي ثمانين، وفي (ص): الثامن والسبعون، وفي (ب): السابع والسبعون.

(٣) سقطت من (ك) و(ص).

(٤) في (د): عُزَيزي، وكذلك ضبطه الزبيدي، تاج العروس: (٢٩/٢٢٥).

(٥) وضبطه السبكي بفتح الشين، طبقات الشافعية: (٥/٢٣٥)، وكذلك الزبيدي، تاج العروس: (٢٩/٢٥٥).

(٦) الإمام الفقيه، الأصولي المتكلم، الواعظ الصوفي، أبو المعالي شِيذَلَة، عَزيزي بن عبد الملك بن منصور الجِيلي، استُقضي ببغداد، وأصله من جَيْلان، أخذ عن شيخ الشافعية أبا الطيب الطبري، وآخرين، روى عنه ابن سُكَّرَة، وانتفع الوعَّاظ بتصانيفه، وله كتاب في «مصارع العشاق»، توفي عام ٤٩٤هـ ببغداد، ترجمته في: طبقات الشافعية: (٥/٢٣٥-٢٣٦)، والوافي بالوفيات: (٢٠/٧٢)، وتاج العروس: (٢٩/٢٥٥).

(٧) ترجمته في: السِّيَرِ للذهبي: (١٨/٤٨٥-٤٨٧).

العظيم، ورأى الفضاء العريض قد غصَّ بهم: «اللهم اقبلني معهم وإن كنتُ زائفًا، فقد يسمح الناقد وإن كان عارفًا».

وكان الأستاذ أبو القاسم القُشَيري يقول: «من اعتقد أنْ على البسيطة شَرٌّ منه فهو متكبر»(١)، يعني: من المؤمنين؛ إذ لا تُعلم الحال في الأكثر منهم، ولا تُدرى(٢) حال الخاتمة فيه وفيهم.

ومن الحديث الحسن: أنَّ رجلًا أثنى على عثمان في وجهه، فحَثَا المِقْدَادُ بن الأسود ترابًا في وجهه، وقال: «سمعتُ رسول الله يقول: احثُوا التراب في وجوه المدَّاحين»(٣).

ولذلك يكتفى في التزكية عند القاضي أن يقول: «ما علمتُ عليه إلَّا خيرًا، وأحسبه على حال كذا، ولا أُزَكِّي على الله أحدًا»، وهو مذهب البخاري(٤) وغيره.

ورأى فقهاء الأمصار أن يقول: عَدْلٌ، أو رِضًى، أو يجمعهما، على اختلاف بينهم في ذلك(٥).

وبِقَوْلِ البخاري أَقْوَلُ في الدليل، والله أعلم بالتأويل.

وقد دخل ابنُ عباس على عائشة فقال ما نصُّه - في الصحيح واللفظ للبخاري -: عن ابن أبي مُلَيكة قال: «استأذن ابنُ عبَّاس على عائشة

---

(١) لطائف الإشارات: (٣/٤٨٨).

(٢) في (ص): ندري، وفي (ب): يدرى.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط، وخِيفَ منه فتنة على الممدوح، رقم: (٣٠٠٢-عبد الباقي).

(٤) الجامع الصحيح: (٣/١٧٦-طوق).

(٥) الرسالة: (ص٢٢٣-أصل ابن الأزرق).

قبل[١] موتها وهي مغلوبة، قالت: أخشى أن يُثني علي، فقيل: ابن عم رسول الله، وهو من وجوه المسلمين، قالت: ائذنوا له، فقال: كيف تجدينك؟ قالت: بخير؛ إن اتقيت الله، قال: فأنت بخير إن شاء الله؛ زوجة رسول الله، ولم ينكح بِكْرًا غيرك، ونَزَلَ عُذْرُك من السماء، ودخل ابن الزبير خِلَافَه، فقالت: دخل ابن عباس فأثنى عليَّ، ووَدِدْتُ أنِّي كنت نِسْيًا مَنْسِيًّا»[٢].

قال الإمام الحافظ[٣]: وأَصْلُ هذا كله احتقارُ[٤] العبد لنفسه[٥]، واعتقادُه وعملُه **أوَّلًا** مع الله، حتى يكون من أوَّل منازله في ذلك ما قال الأوَّلُ:

أُحبك حبًّا لو يَفَضُّ يسيرُه   على الخلق مات الخلق من شدة الحبِّ
وأَعْلَمُ أنِّي بعد ذاك مُقَصِّرٌ   لأنك في أعلى المراتب[٦] من قلبِ[٧]

٢ ويكون من[٨] **ثانيها** مع النبي ﷺ؛ أن يكون النبيُّ أحبَّ إليه من ماله وولده/ وأهله والناس أجمعين. [٨١/ب]

---

(١) في (ك): قُبَيل.

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) في (ك): قال ابن العربي، وفي (ب): قال الإمام رضي الله عنه.

(٤) في (ك): اختبار.

(٥) في (ك) و(ب): نفسه.

(٦) في (ك) و(ب) و(د): المنازل، وصحَّحها في (ب)، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته، وأشار إليها في (ب).

(٧) من الطويل، وهي لمحمد بن أمية؛ كما في الأغاني: (١٢/١٧٤-١٧٥).

(٨) في (ك) - أيضًا -: في.

وثالثها: مع الناس، أن يرى لهم عليه الحقوق، ويصلهم بالنية والتحقيق.

ورابعها: أن لا يرى نفسه شيئًا في شيء[١].

وإذا[٢] تبرَّأ من نفسه واعتقد قصوره - كما قدَّمنا[٣] - وتقصيره، وشَرَّه ودَنَسَه؛ فهو «المتواضع».

* * * * *

(١) قوله: «قال الإمام الحافظ.. شيئًا في شيء» سقط من (ص).

(٢) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله: وإذا تبرأ.

(٣) في (ص): قدَّمناه.

المُتَوَاضِعُ[١]: وهو الاسمُ الثالث والثمانون[٢]

وهي صِفَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، هو سَيِّدُ وَلَدِ آدم أَيَّان تواضع، وإذ خيَّره[٣] الله بين أن يكون نبيًّا مَلِكًا أو نبيًّا عبدًا، فاختار أن يكون نبيًّا عبدًا[٤]، وخيَّره الله آخِرًا بين الخُلْدِ في الدنيا ولقائه فاختار لقاءَه[٥].

وفي المغازي: ورُوِيَ عن مالك: «أنَّ النبي ﷺ دخل مكة يوم الفتح في جند الإسلام وسلطانه ظاهرًا قاهرًا[٦]، فانحنى[٧] لله على الراحلة ساجدًا، حتى إنَّ عُثْنُونَه لَيَمَسُّ واسطة الرَّحْلِ»[٨].

وكان النبي ﷺ - في الحديث الحسن - يقول: «إنَّما أنا عَبْدٌ، آكُلُ كما يأكل العبد»[٩].

---

(١) سقط من (ك) و(د) و(ص).

(٢) في (ك): الحادي والثمانون، و(ص): التاسع والسبعون، وفي (ب): الثامن والسبعون.

(٣) في (ك): خيَّر.

(٤) تقدَّم تخريجه في السفر الأول.

(٥) تقدَّم تخريجه في السفر الأول.

(٦) سقط من (ك).

(٧) في (د): فأنحى

(٨) سيرة ابن هشام: (٤/٤٦).

(٩) أخرجه أبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ: (٣/٢٤١)، رقم: (٦١٤)، قال ابن الملقن (البدر المنير: ٧/٤٤٧): «هذا إسنادٌ لا أعلم به بأسًا».

وفي كُتُبِ السِّيَرِ من طريق حسنة: «أنَّ النجاشي أرسل يومًا إلى جعفر وأصحابه فدخلوا عليه، فإذا هو جالس على الأرض وعليه خُلقان ثياب، فأشفقنا حين رأيناه على تلك الحال، فلمَّا رأى ما في وجوهنا قال: إنِّي أُبَشِّرُكُمْ بما يَسُرُّكم، جاءني من نحو أرضكم خبير، فأخبرني أن الله قد نَصَرَ نبيَّه وأهلك عدوَّه، وأَسَرَ فلانًا وفلانًا، التقوا بوَادٍ يقال له: بدر، كثير الأراك، كأني أنظر إليه، كنت أرعى فيه لسيِّدي - رجل من بني ضَمْرَةَ - إِبِلَه، فقال له جعفر: مَا لَكَ جالسًا على التراب ليس تحتك بساط وعليك هذه الأخلاق؟ قال: إنا نجد فيما أَنزل الله على عيسى: أن حقًّا على العباد أن يُحْدِثُوا لله تواضعًا عند ما أَحْدَثَ الله[1] لهم نعمة، فلمَّا أُخْبِرْتُ أن الله نَصَرَ نبيَّه أَحْدَثْتُ لله تواضعًا»[2].

ومن حِكَمِ الأَحْنَفِ بن قيس: «الشريفُ إذا تَقَرَّأَ[3] تواضع، والوضيعُ إذا تقرَّأَ[4] تكبَّر».

وفي الآثار: «إن الرجل إذا تواضع أخذ الله بناصيته فرفعه، وإذا تكبَّر خَضَّعَه الله ووَقَمَه»[5].

وصحَّ أن النبي قال: «إن المتكبرين يُحشرون يوم القيامة مثل الذَّرِّ في صُوَرِ الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، يُساقون إلى سجن جهنم يسمَّى

---

(١) لم يرد في (د) و(ص) و(ب).

(٢) كتاب الشكر لابن أبي الدنيا: (ص٥٣-٥٤)، رقم: (١٢٧).

(٣) تقرَّأ: تفقَّه وتنسَّك، تاج العروس: (١/٣٦٦).

(٤) في (د) كلمة غير واضحة.

(٥) ينظر: الإحياء: (ص١٢٥٥).

بَوْلَسَ[١]، تعلوهم نار الأنيار، يُسقون من عُصارة أهل النار؛ طينة الخَبال، يطأهم الخلق بأقدامهم»[٢].

٢ [٨٢/أ] ومن الحِكْمَةِ المأثورة: «إنَّ الشريف إذا تنسَّك/ تواضع، والوضيع إذا تنسَّك تكبَّر»[٣].

قال الإمام الحافظ[٤] رضي الله عنه: وهذا الفِقْهُ[٥] صحيح؛ وذلك أنَّ الشريف يرى لنفسه بمنزلته، فإذا تنسَّك رأى أنه لا منزلة لأحد جَهِلَ خاتمته، والوَضِيعُ مَهِينٌ لا[٦] يرى منزلته، فإذا تنسَّك بجَهْلٍ يرى أنه قد ارتقى، ونعم؛ لقد ارتقى، ولكن إذا رأى أنه قد نزل فهذا شَرْطُ الارتقاء.

وحَدُّ التواضع: أن يُسْقِطَ في اعتقاده نفسَه عن مرتبة المُتَّقِينَ إلى المذنبين وهو مُتَجَنِّبٌ للذنوب، وعن مرتبة المجتهدين إلى المقصرين وهو مُجْتَهِدٌ، وعن مرتبة المحسنين إلى المسيئين وهو مُحْسِنٌ.

[تواضعُ أبي عبد الله الدَّامَغاني]:

أخبرني جماعةُ الأشياخ ببغداد[٧]: «أنَّ قاضي القضاة أبا عبد الله محمد بن علي الدَّامَغَانِي كان يمشي في الموكب الثقيل، وحوله القُضاة

(١) في (ص): بُولِسَّ.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٢٤٩٢-بشار)، وحسَّنه أبو عيسى.

(٣) الإحياء: (ص١٢٥٧).

(٤) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي، وفي (ب): قال الإمام.

(٥) في (ك): لِفِقْهٌ.

(٦) سقطت من (ك) و(ص).

(٧) ما ذكره ابن العربي عن الإمام أبي عبد الله الدامَغاني لا نعرفه في كتاب منشور، فهو من فوائده ومفاريده، وقد تقدَّم التعريف بالدامغاني.

والعدول والتُّنَّاءُ[1]، فيَمُرُّ بالرَّوْشَنِ فيقف ويقول: يرحمك الله يا فلانة، كنت أُحارس[2] هذا الدرب بقراريط معلومة، فإذا أَعْتَمَ اللَّيْلُ جلستُ تحت هذا الرَّوْشَنِ أدرسُ اللَّيْلَ كلَّه، وكانت في رَوْشَنِها بمِرْدَنِها تغزل الليل كله، فإذا أوهمتُ أو توقَّفت في الدرس تقول: ليس هكذا يا[3] محمد، وليس لتوقفك معنى، قد دَرَسْتُه[4] قبل هذا على كذا وكذا، فأتذكَّره[5]»، بما[6] يُخَجِّلُ بذلك المتكبرين، ويُسَلِّي المتواضعين، ويَسُنُّ للمسلمين المريدين.

[تواضعُ أبي إسحاق الشِّيرَازِي]:

وكان أبو إسحاق الشِّيرَازِي[7] فقيهُ الشافعية - بل الطوائف - شيخ الصوفية يُدَرِّسُ ويتصوَّف، وكان يقول في المدرسة النِّظَامِيَّةِ بمحضر[8] أهل الآفاق - وقد حاز الرياسة والإمامة في الديانة -: «كان أبي صبَّاغًا بشِيرَازَ،

---

(١) في طرة بـ (ك): هم البياض، أي: بياض بغداد، وهم أهل الشرف والرفعة.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): أحرس، وضبَّب عليها في (د)، والمثبت من طرته.

(٣) في (د): أيا.

(٤) في (د): درست.

(٥) في (د): فأتذكر.

(٦) في (ب): بها.

(٧) الفقيه الإمام، العلَّامة الزاهد، شيخ النظامية، إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزابادي، أبو إسحاق الشيرازي، (٣٩٣-٤٧٦هـ)، وكان ابتداء تدريسه بالنظامية عام ٤٥٩هـ، وكانت له هيبة ومكانة، مع التقلل من أعواض الدنيا وأغراضها، وله تصانيف، ترجمته في: تبيين كذب المفتري: (ص٢٧٦-٢٧٨)، وسير النبلاء: (١٨/٤٥٢-٤٦٤)، وطبقات التاج: (٤/٢١٥-٢٥٦)، وأفاد في مناظراته من كتاب «فرق الفقهاء» لأبي الوليد الباجي.

(٨) في (د): بحضرة.

وكان يقهرني على الصناعة[١]، ففَرَرْتُ منه إلى بغداذ، وأَوْقَعَ الله في قلبي طَلَبَ العلم، فلزمت القاضي أبا الطيِّب الطَّبَرِي[٢]»[٣].

قال لي بعضهم: حتَّى كان القاضي أبو الطيب يقول فيه: «إنه حمامة المسجد»، من كثرة ملازمته له.

قال أبو إسحاق: «وكنتُ أخدم طبَّاخًا، فإذا كان العَشِيُّ جئتُ إليه؛ فغسلتُ قُدُورَه، وأشعلت ناره، ورتَّبت طعامه، ثم يأتي المحتسب فيختم عليها، وتوضع على النار، وأُقيم عليها معه، حتى[٤] إذا أَسْحَرَ فكَّ الخاتَم وشرع في البيع، فإذا أصبح وطلعت الشمس تَرَكْتُه، ومشيتُ إلى مسجد القاضي أبي الطيِّب إلى العَشِيِّ، هكذا أبدًا؛ أدرسُ ليلًا ونهارًا في مسجدي[٥]/ ودُكَّانِي، ولا يعود عليَّ إلا ما أقتاتُ به[٦]، وأَتَلَبَّسُ بخَشِنٍ من الثياب، حتَّى رأى القاضي أبو الطيب أنِّي ممَّن حصَّل فأدناني وخزلني[٧] عن السوق، ولم يزل يسعى لي في العُلُوِّ[٨] والمرتبة حتى أعطى الله وفَتَحَ،

٢ [٨٢/ب]

---

(١) في (ك) و(ص): الصباغة.

(٢) أبو الطيب الطبري؛ طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر، (٣٤٨-٤٥٠هـ)، الإمام الكبير، وشيخ العراق، له من المصنفات: «التعليقة»، و«شرح الفروع»، وله غيرها في الأصول والجدل، ترجمته في: تاريخ بغداد: (١٠/٤٩١-٤٩٣)، وسير النبلاء: (١٧/٦٦٨-٦٧١)، وطبقات الشافعية: (٥/١٢-٤٩).

(٣) هذا النص من فوائد ابن العربي التي لم أجدها في كتاب آخر.

(٤) سقطت من (د).

(٥) في (ك): مسجد.

(٦) سقط من (د).

(٧) في (ك): خزنني، وخزل: حبس ومنع وعوَّق، تاج العروس: (٢٨/٤٠٦).

(٨) في (ك) و(د) و(ب): العلم.

ومات وهو عنِّي رَاضٍ[١]، وكنتُ أسمع لَغْوَ أهل السوق، وما دخل قطُّ في أذني[٢] شيء فخرج منه»[٣].

وكان يسترسل بحكايات عَامِّيَّةٍ، فيقول: «وما تسمعون من هذا فمن حِفْظِ أيَّام خِدْمَتِي للطبَّاخ»، ولا يرى أن ذلك يَضَعُ من قَدْرِه، بل كان يتواضع ويُفيد من العلم كيف جاءه، فَضْلُ الله وجريانُ نِعَمِه سبحانه على عباده، وترتيبُ عنايته بهم، ورَفْعُ المنازل المُسْتَفِلَة، وخَلْقُ العِلْمِ في قلب من شاء، وصَرْفُ الهمم إذا أدركتها عناية إلى الشريعة، وإخراج العالم من الجاهل، والجاهل من العالم، وهو أحد الأقوال في قوله: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [الروم:١٨]، ولو لم يكن في التواضع وضِدِّه من التكبُّرِ[٤] إلَّا ما تقدَّم في وصف أهل الجنة: «كلُّ ضعيف مُتَضَعَّفٍ»[٥]، وفي أهل النار: «كُلُّ جبَّار عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مستكبر»[٦].

[من خصال المُتَكَبِّرِينَ]:

ومن الكِبْرِ طُولُ الإزار؛ قال النبي ﷺ: «من جَرَّ إزاره خُيَلَاءَ لم ينظر الله إليه يوم القيامة»[٧].

---

(١) في (د) و(ص): عني وهو راض.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): في أذني قط.

(٣) هذا النص من فوائد ابن العربي التي لم أجدها في ديوان آخر، والله أعلم.

(٤) في (ب): الكبر.

(٥) تقدَّم تخريجه في السفر الأوَّل.

(٦) تقدَّم تخريجه في السفر الأوَّل.

(٧) تقدَّم تخريجه في السفر الأوَّل.

وفي الخبر: «بينما رجل يتبختر خَسَفَ الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»[١].

وقال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يُزَكِّيهِمْ، ولهم عذاب أليم؛ شيخ زان، وإمام كذَّاب، وعائل مستكبر»[٢].

وقال تعالى: «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار»[٣].

وقال له رجل: «إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنًا[٤]، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكِبْرُ بَطَرُ[٥] الحق وغَمْطُ الناس»[٦].

ومن الحديث الحسن: قوله ﷺ[٧]: «إنَّ الرجل ليذهب بنفسه حتى يُكتب في الجبَّارين؛ فيُصِيبُه ما أصابهم»[٨].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب اللباس، بابُ من جَرَّ ثوبه من الخيلاء، رقم: (٥٧٨٩-طوق).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحَلِف، رقم: (١٠٧-عبد الباقي).

(٣) تقدَّم تخريجه في السفر الأوَّل.

(٤) في (ك) و(ب): حسنة.

(٥) في (د): من بطر.

(٦) تقدَّم تخريجه.

(٧) في (ك): صلى الله عليه.

(٨) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الكبر، رقم: (٢٠٠٠-طوق).

وروى ثوبان - في الحسان -: أن نبي الله ﷺ قال: «من فارق الروحُ الجسدَ وهو بريء من ثلاثة دخل الجنة؛ الكِبْرُ، والغُلولُ، والدَّيْنُ»[(١)].

وفي رواية: «الكنز»[(٢)].

ومن كلام الحكماء - وقد دخل في الحديث ولم يصحَّ -: «بئس العبدُ عبد تجبَّر وعتا ونسي الجبَّار الأعلى، بئس العبدُ عبد سَهَا وَلَهَا ونسي المقابر والبِلَى، وبئس العبد عبد عتا[(٣)] وطغا[(٤)] ونسي المبتدأ والمنتهى، بئس العبد عبد يَخْتِلُ الدنيا بالدِّينِ، بئس العبد/ عبد يَلْبِسُ الدِّينَ بالشبهات، بئس العبد عبد طَمَعٌ[(٥)] يقوده[(٦)]، بئس العبد عبد هَوًى[(٧)] يُضِلُّه، بئس العبدُ عبد رَغَبٌ[(٨)] يُذِلُّه»[(٩)].

٢
[٨٣/أ]

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه عن ثوبان ﷺ: أبواب السير عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الغلول، رقم: (١٥٧٢-بشار).

(٢) أخرجها الترمذي في جامعه عن ثوبان ﷺ: أبواب السير عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الغلول، رقم: (١٥٧٣-بشار).

(٣) في (د): غنا.

(٤) في (ب): طغى وعتا.

(٥) في (ك): عبد طمعٍ.

(٦) قوله: «بئس العبدُ عبد يَخْتِلُ الدنيا بالدِّينِ، بئس العبدُ عبد يَلْبِسُ الدِّينَ بالشبهات، بئس العبدُ عبد طَمَعٌ يقوده» سقط من (ب).

(٧) في (ك): عبد هوًى.

(٨) في (ك): عبد رَغَبٍ.

(٩) أخرجه الترمذي في جامعه عن أسماء بنت عُمَيس ﷺ: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٢٤٤٨-بشار)، قال أبو عيسى: «ليس إسناده بالقوي».

قال الإمام الحافظ[١]: فأمَّا جَرُّ الإزار فسخافةٌ قبل النظر في التحريم، قد نظر عُمَرُ وهو في[٢] بَرْحِه من جُرْحِه إلى غلام يجرُّ إزاره فقال له: «ارفع إزارك يا غلام، فإنه أبقى وأنقى وأتقى»[٣].

وقال ﷺ: «إِزْرَةُ المؤمن إلى أنصاف ساقيه، لا جُناح عليه فيما بينه وبين الكعبين، ما كان أسفل من ذلك ففي النار»[٤].

إذا أراد المُرِيدُ أن يعلم وجه النهي فلينظر إلى نفسه إذا جرَّها، فإنه يجد فيها عُلُوًّا، إن تمادى عليه صار عُتُوًّا.

وفي الصحيح: أنَّ أبا بكر قال: «يا رسول الله، إني أحيانًا يسترخي إزاري، قال له: أرجو ألَّا تكون منهم، أو: لستَ منهم»[٥].

وهذا صحيح؛ فإنَّ من تعلَّق رداؤه بغير قَصْدِه لم يكن عليه في ذلك حَرَجٌ من فِعْلِه[٦].

---

(١) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ك) و(ب): قال الإمام الحافظ رضي الله عنه.

(٢) سقطت من (د).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان رضي الله عنه، رقم: (٣٧٠٠-طوق)، ولفظه فيه: «ارفع ثوبك؛ فإنه أبقى لثوبك، وأتقى لربك».

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كتاب الجامع، ما جاء في إسبال الرجل ثوبه، (٢/٣٠٠)، رقم: (٢٦١٢-المجلس العلمي الأعلى).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب اللباس، باب من جر إزاره من غير خيلاء، رقم: (٥٧٨٤-طوق).

(٦) ألف ابن العربي في الإسبال جزءًا في عشرين ورقة، وجعل مسائله في أربعين مسألة، وأدرج فيه نحوًا من خمسين حديثًا، ينظر: القبس: (٣/١١٠٤).

داهية: [في السَّدْلِ في الصَّلاة]

قال مالك ﷺ: «لا بأس بالسَّدْلِ في الصلاة»[١].

ومن الكلام الذي يُنسب إلى واضع الشريعة ومُبَلِّغِها الثاني[٢] صلى الله عليه[٣] أنه نهى عن السَّدْلِ في الصلاة[٤].

فأمَّا النَّهْيُ عن السَّدْلِ في الصلاة فلم يصحَّ، لكنِ السَّدْلُ على وجهين:

أحدهما: سَدْلٌ يتجاوز الكعبين ويضرب الأرض؛ فذلك حرام - كما تقدَّم - بكل حال.

[الثاني]: وسَدْلٌ لا يبلغ الكعبين، فذلك جائز بكل حال.

ومعنى ذلك: أنَّ الرداء يكون على المرء إمَّا مُتقَنِّعًا به، وإمَّا مُتَأَبِّطًا، وإمَّا مُشْتَمِلًا[٥]، وإمَّا مُضْطَبِعًا[٦]؛ على أنواع الهيآت.

---

(١) المدونة: (١/١٠٨)، وينظر: البيان والتحصيل: (١/٢٥٠).

(٢) سقطت من (ص) و(ب).

(٣) في (ك): صلى الله عليهما، وفي (ب): ﷺ.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة ﷺ: أبواب الصلاة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كراهية السدل في الصلاة، رقم: (٣٧٨-بشار)، وأشار إلى تضعيفه، وأخرجه أبو داود في السنن عن ابن مسعود ﷺ: كتاب الصلاة، باب الإسبال في الصلاة، رقم: (٦٣٧-شعيب)، ورجَّح أبو داود وقفه.

(٥) الاشتمال: هو تعميم البدن بالملبوس، المسالك: (٣/٥٨).

(٦) الاضطباع: أن يأخذ الإزار فيجعل وسطه تحت إبطه الأيمن، ويلقي طرفه على كتفه الأيسر من جهتي صدره وظهره، تاج العروس: (٢١/٣٩٤)، وينظر: المسالك: (٣/٥٩).

وقد يكون حاملًا له على رأسه ومَنْكِبَيْهِ، أو على منكبيه خاصَّة، سَادِلًا له على ظهره وذراعيه.

وسُنَّةُ لباسه التأبُّطُ، فقد رُوي في بعض الطرق: «أنها كانت رِدْءَةَ رسول الله»، وهو رِدْءَةُ العرب إلى اليوم، فكان هذا من مَالِكٍ إشارة إلى أنه يجوز أن يحمل الرداء في الصلاة على غير السُّنَّةِ والهيئة[1] التي يُحمل عليها في خارجها ويُتَجَمَّلُ بها في حَمْلِه.

[نَقْدُ المَسَائِلِيِّينَ في قولهم بسُنِّيَّةِ السَّدْلِ في الصَّلَاةِ]:

[٨٣/ب]

وخَفِيَ هذا كلُّه على قوم يَسْتَقْرُونَ المسائل الفقهية، يُرَى[2] / أحدُهم حاملًا لردائه على هيئة الارتداء والتشمير، حتى إذا صلى سَدَلَهُ ضرورة.

ومَالِكٌ لم يقل: «سُنَّةُ الصلاة السَّدْلُ»، إنَّما قال: «لا بأس به»، فلِمَ جعلوه نَدْبًا؟ بل لِمَ جعلوه حالةً ملازمة؟ حتى زادوا فيه: «أن يسحبوه على الأرض سَحْبًا»، حتى زادوا فيه: «أن يُرْخُوه شِبْرًا وذراعًا»، فإذا بالرجل قد عاد امرأة؛ تُرْخِي دِرْعَها ذراعًا، وإذا بالرداء قد صار ذَيْلًا، وصار المرءُ ممَّن يمشي مُكِبًّا على وجهه؛ قد عَدَلَ عن الصراط المستقيم، ولم يركب جادَّة التعليم والتفهيم.

[تَفْسِيرُ حديث المُتَجَلْجِلِ]:

وأمَّا حديث المتجلجل فيحتمل أن يكون كافرًا، كما يأتي بيانُه، ويحتمل أن يكون مؤمنًا؛ وغُلِّظَ عليه[3] عذابُه في الدنيا، وسَتُدْرِكُه - إن شاء الله - شفاعة الأخرى.

---

(١) في (د): ولباسه.

(٢) في (ص) و(ب): تَرى.

(٣) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

[تفسير حديث: شيخ زَانٍ]:

وأمَّا حديثُ الثلاثة الذين لا ينظر الله إليهم فحكمة بالغة، وهي أن الزِّنَا إنَّما يحمله عليه غُلْمَةُ الشَّبِيبَةِ[١]، وشَبَقُ[٢] الفُتُوَّةِ، وغِرَّةُ الصِّبَا، واستيلاءُ الهوى، وإذا شاخ[٣] المرءُ ضعفت القُوَى، وانحلَّ العَصَبُ، وانقلب الهوى إلى الهُوِيِّ، فإذا تمادى في غُلَوَائِه وصمَّم على سيرته الأولى ومضى على ما اعتاد منها؛ تحقَّق عليه فسادُ النفس، وخُبْثُ السُّوس، فكان عقابه أَكْبَرَ، ولم يكن بأَعْذَرَ.

[الأميرُ الكذَّاب]:

وأمَّا الإمام الكذَّاب فهو شَرُّ الخلق عند الله تعالى؛ لأنَّ الكذَّاب إنما يريد كذبه حيلة[٤] لما يعجز عنه، وليس فوق الإمام يد، ولا يفوته شيء ممَّا[٥] يعتاد دَركه، فإذا صادره[٦] بالكذب كان ذلك نزولاً عن الكرامة إلى الخِسَّةِ، وعن الطاعة إلى المعصية.

وقد قال لنا ذَانَشْمَنْد[٧]: «إنَّ في اللسان آفات كثيرة، شرها الكذب، وهو إذا تَرَكَه خَرَجَ به عن جميع المعاصي اللسانية والجوارحية»، لأنَّ الصِّدْقَ - كما قدَّمنا بيانَه - الأَصْلُ في الدين، وجملة الأعمال متعلقة به،

(١) في (ك) و(ص) و(ب): الشبقيَّة.

(٢) في (ك): سبق.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): شاب، وضعَّفها في (د)، والمثبت من طرته.

(٤) في (د): جملة.

(٥) في (د): ما.

(٦) في (ك): صاده، وفي (ص): صاره.

(٧) هو الإمام أبو حامد الغزالي.

فإذا التزمه العبد لم يتَّفق له أن يعصي أبدًا، ولا يخالف حَدًّا، فإنك إذا قدرت أن تُسأل عمَّا فعلت فتقول: لم أفعل؛ وأنت قد فعلت، كذبت، وإن صدقت ربما قُتلت، أو حُدِدْتَ، أو عُزلت عن مرتبة الخير، وإن لسانك هو المعبِّر عنك فيما علمت، المعبر لك فيما تتعلَّم، وأعظمُ/ ما فيه من الآفات: الكَذِبُ، والغِيبَةُ، والمِرَاءُ، والمُزَاحُ. ٢ [٨٤/أ]

وإذا تفطَّنت كما بيَّنَّا[1] في «قانون التأويل»[2]؛ وجدتَ جميع مكروهات الأقدار[3] لا يُخرج عنها، فإذا احترست منها مَلَكْتَ لسانك، وسلمت من الوعيد الثابت؛ وهو[4] قوله ﷺ: «وهل يَكُبُّ الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم»[5].

وأَشَدُّ الكذب كَذِبُ الأمير، أو الكذب للأمير، من الحديث الصحيح؛ خرَّجه الترمذي والنسائي عن كعب بن عُجْرَةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه سيكون أمراء، فمن صدَّقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، ولا يَرِدُ عليَّ حوضي، ومن لم يصدقهم على كذبهم[6] ولم يُعنهم على ظلمهم فهو منِّي وأنا منه، ويَرِدُ عليَّ حَوْضِي»[7].

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): بيناه.

(٢) قانون التأويل: (ص٣٨٣-٣٨٤).

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): الأقوال، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

(٤) في (د) - أيضًا -: هي.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) في (د): بكذبهم.

(٧) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٢٢٥٩-بشار)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى: كتاب البيعة، ذِكْرُ الوعيد لمن أعان أميره على الظلم، رقم: (٧٧٨٢-طوق).

التَّعْرِيضُ بالمعاريض:

أَمَا إِنَّه قد رُخِّصَ فيه في مواطن ثلاثة أجمعت عليه[١] الأمة؛ الإصلاح بين الناس، ووَعْدُ الرجل أهله، والحرب[٢].

فأمَّا الإصلاح بين الناس فلمَا يُرْجَى من إطفاء النائرة بين الرجلين أو الفريقين، ولكن بالمعاريض، مثل أن يقول له: رأيته يدعو لك؛ إن جرى في كلمته دعاء له، وإن لم يسمع، فإن صلَّى معه فقد دعا للمسلمين في صلاته، فيقول[٣] له: قد دعا لك، وينوي بقلبه ما كان من دعائه في صلاته للمسلمين الذي هو أحدهم، أو إذا سمعه يذكره بكلمة حسنة قالها وحدها، ويجتنب التصريح بالكذب وإن لم يقصده بقلبه، وهي مسألة عظيمة من الفقه، بيَّنَّاها في «كُتُبِ الخلاف» في طلاق المُكْرَهِ، وصنَّف فيها علماءُ اللغة كُتُبًا.

وقد كان النبي ﷺ يقول: «نمشي إلى جهة كذا»[٤]؛ وهي المشرق، فإذا خرج ومشى إلى تلك الجهة لَيْلَةً عرَّج إلى المغرب، حتى يتحقَّق قَوْلُه وفِعْلُه.

وإذا ابتاع لزوجه ثوبًا بأربعة يقول: أخذته لك بخمسة، يعني: أخذته بكَفِّي، أو يقول: اشتريته بخمسة، يعني: بخمسة أجزاء أصلُها أربعة، بأن

---

(١) في (ص): عليها.

(٢) ينظر: قانون التأويل: (ص٣٨٤).

(٣) بعده في (ك) و(ص) و(ب): ذلك، وضرب عليها في (د).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن كعب بن مالك ﷺ: كتاب الجهاد والسير، باب من أراد غزوة فورى بغيرها، رقم: (٢٩٤٧-طوق).

يَحُطَّ من كل وَاحِدٍ/ خُمُسًا، كما لو أراد أن يقسمها على أربعة رجال، [٨٤/ب]
وأمثالُ هذا لا يُحْصَى[١].

والغِيبَةُ[٢]: أن تذكر في الرجل[٣] ما فيه ممَّا يكره أن يسمعه، فإن لم يكن فيه ذلك فهو بهتان، إلَّا أن يكون كافرًا[٤].

روى البخاري في الصحيح: أن النبي ﷺ قال لعائشة: «ما أَظُنُّ فلانًا وفلانًا يعرفان من ديننا شيئًا»[٥].

ذِكْرُ الفاسق:

فإن قلت: فإن كان فاسقًا قد ثَبَتَ فِسْقُه؟

قلنا: ولو كان ثابت الفِسْقِ لا يجوز لك أن تذكره به بحال، والدليل عليه أمران:

أحدهما: ما روى الأئمة أنَّ رجلًا كان يُلَقَّبُ حمارًا، وكان يؤتى به إلى النبي سكران فيجلده، فقال رجل بعد جلده مرَّة: «لعنه الله، ما أكثر ما يؤتى به، فقال: لا تكونوا عَوْنًا للشيطان على أخيكم»[٦]، فنهى عن لَعْنِه مُعَيَّنًا؛ وإن كان هو ﷺ[٧] قد لَعَنَ في الخَمْرِ عشرة[٨].

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): تحصى.

(٢) ينظر: قانون التأويل: (ص٣٨٥).

(٣) في (ك) و(ص): أن يذكر الرجل في الرجل، وفي (ب): أن تذكر للرجل.

(٤) في (د): كافر.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كتاب الأدب، باب ما يكون من الظن، رقم: (٦٠٦٧-طوق).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الحدود، باب ما يُكْرَهُ من لَعْنِ شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة، رقم: (٦٧٨٠-طوق).

(٧) في (ك): صلى الله عليه.

(٨) أخرجه الترمذي في جامعه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أبواب البيوع عن رسول =

الأمر الثاني: قوله ﷺ: «إذا زَنَتْ أَمَةُ أحدكم فليجلدها الحَدَّ ولا يُثَرِّبْ»[(١)]، فإذا مَنَعَه ﷺ من[(٢)] أن يعاتبها على فِعْلِها فأَحْرَى أن يمنع من ذِكْرِه في غير ذلك.

أَمَا إِنَّ علماءنا قالوا: «يذكره في موضع يحتاج إليه، كمستشير له في أمر بمخالطة[(٣)]، أو كغريب يراه معه، أو يرى معه من يخاف أن يقتدي به أو يشاركه في عمله»، ونحو ذلك من معاني النصيحة.

ومن مَحَالِّ ذِكْرِ الغيبة الاستفتاء فيما يحتاج إليه من أمره، قالت هند بنت عُتبة: «يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل مِسِّيكٌ، فهل عليَّ من حرج أن أُطعم من ماله عيالنا؟ قال: لا، إلَّا[(٤)] بالمعروف»[(٥)].

ولا تُمَارِ؛ فإن المُمَارَاةَ هي المنازعة في تصحيح الباطل وإبطال الحق، ولذلك قال النبي: «مِرَاءٌ في القرآن كفر»[(٦)]؛ لأنه لا يكتفي بالبدعة حتى يدَّعي أن الله أَمَرَ بها، والله لا يأمر بالفحشاء، فكيف بالبدعة؟ وهذا ممَّا لم نجده لغيرنا والحمد لله، وهو يرجع إلى الكذب.

= الله ﷺ، باب النهي أن يتخذ الخمر خلًّا، رقم: (١٢٩٥-بشار)، وضعَّف إسناده، وأخرجه أبو داود في السنن: كتاب الأشربة، باب العنب يُعصر للخمر، رقم: (٣٦٧٤-شعيب).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الحدود، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى، رقم: (١٧٠٣-عبد الباقي).

(٢) سقط من (ك).

(٣) في (ص): بمخالطته.

(٤) سقط من (ب).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) أخرجه أبو داود في السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب السنة، باب النهي عن الجدال في القرآن، رقم: (٤٦٠٣-شعيب).

وأمَّا قوله: «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري»(١)؛ فهو من الأمثال البديعة التي ضَرَبَها النبي لله سبحانه، فلا تضربوا أنتم لله الأمثال؛ فإن الله يعلم وأنتم لا تعلمون، وفيه بديعة شنعاءُ من التوحيد بيَّنَّاها/ في «قانون التأويل»(٢) وغيره، ويكفيكم فيها ما قُرِنَ من الوعيد بها.

٢ [٨٥/أ]

وبَرَّأَ(٣) من يُرِيدُ جَمال الثياب والنعال من الكِبْرِ إذا أطاع الحق(٤).

وأمَّا قوله: «إن الرجل ليذهب بنفسه حتى يُكْتَبَ(٥) من الجبَّارين»(٦)؛ فهو تحذير من التدرج(٧) بيَسِيرِ المُحَرَّمِ إلى كثيره، وتنبيه عن(٨) التوقِّي من محقرات(٩) الذنوب، فإن الخير عادة والشر لجاجة.

وقوله: «دخل الجنة من(١٠) برئ من الكِبْرِ»(١١)، يعني(١٢): دخلها في الزُّمْرَةِ الأولى، وقد بيَّنَّا ذلك في باب الوعيد من «كُتُبِ الأصول»(١٣)، إذ لا بدَّ لكل عَاصٍ مات على التوحيد من الجنة وإن أصابته النار بخطيئته(١٤).

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) قانون التأويل: (ص٢٧٥).
(٣) في (ب): براءٌ، وفي (د): وكذا.
(٤) بعده في (ك) و(ب): وعظَّم الخلق، وضرب عليها في (د).
(٥) في (ك) و(ص) و(ب): يراها، ومرَّضها في (د)، والمثبت صحَّحه بطرته.
(٦) سبق تخريجه.
(٧) في (ك) و(ص) و(ب): التذرع.
(٨) في (ك) و(ص) و(ب): على.
(٩) في (ك) و(ص) و(ب): لمحقرات.
(١٠) في (ص): حتى.
(١١) تقدَّم تخريجه.
(١٢) بعده في (ك) و(ص) و(ب): به، وضرب عليه في (د).
(١٣) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٤١٥).
(١٤) في (د): بخطئه.

وأمَّا الذي أَثَرْنَاهُ عن الحكماء فهو حديث يُرْوَى، ولكنه لم يثبت[١]، وهي خصال معلومٌ قُبْحُها، مَخُوفٌ وِزْرُها، مُتَوَقَّعٌ سوءُ الخاتمة على مُقْتَرِفِها.

[أقسامُ الكِبْرِ]:

وأقسامُ الكِبْرِ كثيرة، وأشدُّها خمسة:

الأوَّل[٢]: التَّكَبُّرُ على الله، كما فعل الجبَّارون الذين نَصَبُوا أنفسهم آلهة، وادَّعوا مع الله الشركة.

الثاني: التَّكَبُّرُ[٣] على النبي واستحقاره، كما قالت الكفرة؛ وقالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:٣٠]، يعني: ولِمَ يُوضَعُ في أقلهم مرتبة؟ ولم يعلموا المراتب بجهلهم، ولا قَبِلُوها حين[٤] بُيِّنَتْ لهم بغباوتهم[٥].

الثالث[٦]: ومنها: التَّكَبُّرُ[٧] على الوالي بمعارضته، وقد قال النبي: «اسمعوا وأطيعوا، ولو أُمِّرَ عليكم عبد حَبَشِيٌّ له زَبِيبَتان»[٨]، فإن كان الوالي مُطِيعاً وجب تعظيمُه وبِرُّه؛ سِرًّا وعَلَنًا، وإن كان عاصيًا وجبت طاعته

---

(١) يشير إلى حديث أسماء بنت عُمَيس رضي الله عنها: «بئس العبدُ عبد تجبَّر وعتا»، ضعَّفه الترمذي، وقد تقدَّم ذِكْرُ ذلك.

(٢) سقط من (ك) و(ص).

(٣) في (ك): الكبر.

(٤) في (د): حتى.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): بعبارتهم.

(٦) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٧) في (ك) و(ص) و(ب): الكبر.

(٨) تقدَّم تخريجه.

ظاهرًا، وتعيَّن التبرِّي منه باطنًا، ووجب الدعاء له، ولم يَحِلَّ الطَّعْنُ عليه ولا الخروج، بل يصبرُ الخَلْقُ على ما أصابهم منه، والله يفتح له ولهم.

الرابع[١]: ومنها: التَّكَبُّرُ على المتعلم، فلا ينبغي للعالم أن يستحقره بجهله.

[**الخامس**]: ولا ينبغي للمتعلم أن يَتَكَبَّرَ على مُعَلِّمِه، وأعني به على العالم؛ تَعَلَّمَ منه أو لم يتعلم؛ لأن الله قد ردَّه إليه فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣]، وأَمَرَهُ بالاقتداء به، فكيف يصحُّ أن يتعاظم عليه؟

[تَتِمَّةُ أحكام الأخوَّة]:

الثالث[٢] **عشر** من أحكام الأخوة: أن يَفْدِيَه، وذلك يكون بالنفس والأهل والمال؛

٢ [٨٥/ب]

فأمَّا[٣] فداؤه بالنفس/ فليس لأحد إلَّا للنبي ﷺ[٤]، حسب ما تقدَّم بيانُه؛ إذ لا يصح الإيمان ولا يُجْزِئ أحدًا إلا بأن يُحِبَّ النبيَّ أكثر من نفسه.

وأمَّا التَّفْدِيَةُ بالأهل فإنَّما يَصِحُّ إذا كان منهم أَحَدٌ كافرًا، وقال النبي لبعض أصحابه: «فِدًى لك أبي وأمي»[٥]، قال علماؤنا: «لأنهما كانا كافرين»[٦].

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك) و(ص): الثاني، ومرَّضها في (د).

(٣) في (ك): وأما.

(٤) في (ك): صلى الله عليه.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن علي رضي الله عنه: كتاب الأدب، باب قول الرجل: فداك أبي وأمي، رقم: (٦١٨٤-طوق).

(٦) ينظر: العارضة: (٤/٣٦٦)، والمسالك: (٣/٥٦٧).

وأمَّا الفداء بالمال؛ فمن حُكْم الأخوة أن يكون أخوه عنده فوق ماله إن قَدَرَ من نفسه، وإلَّا فالمواساة مع الحاجة حَقٌّ على ما تقدَّم بيانه في الحالة الأولى من «فاتحة الكتاب».

ذَكَرَ ابنُ حنبل أنَّ الأعمش قال: «كان على سعد بن عُبَيدة خَرْجٌ وجُعْلٌ[١] مائتا[٢] درهم، فحُبِسَ بها، فمرَّ عُمارة بن عُمَير فسأل فأخبروه، فصَالَح مُكَاتِبَه على مائتي درهم يُعَجِّلُها[٣]، فأعطاهم وأُخرج، ولم يعلم، فلمَّا سأل عنه قيل: فَعَلَه عُمارة[٤]»[٥].

الرابع[٦] **عشر**: أن يُحسن ظنَّه فيه، قال النبي[٧] صلى الله عليه[٨]: «إيَّاكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث»[٩].

والمعنى فيه: لا تَحْكُمُوا لمُجَرَّدِ[١٠] ما يبدو منه للقلب بالخواطر الظانَّة[١١]، والأمارات المتعارضة، حتى يظهر ذلك بدليل من الأدلة[١٢]

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): جعل.

(٢) في (ك): مائتي.

(٣) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٤) في (د): عمير.

(٥) لم أجده في المنشور من الزهد للإمام أحمد.

(٦) في (ك) و(ص): الثالث، ومرَّضها في (د).

(٧) لم يرد في (د).

(٨) في (ك) و(ص) و(ب): ﷺ.

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الأدب، باب ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظن﴾، رقم: (٦٠٦٦-طوق).

(١٠) في (ك) و(ص) و(ب): بمجرد.

(١١) في (ك) و(ص) و(ب): المطلقة، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

(١٢) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

الموضوعة للقضاء بها، وابتناء الحكم عليها، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات:١٢]، وبعضُه أَجْرٌ، وبعضُه فَرْضٌ، وبعضُه مندوبٌ إليه؛ بحسب الأدلة المتعلقة به.

الخامس[١] **عشر**: أن تلقاه[٢] بوَجْهٍ طَلْقٍ، وهو أقل الدرجات في إحسان الأُخوَّة، وهو عنوان ما وراءه من الخير والبركة، وهو أَحَدُ التأويلات في مدح الشَّاعر الجاهلي في الجاهلية بقوله:

ثيابُ بني عَوْفٍ[٣] طَهَارَى نَقِيَّةٌ وأَوْجُهُهُمْ عند المشاهد غُرَّانُ[٤]

يريد: أنهم بِيضُ الوجوه من البشاشة، ليست مُكْفَهِرَّةً من الحقد والبغضاء.

وقوله: «ثيابُهم طَهارى»؛ يريد: لا عيب فيهم، وهو تأويل قوله: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر:٤]، وقد غَلِطَ قَوْمٌ فيه فقالوا: «إن معناه[٥] طهارة النجاسة التي شُرِعَتْ للصَّلاة»[٦]، وهذا جهل بالحقيقة، وإسقاط للفائدة، وذلك أن هذه أوَّل كلمة سمعها النبي ﷺ من وَحْي ربه، أو ثانيتها، ولم يكن بَعْدُ أُمِرَ بطاعة، ولا ذُكِرَتْ له عبادة، فكيف يُذْكَرُ له شَرْطٌ من أقل شروطها، وإنَّما أُمِرَ في هذه/ الآية بأربعة أوامر؛ أصول فصول: ٢ [٨٦/أ]

---

(١) في (ك) و(ص): الرابع، وضبَّب عليها في (د).

(٢) في (ك) و(ب): يلقاه.

(٣) في طرة بـ (ك): في خ: عَقْرٍ.

(٤) من الطويل، وهو لامرئ القيس، ديوانه: (ص١٤٦).

(٥) في (د): معنى.

(٦) تفسير الطبري: (٢٣/٤٠٩-التركي).

الأوَّل: قيل له: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾، كما قال النبي[١] ﷺ[٢] لهم: «إنِّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد»[٣]، و﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام:٢٠]، و﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[٤] [الفرقان:١].

والثاني[٥]: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾، وقدَّم هاهنا التسمية قبل[٦] العامل فيها؛ وهو[٧] الفعل، للاهتمام الواجب فيها، والتعظيم المستحق لها، وكذلك طريقة الفصاحة[٨] العربية في أمثالها، إذا كان لهم الاهتمام بالمعمول فيه قُدِّمَ على العامل، تقول: عَمْرًا ضربتُ، وعَمْرًا ضربَ زَيْدٌ، فإنما يُجْعَلُ صدر الكلام لكل ما يقع به الاهتبال والاهتمام.

فأَمَرَ بتكبيره وتعظيمه عن أن يكون معبودًا سواه، أو يشاركه غيره في عبادته، أو يكون له سَمِيٌّ في أفعاله أو صفاته أو ذاته.

وإذا[٩] قدَّس ربَّه عمَّا لا يليق به فقد أُمِرَ أن يُطَهِّرَ نفسه عن دناءات الآدميِّين التي لا تليق به، ولقد أَمَرَه سبحانه بما أعطاه وله[١٠] ويسَّره، ومَدَحَه بما خلق فيه وقدَّره، فله الحمد أوَّلًا وآخِرًا، وباطنًا وظاهرًا.

---

(١) لم يرد في (د).

(٢) في (ك): صلى الله عليه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) في (د) و(ص): «ولتكون للعالمين نذيرًا».

(٥) قوله: «والثاني» سقط من (ك) و(ب)، وفي (ص): الأمر الثاني.

(٦) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٧) قوله: «وهو» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٨) في (د): فصاحة.

(٩) قبله في (ص): الأمر الثالث.

(١٠) في (ك) و(ص) و(ب): له.

الثالث[١]: قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[٢]؛ قيل[٣]: «طَهِّرْ نفسك عن الزلَّات، وقلبك عن المخالفات، وسِرَّك عن الالتفات إلى غير الله»[٤].

وقيل: «إن المُرَادَ بقوله: ﴿ثِيَابَكَ﴾: وأهلك فطَهِّرْ»[٥]، وهو مجاز لفظًا، والمعنى الحقيقي الأوَّل أقوى.

والرابع[٦]: قوله: ﴿وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ﴾، وهو يُسَمَّى به الأصنام، ويُسَمَّى به العذاب، فأَمَرَ بهجران الأصنام وما يُؤَدِّي إلى العذاب.

وجَمَعَ له في هذه الأحرف اليسيرة قِسْمَي الشريعة؛ المفعول من القُرُبَاتِ، والمتروك من المحرَّمات، قال الله تعالى: «يا أيها الطالب لصَرْفِ الأذى بالدِّثَارِ، قُمْ فاصرفه عن نفسك بالإنذار»[٧].

السَّادس[٨] **عشر**: أن ترعى حَقَّ الأخوة فيمن فوقك ومن دونك، حتَّى في عبدك، قال النبي ﷺ: «إخوانكم خَوَلُكم، ملَّككم الله رقابهم، فأطعموهم ممَّا تأكلون، واكسوهم ممَّا تلبسون، ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون، فإن كلَّفتموهم فأَعِينُوهم»[٩]، وبذلك يكون «رَفِيقًا».

---

(١) سقط من (ك) و(ب) و(ص)، وتأخر ما بعده في هذه النسخ إلى ما بعد الأمر الرابع.

(٢) لم ترد هذه الآية في (ك) و(ب) و(ص).

(٣) بعده في (ك) و(ص) و(ب): في ثيابك، وضرب عليها في (د).

(٤) لطائف الإشارات: (٣/٦٤٨).

(٥) لطائف الإشارات: (٣/٦٤٨).

(٦) قبله في (ك) و(ص) و(ب): الأمر، وضرب عليه في (د).

(٧) لطائف الإشارات: (٣/٦٤٧).

(٨) في (ك) و(ص): الخامس، ومرَّضها في (د).

(٩) تقدَّم تخريجه.

الرَّفِيقُ[١]: وهو الاسمُ الرَّابع والثمانون[٢]

ثبت أن النبي قال: «من أُعْطِيَ حظَّه من الرِّفْقِ فقد أُعطي حظَّه من الخير، ومن حُرم حظَّه من الرفق فقد حُرم حظَّه من الخير»[٣].

٢ [٨٦/ب] ومن صحيح الصحيح/ ما رُوي عن عائشة: «أن رَهْطًا من اليهود دخلوا على النبي ﷺ فقالوا: السَّامُ عليك، فقال النبي: عليكم، فقالت عائشة: فقلت: بل عليكم السَّامُ واللعنة، فقال النبي: يا عائشة، إن الله يُحِبُّ الرفق في الأمر كله، قالت عائشة: ألم تسمع ما قالوا؟ قال: قلت: عليكم، إنه يستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم فيَّ»[٤].

وفي الصحيح: أن النبي ﷺ قال: «اللَّهم من وَلِيَ من أمر أمتي شيئًا فرَفَقَ بهم فارْفُقْ به، ومن شاقَّ عليهم فاشْقُقْ عليه»[٥].

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): الثاني والثمانون، وفي (ص): الموفي ثمانين، و(ب): التاسع والسبعون.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي الدرداء رضي الله عنه: أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، بابُ ما جاء في الرفق، رقم: (٢٠١٣-بشار).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، رقم: (٦٠٢٤-طوق).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، رقم: (١٨٢٨-عبد الباقي).

وأوجبُ ما هو الرفق على الولاة؛ فإنه واجب عليهم في أنفسهم، واجب عليهم أن يفتقدوه من غيرهم.

«كان عمر بن الخطاب يذهب إلى العوالي كلَّ سَبْتٍ، فإذا وجد عَبْدًا في عمل لا يطيقه وَضَعَ عنه»(١).

ولقد تعدَّى رِفْقُه إلى البهائم، ولها حق، فيُرْوَى(٢): «أنه اشتهى سَمَكًا، فركب يَرْفَا(٣) ناقةً إلى الجار، واصَّاد منها أربعة، وجاء بها عُمَرَ، فلمَّا رأى عمر الراحلة التي ركب عليها قال: والله لا يذوقها عمر وقد(٤) عُذِّبَتْ بهيمة من البهائم في شهوته»(٥).

قال الإمام الحافظ(٦): وهذا إنَّما أراد به عمر أن يكسر شهوة(٧) القاسين على الحيوانات من الآدميِّين والبهائم، القاصين عن سبيل الرفق، وإلَّا فالفَرَسُ يتعب في الصيد أكثر من تَعَبِ الراحلة، والدواب يَسُوقُ(٨) الطعام من قُوتٍ وإِدَامٍ ومُشْتَهًى، وكل ذلك مأذونٌ فيه.

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ بلاغًا: كتاب الجامع، الأمر بالرفق بالمملوك، (٢/٣٤٥)، رقم: (٢٧٦١-المجلس العلمي الأعلى).

(٢) في (ص) و(ب): فروي.

(٣) يرفا: مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد يهمز، فتح الباري: (٦/٢٠٥).

(٤) قوله: «وقد» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٥) تاريخ دمشق: (٤٤/٣٠١).

(٦) في (ك) و(ب): قال الإمام الحافظ رضي الله عنه، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد اللهب ن العربي رضي الله عنه.

(٧) في (ك) و(ص) و(ب): شهوة، وضبَّب عليها في (د)، والمثبت من طرته.

(٨) في (ك): تسوق.

ويحتمل أن يكون عمر رأى أن تلك نعمة؛ أن يُسِّرَ له عبد وبهيمةٌ جاءته بشهوته، ورأى من شُكْرِها تَرْكَها، أو خشي ألَّا يقوم بشُكْرِها، أو رأى أنَّ ذلك يُعَيِّنُ عليه فرضًا من الشكر لم يكن توجَّه عليه فتَرَكَها[١].

وممَّا أَذِنَ الله فيه الجَدُّ في السَّيْرِ بالركاب مع اعتماد[٢] الرفق، فقد مشى عقبة بن عامر[٣] من الكوفة إلى المدينة من يوم الجمعة إلى يوم الجمعة[٤]، وهي نَحْوٌ من عشرين مرحلة، وأقرَّه عمر على ذلك ولم يَرُعْه بقَوْلٍ ولا وَزَعَه؛ على عادته في سماع ما يكره وما[٥] لا يراه حقًّا[٦].

وقد عدَّ جماعة من العلماء الرفق بالمال وتَرْكَ الخُرُقِ فيه من باب المأمور به، وقد بيَّنَّاه في تأويل قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[٧] [الفرقان:٦٧].

٢ [٨٧/أ] وقال النبي ﷺ - كما تقدَّم -: «بَيْنَا أيُّوب يغتسل يومًا إذ خَرَّ عليه/ رِجْلٌ من جراد من ذهب، فجعل يَحْثِي في ثوبه، فقال الله[٨] له: ألم أكن أغنيتك عمَّا ترى؟ فقال: بلى يا رب، ولكن لا غِنَى بي عن بَرَكَتِك»[٩].

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): فتركه.

(٢) في (ك) و(ص): اعتقاد.

(٣) قوله: «ابن عامر» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٤) تاريخ دمشق: (٤٠/٤٨٧).

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): أو ما.

(٦) سقط من (د).

(٧) في السِّفْرِ الثاني من السراج، عند اسم «العابد».

(٨) لم يرد في (د).

(٩) تقدَّم تخريجه في السِّفْرِ الأوَّل.

وقد أمر النبيُّ بمِثْلِ هذا الفعل، وسَنَّ مثل هذه السنة في شريعته، فقال عبد الله بن السَّعْدِي: «إنه قَدِمَ على عمر بن الخطاب في خلافته، فقال له عمر: أَلَمْ أُحَدَّثْ أنك تَلِي من أعمال الناس، فإذا أُعطيت العُمَالَةَ كرهتها؟ فقلت: بلى، قال عمر: فما تُرِيدُ إلى ذلك؟ قال: إنَّ لي أَفْرَاسًا وأَعْبُدًا وأَبَاعِرَ، وأريد أن تكون عُمَالَتِي صدقة على المسلمين، قال عمر: لا تفعل؛ فإني كنتُ أردت الذي أردت، فكان رسول الله يعطيني[1] العطايا[2] فأقول: أعطه أفقر إليه مني، حتى أعطاني مرة مالًا، فقلت: أعطه أفقر إليه مني، فقال لي[3] النبي: خُذْهُ فتموَّله، وتصدَّق به، وما أتاك من هذا المال وأنت غير مُشْرِفٍ ولا سائل فخُذْهُ، وما لا، فلا تُتْبِعْه نفسَك»[4].

وقال النبي ﷺ لأَنَسٍ: «اللهم أَكْثِرْ مالَه ووَلَدَه، وبارك له فيما أعطيتَه»[5].

قال الإمام الحافظ[6]: فلذلك لم يكن كثرةُ[7] المال عيبًا إذا لم يَدَّخِرْهُ مُكْتَسِبُه، ولا تعاطاه بما لا ينبغي له، وقد أُجِيبَتْ دعوته صلى الله عليه[8]

---

(١) في (ك): يعطي.

(٢) في (د) و(ص): العطاء.

(٣) سقط من (ك).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأحكام، باب رزق الحكام والعاملين عليها، رقم: (٧١٦٣-طوق).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه، رقم: (٢٤٨٠-عبد الباقي).

(٦) في (ك) و(ب): قال الإمام الحافظ رضي الله عنه، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه.

(٧) في (د): كثيرة.

(٨) في (ك) و(ص) و(ب): ﷺ.

لأَنَسٍ، فدَفَنَ لصُلْبِهِ مَقْدَمَ الحجَّاج البصرةَ مائة وعشرين وَلَدًا[١]، وكان خَبَّازُه[٢] قائمًا يُطعم ويتصدَّق لكثرة ماله[٣]، ولمَّا كان ما آتاه الله بدعاء رسول الله اقترن بالبَرَكَةِ، وكان مُصَرَّفًا في الطاعة، وسَلِمَ من التقصير في الشُّكْرِ ومن المعصية.

وقال ابن وهب: «قال لي مالك: من الناس من يؤتيه الله المال[٤] فيتَّقي الله فيه، ومنهم من يُبْتَلَى بالفقر فلا يتَّقي الله فيه».

قال الإمام الحافظ[٥]: هم أربعة:

غني متقي؛

فقير متقي؛

غني لا يتقي؛

فقير لا يتقي؛

فتلك بتلك في الأربعة، إلَّا الفقير الذي لا يتقي؛ فإنه متى أذنب في غير طريق الكسب بما لا يعود عليه به صلاحُ حال فهو في أسفل السَّافلين من الدناءة.

---

(١) قوله: «وعشرين ولدًا» سقط من (ك) و(د) و(ب).

(٢) في طرة بـ (ك): في خـ: خباؤه.

(٣) ينظر: الاستيعاب: (ص٥٤).

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): الملك.

(٥) في (ك): قال الإمام الحافظ رضي الله عنه، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ب): قال الإمام رضي الله عنه.

قال مالك عن يحيى بن سعيد: «قال عمر بن الخطاب: من كانت له أرض فليعمرها، ومن كان له مال فليُصلحه، فيُوشِكُ أن يأتي من لا يُعطي إلَّا من أحبَّ»[١].

ورِضْوَانُ الله على عمر؛ فإنه قد جاء بعده من تسلَّط على الأرض حتَّى نفَّر صاحبها عنها، وتسلَّط على المال حتَّى يودُّ الرجل أن[٢] لم يكن معه مال[٣]، وليس للمسألة/. ٢ [٨٧/ب]

ولذلك جعل بعضُهم «رَفِيقًا[٤]» من أسماء الباري، في «الموطأ»: عن خالد بن مَعْدَان يَرْفَعُه: «إن الله رفيق يحب الرفق ويرضى به، ويُعِينُ عليه ما لا يعين على العنف، فإذا ركبتم هذه الدوابَّ العُجْمَ فأنزلوها منازلها، فإن كانت الأرض جَدْبَةً فانْجُوا عليها بِنِقْيِها[٥]، وعليكم بسَيْرِ الليل؛ فإن الأرض تُطْوَى بالليل ما لا تطوى بالنهار، وإيَّاكم والتعريس على الطريق؛ فإنها طُرُقُ[٦] الدواب ومأوى الحيَّات»[٧].

وحقيقة الرفق: هي محاولة الأمور بأقلَّ ممَّا تحصل به، وفي أكثر من المدة التي تكون فيه، وهو التَّأَنِّي، فالتَّأَنِّي أَحَدُ قِسْمَي الرِّفْقِ.

---

(١) البيان والتحصيل: (١٧/٢٢٨).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): أنه.

(٣) سقط من (ك) و(د) و(ب).

(٤) في (د): رفيق.

(٥) في (د): بنفيها.

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): الطرق.

(٧) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: كتاب الجامع، ما يؤمر من العمل في السفر، (٢/٣٤٤)، رقم: (٢٧٥٨-المجلس العلمي الأعلى).

ومن تمامه تخصيصُ العيال به، فهذا النبي ﷺ قد قال: «وأمَّا أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه»[١]، فأخبر - في أصح التأويلين - عن غلظته على عياله.

وهذا رسول الله، وهُوَ هُوَ، هُوَ هُوَ، إلى ما لا ينقضي من الأخبار الكريمة العظيمة[٢] عنه، قد قال لعائشة والسُّودان يلعبون بالدَّرَقِ في المسجد: «تشتهين تنظرين؟ قالت[٣]: فقلت: نعم، فأقامني وراءه، خدِّي على خدِّه، وهو[٤] يقول: دونكم بني أَرْفِدَةَ، حتى إذا مَلِلْتُ قال: حَسْبُكِ؟ قلت: نعم، قال: فاذهبي، قالت عائشة: فاقدروا قَدْرَ الجارية الحديثة السن، الحريصة على اللهو»[٥].

السَّابع[٦] عشر من أحكام الأخوة[٧]:

أن تسأله عن حاله إذا لقيته[٨]، وقد كان قَوْمٌ من الصوفية يكرهون السؤال عن الأحوال؛ لئلا يطلع على عَوْرَةٍ يعجز عن سترها، أو يشق ذلك عليه إن كان قادرًا عليها.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): العظيمة الكريمة.

(٣) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٤) سقط من (د).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب العيدين، باب الحراب والدرق يوم العيد، رقم: (٩٥٠-طوق).

(٦) في (ك) و(ص): السادس، ومرَّضها في (د).

(٧) قوله: «من أحكام الأخوة» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٨) في (ك) و(ص) و(ب): أن يسأله عن حاله إذا لقيه.

قال رجل لآخر: كيف حالك؟ فذَكَرَ له دَيْنًا وخَصَاصَةً، فدفع إليه مالًا، واعتقد أن لا يسأل عن حال أحدًا.

ولقي عمرَ بن الخطاب رجلٌ[١]، فسلَّم عليه فردَّ عليه السَّلام، وسأله عمر عن حاله، فقال له: «أحمد إليك الله[٢]، فقال عمر: هذا[٣] الذي أردتُ منك»[٤]، وكان عمر أراد أن يكشف سريرته، ويطَّلع طريقته، وينظر يقينه وعقيدته.

وأمَّا إن سأله عن حاله في الدين فذلك أحسنُ سؤال، قد رُوي في الآثار: «أن النبي قال لحارثة: كيف أصبحت؟ قال: مؤمن حقًّا، قال له: إن لكل حق حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ قال: عَزَفَتْ نفسي عن الدنيا؛ فاستوى عندي ذَهَبُها وحَجَرُها، وكأني ناظر[٥] إلى عَرْشِ ربي وهو يفصل بين الناس»[٦]، وهذا كلام/ صحيح المعنى، وإن لم يكن له سند صحيح. ٢ [٨٨/أ]

الثامن[٧] عشر: أن يؤاخيه في الله[٨]، لا لِعَرَضٍ من الدنيا.

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): رجلًا.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): الله إليك.

(٣) في (ك): هو.

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أنس بن مالك رضي الله عنه: كتاب الجامع، جامع السَّلام، (٢/٣٣٠)، رقم: (٢٧١٦-المجلس العلمي الأعلى).

(٥) في (ك): في خـ: أنظر.

(٦) أخرجه الطبراني في أكبر معاجمه عن الحارث رضي الله عنه: (٣/٣٠٢)، رقم: (٣٣٦٧)، وأخرجه الشهاب في مسنده عن معاذ رضي الله عنه: (٢/١٢٧)، رقم: (١٠٢٨).

(٧) في (ك) و(ص) و(ب): السابع، وضعَّفها في (د).

(٨) في (ك) و(ص) و(ب): لله.

وقد روى مالك في «الموطأ»: «وَجَبَتْ مَحَبَّتِي للمتحابِّين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتزاورين فيَّ، والمتباذلين فيَّ»[١].

يريد: لمن خلصت أعمالهم لي، ولم تكن لغَرَضٍ دنياوي[٢].

وقد رُوي عن أبي رِمْثَةَ رِفَاعَةَ بن يَثْرِبِي أنه قال للنبي: «إني رجل طبيب، فقال له النبي: إنه لا طبيب لنا إلا الله، بل أنت رفيق»[٣].

وقيل لأبي بكر الصديق في مرضه: «ألا ندعو لك طبيبًا؟ فقال: قد سألته، وقال: إني فعَّال لما أريد»[٤].

وقد قدَّمنا بَيَانَ اسمِ «الطَّبِيبِ» في كتاب «الأمد الأقصى»[٥]، ويجوز أن يسمَّى الرجلُ بطَبِيبٍ.

* * * * *

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: كتاب الجامع، ما جاء في المتحابين في الله، (٢/٣٢٦)، رقم: (٢٦٩٨-المجلس العلمي الأعلى).

(٢) بعده في (ك) و(ص) و(ب): ولا لعرض، وضرب عليه في (د).

(٣) أخرجه أبو داود في السنن: كتاب الترجل، بابٌ في الخضاب، رقم: (٤٢٠٧-شعيب)، وأخرجه ابن حبَّان في صحيحه: كتاب الجنايات، ذكر الإخبار عن نفي جناية الأب عن ابنه والابن عن أبيه، رقم: (٥٩٩٥-إحسان).

(٤) تقدَّم تخريجه في السفر الأوَّل.

(٥) الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/٣٣-٣٤).

آخِرُ السِّفْرِ الثالث من كتابِ «سراج المريدين في سبيل الدين» للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي ﵁، ضبط نصَّه وخرَّج أحاديثه ووثَّق نقوله وترجم لأعلامه وصنع فهارسه وقدَّم له الدكتور عبد الله بن عبد السَّلام بن عبد الله بن محمد بن التِّهامي المصمودي التَّوْرَاتي القَصْرِي، عفا الله عنه وعن آبائه، وذلك في شهر شوَّال من عام ١٤٣٧هـ، بتِطَّاوْن - حرسها الله تعالى - قاعدة شمال المغرب الأقصى، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد، وعلى أزواجه الطَّاهرات، وصحابته وقرابته، ومن تبعهم من الصَّالحين.

فهرس الموضوعات

[الزَّاهِدُ]: **وهو الاسمُ الحادي والثلاثون** ٥
خَطَرُ الغِنَى: ٥
مغالاة: ٧
[بدائعُ في ضرب الله المثل للدنيا بماء السَّماء]: ١١
[وقوفُ ابن العربي على قبر أبي ذَرٍّ بالرَّبَذَةِ]:............................. ١٩
[زُهْدُ عامر بن عبد قيس]: ٢٠
[زُهْدُ أبي يزيد البِسطامي]: ٢٢
[شهواتُ الدنيا]:.. ٢٣
[مَثَلُ الدنيا في حديث رسول الله ﷺ]: ٢٧
[زُهَّادُ الصَّحابة]: ٣٠
[نَقْدُ قول الصوفية: السؤال تشنيع من العبد على المولى]........................ ٣٧
[أحاديثُ المسألة الصحيحة]: ٤٠
[المُتَوَكِّلُ]: **وهو الاسمُ الثاني والثلاثون** ٤٥
[أقسامُ السَّاعين]: ٤٩
[قولُه تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾]............ ٥٠
[قولُه تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ﴾] ٥٢
[نكتة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾] ٥٣
حالُ التفويض: ٥٥

الاسمُ الثالث والثلاثون: المُفَوِّضُ ٥٦
[درجاتُ التفويض]: ٥٧
الرَّاضِي: وهو الاسمُ الرابع والثلاثون ٦٠
[نَقْدُ قول القُشَيري في قوله باستيلاء سلطان الحقيقة على العبد وذهوله بها]. ٦٠
التَّوَكُّل في الأسباب الأخروية: ٦١
المُتَمَنِّي: وهو الاسمُ الخامس والثلاثون ٦٣
بيانُ مسايرة التوكل مع الأسباب: ٦٧
[خروجُ الخضر مع موسى - عليهما السَّلام - بغير زاد]: ٦٨
[أَسْوِلَةٌ في التوكل وأجوبتها]: ٧٢
الحكايات في التوكل: ٨١
الصَّابِرُ: وهو الاسمُ السَّادس والثلاثون ٨٥
الحَلِيمُ: وهو الاسمُ السَّابع والثلاثون ٨٩
[درجاتُ الصبر]: ٨٩
حالةُ العَبْدِ: ٩٠
الوَرَعُ: وهو الاسمُ الثامن والثلاثون ٩٢
الاسمُ التاسع والثلاثون: الشَّاكِرُ ٩٩
حقيقة الشكر: ١٠١
درجاتُ الشَّاكرين: ١٠٥
أنواعُ النعم: ١٠٦
[قولُه تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾] ١٠٨
[فائدةُ الشكر]: ١١٤
[آفةُ الشكر]: ١١٥
الحامدُ: وهو الاسمُ المُوَفِّي أربعين ١٢١

الاسمُ الحادي والأربعون والثاني والأربعون: الرَّاجي والخائف ١٢٢
حالُ الأنبياء في الخوف: ١٢٣
[أسبابُ الرجاء والخوف]: ١٣٤
المُحِبُّ: وهو الاسم الثالث والأربعون ١٥١
[حقيقة المحبة]: ١٥٢
[نَقْضُ ما ذهب إليه أبو حامد في أجناس المحبة]: ١٥٤
[درجاتُ المعرفة]: ١٦٩
[نَقْضُ كلام أبي حامد في معرفة الله]: ١٧٠
[علاماتُ المحبة]: ١٧٣
وهو الاسمُ الرابع والأربعون: الرَّاضي ١٧٦
[حقيقةُ الراضي]: ١٧٦
[الراضون من الأنبياء والصحابة]: ١٧٧
الرَّاعي: وهو الاسمُ الخامس والأربعون ١٧٩
[أنواعُ الأمانات]: ١٧٩
[حقيقةُ الرعاية]: ١٨٠
[رِقْبَةُ الله تعالى]: ١٨١
[نَفْيُ الجهة عن الله تعالى]: ١٨٢
[أنواعُ المراعاة]: ١٨٥
الوَلِيُّ: وهو الاسمُ السَّادس والأربعون ١٨٩
السَّائِحُ: وهو الاسمُ السَّابعُ والأربعون ١٩٣
الربَّانِي: وهو الاسم الثامن والأربعون ١٩٨
الحَبْرُ: وهو الاسم التاسع والأربعون ١٩٨
[معاني الحَبْرِ]: ٢٠٢

[العَدْلُ: وهو الاسم المُوَفِّي خمسين] ٢٠٦
[الشَّاهد: وهو الاسم الواحد والخمسون] ٢٠٧
[الهادي: وهو الاسم الثاني والخمسون] ٢٠٩
[الدَّاعِي: وهو الاسم الثالث والخمسون] ٢١١
[الإمامُ: وهو الاسم الرابع والخمسون] ٢١٢
[الهُدَى هدى الله]: ٢١٧
[كيفيةُ دعاء الناس]: ٢٢٠
الخليفة: وهو الاسمُ الخامس والخمسون ٢٢٢
الحاكم: وهو الاسمُ السَّادِسُ والخمسون ٢٢٥
الفاصل: وهو الاسم السَّابعُ والخمسون ٢٢٦
القاضي: وهو الاسم الثامنُ والخمسون ٢٢٧
الاسمُ التَّاسع والخمسون: الفقيه ٢٣١
[مَغْلَطَةٌ]: ٢٣٢
[التمكنُ في الدين شَرْطُ التمكن من الدنيا]: ٢٣٢
الحافظُ: وهو الاسمُ المُوَفِّي سِتِّينَ ٢٣٤
[هل يقال: حفظتُ القرآن؟] ٢٣٤
المُفْتِي: وهو الاسمُ الحادي والسِّتُّون ٢٣٦
المقتصد: وهو الاسمُ الثاني والسِّتُّون ٢٣٨
السَّابق: وهو الاسمُ الثالث والسِّتُّون ٢٣٨
المَلِكُ: وهو الاسمُ الرَّابع والسِّتُّون ٢٤٦
الحُرُّ: وهو الاسمُ الخامس والسِّتُّون ٢٤٧
[من محامد يوسف عليه السَّلام]: ٢٤٨
[السببُ الذي جعل العلماء يقبلون الولايات]: ٢٥١

[المُوفُون بالعهد]: ٢٥١
الأَمِيرُ: وهو الاسم السَّادس والستُّون ٢٥٨
[الأمراءُ هم العلماء]: ٢٥٨
[افتقارُ الأمير إلى العدل والبطانة الصالحة]: ٢٥٩
[أبو الطيِّب اليمني الزاهد]: ٢٦٠
[الأميرُ أمينٌ]: ٢٦١
[حديثُ ابن العربي عن رحلته وما لَقِيَه من أهل بلده]: ٢٦٤
الاسمُ السَّابع والستُّون: المُقْسِطُ ٢٦٦
مراتبُ أولي العلم: ٢٦٨
[الموازنةُ بين العلوم]: ٢٦٩
فائدة: [في الموازنة بين علماء المشرق وعلماء الأندلس] ٢٧١
الأمينُ: وهو الاسمُ الثامن والستُّون ٢٧٥
[أحاديثُ الأمانة]: ٢٨٢
[حقيقة الشَّهادة]: ٢٨٨
[الحذرُ من شهادة الزُّورِ بنسبة الفعل لغير الله تعالى]: ٢٩٢
وهو الاسمُ التَّاسع والستُّون: الوَفِيُّ ٢٩٨
[أنواعُ العهد]: ٢٩٩
[حِفْظُ الأسرار]: ٣٠٠
[شكوى ابنِ العربي من أهل بلده]: ٣٠٥
موعظة: [في متعلَّقات الوفاء وثوابه] ٣٠٥
الغَيُورُ: وهو الاسمُ المُوَفِّي سَبْعِينَ ٣٠٩
الكَرِيمُ: وهو الاسمُ الحادي والسَّبْعُونَ ٣١٢
[أوصافُ شجرة الكرْم]: ٣١٣

[من معاني الكريم]: ٣١٣
[خِصَالُ الكريم]: ٣١٥
[تكريمُ بني آدم]: ٣١٧
[وُجُوهُ كرامة الله لعباده]: ٣١٩
[آثارٌ في الجُودِ بالمال]: ٣٢١
[مُواسَاةُ ابن العربي لصاحبه أبي المعالي]: ٣٢٥
الجَوَادُ: وهو الاسمُ الثاني والسَّبعون ٣٢٩
[جُودُ أبي سهل الصعلوكي]: ٣٣٠
[جُودُ النُّورِي]: ٣٣٠
[التعريفُ بالإمام الحافظ عطيَّة الأندلسي]: ٣٣٤
[جُودُ أبي الفتح مَلِكْشَاه]: ٣٣٧
[التعريف بخواجا بُزُرْك ومكارمه]: ٣٣٧
[التعريفُ بجُودِ أبي سعيد بن الحداد الأصفهاني]: ٣٤١
[جُودُ ابن عمر البغدادي]: ٣٤٤
[جُودُ أهل بيت المقدس]: ٣٤٤
السَّيِّدُ: وهو الاسمُ الثالثُ والسَّبعون ٣٤٦
النَّصِيحُ: وهو الاسمُ الرَّابع والسَّبعون ٣٥١
[تفسيرُ قول رسول الله: «الدين النصيحة»] ٣٥٢
[المُشَاوَرَةُ]: ٣٥٦
العَفُوُّ: وهو الاسمُ الخامس والسَّبعون ٣٦٤
المُدَارِي: وهو الاسمُ السَّادسُ والسَّبْعُونَ ٣٦٩
[قانونُ التفسير]: ٣٧٦
[تَوَعُّدُ رسول الله على المداهنة]: ٣٧٦

الآمِرُ بالمعروف والنَّاهِي عن المنكر ٣٧٧
وهو الاسمُ السَّابع والثامن والسَّبعون ٣٧٧
[شَرَفُ لقمان الحكيم]: ٣٨٣
[رؤوس المُتَكَبِّرِينَ]: ٣٨٥
[مناظرةٌ بين سُنِّيٍّ وقَدَرِيٍّ]: ٣٨٨
[من رؤوس المتكبرين]: ٣٨٨
[شَرْحُ صَدْرِ رسول الله]: ٣٩٠
[من شروط الأمر بالمعروف]: ٣٩١
[حكايةٌ مع المقرئ محمد بن عبد الرحمن الزاهد]: ٣٩٣
الأَخُ: وهو الاسمُ التَّاسع والسَّبعون ٣٩٥
الصَّاحِبُ: وهو الاسمُ المُوَفِّي ثمانين ٣٩٨
[تَشَفُّعُ ابنِ العربي بحُرْمَةِ رسول الله]: ٤٠٠
[خصالُ الأُخُوَّةِ وشُرُوطُ الهجر]: ٤٠٠
[المنافرةُ التي كانت بين مالك وابن إسحاق]: ٤٠٣
[أُخُوَّةُ الرَّحِم]: ٤٠٥
[نَقْدُ كلام أبي عُبَيد في تفسير الشِّجْنَةِ]: ٤٠٩
[تفسيرُ حديث: إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء]: ٤٠٩
[حديثُ: ليس الواصل بالمكافئ]: ٤١٠
[حديث: كأنما تُسِفُّهم المَلَّ]: ٤١١
[أحكامُ الأُخُوَّةِ]: ٤١١
الشَّفِيعُ: وهو الاسمُ الحادي والثمانون ٤١٧
[مَحْمُودُ الثناء ومَذْمُومُه]: ٤١٩
المُزَكِّي: وهو الاسمُ الثاني والثمانون ٤٢٠

المُتَوَاضِعُ: وهو الاسمُ الثالث والثمانون ٤٢٤
[تواضعُ أبي عبد الله الدَّامَغاني]: ٤٢٦
[تواضعُ أبي إسحاق الشِّيرَازِي]: ٤٢٧
[من خصال المُتَكَبِّرِينَ]: ٤٢٩
داهية: [في السَّدْلِ في الصَّلاة] ٤٣٣
[نَقْدُ المَسَائِلِيِّينَ في قولهم بسُنِّيَّةِ السَّدْلِ في الصَّلَاةِ]: ٤٣٤
[تَفْسِيرُ حديث المُتَجَلْجِلِ]: ٤٣٤
[تفسير حديث: شيخ زَانٍ]: ٤٣٥
[الأميرُ الكذَّاب]: ٤٣٥
التَّعْرِيضُ بالمعاريض: ٤٣٧
ذِكْرُ الفاسق: ٤٣٨
[أقسامُ الكِبْرِ]: ٤٤١
[تَتِمَّةُ أحكام الأخوَّة]: ٤٤٢
الرَّفِيقُ: وهو الاسمُ الرَّابع والثمانون ٤٤٧
فهرس الموضوعات ٤٥٧

سراج المريدين في سبيل الدين



دار الحديث الكتانية

المملكة المغربية ، طنجة – شارع لبنان –إقامة يامنة– الطابق الثالث رقم ٤٧
هاتف ٠٠٢١٢٦٥٦٩٩٣١٤٧
الجمهورية اللبنانية ، بيروت – شارع برج أبي حيدر– ص.ب ٥٥٥٦–١٤ بيروت
هاتف ٨٤١٦٣٦–١–٠٠٩٦١/٠٠٩٦١–٣–٢٨٧٨١٩
e-mail. dar.alkatani@gmail.com

الكتاب : سراج المريدين في سبيل الدين لاستنارة الأسماء والصفات في المقامات والحالات الدينية والدنيوية بالأدلة العقلية والشرعية القرآنية والسنية

المؤلف : الإمام الحافظ أبو بكر ابن العربي المعافري

تحقيق: الدكتور عبد الله التوراتي

الطبعة : الأولى ١٤٣٨ هـ – ٢٠١٧ م

تطلب منشوراتنا من

المغرب: دار الأمان – الرباط – زنقة المأمونية
هاتف : ٠٠٢١٢٥٣٧٧٢٦٣٧٨٧

الأردن : دار مسك –عمان –العبدلي
هاتف : ٠٠٩٦٢٧٩٦٠٥٤٨٠٠

تركيا : دار الشامي – استانبول – بايزيد
هاتف : ٠٠٩٠٢١٢٥٢٦٠٥٤٦–٠٠٩٠٥٤٢٣٣٢٣١٥٧

القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر – ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي
هاتف : ٠٠٢٠٢٢٥٩٣٢٨٢٠



أعلاق أندلسية
إشبيليّة (٤)

سلسلة مؤلّفات الإمام
أبي بكر ابن العربي (٤)

سراج المريدين في سبيل الدين

لاستنارة الأسماء والصفات في المقامات والحالات
الدينية والدنيوية بالأدلة العقلية والشرعية القرآنية والسنية
وهو القسم الرابع من علوم القرآن في التذكير

إملاء
إمام الأئمة وزين الملة الفقيه الحافظ النظار
أبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد ابن العربي المعافري الإشبيلي
المتوفى سنة ٥٤٣ هـ

ضبط نصه وخرج أحاديثه ووثق نقوله
الدكتور عبد الله التوراتي

السفر الرابع

دار الحديث الكتانية


بسم الله الرحمن الرحيم

الطَّبِيبُ[١]: وهو الاسمُ الخامس والثمانون[٢]

وهو الذي يَعْرِفُ الطبَّ؛ وهو: العِلْمُ بالشيء الخَفِيِّ الذي لا يبدو إلَّا بعد معاناة؛ بفِكْرٍ صَافٍ، ونَظَرٍ وَافٍ[٣].

وهو بالحقيقة والكمال للباري، ويُسَمَّى به العبد.

ولمَّا وَلِيَ أبو الدرداء القضاء كتب إليه سلمان يقول له: «بلغني أنك جُعلت طبيبًا تُداوي الناس، فاحذر أن تكون مُتَطَبِّبًا فتُهلكهم، فكان إذا جلس إليه الخصمان فسمع كلامهما وحَكَمَ بينهما ثم وَلَّيَا يقول: ارجعَا، أَعِيدَا عليَّ أمركمَا، مُتَطَبِّبٌ، والله»[٤].

ويتداخل مع «الرفيق»؛ في أن التوصل إلى معرفة الخفي إنما يكون بإمهال النظر، وحسن الترتيب في المقدمات المُوصِلَةِ إلى العلم المطلوب، وإنما نفى عنه النبيُّ ﷺ الطِبَّ لأنهم أطلقوه في استعمالهم على عِلْمٍ يرفع الجهل، ودواء يرفع الداء، فكانوا يعتقدون ذلك منسوبًا إلى الأدوية،

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): الثالث والثمانون، وفي (ص): الحادي والثمانون، وفي (ب): الموفي ثمانين.

(٣) ينظر: الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/٣٤).

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: كتاب القضاء، جامع القضاء وكراهيته، (٢/١٨١)، رقم: (٢٢٣٥-المجلس العلمي الأعلى).

ويظنون أنهم إذا وَضَعُوا دواءً واستُعمِل وذهب الداءُ؛ أن ذهاب الداء منسوب إلى ذلك الدواء[١]، فنبَّههم النبيُّ ﷺ على أن الطبيب - أي: المُزِيل للداء - عند استعمال الدواء هو الله، لا الدواء، وقال له: «أنت رفيق»[٢]، أي: مُرَتِّبٌ لما يسَّره[٣] الله على يديك من القول والفعل بتُؤَدَةٍ، وترتيب مُتَّسِقٍ، ونَظْمٍ مستقيم، كل ذلك من فِعْلِ الله فيك ولك ومنك، وأنت وغيرك مَحَلٌّ لِفِعْلِ الله.

٢ وفي الحديث: «الهَدْيُ والتؤدة وحُسْنُ السَّمْتِ جزء من خمسة وعشرين/ جزءًا من النبوة»[٤]، من كلام ابن عباس، وقد أُسند إلى النبي، والصحيح وَقْفُه. [٨٨/ب]

فأمَّا قوله: «الهَدْي»؛ فقد بيَّنَّا معنى تركيب «هـ د ي» في القول المتقدم من هذا الكتاب، وفي غيره من الأسماء والتوحيد والصفات[٥]، وهو ينطلق على معاني كثيرة[٦]؛

---

(١) ينظر: الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/٤٣٢-٤٣٣).

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) في (ك): يسَّر.

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما موقوفًا: كتاب الجامع، ما جاء في المتحابين في الله، (٢/٣٢٦)، رقم: (٢٦٩٩-المجلس العلمي الأعلى).

(٥) ينظر: الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/١٨٢-١٨٣).

(٦) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٤٥٣-٤٥٤)، والأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/ ١٨٤).

منها: الدلالة على الشيء؛

ومنها: التيسير للشيء؛ بالتأييد له والتوفيق عليه[١].

والهادي هو الله، والنبيُّ هادٍ، فالله خالقُ الهُدى، والنبي داعٍ إليه ودليلٌ عليه، فسُمِّي به.

قال له[٢] سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٤٩]، أي: تدعو.

وقال له: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦]، فبيَّن له في الآية الأولى حالَه التي لزمته من دعاء الخلق، وبيَّن له في الحالة الثانية حقيقة الحق؛ بأنَّ الله هو خالق الهُدَى، خالق القبول[٣].

ويقال: الهَدْي - بإسكان الدال - على معاني أيضًا، منها ما جاء في حديث ابن مسعود: «إن أحسن الهَدْي هَدْيُ مُحَمَّدٍ»[٤]، وفي حديث آخر: «كُنَّا ننظر[٥] إلى هَدْيِه ودَلِّه»[٦].

وثَبَتَ عن حُذَيفة صاحب النبي ﷺ أنه قال: «كان أقرب الناس هَدْيًا ودَلًّا وسَمْتًا برسول الله ابنُ مسعود، حتى يتوارى منَّا في بيته،

---

(١) ينظر: الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/١٣٥)، والمتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٤٥٣-٤٥٥).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): الله.

(٣) ينظر: كتاب الغريبين: (٦/١٩٢٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، رقم: (٧٢٧٧-طوق).

(٥) في (د): ننتظر.

(٦) أخرجه أبو عُبَيد في غريب الحديث: (٤/٢٧٤).

ولقد عَلِمَ المحفوظون من أصحاب مُحَمَّدٍ أنَّ ابنَ أُمِّ عبد هو أقربهم إلى الله زُلْفَى»[١].

وفي الصحيح[٢] - واللفظ للبخاري - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لن ينجي أحدًا[٣] منكم عملُه، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلَّا أن يتغمدني الله برحمته، سَدِّدُوا وقاربوا، واغدوا ورُوحوا، وشيءٌ من الدُّلْجَةِ، والقَصْدَ القَصْدَ»[٤].

وروي: «اهتدوا بهَدْي عمَّار»[٥]، ولم يَقْوَ[٦].

ونَصُّ الحديث المتقدم: «القَصْدُ والتُّؤَدَةُ وحُسْنُ السَّمْتِ جُزْءٌ من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة»[٧].

وقد رُوي فيه: «السَّمْتُ الصالح والهَدْيُ الصالح والاقتصاد جُزْءٌ من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة»[٨].

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، رقم: (٣٨٠٧-بشار).

(٢) في (د): «وفي الصحيح عن النبي واللفظ للبخاري عن أبي هريرة واللفظ للبخاري قال: قال رسول الله»، وفي (ب): «وفي الصحيح: قال رسول الله».

(٣) في (د): أحدٌ.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، رقم: (٣٨٠٥-بشار)، وضعَّفه أبو عيسى.

(٦) في (ص): يُعْزَ.

(٧) تقدَّم تخريجه.

(٨) أخرجه أبو داود في السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه: كتاب الأدب، باب في الوقار، رقم: (٤٧٧٦-شعيب).

وقد روى عبد الجبَّار بن سعيد المُسَاحِقِي[١] قال: سمعتُ مالك بن أنس يقول: قال ابن عباس: «حُسْنُ السَّمْتِ والتؤدة ونقاء الثوب وإظهار المروءة جُزْءٌ من بضعة وأربعين جزءًا من النبوة»[٢].

فهذه خمسة أسماء: «الهَدْيُ»، «الدَّلُّ»، «السَّمْتُ»، «القَصْدُ»، «التُّؤَدَةُ»؛ تتمة تِسْعِينَ[٣] اسمًا.

* * * * *

(١) في (ك): المساقفي، وفي (د) كلمة غير واضحة.

(٢) الاستذكار: (٢٧/١١٥).

(٣) في (ك): تسعة وثمانين، وفي (ص): ثمانية وثمانين، وسقطت من (ب).

[الهَدْيُ: وهو الاسم السَّادس والثمانون]

فبناءُ[1] «هـ د ي» يتصرَّف على معاني؛ منها: ما جاء في الأحاديث التي تلوناها آنِفًا، كقول ابن مسعود: «إن الهَدي هَدي مُحَمَّدٍ»[2].

٢ [٨٩/أ]

قال المفسرون: «أراد الطريق»[3]/.

وقوله: «كُنَّا ننظر في هَدْيِهِ ودَلِّه»؛ أي: «طريقته[4] وهيئته[5]»[6].

يقال: حَسَنُ الهَدْي، أي: «حَسَنُ المذهب»[7].

وقالوا: «الهَدْيُ: السِّيرَةُ»[8].

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): فأما الهدي فبناءُ، وفي طرة بـ (د): فأمَّا الهدي يتصرف.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) كتاب الغريبين: (١٩٢٢/٦)، وأصله في غريب الحديث لأبي عبيد: (٢٧٥/٤).

(٤) في (ك): طريقه.

(٥) في (ك): هيئة.

(٦) كتاب الغريبين: (١٩٢٢/٦).

(٧) كتاب الغريبين: (١٩٢٢/٦).

(٨) كتاب الغريبين: (١٩٢٢/٦).

[الدَّلُّ: وهو الاسم السَّابع والثمانون]

وأمَّا الدَّلُّ؛ فقالوا: «إنه قريب من الهَدْيِ، وهُمَا من السكينة والوقار»[1].

وقالوا: دَلُّ المرأة: حُسْنُ حديثها وهيئتها.

والدَّلَالُ: الجَراءة[2] في تَغَنُّجٍ وتَشَكُّلٍ.

ومنه: الإِدْلَالُ.

* * * * *

(١) غريب الحديث لأبي عبيد: (٤/٢٧٥).

(٢) في (ك): الجرأة.

[السَّمْتُ: وهو الاسم الثامن والثمانون]

وأَمَّا السَّمْتُ؛ فحُسْنُ الهيئة، وذلك يكون في معنيين:

أحدهما: حُسْنُ المَنْظَرَةِ[(١)] والهيئة في الدين، وليس بالجَمال؛ وذلك بأن يكون له هيئة أهل الإسلام[(٢)].

* * * * *

(١) في (ص): النضرة.

(٢) كتاب الغريبين: (٣/٩٢٦)، وأصله في غريب الحديث لأبي عبيد: (٤/٢٧٥).

[القَصْدُ: وهو الاسم التاسع والثمانون]

[الثاني]: وسَمْتُ الطريق: «قَصْدُه»[١]، انتهى كلامهم[٢].

قال الإمام الحافظ[٣] رضي الله عنه: قد تكون الأبنية في تأليف الحروف مختلفة والمعاني متفقة، وقد تكون الأبنية متفقة والمعاني مختلفة، وبهذا[٤] تميَّزت العربية عن سائر الألسن في الفصاحة.

فأمَّا الهَدْيُ؛ فيرجع إلى أحد معاني الهُدَى الثمانية[٥]؛ وهو الاستقامة على الطريق، كما قال سبحانه: ﴿عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص:٢١]، توجَّه ﷺ[٦] بنفسه تِلقَاءَ مَدْيَنَ من غير قَصْدٍ إلى مَدْيَنَ أو غيره، بل خرج على الفُتُوحِ، وتوجَّه بقلبه إلى ربه؛ ينتظر إلى أن يهديه ربه إلى النحو الذي هو خَيْرٌ له، فقال: ﴿عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾، وهو

---

(١) كتاب الغريبين: (٣/٩٢٦)، وأصله في غريب الحديث لأبي عبيد: (٤/٢٧٥).

(٢) في (ص): انتهى الكلام، وسقطت من (ب).

(٣) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ب): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): بهذا.

(٥) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٤٥٣-٤٥٤).

(٦) في (ك): صلى الله عليه.

الذي سَأَلَتِ الفِتْيَةُ[١] الكَهْفِيَّةُ والفِئَةُ[٢] الصَّالِحِيَّةُ بقولها: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف:١٠]، وكذلك قال الحبيبُ الأوَّل والخليلُ الأكمل: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات:٩٩]، على ما بيَّنَّاه من قَبْلُ.

فأمَّا خَاتِمُ الرُّسُلِ وناسخُ المِلَلِ والسَّابِقُ للأَوَاخِرِ والأُوَلِ؛ فإنَّ الله ابتدأهُ بالنعمة، وأَلْحَقَهُ[٣] بالحُرْمَةِ، فقال: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى:٧]، وقد ذَكَرَ النَّاسُ فيها أقوالًا كثيرة، بيَّنَّاها في «أنوار الفجر»، الأَصْلُ منها خمسة عشر قَوْلًا:

الأوَّل: ناسيًا للرسالة فأعطاكها[٤]، كما قال: ﴿فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه:٥١]، وقال: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ [البقرة:٢٨١]، أي: تنسى.

الثاني: ضَالًّا عن الهجرة[٥].

الثالث: ضالًّا بين مكة والمدينة، فهداك إليها.

الرابع: في قوم ضُلَّالٍ، فهداك بينهم[٦].

الخامس: حيران عن النبوة، فعرَّفك بها[٧]./ [٨٩/ب] ٢

---

(١) في (ك): الفئة.

(٢) سقطت من (د) و(ب).

(٣) في (ك): ألحقه.

(٤) الكشف والبيان: (١٠/٢٢٨).

(٥) النكت والعيون: (٦/٢٩٤).

(٦) تفسير الطبري: (٢٤/٤٨٩-التركي)، ولطائف الإشارات: (٣/٧٤١)، والكشف والبيان: (١٠/٢٢٦).

(٧) الكشف والبيان: (١٠/٢٢٦)، والهداية: (١٢/٨٣٢٦).

السَّادس: ضالًّا عن الفرائض، فهداك لتفاصيلها[١].

السَّابع: ضالًّا عن معرفة كيفية هداية قومك، فعرَّفك كيف تهديهم.

الثَّامن: مُحِبًّا في هدايتهم، فيسَّرها لك[٢].

التَّاسع: ضالًّا في شِعَابِ مكَّة، فهدى إليك عمَّك أبا طالب في حال صباك[٣].

العاشر: مُتَحَيِّرًا فينا، فهديناك إلينا[٤].

الحادي عشر: ضالًّا عن الاستثناء، فهديناك إليه[٥].

الثاني عشر: ضالًّا في محبتنا، فنوَّرنا قلبك بها[٦].

الثالث عشر: ضالًّا عن محبتنا لحُرْمَتِك[٧]، فعرَّفناك بها[٨].

الرابع عشر: ضالًّا عن مِقْدَارِ شرفك، فعرَّفناك درجتك[٩].

الخامس عشر: مُسْتَتِرًا في أهل مكة، فأظهرناك[١٠].

---

(١) لطائف الإشارات: (٣/٧٤١).

(٢) النكت والعيون: (٦/٢٩٤).

(٣) لطائف الإشارات: (٣/٧٤١).

(٤) لطائف الإشارات: (٣/٧٤١).

(٥) لطائف الإشارات: (٣/٧٤١)، وفيه: الاستنشاء، وهو تصحيف.

(٦) لطائف الإشارات: (٣/٧٤١).

(٧) في (ك) و(ص) و(ب): نحن فيك.

(٨) لطائف الإشارات: (٣/٧٤١).

(٩) لطائف الإشارات: (٣/٧٤١).

(١٠) لطائف الإشارات: (٣/٧٤١).

قال الإمام الحافظ[١]: قد بيَّنَّا في كتاب «المُشْكِلَيْنِ»[٢] حال الأنبياء، وأنهم لا يَكْفُرُونَ بالله في حال؛ لا قبل النبوة ولا بعدها، ولكنهم تأتيهم الرسالة وهم لا يعلمونها[٣]، فتَرِدُ على قلوب سليمة، وتطَّرد على مناهج مستقيمة، قال الله في مُحَمَّدٍ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِّنَ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى:٤٩].

قيل: هو المخاطب، والمراد الأمة.

وقيل: المراد به: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ لولا الرسالة، ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ لولا الهداية.

فلم يكونوا يعرفون الإيمان، ولا كانوا يكفرون، وإنَّما كانت قلوبهم مخلوقة على الفطرة، سليمة من الباطل والبدعة، فعلَّمها الله الفضائل كما علَّم جميع الخلق المنافع، بقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل:٧٨]، فكُلُّ ما لم يكن به عالمًا ثم عَلِمَه كان داخلًا في الآية.

وإنَّما بقي[٤] وَجْهُ التعلق من قولك: ﴿ضَآلًّا﴾، والضَّلَالُ على قسمين:

---

(١) في (ك): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي رضي الله عنه، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ب): قال الإمام القاضي رضي الله عنه.

(٢) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٣٧٠).

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): يعلمون بها.

(٤) سقط من (ك).

ضلال بمعنى عدم المعرفة؛

وضلال بمعنى اعتقاد الباطل والبدعة؛

وهذا القِسْمُ نَزَّه الله رُسُلَه عنه، وخَلَقَهم على صفة الآدمية[١] لا يعلمون شيئًا، ثم عَلَّمهم ما لم يُعَلِّمْهُ أحدًا من الخلق، كما قال لنبيِّهِ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ [النساء:١١٢].

٢ [٩٠/أ]

فثبت[٢]/أن الهَدْيَ عبارةٌ عن كل حالة جرت على الهُدَى، وكل صفة لم تخرج عن الاستقامة.

وأمَّا الدَّلُّ؛ فهو كلُّ هيئة حسنة في وجه، فيرجع إلى الهَدي، وفي وَجْهٍ إلى التبسط في القول والفعل، وهو نَوْعٌ من الجُرْأَةِ.

وفي الحديث الصحيح: «أنَّ امرأة مخزومية سَرَقَتْ، فأمر النبي أن تُقْطَعَ، فتَحَزَّنَ الناس لذلك، وقالوا: من يُكَلِّمُ رسول الله؟ من يجترئ عليه إلَّا أسامة بن زيد، فكلَّمه، فذكر الحديث إلى قوله: لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها»[٣].

وبالقول[٤] الأوَّل ينتظمُ الحديث.

وأمَّا السَّمْتُ؛ فمعناه: أن يكون على وَجْهِ الحق والعدل في قَوْلِه، وفِعْلِه، وهيئته، وحَرَكَاتِه، وسَكَنَاتِه.

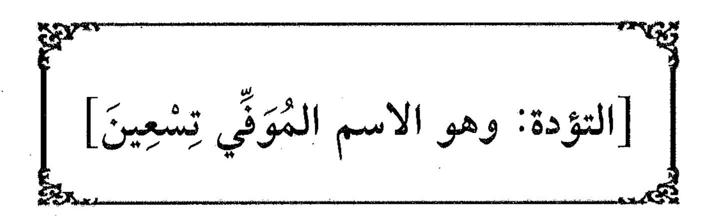
---

(١) في (د): الآدميين.

(٢) في (د): فنبَّه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة ﵂: كتاب الأنبياء، بابٌ، رقم: (٣٤٧٥-طوق).

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): بالمعنى، ومرَّضها في (د)، والمثبت صحَّحه بطرته.



[التؤدة: وهو الاسم المُوَفِّي تِسْعِينَ]

وأمَّا التُّؤَدَةُ؛ فهي الرِّفْقُ والتَّأَنِّي، يقال: اتَّئِدْ، أي: ارفق.

وفي حديث عمر حيث اجتمع إليه العبَّاس وعلي وعثمان وعبد الرحمن بمحضر الصحابة في بيان تَرِكَةِ النبي، أنه قال لهم: «تَئِدَكُمْ»[1]، أي: ارفُقوا رِفْقكم، والزمُوا[2] سُكُونَكم وتَأَنِّيكُمْ، حتى أذكر ما عندي لكم، حسب المعلوم منكم واللَّائق بكم، وهو الأَنَاةُ بعينه.

ومن كلام سعد بن أبي وقاص - وربَّما أُسْنِدَ، ولم يصحَّ -: «الأَنَاةُ في كل شيء خَيْرٌ، إلَّا في أمر الآخرة»[3]، وهو كلام صحيح.

ولمَّا تداخلت هذه الألفاظ وارتبط بعضُها ببعض ورجعت كلها إلى الصفات المحمودة؛ جَمَعَها من جمعها، وأفردها من أفردها، وبعضُها قَرِيبٌ[4] من بعض كما سُقْنَاهُ عنهم، وكان ذِكْرُهم لذلك بحسب الحاجة إلى

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فرض الخمس، باب فرض الخمس، رقم: (٣٠٩٤-طوق).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): أو الزموا.

(٣) أخرجه أبو داود في السنن: كتاب الأدب، باب في الرفق، رقم: (٤٨١٠-شعيب)، ولم يذكر فيه سعداً، وأرسله عن الأعمش.

(٤) سقطت من (ك) و(ص) و(ب)، وهي في طرة بـ (د) غير واضحة، وإنَّما اجتهدت في قراءتها، والله أعلم.

البيان، والواحد منها يدل على الجميع، والتكرار يفيد التأكيد وزيادة البيان، وذلك فصاحة في اللِّسَانِ.

فإن قيل: فما وَجْهُ كونها من النبوة؟

قلنا: النبوة عبارة عن وجهين:

أحدهما: إبلاغُ الله كلامَه إلى العبد بواسطة المَلَكِ.

والثاني: ما هو عليه العبد المُبَلَّغُ ذلك من فضائل ومناقب.

فأمَّا إبلاغ الكلام بالواسطة من الملك فلا مطمع فيه.

وأمَّا خصالُ الكَرَمِ وفضائل الذات فالعبدُ مندوبٌ تارةً في بعضها، ومُلْزَمٌ أخرى فيما يلزم منها، وهذه الخصال الخمس التي ذكرناها هي من جملة أمَّهات/ الفضائل، والعبدُ مأمورٌ بها، كما أن الرؤيا جُزْءٌ من النبوة على الوجه الذي بيَّنَّاه في موضعه[1]. ٢ [٩٠/ب]

فإذا احترز الإنسانُ عن المعاصي والتزم الفضائل كان على الهَدْيِ والقَصْدِ والسَّمْتِ، وكان «كَيِّسًا».

* * * * *

(١) المسالك: (٧/٥٠٤-٥٠٥)، وأحكام القرآن: (٣/١٠٧٣-١٠٧٤).

الكَيِّسُ[١]: وهو الاسمُ الحادي والتسعون[٢]

أخبرنا المُبارك بن عبد الجبَّار: أخبرنا ابنُ المُذْهِبِ: أخبرنا ابن حمدان: أخبرنا عبد الله: أخبرنا عباس بن الوليد النرسي ومحمد بن بكَّار جميعًا[٣]: أخبرنا عبد الله بن المبارك، عن أبي بكر بن أبي مريم، عن ضَمْرَةَ بن حبيب، عن شدَّاد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «الكَيِّسُ من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أَتْبَعَ نفسه هواها وتمنَّى على الله»[٤].

وفي «كتاب الترمذي»: «والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنَّى على الله[٥]»[٦].

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): التاسع والثمانون، وفي (ص): الثاني والثمانون، وفي (ب): الحادي والثمانون.

(٣) قوله: «أخبرنا عباس بن الوليد النرسي ومحمد بن بكَّار جميعًا» سقط من (ك) و(ص) و(ب)، وفيها: أنا عبد الله: نا أبي: أنا علي بن إسحاق: أنا عبد الله: أنا أبو بكر بن أبي مريم.

(٤) الزهد للإمام عبد الله بن المبارك: (١/٢١٥)، وهذا إسناد الإمام ابن العربي إلى كتاب «الزهد» لابن المبارك.

(٥) في المنشور من جامع الترمذي (٤/٢٤٧-بشَّار): والعاجز.

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٢٤٥٩-بشار)، وقال: «حديث حسن».

وقال عمر بن عبد العزيز لجلسائه: «خَبِّرُونِي بأحمق الناس، قالوا: رجل باع آخرته بدنياه، فقال[1] لهم عمر: أَفَلَا أُنَبِّئكم بأحمق منه؟ قالوا: بلى، فقال: رَجُلٌ باع آخرته بدُنْيَا غيره»[2].

ولَفْظُ[3] الكَيْسِ في اللغة يَرِدُ[4] على معاني[5]، يَرِدُ بمعنى الجماع[6]؛ كما ورد في الحديث أنَّ النبي قال لجابر: «إذا قَدِمْتَ فالكَيْسَ الكَيْسَ»[7]، قالوا: معناه طلب الولد.

ويكون بمعنى العقل، كما تقدَّم في الحديث السَّابق أوَّلًا، وفي حديث جابر أيضًا في أوَّله، أنَّ النبي قال له: «أتراني إنَّما كِسْتُك لآخُذَ جَمَلَكَ؟»[8]، أي: غلبتك[9] بالكَيْسِ.

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): قال.

(٢) حلية الأولياء: (٥/٣٢٥).

(٣) في (د) و(ص): معنى.

(٤) في (د): ترد.

(٥) ينظر: معجم مقاييس اللغة: (٥/١٤٩-١٥٠).

(٦) ينظر: فتح الباري: (٩/٣٤٢).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب النكاح، باب طلب الولد، رقم: (٥٢٤٥-طوق).

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الشروط، باب إذا اشترط البائع ظهر الدابة إلى مكان مسمى جازَ، رقم: (٢٧١٨-طوق)، ولفظه فيه: «ما كنتُ لآخذ جملك، فخذ جملك ذلك»، قال الحافظ ابن حجر (فتح الباري:٥/٣١٧): «رواه علي بن عبد العزيز عن أبي نُعَيم شيخ البخاري فيه بلفظ: أتراني إنما ماكستك لآخذ جملك، أخرجه أبو نُعَيم في «المستخرج» عن الطبراني عنه»، وبنحوه أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساقاة، باب بيع البعير واستثناء ركوبه، رقم: (٧١٥-عبد الباقي).

(٩) في (د) و(ص): عليك.

تقول: كَاسَنِي[١] فُلَانٌ فكِسْتُه، أي: كنتُ أَكْيَسَ منه.

قال الإمام الحافظ[٢] رضي الله عنه: بِنَاءُ[٣] «ك ي س» إنَّما هو مُفِيدٌ للعقل، والعلم، والمعرفة، والتَّفَطُّنِ، والحِذْقِ، كيفما تصرَّف، تقول: كاس في عمله لدنيا أو آخرة، يَكِيسُ كَيْسًا: حَذَقَ، وكَاسَ غيرَه: غلبه[٤] عند المحاذقة، وأكاسَ الإنسانُ: وَلَدَ وَلَدًا كَيِّسًا، وأَكْيَسَ أيضًا.

قال الشَّاعر:

فلو كُنتم لمُكْيِسَةٍ أَكَاسَتْ وكَيْسُ الأم أَكْيَسُ للبَنِينَا[٥]

وقال المُتَلَمِّسُ:

والظُّلْمُ يُنْكِرُه القَوْمُ المَكَايِيسُ[٦]

والحُمْقُ ضِدُّه، قالت امرأة:

لستُ أبالي أن أكون مُحْمِقَهْ إذا رأيتُ خُصْيَةً مُعَلَّقَهْ[٧]

---

(١) في (ص): كايسني.

(٢) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ب): قال الإمام.

(٣) في (ك): بناءُ كَيِّسٍ «ك ي س».

(٤) في (ك) و(ص): عَلِيَه.

(٥) البيت من الوافر نسبه في اللسان (ك ي س) لرافع بن هريم من جملة أبيات، وهي أيضا في البيان والتبين: (١٨٦/١).

(٦) البيت من البسيط، للمتلمس في ديوانه: (ص٨٠)، من قصيدة، وشطره الأول: شدوا الجمال بأكوار على عجل.

(٧) البيت من الرجز، وهو لبعض نساء العرب؛ في الصحاح، واللسان، والتاج، وغيرها: (ح م ق).

معناه: إذا ولدتُ رجلًا لا أبالي ؛ كان أحمق أو كَيِّسًا.

٢ [٩١/أ] وقد ظهر أنَّ الكَيْسَ/ هو العقل، وإنَّما سُمِّيَ الجماعُ به لأنه يُطلب به الأولادُ الأكياسُ، فسُمِّيَ باسم ما يؤول إليه، على ما بيَّنَّاه في أَحَدِ قِسْمَي المجاز.

ومن الكلام الصحيح: «كل شيء بقضاء وقَدَرٍ، حتى العجز والكيس»[١].

معناه: أن الرجل لا يتفطَّن للخير فيفعله أو يتركه إلَّا بقضاء وقَدَرٍ مكتوب ذلك عليه فيه، مُرَادٍ من الله ما نفذ منه[٢]؛ من فِعْلٍ أو تَرْكٍ، رَدًّا على المبتدعة؛ الذين يقولون: «إن الباري قد أراد الخير، والعبد قد تركه بإرادته، فكان ما أراد العبد، ولم يكن ما أراد الله»[٣]، تعالى عن قولهم.

فإذا عرفتم معنى الكَيْسِ عَرَبِيَّةً، ورَأَيْتُم ما رَوَيْتُم من قوله: «إن الكَيِّسَ من دان نفسه»[٤]، أي: مَلَكَها وخار لها[٥]، فلم يُصَرِّفْهَا إلا في طاعة مولاها، وقهرها عمَّا يضرها، وإذا فعل ذلك كان قد وفَّى العقل حقَّه، واستظهر لنفسه، واستحق الاسم، وإن عَدَلَ عن ذلك كان أحمقَ وعاجزًا، على الروايتين جميعًا.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عمر ﵄ مرفوعًا: كتاب القدر، باب كل شيء بقدر، رقم: (٢٦٥٥-عبد الباقي).

(٢) في (د): فيه.

(٣) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص١٩٩-٢٠٠).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) في (د): حار بها.

فأمَّا الحُمْقُ فينقصه من العقل بمقدار ما نقصه من النظر كله أو بعضه، وكذلك يكون في الفجور، ويقْوَى على الخير ولا يضعف ولا يعجز[١].

من مأثور أبي هريرة عنه صلى الله عليه[٢]: «المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، وفي كُلٍّ خير، احرص[٣] على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز»[٤].

[أفعالُ الكَيِّسِ]:

والضَّابِطُ لذلك فيه قرآنًا وسُنَّةً:

[الأوَّل]: أن لا تقول إلَّا خَيْرًا، فرحم الله من قال خيرًا فغنم، فمن مُرْسَلَاتِ الحسن بن أبي الحسن البَصْرِي: «رحم الله من قال خيرًا فغَنِمَ، أو سكت فسَلِمَ»[٥].

الثاني: ألَّا يعمل إلَّا لله، فإنَّما الأعمال بالنيَّات.

الثالث: ألَّا يكون له عَمَلٌ بنيَّة إلَّا بموافقة السُّنَّةِ.

الرابع: أن ينظر من عقيدته فيحفظها عن الشُّبَهِ، ويقينَه من الشكوك، وقلبَه من الوساوس، ونِحْلَتَه من البدع.

الخامس: أن يحفظ صلاته من الفواسد والعوارض، كما تقدَّم في اسم «المُصَلِّي»، فإعادته تطويل، والعهد بها قريب.

---

(١) في (ص): يفجر.

(٢) في (ص) و(ب): ﷺ.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): واحرص.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه الشهاب في مسنده عن الحسن مرسلًا: (١/٣٣٨)، رقم: (٥٨١).

وقد رُوي عن عمر: «أنَّه خرج إلى حائط له ففاتته صلاة العصر في جماعة»، فتصدَّق بالحائط جَبْرًا لما فاته، كما تصدَّق الأنصاري بالحائط لِـمَا فاته من التفاته إلى الطائر[١]، وكذلك سائر العبادات والطاعات، وتفصيلُه طويل، بيَّنَّاه في «أنوار الفجر». / ٢ [٩١/ب]

السَّادس: تَرْكُه ما لا يَعْنِيهِ.

السَّابع: أَخْذُه بالرِّبْحِ[٢] في جميع أحواله وأعماله، ومنها الخُرُوجُ من أرض الغلاء إلى أرض الرُّخْصِ، قال سفيان الثوري: «كُنْ في موضع تملأ فيه جِرَابَكَ خُبْزًا بدرهم[٣]»[٤].

الثامن: تقديمُ أمر الآخرة على أمر الدنيا، فمن الحكمة الأولى ما ذَكَرَ في «الزهد» أَحْمَدُ: «أنَّ النُّصْحَ لله أن يبدأ بحق الله قبل حق الناس، وإذا عَرَضَ لك أمران؛ أحدهما للآخرة والآخَرُ للدنيا، فابدأ بالآخرة؛ فإنَّ الخالص من العمل الذي لا تُحِبُّ أن يحمدك الناس عليه»[٥].

التاسع: أن يكون حَذِرًا من سوء الخاتمة، وإن كان على أَوْفَى طريقة؛ فإن القلوب بيد الله، والأمر لله، والعاقبة مجهولة إلَّا عند الله.

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) في (ص) و(د): الربح.

(٣) قوله: «قال سفيان الثوري: كن في موضع تملأ فيه جرابك خبزًا بدرهم» بيَّض له في (ك) و(ص).

(٤) قوت القلوب: (١٢٦٨/٣).

(٥) الزهد للإمام أحمد: (ص٧٣).

العاشر: الاجتهادُ آخِرَ العُمُرِ لمن فاته أوَّلُه، أو لمن لم يَفُتْه، فأمَّا من فَاتَهُ؛ فنِعْمَ النعمة الإلهام للاستدراك، وإن لم يكن مُقَصِّرًا في أَوَّلِ أمره فما أحسن اتساق الآخِرِ بالأوَّل، وانتظامه معه واختتامه به[١]!

رُوِيَ أن أبا مسلم الخَوْلَانِي زاهد الأمة حيث كَبِرَ ورَقَّ؛ قال له قائل: «لو أقصرت عما تصنع؟ فقال: أرأيتم إذا أرسلتم الخيل في الحَلَبَةِ، ألستم تقولون لفارسها: ارفق، حتى إذا رأيتم الغاية تسابقتم؟ قالوا: بلى، قال: فإني قد رأيتُ الغاية»[٢].

الحادي عشر: ألَّا تمر عليه لحظة هي لغير الله، فإنَّ عُمُرَه ساعاته وأوقاته على تفاصيلها معدودٌ عليه ذلك كله في النِّعَمِ[٣]، مسؤول عنه ما صنع فيه.

الثاني عشر: ألَّا يصحب إلَّا من يكون على هذه الطريقة، يُروى في «الزهد»: «أن أبا مسلم الخولاني دخل المسجد فرأى قومًا قد اجتمعوا جلوسًا، فرجا أن يكونوا على خير، فجلس إليهم، فإذا بعضهم يقول: قَدِمَ لي غلام، فأصاب كذا وكذا، وقال آخر: وأنا قد جهَّزتُ غلامًا، فنظر إليهم فقال: سبحان الله، هل تدرون ما مَثَلِي ومَثَلَكم؟ كمَثَلِ رَجُلٍ أصابه مطر غزير وابل، فالتفتَ فإذا هو بمِصْرَاعَيْنِ عظيمين[٤]، فقال: لو دخلتُ هذا البيت حتى يذهب عنِّي المطر، فدخل فإذا بَيْتٌ لا سقف فيه، جلستُ

(١) سقطت من (ص).

(٢) الزهد لابن المبارك: (٢/٨٥٩).

(٣) في (ك): النعيم.

(٤) في (د): عظيم.

إليكم وأنا أرجو أن تكونوا على خير وعلى ذِكْرٍ، فإذا أنتم أصحاب دُنْيَا، فقام عنهم»[١].

وقد روى الترمذي عن خارجة بن[٢] زيد بن ثابت قال: «دخل نَفَرٌ على زيد بن ثابت فقالوا له: حَدِّثْنَا أحاديث/ رسول الله ﷺ[٣]، قال: ماذا أُحَدِّثُكُمْ؟ كنتُ جَارَهُ، فكان إذا نزل عليه الوحي بعث إليَّ فكتبته له، فكُنَّا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا، وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا، بكُلِّ هذا أُحَدِّثُكُمْ عن رسول الله؟»[٤]، وهذا أصح. ٢ [٩٢/أ]

الثالث عشر: ألَّا يشغل باله في باب النظر لدنياه.

رُوِي أن أبا حازم مرَّ بأبي جعفر المديني[٥]؛ وهو مكتئب حزين، فقال له: «ما لي أراك مكتئبًا حزينًا؟ وإن شئتَ أخبرتُك، قال: أخبرني ما وراءك[٦]، قال: ما وراءك[٧]؛ ذَكَرْتَ وَلَدَكَ من بعدك، قال: نعم، قال: فلا تفعل؛ فإن كانوا لله أولياء فلا تخف عليهم الضَّيْعَةَ، وإن كانوا لله أعداء فلا تُبَالِ ما لَقُوا بعدك»[٨].

---

(١) الزهد لابن المبارك: (٢/٧٠٩).

(٢) قوله: «خارجة بن سقط» من (ك) و(ص) و(ب).

(٣) لم ترد في (ك).

(٤) أخرجه الترمذي في الشمائل: باب ما جاء في خُلُقِ رسول الله ﷺ، (ص٢١٥)، رقم: (٣٤١).

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): المدني.

(٦) بعده في (ك) و(ب): الكلام على الخاطر.

(٧) في (ك) و(ص) و(ب) و(د): وراك.

(٨) حلية الأولياء: (٣/٢٣٢).

وإذا لَـمَحَ اللَّبِيبُ الدنيا بنظر صحيح تحقَّق أن تأميلها خداع، ووَصْلَهَا انقطاع، والثقة بها غرور، والسكون إليها حماقة، ويَرَى أنه في غير شيء منها، فيعقد عزمه على التخلي عنها، ويعلم أنه قد كَشَفَ حالها من وَصَفَ مثالها، فقال[١]:

أقطعُ الدَّهْرَ بظَنٍّ حَسَنٍ   وأُجَلِّي غَمْرَةً ما تنجلي
كلَّما أمَّلتُ يومًا صالحًا   عَرَضَ المكروهُ لي في أَمَلِي
وأَرَى الأَيَّامَ لا تُدْنِي الذي   أَرْتَجِي منك وتُدْنِي أَجَلِي[٢]

الرابع عشر: ألَّا يطلب الدنيا بالدين، ولا يجعل ما علَّمه الله من فضله وَسِيلَةً إلى ما يزداد من دنياه، أو يَزْدَرِدُه من زهرتها.

قال ربيعة بن صالح: قال الزُّهْرِي لسليمان بن هشام: «ألَا تسأل أبا حازم عمَّا قال في العلماء؟ قال أبو حازم: وما عسى أن أقول في العلماء إلَّا خيرًا، إنِّي أدركتُ العلماء وقد استغنوا بعلمهم عن أهل الدنيا، ولم يستغن أَهْلُ الدنيا بدنياهم عن علمهم، فلمَّا رأى ذلك هذا وأصحابه - يعني: الزهري - تعلَّمُوا العلم فلم يستغنوا به، واستغنى أهل الدنيا بدنياهم عن علمهم، فلمَّا رأوا ذلك قذفوا بعلمهم إلى أهل الدنيا، ولم يُبَلِّغْهُمْ أَهْلُ الدنيا من دنياهم شيئًا، إن هذا وأصحابه ليسوا علماء، إنَّما هم رُوَاة»[٣]. /

٢ [٩٢/ب]

---

(١) الأبيات من الرمَل، وهي لمحمد بن أمية، في الأغاني: (١٧٠/١٢).

(٢) قوله: «وإذا لمح اللبيب .. أجلي» سقط من (ص).

(٣) حلية الأولياء: (٢٣٤/٣).

الخامس عشر: ألَّا يرى لنفسه قَدْرًا، فكيف حقًّا؟ فما هَلَكَ امرؤٌ عرف قَدْرَ نفسه، ولا ضلَّ من عَلِمَ حقَّ ربه عليه وعَدِمَ حقَّه هو عنده إلَّا بفضله(١)، وقد ضَلَّت الكفرة والمبتدعة عن هذه المسألة ضلالًا بَيِّنًا، فأمَّا ضلال الكفرة فله مثالان:

الأوَّل: قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ﴾ [الكهف:٣٢] إلى آخِرِ الآية، فهذا رَجُلٌ كَفَرَ بالله لأنه ادَّعى استحقاق النعمة، وهو(٢) جَهِلَ نفسَه ومنزلتها، وجهل ربَّه وما يجب له، ألَا تنظر إلى قوله: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾(٣)، كما قدَّمناه، فجهل الحقيقة الحِسِّيَّةَ، ثم قال: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾، فجَهِلَ الحقيقة الدلالية الثابتة بواضح البراهين، ثم جاء بالطامَّة بعد الطامَّة بقوله: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهُمَا مُنقَلَبًا﴾، فاعتقد استحقاقه على رَبِّه أن لو كان له مرجع إليه الإكرامَ؛ بأفضل من تَيْنِك الجنَّتين، مع جهله به وإنكاره مَعَادَه إليه.

المثال الثاني: قوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم:٧٨-٧٩]، نزلت في العاص بن وائل، قال خبَّاب: «كنتُ قَيْنًا في الجاهلية بمكَّة، فعَمِلْتُ للعاصي بن وائل السَّهْمِي سيفًا، فاجتمعت لي عنده دراهم، فأتيته أتقاضاه، فقال: لا أقضيك حتى تكفر بمُحَمَّدٍ، فقلت: لا، والله لا أكفر بمُحَمَّدٍ حتى

(١) في (ك) و(ص): يفضله، ومرَّضه في (د).

(٢) في (ب): ومن.

(٣) في النسخ: وما أظن.

يميتك الله ثم يبعثك، قال: وإني لمَيِّتٌ ثم مبعوث؟ قلت: نعم، قال: فذرني حتى أموت ثم أبعث، فسوف أُوتَى مالًا وولدًا فأقضيك، فنزلت: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ الآيات»[(١)].

فاتخذه سُخْرِيًّا حين ذكر له البعث، وقال له: إني أُوتِيكَ في الدار التي تقول حقَّك من مالي هنالك من مَالٍ.

والكافرُ إنَّما قال ذلك الكلام لخبَّاب على معنى: أنه لو كان هنالك دارٌ[(٢)] أخرى لكنتُ فيها بالمال والولد كما أنا في هذه، ولم تكن أنت على شيء ممَّا تعتقد في نفسك فيها، ولا أنا على حال ممَّا تخَوِّفُنِي بها، فردَّ الله عليه دعواه استحقاق المالكية[(٣)] في الدار الآخرة، وقال: بأي/ شيء تذكر ذلك؛ باطِّلاع منك عليه، أو بعَهْدٍ نَفَذَ إليك من الله؟

٢ [٩٣/أ]

قال علماؤنا: وفي هذه الآية تَنْبِيهٌ على أنَّ عَهْدَ الله عند عبده بغفران ذنوبه ومضاعفة حسناته ورَفْعِ درجاته مُدْرَكٌ له ومُوَفًّى، فإنَّ الله لا يُخْلِفُ الميعاد بقوله هاهنا، أكان له عند الله عَهْدٌ فيقع الوفاء به له[(٤)]؟

وبهذا ضَلَّتِ المبتدعة، وهي[(٥)] مثال الضَّلال بالبدعة الموعود به؛ فإنَّ القدرية تقول: «إنه واجب على الله عقلًا مُسْتَحِقٌّ عليه قطعًا مُجَازَاةُ المحسن بالإحسان، لا يصحُّ فيه أن يقال: أنعم به، ولا تفضَّل»، وقد بيَّنَّا جَهْلَهم فيه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، ﴿كهيعص﴾، رقم: (٤٧٣٢- طوق).

(٢) في (د) و(ك) و(ب): دارًا.

(٣) في (ص): المِلْكِيَّة.

(٤) لطائف الإشارات: (٢/٤٤١).

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): هو.

وسخافاتهم في «كتب التوحيد»، ولو لم يكن من جهلهم إلَّا ما أوعبناه[١] في اسم «الشَّاكر»؛ من تَعْدِيدِ نِعَمِ الله التي واحدة منها تستغرق عمل العُمُرِ من العبد في فرض الشكر، وتبقى سائر النعم غير مقابلة بشُكْرٍ، فأين وجوب الجزاء على ما وقع من العبد من عمل؟ هل هذا إلا ضَلَالٌ مُضَلِّلٌ ونَسْجٌ[٢] من الكلام مهلهل[٣]؟

وكما تحتاج الأعمال الصالحات إلى الكَيْسِ[٤]، كذلك تفتقر الأعمال المحظورة إلى مثلها عند تعارض البلاء فيها، فربَّما فات هنالك عِلْمُها.

روى النسائي عن عثمان قال: «اجتنبوا الخمر؛ فإنها أم الخبائث، إنه كان رجل ممَّن خلي قبلكم متعبد، فعَلِقَتْهُ امرأة غَوِيَّةٌ، فأرسلت إليه جاريتها، فقالت له: إنَّا ندعوك للشهادة، فانطلق مع جاريتها، فطَفِقَتْ كلَّما دخل بابًا أغلقته دونه، حتى أفضى إلى امرأة وَضِيَّةٍ، عندها غلام وبَاطِيَةُ خَمْرٍ، فقالت له: إنِّي والله ما دعوتك للشهادة، ولكنِّي دعوتك لتقع عليَّ، أو تشرب من هذه الخمر كأسًا، أو تقتل هذا الغلام، قال: فاسقني من هذه الخمر كأسًا، فسَقَتْهُ كأسًا، فقال: زيدوني، فلم يَزَلْ[٥] حتى وقع عليها وقتل النفس، فاجتنبوا الخمر، فإنها - والله - لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر إلَّا أوشك أن يُخرج أحدهما صاحبه»[٦]، وهذا حديث صحيح.

---

(١) في (ك) و(ص): أوعيناه.

(٢) في (ص): نسيج.

(٣) في (ص): مهلل، ومرَّضها، وفي الطرة: الظاهر: هلهل.

(٤) في (ص): الشكر.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): يَرِمْ.

(٦) أخرجه النسائي في السنن الكبرى: كتاب الأشربة، ذِكْرُ الآثام المتولدة عن شرب الخمر، رقم: (٥١٥٦-شعيب).

٢ فانظروا - رحمكم الله - كيف فاته وَجْهُ الترجيح ؛ في أنَّ مَعْصِيَةً تُزِيلُ
[٩٣/ب] العقل أشدُّ من معصية/ لا يزول معها، وفي ذلك نَظَرٌ طويل يختلف باختلاف المعاصي والحالات، فلا يَنْفُذُ فيها إلَّا النِّحْرِيرُ، وبهذه الصفات ونظائرها استحق أن يسمَّى «ثَقِفًا» «لَقِفًا[1]».

* * * * *

(١) بعده في (ب): انتهى الجزء الثالث بحمد الله.

الثَّقِفُ اللَّقِفُ[١]: وهما[٢] الاسمُ الثاني والتِّسْعُون والثالث والتِّسْعُون[٣]

وقد ورد في الحديث الصحيح في هجرة النبي إلى المدينة في صفة عبد الله بن أبي بكر الصديق: «ويَبِيتُ معهما - يعني: في الغار- عبد الله بن أبي بكر، غلام لَقِفٌ لَقِنٌ، - وفي رواية: «ثَقِفٌ لَقِفٌ[٤]»[٥]-، ثم يصبح بمكة كبائت، فلا يسمع أمرًا يُكتادان به إلَّا وعاه وأخبرهما به»[٦].

وقالت أُمُّ حَكِيمٍ عَمَّةُ النبي: «إني حَصَانٌ فما أُكَلَّم، وثَقَافٌ فما أُعَلَّم»[٧].

فاللَّقِنُ هو الذي يفهم ما يُلقى إليه، وهو اللَّقِفُ، أي: يتلقَّفه، يعني: يتلقَّاه. وقوله: «ثَقِفٌ»، يعني: يُثَقِّفُه بالوَعْيِ له والحِفْظِ في قلبه، فيُورِدُه

---

(١) سَقَطَا من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (د) و(ص) و(ب): وهو.

(٣) في (ك): التسعون والحادي والتسعون، وفي (ص): الثالث والثمانون، وفي (ب): الثاني والثمانون.

(٤) في طرة بـ (د): «غلام ثقف لقف، وفي رواية: ثقف لقن».

(٥) المشارق: (١/٣٦٢).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة ﵂: كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، رقم: (٣٩٠٥-طوق).

(٧) كتاب الغريبين: (١/٢٨٧).

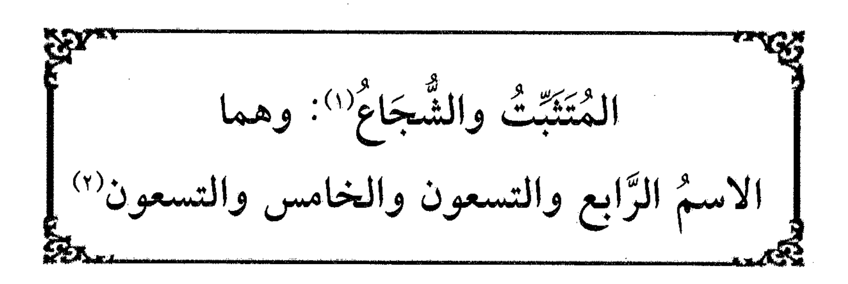
بفَصِّه، وذلك من الكَيْسِ، وبه وَصَفَ أبو طلحة أَنَسَ بن مالك للنبي كما تقدَّم، وذلك بثبوت ذلك في قلبه، وانتقاشه في نفسه، ولا شيء أفضل من ثبوت المعرفة في النفس، وتحصيلها متقنة حاضرة، يُصَرِّفُها إذا احتاج، كما يُصَرِّفُ ماله المختزن عنده فيما يَعِنُّ له من حوائجه، فإذا طلبه فلم يجده والتمسه عند الحاجة إليه فلم يَحْضُرْهُ فليس بكَيْسٍ، ولا لَقِنٍ، ولا لَقِفٍ، ولا ثَقِفٍ.

وإذا ثبت له ذلك واستعمله وَقْتَ الحاجة إليه فهو «المُتَثَبِّتُ» على الإطلاق، وهو «الشُّجَاعُ» لثُبُوتِهِ[1] بالعلم عند المكاره خاصَّةً.

* * * * *

---

(١) في (ك) و(ب): ثبوته، وفي (ص): بثبوته.



المُتَثَبِّتُ والشُّجَاعُ[١]: وهما الاسمُ الرَّابع والتسعون والخامس والتسعون[٢]

وما وَرِثَ عبد الله بن أبي بكر ما كان فيه من تلك اليقظة إلَّا من بَحْرِ أبي بكر العَجَّاجِ في الجلالة، والخصال التي منها: الكَيْسُ، واللِّينُ[٣]، واللَّقَافَةُ، والثقافة، والتَّثَبُّتُ، والشَّجاعة؛

[المواطنُ التي ثبت فيها أبو بكر الصديق رضي الله عنه]:

وقد ظهر ذلك منه في حياة النبي، وأكثره بعد موته؛ لسعة علمه وقُوَّةِ قلبه، في سَبْعَةِ مواطن[٤]:

الموطن الأوَّل: لمَّا كان في غزوة الحُدَيْبِيَّة، لمَّا انقضى الصلح عن الكتاب المعروف فيه، على حسب ما شرطه الكفَّار، وقال عمر: «فأتيتُ النبي، فقلتُ: ألستَ نبيَّ الله حقًّا؟ قال: بلى، قلت:/ ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ في ديننا إذن؟ قال: إنِّي رسول الله، ولستُ أَعْصِيهِ، وهو ناصري، قلتُ: أَوَلَسْتَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا

٢ [٩٤/أ]

---

(١) سَقَطَا من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): الثاني والثالث والتسعون، وفي (ص): الرابع والخامس والثمانون، وفي (ب): الثالث والثمانون والرابع والثمانون.

(٣) سقطت من (ص).

(٤) ينظر: العارضة: (٩/١٧٤-١٧٩)، والمسالك: (٥/١٤٢-١٤٤).

أنَّا سنأتي البيت فنَطُوفُ به؟ قال: بلى، قال: فَأَخْبَرْتُكَ أنَّا نأتيه العام؟ قلتُ: لا، قال: فإنَّك آتِيهِ فمُطَوِّفٌ به، قال: فأَتَيْتُ أبا بكر فقلتُ له مِثْلَ ما قلتُ للنبي سواء[١]، وقال لي مثل ما قال النبي[٢] سواء، قال عمر: فعملتُ لذلك أعمالًا»[٣]، يعني: صَلَّيْتُ وصمتُ وتصدَّقتُ؛ لما وقع في نفسه ممَّا أخبر عنه، وتَثَبَّتَ أبو بكر فيه تَثَبُّتَ النبي، حتى اتَّفق قوله معه فيه.

وذلك إنَّما يكون عن كثرة المعرفة، ونفاذ القريحة، واتِّقاد البصيرة، ومضاء العزيمة، وصِدْقِ الفراسة، وصحة الرأي، وثبوت الجأش، وشرح الصدر، وصفاء الإيمان، وسلامة القلب.

الموطن الثاني: مات رسول الله، ولم يُصَبِ المسلمون بأعظم من تلك المصيبة؛ فيها انقطعت الآمال، ومنها كان ابتداء تغير الأحوال، واضطربت الأمور، وتباين حال الجمهور، فأُخْرِسَ عثمان، واستخفى عليٌّ، وأَهْجَرَ عمر؛ وقال: «ما مات رسول الله، وإنما واعده الله كما واعد موسى، وليرجعنَّ رسول الله فليقطعنَّ أيدي أناس وأرجلهم، وكان أبو بكر غائبًا في ماله بالسُّنْحِ[٤]، فجاء فدخل على النبي وهو مُسَجًّى، فكشف

---

(١) سقط من (ك).

(٢) قوله: «وقال لي مثل ما قال النبي» سقط من (ب)، وفي (ص): فرد عليه أبو بكر كما رد عليه النبي سواء.

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) السُّنْحُ: موضع قرب مدينة رسول الله عليه السَّلام، فيه منازل بني الحارث بن الخزرج من الأنصار، وكان به مسكن أبي بكر الصديق، وكانت له فيه زوجة من بني الحارث، وهي حبيبة أو مُلَيكة بنت خارجة، وكان عندها يوم وفاة النبي ﷺ، ينظر: تاج العروس: (٦/٤٨٧).

الثوب عن وجهه وقبّله، وقال: بأبي أنت وأمّي، طِبْتَ حيًّا وميّتًا، والله لا يجمع الله عليك الموتتين أبدًا، أمّا الموتة الأولى التي كُتِبَتْ عليك فقد نِلْتَها، وخرج فجاء إلى[1] المسجد والناس فيه، فصعد المنبر وخطب، فقال: أمّا بعد؛ أيها الناس، فمن كان يعبد مُحَمَّدًا فإن مُحَمَّدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم قرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٤]، فخرج الناسُ يتلونها في سِكَكِ المدينة؛ كأنها لم تَنْزِلْ إلَّا ذلك اليوم»[2]/. ٢ [٩٤/ب]

الموطن الثالث: اختلف الناس في دَفْنِه، فقال أبو بكر: «سمعته يقول: ما دُفِنَ نبيٌّ قطُّ إلَّا في الموضع الذي يموتُ فيه»[3].

وروى الترمذي أنه قال: «سمعتُ من رسول الله شيئًا ما نسيته: ما قَبَضَ الله نَبِيًّا إلَّا في الموضع الذي يُحِبُّ أن يُدْفَنَ فيه»[4].

الموطن الرابع: لمَّا مات رسول الله ﷺ أَرْسَلَتْ فاطمةُ ابنته وأزواجه إليه يطلبن ميراثهن فيه، فقال لهن أبو بكر: قال رسول الله: «لا نورث، ما

---

(١) لم يرد في (د).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، بابٌ، رقم: (٣٦٦٧-طوق).

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ بلاغًا: كتاب الجنائز، ما جاء في دفن الميت، (٢٧٦/١)، رقم: (٦٢٣-المجلس العلمي الأعلى).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أبواب الجنائز عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في دفن النبي حيث قُبِضَ، رقم: (١٠١٨-بشار)، قال أبو عيسى: «هذا حديث غريب».

تركنا صدقة»[١]، وقالت ذلك عائشة لهن، وبقية العشرة شهدوا بذلك كله، فانقادوا إليه.

الموطن الخامس: ارتدَّت العرب بعد موت النبي، وماج الناس، وصار ما خرج عن أجواز المدينة وأحوازها مملوءًا نُكْرًا، مشحونًا رِدَّةً ومَكْرًا، منهم كافر، ومنهم مانع زكاة، ومنهم مرتاب، فارتأى الصحابة؛ فقال بعضهم: يؤخذ منهم قبول الصلاة، وتترك الزكاة حتى تتمكن الحال، وتستأنس القلوب، فقال أبو بكر: «والله لأقاتلنَّ من فرَّق بين الصلاة والزكاة، والله لو مَنَعُونِي عَنَاقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله لقَاتَلْتُهُمْ على مَنْعِها[٢]»[٣].

الموطن السادس: لمَّا كان قبل مَرَضِ النبي جهَّز أسامةَ في جَيْشٍ إلى الشَّامِ، فتوقَّف خروجه بمرضه، ثم جاء موته، فقال الناس لأبي بكر: «احبس أسامة بجيشه تَسْتَعِنْ[٤] به على من حاربك من المُجَاوِرِينَ لك، فقال: لو لعبت الكلابُ بخَلَاخِلِ نساء أهل المدينة ما رددتُ جيشًا أَنْفَذَهُ رسول الله، ولَكِنْ سَأَلَ أسامةَ أن يترك له عمر، ففعل، وخرج فبلغ الشام، ونَكَأَ العَدُوَّ بها، فقالت الروم: إنهم لم يَضْعُفُوا بموت نبيهم»[٥]، وصارت تلك الحالةُ هَيْبَةً في قلوبهم لهم[٦].

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): منعه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﵁: كتاب الزكاة، باب أخذ العناق في الصدقة، رقم: (١٤٥٦-طوق).

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): تستعين.

(٥) ينظر: الروض الأنف: (٥٨٣/٧).

(٦) أفاد من هذا النص الشاطبي في الموافقات: (٥٠٥/١).

الموطن السابع: لمَّا استأثر الله برسوله تَطَلَّعَ الناس إلى رَأْسٍ يَقُومُ عليهم، وخَلِيفَةٍ له يَسُوسُهم، فمَرَجُوا وماجوا، وانحازت الأنصار يطلبون الأَمْرَ أو بعضه، وتَخَلْخَلَ المهاجرون، واجتمعوا إلى أبي بكر وقالوا له: «أرسل إلى الأنصار قبل أن يَعْقِدُوا أمرًا، فقال:/ بل نأتيهم في ناديهم، ونَفْجَأُهم في مكانهم»[1]، فسار إليهم مع من كان معه، وحضر بينهم وخطب خطبته المشهورة، ونثر لؤلؤه المكنون، وأبان الحق باليقين، وكشف لَبس الظنون، وانعقدت له البيعة حسنة مُقَرَّرَةً؛ عن نظر صادق، وفكر صائب، ودليل ظاهر.

٢ [٩٥/أ]

روى الترمذي - ورواه النسائي أيضًا - واللفظ له[2]: عن سالم بن عُبَيد[3] - وكان من أهل الصُّفَّةِ - قال: «أُغْمِيَ على[4] النبي في مرضه، فأفاق فقال: أَحَضَرَتِ الصلاة؟ فقلن: نعم، فقال: مُرُوا بلالًا فليؤذِّن، ومُرُوا أبا بكر فليُصَلِّ بالناس، قالت عائشة: إنَّ أبي رَجُلٌ أَسِيفٌ، قال: إنكن صواحبات يوسف، مُرُوا بلالًا فليؤذن، ومُرُوا أبا بكر فليصلِّ بالناس، فأَمَرَ بلالًا أن يؤذن، وأَمَرَ أبا بكر[5] أن يصلي بالناس، فلمَّا أُقيمت الصلاة قال النبي: أُقِيمَتِ الصلاة؟ قلن: نعم، قال: ادعو لي إنسانًا أعتمد عليه، فجاءت بَرِيرَةُ ورَجُلٌ آخَرُ، فاتَّكأ عليهما، فلمَّا رآه أبو بكر ذهب لينكص، فأومأ إليه أن اثبت مكانك، حتى قضى أبو بكر صلاته، ثم إنَّ رسول الله

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) سقط من (ك).

(٣) في طرة بـ (ك): في خـ: عَبْدٍ، وصحَّحه.

(٤) في (د): عن.

(٥) في (ك): أبو بكر.

قُبِضَ، فقال عمر: والله لا أسمع أحدًا يذكر أن رسول الله قُبِضَ إلَّا ضربتُه بسيفي هذا، قال: وكان الناس أُمِّيِّينَ؛ لم يكن فيهم نبي قبله، فأمسك الناس فقالوا: يا سالم، انطلق إلى صاحب رسول الله فادعُه، فأتيتُ أبا بكر وهو في المسجد، فأتيته أبكي دَهِشًا، فلمَّا رآني قال لي: أَقُبِضَ رسول الله؟ قلت: إن عمر يقول: لا أسمع أحدًا يذكر أن رسول الله قُبِضَ إلَّا ضربته بسيفي هذا، فقال لي: انطلق، فانطلقتُ معه، فجاء النَّاسُ فدخلوا على رسول الله، فقال: أيها الناس، افرجوا لي، ففرجوا له، فجاء حتى أكبَّ عليه ومسَّه، فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [التوبة:٢٩]، ثم قال[١]: يا صاحب رسول الله -يعني: سالم[٢]-: أَقُبِضَ رسول الله؟ قال: نعم، فعلموا أن[٣] الله قد صدق، قالوا: يا صاحب رسول الله، أَيُصَلَّى[٤] على رسول الله؟ قال: نعم، قالوا: وكيف؟ قال: يَدْخُلُ قَوْمٌ فيُكَبِّرُونَ ويُصَلُّونَ ويَدْعُونَ، ثم يخرجون، ثم يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون، ثم يخرجون، حتى يدخل الناس، فقالوا: يا صاحب رسول الله، أَيُدْفَنُ رسول الله؟ قال: نعم، قالوا: أين؟ قال: في المكان الذي قَبَضَ الله فيه رُوحَه، فإنَّ الله لم يقبض/ [٩٥/ب] رُوحَه إلَّا في مكان طَيِّبٍ، فعلموا أن قد صدق، ثم أمرهم أن يُغَسِّلَه بنو أبيه، واجتمع المهاجرون يتشاورون، فقالوا: انطلقوا بنا إلى إخواننا من الأنصار نُدْخِلُهُمْ معنا في هذا الأمر، فقالت الأنصار: منا أمير، ومنكم أمير[٥]، فقال عمر بن الخطاب: من له مثل هذه الثلاث؛ ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ

(١) في (ص): قالوا.

(٢) قوله: «يعني: سالم» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٣) في (ص): أنه قد صدق.

(٤) في (ص): أنصلي.

(٥) سقطت من (ك).

هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠]، من هما؟ قال: ثم بَسَطَ يده؛ فبايعه الناس بَيْعَةً حسنة جميلة»[١].

قال الإمام الحافظ[٢] رضي الله عنه: فليس للإسلام من يومئذ إلى الآن حركة إلا في تلك البركة، ولا تفكير ولا تقدير إلَّا من ذلك التدبير، فتبارك الله[٣] العليم القدير.

وظهر لكم بهذا أنَّ[٤] أوَّل نُشُوءِ[٥] المرء السعيد «كَيْسٌ»، وآخره «ولاية»، فيعود وليًّا من أولياء الله المقرَّبين عنده، السَّابقين إليه، ويكون ممَّن اشترى الهُدَى بالضلالة، والعلم بالجهالة، والسعادة بالشقاوة، فتربح تجارتُه، وينتفي عَيْبُه[٦]، فيكون «مُرْبِحًا» في دِينِه.

* * * * *

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى: كتاب وفاة النبي ﷺ، كيف صُلِّيَ على رسول الله ﷺ؟ رقم: (٧٠٨١-شعيب)، والترمذي في الشمائل: باب ما جاء في وفاة رسول الله ﷺ، (ص٢٣٧-٢٣٩)، رقم: (٣٨٤).

(٢) في (ك): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ب): قال الإمام أبو بكر بن العربي.

(٣) لم يرد في (ك) و(د) و(ب).

(٤) في (ك): أنه.

(٥) في (ص): نَشْء.

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): غَبَنُه.

المُرْبِحُ[١]: وهو الاسمُ السَّادس والتسعون[٢]

قال النبي صلَّى الله عليه[٣]: «كلُّ الناس يغدو، فبائع نفسه؛ فمُعْتِقُها أو مُوبِقُها»[٤]، وهو حديث صحيح مليح، لم يَقُمْ أَحَدٌ بمعناه.

وتحقيقُه: أنَّ المرء يُصْبِحُ فيتصرَّف، ولا يخلو تصرُّفه في[٥] أن يشتري الحياة الدنيا بالآخرة، والهَلَكَةَ بالسَّلامة، واللذة بالندامة، والغفلة بالذِّكْرَى، والفجور بالتُّقَى، أو يرجع إلى الحُسْنَى[٦]؛ فيجعل الحالة الثانية من هؤلاء أُولَى، فيبتاع الآخرة بالدنيا، والسَّلامة بالهلكة، والذِّكْرَى بالغفلة، والتُّقَى بالفجور، فيتوضأ ويُصَلِّي، ويصوم ويتصدَّق، قال النبي ﷺ[٧] - في الحديث الصحيح -: «الطهور شَطْرُ الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله يملآن ما بين السماء والأرض، والصلاة

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٢) في (ك): الرابع والتسعون، وفي (ص): السادس والثمانون، وفي (ب): الخامس والثمانون.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): ﷺ.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه: كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، رقم: (٢٢٣-عبد الباقي).

(٥) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٦) في (ص): الحسَن.

(٧) في (ك): صلى الله عليه.

نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حُجَّةٌ لك أو عليك، كل الناس يغدو؛ فبائع نفسه، فمُعْتِقُها أو مُوبِقُها»[١].

٢ [٩٦/أ]

فإذا باع نفسَه من الله بطاعته وذِكْرِه فإنَّ الله قد اشتراها/ منه بشَرْطِ العِتْقِ البَاتِّ والنعيم الدائم، ولذلك أجاز العلماءُ الشِّرَاءَ للعبد بشَرْطِ العتق، ولم يفهم هذا أبو حنيفة وأصحابه، فمنعوا البيع بشَرْطِ العِتْقِ[٢].

وهذا البَيْعُ هو رِبْحٌ كلُّه؛ لأن المرء يَرْبَحُ نفسَه، ولذلك قال الحكماء: «عجبًا لمن يغدو يَطْلُبُ الرِّبْحَ، ومِثْلَ نَفْسِه لا يربح أبدًا».

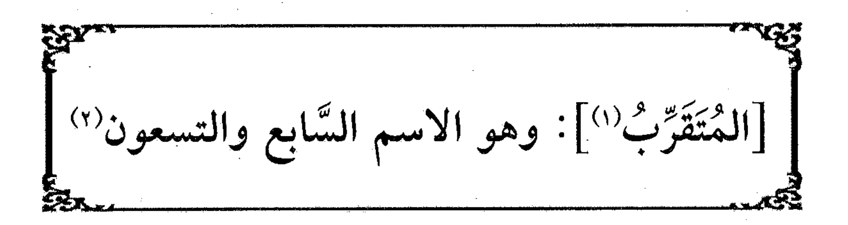
ومن المعاملة المُرْبِحَةِ أنَّ العبد إذا أسلم وأطاع بايع الكافر في منزله بالجنة بمنزله في النار، على ما قدَّمنا به الحديث في أسماء القيامة عند ذِكْرِ التغابن، وبذلك كله يكون «مُتَقَرِّبًا[٣]».

* * * * *

(١) هو الحديث السَّابق.

(٢) ينظر: المسالك: (٥٢٤/٦).

(٣) في (ب): منفردًا.



[المُتَقَرِّبُ[١]]: وهو الاسم السَّابع والتسعون[٢]

والقُرْبُ يكون - عند علمائنا - بالمعنى، ولا يكون بالمسافة؛ لأنَّ الله سبحانه ليس في مكان فتدنو منه أو تبعد الأجسام، ولا يُحَاذِيهِ موجود، ولا يليه مخلوق[٣]، وإنَّما قُرْبُه بالإجابةِ لمن دعاه، والرحمةِ لمن استرحمه، والعطاءِ لمن سأله، والمغفرةِ لمن استغفره وانكَفَّ[٤] عن معاصيه؛ وهو «العَفِيفُ».

* * * * *

---

(١) في (ب): المنفرد.

(٢) في (ك): الخامس والتسعون، وفي (ص): السَّابع والثمانون، وفي (ب): السَّادس والثمانون.

(٣) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص١٦٤-١٦٨).

(٤) في (د) و(ص) و(ب): الكف.

العَفِيفُ[١]: وهو الاسم الثامن والتسعون[٢]

فإنَّ المعاصي تُباعِدُه عن الله كما تُقَرِّبُه الطاعات[٣] من الله، قال النبي ﷺ للنَّاسِ حين رَفَعُوا أصواتهم بالذِّكْرِ: «إنكم لا تَدْعُونَ أصمَّ ولا غائبًا، إنما تدعون سميعًا قريبًا، إنه بينكم وبين رؤوس رحالكم»[٤].

ومن الواجب على العبد أن يسأل عن ذلك إذا لم يَعْلَمْه، وإذا عَلِمَه أن يَمْتَثِلَه، وقد سأل عنه معاذُ بن جبل رسولَ الله، فقال له: «أخبرني بعَمَلٍ يُقَرِّبُنِي من الجنة ويباعدني من النار»[٥]، فذَكَرَ الحديث المتقدم، وهو صحيح مليح.

وفي الصحيح: عن أبي هريرة: «أنَّ أعرابيًا جاء إلى النبي ﷺ فقال له: دُلَّنِي على عمل إذا عملتُه دَخَلْتُ الجنة، قال: تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان،

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): السادس والتسعون، وفي (ص): الثامن والثمانون، وفي (ب): السابع والثمانون.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): الطاعة.

(٤) تقدَّم تخريجه.

(٥) تقدَّم تخريجه.

قال: والذي نفسي بيده[١]، لا أزيد على هذا، فلمَّا وَلَّى قال النبي: من سَرَّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا»[٢].

٢ ولا يُقَرِّبُ العَبْدَ من رَبِّهِ شيءٌ أكثر من الصلاة؛ فإنه يستقبله فيها، ويناجيه بها، وأيُّ منزلة أعظمُ من المناجاة والاستقبال؟ وهي خصيصة/ [٩٦/ب] موسى، وشَرَفُ مُحَمَّدٍ، وحالة يونس، وملجأ أيوب، ودعوة سليمان، وتوبة داود، وبذلك سُمِّيَتِ الأعمال الصالحات قُرُبَاتٍ، ولن يُفَرِّجَ الكُرُبَاتِ إلَّا القُربات، ولا تكون قُرْبَةٌ إلا بِنِيَّةٍ[٣]، إلَّا واحدة؛ فإنها تكون طَاعَةً لا قُرْبَةً، كما[٤] بيَّنَّاه في «أصول الدين»، ممَّا قرَّره علماء المسلمين، وبذلك يكون «قانتًا».

* * * * *

(١) سقطت من (ك).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم: (١٣٩٧-طوق).

(٣) في (ص): الآدميَّة.

(٤) في (د): على ما.

القَانِتُ[١]: وهو الاسمُ التَّاسع والتسعون[٢]

والقُنُوتُ في العربية على معاني؛ قد بيَّنَّاها في غير موضع من القرآن والأحاديث[٣]، أصوله أربعة:

أَوَّلُها[٤]: الطاعة، قاله ابن عباس[٥].

والثاني[٦]: القيام[٧]، قاله ابن عمر، وقرأ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ [الزمر:١٠]، وفي الحديث: «أفضل الصلاة طول القنوت»[٨]، وقام النبي ﷺ حتى تفطَّرت قدماه، وقال: «أفلا أكونُ عبدًا شكورًا»[٩].

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): السابع والتسعون، وفي (ص): التاسع والثمانون، وفي (ب): الثامن والثمانون.

(٣) تنظر في: أحكام القرآن: (١/٢٢٦).

(٤) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٥) تفسير الطبري: (٥/٢٢٩-شاكر).

(٦) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٧) ينظر: تفسير الطبري: (٥/٢٣٦-شاكر).

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أفضل الصلاة طول القنوت، رقم: (٧٥٦-عبد الباقي).

(٩) تقدَّم تخريجه.

الثالث: أنه السُّكُوتُ، قال زيد بن أرقم: «كنَّا نتكلَّم في الصلاة حتى نزلت: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٦]، فأُمِرْنا[١] بالسُّكُوتِ»[٢].

الرابع: القنوتُ: الخُشُوعُ[٣].

وهذه المعاني وسواها ممَّا ذَكَرَ العلماء في القنوت صَحِيحٌ جميعُها، تشهد لها العربية والأمثلة، والمُرَادُ منها هاهنا السُّكُوتُ، ويليه القيام.

أمَّا القيام فيكون لله جَمِيعُ أمره، وهو الدوام على الطاعة؛ صلاة أو صيام أو غير ذلك.

وأمَّا السكوت[٤]؛ فأَنْ يكون ساكتًا إلَّا عن ذِكْرِ الله، فيواصله ويداومه، كما قدَّمناه[٥]، ولا يَفْتُرُ فيه، ولا يتخلَّى عنه بغفلة ولا بمَلَلٍ، فإذا فَعَلَ ذلك كان «مُفْرِدًا».

* * * * *

---

(١) في (د): أمر.

(٢) تفسير الطبري: (٥/٢٣٢-شاكر).

(٣) تفسير الطبري: (٥/٢٣٤-شاكر).

(٤) قوله: «وأمَّا السكوت» سقط من (ك).

(٥) في (ك): قدَّمنا.

المُفْرِدُ(١): وهو الاسمُ المُوَفِّي مِائَةً(٢)

وفي صحيح الحديث - كما ذكرناه من قبل -: «أنَّ النبي سار مع أصحابه يومًا في طريق مكة حتى عَلَا جبلًا، فقال: هذا جُمْدَانُ، سِيرُوا، سَبَقَ المُفْرِدُونَ، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: الذين أُهْتِرُوا بذِكْرِ الله، يضع الذِّكْرُ عنهم أوزارهم»(٣).

قال الإمام الحافظ(٤): هذا إن كان معهم وِزْرٌ، فإن لم يكن ذلك معهم(٥) ولا صَادَفَه عَمَلُهم الصالح وذِكْرُهم الطيِّب رُفِعَ لهم قَدْرٌ، وأُرْقِيَتْ لهم درجات حسب ما وعد الله سبحانه/. ٢ [٩٧/أ]

وهو مُفْعِل، مِنْ أَفْرَدَ.

المعنى: قد خرج عن الخلق باعتقاده وجوارحه ولسانه، فليس له ذِكْرٌ إلَّا ربه، وهذا ممَّا لم نسمعه إلَّا عن رَابِعَةَ رحمها الله، فإنها كانت إذا قال لها أَحَدٌ كلامًا، أو عَرَضَ لها بسؤال، قالت: «هُوَ، هُوَ، هُوَ»، في جواب

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): الثامن والتسعون، وفي (ص): الموفي تسعين، وفي (ب): التاسع والثمانون.

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) في (ك): قال الإمام الحافظ رضي الله عنه، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ب):قال الإمام رضي الله عنه.

(٥) في (ك): لهم ذلك، وفي (ص) و(ب): معهم ذلك.

كل كلام، كأنها تُشِيرُ إلى أنها مشغولة معه، ليس لأحد فيها حظٌّ، ولا لها للخوض مع أحد في أمرٍ زمانٌ.

قال الإمام الحافظ[١]: والذي عندي أنَّ أبا بكر وعمر والعشرة والصحابة وكثيرًا[٢] من التابعين وعلماء المسلمين كانوا بهذه الصفة وإن خالطوا الناس؛ فإن العبد إذا كان كلامُه مع الناس لله وفِعْلُه كذلك فهو مُفْرِدٌ، حتى لو تكلَّم في الدنيا لتكلَّم لله، أو اعتمل فيها لاعتمل لله؛ بأن لا يخرج في جميع أقواله وأعماله عن طريق الشرع، فهو من المُفْرِدِينَ، ولكنه أمر يتعذَّر مع المخالطة إلَّا على الصدر الأوَّل؛ الذين كانوا لا يَلْقَوْنَ إلَّا أمثالهم، أو ما يقرب[٣] منهم، أو من يفعل مثل فِعْلِهم، فكانوا يتعاونون على الحق، ولا ترى بينهم[٤] باطلًا، فلمَّا غلب الباطلُ على الخلق[٥] وتعاملوا بغير الصدق لم يتفق[٦] لأحد أن يكون مُفْرِدًا إلَّا بأن يعتزل عنهم، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية:١٨].

[من المُفْرِدِينَ مريمُ عليها السَّلام]:

وممَّن كان من المُفْرِدِينَ القانتين مَرْيَمُ، قال الله سبحانه: ﴿يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَاسْجُدِى وَارْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران:٤٣]، فأَمَرَها بالقنوت والسجود والركوع، واختلف الناس في هذه الآية اختلافًا كثيرًا؛

---

(١) في (ك): قال الإمام الحافظ رضي الله عنه، و(ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ب): قال الإمام رضي الله عنه.

(٢) في (ك): كثير.

(٣) في (د): أو بالقرب.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): لهم.

(٥) في (ك) و(ص): الحق.

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): يبق.

فقال لنا شيخُنا فَخْرُ الإسلام الشَّاشِي[١] بمدينة السَّلام: «هذا من التقديم والتأخير، المعنى: «فاركعي واسجدي»، وهو في القرآن كثير».

وقال لي غيره: «هذا كان شَرْعُ من قبلنا».

وقال أصحاب أبي حنيفة: «الواو لا تقتضي ترتيبًا».

واختلف الناسُ في قوله: ﴿اقْنُتِي﴾؛

فقيل: أطيعي[٢].

وقيل: أخلصي[٣].

وقيل: قُومِي[٤]، أمرها بالقيام والركوع والسجود، وهو جملة الصلاة.

وهو الأصح؛ كما بيَّنَّا في «الأنوار».

والذي يصح في قوله: ﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي﴾[٥]؛ أنَّ السجود هو الميل، وأنَّ الركوع هو الانحناء، ويصح في صورتها عندنا أن يسمَّى كل واحد منهما باسم/ صاحبه، ولا يصحُّ في شرع أن تكون صورة السجود مثل ٢ [٩٧/ب]

---

(١) الفقيه الإمام، شيخ الشَّافعية، وفخر الإسلام؛ محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشي، (٤٢٩-٥٠٧هـ)، له «حلية العلماء»، وهو المسمَّى «المستظهري»، و«المعتمد»، و«الشافي»، و«العمدة»، وغيرها، ترجمه ابن عساكر في تبيين كذب المفتري: (ق١٦٠/أ)، والذهبي في السِّيَر: (١٩/٣٩٣-٣٩٤)، والتاج في طبقات الشافعية: (٦/٧٠-٧٨).

(٢) تفسير الطبري: (٦/٤٠٣-شاكر).

(٣) تفسير الطبري: (٦/٤٠٣-شاكر).

(٤) تفسير الطبري: (٦/٤٠٢-شاكر).

(٥) في النسخ: اركعي واسجدي.

الركوع، إنَّما تكون الصورة[١] في شرعها كالصورة في شرعنا، ولكن يجوز أن تنقلب[٢] الأسماء، فتُسَمَّى في وَقْتٍ صورةُ الركوع سجودًا، والسجود ركوعًا، ثمَّ تسمَّى في وقت آخَرَ به.

وقد قال كثير من علمائنا: «إن السجود هو الركوع في العربية»[٣].

في الصحيح: عن عائشة أنها قالت: «قال النبي: من أدرك سجدة من الصبح قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك»[٤].

والسجدة هي الركعة، فيكون تقدير الكلام: «يا مريم أَدِمْ[٥] طاعة ربك، وصَلِّ وصَلِّ[٦]»، وكرَّر الأَمْرَ بالصلاة ليكون ذلك تأكيدًا لها.

ويحتمل أن يكون قوله لها: ﴿اقْنُتِي﴾ أمرًا بالطاعة.

ويقال: ﴿وَاسْجُدِي﴾[٧]: أَمْرٌ بما يكون من جميع الخلق، وهو قوله: ﴿وَلِلهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾[٨] [النحل:٤٩]، ثم يُكَرِّرُ عليها الأمر بالركوع الذي هو مخصوص ذِكْرُه ببني آدم، لم يُوصَفْ به شيء من المخلوقات، ووُصِفَتْ مريم بذلك كله لأنها كانت لَزِيمَةَ المحراب، عَاكِفَةً

(١) في (ك): الصور.
(٢) في (ك): تقلب.
(٣) تفسير الطبري: (٢/١٠٤-شاكر).
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب مواقيت الصلاة، باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب، رقم: (٥٥٦-طوق).
(٥) كذا في جميع النسخ.
(٦) في طرة بـ (ك): وصلِّي وصلِّي.
(٧) في (ك) و(ب): واسجد.
(٨) في النسخ: «ولله يسجد من في السماوات ومن في الأرض وما في السماوات وما في الأرض».

على الباب، سَاكِنَةً عن الخلق، مُعْرِضَةً عن الناس، مُوَاظِبَةً على الذِّكْرِ، مُقْبِلَةً على الله.

[من القانتات نساءُ النبي عليه السَّلام]:

وقد يكون قانتًا من يخالط ويتكلَّم، قال الله لنساء نبيِّه ﷺ: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [الأحزاب:٣١]، وما منهنَّ إلَّا من كان قانتًا عاملًا لله صالحًا، لَزِيمَ طاعة، وحَلِيفَ عبادة[١]، وحَامِلَ عِلْمٍ ومعرفة، ومُبَلِّغَ حكمة، وخصوصًا المطهَّرة المكرَّمة عائشة رضي الله عنها.

[الخُلْطَةُ لا تنافي القنوت]:

وقد بيَّنَّا أنَّ رهبانية هذه الأمة وقُنُوتَها وإِفْرَادَها وطاعتها لا ينافي الخُلْطَةَ، ولا يُشترَط فيها الوحدة، ولا يلزم[٢] معها الخلوة؛ لمن أمكنه القيام بالحقوق، وحمل جميع أفعاله وأقواله على الحق والتصديق، وإذا لم يتفق له ذلك عُدْنَا[٣] كما كُنَّا، ورجعنا إلى ما عَلِمْنَا من الخلوة والعُزْلَةِ قديمًا، حسب ما أنذر به الصَّادق.

وقد لا يَسْلَمُ المؤمن مع الخُلْطَةِ، وقد يَسْلَمُ.

[من فضائل مريم عليها السَّلام]:

هذه مريم مع القنوت والعزلة ومواظبة[٤] العبادة وما جعل الله فيها من الآية لم تَسْلَمْ من قول المُبْطِلِينَ وزَيْغِ المُلْحِدِينَ، ولمَّا ظهر بها الحملُ

---

(١) في (ص): عادة.

(٢) في (ك): تلزم.

(٣) في (د): عندنا.

(٤) في (د): مواطنة.

٢ انتبذت به مكانًا قَصِيًّا، رغبة في الاختفاء، وحِرْصًا على السِّتْرِ، إذ[١] لم يُمْكِنْ[٢] إفشاءُ ذلك/ إلى أَحَدٍ لغلبة الظنون الفاسدة على الناس. [٩٨/أ]

ولمَّا أخذها الطَّلْقُ قالت: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾ [مريم:٢٢]، خَوْفُ العار من الخلق، وقد علمت الآيَةَ من الحق.

وقد قيل: «إنما قالت ذلك شَفَقَةً على قومها من ذهاب أديانهم عند سوء مقالتهم؛ لئلا تصيبهم عقوبة من أجلها»[٣].

وقد قال بعضهم: «إن معناه: يا ليتني مت قبل أن أسمع أن عيسى وَلَدُ الله، وأنِّي زَوْجُه»[٤].

ويحتمل أن يكون المَلَكُ لمَّا ألقى إليها أَمْرَ الغلام أعلمها بجميع أَمْرِهِ أو بجُمْلَةٍ منه.

وقد قيل: «إنها قالت ذلك حين أصابها الطَّلْقُ وصارت إلى شِدَّتِه، بعد ما كانت فيه من الرِّفْقِ»[٥].

وقد قيل: «إن قولها[٦]: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا﴾، تعني[٧]: قبل أن يتعلق قلبها بسَبَبٍ»[٨]؛ لأنها كانت فارغة القلب إلَّا عن الله.

---

(١) في (د): إذا.
(٢) في (ص) و(ب): يكن.
(٣) لطائف الإشارات: (٢/٤٢٤).
(٤) لطائف الإشارات: (٢/٤٢٤).
(٥) لطائف الإشارات: (٢/٤٢٤).
(٦) في (ك) و(ص) و(ب): قوله.
(٧) في (ك) و(ص) و(ب): يعني.
(٨) لطائف الإشارات: (٢/٤٢٥).

فلمَّا تعلَّق قَلْبُها بولدها ونفسها أنكرت حالها الأوَّل، ورأت أنها غيرها: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾(١)، بكَسْرِ الميم؛

قيل: جبريل(٢).

وقيل: عيسى(٣).

فإن كان جبريل فمعناه: أن النداء جاء من تحت؛

وإن كان المنادي من فوقها -وإن كان بفتح الميم- فالمُنَادِي عيسى: ﴿أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾(٤) [مريم:٢٣-٢٥].

والذي عندي: أن قائل ذلك كله جبريل، وقَوْلُ عيسى يأتي بعد هذا إن شاء الله.

فسَكَّنَ هذا الكلام ما كان بها من القلق، وأَذْهَبَ ما أصابها من الفَرَقِ، وقوَّى قَلْبَها عمَّا كان فيه من الضعف، وأمَّنها ممَّا كانت تخاف من العار أو(٥) المكر.

ولمَّا هزَّت بجِذْعِ النخلة وتَسَاقَطَ عليها الرُّطَبُ الجَنِيُّ تشابهت الأحوال؛ فإن الذي أَخْرَجَ منها عيسى من غير أَبٍ قَادِرٌ على أن يُخْرِجَ

---

(١) بعده في (ك) و(ص) و(ب): ﴿أَلَّا تَحْزَنِى﴾ [مريم:٢٣].

(٢) لطائف الإشارات: (٢/٤٢٥)، وتفسير الطبري: (١٥/٥٠١-التركي).

(٣) لطائف الإشارات: (٢/٤٢٥)، وتفسير الطبري: (١٥/٥٠٣-التركي).

(٤) في النسخ: لا تحزني.

(٥) في (ص): و.

رُطَبًا من جِذْعٍ يابس، وكان في هذا أوضح الأدلة على أن الله لا يُضِيعُ الصالحين؛ فإنه إذ كان لمريم من يتعهَّدها جَرَتْ على عادتها، فلمَّا عَدِمَتِ العادة تولَّى الله لها الكفاية، ولم يَكِلْهَا إلى نفسها[1].

٢ ثم قال لها: ﴿كُلِي وَاشْرَبِي﴾، وتلك حاجة الإنسان وضرورته، ﴿وَقَرِّي عَيْناً﴾ بحالك وبولَدِك، ولا تُبالِي عن أَحَدٍ من/ [٩٨/ب] الخلق، ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَداً﴾ فلا تُكَلِّمِيهِ[2] بحال.

وهكذا يجب أن يكون الأولياء إذا كانوا مع الله على حالة حسنة، يجب ألَّا يُبَالُوا بأحد من الخلق.

قيل لها: عَرِّفِيهِمْ بالإشارة أنك صائمة، وكان صومهم ترك الكلام، فلمَّا أتت به قومها تحمله بَسَطُوا عليها لسان الملامة، وقابلوها بقول المُوَبِّخِ، وعظَّموا عليها الحالة، وقالوا لها: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْءاً فَرِيّاً﴾ [مريم:٢٦]، يعني: أَمْرًا قَطَعَكِ عن حالتك المعهودة، وصفتك المعروفة، يا أخت هارون في الصلاح والخير، ما كان أبوك امرَءًا رَدِيًّا، ولا كانت أمك بَغِيًّا، فمن أين وَرِثْتِهِ؟

وهذا يدلُّك[3] على أن الأخلاق مُكْتَسَبَةٌ من الأعراق، كما تُكْتَسَبُ من الاختلاط والصحبة.

فعن المرء لا تَسَلْ وسَلْ عن قرينه[4]   فكلُّ قَرِينٍ بالمقارن يقتدِي

(١) لطائف الإشارات: (٤٢٥/٢).

(٢) في (ك) و(د) و(ب): تكلمه.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): يدل، وما أثبتناه أشار إليه في (ك).

(٤) قوله: «فكل قرين بالمقارن يقتدي» سقط من (ك) و(ص) و(د).

وقد قال المغيرة بن شعبة: «بعثني رسول الله إلى نَجْرَانَ، فقالوا لي: ألستم تقولون: ﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ﴾ [مريم:٢٧]، وقد كان بين عيسى وموسى ما كان، فلم أَدْرِ ما أُجِيبُهم، فرجعت إلى رسول الله فأخبرته، فقال: ألا أخبرتهم أنهم كانوا يُسَمَّوْنَ بأنبيائهم والصالحين من[١] قبلهم»[٢]، وهذا حَدِيثٌ صَحِيحٌ حَسَنٌ.

فلمَّا قابلوها بهذا الكلام أشارت لهم إليه، وأحالتهم عليه، قالوا لها: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم:٢٨]، فإمَّا سَأَلُوهُ، وإمَّا بَدَأَهُمْ، فقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم:٢٩-٣١]، فلمَّا تكلَّم عيسى فقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾، برئت ساحتُها، وتحقَّقت عِفَّتُها ونزاهتُها[٣]، وظهرت كرامتُها ومرتبتُها[٤].

وقد روى المُفَسِّرُونَ: «أنه تكلَّم في المَهْدِ أربعة؛ عيسى بن مريم، وابن ماشطة فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب جُرَيْج»، وقد بيَّنَّا في «كُتُبِ[٥] التفسير» من «الأنوار» وغيرها: أنهم نَقَصَهُمُ اثنان:

أحدهما: صاحب الأُخدود؛ فإنَّ أهل الأخدود لمَّا قُذِفَ بهم في النار توقَّفت امرأة منهم في ذراعها صبي، فقال لها الصبي: «يا أُمَّه اصبري، إنك

---

(١) سقطت من (ك) و(ص).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم، (٢١٣٥-عبد الباقي).

(٣) في (د): براءتها.

(٤) سقطت من (ك).

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): كتاب.

على الحق[(١)]»[(٢)]، ذَكَرَهُ مُسْلِمٌ من حديث صُهَيْبٍ، والترمذي[(٣)] والبخاري[(٤)] من حديث أبي هُرَيْرَةَ عن النبي ﷺ.

والذي صحَّ من هذه الستة أربعة: عيسى، وصاحب جُرَيج[(٥)]، وصاحب الأخدود، وابنُ هذه المرأة[(٦)].

وفي البخاري: عن النبي: «أن امرأة كانت تُرْضِعُ صَبِيًّا في حِجْرِها، فمَرَّ رجل له شارة ورِكْبَةٌ، فقالت: اللهم اجعل ابني مثله، فترك الصبي الثدي وقال: اللهم لا تجعلني مثله، ومُرَّ بامرأة وهُمْ يضربونها ويقولون: سرقت، ولم/ تسرق، وزَنَتْ، ولم تَزْنِ، فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فترك الصبي الثدي وقال: اللَّهم اجعلني مثلها، وأُوحِيَ إلى نبي ذلك الزمان أنَّ[(٧)] الأوَّل لا خير فيه، وأن هذه يقولون: فَعَلَتْ، وهي لم تفعل»[(٨)]، هذا معنى الحديث.

٢ [٩٩/أ]

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): فقال لها الصبي: إنك على الحق، وفوقها علامة: خـ، وبعدها: والذي صحَّ.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن صهيب رضي الله عنه: كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود، رقم: (٣٠٠٥-عبد الباقي).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه عن صهيب رضي الله عنه: أبواب التفسير عن رسول الله ﷺ، بابٌ ومن سورة البروج، رقم: (٣٣٤٠-بشار).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الأنبياء، باب ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها﴾، رقم: (٣٤٣٦-طوق).

(٥) يأتي تخريجه في اسم «البَرِّ».

(٦) وهي ثانيتهما التي لم يذكرها المفسرون، تكملة الستة.

(٧) سقط من (ص).

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الأنبياء، باب ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من اهلها﴾، رقم: (٣٤٣٦-طوق).

قال الإمام الحافظ[١] رضي الله عنه: كان أوَّل كلمة تكلَّم بها عيسى: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾، ثم عبد من دون الله، وإنَّما كان ذلك آية ومعجزة لمَرْيَمَ، وحُجَّةً على الكفَّار، فيقال لهم: «إنْ صَدَقَ عيسى فقد كذبتم، وإن كذب فمن كَذَبَ لا يكون إلهًا ولا ابنًا للإله»[٢].

قال علماؤنا: «وكان عيسى عبد الله حقًّا، وإنَّما يكون عبد الله من لم يكن عبد هواه، ولا عبد شيء سِواه»[٣].

ثم قال: ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾، أي: سَبَقَ في عِلْمِه وحُكْمِه إيتاءُ الكتاب لي، وأخبر به، وأمره أن يذكره في حال صِغَرِه[٤].

ثم قال: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾، يعني: بفضله، ردًّا على من يقول: إن النبوة تُسْتَحَقُّ بكثرة الطاعة؛ لأنَّ عيسى أخبر بذلك في حَالٍ لم تكن منه طاعة، وقد بيَّنَّا بطلان هذا القول وإِلْحَادَه في «كُتُبِ الأصول»[٥].

ثم قال: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾.

* * * * *

---

(١) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ب): قال الإمام القاضي رحمه الله.

(٢) لطائف الإشارات: (٢/٤٢٧).

(٣) لطائف الإشارات: (٢/٤٢٧).

(٤) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٤٢٧).

(٥) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٤٢٧).

المُبَارَكُ[١]: وهو الاسمُ الحادي ومائة[٢]

وقد بيَّنَّا في غير مَوْضِعٍ[٣] أن معنى «ب ر ك» وجهان؛

أحدهما: الثبوت والدَّوام.

الثاني: النمو والزيادة.

وقد وصف الباري به نفسه فقال: ﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك:١].

وقال[٤]: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤].

وقال[٥]: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان:١].

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجاً﴾ [الفرقان:٦١].

وقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِّن ذَٰلِكَ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُوراً﴾ [الفرقان:١٠].

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): التاسع والتسعون، وفي (ص): الحادي والتسعون، وفي (ب): الموفي تسعين.

(٣) الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (١/١٨١)، وينظر: لطائف الإشارات: (٢/٦٢٦).

(٤) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٥) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

فأمَّا ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾؛ فمعناه: وجب الدوام، وحقَّت العظمة للذي بيده المُلْكُ، يُصَرِّفُ المقادير، ويُدَبِّرُ[1] الأمور، وهو عليها قدير، وعلى كل شيء مُمْكِنٍ سواها، الذي ابتلى الخلق ليختبرهم، إعلامًا للملائكة حالهم، ليظهر لهم شكرهم وكفرهم، وهو العزيز في ذلك كله، الغفور لذنوبهم على العموم، فإِمْهَالُه للكفَّار نَوْعٌ من مغفرته، وحَطُّه ذنوب المؤمنين مغفرة ظاهرة.

وقوله: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾، أي: وجب الدوام، وحقَّت العظمة؛ لمن دبَّر الجَنِينَ في الموضع المكنون، بتَصْرِيفِ/ الأحوال وانتقال الأوصاف، وقد ذَكَرَ خَلْقَ العرش والسماوات والأرضين[2] والجنة والنار، ولم يُعْقِبْها بهذا المدح الذي عقبه خلق الإنسان في أطواره، وانتقاله في أحواله، تخصيصًا له من بين المخلوقات، وتمييزًا بأشرف الدرجات.

٢ [٩٩/ب]

قال علماؤنا: «وإنَّما تمدَّح به لأنك لمَّا كنتَ أنت في تلك الحال عاجزًا عن مَدْحِ ما[3] فعل فيك مَدَحَ هو نفسه»[4].

قالوا: «وإن كان قال عن نفسه: إنه ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾، فلقد قال عنك: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]»[5].

وقوله[6]: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ﴾ الآية، مُرَتَّبًا بعد قوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾، وقد بيَّنَّا

---

(١) في (ك): يدير.

(٢) في (ك): الأرضون.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): مَدْح لِمَا.

(٤) لطائف الإشارات: (٢/٥٧١).

(٥) لطائف الإشارات: (٢/٥٧٠).

(٦) في (د): قال.

أن البركة تكون من الدوام والنماء، فدوام الله موجود؛ لأن وجوده لا عن استفتاح، ولا عن آخِرِيَّةٍ لذاته ولصفاته العلية، وجِهَةُ البركة مُنْبِئَةٌ عن فضله وإحسانه، فهي كلمة تجمع بين الثَّنَاءَيْنِ؛ ثَنَاءِ الذَّاتِ، وثَنَاءِ الأفعال.

فقوله: ﴿ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾؛ إِخْبَارٌ بما أَكْرَمَهُ به وفضَّله، وأَنْعَمَ عليه وأَحْسَنَ إليه، وقدَّمه على جميع الرُّسُلِ به؛ من إنزال الفُرْقَانِ القُرْآنِ عليه، فالفُرْقَانُ لجميع الأنبياء، والقرآن لمُحَمَّدٍ، أنزله عليه، وأرسله بشيرًا ونذيرًا للعالمين به، وآتى موسى الكتابَ ليُنْذِرَ به قومه، وآتى مُحَمَّدًا الكتابَ ليكون للعالمين نذيرًا، الذي تفرَّد بمُلْكِ السماوات والأرضين[1]، فليس فيها[2] شيء إلَّا مخلوق[3] بقُدْرَتِهِ، ومن زَعَمَ أن شيئًا يَشِذُّ عن قدرته فنَسَبَهُ إلى خَالِقٍ أو علَّقه بسَبَبٍ فهو كَافِرٌ؛ كالجَاحِظِ وسِواه[4]، لا حيَّاه الله ولا بيَّاه.

وهو لم يتخذ ولدًا استظهارًا، ولا جاز أن يكون له مَحَلٌّ استقرارًا، ولا يمكن أن يكون له شريك في المُلْكِ؛ لأنَّ ذلك كان يعود على الخلق بالهُلْكِ، حسب ما بيَّنَّاه في أدلة التوحيد[5]، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢]، وبيَّن ذلك تفصيلًا، فقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب) و(د): الأرض، ومرَّضها في (د)، والمثبت صحَّحه بطرته.

(٢) في (ب): بها، ولم ترد في (ص).

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): مخلوقًا.

(٤) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٢٦١)، والأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/٢٩٤).

(٥) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص١٣١-١٣٣).

تَقْدِيراً﴾ [الفرقان:٢]، فمن زعم أنه يَشِذُّ شيء عن خَلْقِه أو يَتَوَلَّدُ شيء من شيء دون أن يكون منسوبًا -من غير واسطة- إلى قُدْرَتِه فهو كافر.

ولمَّا لم يستدلوا بآيات النبي، ولا اعتبروا بمعجزاته، وقالوا: إنه ﴿مَهِينٌ﴾، ﴿يَاكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْاَسْوَاقِ﴾ [الفرقان:٧]، قال[1] الله له: هذا الذي قالوه وفعلوه بإرادتي وتقديري، ولو شئتُ لجعلتُ لك جنات وقصورًا/ في الدنيا. ٢ [١٠٠/أ]

وقد[2] روي أنه قيل لرسول الله: «إن شئت أن نُعْطِيَكَ خزائن الأرض ومفاتحها ما لم يُعْطَ نَبِيٌّ قبلك، ولا يُعْطَى من بعدك، ولا يُنْقِصُ ذلك ممَّا لك عند الله، فقال: اجمعوها لي[3] في الآخرة، فأنزل الله: ﴿تَبَارَكَ الذِي إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِّن ذَالِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي﴾ الآية»[4]، فسليمان دعا في ذلك وأُجِيبَتْ دعوتُه، ومُحَمَّدٌ عُرِضَ عليه ما لا ينبغي لمن بعده فأباه، وأخَّره إلى الآخرة وأرجاه[5].

ثم قال في السُّورة بعينها: ﴿تَبَارَكَ الذِي جَعَلَ فِي السَّمَآءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً﴾ [الفرقان:٦١]، وتَعَاظَمَ[6] وتعالى خالقُ السماء بزينتها، ومُرَتِّبُ كواكبها فيها، وحافظها من[7] الفطور والشقوق، ومُدَبِّرُ

---

(١) في (ك) و(ص): وقال.
(٢) في (ك) و(ص) و(ب): وقيل، وضرب عليها في (د).
(٣) سقطت من (ك) و(ب).
(٤) تفسير الطبري: (١٧/٤٠٨-التركي)، وهو مرسل.
(٥) في (ص): وأرجأه، وأثبتناه بغير هَمْزٍ تبعًا لطريقة القاضي في التقفية.
(٦) في (ك) و(ص) و(ب): فتعاظم.
(٧) في (د): على، وفي (ص): عن.

أفلاكها، والقادر على إمساكها، ولعظيم ما فيها من منافع الخلق؛ عظَّم على الأدلة ذلك ونبَّه به.

[أَوْجُهُ بَرَكَةِ القرآن العظيم]:

وكما أنه سبحانه تبارك؛ فكذلك كتابه مُبَارَكٌ، قال سبحانه: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء:٥٠]، والبَرَكَةُ فيه من ثمانية أوجه:

الأوَّل: دَوَامُه[١]؛ فإنَّ كل آية أُوتِيها النبي انقضت بانقضاء عُمْرِه، والقرآن لا ينقضي مدى الأيَّام.

الثاني: أنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه[٢]، ولا يتطرَّق إليه نَقْضٌ ولا نَقْصٌ.

الثالث: كثرة علومه؛ فإنها متنامية متطاولة، لا نهاية لها، ولهذا قال تعالى: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩].

الرابع: اكتفاءُ حامله به عن الدنيا بأَسْرِها، واستغناؤه[٣] به عنها، قال الله تعالى لنَبِيِّه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾[٤] [الحجر:٨٧-٨٨]، وقال النبي ﷺ: «ليس منَّا من لم يَتَغَنَّ بالقرآن»[٥].

---

(١) لطائف الإشارات: (٥٠٦/٢).

(٢) لطائف الإشارات: (٥٠٦/٢).

(٣) في (ك) و(د) و(ب): استغنائه.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): ﴿ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم﴾.

(٥) تقدَّم تخريجه في السفر الثاني.

الخامس: ثوابُه؛ فإنه ما أُعْطِيَ قطُّ لأمَّةٍ ما أُعْطِيَ لهذه الأمة من الثواب في كتابها[١].

السَّادس: الاستشفاء به.

السَّابع: الاسترقاءُ به عن أن يصيب[٢] مكروه.

الثامن: أنه دائم؛ لا ينسخه كتاب، وسائر الكتب منسوخة[٣].

فهذه بركتُه.

[أَوْجُهُ بَرَكَةِ رسول الله ﷺ]:

وكذلك نبيُّه مُحَمَّدٌ ﷺ مُبارَكٌ، فقد[٤] بيَّنَّا فيما سَلَفَ من[٥] هذا الكتاب وأوضحنا في/ غيره خصائصه وبركته على أمته[٦]، وعلى الخلق أجمعين، وأنه رحمة للعالمين. ٢ [١٠٠/ب]

ومن بركته أنَّ المُبارَكَ عيسى من أُمَّتِه، وإن كان مُتَقَدِّمًا على مُدَّته، ولكن رَفَعَهُ الله حتى ينزله، كما أخبر سبحانه عنه، فهو مُبارَكُ الذات، مبارك الأقوال، مبارك الأفعال[٧].

يقال في العربية: بُورِكَ الشيء، وبُورِكَ فيه.

---

(١) في (ك): كتابنا.

(٢) كذا في جميع النسخ.

(٣) لطائف الإشارات: (٣/٢٥٣).

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): وقد.

(٥) في (ك): في.

(٦) ينظر: المسالك: (٧/١٩٥-٢٠٥)، والعارضة: (١٠/٥٦٤-٥٧٢).

(٧) في (د): مبارك الأفعال، مبارك الأقوال.

قال الشَّاعر - وهو أبو طالب يرثي مسافر بن أبي عمرو -:

بُـورِكَ الميـتُ الغريـب كمـا بُـو ... رِكَ نـضحُ[١] الرُّمَّـان والزيتـونِ[٢]

[بَرَكَةُ المؤمن]:

والمُؤْمِنُ مُبَارَكُ الذَّات، مبارك الصفات؛ لأنه مُطَهَّرٌ مُسَلَّمٌ عن الشك والشِّرْكِ، مبارك الأقوال؛ لأنه لا يقول إلَّا خيرًا، مبارك الأفعال؛ لأنه لا يأتي إلَّا طاعة، مُنْتَفَعٌ[٣] به في علمه ودعائه، ومواساته إن كان ذا مال، وعلى قَدْرِ نفعه لنفسه والانتفاع به تكون بركته، فهو بَرَكَةٌ كله، ولذلك يقال: خادم مُبَارَكَةٌ، ودار مباركة، ودابَّة مباركة؛ إذا أَعْقَبَ[٤] مِلْكُها خَيْرًا لمالكها.

وفي الأثر: «إذا اشترى أحدكم خادمًا أو دابة فليأخذ ناصيتها، وليَدْعُ فيها بالبركة»[٥].

وقد قال النبي: «اللهم بارك لنا في مَدِينَتِنَا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مُدِّنَا»[٦].

---

(١) في (ك) -أيضًا-: نضر.

(٢) البيت من الخفيف، وهو من جملة أبيات رثائية لعم النبي ﷺ أبي طالب، وهي في ديوانه: (ص١٠٤، ٢٦٣).

(٣) في (ص): ينتفع.

(٤) في (ك) و(ص): عقَّب.

(٥) أخرجه أبو داود بنحوه في السنن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جَدِّه: كتاب النكاح، بابٌ في جامع النكاح، رقم: (٢١٦٠-شعيب).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الحج، باب فضل المدينة، رقم: (١٣٧٣-عبد الباقي).

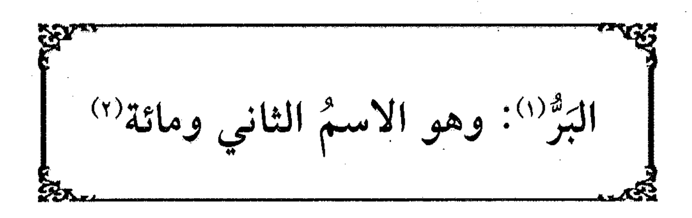
وقال: «اللهم بارك لهم في مِكْيَالِهِمْ، وبارك لهم في صاعهم، وبارك لهم في مُدِّهِمْ[(١)]»[(٢)].

ثمَّ قال: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ [مريم:٣١].

* * * * *

(١) بعده في (د): انتهى الجزء السَّابع.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: كتاب الحج، باب فضل المدينة، رقم: (١٣٦٨-عبد الباقي).



البَرُّ[١]: وهو الاسمُ الثاني ومائة[٢]

معناه: أَوْسِعْها كرامةً وإحسانًا، وهو أَصْلُه[٣].

البَرُّ: من الاتِّساع والكثرة، ومنه البريَّة، وقد بيَّنَّا حقيقة ذلك في كتاب[٤] «الأمد الأقصى»[٥].

فالباري بَرٌّ بعباده، والمؤمن بَرٌّ بوالديه[٦]، وقد قرأنا «بِرَّ الوالدين» ببغداد في جُزْءٍ مجموع للخلَّال[٧]؛ شَيْخِ شيخنا أبي الحُسَين بن الطُّيُورِي،

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): الموفي مئة، وفي (ص): الثاني والتسعون، وفي (ب): الحادي والتسعون.

(٣) في (د): أصل.

(٤) سقط من (د).

(٥) الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (١٢٣/٢).

(٦) في (د): أبويه.

(٧) الإمام الحافظ، الحَسن بن محمد بن الحسن بن علي، أبو محمَّد الخلَّال، من أهل بغداد، (٣٥٢-٤٣٩هـ)، قال فيه الخطيب: «كان ثقة، له معرفة وتنبُّه، وخرَّج «المسند على الصَّحِيحَيْنِ»، وجمع أبوابًا وتراجم كثيرة»، وكتابُه هذا الذي ذكره له ابن العربي لم أقف عليه مذكورًا في الكتب التي ترجمت له، فيكون هذا الذي ذَكَرَهُ القاضي من فوائده التي تُلحق بترجمته، وسمعه منه ابن خير الإشبيلي، قال - رحمه الله -: «حدَّثني به القاضي أبو بكر بن العربي =

وقرأناه لجماعة لا يُحْصَوْنَ، والأَمْرُ مشهور في الدِّين، مُجْمَعٌ عليه من[1] العقلاء.

قال النبي في الصَّحيح: «الكبائرُ: الإشراك بالله، وقتل النفس التي حرَّم الله، وعُقُوقُ الوالدين»[2].

وذلك لأنه قَرَنَ شُكْرَهما بشُكْرِهِ، فقال: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان:١٣].

وقال أيضًا: «لن يجزي وَلَدٌ والدَه إلَّا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه»[3].

وقال: «رَغِمَ أَنْفُه، رَغِمَ أنفُه، رغم أنفه، قيل: من يا رسول الله؟ قال: من أدرك والدَيه عند الكِبَرِ؛ أحدهما/ أو كلاهما، ثمَّ لم يدخل الجنة»[4]. ٢ [١٠١/أ]

= رحمه الله، قال: أخبرنا أبو الحُسَين المبارك بن عبد الجبَّار الطُّيوري، عن الخلَّال مؤلفه»، فهرس ابن خير: (ص٣٤٤)، ونسب له محمد سزكين كتاب «الأمالي»، منه نسخة بظاهرية دمشق، ترجمته في: تاريخ بغداد: (٨/٤٥٤)، والسِّيَر: (١٧/٥٩٣-٥٩٥)، وتاريخ التراث العربي: (١/٤٨٠).

(١) في (ك) و(ص) و(ب): بين.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، رقم: (٥٩٧٧-طوق).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب العتق، باب فضل عتق الوالد، رقم: (١٥١٠-عبد الباقي).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب البر والصلة والآداب، باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة، رقم: (٢٥٥١-عبد الباقي).

وقال رجل: «يا رسول الله، من أحق بحُسْنِ صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك»[١].

وقال ﷺ: «إنَّ الله حرَّم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنع وَهَاتٍ، وكَرِهَ لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[٢].

وسئل النبي: أي الأعمال أفضل؟ قال: «الصلاة لوقتها، قيل: ثم أي؟ قال: بِرُّ الوالدين»[٣].

ورَوَى ابنُ عمر عن النبي قال: «خرج ثلاثة نفر يمشون، فأصابهم المطر فَأَوَوا إلى غار في جبل، فانحطَّت عليهم صخرة فأغلقت بابه، فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله بأفضل عَمَلٍ عملتموه، فقال أحدهم: اللهمَّ إنه كان لي أبوان شيخان كبيران، فكنت أخرج فأرعى، ثم أجيء فأحلب، ثم أجيء بالحِلَابِ أَبَوَيَّ فيشربان، ثم أسقي الصِّبْيَةَ وأهلي وامرأتي، فنَأَى بي الشَّجَرُ يومًا، فجئت وقد نامَا، فكرهتُ أن أُوقِظهما، والصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عند رِجْلِي، ولم يزل ذلك دَأْبِي ودَأْبَهما حتى طلع الفجر، اللهم إن كنت تعلم أنِّي فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فُرْجَةً نرى منها السماء، قال: ففرَّج عنهم، ثم قال الآخَر: اللهم إنك تعلم أنه كانت لي ابنةُ عَمٍّ أحبُّها كأشد ما

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة؟ رقم: (٥٩٧١-طوق).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن المغيرة رضي الله عنه: كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، رقم: (٥٩٧٥-طوق).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله رضي الله عنه: كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿ووصينا الانسان بوالديه﴾، رقم: (٥٩٧٠-طوق).

يحبُّ الرجال النساء، فقالت: لا ينال ذلك منها حتى نعطيها مائة دينار، فسَعَيْتُ فيها حتى جمعتها، فلمَّا قعدت بين رِجْلَيْها قالت: اتق الله، ولا تَفُضَّ[١] الخاتم إلا بحقِّه، فقمتُ وتركتها، فإن كنت تعلم أني فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فُرْجَةً، قال: ففرَّج الله عنهم الثلثين، وقال الآخَر: اللهم إن كنت تعلم أني استأجرتُ أجيرًا بفَرَقٍ من ذُرَةٍ، فأعطيته وأبى أن يأخذ، فعمدت إلى ذلك الفَرَقِ فزرعته حتى اشتريت منه بقرًا، ثم جاء فقال: يا عبد الله، أعطني حقي، فقلت: انطلق إلى تلك البقر ورُعَاتِها فخذها، فقال: أتستهزئ بي؟ قال: فقلت[٢]: ما أستهزئ بك، ولكنها لك، اللهم إن كنت تعلم أني فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فافرج عنا، فكشف عنهم»[٣].

٢ وحديثُ جُرَيْجٍ العظيم الصحيح؛ ورُوِيَ: «أن بني إسرائيل كان فيهم رجل يقال له جريج، يصلي، فجاءته/ أمُّه فدعته، فقال: أجيبها أو أصلي؟ [١٠١/ب] فقالت: اللهم لا تُمِتْهُ حتى تُرِيَه وجوه المُومِسَاتِ، وكان جريج في صومعته، فتعرَّضت له امرأة وكلَّمته فأبى، فأتت راعيًا فأمكنته من نفسها فولدت غلامًا، فقيل لها: ممَّن[٤]؟ فقالت: مِنْ جريج، فأتوه فهدموا[٥] صومعته، وأنزلوه وسَبُّوه، فتوضأ وصلَّى، وأتى الغلام فقال: من أبوك

---

(١) في (ص): تفضنَّ.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): قلت.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما: كتاب الأدب، باب إجابة دعاء من بَرَّ والديه، رقم: (٥٩٧٤-طوق).

(٤) قوله: «فقيل لها: ممَّن» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): فكسروا.

يا غلام؟ قال: الرَّاعي، قالوا: نبني صومعتك من ذهب، قال: لا، إلَّا من طين»[١].

قال الإمام الحافظ[٢]: فجمع الله بين إجابة دعاء الأم وبين براءة[٣] الابن، ولا خلاف في ديننا أن الأبوين إذا دَعَيَا الرجل وهو في الصلاة أنه لا يُجِيبُهما، ولكنه يُخَفِّفُ.

واختلف العلماء إذا دعا النبيُّ أحدًا في الصلاة، بعد اتفاقهم على وجوب إجابته؛ هل تبطل الصلاة ويستأنفها؟ أم يُجِيبُ وتبقى الصلاة محفوظة؟ وقد بيَّنَّاه في «مسائل الخلاف»[٤].

وصحَّ[٥] أن النبي قال: «من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل: وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسبُّ أبا الرجل فيسبُّ أباه، ويسبُّ أمَّه فيسبُّ أمَّه»[٦].

وأخبرني الطُّرْطُوشِي: «أنَّ البرامكة -على إلحادهم- لمَّا سُجِنُوا احتاج الأب إلى غُسْلٍ، فأخذ الابنُ الإناءَ وحَبَسَهُ على السِّرَاجِ اللَّيْلَ كلَّه حتى دَفِئَ، واغتسل به أبوه»[٧].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﵁: كتاب البر والصلة والآداب، باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة، رقم: (٢٥٥٠-عبد الباقي).

(٢) في (ك): قال الإمام الحافظ ﵁، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ب): قال الإمام القاضي ﵁.

(٣) في (ص): براءته.

(٤) ينظر: أحكام القرآن: (٨٤٦/٢)، والمسالك: (٣٧١/٢).

(٥) في (د): روي.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو ﵄: كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه، رقم: (٥٩٧٣-طوق).

(٧) ينظر: أحكام القرآن: (١٢٠٢/٣).

ومن أَرْشَقِ عبارة في الباب قَوْلُ بعض المشايخ: «إنَّ البَرَّ هو الذي لا يُضْمِرُ[١] الشرَّ، ولا يُؤْذِي الذَّرَّ».

وأخبرني بدمشق الشريف الزَّاهد أبو القاسم علي بن إبراهيم بن العباس بن الحُسَين، المعروف[٢] بابن[٣] أبي الجِنِّ[٤]، قال: أخبرني أبو نصر أحمد بن الحَسن بن الحُسَين الشِّيرَازِي داخل الكعبة - وكان حافظًا-: أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد بن [رِيذَةَ[٥]] الضَّبِّي الأصفهاني بأصفهان قراءةً: أخبرنا أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الحافظ الطبراني: حدَّثنا محمد بن خالد بن يزيد البَرْذَعِي بمصر: حدَّثني أبو سلمة

(١) في (د): يُضْمِر، ومرضها، وفي الطرة: يضهر، بضاد، ويجوز أن تكون: يظهر، وتُقرأ أيضًا: يضم.

(٢) قوله: «علي بن إبراهيم بن العباس بن الحسين المعروف» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): ابن.

(٤) الإمام الحافظ، الشَّريف أبو القاسم علي بن إبراهيم بن العباس بن الحسن بن السَّيِّد الرئيس أبي الجِنِّ حُسَين بن علي، من ذرية الإمام الحُسَين بن الإمام علي رضي الله عنهما، (٤٢٤-٥٠٨هـ)، كان مُحَدِّثًا نبيلًا، وثقة كريمًا، من أهل الأثر والرواية، ومن صدور أهل السنة والجماعة، وكان له اعتناء بالسماع والانتخاب، وحصَّل أصول نفيسة، أخذ عنه جماعة، ويروي ابنُ العربي من طريقه «المعجم الأوسط» لأبي القاسم الطبراني، ترجمته في: تاريخ دمشق: (٤١/٢٤٤-٢٤٧)، والسِّيَرِ للذهبي: (١٩/٣٥٨-٣٦٠).

(٥) في الأصول التي بين أيدينا: ربذة، وهو وهم، صوابه ما أثبت، وابن رِيذَة أحد رواة معاجم الطبراني، وتفرَّد في الدنيا بروايتها بعد شَاخَتِه، (٣٤٦-٤٤٠هـ)، ترجمته في: السِّيَرِ لابن الذهبي: (١٧/٥٩٥-٥٩٦)، وتبصير المنتبه لابن حجر: (٢/٦١٧).

عُبَيد بن خَلَصَة بمعرَّة النعمان: حدَّثنا عبد الله بن نافع المدني[١] عن المنكدر بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر بن عبد الله، قال: جاء رجل إلى النبي[٢] فقال: يا رسول الله، إن أبي أَخَذَ مالي، فقال النبي للرجل: ائتني بأبيك، فنزل جبريل على النبي فقال: إن الله يقرئك السَّلام، ويقول لك: إذا جاءك الشيخُ فاسأله[٣] عن شيء قاله في نفسه ما سمعته أذناه، فلمَّا جاء الشيخ قال له النبي: ما بَالُ ابنك يشكوك؟ أتريد أن تأخذ ماله؟ فقال:/ سَلْهُ يا رسول الله، هل أُنفقه إلَّا على إحدى عمَّاته أو خالاته أو على نفسي؟ قال[٤] النبي: إِيهٍ، دعنا من هذا، أخبرني عن شيء قُلْتَه في نفسك ما سَمِعَتْه أُذُنَاك، فقال الشيخ: والله يا رسول الله ما يزال الله يَزِيدُنا بك يقينًا، لقد قلتُ في نفسي شيئًا ما سَمِعَتْه أُذُنَايَ، فقال: قُلْ وأنا أسمع، قال: قلت[٥]:

غَذَوْتُكَ مولودًا ومُنْتُكَ يافعًا ... تُعَلُّ بما أجني عليك وتُنْهَلُ
إذَا ليلةٌ ضَافَتْكَ[٦] بالسقْمِ لم أَبِتْ ... لسقْمِكَ إلَّا ساهرًا أَتَمَلْمَلُ
كأنِّي أنا المطروقُ دونك بالذي ... طُرِقْتَ به دوني فعَيْنَايَ تَهْمُلُ
تخافُ الردى نفسي عليك وإنَّها[٧] ... لتعلم[٨] أن الموت حَتْمٌ مُؤَجَّلُ

---

(١) في (د): المُزَني.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): رسول الله.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): فسَلْه.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): فقال.

(٥) قوله: «قال: قلت» سقط من (د).

(٦) في (ك): طافتك.

(٧) في (ك): إننا.

(٨) في (ك): لنعلم.

فلمَّا بلغتَ السِنَّ والغاية التي ... إليها رجائي فيك كنتُ أُؤَمِّلُ

جعلتَ جزائي غِلْظَةً وفَظَاظَةً[1] ... كأنك أنت المنعمُ المُتَفَضِّلُ

فليتك إذْ لم تَرْعَ حقَّ أُبُوَّتِي ... فعلتَ كما الجارُ المجاور يفْعَلُ[2]

قال: فحينئذ أخذ النبي بتَلَابِيبِ ابنه، وقال: أنت ومَالُكَ لأبيك.

قال سليمان: «لا يُرْوَى هذا الحديث عن محمد بن المنكدر بهذا التمام والشعر إلَّا بهذا الإسناد، وتفرَّد به عُبَيد بن خَلَصَة[3]»[4].

[ذِكْرُ بِرِّ أَهْلِ وُدِّ الوالدين]:

ومن بِرِّ الوالدين صِلَةُ أهل وُدِّهِمَا؛ لِمَا صحَّ عن النبي أنه قال: «إن مِن أَبَرِّ البِرِّ أن يصل الرجل أهل وُدِّ أبيه»[5]، ورُوي عن عبد الله بن عمر أنه قال ﷺ: «رضى الرب في رضى الوالد، وسَخَطُ الرب في سخط الوالد»[6]، خرَّجهما الترمذي.

---

(١) في (ب): فضاضة.

(٢) الأبيات من الطويل، وتنوزع فيها، وهي لأمية بن الصلت أشهر، وهي في الحماسة: (٤٤١/١)، وفي ديوانه: (ص٤٣٠).

(٣) في (ص): نضلة.

(٤) المعجم الأوسط للطبراني: (٣٣٩/٦-٣٤٠)، والمعجم الصغير: (١٥٢/٢-١٥٣)، وما ذُكِرَ فيه من الشعر مُنْكَرٌ غير صحيح، ينظر: المقاصد الحسنة: (ص١٠١).

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه عن ابن عمر رضي الله عنهما: أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في إكرام صديق الوالد، رقم: (١٩٠٣-بشار).

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء من الفضل في رضا الوالدين، رقم: (١٨٩٩-بشار)، ورجَّح أبو عيسى وَقْفَه.

أخبرني الشَّريف أبو الحسن الشَّامي[١]: أخبرنا أبو محمد الجَوْهَرِي في كتابه[٢]: حدَّثنا[٣] أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى الوزير: أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البَغَوِي: حدَّثنا محمد بن عبد الوهاب[٤]: حدَّثنا عبد الرحمن بن الغَسِيل عن أُسَيْدٍ عن أبيه علي بن عُبَيد عن أبي أُسَيْدٍ - وكان بَدْرِيًّا[٥]- قال: «كنتُ عند النبي جالسًا، فجاء رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله، هل بقي من بِرِّ والديَّ من بعد موتهما شيء أَبَرُّهما[٦]؟ قال: نعم، تُصَلِّي عليهما، والاستغفار لهما، وإِنْفَاذُ عهدهما بعدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي/ لا رَحِمَ لك إلَّا من قِبَلِهما، فهو[٧] الذي يبقى عليك»[٨].

٢ [١٠٢/ب]

---

(١) هو الشريف ابنُ أبي الجن، وكنَّاه ابنُ العربي هنا بأبي الحسن، على ما اشتهر من تكنية من كان اسمُه عَلِيًّا بأبي الحسن، وكُنْيَتُه التي كُنِّيَ بها وارتضاها لنفسه هي: أبو القاسم، ونَسَبَه ابنُ العربي إلى الشام، وقد تقدَّمت ترجمته، ينظر: أحكام القرآن: (١٢٠١/٣)، وفيها: الشاشي، وهو تصحيف، صوابه: الشَّامِي.

(٢) لعله يعني: كتب أبي محمد الجوهري الحديثية، ويكون هذا الإسناد هو طريقه إلى كتب الجوهري، والحديث الذي أورده ابنُ العربي هنا في كتاب «حديث أبي الفضل الزهري»، وينظر في الذي بعده.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): أخبرنا.

(٤) في (ك): الوهاب.

(٥) في (ك): بَدَوِيًّا.

(٦) في طرة بـ (ك) :في خـ: أبرها.

(٧) في (ب): فهذا، وأشار إليه في (ك).

(٨) حديث أبي الفضل الزهري: (٦٤٩/٢)، رقم: (٧١٢).

ذِكْرُ بِرِّ المُعَلِّمِ:

وكما يَلْزَمُ بِرُّ الأبوين، كذلك يَلْزَمُ بِرُّ المُعَلِّمِين على المُتَعَلِّمِين؛ بأن يُقَبِّلُوا يَدَه، ويَمْشُوا إن رَكِبَ حوله، ويُعَظِّمُوا قَدْرَه، ويُعِينُوه في شُغْلِه، ويجعلوه قِبْلَتَهم، وينظروا إليه، ويَصْمُتُوا ويُصْغُوا ويتوقَّروا، ويستأذنُه في السؤال، ولا يحفظ زلَّته، ولا يطلب[1] عثرته[2]، ويستر[3] عورته، وينتظر فيئته، وهم بالحقيقة آكَدُ من الآباء في المَبَرَّةِ من وجه.

ومَرَّةً قَدِمَ علينا مدينة السَّلام حاجًّا سنة تسعين وأربع مائة القاضي أبو المُطَهَّرِ سعد بن عبد الله بن أبي الرَّجَاءِ، فكان فيما حدَّثنا عن أبي نُعَيْم الحافظ أنه قال: حدَّثنا[4] أبو علي محمد بن أحمد بن الحَسن[5]: حدَّثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة: حدَّثنا مِنْجَابٌ: حدَّثنا علي بن مُسْهِر عن رَزِينٍ[6] بَيَّاعِ الرُّمَّانِ[7] عن الشعبي قال: «أراد زيد بن ثابت أن يركب، فوضع رِجْلَه في الركاب، فأمسك له ابن عبَّاس، فقال له: تَنَحَّ يا ابن عَمِّ رسول الله، فقال: إنَّا هكذا نصنع بالعلماء والكبراء»[8].

---

(١) في (د): تطلب.

(٢) في (ك): غرته.

(٣) في (د): تستر.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): أخبرنا.

(٥) في (د): الحُسَين.

(٦) في (ك) و(د) و(ب): زِرِّ بن.

(٧) في (ك): الزماني، وفي (د): الرماني.

(٨) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة: (١١٥٤/٣)، رقم: (٢٩٠٧).

ذِكْرُ بِرِّ الشَّيْخِ المُسِنِّ:

وقد قال النبي صلَّى الله عليه: «ما أَكْرَمَ شابٌّ شيخًا لِسِنِّه إلَّا قيَّض الله له عند سِنِّه من يُكْرِمُهُ»(١).

قال علماؤنا: «في هذا الحديث تَنْبِيهٌ على أنَّ من أَكْرَمَ الأشياخ طال عُمْرُهُ، ومن قصَّر في حقهم وأهانهم قُصِفَ».

ذِكْرُ عائشة:

وهذه عائشة الصِّدِّيقَةُ من القانتات مع الخُلْطَةِ، ولكنها ممَّن عَرَتْها المِحْنَةُ للمِنْحَةِ(٢)، وبيَّن الله بأمرها أنه لا يخلو أَحَدٌ من البلاء؛ وربَّما كان في المحبَّة(٣) والولاء للأصفياء والأولياء، بل هو من أقوى أركانه وأعظم برهانه، قال ﷺ(٤): «أَشَدُّ الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل، فالأمثل»(٥).

وقد قال بعض الناس: «سئل النبي: أيُّ الناس أحب إليك؟ قال: عائشة(٦)، فكان ذلك سَبَبَ مِحْنَتِها، فأَخَذَ الله قَلْبَ رسوله عنها لحظة،

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، بابُ ما جاء في إجلال الكبير، رقم: (٢٠٢٢-بشار)، قال أبو عيسى: «هذا حديث غريب».

(٢) في (د): المحنة.

(٣) في (ص): المحنة.

(٤) في (ك): صلى الله عليه.

(٥) تقدَّم تخريجه.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن عمرو بن العاص رضي الله عنه: كتاب فضائل الصحابة، بابٌ، رقم: (٣٦٦٢-طوق).

وأخذ قَلْبَها عنه لحظة، حتى كان يدخل عليها فيقول: كيف تِيكُمْ؟ لا يقول: أهلي، ولا عائشة[١]»[٢].

وقالت هي لمَّا برَّأها الله: «بحَمْدِ الله لا بحَمْدِ أَحَدٍ»[٣]، قال الله سبحانه: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور:١١].

ووَجْهُ/ الخَيْرِ فيه[٤]: أنَّ الله جعل لها بكل ذِكْرٍ تُذْكَرُه[٥] دَرَجَةً في الجنة[٦] تُرْفَعُ لها، وثوابًا يُدَّخَرُ، وأنه جعل براءتها وحيًا يُتْلَى، وتبرئتها قرآنًا تكلَّم الله به، كما قالت هي ﵂: «ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلَّم الله في أمري بوَحْيٍ يُتْلَى، وإنَّما كنتُ أرجو أن يرى رسول الله رُؤْيا»[٧].

[٢/١٠٣/أ]

قال الله سبحانه: ﴿لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور:١٢]؛ عاتبهم على بَسْطِ ألسنتهم عليها، وتَرْكِهم الاحترام لحُرْمَةِ رسول الله ﷺ.

ثم قال: ﴿لَّوْلَا جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النور:١٣]، يعني بقوله: ﴿عِندَ اللَّهِ﴾: في عِلْمِه وحُكْمِه جميعًا، وهذا في شأن عائشة قطعًا، وفي غير عائشة يقول: إنهم الكاذبون عند الله في حُكْمِه، ولا يقول: في علمه، وقد بيَّنَّا ذلك في الآية في «أنوار الفجر» وغيرها.

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) لطائف الإشارات: (٢/٥٩٧).

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): منه.

(٥) في (د): تذكرة.

(٦) قوله: «في الجنة» سقط من (د) و(ص) و(ب).

(٧) سبق تخريجه.

ثم قال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ [النور:١٤]؛ أخبر أنَّ جُرْمَهم وإن كان عظيمًا فإنه داخلٌ في عظيم حِلْمِه، وأن الله ينتقم لأوليائه ما لا ينتقم لنفسه، فهؤلاء الكفار يقولون فيه ما يستحيل وجوده ولا يَحِلُّ ذِكْرُه، وهو يُعَافِيهم ويرزقهم، ولكن ما يتعلَّق به حقوق أوليائه -وخاصَّة رسول الله- فإنه عظيم عنده[1].

ثم قال: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ الآية، بالغ في الشكاية عنهم بما فعلوه من إذاية رسول الله وعائشة، وآل أبي بكر، وجميع المؤمنين.

ثم قال: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٥]، وحَقُّ المؤمن ألَّا يستعظم طاعة ولا يستصغر معصية، ولكن ينظر إلى من عَصَى ومن خالف وإلى أمر من ضيَّع، فقد قال العلماء: «إن يسير[2] الزلَّة إذا[3] لاحظها العَبْدُ بعين الاحتقار عَظُمَتْ وأحبطت كثيرًا من الأحوال، وقد يستحقر اليسير من الطاعة فيكون[4] فيها نجاته»[5].

ثم قال: ﴿لَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ [النور:١٦]، سَمَاعُ الغِيبَةِ مِثْلُ الغِيبَةِ؛ لأنه تَتْمِيمٌ لقصد القائل،/ [١٠٣/ب] وإبلاغٌ له أمله[6].

---

(١) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٥٩٨).

(٢) في (ص): أن يستر.

(٣) في (د): إذ.

(٤) في (ك): تكون.

(٥) لطائف الإشارات: (٢/٥٩٨-٥٩٩).

(٦) لطائف الإشارات: (٢/٥٩٩).

ثمَّ قال: ﴿سُبْحَانَكَ﴾، أي: تنزَّهت وتَعَالَيْتَ.

فإن قيل: وأيُّ تَسْبِيحٍ هاهنا للباري؟

قُلنا: فيه أعظم تسبيح وتقديس له، وذلك تنزيهُ فِرَاشِ[1] نَبِيِّه عن المعصية، وهو يتعالى ويتقدَّس عن أن يُدَنَّسَ[2] فِرَاشُ[3] رسوله.

قال ابن عباس مُعَلِّمًا لهذه المسألة ومُبَيِّنًا لهذا التوحيد حين سمع قول الله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم:١٠]، قال: «يعني: كَفَرَتَا، والله ما بغت امرأةُ نَبِيٍّ قطُّ»[4].

فيجب أن يقول القائل إذا سمع مثل هذا: ﴿سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾.

ثم قال: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [النور:١٧].

قال بعضُ المُفَسِّرِينَ: «تعلَّق بهذا قَوْمٌ في أن مَن بَسَطَ لسانه في عائشة بعد هذا لم يكن مؤمنًا بظاهر هذه الآية، ولَعَمْرِي إنَّ قائل ذلك مُرْتَكِبٌ[5] كبيرةً، ولا يخرج عن الإيمان بذلك»[6].

---

(١) في (ص): قرائن.

(٢) في (ص): تَدْنَسَ.

(٣) في (ص): قرائن.

(٤) تفسير الطبري: (٢٣/١١٢-التركي).

(٥) في (ب): لمرتكب.

(٦) لطائف الإشارات: (٢/٥٩٩).

قال الإمام الحافظ[(١)]: حاشا لله، بل هو كافر؛ لأنه كذَّب الله الذي برَّأها، والكفر يكون بوجهين:

أحدهما: أن يُكَذِّبَ الله.

الثاني: أن يَكْذِبَ على الله، على التفصيل المعلوم في «كُتُبِ الأصول».

فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ﴾ [التحريم:٥] الآية؟

قُلْنَا: هذه الآية نزلت حين اجتمع نساءُ رسول الله ﷺ في الغيرة عليه، فقال لهنَّ[(٢)] عمر: «عسى ربُّه إن طلقكنَّ أن يبدله أزواجًا خيرًا منكنَّ»[(٣)]، ولو طَلَّقَ كذلك كان يكون، ولكن سَبَقَ في عِلْمِ الله أنه لا يُطَلِّقُ، وأنه ليس هنالك خَيْرٌ منهن، فخرج الكلام على التقدير الممكن لا على ما أخبر به، وهي أحد التسعة المعاني التي وافق فيها عُمَرُ ربَّه، على ما بيَّنَّاه في «شرح الحديث»، وقد فَاتَتْهُ الموافقة في مسألتين بيَّنَّاهما في «شرح الحديث[(٤)]».

---

(١) في (ك): قال الإمام الحافظ رضي الله عنه، وفي (ص): قال الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ب): قال الإمام القاضي رضي الله عنه.

(٢) في (ص): له.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، سورة المتحرَّم، رقم: (٤٩١٦- طوق).

(٤) بعده في (د) لحق، ولم يظهر لي منه شيء، وكأنه ترجمة لما يأتي بعد، والله أعلم.

[طهارةُ نساء رسول الله ﷺ]:

وليس في نساء النبي نَقْصٌ ولا مَغْمَزٌ ولا مَغْمَصٌ[١] في شيء، وإنَّما هنَّ مسلمات مؤمنات، قانتات تائبات، عابدات سائحات، خَيِّرَاتٌ في جملة النساء.

[ذِكْرُ الحُورِ العِين]:

والخَيِّرَاتُ بالمطلق من الاسم[٢] هُنَّ الحُورُ العِينُ؛ فإنَّ الخير في الأصل/ هو النفع الذي لا ضُرَّ فيه[٣]، والحَسَنُ الذي لا قُبْحَ معه، والمُلَائِمُ الذي لا منافر له. ٢ [١٠٤/أ]

قال الله سبحانه: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن:٦٩]، وقد قدَّمنا صفاتهن في «المقامات»[٤]، عند ذِكْرِ الجنة وصفاتها.

وقال المُحَقِّقُونَ من المُفَسِّرِينَ: «إنَّ قوله: ﴿خَيْرَاتٌ﴾؛ إشارة إلى الأخلاق، وقوله: ﴿حِسَانٌ﴾؛ إشارة إلى الخَلْقِ[٥]»[٦].

فأمَّا الخَيْرُ في الشريعة فهو عبارةٌ عن كل شيء يزيد نفعُه على ضُرِّه، وضِدُّه الشَّرُّ؛ كل شيء زاد ضُرُّه على نَفْعِه، والمسألة عظيمة المَأْخَذِ، كثيرة

---

(١) في (ك): مغمض.

(٢) قوله: «من الاسم» سقط من (ص)، وفي (ك) و(ب): بالاسم.

(٣) في (د): معه.

(٤) في السفر الأوَّل.

(٥) بعده في (د): معًا.

(٦) لطائف الإشارات: (٥١٥/٣).

الخلاف، فَصْلٌ من فصول التعديل والتجوير[1] والصَّلاح والأصلح، رُكْنُ التوحيد في الأفعال، وقد جئنا فيه ببدائع في «كُتُبِ الأصول»[2].

* * * * *

(١) في (ص): التجويز.

(٢) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٤٤٧).

الخَيِّرُ[1]: وهو الاسمُ الثالث ومائة[2]

وحَقِيقَةُ الخَيِّرِ عند أهل السُّنَّةِ: من تفضَّل بِفِعْلِ الخَيْرِ[3]، وخَيْرُ المَوْجُودِينَ من تفضَّل بخير الأفعال.

والشِّرِّيرُ من تعدَّى بالشَّرِّ[4]، وشَرُّ الموجودين من تعدَّى بشَرِّ الأفعال.

وخَيْرُ الأفعال ما قَرَّبَ[5] إلى خير الموجودين، وشَرُّ الأفعال ما قرَّب إلى شَرِّ الموجودين، وقد بيَّنَّا ذلك في «كُتُبِ الأصول».

وإنَّما قلنا هذا كله لأنَّ الباري عندنا فاعلُ الخير والشر، لا فاعل غيره، ولا يقال: إنه شِرِّيرٌ، وهو خالق الظلم، ولا يقال: إنه ظالم[6].

وقالت القدرية: «إنَّ الخَيِّرَ من فَعَلَ الخَيْرَ، والشِّرِّيرَ من فَعَلَ الشَّرَّ».

ولَبَسَتْ بذلك على إلحاد عظيم، ولَبِسَتْ[7] منه بثَوْبٍ في التعطيل بَهِيم.

---

(١) في (ك) و(ص): والخير.

(٢) في (ك): الحادي والمائة، وفي (ص): الثالث والتسعون، وفي (ب): الثاني والتسعون.

(٣) المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٤٤٧).

(٤) المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٤٤٧).

(٥) في (ص): قَرُب.

(٦) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٢٩٦).

(٧) في (د): تردت.

قال أبو المظفر الإسفرايني[١]: «الدَّلِيلُ على صحة ما قُلْنَا أَنَّ الدليل قد قام على أَنَّ الباري خالق الأسقام والآفات والجوائح، ولا يقال: إنه شِرِّير، والمسلمون يقتلون الكفار ويَسْتَرِقُّونَهم ولا يكونون بذلك شِرِّيرِين، لمَّا لم يكونوا مُتَعَدِّين، ولكن قد جرى في عُرف الناس أن الخَيِّرَ منهم[٢] من فَعَلَ الخَيْرَ، والشِّرِّير منهم من فَعَلَ الشَّرَّ».

فإذا قلتموه فحَقِّقُوه، واعلَمُوا قَدْرَه ونَزِّلُوه على الاعتقاد الصحيح؛ لئلَّا تَضِلُّوا بموافقة المبتدعة على ما صاروا إليه من النِّحْلَةِ الفاسدة.

٢ فالخَيِّرُ منكم هو المُمْتَثِلُ لِمَا حُدَّ له، والشِّرِّيرُ هو المُتَعَدِّي لما حُدَّ له، فمن كان باطنُه خَيِّرًا في أخلاقه وظاهرُه خَيِّرًا في أفعاله فهو الخَيِّرُ/. [١٠٤/ب]

وقد قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠].

رُوي في الحديث[٣] الصحيح: «كاد الخَيِّرَانِ أن[٤] يَهْلَكَا - يعني: أبا بكر وعمر -؛ رَفَعَا صوتهما عند النبي حين قَدِمَ عليهما رَكْبُ بني تَمِيم، فأشار أحدُهما بالأَقْرَع بن حَابِسٍ أخي بني مُجاشِع، وأشار الآخَرُ برَجُلٍ آخَرَ، فقال نافع: لا أحفظ اسمه، فقال أبو بكر لعُمَرَ: ما أَرَدْتَ إلَّا خِلَافِي، قال: ما أَرَدْتُ، فارتفعت أصواتُهما في ذلك؛ فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ [الحجرات:٢] الآية، قال ابن الزبير: فما كان عُمَرُ يُسْمِعُ رسولَ الله بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه، يعني: أبا بكر»[٥].

---

(١) في (ك) و(ب): الإسفراني.
(٢) في (د): عندهم.
(٣) سقط من (ك).
(٤) سقط من (ك) و(ص).
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن أبي مُلَيكة: كتاب التفسير، الحجرات، رقم: (٤٨٤٥-طوق).

وقال عمر بن الخطاب: «أبو بكر سَيِّدُنا وخَيِّرُنا وأَحَبُّنا إلى رسول الله»[١].

وروى الترمذي عن النبي: «ما طَلَعَتِ الشمسُ على رَجُلٍ خَيْرٍ من عُمر»[٢].

وقال ﷺ[٣]: «خَيْرُ نساءٍ رَكِبْنَ الإبل نساءُ قُرَيْشٍ؛ أَحْنَاهُ على وَلَدٍ في صِغَرِه، وأَرْعَاهُ على زَوْجٍ في ذَاتِ يَدِه»[٤].

وقال ﷺ[٥]: «خَيْرُ الناس قَرْنِي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، قال عِمْران بن حُصَين[٦]: ولا أعلمُ أَذَكَرَ الثَّالِثَ أو لا»[٧]، وذَكَرَ الحديث.

وقال: «خَيْرُ الناس رَجُلٌ مُمْسِكٌ بعِنَانِ فَرَسِه في سبيل الله، كلَّما سمع هَيْعَةً طار إليها»[٨].

وقال: «يُوشِكُ أن يأتي على الناس زَمَانٌ يكونُ خير مال المسلم فيها غنم يتبع بها شَعَفَ الجبال ومواقع القَطْرِ؛ يَفِرُّ بدينه من الفتن»[٩].

---

(١) سَلَفَ تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٣٦٨٤-بشار)، ضعَّفه أبو عيسى.

(٣) في (ك): صلى الله عليه.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب فضائل الصحابة، بابٌ من فضائل نساء قريش، رقم: (٢٥٢٧-عبد الباقي).

(٥) في (ك): صلى الله عليه.

(٦) قوله: «قال عمران بن حُصَين» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٧) سَلَفَ تخريجه.

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط، رقم: (١٨٨٩-عبد الباقي).

(٩) سلف تخريجه.

وفي النسائي وغيره: أن النبي قال لفاطمة بنت قيس: «أمَّا معاوية فغُلَامٌ من غلمان قريش، لا شيء له، وأمَّا الرجل الآخَرُ فإنه صاحب شَرٍّ لا خَيْرَ فيه»(١)، وإنَّما أراد: صَاحِبَ شَرٍّ لأهله لا خير فيه لهم، وهو أبو جَهْمٍ، بدليل قوله في حديث آخَرَ: «وأمَّا أبو جَهْمٍ فلا يَضَعُ عصاه عن عاتقه»(٢).

وفي النسائي أيضًا: عن النبي أنه قال: «إنَّ الدنيا كلها متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»(٣).

قال الإِمَامُ(٤): لِـمَا في صلاحها من الخصال؛ إذ فوائدُ النكاح معلومة، وقد قدَّمنا جُمْلَتَها(٥)، وصلاحُ المرأة يجمعها، وبصلاحها لا تكون من أعدائه؛/ فيجتمعُ له بذلك قَضَاءُ الشَّهْوَةِ وحُصُولُ الدِّينِ. ٢ [١٠٥/أ]

وقال: «خَيْرُكم خَيْرُكم لأهله»(٦).

وقال: «خَيْرُ دُورِ الأنصار دُورُ بني النَّجَّار، ثم دُورُ بني عبد الأشهل، ثم بني الحارث بن ساعدة، وفي كل دور الأنصار خَيْرٌ»(٧).

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى: كتاب النكاح، إذا استشارت المرأة رجلًا فيمن يخطبها هل يخبرها بما يعلم؟ رقم: (٥٣٣٢-شعيب).
(٢) تقدَّم تخريجه.
(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى عن عبد الله بن عمرو ﵄: كتاب النكاح، المرأة الصالحة، رقم: (٥٣٢٥-شعيب).
(٤) في (ك) و(ب): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي ﵁، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي ﵁.
(٥) في (ص): جُمَلَها.
(٦) تقدَّم تخريجه.
(٧) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي أُسَيْدٍ ﵁: كتاب مناقب الأنصار، باب فضل دُورِ الأنصار، رقم: (٣٧٨٩-طوق).

وقال في مكة: «إنَّكِ لخَيْرُ بلاد الله، وأحبُّ بلاد الله إلى الله، ولولا أنِّي أُخرجتُ منك ما خرجتُ»(١).

وقال ﷺ: «والذي نفس مُحَمَّدٍ بيده لغِفَارُ وأَسْلَمُ ومُزَيْنَةُ ومن كان من جُهَيْنَةَ - أو قال: جهينة، ومن كان من مُزَيْنَةَ - خَيْرٌ عند الله يوم القيامة من أَسَدٍ وطَيِّءٍ وغَطَفَانَ»(٢).

وقال النبي ﷺ(٣): «تكُونُ فِتْنَةٌ القاعدُ فيها خَيْرٌ من القائم، والقائم خَيْرٌ من الماشي، والماشي خَيْرٌ من السَّاعي»(٤)، وذَكَرَ الحديث.

وذكر الخوارج فقال: «يخرجون على خَيْرِ فِرْقَةٍ»، ورُوِي(٥): «على حين فُرْقَةٍ من الناس»(٦).

وسن الحديث الصحيح المليح الثابت: قال أبو هريرة(٧): «إنَّ رسول الله وقف على ناس جُلُوسٍ فقال: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بخَيْرِكُمْ من شَرِّكُمْ؟ قال:

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه عن عبد الله بن عدي بن حمراء رضي الله عنه: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب في فضل مكة، رقم: (٣٩٢٥-بشار).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم ودَوْس وطَيِّءٍ، رقم: (٢٥٢١-عبد الباقي).

(٣) في (ك): صلى الله عليه.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه عن سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه: أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، بابُ ما جاء تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، رقم: (٢١٩٤-بشار).

(٥) في (ك) و(ب): يخرجون على حين فُرقة، ورُوي: على خير فِرقة من الناس.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم: (١٠٦٤-عبد الباقي).

(٧) بعده في (ك) و(د): قال، وفي (ص): أنَّ أبا هريرة قال.

فَسَكَتُوا، فقال ذلك ثلاث مرَّات، فقال رجل: بلى يا رسول الله؛ أخبرنا بخَيْرِنا من شرِّنَا، قال: خَيْرُكُمْ من يُرْجَى خَيْرُه ويُؤْمَنُ شرُّه، وشَرُّكُمْ من لا يُرْجَى خَيْرُه ولا يُؤْمَنُ شَرُّه»[1].

ومن حديث عمر بن الخطاب: «ألا أخبركم بخِيَارِ أمرائكم وشرارهم؟ خِيَارُهم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتدعون لهم ويدعون لكم، وشِرَارُ أمرائكم الذين تُبغضونهم ويُبْغِضُونَكُمْ، وتلعنونهم ويلعنونكم»[2].

ورَوى عليٌّ بن أبي طالب[3]: «إنَّا لجلوس مع رسول الله في المسجد؛ إذ طَلَعَ مُصْعَبُ بن عُمَيْرٍ، ما عليه إلَّا بُرْدَةٌ له مَرْقُوعَةٌ بفَرْوٍ، فلمَّا رآه رسول الله بكى للذي كان فيه من النعمة والذي هو فيه اليوم، ثم قال رسول الله: كيف بكم إذا غَدَا أحدُكم في حُلَّةٍ وراح في حُلَّةٍ، ووُضِعَتْ بين يديه صَحْفَةٌ ورُفِعَتْ أُخرى، وسَتَرْتُمْ بيوتكم كما تُسْتَرُ الكعبة، قالوا: يا رسول الله، نحن يومئذ خَيْرٌ منَّا اليوم؛ نتفرَّغ للعبادة، ونُكْفَى المَؤُونَة، فقال رسول الله ﷺ: أنتم اليوم/ خَيْرٌ منكم يومئذ»[4]، حديث حَسَنٌ. [١٠٥/ب] ٢

ورَوَتْ أمُّ مَالِكٍ البَهْزِيَّةُ قالت[5]: «ذَكَرَ رسولُ الله فِتْنَةً فقرَّبها، قالت:

(١) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٢٢٦٣-بشار).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٢٢٦٤-بشار)، ضعَّفه أبو عيسى.

(٣) في (د): رُوي عن علي بن أبي طالب أنه قال.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٢٤٧٦-بشار).

(٥) في (ص) و(ب): قال.

قلتُ: يا رسول الله، من خَيْرُ الناس فيها؟ قال: رَجُلٌ في ماشيته يؤدي حقَّها ويعبدُ ربَّه، ورَجُلٌ آخِذٌ بعِنان فَرَسِه يُخِيفُ العدوَّ ويُخيفونه»(١).

[تفسيرُ الخير الذي ورد في النصوص المتقدمة]:

فأمَّا قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠]؛ ففي البخاري عن أبي حازم عن أبي هريرة في قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قال: «خير الناس للناس؛ يأتون بهم في السَّلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام»(٢).

وهذه إشارة إلى ما مَنَّ الله به من إحلال الغنائم لنا، فيأتي بالأَسْرَى في رِقٍّ ورِفْقٍ، حتى يحملهم ذلك على الإيمان، وكم من مُسْلِمٍ حَنِيفِيٍّ عَالَمٌ لا يُحْصَى لهم عَدَدٌ كان في الدين بهذه الحالة، ومَن كان قَبْلَنا إنَّما كان القَتْلُ مَحْضًا.

وأمَّا قوله: «كاد الخَيِّرَانِ أن(٣) يهلكا(٤)»؛ يعني: أبا بكر وعمر؛ فإن الهلاك لا يليق بهما ولا يُنسب إليهما، وإنَّما عنى القائل لذلك -ابنُ أبي مُلَيكة- نزولهما عن مرتبتهما التي أنزلهما فيه رسول الله ويسَّرها الله لهما؛ من قوة الإيمان، ولزوم الاستقامة، والمحافظة على الحدود، والعمل بعَلِيِّ

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء كيف يكون الرجل في الفتنة؟ رقم: (٢١٧٧-بشار)، ضعَّفه أبو عيسى.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب التفسير، سورة آل عمران، رقم: (٤٥٥٧-طوق).

(٣) سقط من (ك) و(ص).

(٤) في (ك) و(د): يهلكان.

الأعمال في كل الأحوال، ولا يناسب ذلك الاختلاف عند النبي؛ فإنه لا ينبغي عند النبي التنازع، إذ[١] التنازع إنما يكون عند الجهل، ولا جَهْلَ بحضرته؛ فإنه يَنْبُوعُ العلم.

ورَفَعَا أصواتهما بمجلسه فكان ذلك[٢] مخالفًا للتوقير، وسكت على ذلك النبي لعِلْمِه بحُسْنِ نِيَّتِهما وسلامة طَوِيَّتِهما، وأنَّهما أرادَا الخير، ولكن فَاتَهما في قَصْدِ الخير إتيانُ التنازع ورَفْعُ الصوت نسيانًا، فحذَّرهما الله عن الوقوع في مثل ذلك بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات:٢]، ونَبَّهَهُما على ما كَانَا غافلين عنه غير مُتَعَمِّدَيْنِ له، فحَقَّقَ عُمَرُ التوبة ولَزِمَ الإنابة، فكان لا يُكَلِّمُه بعد ذلك إلَّا كأَخِي السِّرَارِ.

٢ وفي هذه الآية فوائدُ منها: أنه شرَّفهم بالإيمان في ابتداء المخاطبة، ثم أعلمهم بعد ذلك ما ألزمهم؛ وذلك ألَّا يتقدَّموا بين يَدَي رسول الله/ [١٠٦/أ] بأَمْرٍ، وأن يَقِفُوا حيث وَقَفَ بهم النهي والأمر، وأن يرفعوا[٣] إليه ما هو إليه، ولا يبتدئون من ذات أنفسهم شيئًا، ولا يُنْشِؤون[٤] معنًى، ولا يسوقون لفظًا، فيكون على رَسْمِ الاقتداء والاتباع، لا في سبيل الابتداء والابتداع[٥].

---

(١) في (د): إذا.

(٢) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٣) في (ك) و(ص): يُرجعوا.

(٤) في (ك): ينشرون.

(٥) ينظر: لطائف الإشارات: (٣/٤٣٧).

ثُمَّ أكَّد عليهم الخطاب في لزوم الآداب؛ بألَّا يرفعوا[١] فوق صوته صوتًا، ولا يرقبون[٢] له وقتًا، ولا يقصدون غير سَمْتِه سَمْتًا، ولا يحملهم بَسْطُه لأخلاقه معهم ومؤانسته[٣] لهم على أن يُسَاوُوهُ في الخطاب، ولا يُعلنوا بحضرته في الكلام[٤].

[فضائلُ أبي بكر الصديق رضي الله عنه]:

وأمَّا قَوْلُ عمر: «أبو بكر سيدنا وخَيْرُنا»[٥]؛ فصِدْقٌ.

أمَّا «السَّيِّدُ» فقد تقدَّم بيانُه.

وأمَّا خَيْرُه فلم يكن[٦] أنفع للدين منه، ربَّى الإسلام -أوَّلًا- بتصديقه دون غيره[٧].

الثاني: بعَضْدِه للنبي وتأنيسه له.

الثالث: بخروجه عن ماله.

الرابع: بدعائه للأصحاب[٨]؛ فأَسْلَمَ على يَدَيْه جملة وافرة.

الخامس: بفِدائه الأسرى.

---

(١) في (ك): يرفعون.

(٢) في طرة بـ (د): في خـ: يرقبوا.

(٣) في (ك): مواسته.

(٤) ينظر: لطائف الإشارات: (٤٣٧/٣).

(٥) تقدَّم تخريجه.

(٦) بعده في (د) لَحَقٌ لا يظهر منه كبير شيء، فقط حرف واحد، وفوقه علامة صح، والله أعلم.

(٧) في (د): ربى الإسلام أوَّلًا، الثاني: بتصديقه دون غيره.

(٨) في (د): الأصحاب.

السَّادس: بصحبته(١) في الغار.

السَّابع: بالمسابقة في الهجرة على سائر الصحابة.

الثامن: بحُسْنِ الصحبة من غير هَفْوَةٍ.

التاسع: بسَعَةِ(٢) العلم والمعرفة.

العاشر: بحُسْنِ الخلافة بعد النبي.

الحادي عشر: بأن كل من قُدِّمَ خليفة أو نُصِّبَ عاملًا في مَائِهِ جرى الدِّينُ، وعلى منواله حَاكَ جميعُ المسلمين.

الثاني عشر: استخلافُه عمر.

الثالث عشر: جَمْعُ القرآن.

الرابع عشر: صَرَامَتُه في الرِّدَّةِ؛ حتى شدَّ من الإسلام العُقْدَةَ، ولهذا لمَّا وُزِنَ بجميع الأمة رَجَحَهم.

وأمَّا قوله: «وأَحَبُّنَا إلى رسول الله»؛ فلم يُحِبَّ رسولُ الله من الرجال محبته لأبي بكر، ولا من النساء محبته لعائشة، قال عَمرو بن العاصي: «من أحب إليك يا رسول الله؟ قال: عائشة، قلت: من الرجال؟ قال: أبوها»(٣)، وقال النبي فيه لعمر: «هل أنتم تاركون(٤) لي صاحبي(٥)؟»(٦)، وقال: «لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكنْ أُخُوَّةُ الإسلام»(٧).

---

(١) في (ك) و(ص): بالصحبة.

(٢) في (د): لسعة.

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): تاركوا.

(٥) في (د): أصحابي.

(٦) تقدَّم تخريجه.

(٧) تقدَّم تخريجه.

٢ [١٠٦/ب]

وأمَّا حديث الترمذي في قوله: «ما طلعت الشمس على رجل خير من عُمر»[(١)]؛ فإنه يعني: بعد أبي بكر؛ لأنه من حسنات أبي بكر./

وأمَّا خيريته صلى الله عليه[(٢)] لنساء قريش فقد بيَّنها بقوله: «أحناه على وَلَدٍ»[(٣)]، إلى آخِرِ الحديث.

وأمَّا قوله: «خَيْرُ القرون قَرْنِي»[(٤)]؛ فإنه لكذلك، فإنه ليس من فضيلة ولا خصلة إلَّا وهم إليها أسبق، وبها أحق، وهي فرقة لا تُدانى ولا تُلْحَقُ، وأمَّا من ظنَّ أن ذلك بسبقهم في الزمان فقد أخطأ؛ فإنما سبقوا في الفضائل حين سبقوا، أو لا ترى أن زمانهم آخر الأزمنة وهم خير أمة؟ فليس للزمان في ذلك حَظٌّ، والذي جاء بعدهم أَحَطُّ منهم، لما فاتهم من مرتبتهم، وكذلك الدِّينُ يضعف حتى يذهب، ويَحُولُ حتى يزول.

وأمَّا قوله ﷺ: «خَيْرُ الناس رَجُلٌ مُمْسِكٌ بعِنَانِ فرسه في سبيل الله»[(٥)]؛ فظنَّ بعضهم أن ذلك عند فساد الزمان، وليس ذلك إلَّا في كل حال، فإنه لا يَعْدِلُ عَمَلٌ الجهادَ في سبيل الله.

فإن قيل: إلَّا ذِكر الله؛

قلنا: لا يمنع الجهادُ من ذِكرِ الله؛ فَرَجُلٌ يذكر الله في الجهاد خَيْرٌ من رجل يذكره في غير الجهاد.

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): ﷺ.

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) تقدَّم تخريجه.

(٥) تقدَّم تخريجه.

وأمَّا قوله ﷺ[١]: «خَيْرُ مال المسلم غَنَمٌ[٢]»[٣]؛ فإنَّ المال خير في الجملة، لما فيه من المنفعة الدنيوية في إقامة النفس، والدينية في تَوْفِيَةِ الحقوق، ويختلف ذلك بالأزمان والأحوال والأعيان، فقد يأتي زَمَانٌ تكون فيه العزلة خيرًا من الصحبة، ويكون خير مال المسلم أحله أكلًا، وأقله شُغْلًا، وأخفه مَؤُونَةً؛ غُنَيْمَةٌ في شَعَفِ جَبَلٍ، أو على عُيَيْنَةِ مَاءٍ يكون معها، ويَعْبُدُ الله فيها ومنها.

وأمَّا قوله ﷺ: «خَيْرُكم خَيْرُكم لأهله»[٤]؛ فإنَّ النفع إن كان محمودًا ففي الأهل أولى، وفي القرابة أحرى، حتى إن الصدقة على الأهل أفضل من الصدقة على الأجانب؛ كانت فرضًا أو تطوعًا، إلَّا أن يكون مِن أهلك مَن تلزمك نفقته، فلا تَحِلُّ له صدقتك لما تدفع به عن نفسك ما[٥] لَزِمَك له، وإذا لم تلزمك نفقتُه فادفعها إليه.

فإن قيل: يخاف المحمدة؛

٢ قلنا: لا بد من[٦] أن يُحْمَدَ الرجل على ما فَعَلَ من الخير، ويجوز له [١٠٧/أ] أن يُحِبَّ الحَمْدَ على ما فَعَلَ من الخير، وإنَّما المذموم أن/ يُحِبَّ أن يُحْمَدَ بما لم يَفْعَلْ.

---

(١) قوله: «ﷺ» لم يرد في (ك) و(ص) و(ب).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): غنمًا.

(٣) تقدَّم خريجه.

(٤) تقدَّم تخريجه.

(٥) في (ك) و(ص): ممَّا.

(٦) سقطت من (ك) و(ب).

وإذا خرج الرجل بصدقته إلى ذَوِي رَحِمِه فقد فَعَلَ خَصْلَتَيْنِ عظيمتين؛ أدَّى الذي عليه، ووَصَلَ رَحِمَه، وقد بيَّنَّا ذلك في كتاب «الأحكام»[١]، وذَكَرْنَا فيه نَصَّ النبي عليه السَّلام[٢].

وقد تَأَيَّمَتْ أمُّ سَلَمَةَ من أبي سلمة، فقال لها النبي: «قُولِي: اللَّهم اجُرني في مصيبتي، وأَبْدِلْنِي خيرًا منها، فقلتُ: ومَن خَيْرٌ من أبي سلمة؟ أوَّل بيت هاجر إلى رسول الله، ثم إني قُلْتُها فأَخْلَفَ الله لي رسولَ الله ﷺ[٣]»[٤].

[المفاضلةُ بين دُورِ الأنصار]:

وأمَّا مفاضلة النبي بين الدُّورِ من الأنصار فبأسباب بَيِّنَةٍ وخَفِيَّةٍ، فيها تطويلٌ كثير، بيانُها في «أنوار الفجر»، والجملة التي تدلكم على هذا بأن تجمعوا مَشْيَخَةَ الأنصار وتَرُدُّوهُمْ إلى آبائهم، ثم تنظروا في خصالهم، فتجدون خِصَالَ من قدَّم النبيُّ أكثر وأكبر من خصال من أخَّر؛ ممَّن سبق إلى الإيمان وكان له أَثَرٌ حميد في عَضْدِ النبي والمواساة، وإنَّما ينفع السبق في الزمان مع السبق في الخصال، ألا ترى إلى قول النبي ﷺ في الصحابة:

---

(١) أحكام القرآن: (١/١٤٥-١٤٦).

(٢) الإشارة هنا إلى حديث: «لهما أجران، أجر القرابة وأجر الصدقة»، أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين، رقم: (١٠٠٠-عبد الباقي).

(٣) في (ك): صلى الله عليه.

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: كتاب الجنائز، جامع الحسبة في المصيبة، (١/٢٨١)، رقم: (٦٣٨-المجلس العلمي الأعلى).

«لو أنفق أحدُكم مثل أُحُدٍ ذَهَبًا كلَّ يَوْمٍ ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَه»[١]، ومن شَرَفِ بني النجَّار الذي تقدَّم كَوْنُهم[٢] آباءَ النبي ورَهْطَه.

[المفاضلةُ بين مكة والمدينة]:

وأمَّا قوله في مكَّة: «إنَّك لخَيْرُ بلاد الله»[٣]؛ فقد بيَّنَّاه في «مسائل الفقه»[٤]، ورجَّحنا بين مكَّة والمدينة، والله أعلمُ بذلك.

وأمَّا تفضيله بين القبائل العربية فكتفضيله بين الدُّورِ الأنصارية حرفًا بحَرْفٍ.

[ليس في شيء من الفتنة خير]:

وأمَّا قوله في الفتنة: «القاعدُ فيها خَيْرٌ من القائم»[٥]؛ فليس في شيء من الفتنة خَيْرٌ، ولكنه عبَّر عن الأقل إِثْمًا بأنه خَيْرٌ من الأكثر إثمًا، وقِلَّةُ الإثم بالإضافة إلى كثرته خَيْرٌ كثير.

[عَلِيٌّ وفِرْقَتُه خَيْرٌ من مُعَاوِيَةَ وفِرْقَتِه]:

وأمَّا قوله في[٦]: «الخوارج يخرجون على خير فِرقة»؛ فقد رُوي فيه: «على حين فُرقة»[٧]، وأنا أقول: إنهم خرجوا في وقت فُرقة، وعلى[٨] خير

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) في (ص): أنهم.

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) ينظر: المسالك: (٧/١٩٥).

(٥) تقدَّم تخريجه.

(٦) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٧) تقدَّم تخريجه.

(٨) سقط من (د)، وفي (ب): ولا على.

فِرقة[١]، فعَلِيٌّ وفِرْقَتُه خَيْرٌ من معاوية وفِرْقَتِه، وكُلٌّ مجتهد، وقد بيَّنَّا حالهم في كتاب «العواصم» وغيره.

وأمَّا تفسيره صلى الله عليه[٢] لخيارنا من شرارنا فمقبول مُمْتَثَل، وصحيحٌ عليه ينبغي أن يعوَّل، وبه فليعتَمَلْ.

٢ [١٠٧/ب] وأمَّا حديثُ «الأُمَرَاءِ»[٣] فهو وإن لم يكن صحيح السَّنَدِ إنَّه لصحيح/ المعنى.

وأمَّا قوله في حديث مصعب بن عمير: «أنتم اليوم خَيْرٌ منكم حينئذ»[٤]؛ فصَدَقَ صلَّى الله عليه[٥] من وجهين:

أحدهما: حياته، وهي خَيْرٌ من الدنيا، وزمانُها خَيْرُ الأزمنة.

الثاني: أنَّ الدنيا إذا فُتِحَتْ والأموال إذا كَثُرَتْ انتشرت الفتن، وتغيَّرت القلوب، وتقاطعت الأرحام، وتنافس الخلق وتقاتلوا، وذهبت الأديان، وتَضَافَرَ الخَلْقُ على المعصية، وتعاونوا على الإثم والعدوان، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، واشتروا به ثمنًا قليلًا من الدنيا، وهم عن الآخرة هم غافلون؛ يغترُّون[٦] بما أمدَّهم الله به من مال وبَنِينَ، وصحة

---

(١) قوله: «فقد رُوي فيه: على حين فُرقة، وأنا أقول: إنهم خرجوا في وقت فُرقة، وعلى خير فِرقة» سقط من (ص).

(٢) في (د) و(ص): ﷺ.

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) في (ب) و(ص): ﷺ.

(٦) سقطت من (ك).

ونعيم، وتَأَتِّي آمَالٍ، وصلاح أحوال، وظهور إقبال، وطمع[١] في غرور، وتَمَنٍّ على الله، ولله تعالى عاقبة الأمور[٢].

وأمَّا قوله: «خيركم من يُرْجَى خيره ويُؤْمَنُ شرُّه»[٣]؛ فقد تقدَّم في قوله: «المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»[٤].

وقال النبي[٥] ﷺ[٦]: «المؤمن القوي خَيْرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كُلٍّ خَيْرٌ، احرص على ما ينفعك، واستعن به ولا تعجز، وإن أصابك شَيْءٌ فلا تقل: لو أنِّي فعلتُ كان كذا وكذا، ولكن قُلْ: قَدَرُ الله وما شاء فعل، فإنَّ لو تفتح عَمَلَ الشيطان»[٧]، خرَّجه مسلم وحده، وهذا لفظُه.

وأَصْلُ الخير الإيمانُ، ومنتهاه الولاية، وما بينهما درجات، وبمقدار ما يكون فيه من الطاعة والقُرْبَةِ[٨] يكون فيه من الخير، وفي الحديث

---

(١) في (ك) و(ب): أو طمع.

(٢) قوله: «تضافر الخلق .. عاقبة الأمور» تأخَّر في (ك) و(ب) و(ص) إلى ما بعد اسم «المُتَّقِي».

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) لم يرد في (ك).

(٦) في (ك): صلى الله عليه.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب القدر، بابٌ في الأمر بالقوة وترك العجز، رقم: (٢٦٦٤-عبد الباقي).

(٨) في (ك): المعرفة، وفي (ص): الفرقة، وهو تصحيف.

المتقدم: «أخرجوا من النار مَن في قلبه ذَرَّةٌ من خير»[1]، وهي أقل ما يُجْزِئُ من الإيمان والتوحيد، بالإضافة إلى ما وراءه، ولا خير إلَّا بالتقوى.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

(١) سبق تخريجه.

المُتَّقِي[١]: وهو الاسمُ الرَّابع ومائة[٢]

والتقوى[٣] مقامٌ عظيمٌ، واسمٌ كريمٌ، وبابُ الجنة المُشْرَعُ، وإلى الله المرجعُ، وبيانُها قد سبق في هذا الكتاب وغيره، وأنَّها تَفْعِلَةٌ، مِنْ وَقَى يَقِي، إذا اتَّخذ وِقَايَةً، وهي الستر، وهاهنا نكتة بديعة بيَّنَّاها في «أنوار الفجر»؛ لُبَابُها:

إنَّ الله خَلَقَ العَبْدَ على الفطرة، وسلَّط عليه الشيطان، وخَلَقَ فيه الشهوة، وأمره ونهاه، وحذَّره وبصَّره، وقدَّر عليه ما قدَّره، وجعل له العقل[٤]/ فخذله أو نصَره، ونبَّهه على أن يجعل بينه وبين النار حجابًا، فالشهوة تجذبه إليها، والعقل يردُّه عنها، والشيطان يُغويه، والمَلَكُ يُرْشِدُه، والربُّ يُدَبِّرُه، والقضاء ينفذُ عليه، وقضاءُ الله لا يُعَارَضُ أَمْرُه بالاحتراس والاختتال[٥] والاحتيال[٦]، والاجتناب واتخاذ الوقاية، فإنه قضى على كل أَحَدٍ بما قضى، وجعل العمل علامة على ما يستقبل وعلى ما مضى، قال

٢ [١٠٨/أ]

---

(١) سقط من (ك) و(د) و(ص).

(٢) في (ك): الثاني والمائة، وفي (ص): الرابع والتسعون، وفي (ب): الثالث والتسعون.

(٣) قبلها في (ك) و(ص): الشريف، وفي (ب): هو اسم شريف.

(٤) في (ك): في خـ: الفعل.

(٥) في (ك) و(ب) و(ص): الامتثال.

(٦) سقط من (ك) و(ب) و(ص).

النبي ﷺ لأصحابه: «فَرَغَ ربكم، قالوا: فيم العمل؟ قال: اعملوا، فكُلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له، أمَّا من كان من أهل السعادة فَسَيُيَسَّرُ لعمل أهل السَّعادة، وأمَّا من كان من أهل الشقاوة فَسَيُيَسَّرُ لعمل أهل الشقاء[١]، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ [الليل:٥-١٠]»[٢].

إذا ثَبَتَ هذا فعليه يَجْرِي الأمرُ في ذلك والنهيُ والابتلاء، ومنه يكون التحفظ والاتقاء، وإنَّما تتخذ الوقاية من جهة المخافة، والوجوهُ المَخُوفَةُ وأسبابُ المخافة لا حدَّ لها، إلَّا أن العلماء قالوا: إنَّ ذلك ينحصر فيما نبَّه عليه في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ﴾ [الحجر:٤٣-٤٤]، فأخبر تعالى أن الجنة لها ثمانية أبواب، وأن النار لها سبعة أبواب[٣]، فعلى العبد أن يستفتح أبواب الجنة ويُغْلِقَ أبواب النار.

وقد تسلَّط على هذه الأبواب[٤] الخَلْقُ، واتَّسَعَ لهم فيها الخَرْقُ، وما تكلَّم أَحَدٌ منهم عليها بحَقٍّ، وأشدهم في ذلك شَكِيمَةً وأعظمهم خطأً المُفَسِّرُونَ[٥]، وأعداهم بعد ذلك الغُلَاةُ من الصوفية.

---

(١) في (ك): الشقاوة.

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) قوله: «وأن النار لها سبعة أبواب» سقط من (د).

(٤) في (د) و(ب) و(ص): تسلَّط الخلقُ على هذه الأبواب.

(٥) ينظر: الكشف والبيان: (٥/٣٤٢-٣٤٣).

قال المُفَسِّرُونَ عن النبي ﷺ: «لجهنم سبعة أبواب؛ بابٌ منها لمن سلَّ سيفه على أمة مُحَمَّدٍ في المعاندة، وعلى أمة مُحَمَّدٍ في أَكْلِ أموالهم، وإراقة دمائهم، وأخذ أعراضهم»[١].

وقال ابن جُرَيج: «﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾، أي: طباق، أوَّلها: جَهَنَّمُ، ثم لَظَى، ثم الحُطَمة، ثم السَّعير، ثم سَقَر، ثم الجحيم، ثم الهاوية، والجحيم هو الذي فيه أبو جَهْلٍ»[٢].

وقال الرَّبيع بن أنس: «الهاوية هي التي لا يخرج منها أَحَدٌ دَخَلَها»[٣].

٢ [١٠٨/ب]

وقال ابنُ جريج: «هي دَارُ آلِ فرعون»[٤]./

وقالوا[٥] عن ابن عباس: «إنَّ[٦] الجنات سبعٌ[٧]؛ [جنة] الفردوس، وجنة النعيم، وجنة المأوى، وجنة عَدْنٍ، وجنة الخُلْدِ، وجنة الحُسْنَى، ودار السَّلام»[٨].

---

(١) في جامع الترمذي: «لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سَلَّ السيف على أمتي، أو قال: على أمة مُحَمَّدٍ»، أبواب التفسير عن رسول الله ﷺ، بابٌ ومن سورة الحجر، رقم: (٣١٢٣-بشار)، وضعَّفه، ويأتي تضعيفُ ابن العربي له.

(٢) الهداية: (٣٨٩٩/٦).

(٣) الهداية: (٣٨٩٩/٦).

(٤) الهداية: (٣٨٩٩/٦).

(٥) مرَّضها في (د).

(٦) سقطت من (ك) و(ب) و(ص).

(٧) بعده في (د) علامة اللحق، ولا يظهر منه شيء.

(٨) الهداية: (٣٩٠٣/٦).

وقالت الصوفية: «إنَّ الجنة لها ثمانية أبواب، ومفتاحها[١] فاتحة الكتاب، وفيها ثمانية معاني؛ هي تَحُلُّ غَلَقَ الأبواب، ذاتٌ، صفاتٌ، أفعالٌ، الصراطُ المستقيم، التزكية، التخلية[٢]، ذِكْرُ نِعَمِ الله على الأولياء وغَضَبُه على الأعداء»[٣]، إلى آخِرِ كلامهم.

قال الإمام الحافظ[٤] رضي الله عنه: وهذا كُلُّه تَعَدِّي على القرآن، وعلى الشريعة، وعلى العلم، وطريقُ الحق فيه:

أنه ثبت في الكتاب العزيز أن لجهنم سبعة أبواب، وثبت عن النبي ﷺ أن للجنة ثمانية أبواب، ولم يصل إلينا العِلْمُ بوجه التَّعْدِيدِ، ولا نَقَلَهُ مُحَقِّقٌ ولا مُتَخَرِّصٌ، ولا صَحَّ تسميةُ الأبواب بإضافةٍ إلى معنًى يُعْرَفُ بها كلُّ باب منها إلَّا في أبواب الجنة خاصَّة، فإنه وَرَدَ في صحيح الحديث[٥] أن النبي ﷺ قال: «من أَنْفَقَ زوجين في سبيل الله نُودِيَ من أبواب الجنة الثمانية، أي فُلْ، هذا خير فادخل، فمن كان من أهل الصلاة دُعِيَ من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعِيَ من باب الريَّان[٦]»[٧].

---

(١) في (د): مفاتحها.

(٢) في (ص): التحية.

(٣) ينظر: قانون التأويل: (ص٢٣٦)، وهو قول الإمام أبي حامد الطوسي.

(٤) في (د): قال القاضي أبو بكر رحمه الله.

(٥) في (د): الصحيح، وفي (ص): الصحيح من الحديث.

(٦) في (د): الصيام.

(٧) تقدَّم تخريجه.

وتكلَّم أربابُ التأويل من الفقهاء والمُحَدِّثين على تَعْيِينِ بَقِيَّتِها، فقال القائلون منهم: «وباب الحج، وباب الجهاد، وباب العدل، وباب التوبة»[١]، وقد بيَّنَّا في «قانون التأويل»[٢] و«الأنوار» وغير ذلك: أن الحَزْرَ والظن والقياس لم يُجَوَّزْ لنا إلَّا في باب الأحكام التي المطلوب منها العمل، فأمَّا ما خرج عن الأحكام فليس للقياس فيه مدخل، حتى قال علماؤنا من الأصوليين: «ولا لخَبَرِ الواحد»[٣]، ولَسْتُ أقول به، بل أَقْضِي بالخبر الواحد الصحيح في الشريعة كُلِّها؛ أَحْكَامِها، وكُلِّ ما أَخْبَرَتْ عنه من أمر الدنيا والآخرة والسماوات والأَرَضِينَ[٤].

ولو جئنا لنتكلَّم بالظن لكان لقَائِلٍ أن يقول: إن الفاتحة سَبْعُ آيات، كل آية تُغْلِقُ بابًا من النار.

وإذا انغلقت دون صاحبها أبوابُ النار لم يَبْقَ إلَّا دخول/ الجنة، إذ هما دَارَانِ لا ثالث لهما. [٢/١٠٩/أ]

وقد عدَّد أقوامٌ[٥] أبوابَ النار فقالوا: «إنها سبعة أبواب[٦]؛ باب الشِّرك، باب الإثم، باب الفساد، باب العدوان، باب الفحشاء، باب المنكر، باب البغي[٧]»[٨]، لا جَعَلَنَا الله ممَّن يدخل على باب العُدْوَانِ بالتَّعَدِّي على الحديث والقرآن؛ فإنه أشد أنواع العدوان.

---

(١) قانون التأويل: (ص٢٣٨).

(٢) قانون التأويل: (ص٢٣٩).

(٣) البرهان: (٥٩٩/١).

(٤) في (ك) و(ص): الأرضون.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): قوم.

(٦) سقط من (ك) و(ب) و(ص).

(٧) في (ك) و(ب) و(ص): باب المنكر والبغي.

(٨) قانون التأويل: (ص٢٣٨).

وقد قالوا: «إن أبواب النار السبعة الجوارح السبع[١]؛ السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس، واللسان، والقلب»[٢].

وما يُرْوَى عن ابن جُرَيْجٍ إنَّما مبناه على أن جَعَلَ الباب عبارةً عن النوع، ولم يجعله عبارةً عن المدخل والمخرج، وكان يحتمل ما قال لو كان بنَصٍّ، ولو جاء بهذه الصيغة[٣]؛ وهي: «وإن جهنم لموعدهم أجمعين، وهي سبعة أبواب»، أي: أنواع ودَرَكَاتٍ.

فأمَّا وقد قال: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾؛ فإنه محمول على الباب الذي هو المدخل والمخرج[٤]، كما تقول: لهذه الدَّارِ بَابَانِ، أو عشرة، ولم يثبت كما قدَّمنا في أبواب الجنة والنار شيءٌ إلَّا ما قدَّمناه من الحديث الصحيح في أبواب الجنة؛ بتقديرها[٥] ثمانية أبواب، وبتعيين أربعة منها.

وأمَّا أبوابُ النار فلم يَرِدْ[٦] فيها حديث صحيح، إلَّا أنه أَسْنَدَ الأئمة إلى ابن عمر - منهم: الترمذي - حديثًا، قال النبي ﷺ: «لجهنم سبعة

---

(١) قوله: «الجوارح السبع» سقط من (ك) و(ب) و(ص).

(٢) ينظر: الإحياء: (ص١٩١٩).

(٣) في (ك): الصفة.

(٤) قوله: «وكان يحتمل ما قال لو كان بنَصٍّ، ولو جاء بهذه الصيغة؛ وهي: وإن جهنم لموعدهم أجمعين، وهي سبعة أبواب، أي: أنواع ودركات، فأمَّا وقد قال: لها سبعة أبواب؛ فإنه محمول على الباب الذي هو المدخل والمخرج» سقط من (ب).

(٥) في (ص): بتعديدها، وفي (د): بتقريرها.

(٦) في (ص): يُرْوَ.

أبواب[١]، منها: باب لمن سلَّ السَّيْفَ على أمتي»[٢]، لا زيادة، وباقي ما يقال في ذلك اعتداء.

[استقراءُ وتَتَبُّعُ كلمة التقوى في آيِ القرآن]:

أَمَا إنَّ الطريق المستقيم معلوم، والطاعات والمعاصي معلومة، ومنزلة التقوى شريفة، وهي تتناول رُكْنَي الأمر والنهي، كما أشرنا إليه، وها نحن نُورِدُ عليكم القول فيها على سَرْدِ القول في «الأنوار» من[٣] الاستيفاء والإستيعاب[٤]، فنقولُ:

قد ذَكَرَها الله نصًّا في كتابه في نَحْوٍ من مائة وتسعين موضعًا، ووقعت بالمعنى فيما لا يُحْصَى:

الأوَّل: قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[٥]

في وصف القرآن العظيم.

قال علماؤنا: يعني به: بيانًا[٦]، صار وِقَايَةً عن الشك والشرك والنفاق والمحرَّمات، وتضييع المفروضات، والعصمة من العقوبات.

[٢/١٠٩/ب] وقال آخرون منهم: جعله الله هُدًى لمن/ وَقَاهُ بالنُّورِ ظُلْمَةَ الجهل، واستخلصه للقَبول، فكان كتابًا للأولياء وشفاءً[٧]، وللأعداء عمًى وبَلَاءً[٨].

---

(١) قوله: «لجهنم سبعة أبواب» سقط من (ص).

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) في (ص): في.

(٤) في (ك) و(ب) و(ص): الإيعاب.

(٥) [البقرة:١].

(٦) لطائف الإشارات: (١/٥٥).

(٧) في (ك) و(د) و(ص): شفاءً.

(٨) لطائف الإشارات: (١/٥٥).

وقال آخرون: جَعَلَهُ الله هُدًى لخواصِّ عَصَمَهُمْ بها[١]؛ فاتقوا رؤية تقواهم[٢]، فلم يَرَوا نجاةً إلَّا بفضل مولاهم.

وفي معناه أنشدُوا:

وَرَدَ الكتابُ بما أَقَرَّ الأَعْيُنَا ... وشفى القلوب فنِلْتُ غايات المُنى

وتقسَّم الناسُ المسرَّة بينهم ... قِسَمًا فكان أجلُّهم حظًّا أنَا[٣]

وكما قال شيخُنا أبو الحسن علي بن عبد الرحمن الأديب نزيل الثَّغْرِ[٤]:

وَرَدَ الكتابُ فكان أحسنَ واردٍ ... عندي وأنفسَ قادمٍ ألقاهُ

لا شيءَ أنفسُ منه مُهْدٍ[٥] جامعًا[٦] ... شَمِلَ المُنَى إلَّا الذي أهداهُ[٧]

الثاني: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾[٨] إلى قوله[٩]: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١٠].

---

(١) في (د): به. (٢) في (د): تقواه.

(٣) البيتان من الكامل، وهما لأبي القاسم غانم بن أبي العلاء الأصفهاني، ذكرهما له الثعالبي في أحسن ما سمعت: (ص١٠٤)، وفي اليتيمة: (٣/٣٢١).

(٤) لم أقف له على ترجمة.

(٥) في (ص): عندي، وفي (د): هَدْيًا.

(٦) في (ص): جائيًا.

(٧) البيتان من الكامل، ونسبها في خريدة القصر: (٢/٨٠٣) من جملة أبيات لأبي الحسن ابن أبي البشر.

(٨) [البقرة:٢٠].

(٩) لم يرد في (ك) و(ب).

(١٠) في (ص): ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾.

وهو اتخاذ الوقاية بالعبادة، وقد قدَّمنا بيانها، وهي التوحيد بالقلب، وإفراد الله بالقصد، والاستسلام للحُكْمِ، والاعتراف بالتبرِّي.

وقال بعضهم: «الوقاية فيه التجرد عن المحظورات، والتجلد في أداء الطاعات، ومقابلة الواجبات بالخشوع والاستكانة، والتجافي عن منازل الكسل والاستهانة، وهذا على طريق التقريب لهم بمَنِّه، فيما اعتقده العبدُ بعيدًا بظَنِّه»[١].

الثالث: قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾[٢]

المعنى: إن لم تقدروا على المعارضة للمعجزة فاتخذوا[٣] عن العذاب وِقَايَةً بالإقرار بمُحَمَّدٍ[٤] ﷺ؛ فإنَّ ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ﴾ المكذبون به ﴿وَٱلْحِجَارَةُ﴾، وإذا كانت تلك النار لا تثبت لها الحجارة مع صلابتها فكيف يُطِيقُها[٥] الناس مع ضعفهم[٦]؛ على معنى التأكيد في الوعيد.

فلمَّا أشفقت نفوس الأولياء وأشرقت قلوب المؤمنين على الهَلَكَةِ من الخوف قال: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[٧].

(١) لطائف الإشارات: (١/٦٧).
(٢) [البقرة:٢٣].
(٣) في (د): فا تخذوه.
(٤) في (د): لمحمد، وأشار إليه في (ك).
(٥) في طرة بـ (ك): في خـ: يطيقونها.
(٦) لطائف الإشارات: (١/٦٩).
(٧) لطائف الإشارات: (١/٦٩).

وقد[١] قال بعضهم: «هي حِجَارَةٌ من كِبْرِيتٍ»[٢].

وهي دَعْوَى لا برهان لها[٣].

الرابع: قوله: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾[٤]

يعني: في كتمان أمر مُحَمَّدٍ ﷺ، وفي أخذ الرشوة على التلبيس في تبديل صفاته المنصوص عليها في التوراة، بعد أن قال: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾، في نقض الميثاق والخَيْسِ[٥] بالعهد، أي: أَفْرِدُونِي بالخشية لانفرادي بالقدرة، وكَثِيرٌ من[٦] يتَّقي العقوبة، وعَزِيزٌ من يَتَّقِي منه الاطلاع والرؤية.

الخامس: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ﴾[٧]

أي: صدَّقوا بطهارة سليمان من المعاصي وعَمَلِ السِّحْرِ، واتقوا/ مع الافتراء على سليمان العمل بالفِرْيَةِ؛ لكانت المثوبة لهم دون العقوبة، فكانوا يؤثرون الإقبال على الله وطاعته[٨] وتنزيه رُسُلِه على اشتغالهم [١١٠/أ] ٢

---

(١) سقط من (د).

(٢) تفسير الطبري: (١/٣٨١-شاكر).

(٣) في طرة بـ (ك): في خـ: عليها.

(٤) [البقرة:٤٠].

(٥) في (ب): الخين.

(٦) في (ك): في خـ: ممن.

(٧) [البقرة:١٠٢].

(٨) في (د): وعلى الطاعة.

بحُظُوظٍ ضعيفة من الدنيا، ولكن نَكَسَتهم سَطَاوَةُ[1] القهر؛ فأسكنتهم في مواطن الهجر[2]، وسبق عليهم القلم[3] بالكفر[4].

السَّادس: قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً﴾[5]

كَرَّرَه في موضعين متقاربين في تحذير قَوْمٍ مخصوصين، نبَّههم لإقامة الحُجَّةِ عليهم باتخاذ الوقاية من أهوال ذلك اليوم، وقد بيَّنَّا فيما سبق «مقاماته»[6]، ونبَّهنا على وِقَايَاتِها في «الأسماء»، فإن أردت أن تُعِيدَها هاهنا على رَسْمِ إملاءِ «الأنوار» فافْعَلْ.

وقد بيَّن الله تعالى أن الأعداء لا يُقْبَلُ منهم شيء، فأمَّا الأولياء فقد قيل لهم: «اتقوا النار ولو بشِقِّ تمرة»[7]، وقد دخل فيها[8].

---

(١) في (د) و(ص): سطوة.

(٢) في (ك): الهجرة.

(٣) في (ص): العلم.

(٤) ينظر: لطائف الإشارات: (١/١١١).

(٥) [البقرة:٤٧].

(٦) في السِّفْرِ الأوَّل من «السراج».

(٧) سبق تخريجه.

(٨) في طرة بـ (ك): فيه، وصحَّحها.

السَّابعُ والثامنُ[١]: قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ إلى أن قال في آخِرِ الخصال: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[٢]؛

فذكر[٣] الخصال التسعة التي نبَّهنا على كل[٤] خصلة منها في «الأسماء[٥]»، وهي أُصُولٌ لغيرها، ورُتِّبَ اسمُ «التقوى» عليها.

وأوَّلها: ألَّا يقصد بتَوَجُّهِه مشرقًا ولا مغربًا ولا جنوبًا ولا شمالًا إلَّا الله[٦]، وإنَّما البِرُّ أن يتوجهوا إلى الذات الكريمة وإلى الله العظيم والجهات المعيَّنات[٧] لأهل الأقطار في العبادات، والصَّرْفُ إلى بُقْعَةٍ مخصوصة من المحلَّات ليس إلَّا لقَمْعِ النفس عن الاسترسال في التصرفات؛ حتى ترتاض بالكَسْرِ عن الشهوات.

وما ذُكِرَ في هذه الآية من فنون الإحسان، وفضائل الإيمان، وتصفية الأعمال، وصلة الأرحام، والتمسك بالذِّمَم، والوفاء بالعهود، ومراعاة الحدود؛ أَمْرٌ عظيم الخطر، محمود[٨] في الشرع، والمقصودُ

---

(١) في (ك) و(د) و(ب).
(٢) [البقرة:١٧٦].
(٣) في (د): وذكر.
(٤) سقط من (ص).
(٥) في (ص): أسماء، ومرَّضها.
(٦) قوله: «إلا الله» لم يرد في (ك) و(ب) و(ص).
(٧) في (ك): في خـ: المعظَّمات.
(٨) في (ك) و(ب) و(ص): محبوب.

بذلك كله[١] تطهيرُ القلب، وتخليص العمل، والمواظبة على الخِدْمَةِ، والاعتراف بالتقصير[٢].

التاسع: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٣]

شَرَعَ الله القصاص ونَدَبَ إلى العَفْوِ، فالذي يَسْتَوْفِي حقَّه عابدٌ، والذي يعفو حُرٌّ مُحْسِنٌ[٤]، والدماءُ المطلولة في إعلاء كلمة الله والنُّفُوسُ الزاهقة في طاعة الله هي التي يُقال فيها - شِعْرٌ -:

وإنَّ فؤادًا رُعْتَه لَكَ حَامِدٌ   وإنَّ دمًا أجريتَه بك فاخرُ[٥]

والحياةُ في استيفاء القصاص بَيِّنَةٌ على ما أوردناه في «قِسْمِ الأحكام»[٦]، وحَظُّ هذا «القسم الرابع» من ذلك: أنَّ ترك القصاص أَعْظَمُ الحياة؛ لأنه إذا تَلِفَ فيه فهو/ الخَلَفُ عنه، وحياته عنه أتمُّ له من بقائه بنفسه، وإذا كان الوارث عنهم هو الله فالخَلَفُ عنهم هو الله، فيقال: الخَلَفُ أَعَزُّ مِن حياة مَن ورد عليه التلف[٧]. ٢ [١١٠/ب]

---

(١) سقط من (د) و(ب) و(ص).

(٢) لطائف الإشارات: (١٤٩/١).

(٣) [البقرة:١٧٨].

(٤) لطائف الإشارات: (١٥٠/١).

(٥) البيت من الطويل، وهو للمتنبي في ديوانه: (٣١١/١) وهو مقلوب، وصوابه:

وإنَّ دمًا أجريتَه بك فاخرٌ   وإنَّ فؤادًا رُعْتَه لَكَ حَامِدٌ

وورد كما هو في المتن عند أبي القاسم القُشَيري في لطائف الإشارات: (١٥٠/١).

(٦) أحكام القرآن: (٦٠/١-٦٩).

(٧) لطائف الإشارات: (١٥١/١).

فَأَهْلُ الأحكام: الحياةُ عندهم قَطْعُ الذريعة لبقاء النفوس في الدنيا.

وأَهْلُ الذكرى: الحياةُ عندهم طَلَبُ العِوَضِ من المولى.

العاشر: ﴿ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾[١]

قد بيَّنَّا في «الأحكام»[٢] حَظَّ هذه الآية منها بغاية الإتقان والإحكام.

فأمَّا أَهْلُ الذكرى فتقواهم بأنهم نبذوا الدنيا، فلا مال عندهم يبقى بعدهم فتنفذ فيه وصيتهم، ولا ورثة لهم إلا في إيمانهم وعلومهم، فالعلماء ورثة الأنبياء.

تصدَّق عَوْنُ بن عبد الله بجميع ماله فقيل[٣] له: «وبَنُوكَ؟ قال: أولادي؛ أمَّا من يتقي[٤] الله منهم[٥] فإن الله لا يُضَيِّعُه، وأمَّا من يعصيه فأنا بريء منه»[٦].

وتصدَّق عمر بن عبد العزيز بجميع ماله فقال له فلان: «ماذا خلَّفت لأولادك؟ قال له: قدَّمت مالي لنفسي، وادَّخرت الله لأولادي، فما رُئِي عُمَرِيٌّ فقيرًا أبدًا[٧]».

---

(١) [البقرة:١٧٩].

(٢) أحكام القرآن: (١/٦٩-٧٤).

(٣) في (د) و(ب) و(ص): قيل.

(٤) في (د) و(ب): يتق.

(٥) سقطت من (ك) و(د) و(ب).

(٦) ينظر: حلية الأولياء: (٤/٢٤٢).

(٧) سقط من (ص).

ولمَّا لَقِيَ الرَّشيدُ هارونُ بُهْلُولَ[1] المجنون، فجرى بينهما الحديث الطويل[2] المسطور في كتاب «عُقَلاء المجانين»، فقال له: «لو اشتغلت بالعلم كان أفضل لك من التخلي للعبادة؟ قال[3] له: وماذا فاتني منه؟ قال[4] له هارون: فَاتَكَ أَفْضَلُه، قال له بهلول: وما هو؟ قال: الفرائض، قال له بهلول: فما[5] يخفى عليَّ منها مسألة واحدة، قال له هارون: فما تقول في رَجُلٍ مات وترك زوجَه وبنته وأُمَّه وعَصَبَتَه؟ قال[6] له[7] بهلول: وهل تخفى هذه الفريضة على أَحَدٍ له قَلْبٌ! للأم الثُّكْلُ، وللبنت اليُتْمُ، وللزوجة خَرَابُ البيت، والباقي للعَصَبَةِ»[8]، فهذا رَجُلٌ نَبَذَ الدنيا واستهلك نفسه في الله تعالى.

وفي معناه أنشدُوا[9]:

أُحِبُّكَ ما إن دُمْتُ حيًّا[10] فإن أَمُتْ ... يَوَدُّكَ عَظْمِي في التُّرَابِ رميمًا[11]

---

(١) في (ك) و(د) و(ص): لبهلول.
(٢) سقط من (د).
(٣) في (د): فقال.
(٤) في (د): فقال.
(٥) في (د): وما.
(٦) في (د): فقال.
(٧) سقط من (ص).
(٨) عقلاء المجانين للحسن بن حبيب: (ص١٦٠).
(٩) البيت من الطويل، وهو في لطائف الإشارات للقشيري: (١/١٥١)، وحلية الأولياء: (١٠/٣٧٠)، أنشده أبو بكر الشِّبْلِي، وفيها:
يحبك قلبي ما حييت فإن أمت ... يحبك عظم في التراب رميم
(١٠) في (ص): ما دامت حياتي.
(١١) تأخَّر هذا البيت عن الذي يتلوه في (ب).

وأنشدوا:

لـه قلبـي ومـا غَـصَبَهْ[1] وجـسمي لابـسٌ وَصَـبَهْ

وللعَبـرة أجفـاني ومـا يبقـى فَلِلْعَـصَبَهْ[2]

وقيل لبعضهم: ما تقول في الموت؟ فقال:

٢ [١١١/أ]

أَمَّـا الرُّسُـومُ فمُخْبِـرَاتٌ أنهـم رحلـوا قريبَـا

رجعوا إلى أوطانهم فجرى لهـم دمعـي صَـبِيبَا[3]/

فكل من وفَّى التقوى حقَّها الأَوْلَى[4]، نَبَذَ كلَّ الدنيا ورجع بكُلِّه إلى المولى.

الحادي عشر: قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[5]

قد تقدَّم حَظُّ بيانِ «الأحكام»[6] منها، فأمَّا حَظُّ هذا[7] «القِسْمِ الرَّابع» فعلى ثلاثة أحوال:

---

(١) في (ك) و(ب): عصبه.

(٢) لم أقف عليهما، وهما من مجزوء الوافر.

(٣) البيتان من مجزوء الكامل، وهما في لطائف الإشارات: (١/١٥١).

(٤) سقطت من (ك) و(د) و(ب).

(٥) في (ك) و(ب) و(ص): ﴿كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم﴾ [البقرة:١٨٢].

(٦) أحكام القرآن: (١/٧٤-٨٥).

(٧) سقط من (ك) و(د) و(ب).

الأولى[١]: صَوْمُ اللسان عن الباطل، قال النبي ﷺ[٢]: «من لم يَدَعْ قول الزور والعمل به فليس لله حاجةٌ في أن يدع طعامه وشرابه»[٣].

الثانية: صَوْمُ اللسان عن اللغو؛ فإنه إذا مُنِعَ من[٤] الطعام والشراب وهو مباح فكذلك يُمْنَعُ من اللَّغْوِ[٥]، بل أولى؛ لأنه مكروه في كل حال، وبالصوم[٦] يزيد كراهية.

الثالثة: صَوْمُ القلب عن الآفات، وهي في الصوم أشد؛ فإنها ثانية الزُّورِ في القول.

الرَّابعة: صوم القلب عن الغفلات.

الخامسة: «صوم الإنسان عمَّا سوى الله، حتى لا يفطر إلَّا على رؤية الله»[٧]، وهذه من غُلُوِّ[٨] الصوفية، وتعجز عنها القوة البشرية، وغاية مقصد الصوم تضعيف القوة عن الشهوات، فلا ينبغي أن يزاد عليه.

الثاني عشر: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[٩]

بيَّن تعالى محظورات الصوم، فوقع فيها من وقع، فرَفَقَ بهم وغيَّر

---

(١) في (ك) و(ب) و(ص): الأوَّل.

(٢) في (ك): صلى الله عليه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) لم ترد في (ص).

(٥) في (د): التغويل، وفي(ص): اللعن، وهما تصحيف.

(٦) في (د): في الصوم.

(٧) لطائف الإشارات: (١/١٥٣).

(٨) في (د): غلواء.

(٩) [البقرة:١٨٦].

العبادة لشرفهم بسببهم، وسَمَحَ عمَّا مضى لهم وحذَّرهم، والقصة طويلةٌ بيانُها في «الأحكام»[١].

الثالث عشر: قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾[٢]

قد بيَّنَّا في «التفسير»[٣] حظَّها.

وأمَّا هذا «القِسْمُ»: فالمفهوم منه في الذِّكْرِ أنه ليس المراعاةُ مُخْتَصَّةً بالظواهر، بل المقصود منها مراعاة صفاء السرائر[٤]، وظاهر الأمر ليس البِرُّ فيما ترونه بعقولكم، إنَّما البِرُّ ما يُشرع لكم في حدودكم، فاتقوا ذلك وذَرُوا ما ترونه[٥] بآرائكم، ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فيما سوى ذلك، وهو **الرابع عشر**.

الخامس عشر: قوله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[٦]

أي: في الزيادة في جانب الانتقام، والرِّبَا[٧] في استيفاء الحقوق، ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟﴾ أنكم إذا اتَّقيتم ذلك فإن الله معكم بالنُّصْرَةِ[٨]، لقوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١٩٣]، وناهيك بهذا شَرَفًا، وهو **السَّادس عشر**.

---

(١) أحكام القرآن: (١/٨٩-٩٦).
(٢) [البقرة:١٨٨].
(٣) أحكام القرآن: (١/٩٨-١٠١).
(٤) لطائف الإشارات: (١/١٥٩).
(٥) في (ص): تروه.
(٦) [البقرة:١٩٣].
(٧) في (ك): الرياء.
(٨) لطائف الإشارات: (١/١٦٢).

٢

[١١١/ب] **السَّابع عشر: قوله/:** ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[١]

ذَكَرَ تعالى من المناسك جُمْلَةً، ورتَّب فيها أحكامًا، وأمرهم أن يتقوا فيها التبديل والزيادة والنقصان بالتغيير، كما كانوا فَعَلُوا بِمِلَّةِ إبراهيم، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فإنَّ عقابه شديد، وأَشَدُّ ما يكون عقابُه لمن اكتسب المناسك بجوارحه وقَلْبُه عنها لاهٍ، حسب ما بيَّنَّاه في اسم «الحَاجِّ»[٢].

الثامن عشر: قوله: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾[٣]

وقد تقدَّم بيانه في اسم «الحَاجِّ».

ثم أكَّد ذلك بالموضع **التاسع عشر، فقال:** ﴿وَاتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي الْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة:١٩٦].

قال أهل الذِّكْرَى: معناه: أن يأتيني أَحَدٌ ببَدَنِه دون قَلْبِه.

المُوَفِّي عشرين: قوله: ﴿لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾[٤]

قيل: لا إثم عليه في هذا الذي أَذِنَّا له فيه؛ إن اتَّقى ما لم نَأْذَنْ له فيه.

---

(١) [البقرة:١٩٥].
(٢) في السِّفْرِ الثاني من السراج.
(٣) [البقرة:١٩٦].
(٤) [البقرة:٢٠١].

وقيل: إن اتَّقى الذنوب في الحج فيكون مبرورًا[١].

وقيل: لمن اتَّقى فيما يستقبل[٢]، فإنه يلقى الله ولا إثم عليه؛ لأن ما سبق يخبر[٣] أنه لا إثم عليه فيه[٤]، فإن اتقى فيما يستقبل لَقِيَ الله مُجَرَّدًا عن الآثام.

الحادي والعشرون: قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾[٥]

قيل: إنه تأكيد.

وقيل: إنه لما يستقبَل، والأوَّل لما مضى.

الثاني والعشرون: قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾[٦]

تقدَّمت في «الأحكام»[٧]، وهذه الآية إخبارٌ من الله للمُتَكَبِّرِ بجهله، الشَّامِخ بأنفه، المُتَرَفِّع من غير سَبَبٍ على جنسه، يقول: مِثْلِي يُذَكَّر، مِثْلِي[٨] يؤمَر، أنا من ذلك أكبر[٩]، فهو يعتز[١٠] بما لا يحل، وعِزَّةُ العبد إنَّما هي بالتواضع، على ما بيَّنَّاه في اسمه[١١].

---

(١) الهداية: (٦٧٥/١).

(٢) الهداية: (٦٧٤/١).

(٣) في (د): مخبرًا، وبعده علامة اللحق، وموضعها مطموس.

(٤) سقط من (ك) و(د).

(٥) [البقرة:٢٠١].

(٦) [البقرة:٢٠٤].

(٧) أحكام القرآن: (١٤٣/١-١٤٤).

(٨) في (ص): مثل.

(٩) لطائف الإشارات: (١٧٠/١-١٧١).

(١٠) في (ك) و(ص): يغتر.

(١١) في اسم «المتواضع» بالسفر الثالث.

الثالث والعشرون: قوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[١]

أخبر[٢] سبحانه عن حال الكفار الأشرار، وسخريتهم من الأبرار[٣]؛ بما أتاهم الله من متاع الدنيا، فيقولون: لو كان مُحَمَّدٌ نبيًّا لاتَّبعه أشرافنا، وإنَّما اتبعه أهل الفقر والمسكنة[٤]، وهذا كما قال مَن قَبْلَهم لأوَّل الرُّسُلِ نُوحٍ: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ [هود:٢٧]، وزادوا: ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾، يعني: بغير تأمل[٥] ولا فكرة، ولا نَظَرٍ في عاقبة، وخَفِيَ عليهم ما أدركه هِرَقْلُ مَلِكُ الرُّومِ حين سَأَلَ عن النبي، فقال: «أَشْرَافُ الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فقال له[٦] أبو سفيان: بل ضعفاؤهم، فقال: هم أتباع الرسل»[٧]، والسِّرُّ في ذلك أنَّهم جهلوا كلهم طريق الاختيار، وخَفِيَتْ عليهم سُبُلُ الاختصاص، / ولم يُدرِكُوا وَجْهَ التفضيل بين الأشخاص. ٢ [١١٢/أ]

والتمييزُ[٨] بالمعاني لا[٩] بالمباني[١٠]، قال النبي ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[١١].

---

(١) [البقرة:٢١٠].

(٢) في (ك) و(ب) و(ص): فيه، وضرب عليها في (د).

(٣) في (د): بالأبرار.

(٤) بعده في (د) لحق، وموضعه مطموس، فلا يكاد يظهر شيء.

(٥) في (ك) و(ب) و(ص): تأمل، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

(٦) سقط من (ص).

(٧) تقدَّم تخريجه.

(٨) في (ص): التميز.

(٩) سقطت من (ص).

(١٠) لطائف الإشارات: (١٣٢/٢).

(١١) سبق تخريجه.

ودَارَ الخَلْقُ على هذا المعنى وطفقوا يمشون حَوَاليه، فما انتهوا إليه، قالت الحكماء: «المرء بأصغريه»، يعني: قلبه ولسانه.

وقال الآخر[(١)]:

ترى الرجلَ النحيف فتزدريه ... وفي أثوابه أَسَدٌ هَصُورُ[(٢)]

وقال[(٣)]:

فإن أَكُ في شراركم قليلًا ... فإني في خياركم كثيرُ[(٤)]

فلمَّا جهلوا الأحوال وغفلوا عن المآل نُبِّهُوا عليه.

وقيل: إن كانوا[(٥)] يسخرون من الذين آمنوا فهم الذين اتقوا؛ يكونون فوقهم يوم القيامة، يعني: في دار الرِّفْعَةِ، وفي مَحَلِّ المنازل، فأمَّا الدنيا فهي مقلوبة، قد يرتفع فيها الكافر والوضيع والجاهل، ويكون المؤمن والرفيع والعالم تحت الخمول، وهو عند الله بالمَحَلِّ الجليل فلا يلتفت إلى الدنيا[(٦)]، فبيْن يديه[(٧)] المُلْكُ والمنزلة العليا، «رُبَّ أغبر ذي طِمْرَيْنِ[(٨)] لا يُؤْبَه له، لو أَقْسَمَ على الله لأبرَّه»[(٩)].

---

(١) في (ب): الشاعر.

(٢) البيت من الوافر، وهو للعباس بن مرداس ﷺ، من جملة أبيات هي في ديوان الحماسة: (٢/٣١)، ولطائف الإشارات: (٢/١٣٢).

(٣) بعده في (ك) و(د): الآخر، و في (ب): آخر.

(٤) لطائف الإشارات: (٢/١٣٢)، وهي للعبَّاس السَّابق من نفس القصيدة.

(٥) في (ك) و(ص): كان.

(٦) في (د): في خـ: فلا تلتفت إلى الدنيا فتنال بذلك.

(٧) في (ك) و(د): بذلك.

(٨) الطِّمْرُ: الثوب البالي الخَلِق، تاج العروس: (١٢/٤٣٣).

(٩) تقدَّم تخريجه.

الرابع والعشرون: قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ﴾[١]

قال سبحانه: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾، وقد بيَّنّاه في «الأحكام»[٢].

وقوله: ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوال:

الأَوَّل: إنَّا قد أبحنا لكم اللذات، وهي فناء كلها ليس لها بقاء، ولا تُحْتَسَبُ[٣] في دار البقاء، فقَدِّمُوا لأنفسكم الباقيات الصالحات التي تجدونها في مَحَلِّ القرار[٤].

الثاني: وقَدِّمُوا لأنفسكم في طَلَبِ الولد[٥].

وهو[٦] من الأعمال الصالحة، يعني: أنَّ الجاهل يطأ لَذَّةً، والعالم يطأ عِفَّةً وعصمة وطلبًا للولد، فيرجع فِعْلُه المباح بالنية عبادةً، وإذا طلب الوَلَدَ فهو من أَجَلِّ الأعمال الصالحة؛ لأنه يبقى بعده له[٧] عمله.

الثالث: وقَدِّمُوا لأنفسكم[٨] ذِكْرَ الله عند الجماع[٩].

---

(١) [البقرة:٢٢١].

(٢) أحكام القرآن: (١/١٧٣-١٧٤).

(٣) في (ك) و(ب) و(ص): تحسب.

(٤) لطائف الإشارات: (١/١٧٩).

(٥) الهداية: (١/٧٤٢).

(٦) قبله في (ك): قال الإمام الحافظ رضي الله عنه، وفي (ب): قال الإمام القاضي رحمه الله، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه.

(٧) سقط من (ص).

(٨) بعده في (د) علامة اللحق، ولا يظهر شيء في الطرة بسبب الطمس الذي لحقها.

(٩) تفسير الطبري: (٤/٤١٧-شاكر).

وهو من الأعمال الصالحة التي تقدَّم، وقد سبق بيانُه في «المقامات»[١].

ثم قال: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾؛

قال بعضُ[٢] الناس: في أداء الفرائض واجتناب الكبائر.

وهو عندي على العموم؛ حتى في الشبهات ومَظَانِّ الاحتمالات.

﴿وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾؛

المعنى: تيقَّنوا وتحقَّقوا أن بين أيديكم[٣] يومًا تلقون فيه ربكم، فحَذَارِ من الإفلاس فيه، ولْيَكُنْ لقاؤك له بصفة الغِنَى، وذلك لا يكون إلَّا/ بتقدمة الأعمال، فهو لما عَلِمَ من ضعفكم وأُنْسِكم بجنسكم قال لكم: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾، فإذا ركنتم إلى الأجناس وعَافَسْتُم الأهل والناس فارجعوا إلى الحقائق، ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ قبل[٤] يوم الفرائق[٥] في الخلائق؛ فَرِيقٌ في الجنة، وفَرِيقٌ في السعير.

٢ [١١٢/ب]

الخامس والعشرون: قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ﴾[٦]

نهى الله عباده أن يستعملوا اسم الله بصفة الابتذال في كل عارض من

---

(١) في السفر الأوَّل.

(٢) سقط من (ك) و(ب) و(ص).

(٣) في (ص): يديكم.

(٤) سقط من (ك) و(ب) و(ص).

(٥) مرَّضها في (د)، وفي طرته: العوائق، هكذا قرأتها، وصحَّحها، وفي (ص): الفراق.

(٦) [البقرة:٢٢٢].

الأحوال والأقوال، كذلك قال مالك؛ قال: «هو أن يحلف على كل شيء»[١].

وليس ينبغي لكل[٢] أحد أن يجعل اسم الله إلَّا حيث يجب له من التعظيم والاقتران بصفة التكريم[٣]، والمَرْءُ يجب أن يكون خبرُه حقًّا، وقوله صِدْقًا، ونِيَّتُه جَزْمًا؛ حتى لا يحتاج في تأكيدها ليَمِينٍ، فإذا أكَّد الخبر باليمين فلا ينبغي أن يكون ذلك إلَّا في المُهِمَّاتِ[٤]، فأمَّا أن يتخذه المرءُ شَرَكَةً يصيد بها حطام الدنيا أو حِيلَةً يستفيد بها فائدة فلا يفعل ذلك؛ فإنه مناقض للتعظيم، وابتذالٌ لاسم الله العظيم[٥].

وقد نهى الله عباده في هذه الآية عن أن يحلفوا على البِرِّ والتقوى والإصلاح بين الناس، وهي قُرَبٌ وعبادات، فكيف يُحْلَفُ على مباحات؟ وأَعْصَى المعاصي أن يحلف على محرَّمات.

السَّادس والعشرون: قوله: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٦]

فأَمَرَ الله تعالى بالتقوى فيما شَرَعَ من حقوق الآدميين في الرضاع؛ من حق الوالدة[٧]، وحق المولود، وحال الوالد، ومقدار المدة، وإِخْبَارٌ عن

(١) الهداية: (٧٤٣/١).
(٢) سقط من (د).
(٣) في (ص): الكريم.
(٤) في (ص): الأمهات.
(٥) لطائف الإشارات: (١٧٩/١).
(٦) [البقرة:٢٣١].
(٧) في (ص): الولادة.

رحمته التي هي أَتَمُّ من رحمة الأمهات[١]؛ إِذْ لم يَكِلِ[٢] المولود إلى الأبوين حتى حَدَّ حدوده التي عَلِمَ[٣] قيام المصلحة بها للكل، حسب الطاقة، وعلى مقدار الوُسْعِ، ومع عدم المُضَارَّة.

وذَكَرَ الفِصَالَ مقرونًا بالتراضي؛ إذ يبعد أن يَتَّفق الأبوان على مضرَّة الولد، ورفع الجناح بعد المشاورة، وخلوص القصد إلى الصلاح، فاشتملت الآية على تمهيد طريق الصحبة، وتعظيم محاسن الأخلاق، وختمت بالتقوى في ذلك كله لنية فاسدة، أو حالة عن المصلحة حائدة، وأكَّد ذلك بالتنبيه على عِلْمِه بالأعمال، وبَصَرِه بعلانيتها وسَرِيرَتِها.

السَّابع والعشرون: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[٤]

٢

ذَكَرَ/ الله تعالى حُكْمَ الصَّدَاقِ عند الطلاق في الإيفاء والإسقاط، [١١٣/أ] ونبَّه على التَّرْكِ، وحضَّ على الفضل في العفو، تنبيهًا على أنَّ من راعى الفَضْلَ أوشك أن يُرَاعِيَ الفَرْضَ[٥]، ولذلك يُستدَلُّ بمحافظة[٦] العبد على نافلته على مراعاته لفريضته.

ونسيانُ الفضل ينشأُ عن البخل[٧]، وهي خصلة دنيَّة، ولمَّا كان استيفاء الحق جائزًا نبَّه على أن تركه أقرب إلى التقوى ممَّن تركه منهم، فإنه

---

(١) لطائف الإشارات: (١/١٨٤).

(٢) في (ب): يكن.

(٣) مرَّضها في (د)، وفي الطرة ما لم أتبين قراءته لطَمْسٍ لَحِقَه.

(٤) [البقرة: ٢٣٥].

(٥) لطائف الإشارات: (١/١٨٧).

(٦) في (ك): لمحافظة.

(٧) لطائف الإشارات: (١/١٨٧).

يَقِي بذلك مروءته وعِرْضَه، ويقي الكراهية إن كانت بينهما فترجع مودة، وهذه تقوى مستحبَّة[١] ليحفظ به حصول واجب.

كما جعلها - في الثامن والعشرين -: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١٧٩]؛ دون عموم المؤمنين؛ ليُنَبِّه بذلك على أنها تَقْوَى فَضْلٍ لا تقوى فَرْضٍ.

التاسع والعشرون: قوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾[٢]

ليس بعد الشِّرْكِ ولا بعد قَتْلِ النفس تَقْوَى أَعْظَمَ من تقوى الرِّبَا؛ لأنه إن لم يتقه[٣] أَذِنَ بحَرْبٍ من الله ومن النبي ومن المؤمنين، وليس هنالك[٤] معصية تُوُعِّدَ بمِثْلِ هذا عليها سواها.

المُوَفِّي ثلاثين: قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾[٥]

هذه تَقْوَى نَدْبٍ؛ لأنه نَدَبَ[٦] إلى إنظار المُعْسِرِ بالدَّيْنِ، والصدقةُ عليه أفضل، وبذلك يتخذ العبد الوقاية بينه وبين المحاسبة، وقد ثبت عن النبي أنه قال: «كان رجل يعامل الناس؛ فكان يأمرُ بإنظار المُوسِرِ

---

(١) في (ك) و(ص): مستحب.

(٢) [البقرة:٢٧٧].

(٣) في (ك) و(ب) و(ص): يتخذها، وضبَّب عليها في (د)، والمثبت من طرته.

(٤) في (ص): هناك.

(٥) [البقرة:٢٨٠].

(٦) قوله: «لأنه ندب» سقط من (ص).

والمجاوزة عن المُعْسِر، فقال النبي ﷺ: فقال[1] الله: نحن أحق بذلك منه، تجاوزُوا عنه»[2].

الحادي والثلاثون[3]: قال: ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾[4]

وهذه تَقْوَى فَرْضٍ؛ لأنها متعلقة بالأمانة، وأَصْلُ الشريعة أَدَاءُ الأمانة، وقد تقدَّم ذِكْرُها.

الثاني والثلاثون: قوله: ﴿وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾[5]

يعني: في مجاوزة حدود المعاملة الدينية التي بيَّنها، ومنها: فَرْضٌ، ومنها: نَدْبٌ، ولكُلِّ مَعْنًى تقواه[6].

قال الله سبحانه: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾؛

يعني: ما ألزمكم به العمل، وندبكم إليه، وجعل[7] خَلَاصَكم فيه.

وقد بيَّنَّا في كتاب «القانون»[8] وكتاب «العواصم»[9] ما[10] تعلَّقت به الصوفية؛ في أن التطهير والتصفية للقلب بها تحصلُ العلوم وتتمكَّن

---

(١) في (ك): قال.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) تأخرت هذه الترجمة إلى التي بعدها في (ك) و(ص) و(ب).

(٤) [البقرة:٢٨١].

(٥) [البقرة:٢٨١].

(٦) سقط من (ص).

(٧) سقط من (ك) و(ب) و(ص).

(٨) قانون التأويل: (ص٢٤٤-٢٤٧).

(٩) العواصم: (ص١٦-١٨).

(١٠) في (د): وما.

المعارف في الفؤاد من غير تَعَلُّمٍ[١]، ودَلَلْنا على أنه لا يصحُّ ذلك، ولا طريق له في الشريعة.

أَمَا إنَّ مالكًا قد قال: «ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما هو نُورٌ يضعه الله في القلب»[٢].

وهذا صحيح؛ فإنَّ الرجل قد يُحَصِّلُ عِلْمًا كثيرًا رواية ولا يفقه به[٣]؛ إذ لا يعمل به، فإن عَمِلَ به[٤] فهو الفِقْهُ[٥].

وقد كان ابنُ أبي حازم[٦] يقول في ابن شهاب: «هذا ونظراؤه رواة، / وليسوا بعلماء»، ذَكَرَه ابن حنبل[٧]. [١١٣/ب]

والعالم الفقيه هو الذي يعمل بعِلْمِه، والذي لا يعصي هو المؤمن، فإذا عصى الله فليس بمؤمن ولا عالم ولا فقيه، على الوجه الذي بيَّنَّاه[٨] في ذَيْنِك الكتابين[٩]، وبيَّنَّاه أيضًا في تفسير قوله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»[١٠] في «النَّيِّرَيْنِ».

---

(١) في (ص): تعليم.

(٢) مسند الموطأ: (ص٨٨).

(٣) في (ك) و(ب) و(ص): فيه.

(٤) في (ك) و(ب) و(ص): أي: يعمل به، ومرَّضها في (د).

(٥) في (ك): الفقيه.

(٦) في (ك) و(ب) و(ص): أبو حازم.

(٧) لم أجده في المنشور من كتاب الزهد، وهو في الحلية: (٣/٢٣٤).

(٨) في (ك) و(ب) و(ص): بيَّنَّا.

(٩) قانون التأويل: (ص٢٤٧-٢٤٨).

(١٠) تقدَّم تخريجه في السفر الثاني.

ولذلك ترى الجاهل الرجل[١] من[٢] قد وعى وحصَّل وهو عَاصٍ، ويقول: أرى هذا من العلماء وليس له عمل، يقال له: أنت لا تدري ما العلم، العِلْمُ هو الذي يصحبه العمل، والإيمان هو الذي تصحبه الطاعة، والأمر في ذلك مُبَيَّنٌ على الاستيفاء حيث قلنا[٣]، والحمد لله.

الثالث والثلاثون: قوله: ﴿لِلذِينَ اَتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِے مِن تَحْتِهَا اُ۬لَانْهَٰرُ﴾[٤]

لمَّا ذَكَرَ الله الشهواتِ المُزَيَّنَةَ[٥] وتعلُّقَ القلوب بها بالمحبة لها[٦]، والاشتغال بها عن العبادة نبَّه الله على ما هو خَيْرٌ من ذلك لمن اتَّقى هذه الزِّينَةَ[٧]، واقتصر على ما يرفع[٨] المؤونة؛ فاتَّقى الدنيا، وعصى الهوى، وقطع المُنَى، وأَقْبَلَ على المولى، فلهم الدرجات العُلَى؛ بالأنهار الجارية، والغُرَفِ العالية، والأزواج المطهَّرة، عِوَضًا عمَّا نَبَذَ في الدنيا من الأزواج المُسْتَقْذَرَةِ.

---

(١) في (ك) و(ص): الرجل الجاهل.

(٢) سقط من (د) و (ك) و(ب).

(٣) قانون التأويل: (ص٢٥٤-٢٥٦).

(٤) [آل عمران:١٥].

(٥) في (ك) و(ب): المرتبة.

(٦) سقطت من (د) و(ك) و(ب).

(٧) في (ك) و(ب): الرتبة.

(٨) مرَّضها في (ص)، وفي الطرة: يدفع.

الرَّابع والثلاثون: قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةًۗ﴾[(١)]

قد بيَّنَّاها في «الأحكام»[(٢)]، وهذه رُخْصَةٌ من الله في قَطْعِ المواصلة الظاهرة بين الكفَّار والمؤمنين، ويَجْرِي ذلك بين العُصاة والطائعين.

ومن أصل الدين الموالاةُ في الله، والمعاداةُ في الله، إلَّا عند الضرورة، فتجعل صحبة الكافر أو الظالم وِقَايَةً لما تحذره من المضرَّة.

ثمَّ قال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾؛ وهذه للعلماء.

فأمَّا جملة الخلق فقيل لهم: «اتقوا النار، واتقوا العذاب، واتقوا القيامة»، فإيَّاكم أن يأمن أحدُكم مَكْرَ الله، ولا يخطر ببال بَشَرٍ منكم أنه يخفى عليه شَيْءٌ من أمركم، أو يَقْبَلُ إلَّا الخالص منكم، أو يعرفه أَحَدٌ حقَّ معرفته، أو يَعْلَمُ ما استقرَّ في علمه من خاتمة العبد وعاقبته.

الخامس والثلاثون: قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[(٣)]

٢ يعني: عيسى ﷺ، اتخِذوا وِقَايَةً من امتثال ما جئتكم به عن الله، واجتناب ما نهيتكم عنه، وفي الطاعة أَوْفُوا[(٤)] بعَهْدِ الله/ كُلِّه؛ على جميع وجوهه وفصوله. [١١٤/أ]

فإنَّ ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ﴾ [آل عمران:٧٥] - وهو **السَّادس والثلاثون** - أي: اتَّقى نَقْضَ العهد، وحَلَّ العقد، والتقصير بالحق، وقام

---

(١) [آل عمران:٢٩].

(٢) أحكام القرآن: (٢٦٨/١).

(٣) [آل عمران:٤٩].

(٤) في (ك) و(ب): وفوا.

بالمتعيَّن في ذلك كله ؛ فإنَّ الله يجعل جزاءه محبته[١] ، وذلك قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ ، وهو: **السَّابع والثلاثون** ، وليس يعادل هذا الشَّرف شَرَفٌ.

الثامن والثلاثون: قوله: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[٢]

وقد[٣] تكلَّمنا على هذه الآية في «الأحكام»[٤] و«الناسخ والمنسوخ»[٥].

وحَظُّ هذا «القسم» منها: أنَّ حقَّ التقوى أن يكون وَفْقَ الأمر ؛ لا زيادة ولا نقص من قِبل أنفسكم ، وأَمْرُه سبحانه على وجهين[٦] ؛ على وجه الحَتْمِ ، وعلى وجه النَّدْبِ ، وكذلك نَهْيُه على قسمين ؛ على التحريم ، وعلى التنزيه.

وحَقُّ التقوى المحافظةُ على الكُلِّ ، نَعَمْ ؛ ثم يجتنب الغفلة فيكون أبدًا ذاكرًا ، وأَعْظَمُ من ذلك كله وأَوْكَدُ أن يتبرَّأ عن السبب والعلة ، فلا يرى فاعلًا إلا الله ، والأسبابُ والعِلَلُ تأتي على قَدْرٍ وفي نَسَقٍ ، فإذا فَعَلَ ذلك فقد اتَّقى الله حقَّ تقاته ، وشَرْطُ صحته أن يموت عليه ، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ ، وما تَفْعَلُوا من ذلك كله فلن يُرَدَّ عليكم ،

---

(١) في (ص): محبة.

(٢) [آل عمران:١٠٢].

(٣) في (ك) و(ب) و(ص): قد.

(٤) الأحكام: (١٨٢١/٤-١٨٢٢).

(٥) الناسخ والمنسوخ: (١٣٣/٢-١٣٥).

(٦) في (ص): الوجهين.

ولا يُسْتَرُ عنكم، ولا يُمَدُّ حجابٌ بينه وبينكم؛ إذ كنتم خير أمة أخرجت للناس، واتَّقيتم الله حقَّ تقاته، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌۢ بِالْمُتَّقِينَ﴾[١]؛ على هذا المنهج المُبينِ، وهو **التاسع والثلاثون**.

المُوَفِّي أربعين: قوله: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضِرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾[٢]

أمَّا الصَّبْرُ فقد تقدَّم، وكذلك التقوى؛ فإن فعلتموهما لم يَصِلْ إليكم كَيْدُهم، فإن الله مُحِيطٌ بعملهم[٣]، وبمَكْرِ كل مَاكِرٍ أمسكه أو أرسله، كل ذلك بحكمة[٤].

وإن أدركتكم مَذَلَّةٌ[٥] ﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران:١٢٣]، وهو: **الحادي والأربعون**، أي: اتقوا الله[٦] أن تدفعوها بنَخْوَةٍ تخالف الشريعة، أو بكِبْرٍ يَضَادُّ المِلَّةَ، وخُذُوهَا بامتثال الحدود والقيام تحت جريان المقادير تكونوا من الشَّاكرين، وأَجَلُّ الشكر ما كان على المصائب، وقد تقدَّم بيانُه[٧].

---

(١) [آل عمران:١١٥].

(٢) [آل عمران:١٢٠].

(٣) في (ص): بعملهم محيط.

(٤) في (ص): بحكمته.

(٥) سقطت من (ص).

(٦) قوله: «لعلكم تشكرون، وهو الحادي والأربعون، أي: اتقوا الله» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٧) بعده في (ك) و(ب) و(ص): وهو الثاني والأربعون، ثم بيَّن.

الثاني والأربعون: قوله تعالى: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾(١)

بيَّن أنكم إن استمررتم على الصبر والتقوى ونَزَلَ بكم الأعداء وتعرَّض إليكم أَحَدٌ بالمكروه(٢) فإنَّ الله يُمِدُّكم بنصره، ويبلغ فيكم سابقُ أمره كما أخبر من وَعْدِه، وإن دعوتم قولوا: «اللهم امددنا بنصرك»، ولا تقولوا:/ «بملائكتك»؛ فإن الله لا يُعَيَّنُ عليه من وجوه الأفعال ما لم يُعَيِّنْ، ولا تقل: «اللهم امددنا بملائكتك الذين أمددت بهم رسولك»؛ فإنَّ هذا جَهْلٌ بالحقيقة، وتَحَكُّمٌ على الله، ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ﴾ [المدثر:٣١]، فينصر بما شاء؛ من قُوَّةِ قلوبنا وضَعْفِ قلوبهم، أو إرسال ريح، أو سماع كلام يَفُتُّ في أعضادهم، كما فعل بقُرَيْشٍ في غزوة «حمراء الأسد»(٣)، وقُدْرَةُ الله في النصر وغيره لا تنحصر، فلا وجه لتعيينها من غير أَثَرٍ.

٢ [١١٤/ب]

الثالث والأربعون(٤): قال الله سبحانه: ﴿اتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾(٥) على العموم، كما تقدَّم، ﴿وَاتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾(٦) على

---

(١) [آل عمران:١٢٥].

(٢) في (ك) و(ص): المكر.

(٣) سيرة ابن هشام: (٣/٦٥).

(٤) في (ك) و(ب) و(ص): الثاني والأربعون: قوله تعالى: ﴿لا تأكلوا الربا أضعافًا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾، ﴿واتقوا النار﴾، وهو الثالث والأربعون، اتقوا، وضرب عليها في (د).

(٥) [آل عمران:١٣٠].

(٦) [آل عمران:١٣١].

الخصوص ؛ فإنها وإن كان أعدَّها للكافرين فربما عَذَّبَ بها المؤمنين[1]، ولكن فيها بِشَارَةٌ من دليل الخطاب ؛ أنها دَارٌ لم تُبْنَ للمؤمن ، وإنَّما بُنِيَتْ للكافر ، فإن دَخَلَهَا لم يَدُمْ فيها وأُخْرِجَ في الحال عنها ؛ فإنه عَارِيَةٌ فيها ، كرَجُلٍ في دار غيره .

الرَّابع والأربعون: قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[2]

وهذه الآية عظيمة ؛ فإنه قال في أوَّلها: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾ ، وذلك أنه كانت بهم جراحات ورجعوا ، ثم دعاهم النبي إلى الخروج فخرجوا على ما بهم من النَّكْءِ والقَرْحِ والجرح ، وأجابوا داعي الله ، ثم قال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾ ، وخروجهم إحسان ، ولكنه شَرَطَ عليهم فيه الإحسان ؛ لأنه يحتمل أن يكون منهم من خرج حُبًّا[3] ، أو خرج لأنه رأى صاحبه قد خرج فخاف التعيير ، «والإحسانُ أن تعبد الله كأنك تراه»[4] ، ويجب عليهم أن يخرج كل واحد منهم كأنه وحده ، كما قال أبو بكر لعُمَرَ في أهل الرِّدَّةِ: «أُقاتلهم وَحْدِي حتى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي»[5] .

---

(١) في (ك): المؤمن .

(٢) [آل عمران:١٧٢] .

(٣) في (ص): حياءً .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) سبق تخريجه .

الخامس والأربعون: قوله: ﴿وَإِن تُومِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[(١)]

الإيمانُ أَصْلٌ ورَبْطٌ، فإذا تأصَّل وعُقِدَ فيجب الوفاء بمقتضاه، وتقاه: يعني: عُراه[(٢)].

السَّادس والأربعون: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَالِكَ مِنْ عَزْمِ اِلاُمُورِ﴾[(٣)]

٢ وذلك أنه سبحانه أخبرهم أنهم سيُبْتَلَوْنَ[(٤)] بالأذى من المشركين وأهل الكتاب، وأمرهم بالصَّبْرِ على ذلك وتقوى الله، ولا يكونوا[(٥)]/[١١٥/أ] من الذين يُحْرِمُونَ التقوى بالبلوى، وهذه الآية شديدة على العباد، ولكنه لم يفرضها، إنَّما ذَكَرَ أنها من عزم الأمور، وذلك لأنه لا يَقْوَى[(٦)] عليها كل القلوب.

السَّابع والأربعون: قوله: ﴿لَٰكِنِ اِلذِينَ اَتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ﴾[(٧)]

لمَّا ذَكَرَ الله حال الكفَّار وما آتاهم من الدنيا ومكَّنهم فيه من البلاد والتصرف فيها بالمال والأولاد قال سبحانه للمؤمنين: هذا ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾،

---

(١) [آل عمران:١٧٩].

(٢) في (ك) و(ب) و(ص): وتقاة نقض عراه، مرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

(٣) [آل عمران:١٨٦].

(٤) في (ب): يبتلون، وفي (ص): سيبلون.

(٥) في (ك): تكونوا.

(٦) في (ص): تقوى.

(٧) [آل عمران:١٩٨].

و﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ﴾ الذين وَسَمْنَاهُم بسِمَةِ المعرفة، فلم يرفعوا قَدَمًا ولا وضعوا أخرى إلَّا لنا، فإنَّا نخصهم بدار الزُّلْفَةِ، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ لهم ﴿خَيْرٌ﴾ ممَّا أمَّلوه لأنفسهم ورَجَوْهُ؛ ممَّا رأوا عليه حالة أعدائهم.

الثامن والأربعون: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟﴾ إلى قوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[1]

قد تقدَّم ذِكْرُه[2] وبيانُه في اسم «الصَّابر»[3].

التاسع والأربعون: قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾[4]

النَّاسُ اسمُ جِنْسٍ، والاشتقاقُ فيه غير قَوِيٍّ[5].

وقيل[6]: «سُمِّيَ إنسانًا لظهوره[7]»[8].

وقيل: «لِنِسْيَانِه»[9].

وقيل: «لأُنْسِه»[10].

---

(١) [آل عمران: ٢٠٠].
(٢) سقط من (ك) و(ص) و(ب).
(٣) في السفر الثالث.
(٤) [النساء:١].
(٥) لطائف الإشارات: (١/٣١١).
(٦) في (ك) و(ب) و(ص): قيل.
(٧) في (ك) و(ب) و(ص): بالظهور.
(٨) لطائف الإشارات: (١/٣١١).
(٩) لطائف الإشارات: (١/٣١١).
(١٠) لطائف الإشارات: (١/٣١١).

فعلى الأوَّل قيل له: «يا من أظهره من العدم بجِبْلَةِ التكليف، وخَصَّ من شاء بصفة التشريف، وحَرَمَ من شاء الهداية والتعريف، ونقل[١] ما شاء من التصريف؛ اتَّقُونِي»[٢].

ويقال: «يا من أظهر من العدم أمثالكم، ولكن لم يعطهم أحوالكم؛ اتَّقوني»[٣].

ويقال على الوجه الآخر: «يا من سُمِّيَ إنسانًا لأنه ناسي، إن نَسِيتَنِي فلا شيءَ أَخَسُّ منك، وإن نسيتَ غيري فلا شيءَ أخصُّ منك»[٤].

ويقال: «من نسي[٥] الحق فلا غاية لمِحْنَتِه، ومن نسي الخلق فلا غاية لدرجته»[٦].

وقيل: «يقال للمذنبين: يا من نسي عهدي، ورفض وُدِّي، وتجاوز حَدِّي؛ اتق من العذاب[٧] ما عندي»[٨].

ويقال للعارفين: «يا من نسي لنا حظَّه، وصان عن غيرنا لَحْظَه ولَفْظَه؛ اتقوني فيما تستأنفون»[٩].

---

(١) في (ك) و(ب) و(ص): إلى، وضرب عليها في (د).

(٢) لطائف الإشارات: (٣١١/١).

(٣) لطائف الإشارات: (٣١١/١).

(٤) لطائف الإشارات: (٣١١/١).

(٥) في (ك) و(ب) و(ص): نسيني.

(٦) لطائف الإشارات: (٣١١/١).

(٧) في (ك) و(ب) و(ص): العقاب.

(٨) لطائف الإشارات: (٣١١/١).

(٩) لطائف الإشارات: (٣١١/١).

ويقال: «يا من نسي شميم غيري، واستوحش إلى نسيم قُرْبي، واعتزَّ بجلالي؛ اتَّقِ مَكْرِي»(١).

ويقال: «يا من أَنِسَ بي، وسَكَنَ إلى ثوابك مني، وأَجْرُك عليَّ؛ فاتَّقِنِي».

والتقوى جماع الطاعات كما قدَّمنا، وآكَدُها اجتناب الشرك، وأقلُّها خَلْعُ غير الله عن قلبك، ألا تتقون(٢) من ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾، وهو آدمُ، فنحن مخلوقون منه، وهو مخلوق باليد، وكما/ أظهر مرتبته أظهرنا، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾(٣) [البينة:٧]. [١١٥/ب]

ثم قال: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، أظهر تعالى الحُجَّةَ على الخلق بأن خَلَقَ الشَّكْلَ من الشَّكْلِ، ثم قرَّبه منه وقَرَنَه وآنَسَه به، ﴿وَبَثَّ﴾ بكمال القدرة ﴿مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾، فتعرَّف إليكم على عموم الربوبية بما دلَّ من شواهد القدرة، ورَتَّبَ من دلالات الحكمة حيث خَلَقَ جميع هذا الخلق من شخص واحد، على اختلاف خَلْقِهم وأخلاقهم، وهممهم وأغراضهم، حتَّى لا يتشابه اثنان منهم في خَلْقٍ ولا خُلُقٍ، فدلَّ ذلك على أنه لا نهاية لمقدوراته، ولا غاية لمعلوماته.

ثم قال - في المُوَفِّي خمسين(٤) -: ﴿وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء:١]، فإنه من قَطَعَ الرَّحِمَ قطع الله، ومن وصلها وصل الله، والله رقيبٌ على الكُلِّ(٥)، كما تقدَّم بيانُه.

---

(١) لطائف الإشارات: (٣١٢/١).

(٢) في (ك) و(ب) و(ص): تتقوني.

(٣) لطائف الإشارات: (٣١٢/١).

(٤) في (ك) و(ب): التاسع والأربعون.

(٥) في (ك): الكمال.

الحادي والخمسون[١]: قوله: ﴿فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾[٢]

نبَّه على أن الجزاء إنَّما يتعجل في الدنيا؛ في الخير والشر، قال الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [العنكبوت:٢٦]، وهو[٣] الذِّكْرُ الحَسَنُ.

وقيل: «هو ما وهب له من الأولاد، وشرَّفهم به من النبوة، وأبقى في عقبه من الكلمة»[٤].

وقال في قصة الخَضِرِ: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف:٨١]، فلينظر المُتَكَلِّمُ[٥] في الأيتام الضِّعَافِ في عاقبة أيتامه، وأنه سيكون له يَوْمٌ[٦] مثل ذلك من[٧] أيَّامه.

الثاني والخمسون[٨]: قوله: ﴿وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾[٩]، ﴿وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ﴾[١٠]

ذَكَرَ الله حال الرجال مع النساء فيما بينهم من الحقوق، وأخبر بقصور الخلق عن الوفاء بالحق، وأمرهم بالعمل بمقتضى الوُسْعِ، وأن يقصدوا فيما

---

(١) في (ك) و(ب): الموفي خمسين. (٢) [النساء:٩].

(٣) في (ك) و(ب) و(ص): هو.

(٤) لطائف الإشارات: (٣/٩٥).

(٥) في (د): المتكفل للأيتام، وصحَّحه، كما صحَّح ما أثبتنا.

(٦) في (ص): يوم القيامة.

(٧) في (د) -أيضًا-: في.

(٨) في (ك) و(ب): الحادي والخمسون والثاني والخمسون، وفي (ص): الثالث والخمسون.

(٩) [النساء:١٢٧]. (١٠) [النساء:١٢٨].

يأتونه من ذلك الإصلاح، ويجتنبوا المَيْلَ، فما وقع بعد ذلك فهو مغفور، وإن أحسنوا واتقوا الإساءة والتقصير فإنَّ الله خبير بجميع ذلك، لا يخفى عليه منه شيء، ولا يضيع عنده عمل.

الثالث والخمسون: قوله: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[1]

أخبر سبحانه في هذه الآية أن وصيته للجميع التقوى؛ فأمر الكلَّ بالرجوع إليه، ومجانبة من سواه، والوقوف عند حدوده؛ بامتثال أمره، واجتناب نهيه، وهذا هو الدين كله والخير أجمع. / [١١٦/أ] ٢

الرَّابع والخمسون: قوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[2]

لو خُلِقَ العَبْدُ وحده لكان له في اتخاذ الوقاية بينه وبين نفسه شُغْلٌ شَاغِلٌ، فكيف وقد ابتُلِيَ بغيره، وأمر بالتقوى معه ومنه، ولكن كذلك - أيضًا - توجَّه على الغير مثل ما توجَّه عليه، فلذلك قيل له: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾، وخاصَّة إذا كانا مرتبطين بسبب زوجيَّة، أو شَرِكَةٍ، أو وِلَايَةٍ، أو صُحْبَةٍ، لمَّا أرسل النبيُّ معاذًا وأبا موسى إلى اليمن قال: «يسِّرا ولا تعسِّرا، وبَشِّرَا ولا تُنَفِّرَا، وتَطَاوَعَا ولا تختلفَا»[3].

وقوله: ﴿ٱلْبِرِّ﴾: يعني: ما أمرتم به، ﴿وَٱلتَّقْوَىٰ﴾: يعني: ما نُهيتم عنه، ويَدْخُلُ أحدُهما على الآخر في عموم الأمرين.

---

(١) [النساء:١٣٠].

(٢) [المائدة:٣].

(٣) سبق تخريجه.

ويقال: «البِرُّ: إتيانُ حقه، والتقوى: تَرْكُ حَظِّكُمْ»[١].

ويقال: «البِرُّ: موافقة الشرع، والتقوى: مخالفة النفس»[٢].

وقيل: «المعاونة على البِرِّ بحُسْنِ الصحبة[٣]، وجميل الإشارة للمؤمنين، والمعاونة على التقوى بالقبض على أيدي المبطلين؛ بما يقتضيه[٤] الحال من جميل الوعظ والزجر»[٥].

والمعاونةُ على الإثم والعدوان بأن تفعل[٦] شيئًا لا يَحِلُّ فيُقْتَدَى بك فيه[٧].

وكذلك المعاونة على البر والتقوى الاتِّصافُ بحَمِيدِ الأفعال[٨]، وجميل الخلال[٩]، وشريف الخصال، على الوجه الذي يُقتدى بك[١٠] فيه[١١].

---

(١) لطائف الإشارات: (١/٣٩٨).

(٢) لطائف الإشارات: (١/٣٩٨).

(٣) في (ك) و(ب) و(ص): النصيحة.

(٤) في (ك): يقتضيه.

(٥) لطائف الإشارات: (١/٣٩٨).

(٦) في (د): يفعل.

(٧) لطائف الإشارات: (١/٣٩٨).

(٨) في (ك) و(ب) و(ص): الخلال.

(٩) في (ك) و(ب) و(ص): الأفعال.

(١٠) في (ك): به.

(١١) لطائف الإشارات: (١/٣٩٩).

الخامس والخمسون: قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[(١)]

العُقُوبَةُ: «ما يَتَعَقَّبُ الجُرْمَ مِمَّا يَسُوءُ صاحبَه»[(٢)].

وشِدَّةُ العقاب أن يُحْجَبَ المُعَاقَبُ عن الله بحرمان الطاعة، وسَلْبِ التوفيق، وتَسْلِيطِ البلاء[(٣)].

السَّادس والخمسون: قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[(٤)]

قد بيَّنَّا وصفه بأنه سَرِيعُ الحساب في كتاب «الأَمَدِ»[(٥)].

وسُرْعَةُ حسابه في الدنيا للأولياء بمعاجلتهم بالابتلاء؛ بالتذكرة فيما يقصرون فيه، حتى يتذكَّروا فيقوموا بحقه.

وسُرْعَةُ حسابه في الآخرة بأنَّ محاسبة الخَلْقِ عنده كمحاسبة نَفْسٍ واحدة.

[عِلْمُ المناسبات بين آيِ القرآن]:

فإن قيل: فما وَجْهُ ذِكْرِه لقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ مع هذه الآية، وليس بينهما ارتباط في الظاهر؟

الجواب: إنَّ ارتباط آيِ القرآن بعضها ببعض حتَّى تكون كالكلمة الواحدة مُتَّسِقة المعاني[(٦)] منتظمة البيان/ عِلْمٌ عظيم، لم يتعرَّض له إلَّا عالمٌ [١١٦/ب]

---

(١) [المائدة:٣].

(٢) لطائف الإشارات: (٣٩٩/١).

(٣) لطائف الإشارات: (٣٩٩/١).

(٤) [المائدة:٥].

(٥) الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٣٧٤/٢).

(٦) في (ك) و(ب) و(ص): المعنى، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

واحد؛ عَمِلَ منه «سورة البقرة»، ثم فَتَحَ الله لنا فيه، فلمَّا لم نَجِدْ له حَمَلَةً، ورأينا الخَلْقَ بأوصاف البَطَلَةِ؛ ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبَيْنَ الله ورَدَدْناهُ إليه.

السَّابع والخمسون: قوله: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾(١)

والثامن والخمسون: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(٢)

إنَّ الله سبحانه ذَكَّرَكم نِعَمَه السَّابغة عليكم؛ إذ عرَّفكم بنفسه، وأخذ ميثاقه عليكم؛ فاعترفتم والتزمتم، وأقررتم وأشهدتم على أنفسكم، وسمعتم وأطعتم، وليس للاعتبار حينئذ عندكم خبر، ولا للاستدلال عَيْنٌ ولا أثر، ولا للأمر والنهي سمع ولا بصر، فوَسَمَكُمْ حينئذ بالإيمان، ثم أظهركم وأحياكم وعرَّفكم التوحيد، وعرض عليكم الأمانة، وحذَّركم الخيانة، فقابلتم قوله بالتصديق، وضمنتم من أنفسكم التحقيق، فأمدَّكم بحُسْنِ التوفيق، وأرشدكم إلى سواء الطريق(٣).

ثم شَكَرَكُمْ بما أخبر عنكم من قولكم: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، فـ﴿اتَّقُواْ اللَّهَ﴾ في تَقْصِيرٍ عن ذلك كله من العقود، والإعراض عن الوفاء بالعهود، فـ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(٤) [الملك:١٥].

---

(١) [المائدة:٨].

(٢) [المائدة:٩].

(٣) لطائف الإشارات: (١/٤٠٧).

(٤) لطائف الإشارات: (١/٤٠٧).

ثم قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ﴾ [المائدة:٩]، ولا يُقْعِدَنَّكُمْ عن الوفاء بحَقِّنا حُصُولُ نصيب لكم في شيء من الدنيا[١]، ولا تَحْمِلَنَّكُمْ ضغائن صدوركم على الحلول بمنازل الحيف[٢]، فإن مَرْتَعَ الظلم وَبِيٌّ، وموضع الزيغ مُهْلِكٌ[٣].

ثمَّ صرَّح بالأمر بالعدل وأَمَرَ به، وأخبر أنه أقرب للتقوى؛ بل هو نفس التقوى، وإنَّما جعله أقرب إليها لأنه ابتداؤها، وقد لا يستمر عليه، فإذا شرع فيه بنيَّة، فالله يُعِينه عليه في البقيَّة[٤]، وهو:

التاسع والخمسون[٥]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٦]

كما أنه عليم بما تعتقدون؛ فإنه مُحِيطٌ بباطنكم وظاهركم، ومن أحاط بالباطن وأحصاه فالظاهر منه أقرب.

المُوَفِّي سِتِّين[٧]: قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُومِنُونَ﴾[٨]

٢ ذكَّرهم بما له عليهم من نِعَم الدَّفْع، وهو ما كَفَّ عنهم من أيدي [١١٧/أ] الأعداء، وقصَّر عنهم من/ مكرهم، وهذه أمارات العناية، ولقد بالغ في

---

(١) قوله: «من الدنيا» سقط من (ك) و(ب) و(ص).

(٢) في (ص): الخيف.

(٣) لطائف الإشارات: (١/٤٠٧).

(٤) ينظر: لطائف الإشارات: (١/٤٠٧).

(٥) في (ص): الموفي ستين.

(٦) في النسخ: فإن الله خبير بما تعملون.

(٧) في (ص): الحادي والستون.

(٨) [المائدة:١٢].

الإحسان من كَفَاكَ من غير عِلْمٍ منك، أو سَبْقِ شفاعة فيك، أو رجاء نفع في المستأنف من جهتك، أو حصول رِبْحٍ في الحال من لدنك[١]، أو وُجُوبِ حَقٍّ في السَّالف لك[٢]، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُومِنُونَ﴾، على ما تقدَّم من تَعَلُّقِ[٣] التوكل بدَفْعِ النوائب في اسم «المُتَوَكِّلِ»[٤].

الحادي والستون: قوله: ﴿وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُومِنُونَ﴾[٥]

أَمَرَهُمْ بأَكْلِ الحلال الطيِّب، وهو الصافي، وهو الذي سَلِمَ من ثَلَاثٍ؛ من الحرام في الكسب، ومن الشُّبْهَةِ، ومن المِنَّة لأَحَدٍ غير الله.

فـ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُوٓاْ﴾ [المائدة:٩٥]، وهو **الثاني وستون، والثالث وستون**[٦].

قال بعضهم: «من حافظ على الأمر والنهي فليس في لقمة حرام يتناولها بتأويل ما يَضِيرُه[٧] في تقواه، فإنَّما المقصود أن يتأدَّب العبدُ بصحبة طريقة الباري سبحانه التي شرع، فإذا اتَّقى الشِّرْكَ فعرف، واتَّقى

---

(١) في (ك) و(ب) و(ص): منك، وضبَّب عليها في (د)، والمثبت من طرته.

(٢) لطائف الإشارات: (٤٠٩/١).

(٣) في (د): متعلق.

(٤) في السفر الثالث.

(٥) [المائدة: ٩٠].

(٦) في (ك) و(ب): الرابع والستون، وفي (ص): وهو الثالث والستون والرابع والستون والخامس والستون.

(٧) في (ك): يضره.

الحرام فيما تصرَّف، ثم لزم العدل فما قتَّر[١] ولا أسرف، واتقوا المنع وآمنوا[٢] بالخُلْفِ[٣]، ثم اتقوا شهود الخلق، وأحسنوا في شهود الحق»[٤].

وقد تقدَّم القول في التحقيق فيه في «المقام الأوَّل»[٥].

والله يحب المُحْسِنِينَ اعتقادًا، المحسنين أقوالًا، المحسنين أعمالًا، المحسنين آمالًا، المحسنين أحوالًا[٦]، ولكل واحد من ذلك متعلق، وذلك يطول فافهموه.

الخامس والستون[٧]: قوله: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِيَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[٨]

فصَّل سبحانه أحوال الصيد في التحليل والتحريم، ثم أَمَرَ بتقواه فيها، وخصَّ من أَمْرِ الله الذي يتَّقي الحَشْرَ، وفي تخصيصه[٩] تقوى الحشر في آخر ذلك **فائدة بديعة**؛ ليس بيانُها من «القِسْمِ الرَّابِعِ»، وإنما هي من حكمة النَّظْمِ، فلذلك لم نذكرها.

---

(١) في (ص): أقتر.

(٢) في (ص): أنسوا.

(٣) في (ص): الجلف.

(٤) لطائف الإشارات: (١/٤٤٧-٤٤٨).

(٥) في السفر الأول من السراج.

(٦) لطائف الإشارات: (١/٤٤٨).

(٧) في (ص): السادس والستون.

(٨) [المائدة:٩٨].

(٩) في (ك) و(ص): في.

كما أن التعقيب - في السَّادس والستين[١]- بقوله: ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٢] من الفوائد الحسنة من ذلك الباب، والمعنى: اتقوا الله ولا تبدؤوه بالسؤال، حسب ما بيَّنَّاه في كتاب «الأحكام»[٣]، واجعلوا السُّكُوتَ عن سؤاله وِقَايَةً؛/ حتَّى يأتيكم من أَمْرِ الله ما أراد.

٢ [١١٧/ب]

السَّابع والستون[٤]: قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْ﴾[٥]

معناه: افهموا، وهو أَحَدُ[٦] معاني السمع، وهو أَوْلاها، وخصَّه هاهنا لأن ذِكْرَه للأحكام في هذه الآية جاء على وَجْهٍ من الإشكال أَوْجَبَ سَبَبَيْنِ:

أحدهما: عدم فَهْمِ الآية.

والثاني: الاختلاف فيها.

فلذلك أَمَرَ بالتثبت، وأن يتخذ وقاية دون العجلة؛ حتى يفهم مراد الله فيها.

الثامن والستون[٧]: قوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٨]

طَلَبَ بنو إسرائيل المائدة لتسكن نفوسهم[٩] بما يشاهدون من الآية،

---

(١) في (ص): السابع والستون.
(٢) [المائدة:١٠٢].
(٣) أحكام القرآن: (٢/٦٩٨-٧٠٠).
(٤) في (ص): الثامن والستون.
(٥) [المائدة:١١٠].
(٦) في (ك) و(ب) و(ص): بأحد، وضبَّب عليه في (د)، والمثبت من طرته.
(٧) في (ص): التاسع والستون.
(٨) [المائدة:١١٤].
(٩) في (ص): قلوبهم، وأشار إليه في (د).

وتطمئن قلوبهم بالمعجزة؛ فأُجِيبُوا إلى ذلك، إذ كان مرادهم حصول اليقين وزيادة البصيرة(١).

قال علماؤنا: «لم تنزل سَكِينَةٌ على بني إسرائيل حتى(٢) طلبوها، ونزلت على هذه الأمة قبل الطلب، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ [الفتح:٤]»(٣).

فلمَّا سألوها(٤) قال عيسى لهم: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، أي: اجعلوا بينكم وبينه وقاية عن سؤال هذا، واقتصروا على ما رأيتم من الآيات، فصَرَمُوا، وقالوا: ﴿نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾، يعني: شَرَفًا(٥)، ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾، معناه: نزداد(٦) يقينًا وعلمًا بتصديقك، فأجابهم الله، فلم يتقوا الله وخالفوا الأمر، وذلك ليعلم العالمون أن المراد إذا حصل والكرامة إذا تحقَّقت فالخطر أشد، والمخافة أعظم، والحالُ من الملامة أقرب(٧).

التاسع والستون(٨): قوله: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾(٩)

أخبر تعالى أن الحياة الدنيا لَعِبٌ ولَهْوٌ، غرَّارة مَخُوفة، مُتْعِبَةٌ مُلْهِيَةٌ،

---

(١) لطائف الإشارات: (١/٤٥٥).

(٢) في (ب): حين.

(٣) لطائف الإشارات: (١/٤٥٥).

(٤) في (ص): فلمَّا سألها بنو إسرائيل.

(٥) في (د): شرقًا.

(٦) في (ب) و(د): تزداد.

(٧) ينظر: لطائف الإشارات: (١/٤٥٦).

(٨) في (ص): الموفي سبعين.

(٩) [الأنعام:٣٢].

فتقواها تَرْكُها ؛ فإنه[١] لو لم يَفُتْ بها مع الاستقامة عليها إلَّا أن الفقراء يسبقون الأغنياء إلى الجنة ، وهم أكثر أهلها.

المُوَفِّي سبعين: قوله: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾[٢]

ذَكَرَ الله تعالى الذين يخوضون ، وأَمَرَ بتركهم والإعراض عنهم ، فلا يُوافَقون في مقالة ، ولا يُباسَطون في حالة ، وذلك -كما بيَّنَّاه في «الأحكام»[٣]- إذا لم يَقْدِرْ على تغييره ، فإذا فَعَلَ ذلك فهذه تقواه التي ترفع اللَّائمة[٤] عنه في أمرهم ، وتُخرجه عن حالهم بكرامته[٥] لهم ولما يفعلونه.

٢ [١١٨/أ]

الحادي والسبعون:/ قوله: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ﴾[٦]

أَمَرَ بالمناجاة ، وحذَّر من الإخلال بشروط المناجاة ؛ كما قدَّمناه في اسم «المُصَلِّي»[٧] ، فإن أردت أن تعيده فأعده[٨].

الثاني والسبعون: قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٩]

يعني: الآيات من قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام:١٥٢] ، لمَّا[١٠] بيَّن لهم فَرَضَ عليهم التُّقَاةَ فيه ، وأشدُّه افتراق السُّبُلِ ، قال النبي ﷺ: «لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ من كان قبلكم شِبْرًا بشِبْرٍ ، وذِرَاعًا بذِرَاعٍ ،

---

(١) في (ص): فإنها.
(٢) [الأنعام:٦٩].
(٣) أحكام القرآن: (٧٣٩/٢).
(٤) في (ك) و(ب) و(ص): الملامة.
(٥) في (ص): كراهته.
(٦) [الأنعام:٧٢].
(٧) في السفر الثاني.
(٨) في (د): تعبده فاعبده.
(٩) [الأنعام:١٥٤].
(١٠) في (ك) و(ب) و(ص): فما ، ومرَّضها في (د) ، والمثبت من طرته.

حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ خَرِبٍ لَدَخَلْتُمُوهُ»[١]، وبافتراق السُّبُلِ يُخِلُّ العَبْدُ بالإِحْدَى عشرة خصلة التي تضمَّنتها هذه الآيات، فإن شئت أن تَذْكُرَهَا وتُنَبِّهَ عليها فافْعَلْ[٢].

الثالث والسبعون: قوله: ﴿وَلِبَاسَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[٣]

يعني: أنَّ الله أنعم على الآدَمِيِّ بما يُوَارِي به قبيح منظرته الظاهرة، ولباسُ التقوى خَيْرٌ منه[٤]؛ فإنَّ لباس الدنيا يقي الآفات الظاهرة، ولباسُ التقوى يقي الآفات التي تُوجِبُ سَخَطَ المولى، وقد يكون للنفس لباسُ التقوى بالجهد في الخدمة، والجِدِّ[٥] في العبادة، وقد يكون للقلب بصدق العَقْدِ، ونَفْيِ الطمع، وتَرْكِ العلائق، وحَذْفِ العوائق[٦].

الرَّابع والسبعون: قوله: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ﴾[٧]

عدَّد الله على بني آدم نِعَمَه وبلاءه، ثم قال: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ مِنِّي بامتثال ذلك كله ﴿وَأَصْلَحَ﴾ - على ما تقدَّم في اسم «الصَّالِحِ»[٨]- فذلك لا خوف عليه ولا حزن له[٩].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ينظر: لطائف الإشارات: (١/٥١١).

(٣) [الأعراف:٢٥].

(٤) في (ص): «الرابع والسبعون: قوله تعالى: ﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾؛ أي: خير من اللباس الظاهر، فإن اللباس الظاهر في الدنيا يقي الآفات الظاهرة».

(٥) في (ك) و(ب) و(د): الجوع.

(٦) لطائف الإشارات: (١/٥٢٧-٥٢٨).

(٧) [الأعراف:٣٣].

(٨) في السفر الثاني.

(٩) سقط من (ص).

الخامس والسبعون: قوله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[(١)]

يعني: ما حَلَّ بمن قبلهم من الغرق والهلاك، حين كان فِعْلُهم فِعْلَهم، وحَالُهم حَالَهم، واذكروا نعمه عندكم التي تُوجِبُ عليكم تقواه.

ثم قال - وهو: السَّادس والسبعون-: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا﴾[(٢)] ما حذَّرناهم منه، واعتبروا بمن سلف قبلهم من الأمم؛ لمكَّنَّاهم من آمالهم الدنياوية، وعصمناهم من الآفات، وليس العبرة في النعمة، إنما العبرة في البركة في النعمة، وليست العبرة في البركة، إنما العبرة في العافية، وهي الرضى[(٣)].

السَّابع والسبعون: قوله: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[(٤)]

يعني: الذين استعانوا بالله، وصبروا على بلاء الله، ورَضُوا بقضاء الله، ولم يؤثر فيهم/ الخروجُ من الوطن، ولا تَعَذُّرُ الزَّمَنِ. ٢ [١١٨/ب]

الثامن والسبعون: قوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[(٥)]

هذه آية عظيمة، تكاد تُوجِبُ يأسًا للمذنبين؛ فإنه أخبر أن الرحمة على سَعَتِها لا تُكْتَبُ إلَّا لمن اتقى، وقال في العذاب: ﴿أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ

---

(١) [الأعراف:٦٤].

(٢) [الأعراف:٩٥].

(٣) ينظر: لطائف الإشارات: (١/٥٥٣).

(٤) [الأعراف:١٣٧].

(٥) [الأعراف:١٥٦].

آشَآءُ﴾، وذلك أن الرحمة هي الإرادة، فعذابه يصيب به من يشاء؛ فإن شاء ألَّا يصيب به أحدًا كان ذلك له، وإن شاء أن يُعَذِّبَ به جميع الخلق كان ذلك له، وإلَّا لم يكن مختارًا، وإنما كان يكون مُكْرَهًا[١].

قال قوم: «رحمتي وسعت كل شيء في الدنيا، وهي في الآخرة للتقوى»[٢].

وقيل: «ورحمتي وسعت كل شيء حتى لأهل النار».

وهذا فاسد، وقد بيَّنَّا فساده في كتاب «الأمد»[٣] وغيره.

وقيل: «﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، أي: تصلح لكل شيء بشرطه»، وهو الإيمان والتقوى، وفيه أربعة أقوال:

الأوَّل: التقوى: التوبة[٤].

الثاني: التقوى من الشِّرْكِ[٥].

الثالث: التقوى من الكبائر[٦].

الرَّابع: قال أهلُ الزهد: «الذين يتقون أن يُرَوا أنهم يتقون، إنما ذلك إلى الله، لا يفخرون ولا يعجبون، فإذا لم يروا أنهم بما فعلوه مستحقون للرحمة وجبت لهم الرحمة»[٧].

---

(١) ينظر: لطائف الإشارات: (١/٥٧٦).

(٢) الهداية: (٤/٢٥٨٤).

(٣) الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/٩٥).

(٤) تفسير الطبري: (١٣/١٥٩-شاكر).

(٥) تفسير الطبري: (١٣/١٥٩-شاكر).

(٦) تفسير الطبري: (١٣/١٦٠-شاكر).

(٧) لطائف الإشارات: (١/٥٧٦).

وقوله عز وجل: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ؛ قد تقدَّم بيانُ[١] ذلك في اسم «المُزَكِّي[٢]»[٣].

ثمَّ قال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦] ، أي: لا يمرُّون على آيات السَّماوات والأرض وما يأتيهم[٤] به الرُّسُلُ وهم معرضون أو مُكَذِّبُونَ[٥] ، ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ ؛ قدَّمه الله في الإيمان وإِنْ أخَّره في الزمان ، فلا[٦] يُقبَل من أحد عَمَلٌ إلَّا بالإيمان به[٧].

التاسع والسبعون: قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[٨]

قيل لهم: ما فائدةُ وَعْظِكم من لا يَقْبَلُ منكم؟

قالوا: لنُعْذِرَ لأنفسنا[٩] عند ربنا ، وتسقط العهدة التي علينا ، ورجاء لقبولهم ، كما قال في قصة فرعون: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:٤٣].

---

(١) سقطت من (ب).

(٢) قوله: «وقوله: .. في اسم المزكي» تقدَّم في (ك) و(ب) و(ص) ، وموضعه فيها بعد قوله: «من الكبائر».

(٣) في السفر الثاني.

(٤) في (ك) و(ب): تأتيهم.

(٥) في (ص): يكذبون.

(٦) في (ك) و(ب) و(ص): فلم ، وضبَّب عليها في (د) ، والمثبت من طرته.

(٧) سقط من (د).

(٨) [الأعراف:١٦٤].

(٩) في (د): أنفسنا.

المُوَفِّي ثمانين: ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[(١)]

وقد تقدَّم.

الحادي والثمانون: قوله: ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[(٢)]

لمَّا أخذوا الكتاب قَهْرًا، لم يعرفوا له قَدْرًا، بل قابلوه بالتحريف، ولم يذكروا ما فيه بالتعريف، ولا اتقوا عاقبة المخالفة، ونقض العهد، ومصادمة[(٣)] الأمر، ومعاندة المالك[(٤)].

[١١٩/أ] **الثاني والثمانون:/** ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾[(٥)]

المتقون إنَّما يَمَسُّهم طائف من الشيطان مع الغفلة، فلذلك تُزِيلُه الذِّكْرَى، ولو أنهم أداموا ذِكْرَ الله بقلوبهم ما كان للشيطان عليهم سَبِيل، ولا بدَّ من الغفلة للمتقين، فلكل صارم نبوة، ولكل عالم هفوة، ولكل عابد شِرَّة، ولكل قاصد فترة، ولكل سار وقفة، ولكل عارف حَجْبَة، ولكل مسلم حُجَّة[(٦)].

---

(١) [الأعراف:١٦٩].

(٢) [الأعراف:١٧١].

(٣) ضبَّب عليها في (د)، وفي الطرة: تضاد، هكذا قرأتها، وقد بترت بعض حروفها، والله أعلم.

(٤) في (ك): الملك.

(٥) [الأعراف:٢٠١].

(٦) لطائف الإشارات: (١/٥٩٨-٥٩٩).

قال بعضهم: «ولكل خَيِّرٍ حِدَّةٌ؛ لِمَا رُوي في الحديث: «الحِدَّةُ في خيار أمتي»[١]»[٢].

وهو خَبَرٌ باطل لا أصل له.

وقد روي أن النبي قال: «إنه ليُغَانُ على قلبي فأستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة»[٣]، وذلك بما كان يعتريه من الغفلات في الفترات، عند مجاذبة الخلق في الشؤون والحاجات.

الثالث والثمانون: ﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[٤]

لمَّا[٥] أُخذت الغنيمة يوم بدر اختلفوا فيها، فأنزل الله الآية، حذَّرهم ما هَلَكَ به من كان قبلهم؛ من كثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، وأمرهم الله أن يتخذوا وِقَايَةً من ترك السؤال، ونبذ الخلاف[٦]، والمبادرة إلى الوفاق، وإصلاح ذات البين بالائتلاف، وطاعة الله وطاعة رسوله في الامتثال، إن كانوا مؤمنين، فهذا حُكْمُ الإيمان.

---

(١) ينظر: المقاصد الحسنة: (ص١٨٦-١٨٧).

(٢) لطائف الإشارات: (١/٥٩٩).

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) [الأنفال:١].

(٥) ضبَّب عليها في (د)، وفي الطرة: «في يوم بدر اختلفوا، فقال: فأنزل الله تعالى، وصحَّحها»، ولم يظهر لي وَجْهٌ في إثباتها.

(٦) في (د): الخلافة.

الرابع والثمانون: قوله: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾[١]

قد بيَّنَّاها في «القبس»[٢] و«الأحكام»[٣] و«الأنوار» بغاية البيان، وأوضحنا منها ما جَهِلَه كثيرٌ من الأعيان، ونخصُّ من البيان في هذا «القسم الرابع» أن نقول[٤]: «المعنى[٥]: احذروا أن تركبوا فتنة تُوقِعكم في أعظم عقوبة لا تختصُّ بمرتكبها، بل يعمُّ شؤمها من تعاطاها ومن لم يتعاطها، والأَصْلُ أنَّ جُرْمَ المذنب لا يتعلَّق بغيره، ولكن من تعصَّب للظالم أو[٦] رَضِيَ بفِعْلِه كان له حُكْمُه، هذا أَمْرُ الله وحِكْمَتُه، وأنَّ السَّفِيهَ إذا لم يُنْهَ مأمورٌ بإجماع من العقلاء، والفاعل للزلَّة مُذْنِبٌ بفِعْلِه، والمُعَاوِنُ مُذْنِبٌ بمَعُونَتِه، والرَّاضِي مُذْنِبٌ برضاه بها[٧]، فالكُلُّ مُذْنِبٌ، وأَجَلُّهُم الفاعل، ولذلك قال النبي: «اللَّهم لم آمُرْ، ولم أشهد، ولم أرض؛ إِذْ بلغني»، فتبرَّأ من الأحوال الثلاث[٨] المُوجِبة للعقوبة.

---

(١) [الأنفال: ٢٥].

(٢) القبس: (٣/١١٧٤-١١٧٦).

(٣) الأحكام: (٢/٨٤٦-٨٤٨).

(٤) في (د): يقول.

(٥) في (د): المفتي.

(٦) في (ك): و.

(٧) سقطت من (ك) و(ب).

(٨) في (ك): الثلاثة.

[١١٩/ب]

ألا ترى أن العالم إذا لَحَظَ[١] إلى رُخَصِ الشَّرْع/ في أَخْذِ الزيادة على القُوت والكفاية وإن كان من وَجْهٍ حلال تعدَّى ذلك إلى من يقتدي به، فيحمله ذلك على الرغبة في الدنيا وتَرْكِ التقلل منها، فيؤديه[٢] إلى الانهماك في أودية الغفلة.

والعابدُ إذا جَنَحَ[٣] إلى تَرْكِ الأوراد تعدَّى ذلك إلى من كان ينشط في المجاهدة، فيستوطن إلى الكسل، ويركن إلى الراحة، ويحمل الفراغُ على اتِّباع الشهوات.

فالشبابُ والفراغُ والجِدَهْ   مَفْسَدَةٌ للدِّين أيُّ مَفْسَدَهْ[٤]

وبالجملة إذا غفل المَلِكُ عن رَعِيَّتِه[٥] وتشاغل عن سياستها تعطَّل الكُلُّ، وعَظُمَ الكُلُّ، وفسد الجُنْدُ، وتعطل الحَدُّ، وذهب الجِدُّ، فإذا اتقى الله في ذلك كله جَعَلَ له فُرْقَانًا»[٦]، وهو:

الخامس والثمانون: قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[٧]

من عِلْم وافر، وإلهام قاهر، وقلب حاضر، والعالمُ فُرْقَانُه بُرْهَانُه، والمُلْهَمُ فُرْقَانُه عِرْفَانُه، والقلب الحاضر برهانه رجحانه، فهُمْ في مجهود

---

(١) في (ب): انحطَّ.

(٢) في (ك) و(ب): فيؤديهما، وفي (ص): فيؤديها.

(٣) في (ص): احتاج.

(٤) البيت من أرجوزة أبي العتاهية الحكمية الذائعة الصيت، وبعضها في الأغاني: (٢٢/٤)، وفيه: «إنَّ الشباب»، وبه يستقيم الوزن.

(٥) في (ك) و(ب): رعاته.

(٦) لطائف الإشارات: (٦١٦/١-٦١٧).

(٧) لم ترد الآية في (ك) و(ب) و(ص)، [الأنفال:٢٩].

نفوسهم، والفرقانُ[١] تعريفٌ من الله، والتكفير تخفيفٌ من الله، والغفرانُ تشريفٌ من الله[٢].

السَّادس والثمانون: قوله: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾[٣]

كانوا يُحَامُون عن المسجد ويمنعون منه باسْم أنهم أولياؤه، وليس له بولي من لا يتقي فيه[٤] الله، وإذا كان يُعَذِّبُ من ليس له بوَلِيٍّ فدليل الخطاب يقتضي أنه لا يُعَذِّبُ وَلِيًّا، وقد قدَّمنا حقيقة «الولي»[٥] في اسمه، والمؤمنون كلهم أولياء الله، وهو وليهم على مقاديرهم، وإن عذَّب فإنه يرحم، وإن أَعْرَضَ فإنه يُقْبِلُ.

بَيْتُ شِعْرٍ[٦]:

إذا سَلِمَ العهدُ الذي كان بيننا ... فوُدِّي وإن شَطَّ المزارُ سليمُ[٧]

السَّابع والثمانون: قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾[٨]

يعني: نَقْضَ العهد مرة بعد أخرى، وهو أعظم خلاف يكون للتقوى، فقد صار نَقْضُ العهد لهم سَجِيَّة، فلا ينبغي أن يَتْرُكَ من استفراغ الوُسْعِ في جهادهم بقيَّة.

---

(١) في (ك) و(ص): العرفان.
(٢) لطائف الإشارات: (١/٦١٩).
(٣) [الأنفال:٣٤].
(٤) في (ك) و(ب) و(ص): الله فيه.
(٥) في السفر الثالث.
(٦) قوله: «بيت شعر» سقط من (د) و(ب) و(ص).
(٧) من الطويل، وهو في لطائف الإشارات: (١/٦٢٢) غير منسوب.
(٨) [الأنفال:٥٧].

ومن أعظم الكبائر التي لا غفران لها في هذا الطريق تَكَرُّرُ نقض العهد، والاستخفاف بالحرمة في كل وقت؛ لما يؤول إليه من سوء الخاتمة، ويدل عليه من فساد الباطن، قال الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ الآية [النساء:١٣٦].

٢ [١٢٠/أ]

الثامن والثمانون: قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١]/

حذَّرهم الله أن يختلفوا بين يَدَيْ رسول الله، كما تقدَّم بيانُه.

التاسع والثمانون: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٢]

وقد تقدَّم.

وقوله بعد ذلك: ﴿فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٣]، وقد تقدَّم أيضًا بيانُه، فإن[٤] شئت أن تبسطه فابسطه، فإن المَحَلَّ يحتمل، وهو:

المُوَفِّي تسعين: قوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٥]

يعني: بعصمته ونصرته، ولَمْ[٦] أَذْكُرْ[٧] وجوه المعيَّة؛ فإني أخاف[٨] عليكم المَلَلَ بالتطويل، فأمَّا[٩] أنا فإنه[١٠] أَلَذُّ عندي من نَسِيمِ البَلِيل، وأَوْقَعُ

---

(١) [الأنفال:٧٠].

(٢) [التوبة:٧].

(٣) في (ك) و(ب) و(ص): فاستقيموا إن الله يحب المتقين.

(٤) في (ك) و(ب) و(ص): إن.

(٥) [التوبة:١٢٤].

(٦) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٧) في (ك): اذكروا.

(٨) في طرة بـ (د):في خـ: خفت.

(٩) في (ك) و(ب) و(ص): وأما.

(١٠) في (ب): فهو.

في نفسي من رِيِّ الغليل، وأنجع من شفاء العليل، وكيف لا يكون معهم وهو عليم بهم، محيط بسرائرهم وعلانيتهم! كما قال: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:٤٤]، وهو:

الحادي والتسعون: وهذه الآيةُ من أغرب آيةٍ في كتاب الله، وذلك أنَّ الله تعالى أخبر عن تخلُّفِ المنافقين في غزوة تَبُوكَ عن المؤمنين، وخصَّ بالذِّكْرِ منهم من أَذِنَ له رسول الله، ثم قال: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ [التوبة:٤٣]، فبدَأَهُ بالعَفْوِ قبل العِتَابِ، تأنيسًا له[1] وتَطْيِيبًا لنفسه الكريمة؛ لئلَّا يخجل ويغتمَّ، فلم يكن منه ﷺ[2] ارتكابُ محظور ولا تجاوزُ[3] حَدٍّ، وإنَّما تَرَكَ الأولى بالاجتهاد وعموم الإذن في قَبُولِ العُذْرِ في الظاهر، وأخبر أنهم ﴿لَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ﴾[4] [التوبة:٤٦]، يعني: لم يُرِدْهم فخلق لهم القعود، ﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾، حَكَمَ عليه بذلك وسجَّل، وأخبر عنه فاعتمل به واحتمل، وبيَّن سبحانه صواب الرأي في قبول العذر بقوله: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ [التوبة:٤٧]، ممَّا[5] كان عندكم من الخبال بأمثالهم، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾؛ ممَّن خرج ومَن بَقِيَ، فلذلك قَبِلَ توبة من تحقَّق تُقَاتَه، وعَلِمَ صِدْقَه، فانظروا[6] إلى عَتْبِه، ثم تصويب رَأْيِه.

---

(١) قوله: «تأنيسًا له» سقط من (ك) و(ب) و(د).

(٢) في (ك): صلى الله عليه.

(٣) في طرة بـ (د): في خـ: مجاوزة.

(٤) في (د): ولكن الله كره انبعاثهم.

(٥) في طرة بـ (د):في خـ: فيما.

(٦) في (د): وانظروا.

الثاني والتسعون[١]: قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٍ﴾[٢]

كان أهلُ مسجد الضِّرَارِ قد بَنَوا مسجدهم على نيَّة السعي بالفساد، والتَّضْرِيبِ بين الناس، والإيضاع في الخبال، وتَشْتِيتِ الحال على النبي والمؤمنين، وتزهيد الناس فيهم، والتَّعْيِيبِ لهم، وعمارة مجالسهم بذلك، وأَسَاسُ الأعمال الدنيوية والدينية النيَّات، فإذا صحَّت ثَبَتَ/ المترتب[٣] عليه؛ كان من أعمال الدنيا أو من أعمال الآخرة، واتَّسق على نظام الطاعة فيها.

٢ [١٢٠/ب]

وأنتم يا مَعْشَرَ المريدين: إليكم فاسمَعُوا، وعليكم فَعُوا؛ أن تَبْنُوا[٤] نيَّاتكم في الإرادة للتجرد للعبادة على يَقِينٍ صادق فيما تعتقدونه، ثم على خلوص في العزيمة، وحَزْمٍ[٥] -في الانتهاض للمَسِيرِ[٦] على طريق الهداية إلى الله سبحانه- تَامٍّ، وعَزْمٍ نَافِذٍ، ألَّا تنصرفوا عن الطريق التي تسلكونها قبل الوصول، ولينسلخ كُلُّ أَحَدٍ منكم عن شهواته ومآربه ومطالباته، ثم يبني أمره على دوام ذِكْرِه، بحيث لا يعترضه نسيان، ولا يَعُوقُه عائق يسلبه الذِّكْرَ أو العرفان، ولا يجعل لأحد على قلبه سلطان[٧]، وليصرم حَبْلَ

---

(١) في (د): الثاني وتسعون.

(٢) [التوبة: ١١٠].

(٣) في (ك): الترتيب.

(٤) في (ك): تبثوا، وفي (ص): تبتوا.

(٥) في (د): جزم.

(٦) في (ك) و(ب) و(ص): للسير.

(٧) كذا في جميع النسخ.

النسوان والولدان، وليتجرَّد حتى يَتَّسِمَ بسِمَةِ الخلصان، ويرتسم في عباد الرحمن؛ فإنه إن ضيَّع الأصول في الطريق حُرِمَ الوصول، وذلك لمن لم يُحْكِمِ الأساس - أوَّلًا - في البنيان، فإنه إذا لم يفعل ذلك سَقَطَ عليه الحائط في المقام، أو خَرَّ عليه السقف وهو لا يشعر عند التمام[1].

وقد أَكَّدَ الله الخبرَ عمَّن يؤسس بُنيانَ إرادة على غير تقوى؛ فإن القلب يبقى مُرْتَابًا في أثناء المسير[2] للمريد، حتى إذا لَقِيَ عائقًا أو تَشَبَّثَتْ به في أثناء ذلك عَلاقة انحلَّ رَبْطُه، وانهار بنيانه، ونكص على عَقِبَيْهِ، ومن أُيِّدَ بصحيح البرهان، ووُفِّقَ لتأمُّلِ الفرقان، وأُعطي من القوة بحيث يَصْدِفُ[3] عن العوائق، ويقطع عارض العلائق، إمَّا أن يبقى حائرًا في ظلمة الترديد، أو تذهب به الخواطر إلى خلف، وذلك بما يكون من القضاء السَّابق في التيسير له أو[4] التعسير عليه.

كما[5] قال سبحانه - في الثالث والتسعين-: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًاۢ بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة:١١٦]؛ فعلمه[6] قولًا، ثم نفذ[7] فيه ما أراد حُكْمًا، فالبيانُ بالقول لقيام الحجة، والإنفاذُ بالفعل لتصحيح الحكمة والدلالة على المشيئة والقدرة، وتكون الهداية في هذه الآية بمعنى البيان، لا بمعنى خَلْقِ الهُدى في القلوب.

---

(١) لطائف الإشارات: (٢/٦٣).

(٢) في (ك) و(ب) و(ص): السَّير.

(٣) في طرة بـ (د): في خـ: ينصرف.

(٤) في (د): و.

(٥) سقط من (ك).

(٦) في (ك) و(ب) و(ص): فبيَّنه، ومرَّضه في (د)، والمثبت صحَّحه بطرته.

(٧) في (ك) و(ب) و(ص): ينفذ.

الرَّابع والتسعون: قوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[١]

٢ [١٢١/أ]

فيه سِتَّةُ/ أقوال:

الأوَّل: «كُونُوا مع المسلمين»[٢]، والخطابُ لمن آمَنَ من أهل الكتاب[٣].

الثاني: «كُونُوا مع الصادقين في الحديث، وتجنَّبوا الكذب»[٤].

الثالث: «استديموا[٥] إيمانكم؛ وكونوا مع الداخلين في الجنة بقَدَمِ الصدق الذي لهم عند ربهم»[٦].

الرابع: «كُونُوا مع المهاجرين الأوَّلين»[٧].

الخامس: «سَوُّوا بين سِرِّكُمْ وعلانيتكم»[٨].

السَّادس: «كونوا في أقوالكم وأعمالكم على مقتضى عقائدكم، ففي الحكمة: «كَذَبَ من ادَّعى محبتي؛ فإذا جنَّه الليل نام عنِّي»[٩]، يعني: أن تلك الحالة هي التي يطلبُ الحبيبان من الخلوة، أو أحدهما في الآخر.

---

(١) [التوبة: ١٢٠].

(٢) لطائف الإشارات: (٢/٧١).

(٣) في (د): والخطاب لأهل الكتاب.

(٤) لطائف الإشارات: (٢/٧١).

(٥) في (د): في خـ: استرعوا.

(٦) لطائف الإشارات: (٢/٧١).

(٧) لطائف الإشارات: (٢/٧١).

(٨) لطائف الإشارات: (٢/٧١).

(٩) لطائف الإشارات: (٢/٧١).

وللتقوى منازلُ؛ منها: هذه الستة التي ذَكَرُوا.

الخامس والتسعون: قوله: ﴿لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾[١]

يعني: في اختلاف الليل والنهار، فاختصاصُ النهار بضيائه، واختصاص الليل بظَلْمائه، من غير وجوب ذلك ولا استحقاق، هذا دلالة على الرد والقبول، والقطع والوصول[٢]، ليس لسبب ولا علة ولا معلول، وإنَّما[٣] هي إرادة ومَشِيَّة[٤]، وحكمة وقَضِيَّة[٥].

والنَّهارُ لأصحاب العرفان، والليل لأهل الامتحان؛ فإنه للمُحِبِّ وَقْتُ نَجْوَى، وللعاصي حِينُ شَكْوَى[٦].

﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس:٦]، يعني: من الدلالات، وعجائب المخلوقات، وقد أشرنا إلى نُبْذَةٍ منها في اسم «المتفكر»[٧]، وهي أكثرُ من أن تُذكر، وما منها إلَّا ما له مثالٌ في الدين، ضَرَبَ الله به المَثل للمؤمنين.

ومن أعظم أنواع العبرة فيه التي يجب أن تُتَّقَى أنَّ فيها كوكبين؛ شمسًا وقمرًا، فالشمسُ أبدًا ثابتة بضيائها، والقمر في زيادة ونقصان، ومحو

---

(١) في النسخ: إن في ذلك لآيات لقوم يتقون، [يونس:٦].

(٢) في (د): الوصل.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): إنما.

(٤) في (ص): شِئَةٌ.

(٥) لطائف الإشارات: (٢/٨٠).

(٦) لطائف الإشارات: (٢/٨٠).

(٧) في السفر الثاني.

وإثبات، وكمال في ليلة أو ليلتين، وذلك مَثَلٌ لمن تدوم حاله فلا يتغير من العبَاد، بما أحاط به من التوفيق، وذلك الآخَرُ مَثَلٌ لمن تتغيَّر أحواله، وتتبدَّل أقواله وأعماله، والكلُّ إلى فناء وعدم؛ لأنه ليس له وَصْفُ القِدَمِ[١].

ومن أعظم ما يُتَّقى فيها الشَّكُّ في زوالها، ويليها الاعتقاد بأن لها تأثيرًا في فِعْلٍ، أو أنها سَبَبٌ في عَمَلِ أَمْرٍ، فذلك مناقض للعقل، مبطل للإيمان، ما[٢] للشمس والقمر حَظٌّ في النبات ولا في الحيوانات، وإنَّما الذي ترى[٣] بينهما من الارتباط علامات./ ٢ [١٢١/ب]

السَّادس والتسعون: قوله: ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[٤]

أَمَرَ الله نبيَّه أن يُقَرِّرَهم على من يرزقهم من السماء والأرض بالمطر والنبات، ومن يُنشئ السمع والأبصار، ومن يُخرج الحي من الميت؛ النبات من الحَبِّ، والحب من النبات، والشعر والظفر والجنين من النطفة، والنطفة من الحي، والكافر من المؤمن، والمؤمن من الكافر.

ويُدَبِّرُ أمر السماوات والأرض؛ من شتاء وصيف، وريح وسُكون، فإذا قالوا: ﴿ٱللَّهُ﴾، قل لهم: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ من يفعل ذلك في عبادتكم لغيره؛ ممَّن لا يخلق ولا يعقل، ولا يضر ولا ينفع، وكذلك يُقال لمن يَنْسُبُ ذلك إلى الأسباب: إنك مُقِرٌّ بأن الله خالق الكُلِّ، فاتَّقِ أن تُخرج عن قدرته إلى بَعْضِ مقدوراته بَعْضَ مخلوقاته، وانسُب المسبَّب إليه كما تنسبُ

---

(١) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/ ٨٠).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): فما.

(٣) في (ك) و(ب): يرى.

(٤) [يونس:٣١].

السَّبَبَ، واجعل الكُلَّ فِعْلًا له بقدرته، فذلك أَبْدَعُ وأعجب، ولا تكذب عليه فتقول: خَلَقَ فيها القُوَّةَ على ذلك؛ فإنه لم يُخْبِرْكَ بذلك، بل أخبرك أنه لا فاعل سواه، ولا خالق غيره، ولا مُدَبِّرَ إلَّا هو، فكيف يكون للشمس والقمر أو للجمادات تدبيرٌ، أو يصحُّ منها وُجُودُ فِعْلٍ مُحْكَمٍ؟ هل يخرج هذا[١] من قَلْبِ عَبْدٍ[٢] إلَّا[٣] وهو بالجهل مُفْعَمٌ!

السَّابع والتسعون: قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾[٤]

المعنى: الذين قالوا: لا إله إلا الله، ووَفُوا بذلك في الاعتقادات والأقوال والأفعال، باجتناب المحرَّمات، والعزوف عن الشهوات، والتحذُّر من الغفلات، والتوقِّي للشبهات، دع عنك المحرَّمات، فهؤلاء لهم البشرى قَطْعًا؛ في الحياة الدنيا بالعيشة الطيبة، وفي الآخرة بالحالة المرضية، ألا ترى كيف لم يَكِلِ البشرى إلى أَحَدٍ، فقال: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ [التوبة:٢١]، لمَّا لم يخرجوا عن عُهْدَةِ الإسلام، ووَفُوا بشَرْطِ الالتزام؛ قُوبِلُوا بغاية البِرِّ والإكرام، بما كُوشِفُوا به من الإعلام[٥].

فالبِشَارَةُ **الأولى**: ما يجدونه في قلوبهم من اللَّذَّةِ بالمعرفة[٦].

---

(١) بعده في (ك) و(ص) و(ب): إلَّا، وضرب عليها في (د).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): غدا.

(٣) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٤) [يونس:٦٣-٦٤].

(٥) ينظر: لطائف الإشارات: (١٠٦/٢).

(٦) ينظر: لطائف الإشارات: (١٠٦/٢).

والبشارة **الثانية**[١]: ما يجدونه في نفوسهم من هوان الحاجات والمَآرِبِ[٢].

والبشارة **الثالثة**[٣]: ما يجدونه على أرواحهم من الرضى بالكوائن، فرَوْحهم مع وجودها كرَوْحهم قبل وُرُودِها[٤].

٢ [١٢٢/أ]

والبشارة **الرَّابعة**[٥]:/ ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٣٠-٣١].

والبشارة **الخامسة**: «يا أهل الجنة، خُلُودٌ فلا موت»[٦].

والبشارة **السَّادسة**: «قد أحللتُ عليكم رضاي، فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»[٧].

وذلك مُتَحَقِّقٌ بقوله: ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

الثامن والتسعون: قال الله لنَبِيِّه بعدما قصَّ عليه أعظم الأخبار وأَوْلاها وأحراها بالاعتبار وأدناها: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ﴾ كما صبر نوح، فـ﴿إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]، على الوجه الذي قدَّمنا، ومنها الضجر بالبلاء، والملل من التحمل للأعباء، والفشل عن التضرع والدعاء.

---

(١) في (د): والثانية.

(٢) ينظر: لطائف الإشارات: (١٠٦/٢).

(٣) في (د): والثالثة.

(٤) ينظر: لطائف الإشارات: (١٠٦/٢).

(٥) في (د): والرابعة.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) سبق تخريجه.

التاسع والتسعون: قوله: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾[١]

يعني: اجعلوا بينكم وبين ما تفعلون من المنكر وقاية، وهؤلاء بناتي فاتخذوهن وقاية.

قيل: «أراد بنات أُمَّته؛ لأنَّ كل نبي بنات أمَّته بناتٌ له»[٢].

وهذا لا يصح بحال، فلا وجه لدعواه.

وقيل: «أراد به بنات نَفْسِه»[٣].

أي: خذوهن مني بالنكاح، فهنَّ أطهر لكم، أي: أنقى من المعصية، وأَوْضَأُ من الحرام.

قال بعضُ النَّاس: «وحَمَلَهُ[٤] ما رأى من الغلبة على إلقاء جلباب الحشمة»[٥].

وعلى قول بعض الفقهاء: «ولم يُراع الكفاءة»، أو كان زواج الكافر للمؤمن جائز[٦]، ذلك كلُّه ليَفْدِي ضِيفَانه ببناته.

المُوَفِّي مائة: قوله: ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[٧]

أَخْبَرَ الله في هذه الآية بحُكْمِه، قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا

---

(١) [هود:٧٧].

(٢) لطائف الإشارات: (١٤٨/٢).

(٣) لطائف الإشارات: (١٤٨/٢).

(٤) في (د): جملة.

(٥) لطائف الإشارات: (١٤٩/٢).

(٦) الهداية: (٣٤٤٣/٥).

(٧) [يوسف:٥٧].

لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [يوسف:٥٦]، المعنى: لمَّا كان مالكًا لشهوته ملَّكه الله الحُكْمَ على خليقته[١]، وجعل في يديه أرزاق أمته.

قال الله سبحانه: ﴿وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةً نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ﴾ [الشورى:٢١]، ثم أخبر عن حقيقة التوحيد، وبيَّن أن ما يُؤْتِي عبادَه من أَلْطَافِه[٢] فبِفَضْلِهِ لا بِفِعْلِهِمْ، وبرحمته[٣] لا بخدمتهم، ثم بيَّن فقال: ﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ﴾، ثم بيَّن أنه لمن[٤] يكون[٥]، فقال: ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾، يعني: يجعلون بينهم وبين هواهم وقاية؛ إمَّا من مروءة، وإمَّا من ديانة.

الحادي ومائة: قولُه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[٦]

فاتَّقى يوسف شهوته، وصبر على البلاء، فوفَّاه الله أجره بالمُلْكِ في الدارين.

أخبرنا الشهيدُ أبو سَعْدٍ[٧] بالقدس، وأبو الفضائل ابن طَوْقٍ بمدينة السَّلام، عن الأستاذ/ أبي القاسم القُشَيري، عن أبي علي الدقَّاق شيخ الصوفية قال: «إن[٨] يوسف لمَّا قال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ﴾، فأشار إلى

٢ [١٢٢/ب]

---

(١) في (ب): خليفته.
(٢) في (ك) و(ص) و(ب): الطاعة.
(٣) في (د): رحمته.
(٤) في (د) و(ص): لم.
(٥) في (ص): يكن.
(٦) في (ك) و(ص) و(ب): ﴿إنه من يتق ويصبر﴾ الآية، [يوسف: ٩٠].
(٧) هو الإمام محمد بن طاهر الزنجاني، سبق التعريف به.
(٨) في (د): ابن.

استحقاق الأجر على ما عمل من الصبر؛ أنطقهم الله حتى أجابوه بلسان التوحيد، فقالوا له[1]: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾، أي: ليس هذا إلَّا بإيثار الله وإرادته[2] لا بصبرك، فانقادَ يوسف حينئذ فقال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾، فأسقط عنهم اللَّوم حين نبَّهوه عليه، فلمَّا[3] لم يَرَ تقواه[4] من نفسه لم ير جفاءهم منهم، فنطق عن عين[5] التوحيد فقال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف:٩٢]»[6].

واعترفوا بفَضْلِ يوسف بعد ما أنكروه وضجروا من تفضيل أبيه له، وأخذوا في طريق التجاوز وهو الاعتراف، فأسرع يوسف في التجاوز عنهم، ووعد يعقوب بذلك[7]، وفيه كَلَامٌ أمليناه في الألف الآية اليُوسُفِيَّةِ من «أنوار الفجر»[8].

الثاني والمائة: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[9]

قد بيَّنَّا في كتاب «قانون التأويل»[10] الفَرْقَ بين المِثل والمَثل، وليس

---

(١) سقط من (ك) و(ص).
(٢) بعده في (د) ما لم أتبينه، لسوء التصوير.
(٣) في (ك) و(ص) و(ب): فكما.
(٤) بعده في (د) علامة اللحق، وفي الطرة: تنبه منهم نطق عن عين التوحيد، وصحَّحها، ولم يظهر لي وجه في إثباتها.
(٥) في (د): غير.
(٦) لطائف الإشارات: (٢/٢٠٤).
(٧) لطائف الإشارات: (٢/٢٠٤).
(٨) بعده في (ص) من زيادة الأشيري: «الثالث والمائة: قوله تعالى: ﴿ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون﴾، وقد تقدَّم».
(٩) [الرعد:٣٥].
(١٠) قانون التأويل: (ص١٤١-١٤٢).

لله[١] مِثْلٌ، وله المَثل الأعلى في السماوات والأرض، وهو العزيز الحكيم، الذي لا يُنال بوَجْهٍ[٢]، الحكيم فيما قضى[٣] ودبَّر، ووصف به نفسه وأخبر، قال ابن عباس: «ليس في الجنة من الدنيا إلَّا الأسماء»[٤]، وقد بيَّنَّا ذلك في «العواصم»[٥] و«المقامات» صَدْر هذا الكتاب وغيره[٦].

ولهم فيها جنات وعيون؛ مَثَلًا لما شاهدوه من جنس[٧] الدنيا[٨]، فإنَّ أحسن الجنات ما كان له عين جارية، كما قال[٩]: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾[١٠] [الحجر:٤٥]، و﴿فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾[١١] [القمر:٥٤]، و﴿فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾[١٢]

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): له.

(٢) في (د): بوجهه.

(٣) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) العواصم: (ص١٤-١٥).

(٦) في (ك) و(ص): وغير ذلك، وبعده في (ص) من زيادة الأشيري: «الخامس والمائة: قوله تعالى: ﴿تلك عقبى الذين اتقوا﴾، أي: المصير إلى هذه الجنة الموصوفة يكون في الأخرى عاقبة من اتقى الشهوات في الدنيا، فيكون ما يؤتاه فيها من أُكْلٍ دائم جزاء ما أسلفه من جوع ملازم، وما يهيأ من ظل ثوابًا عن ضَحائه في خدمة المولى الأجل».

(٧) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٨) في (ك) و(ص) و(ب): في موضعين، وضرب عليها في (ص).

(٩) وهو الثالث والمائة.

(١٠) بعده في (ك) و(ص) و(ب): في موضعين.

(١١) وهو الرابع والمائة.

(١٢) وهو الخامس والمائة.

[الطور:١٥]، و﴿فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ﴾[1] [المرسلات:٤١]، وكما[2] أن فيها عيونًا، ففيها أنهار، ولا يَطِيبُ ذلك إلَّا بالظلال، وظِلُّها ليس من ثمارها، وإنما هو هواء سَجْسَجٌ[3].

يدخلونها بسَلَامٍ، أي: بسلامة من الآفات.

وقيل: تُسَلِّمُ عليهم، ويسلم عليهم ربهم، ويأخذون ما آتاهم ربهم، ويتنعَّمون به ويتفكَّهون فيه، ويتمتعون في فنونه.

وفي ذلك شَرْحٌ؛ فخُذُوا كل شيء من موضعه على ما بيَّنَّاه في «قانون التأويل»، فمن عجز عن ذلك أو[4] استبعده فهذا القَدْرُ يكفي في منفعته إن كان مُرِيدًا، أو في الحجة عليه بسعة العلم إن كان عنيداً، وإنَّما ذكر سبحانه هذه الخمسة وإن كانت واحداً لاختلاف مُتَعَلَّقَاتِهَا.

٢ [١٢٣/أ]

السَّابع والمائة:/ قوله: ﴿وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾[5]

هو قوله: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود:٧٨]، كما تقدَّم، إلَّا أنَّ هذا الكلام وقع هاهنا مُجَرَّدًا في سؤاله لهم تَرْكَ الخزاية؛ بالمروءة في بِرِّ الأضياف، وبالديانة في ترك الحرام، وفي «سورة هود» كان التصريح أكثر.

---

(١) وهو السَّادس والمائة.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): فكما.

(٣) أي: المعتدل بين الحر والبرد، تاج العروس: (٣٠/٦).

(٤) في (ك) و(ب): و.

(٥) [الحجر:٦٩].

الثامن والمائة: قوله تعالى: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾[١]

هذا هُوَ قوله: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء:١٣٠]، إلَّا أن تلك الآية مخصوصة بأهل الكتاب، وبيَّن في هذه الآية أنها وصية لكل نبي، وأُخْتُ لا إله إلا الله في الإنذار، وناهيك بهذا شَرَفًا لها[٢]، فافهموه فإنه نفيس، وفيه كلام طويل لا أراكم تحتملونه؛ لما رأيتُ من كثرة الكسل لديكم، وكثرة الفشل فيكم، وعظيم القواطع عندكم، وقلة المساعد لكم، وإِنْحَاءِ الدنيا عليكم.

التاسع والمائة: قوله: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ﴾[٣]

يعني: اتقوا الكفر، كان الوفدُ إذا سألوا عن النبي والرُّكْبَانُ إذا[٤] استخبروا حاله والسُّفَّارُ إذا تناقلوا حديثه والسُّمَّارُ إذا أجرَوا قصته قال الذين كفروا: أساطير الأولين، يعني: أكاذيب العجم، فضَلُّوا وأَضَلُّوا، ليحملوا أوزارهم كاملة[٥] وأوزار من قَبِلَ منهم.

وقال الذين اتقوا: دِينُه حق، والذي أُنزل عليه خير، وهو أنَّ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النحل:٣٠]، يعني: دارهم[٦]، وهو: **العاشر والمائة**.

---

(١) [النحل:٢].

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): لهما.

(٣) [النحل:٣٠].

(٤) سقطت من (ك).

(٥) سقطت من (ك) و(ب).

(٦) قوله: «يعني: دارهم» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

قال علماؤنا: «قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ تَفْسِيرٌ من الله لمعنى قولهم: الخير»، إلى آخر القول.

والحسنة التي وجدوا في الدنيا هي حلاوة الطاعة، وصفاء الوقت، ولَذَّةُ العبادة، وزيادة التوفيق لهم في الأعمال، ونماء التحقيق في الأحوال، وتبليغ المريدين منازل الأكابر، والبالغين[1] مراتب السَّابقين، وما يتعدَّى منهم إلى غيرهم من بركات إرشاد المريدين، وتنبيه الغافلين، وإفادة المتعلمين، وفي هذا كله حديث زائد وأخبار[2] تُنْقَلُ من مواضعها، على رسم القانون في هذه العشرة المراتب التي أوردتُها الآن.

قال سبحانه: ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ بما لا يحصى من التفضيل؛ بما هي عليه من البقاء، والأمن من الزوال، والعصمة من الآفات.

[١٢٣/ب] ثم ذَكَرَ/ أَلَذَّ ما في الجنة[3]؛ وهو أنه يؤتى فيها ما يشتهي، ونكَدُ الدنيا إنَّما هو تعذر الآمال، وضيق الأحوال، وقصور القدرة عنها، والجنة متسعة لذلك وأكثر، حتى تنقطع الأماني بالعَبْدِ وتغلبه، فلا يجد ما يتمنَّى، فهذا جزاء المتقين، وهو:

الحادي عشر والمائة: قوله: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾[4]

على ما يأتي بيانه في اسم «الطَّيِّبِ» إن شاء الله.

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): التابعين.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): وفي هذا كله حديث وآية وآثار وأخبار.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): ثم ذكر الدنيا في الخيبة، وفي طرة بـ (ص): في خـ: الجنة.

(٤) [النحل: ٣٢].

الثاني عشر والمائة: قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[١]

قد تقدَّم ذِكْرُ المَعِيَّةِ ومعناها في قوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١٩٣]، وقد تقدَّم الإحسان[٢] في اسم «المُحْسِنِ»[٣].

الثالث عشر والمائة: قوله[٤]: ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾[٥]

يعني: يحيى صلوات الله عليه.

ذَكَرَ المفسرون عن النبي ﷺ: «أنه ما من أحد إلَّا قد أذنب أو هَمَّ بذنب، إلَّا يحيى بن زكرياء»[٦]، وهو خَبَرٌ ليس له سند، ولا في المعنى معتمد، ما من الأنبياء أَحَدٌ إلَّا كان تَقِيًّا؛ من آدم إلى مُحَمَّدٍ[٧]، كلهم تَقِيٌّ نَقِيٌّ، ويحيى فيهم شَرِيفٌ سَنِيٌّ، وقد بيَّنَّا خصاله في «كتاب الأنبياء».

الرابع عشر والمائة: قوله: ﴿إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾[٨]

حَمَلَ الافتئاتُ[٩] على كتاب الله قومًا على أن يقولوا: «إنَّ تَقِيًّا اسمُ

---

(١) [النحل:١٢٨].
(٢) سقط من (د).
(٣) في السفر الثاني.
(٤) سقط من (ك) و(ص) و(ب).
(٥) [مريم:١٢].
(٦) أخرجه الطبراني في أكبر معاجمه عن ابن عباس رضي الله عنهما: (٢١٦/١٢)، رقم: (١٢٩٣٣).
(٧) بعده في (ص): صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.
(٨) [مريم:١٧].
(٩) في (ك) و(ص) و(ب): العدوان، وضبَّب عليها في (د)، والمثبت صحَّحه بطرته.

رجل»[١]، وإنَّما هو أعوذ بالرحمن منك إن كنت ذا تقوى ونهية، أَيْ[٢]: يجب أن تخوَّف بالرحمن إن كنت[٣] تعرفه، وذَكَرَتِ الرحمن دون ذِكْرِ الله استعاذةً برحمة تحفظها منه، ولم تجد كلمة أحظى منها عندها، ولقد استعاذت بمُعَاذٍ، وبه يستعاذ من كل شر، ومن شَرِّ الشيطان وشِرْكه، وهَمْزِه ونفثه ونفخه، ولو كان الذي تعوَّذت منه لا يعرف الرحمن فإنها تعرفه، والمُعَوَّلُ[٤] على معرفة المستعيذ لا على معرفة المُسْتَعَاذ منه، بلا مرية ولا خلاف، وهذا من نَفِيسِ العلم.

الخامس عشر والمائة: قوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾[٥]

أي[٦]: نجعل الجنة لهم ميراثًا، بقوله: ﴿نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم:٦٣]، وهو **السَّادس عشر والمائة**.

وهذه الآية تكشف لك منازل التقوى، ومراتب البلوى، وفائدة الطاعات، فقد تقدَّم في «مقام القيامة»[٧] أنَّ الناس في جواز الصراط على طبقات؛ ناج مُسَلَّم، ومخدوش مرسل، ومار كالبرق، ومار على رجليه، ٢ ومار تلفحه النار مرَّة وتُخْلِيه أخرى./ [١٢٤/أ]

---

(١) الهداية: (٤٥١٠/٧)، وهو قول وهبه بن منبه.

(٢) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): وأنت ممَّن، ومرَّضها في (د)، والمثبت صحَّحه بطرته.

(٤) في (د): القول.

(٥) [مريم:٧٢].

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): و.

(٧) في السفر الأوَّل، المقام الثالث.

السَّابع عشر والمائة: قوله[1]: ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[2]

جعل البشرى لمن اتقَّاه على الإطلاق، ويكون بتقييد على وجوه؛ لمن وقع في بعض المكاره دون بعض.

الثامن عشر والمائة: قوله: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[3] ما أوعدتهم به، رجاء ما وعدتهم، خرج الأمر مخرج الرجاء والخوف والإبهام، حتى يكشف لك[4] العيان منازل ذلك ومواضعه[5]، ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ فيما أغفلوه بما يأتي لما مضى.

التاسع عشر والمائة: قوله: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[6]

هو قوله: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣]، وهذا حقيقة ذلك المجاز، تقديرُه: والعاقبة لذي التقوى.

المُوَفِّي عشرين ومائة[7]: قوله: ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾[8]

إنَّ الله لا ينالُ شيئًا ولا ينالُه شيء على الاتصال، وإنما هو عطاؤه

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(ب).
(٢) [مريم:٩٨].
(٣) [طه:١١٠].
(٤) سقط من (ك) و(ص) و(ب).
(٥) في (ك): مواضعه.
(٦) [طه:١٣١].
(٧) في (ك) و(ص) و(ب): المائة.
(٨) [الحج:٣٥].

للخلق، فِعْلٌ يفعله، وعطاءُ الخلق[1] فِعْلٌ يفعلونه، والنَّوْلُ هو الاتصال بالشيء، وذلك من الله فينا من صفات الأفعال، فصُوَرُ الأفعال لا منفعة فيها لنا، ولن يقبل الله شيئًا منها إلَّا أن تكون مقترنة بتقوى دون[2] آفة تتعلق بها أو نقصان يكون فيها، وفي ذلك تفصيل طويل وكلام كثير، فمن[3] قَدَرَ عليه فلينقله من مواضعه، وليُرَتِّبْهُ على وجوهه.

الحادي وعشرون ومائة والثاني وعشرون ومائة[4]: قوله في سورة المؤمنين: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[5]

في موضعين، وقد تقدَّم ذِكْرُ ذلك في أمثالها، فلا وجه لتكرارها خوفًا من مَلَلِكُم[6].

الثالث والعشرون والمائة[7]: قوله: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[8]

قال لهم: «ملتكم واحدة، ونبيكم واحد، ومعبودكم واحد، فأنتم في الأصول شَرَعٌ سواء، فلا تسلكوا بُنَيَّاتِ الطريق فتطِيحُوا في أودية الضلالة، ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾، خافوا مخالفة أَمْرِي، واعرفوا عظيم قَدْرِي،

---

(١) بعده في (ك) و(ص) و(ب): لوجهه، وفي (د): لرحمته، وضرب عليها.

(٢) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٣) في (د): لمن.

(٤) قوله: «والثاني والعشرون والمائة» سقط من (د).

(٥) [المومنون:٨٨].

(٦) في (ك) و(د): لمللكم.

(٧) في (د): الثاني وعشرون ومائة.

(٨) [المومنون:٥٣].

واحفظوا في مجاري التقدير سِرِّي، واستديموا بقلوبكم ذِكْرِي، تجدوا في مآلكم غَفْرِي، وتنالوا بِرِّي»[١].

الرابع والعشرون ومائة[٢]: ﴿فَلَ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[٣]

أَمَرَ رسولَه أن يُكرِّرَ عليهم المسألة، وأَعْلَمَهُ بجوابهم، ولم يَرْضَهُ حين لم يصدر عن عِلْم، وإذا حَكَمَ القاضي بحق من[٤] غير عِلْم فهو في النار، ثم نبَّههم على كمال قدرته، وأنَّ القدرة القديمة إذا/ تعلَّقت بمَقْدُورٍ له ضِدٌّ تعلَّقت بضِدِّه، ورتَّب القول هاهنا على وُجُوهٍ من الحكمة، قال أوَّلًا: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [المومنون:٨٦]، فقدَّم الذِّكْرَ على التقوى؛ لأنهم بتَذَكُّرِهم يَبْلُغُونَ إلى المعرفة، فإذا عرفوه علموا أنه يجب عليهم اتِّقَاءُ مخالفته، فإن لم يفعلوا قيل لهم: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المومنون:٩٠]، أي: بعد وضوح الحق، أيُّ شَكٍّ بَقِيَ حتى تنسبوه إلى السِّحْرِ[٥]؟

[١٢٤/ب]

الخامس وعشرون ومائة[٦]: ﴿أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[٧]

هُمْ أبدًا في نعيم مُقِيم، حُورٌ وسُرُرٌ وسُرُورٌ، وقِبَابٌ وغُرَفٌ وقُصُورٌ، ورَوْحٌ وريحان، وحُسْنٌ وإحسان، وبهجة وجمال، ونعمةُ بالٍ،

(١) لطائف الإشارات: (٢/٥٧٧).
(٢) في (ك) و(ص) و(ب): المائة.
(٣) [المومنون:٨٨].
(٤) مرَّضها في (د)، وفي الطرة: بغير، هكذا قرأتها.
(٥) لطائف الإشارات: (٢/٥٨٦).
(٦) في (ك) و(ص) و(ب): الخامس والعشرون والمائة.
(٧) [الفرقان:١٥].

ولُطْفٌ جديد، وفضل حميد[١]، ولذَّةُ شراب[٢]، وكاساتُ مَحَابٍّ[٣]، وبَسْطُ قَلْبٍ، وطِيبُ وقت، وكمال أُنس، ودوام طَرَب، وتمامُ جَذَلٍ، لباسُهم حرير، وفُرُشُهم سُنْدُسٌ وإستبرق، فالأسماء الأسماء[٤]، والمعاني[٥] أعظم ممَّا تُعاين وتُعاني، ﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾ [المؤمنون:١٦]، ولكن لا يشاؤون إلا ما يشاء، إرادتُه سبقت، هم فيها أبدًا مقيمون، لا يبرحون، ولا هم عنها يُخرجون، ولا هم فيها ينزفون، هذه حالهم فما ظنك بإمامهم[٦]؟

رَبَّنَا ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾ [الفرقان:٧٤]، وقد تقدَّم بيانه[٧]، وهو: **السَّادس والعشرون ومائة**[٨]، وهي مَرْتَبَةٌ تُنال بالدُّعَاءِ لا بالدَّعْوَى، وإمامُ المتقين مُتَّقِي، ولكن حسناتهم[٩] في ميزانه، وأعمالهم من أعماله[١٠].

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): ومزيد، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

(٢) في (ب): محاب.

(٣) في (ب): شراب.

(٤) في النسخ: فالأسما الأسما.

(٥) في (د): المغاني.

(٦) لطائف الإشارات: (٢/٦٣٠).

(٧) في السِّفْرِ الثاني، عند اسم «العابد»؛ الصفة الثانية عشرة.

(٨) في (ك) و(ص) و(ب): المائة.

(٩) في (د): حسابهم.

(١٠) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٦٥٢).

السَّابع وعشرون ومائة[١]: قوله: ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾[٢]

ذَكَرَ الله تقوى الأمم هاهنا في خمسة عشر[٣] موضعًا، وما حذَّرتهم به الرُّسُلُ من[٤] اتخاذ الوقايات عمَّا كانوا يقتحمون من الجرائم، ويرتكبون من السيئات، يقولون لهم: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾، وهم في ذلك معاندون، على الخلاف مُصِرُّون[٥]، وكان ذلك التَّكرارُ سُنَّةً لإقامة الحجة، والإبلاغ في المعذرة، وتعليم الخلق الرِّفْقَ والصبر، وتكرار النصيحة والوعظ، وإن لم يصادف قَبُولًا.

الثالث والأربعون ومائة[٦]: قوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٧]

أي: قُرِّبَتْ وأُدْنِيَتْ.

فيه تأويلان:

أحدهما: بالمعاينة[٨].

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): المائة.

(٢) [الشعراء: ١٠].

(٣) وبهذا تكون الآيات قد بلغت اثنين وأربعين آية بعد المائة، ويليها: الثالث والأربعون ومائة.

(٤) سقط من (ك).

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): ومصرون.

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): الثاني والأربعون ومائة.

(٧) [الشعراء: ٩٠].

(٨) لطائف الإشارات: (٣/١٦).

والثاني[١]: بالوقت[٢]؛ فإنَّ كل ما هو آتٍ -ولا بد- فقريب، وذلك قوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق:٣١]، يقال لهم: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ [ق:٣٢].

الرابع والأربعون ومائة[٣]: قوله تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[٤]

٢ [١٢٥/أ]

وقد بيَّنا اقتران التقوى بالإيمان،/ فإن شئت فأَعِدْه، وثَبِّتِ القلوب به، وإن خَشِيتَ مَلَلًا فأَحِلْ عليه وانتَقِلْ عنه.

الخامس[٥] **والأربعون ومائة: قوله:** ﴿لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٦]

خُذْهُ من اسم «المتواضع»[٧] و«الصَّالح»[٨]، واسْرُدْهُ بالقانون.

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): الثاني.

(٢) لطائف الإشارات: (١٦/٢).

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): الثالث والأربعون ومائة.

(٤) [النمل:٥٥].

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): الرابع.

(٦) [القصص:٨٣].

(٧) في السفر الثالث.

(٨) في السفر الثاني.

السَّادس[1] والأربعون ومائة: قَوْلُ إبراهيم لقومه[2]: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾[3]

لمَّا لم يصرح به في «سورة الظُّلَّةِ»[4] أَفْرَدَهُ بالذِّكْرِ هاهنا، والمعنى واحد.

السَّابع والأربعون ومائة[5]: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾[6]

قيل: هو خطاب للأمة، عبَّر به عنهم تَكْرِمَةً لهم وتأكيدًا عليهم[7].

وقيل: أُفْرِدَ بالخطاب ليكون ذلك أعظم على الأمة[8].

وإذا لم يوقن[9] هو فمن يوقن[10]؟ وإذا لم يتق الله فمن يتقه[11]؟ وقد

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): الخامس.

(٢) في (د): لقوله.

(٣) [العنكبوت: ١٥].

(٤) هي: سورة الشعراء.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): السَّادس والأربعون ومائة والسَّابع والأربعون ومائة.

(٦) [الأحزاب: ١].

(٧) الهداية: (٩/ ٥٧٨٠).

(٨) الهداية: (٩/ ٥٧٨٠).

(٩) في (ك) و(ص) و(ب): يؤمر.

(١٠) في (ك) و(ص) و(ب): يؤمر.

(١١) في (ك): يتقيه، و(ب): يتقي.

قال ﷺ: «إني لأرجو أن أكون أتقاكم لله وأعلمكم بحدوده»[١]، فأفادكم هذا أن التُّقَى إنما يكون على مقدار العلم وحضوره، فمن كان أعلم كان أتقى، وتترتَّب منازلهم على حسب مراتبهم في العِلْم.

الثامن والأربعون ومائة: قَوْلُه تعالى لمُحَمَّدٍ: ﴿وَاتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾[٢]

كذلك كان؛ أخشى الخلق لله، وأعلمهم بما يتقي، كما أخبر عن نفسه[٣].

ومعناه: اتق الله أن تخرج ما في نفسك، كذلك فعل، فقال: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿مَّقْدُوراً﴾ [الأحزاب:٣٧-٣٨]، فأظهر الله من سِرِّهِ ما لم يقدح في قَدْرِهِ، ولا أنكر من أَمْرِه، وأنبأ عن طهارة علانيته وجَهْرِهِ[٤]، صلَّى الله عليه ما دَارَ طَوْقُ حَمَامٍ في نَحْرِهِ، وهَطَلَ سحابٌ بقَطْرِهِ.

التاسع والأربعون ومائة: قَوْلُه للنساء: ﴿وَاتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾[٥]

وهُنَّ أحق بالتقوى لكثرة عصيانهن[٦]، وهذا مَوْضِعُ كلام للمعاصي التي ينفرد بها الرجال دون النساء، فيتأكد[٧] عليهن في ذلك التقوى، كما

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كتاب الصيام، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جُنُبٌ، رقم: (١١١٠-عبد الباقي).

(٢) [الأحزاب:٣٧].

(٣) هو الحديث السَّابق.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): سِرِّه، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

(٥) [الأحزاب:٥٥].

(٦) في (د): عصيانهم.

(٧) في (ك) و(ص): فتتأكد، في (ب): فأكد.

للرجال كذلك فيما ينفردون به، على ما بيَّنَّاه في «الأنوار»، ويختصُّ البيانُ هاهنا بما[١] فُرِضَ عليهن فيه الستر، وتمييزه[٢] ممَّا رُخِّصَ لهن، على تفصيلٍ؛ بيانُه في «الأحكام القرآنية»[٣].

المُوَفِّي خمسين ومائة: قوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾[٤]

ذَرُوا الشرك والمعاصي، ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾: كلمة الإخلاص؛ لا إله إلا الله محمد رسول الله، عن ضمير صادق.

٢ [١٢٥/ب]

وقيل: «سَدِّدُوا أقوالكم تُسَدَّدْ أعمالكم، ولقد رفع عنك/ الحرج من رَضِيَ منك بحَالَةٍ وقَالَةٍ، فالحالةُ تَرْكُ الشِّرْكِ، والقَالَةُ كلمتا الشهادة، فإذا فعلتم ذلك أصلح أعمالكم الدنيوية من الخلل، وغفر لكم في الآخرة الزلل، فحصلت لكم سعادة الدارين»[٥].

ومن «فوائد الشهيد أبي سعد»: «ذَكَرَ الأعمال بالجمع وقدَّمها على المغفرة[٦]؛ لأنه ما لم تصلح أعمالك ولم يكفك أشغالك لم تتفرَّغ لحديث آخِرَتِك»[٧].

---

(١) في (ك): إنما.

(٢) فوقه في (د): وغيره.

(٣) أحكام القرآن: (٣/١٥٨٠-١٥٨١).

(٤) [الأحزاب:٧٠].

(٥) لطائف الإشارات: (٣/١٧٢).

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): الغفران، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

(٧) لطائف الإشارات: (٣/١٧٢).

الحادي والخمسون ومائة: قَوْلُه[١]: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٢]

اتخِذُوا وقاية عمَّا تستقبلون من الذنوب بالكَفِّ والعصمة، وعمَّا مضى بالاستغفار والتوبة؛ لعله أن تنالكم الرحمة، اعرفوا[٣] صفة البهائم في أودية الخذلان، لأنَّ الموسوم[٤] بوَسْمِ[٥] الحرمان، الأَصَمَّ عن سماع الرُّشْدِ، المَصْدُودَ[٦] عن سلوك القصد؛ إن أُمِرُوا بالإنفاق أمسكوا خشية الإملاق، وقالوا معارضين: إن[٧] الله خلق الأنام، إن شاء رزقهم ونظر إليهم بالإنعام، ويستعجلون هجوم الساعة لِمَا غَشِيَ[٨] قلوبهم من الإظلام[٩].

الثاني والخمسون ومائة: قوله في الصَّافَّات: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾[١٠]

كما تقدَّم غيره، فاذكره واجعله جوابه[١١].

---

(١) سقط من (ك) و(ب).

(٢) [يس:٤٤].

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): اعرضوا، وضبَّب عليها في (د)، والمثبت من طرته.

(٤) في (د): المرسوم.

(٥) في (د): برسم.

(٦) في (د): المصدور.

(٧) في (ك) و(ص) و(ب): بأنَّ.

(٨) في (ك) و(ص): عشي.

(٩) ينظر: لطائف الإشارات: (٣/٢١٩).

(١٠) [الصافَّات:١٢٤].

(١١) في (ك) و(ص) و(ب): حوالة.

الثالث والخمسون ومائة: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾[1]

أنَّه لا يفعل ذلك بفضله، وإن كان له ذلك[2] جائزًا بحقه وعَدْلِه، وقد أكَّد ذلك بقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية:٢١]، وأنَّ الله سبحانه قد أخبر بمنزلة كل واحد منهما[3] وحالته.

الرابع والخمسون ومائة: قوله[4]: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾[5]

وتقدَّم نحوُه، وهاهنا زيادة؛ وهي[6] ألَّا يتعلَّل المرءُ بالأعداء في تَرْكِ التقوى، فأرضُ الله واسعة، فاخرجوا منها إلى موضع آخَرَ تَتِمُّ فيه لكم عبادتكم، ويَسْلَمُ فيه دينكم، واصبروا على مفارقة مَوَاطِنِكم وأهليكم وأموالكم، فلكم الأَجْرُ بغير حساب.

الخامس والخمسون ومائة: ﴿لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ﴾

هذه منازل المتقين في عِلِّيِّين، في مقام أَمِينٍ[7] آمِنين[8]، وهو:

---

(١) [ص:٢٨].

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): ذلك له.

(٣) في (د): منها.

(٤) سقط من (ك) و(ص).

(٥) [الزمر:١٠].

(٦) في (ك) و(ص): هو.

(٧) قوله: «في مقام أمين» سقط من (ص).

(٨) يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان:٥١].

السَّادس والخمسون ومائة: لا خوف فيه ولا حزن[١]، ولا فقدان لذة ولا عاهة، وذلك خَيْرٌ ممَّن ﴿يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر:٢٣]، يعني: كمن ليس كذلك، وهو:

[١٢٦/أ]

السَّابع والخمسون ومائة:/ المؤمن وجهه[٢] مُسْفِرٌ، والكافر وجهه[٣] مُسْوَدٌّ[٤]، يُساق إليه مسحوبًا على وجهه، ويرمى به في النار[٥]، فالمؤمن إنَّما أسفر وجهه وصِينَ وجهه الذي هو[٦] الجارحة؛ لأنه اتقى بوجهه - الذي هو قصده - المعصية.

الثامن والخمسون ومائة: قولُه: ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[٧]

الطعن فيه، والمخالفة[٨] بفهمهم[٩] له ومعرفتهم به، فجعله الله للذين آمنوا هدى وشفاء، ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت:٤٣]؛ لأنه يُضِلُّ به من يشاء ويهدي من يشاء.

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): آفة، وأشار إليها في (د).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): وجه.

(٣) سقط من (ك)، وفي (ص) و(ب): وجه.

(٤) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر:٥٧-٥٨].

(٥) في (ك): يساق على وجهه مسحوبًا، ويرمى به في النار على وجهه، وفي (ص): ويرمى به في النار على وجهه، ويساق على وجهه مسحوبًا، وفي (ب): ويرمى به في النار على وجهه مسحوبًا.

(٦) قوله: «الذي هو» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٧) [الزمر:٢٧].

(٨) بعدها في (ك) و(ص) و(ب): له، وضرب عليها في (د).

(٩) في (ك) و(ص) و(ب): لفهمهم.

﴿وَالَّذِى جَآءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[١] [الزمر:٣٢]، وهو:

التاسع والخمسون ومائة، اتقى المبلِّغ عقوبة الكتمان، واتقى المبلَّغ إليه عقوبة العصيان، فلهم ما يشاؤون، ﴿كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النحل:٣١].

وكان ذلك كله لئلَّا يقول: ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٢]، وهو:

المُوَفِّي ستين ومائة، وصدَّق من وجه وكذَّب من آخر، وذلك أنَّ الله لو هداه لكان من المتقين، فإن كان قال هذا باعتقاد صحيح فلا يخلو أن يكون يوم القيامة أو في الدنيا، فإن كان في القيامة فهو صِدْقٌ، ولكن في وقت لا ينفع، وإن كان في الدنيا فهي سخرية، كقولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[٣] [الزخرف:١٩]، والصحيحُ أنه في وقت لا ينفع، لأنها كلمات ثلاث؛ ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٣]، و﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾ [الزمر:٥٤]، و﴿لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً﴾ [الزمر:٥٥]، وشَيْءٌ من ذلك لم يكن فيما يصح أن يكون، ولا يكون من جميعها في المستقبل شيءٌ[٤]، وإن جاز أن يكون.

---

(١) في النسخ: فمن جاء بالصدق وصدق به فأولئك هم المتقون.

(٢) [الزمر:٥٤].

(٣) في النسخ: لو شاء الله.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): بالخبر، وضبَّب عليه في (د)، والمثبت من طرته.

ثُمَّ قال[١] - **وهو الموضع الحادي والستون ومائة** -: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ﴾[٢]

الفَوْزُ في لسان العرب: الخلاص[٣]، يريد: ننجي[٤] الذين أخلصوا بتقواهم لما حُرِّمَ عليهم، فكما وقاهم في الدنيا من المخالفات وقاهم في القيامة من العقوبات، فلهم اليوم عصمة، وغدًا نعمة، واليوم عناية، وغدًا حماية، واليوم وقاية، وغدًا كفاية.

فإن قيل: فقد قال: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ [الزمر:٧٠]، والسَّوْقُ حالةُ عُنْفٍ.

قلنا: جهلتم السَّوْقَ؛ لَفْظٌ مُحْتَمِلٌ للعُنْفِ والبِرِّ، يَدُلُّ[٥] عليه حَالُه ومُقَدِّمَتُه[٦] ومَآلُه؛ فالحالُ أن يَرِدَ وافدًا راكبًا، والمآلُ أن يحصل في الجنة خالدًا راتبًا[٧]، والكافرُ يُساق على وجهه، وقد/ تقدَّم تحقيقُ ذلك كله في «مقام القيامة»[٨]، وهو **الثاني والستون ومائة**. [١٢٦/ب]

وبالجملة فإن[٩] الآخرة للمتقين، وهو **الثالث والستون ومائة**.

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): وقال.

(٢) [الزمر:٥٨].

(٣) ينظر: كتاب الغريبين: (١٤٨٠/٥).

(٤) في (ك): ينجي.

(٥) في (ك): تدل.

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): معرفته.

(٧) سقط من (ك) و(ب) و(د).

(٨) في السفر الأول، المقام الثالث.

(٩) في (د): إن.

وقَوْلُ عيسى: ﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[(١)] كقول غيره، وكان الله قد ذَكَرَ[(٢)] الأنبياء من نوح إلى إبراهيم وعيسى، ثم أفرد إبراهيم في موضع متقدم، وذكر عيسى هاهنا، وفي ذلك نكتة، بيانُها في «قِسْمِ النَّظْمِ»[(٣)]؛ فإنَّ التفريق نظم، والجمع نظم؛ على حُكْمِ الفصاحة.

الرابع[(٤)] والستون ومائة: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾[(٥)]

وهو يتولى الصالحين، وهو ﴿وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وهو[(٦)] وَلِيُّ المؤمنين بالإرادة، ووَلِيُّ المتقين بالمعونة، ووَلِيُّ الصالحين بالمضاء والصرامة[(٧)].

الخامس[(٨)] والستون ومائة: قَوْلُه: ﴿وَإِن تُؤمِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾[(٩)]

أخبر الله أن الدنيا لعب ولهو؛ فإن تعلقتم بها ونسيتم وَصْفَ الله لها وتكريهه فيها ذهب ثوابكم وقبح مَآبُكم، وإن آمنتم بخبره واتقيتموها يؤتكم أجوركم.

---

(١) [الزخرف:٦٣].

(٢) في (ص): دخر.

(٣) لعله الكتاب الذي أفرده في نظم القرآن والمناسبة بين الآي، وقد تقدَّم التنبيه عليه.

(٤) في (ك) و(ب): الثالث.

(٥) [الجاثية:١٨].

(٦) في (ك): هو.

(٧) في (ب): العزيمة.

(٨) في (ك) و(ب): الرابع.

(٩) [محمد:٣٧].

وقد كان من دعاء النبي ﷺ في الصحيح: «اللَّهم آتِ نفسي تقواها، وزَكِّها أنت خير من زكَّاها، أنت وَلِيُّها ومولاها»[١]، وله معان كثيرة، بيانُها في «شرح الحديث».

السَّادس[٢] والستون ومائة: قَوْلُه: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٣] الآية؛

نَزَلَتْ في أبي بكر وعمر كما تقدَّم بيانُه[٤]، فإنما أمروا بالتقوى تَحَرُّزًا[٥] عن الشبهات والمشكلات[٦]؛ إذ لم يقع في يد أحد منهم حرام[٧]، وإنَّما تكلموا في مشكل بغفلة، فنبَّههم الله بأحسن تنبيهٍ[٨] وأكرمه، فامتثلوا على ما تقدَّم بيانه.

وأخبر أن ذلك كان[٩] منهم امتحانًا لقلوبهم؛ هل صَفَتْ فأُلْفِيَتْ على نوع من الغفلة فذكَّرت، فكان عُمَرُ بعد ذلك لا يفهمه النبيُّ ﷺ حتَّى يستعيده الحديث[١٠]، وهو:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم رضي الله عنه: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل، رقم: (٢٧٢٢-عبد الباقي).

(٢) في (ك) و(ب): الخامس.

(٣) [الحجرات:١].

(٤) تقدَّم تخريجه.

(٥) في (ك) و(ص): في التحرز.

(٦) في (د): المشاكلات.

(٧) في (ك) و(ص) و(ب): إذا لم يقع أحد منهم في حرام.

(٨) في (د): تنبيهه.

(٩) سقط من (د).

(١٠) تقدَّم تخريجه.

السَّابع والستون ومائة(١): ﴿وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٢)

قال الله لعباده: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُومِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، وقد بيَّنَّا حقيقة(٣) اسم «الأخ»(٤)، ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾، فندب إلى إصلاح ذات البين عند التشاجر الحقيقي أو خوفه قبل أن يقع، وهو سن أوكد أمور الدين، وهو فَرْضٌ على كافَّة المسلمين، ومن حضره أولى ممَّن غاب عنه، ومن قَرُبَ أولى ممَّن بَعُدَ،/ وبعَكْسِه في الإثم النَّمَّامُ والواشي والمُضَرِّبُ، وذلك لا يَتِمُّ للعبد إلَّا مع تسوية القلب مع الله؛ فإن الله إذا عَلِمَ صِدْقَ هَمِّك في إصلاح ذات البَيْنِ رَفَعَ العصبيَّة، وذلك يكون بصحيح الأخوة، وقد قدَّمنا حقيقتها.

٢ [١٢٧/أ]

[حُقُوقُ الأخوة]:

ومن حقوقها: ألَّا تُحْوِجَ أخاك إلى الاستعانة بك والتماس النصرة فيك، ولا تُقَصِّرَ في تَفَقُّدِ أحواله حتى يُشْكِلَ عليك موضع حاجته فيحتاج إلى مُساءلتك.

ومِن حَقِّه ألَّا تلجئه إلى الاعتذار، بل تبسط عذره، فإن أَشْكَلَ عليك وَجْهُه عُذْتَ باللَّائمة(٥) على نفسك في خفاء عذره عليك، وتتوب عنه إذا أذنب، وتعوده إذا مرض، وإذا أشار عليك بشيء فلا تُطالبه بحجة.

---

(١) في (ك) و(ب): السادس والستون ومائة السابع والستون ومائة، وفي (ص): السابع والستون ومائة والثامن والستون ومائة.

(٢) [الحجرات: ١٠].

(٣) سقط من (د).

(٤) في السفر الثالث.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): بالملامة.

إذا استُنْجِدوا لم يسألوا من دعاهم لأيـــة حـــرب أو لأي مكـــانِ[١]

آخَر[٢]:

لا يـسألون أخـاهم حين ينـدبهم في النائبات على ما قال برهانَا[٣]

هذا في أهل الباطل، فكيف في أهل الحق؟

ويحفظ عهده القديم، ويراعي حقَّه في أهله والمتصلين به؛ في المشهد والمَغِيب، وفي حالة الحياة والوفاة، كما قال بعض الظرفاء:

وخليـــل إن لـــم يكـــن منـــصفًا كنـــت مُنْـــصِفَا

أتحـــسَّى لـــه الأَمَـــرَّ وأســـقيه مـــا صـــفَا

إن يَقُـــلْ لـــي: اشْـــتَوِ احترقـتُ رِضًـا لا تَكَلُّفَـا[٤]

وقد تقدَّم بيانُ الأُخُوَّةِ مُسْتَوْفًى، وهذه نبذة منه، والله يرحم من هذه صِفَتُه، وهو أعلم به، كما قال: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰٓ﴾ [النجم:٣١]، وهو **الثامن[٥] والستون ومائة.**

---

(١) البيت من الطويل، وهو لودَّاك بن ثمل المازني، من أبيات حماسية له في ديوان الحماسة: (١/٥٩).

(٢) سقط من (ك) و(د) و(ب).

(٣) البيت من البسيط، وهو لقريط بن أنيف العنبري، من جملة أبيات استفتح بها أبو تمام حماسته: (١/١٩).

(٤) الأبيات من مجزوء الخفيف، أنشدها أبو القاسم القشيري في لطائف الإشارات: (١/٣٤٤).

(٥) في (ك) و(ب): السَّابع.

التاسع[١] والستون ومائة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾[٢]

قال المفسرون: «نزلت في أهل الكتابَين»[٣].

قال الإمام الحافظ[٤]: الذي أوقعهم في تخصيص أهل الكتاب بها قَوْلُه صلى الله عليه[٥]: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرَّتين؛ رَجُلٌ آمَنَ بنَبِيِّه وآمَنَ بي»[٦]، والذي عندي أن الآية محتملة لثلاثة[٧] أقوال:

الأوَّل: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله واستديموا ما بدأتم به.

الثاني: يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم اتقوا الله وآمنوا بقلوبكم.

الثالث: يا أيها الذين آمنوا بأقوالهم وقلوبهم اتقوا الله وآمنوا بأفعالكم، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [النساء:١٣٥]/.

٢ [١٢٧/ب]

---

(١) في (ك) و(ب): الثامن.

(٢) [الحديد:٢٧].

(٣) تفسير الطبري: (٢٢/٤٣٤-التركي)، ولطائف الإشارات: (٣/٥٤٦).

(٤) في (ك): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي رضي الله عنه، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ب): قال الإمام رضي الله عنه.

(٥) في (د) و(ص) و(ب): ﷺ.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم من أهل الكتابين، رقم: (٣٠١١-طوق).

(٧) في (ص): بثلاثة.

فهذه الآيةُ تحتمل الثلاثة الأقوال المتقدمة، والآية المتقدمة تحتمل الثلاثة الأقوال، ويحتمل[١] أن يدخل فيها أهل الكتاب.

وقوله: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد:٢٧]؛ هذه الأمة تؤتى أجرها مرَّتين، ومن سبق من الأمم يؤتى أجره مرة واحدة، والأصل في ذلك قوله ﷺ؛ رواه جماعة، منها طريق[٢] ابن عمر، قال النبي: «إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم، أو قال[٣]: إنما أَجَلُكم في أجل ما خَلَا من الأمم قبلكم كما بَيْنَ صلاة العصر إلى غروب الشمس»[٤].

وقال: «مَثَلُكم ومَثَلُ اليهود والنصارى كرجل استعمل عُمَّالًا، فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط؟ فعملت اليهود، وقال: أُوتِيَ أهل التوراة التوراة فعملوا حتى انتصف النهار فعجزوا، فأُعطوا قيراطًا قيراطًا، ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل، فقال: من يعمل لي من نصف النهار إلى العصر؟ فعملت النصارى إلى العصر ثم عجزوا، فأُوتوا قيراطًا قيراطًا، ثم أُوتِينا القرآن، وقال: من يعمل لي من العصر إلى غروب الشمس على قيراطين قيراطين[٥]؟ فعملتم حتى غربت[٦] الشمس، فأُعطيتم قيراطين قيراطين، فغضبت اليهود والنصارى وقالوا: ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين، وأعطيتنا قيراطًا قيراطًا، ونحن كنَّا أكثر عَمَلًا وأقلَّ

---

(١) في (ك) و(ب): تحتمل.

(٢) في (د): طرق.

(٣) في (ك) و(ب): وقال.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) قوله: «قيراطين قيراطين» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): إلى غروب.

عطاءً؟ قال الله: هل ظلمتكم من أجركم شيئًا؟ قالوا: لا، قال: هو فَضْلِي أُوتِيه من أشاء»[١].

فالآية عامَّة والحمد لله، وتفسيرُ التقوى فيها على الأقوال الأربعة بَيِّنٌ.

فمعناها على القول **الأوَّل**: يا أيها الذين آمنوا اتقوا تَرْكَ ما بدأتم به من الإيمان.

وعلى القول **الثاني**: اتقوا الله واعتقدوا بقلوبكم ما أقررتم به بألسنتكم.

وعلى القول **الثالث**: اتقوا الله وافعلوا ما تقتضيه أقوالكم.

قال النبيُّ ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر ولا يسرق ولا ينتهب»[٢]، كما تقدَّم، الحديث.

ومعناها على القول **الرابع**: يا من آمَنَ بمن سَبَقَ من الأنبياء آمِنُوا بمُحَمَّدٍ؛ فإن الأمر مُتَّحِد.

المُوَفِّي سبعين[٣]: ﴿وَتَنَاجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[٤] [المجادلة:٩]، وهو **الحادي والسبعون ومائة**[٥]؛ أُمِروا أن يتناجوا بمثل ما أُمِروا أن يتعاونوا به، حتى يستوي السِّرُّ والعلن، وحُذِّرُوا أن يخالفوا ذلك، وقد تقدَّم بيانُه، فإن شئت فأَعِدْهُ وزِدْهُ[٦] بَسْطًا.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في (ك) و(ب): التاسع والستون ومائة.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): واتقوا الله الذي إليه تحشرون.

(٥) في (ك) و(ب): الموفي سبعين.

(٦) في (د): ردَّه.

الثاني[١] **والسَّبعون ومائة: قوله:** ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا۟ وَاتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[٢]

[١٢٨/أ] قد تقدَّم/ بيانُها[٣] في «الأحكام»[٤].

الثالث[٥] **والسَّبعون: قوله:** ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾[٦]

في الحديث الصحيح -كما تقدَّم-: «احرُث لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا»[٧].

ثم أعادها[٨]، وهو: **الرابع والسَّبعون**[٩].

فقيل: هي تأكيد.

---

(١) في (ك) و(ب): الحادي.

(٢) [الحشر:٧].

(٣) في (ص): بيانه.

(٤) أحكام القرآن: (٤/١٧٧١-١٧٧٢).

(٥) في (ك) و(ب): الثاني والسبعون ومائة.

(٦) [الحشر:١٨].

(٧) سلف تخريجه.

(٨) هو قَوْلُه بعدُ: ﴿وَاتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الحشر:١٨].

(٩) في (ك) و(ب): وهي الثالثة والسبعون.

وقيل: الأُولى: تقوى المرء[١] ما ينزل به من عقوبة، والثانية: تقوى المراقبة[٢]، وينفصل[٣] على اسم «الرَّاعي[٤]»[٥]، وقد تقدَّم.

الخامس[٦] والسبعون: قوله: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِيَ أَنتُم بِهِۦ مُومِنُونَ﴾[٧]

معناه: اتقوا الله في محافظة العهد والعمل الذي يعود بتغيير شيء منه.

السَّادس والسبعون[٨]: قوله: ﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ مَا اَسْتَطَعْتُمْ﴾[٩]

ظَنَّ بعضُ الناس أن في هذه الآية نَسْخًا لشيء[١٠]، وقد بيَّنَّا في «الناسخ والمنسوخ»[١١] أنَّ هذا الباب وهذه الآية لم ينسخ منها شيء، وأن

---

(١) ضبب عليها في (د)، وفي الطرة ما لم أتبيَّنه.

(٢) في طرة بـ (د): في خـ: الأولى: تقوى المراعي، والثانية: تقوى المراقب.

(٣) في (ك): تنفصل.

(٤) في (ك) و(ص): المراعي.

(٥) في السفر الثالث.

(٦) في (ك) و(ب): الرابع والسبعون ومائة.

(٧) [المائدة:٩٠].

(٨) في (ك) و(ب): الخامس والسبعون ومائة.

(٩) [التغابن:١٦].

(١٠) مرَّضها في (د).

(١١) الناسخ والمنسوخ: (٢/١٢٥-١٢٧).

قولـه: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[١] و﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ معنـى واحـد، فلْيُنْظَرْ هنالك، وحق تُقَاتِهِ هي التي يستطيع الخلق.

السَّابع والسبعون[٢] والثامن والسبعون[٣]: قوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[٤]

إذا صَدَقَ العبدُ في تقواه سَلَّهُ كالشعرة من العجين؛ تَقِيًّا نَقِيًّا[٥]، وكفاه المُهِمَّ، ولم يبتله بالشغل، ولا كلَّفه طلب الرزق، ولا مكَّن منه الخلق، وجَلَّى عنه الظلم، ويسَّر له العَسِرَ[٦]، كما قال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق:٤].

وإن سبق منه تفريط وعاد إلى التقوى كَفَّرَ عنه ما مضى، وذلك قوله: ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ [الطلاق:٥].

ومن تقواه توكُّله عليه، ولذلك أدخله في أثناء فصول التقوى، والتوكل: إخراجُ نفسك عن القدرة ودعوى المُنَّة، مُقِرًّا بجريان أحكام التدبير عليك، معترفًا بنفوذ المقادير فيك، وسبيلُك الجمود والرضى بما

---

(١) [آل عمران:١٠٢].

(٢) في (ك): السَّادس والسبعون والثامن والسبعون، وفي (ب): السَّادس والسبعون والسَّابع والسبعون والثامن والسبعون، وفي (ص): الثامن والسبعون ومائة والتاسع والسبعون ومائة والمُوَفِّي ثمانين ومائة.

(٣) قوله: «الثامن والسبعون ومائة» سقط من (د).

(٤) [الطلاق:٢].

(٥) في (ك): نقيًّا تقيًّا.

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): العسير.

قضى، دون استعلام الأمر فيه؛ فإنه من العِلْمِ الذي لا ينفع، كما ورد في صحيح الخبر الاستعاذة منه.

فإذا وقع لك شُغْلٌ أو استقبلك مُهِمٌّ فرأيُ الزهَّاد أنك مُطَالَبٌ بالسُّكون والتسليم، ولا تَسَلْ متى يصلح هذا الأمر، ولا تبحث عن سبب، ولا من أي وجه كان، ولا على يَدَيْ من كان؛ فإنه تخليط، وكُن مُسَلِّمًا لأمره إن كنت من الأكابر، فإذا جاء وقتُ الكشف فترى صورة الحال، وربَّما ينتظر العبدُ في هذه الحالة تعريفًا في المنام، أو ينظر في فَأْلٍ، ويُروى[1]: «أنه من الكبائر[2] تَرْكُ أدب»، وليس إلَّا السكون، فأمَّا الضعفاء فيضطربون مع المولى في كل حال[3]، وهو السميع العليم، وإذا اضطربوا فلا يخرجوا عمَّا رسمنا لهم في «الأسماء»؛ إمَّا/ في ابتداآتها أو في نهاياتها.

٢ [١٢٨/ب]

التاسع والسبعون ومائة: قولُه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾[4]

وهو المقام الكريم الأمين على الوجه الذي تقدَّم وصفُه، ووصفُ التقوى المُبَلِّغَةِ إليه.

---

(١) في (ص): يرون.

(٢) في (ك) و(د) و(ب): الأكابر.

(٣) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٤) [القلم:٣٤].

المُوَفِّي ثمانين ومائة: قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾[١]

كما أنه هُدًى لهم[٢] في الابتداء يكون تَذْكِرَةً لهم في الأثناء[٣] والانتهاء، وقد يتصوَّر أن يكون تذكرة في الابتداء لما[٤] تقدَّم من التزام العهد الأوَّل.

الحادي والثمانون ومائة: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا﴾[٥]

المعنى: لا عِطْرَ بعد عَرُوس، لا تقوى مع الكفر، وهو سؤالُ تقرير على فَوْتِ المراد.

الثاني والثمانون ومائة: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾[٦]

قال الله: «أنا أَهْلٌ أن أُتَّقى، فمن اتَّقاني فأنا أَهْلٌ أن أغفر له»[٧]، وقد تقدَّم بيانُه.

---

(١) [الحاقة:٤٨].

(٢) بعده في (ب): هدى.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): الابتداء.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): بما.

(٥) [المزمل:١٦].

(٦) [المدثر:٥٥].

(٧) أخرجه الترمذي في جامعه عن أنس بن مالك ﷺ: أبواب التفسير عن رسول الله ﷺ، بابٌ ومن سورة المدثر، رقم: (٣٣٢٨-بشار)، وضعَّفه.

الثالث والثمانون ومائة: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾[١]

وقد تقدَّم، وزاد قوله: ﴿وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [المرسلات:٤٢]، يعني: أنه جمع لهم فيها لَذَّةَ الأكل والشرب، وكل أمر يُحَبُّ[٢].

أخبرني الحضرمي[٣] وغيرُه عن الأَذَرِي[٤]: أنه كان يقول: «لا أُحِبُّ الجنة لحُورِها ولا لنعيمها، ولا أُحِبُّها إلَّا لقوله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [الرعد:٣٦]».

---

(١) [المرسلات:٤١].

(٢) في (د): يجب، وفي (ص): تحب.

(٣) الإمام العلَّامة المُتَفَنِّنُ، شيخ السُّنَّةِ، الحسن بن علي بن الحسن القيرواني، أبو علي الحضرمي، أخذ عن الأَذَرِي، وابن مُنير، وحضر عنده ابنُ سابق الصقلي، ونزل الإسكندرية، وبها توفي، وبلغت عدة كتبه ثلاثة آلاف مجلد، لقيه ابنُ العربي بالإسكندرية، وكتب له بخطه ما سأله عنه، ونشر فوائده في كتبه؛ فأسند عنه في الأحكام: (١/٤٣٧)، وروى عنه في القبس: (٢/٥٩٣)، وأفاد منه في العواصم: (ص١٢)، ينظر في ترجمته وأخباره: مشيخة أبي عبد الله الرازي: (ص٢٨٨)، ومعجم السَّفر: (ص١٨٦، ٣٠١)، وأحكام القرآن: (٢/٦٧٠).

(٤) الإمام المتكلم النظَّار، الحُسَين بن حاتم، أبو عبد الله الأَذَرِي، من أصفياء الإمام أبي بكر الباقلاني، نزل القيروان أوائل الأربعمائة، وأخذ عنه جلة علمائها وفقهائها، منهم: أبو القاسم الوَبَعِي، وابن أبي كُدَيَّةَ، والحضرمي، وابن القديم، وغيرهم، ومن طريقه اتَّصل الناس بكُتب الإمام الباقلَّاني في المغرب والأندلس، وبرع في الأصلين، له كتاب «اللَّامع» في أصول الفقه، وكان حيًّا عام ٤٤٣هـ (الوافي بالوفيات: ٤/٥٩)، وذكره ابن الذهبي في طبقة من توفي عشر الأربعين وأربعمائة، ونُقِلَ عن الرُّشَاطِي أنه توفي عام ٤٢٣هـ، ولا أراه صحيحًا، ينظر في أخباره وترجمته: فهرس ابن عطية: (ص٧٦)، وتاريخ دمشق: (٤١/٤٧١)، وتاريخ الإسلام: (٩/٦٠٠)، وتراجم المؤلفين التونسيين: (١/٤٢-٤٦).

وهنالك من يُحِبُّها لبطنه، وهنالك من يُحِبُّها لفرجه، وهنالك من يُحِبُّها لربه، والكلُّ مأذون فيه، والثالث هو المقصود الأعظم، ولا يُمنع ما[(١)] قَبْله في الآخرة كما مُنع منه في الدنيا.

الرابع والثمانون ومائة: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً﴾[(٢)]

المعنى: مَوْضِعًا يفوزون فيه من المكاره، ويفوزون فيه بنيل الأمل.

والمَفَازُ: مَكَانُ الفوز.

ثم وصفه فقال: ﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَاباً وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً وَكَأْساً دِهَاقاً﴾ [النبأ:٣٢-٣٤]؛ منزهة عن اللغو والكذب.

الخامس والثمانون ومائة: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[(٣)]

يعني: منفعتها ومَضَرَّتها، فهي فيمن أُمِر ونُهِي ووُظِّفَ عليه التقوى اسمٌ ومعنى، وهي في سائر الأنفس التي لم تتعبد[(٤)] اسمٌ بمعنى المنفعة، والفجور اسمٌ بمعنى المضرَّة.

السَّادس والثمانون ومائة: قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾[(٥)]

لفظًا[(٦)]، وهو:

---

(١) في (ك) و(ص): مما.

(٢) [النبأ:٣١].

(٣) [الشمس:٨].

(٤) في (ص): تتغير.

(٥) في النسخ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى﴾، وفي طرة بـ (ص): قال الأشيري -رحمه الله-: «كذا جاء هذا، وأظنه غلط -كذا- من الناسخ، وصوابه: ﴿فأما من أعطى واتقى﴾، فهذا موضعه، والله أعلم».

(٦) مرَّضها في (د)، وكتب بطرته: أعطى، ولم يظهر لي وجه في إثباتها.

السَّابع والثمانون ومائة: قوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى﴾[١]

يعني: فإنَّ ما جُنِّبَ الأتقى أدركه الأشقى، وما جُنِّبَ الأشقى أدركه الأتقى.

المعنى: وسيُجَنَّبُها من اتَّقاها بالصدقة، كما تقدَّم بيانه في «المقامات»[٢] واسم «المُصَّدِّقِ»[٣]، وفي هذا الاسم آنِفًا[٤].

٢
[١٢٩/أ]

الثامن والثمانون ومائة:/ ﴿أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ﴾[٥]

قسَّم الله فيه الأحوال على معنى الاستدلال، فقال: أرأيت[٦] هذا الذي ينهى عبدًا إذا صلى؟ أرأيت إن كان على الهدى ويأمرهم[٧] بالتقوى؟ أليس نهيُه ضلالًا؟ أرأيت هذا الذي ينهاه أن كذَّب به وتولَّى عنه؟ ألم يعلم أن الله يطَّلع[٨] عليه؟ فأيُّ منفعة له في أن يقتحم هذا الغرر[٩]؟

---

(١) في (ك) و(ب): ﴿وسيجنبها الأشقى﴾.

(٢) في السفر الأوَّل.

(٣) في السفر الثاني.

(٤) في (ص): اتقى، وهو تصحيف.

(٥) [العلق:١٢].

(٦) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٧) في (ص): أو أمرهم، وفي (ب): يأمركم.

(٨) في (ك) و(ص) و(ب): مطلع.

(٩) في (ك) و(ص) و(ب): الغرز.

وهذا تقريب في الترتيب[١]، وتفصيل في بعض الدليل، وقد استوفاه سبحانه في إحدى عشرة[٢] آية، على ما بيَّنَّاه في كتاب «المشكلين» خصوصًا، وفي كتاب «الأنوار» عمومًا.

قال الإمام الحافظ[٣]: ولكثرة ذِكْرِ الله لها لم تَجْرِ في لسان النبي إلَّا قليلًا، كقوله: «اتقوا الله في النساء؛ فإنهن عَوان عندكم»[٤]، وكقوله: «اتقوا النار ولو بشِقِّ تمرة»[٥]، وقوله: «اتقوا الملاعن الثلاث؛ البَراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل[٦]»[٧].

ومن أعظم ما فيها[٨] وأكثر فوائدها وأَجَلِّ ثمراتها قوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]، فأَكْرَمُ الخلق على الله أكثرهم وقاية، وقد بيَّنَّا وجوهها، فمن استوفاها فهو أقربكم إلى الله وأرفعكم مرتبةً لديه.

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): التشريب.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): ألف، وضرب عليها في(د).

(٣) في (ك): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي رضي الله عنه، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ب): قال الإمام رضي الله عنه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) قوله: «الثلاث؛ البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل» لم يرد في (ك) و(ص) و(ب)، وفي موضعه من (ك) و(ص) و(ب): «وهو الذي يتخلى في طريق الناس وظلهم»، وضرب عليه في (د).

(٧) أخرجه أبو داود في السنن عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: كتاب الطهارة، باب المواضع التي نُهي عن البول فيها، رقم: (٢٥-شعيب).

(٨) في (ك) و(ص) و(ب): مراتبها.

وهي[1] من أعظم ما علَّق عليها القبول بقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٩]، فعَمَلُك الصالح من وَجْهٍ إن لم يصحبه تقوى من وجه آخر وإلَّا بقي موقوفًا، حتى يخلص عملك إلى ميزانك؛ فيظهر فيه رجحانك بكثرة تقواك، أو تقصيرك بقلة تُقاك[2]، فيتقبَّل كل العمل، أو يتقبَّل بعضه ويَرُدُّ البعض، وفي الحديث: «أوَّلُ ما يُنظر فيه من عمل العبد الصلاة، فإن لم يأت بها لم ينظر له في شيء من عمله[3]»[4]، فيتقبَّل[5] العمل إذا اتَّقيت الإخلال بشروطه، ونَفَيْتَ الآفات عنه، فيبقى[6] قَبُولُه في خلاصك من العذاب على فِعْلِ غيره، حتى إذا كانت التقوى على العموم كان القبول على الكمال.

وما يرويه الزهاد من قوله: «إنه لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به حَذَرًا ممَّا به البأس[7]»[8]، أو قوله: «إنما سُمِّي المُتَّقُونَ مُتَّقِينَ

---

(١) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٢) في (د): تقواك.

(٣) قوله: «من عمله» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٤) تقدَّم تخريجه.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): فنفس.

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): يبقى.

(٧) في (ص): بأس.

(٨) أخرجه الترمذي في جامعه عن عطية السعدي ﷺ: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٢٤٥١-بشار)، وفيه عبد الله بن يزيد الدمشقي، قال فيه الجُوزَجاني: «أحاديثه منكرة»، وقال فيه الإمام أحمد: «أحاديثه موضوعة»، فلَعَلَّ لهذا حَكَمَ ابنُ العربي على حديثه بالبطلان، ينظر: أحوال الرجال: (ص٢٨١)، والكامل: (٤/٢٣٧)، وميزان الاعتدال: (٢/٥٢٦).

لتركهم ما لا بأس به حَذَرًا ممَّا فيه بأس»(١)؛ حديثان باطلان موضوعان، لا أصل لهما.

أمَا إنَّ تُقاة الشبهات من أنواع التقوى، كما بيَّنَّاه في تفسير الآيات، ويجمعها سَدُّ مداخل الشيطان إلى العبد؛ بصرامة وعزيمة تكون في القلب، على امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، وصيانةٍ/ للجوارح(٢) عن ارتكاب الذنوب، وذلك لا يقدر عليه المرءُ إلَّا بمواظبة النوافل.

٢ [١٢٩/ب]

قال النبي صلى الله عليه(٣): «لا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها»(٤).

المعنى: صُنْتُ جوارحه عن المخالفات، فانقطعت عن قلبه الشهوات وأسباب(٥) العلاقات، فإن وَاقَعَ ذنبًا أو اقترف خطيئةً أو ارتكب معصيةً(٦) توجَّه عليه فَرْضُ العودة إلى ما ينبغي، وهو «التوبة».

* * * * *

---

(١) ينظر: قوت القلوب: (١٦٨٦/٣).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): الجوارح.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): صى الله عليه وسلم.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): والشهوات أسباب.

(٦) في (ك) و(ب): ذنبًا.

التائب[١]: وهو الاسم الخامس ومائة[٢]

وهُوَ اسمٌ عظيم، له مقامٌ كريم، مُتَّصِلٌ بالآدَمِيِّ لَزِيم، فإن الله سبحانه وإن كان أَمَرَ العبدَ بالعبادة؛ فإنه جَبَلَه على الراحة، وإن كان خَلَقَ له العقل؛ فإنه أَمَالَهُ بالطبع إلى الشهوة، وإن كان له مَلَكٌ يُرْشِدُه؛ فإنَّ[٣] له شيطانًا يُضِلُّه ويُلْحِدُه، ولا يزال بينهما مُرَدَّدًا حتى يصير إلى ما كَتَبَ الله عليه، وينتهي إلى ما سبق[٤] من عِلْمِ الله إليه، فإذا أطاع يعصي[٥]، وإذا عبد ترك، وإذا امتثل خالف، والتنازعُ - أبدًا - بين الحالين يُرْهِقُه، والحالةُ المقدَّرة تَلْحَقُه.

ولملازمة المخالفة له تَلْزَمُهُ التوبة؛ فهي فَرْضٌ عليه بإجماع الأمة في كل وقت، وعلى كل حال، ومن كل ذنب أو تقصير في كمال أو غفلة، وما رُئِيَ[٦] أَحَدٌ من الخلق خَلَا عن ذنب، حتى إنَّ جماعة من العلماء قالوا:

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): الثالث والمائة، وفي (ص): الخامس والتسعون، وفي (ب): الرابع والتسعون.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): إن.

(٤) في (د): يساق.

(٥) في (د) - أيضًا -: عصى.

(٦) في (ك) و(د): رِيئ.

«إن الأنبياء أذنبت - وصدقوا -، وسَرَدُوا[١] ذنوبهم - وكذبوا-»[٢]، إنما كانت ذنوبهم ما لو أدركناها حسنات لسبقنا إلى الجنة بها، وقد بيَّنَّا ذلك في كل ما أمليناه من كتاب.

ولا بد للقلب من ذنب، ولا بد للجوارح من ذنب.

والتوبة: هي الرجوع في العربية.

وهي في الشريعة: «عبارة عن رُجُوعٍ عن حال مذمومة إلى حال محمودة»[٣]، على سيرتها في تخصيص بعض المسمَّيات[٤] ببعض[٥] مدلولاتها.

وتكون حال التوبة حال الذنب؛

فإن كان المُوَاقِعُ حرامًا كانت التوبة واجبة.

وإن كان مكروهًا كانت التوبة مستحبة.

وإن كانت عن شهوة كانت توبة الزهاد.

وإن كانت عن غفلة كانت توبة المؤمنين[٦] المقرَّبين المحبين.

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): فسَّروا، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.
(٢) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٣٧٠-٣٧١)، وأحكام القرآن: (١٦٣٤/٤-١٦٣٥).
(٣) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٤٦٤)، والأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢٣٨/٢)، والأحكام: (١٧٣/١).
(٤) في (د): الشبهات، وما أثبتناه أشار إليه.
(٥) في (د): لبعض.
(٦) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

ذِكْرُ ابتداء التوبة:

ولا تحصل للعبد التوبة إلَّا بخلق الله لها في العبد، فهو التوَّاب، أي: قابلها وخالقها، ومُيَسِّرها ومُهَيِّء أسبابها، ومُدِيمها إلى الخاتمة،/ قال الله سبحانه: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:١٠٣]. ٢ [١٣٠/أ]

قال الناس: «عَسَى من الله واجبة»[١].

قال الإمام الحافظ[٢]: الذي يتحقَّق أن وعد الله واجب، فما أخبر به من وَعْدٍ[٣] فلا بدَّ من حصوله على كل حال، كما بيَّنَّاه في «كتب الأصول»[٤]، وما رَجَّى به عبده فقد يُمْكِنُ أن يكون، وحروف الترجي لعلَّ وعسى، وليست بحروف قَطْعٍ على ما عُلِّقَ عليها ليُوجَد، وإنَّما يكون القَطْعُ من أدلَّة أُخَر تقترن بها، فحَصِّلُوا هذا فإنه عِلْمٌ[٥] بالغ.

ومن أرجى ما قال العلماء في هذه الآية أنَّ قوله: «﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾، يعني: التوبة، ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾، قال: نقضوا التوبة، وعادوا إلى ما كانوا عليه من الزلَّة»[٦].

---

(١) تفسير الطبري: (٤٤٧/١٤-شاكر).

(٢) في (ك): قال الإمام الحافظ ﷺ، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي ﷺ، وفي (ب): قال الإمام أبو بكر رحمه الله.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): وعده.

(٤) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٤١٤).

(٥) في (ص): من علم.

(٦) لطائف الإشارات: (٥٩/٢).

فربَّما عُذْنا عليهم بإعادة الرجوع إلى التوبة لهم، وفي هذا دليل على أن الزلة لا تُحْبِطُ ثواب الطاعة[١]، وأن الباري يُظْهِرُ الطاعة بفضيلة النمو والزيادة، ويختم الأمر فيها بتيسير التوبة، فهذا رجاء أو وجوب.

ثم حقَّق ذلك بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء:٢٧]، وفيه ثلاثة أقوال:

الأوَّل: يريد أن يقبل توبتكم[٢]، فقبول التوبة واجب بإجماع من الأمة، فلا تلتفتوا إلى من يقول لكم: «إن صاحب التوبة في المشيئة»، فهو كاذب على الله.

الثاني: يريد به خطاب من تاب، دون من لم يَتُبْ.

الثالث: يريد به أن يتوب عليكم في الجملة، أي: يخلق فيكم التوبة ثم يخص بها من شاء، كما قال: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَنْ يَشَآءُ﴾ [البقرة:١٠٤]، وقد بيَّنَّاها في «كتب الأصول»، إذ لو أراد التوبة على العموم لكانت قطعًا؛ فإنه يستحيل ألَّا يكون ما يريد أن يكون.

يُحَقِّقُ ذلك قوله: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَآءُ﴾ [التوبة:١٥]، وقد قال سبحانه: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ [البقرة:١٨٦]، وذلك فيما وقع منهم من المخالفة في وَطْءِ النساء في ليل رمضان بعد النوم، فكانت مخالفة تستوجب العقوبة، فعفا وتاب ورجع بهم إلى الإباحة بعد الحظر، وتلك تَوْبَةُ الله بالفعل، ورجعوا هُمْ إلى التزام الأمر، وعفا عمَّا دار بين الحالين،

---

(١) لطائف الإشارات: (٢/٥٩).

(٢) لطائف الإشارات: (١/٣٢٦).

وشتَّان بين هذا القول في حُرْمَة عمر بن الخطَّاب حسب ما بيَّنَّاه في «الأحكام»[١]، وبين قوله لبني إسرائيل: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِبِكُمْ فَاقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة:٥٣]، عَظُمت ذنوبهم وفَحُشت، فغُلِّظَتْ عقوباتهم وضُوعِفت، وتوبتُه عليهم بقبولهم لما ألزمهم من/ ذلك، إذ خَلَق فيهم الرضى به والامتثال له، فقتَلَ بعضُهم بعضًا، حتَّى نَزَلَ العَفْوُ. ٢ [١٣٠/ب]

قال علماء الزُّهْدِ: «فالتوبةُ قَتْلُ النفس كانت لبني[٢] إسرائيل بالمُحَدَّدِ، وهي لهذه الأمة بالتَّجَلُّدِ، فالمفروضُ على العباد أن تكون نفوسهم مقتولة؛ حتى لا تكون لها حياة في شهوة ولا راحة في لذة إلَّا بامتثال أمر الله، والتجرد لخدمته، والمحافظة لحدوده، والقيام بحقوقه، فكانت توبة بني إسرائيل قَتْلَةً[٣] في لحظة، وتوبةُ هذه الأمة في كل لحظة قَتْلَةٌ»[٤].

ليس من مات فاستراح بمَيْتٍ   إنَّما المَيْتُ مَيِّتُ الأحياءِ[٥]

ووَجْهُ رحمته لنا قَبُولُه لتوبة الكل بعد اقتحام المخالفة وارتكاب الجُرْمِ.

---

(١) أحكام القرآن: (١/٨٩).

(٢) في (د): ببني.

(٣) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٤) لطائف الإشارات: (١/٩٢).

(٥) البيت من الخفيف، وهو لعدي بن رعَّلاء الغساني، في الأصمعيات: (ص١٥٢)، ونسبه ياقوت في معجم الأدباء: (٤/١٤٤٦) إلى صالح بن عبد القدوس، وهو في لطائف الإشارات: (١/٩٢).

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ [التوبة:٢٧]، أخبر أنهم وقعوا في بَحْرِ الإعجاب، وتدنَّسوا بِرُخَصِ الافتخار، فخَلَقَ الله الاضطرابَ في القلوب، وخارت القُوى، وولوا مدبرين، ولم يبق[(١)] معه ﷺ[(٢)] إلا قليل من الأصحاب، فاستخلص الله أسرارهم بصِدْقِ الرجوع، وخلق لهم قبول إجابة الدعاء بهم، فرجعوا رُجُوعَ الجياد إلى أذوادها، والعِشَارِ إلى أولادها، وأنزل سكينته وجنوده، وقَلَبَ الحال على الأعداء، وحلَّت بهم الفاقرة، ووقعت بهم الدائرة، وارتدت عليهم الهزيمة.

والسكينة: «ثَلَجُ القلب عند جريان حُكْمِ الرب بالثبات والاطمئنان»[(٣)].

وقيل: «السكينة هي الملائكة»[(٤)].

وقيل: «السكينة عدم الحركة في جهة الفرار».

وقيل: «السكينة ذكرى وعد الله بالنصر»[(٥)].

وقيل: «السكينة ذكرى ما التزموا للنبي من نُصْرَتِه وحمايته؛ ممَّا يحمون منه أنفسهم».

وقيل: «السكينة ذكرى ما أُلْزِمُوا[(٦)] من فَرْضِ القتال عن المِلَّةِ».

---

(١) في (د) -أيضًا-: يقف.

(٢) في (ك): صلى الله عليه.

(٣) لطائف الإشارات: (١٩/٢).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم: (١٧٧٤/٦).

(٥) الهداية: (٢٩٦١/٤).

(٦) في (ك) و(ص): التزموا، وفي (ب): التزموه.

قال الإمام الحافظ رضي الله عنه[(١)]: لم يَبْقَ في ذلك المشهد أَحَدٌ ممَّن فَرَّ إلَّا تاب الله[(٢)] عليه، فقوله: ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾، يعني: هؤلاء الذين قد شاء أن يتوب عليهم، ولم يضمن ذلك لغيرهم من الذين يفعلون مثل فعلهم بقوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾، أي: بعد الفرار من الكفَّار مطلقًا، إلَّا[(٣)] من هؤلاء المعيَّنين، وقد قال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [النساء:١٧]، يعني: كل من رجع إلى ربه ولام نفسه واعترف بذنبه/ قبل معاينة الآخرة وأشراطها الأربعة المعيَّنة؛ التي بيَّنَّاها في كتاب «الأحكام» و«الأصول[(٤)]»[(٥)].

٢ [١٣١/أ]

وقال: ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُومِنِينَ وَٱلْمُومِنَٰتِ﴾ [الأحزاب:٧٣].

أخبر سبحانه أن عَرْضَ الأمانة كان ليُعَذِّبَ الله المنافقين والمنافقات، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات[(٦)]، فأفاد ذلك أنه لا بد من الذنب، ويتوب الله بعد ذلك على من يشاء من العاصين، ولم يذكر العابدين ولا الصالحين.

فيا أيُّها العاصي لعلك أن تكون في جملتهم فيُتاب عليك فتلحق بدرجتهم، أو تترك كما أنت فتزهق عن مرتبتهم.

---

(١) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ب): قال الإمام أبو بكر بن العربي رضي الله عنه.
(٢) لم يرد في (ك) و(ص) و(ب).
(٣) في (ك) و(ص) و(ب): لا.
(٤) بعده في (ك) و(ص) و(د): وهي، وبعدها بياض.
(٥) المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٤٦٦-٤٦٨)، وينظر: الناسخ والمنسوخ: (٢/١٥٤-١٥٧).
(٦) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

وقال: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١١٨].

والمراد هاهنا: قَبِلَ توبتهم، وكذلك في أوَّل الآية في قوله: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾.

فأمَّا توبته على النبي فقد بيَّنَّاها في تأويل قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [التوبة:٤٣]، وكان النبيُّ أَخَذَ بظاهر الحال على تفصيلٍ تقدَّم، فعفا عنه ربُّه وعاتبه.

وأمَّا توبته على الذين كانوا معه فلِمَا أصابهم من الجوع والعطش، هَمُّوا بالانصراف ثم ثبتوا، كما قال الله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ [التوبة:١١٨]، فتدارك قلوبهم بالثبات، فكانت تلك توبته عليهم، وهكذا[١] سُنَّةُ الله مع أوليائه؛ إذا[٢] قاربوا التَّلَفَ تداركهم[٣].

وأمَّا توبته على الثلاثة فبِصِدْقِهِمْ واعترافهم؛ فإن الإقرار والاعتذار يُذْهِبُ الإصرار، ويُخَلِّصُ من النار، كما قال: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [التوبة:١٠٣]، وقد تقدَّم.

وفي[٤] الحديث الصحيح: «إذا قال العبدُ رب اغفر لي قال الله: عَلِمَ عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب، قد غفرت له»[٥].

---

(١) في (ك) و(ص): هذه.

(٢) في (د) و(ص): إذ.

(٣) لطائف الإشارات: (٢/٧٠).

(٤) في (د): في.

(٥) سبق تخريجه.

والدليلُ على صحة نقض التوبة قوله سبحانه: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة:٧٣]، ولم يكن العَوْدُ[١] بعد التوبة لجميعهم، إنَّما كان[٢] لبعضهم، ومنهم من عاد إلى الكفر، ومنهم من عاد إلى التعسُّف.

٢ [١٣١/ب]

وأَوَّلُ الخلق تاب آدَمُ، وأوَّل الخلق أَصَرَّ إبليس، وقد/ أخبر الله بقصة آدم؛ وأنه لمَّا وَاقَعَ الذنب ألقى إليه تعالى الكلمات فقالها فتاب عليه[٣].

قال بعضهم: «ألقى الله إليهما الكلمات ولم يُسَمِّها، وأجمل القول في الحال ليبقى الأمر مستورًا؛ فهو أكرم لآدَمَ، وهو من عظيم كَرَمِ الله على العبد»[٤].

وقال آخرون: «بل هي مفسَّرة في موضع آخر؛ وهو قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٢]»[٥].

وقيل: «كلمات آدم تنصُّل، وكلمات الله ابتداء[٦] وتفضُّل»[٧].

---

(١) في (د): في خـ: الفتنة.

(٢) في (د) -أيضًا-: كانت.

(٣) قوله: «ألقى إليه تعالى الكلمات فقالها فتاب عليه» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٤) لطائف الإشارات: (١/٨٢).

(٥) لطائف الإشارات: (١/٨٢).

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): قبول، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

(٧) لطائف الإشارات: (١/٨٢).

وقال أهل الزهد: «لمَّا قال له: «اهبط»؛ زوَّده بكلمات كريمة؛ لأنه[١] كان على بِسَاطِ الكرامة، فلمَّا خالف أُخرج من الدار[٢]، ولكنه بشَّره بأن رجوعه إليها يكون قريبًا بقوله: ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى﴾ [البقرة:٣٧]»[٣]، وقد بيَّنَّاه في «التفسير».

وقد سألها إبراهيمُ في حال الوصال وكمال الخُلَّةِ، فقال: ﴿وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧]، يريد: بعد قيامنا بجميع ما أمرتنا به، فإنه خشي التقصير فسأل التوبة منه؛ إذ عِظَمُ المنزلة تُوجِبُ كثرة الخدمة، ومراعاة الحُرمة، وملازمة الصلاح والإِصْلَاح، كما قال سبحانه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾ [البقرة:١٥٩]، وقد تقدَّم؛ فإنَّ مواقعة المعاصي تُوجِبُ ضَرَاوَةً بها وأُنْسًا معها؛ حتى ربَّما لم تُمْكِنْ مفارقتُها.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ﴾ [النساء:١٣٦].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ﴾ [آل عمران:٨٩].

ومعناه: لن[٤] تُوجَد؛ لأن المعدوم لا يقبل، وإنَّما يقبل الموجود من فعل أو ترك، والتَّرْكُ فِعْلٌ من الأفعال، خلافًا للقدرية، وقد مهَّدناه في «كُتُبِ الأصول».

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): الباب، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

(٣) لطائف الإشارات: (١/٨٣).

(٤) في (د): لم.

فإن أذنب وتاب فتلك سَلِيقَةُ[١] الآدَمِيِّ وجِبِلَّتُه، وذلك قَوْلُه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟﴾[٢]، كما تقدَّم بيانُه، ﴿وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ [النساء:١٤٥]، أي: رَبَطُوا أنفسهم برباط الطاعة فلم ينحلَّ إلى المعصية، وقَتَلُوها بالزُّهْدِ فلم تَحْيَ بالشهوة.

وقوله: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[٣] [النساء:١٦].

٢ [١٣٢/أ]

قال جماعة من العلماء: «إذا تاب/ الزاني أسقطت التوبةُ حَدَّه»[٤].

وكما قال الله أيضًا في المُحَاربة[٥]: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة:٣٦].

فأمَّا المُحَارِبُ فمُتَّفَقٌ عليه، وأمَّا سقوطُ حَدِّ الزنى بالتوبة فمختلف فيه، وقد بيَّنَّاه في «الأحكام»[٦].

وقد قال جماعة أخرى[٧] من العلماء: «إن الذي يسقط بالتوبة حَقُّ الله؛ من هَجْرِ الزاني، وتَرْكِ قبول شهادته، وعَزْلِه عن إمامته»[٨].

---

(١) في (د): سليفة.

(٢) في (د): وأخلصوا.

(٣) قوله تعالى: ﴿إن الله كان توابا رحيما﴾ لم يرد في (د).

(٤) ينظر: لطائف الإشارات: (١/٤٢١).

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): المحارب.

(٦) أحكام القرآن: (٢/٦٠٣-٦٠٤).

(٧) في (د): أخر.

(٨) ينظر: أحكام القرآن: (٢/٦٠٣).

فأمَّا الحَدُّ فلا يسقط ؛ على ما أوضحناه في «مسائل الخلاف»[١].

ثم أخبر تعالى بوقت قبول التوبة كما تقدَّم، وأنها لا تكون عند المعاينة لأمور الآخرة، وإنما تكون على الغيب، كما قال: ﴿يُؤمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة:٢]، فما أعطى الله جَزَاءً إلا لمن آمَنَ بالغيب ؛ على الرجاء والخوف، فذلك هو طريقُ التوبة، وبظهور الغيب يُسَدُّ طريقُها[٢]، وفي مثلها قال الحَكِيمُ:

قلتُ للنفس إن أردت رجوعًا فارجعي قبل أن يُسَدَّ الطريقُ[٣]

وقال تعالى[٤] في بيانه[٥]: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾ [النساء:٦٣].

والمَجِيء إنما يكون مع الإمكان.

[مناجاةُ ابنِ العربي رسولَ الله ومعاهدتُه له]:

وقد كنتُ جِئْتُه ﷺ فناجيتُه من قِبَلِ رأسه الرفيع، بإزاء البلاطة، وقلت له: يا رسول الله، إني فلان بن فلان، قَصَدْتُكَ مُسْتَغْفِرًا من ذنبي، مُتَشَفِّعًا بك إلى ربي، وقد بلَّغتنا عنه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللَّهَ﴾، وقد فَعَلْتُ، ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾، فافعل

---

(١) ينظر: أحكام القرآن: (٢/٦١٤).

(٢) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٤٦٥).

(٣) من الخفيف، وهو في لطائف القشيري بدون نسبة: (١/٤٦١).

(٤) في (ك): الله تعالى، وفي(ص): الله عز وجل، وفي (ب): الله.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): كتابه.

صلَّى الله عليك ما أخبرتَنا به عنه تعالى، وفارقتُه على هذا، ثم لم أَقْدِرْ على العصمة، فلمَّا خرج إلى الحج بَعْضُ أصحابنا المريدين قلت له: أَبْلِغْ سلامي رسول الله، وقل له: إن العهد الذي كان نذرته لم أقدر على الوفاء به، وهو القائل: سيد الاستغفار أن يقول: «اللهم أنت لا ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي»[١]، يعني[٢]: غير مُوفٍ شُكْرَها، «وبذنبي»، غير مقلع عنه، فأنا ذلك الرجل، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولعل الله يختم بتوبة.

[من شرائط التوبة]:/ ٢ [١٣٢/ب]

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ﴾ في باقي أمره ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ [المائدة:٤١]، أي: يقبل توبته، وما لنا لا نتوب وقد حَضَّ الله عليها، فقال: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٧٦]، لا يتعاظمه ذنب؛ ولا سيما العاصون الذين أَتَوُا[٣] الذنوب بجهالة، لا بعناد واستكبار، وهم الذين تغلبهم الشهوات، وتستولي عليهم الغفلات، فلا يُقابَلون في أوَّل مرجعهم إلا بما يَلْقَى بهم الأكابر، يقال لهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الزمر:٧٠]، وهي التحية الكريمة؛ تحية الإسلام، وتحية دار السَّلام، وتحية السَّلامة من عقوبة الآثام، وهو قوله في الآية الأخرى: ﴿ثُمَّ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن شداد بن أوس ﷺ: كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار، رقم: (٦٣٠٦-طوق).

(٢) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٣) في (ص): أوتوا.

إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل:١١٩].

وعلامةُ إتيانِ ذلك بجهالةٍ الندمُ على قُبْحِ ما فرَّط وقدَّم، والأسفُ على ما أسلف، ومَحْوُ العثرة بإفاضة العَبرة، فحينئذ تُقبَل التوبة، وتُوهَب الرحمة، وتُبذَل المغفرة، كما قال: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه:٨٠]، فالتوبة من الذنب والإيمان شَرْطُ صحتها أو أهلية قبولها، والمعنى: «آمِنٌ في المَآلِ كما هو آمِنٌ[1] في الحال»[2].

وقال أهل الزهد: «آمِنٌ: بأن أَمْنَه ليس بتوبته وإيمانه[3]، وإنما هي برحمة ربه ورضوانه»[4].

وقوله: ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾، أي: في آخِرِ الأمر، ولذلك ألحقها بكلمة «ثُمَّ»؛ التي هي موضوعة للمُهْلَةِ، وهو حينئذ «المُجْتَبَى».

* * * * *

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): مؤمن.

(٢) لطائف الإشارات: (٢/٤٦٩).

(٣) في (ص): لا بإيمانه.

(٤) لطائف الإشارات: (٢/٤٦٩).

المُجْتَبَى[١]: وهو الاسمُ السَّادس والمائة[٢]

وهو: الذي جُعِلَ في جَبأٍ من المخالفات، وهو الحَيِّزُ والجانب.

ويرجع بصفاته كلها إلى «الصالح»، و«المتقي»، و«المخلص»، و«الصادق»، و«الصدِّيق»، ونحو ذلك، ويكون «طَيِّبًا» كما بيَّنَّاه.

وهذا عَهْدُ الله لكل نَبِيٍّ في كل أمة؛ قال الله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأعراف:١٥٣].

ولا سيئة أعظم من عبادة العجل؛ كبُرت ذنبًا، وقبُحت دُنيا، وسخُفت عادة[٣] ومرأى، ولكنها غُفِرت[٤].

وبعد التوبة يرجع المرء إلى أشرف ما كان عليه من الحالة، قال سبحانه: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾ [التوبة:١١]، وذلك خير لهم؛ كما قال: ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ﴾ [التوبة:٧٥].

---

(١) سقط من (ك) و(ص).

(٢) في (ك): الرابع والمائة، وفي (ص): السادس والتسعون، وفي (ب): الخامس والتسعون.

(٣) في (ص): عبادة.

(٤) في (ص): عقرت.

٢ وقد بيَّن الله سبحانه أنه يقبل التوبة،/ وأنه[١] يُوجِبُ العقوبة، وأنه [١٣٣/أ] في قَوْمٍ إمَّا يعذبهم وإمَّا يتوب عليهم؛ كما قال: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بذلك كُلِّه، ﴿حَكِيمٌ﴾[٢] في فِعْلِه.

قال المفسرون: «المرادُ بالمُرْجَوْنَ الثلاثةُ من العشرة[٣] المتأخرين عن رسول الله ﷺ، لم يربطوا أنفسهم مع أبي لُبابة، وهم: هلال بن أمية، ومُرارة بن الربيع، وكعب بن مالك، فقال تعالى: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ إن لم يعلم صحة توبتهم، والثاني: أنه يعذبهم وإن عَلِمَ صحة توبتهم»[٤].

قال الإمام الحافظ[٥] رضي الله عنه: هذا دَبَشٌ[٦]؛ أبو لُبابة جرت قصته في غزوة بني قريظة، وهؤلاء الثلاثة جرت قصتهم في غزوة تبوك بعد نَحْوِ[٧] خمسة أعوام، فكيف يقول: «لم يربطوا أنفسهم مع أبي لبابة»، وكيفيَّة ما جرى لهم مع النبي ﷺ معلومة في الصحيح[٨].

---

(١) لم يرد في (ص).

(٢) [التوبة:١٠٧].

(٣) مرَّضها في (ص).

(٤) ينظر: تفسير الطبري: (٤٦٥/١٤ -شاكر).

(٥) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ب): قال الإمام أبو بكر بن العربي رحمه الله.

(٦) الدبش: سقطُ المتاع، تاج العروس: (٢٠١/١٧).

(٧) سقطت من (ك) و(ب).

(٨) سبق تخريجه.

وأَمَّا قوله: «إِمَّا يعذبهم بعد عِلْمِه بتوبتهم»؛ فَطَامَّةٌ لم يَقْدُروها قَدْرَها، غفر الله لهم قولها[١]، إذا عَلِمَ الباري تعالى تَوْبَةَ رجل[٢] استحال أن يُعَذِّبَه شرعًا، فلا يَحِلُّ لمسلم أن يعتقد غير ذلك، ولا يقوله.

وفي البخاري عن أبي هريرة: «كُلُّ أمتي معافى إلا المجاهرون؛ فإنَّ[٣] من المجاهرة[٤] - وفي رواية مسلم[٥]: من الإجهار[٦]- أن يعمل الرجل في ليل عملًا ثم يصبح وقد ستره الله، فيقول: يا فلان؛ عملتُ البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ويُصْبِحُ يَكْشِفُ ستر الله عنه»[٧].

وأشدُّ ما على العبد أن يرى العقوبة عليه نازلة وبه محيطة ولا يَتُوبُ ولا يتذكَّر، والخلقُ الذين ابتلاهم الله بالأمر والنهي لا يُخليهم الباري من دلائل التعريف في كل وَقْتٍ، بنوع من البيان والتنبيه في كل أوان، بضَرْبٍ من الامتحان، وقد يكون[٨] المرءُ بزيادة البرهان وتجديد[٩] الخذلان، ومنهم

(١) في (د) -أيضًا-: لمن قالها.

(٢) في (ص): عبد.

(٣) في (ص): وإن.

(٤) في (ك) و(ب) و(ص): المجانة.

(٥) أخرجها مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه، رقم: (٢٩٩٢-عبد الباقي).

(٦) في (ك) و(ص): الجهار.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه، رقم: (٦٠٦٩-طوق).

(٨) مرَّضها في (د)، وفي الطرة ما لم أقطع به، يقرب أن يكون: يزيد، والله أعلم.

(٩) في (ص) و(ك) و(ب): في تجديد.

من إذا رأى الزَّجْرَ ازدَجَرَ، يُنَوِّرُ الله بصائرهم ويُصَفِّي خواطرهم، فإن سقطوا غفلة[١] استقلوا بلا مُهْلَةٍ فاستغفروا، فقد قال النبي ﷺ في الصحيح: «إنه ليُغَانُ على قلبي؛ فأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم والليلة مائة مرة»[٢].

وهو مُطَهَّرٌ من الخطايا، فكيف بالمُغْرِقِين[٣] فيها؟

وكل نبي قال لأمته: «استغفروا ربكم ممَّا مضى، وتوبوا إليه الآن وفيما تستقبلون».

[١٣٣/ب] وقد قال/ - من جملتهم صلَّى الله عليهم[٤]- شُعَيْبٌ: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠].

واختُلِفَ في تفسيره؛

فقيل: «﴿وَدُودٌ﴾، أي: يرحم العاصين لأنه يودهم»[٥].

وقيل: «يرحمهم لمودتهم له ورجوعهم إليه»[٦].

فيكون وَدُودًا[٧] بمعنى مودود، والله مودود[٨] لعبده، والعبد وَدُودٌ لربه، وقد تقدَّم شرحُنا للودود في كتاب «الأمد الأقصى»[٩]، وهو يرجع

---

(١) في (ص): في غفلة.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) في (ك) و(ب) و(ص): المغرقين.
(٤) في (ص): عليه السَّلام، وفي (ب): صلى الله عليه.
(٥) لطائف الإشارات: (٢/١٥٣).
(٦) لطائف الإشارات: (٢/١٥٣).
(٧) في (ك) و(ب) و(ص): مودود.
(٨) في (ك) و(ب) و(ص): ودود.
(٩) الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/١٠١-١١٤).

إلى المحبة الثابتة التي لا تُزَعْزِعُها رياحُ الخواطر، ولا تُؤَثِّرُ فيها عوارضُ المخالفات[١].

وقد قال النبي ﷺ[٢] - في الصحيح -: «مَثَلُ المسلمين في تراحمهم وتعاطفهم وتوادهم كمثل الجسد؛ إذا اشتكى عُضْوٌ[٣] منه تداعى سائره بالحمَّى والسَّهر»[٤].

المعنى: إن الصور والأجرام وإن فرَّقتْ[٥] بينهم فإن المودة قد جمعتهم، وإن الأزمنة والأمكنة إن[٦] غايرتهم وعدَّدتهم[٧] فإن المحبة قد وحَّدتهم، وإنما صحَّت المودة لأنهم قاموا بحُرْمَةِ الأخوَّة وحافظوا على[٨] حقوقها، ألا ترى أن الله أخبر عن الذين اخترموها ولم يحترموها، فإن أصابتكم مصيبة قال-كأن لم يكن بينكم وبينه مودة-: ﴿قَدَ اَنْعَمَ أَللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمَ اَكُن مَّعَهُمْ شَهِيداً وَلَئِنَ اَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ أَللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ يَكُنْ

---

(١) بعده في (ك): وهو الاسم الخامس والمائة، وفي (ص): وهو الاسم السابع والتسعون، وفي (ب): الودود: وهو الاسم السَّادس والتسعون، وقد ضرب عليها في (د).

(٢) في (ك): صلى الله عليه.

(٣) في (ص): بعضه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه: كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم: (٦٠١١-طوق).

(٥) في (ص): فرقتهم.

(٦) في (ص): وإن.

(٧) سقط من (ص) و(ب) و(د).

(٨) سقط من (د).

﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[١] [النساء:٧١-٧٢]، كأن لم يكن بينكم وبينه مودة.

فتقديرُ الآيـة[٢]: طرحوا جلباب الحياء، وأسقطوا حُرْمَةَ الأخوَّة، فقالوا: كأن لم يكن بينكم وبينه مودة ولا صحبة، أو قالوا: كذا وكذا، كما يقول الذين ليس بينكم وبينهم[٣] مودة.

فإن شئت أن تُقَدِّرَ النفي للمودة أوَّل الكلام، وإن شئت آخِرَه، وإن شئت وسطه، وهو الأفصح، كما في جاء في القرآن، لسِرٍّ بيَّنَّاه في «عِلْمِ النَّظْمِ»[٤] الذي نبَّهناكم عليه.

المعنى: كأنه لم تثبت قط بينكم وبينهم[٥] معرفةٌ تقتضي حقوقًا مرعية، ولا خُلْطة تُوجِب عُلْقَةً نفسية، ومَيْلًا بحكم الآدمية؛ التي تقتضي رِقَّةَ الجِنسية، فكيف إذا اتَّصلتْ بأسباب شرعية؟

وهكذا[٦] المودة إذا كانت لغير الشَّرْعِ زهقت بأقل سبب، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ [العنكبوت:٢٤] الآية.

---

(١) في (د): «قال: كأن لم يكن بينكم وبينه مودة، قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدًا ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيمًا، كأن لم يكن بينكم وبينه مودة».

(٢) في (ص) و(ك) و(ب): فتقدير الآية هذا المعنى.

(٣) في (ص): ولا بينهم.

(٤) في اسم «المتقي»، وهو الاسم الذي سبق هذا.

(٥) في (د): بينه.

(٦) في (ص): هذه.

المعنى: إن هذه المودة التي بينكم إنما هي في الحياة الدنيا؛ دار الغفلة، ومَحَلِّ المحنة، ومَعْدِنِ الجهالة، ومأوى الاغترار، ومحل الإمهال، ومجال/ الشيطان، حتى إذا انكشفت الحقائق بالقيامة انقلبت بُغْضًا، وهذا كثيرٌ في القرآن، فاجْمَعْه بالقانون إن احتجت إليه، فلا تعول على العداوة فيها ولا على المودة، وإنما يُعَوَّلُ على مودة الشرع، قال الله سبحانه: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة:٣].

٢ [١٣٤/أ]

فقد[1] ترون أن إبراهيم لم تنفع أباه[2] قرابتُه، ولا مُحَمَّدًا لم تنفع عمَّه صِلَتُه وحمايتُه، وقال الله[3]: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾[4]، وعسى للتجويز والرجاء والتوقع، حتى يُظهر[5] الله ما[6] عَلِمَ، وينفذ ما حكم، وقد تقدَّم كثيرٌ من معانيها في اسم «المُحِبِّ»، و«الأخ»، و«الصاحب»، فلا وجه لإعادته.

قال الإمام الحافظ[7]: وكما للمَرْءِ اسمُ العاصي والفاسق قبل[8] التوبة، فله بعدها المُطِيع العادل، قال الله تعالى: ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ

---

(١) في (ص): ألا.
(٢) في (د): إيَّاه.
(٣) في (ك) و(ب) و(ص): ولعل الله أن، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.
(٤) في (د): «عسى أن يجعل بينكم وبين من عاديتم منهم مودة»، وفي (ص) و(ك): لعل.
(٥) في (ك) و(ب) و(ص): يظهر.
(٦) في (ص): منهم ما علم.
(٧) في (ك): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي رضي الله عنه، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.
(٨) في (د): يقبل.

إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ [النور:٤-٥]، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور:٢١]، أي[١]: ما تُبْتُم.

يعني: ما خرجتم من هذا المشكل الذي وقعتم فيه؛ وهي مسألة اللعان، فلا ينبغي لعبد أن يدخل في مشكل، بل يخرج من المشكلات إلى البيِّنات، ومن الأفعال المذمومة إلى الخصال الممدوحة، كما قدَّمنا؛ من توبة الزلَّة، وتوبة الغفلة، وتوبة الفترة، وتوبة الرؤية للأعمال أو اعتقاد المنزلة، فإنَّ من كانت حاله في المعصية دائمة إلى المَنِيَّةِ خُلِّدَ في النار مُهَانًا، إلَّا من تاب[٢] وآمَنَ وعمل عملًا صالحًا، كما قدَّمنا؛ فـ﴿مَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان:٧١].

وهذه الكلمات لم يتعرَّض لها المُفَسِّرُونَ، وفيه فائدة، وهي: أنَّ التوبة المُعَقَّبَةَ[٣] بالعمل الصالح هو المتاب المُعْتَدُّ به.

فتقدير الآية: ومن تاب واستمر على العمل الصالح فهي التوبة المُعْتَدُّ بها، المرجو لصاحبها أن يكون من المفلحين، كما قال: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾ [القصص:٦٧]، وسنُشِير إلى ذلك[٤] إن شاء الله[٥] فإنه من «الأسماء»، وسيأتي بيانُه إن شاء الله.

---

(١) قوله: «ما زكى منكم أحد أبدا أي» سقط من (ك) و(ب) و(ص).

(٢) في (د): إلا من تاب كما قدمنا.

(٣) في (ب): المعقب.

(٤) في (ك) و(ب): إليه، وضعَّفه في (ص).

(٥) قوله: «إن شاء الله» لم يرد في (ب).

ومن أَجَلِّ كتابٍ جاء من عند الله إلى عباده قَوْلُه لنا: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ حمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾، [غافر:١-٢]/ فأُلْقِي هذا الكتابُ الكريم إلى العاصي دليلًا؛ فقال له: ٢ [١٣٤/ب]

من غَافِرِ الذنب وقابل التوب، يغفر الذنوب، ويقبل التوبة، ويعفو عن السيئات، مع أنه شديد العقاب، وهو ذو الطول، أي: ذو الفضل[١]، أو ذو القدرة، فإن كان معناه ذا الفضل فقد غلب الرجاء، وإن كان معناه ذا القدرة فقد استوت الحال، «فهو سبحانه غافر الذنب لمن اجترم، قابل التوب لمن ندم، شديد العقاب لمن جحد، ذو الطول لمن عَرَفَ ووحَّد»[٢].

وقيل: «غافر الذنب للظالمين، قابل التوب للمقتصدين، شديد العقاب للمشركين، ذو[٣] الطول على المذنبين، يتفضَّل عليهم بالمغفرة»[٤].

وقد قال العلماء بكتاب الله: «إن الله إذا خوَّف العباد باسْمٍ آنَسَهُم باسْمَيْنِ فزَائِد»[٥].

قال علماء الزهد: «إذا كان إليه المصير، فقد طاب المسير[٦]»[٧].

---

(١) في (ص): الطول.
(٢) لطائف الإشارات: (٣/٢٩٥).
(٣) في (ك) و(ب): ذي.
(٤) لطائف الإشارات: (٣/٢٩٥).
(٥) لطائف الإشارات: (٣/٢٩٥).
(٦) لطائف الإشارات (٣/٢٩٥): إليه المسير.
(٧) لطائف الإشارات: (٣/٢٩٥).

قال الإمام الحافظ[١] رضي الله عنه: وناهيك بمنزلة، ويا لها من مرتبة، وما أسوغها من نعمة، وما أكرمها من حُرمة، وما أمكنها من منزلة، وما أشرفها من مرتبة!

قال الله: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر:٧].

فخَوَاصُّ الملائكة مأمورون بالتسبيح، يستغفرون للعصاة، ويدعون لهم بالنجاة، ثم برَفْعِ الدرجات، ويُحِيلون الأمرَ فيه على رحمته بقوله: ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ﴾[٢] [غافر:٩].

فيا معشر المريدين: «لئن سَلَّطَ علينا أراذل خَلْقِه وهم الشياطين، لقد قيَّض لشفاعتنا[٣] أكرمُ الأكرمين أفاضلَ الخلق من الملائكة المقرَّبين»[٤].

قال الله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا﴾ الآيةُ كلها، فَوَصَفَ الله حال النشأة الحسنة بالعصمة الدائمة والتوبة القائمة في رَجُلٍ؛ من بِرِّ الوالدين، وشُكْرِ الله على نِعَمِه عليه وعليهما، بما قام به[٥] من حَقِّ خِدْمَتِه في نِعْمَتِه، والانكفاف عن معصيته، ورؤية طاعة الأبوين كطاعة ربه، ولم

---

(١) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ب): قال الإمام.

(٢) لطائف الإشارات: (٣/٢٩٧).

(٣) في (ص): للشفاعة لنا.

(٤) لطائف الإشارات: (٣/٢٩٧).

(٥) في (ص): عليه.

يزل مُتَضَرِّعًا إلى ربه في إِيزَاعِ الشُّكْرِ الذي كان عن الإيعاز إليه على نِعَمِه عليه وعلى أَبَوَيْهِ، وإتمام ذلك في العَقِبِ حتى يتَّسق[1] الأصل والثمرة على الفرع، وتلتقي الأطراف على الأوساط، فذلك الذي يتقبَّل الله عنه[2] أحسن ما عمل،/ ويتجاوز عن سيئاته في أصحاب الجنة؛ حسب وَعْدِ الصِّدْقِ النافذ من الحق للخلق. ٢ [١٣٥/أ]

وأكَّد الله التوبة[3] من المعاصي المتعلقة بالخلق في مواضع، منها: قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ الآية[4]، وقد تكلَّمنا عليها، إلى قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [الحجرات:١١].

وقال في القتل: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٢].

وجعل توبة القاتل خَطَأً مقرونة بكفَّارة يُخْرِجها، فقال: ﴿تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٩١]، ولم يجعل في العَمْدِ توبة في هذه الآية، ولكنه جعلها في آية أخرى، وقد تكلَّمنا عليها في «الناسخ والمنسوخ»[5] وغيره بما فيه غُنية، والصحيح أنَّ له توبة.

وقال هاهنا: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:١٢]، وقد يكون نَسْخُ الله للأمر الشاقِّ بالأمر الخفيف توبة، كقوله في صدقة المناجاة: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المجادلة:١٣]، يعني: أَسْقَطَ عنكم ما شَقَّ

---

(١) في (ص): يَبْسُقَ.
(٢) في (ك): عمله.
(٣) سقط من (ص).
(٤) سقط من (ص).
(٥) الناسخ والمنسوخ: (٢/١٨١).

عليكم، ووَجْهُ استعمال التوبة فيه أنه لو كلَّفهم لتركوه فعصَوا، فاحتاجوا إلى التوبة، فإذا تابوا تاب الله عليهم؛ فكفاهم المؤونة في ذلك كله، وتاب عليهم بإسقاط ما أحوجهم[1] إلى التوبة، فتعالى ربنا وتَقَدَّسَ.

وكذلك فَعَلَ في قيام الليل؛ أسقطه عنَّا رَحْمَةً منه لنا، فعبَّر عن إسقاطه بالتوبة، كما تقدَّم.

وقد قال بعضهم: «إنَّ فَرْضَه بَاقٍ»[2].

وقد بيَّنَّا فساده في كتاب «الأحكام»[3] وغيره.

تَتْمِيمٌ: [في الاستغفار للصغير]

فإن قيل: فهل يُسْتَغْفَرُ للصغير؟

قلنا: نعم، ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «اللهم اغفر لحَيِّنا ومَيِّتنا، وصغيرنا وكبيرنا»[4].

فإن قيل: وأيُّ ذنب يقابل المغفرة؟

قلنا: تكون له مُعَدَّةٌ؛ إذا جَاءَ بذنب وَجَدَ مغفرة قد سبقته، وهي أفضلُه، كما قال الله لأهل بدر: «اعملوا ما شئتم، فقد غفرتُ لكم»[5]، يعني: ما تستقبلون.

---

(١) في (ك) و(ب): أحوجه.

(٢) هو قول الإمام أبي عبد الله الجُعْفِي، ينظر: الأحكام: (٤/١٨٨٢).

(٣) أحكام القرآن: (٤/١٨٨٢).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه: أبوابُ الجنائز عن رسول الله ﷺ، باب ما يقول في الصلاة على الميت، رقم: (١٠٢٤-بشار).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن علي رضي الله عنه: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم، رقم: (٢٤٩٤-عبد الباقي).

ونَعَى النبيُّ ﷺ النَّجَاشِيَّ للناس يوم مات فقال: «استغفروا لصاحبكم»[(١)]، وقد كان على درجة عظيمة من الفضل عند الله؛ بدليل ما كان له عند رسول الله من المنزلة، ولكنه قال: «استغفروا له»، كما يُفعَل بكل مَيِّتٍ فاضل، فإن صادف الدعاءُ ذنبًا كان له فائدة المغفرة، وإن لم يصادف ذنبًا كان له رِفعة الدرجة.

ذِكْرُ التوَّابين من المؤمنين:

[تَوْبَةُ أبي لُبابة]:

تاب الله على أبي لُبابة/ في ذنبه؛ «وذلك أنه خرج إلى بني قُرَيظة [١٣٥/ب] حين حاصرهم النبي، وقد طلبوا من النبي أن يصل إليهم، وكان لهم حَلِيفًا وصاحبًا في الجاهلية، وكانوا له مُكْرِمين، فلمَّا دَخَلَ حِصْنَهم تعلَّقوا به، وجَهِشَ إليه النساء والصبيان، وقالوا له: يا أبا لبابة، ما ترى في نزولنا؟ فقال لهم قولًا جميلًا، ثم أشار إلى حَلْقِه أنه الذبح، وحين فَعَلَها سُقِطَ في يده، وعَلِمَ أنه قد وَاقَعَ كبيرة، فخرج عنهم ولم يرجع إلى النبي ﷺ، وسار إلى المسجد ورَبَطَ نفسه بسِلْسِلَةٍ في سارية من سواريه، وأَقْسَمَ ألَّا يأكل طعامًا ولا يشرب شرابًا حتى يتوب الله عليه، وبلغ أمرُه رسولَ الله ﷺ فقال: لو جاءني لاستغفرت له، فإذْ[(٢)] قد صار إلى ما هنالك فسيحكم الله فيه، فأقام كذلك بضع عشرة ليلة حتى سقط كلامه، وكان لا يُرِيمُ تلك الحال إلَّا أوقات الصلوات؛ تأتي أهلُه[(٣)] فتحلُّه، فإذا قضى عبادته أعادت

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الجنائز، بابٌ في التكبير على الجنازة، رقم: (٩٥١-عبد الباقي).

(٢) في (ك): فإنه.

(٣) في (ك) و(ب) و(ص): بنته، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

عليه حالَته، حتى أنزل الله توبته، وأمر بحَلِّه رسولُ الله، فقال: «والله، لا حَلَّنِي غيرُه»، فجاء رسولُ الله فحلَّه»[١].

[توبةُ كعب بن مالك]:

تاب الله على كعب بن مالك وهلال بن أمية ومُرارة بن الربيع[٢]؛ تخلَّفوا عن رسول الله في غزوة تَبُوك في جملة المنافقين، استوت حالتهم في الظاهر، واختلفت نيَّاتهم، فهؤلاء الثلاثة قعدوا تكاسلًا، والمنافقون تقاعدوا تكذيبًا وخيانة لله ورسوله، وتزهيدًا للناس عن الجهاد، فلمَّا قَدِمَ النبي ﷺ حَلَفَ المنافقون وكذبوا، فقَبِلَ النبي علانيتهم، ووَكَّلَ سرائرهم إلى الله، فلمَّا جاء هؤلاء الثلاثة إلى النبي وصَدَقُوه في التخلف أمرهم بالتخلف حتى يحكم الله فيهم، فأقاموا خمسين ليلة في هجران من النبي ومن الناس وفِرَاقٍ من الأهل، وإِرْجَاءٍ من الأمر خمسين ليلة، حتى أنزل الله توبة من مضى مع النبي وضَجِر[٣]، وتوبة من أقام وصَدَقَ حين اعتذر المنافقون[٤]، وأنزل الله: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ [التوبة:١١٨]، وثبَّت توبة من أقام وصدق حين اعتذر، حتى أنزل الله تعالى[٥]: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ﴾ الآية، كما تقدَّم بيانُها آنفًا.

---

(١) سيرة ابن هشام: (٣/١٨٦-١٨٨)، وتفسير الطبري: (١٤/٤٥١).

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) في (د): صخر، وفي الطرة: في خـ: صمم.

(٤) سقط من (ك) و(ب) و(ص).

(٥) قوله: «الذين اتبعوه في ساعة العسرة .. حتى أنزل الله تعالى» لم يرد في (ك) و(ب) و(ص).

[توبةُ الله على المؤمنين يوم أحد]:

تاب الله على المؤمنين يوم أُحُدٍ؛ حين خالفوا أمر النبي في ألَّا يبرحوا عن مواضعهم، فلمَّا رأوا الكفَّار قد انهزموا والفيء قد شرع فيه الناس تركوا مقامهم، ونَسُوا ما حُدَّ لهم، فتمكَّن الكفار، وكانت الهزيمة على المسلمين، ثم عفا الله عنهم[١]،/ وغفر ذلك لهم.

٢ [١٣٦/أ]

[توبةُ الله على المؤمنين يوم حُنَين]:

تاب الله على المؤمنين يوم حُنَين حين[٢] أعجبتهم كثرتهم، فلم تغن عنهم شيئًا وولوا مدبرين، ثم أنزل الله السكينة عليهم ونصرهم، وتاب عليهم بعد ذلك وغفر لهم[٣].

[توبة الله على عائشة وحفصة]:

تاب الله على عائشة وحفصة حين تظاهرتَا على النبي ﷺ، حسب ما تقدَّم في «سورة التحريم».

قال المفسرون: ورُوي عن مالك[٤]: «في شأن مارية جاريته»[٥].

وقال أهل الصحيح في شأن العسل الذي شرب منه[٦]: «عند زينب»[٧].

---

(١) سقط من (د). (٢) سقطت من (د).

(٣) قوله: «غفر لهم» سقط من (ك) و(ب) و(ص).

(٤) مرَّضها في (د)، وفي الطرة ما لم أتبيَّنه، وهو قَوْلٌ رواه الإمام مالك عن زيد بن أسلم، ينظر: الأحكام: (٤/١٨٤٥).

(٥) تفسير الطبري: (٢٣/٨٣-التركي).

(٦) سقط من (د).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة ﵂: كتاب التفسير، سورة المتحرَّم، رقم: (٤٩١٢-طوق).

ويحتمل أن يكون فيهما، والثاني أصح.

فقال الله لهما: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم:٤]، وذلك مُوجِبٌ للتوبة، ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ معه[١] ﴿وَجِبْرِيلُ﴾ وأبوكما[٢]؛ أبو بكر وعمر، وهما ﴿صَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ومن كان مثلهما، ولا مِثْلَ لهما.

حتى آلت القصة إلى الإيلاء، وإلى أن يَجَأَ عُمَرُ قَفَا حفصة، وإلى أن يقول لرسول الله في بعض الروايات: «إن أمرتني ضربتُ عنقها».

[توبةُ قاتل المائة نَفْسٍ]:

تاب الله على رَجُلٍ كان قبلنا؛ «قَتَلَ تسعة وتسعين رجلًا، ثم خرج يسأل: هل له[٣] من توبة؟ فلقي راهبًا فقال له: ليس لك توبة، فقتله، ثم خرج يسأل، فلقي آخر، فقال له الأمر[٤] وسأله: هل لي[٥] من توبة؟ فقال له: ومن يسد باب التوبة دونك؟ ولكن ائْتِ الأرض المقدَّسة، فخرج إليها فجاءه الموت فُجَاءَةً في الطريق، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأمرهم الله أن يجعلوا بينهم رَجُلًا يأتي على الطريق، وأرسل إليهم مَلَكًا في صورة رَجُلٍ فاستفتوه، فأمرهم أن يقيسوه، فإلى أي أرض وجدوه أقرب قبضوه على صفتها؛ إن كان أقرب إلى الأرض التي عصى فيها قَبَضَتْهُ ملائكة العذاب، وإن كان إلى الأرض المقدَّسة قبضته ملائكة

---

(١) في (د): هو مولاه.

(٢) في (ص): أبواكما.

(٣) سقط من (ك) و(ب) و(ص).

(٤) في (ك) و(ب) و(ص): الآخر.

(٥) سقط من (ك) و(ب) و(ص).

الرحمة، فوجدوه أقرب إلى الأرض المقدسة بشِبْرٍ، فقبضته ملائكة الرحمة»[١].

وفي رواية: «فوجدوه لمَّا جاءه الموت وهو[٢] في المَنْصَفِ نَاءَ بصدره إلى جهة الأرض المقدسة»[٣]، فبذلك المقدار استحقَّ عند الله أن تقبضه ملائكة الرحمة.

[توبةُ رجل لم يعمل خيرًا قط]:

تاب الله على رَجُلٍ كان قبلكم؛ قال النبي: «إن رَجُلًا فيمن[٤] كان قبلكم قال لبنيه: أيَّ أَبٍ كنت لكم؟ قالوا: خير أب، قال: فإذا مِتُّ فاحرقوني، حتى إذا صِرْتُ/ حُمَمًا فاسهكوني، ثم انظروا يومًا رائحًا فاذْرُوا نصفي في البَرِّ، ونِصْفِي في البحر، فوالله لئن قَدَرَ الله عليَّ ليعذبني عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين، ففعلوه[٥] ورَبِّي[٦]، فأمر الله البحر فجمع ما فيه، وأمر البَرَّ فجمع ما فيه، ثم قال له: كن خَلْقًا سَوِيًّا، فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: مخافتك يا رب[٧]، فما تَلَافَاهُ غيرُها»[٨].

٢ [١٣٦/ب]

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) قوله: «وهو» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، رقم: رقم: (٢٧٦٦-عبد الباقي)، وفيه: «قال قتادة: فقال الحسن: ذُكِرَ لنا: أنه لما مات نأى بصدره».

(٤) في (ك) و(ص): كان فيمن كان.

(٥) في (ص) و(ب) و(ك): ففعلوا، وفي طرة بـ (د): في خـ: ففعلوا ما أمرهم.

(٦) في (د): في خـ: ففعلوا ما أمرهم.

(٧) قوله: «يا رب» سقط من (ك) و(ب) و(ص).

(٨) سبق تخريجه.

[تَوْبَةُ رجل كان يداين الناس ويتجاوز عن المُعْسِرِ]:

تاب الله على رَجُلٍ كان فيمن[١] قبلكم؛ كان يُدَايِنُ الناس ويقول لغلمانه: «أَنْظِرُوا المُوسِرَ، وتجاوزوا عن المُعْسِرِ، فقال الله عز وجل[٢] له: نحن أحقُّ بذلك منه، تجاوزوا عنه[٣]»[٤].

[توبةُ بَغِيٍّ سَقَتْ كَلْبًا]:

غَفَرَ الله لبَغِيٍّ من بغايا بني إسرائيل؛ مرَّت بكلب يأكل الثَّرَى من العطش، فنزعت مُوقَها فسَقَتْهُ، فغفر الله لها[٥].

معناه: يسَّر لها بسبب ذلك التوبة، وإلَّا فإحياءُ الكلب لا يعادل الصلاة، والصلاة لا تعادل الزنى، فكيف أن يعادله سَقْيُ الكلب؟ وقد بيَّنَّا ذلك في «القبس» و«شرح الحديث» وغيره.

[توبةُ رَجُلٍ يضع عليه الجبَّارُ كَنَفَه]:

غفر الله لعَبْدٍ - تقدَّم ذِكْرُه[٦]- يؤتى به يوم القيامة فيضع عليه الجبَّار كَنَفَه، يقول له: «عبدي؛ تَذْكُرُ يوم كذا، حين فعلتَ كذا، فلا يزال يُعَدِّدُ

---

(١) سقط من (ص).

(٢) قوله: «عز وجل» لم يرد في (ص) و(ب) و(ك).

(٣) سقطت من (ص).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب البيوع، باب من أنظر معسرًا، رقم: (٢٠٧٨-طوق).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الأنبياء، بابٌ، رقم: (٣٤٦٧-طوق).

(٦) في السِّفْرِ الأوَّل، المقام الثالث.

عليه ذُنُوبَه، حتى يَرَى أنه قد هلك، فيقول الله[١] له: عبدي؛ أنا سَتَرْتُها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم»[٢].

قال الإمام الحافظ[٣]: وهذا فيمن زلَّ في معصيته وسَتَرَ على نفسه، فأمَّا المجاهر فلا غُفران للذنب إلَّا بأَمْرٍ آخَرَ من ربه، وفي حالة أخرى من وقته.

[توبةُ مَاعِزٍ]:

وقد تاب الله على مَاعِزٍ حين جاء إلى النبي مُعْتَرِفًا بالزنى فرجمه، وقال: «استغفروا لماعز، فلقد تاب توبة لو قُسمت بين أُمَّةٍ لوَسِعَتْهُمْ»[٤].

[توبةُ الجُهَنية]:

وقال في الجُهَنِيَّة[٥] بعد أن رجمها: «لقد تابت توبةً لو قُسِمَتْ بين سبعين من أهل المدينة لوَسِعَتْهُمْ، وهل وجدتَ أفضل من أن جادت بنفسها؟»[٦].

---

(١) لم يرد في (ص) و(ب) و(ك).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ب): قال الإمام رضي الله عنه، وفي (ك): قال الإمام الحافظ رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن بُرَيدة رضي الله عنه: كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى، رقم: (١٦٩٥-عبد الباقي).

(٥) في (د): الجُهَينية.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن عمران بن حُصَين رضي الله عنه: كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى، رقم: (١٦٩٦-عبد الباقي).

ومن الحكمة[١]: «الجُودُ بالنفس أقصى غاية الجود».

ولم يختلف أَحَدٌ من العلماء في أنَ سَتْرَ الإنسان على نفسه وتوبته مع ربه أفضل من فضيحته لنفسه.

ومن حديث أبي بَكْرَةَ من طريق النسائي وأبي داود: «أنَّ النبي رَجَمَ امرأةً وقال: لو قُسم أجرها بين أهل الحجاز لَوَسِعَهُمْ»[٢].

فالله أعلم؛ هل هي غير الأولى أم هي نفسها[٣]؟

[توبةُ كعب بن عمرو]:

٢ [١٣٧/أ]

وجاء أبو اليُسْرِ كعبُ بن عمرو البدري[٤]/ إلى النبي فقال: «إني أصبتُ من امرأة كل شيء إلَّا النكاح[٥]، فقال له: أصليتَ معنا؟ قال: نعم، فأنزل الله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود:١١٤]، قال له: يا رسول الله؛ ألي هذا خاصة أم للناس عامة؟ فقال له[٦] رسول الله: بل للناس عامة»[٧].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى عن أبي بكرة ﷺ: كتاب الرجم، حضور الإمام إقامة الحدود، وقدْر الحجَر الذي يرمى به، رقم: (٧١٧١-شعيب)، وأبو داود في السنن: كتاب الحدود، باب المرأة التي أمر النبي ﷺ برجمها من جهينة، رقم: (٤٤٤٣-شعيب).

(٣) في (ص) و(ب) و(ك): بعينها.

(٤) في (د): اليدري.

(٥) في (ص) و(ب) و(ك): الوطء.

(٦) سقط من (ب) و(ك).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود ﷺ: كتاب التوبة، باب قوله تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾، رقم: (٢٧٦٣-عبد الباقي).

وزاد(١) النسائي على الأئمة: «فقال له: أخلفتَ رجلًا من المسلمين غازيًا في سبيل الله [بهذا]؟ فظننتُ أني من أهل النار، وأن الله لا يغفر لي أبدًا، وأطرق عنّي نبيُّ الله، حتى نزلت الآياتُ(٢) فقرأهنَّ عليَّ»(٣).

[توبةُ رجل من الأنصار أَسْلَمَ ثم ارتدَّ ثم أَسْلَمَ]:

وروى(٤) النسائي عن ابن عباس: «كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك، ثم ندم، وأرسل إلى قومه(٥): سلوا لي النبي؛ هل لي من توبة؟ فجاء قومُه إلى رسول الله فقالوا: إن فلانًا قد ندم، وقد أَمرنا أن نسألك هل له من توبة؟ فنزلت: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٨٥-٨٨]، فأرسل إليه فأسلم»(٦).

[توبةُ آدمَ عليه السَّلام]:

وروى الأئمة عن أبي هريرة: قال النبي ﷺ: «تحاجَّ آدمُ وموسى، فقال موسى: يا آدمُ أنت الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من رُوحِه، أغويتَ الناس وأخرجتهم من الجنة، قال: فقال آدم: وأنت موسى الذي

---

(١) في (ص) و(ب) و(ك): زاد.

(٢) في (د): الآية.

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى: كتاب الرجم، من اعترف بما لا تجب فيه الحدود، رقم: (٨٢٨٦-شعيب).

(٤) في (د): روى.

(٥) في (ص) و(ب) و(ك): «وأرسل: ألي توبة؟ سلوا لي النبي؛ هل لي من توبة؟».

(٦) أخرجه النسائي في الكبرى: كتاب التفسير، قوله تعالى: ﴿كيف يهدي الله قومًا كفروا بعد إيمانهم﴾، رقم: (١٠٩٩٩-شعيب).

اصطفاك إليه[١] بكلامه؛ أتلومني على عمل عَمِلْتُه كتَبَهُ الله عليَّ قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ ثمَّ[٢] قال رسول الله: فحجَّ آدمُ موسى»[٣].

قال علماؤنا: «لَامَ موسى آدمَ[٤] بعد التوبة، والتائبُ لا يُعاقَب ولا يُعاتَب، والمذنبُ قبل التوبة معاتَب معاقَب».

وقد أصَّل النبي قوله: «إذا زنت أمةُ أحدكم فليجلدها الحَدَّ ولا يُثَرِّبْ»[٥]، فأخبر أنه إذا جلدها الحدَّ لم يَجُزْ له أن يُثَرِّبَ عليها، يعني: يعاتبها، فجُرْحُ اللسان كجرح اليد، والله أعلم.

[توبةُ من قَرَفَ أمَّ المؤمنين عائشة وقذفها]:

تاب الله على من قَرَفَ عائشة وقَذَفَها حين برَّأها وطهَّرها، ولذلك أدخل العلماءُ حديثها في كتاب التوبة[٦].

٢ ومن أعظم المحن عليها قَوْلُ رسول الله لها: «أمَّا بعد يا عائشة؛ فإن كنتِ ألممت بذنب أو قارفت سُوءًا أو ظلمت فتوبي إلى الله؛ فإن الله/ [١٣٧/ب] يقبل التوبة عن عباده، قالت: وقد جاءت امرأة من الأنصار، وهي جالسة بالباب، فقلت: ألا تستحي من هذه المرأة أن تذكر شَيْئًا؟ فوعظ رسول الله فالتفت إلى أبي، فقلت: أجبه، قال: فماذا أقول؟ فالتفت إلى أمي فقلت: أجيبيه، قالت: أقول ماذا؟ قالت: فلمَّا لم يُجِيبَا تشهَّدت، فحمدتُ الله

(١) في (ص) و(ب) و(ك): الله.
(٢) سقطت من (د).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) في (د): لام آدم موسى.
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الحدود، باب لا يثرب على الأمة إذا زنت ولا تنفى، رقم: (٦٨٣٩-طوق).
(٦) كما فعل الإمام مسلم في صحيحه، فقد خرَّج هذا الحديث في كتاب التوبة.

وأثنيتُ عليه بما هو أهله، ثم قلت: أمَا والله لئن قلت لكم: إني لم أفعل، والله يشهد إني لصادقة، ما ذلك[١] بنافعي عندكم، لقد تكلَّمتم وأُشْرِبَتْهُ قلوبكم، ولئن قلت: إني قد فعلت، والله يعلم أني لم أفعل، لتقولنَّ إنها قد باءت به على نفسها، ولئن قلت: إني لم أفعل؛ لا تصدقوني، فما أجدُ لي ولكم مَثَلًا، قالت: والتمستُ اسم يعقوب فلم أقدر عليه، فقلتُ: إلَّا أبا يوسف حين قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:١٨]، قالت: وأُنزل على رسول الله من ساعته فسكتَ[٢]، فرُفِعَ عنه وإني لأتبيَّن السرور في وجهه، وهو يمسح جبينه ويقول: أبشري[٣] يا عائشة؛ قد أنزل الله براءتك، قالت: وكنت أشد ما كنت غَضَبًا، فقلت: بحمد الله لا بحمدك، فقال لي أبواي: قُومِي إليه، فقلتُ لهم: لا، والله لا أقوم إليه ولا أحمده ولا أحمدكما، ولكن أحمد الله الذي أنزل براءتي، لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيَّرتموه»[٤].

فانظروا إلى جزالة عائشة وفصاحتها وسَعَةِ علمها، وعظيم توحيدها لربها ومُنَّتها في نفسها، لله دَرُّها ورضوانُ الله عليها، إنها لخَيْرُ نساء زمانها.

والذين تِيبَ عليهم: حَمْنَةُ بنت جحش، مِسْطَحُ بن أُثاثة، حسَّان بن ثابت، وقد انضاف[٥] إليهم جماعة، حتى كانوا عُصْبَةً كما قال الله، منهم

---

(١) في (د): ذاك.

(٢) في (ص) و(ب) و(ك): فسكتْنا.

(٣) في (د): البشرى.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب التوبة، بابٌ في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف، رقم: (٢٧٧٠-عبد الباقي).

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): انضافت.

قائل، ومنهم مستمع راضٍ، ومنهم من كان يجمعه ويَسْتَوْشِيهِ ويُذِيعُه؛ وهو عبد الله بن أُبي المنافق[١].

﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ [النور:١١]؛

قيل: هو حسَّان[٢].

وقيل: عبد الله بن أُبي[٣].

وهو الأصح.

ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُومِنَاتِ لُعِنُواْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ [النور:٢٣].

قيل:/ هذا في أزواج النبي[٤]. [٢/١٣٨أ]

وقيل: في كل مُسْلِمَةٍ[٥].

وهو الصحيح.

فأمَّا لَعْنُهم في الدنيا فبحَدِّهم، وإسقاطِ حرمتهم وشهادتهم وإمامتهم؛ وأمَّا لَعْنُهم في الآخرة فبطردهم عن رحمة الله.

قال جماعة: «هذه الآية في الكفَّار، بدليل قوله: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمُۥٓ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النور:٢٤]، وهو عبد الله بن أُبي».

---

(١) تفسير الطبري: (١٧/١٩٥-التركي).

(٢) تفسير الطبري: (١٧/١٩٣-التركي).

(٣) تفسير الطبري: (١٧/١٩٥-التركي).

(٤) تفسير الطبري: (١٧/٢٢٧-التركي).

(٥) تفسير الطبري: (١٧/٢٢٨-التركي).

ثم ابتدأ سبحانه تأكيدًا لتبرئة عائشة[١] وسائرِ أزواجِ النبي[٢] محمد ﷺ وسائرِ أزواجِ الكرامِ رُسُلِه[٣] صلى الله عليهم[٤]، فقال: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ﴾ [النور:٢٦]، وقد اختلف الناسُ -لغفلتهم عن المعاني- في هذه الآية على ستة أقوال:

الأوَّل: قال: «معناه: الخبيثات من الكلام؛ معونة[٥] للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال قائلون للخبيثات من الكلام، والطيبات منه للطيبين منهم، والطيبون منهم للطيبات كذلك»[٦]، قاله ابنُ جرير[٧] وعطاء ومجاهد.

الثاني: قيل[٨]: «إن معناه: إن خبيثًا لا يلتصق إلَّا بخبيث، ولا يُلْصِقُه إلَّا خبيث»[٩].

الثالث: «إنَّ الخبيثات من النساء للخبثاء من الرجال»[١٠]، وكذلك في الطَّيِّبِ، قاله ابن زيد.

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): تأكيد التبرئة لعائشة.

(٢) لم يرد في (د).

(٣) في طرة بـ (د): وسائر أزواج رسله.

(٤) في (د): ﷺ.

(٥) في (ص) و(ب) و(ك): مقولة.

(٦) تفسير الطبري: (١٧/٢٣٣-التركي).

(٧) في (ص) و(ب) و(ك): جبير.

(٨) سقط من (ص) و(ب) و(ك).

(٩) لطائف الإشارات: (٢/٦٠٣).

(١٠) تفسير الطبري: (١٧/٢٣٧-التركي).

الرابع: «الخبيثاتُ من الأعمال للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من الأعمال»[١]، وكذلك الطيِّب مثله، قاله مجاهد أيضًا، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ [النور:٢٦]، يعني: الطيِّب مُبَرَّأٌ من الخبيث، وقوله: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾، أي: جعلنا بلاءهم مغفرة لذنوبهم، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ عندنا.

الخامس: «الخبيثات من الأحوال للخبيثين من الرجال»[٢].

السَّادس: «الخبيثات من الأموال[٣]»[٤]، ورَكِّبْه كذلك.

قال الإمام الحافظ[٥]: هذه الأقوال كلها صحيحة محتملة، وإن كان سببُ الآيةِ وما قبلها يدلُّ على الأشخاص فلا يمتنع أن يدلَّ على المعاني؛ من الأحوال، والأفعال، والأقوال، والأموال، فيكون العمل الخبيث لا يصدر إلَّا من الرجل الخبيث، كُلٌّ مَرْبُوطٌ بما يليق به، والفعلُ لائق بفاعله، والفاعلُ لائق بفعله؛ في الطهارة والقذارة، والنفاسة والخساسة، والشرف والسَّرَف.

٢ [١٣٨/ب]

وإذا قلنا:/ إنها الأحوال؛ فالخبيثات من الأحوال كالمُنَى والشهوات لأصحابها والسَّاعين لها لميلها لها، غير ممنوع أحدهما من صاحبه، فالصفة للموصوف لازمة، والموصوف لصفته لازم.

---

(١) تفسير الطبري: (١٧/٢٣٦-التركي).

(٢) لطائف الإشارات: (٢/٦٠٣).

(٣) في (د): الأقوال.

(٤) لطائف الإشارات: (٢/٦٠٤).

(٥) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ب) و(ك): قال الإمام الحافظ رضي الله عنه.

وإن قلنا: الخبيثات من الأشخاص للخبيثين من الأشخاص ؛ وهم الراضون بالمنازل السَّخيفة، والتناحر على الجيفة.

وإن قلنا: الخبيثات من الأموال، وهي التي ليست بحَلَالٍ لمن بها تَرْبِيَتُه[١]، وعليها تعتكف هِمَّتُه، والخبيثُ من الرجال لا يميل إلَّا إلى مثل تلك الأموال، وتلك الأموال لا يكسبها[٢] إلَّا مثل أولئك الرجال.

وإن قلنا: إنها الأقوال؛ فالخبيثُ من الأقوال لا يكون إلا للخبيثين من الرجال، والخبيثُ من الرجال لا يبالي من أين قال[٣]، كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ[٤]: «وهل يَكُبُّ الناس في النار على وجوههم إلَّا حصائد ألسنتهم»[٥].

وإن قلنا: إن الطيبين[٦] من الأعمال للطيبين من الرجال؛ فهي الطاعات والقُرَبُ[٧] للطيِّبين، الذين يؤثرونها ويسعون في تحصيلها، والطيبات من الأحوال - وهي: تحقيق الواصلات[٨] ممَّا[٩] هو حَقُّ الحق

---

(١) في (د): ترتيبه.

(٢) في (ص) و(ب) و(ك): يكتسبها.

(٣) في (ص) و(ب): لا يبالي من أين اكتسب المال، وفي (د): كسب المال.

(٤) في (ص) و(ب): «كما تقدَّم في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ»، وفي (د): «كما فُسِّرَ في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ»، ولم يذكروا الحديث.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) في (ص) و(ب) و(ك): الطيبات.

(٧) في (ص) و(ب) و(ك): القربات.

(٨) في (ص) و(ب) و(ك): المواصلات.

(٩) في (ص) و(ب) و(ك): بما.

مُجَرَّدًا عن الحظوظ- للطيِّبين من الرجال؛ وهم الذين سَمَتْ هِمَّتُهم عن كل تَبَذُّلٍ خسيس، ولهم نُفُوسٌ سمت إلى المعاني بالتَّجَمُّلِ مع التَّذَلُّلِ لرب العزة ومن[1] هي له على الإطلاق[2].

والطيِّب من المال[3] - وهو[4]: الذي صَفَتْ جِهَةُ كسبه وتطهَّر في ذاته، وعَرِيَ عن مِنَّةِ مخلوق عليه - للطيِّبين من الرجال؛ وهم الأحرار الذين خلصوا لرِقِّ المولى[5] عن رِقِّ الكون في الدنيا[6].

والطيبات من الأشخاص -هن المُبَرَّآتُ من رهج الخطر، المنتقيات[7] عن سفساف أخلاق البشرية، من التعريج على[8] أوطان الشهوات- للطيبين من الرجال؛ الذين يقومون بحق الحق[9]، لا يصحبون الخلق إلَّا للتعب[10] دون استجلاب المنافع[11].

---

(١) سقط من (ب).

(٢) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٦٠٤).

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): الأموال.

(٤) قوله: «وهو» سقط من (ص) و(ب) و(ك).

(٥) في (د): انخلعوا عن رق المولى وعن رق الكون في الدنيا.

(٦) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٦٠٤).

(٧) في (ص): المنتفيات.

(٨) في (د): عن.

(٩) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٦٠٤).

(١٠) في (ص) و(ب) و(ك): التعفف.

(١١) في (ص) و(ب) و(ك): الشهوات، وضبَّب عليها في (د)، والمثبت من طرته.

قال الإمام الحافظ[١] رضي الله عنه: فهذه الأقوال بمتعلقاتها صحيحة كلها، والمقصود منها تَبْرِئَةُ المطهَّرات من أزواج المطهَّرين، فقد قال ابنُ عبَّاس: «ما بغتْ امرأةُ نَبِيٍّ قط، وإنَّما كانت خيانتهما في كُفْرِهما»[٢].

والآيةُ مخصوصة/ قطعًا في الأنبياء، عامَّةٌ في سائر الطيِّبين من الخلق، فقد يكون الرجلُ عفيفًا ولكن امرأته غير عفيفة. [١٣٩/أ]

والذي أعتقدُه في ذلك أنه لا يكون إلَّا[٣] طَيِّبًا، فيعاقبه الله على ما اقترف من الخطايا في فراشه أو في[٤] ذريته، كما يصون فراشه وذريته بالصلاح، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا﴾ [الكهف:٨١]، فيقال: «إنهما حُفِظَا في حُرمة الجد السَّابع»[٥]، ولكن خَرَجَ الكلامُ مخرج الغالب من الأحوال.

وأمَّا إذا تأوَّلنا الأقوال والأعمال والأموال فإنها على العموم لا تخصيص فيها، والأَصْلُ في هذه الثلاثة وخُبْثِها[٦] وطِيبِها القَلْبُ.

وقال[٧] مولى لقمان للقمان: «جئني بأطيب بضعة في الجزرة، فجاءه بالقلب، وقال له يومًا آخر: جئني بأخبث بضعة في الجزرة، فجاءه بالقلب، فعَلِمَ حكمته».

---

(١) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ك): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي رضي الله عنه.

(٢) سلف تخريجه.

(٣) سقط من (ص) و(ب) و(ك).

(٤) لم ترد في (ص) و(ب) و(ك).

(٥) سلف تخريجه.

(٦) في (د): جنتها.

(٧) في (ص): وقيل: قال مولى لقمان، وفي (ب) و(ك): وقال: قال مولى لقمان.

وقال النبيُّ حكيمُ الخلق وسَيِّدُهم: «أَلَا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صَلَحَ الجسد، وإذا فسدت فَسَدَ الجسد؛ أَلَا وهي القلب»[١].

وقال النبي ﷺ: «وهل يكب الناس في النار[٢] على مناخيرهم إلَّا حصائد ألسنتهم»[٢].

ولهذا كان الخلاف واقعًا بين الناس في الصمت والكلام؛ أيهما أفضل؟ فمذهب الطائفة الأدبية والتاريخية أن الكلام لو كان من فضة لكان الصمت من ذهب، ولو كان الكلام من ذهب لكان الصمت دُرًّا وياقوتًا[٣].

قلت للطُّرْطُوشِي: ما تقول في هذا[٤]؟

قال: الكلام أفضل.

ولا شك في هذا للمحقق[٥]، والدليل عليه أن الكلام صفة الخالق، والصمت صفة المخلوق، وما كان صفة للخالق فهو أفضل ممَّا يتصف به المخلوق وحده.

قال الإمام الحافظ[٦]: وهذا إنَّما أخذه من الذي قدَّمنا عن أبي علي الدقَّاق الصوفي؛ أنه قال: «الغنى أفضل من الفقر؛ لأن الغنى صفة الحق، والفقر صفة الخلق»[٧].

---

(١) سلف تخريجه. (٢) قوله: «في النار» سقط من (د) و(ب).

(٢) سلف تخريجه.

(٣) ينظر: روضة العقلاء لابن حبان: (ص٤٤).

(٤) في (ص) و(ك): في هذا الكلام.

(٥) في (ص) و(ب) و(ك): المحقق.

(٦) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ب): قال الإمام رضي الله عنه، وفي (ك): قال الإمام الحافظ رضي الله عنه.

(٧) سلف تخريجه.

وإنَّما ذهب من تكلَّم عليه من الغَفَلَةِ الأُدَبَاءِ والمُؤَرِّخِينَ إلى ما رأى من كثرة(١) آفات الكلام، وأن السَّلامة في الصمت.

وفي الحقيقة: قد يكون الهلاكُ في الصمت؛ إذا سكت عن الإيمان وقَوْلِ الحق حيث يجب عليه، ولكن الكلام كثير الآفات لشَرَفِه، فلمَّا كثرت آفاتُه عَسُرَ على المُقَصِّرِينَ تجريدُه عنها؛ فصاروا/ يتهافتون عليها ولا يُخَلِّصُونَهُ(٢) منها، فهربُوا إلى السكوت، وإلَّا فلا(٣) يجهل مُحَصِّلٌ أن الكلام أفضل، ولأجل كثرة آفاته قال ابن مسعود: «ما رأيتُ شيئًا أحق بطُولِ سِجْنٍ من لسان»(٤). ٢ [١٣٩/ب]

ومن الحكمة: «إيَّاك أن يضرب لسانُك عنقَك»(٥).

وفي البخاري عن أبي هريرة: أن النبي قال: «إن الرجل ليتكلَّم بالكلمة ما يُلْقِي لها بالًا؛ يهوي بها في النار سبعين خريفًا»(٦).

شُرُوطُ التوبة:

ولا تصح التوبة للمرء إلَّا بأن يندم على ما فرَّط، ويعزم على ألَّا يفعل في المستقبل، ويؤدي الحقوق التي تعدَّى فيها إلى أربابها إن عَلِمَهُمْ، وإلَّا تصدَّق بها عنهم، وكل معصية - ما عدا شرب الخمر - مُتَعَلِّقٌ(٧) بها

---

(١) في (د): كر.

(٢) في (ص): يحصلونه.

(٣) سقط من (د).

(٤) روضة العقلاء لابن حبان: (ص٤٨).

(٥) الأمثال لأبي عُبَيد: (ص٤١).

(٦) سلف تخريجه.

(٧) في (ك) و(ص) و(ب): يتعلق.

حَقُّ الآدَمِيِّ، ولكن لا يحسن في بعضها أن يخرج عنه إلى أربابه، مثل أن يزني بقريبة أحد، فلله حَقٌّ في الزنى؛ وهو[1] تحريمُه له، وللعبد فيه حَقٌّ، وهو ما يلحقه من العار في عِرْضِه، فإذا ارتكب أَحَدٌ زِنًى ثم تاب إلى ربه فلا ينبغي أن يقول لرجل: «زنيتُ بقريبتك فاجعلني في حِلٍّ»، ولكن يفعل من الخير ما أمكن، عسى أن يقابل ذلك ويوازنه، وغير ذلك من الحقوق يخرج إلى ربِّها عنها مُصَرِّحًا بها، ويستغفره فيها، وحينئذ يكون من «المستغفرين».

* * * * *

(١) في (د): هي.

وهو الاسمُ السَّابع ومائة[١]: المستغفر[٢]

[وهو ما يطلبون][٣] من المغفرة[٤]؛ فإنه لا يكون طالبًا لها[٥] إلَّا إذا هيَّأ أهليتها، وطهَّر محلَّها، وأخرج ثمنها، وإلا فكيف يصحُّ له طلبها؟

وقد أنشدناكم مِرَارًا قول بعضهم:

أستغفر الله مِن أستغفر الله   من لفظة صدرت خالفتُ معناها
وكيف أرجو إجابات الدعاء وقد   سددتُ بالذنب عند الله مجراها[٦]

فإن قيل: فهل يصح من المُصِرِّ على الذنب المُسْتَمِرِّ العزيمة[٧] على فِعْلِه أن يطلب المغفرة؟

قلنا له: نعم، بل يلزمه ذلك ويتعرَّض له، ويسأله فيه، وبذلك يزول عنه معظم الإصرار؛ فإن العاصي إذا كان مُنْهَتِكًا[٨] بعصيانه مُنْهَمِكًا في

---

(١) في (ب): السَّابع والتسعون، وفي (ص): الثامن والتسعون، وفي (ك): السَّادس والمائة.
(٢) سقط من (ص) و(ك)، وفي (ب): المستغفر: وهو الاسم.
(٣) في الأصل غير واضح، وما أثبته اجتهدت في قراءته، والله أعلم.
(٤) قوله: «وهو ما يطلبون من المغفرة» سقط من (ص) و(ب) و(ك).
(٥) في (ص) و(ب) و(ك): المغفرة، وضرب عليها في (د)، والمثبت من طرته.
(٦) سبق تخريجه.
(٧) في (د): على العزيمة.
(٨) في (ك): متهتكًا.

خذلانه مُتَمَادِيًا على طغيانه مُسْتَمِرًّا على غُلَوَائِه كان من جملة المعرضين عن الله الذين[١] أعرض الله عنهم، ومن الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، ومن الذين ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون، وهو شخص يُخاف عليه سوء الخاتمة.

٢ [١٤٠/أ]

وإذا عصى واستغفر كان من اللوَّامين،/ ورُجِيَ له الخروج عن الفتنة بما هو عليه؛ الفينة بعد الفينة، فإذا كانت فينة[٢] في معصية وفينة[٣] في استغفار رُجِيَ له تأثير القلب بالانكفاف، ومن الحسن له أن يسأل في الدعاء غيره ممَّن يرجو عنده بركته؛ من ذي موَّدة أو ذي صلاح.

ومن الحديث الصحيح: «لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقًا يذنبون ويغفر لهم»[٤]، وهذا صحيح صحيح.

المعنى: فإنه غفَّار؛ فلا بد أن يكون هنالك ذنب يُغْفَرُ.

ومن الصحيح: أن النبي ﷺ قال: «إذا قال العبد: اللهم اغفر لي، قال الله: عَلِمَ عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب، قد غفرت له»[٥].

وفيه: أن النبي ﷺ[٦] قال: «ينزل ربنا كل ليلة إلى السَّماء[٧] الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخِر، - وفي رواية: حين يذهب ثلث الليل الأوَّل-

---

(١) في (د): الذي.

(٢) في (د): فيئة.

(٣) في (د): فيئة.

(٤) تقدَّم تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) في (ك): صلى الله عليه.

(٧) في (د): سماء.

فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟»[(١)].

وقد عَلَّمَ النبي سيِّد الاستغفار، فقال: «اللهم أنت ربي، لا إله إلَّا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوأ لك بنعمتك علي، وأبوأ بذنبي، فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»[(٢)].

وقد صحَّ وثبت أن النبي ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة وكبَّر يقول[(٣)] بعد التكبير: «وجَّهتُ وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين، ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٤-١٦٥]، اللهم أنت الملك، لا إله إلا أنت، سبحانك، أنت ربي، وأنا عبدك، ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعًا، إنه لا يغفر الذنوب إلَّا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلَّا أنت، واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلَّا أنت، لبَّيك وسعديك، وأنا بك وإليك، لا منجى منك ولا ملجأ إلَّا إليك، أستغفرك وأتوب إليك -ثم يقرأ-، فإذا ركع كان كلامه في ركوعه أن يقول: اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، وأنت ربي؛ خشع سمعي وبصري ومُخِّي وعظْمي لله رب العالمين، فإذا رفع رأسه من الركوع قال: سمع الله لمن حمده، ثم يتبعها: اللهم ربنا ولك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما شئت من شيء

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في (ك) و(ص): كبر فيقول.

[١٤٠/ب] بعد، وإذا/ سجد قال في سجوده: اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، أنت ربي؛ سجد وجهي للذي خلقه وصوَّره[١]، وشقَّ سمعه وبصره، فتبارك الله أحسن الخالقين، ويقول عند انصرافه من الصلاة: «اللهم اغفر لي ما قدَّمت وما أخَّرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهي، لا إله إلَّا أنت، من قالها من النهار مُوقِنًا بها فمات من يومه قبل أن يُمْسِي فهو من أهل الجنة، ومن قالها بالليل وهو مُوقِنٌ بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»[٢].

وكان النبي يقول في دعائه: «اللهم اغفر لي ذنبي كله، دِقَّه وجِلَّه، علانيته وسِرَّه»[٣]، «اللهم اغفر لي جِدِّي وهزْلي، وخطئي وعمْدي، وكل ذلك عندي»[٤].

وقال له أبو بكر الصديق: «يا رسول الله، عَلِّمْنِي دعاءً أدعو به في صلاتي، فقال: قل: سبحانك اللهم وبحمدك، رَبِّ إني ظلمت نفسي

---

(١) سقطت من (ص) و(ب) و(ك).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن علي بن أبي طالب ﵁: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بابُ الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم: (٧٧١-عبد الباقي)، وقوله: «من قالها من النهار مُوقِنًا بها فمات من يومه قبل أن يُمْسِي فهو من أهل الجنة، ومن قالها بالليل وهو مُوقِنٌ بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»؛ هو من حديث آخر، أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار، رقم: (٦٣٠٣-طوق).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﵁: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم: (٤٨٣-عبد الباقي).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري ﵁: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم: (٢٧١٩-عبد الباقي).

وعملتُ سوءًا، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم»[١].

[استغفارُ موسى عليه السَّلام]:

قال الإمام الحافظ[٢]: وهذا كله اقتداء بمن سَلَفَ من المصطفَيْن الأخيار، قد قال الكليم بعد رُقِيِّ المنزلة وعُلُوِّ المرتبة: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ﴾ [الأعراف:١٥١]، إشارة إلى وجوب الاستغفار في عموم الأحوال؛ لعِلْم الخلق بأن لله أن يعذب البريء في حُكْمِ سلطانه، وأن يأخذ بالذنب الواحد العبد في جميع زمانه[٣].

فأمَّا موسى فكان[٤] [استغفارُه] تجديدًا للمغفرة واستدامة لها.

وأمَّا لهارون فكانت لما توقَّع من التقصير عليه في خلافته له أيَّان مغيبه للكلام.

وقد كان سؤال المغفرة تقدَّم من موسى حين قال: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص:١٥]، هذا؛ وما كان ذلك الذنب إلَّا خطأً، فقال موسى: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ﴾ [القصص:١٦]، يعني[٥]: من التوبة، فلا أعود إلى مثل ذلك الفعل بعدها.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات، باب الدعاء في الصلاة، رقم: (٦٣٢٦-طوق).

(٢) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ب) و(ك): قال الإمام الحافظ رضي الله عنه.

(٣) يظر: لطائف الإشارات: (٥٧٣/١).

(٤) بعده في (د) علامة اللحق، ولا يظهر منه شيء.

(٥) سقطت من (ص) و(ك).

[استغفارُ داود عليه السَّلام]:

وكذلك داود؛ استغفر ربه من ذنبه، وما كان ذنبه إلَّا أمرًا جائزًا، لم يكن مكروهًا ولا حرامًا، كما أخبر الله عنه بقوله: ﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾ [ص:٢٢]، وليس على الرجل حرج في أن يقول لصاحبه: «طَلِّقْ لي زوجتك[١]»، بل هذا من تمام المودة، ومن حكم التبسط في المحبة[٢].

فإن قيل: فكيف[٣] قال: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾؟

٢ قلنا: المعنى: وعزَّني بمنزلته؛ فإنه رأى أنه نبي وكريم، وذو حق [١٤١/أ] مَرْعِي، وصاحب/ ووَلِي، فأمضى[٤] ذلك كله قضاء الحاجة.

[الأميرُ سَيْرُ بن أبي بكر]:

وقد أمليتُ عليكم أنه كان عندنا أَمِيرٌ أعجمي[٥]؛ فقلت له: اطلب لي من فلان حاجة، فقال: أَمَا علمت أن طلب السلطان للحاجة غصب، فقلت: إذا كان ظالمًا، فأمَّا إذا كان عدلًا مأمون الجانب فهي صلة، فعَجِبَ من هذا

---

(١) في (ك): زوجك.

(٢) ينظر: أحكام القرآن: (١٦٣٦/٤).

(٣) في (ص) و(ك): وكيف.

(٤) في (ك) و(ص): فاقتضى.

(٥) الأمير الأَجَلُّ، والمجاهد الكريم، سيْر بن أبي بكر، أبو محمد اللَّمتوني، قدَّمه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على بلاد الأندلس، وبه استنزل ملوكها واستذلَّهم، وكان دخوله إشبيلية فاتحًا عام ٤٨٤هـ، وكانت له محاسن جمة، مع العدل والقسط والنجدة، توفي عام ٥٠٧هـ، أخبارُه في: البيان المغرب لابن عذاري: (٤/٥٦-٥٧)، والوافي بالوفيات: (٧٧/٢٩).

الجواب وسبَّح وهلَّل، كما عجبتُ أنا من فِقْهِهِ ومعرفته بهذه الأغراض على عُجْمَته، وكان من سادة فرقته[١].

[الاستغفارُ بالأسحار]:

وأفضلُ أوقات[٢] الاستغفار[٣] السَّحَرُ، إلَّا على ما بيَّنَّاه من نزول الرب فيه، من الإمساك إلى الإجابة، فعبَّر عنه بنزوله إلى السماء الدنيا؛ خزانة الأرزاق، ومبدأ البركة.

[استغفارُ يعقوب عليه السَّلام]:

وقد قيل في قوله تعالى مُخْبِرًا عن يعقوب[٤]: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾[٥] [يوسف:٩٨]: إنَّه أخَّر لهم الاستغفار لأحد ثمانية أوجه:

الأوَّل: أنه[٦] لم يتفرَّغ للاستغفار لأجل الاستبشار[٧].

الثاني: لم يمكنهم[٨] للوهلة، لما سبق لهم من سوء الفَعْلَةِ[٩].

---

(١) ينظر: أحكام القرآن: (٤/١٦٣٣).

(٢) في (د) و(ص): الأوقات.

(٣) في (د) و(ص): للاستغفار.

(٤) في (ك) و(ب) و(ص): ليعقوب، وضرب عليها في (د).

(٥) لم ترد الآية في (ك) و(ب) و(ص)، وفي (د): سأستغفر.

(٦) سقط من (د).

(٧) لطائف الإشارات: (٢/٢٠٧).

(٨) في (د) -أيضًا-: يجبهم.

(٩) لطائف الإشارات: (٢/٢٠٧).

الثالث: أن الحق لم يكن له وحده، وإنما كان ليوسف معه، وكان غائبًا، فأراد أن يَحْضُرَ ليَطِيبَ المحضر والمخبر، ويوسف كان الحق له، فوهبه على الفور[١].

الرابع: لم يعلم يعقوبُ بمغفرة يوسف.

الخامس[٢]: أن يوسف فتى، والفتوة أقرب إلى الانفعال من المشيخة[٣].

السَّادس: أنه أراد نية خالصة.

السَّابع: أنه أراد وقتًا صالحًا فأخَّرهم إلى السَّحَرِ[٤].

الثامن: أنه لم يكن على طهارة، وإنما يكون الاستغفار والدعاء كاملًا إذا كان الداعي والمستغفر[٥] مُتَطَهِّرًا[٦].

[فوائدُ الاستغفار]:

فوائد الاستغفار كثيرة، أمهاتها عشرة[٧]:

غفرانُ الذنوب؛

---

(١) لطائف الإشارات: (٢/٢٠٨).
(٢) الكشف والبيان: (٥/٢٥٧).
(٣) في (د) -أيضًا-: الشيخ.
(٤) تفسير الطبري: (١٦/٢٦١-شاكر).
(٥) سقط من (ك).
(٦) في (ب): متطهرين، وفي (د): متطهر.
(٧) في (ك): عشر، ومرَّضها في (د)، وفي الطرة: ثمان، وصحَّحها، وما ورد منها في نسخته كما صحَّحه، فلعلَّ القاضي جعلها كذلك في نسخته الأخيرة، ومع ذلك أثبتناها عشرًا، والله أعلم.

ستر العيوب؛

إدرار الرزق؛

سلامة الخلق؛

العصمة في الاستقبال؛

تأتِّي الأمل؛

جريان البركة في الأموال؛

قرب المنزلة؛

إجابة الدعوة؛

بذل الجنة[١].

وفي كُلِّ واحدٍ آيةٌ وحديثٌ[٢].

[الاستغفارُ للغير]:

رُوي: أن عبد الله بن عمر قال له ابنُ عامر -أمير البصرة-: «ادع لي، فقال له[٣]: سمعتُ رسول الله يقول: لا صلاة إلا بطهور، ولا صدقة من غُلول»[٤].

---

(١) قوله: «إجابة الدعوة، بذل الجنة» لم يرد في (د).

(٢) في (ك): وفي كل واحدة آية أو حديث، وفي (ص): وفي كل واحدة آية وحديث.

(٣) سقط من (ك).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الطهارة، باب وجوب الطهارة للصلاة، رقم: (٢٢٤-عبد الباقي).

وقال أبو موسى الأشعري للنبي ﷺ: «استغفر لأخي[(١)] أبي عامر، وقد كان استشهد بأوطاس، فتوضأ النبي ﷺ، ورفع يديه فقال: اللهم اغفر لأبي عامر»[(٢)].

٢ [استغفارُ رسول الله]:

[١٤١/ب] وقد قدَّمنا أنه ﷺ[(٣)] قال: «إنه[(٤)] ليُغان على قلبي؛ فأتوب إلى الله/ في اليوم مائة مرة»[(٥)].

ورُوي عنه[(٦)]: «إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة[(٧)]»، وفي رواية: «سبعين مرة»[(٨)].

وكل ذلك بحسب ما كان يُرى من مواظبته، فتارة كانت أكثر؛ فيكون الاستغفار أقل، وربما كانت في بعض الأحايين[(٩)] أقل من[(١٠)] غيرها[(١١)] منها في أوقات، فيزيد في الاستغفار، وذلك تعليمٌ لنا، والله أعلم.

---

(١) هو عمه، وليس بأخ له.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب غزوة أوطاس، رقم: (٤٣٢٣-طوق).
(٣) في (ك): صلى الله عليه.
(٤) في (د): إني.
(٥) تقدَّم تخريجه.
(٦) سقطت من (ك).
(٧) سقط هذا الحديث من (ص).
(٨) سبق تخريجه.
(٩) في (ك) و(ب) و(ص): الأحاين.
(١٠) في (ك) و(ب) و(ص): في.
(١١) قوله: «من غيرها» مرَّضه في (د).

قال الإمام الحافظ[١]: وإذا سأل المغفرة فليقرن بها سؤال الرحمة، كما فعل الكليم في شأنه وشأن أخيه هارون، وكما علَّم النبي للصِّدِّيق؛ فإن المغفرة إسقاطُ الحق الواجب عليكم، والرحمة إفاضة الإحسان إليكم بجزيل الثواب وكريم المآب، ودخول الجنة، والنظر إلى وجهه الكريم.

وفي الحديث الصحيح: «إن الله خلق مائة رحمة، بثَّ منها في الخلق واحدة؛ فبها يتراحم الخلق، وبها ترفع البهيمة حافرها عن ولدها، فإذا كان في القيامة انتزعها منها وردَّها إلى التسعة والتسعين وبثَّها في الخلق»[٢].

وفي الصحيح: «إن رحمتي غلبت غضبي»[٣].

ومن الحديث الحسن: «أنَّ النبي نزل في بعض مغازيه فألفى أحدُ أصحابه وَكْرًا، فأخذ فراخه فلفَّها في كسائه، فأقبلت أمهن فاستدارت علي، فكشفتُ لها عنهن فوقعت عليهن، فجئتك بهن، فأمر النبيُّ بردها مع فراخها إلى مكانها، وقال: أترون رحمة هذه بأولادها؟ فالله أرحم من هذه بأولادها»[٤].

فإن قيل: وكيف رَدَّهَا النبيُّ ﷺ إليها وهو أَمْرٌ قد يسَّره الله لواجده؟

قلنا: أجاب الناس عن ذلك بجوابين:

أحدهما: أن الحيوان كان ممَّا لا يؤكل؛ كَذِي مِخْلَبٍ من الطير، وهذا الجواب على قول[٥] من يرى تحريمها.

---

(١) في (ك): قال الإمام الحافظ رضي الله عنه، وفي (ب): قال الإمام رحمه الله، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سقط من (ك) و(ب) و(ص).

الثاني: أن النبي ﷺ كان مع قوم قد غلبت عليهم الجفوة، واستولت على قلوبهم القسوة، فأراد النبيُّ ﷺ أن يُكْسِبَهم الرقة ويُعَوِّدَهم الرحمة.

وقد ثبت عن النبي من كل طريق من الصحيح، وعند كل فريق من الحسن وغيره: أن النبي ﷺ قال: «لله[1] أفرح بتوبة العبد حين يتوب من أحدكم كان بأرض فلاة على راحلته فانفلتت منه؛ وعليها طعامه وشرابه، فأَيِسَ منها، فأتى/ شجرة فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، - وفي رواية: فنام فاستيقظ[2]؛ فإذا هو[3] بها عند رأسه - فقال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»[4].

٢ [١٤٢/أ]

وقال ﷺ - في حديث طويل، حاكيًا عن ربه عز وجل[5]-: «يا عبادي؛ إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم»[6].

(١) في (ك): الله.

(٢) في (د): ثم استيقظ.

(٣) سقط من (د).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، رقم: (٢٧٤٧-عبد الباقي).

(٥) قوله: «حاكيًا عن ربه عز وجل» سقط من (ك) و(ب) و(ص).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم: (٢٥٧٧-عبد الباقي).

وقال النبي: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مُسِيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب[١] مسيء[٢] الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»[٣].

وقال صلى الله عليه[٤]: «إن العبد إذا اعترف ثم تابَ تاب الله عليه»[٥].

وقال ﷺ: «إنَّ عَبْدًا أذنب ذنبًا فقال: ربِّ أذنبت فاغفر[٦] لي، فقال ربه: علم[٧] عبدي أن له ربًّا يغفر الذنوب ويأخذ بها، غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله، ثم أذنب ذنبًا، فقال: رب أذنبت فاغفر[٨] لي، فقال: أعلم[٩] عبدي أن له ربًّا يغفر الذنوب ويأخذ بها؟ غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله، ثم أذنب ذنبًا، فقال: رب أذنبت آخَر فاغفره لي[١٠]، فقال: أعلم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنوب ويأخذ بها؟ غفرتُ لعبدي، فليعمل ما شاء»[١١].

---

(١) لم ترد في (ك).

(٢) في (ك): لمسيئ.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكرَّرت الذنوب والتوبة، رقم: (٢٧٥٩-عبد الباقي).

(٤) في (ك) و(ب) و(ص): ﷺ.

(٥) هو قطعة من حديث الإفك، وقد تقدَّم تخريجه.

(٦) في (ك) و(ب) و(ص): فاغفره.

(٧) في (ص): علم.

(٨) في (ك) و(ب) و(ص): فاغفره.

(٩) في (ك) و(د): أعلم.

(١٠) سقط من (ك) و(ب) و(ص).

(١١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، رقم: (٢٧٥٨-عبد الباقي).

قال الإمام الحافظ[١]: ويحتمل هذا أن يكون ذلك الذنب بعينه، ويحتمل أن يكون غيره، وهو عندي أظهر في الكلام المتقدم، وأقرب إلى المراد من المغفرة.

وعن جُنْدُبٍ: «قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، قال الله: من ذا الذي يتألَّى عليَّ ألَّا أغفر لفلان؟ فإني قد غفرت لفلان، وأحبطت عملك، أو كما قال»[٢].

ومن الحديث الحسن: قال النبي ﷺ: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضِيقٍ مخرجًا، ومن كل هَمٍّ فَرَجًا، ورَزَقَهُ من حيث لا يحتسب»[٣]، وهذا الحكم مُعَلَّقٌ في القرآن على التقوى، فربُّك أعلم بهذا الحديث.

وقال النبي صلوات الله عليه وسلامه[٤]: «ما أصر من استغفر، ولو عاد في اليوم سبعين مرة[٥]»[٦].

---

(١) في (ك) و(ب): قال الإمام الحافظ رضي الله عنه، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن جندب رضي الله عنه: كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى، رقم: (٢٦٢١-عبد الباقي).

(٣) أخرجه أبو داود في السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما: كتاب الصلاة، بابٌ في الاستغفار، رقم: (١٥١٨-شعيب)، وفيه: الحَكَمُ بن مصعب، مجهولٌ لا تعرف حاله، ينظر: بيان الوهم لابن القطَّان الفاسي: (٤/٦٥٠).

(٤) أوردتها من (ب).

(٥) لم يرد هذا الحديث في (ص).

(٦) أخرجه أبو داود في السنن عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، رقم: (١٥١٤-شعيب).

وقال النبي ﷺ: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب واستغفر صُقل قلبه، وإن زاد زادت؛ حتى تعلو قلبه، فذلك الرَّانُ الذي ذَكَرَ الله؛ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤]»(١).

وقد ثبت عن النبي أنه قال: «الجنةُ أقرب إلى أحدكم من/ شِراك [١٤٢/ب] نعله(٢)، والنارُ كذلك»(٣).

والجنة دارٌ مُطَهَّرَةٌ فلا يدخلها إلَّا «طاهر».

* * * * *

(١) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أبواب التفسير عن رسول الله ﷺ، بابٌ ومن سورة المطففين، رقم: (٣٣٣٤-بشار).

(٢) سقط من (ك).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه: كتاب الرقاق، باب الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك، رقم: (٦٤٨٨-طوق).

الطَّاهِرُ[١]: وهو الاسمُ الثامنُ والمائة[٢]

والطهارة في العربية هي: النظافة من كل مُسْتَنْجَسٍ[٣] مُسْتَخْبَثٍ مُتَكَرَّهٍ[٤]؛ كان محسوسًا أو معقولًا.

وطهارة المحسوس والمعقول الماء، إلَّا أن المحسوس يُطَهِّرُه الماء المنزل من السماء، وطهارة المعقول تكون بالماء الذي ينزل من العين، والماء يطفئ النار؛ فلا يَحُولُ بين ابنِ[٥] آدم وبين النار شيءٌ مثل البكاء، كما قال النبي: «عينان لن تمسهما النار أبدًا؛ عين سهرت في سبيل الله، وأخرى عين بكت من خشية الله»[٦].

وكما لا يُطَهِّرُ المستخبثَ المعقولَ إلا ماءُ الدموع، كذلك لا يُطَهِّرُ المستنجسَ المستخبثَ المحسوسَ إلا ماءُ السماء، وهذا أَمْرٌ غاب على[٧]

---

(١) سقط من (ك) و(د) و(ص).

(٢) في (ك): التاسع والمائة، وفي (ب): الثامن والتسعون، وفي(ص): التاسع والتسعون.

(٣) في (ك) و(ب) و(ص): متنجس، وضعَّفها في (د)، والمثبت من طرته.

(٤) في (ب): مستكره.

(٥) في (ك): بني.

(٦) تقدَّم تخريجه.

(٧) في (ك) و(ب): عن.

أهل العراق ومن قال بقولهم؛ حين قالوا: «إن المائعات غير الماء تُطَهِّرُ»[١]، وهيهات لهم هيهات.

وإذا كان الخُبث الذي[٢] في المحل[٣] المحسوس لا يُطَهِّرُهُ الماء طهَّره التبديل، كذلك المستخبث المعقول يُطَهِّرُه التبديل، وذلك بالنار؛ حتى إذا صارت حُمَمًا وزال ما كان به من الصفات التي سَدَكَ به[٤] الخبث طُهِّرَ بماء الحياة[٥]، واستُنبت نبتة[٦] أخرى مطهَّرة[٧]، كما بيَّنَّاه في حديث الشفاعة[٨] في صدر الكتاب[٩].

فطَهِّرْ نفسك بماء التوبة، قبل أن تفوتك الإنابة والأوبة؛ فـ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

قال أهل الزهد: «التوابين من الذنوب، المتطهرين من العيوب؛ من مخالطة شبهة، أو ملابسة غفلة»[١٠].

---

(١) الإشراف للقاضي عبد الوهاب: (١٠٨/١).

(٢) سقط من (ك) و(ب) و(ص).

(٣) في (د): الخل.

(٤) في (ص): بها.

(٥) في (د): طهرتها الحياة.

(٦) في (ك): بنية.

(٧) في (د) -أيضًا-: وأنشئت فيه صفة أخرى مطهرة.

(٨) سبق تخريجه في السفر الأوَّل.

(٩) في السفر الأول، المقام الثالث.

(١٠) لطائف الإشارات: (١٧٨/١).

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [البقرة:٢٣٠]، وهذه هي الطهارة المعقولة؛ فإنه ليس هنالك نجاسة، وإنما يحصل المرءُ في دَنَسٍ في الدين، وربَّما آلَ إلى دَنَسٍ معقول -أيضًا- في الدنيا؛ من التعريض للفاحشة، فيكون عِرْضُ المرء وَسِخًا غير طاهر ولا نقي، وقد بيَّنَّا ذلك في تأويل قوله: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[1] قبل هذا.

وقال تعالى: ﴿وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [آل عمران:١٥]، وأولئك هم المطهرات، وتلك هي الطهارة المحسوسة حقيقة، كما بيَّنَّاه في صفة الجنة، كما أنه ليس هنالك طهارة معقولة[2] حقيقة[3] إلَّا قوله: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[4]، على ما يأتي بيانُه إن شاء الله[5].

[طهارةُ مريم عليها السَّلام]:

وقد[6] قال لمريم[7]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ﴾ [آل عمران:٤٢].

قال النبي: «مريم سيدة نساء عالمها، وخديجة سيدة نساء عالمها[8]»[9].

---

(١) [المدثر:٤].

(٢) في (د): مقبولة.

(٣) قوله: «كما بيناه في صفة الجنة .. معقولة حقيقة» سقط من (ب).

(٤) [المدثر:٤].

(٥) قوله: «وقال تعالى: ﴿وأزواج مطهرة﴾ .. إن شاء الله» تقدَّم في (ك) و(ب) على ما أثبتنا.

(٦) سقط من (ك) و(ص).

(٧) في (ب): يا مريم.

(٨) قوله: «وخديجة سيدة نساء عالمها» سقط من (ص).

(٩) أخرجه بنحوه البخاري في صحيحه عن علي ﷺ: كتاب فضائل الصحابة، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها ﷺ، رقم: (٣٨١٥-طوق)، ولفظه فيه: «خير نسائها مريم، وخير نسائها خديجة».

[١٤٣/أ] وكان اصطفى[1] مريم بإفرادها/ عن أشكالها، واصطفاها من المعصية، واصطفاها من الخُلطة، واصطفاها بأن نَفَخَ فيها من روحه، وطهَّرها من المعاصي والفحشاء، وطهَّرها من دماء النساء؛ فخرج عيسى فَصِيلًا غَسِيلًا، دَهِينًا نَظِيفًا، ولم يكن منها ما يكون من النساء، فلم تُشْبِهْكِ امرأة، ولا تشبهك[2] إلى يوم القيامة، وهذا هو الاصطفاء للخلق[3]، وكان لثلاثة؛ لمُحَمَّدٍ، وإبراهيم[4]، ومريم، وقد بيَّنَّاه في كتاب «الأنوار».

[خصائصُ عيسى عليه السَّلام]:

وقال الله تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران:٥٤].

فخصَّه بأربعة:

الأولى: قَوْلُه: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾، واختلف الناسُ فيه؛

فمنهم من قال: «وفاة الموت»[5]؛ وأسندوه إلى ابن عباس، ولم يصح.

ومنهم من قال: «وفاة القبض»[6].

---

(١) في (ك) و(ب): اصطفاء.

(٢) في (د): أشبهتها.

(٣) في (ك) و(ب) و(ص): المحقق.

(٤) في (ك) و(ب) و(ص): سليمان، ومرَّضه في (د)، والمثبت من طرته.

(٥) تفسير الطبري: (٦/٤٥٧-شاكر).

(٦) تفسير الطبري: (٦/٤٥٥-شاكر).

والصحيح أنها وفاة قبض لا وفاة موت، حتى لقد رُوِي: «أنه توفي ثلاث ساعات من النهار فرفعه[١] الله فيها»[٢]، وهذا تحكم بغير أثر، أوقعهم فيه لفظ ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾، والدليلُ على صحة ما قلناه قَوْلُ النبي ﷺ في الصحيح: «لينزلنَّ فيكم ابنُ مريم حَكَمًا مُقْسِطًا، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويَفيض المال فلا يقبله أحد، وليُهِلَّنَّ على الروحاء حاجًّا أو مُعْتَمِرًا، أو ليُثَنِّيَنَّها[٣]، الأنبياء أولاد عَلَّاتٍ، أمهاتهم شتَّى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم، لم يكن بيني وبينه نبي»[٤].

ومن الحسن: «وهو خليفتي على أمتي، وإذا رأيتموه فاعرفوه؛ رجل مَربوع إلى الحمرة، سبط الشعر، يقطر ماء وإن لم يصبه بَلَلٌ، بين مُمَصَّرتين، يقاتل الناس على الإسلام حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها، ويُهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الدجال الكذاب، وتقع في الأرض الأَمَنَةُ؛ حتى يرتع الأُسْدُ مع الإبل، والنمور مع البقر، والغنم مع الذئاب، ويلعب الغلمان بالحيَّات، تُذْهَبُ[٥] حمتها[٦]، لا يضر بعضهم بعضًا، فيلبث في الأرض أربعين سنة، ثم يُتَوَفَّى، ويصلي المسلمون عليه ويدفنوه»[٧].

---

(١) في (ك) و(ص): ورفعه، وفي (ب): رفعه.

(٢) تفسير الطبري: (٦/٤٥٧-شاكر)، عن وهب بن منبه.

(٣) في (ك): ليثينها، وفي (ص): ليثينهما.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره عن أبي هريرة رضي الله عنه: (٦/٤٥٨-شاكر)، وأصله في الصحيح، أخرجه مسلم في مواضع من صحيحه: كتاب الإيمان، رقم: (١٥٥-عبد الباقي)، وكتاب الحج، رقم: (١٢٥٢-عبد الباقي).

(٥) في (ك) و(ص): وتذهب.

(٦) في (ب): حمته.

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره عن أبي هريرة رضي الله عنه: (٦/٤٥٩-شاكر).

قال الطبري: «وهذا نصٌّ في أنه حيٌّ من وجوه؛ منها: قوله: «لينزلنَّ»، ولو كان مَيِّتًا لقال: «وليُحْيِيَنَّ الله عيسى»، ولكن الله لَمَّا أخبر عنه أنه قبضه من الأرض أخبر عنه النبي أنه سيرجع إلى الموضع الذي رُفِعَ منه»[1].

٢ [١٤٣/ب]

الثاني: قوله: ﴿وَرَافِعُكَ﴾، وهذا تشريف له؛ لأنه كان يجوز أن يتوفَّاه منهم ولا/ يرفعه إليه، فشرَّفه بأن رفعه إليه مقبوضًا عنهم.

الثالث: قوله: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي: مُذْهِبٌ عنك ما هَمُّوا به فيك من المكروه، كما قال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء:١٥٦]، أي: ما قتلوه حقيقة، ولكن شُبِّهَ لهم فتنة.

وقال أهل الزهد: «أمَّا تَوَفِّيه عنهم فإنه قَبَضَهُ عن صفات البشرية، وجعل فيه خصائص القدرة؛ من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، والتحديث عن الغيب»[2].

﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾، يعني: إلى مكان كرامتي لأوليائي، ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾، أي: من حال الكفار في جميع الصفات والأغيار، حتى لا يكون في أحد نَقْصٌ إلَّا جعلتُ له كمالًا أعظم من كل كمال، وهو[3]:

الرابع: قَوْلُه: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

---

(١) تفسير الطبري: (٤٥٨/٦ -شاكر).

(٢) لطائف الإشارات: (٢٤٥/١-٢٤٦).

(٣) بعده في (ك) و(ص): الثالث، وضرب عليه في (د)، وقوله: «وهو» لم يرد في (ب).

واختلف الناس في المراد «بالذين اتبعوه» على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم المؤمنون[١].

والثاني: الروم[٢].

الثالث: جاعلُ النصارى الذين آمنوا به فوق اليهود الذين كفروا به إلى يوم القيامة[٣].

فإن كان المراد به النصارى واليهود فالخَبَرُ على عمومه، ومُطْلَقُهُ صحيح صِدْقٌ؛ فإنَّ الحال كذلك، ما اجتمعت قط يهود ونصارى في بلد إلَّا والنصارى فوقهم فيه.

وكذلك إن كان المراد به الروم؛ فإنهم طائفة عيسى وأمته، كما قدَّمنا.

وإن كان المراد به مَن آمن به فيكون معناه: أنهم فوق الذين كفروا بالبرهان، كما قال تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٤٠]، المعنى: في البرهان، فإن ظهرت الكَفَرَةُ على المؤمنين في اليد فلم يظهروا عليهم في الحق؛ لأن الدليل لا ينقلب، والحق لا يُغلب، أَمَا إنه يُنْكَرُ ويُكْفَرُ.

فطهارتُه منهم - كما بيَّنَّا - بثلاثة أوجه؛ ببدايته العالية، وصفاته الهادية، وعصمته الكافية.

---

(١) تفسير الطبري: (٦/٤٦٢-شاكر).

(٢) تفسير الطبري: (٦/٤٦٣-شاكر).

(٣) تفسير الطبري: (٦/٤٦٣-شاكر).

وكذلك طَهَّرَ مُحَمَّدًا ﷺ.

فإن قيل: فإن كان هذا تطهيرًا[١] لعيسى؛ فكيف لم يُطَهَّرْ يحيى بن زكرياء حتَّى[٢] تمكَّن منه الأعداءُ وتحكَّموا فيه بأشد أنواع العذاب؟

قلنا: إن الله سبحانه يعصم من شاء من الخلق من الذنوب والبلاء جميعًا، فمنهم من يجمع له العِصْمَتَيْنِ، ومنهم من يعصمه من البلاء خاصَّة، ومنهم من يعصمه من الذنوب خاصَّة.

فأمَّا الأنبياء فهم معصومون من الذنوب، على ما بيَّنَّاه في مواضع من[٣] هذا الكتاب.

وأمَّا العصمة من البلاء فإن البلاء على قسمين:

منها[٤]: ما يكون من الله ابتداءً، كالأوصاب، والآفات البدنية والمالية.

ومنها: ما يكون على يَدَيِ الأعداء يُسَلِّطُهم[٥].

ولو شاء ربك[٦] لَعَصَمَهُمْ، ولكنه فعَّال لما يريد، حكيم فيما يُدَبِّرُ[٧]، عَدْلٌ فيما يُنفِذ، مُتَفَضِّلٌ بما يَعْصِمُ.

---

(١) في (د): تطهير.
(٢) في (ك): حين.
(٣) سقط من (د).
(٤) في (ك): منه.
(٥) في (ك): بتسلطهم.
(٦) لم يرد في (ك).
(٧) في (د) و(ب): يريد.

وكم من نَبِيٍّ قُتِل، وكثير منهم نُصِر وظَفِر، فإذا عُصِم وظَفِر ففَضْلٌ آتاهُ الله، كعيسى وإبراهيم ونُظرائهما[١].

وإذا سلَّط الأعداءَ ومكَّن فحُكْمٌ أمضاه؛ كيحيى وأمثاله، وعليهم وعلينا التسليم والرضى[٢] بما ينفُذ في ذلك كله[٣] من القضاء[٤].

[تطهيرُ عامر بن فُهَيرة]:

٢ [١٤٤/أ]

وقد طهَّر الله من هذه الأمة ورَفَعَهُ إليه عامر بن فُهَيْرَةَ،/ كان في غزوة بئر معونة؛ غزوة القُرَّاء، فغدرت بهم عُصَيَّةُ وقوم معها، وقتلوهم، وطَعَنَ جبَّار بن سُلم[٥] عامر بن فُهَيرة، فقال: «فُزْتُ ورَبِّ الكعبة، قال قاتله جبَّار بن سلم[٦]: فقلتُ في نفسي: ما قوله: فزت ورب الكعبة؟ فلقيت الضحَّاك بن سفيان الكلابي فسألته، فقال: هي الجنة، وعرض عليَّ الإسلام فأسلمت، ودعاني إلى الإسلام ما رأيتُ من مقتل عامر بن فُهَيرة»[٧].

---

(١) في (ك): نظائرها.

(٢) سقط من (ك).

(٣) قوله: «في ذلك كله» سقط من (ك).

(٤) قوله: «قلنا: إن الله سبحانه يعصم .. بما في ذلك كله من القضاء» بيَّض له في (ك)، وسقط من (ص)، وأكمله في (ك) مالكُها من نسخة عتيقة جدًّا، وكذلك في (د)، بيَّض له، وتتمته بخط مخالف لخط الأصل.

(٥) في الاستيعاب لابن عبد البر (١/١١٨): سُلْمَى.

(٦) قوله: «قال قاتله جبار بن سلم» سقط من (د).

(٧) أخرجه ابن سعد في الطبقات: (٣/٢١٢)، وذكره ابن هشام في سيرته: (٣/١٤٠)، وقصة مقتله في الصحيح، أخرجها البخاري: كتاب المغازي، رقم: (٤٠٩٣-طوق).

ورَفَعَه إلى السماء عُلُوًّا، فقال النبي: «إن الملائكة وارت جثته، وأُنْزِلَ عِلِّيِّين[١]»[٢].

قال الإمام الحافظ[٣]: فهو فيها شهيد حَيٌّ يُرْزَقُ.

وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة:٧]، وقد تقدَّم بيانُ كيفية هذا التطهير في اسم «المصلي».

وقال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الأنفال:١١].

قال علماؤنا: «كانوا على جنابة وفي مَوْضِعِ لا ماء به، وبمكان دَهْسٍ مُنهال لا تثبت فيه قدم، فأنزل الله عليهم الماء؛ فاغتسلوا من جنابتهم، وثبتت على الرمل المنهال أقدامهم، وغسل الله عن قلوبهم وساوس الشيطان، وتلك كانت الطهارة الكبرى»[٤].

وكذلك نصَّ الله على الطهارة في المعقول في قوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود:٧٧]، وهذه طهارة المعقول ضرورة؛ فإنه أراد: هُنَّ أَحَلُّ لكم وأعدم للمكروه ممَّا نويتم[٥]، وكذلك قال في صفة قوم لوط: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف:٨١]، أراد الطهارة المعقولة؛ باجتناب الفواحش والمعاصي والدناآت، ولم يُرِدْ طهارةَ المحسوسات.

---

(١) في (د): عيسى.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات: (٣/٢١٢).

(٣) في (ك): قال الإمام الحافظ ﷺ، وفي (ب): قال الإمام ﷺ، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي ﷺ.

(٤) ينظر: لطائف الإشارات: (١/٦٠٦).

(٥) في (ك): بدئتم.

[قولُه تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾]

[٢/١٤٤/ب]

ومن «فوائد أبي سَعْدٍ الشهيد»/ وغيره: أنَّ الله تعالى قال: «﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف:١٨]، فهذا كَلْبٌ خَطَا مع الأولياء خطوات؛ ذَكَرَهُ الحق وذَكَرَهُ الخلق إلى يوم القيامة، مع نجاسته في أصله، فقد طهَّرته الصحبة، ورفعت من ذِكْرِه تلك القُربة»[١].

ومن أَجَلِّ ما أعطانا أنه قال في هؤلاء الأولياء: ﴿رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف:٢٢]، تشريفًا له[٢]، وقال لنا: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:٤]، تشريفًا لنا[٣].

وانظر إلى عَقْلِ الكلب كيف لَزِمَ مرتبته فجلس بالوصيد، فكذلك التابع ينبغي أن يلزم[٤] منزلته مع المتبوع ولا يساويه، وسَنُبَيِّنُ «التابع» بعد هذا إن شاء الله.

[قولُه تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾]

وقد قال الله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [الحج:٢٤].

---

(١) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٣٨٤).

(٢) قوله: «قال في هؤلاء الأولياء: ورابعهم كلبهم، تشريفًا له» مُزَالٌ ومكشوط في (ص)، وفي الطرة: «أصلح الله المتنطعين والجهلة؛ فإنه كان هنا شيء لطيف لم يسعه فهم هذا الجاهل فكَشَطَهُ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صُنْعًا، أتراه كان أعلم من ابن العربي أو أنفس طباعًا منه؛ وهو مالكي ومغربي ؟!».

(٣) لطائف الإشارات: (٢/٣٨٥).

(٤) في (د): يكون.

قالوا: «طَهِّرْهُ من الشِّرْكِ»[١].

وقيل: «من الأنجاس التي تُجعَل حوله»[٢].

وقيل: «من قَوْلِ الزُّورِ».

وقالت طائفة: «طَهِّرْ قلبك من الكفر والمعصية والغفلة؛ فإنه بَيْتِي»[٣].

وفي الإسرائيليات: أن الله قال لنبي: «فَرِّغْ لي بيتًا أسكنه، فقال له: وأيُّ بَيْتٍ يسعك؟ قال له: قلب عبدي المؤمن»[٤].

وهذا إن أرادوا به أنه المراد بالآية فهو كَذِبٌ على الله، وإن أرادوا به أن الآية تَدُلُّ عليه من حيث المعنى فليس ذلك بممنوع، وقد بيَّنَّا وجهَ ذلك كله في «قانون التأويل»[٥]، وفي كتاب «العواصم من القواصم»[٦].

وأَحْوَجُ ما هو العبد إلى تطهير قلبه، فإنه الأصل، كما بيَّنَّاه، وكلُّ ما سواه فرع[٧]، ونَهْرٌ، وما وراءه خُلْجَان، وعَيْنٌ، وما يكونُ عنه فسَوَاقِي[٨]،

---

(١) تفسير الطبري: (١٦/٥١٢-التركي).

(٢) الهداية: (٧/٤٨٧٣).

(٣) لطائف الإشارات: (٢/٥٣٨).

(٤) لطائف الإشارات: (٢/٥٣٨).

(٥) القانون: (ص٢٢٤-٢٢٦).

(٦) العواصم: (ص١٩٣-١٩٤).

(٧) في (ص): فروع.

(٨) في (ك) و(ب): فساقي.

وهو مَحَلٌّ لتوحيد الله، وبه يُعبَد الله، وفيه كتاب الله محفوظ، وبالألسنة[١] مقروء[٢]، وفي المحارب مَتْلُوٌّ.

[جوابٌ مُسْكِتٌ لمن يقول بشُرْبِ النبيذ]:

وقد قيل لبعض أشياخي: ما تقول في شُرْبِ النبيذ؟

قال للسَّائل: صُبَّه على المصحف.

قال: لا.

قال له: ففي قلبك من كلام الله محفوظًا ما في مصحفك مكتوبًا.

فطارت له في الآفاق حُسْنًا.

[قَوْلُه تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُوراً﴾]

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُوراً لِّنُحْيِيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتاً وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً﴾ [الفرقان:٤٨-٤٩].

اعلموا - رحمكم[٣] الله بعِلْمِه - أن هذه الآية من المشكلات؛ لأن المعنى الذي يُحيَى به[٤] البلد الميت وتُسقى[٥] به الأنعام لا يكون به الطهور، فلأجل ذلك ضَلَّ به قَوْمٌ فقالوا: / «إنَّ ماء الطهارة ليس ما[٦] أحيى ٢ [١٤٥/أ]

(١) في (ك) و(ص): في الألسنة، وضرب على «في» في (د).

(٢) في (د): مقصد.

(٣) في (ك): وفَّقكم الله، وفي (ص): وفقكم الله تعالى لعلمه.

(٤) في (ك): به يحيى.

(٥) في (ك): يسقى.

(٦) في (ب): ماء، وفي (د): من.

البلاد وسقى الناس»، وقد بيَّنَّا الردَّ عليهم في «القانون» مُجْمَلًا، وفي «الأنوار» مُفَسَّرًا.

والمعنى في الآية: أن المقصود في إزالة الطهارة من الأنجاس والأدناس لإقامة العبادات، وإحياء الموات[١]، ورِيِّ الغليل، ففيه الدِّينُ؛ وهو المقدَّم، والدنيا؛ وهي التالية التابعة[٢].

[طهارةُ من أقيم عليه الحَدُّ]:

ومن الطهارة: ما ثبت أن الزاني تكرَّر على النبي ﷺ يقول له: «طَهِّرْنِي»[٣]، فرأى الصحابةُ أن الطهارة المعقولة في الدين والعِرْضِ كالمحسوسة في البدن والثوب.

وكما أن الحدود طهارة كذلك هي كفَّارة، قال النبي ﷺ: «من أصاب من هذه القاذورات شيئًا فعُوقِبَ به فهو كفَّارة له، ومن ستره الله فأمرُه إلى الله؛ إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه»[٤].

وكلُّ مكروه يخالف الملائمَ دِينًا أو دنيًا فإنه تطهير، ولذلك يقول المُعَبِّرُ لمن رأى أنه يغتسل: «إنَّه إنْ كان مهمومًا زال هَمُّه، أو مِدْيَانًا زال دَيْنُه، أو مريضًا زال مرضه».

---

(١) في (ك) و(د) و(ب): النبات.

(٢) بعده في (ك) و(ص): فإن قيل، وضرب عليها في (د).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: كتاب الحدود، باب الحدود كفَّارات لأهلها، رقم: (١٧٠٩-عبد الباقي).

فالطهارة[١] حِسًّا وعقلًا، يقظةً ومنامًا، دنْيا[٢] وآخرة؛ إنَّما هي عبارة عن زوال المكروهات فيها كلها.

والجنةُ دارٌ طَيِّبَةٌ لا يدخلها إلَّا «طَيِّبٌ» نَقِيٌّ مُهَذَّبٌ.

* * * * *

---

(١) بعده في (ك) و(ص) و(ب): عبارة، وضرب عليها في (د).

(٢) في (د): دينًا.

الطَّيِّبُ[١]: وهو الاسم التاسع والمائة[٢]

في الحديث الصحيح - كما تقدَّم - في صفة القيامة: «يُحْبَسُونَ[٣]، حتى إذا نُقُّوا وهُذِّبُوا أُدْخِلُوا[٤] الجنة»[٥].

والشيءُ الطَّيِّبُ هو الخالص عمَّا يُكره؛ إمَّا من طريق اللذة والعادة، وإمَّا من طريق الشريعة.

فالعبد الطَّيِّبُ هو الذي تَجَرَّدَ[٦] قلبُه عن الخبائث[٧]، وقولُه عن الآفات، وجوارحُه عن المعاصي.

وبقَدْرِ خُلُوصِه يكون طيبه، وبقدر مزجه يكون خُبْثُه؛ فأمَّا إن تَخَلَّصَ[٨] لأحد الطرفين[٩] فيكون طَيِّبًا أو خبيثًا، وإمَّا يمتزج فيغلب في

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): الثامن والمائة، وفي (ص): الموفي مائة، وفي (ب): التاسع والتسعون.

(٣) في (ك) و(ص): فيحبسون.

(٤) في (ك) و(ص): دخلوا.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) في (ك) و(ص): يُجَرِّدُ.

(٧) قوله: «إما من طريق اللذة .. عن الخبائث» سقط من (ص).

(٨) في (ك): يخلص.

(٩) قوله: «وبقدر خلوصه .. لأحد الطرفين» سقط من (ص).

الأكثر الطيبُ، أو يغلب الخبيث، فذلكم الذي يُحْبَسُ على قنطرة بين الجنة والنار ويُهَذَّبُ، كما تقدَّم في الحديث[١].

[قولُه تعالى: ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾]

[١٤٥/ب] فإذا[٢] كان طَيِّبًا/ في أصله قُبِضت رُوحُه على الطَّيِّبِ، كما قال تعالى: ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ [النحل:٣٢]، واختُلِفَ في تأويلها على ستة[٣] أقوال[٤]:

الأوَّل: طابت بالتوحيد[٥].

الثاني: طابت من دماء أهل القبلة.

الثالث: طيبة الأفواه من آفات اللسان.

الرابع: طيبة[٦] الأبدان من المعاصي.

الخامس: طيبة بالشهادة.

السَّادس: طيبة بقولها[٧].

---

(١) قوله: «في الحديث» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٢) في (ب): فإن.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): سبعة.

(٤) لم أجدها في كتب التفسير التي بين يدي، وهي الكتب التي يرجع إليها الإمام ابن العربي؛ وهي: تفسير الطبري، والهداية لمكي، والنكت والعيون للماوردي، والكشف والبيان للثعلبي، ولطائف الإشارات للقشيري، والله أعلم.

(٥) ينظر: الجامع: (١٢/٣١٩-التركي).

(٦) في (د): طيبات.

(٧) في (ك) و(ص): بعدلها.

وقال[١] أهل الزهد: «أسباب طِيبهم مختلفة؛

فمنهم[٢] من طاب وقته لأنه غُفِر ذنبُه وسُتِر عيبُه.

ومنهم من طاب قلبه لأنه سَلَّمَ عليه محبوبه[٣].

ومنهم من طاب وقته لأنه لم يَفُتْهُ مطلوبه[٤]، ولا تعذَّر عليه مرغوبه[٥].

ومنهم من طاب وقته لأنه يعود إلى أقاربه، ويصل إلى مآربه.

ومنهم من يطيب وقته لأنه أَمِنَ زوال حاله، وحَظِيَ بسلامة مآلِه.

ومنهم من طاب وقته لأنه وصل إلى أفضاله.

ومنهم من طاب وقته لأنه شاهَد شريف جماله؛ وكُشِف[٦] له عن جلاله.

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾[٧]، وسلَّم الله لهم مذهبهم»[٨].

قال الإمام الحافظ[٩] رضي الله عنه: هذا مرتبطٌ بالعَقْدِ الأوَّل الذي قدَّمنا؛ من عموم الطيب وخصوصه، وصفاء الحال وكدرها، وخُلوص العلم أو شَوْبِهِ

---

(١) قبله في (ك) و(ص) و(ب): السَّابع: قال أهل الزهد.

(٢) في (ك): منهم.

(٣) قوله: «فمنهم من طاب وقته لأنه غُفِر ذنبه وسُتِر عيبه، ومنهم من طاب قلبه لأنه سلم عليه محبوبه» سقط من (ص).

(٤) قوله: «ومنهم من طاب وقته لأنه لم يفته مطلوبه» سقط من (ب).

(٥) قوله: «ولا تعذَّر عليه مرغوبه» سقط من (ك) و(ب) و(ص).

(٦) في (ك) و(ص): بأن كشف.

(٧) [البقرة:٥٩].

(٨) لطائف الإشارات: (٢/٢٩٥).

(٩) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.

بالجهالة، وسلامة الطاعات أو غشها[١] بالمعصية، والذي أعتقده في ذلك: أنَّ من غلبت حسناته على سيئاته تقبضه الملائكة على أنها نفس مطمئنة طيِّبة، مُسَلَّمٌ عليها، مُبَشَّرَةٌ بحالها، ومن غلبت سيأتُه حسناتِه -وهو في المشيئة- فلا يكون له في ذلك مدخل، وإنما أمره مُغَيَّبٌ عنَّا، فإذا طاب بالتوحيد خلص عن التخليد، وإذا طاب على الإطلاق فقد أخذ على الفوز الميثاق، وإذا اختلط[٢] حالُه فقد جُهِل مآلُه، فلا معنى لطلب ذلك فيه، ومن غُفِر ذنبه وسُتِر عيبه طاب بفضل الله حالُه[٣] لا بعمله.

وأمَّا من قال له[٤] محبوبه أو رسوله[٥]: «سلامٌ عليكم»؛ فقد طاب قلبه، وذلك قوله: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٣٢].

فإن كان شهيداً فالأمر على الفور، ورُوحُه تخرج من البدن إلى الجنة بغير واسطة، وإن لم يكن شهيداً فالأمر على التراخي، ولكنها بُشْرَى يُطَمْئِنُ[٦] بها أهلُ[٧] السَّلامة النفسَ المطمئنة بالطاعة.

وأمَّا من لم يَفُتْه مطلوبه؛ فهو الذي وحَّد الله بالمعرفة، ولم يُضرَب بينه وبينه حجاب، ودون الله حُجُبٌ، وما[٨] رُفِعَتِ الحُجُبُ ولا حصلت

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): عيبها، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.
(٢) في (ك): اختلطت.
(٣) في (ك) و(ص) و(ب): خالصًا، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.
(٤) سقط من (ص).
(٥) بعده في (ك) و(ص) و(ب): يقول لك، وضرب عليها في (د).
(٦) في (ك) و(ص): تطمئن.
(٧) في (ك) و(ص): على.
(٨) في (ك) و(ص): ولا.

٢

المعرفة إلَّا لمن يقول: إنه واحد في ذاته، واحد في صفاته،/ واحد في [١٤٦/أ] مخلوقاته، لا يخفى عليه شيء، ولا يَشِذُّ عن قدرته شيء[١]، ولا يفعل أَحَدٌ شيئًا غيره، وأنه فعَّال لما يشاء، إن عَذَّبَ الخلق أجمعين فبِعَدْلِه، وإن رحمهم أجمعين فبِفَضْلِه، وإن نوَّعهم فبِحِكْمَتِه وحُكْمِه، وأنَّ رسوله بلَّغ وبيَّن وعلَّم، وما كَنَى ولا أبهم ولا أعجم، وأن رسله الكرام مطهرون طيِّبون، إلى غير ذلك من شروط التوحيد الذي[٢] هذه أصولها.

وأمَّا من طاب وقته بالعَوْدِ إلى أقاربه والوصول إلى مآربه؛ فهو الذي تخلَّى[٣] عن الخلق، فلا يرى إلَّا من هو مثله، وقَطَعَ الدنيا وعلائقها؛ فلم تبق له مَأْرُبَةٌ إلَّا بلغها، ولا مأربة أعظم من ترك الدنيا؛ فإن الحاجة الصحيحة تَرْكُ الحاجة، والغنى تَرْكُ الغنى[٤]، والمُنَى قَطْعُ المُنى.

وأمَّا الذي أَمِنَ زوالَ حاله ووَثِقَ بمآله؛ فما أعلم منهم[٥] إلَّا نحو العشرين، منهم: العشرة، وابن عمر، وابن سلَّام، وأبو ذرٍّ، وبلال، وقد عددناهم في موضعهم من «شرح الحديث» بأدلة ذلك، فليُخْرَجْ[٦] منه على القانون.

---

(١) سقط من (ك).

(٢) في (ك) و(ص): التي.

(٣) في (ك): تحلى.

(٤) في (د): العنا.

(٥) في (د): منه.

(٦) في (ك): فلتخرج.

قال الإمام الحافظ[١]: وكما يتوفَّى[٢] هؤلاء الملائكة طيِّبين فكذلك[٣] يتوفَّى الجاحدين ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام:٩٤]، وما بين الدرجتين -كما بيَّنَّا- مجهول، ليس فيه حديث صحيح، ولا للعقل فيه مجال، وقد أراد بعضُ أشياخنا أن ينزله منازل، ويجعل له مراتب، ونَصَبَ فلم يُصِبْ.

[الطَّيِّبُ على الحقيقة هو مُحَمَّدٌ عليه السَّلام]:

والطَّيِّبُ على الحقيقة والإطلاق والأوَّليَّة واحد؛ وهو مُحَمَّدٌ ﷺ، وقد قال العباس للنبي ﷺ: «إني أريد أن أمتدحك، فقال له النبي: قل، فأنشد:

من قبلها طِبْتَ في الظلال وفي ... مستودع حيث تخصفُ الوَرَقُ
ثم هبطت البلاد لا بشر أنت ... ولا مُضْغَةٌ ولا عَلَقُ
بل نطفة تركب السفين وقد ... أَلْجَمَ نَسْرًا وأهله الغَرَقُ
تنقل من صالبٍ[٤] إلى رحم ... إذا مضى عَالَمٌ بدا طَبَقُ
حتى استوى بيتُك المهيمن من ... خندف علياء تحتها[٥] النُّطُقُ

---

(١) في (ك): قال الإمام الحافظ رضي الله عنه، وفي (ص): قال الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ب): قال الإمام رحمه الله.

(٢) في (ك) و(ب): تتوفى.

(٣) في (ك) و(ص): كذلك.

(٤) في (د): صلب.

(٥) في (ك) و(ص): دونه.

وأنت لمَّا ولدت[١] أشرقت الـ أَرض وضاقت بنورك الأُفُقُ ٢

فنحن في ذلك الضياء وفي النْـ ـنُور وسبل الرشاد نخترقُ/ [١٤٦/ب]

فقال له النبي: لا يَفْضُضِ الله فاك»[٢].

ولقد كان طَيِّبًا في الأصل، طَيِّبًا في النشأة، طَيِّبًا في المطعم، طَيِّبًا في المسكن، طَيِّبًا في المعيشة، طَيِّبًا في الوفاة، طَيِّبًا في المدفن[٣]، طَيِّبًا في الدنيا[٤]، طَيِّبًا في الآخرة.

فأمَّا طِيبُ أصله؛ فإنه ﷺ[٥] قال - في رواية واثلة بن الأسقع عنه-: «إن الله اصطفى كِنانة من وَلَدِ إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم»[٦].

وأمَّا طِيبُ منشئه؛ فقد بيَّنَّا في غير موضع أنه ﷺ[٧] كان حُبِّبَ إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء؛ فيتحنَّث فيه الليالي ذوات العدد[٨]، معتزلًا

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): بعثت، وأشار إليها في (د).

(٢) أخرجه القُتَبِي في غريب الحديث: (٣٥٩/١)، وفسَّر بعضَها ابنُ العربي في العارضة: (٥٥٩/١٠-٥٦٢)، والأبيات من بحر المنسرح، في أمالي ابن الشجري: (١١٤/٣)، وأمالي الزجاجي: (ص٦٥)، وفي الزاهر لابن الأنباري: (١٥٨/١)، وغيرها، وقال ابن الذهبي في رواتها: «لا يعرفون»، سير النبلاء: (١٠٣/٢).

(٣) قوله: «طَيِّبًا في المدفن» سقط من (د) و(ب).

(٤) قوله: «طَيِّبًا في الدنيا» سقط من (ك) و(ص).

(٥) في (ك): صلى الله عليه.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ، رقم: (٢٢٧٦-عبد الباقي).

(٧) في (ك): صلى الله عليه.

(٨) سبق تخريجه.

عن الخلق، مُهَيَّأً لنزول الحق، وقبل ذلك كان يرعى غنمًا لأهل مكة على قراريط معلومة[١]، يخرج صباحًا ويرجع إلى منزله مساء، لا يجالس بَشَرًا، ولا يُكَلِّمُ أحدًا.

وأمَّا طِيبُ المسكن فكان بمكَّة، ثم خرج إلى طابة؛ وهي المدينة، كما سمَّاها[٢] صلى الله عليه[٣]، وهي كما أخبر عنها: «كالكِيرِ تَنْفِي خَبَثَها، ويَنْصَعُ طَيِّبُها»[٤]، وقد أخبر أن الدجَّال لا يدخلها[٥]، وأنها ترجف ثلاث رجفات[٦]؛ فلا يبقى فيها منافق إلَّا خرج إليه[٧]، ولا يصبر على لأوائها وشِدَّتِها أحدٌ إلَّا كان له شهيدًا أو شفيعًا يوم القيامة[٨].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي حُمَيْدٍ رضي الله عنه: كتاب فضائل المدينة، باب المدينة طابة، رقم: (١٨٧٢-طوق).

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): صلى الله عليه وسلم.

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: كتاب الجامع، ما جاء في سُكنى المدينة والخروج منها، (٢/٢٨٢)، رقم: (٢٥٤٩-المجلس العلمي الأعلى).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، رقم: (١٨٨٢-طوق).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، رقم: (١٨٨١-طوق).

(٧) لم يرد في (د).

(٨) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن ابن عمر رضي الله عنهما: كتاب الجامع، ما جاء في سكنى المدينة والخروج منها، (٢/٢٨١)، رقم: (٢٥٤٨-المجلس العلمي الأعلى).

وأمَّا طِيبُ المطعم فلم يأكل إلَّا من كَسْبِه، كان قبل النبوة راعيًا، وكان بعد النبوة مجاهدًا، ولهذا[١] قال النبي: «جُعل رزقي تحت ظِلِّ رُمْحِي، وجُعلت الذِّلَّةُ[٢] والصَّغار على من خالف أمري»[٣]، وكان يعيش بين الأمرين بقِرَاضِ خديجة ومن مالها، طيِّبةً بها[٤] نفسُها.

وبذلك أَمَرَ الله جميع الخلق، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [البقرة:١٦٧]، وطيب الحلال أنه هَنِيٌّ الحال، مَرِيٌّ[٥] المآل، والحرام وَبِيٌّ[٦] المآل[٧].

وقيل: «الطَّيِّبُ: ما لم يَنْسَ فيه مكتسبُه حقَّ الله»[٨].

وقال للذين آمنوا: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة:١٧١]، فالحلال ما لا تَبِعَةَ عليه، والطَّيِّبُ ليس للمخلوق فيه مِنَّةٌ[٩].

وقال للرُّسُلِ[١٠]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المومنون:٥٢]، وهي آية غريبة، بديعة التفسير.

---

(١) سقط من (ك) و(ص).

(٢) في (ك) و(ص): جعل الذل.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): به.

(٥) في (ب): مريئ.

(٦) في (ص): وبئ.

(٧) لطائف الإشارات: (١/١٤٦).

(٨) لطائف الإشارات: (١/١٤٦).

(٩) لطائف الإشارات: (١/١٤٧).

(١٠) في (ك) و(ص) و(ب): وقال للرسل: ﴿كلوا﴾.

قال المفسرون: معناه: «كُلُوا من الحلال، واعملوا ما أمرتكم به»[١].

ومن حديث أبي هريرة الصحيح ما خرَّجه الترمذي عن النبي: «إن الله طَيِّبٌ لا يقبل إلَّا طَيِّبًا، وإن الله أَمَرَ المؤمنين بما أَمَرَ به المرسلين، فقال للرسل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَـٰلِحًا﴾،/ وقال للمؤمنين: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ﴾»[٢]، وذكر الحديث.

٢ [١٤٧/أ]

وهذا كلام من لم يفهم مقطع الآية[٣].

وقال الأَحْبَارُ: المعنى: «﴿كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ﴾؛ يأكل كل أحد ما كان حلالًا وَقْتَه[٤]، مباحًا في شريعته، ﴿وَٱعْمَلُواْ صَـٰلِحًا﴾؛ يعمل كل أحد بما كان موافقًا لأمر الله في زمانه، مُوَظَّفًا عليه في شريعته»[٥].

فالخطاب للرُّسُلِ مُشْتَرَكُ اللفظ منفصلُ المعنى؛ لانفصال أحوالهم في مللهم، والخطابُ للمؤمنين مشتركُ اللفظ مشترك المعنى؛ لاستواء أحوالهم في جملتهم وتفصيلهم، واجتماعهم وافتراقهم.

وأمَّا طيب المعيشة؛ فإن طيب العيش في قول العلماء لا يُعْرَفُ بالنُّطْقِ، وإنما يُعْرَفُ بالذوق، وذلك الطيب من لذة المناجاة، وحلاوة

---

(١) تفسير الطبري: (١٧/٥٩-التركي).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه: أبوابُ التفسير عن رسول الله ﷺ، بابٌ ومن سورة البقرة، رقم: (٢٩٨٩-بشار).

(٣) يقصد كلام المفسرين الذي ذَكَره قبلُ.

(٤) في (ص): في وقته.

(٥) لطائف الإشارات: (٢/٥٧٧).

الطاعة، وهِمَّةِ اليقين[١]، وروح القناعة، والرضى عن الله، والمعرفة بحُسْنِ العاقبة[٢]، وبذلك طابت المعيشة.

وقيل: «طيب العيش اليأس عن الدنيا، والقيام بحق المولى».

وذلك على التمام للنبي ﷺ.

وإذا شبع من الحلال ونال منه ما اشتهى فهو طَيِّبٌ مُمَدَّحٌ مهما أعقبته طاعة.

قال رسول الله ﷺ: «الصحةُ لمن اتقى خَيْرٌ من الغنى»[٣].

وطيب النفس من النعيم؛ وتَفَرُّغُ[٤] بَالِه لعبادة المولى، وفي خِلَافِه[٥] المعيشةُ الضنْك؛ وهي قبض القلب عن المعرفة، واستيلاء الوحشة من الله، والركون إلى البطالة، والخلود إلى الشهوات والراحة.

وأمَّا طيب الوفاة فإنه خُيِّرَ فاختار الرفيق الأعلى كما تقدَّم، وجاءه أبو بكر فكشف عنه ثم قبَّله، وقال: «بأبي أنت وأمي، طِبْتَ حيًّا ومَيِّتًا»[٦]، وفي الأثر: «أنهم لمَّا غسَّلوه لم يخرج منه شيء ممَّا يخرج من الميت»[٧].

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): النفس، وأشار إليها في (د).

(٢) في (ص): العافية.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن خُبَيب رضي الله عنه: (٣٨/٢٢٨)، رقم: (٢٣١٥٨-شعيب).

(٤) في (ك) و(ص): يُفَرِّغُ بالَه.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): خلافه له.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) سيرة ابن هشام: (٤/٣١٣).

وكذلك كان طَيِّبًا في الحياة أيضًا، ففي حديث جابر بن عبد الله أنه قال: «رأيتُ من النبي ثلاثًا؛ لو لم يأت بالقرآن لآمنتُ به، خرجنا سفرًا فمررنا بحي من العرب، فخرجت إلينا جارية كأنها فِلْقَةُ قَمَرٍ، قالوا: إنها مجنونة، فقال له النبي ﷺ: يا عدو الله، اخرج عنها، قال: فغطَّت وجهها في الحال، واستحيت وانصرفت، وبَيْنَا نحن نسيرُ إذ عرض لنا ثعبان عظيم، فخرج إليه النبي ﷺ فأعطاه أُذنه، فناجاه مَلِيًّا، فلمَّا رجع النبي قلنا: ما هذا يا رسول الله؟ قال: ذلك رسول الجن؛ نَسُوا سورة فجاء يَسْتَذْكِرُنِيهَا، ونزلنا منزلًا فقال لي: يا جابر؛ اذهب/ إلى تينك الشجرتين فاقرأهما منِّي السَّلام، ومُرْهما أن يسيرا إلي، ويثبتا[1] علي ويستران حتى أقضي حاجتي، فذهبت فبلَّغت كلامه، فأقبلتا تخرقان[2] الأرض، حتى التقيا[3] عليه، فلمَّا قضى حاجته رجعتا[4] إلى مكانهما، فجئت لأتبلع[5] ما يخرج[6] منه فلم أجده، فأخبرته فقال: أما علمت يا جابر أنَّا معشر الأنبياء تواري الأرض ما يخرج منا»[7].

٢ [١٤٧/ب]

وأمَّا طيب مدفنه فإن أبا بكر الصديق لمَّا جاءه فقبَّله وقال: «بأبي أنت وأمي، طبتَ حيًّا وميتًا، قال الناس له: كذا، قالوا له: كذا، قال: أله

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): وينثنيا.

(٢) في (ك) و(ص): تخترقان، وفي (ب): تحرثان.

(٣) في (ك): التقتا.

(٤) في (د): التقيا عليه ورجعتا.

(٥) في (ك) و(ص): لأبتلع.

(٦) في (ك) و(ص): خرج.

(٧) أخرجه الخطيب في رواة مالك، ينظر: سبل الهدى والرشاد: (٣٧٧/١١).

كذا[١]؟ وذكر الترمذي حديثًا طويلًا، قال في آخره: فقالوا له[٢]: أين يدفن؟ قال أبو بكر: في المكان الذي قُبض فيه روحه، فإن الله لم يقبض روحه إلَّا في مكان طيب، فعلموا أن قد صدق»[٣].

قال الإمام الحافظ[٤]: ويعضد هذا ما جاء في الحديث الصحيح؛ قال ابن مسعود: «حدَّثنا رسول الله - وهو الصادق المصدوق -: إنَّ أحدكم يُجمع خَلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله[٥] الملك، ثم ينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات؛ يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد»[٦].

قال - في الحديث الحسن -: «ثم يكون مُضْغَةً، ثم يأمر الله الملك فيأخذ قبضة من تراب الأرض، فيخلطها بها، ثم يُصَوِّرُه، فإذا جاء أجلُه الذي كَتَبَ الله له لم يُدْفَنْ إلَّا من حيث أُخِذَتِ التربة الأولى، وذلك قولُه سبحانه: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه:٥٥]».

---

(١) قوله: «قال: أله كذا؟» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٢) سقط من (ك).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) في (ك): قال الإمام الحافظ ﷺ، وفي (ص): قال الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي ﷺ، وفي (ب): قال الإمام ﷺ.

(٥) لم يرد في (ك) و(ص).

(٦) سلف تخريجه.

وأمَّا طيبه في الآخرة فأَجَلُّ معنى[1] الطيب وهو الشرف، وشَرَفُه بكل معاني الطيب في العربية، يقال: كذا طَيِّبٌ، أي: لا مكروه فيه ولا آفة، وكذا طيب، أي: ملائم موافق، ومنه الأطيبان؛ الأكل والنكاح.

[عمَّار الطَّيِّبُ المُطَيَّبُ]:

وقال النبي ﷺ حين رأى عَمَّارًا: «مرحبًا بالطيِّب المُطَيَّبِ»[2]، إشارة إلى تطهيره عن تكَلُّمِه بالكُفْرِ عند تعذيب أبي جهل له؛ إذ لا يتدنَّس الإنسان من الدناآت إلَّا بما يأتيها مختارًا، وإشارة إلى تَطَهُّرِه[3] أُخْرَى عن الدخول فيما لا ينبغي، والتورُّع عمَّا يكره، وإن كان مع عَلِيٍّ؛ فإنه كان مع الحق، ولو كنتُ في القوم لاتَّبعت عَلِيًّا دون سواه.

وقد قال الله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم:٢٦]، فطِيبُ الكلمة شرفها، وهي: لا إله إلا الله، وطيب الشجرة أنها نَفْعٌ كلها، وقد بيَّنَّاه في «شرح النيِّرين» بغاية الإيضاح، فلينظر هنالك، ولِيُورَدْ[4] على القانون.

٢ [١٤٨/أ]

قال الإمام الحافظ[5]:/ويلحق باسم «التوَّاب» ثلاثة أسماء، وهي:

---

(١) في (ك) و(ص): بمعنى.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه عن علي ﵁: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب مناقب عمار بن ياسر، رقم: (٣٧٩٨-بشار).

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): تطهيره.

(٤) في (ص): ليُورِدْه.

(٥) في (ك) و(ب): قال الإمام الحافظ ﵁، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي ﵁.

الاسم العاشر والحادي عشر والثاني عشر والمائة(١): الأَوَّابُ والمُنِيبُ والأَوَّاهُ

قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود:٧٤].

فأمَّا «الحليمُ»(٢) فقد سَبَقَ الكلامُ عليه.

[معاني الأَوَّاه]:

وأمَّا «الأَوَّاهُ» فذكره المُفَسِّرُونَ على عشرة أوجه:

الأوَّل: الكثير الدعاء(٣).

الثاني: الرحيم(٤).

الثالث: المؤمن(٥).

الرابع: المُسَبِّحُ(٦).

---

(١) في (ك): التاسع، والعاشر، والحادي عشر، وفي (ص): الحادي ومائة، والثاني ومائة، والثالث ومائة، وفي (ب): الأوَّاب: وهو الاسم المُوَفِّي مائة، المُنِيب: وهو الاسم الحادي ومائة، الأوَّاه: وهو الاسم الثاني ومائة.

(٢) في السفر الثالث.

(٣) تفسير الطبري: (١٤/٥٢٣-شاكر).

(٤) تفسير الطبري: (١٤/٥٢٤-شاكر).

(٥) تفسير الطبري: (١٤/٥٢٩-شاكر).

(٦) تفسير الطبري: (١٤/٥٢٩-شاكر).

الخامس: التالي للكتاب[١].

السَّادس: المتأوه على زَلَلِه[٢].

السَّابع: الفقيه[٣].

الثامن: الخاشع[٤].

التاسع: المتواضع[٥].

العاشر: المصلي.

فصعَّدوا وصوَّبوا فما عرفوا، ورمَوا فصافوا وما أصابوا.

والصحيح: أن بناء «أوْه» للصَّوْتِ الذي يدل على أَلَمٍ يكون بالنفس من مكروه ينزل؛ من[٦] مرض أو هَمٍّ.

قال المُثَقِّبُ العبدي[٧] يصف ناقته[٨]:

إذا ما قُمْتُ أَرْحَلُها بليلٍ ... تَأَوَّهُ آهَةَ الرجل الحزينِ[٩]

---

(١) تفسير الطبري: (١٤/٥٣٠-شاكر).

(٢) تفسير الطبري: (١٤/٥٣٠-شاكر).

(٣) تفسير الطبري: (١٤/٥٣١-شاكر).

(٤) تفسير الطبري: (١٤/٥٣١-شاكر).

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): المتوجع.

(٦) سقط من (ك) و(ص)، وفي (ب): أو.

(٧) سقط من (ك) و(ص) و(ب)، وفي (د): العَنبري، وهو تصحيف.

(٨) في (د): ناقة.

(٩) من الوافر، وهو للمثقب العبدي من قصيدة في المفضليات: (ص٢٩١)، وفي طبقات فحول الشعراء: (١/٢٧٣)، وديوانه: (ص١٩٤)، وتفسير الطبري: (١٤/٥٣٤-شاكر).

وكلمة الحزين أو المريض[١]: أوَّه، وأوْهِ، ويقال: أُوه[٢]، ويقال: آوْه[٣]، فإذا سُمع ذلك منه قيل: تأوَّه الرجل، وأوَّه، أي: تفجَّع[٤]، كذلك قرأتُه، وجاء لفظُ «آهَةَ» على «أوَّه» دليلًا.

فأمَّا من قال: إنه الدعَّاء؛ فالدعَّاء من ثمرات الحزن.

وأمَّا من قال: إنه الرحيم؛ فالرحمة رِقَّةٌ، والحُزْنُ رقة تبعث عليها، وليس بها.

وأمَّا من قال: إنه مؤمن؛ فالإيمان أصل لأهلية الحزن، وليس به، كالمؤمن أصل لأهلية العبادة؛ من صلاة وصوم وصدقة، وليس بها.

وأمَّا من قال: إنه المُسَبِّحُ؛ فقد يُسَبِّحُ[٥] عن القُرْبَةِ[٦]، ولا يصحُّ إسناده إلى من نُسِبَ إليه.

وأمَّا من قال: إنه التالي لكتاب الله؛ فالتأوُّه صفة للتلاوة، وليس بها، أو ثمرة للحزن وليس به.

وأما من قال: إنه الفقيه؛ فإنه تسمية الشيء باسم ثمرته.

وأمَّا من قال: إنه الكثير التأوه؛ ففسَّر قوله: فعَّال؛ بناء التكثير، وليس بتفسير.

---

(١) بعده في (د): أوه، وضبطها بوجهين: أوَّهُ، وأوْهِ، وفي (ك): أَوْهُ، أوهٍ.

(٢) في (ك): آوه، وفي (د): أوْهِ.

(٣) لم ترد في (ك) و(د) و(ب).

(٤) في (د): تفتَّح.

(٥) في (ك) و(ص) و(د): سبَّح.

(٦) في (ك) و(ص) و(د): المعرفة، ومرَّضها في (د)، وكتب في طرته: العربية.

وأمَّا من قال: إنه الخاشع ؛ فقد قَرُبَ أكثر من غيره من معناه، فإن الخشوع لَزِيمُ الحزن، أو من ثمراته.

[حُزْنُ إبراهيم عليه السَّلام]:

وكيف لا يكون إبراهيمُ حزينًا ولم يكن في الأرض مؤمن غيره، وغير زوجه سارة، وهو خليل الرحمن، والدنيا طافحة بالكفَّار، ليس فيها من يقول: الله، ولا من يعرفه، وفي آخر الأمر آمَنَ له[1] لوط وحده، وبعثه الله رسولًا معه، عَضُدًا لإبراهيم وقوَّة له، كما عَضَدَ موسى بهارون أخيه، والأصنام تُعبد، والرب يُجحد، والدين يُعَاثُ[2] فيه ويلحد، والحق يُلوى، / والعيش ينكد، وليس في الأرض عن ذلك ملتحد، أينما خرج مهاجرًا لقي فاجرًا ؛ إمَّا يعترضه في أهله، أو يعارضه في ربه، وهو على ذلك صابر مُتَحَزِّنٌ مُتَأَوِّهٌ، وليس أحد من الأنبياء إلَّا كذلك، ولكن الفضل للمتقدم ؛ إمَّا في السَّابقة كإبراهيم، وإمَّا في الصفة كمُحَمَّدٍ، فإنه كان ينتهي من حُزْنِه أنه يَوَدُّ قَتْلَ نفسِه أَسَفًا على كفرهم.

٢ [١٤٨/ب]

[أسبابُ الحُزْنِ]:

والحُزْنُ إمَّا[3] أن يكون على عدم الحق، وإمَّا أن يكون على جهل المرء بخاتمته، فلا يُرى مسرورًا ؛ إلَّا بحق يظهر، أو خاتمة[4] تُعلَم، وقد جُهِلت الخاتمة حديثًا وقديمًا، فوجب أن يكون الحزنُ لَزِيمًا، وقد تُرِكَ الحق فلا ينبغي لأحد أن يُرَى[5] مسرورًا.

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٢) صورتها في (ك): يعاف، كذلك قرأتها.

(٣) في (ك): إنما يكون.

(٤) في (ك) و(ص): حالة.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): تراه.

وقد رُوي[١] أن عمر[٢] - واللفظ لابن حنبل -: قال جابر بن عبد الله: «سمعت عمر بن الخطاب يقول[٣] لطلحة بن عبيد الله: مالي أراك قد شعثت واغبررت[٤] منذ[٥] توفي رسول الله ﷺ؟ لعلك إنما بك يا طلحة إمارةُ ابن عمك، قال: معاذ الله؛ إني لأقدركم[٦] أن لا أفعل ذلك منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول: إني لأعلم كلمة لا يقولها رجل عند حضره الموت إلَّا وجد رُوحه لها رَوْحًا حتى تخرج من جسده، وكانت له نُورًا يوم القيامة، فلم أسأل رسول الله عنها، ولم يخبرني بها، فذلك الذي دخلني، قال عمر: فأنا أعلمها، قال: فلله الحمد، ما هي؟ قال: التي قالها لعمه؛ لا إله إلا الله، فقال طلحة: صدقت»[٧].

وروى قتادة: «أن النبي لمَّا رأى ما يُصاب[٨] به أمته من بعده ما رُئِيَ ضاحكًا مستنشطًا حتى قبضه الله»[٩].

وذلك موجود في قوله: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ [الزخرف:٤٠]، وقد قال الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[١٠] [الأنفال:٣٣].

---

(١) سقط هذا الحديث من (ب).

(٢) كذا في الأصل، وفي (د): عثمان.

(٣) في (د): قال.

(٤) في (ك) و(د): اغبرت.

(٥) في (ك) و(ص): مذ.

(٦) في (ك) و(ص): لأجدركم.

(٧) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: (١/٣١٩)، رقم: (١٨٧-شعيب).

(٨) في (ك): تصاب.

(٩) تفسير الطبري: (٢٠/٦٠٠-التركي)، وهو مرسل.

(١٠) في (ك) و(ص) و(ب): ﴿وما كان الله معذبهم وهم مستغفرون﴾.

وأخبرنا[١] القاضي أبو المُطَهَّرِ الأصفهاني ببغداد: أنا أبو نُعَيم الحافظ بأصبهان قال[٢]: حدَّثنا[٣] أبو محمد بن حيَّان[٤]: حدَّثنا الحسن بن سفيان: حدَّثنا جُبارة[٥] بن مُغَلِّس: حدَّثنا عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حَوْشَب عن عبد الرحمن بن غَنْم عن معاذ بن جبل قال: «خرجتُ مع رسول الله في غزوة تبوك، فلما رأيتُ بِشْرَه وخلوته قلت: يا رسول الله، أتأذن لي أن أسألك عن مسألة قد أمرضتني وأسقمتني وأحزنتني؟ فقال معاذ: يا رسول الله، دُلَّنِي على عمل يدخلني الجنة، لا أسألك عن شيء غيره، فقال رسول الله: بَخٍ بَخٍ، لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليَسِيرٌ على من أراد الله به الخير، ثَلَاثًا، قال: تؤمن بالله واليوم الآخر، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، وتعبد الله لا تشرك به، حتى تموت وأنت على ذلك، قال: فلم أَزَلْ أسأله/ حتى قلت: يا رسول الله، أيُّ العمل أفضل؟»[٦]، وذَكَرَ الحديث.

٢ [١٤٩/أ]

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): أخبرنا.

(٢) سقط من (ك) و(ص).

(٣) في (ك) و(ص): أخبرنا.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): أبو عمرو بن حمدان، وابن حيان هو الإمام الحافظ أبو الشيخ الأصفهاني.

(٥) في (ك) و(ص): جنادة.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: (٤٣٣/٣٦)، رقم: (٢٢١٢٢-شعيب)، وفيه شهر بن حوشب، مختلف فيه، وقَصْدُ ابنِ العربي من إيراده لهذا الحديث بإسناده الدلالة على الكتاب الذي يرويه، ولعله أحدُ كُتبِ أبي الشيخ الأصفهاني، والله أعلم.

ومع لُزُومِ الحُزْنِ للمؤمن فإنه قد تأتيه[1] وجوهٌ من السرور، يظهر عليه أثرُه كما يظهر عليه أثر الحزن، وقد يأتي عليه معاني من الحزن فيُسْلِيانه عنها الثقة بالله، والقطع على الوفاء بوعده، ألا ترى إلى[2] قول[3] النبي ﷺ[4] لأبي بكر في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠].

[من فوائد أبي سَعْدٍ الشَّهِيد في قَوْلِه تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾]:

من[5] «فوائد أبي سعد الشَّهِيد»[6]: «أنَّ في الغار غرائب؛ منها: أن النبي كان أمانًا لأهل الأرض، قال الله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٦]، وكان أمانًا لأصحابه، كما أخبر عن نفسه حين قال: «أنا أمان لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون»[7]، وإنَّ الله جعله في أَمَانِ حَمَامٍ وعنكبوت، لمَّا وصلت الأعداء إلى فم[8] الغار نَسَجَ العنكبوتُ على الغار بيتَه، وبنى الحمامُ عليه وَكْرَه، وصار ذلك الغار مأوًى ومنجًى للأفاضل والأخيار، وللبقاع دُوَلٌ، وللأماكن مكانات، وللجبال جلال»[9].

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): فإنه ستأتيه، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

(٢) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٣) في (ك) و(ص): قوله، وفي (ب): قول رسول الله.

(٤) في (ك): صلى الله عليه.

(٥) في (ب): ومن.

(٦) في (د): الشهيد أبي سعد.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمانٌ لأصحابه، رقم: (٢٥٣١-عبد الباقي).

(٨) في (ك): لَقَم.

(٩) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٢٧).

قال بعضهم:

أَرْضٌ مُصَرَّدَةٌ وأخرى تَثَجَّمُ[١] منها التي رُزِقَتَ وأخرى تُحْرَمُ
وإذا تأمَّلتَ البلاد وجدتها تُثْرِي كما يُثْرِي الرجال وتُعْدِمُ[٢]

[نَفْيُ الجهة عن الله تعالى]:

وهو سبحانه يختص بتفضيله ما يشاء، كما يختص برحمته من يشاء، والغِيرَانُ وإن كانت مأوى الحيَّات فإنها مأوى المَكْرُمَاتِ، ويا شرف الغار إذ قيل فيه عن العزيز الجبار: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، وهما في الغار، فتَعِسَ أصحابُ الجهة الذين يطلبون الله في العرش، وهو مع النبي في الغار، وبين الناس وبين رؤوس رحالهم إذا ركبوا في الغزو ودَعَوا، وهو المُتَقَدِّسُ عن النسبة إلى مكان؛ من العَرْشِ إلى الفَرْشِ، بل هو بعد خلق العرش والمخلوقات كما كان قبل ذلك؛ لم يتغيَّر بمخلوقاته، وإنما يُقَرِّبُه[٣] النجوى والقُرُبُ، وتُبَاعِدُه الذنوبُ والرِّيَبُ.

[من مناقبِ أبي بكر الصدِّيق]:

فصار أبو بكر ثانيه في الإيمان، ثانيه في الغار، ثانيه في الولاية، ثانيه في المدفن، ثانيه في الجنة كما أخبر، أنزل الله سكينته على المؤمنين عمومًا بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٤]، / [١٤٩/ب] وخَصَّ بها أبا بكر وحده، فقال: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ

---

(١) في (ب): تُنْجَم.

(٢) البيتان من الكامل لأبي تمام، من قصيدته وهي في ديوانه: (١/٥٤٤).

(٣) في (ك): تقربه.

لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة:٤٠]، من الملائكة والحيوانات، والصِّدِّيقُ ذلك اليوم لم يحزن لنفسه؛ إنَّما حزن لأجل خوفه على النبي ﷺ(١).

[حُزْنُ رسول الله ﷺ على ولده إبراهيم]:

وقد يحزن العبدُ رِقَّةَ قلبٍ ورحمة، وله في ذلك خير قدوة وأفضل أسوة؛ قال أنس: «دخلنا مع النبي على ابنه إبراهيم وهو يَجُودُ بنفسه، فجعلتْ عَيْنَا رسول الله تذرفان بالدمع، فقال عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ قال: يا ابن عوف، إنها رحمة، ثم أَتْبَعَها بأخرى، فقال: إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلَّا ما يُرضي ربنا، وإنَّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»(٢).

[بكاءُ رسول الله على سعد بن عبادة]:

وقال ﷺ(٣) حين دخل على سعد بن عبادة فوجده في غاشية، فبكى النبي وبكى القوم، فقال النبي: «ألا تسمعون؟ إن الله لا يُعَذِّبُ بدمع العين، ولا بحُزْنِ القلب، ولكن يعذب بهذا؛ وأشار إلى لسانه، أو يرحم»(٤).

---

(١) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٢٧-٢٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «إنا بك لمحزونون»، رقم: (١٣٠٣-طوق).

(٣) في (ك): صلى الله عليه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما: كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض، رقم: (١٣٠٤-طوق).

[حُزْنُ يعقوب عليه السَّلام]:

وقد قال الله سبحانه مُخْبِرًا عن يعقوب: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ [يوسف:٨٤]، ولكنه لم يَقُلْ شكوى، وإن عظمت البلوى، ولمَّا تَوَارَدَ القَرْحُ على القرح فأوجعه مَسُّه قال: ﴿يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾.

وبُكَاءُ داود كان أعظم، ولم يذهب بصره، وذلك بمشيئة الله تعالى وقَدَرِه.

وقال بعضهم: «بكاءُ داود كان[1] خوفًا من ربه فأمسك الله بصره، ويعقوبُ بكى على يوسف؛ وليس في قدرة يوسف إمساك بصر ولا رده»[2].

ويحتمل أن يكون يعقوب[3] بكى مدَّة طويلة فأثَّر في بصره، وبكى داود مدَّة[4] قصيرة فلم يُؤَثِّرْ.

[حُزْنُ لوط عليه السَّلام]:

وقد قالت الملائكة للُوطٍ لمَّا رأوا ضيق ذَرْعِه بقومه وغَلَبَةَ حزنه بما هَمُّوا به في أضيافه: ﴿لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾ [العنكبوت:٣٣]، ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ [هود:٨٠]، ولم يقولوا: «إلينا»؛ لأن قُدَرَهم لا تتعلق

---

(١) سقط من (ك) و(ب).

(٢) لطائف الإشارات: (٢/١٩٩-٢٠٠).

(٣) في (ك): بكى يعقوب، وفي (ص): بكاء يعقوب.

(٤) سقط من (ك) و(ب).

بالملائكة عادةً، وإنما تتعلق بالآدَمِيِّينَ، فلمَّا أخبرت[1] الملائكة لُوطًا أنَّ ما جرت به العادة من تسليط الأعداء على الأنبياء والأولياء قد أمَّنك الله منه، فنحن رُسُلُ ربك لإنجائك وإهلاكهم، فحينئذ اتَّسع صدره وانشرح، وأَمِنَ أن يفضح، وأيقن أنه قد أنجح، وتحقَّق أنه قد أفلح، وأقرب ما يكون العبد من الفرج إذا اشتدَّ البلاء.

[الفَرَجُ بعد الشدة]:

٢ [١٥٠/أ]

ومن الأمثال المشهورة[2]:/ «اشتدِّي أزمة تنفرجي».

قال علماؤنا: «وإنما كان الفرج عند شدة البلاء لأنه يكون مُضْطَرًّا، والباري سبحانه وعد المضطر بالإجابة وكشف السوء[3]، ووعد الداعي مطلقًا بالإجابة».

وقد يكون بثلاثة[4] أوجه كما بيَّنَّاه في اسم «الداعي»، والمضطر إنما يكون بكشف السوء، وقد بيَّنَّا ذلك فيما سبق من كلامنا، ما لم يَرُدَّ الدعاءَ قَدَرٌ، فإنه ثبت عن النبي ﷺ أنه صلَّى صلاة أطال[5] فيها، فلمَّا سلَّم قال له أصحابه: «يا رسول الله، صلَّيت صلاةً لم تكن تصليها، قال: أجل، إنها صلاة رغبة ورهبة، إنِّي سألت ربي فيها ثلاثًا، فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة، سألته ألَّا يهلك أمَّتي بسنة عامَّة فأعطانيها[6]، وسألته ألَّا يُسَلِّطَ

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): فأخبرت.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سقط من (ص).

(٤) في (ك): لثلاثة.

(٥) في (ك) و(ص): فأطال.

(٦) في (د): فأعطانيه.

عليهم عَدُوًّا من غيرهم فأعطانيها، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها[١]»[٢].

ونحن مضطرُّون إلى أن لا يكون بأسُنا بيننا، ولكنه أَمْرٌ لم يُمَكَّنْ منه، والله المستعان عليه.

وقد نفى الله الحُزْنَ عمَّن آمن واتَّقى[٣].

فقيل: أراد في الآخرة[٤].

وقيل: لا حزن عليه بمقتضى الحق.

ولكن الحزن نراه[٥] غالبًا على الخلق بفَوْتِ الشهوات، وذلك ممَّا لم يضمن الله نفيَه، بل يضاعفه لمن لم يُرِدْ به خيرًا، فلذلك لا ينبغي الحزن على شيء من الدنيا إلَّا من جهة الرحمة في رقَّة الجنسية، وزوال الأُلفة، أو ذهاب المُعِين على الطاعة، أو فوات الحسنة في بقاء الولد بعد الوفاة.

وانظر إلى الأوَّاه إبراهيم كيف جاء الله في صفته بأبدعِ بيانٍ، أثبت له فيه أشرفَ منزلةٍ، فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾[٦]، يعني: حزين.

---

(١) بعده في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي ﷺ.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه عن خباب بن الأرت ﷺ: أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في سؤال النبي ﷺ ثلاثًا في أمته، رقم: (٢١٧٥-بشار).

(٣) يشير إلى قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٢-٦٣].

(٤) لطائف الإشارات: (٢/١٠٥).

(٥) في (ك) و(ص): تراه، وفي (ب): تارة.

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ﴾.

أَمَّا حُزْنُه فلِمَا فَاتَه[١].

وأَمَّا حِلْمُه فصبرُه عن[٢] الحزن في موضع الحزن؛ حين أُمر بذَبْحِ ولده فصبر[٣] عليه، وغلَّب الطاعة على المَحْزَنَةِ[٤].

وكذلك وصف ولده بالحلم؛ لأنه قال له[٥] في نفسه: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات:١٠٢]، أي: عزيمتي الآن الصبرُ على إنفاذ أمر الله، فإن شاء الله أن يُديم هذه العزيمة أدامها، وإن شاء أن يُذهبها أذهبها، فجمع بين سعة العلم وحسن الطاعة، والإقرار بالتوحيد لله والمشيئة لله.

وأَمَّا وصفه بأنه مُنِيبٌ فمعناه[٦] راجع إلى الله، وكذلك فَعَلَ في كل أحواله؛ بما أتاه الله من رُشْدِه في مبدئه ومآلِه.

[مَرَاجِعُ إبراهيم عليه السَّلام]:

٢ [١٥٠/ب]

ومَرَاجِعُه/ سِتَّةٌ:

المرجع الأَوَّل:

فإنه رجع إلى الله عن الكواكب، فقال: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام:٧٩]، ولم يعتقد قط في أن واحدًا من الأنوار ربُّه، ولا شَكَّ في ذلك ولا استراب به، وإنَّما كان ذلك حجة على قومه.

---

(١) مرَّضها في (د).

(٢) في (ك) و(ص): على.

(٣) في (ك) و(ص): صرم.

(٤) مرَّضها في (د).

(٥) سقطت من (ك) و(ص).

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): فمعنى، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

وقد جهل المفسرون ذلك، وقد بيَّنه النبي ﷺ في الحديث الصحيح فقال: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، كلها مَاحَلَ بها عن دين الله، قوله في الكوكب: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام:٧٧]، وقوله في سارة: هذه أختي، وقوله في الأوثان: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء:٦٣]»[١].

فالصادق يقول: إنها كلها - ثلاثتها - حجة ناضل بها عن الحق.

وكلهم من أهل التفسير والتقصير يقولون: «اعتقد ذلك حتى يتبيَّن[٢] له خلافه»[٣].

والمُسْرِفُ منهم في الجهل على نفسه[٤] يقول فيه[٥]: «كان صغيرًا»[٦]، فلمَّا خرج من الغار ورآه شكَّ فيه.

فكذب على إبراهيم وكفَّره، واعتذر عنه بأنه كان صغيرًا، فسبحان الذي شاء هذه الجهالات، وقدَّر بنشر هذه المقالات، ولو أن هؤلاء الذين[٧] ظلموا أنفسهم بقراءة «كُتُبِ التفسير» تطَّلبوا في القرآن والحديث

---

(١) سبق تخريجه، وينظر: أحكام القرآن: (٣/١٢٦٥)، والعواصم: (ص٢٠٢-٢٠٧).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): تبيَّن.

(٣) تفسير الطبري: (١١/٤٨٠-شاكر).

(٤) في (ك) و(ص): على نفسه في الجهل.

(٥) سقط من (ك) و(د) و(ب).

(٦) تفسير الطبري: (١١/٤٨٤-شاكر).

(٧) في (د): الذي.

المعاني؛ حتَّى يفسروا كتاب الله بكلام رسول الله لا بآرائهم الفاسدة المُرَكَّبَةِ على عقولهم الناقصة؛ لسَلِمُوا من العثرة التى لا لعًا[(١)] لها[(٢)].

المرجع الثاني:

لمَّا رأى أن قومه معاندون له مكابرون، عاصون له منكرون، متربصون به الدوائر معذِّبون[(٣)]، حتَّى أنَّ أباه معهم؛ خرج إلى ربه مهاجرًا، ورجع إليه معتزلًا منفردًا، فأقام ببيت رامة[(٤)] على فرسخ من مولده، مُتَعَبِّدًا في محرابه لا يبرح منه.

[مُقَامُ ابنِ العربي ببيت رامة عاكفًا وعابدًا وذاكرًا]:

وقد دخلناه ليلًا ونهارًا، وذكرنا الله فيه سِرًّا وجِهارًا، واعتكفنا وقرأنا وصلَّينا أطوارًا، شهورًا وسِنِين، على سَنَنٍ من الهدى مُسْتَبِين، وفي أطيب حياة، في مسيرة أشهر - لا ليالي - آمنين، ثم جاء القَدَرُ بفُرْقَةٍ غَشَتِ القلوب حُرْقَةً، فلَبِسَ[(٥)] ثوبَ الحزن بقيَّة الدهر حين فَقَدَ أولئك الأصحاب، وحال القَدَرُ بينه وبين أولئك الأحباب، استبدل الأُنْسَ بالوحشة، والعلماء بالجهَّال، والأولياء بالأعداء، والمعين بالقاطع، وأَخَذَ

---

(١) أي: لا انتعاش بعدها، ويقال: لا لعًا لفلان، أي: لا أقامه الله، تاج العروس: (٣٩/٤٦١).

(٢) في (د) و(ب): حتى يفسروا كتاب الله بكلام رسول الله لسلموا من العثرة التي لا لعًا لها، لا بآرائهم الفاسدة المركبة على عقولهم الناقصة.

(٣) في (ب): مقدمون.

(٤) قال ياقوت المستعصمي في معجمه: «قرية مشهورة بين غور الأردن والبلقاء» (١/٥٢٠).

(٥) أي: ابن العربي.

٢ الضارَّ بدلًا من النافع، وجَالَسَ الزاهد في العلم عِوَضًا من الراغب، وخَالَطَ الأَبِيَّ عن الطريق، النَّافِرَ عن الشريعة؛ بعد المُرِيدِ[١] للعبادة، السَّالك/ [١٥١/أ] سبيل الإرادة، وثافن الحاسد، فصار:

غريبًا عن الأمثال في كل بلدة إذا عظم المطلوب قَلَّ المساعد[٢]

فإنَّا وإيَّاهم كما قلتُ[٣].

المرجع الثالث:

لمَّا تمادى إبراهيم على عَيْبِ الآلهة ورأى أنهم لا يرجعون اعتمد سبيلًا[٤] من[٥] الحيلة في الحُجَّةِ لعلهم يهتدون، فرَصَدَ يوم فِصْحِهم[٦] وخروج جماعتهم إلى مجتمعهم، فخالفهم[٧] إلى الآلهة فكسرها بالفأس، إلَّا أكبرها جِزْمًا، وعلَّق الفأس على الأكبر الباقي، فلمَّا قَضَوا شِرْكَهم -لا نُسُكَهم- وانصرفوا إلى أصنامهم وجدوها حَطَبًا، فأفنَوا الوقت والقول والفعل عَجَبًا، ورَمَوا بالخواطر؛ مَن عسى أن يكون لهذا الخطب فاعلًا؟ فقال قائلهم: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠]، فيحتمل أن يكون[٨] هذا من فِعْلِه، فأُحضر إبراهيم، فقيل له: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا

---

(١) في (د): المريد المريد.

(٢) البيت لأبي الطيب المتنبي في ديوانه: (٣٠٦/١)، وهو من بحر الطويل.

(٣) بعده في (د) -وبخط مغاير-: غريب، وهو نفس البيت الذي تقدَّم.

(٤) بعده في (د) علامة اللحق، وفي موضعه من الحاشية طمس.

(٥) بعده في (د) علامة اللحق، وفي موضعه من الحاشية طمس.

(٦) أي: يوم عيدهم، تاج العروس: (١٩/٧).

(٧) في (ك) و(ص) و(ب): خالفهم.

(٨) في (ك) و(ص): هذا أن يكون.

بِـَٔالِهَتِنَا﴾؟ فلم يُصَرِّحْ بالإنكار؛ لأنه لم تكن[١] في ذلك حجة لله ولا انتصار، وكان يكون كذبًا، فقال: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا﴾ [الأنبياء:٦٣]، وهو كذب في الظاهر كما أخبر عنه مُحَمَّدٌ؛ الصادقان[٢] هو[٣] وإبراهيم صلى الله عليهما، ولكنه على التقرير في معرض الحجة والدليل.

والكذب: هو الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو به، ولم يكن حرامًا لعينه كما قال الأدباء والقدرية، وإنما هو حرام إذا ضَرَّ، وجائز إذا نفع، وفَرْضٌ إذا دفع مكروهًا عن أحد.

قال لهم إبراهيم: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾؛ مُتَبَيِّنِينَ للحجة عالمين، ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[٤]، إقرارًا بوجه الدلالة، ثم غلبتهم سابق[٥] الأَنَفَة، واستولت عليهم الألفة بسابق المقادير، فنُكِسُوا على رؤوسهم، ومشوا في المقال مُكِبِّينَ على وجوههم، فقالوا له: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء:٦٥]، قال لهم مُصَرِّحًا عن الرُّغْوَةِ، متدانيًا إليهم عن غَلْوَة[٦]، سابقًا في ذلك جميع الخلق لأقصى[٧] رُتْوَة: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ

---

(١) في (ك): يكن.

(٢) في (د): الصادق إن.

(٣) في (ك): وهو.

(٤) في النسخ: وقالوا.

(٥) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٦) في (د): مترانًا باللم.

(٧) في (ك) و(ص) و(ب): بأقصى.

﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[١] [الأنبياء:٦٦]، ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:٦٧]، فعرَّضوه لأعظم بلاء الله، وهو الحرق بالنار، وقصدوا/ الأُشنوعة به[٢]، فبَنَوا له بنيانًا، وأضرموا النار أيَّامًا، وتواعدوا له، ثم رَمَوْهُ بالمنجنيق فيها؛ لأنهم لم يكونوا يستطيعون أن يَدْنُوَ أَحَدٌ منها لعِظَمِها، فلمَّا ألقوه فيه[٣] قال الله لها[٤]: ﴿كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٨]، ﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا﴾ ليَعْلُوا به عليه، فجعلهم[٥] الأسفلين تحته، وليربحوا الراحة بفَقْدِه[٦]، فجعلهم ﴿ٱلْأَخْسَرِينَ﴾؛ بأن أظهره وأخفاهم، وأَقْدَرَهُ وعجَّزهم[٧].

٢ [١٥١/ب]

[اعتكافُ ابن العربي وشيخه برابطة المنجنيق]:

كنَّا نخرج مع شيخنا أبي بكر الفِهْرِي على «باب أَرِيحَا» إلى «عين لِفْتَة»[٨]، ونركب الطريق في منزل بعد منزل؛ أربعة بُرُدٍ إلى ثلاثة بُرُدٍ، إلى «نَابُلس»؛ خَيْفَيْنِ[٩] بين جبلين، يخرج من أحد الجبلين عين كبيرة،

---

(١) في النسخ: أتعبدون.

(٢) سقط من (ك) و(ص).

(٣) في (ك) و(ص): فيها.

(٤) سقطت من (ك).

(٥) في (ك): فجعلناهم.

(٦) في (ك) و(ص): لفقده.

(٧) في (ص): أعجزهم.

(٨) عين لفتة: ماء عين باردة تتوسط قرية لفتة، والقرية مجاورة لبيت المقدس، تبعد عنها بحوالي مِيلَيْنِ، وبها بعض المعالم التاريخية.

(٩) في (د): حفين، وقد تكون: حَافِين.

وباقيهما[١] عيون تسقي الأخياف، وينحدر[٢] إلى الوادي فيسيل لبساتين، فيها من كل فاكهة زوجان، ونخل ورمّان، وما تشتهي من ثمار الدنيا نَفْسُ الإنسان، وفي أعلى الجبل الأدنى إلى بيت المقدس البُنيان الذي كان فيه المنجنيق، وقد اتخذه الناس رابطة، فنُقِيم هنالك معتكفين مُتَدَرِّسِينَ للعلم أيَّامًا مُتَنَعِّمِين، وبجنبها في بطن الوادي مُسْتَوْقَدُ النار، رمادًا مُتَّصِلًا في باطن الأرض إلى الماء.

[سببُ تسمية نابلس بهذا الاسم]:

فسألتُ قاضيها ابن خالد[٣] ورئيسها ابن مزهر[٤] عن معنى تسميتها «نَابُلس»، فقالوا لنا بأجمعهم: إن هذا الوادي كانت به حيَّة يقال لها: «لُس»، وكان[٥] قد حَمَتْ غِياضه وحرَّمت مياهه، حتى قُتلت بحكاية طويلة، ثم عُلِّقَ نابُها لِعظَمِه على باب المدينة، آية وعبرة، فقال الناس: «نَابُ لُسَّ»، وكتبوها مُتَّصِلَةً لكثرة الاستعمال.

[عِفَّةُ نساء نابلس]:

وهي بلدة مشحونة بالزهّاد والعلماء والأخيار، وما رأيتُ أعفَّ من نسائها، ولا حَيَاءَ مُخَدَّرَةٍ؛ تمشي عمرك في الطريق لا يقع[٦] عينك فيها على امرأة إلَّا يوم الجمعة؛ فإن النساء في المسجد أكثر من الرجال، فإذا

---

(١) في (ك) و(ص): باقيها.

(٢) في (ك) و(ص): تنحدر.

(٣) لم أقف له على ترجمة، هو والذي بعده.

(٤) في (ك) و(ص): مزهد.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): كانت.

(٦) في (ك) و(ب): تقع.

صلَّين ركعتين[١] رجعن[٢]، فلا تقع عَيْنٌ على امرأة إلى الجمعة الأخرى[٣].

[مناظرةُ ابن العربي ليهود نابلس]:

وهي في الأصل بلد «السَّمَرَة[٤]»[٥]، لهم كانت، وفيها كنَّا نجتمع معهم للمناظرة، ونُفاوض أحبارهم في الحجاج والأدلة، وهم في اليهود كالمُشَبِّهَةِ والحَشَوِيَّة في الإسلام.

[نصرُ بن إبراهيم النابلسي]:

وهذه البلدة[٦] هي مولد شيخنا أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي؛ إمام الشام في العلم والتعرف[٧]، وزاهده في العمل والتصرف[٨].

٢ [١٥٢/أ]

قال الإمام الحافظ[٩]: فرجع إبراهيمُ حينئذ إلى الله/ مُصَرِّحًا بالدلالة، كاشفًا لوجه الحجة، مجاهرًا بالحق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كائنًا في ذلك ما كان، وأَعْرَضَ عن الخلق ونَبَذَ التقيَّة، فلو شاء ربنا لعصمه

---

(١) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٢) سقطت من (د).

(٣) ينظر: أحكام القرآن: (١٥٣٥/٣).

(٤) في (ب): السَّحرة، ومرَّضها، وفي الطرة: السَّامرة، بخط مغاير لخط الأصل.

(٥) السَّمرة: فرقة من اليهود، ما تزال إلى يومنا هذا بنابلس، ينظر: العواصم: (ص٤٥).

(٦) في (ك) و(ص): البلد.

(٧) في (ك) و(ص): التصرف.

(٨) في (ك) و(ص): التصوف.

(٩) في (ك): قال الإمام الحافظ رضي الله عنه، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ب): قال الإمام رحمه الله.

من يد نُمروذ ولم يُمَكِّنْ منه إلى المنجنيق، وكان في الظاهر أقرب إلى النصرة[١]، ولكنْ حِفْظُه في النار من أن يمسَّه أَلَمُها[٢] أَتَمُّ في باب النصرة، وأَبْيَنُ في الحجة، وأثبت للمعجزة، ولولا أن النار قيل لها: ﴿وَسَلَٰمًا﴾؛ لقتله البَرْدُ كما كان يقتله الحَرُّ، ولكن الباري قَلَبَ لهم نارهم إلى الضِّدِّ في البرد من الحر، وسَلَّمَ وَلِيَّهُ، فكانت آيَتَيْنِ في آية.

وقال[٣] أهلُ الإسرائيليات: «إنه لمَّا صار في المنجنيق تعرَّض له جبريل، فقال له[٤]: ألك حاجة؟ فقال له: أمَّا إليك فلا، زاد بعضهم: فقال له الله: إن قال لك: «نعم»؛ فاتركه، وإن قال لك: «لا»؛ فامْرُرْ بجناحك على النار؛ حتى يكون[٥] عليه بَرْدًا وسلامًا»[٦]، وذلك كله ممكن، فربك[٧] أعلم بما كان.

المرجع الرابع:

إنَّه لمَّا سار بزوجه سَارَةَ في أثناء الهجرة نزل بمصر[٨]، فتحدَّث الناس بجمال سارة، فأرسل إليه مَلِكُها[٩] أن يبعث بها إليه، فسلَّمها ورجع

---

(١) في (ص): المضرة.

(٢) في (د): تمتد إليه.

(٣) في (ك): قال.

(٤) قوله: «فقال له» سقط من (د) و(ب).

(٥) في (ك) و(ب): تكون.

(٦) لطائف الإشارات: (٢/٥٠٩).

(٧) في (ك) و(ص): ربكم.

(٨) في (د): في مصر.

(٩) سقط من (ك)، وفي (ص): جبَّارها، وفي (ب): الملك.

إلى الله فيها، ونصب قَدَمَيْهِ يصلي، فغطَّ الكافر عنها ثلاث مرات، وقال للذي جاءه بها: «لم تأتني بإنسان، وإنما جئتني بشيطان»[١]، وصرفها وأخدمها هاجر، وكان قال لها[٢]: «إن سألك فقولي له: إنك أختي؛ فإنه ليس على الأرض مسلم غيري وغيرك»[٣]، ولو شاء لقال لها: قولي: إنَّك[٤] زوجتي[٥]، ولكنَّه عَدَلَ إلى الأخوَّة عن الزوجية لفائدتين عظيمتين، بيَّنَّاهما في «كتاب النَّيِّرَيْنِ في شرح الصحيحين».

وقد قال النبي ﷺ في بعض الروايات: «ثِنْتَيْنِ منها في ذات الله، قوله: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام:٧٧]، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء:٦٣]»[٦].

المرجع الخامس:

مبادرته إلى الامتثال بذَبْحِ[٧] ولده إسماعيل، واعجبوا لصبر إبراهيم على ذبح ولده، ولصبر إسماعيل لذبح نفسه، حتَّى لقد تكلم الناس في أَيِّ الصبرين كان أعظم؟ وأيِّ البلاءين كان أشد؟

فقيل: «بلاءُ إسماعيل أشد؛ لأنه جاءه الذبح من يد المُرَبِّي، والهلاك من سبب العيش، والإتلاف من طريق الإيجاد، فلمَّا جاءه الأمر من حيث

(١) سبق تخريجه.
(٢) في (ك) و(ص): وقال: إن سألك.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) سقط من (ك) و(ص) و(ب).
(٥) في (ك) و(ص) و(ب): زوجه.
(٦) سبق تخريجه، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٢٢٣/١٤-التركي).
(٧) في (ك) و(ص): لذبح.

لـم يحتـسب كـان بـلاؤه أشـد، وكانـت إنابته ورجوعـه عـن نفسه إلـى ربـه أعظم»[١].

وقيل: «بل بلاءُ إبراهيم كان أشد، ورجوعه إلى الله كان أعظـم؛ لأنـه كُلِّف أن يذبح/ ولدًا ربَّاه، ورجاءه في حياته ومماته، فابتُلِيَ بفَقْدِه، وأن يعيش من بَعْدِه»[٢]. ٢ [١٥٢/ب]

وقال إبراهيم: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾، وهذه غاية اللَّطافة، ثم عقَّبه بقوله: ﴿أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾، وهذه نهاية الغلظة، فكيف يجتمعان[٣]؟

المعنى: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾؛ على لُطْفِكَ في قلبي لا بد أن أُطيع فيك ربي، قال له ابنُه - وكان مثله -: ﴿ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ [الصافات:١٠٢].

قال العلماء: «اتخذ الله إبراهيم خليلًا؛ فكان قلبه كله له، فلمَّا وُلِدَ إسماعيل صار له من فؤاده جزءًا[٤]، فابتلاه الله بذبحه حتى تفرَّغ عن قلبه حبه[٥]، ويبقى لله صَفِيًّا[٦] في الحقيقة والجلالة[٧]، ويتمكَّن في التَّامُورِ والجُلْجُلَانِ[٨]، ولا يبقى لإسماعيل هنالك مكان، وحتى يكون حبُّ

---

(١) لطائف الإشارات: (٣/٢٣٩).
(٢) لطائف الإشارات: (٣/٢٣٩).
(٣) لطائف الإشارات: (٣/٢٣٩).
(٤) في (ك) و(ص): جزء.
(٥) في (ك) و(ص): يفرغ قلبه عن حبه، وفي ب: يفرغ عن حبه.
(٦) في (ب): صافيًا.
(٧) في (ك) و(ص): الخلالة.
(٨) التامور والتأمور، بهمز وبدونه، يطلق ويقصد به القلب نفسه، وحبَّته، وحياته، ودمه، وعُلْقَته، وكذلك الجُلجلان، تاج العروس: (١٠/٧٨).

إسماعيل عَوَّامًا على صفحة الفؤاد، خارجًا عن موضع الاعتماد والاعتداد؛ وهي السُّوَيداء التي تعرف بالسواد، وليست عَلَقة الدم التي هي حَظُّ الشيطان، ولكنها التي ينشأ الفؤاد عنها، وهي أدهم بقعة فيه وأخضرها».

فلَعَمْرُ إلهكم لقد كان كذلك، ولقد ظهر[١] من فراغ دخيل قلب إبراهيم من إسماعيل بحيث بادر إلى ذبحه واستهلاكه في أمر الله، ويرجع بعده إلى الله.

المرجع السَّادس:

بَدَنُه؛ أمر فيه بثلاثين خصلة، قد بيَّنَّاها مشروحة في «التفسير»[٢]، فانقلوها منه، واسردوها إن احتجتم إليها على الترتيب القانوني.

فرجع إبراهيم عن نفسه إلى ربه، ووفَّى بجميع ما ابتلي به وفيه[٣]؛ من صبوته إلى مَشِيخَتِه، دون ضلالٍ عن رُشْدٍ، ولا غفلةٍ عن ذِكْرٍ، ولا إسقاطٍ لحق، ولا إخلالٍ بقَدْرٍ.

فرأيتُ[٤] لبعض العارفين[٥] في ذلك كلامًا بديعًا، قال: «وفَّى بأربع؛ بمَالِهِ للضِّيفان، وبدنه للنِّيران، وولده للقُربان، وقلبه للرَّحمن».

وقد قال النبي[٦] ﷺ: «عشر من الفطرة»، فذكر المهم من خصال الفطرة، ولم يذكر في الصحيح باقيها، فربكم أعلم بها، والعَشْرُ[٧] هي ما

---

(١) في (د): طهر.

(٢) ينظر: أحكام القرآن: (٣/١١٨٤).

(٣) في (ك) و(ص): فيه وبه.

(٤) في (ك) و(ص): قرأت.

(٥) في (ب): الناس.

(٦) في (ص): مُحَمَّدٌ.

(٧) في (ك): العاشر.

خرَّج مُسْلِمٌ عن عائشة: «عشر من الفطرة؛ قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، والاستنشاق، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء»[١].

قال مصعب بن شيبة - راويه[٢] -: «ونسيتُ[٣] العاشرة، إلَّا أن تكون المضمضة»[٤]، ولم يروه غير هذا الناسي، وقد تكلَّموا فيه.

وقد قال الله تعالى لنا: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ﴾ [الروم:٣٠].

يعني: راجعين إليه بالاعتقاد والأقوال والأعمال.

٢ [١٥٣/أ]

وقال تعالى لنبيه ﷺ:/ ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان:١٤].

قال أهل الزهد: «المُنِيبُ هو الراجع إليه حقًّا، من غير أن تبقى له بقيَّة في نفس».

وكذلك كان النبي؛ فقد امتثله على الإطلاق، واهتدى بهديه وحقَّق الاقتداء بأبيه إبراهيم فيه، وبذلك مع ما زاد من فضل الله عليه سبقه ولسائر الأنبياء في المنزلة.

وقال لنا: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ [الزمر:٥١].

قال لنا أبو الفضائل بن طَوْقٍ: قال الأستاذ أبو القاسم القُشَيري: «الفرق بين التوبة والإنابة؛ أن التوبة هي الرجوع خوف العقوبة، والإنابة الرجوع حياءً من كَرَمِه»[٥].

---

(١) تخريجه في الذي بعده.

(٢) في (د): رواية.

(٣) في (ك) و(ص): نسيت.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، رقم: (٢٦١- عبد الباقي).

(٥) لطائف الإشارات: (٢٨٨/٣).

وقال: «التوبةُ الرجوع عن المعاصي والذنوب، والإنابة الرجوع بكل شيء».

ويحتمل أن يقال: التوبة الرجوع عن ذنب إلى طاعة، والإنابة الرجوع إليه من الرأيين.

فلَعَمْرُ إلهكم لقد فعلتْ ذلك هذه الأمة، فلذلك سبقت مع رسولها، وفي حُرمته سائر الأمم، فقال النبي ﷺ: «نحن الآخرون السَّابقون»[1]، وجاء من هذا أن «المُنِيبَ» هو «المُطِيعُ».

* * * * *

---

(١) سلف تخريجه.

المُطِيعُ[١]: وهو الاسمُ الثالث عشر ومائة[٢]

وهو اسمٌ عظيمٌ، انفرد به أهلُ السُّنَّةِ، ليس للمبتدعة - وخصوصًا القدرية - فيه حَظٌّ، وقد أحكمنا فيه الكلام - بفضل الله - في «المتوسط»[٣] و«التمحيص»، فلينظر فيها[٤] إن شاء الله.

وحقيقةُ الطاعة عندنا: هو الفعل الواقع على مقتضى الأمر والنهي.

وحقيقةُ الطاعة عندهم: وقوع الأمر على مقتضى المراد.

بناءً على أصلهم الفاسد وعَقْدِهم الحائد في أن الله لا يريد المعاصي ولا يُقَدِّرُها، وقد بيَّنَّا فساد ذلك في موضعه، فتعالى أن يكون في مُلْكِه ما لا يريد، ولو أن شيخ قرية يكون فيها ما لا يريد لنُسِبَ إلى العجز[٥] والوهن، فكيف[٦] يكون في مُلْكِ رَبِّ العالمين ما لا يريد؟

والطاعة عندنا أعمُّ من القُرْبَةِ؛ فإن النظر الأول يقع طاعة، ولا يصح أن يقع قربة للجهل بالمتقرَّب إليه، حسب ما بيَّنَّاه من قول العلماء، وأوضحناه في حقيقته في «كتب الأصول».

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): الثاني عشر والمائة، وفي (ص): الرابع ومائة، وفي (ب): الثالث والمائة.

(٣) المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٤٤٨-٤٤٩).

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): فيه.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): للعجز.

(٦) في (ك): وكيف.

وقالت الصوفية: «إن الطاعة موافقة المحبوب على ما يحب[1]».

وهذا لا يصح؛ فإن موافقة المحبوب على ما يريد أوقع، ولكنه لا يصح أن تُعَلَّقَ به الطاعة.

وهذه كلها أقوال غير محققة؛

أمَّا مِن المبتدعة فقَصْدُ الفتنة وإضلال الخلق؛

٢ وأمَّا من الصوفية فمُسَامَحَةٌ في الألفاظ من غير فساد عقيدة، [١٥٣/ب] والحقائق/ لا تحتمل مسامحة الألفاظ.

قال الإمام الحافظ[2]: وحيثما وقعت الطاعة في القرآن فإن المراد بها ما قدَّمناه آنِفًا في حقيقتها؛ وهي موافقة الفعل للقول المتوجه عليه، وكذلك هو في كتاب الله وفي حديث رسول الله، إلَّا أن المبتدعة تحيَّلُوا[3] فخَيَّلُوا على الضعفاء في أن الأمر هو الإرادة، فلم يتم لهم ذلك إلَّا على ضعيف.

وقد قال الله مُخْبِرًا عنَّا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة:٢٨٤]، فمن قالها فله ما قال في الحديث: «نَعَمْ نَعَمْ، نَعَمْ نَعَمْ»، فأُعْطُوا الإجابة في الخصال الأربعة لمَّا قالوا فيها[4]: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾.

---

(١) في (د): يجب.

(٢) في (ك) و(ب): الإمام الحافظ رضي الله عنه، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه.

(٣) في (ص): تخيلوا.

(٤) سقطت من (ك).

وجعل طاعة رسوله من طاعته فقال: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾[١] [آل عمران:٣٢]، وجعل النبي طاعة أميره من طاعته فقال: «من أطاع أميري فقد أطاعني، ومن أطاعني فقد أطاع الله»[٢]، وقد تقدَّم بيانُ ذلك كله في اسم «الأمير[٣]»[٤].

ونصَّ في موضع آخر فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء:٥٨].

فقال الناس: هم الأمراء[٥].

وقال قوم: هم العلماء[٦].

وإنَّما أوقع الناسَ في هذا أنهم رَأَوُا الأمراء جُهَّالًا، والحَقُّ ألَّا يكون العامل إلَّا عالمًا، إلَّا لضرورة وحاجة تدعو إلى ذلك.

وتلزم طاعة الأمير فيما أَمَرَ وحَكَمَ، وطاعةُ العالم فيما أفتى وأخبر، وكلَّما تأكَّد الأمر تأكَّد الأمر[٧] فيه بالطاعة، ألا ترى أنَّ الخمر لما قيل فيها: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة:٩٣]، وهذا وعيد عظيم، فَهِمَه عُمَرُ وأمثاله، ثم

---

(١) في (د): ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾، وفي (ص): ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾، وفي (ب): ﴿أطيعوا الله والرسول﴾.

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) في (د): الأمراء.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): والخليفة، وضرب عليه في (د).

(٥) تفسير الطبري: (٨/٤٩٧-شاكر).

(٦) تفسير الطبري: (٨/٥٠٠-شاكر).

(٧) قوله: «تأكد الأمر» ضرب عليها في (د)، ظنَّها مكررة.

أكـدَّه فقـال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ﴾ [المائدة:٩٤]، فمـن انصرف عن الطاعة وتمادى على المخالفة لم يلحق للرسول من ذلك وَصْمٌ؛ لأنه قد أدَّى ما عليه.

وفي البخاري عن أبي هريرة: قال النبي: «كل أمتي يدخل الجنة إلَّا من أبى، قالوا: ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة»(١).

والطاعة موجودة صورة في كل مخلوق، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلَٰلُهُم﴾ [الرعد:١٦]، واختلف الناسُ في هذه الطواعية؛ هل هي مقرونة بإرادة، أم هي عبارة عن تصورها بالفعل المأمور به؟ وقد بيَّنَّا حقيقة ذلك في «المشكلين» و«التفسير» وغيره.

وقد ذَمَّ الله من سمع فلم يُطع، وعصى ولم يمتثل، فقال: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي ٱلدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ [النساء:٤٥]، وهذا يدخل/ فيه كُلُّ من ترك الطاعة وخالف الشريعة. [٣/١٥٤/أ]

[التحذيرُ من روايةِ الإسرائيليات]:

وقال لنا: ﴿إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:١٠٠]، وهذه آية عظيمة، مُنَبِّهَةٌ من الشريعة على منزلة كريمة، وقد تركها قوم فقبلوا من أهل الكتاب وأطاعوهم ورَوَوا عنهم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، رقم: (٧٢٨٠-طوق).

ما لا يجوز على الله، ولا يصح في دين الله، كقولهم: «إن الله كلَّم موسى بكل لسان، وأنه كلَّمه بالبربرية، وسمَّى له نفسه بها»[١]، وهذا كذب بواح[٢]، وكُفر صُراح، الباري كلَّم موسى دون واسطة، وليس لكلامه كيفية؛ لا عربية، ولا عجمية، ولا مِثْلَ لذاته، ولا لصفاته، ولا لكلامه، فكَفروا من حيث لا يشعرون، وباؤوا بغضب على غضب من حيث لا يعلمون.

أمَّا ربنا فأَسْمَعَ موسى كلامه الذي ليس له كيفية، على الوجه الذي بيَّنَّاه في «كتب الأصول»[٣].

وأمَّا ما أَنْزَلَ عليه وكَتبه له من التوراة وفي الألواح من قولهم: «يوشاف»[٤]؛ فإنما كتبه له[٥] بالعبرانية؛ «هبرثى أُوثُوا هِفْرَيْثى أوثوا هُوَّذْ لِأَذُو نَاْي»، وشِبهه من قولهم: «يوشاف أَذُونَايْ يَانَ أَحَارْ»، فيما ذَكَرَ له من الفضلاء، وسمَّى[٦] له من الأنبياء.

[جوازُ التكلم بغير اللسان العربي]:

وقد تكلَّم النبي بالعبرانية فقال[٧]: «بَالَام[٨]»، وتكلَّم بالفارسية فقال

(١) تفسير الطبري: (٩/٤٠٦-شاكر).

(٢) في (د): براح.

(٣) المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٢١٨-٢٢١).

(٤) قوله: «من قولهم: يوشاف» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٥) سقط من (د).

(٦) في (د): قد سمى.

(٧) في (ك): وقال.

(٨) في (ك): يالاو، وفي (ب): يَالَا.

لسلمان: «اشكفه دَرْد[١]» ، وتكلَّم بالاصطلاحية[٢] مع العجم من الصبيان وأمثالهم من البهائم ، فقال للحسن: «كَخْ كَخْ»[٣] ؛ يأمره[٤] بطرح التمرة الصَّدَقِيَّة مِن فِيهِ ، كما يُحَذَّرُ الصبيان ، وكما يقال للدابة: «بَسْ بَسْ[٥]» ، و«حَلْ حَلْ[٦]» للعِجل ، و«أَرْ أَرْ[٧]» .

وقال البخاري[٨]: «بابُ ما يجوز من الكلام بالفارسية»[٩] .

وذكر بعضُ أصحابنا أنه لا يجوز التكلم بالعجمية ، وزاد آخرون فقالوا: «إنَّ من فعل ذلك أَثِمَ» .

وتحقيق القول فيه أنَّ لكل أمة لسانهم ، كذلك أُنزلت عليهم الكتب ، وأرسلت عليهم الرسل ، فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ اِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم:٥] ، ولو أنَّ الله يكلم أحدًا بكل لسان لكان مُحَمَّدٌ ﷺ بذلك أولى ؛ لعظيم منزلته على الخلق ، لكن إذا كان الناس في جماعة وكلهم من صِنْفٍ واحد فليتكلَّموا بلسان واحد ، وإن كانوا صِنْفَيْنِ فليتكلَّم العربي بعربيَّته ، فإن كان فيهم أعجميون لا يعلمون غير لسانهم فلهم أن يتكلموا به ، فإن

---

(١) في (ك): اشْكَمْبِ ، وفي (ب): اشكندرد .

(٢) في (ص): الاصطلامية .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الجهاد والسير ، باب من تكلم بالفارسية والرطانة ، رقم: (٣٠٧٢-طوق) .

(٤) في (ك) و(ص): فأمره .

(٥) فوقها في (د): زَجْر .

(٦) فوقها في (د): قُمْ .

(٧) فوقها في (د): امش .

(٨) بعده في (ك): في .

(٩) الجامع الصحيح: (٥/٧٣-طوق) .

علموا العربية فلا يتكلَّموا بحضرة العرب إلَّا بلسانها؛ لأنَّهم إن خرجوا إلى لسانهم كان من باب المناجاة المنهي/ عنها، ولا ينعكس هذا في العرب، لأنَّ لسانهم الأصل في الشريعة، والفَرْعُ يُرَدُّ إلى أصله. ٢ [١٥٤/ب]

وقد روى مالك في «الموطأ»: «أن عمر رأى بيد كَعْبٍ مُصْحَفًا قد تَشَرَّمَتْ حواشيه، فقال له: ما هذا؟ قال له كعب: التوراة، فقال له عمر: إن كنت تعلم أنها التوراة التي أُنزلت على موسى يوم طُورِ سيناء فاقرأها»[١].

وهذا نهيٌ عنها له، وتحذيرٌ من التعلق بما لا أصل له.

[من شروط رواية الإسرائيليات]:

ولا ينبغي أن يُحكى عنهم إلَّا ما يشهد القرآن بصحته، فإذا قالوا هم أمرًا جائزًا لم يكن له عندنا أصل لم نُصدِّقهم ولم نكذبهم، وإن قالوا ما يَرُدُّه العقل رددناه عليهم، ولم يَحِلَّ لنا أن نسمعه، فكيف أن نرويه؟

[من شروط الطاعة]:

ولا تتحقَّق الطاعة للعبد إلَّا إذا كان دائرًا مع الأوامر والمندوبات، والنواهي والمكروهات، ومع الذكرى دون الغفلات، والحذر من المعاقبات، ففي الصحيح - واللفظ للبخاري -: قال العلاء بن المسيب: «لقيت البراء، فقلت: طوبى لك؛ لقيتَ رسول الله، وبايعته تحت الشجرة، قال: يا[٢] ابن أخي، إنك لا تدري ما أحدثنا بعده»[٣].

---

(١) تقدَّم تخريجه في السِّفْرِ الأوَّل.

(٢) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، رقم: (٤١٧٠-طوق).

وإلَّا فبذلك المقدار ينقص من طاعته، وإلى هذا المعنى وقعت الإشارة وعنه كانت العبارة بالحديث الصحيح: «بايعتُ رسول الله على السمع والطاعة، والنصح لكل مسلم»(١).

وقال ﷺ: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»(٢).

وفي الحديث الصحيح: «الطاعة في المعروف»(٣).

وطاعة الأب متعينة كِبرِّه، وطاعة المتعلم لمُعَلِّمِه، وطاعة الصغير للكبير في تصريفه، وفي كل واحد خَبَرٌ وسُنَّةٌ، بيانُها في «أنوار الفجر».

نكتة:

قال الإمام الحافظ رضي الله عنه(٤): كل آية فيها ذِكْرُ السمع والطاعة مُعَقَّبَةً(٥) بقوله: ﴿مَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلاَّ ٱلْبَلَٰغُ﴾ [المائدة:١٠١]، فإن الأمر بالسمع والطاعة مُحْكَمٌ، وقوله: ﴿مَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلاَّ ٱلْبَلَٰغُ﴾ منسوخ.

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن عن جرير رضي الله عنه: كتاب الأدب، بابٌ في النصيحة، رقم: (٤٩٤٥ -شعيب).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما: كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، رقم: (٧١٤٤-طوق).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن علي رضي الله عنه: كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام، رقم: (٧٢٥٧-طوق).

(٤) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ب): قال الإمام.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): معقبًا.

مغالطة:

وقد غالط بعضُ الناس بأن قال: «إن الطاعة إنما هي موافقة المحبوب»، كما قدَّمنا، قالوا: وفي الحديث الصحيح: إن النبي قال: «المرء مع من أحب»[١]، ولا يطاع إلا المحبوب، ولا يحب إلَّا المطاع. ٢

قلنا: قد[٢] بيَّنَّا فيما سلف أنَّ محبة الله فرض، وبيَّنَّا معنى/ محبَّته، [١٥٥/أ] وكما أن محبته فرضٌ فطاعته فرضٌ، وليس أحدُ الفَرْضَيْنِ مُوجِبًا للآخر، وإنما فَرَضَ[٣] الله كل واحد منهما، وإن وجد الإنسانُ في نفسه طاعةَ المحب وحُبَّ المطاع فإنما ذلك لما له فيها من الأغراض الدنياوية، ويتوكَّف[٤] عليها من الأعواض[٥]، وتقاضي الآمال، وانكفاف الأذى، وطاعةُ الله إنما مُتَعَلَّقُها الأمر والنهي، والثواب والعقاب؛ إقْدَامًا وكَفًّا، وقد سبق تحقيقُ ذلك كله.

[بعضُ معاني الودود]:

أَمَا إنَّ الناس قد تكلَّموا في اسم «الودود»، وذكروا - كما بيَّنَّا في «الأمد الأقصى»[٦]- أنه قد يكون ودود بمعنى أنه يَوَدُّ غيره، ويكون بمعنى أنه يودُّه غيرُه، وإن الباري سبحانه لودود ومودود[٧]، ولكنْ لأهل ولايته،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سقط من (ك).

(٣) في (د): فرضه لله.

(٤) في (ب): يتركب.

(٥) في (ب): الأغراض.

(٦) الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (١٠١/٢).

(٧) في (ك) و(ص): مودود.

وأرباب طاعته، وأصحاب خِدمته، وقد يكون «الودود» من أسماء العبد، وهو الاسم الذي تقدَّم بيانه، وتمامه هاهنا، ويكون معناه: أنه يَوَدُّ الله ورسوله وأصحابه، والعلماء والأخيار، والخير كله في الدنيا والآخرة.

والعَبْدُ لا يَوَدُّ في الدنيا إلا العافية، دخل النبي على مريض يعوده وهو مثل الفرخ، فقال له: «ما كنت تقول؟ قال: كنت أقول: اللهم ما كنت مُعَاقِبِي به في الآخرة فعَجِّلْه لي في الدنيا، قال: إنك لن تطيقه، قل: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٩٩]»[١]، فتكون حسنة الدنيا في هذه الآية: العافية.

قال القاضي أبو بكر[٢]: وقد تكلَّمنا عليها في صدر الكتاب؛ في اسم «الحاجّ»[٣].

وقد يدخل «الودود» مدخل «المتمني»، في الترمذي: قال النبي ﷺ: «يودُّ أهل العافية في القيامة حين يُعْطَى أهلُ البلاء الثوابَ لو أن جلودهم كانت قُرِضَتْ في الدنيا بالمقاريض»[٤].

وفي مقابلة قوله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر:٢]، إذا رأى المشركون أن المسلمين قد دخلوا الجنة وقد غفر لهم، وَدُّوا لو كانوا مسلمين، فيسألون الرَّجْعَةَ ليستدركوا العمل، فلا

---

(١) سبق تخريجه في السِّفْرِ الثاني.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): قال.

(٣) في السِّفْرِ الثاني.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه عن جابر رضي الله عنه: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٢٤٠٢-بشار)، وضعَّفه.

يُرَاجَعُونَ، فينكرون أنهم كانوا مشركين، فتنطق الجوارح شاهدةً عليهم، فيسقط ما بأيديهم.

قال أهل التفسير: «كلمة ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ﴾ للتقليل، وهي هاهنا للتكثير»[١].

وهذا كلام/ من لم يفهم القرآن[٢]، بل هي على بابها للتقليل، [١٥٥/ب] والمراد بذلك: أن وُدَّهم يكون مرة واحدة في ساعة واحدة، وآمالُهم ووُدُّهم كان مرارًا في أزمنة متعددة، فـ«ربَّما» على بابها، والحمد لله.

[مَوَدَّةُ قرابة رسول الله ﷺ]:

ولا يكون العبدُ وَدُودًا حتى يَوَدَّ قرابة رسول الله؛ فإن ذلك أجرُه في تبليغ الرسالة، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ من مال الدنيا، ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى:٢١]، والناس في تأويل ذلك على أربعة أقوال:

أحدها: ألا تؤذوني في نفسي لقرابتي منكم[٣].

الثاني: أن تَوَدُّوا قرابتي[٤].

الثالث: أن تَوَدُّوا الطاعة التي يُتقرَّب بها إلى الله[٥].

الرابع: ألَّا تؤذوا قرابتكم وتقطعوا أرحامكم[٦].

---

(١) معاني القرآن للزجَّاج: (١٧٣/٣)، وأبطله بمثل ما أبطله به ابن العربي هنا.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): القول، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

(٣) تفسير الطبري: (٤٩٥/٢٠-التركي)، وفيه: تودوني.

(٤) تفسير الطبري: (٤٩٩/٢٠-التركي).

(٥) تفسير الطبري: (٥٠٠/٢٠-التركي).

(٦) تفسير الطبري: (٥٠١/٢٠-التركي).

والذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس: قال طاوس: «سئل ابن عباس عن قوله: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، فقال سعيد: قُرْبَى آل محمد، فقال ابن عباس: أُعْجِلْتَ؛ إن رسول الله لم يكن بَطْنٌ من قريش إلَّا له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تَصِلُوا ما بيني وبينكم من القرابة»[١].

والذي تقتضيه الآية بظاهرها أن الله لا يطلب من العباد أجرًا؛ لأنه يتقدَّس عن ذلك[٢]، وقال[٣] لرسول الله تشريفًا له[٤]: لا تطلب عليه أجرًا لأنك شفيع وكريم، فلا تأخذ عليه عِوَضًا، فذلك تمامُ الشرف والكرم الذي بلَّغناك إليه، إلَّا أنَّ عليكم أن تَوَدُّوا قرابتي فَرْضًا مُتَعَيِّنًا، فالخطابُ يتناول جميع الأمم، فحَظُّ آل هاشم يختصُّ بقريش، وحظُّ قريش يختص بالعرب، وحظ العرب يختص بالأمم، وهذا نفيس لمن تأمَّله، لم أُسبق إليه، ولم أُزْحَمْ عليه، والله ينفع به.

قال النبي ﷺ: «اللهم أَذَقْتَ أَوَّلَ قريش نَكَالًا، فأذق آخِرَهم نَوَالًا»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، ﴿حم عسق﴾، رقم: (٤٨١٨- طوق).

(٢) قوله: «عن ذلك» سقط من (ك) و(ب).

(٣) في (ك): قالوا.

(٤) قوله: «تشريفًا له» سقط من (ك).

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه عن ابن عباس رضي الله عنهما: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب في فضل الأنصار وقريش، رقم: (٣٩٠٨-بشار).

ورُوِي عن النبي أنه قال: «الناس تَبَعٌ لقريش؛ مُسْلِمُهُم تَبَعٌ لمُسْلِمِهِمْ، وكافرُهم تَبَعٌ لكافرهم»[١].

وفي الصحيح - أيضًا -: أنَّ معاوية قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن هذا الأمر في قريش؛ لا يعاديهم أحدٌ إلا كبَّه الله على وجهه، ما أقاموا الدين»[٢].

وفيه -أيضًا-: «قريش والأنصار وجُهَينة ومُزَينة وأَسْلَم وأَشْجَع وغِفار موالي، ليس لهم مولى دون الله ودون رسوله»[٣].

ورُوي عنه أنه قال: «إنَّ[٤] سَامَ أبو العرب، ويافثَ أبو الروم، وحامَ أبو الحبشة»[٥].

٢ [١٥٦/أ] ورُوي أن النبي/ قال لسلمان: «لا تبغضني فتفارق دينك، قلت: يا رسول الله، كيف أبغضك وبك هدانا الله؟ قال: تبغض العرب فتبغضني»[٦]، وهو حديث حسن، صحيح المعنى.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، رقم: (١٨١٨-عبد الباقي).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأحكام، باب الأمراء من قريش، رقم: (٧١٣٩-طوق).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل غفار وأسلم وجُهَينة، رقم: (٢٥٢٠-عبد الباقي).

(٤) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه عن سمرة بن جندب رضي الله عنه: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب في فضل العرب، رقم: (٣٩٣١-بشار)، وحسَّنه.

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب في فضل العرب، رقم: (٣٩٢٧-بشار)، وفيه انقطاع.

وقال النبي ﷺ - في الصحيح -: «إن الصدقة لا تحل لآل مُحَمَّدٍ، إنَّما هي أوساخ الناس»[١].

وفي الصحيح: «الأئمة من قريش»[٢].

وهي دعوة إبراهيم صلَّى الله عليه[٣] في قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيٓ﴾ [البقرة:١٢٣].

[مَوَدَّةُ أصحاب رسول الله]:

ولا يكون وَدُودًا حتى يَوَدَّ أصحاب مُحَمَّدٍ، وقد بيَّنَّا فَضْلَهم، وقد قال الله مُعَلِّمًا لنا: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠]، فمن كان له في قلب أحد منهم غِلٌّ فلا حَظَّ له في الفيء، كما قال مالك[٤].

وقال النبي ﷺ: «لن تمسَّ النارُ أحدًا رآني»[٥]، خرَّجه الترمذي.

[قولُه تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾]

وقد قال الله: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة:٢٦٤] الآية، فيها ثلاثةُ أقوال:

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما: كتاب الأحكام، باب الأمراء من قريش، رقم: (٧١٤٠-طوق).

(٣) في (ب): صلوات الله عليه.

(٤) تقدَّم تخريجه.

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل من رأى النبي ﷺ وصحبه، رقم: (٣٨٥٨-بشار).

الأوَّل: أنه مَثَلٌ للمرائي في النفقة؛ ينقطع عنه نفعها أحوج ما كان إليها[١].

الثاني: أنه مَثَلُ المُفَرِّطِ في طاعة الله بملاذِّ الدنيا[٢].

الثالث: أنه مَثَلُ الذي يختم عمله بالمعصية[٣].

وهو الذي عليه المعوَّل.

في الصحيح عن ابن أبي مُلَيكة عن ابن عباس: «أن عمر قال يومًا لأصحاب النبي ﷺ: فيما ترون هذه الآية أنزلت؛ ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾، قالوا: الله أعلم، فغضب عمر وقال: قولوا: نعلم، أو لا نعلم، فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، قال عمر: يا ابن أخي، قُلْ ولا تحقرنَّ ما في نفسك، قال ابن عباس: ضُرِبَ مَثَلًا لعَمَلٍ، قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: لعمل، قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله، ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله»[٤].

قال الإمام الحافظ رضي الله عنه[٥]: ومسألةٌ دارت بين عمر وابن عباس لم يبق لأحد فيها كلام.

ومع هذا التَّوَدُّدِ يكون «صَفِيًّا».

---

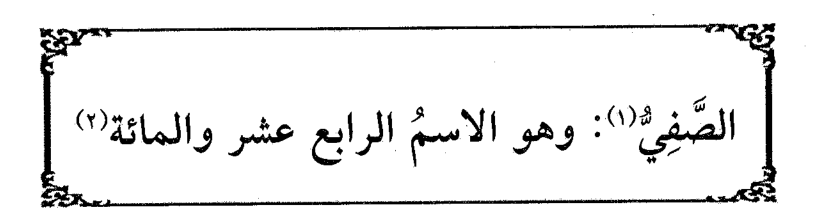
(١) تفسير الطبري: (٥/٥٤٤-شاكر).

(٢) تفسير الطبري: (٥/٥٤٧-شاكر).

(٣) تفسير الطبري: (٥/٥٤٥-شاكر).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة﴾، رقم: (٤٥٣٨-طوق).

(٥) في (ص): قال الإمام رضي الله عنه.



الصَّفِيُّ(١): وهو الاسمُ الرابع عشر والمائة(٢)

ويتداخل مع غيره، وربَّما توارد معه عليه إذا تتبَّعت معانيه.

والصافي: هو الماء الذي لم يخالطه شيء، فبقيت عليه أوصافه على هيئتها؛ لونه، وطعمه، وريحه، ومن ذلك سُمِّيَ المصطفى.

٢ [١٥٦/ب]

وقيل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾، كما/ تقدَّم، ﴿وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾ [آل عمران:٣٣]، كما وصفنا، وختم الصَّفْوَةَ بخيرها وأطيبها؛ مُحَمَّدٍ ﷺ(٣).

[ذِكْرُ الصوفية]:

وبذلك سَمَّتِ(٤) الصوفيةُ أنفسَهم(٥)؛ يريدون أنهم صَفَوا لله وخَلَصُوا له، ولم يعبدوا غيره؛ لا عقيدة، ولا كلامًا، ولا استعمالاً.

وبتصفية المطعم والمشرب والملبس يكون التصوف، ويحصل المقصد، وبنَبْذِ الدنيا يَبْلُغُ المراد.

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): الثالث عشر، وفي (ص): الخامس ومائة، وفي (ب): الرابع ومائة.

(٣) في (ك): صلى الله عليهم.

(٤) في (د): سُمِّيَت.

(٥) في (ك) و(ص): سُمِّيَتِ الصوفية.

ومن الحديث المشهور: «مَثَلُ الدنيا مَثَلُ ثَغْبٍ؛ شُرِبَ صَفْوُه وبَقِيَ كَدَرُه»(١).

وإن من خطبة عتبة بن مروان(٢): «إن الدنيا قد ولَّت حذَّاء، ولم يبق منها إلَّا صُبابة كصُبابة الإناء».

والثَّغْبُ: موضع مطمئن في الجبل، يَستنقع فيه الماء.

وبتَرْكِ اللذات يبلغ المراد أيضًا(٣)، فقد روي أن عمر أُتِي بشربة من عَسَلٍ فلم يشربها، وقال: «أخاف أن تذهب لذتها وأُسأل عنها»(٤).

وبذلك يكون «وَرِعًا»، وهو الاسم الذي تقدَّم بيانُه(٥)، وقد أشرنا إليه، وهذا تمامه.

[حقيقةُ الورع]:

وحقيقته: الكَفُّ؛ فتكفُّ عن الحرام؛ وهو وَرَعُ الناس، وعن الشُّبهة؛ وهو وَرَعُ المريدين، وعن الشَّهوة؛ وهو وَرَعُ المتقين(٦).

وقال أهل الظاهر سن الفقهاء: «الكَفُّ عن الشبهة وَرَعُ المتقين»؛ لما رُوي: «أنه لا يبلغ العبدُ درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به حَذَرًا ممَّا به البأس»(٧)، خرَّجه الترمذي، وقال: «حسن».

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف عن ابن مسعود موقوفًا: كتاب الجامع، باب أشراط الساعة، (٣٨٤/١١)، رقم: (٢٠٨٠٩).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): فرقد، وضبَّب عليه في (د)، والمثبت من طرته.

(٣) سقط من (د) و(ب).

(٤) الزهد للإمام أحمد: (ص١٤٩).

(٥) سبق ذِكْرُه في السِّفْرِ الثالث.

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): وهو الورع.

(٧) أخرجه الترمذي في جامعه عن عطية السعدي ﵁: أبواب صفة القيامة =

ويختص في العُرْفِ[1]: العفة[2] بصيانة الفرج، والورع بصيانة الفم؛ فيجتنب الحرام والشبهة، ويجتنب آفات اللسان العشرين[3]، ويلتزم الصدق فلا ينطق إلَّا بالحق والعلم.

[ذِكْرُ ما يدخل في الورع من الأعمال والأحوال]:

وإذا أَشْرَفَ على طمع فقَدَرَ عليه فتركه فهو «الوَرَعُ»، قال يحيى بن أبي كثير: وروى صهيب عن أبيه قال[4]: «كان[5] يقال[6]: لا يعجبنكم صيام امرئ ولا قيامه حتى تنظروا إلى ورعه، فإن كان وَرِعًا مع ما رزقه الله من العبادة فهو عبد الله حقًّا»[7].

ومن الوَرَع ألَّا يضع لَبِنَةً على لَبِنَةٍ؛ فإن العبد المؤمن يؤجر في كل شيء يُنفقه من المباحات، إلَّا فيما يضعه في التراب، يعني: إذا خَرَجَ عن حَدِّ الحاجة.

ومن الورع ألَّا يَصُبَّ فَضْلَةَ الوَضوء في الأرض، روى أبو عُبَيد عن النبي: «أنه توضَّأ وفَضَلَتْ فَضْلَةٌ، فأمر بردِّها إلى النهر، وقال: يُنتفع بها»[8]، ولم يأذن في إراقتها.

= والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٢٤٥١-بشار)، وقد ذكر قبلُ في آخر اسم «المتقي» أنه حديث باطل، وهنا يذكر تحسينه!؟ والله أعلم.

(١) في (د): الغرف.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): العف.

(٣) ينظر: قانون التأويل: (ص٣٨٣).

(٤) في (ك) و(ص): أنه.

(٥) سقط من (ب).

(٦) في (ك): قال.

(٧) حلية الأولياء: (٦/١٠٤).

(٨) أخرجه أبو عُبَيْدٍ في الطهور عن أبي الدرداء رضي الله عنه: باب تقليل الماء في =

ومن الوَرَعِ عند قَوْمٍ ألَّا يدهن رأسه حتى يشعث، ولا يغسل[١] ثوبه حتى يتَّسخ، فأمَّا لباس الثوب حتى يتسخ فسُنَّةٌ، وأمَّا ترك الرأس حتَّى يشعث[٢] فلا أراه سنة، وما أراهم أخذوا/ هذا إلَّا من حديث العباس بن سالم اللخمي، قال: «بَعَثَ عمر بن عبد العزيز إلى أبي سلام الحبشي؛ فحُمل إليه على البريد[٣] ليسأله عن الحوض، فقُدِمَ به عليه[٤] فسأله، فقال له: سمعت ثوبان يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن حوضي من عدن إلى عُمان البلقاء، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وأَكَاوِيبُه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ أبدًا، أوَّلُ الناس ورودًا عليه فقراء المهاجرين، فقال عمر بن الخطاب: من هم يا رسول الله؟ قال: هم الشُّعْثُ رؤوسًا، الدُّنْسُ ثيابًا، الذين لا ينكحون المُتَنَعِّمَاتِ، ولا تفتح لهم أبواب السُّدَدِ، قال عمر بن عبد العزيز: لقد نكحتُ المتنعمات؛ فاطمة بنت عبد الملك، وفُتِحت لي السدد، إلَّا أن يرحمني الله، لا جرم لا أدهن رأسي حتى يشعث، ولا أغسل ثوبي الذي على جسمي حتى يتَّسخ»[٥].

٢ [١٥٧/أ]

= الوضوء وما يستحب من ذلك، (ص١٩١)، قال أبو حاتم (العلل: ١/٦٠٠): «حبيب عن أبي الدرداء مرسل»، فهو عنده إسناد منقطع؛ لأن حبيبًا لم يدرك أبا الدرداء.

(١) قوله: «ولا يغسل» سقط من (ك) و(ب).

(٢) قوله: «حتى يشعث» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٣) قوله: «على البريد» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٤) في (ص): عليه به.

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب صفة الجنة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في صفة أواني الحوض، رقم: (٢٤٤٤-بشار)، وضعَّفه.

قال الإمام الحافظ رضي الله عنه[١]: وهؤلاء الفقراء من المهاجرين كانوا أهل حاجة، فأمَّا من قَدَرَ فينبغي أن يكون نظيف الهيئة، حسن الشارة؛ فإن الحديث الحسن قد ورد بأن الله طَيِّبٌ يحب الطيب، نظيف يحب النظافة[٢].

وفي حديث جبريل إذ دخل إلى[٣] النبي بحضرة الخلق، «حسن الهيئة، حسن الثياب، ليس عليه سحناءُ السفر، ولا يعرفه منَّا أحد»[٤].

وعلى العبد أن يختصر في ملبسه، ويكثر من طِيبه، وقد رُوِيَ - من الورع -: «أن عمر بن الخطاب كان إذا قسَّم الطيب أمسك على أنفه، ولا يُسْهِمُ منه لزوجه»[٥].

ورُوِيَ عن عمر[٦] - التَّالِي له في الاسم والولاية والدِّينِ -: «أنه أُتِي بطِيبٍ يُصنع للخلفاء من بيت المال، فأمسك على أنفه، وقال: إنما يُنتفع برِيحِه»[٧].

ومن الورع: أنْ كَتَبَ عاملُ الكوفة إلى عمر بن عبد العزيز يقول له: «إنَّ رَدَّ الظُّلامات وإعطاء اليتامى والمساكين قد أخلى بيت المال، فكتب إليه: امض لما أنت بسبيله، فإذا فرغ فاملأه سِرْقِينًا[٨]».

---

(١) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ب): قال الإمام.

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) في (ك): على.

(٤) تقدَّم تخريجه.

(٥) الزهد للإمام أحمد: (ص١٤٨).

(٦) يريد: الإمام والخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

(٧) قوت القلوب: (١٦٩٨/٣).

(٨) السرقين - ويقال: السِّرجين -: الزِّبْلُ، تاج العروس: (١٨٢/٣٥).

ومن الورع[١]: أن يكره طول السَّلامة، قال الحسن: «كان الرجل من المسلمين إذا طالت سلامته أحب أن يؤخذ منه، يذكَّر به المعاد، ويكفَّر به السيئات».

وفي البخاري عن أبي هريرة: قال النبي: «من يرد الله به خيرًا يُصِبْ منه»[٢].

ومن الورع: ألَّا يُحَدِّثَ بعمله السِّرِّي، قال الأحموشي العابد - واسمه عامر بن جشيب[٣]؛ من التابعين -: «إن العبد ليعمل العمل سِرًّا ما يطلع عليه/ أحد، فيطلبه إبليس ثلاثين سنة، فإن أدركه وإلَّا تركه، يقول له: حَدِّثْ بعملك؛ فإنه قد رُفع إلى الله، وليس بناقصك شيء[٤]، فإن حَدَّثَ به مُحِيَ عنه أجر السر، وحُفِطَ[٥] عليه أجر العلانية، ثم يراوده[٦] سنة، يقول: قد تحدث به، ليس بناقصك شيء[٧] سنة[٨]، فإن حدَّث به مُحِيَ عنه أجر العلانية وكُتِبَ عليه الرياء». ٢ [١٥٨/أ]

ومن الورع: ما روي عن النبي أنه مرَّ بتمرة، وقال: «لولا أن أخشى أن تكون من الصدقة لأكلتها»[٩].

---

(١) في (د): ومن الورع أن الورع.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) في (ك) و(ص): حشيب، وفي (ب): خشيب.
(٤) قوله: «فإن أدركه وإلَّا تركه، يقول له: حدث بعملك؛ فإنه قد رُفع إلى الله، وليس بناقصك شيء» سقط من (ك).
(٥) في (ك) و(ص) و(ب): حط.
(٦) في (ك) و(ص): يراود.
(٧) في (د) و(ب) و(ص): شيئًا.
(٨) في (ص): منه، وسقط من (ب).
(٩) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس ﵁: كتاب اللقطة، باب إذا وجد تمرة في الطريق، رقم: (٢٤٣١-طوق).

قال علماؤنا: معناه: «أنه وجدها في جُوخان[١] التمر وطريقه[٢]، ولم يكن قربها جوخان، ولا كان لها طريق لم يكن فيه تقاة».

وقال آخرون: «هذا مقدار من الورع يختص بالنبي، ولو كان غيره لكان تَكَلُّفًا».

ونظامُ الأمر وعَقْدُه أن كل أمر لا تجده في صحيفة حسناتك، أو تُسأل عنه كيف أتيته، أو يحتمل وجهًا خارجًا عن البر؛ فتَرْكُه هو الوَرَعُ، والله أعلم.

وبهذه الصفة يكون الرجل «حَيًّا».

* * * * *

---

(١) الجُوخان: الموضع الذي يجمع فيه التمر.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): طريقها.

الحَيُّ[١]: وهو الاسمُ الخامس عشر والمائة[٢]

قال الله سبحانه: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [الروم:١٨]؛ المؤمن من الكافر، والمطيع من العاصي، والعالم من الجاهل، والخَيِّر من الشِّرِّير، وذلك كثير[٣]، وعَيْشُه مِثْلُه، فرَكِّبْهُ عليه.

وهذه الآية وإن كان فيها خَمْسُ تأويلات للمفسرين وللمُتَزَهِّدِين خمسة[٤]؛ فإنها بتأويل المتزهدين أقوى، يشهد له قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُوراً يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام:١٢٣]، فأخبر هاهنا باسم «الميت» عن الكافر، وباسم «الحي» عن المؤمن.

ومن المعاصي ما يكون به مَيِّتًا؛ وهو الكفر[٥].

ومنها[٦]: ما يكون به مَذْبُولًا؛ وهي الكبائر.

ومنها: ما يكون به مريضًا؛ وهي الصغائر.

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): الرابع عشر، وفي (ص): السادس ومائة، وفي (ب): الخامس ومائة.

(٣) في (ك): كثيره، وفي (ص): كبته.

(٤) ينظر: لطائف الإشارات: (٣/١١٢).

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): الكافر.

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): «منه»، وكذلك هي فيما بعده.

ومنها: ما يكون به لَقِسًا كسلان؛ وهي الغفلات.

والعرب تُسَمِّي كل متعذر الأمل مَيِّتًا[1]، كما قال الحكيم[2]:

ليس من مات فاستراح بمَيْتٍ   إنما المَيْتُ مَيِّتُ الأحياءِ

إنما الميت من يعيش كئيبًا   كاسفًا باله قليل الرجاءِ

والحي بالحقيقة إنما هو المؤمن المطيع، ودار الحياة بالحقيقة هي الآخرة، فإنها لا موت فيها، وإنما هي حياة دائمة محققة، مجردة عن الآفات والأنكاد، فهي حياة خِلقة، وحياة عيشة، وحياة لذَّة، وحياة سلامة.

والحَيُّ على سبعة أقسام:

الأوَّل: المؤمن.

الثاني: السَّامِعُ اللَّقِنُ لما يُلقى إليه.

الثالث:/ القابل له. ٢ [١٥٨/أ]

الرابع: الحافظ.

الخامس: العامل.

السَّادس: المجتهد.

السَّابع: المُوَافِي به.

وعلى كل قِسْمٍ من هذه الأقسام حِجَابٌ، والأمر بيد الله، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ [النمل:٨٢]، وذلك لأنه خَتَمَ على قلبه بحجاب، فصارت مخاطبته[3] كمخاطبة الميت، وكذلك

---

(١) في (د): ميت.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في (ك): مخاطبه.

طَبَعَ على سمعه، فلا ينفذ إلى مَحَلِّ درجة[١] إِدْرَاكِه -وهو القلب- شيءٌ ممَّا يُخاطب به، فالتحق بالميت في المعنى والحقيقة، وإن لم يكن مَيِّتًا مشاهدةً وحِسًّا، وإذا وقع الختم فقد نفذ القضاء الحتم، فلا ينفذ إليها شيء، ولا يخرج منها شيء؛ لا جهالة تظهر عنها، ولا هداية تظهر فيها، ولا محل يَطْهُرُ[٢] منها، وما على أسماعهم من الختم يمنعهم من سماع كلام الحق، فهي في وساوس الشيطان، وهواجس الخذلان، وخواطر البهتان، فأظلمت قلوبهم، وسُكِّرَتْ أبصارهم، وصُمَّتْ آذانهم، فإذا نقص من ذِكْرِه شيء كان لَقِسًا، أو من عمله كان مريضًا، أو اقتحم كبائرَ كان دَنِفًا، أو شكَّ كان مَيِّتًا[٣]، فإن خلص وسلمت الأعضاء من هذه الآفات حَيِيَ مَيْتُه[٤]، وذلك الذي يستنير بنور الله، وقد شرح الله صدره للإسلام، وصار على نور من رَبِّه؛ فتَلِينُ قلوبهم لذِكْرِ الله، وتتأثَّر بما يَسْرِي منه إلى جلودهم فتَقْشَعِرُّ من خشية الله.

[أنوارُ الله تعالى]:

وأَنْوَارُ الله عظيمة، احتجب منها بسبعين حجابًا[٥]، وبرز[٦] منها للخلق بجُمَلٍ؛

---

(١) في (د): دركه.

(٢) في (ك) و(ب): يظهر.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): كافرًا.

(٤) في (ك) و(د) و(ب): على مراتبه، وضبَّب عليها في (ص)، والمثبت من طرته.

(٥) ينظر: الأمد الأقصى بتحقيقنا: (١/٢٤١-٢٤٢)، وقال ابن العربي في شرح حديث السبحات: «هذا الحديث وإن كان لا أصل له عن النبي ﷺ في الصحة فإنَّ له معنى بيِّنًا في ألفاظه».

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): نور.

فمنه: نور في البداية، وهو العقل؛ فإنه من نور الله؛

ونور البصيرة، وهو التحصيل والتدبير؛

ونور الفرقان؛ يفرِّق به بين الحق والباطل، والبيِّن والمشكل.

[من آثار نور الله]:

وقد يُنَوِّرُ الله قَلْبَه حتى يُطْلِعَه على غيبه، فأوَّلُ ما تبدو له نقائصُ نفسه التي أغامها عليه فرطُ الشهوة وطول الأمل، وعلامةُ ذلك ما قال في الآثار الحسان، وقد سئل عن شرح الصدور وتنويرها، فقال: «علامة ذلك التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله»[١].

وبنُورِ القلب يُبْصِرُ الرجل ما غاب عنه، وعنه وَقَعَ البيانُ بقول النبي ﷺ[٢]: «لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل من الأمم رِجَالٌ مُحَدَّثُونَ، يُكَلَّمُونَ من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أمتي منهم[٣] أَحَدٌ فعُمَرُ»[٤].

* * * * *

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: (١٢/١٠٢-شاكر).

(٢) في (ك): صلى الله عليه.

(٣) سقطت من (د).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، رقم: (٣٦٨٩-طوق).

المُحَدَّثُ[١]: وهو الاسمُ السَّادس عشر والمائة[٢]

٢ [١٥٨/ب]

فقالت[٣] الصوفية: ذلك/ لصفاء[٤] القلب، فيطَّلع على الغيب.

والحقيقة فيه: أن القلب وإن صفا فلا يتجلَّى فيه شيء، ولكن صاحب القلب الصافي تُلْقِي في رُوعِهِ الملائكة، فيكون إلهامًا وحديثًا[٥].

والقَلْبُ المظلم يلقي الشيطان في نفسه[٦] فيكون كهانة، وكلٌّ منهم يخبر عمَّا يكون.

وقد بيَّن النبي ذلك في الصالحين أنهم مُكَلَّمُونَ مُحَدَّثُونَ، وأنه كلام يُلقى في قلوبهم، وحديث يُحَدَّثُونَه[٧] في نفوسهم، وبيَّنه في الفاسقين؛ فقال النبي ﷺ - في رواية عائشة عنه -: «الملائكة تُحَدَّثُ في العَنان -والعَنان: الغمام- بالأمر يكون في الأرض، فتسمع الشياطين الكلمة فتَقُرُّها في أُذُنِ الكاهن، كما تُقَرُّ القارورة، فيزيدون معها مائة كذبة»[٨].

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): الخامس عشر ومائة، وفي (ص): السابع ومائة، وفي (ب): السادس ومائة.

(٣) في (د): قالت.

(٤) في (ك) و(ص): بصفاء.

(٥) في (د): حدَّثنا.

(٦) في (د): نفسة.

(٧) في (د): يجدونه.

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم: (٣٦٨٨-طوق).

وروى سفيان عن عكرمة عن أبي هريرة يَبْلُغُ به النبي ﷺ قال: «إذا قضى الله أمرًا[١] في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خُضْعَانًا لقوله، كأنها سلسلة على صفوان، فإذا فُزِّعَ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا - للذي قال -: الحق، وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترقو السمع، وتسترق[٢] السمع هكذا؛ واحد فوق آخر، ووصف سفيان بيده، ففرَّج بين أصابع يده اليمنى، نصبها بَعْضًا فوق بعض، فربَّما أدرك الشهابُ المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه فيحرقه، وربَّما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه، يرمي بها الأعلى إلى الذي هو أسفل منه، حتى يلقوها إلى الأرض، حتى تنتهي إلى الأرض، فتلقى على فم الساحر؛ فيكذب معها مائة كذبة فيُصَدَّق، فيقولون: ألم تخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا؟ فوجدناه مُحِقًّا للكلمة التي سُمعت من السماء»[٣]، لَفْظُ البخاري.

[نقضُ قول الصوفية: إن صفاء القلب مُوجِبٌ لتجلي المعلومات]:

وتزعم الصوفية من الغُلَاةِ أنه صفاء في القلب، تتجلَّى فيه المعلومات عند مقابلة مكتوب الله بها[٤] للقلوب، وقد بيَّنَّا فساد هذا في كتاب «العواصم»[٥] وغيره.

ومن أَبْيَنِ[٦] ما يُرَدُّ عليهم به: أنه لو كان تَجَلِيًّا للقلوب بما في اللوح المحفوظ لمقابلته للصَّافي منها لما خَفِيَ عليه شيء، ولعَلِمَ مائة ألف شيء

---

(١) في (ك) و(ص): في السماء أمرًا.
(٢) في (ك): مسترق، وفي (ب) و(ص): مسترقو.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، سورة الحجر، رقم: (٤٧٠١-طوق).
(٤) في (ك) و(ص) و(ب): لها.
(٥) العواصم: (ص١٨).
(٦) في (ص): أيمن.

في لحظة واحدة، فالتَّعْدَادُ لها والنُّدُورُ فيها يُنْبِئُ أنه ليس بمقابلة لمكتوب، وإنما هو بما يخلق الله له من العلوم، ويُنْشِئُهَا إنشاءً في القلوب، وتُسْمَعُ[١] من الأصوات، فهذا عمر قد قال: «يا سارية الجبل، من استرعى الذئب/ ظَلَمَ»[٢]، وسارية بالعراق، فسَمِعَ صوته من المدينة في أثناء الحرب، والكَرَّةُ على المسلمين، فلجأوا إلى الجبل بصوته على مسيرة ثلاثين مرحلة، واعتصموا من العدو فيه، والأخبار في ذلك كثيرة.

٢ [١٥٩/أ]

[الكلامُ على الخاطر]:

ولقد أخبرنا[٣] شيخنا أبو الحُسَين بن الطُّيُوري كما تقدَّم، قال: «كنتُ أختلف من داري بدرب المروزي بقطيعة الكَرْخ إلى الحربية؛ لأسمع على الشيخ الزاهد أبي الحسن علي بن عمر الحَرْبِي كتاب «غريب الحديث» لابن قُتَيبة، صلاة الظهر كل يوم، فخرجت مع صاحبي عند انتصاف النهار، فمشينا في خَرِبِ مدينة المنصور نقطع إلى الحربية، فقال لي صاحبي أو قلت له: شيخنا أبو الحسن لا يُخرج يديه عن كُمَّيه بحال[٤]، إنما يُنَاوِلُ بها مستورة، حتَّى إذا أعطانا أجزاء الحديث أو أخذها منَّا، فقلنا: لعلَّ به بَرَصًا يكتمه، وسِرْنَا في سبيلنا حتى أتينا إلى الحربية، فدخلنا المسجد مع الأذان، ولقينا الشيخ حين خرج وصلَّى، ثم استند إلى القبلة وأقبل علينا، وناولنا الأجزاء الذي كنَّا نقرأه بيديه[٥] مكشوفتين عن كُمَّيه،

---

(١) في (ك) و(ب): يسمع.

(٢) تاريخ دمشق: (٢٠/ ٢٤)، وحسَّن إسنادها ابن حجر في الإصابة: (٣/ ٩٨)، وينظر: العواصم: (ص٣٦).

(٣) في (ك) و(ص): أخبرني.

(٤) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٥) في (ك): بيده.

وهو يقول: الحمد لله على العافية، ثم ردَّهما في كُمَّيه، فما رأيناهما بعد ذلك».

وقد كان عمران بن حُصَين يُسَلِّمُ عليه، فلمَّا اكتوى ترك التسليم، فلمَّا ترك الكي عاد السَّلام عليه[1].

وكان الأسود بن يزيد سَيِّدُ القُرَّاءِ بالكوفة إذا أصبح[2] يُسَلِّمُ عليه مَلَكَاهُ.

وكان الأستاذ أبو بكر بن فُورَكٍ يُكَلَّمُ[3].

والكلام على الخاطر كثير في تلك الديار، ينكره أهل هذه البلاد، حتى إذا تَبَحْبَحُوا هنالك وشاهدوه مع الأحيان اطمأنَّت به نفوسُهم.

[الفراسة]:

قال علماؤنا: «وقد يتفق دَرْكُ ذلك من طريق الفراسة».

فقد ذَكَرَ الأستاذ أبو القاسم القُشَيري من ذلك عجائب، منها: «أن الشافعي ومحمد بن الحسن كانا جالسين إلى الكعبة، فدخل رجل على باب المسجد، فقال أحدهما: هو حدَّاد، وقال الآخر[4]: هو نجَّار، فقام إليه من سأله فقال: كنت حدَّادًا، وأنا الآن نجَّار»[5].

---

(١) سلف تخريجه.

(٢) قوله: «إذا أصبح» سقط من (ك).

(٣) قوله: «وكان الأستاذ أبو بكر بن فورك يُكَلَّم» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٤) في (د): آخر.

(٥) رسالة القشيري: (ص٢٦٤)، وهي في الأحكام: (١١٣١/٣).

وقد يُدْرَكُ ذلك بالفَأْلِ[١]، كما جرى لعمر بن الخطاب؛ إذ قال لرجل: «ما اسمك؟ فقال: جمرة، فقال: ابن من؟ قال: ابن شهاب، قال: ممَّن؟ قال: من الحُرقة، قال: أين مسكنك؟ قال: بالحَرَّةِ[٢]، قال: بأيِّها؟ قال: بذات اللَّظَى، قال عمر: أَدْرِكْ أهلك؛ فقد احترقوا»[٣]، فكان/ كما قال عمر، فجمع عليه من اسمه في قلبه ما أوجب احتراقه، وذلك كما يحصل في نَفْسِ العائن على المَعِينِ، مجموعٌ يكون فيه هلاكه أو سقمه، وإنما جاز ذلك لعمر من جمعه نفسه عليه، وحُكمه به فيه؛ للتنبيه على تحسين الأسماء واجتناب مكروهها، فإنه قاعدة شرعية، وكم اسم بدَّله النبي ﷺ[٤].

٢ [١٥٩/ب]

وهذا هو الذي يسمَّى «المُتَوَسِّم»، أو هو نوع منه، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر:٧٥]، وهو مأخوذٌ من الوَسْمِ؛ وهو العلامة، وقد تكون حِسِّيَّةً؛ فيشترك فيها الناس، وقد تكون معقولةً؛ فيختصُّ بها المُلْهَمُون[٥].

قال سَلَمَةُ بن كُهَيل: «أبو جعفر - يعني: محمد بن علي بن الحُسَين[٦] بن علي بن أبي طالب - من المُتَوَسِّمِين»[٧].

---

(١) في (ص): بالمقال.

(٢) في (ص): بحرة النار، ومرَّضها في (د).

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: كتاب الجامع، ما يكره من الأسماء، (٢/٣٣٩)، رقم: (٢٧٤٤-المجلس العلمي الأعلى).

(٤) ينظر: الموطأ: كتاب الجامع، ما يكره من الأسماء، (٢/٣٣٩)، رقم: (٢٧٤٣-المجلس العلمي الأعلى).

(٥) ينظر: الأحكام: (٣/١١٣١).

(٦) في (ك): الحسن، وهو تصحيف.

(٧) سير النبلاء: (٤/٤٠٥).

والفِرَاسَةُ نَحْوٌ منها، وهي: الاستدلال بالخَلْقِ على الأخلاق[1]، وهو عِلْمٌ عظيم تركه الناس، وقد يظهر من الصفات معنًى عُنْوَانًا، فيجعله لما وراءه بيانًا، ويترتَّب[2] عليه من النظر تِبْيَانًا.

قرأتُ في الصخرة المقدَّسة المسمَّاة بالواقعة[3] مع شيخنا أبي بكر محمد بن الوليد الصُّوفِي، قال بعضُ المفسرين -واختصرته وأوضحته-: «إن الله سبحانه قال في مُحْكَمِ كتابه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام:٣٩]، فأثبتَ الله المماثلة بيننا وبين سائر البهائم، ومعلوم أنهم ما ماثلونا في عقول ولا في صُوَرٍ، وإنما ماثلونا في الأخلاق، فلا أَحد من الخلق إلَّا وفيه خُلُقٌ من البهائم، تختلف أخلاق الناس بحسب اختلاف أخلاق البهائم؛

فالغليظُ الطِّباع القَوِيُّ البدن المُفْرِطُ في الطغيان نَمِرٌ؛

والمتناولُ للأموال على وجه السرقة والأخذ على الاختفاء فَأْرٌ؛

والمُتَبَسِّطُ على الأعراض كلب؛

والمخالف في كل حال، البائن بكل عمل - إذا قيل له: أَقْبِلْ، أَدْبَرَ، وإذا قيل له: أَدْبِرْ، أَقْبَلَ - حمارٌ؛

والطالب للعثرات ذُباب؛ فإنه يسقط من البدن على كل موضعِ قَرْحٍ منه مُمِدٍّ، ويجتنب الصحيح[4]؛

---

(١) أحكام القرآن: (١١٣١/٣).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): يرتب.

(٣) في (د): الوافعة.

(٤) بعده في (ك): قال، وضرب عليها في (د).

قال[١]: والمُتَحَيِّلُ الرَّوَّاغُ ثعلب؛

والنَّمَّام ظَرِبَانٌ، تقول العرب في القوم تفسدُ ذاتُ بينهم: فَسَا بينهم ظَرِبَانٌ؛

والذي يزهد في مجالس العلم ويطلب مواضع اجتماع أهل الدنيا لحديثهم خُنْفُسَاء؛ فإنها تَذَرُ المسك وتطلب الخُرْءَ[٢]، وإذا[٣] طُرِحَ المِسْكُ/ عليها ماتت؛ ٢ [١٦٠/أ]

والوثَّاب على الناس من غير حياء[٤] ولا رِقْبَةٍ أَسَدٌ؛

والمتناول لذلك بشَرَكِ الدماثة والسكينة ذِئْبٌ.

قال الشَّاعر:

ذِئْبٌ تراه مُصَلِّيًا ... فإذا مررت به رَكَعْ

يدعو وجُلُّ دعائه ... ما للفريسة لا تَقَعْ

عَجِّلْ بها يا ذا العُلَى ... إنَّ الفؤاد قد انصدعْ[٥]

قُلْتُ[٦]:

يا ذئابًا بَدَتْ لنا ... في ثيابٍ مُلَوَّنَهْ

أَحَلالًا رأيتمُ ... أَكْلَنا في المُدَوَّنَهْ[٧]؟

---

(١) سقط من (ص) و(ب).

(٢) في (ص): الخَرَا.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): إذا.

(٤) في (د): حياة.

(٥) الأبيات من مجزوء الكامل، وهي في سراج الملوك: (ص٢١٢).

(٦) سقط هذا البيت من (د) و(ك) و(ص).

(٧) من مجزوء الخفيف، وهي لأبي محمد عبد الله بن سارَّة الإشبيلي، ذكرها له في خريدة القصر: (٣٣٠/١) في سياق ترجمته.

والكذَّاب في الحديث مَيِّتٌ، لا أقول: أخرس؛

والمتجمل بِشَارَتِه وهيئته - ولا فائدة تحتها - طَاوُسٌ يتبختر في مِشْيَتِه، ويُقَوِّسُ ذَنَبه تاجًا على رأسه، ويصيح[١] عُجْبًا به؛

والحقود جمل؛

وذو الوجهين يَرْبُوعٌ؛ فإنه ذو نَافِقاء، وقَاصِعاء، ودَامَاءَ؛ أبوابٌ لجُحْرِه، إذا دُخِل من واحد خَرج من آخر، وهي صفة المنافق»[٢].

وهذه أخلاقُ الناس، ولأجل هذا يُفَسِّرُ لك المُعَبِّرُ ما رأيتَ في النوم من هؤلاء بما ذكرناه لك من الأخلاق، ويُحِيلك على أمثالها في الأناسي، فيحذرك أو يبشرك، بحسب ما يظهر من قرائن الرؤيا، وذلك مُبَيَّنٌ في بابه.

وقد أفادنا أبو الفضائل بن طَوْقٍ العَدْلُ الصُّوفِيُّ بمدينة السَّلام: «أنَّ قوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام:٣٩]، يعني: مخلوقة بمشيئة الله، موجودة على صفة، موضوعة بحِكْمَةٍ، مقرونة بدلالة على توحيد الله وحُجَّتِه[٣]».

والوجهان عندي صحيحان، وقد بيَّنَّا الآية على الاستيفاء في «أنوار الفجر»؛ حين الإملاء في المجالس العامَّة، فعلى القول الأوَّل يكون الاستدلالُ لمن عرف طُرُقَ الاستدلال ولَزِمَه حتَّى دَرِبَ فيه وأَحْكَمَهُ.

قال الإمام الحافظ[٤] رضي الله عنه: وهذا إنما يكون من الرجل بعد تقدم الفضل التام، والجلالة السَّابقة، والحالة المُتَمَكِّنَةِ في الدِّينِ الظاهرة.

---

(١) في (د): يصبح.

(٢) سراج الملوك: (٢/٤٤٣-٤٤٩).

(٣) في (د): حجة.

(٤) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.

ورُوي عن عبد الله بن عمر قال: «ما سمعتُ عمر يقول قط لشيء: إني لأظنه كذا، إلَّا كان كما ظنَّ؛ بينما عمر جالس إذ مر به رجل جميل، فقال: لقد أخطأ ظني، أو أن هذا على دينه في الجاهلية، أو لقد كان كاهنهم، عليَّ الرجل، فدُعِيَ له، فقال له ذلك، فقال: ما رأيت كاليوم استقبل به رجل مسلم، قال: فإني أعزم عليك إلَّا ما أخبرتني، قال: كنتُ كاهنهم في الجاهلية، قال: فما أعجب ما جاءتك به جِنِّيَّتُكَ؟ قال: بينما[1] أنا يومًا في السوق، جاءتني أعرف فيها الفزع،/ قالت: ألم تر الجِنَّ وإبلاسها، ويأسَها من بعد[2] إنساكها، ولُحُوقها بالقِلاص[3] وأحلاسها؟ قال عمر: صدق، بَيْنَا أنا نائم عند آلهتهم إذ جاء رجل بعِجْلٍ فذبحه، فصرخ به صارخ لم أسمع صارخًا قط أشد صوتًا منه، يقول: يا جليح، أمر نجيح، رجل فصيح، يقول: لا إله إلا الله، فوثب القوم، قلت: لا أبرح[4] حتى أعلم ما وراءهم، ثم نادى: يا جليح، أمر نجيح، رجل فصيح - وفي رواية: نطيح[5] -، يقول: لا إله إلا الله، فقمت، فما نَشَبْتُ أن قيل لي[6]: هذا نبي»[7]، وروى مالكٌ في «الموطأ» ما تقدَّم[8].

٢ [١٦٠/ب]

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): بَيْنَا.

(٢) في (ك): بعد من.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): القلوص.

(٤) في (د): أتبع.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): يصيح.

(٦) سقط من (د) و(ص).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام عمر بن الخطاب ﷺ، رقم: (٣٨٦٦-طوق).

(٨) سبق تخريجه.

قال[١] الفقهاء: «هو حُسْنُ الفهم»، كقول عمر: «وافقتُ ربي في ثلاث»[٢]، فأخذ بعلمه وحُسْنِ فهمه من الشريعة ما أنزل الله به الحق.

وقالت الصوفية: ما هو إلَّا أَمْرٌ يُلقيه الله في النفس بواسطة المَلَك، ويدلُّ عليه قراءة ابن عباس[٣]: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا مُحَدَّث﴾[٤]، وذلك صحيح عنه.

قلنا: معنى الآية غير ظاهره[٥]؛ لأن النبي لا يكون رسولًا، ولا المُحَدَّثُ لا يكون نَبِيًّا، وإنما تقدير الآية: وما أرسلنا من رسول، ولا نَبَّأْنَا من نبي، ولا ألهمنا من مُلْهَمٍ[٦]، ولا حدَّثنا من مُحَدَّث، وتُضْمِرُ لكل واحد من الأسماء ما يليق بها من الأفعال، كما قالت العرب:

ورأيتُ زوجك في الوغى ... مُتَقَلِّدًا سيفًا ورُمْحَا[٧]

وقالوا:

وأطفلت بالجَلْهَتَيْنِ ... ظباؤها ونعامُها[٨]

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): وقال.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم: (٨/٢٥٠٠)، وينظر: الجامع للقرطبي: (١٤/٤٢٣- التركي).

(٤) في (ص) زيادة قوله: ﴿إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾.

(٥) في (د) و(ص): ظاهر.

(٦) قوله: «من ملهم» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٧) البيت من مجزوء الكامل، وهو في الزاهر: (١/٥٢)، ودرة الغواص: (ص٨٠) بدون نسبة.

(٨) وهو من الكامل، من معلَّقة لَبِيد، شرح المعلقات للزوزني: (ص١٢٨).

وقالوا[١]:

شَــرَابُ ألبــانٍ وتَمْــرٌ وأَقِــطْ[٢]

فيرجع إلى كل واحد ما يليق به من الأفعال، وإن كان الكلُّ مُشْتَرِكًا في العطف.

ويَعْضُدُ ما قالت الصوفية قوله في الحديث الصحيح: «مُكَلَّمُون»[٣]، فلا يكون ما يجد في نفسه إلا من إلقاء الملك ذلك إليه ووجوده له في نفسه، والله أعلم.

[نقدُ إطلاق الصوفية اسم الوحي على أخبارها وخواطرها[٤]]:

قال الإمام الحافظ[٥] ﷺ: فإذا كلَّمه المَلَكُ أو حدَّثه فهو مُكَلَّمٌ

---

(١) سقط من (ك) و(ب).

(٢) من الرجز، لا يعرف قائله، وهو في المقتضب: (٢/٥٠)، والإنصاف: (٢/٦١٣)، وغيرها.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب القرشي العدوي ﷺ، رقم: (٣٦٨٩-طوق)، وفيه قول البخاري: «زاد زكرياء بن أبي زائدة عن سعد عن أبي سلمة عن أبي هريرة»، وهو حديث معلق.

(٤) قال ابنُ العربي في الأحكام (٢/٧٥١): «سَمَّى الله تعالى ما يَقَعُ في القُلُوبِ مِنْ إلْهَام وَحْيًا، وهذا ممَّا يُطْلِقُهُ شُيُوخُ التَّصَوُّفِ، وَيُنْكِرُهُ جُهَّالُ المُتَوَسِّمِينَ بالعِلْم، ولم يَعْلَمُوا أَنَّ الوَحْيَ على ثَلَاثَةِ أَقْسَام، وأَنَّ إطْلَاقَهُ في جَمِيعِهَا جَائِزٌ في دِينِ الله، أَوَ لَسْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّ الله سُبْحَانَهُ قد سَمَّى إلْهَامَ الشَّيَاطِينِ وَحْيًا؛ وكُلُّ ما يَقُومُ بِالقَلْبِ مِنَ الخَوَاطِرِ فهو خَلْقُ الله؛ فكُلُّ ما كان مِنَ الشَّرِّ أَضَافَهُ الله إلىٰ الشَّيْطَانِ، وما كان مِنَ الخَيْرِ أَضَافَهُ الله إلىٰ المَلَكِ».

(٥) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ب): قال الإمام رحمه الله.

مُحَدَّثٌ، وإن ألقى ذلك في نفسه خَلْقًا(١) من عنده أو بواسطة الملك فهو إلهام، ويسمَّى - لُغَةً - وَحْيًا، والصوفية تطلقه على أخبارها، فيقولون فيما يجدونه في أنفسهم من هذه الأخبار: «أُوحِيَ إليَّ»، وفي الخواطر التي تأتي بالخبر: «أُوحِيَ إليَّ»، وكَرِهَ ذلك علماءُ الفقه؛ لِمَا فيه من التلبيس على الناس، والتشبيه بالأنبياء في هذا اللفظ المخصوص بالاستعمال فيهم، فإذا أخبرتَ بذلك عن غير الآدمي جاز، كقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل:٦٨]،/ وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:٦].

٢ [١٦١/أ]

[وَحْيُ أُمِّ موسى وَحْيُ مشافهة من الملائكة]:

قال الإمامُ الحافظ(٢) رضي الله عنه: والذي أرى في ذلك أنه كان وَحْيَ مشافهة من الملائكة؛ فإنها أمران، ونهيان، وخبران، وبِشَارَتَانِ، وذلك كله ممَّا لا تستقل(٣) به الأفهام عادة، ولا يقبل من النفس خاطرًا إلا أن يخلقه الله ثابتًا، بحيث لا يكون معه تردد ولا استرابة، فيكون ذلك في القوة كمشافهة الملك به، وذلك كله ممَّا ذكرناه إنما يكون في القلب الممتلئ علمًا، الفارغ شهوة وأملًا، اللَّيِّنِ خشوعًا، الذي قُطعت علائقه عن الدنيا، ووصلت أسبابه بالله تعالى، فاستمرَّ(٤) على ذلك ولم يَطُلْ عليه الأمد؛ فإنه إذا طال

(١) في (ص): خُلُقًا.

(٢) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ب): قال الإمام.

(٣) في (د): يستقل.

(٤) في (ك) و(ص): واستمر.

عليه الأمد وتكاثف النكد مَلَّ منازعة[١] الجسد، ولم يصبر على ذلك إلا الآحاد، وإن وقعت غفلة وطرأت[٢] فترة زال اللِّينُ، ونزلت القسوة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَالَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ [الحديد:١٥].

قيل: «الفترة التي كانت بين[٣] عيسى ومحمد، وهي ست مائة عام»[٤].

وكلُّ عضو من الأعضاء له راحة يَكُفُّ بها عن عمله أو يُكَفُّ، إلَّا القلب؛ فإنه في عمل دائم؛ ليلًا ونهارًا، يقظةً ونومًا، فلكثرة الشواغل عليه وقَصْدِ العَدُوِّ إليه وتَعَلُّقِ الهوى به ربما زاغ أو[٥] راغ؛ فإن زاغ هلك، وإن راغ ربَّما لم يقدر أن يتمسَّك.

ومن «فوائد أبي الفضائل[٦] بن طوق العدل الصوفي»: «إن الله تعالى قال: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام:١١١]، فقال القُشَيري له: عَجَبًا للقدرية؛ كيف تبقى على قلوبها شبهة بهذه الآية؟ وقد أخبر أنَّ تقليب القلوب والأبصار إليه ومنه وبه، وأضاف الفعل إليه، فكيف يخرجونه عنه؟»[٧].

---

(١) في (ك) و(ص): المنازعة.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): أو طرأت.

(٣) في (ك): موسى ومحمد، وعيسى ومحمد، وقوله: «موسى ومحمد» ضرب عليه في (د)، وفي (ب) و(ص): موسى وعيسى.

(٤) ينظر: لطائف الإشارات: (٥٣٩/٣)، وتفسير الطبري: (٤١٠/٢٢-التركي)، وفيها خلاف ما ذكر ابنُ العربي هنا.

(٥) في (ك) و(ص): و.

(٦) في (د): الفضل.

(٧) لطائف الإشارات: (٤٩٤/١).

وقد كان النبي ﷺ يقول: «لا ومقلب القلوب»[١]، ولا دواء أنفع للعبد[٢] من قَمْعِ القلب وقهره إذا نزع[٣] إلى الفتن أو أصابه رَيْنٌ.

كان الحسن يقول: «حادثوا هذه القلوب بذِكْرِ الله؛ فإنها سريعة الدثور، واقدَعُوا هذه الأنفس فإنها طُلَعَةٌ، وإنها لتنزع إلى شر غاية، وإنكم إن تطيعوها في كل ما تنزع إليه/ لم تُبْقِ لكم شيئًا»[٤].

٢ [١٦١/ب]

وللاهتمام[٥] بصلاح القلب ما قال سلمانُ الفارسي: «إن لكل امرئ جَوَّانِيًّا وبَرَّانِيًّا، فمن يُصلح جوانيَّه يصلح الله برَّانيَّه، ومن يُفسد جوانيَّه يفسد الله برَّانيَّه[٦]»[٧].

وقد كان أبو برْزة[٨] نضلة بن عُبَيد الأَسْلَمِي صاحب رسول الله يقول: «اللَّهم لا أَزْنِيَنْ، قيل له: مَالَكَ ولهذا؟ وأنت صاحب رسول الله، قال: آمنتُ بمُحَرِّفِ القلوب، إني إذا أصبحت لم أَدْرِ على ما أمسي، وإذا أمسيتُ لم[٩] أدر على ما أُصبح»[١٠].

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) في (د) و(ب): للعبد أنفع.
(٣) في (ك) و(ص): تسرع.
(٤) الزهد لابن المبارك: (١/٢٧٧)، رقم: (٢٥٤).
(٥) في (ب): الاهتمام.
(٦) بعده في (ك) و(ب): ﴿وقال إبراهيم: واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾.
(٧) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (١/٢٠٣).
(٨) في (ك) و(ص): بردة.
(٩) في (د): فلم.
(١٠) أخرجه ابنُ سعد في الطبقات: (٥/٢٤٩)، ومن طريقه ابنُ عساكر في تاريخ دمشق: (٦٧/٣٦٨)، وفيه: أبو هريرة، ولم يذكرَا أبا برْزة الأسلمي.

وهذا صحيح ؛ فإنه إذا خاف على نفسه من الشك في الإيمان والرَّيْبِ في اليقين ، فأولى أن يخاف من المعاصي في الجوارح .

والفَاسِدُ القَلْبِ المُتَّبِعُ الهوى ، قد ضرب الله له[1] مثلًا الكلب ، فقال: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:١٧٥-١٧٦].

قال علماؤنا: «إن آدم سَكَنَ في الجنة وطمع في الخلود فيها فأُخرج عنها ، وهي دار الخلود ، فكيف يجهل من يركن إلى الدنيا ويتخذها دارًا ، ويمحو الله من قلبه العِلْمَ بحقيقتها ومآلها ، ويُذْهِلُه عن النَّبْذِ لها!»[2].

ومن صفة الكلب الوُقُوعُ فيما لم يُحَقِّقْهُ على جهة الابتداء ، ثم الرضى عنه بلقمة ، كذلك الذي له جِدٌّ في الإرادة ؛ إذا ابتدأَ قُطِعَ بأدنى لَامِعٍ ، وبما عرض من خاطر ، واستوى عنده الجهل والعرفان ، والإساءة والإحسان ؛ فهو تارة في ضجر ، وأخرى في نظر ، لا يفضي به إلى بصر ، يُقَابِلُ النعمة بالتُّهْمَة ، ويعارض المحبة بالحُجْبَة .

والكلبُ نَجِسُ الذات ، وكذلك الذي يرى أن الدنيا هي الدار ويُنْكِرُ الآخرة ؛ معدومُ الذات في الخير والانتفاع .

---

(١) سقط من (د) و(ب).

(٢) لطائف الإشارات: (٥٨٧/١).

ولقد ساء هذا المثلُ لمن ضُرِبَ له وساءت حالُه، والأُنْسُ[١] في آخره أنه إنما[٢] ضُرب مثلًا للمُكَذِّبِ بعقيدته، فليحذر المُكَذِّبُ له بأعماله من أن يناله بعضه، وليَخَفْ يومًا تتقلَّب فيه القلوب والأبصار، وبهذا كما قدَّمنا يكون القلب صافيًا سليمًا حاضرًا، إن أراد صاحبه به ذِكْرًا حافظًا، إن أراد به تحصيلًا مُصَافِيًا،/ إن أراد به جارًا أو صاحبًا[٣] قبولًا، إن أراد به الأحدَ واحدًا.

٢ [١٦٢/أ]

وقال بعضهم: «القلب السليم هو اللَّدِيغُ»[٤].

يعني: الذي لم يزل في مضاربات ومكافحة، فبه[٥] فُلُولٌ من قوارع الخواطر.

والصحيح: أنه الذي سَلِمَ من الشرك والبدعة، والمعصية والغفلة[٦].

قال بعضُ شيوخ الصوفية: «إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ غير قُلَّبٍ»[٧].

وقد بيَّنَّا أنه حينئذ يقال له: «صوفي»، أي: قُبِلَ صفاؤه، وثبت ولاؤه، ويُشْبِهُ أن يكون يقال فيه: «صَفِيٌّ»، لا «صوفي»، وهو الاسم الذي

---

(١) ومرَّضها في (ص).

(٢) سقط من (ك) و(د).

(٣) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٤) لطائف الإشارات: (٣/١٥).

(٥) في (ك) و(د): مزاع، وفي (ص): قراع.

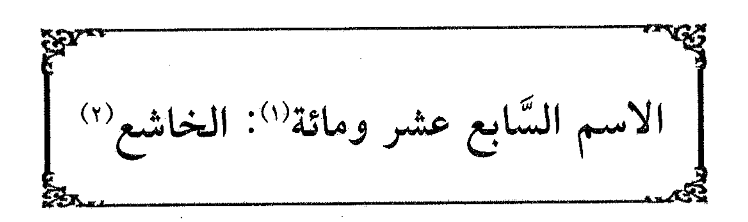
(٦) لطائف الإشارات: (٣/١٥).

(٧) لطائف الإشارات: (٣/٤٥٦).

تقـدَّم بيانـه، ولكـن قـد بيَّنَّـا أنـه «المـصطفى» لا «المُـصَفَّى[(١)]»، وأنَّ المخصوص بهذا الاسم على معنى التشريف للخِطَّةِ مُحَمَّدٌ ﷺ، فلا يُعْطَى لأحد، وتلزمه بهذه الأحوال الخشوع، فيكون:

* * * * *

(١) في (ك) و(ب): الصفي، وفي (ص): الصفاء.



الاسم السَّابع عشر ومائة[١]: الخاشع[٢]

وهي صفة محمودة؛ كما قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون:٢].

والخشوع: هو سُكُونٌ ينشأ عن ذلة وإطراق بسبب خوف[٣].

وقد جعله الله تَالِيَ الإيمان في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾ [الأحزاب:٣٥]؛ لأن الإيمان والإسلام[٤] واحد كما قلنا، وقد تبيَّن لكم[٥] أن أحد معاني القنوت القيام، أي: الإدامة للعمل.

والخشوع: هو هيئة تظهر على ظاهر العبد، تنبئ عن حالته المحمودة من قوة العبودية لله وعظيم الذلة، كما أن المَجَانَةَ هيئة تظهر على العبد، تنبئ عن فراغ قلبه من الله، والخشوع ينبئ عن صدق الباطن والصبر على

---

(١) في (ك): السادس عشر ومائة، وفي (ص):الثامن ومائة، وفي (ب): السابع والمائة.

(٢) سقط من (ك) و(ص).

(٣) ينظر: أحكام القرآن: (١٣٠٨/٣).

(٤) سقط من (ب).

(٥) بعده في (ك) و(ص) و(ب): منَّا، وضرب عليها في (د).

المكروه؛ فيعطي ذلك صدقته بنفسه على الطاعة، وبمَالِه على الجماعة، كما قال النبي: «الأكثرون[١] هم الأقلون، إلا من قال هكذا، وهكذا»[٢]، ﴿وَالصَّٰٓئِمِينَ وَالصَّٰٓئِمَٰتِ﴾؛ المُمْسِكِينَ عن كل شيء حرَّمه الله عليهم، «فمن لم يَدَعْ قولَ الزُّورِ والعمل به فليس لله حاجةٌ في أن يَدَعَ طعامه وشرابه»[٣]، وقد كان من سبق من الصالحين يقول: «صَوْمِي في الدنيا، وفِطْرِي لقاءُ الله تعالى».

ثم قال: ﴿وَالْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَٰفِظَٰتِ﴾[٤]، والفرْج من أعظم أمانة جُعلت عند العبد، وإن كان المراد بالفرج الذكَر والرحِم، فإنَّ كل ثَقْبٍ/ فرج، وفَمُك أشدُّ عليك من ذَكَرِك، فقد رأينا كثيرًا يمسك فرجه، ولم نَرَ إلَّا قليلًا من[٥] يمسك لسانه، بل لو قلتم: لم يُرَ قط، ما كذبتم، فمن صان الفرجين عن الأَطْيَبَيْنِ دخل الجنة، والفرجان: الفم، والذكر[٦] أو الرحم، والأطيبان: الأكل والنكاح.

٢ [١٦٢/ب]

قال النبي ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فذكر: ورَجُلٌ دعته امرأة ذات حسب وجمال إلى نفسها، فقال: إني أخاف الله»[٧]، وقد تقدَّم ذلك في باب الخوف، وخبر الرجل الذي نشب في الغار ودعا

---

(١) في (د): إن الأكثرون.
(٢) تقدَّم تخريجه.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) في (ك) و(ص): ﴿والحافظين فروجهم﴾.
(٥) سقط من (ك).
(٦) في (د): أو الذكر.
(٧) سبق تخريجه.

ابنة عمِّه، فلمَّا أَمْكَنَتْهُ قالت له: «اتق الله، ولا تَفُضَّ الخاتم إلَّا بحقه»[١]، فتركها لله فنجَا[٢]، قد سبق أيضًا.

وقوله: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ﴾، سبق أيضًا في اسم «الذاكر»[٣]، وبيَّنَّا[٤] أنَّ ذِكْرَ الله على وجهين:

أحدهما: باللسان؛

[الثاني]: والذكر بالامتثال والكف؛ وهو المقصود المعوَّل عليه، الدائم الوجوب، المستمر الكون.

والخشوع والخضوع بمعنًى واحدٍ[٥]، وهو:

* * * * *

(١) سلف تخريجه.

(٢) لم يرد في (ك) و(ص) و(ب).

(٣) في السفر الثاني.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): قلنا.

(٥) ينظر: أحكام القرآن: (١٣٠٧/٣).

الاسم الثامن عشر والمائة[١]: الخَاضِعُ[٢]

وقد قال الليث: «الخشوع قريب المعنى من الخضوع، إلا أن الخضوع في البدن، والخشوع في البدن والبصر»[٣].

والأمر عندي فيهما متقارب.

وقيل: خضع: بمعنى انقاد[٤].

وقد قال الله تعالى لنساء النبي ﷺ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب:٣٢].

وذَكَرَ المفسرون فيه سبعة أقوال:

الأوَّل: لا ترفعن بالقول.

الثاني: لا تُرَخِّصْنَ[٥].

الثالث: لا تَلِنَّ[٦].

---

(١) في (ك): السَّابع عشر، وفي (ص): التاسع ومائة، وفي (ب): الثامن والمائة.

(٢) سقط من (ك) و(ص).

(٣) كتاب الغريبين: (١/٥٥٧)، واختلَّت العبارة في المنشور من المُعْلِم للمازري: (٣/٢٢٠).

(٤) كتاب الغريبين: (١/٥٦٦).

(٥) تفسير الطبري: (١٩/٩٤-التركي).

(٦) كتاب الغريبين: (١/٥٦٦).

الرابع: لا تذكرن رَفَثًا[١]؛ وهو حديث النساء.

الخامس: هو الكلام الذي يُهَوِّنُ الذنب.

السَّادس: ما يدخل من كلام النساء في قلوب الرجال[٢].

السَّابع: أَمَرَ نساء النبي بأن يراعين حرمة الرسول؛ ويَتَصَاوَنَّ عما يُطمع المنافقين في ملابستهن[٣].

قال الإمام الحافظ[٤] ﷺ: وهذه الأقوال منها قريب ومنها بعيد، وقد بيَّنَّاها في «الأنوار»، والمعنى بقوله: ﴿تَخْضَعْنَ﴾: تَلِنَّ؛ فإن المرأة مأمورة بألَّا تتكلم، فإن تكلَّمت فليكن قولها جَزْلًا في المعنى، بَرِيًّا في المراد عن كل وجه يعلق طمعًا لأحد بها، والأمر لنساء النبي أوكدُ في ذلك/ لحُرمتهن، كما أكد عليهن ترك الفاحشة وهُنَّ من ذلك بَرَاءٌ[٥].

٢ [١٦٣/أ]

وفي الحديث: «إذا قضى الله في السماء أمرًا - كما تقدَّم ذِكْرُه في الاسم قبل هذا - خرَّت الملائكة خُضْعَانًا»[٦].

معناه: ظهر أَثَرُ الخوف في أبدانها بالسقوط على وجوهها.

وتبيَّن من هذا معنى بديع؛ وهو أن الخضوع أكثرُ من السجود في باب الدلالة على ما في النفس من أثر الافتقار والذلة إلى المعبود.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم: (١٠/٣١٣٠).

(٢) تفسير الطبري: (١٩/٩٥-التركي).

(٣) لطائف الإشارات: (٣/١٦٠).

(٤) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ب): قال الإمام.

(٥) في (ص): بُرَآءُ.

(٦) سبق تخريجه.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:١٩٩].

قيل: منهم: النجاشي[١]، وعبد الله بن سَلَام[٢]؛ فلقد كانوا أعزَّاء في حالهم، أذلة لربهم ولإخوانهم المؤمنين كأمثالهم منهم.

[نَقْدُ قول الليث في تفسير الخشوع]:

وقد قال الله: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه:١٠٥]، يعني: انخفضت بالذلَّة والخوف، وهذا يدلُّ على تقصير الليث في تفسيره وقَصْرِهِ الخشوع على البدن والبصر، ونسي الكلام؛ فإنه يخشع به صاحبُه ويَذِلُّ، ولا يرفعه حتى لا يسمعه إلَّا هَمْسًا، وهو الخفي منه من عظيم الذلة وقوة الخشية وشدة الرهبة.

[من معاني الخضوع]:

وقوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء:٣]، كما فُعِلَ ببني إسرائيل حين نُتِقَ الجبلُ فوقهم كأنه ظلة، وظنوا أنه واقع بهم، فخرُّوا سُجَّدًا مبادرين، مخافة حلول العذاب بهم، وهذا إخبارٌ عن قدرته على تحصيل مراده من عباده أن لو أراده، فهو قادرٌ على أن يؤمنوا طوعًا بأن يخلقه لهم بعد النظر والدليل، قادرٌ على أن يخلقه لهم كرهًا، فلا تَقْتُلْ نفسك همًّا عليهم؛ فإنه لا بد أن ينفذ كتاب الشقاء على من كتبناه عليه.

---

(١) تفسير الطبري: (٧/٤٩٨ -شاكر).

(٢) تفسير الطبري: (٧/٤٩٨ -شاكر).

[خُشُوعُ المؤمن]:

قال الإمام الحافظ[1] رضي الله عنه: والمؤمنُ خاضعٌ ذليلٌ لله تعالى[2]، يخلق الله له ذلك؛ فإنه خَلَقَهُ لَيِنًا هَيِّنًا قابلًا للحق، وخَلَقَ الكافر معاندًا، فلا خضوع عنده إلَّا عند الإلجاء؛ الذي لا ينتفع به في باب الثواب، إذ كَتَبَ ربُّنا أنه لا يُثِيبُ من آمن بالمشاهدة ولا من أسلم على الكُرْهِ والإلجاء، إلَّا أن يكون على الغيب باختيار، وهو سبحانه واهبُ ذلك له إذا أراده، وقد وصف الله حال ثلاثة عشر نَبِيًّا في حالهم وفضلهم، وما أنعم به عليهم وما أعطاهم، وما سألوه فأجابهم، ثم قال فيهم ما علَّم به عباده المؤمنين مصلحة أحوالهم وهادية[3] آمالهم، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٨٩]، فأخبر بمبادرتهم إلى كل خير، ودعائهم ولجائهم إلى الله؛ في الرغبة والرهبة، مع لزومهم وصف الخشوع وحالة الذلة، وهيئة/ الخضوع والمسكنة، والافتقار إلى واهب النعمة وكاشف الكربة.

٢ [١٦٣/ب]

[خُشُوعُ المخلوقات]:

وليس الخشوع من صفة الآدمي، بل هو صفة لكل مخلوق، فقد رُوي عن ابن عمر أن إمحاق القمر من خشوعه[4]، وكذلك وصف[5]

---

(١) في (ب): قال الإمام رحمه الله، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.

(٢) في (ك) و(ب): خاضع ذليل للدليل.

(٣) في (د): هادئة.

(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد عن ابن أبي مُلَيكة: (٢/٨٦٠)، رقم: (١١٤٥).

(٥) في (د): وصف الله الأرض سبحانه.

الأرضَ سبحانه بذلك، فقال: ﴿تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً﴾[(١)] [فصلت:٣٨]، كما قال: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً﴾ [الحج:٥]، أي: ساكنة؛ لا يخرج منها شيء، بهيئة الحزن والذلة، عارية من كسوتها، عاطلة من حُلِيِّ زهرتها، حتى يحييها الله بالماء، وكذلك القلوب والأبدان؛ إذا اكتسبت الذنوب عليها ذلة الخوف، حتى إذا غسلتها بماء التوبة ظهرت الأفعال الجميلة على الجوارح، ولكن يبقى خوفُ عدم القبول مُوجِبًا عليها خشوعًا وخضوعًا، حتى يُعلم الأمن، وإن الذي فعل ذلك بالأرض قادرٌ على أن يحيي قلوبنا بالاعتقاد الحسن واليقين الثابت برحمته.

وقد أخبر النبي[(٢)] ﷺ في الصحيح: «أنه يُرفع العلم، ويظهر الجهل»[(٣)].

وروى جُبَير بن نُفَير عن عوف بن مالك: «أن رسول الله نظر إلى السماء فقال: هذا أوان يرفع العلم، فقال له: لَبِيد بن زياد أو زياد بن لبيد[(٤)]: يا رسول الله، يُرفع العلم؛ وقد أُثْبِتَ ووعته القلوب؟ فقال له[(٥)] رسول الله ﷺ: إني كنت لأحسبك من أفقه أهل المدينة، ثم ذكر ضلالة اليهود والنصارى على ما بأيديهم من كتاب الله، قال: فلقيتُ شدَّاد بن أوس

---

(١) في النسخ: وترى.

(٢) في (ك) و(ص): الله.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه، رقم: (٢٦٧١-عبد الباقي).

(٤) هو زياد بن لبيد في جامع الترمذي: (٣٩١/٤-بشار)، ولبيد بن زياد في السنن الكبرى: (٣٩٢/٥-شعيب).

(٥) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

فحدَّثته بحديث عوف بن مالك، فقال: صدق عوف، ألا أخبرك بأوّل ذلك: يرفع الخشوع، حتى لا ترى خاشعًا»[١].

وكذلك قال عُبادة بن الصامت: «أَوَّلُ عِلْمٍ يُرْفَعُ من الناس الخشوع، يوشك أن تدخل مسجد الجماعة فلا ترى خاشعًا»[٢].

وقد قال الله سبحانه: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة:٤٤].

يعني: المُخْبِتِينَ المتواضعين، وهي صفة أصحاب مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لأنه قال: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح:٢٩].

قال مجاهد: «الخشوع»[٣].

وقال غيره: «التراب»[٤]؛ فإن النبي ﷺ انصرف من صلاة الصبح في إِثْرِ سماء نزل بالحُدَيبية، وعلى أنفه وأَرْنَبَتِه أثرُ الماء والطين[٥]، وكذلك رُوي عن عكرمة[٦].

[الخشوعُ في الصلاة]:

وأَوْكَدُ ما يكون الخشوع في الصلاة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون:٢]، وقد تقدَّم ذِكْرُه مُوعَبًا على المعنى[٧]،

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى: كتاب العلم، كيف يرفع العلم؟ رقم: (٥٨٧٨-شعيب).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه: أبوابُ العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في ذهاب العلم، رقم: (٢٦٥٣-بشار).

(٣) تفسير الطبري: (٢١/٣٢٤-التركي).

(٤) تفسير الطبري: (٢١/٣٢٥-التركي).

(٥) سلف تخريجه.

(٦) تفسير الطبري: (٢١/٣٢٦-التركي).

(٧) في السِّفْرِ الثاني، عند اسم «المصلي».

وبيَّنَّا[١] ألَّا يلتفت فيها، وقد كان عمر بن عبد العزيز لم يكن يومئ بعينيه، ولا يشير بيديه[٢]، ولا يرفع شيئًا ولا يضعه في الصلاة، وكان أبو بكر لا يلتفت في الصلاة[٣]، وقد روى الأئمة: «أن النبي ﷺ كان يلتفت»[٤]، وما أظنه صحيحًا، والله أعلم.

[كراهةُ استعمال الخشوع]:

ومن أعظم الآثام أن يستعمل الرجل/ الخشوع والخضوع؛ فإنه رياءٌ في الطاعة. [٢/١٦٤أ]

قال ابنُ عَوْنٍ: «كانوا يكرهون أن يتماوت الرجل حتى يُشار إليه».

ومن مرسلات الحسن: «كفى للمؤمن من الشر أن يُشار إليه بالأصابع»[٥].

[رَفْعُ الخشوع]:

وإذا رُفِعَ الخشوع كَثُرَ الظُّرْفُ، وهو حلاوة المنطق، وكثرة البشاشة، من غير اعتقادٍ ولا عملٍ ولا وفاءٍ.

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): منها، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

(٢) في (ك): بيده.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه عن ابن عباس ﵄: أبوابُ الصلاة عن رسول الله ﷺ، باب ما ذُكِرَ في الالتفات في الصلاة، رقم: (٥٨٧-بشار)، وضعَّفه أبو عيسى، وذكر أن الصواب في روايته عن بعض أصحاب عكرمة، فهو معضل، ثم ذكر ما صحَّ عن رسول الله من الأحاديث الناهية عن الالتفات، وكذلك أخرجه النسائي في الكبرى: كتاب السهو، الرخصة في الالتفات في الصلاة، رقم: (٥٣٤-شعيب).

(٥) الزهد لهنَّاد: (٢/٤٤٢).

وفي الصحيح عن حُذَيفة - واللفظ للبخاري - قال: «حدَّثنا رسول الله حديثين؛ رأيتُ أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدَّثنا أن الأمانة نزلت في جِذْرِ قلوب الرجال، قال: ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة، وحدَّثنا عن رفعها فقال: ينام الرجل النومة فتُقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أَثَرِ الوَكْتِ، ثم ينام النومة فتقبض، فيبقى أثرها مثل أثر المَجْلِ، كجَمْرٍ دحرجته على رجلك فنَفِطَ، فتراه مُنْتَبِرًا، وليس فيه شيء، فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة، فيقال: إن في بني فلان رجلًا أمينًا، ويقال للرجل: ما أعقله، وما أظرفه[1]، وما أجلده، وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، ولقد أتى عليَّ زمان ولا أبالي أيكم بايعت، لئن كان مسلمًا ردَّه عليَّ الإسلام، ولئن كان نصرانيًا ليردَّنه علي ساعة[2]، فأمَّا اليوم فما كنتُ لأبايع إلَّا فلانًا وفلانًا»[3].

وكم لهذا الزمان، ثم كان وقد كان الناس، كما قال النبيُّ في الصحيح: «الناس كإبِلٍ مائة، لا تكاد تجد فيها راحلة»[4]، وكانت الأمانة قبل اليوم تُرْفَعُ في النوم، وأراها الآن تُرْفَعُ في اليقظة.

ومعنى الحديث: إن الرجل ينام فيتوفَّاه الله، فإذا رَدَّ إليه روحه باليقظة فقد يردها بصفتها التي توفَّاها عليه، وقد يزيد فيها، وقد ينقص منها، وأشدُّه أن يستيقظ غير أَمِينٍ، وربما غير مؤمن.

وإذا اجتمعت له هذه الأوصاف كان من «التابعين».

---

(١) في (ك) و(ص): أطرفه. (٢) في (ك) و(ص) و(ب): ساعيه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الفتن، باب إذا بقي في حُثالة من الناس، رقم: (٧٠٨٦-طوق).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عمر ﵄: كتاب فضائل الصحابة، باب باب قوله ﷺ: «الناسُ كإبِلٍ مائة»، رقم: (٢٥٤٧-عبد الباقي).

التَّابعُ[١]: وهو الاسمُ التاسع عشر والمائة[٢]

وحقيقته في العربية: هو فِعْلُ العبد مِثْلًا لِفِعْلِ السَّابق منه[٣]، على معنى الاقتداء به[٤] والاحتذاء له.

قال الله تعالى في إبراهيم ﷺ: ﴿وَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾؛ يقول[٥]: من كان على شريعتي فإنه مني، أي: على ديني ومن أهله، ﴿وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم:٣٨]؛ غفورٌ للمُذْنِبِ بالتوبة، غفورٌ للمشرك بالإيمان.

وقيل: تبعه في الوفاء بالخصال التي بيَّنها الله في ثلاث سُوَرٍ؛ في «براءة» في قوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ إلى آخرها [التوبة:١١٣]، وعَشْرٍ في «المومنين»، قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ إلى آخرها[٦] [المومنون:٢-١١]، وعَشْرٍ في ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ على نحوها [المعارج:٢٢-٣٥]. /

٢
[١٦٤/ب]

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): الثامن عشر، وفي (ص): العاشر، وفي (ب): التاسع.

(٣) في (د): فيه.

(٤) سقطت من (د).

(٥) في (ك) و(ب): ويقول.

(٦) قوله: «وعشر في المؤمنين .. إلى آخرها» سقط من (ب).

وأشدُّ هذه الخصال المحافظة على الصلاة، والخشوع فيها، والاستكانة معها، وغايته من الخشوع أن ينهدم المسجد على الناس فلا يشعر المصلي به، أو تقطع رجله في الصلاة لدَاءٍ إن كان به فلا يشعر بذلك[١]، كما جرى لمسلم[٢] ولثابت.

وقيل: «تبعه في الخلال العشر؛ خمس في الرأس، وخمس في الجسد»[٣]؛

فخصال الرأس: فَرْقُ الشعر، وقص الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك؛

وخصال الجسد: قَلْمُ الظُّفْرِ، والختان، وحلق العانة، ونتف الإبط، والاستنجاء.

قال بعضُ المفسرين: «بالحجارة».

وأخطأ في هذا[٤] التعيين خصوصًا[٥]، كما أخطأوا في تعيين ما وفَّى به إبراهيم عمومًا.

---

(١) قوله: «الداء إن كان به فلا يشعر بذلك» سقط من (ب).

(٢) قوت القلوب: (١٢١٨/٣).

(٣) ينظر: أحكام القرآن: (١١٨٤/٣).

(٤) في (د): ذلك.

(٥) وإنما خطَّأه لأنه قصر الاستنجاء على الحجارة، وهو يكون بها وبالماء، ينظر: العارضة: (٧١/١).

والذي كان عليه إبراهيم شريعتُه؛ بخصالها، وأبوابها[١]، وشُعَبِها، وخلالها، ووظائفها، فمن تبعه في ذلك كله فهو منه، أي: «مؤمن»، «مُوَحِّدٌ»، «مسلم»، «عابد»، «مخلص»، «وَفِيٌّ»، «تابع»، ومن عَصَاهُ فالله غفور رحيم؛ رحيم في الإمهال، غفور للمؤمن على ما كان من حال.

ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «من غشَّنا فليس منَّا، ومن حمل علينا السِّلاح فليس منَّا»[٢].

يريد: ليس من مُتَابِعِينَا، أو من مخلصينا، أو نحو ذلك، ممَّا يَنْفِي الكمال ويُبْقِي أصل الإيمان.

[السَّابقون الأوَّلون]:

وقد قال الله: ﴿وَالَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾، فالسَّابقون الأوَّلون هم أهل العقَبة الأولى[٣]، وأهل العقبة الثانية، وأهل القبلتين، وأهل الهجرتين، والسَّابقون في الحقيقة رَجُلٌ؛ وهو أبو بكر، وامرأةٌ؛ وهي خديجة، وما عداهم تابعٌ لهم، وثاني إليهم، ولَاحِقٌ بهم.

والسَّابِقُ من المريدين شَابٌّ نشأ في عبادة الله، وحقيقتُه رجل كُتِبَ في أهل توفيق الله.

وقيل - وهو مثله -: «السَّابق من سبقت له رحمة الله»[٤].

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): ألوانها.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﵁: كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «من غشَّنا فليس منَّا»، رقم: (١٠١-عبد الباقي).

(٣) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٤) لطائف الإشارات: (٥٨/٢).

ويقال: «السَّابق في رَوح النعيم، واللَّاحق في النصب الأليم»(١).

وأنشدوا:

السِّبَاقَ السِّبَاقَ قَوْلًا وفِعْلًا حَذِّرِ(٢) النفسَ حَسْرَةَ المَسْبُوقِ(٣)

[الخَلْقُ أتباعُ الرسل]:

والخَلْقُ كلهم أتباع الرسل؛ فإن الرسل أوَّلُ من يؤمن، قال الله مخبرًا عن موسى: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣]، وقال لمُحَمَّدٍ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾(٤) [الأنعام:١٦٤-١٦٥]، وفي الحديث الصحيح: «وأنا أوَّل المسلمين»(٥)، وهو أوَّلهم إذا كان الخطاب لنا، وهو منهم إذا خُوطِبَ الناس من إبراهيم إلينا، وآدم أوَّل المؤمنين حقيقة، وإبراهيم أوَّل المسلمين اسمًا، قال الله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج:٧٦].

٢ [١٦٥/أ]

وقالت طائفة: «إن الضمير/ في قوله: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ﴾ عائد إلى الله»(٦).

فيكون على هذا آدمُ أوَّل المسلمين، وأوَّل المؤمنين من الآدميِّين.

---

(١) لطائف الإشارات: (٥٨/٢).

(٢) في اللطائف (٥٨/٢): حذِّروا.

(٣) من الخفيف، وهو في لطائف القشيري: (٥٨/٢)، وتفسير ابن عجيبة: (٦٢/٥)، دون نسبة.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): قل: وبذلك أمرت، وأنا أوَّل المؤمنين.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) معاني القرآن للزجَّاج: (٤٤٠/٣)، وتفسير الطبري: (٦٤٥/١٦-التركي).

فأمَّا أوَّل المؤمنين ممَّن[1] خلق الله؛ فلم يَرِدْ في ذلك أثرٌ يُستنَد إليه، ولا خبر يعوَّل عليه.

[قوله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾]

وكذلك قال الله لمُحَمَّدٍ ﷺ مُخْبِرًا عن عيسى: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾.

قيل: اتبعوك في قوله: ﴿عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [مريم:٢٩]، وهي أوَّل كلمة تكلَّم بها، وقد بيَّنَّاه في «الأنوار»، وذَكَرْنا طَرَفًا منه قبل هذا آنِفًا.

[اتِّبَاعُ موسى للخَضِرِ]:

وقد قال الله لمُحَمَّدٍ مُخْبِرًا عن عَبْدَيْهِ موسى وخَضِر: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:٦٥]، فكان موسى كليم الله، وصار مُتَعَلِّمًا فيما لم يعلم لعَبْدٍ من عَبِيد الله هو تحته، وموسى خيرٌ منه وأكرم، فسأله الاتِّبَاعَ وأجابه، وقال له: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف:٦٩]، فشَرَطَ عليه في الاتِّبَاعِ الإصغاءَ، والاستماعَ، وتَرْكَ الاعتراض، وهذا حُكْمُ المُتَعَلِّمِ مع المُعَلِّمِ[2] وأَدَبُه له، وقد بيَّنَّا طَرَفًا منه في اسم «العالم»[3].

وكان عِلْمُ الخَضِرِ فيما يقال: «من غير تعليم، وإنما كان شيئًا يُلقى في نفسه؛ وهو الإلهام»[4]، لقوله: ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف:٦٤]،

---

(١) في (ك) و(ص): من.

(٢) في (ك) و(ص): العالم.

(٣) إنما ذكر ذلك في اسم «البرّ»، في هذا السِّفرِ، وترجمه بـ: ذِكْرِ بِرِّ المُعَلِّمِ.

(٤) لطائف الإشارات: (٢/٤٠٧).

وتقول له الصوفية: «العِلْمُ اللَّدُنِيُّ»، وهذه دعوى عريضة، كلُّ عِلْمٍ اللهُ يُعَلِّمُه، وكيفية التعليم لا تُعلم إلَّا بمشاهدة، أو بخَبَرِ[1] صِدْقٍ.

وقد قال الخضر لموسى في الحديث الصحيح: «إنك لن تستطيع معي صبرًا؛ إنِّي على عِلْم من عِلْمِ الله عَلَّمَنِيهِ لا تعلمه، وأنت على عِلْمٍ من علم الله علَّمكه لا أعلمه»[2].

يعني: أنت على الظاهر، وأنا على الباطن المغيَّب، فإذا رأيت خلاف ما تعرف فلا تنكره؛ لأنه عِلْمِي الذي يخالف عِلْمَك، والذي أنت مُرِيدٌ لتَعَلُّمِهِ، قال له: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾[3] [الكهف:٦٨-٦٩].

فنَسِيَ موسى واعترض عليه، فعفا عنه وغفر له؛ لأنه احتجَّ عليه بشَرْطِ التكليف، وأن النسيان لا يدخل تحته، ولا يؤاخذ به في الآخرة إجماعًا، واختُلِفَ هل يؤاخذ به[4] في الدنيا؟ على تفصيل بيانه في «حُكْم[5] الفقه»، والصحيح أنه لا يؤاخذ به في الإثم ولا في الحُكْم فيما كان حقًّا لله؛ كالطلاق ونحوه، وما كان حقًّا للآدَمِيِّ فإنه[6] يؤاخذ به باتفاق، وقد بيَّنَّا ذلك في «كتب الفقه»[7].

---

(١) في (د): لخبر.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي بن كعب رضي الله عنه: كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكل العلم إلى الله، رقم: (١٢٢-طوق).

(٣) بعده في (ك) و(ص): من ذلك.

(٤) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٥) في طرة بـ (د): في خـ: كتاب.

(٦) في (د): ماله.

(٧) أحكام القرآن: (١٢٤٦/٣).

[اتِّباعُ الصراط المستقيم]:

وقد ذكر الله الأمر مُحْكَمًا، وأَمَرَ به جَزْمًا مُبْرَمًا، فقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام:١٥٤]. / ٢ [١٦٥/ب]

الصراط المستقيم: هو الإسلام والقرآن والدين والمِلَّةُ، فاسلكوا كل ذلك، اتَّبعوا الإسلام؛ وهو الدين والملة، واتبعوا القرآن، فهو الهدى والنور والسبيل الذي[1] لا عِوَجَ فيه[2]؛ دليل قويم، وكلام قديم، وفصيح عَرَبِيٌّ مُبِينٌ، وهدى للمتقين، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾؛ وهي البُنَيَّات، ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾، أي: تَعُوجُوا عنها، فسبحان العدل الحكيم، نهى الخلقَ عنها، ثم قدَّرها عليهم وقضاها فيهم.

قال النبيُّ ﷺ: «افترقت اليهود والنصارى على إحدى وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين، وسيأتي على أمَّتي ما أتى على بني إسرائيل؛ حَذْوَ النَّعْلِ بالنَّعْلِ»[3]، الحديث.

وهذا أَمْرُ الله لنا ووَصِيَّتُه وعَهْدُه عندنا، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾، يعني: وما بينهما ممَّا ﴿وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى:١١]، ثم أخبر تعالى في كل موضع عنهم أنهم ما تفرَّقوا إلَّا من بعد ما

---

(١) في (د): التي.

(٢) في (د): فيها.

(٣) أخرجه أبو داود في السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب السنة، باب شرح السنة، رقم: (٤٥٩٦ -شعيب).

جاءهم العلم؛ بغيًا بينهم، وعَايَنُوا البيِّنة، وعلموا الحق؛ لينفذ عليهم القَدَرُ، وابتدعوا[١] وما اتَّبعوها، رهبانيةً ما رعوها حقَّ رعايتها، وقد بيَّنَّا قوله عليه السَّلام[٢]: «عليكم بسُنَّتِي وسُنَّةِ الخلفاء الراشدين المهديِّين بعدي، عَضُّوا عليها بالنواجذ[٣]»[٤].

[حُجِّيَّةُ قَوْلِ التَّابِعِيِّ]:

وقد[٥] ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «تسمعون ويُسمع منكم، ويُسمع ممَّن يَسمع منكم»[٦].

واختلف الناسُ في قول الصحابي؛ هل هو حجة أم لا إذا كان بخلاف القياس؟ ورأى مالكٌ وحده أن قول التابعي حجة[٧] ودليلٌ إذا خالف النظر ولم يكن إليه طريقٌ إلَّا الخبر، والصَّحِيحُ قولُه، وقد بيَّنَّاه في كتاب «التمحيص» و«التخليص»[٨]، فلينظر هنالك[٩].

---

(١) في (ك): ابتدعوها.

(٢) قوله: «عليه السَّلام» لم يرد في (ك) و(ص) و(ب).

(٣) بعده في (ك) و(ص) و(د): وقال مالك، وما بعده بيَّض له في (ك) و(ص).

(٤) أخرجه أبو داود في السنن عن العرباض بن سارية ﵁: كتاب السنة، بابٌ في لزوم السنة، رقم: (٤٦٠٧ -شعيب).

(٥) قبله في (ك) و(ص) و(د): وقال مالك، وبيَّض له.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) ينظر: البرهان: (٢/١٣٦٢).

(٨) هو: كتاب «تخليص تلخيص الطريقتين؛ العراقية والخراسانية»، يوجد منه السِّفْرُ الأوَّل في خزانة القرويين، قسم الخروم.

(٩) ينظر: البرهان: (٢/١٣٦٠).

[متابعةُ النبي ﷺ]:

فمن اتَّبع ما يؤمر وامتثل ما يُحَدُّ له واستمع ما يقال له فهو «التَّابعُ».

رُوي[١] أنَّ ابن عمر لم يدخل على باب من أبواب مسجد النبي بعد أن قال رسول الله ﷺ: «هذا بابُ النساء»[٢]، فلم يدخل منه عبد الله بن عمر[٣] أبدًا؛ لا مع النساء ولا دونهم.

وسئل عمَّن نذر صوم يَوْمٍ فقال: «أَمَرَ الله بالوفاء بالنذر، ونهى عن صيام يوم النحر»[٤].

وسئل عن الوتر فقال: «أَوْتَرَ رسول الله، وأوتر المسلمون»[٥]، ولم يزد.

وقال سعيدُ بن المسيَّب بن حَزْنٍ: «قال النبي لجَدِّي حَزْن: ما اسمك؟ قال: حَزْن، قال: بل أنت سَهْل، فقال: لا أُغيِّرُ اسمًا سمَّانِيه أبي، قال سعيد: فما زالت تلك الحُزُونَةُ فينا بعدُ»[٦].

٢ [١٦٦/أ]

وبذلك يكون «مُعْتَصِمًا» بالله/ وبحَبْلِه.

---

(١) في (ك): وروي.

(٢) أخرجه أبو داود في السنن عن ابن عمر رضي الله عنهما: كتاب الصلاة، باب اعتزال النساء في المساجد عن الرجال، رقم: (٤٦٢-شعيب)، وفيه: «فلم يدخل منه ابنُ عمر حتى مات».

(٣) قوله: «ابن عمر» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأيمان والنذور، باب من نذر أن يصوم أيَّامًا فوافق النحر أو الفطر، رقم: (٦٧٠٦-طوق).

(٥) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: كتاب صلاة الليل، الأمر بالوتر، (١/١٩٤)، رقم: (٣٢٥-المجلس العلمي الأعلى).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب الحزن، رقم: (٦١٩٠-طوق).

المُعْتَصِمُ[١]: وهو الاسمُ المُوَفِّي عِشْرِينَ والمائة[٢]

كما قال: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَيٰكُمْ﴾[٣] [الحج:٧٦].

والاعتصام بالله: هو اتخاذ عِصَامٍ؛ وهو الذي يُشَدُّ به كل إناء فيه شيء يُخاف عليه التبديد إن لم يُشَدَّ فَمُه.

ضُرِبَ به المثل لمن يُهمل نفسه للمعاصي وللآفات، فيقال فيه: لم يعتصم، إذا لم يتخذه عِصَامًا في الوجهين.

[حقيقةُ الاعتصام]:

والعِصَامُ من الله والاعتصام به: هو التبّري من الحول والقوة لله، والاعتماد في كل حالة ومعنى عليه، والمحافظة في كل حال على المُثول في الخدمة بين يديه، والنهوض لعبادة الله بالله وحده، لله وحده[٤].

[معنى الاعتصام بحبل الله]:

وقيل: «الاعتصام بالله: التمسك بكتابه وسنة رسوله»[٥]، كما قال: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣].

---

(١) سقط من (ك) و(د) و(ص).

(٢) في (ك): التاسع عشر، وفي (ص): الحادي عشر، وفي (ب): العاشر.

(٣) بعده في (ك) و(ص) و(د): كما قال الله سبحانه.

(٤) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٥٦٦).

(٥) لطائف الإشارات: (٢/٥٦٦).

فيه خمسة أقوال:

الأوَّل: الجماعة[١].

الثاني: القرآن[٢].

الثالث: عهد الله[٣].

الرابع: الإخلاص[٤].

الخامس: الإسلام[٥].

قال الإمام الحافظ[٦] رضي الله عنه: الذي فسَّر به المُفَسِّرُ الحَبْلُ بحضرة النبي ﷺ هو الحق، وهذا كلُّه من الحق الذي أَمَرَ الخلق بالاعتصام به، والاتباع له، والإنذار به، والذي يحقق ذلك قولُه تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٤]، فأكمل التوحيد ببرهانه، وأكمل الملة ببيان أركانها، وشرح فرائضها وحدودها.

[الاعتصامُ بسُنَّةِ رسول الله ﷺ]:

وقد قال عُمَرُ في اليوم الثاني من بيعة أبي بكر، واستوى على منبر رسول الله، تشهَّد قبل أبي بكر فقال: «هذا الكتابُ هو[٧] الذي هُدِيَ به رسولكم، فخذوا به تهتدوا»[٨].

---

(١) تفسير الطبري: (٧/٧١-شاكر).

(٢) تفسير الطبري: (٧/٧١-شاكر).

(٣) تفسير الطبري: (٧/٧١-شاكر).

(٤) تفسير الطبري: (٧/٧٣-شاكر).

(٥) تفسير الطبري: (٧/٧٣-شاكر).

(٦) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ب): قال الإمام رحمه الله.

(٧) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، رقم: (٧٢٦٩-طوق).

وقد كره رسول الله المسائل وعابها، وعلى العبد أن يعمل بما علم، ولا يزيد حتى يعمل بما حصل عنده.

دخلتُ يومًا على ذَانْشْمَنْد[١] الأصغر[٢] وعلى كُمِّي كُتب، فقال لي: «مَالَكَ تستكثر من الشهود عليك؟ ما منها حَرْفٌ إلا وأنت مُطالب إذا وَعَيْتَه بالعمل به، فقَلِّلْ من الشهود عليك، وكَثِّرْ ممَّا تَقَيَّدَ عندك»[٣].

وفي الحديث الصحيح: «نهى النبي صلى الله عليه عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[٤].

وما أَذِنَ رسولُ الله في السؤال إلَّا مرتين أو ثلاثًا، من صحيح ذلك ما ثبت - واللفظ للبخاري - قال أنس بن مالك: «إن النبي ﷺ خرج حين زاغت الشمس فصلَّى الظهر، فلمَّا سلَّم قام على المنبر فذكر السَّاعة، وذكر أنَّ بين يديها أمورًا عظامًا، ثم قال: من أحبَّ أن يسأل عن شيء فليسألْ، فوالله لا تسألوني/ عن شيء إلَّا أخبرتكم به ما دمتُ في مقامي هذا، قال أنس: فأكثر الأنصار البكاء، وأكثر رسول الله أن يقول: سلوني، قال: أنس فقام إليه رجل فقال: أين مدخلي يا رسول الله؟ قال: النار، فقام عبد الله بن حُذافة فقال: من أبي؟ قال: حُذافة، ثم أكثر أن يقول: سلوني، فبرك عمر على ركبتيه وقال: رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمُحَمَّدٍ رسولًا، قال: فسكت رسول الله حين قال عمر ذلك، ثم قال النبي ﷺ: والذي[٥] نفسي

٢ [١٦٦/ب]

---

(١) في (ص): داشمند.

(٢) هو الإمام أبو حامد الطوسي.

(٣) ينظر: قانون التأويل: (ص٣٦٩).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) قبله في (ك) و(ص) و(ب): أولى، وضرب عليه في (د).

بيده، لقد عُرضت عليَّ الجنة والنار آنِفًا في عرض هذا الحائط وأنا أصلي، فلم أَرَ كاليوم في الخير والشر»[١].

[الاقتداءُ بأفعال النبي ﷺ]:

ومن الاعتصام والاتباع الاقتداءُ بأفعال النبي؛

فقد «اتخذ النبيُّ خاتمًا من ذَهَبٍ ونبذه، فنبذ الناسُ[٢] خواتيمهم»[٣].

وقد قال الجواب بفِعْلِه في قُبْلَةِ الصائم وغير ذلك[٤].

وقد حضَّ[٥] مطلقًا حضًا عامًّا فقال: «خُذُوا عَنِّي مناسككم»[٦]، وخاصًّا[٧] فقال: «صَلُّوا كما رأيتموني أُصَلِّي»[٨]، والآثارُ في ذلك كثيرة.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): ونبذ.

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن ابن عمر رضي الله عنهما: كتاب الجامع، ما جاء في لبس الخاتم، (٢/٣١٥)، رقم: (٢٦٥٩-المجلس العلمي الأعلى).

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: كتاب الصيام، ما جاء في الرخصة في القُبلة للصائم، (١/٣٣٨)، رقم: (٨٠٠-المجلس العلمي الأعلى).

(٥) في (ك) و(د) و(ب): خطَّ مطلقًا خطًّا.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه: كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبًا، رقم: (١٢٩٧-عبد الباقي).

(٧) في (د): ووجَأَهَا، وفي (ك) و(ب): وُجَاهًا.

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه عن مالك رضي الله عنه: كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة، رقم: (٦٣١-طوق).

ومن الاعتصام تَرْكُ الغُلُوِّ فيما تقصر[١] عنه قُوَى البشر عادة، فقد مرَّ النبي بحبل ممدود في المسجد لامرأة تصلي، فإذا مَلَّتْ تعلَّقت به، فكرهه، وقال: «إن الله لا يمل حتى تملُّوا»[٢].

وقد قال أبو بكر: «أعمل بما عمل به رسول الله، وقال عمر: أعمل بما عمل به أبو بكر»[٣].

[العلماءُ المنذرون المُبَلِّغُونَ]:

وقد بيَّن النبي الاستقامة وأخبر عن دوامها إلى أن تقوم السَّاعة، فروى معاوية - واللفظ للبخاري - قال رسول الله: «من يُرِدِ الله به خيرًا يفقهه في الدين، وإنَّما أنا قاسم، والله يعطي، ولن يزال أمرُ هذه الأمة مستقيمًا حتى تقوم السَّاعة، وحتى يأتي أمرُ الله جلَّ وعزَّ»[٤].

وإذا قَوِيَتْ عِصْمَتُه ولزم السنة باتِّباعه واهتدى بهَدي النبي ﷺ وأصحابه وتفقَّه بفقههم وحصَّل على جُزْءٍ من الدِّينِ فلا يخزنه، وليَبُثَّه، وليُبَلِّغْهُ، ولِيُنْذِرْ به، كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٣].

---

(١) في (د): يقصر.

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب النفقات، باب حبس نفقة الرجل قوت سنة على أهله وكيف نفقات عياله، رقم: (٥٣٥٨-طوق).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن معاوية رضي الله عنه: كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، رقم: (٧١-طوق).

قال علماؤنا: «لو اشتغل الكُلُّ بالتفقه لهلك الخلق وتعطَّل المعاش»[١].

وما خلق الله الخليقة ليكون مكانهم سواء؛ في الخير والشر، والعلم والجهل، والنعيم والثواب، ولكنه فاضل بينهم، وفضَّل بعضهم على بعض، كلُّ ذلك لتَتِمَّ الحكمة، وتظهر السنة التي لا تبديل لها.

ومن «فوائد الشهيد أبي سَعْدٍ[٢]/ الزَّنْجَانِي»: «إنَّ الله جعل المسلمين على مراتب؛ فعوامُّهم كالرعيَّة للملك، والذين يكتبون الحديث كالخُزَّانِ، والذين يُقَيِّدُونَ في قلوبهم القرآن خُزَّانُ الذخائر ونفائس الأموال، والمفتون وُكَلَاءُ الملك؛ لأنهم يُوَقِّعُونَ عن الله، وعلماء الأصول كقُوَّاده وأمراء أجناده، والعُبَّاد كخاصَّة[٣] حَضْرَتِه، المعدودون في أهل مؤانسته»[٤]. [١٦٧/أ]

وكلٌّ مُنْذِرٌ بقَوْلِه وفِعْلِه، وأكثرُهم نِذارةً أهلُ الأصول والفتوى والحديث.

والذي عندي أن الأصل في ذلك يرجع إلى حافظ مُبَلِّغ، تَفَهَّمَ وتَفَقَّهَ[٥]؛ فذلك الأعلى، وإلى حافظ لم يَفْقُهْ فيه؛ فذلك أقل منه حظًّا، حسب ما تقدَّم بيانُه في المَثَلِ الذي قال النبي ﷺ فيه: «مَثَلُ ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمَثَلِ غَيْثٍ أصاب أرضًا»[٦]، الحديث.

---

(١) لطائف الإشارات: (٧٣/٢).

(٢) في (خ): سعيد.

(٣) في (خ): فخاصة.

(٤) لطائف الإشارات: (٧٣/٢).

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): يفهم ويفقه.

(٦) سبق تخريجه.

[النافرون الرحَّالون من المغاربة]:

والنَّافِرُونَ الرَّحَّالُونَ[١] المُنْذِرُونَ المُبَلِّغُونَ كثير، وقد رتَّبهم علماء الحديث، وممَّن كان بهذه الصفة في المغرب جماعةٌ نحو المائة، من أَجَلِّهم بَقِيُّ بن مَخْلَدٍ[٢]، ومحمد بن وضَّاح[٣]، أدخلَا المغرب ما لم يُدْخِلْ أحدٌ[٤] قبلهما من العلم والفوائد الدينية[٥]، والفقه العظيم والمعرفة الجمَّة.

وعبدُ الملك بن حبيب[٦] أدخل من المسائل المدنيَّة ما لم يُدخله أحدٌ قبله ولا بعده، عالمٌ بها، مُتَأَصِّلٌ فيها، مُتَحَقِّقٌ بجُملتها[٧] وتفاصيلها، فَحْلٌ من فحولها، إذا تكلَّم فيها فاستمع لما يُوحَى منها، وإذا تكلَّم في الحديث أو في شيء سواها[٨] فأَعْرِضْ عنه؛ فإنه لَحْمُ جَمَلٍ غَثٍّ، على رَأْسِ جَبَلٍ وَعْرٍ، لا سهل فيُرتقى، ولا سَمِين فيُنتقى.

---

(١) في (خ): الراحلون.

(٢) الإمام الحافظ، العلَّامة الزاهد، شيخ الإسلام، بقي بن مخلد القرطبي، أبو عبد الرحمن، ت٢٧٦هـ، ترجمته في: تاريخ ابن الفرضي: (١/١٤٣-١٤٥)، وجذوة المقتبس: (ص٢٥١-٢٥٤)، والعواصم: (ص٣٦٦).

(٣) الإمام الحافظ، المحدث المسند، محمد بن وضاح بن بزيع، أبو عبد الله، ت٢٨٦هـ، ترجمته في: تاريخ ابن الفرضي: (٢/٢٥-٢٧)، وجذوة المقتبس: (ص١٤٠-١٤١)، والعواصم: (ص٣٦٦).

(٤) سقط من (ك) و(ص) و(ب) و(د).

(٥) سقطت من (خ).

(٦) الإمام الحافظ، الفقيه الحجة، عالم الأندلس، عبد الملك بن حبيب بن سليمان، أبو مروان السُّلَمي، ت ٢٣٨هـ، ترجمته في: تاريخ ابن الفرضي: (١/٣٥٩-٣٦٢)، وجذوة المقتبس: (ص٤٠٧-٤٠٨).

(٧) في (ك) و(ص) و(ب) و(خ): بجملها.

(٨) في (خ): سواه.

وممَّن أدخل العلم إليه وجلبه حتى أوقفه عليه أبو علي القالي، فإنه ملأها[1] عربيَّة، وأفادها[2] منها ما لم يَدْخُلْ في حساب[3].

---

(١) في (خ): ملأه.

(٢) في (ك): أفاد.

(٣) بعده في (ص): قال الفقيه أبو محمد عبد الله بن علي الأَشِيرِي -رحمه الله-: «أبو علي القالي هذا هو: إسماعيل بن القاسم بن عَيْذُونَ، بعين مهملة مفتوحة، وياء معجمة باثنتين، وذال معجمة بعدها، وواو ونون، ابن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان مولى عبد الملك بن مروان، ليس من أهل المغرب أصلًا، ولكنه منهم إيطانًا، وأصله من المشرق، مولده بديار بَكْرٍ، بمَنَازْجِرْدَ منها، ولد سنة ثمانين ومائتين، ودخل بغداد سنة ثلاث وثلاثمائة، فأقام بها خمسًا وعشرين سنة، إلى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، سمع أبا بكر بن دُرَيد، وأبا بكر بن الأنباري، وأبا بكر بن السَّرَّاج، وأبا بكر بن شُقَير، وأبا عبد الله نِفْطَوَيْه، وأبا إسحاق الزجَّاج، وأبا الحسن الأخفش، وأبا محمد بن دَرَسْتُويَه، وأبا جعفر بن قُتَيبة، وأبا عمر المُطَرِّز، وأحمد بن يحيى النَّدِيم، وغيرهم، وخرج من بغداد سنة ثمان وعشرين، ودخل إلى الأندلس سنة ثلاثين و[ثلاث] مائة، فأوطن قرطبة؛ قاعدة الأندلس ومحل المُلك والإمارة بها، لأمراء بني أميَّة بها، فأفاد الناسَ بها عِلْمًا وأدبًا جمًّا، وألَّف بها تصانيف بهرت واشتهرت، منها: كتاب البارع في اللغة؛ كتاب كبير يوازي كتاب الجمهرة، ولكنه أحسن وضعًا منه، فإنه كله أو أكثره مقيَّد الألفاظ، ومنها: كتاب الأمالي له، وسمَّاه النوادر، كان يُمليه في مجالس؛ في أيَّام الأخمسة، وهو كتاب طريف ظريف، في أربع مجلدات، ومنها: كتاب الممدود والمقصور، في مجلدين، وله غير ذلك، قرأ الناس عليه وسمعوا منه، واستفاد عليه خَلْقٌ كبير، صاروا به أئمة بعده، وتوفي -رحمه الله- في ربيع الآخر سنة ست وخمسين وثلاثمائة»، انتهى كلام الأشيري، وينظر في ترجمة أبي علي القالي: تاريخ ابن الفرضي: (١/١٢٠-١٢١)، وجذوة المقتبس: (ص٢٣١-٢٣٥).

وممَّن رحل[1] وخاب[2]، فلم يجلب لنفسه عِلْمًا ولا أفاد شيئًا نَفَرٌ يَعُدُّهُمُ الناس بالخناصر، وحقُّهم أن يُدفعوا بالمخاصر[3]، تعرفونهم بسيماهم[4].

---

(١) في (د): دخل.

(٢) في (خ): طلب.

(٣) ذَكَرَ في مواضع أخرى من كتبه بعضهم، وسمَّى فيها ثلاثة، وهم: منذر بن سعيد البلُّوطي، ومحمد بن مسرَّة الجبلي، ومَسلمة بن القاسم القرطبي، ينظر: العواصم: (ص٣٦٨)، والمتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٣٩٨)، وتنظر دراستنا المترجمة باسم: «فصول في التصنيف العقدي ومعالمه عند الإمام أبي بكر بن العربي»، مجلة الإبانة (الصَّادرة عن مركز أبي الحسن الأشعري بتطوان)، العدد الرابع، (١٤٣٨هـ/٢٠١٦م).

(٤) قال الإمام أبو محمد الأشيري: «وممَّن رحل من أهل المغرب ممَّن لم يذكره الإمام القاضي ابنُ العربي ﷺ، وإنما أشار إليهم، وكان ذكرهم فائدة يُفِيدُناها لو ذَكَرَهُمْ، نذكرهم نحن لنُتَمِّمَ ما بدأ به من الفائدة، جماعة مشاهير، علماء بكل فَنٍّ من علوم الشريعة، وما يتعلَّق بها من علوم اللغة والعربية والغريب، وغير ذلك، قد ذكرهم خالد بن سعيد القرطبي، والكاتب أبو عبد الملك بن عبد البر، وأبو الوليد بن الفرضي، وأبو سعيد بن يونس المصري، وغيرهم، في تواريخهم في علماء الأندلس والمغرب.

منهم: يحيى بن يحيى الليثي، وزياد بن عبد الرحمن شَبَطُون، ويحيى بن إبراهيم بن مُزَين، وعيسى بن دينار، وابنه أبان بن عيسى، وقاسم بن أصبغ، ومحمد بن عبد الملك بن أيمن، ومحمد بن عبد السَّلام الخُشَني، وطاهر بن عبد العزيز، وأخوه أسلم بن عبد العزيز، وأحمد بن خالد، ومحمد بن معاوية القرشي، وسعيد بن عثمان الأَعْناقي، وعبد الله بن عبد المؤمن، ومحمد بن عبد الله بن مَسَرَّةَ، المعروف بالجَبَلِي، ويحيى بن مالك بن عائذ، وعبد الله بن إبراهيم الأَصِيلي، وعبد الله بن محمد بن قاسم بن حزم الثَّغْرِي، وثابت بن =

[فوائدُ رحلة ابن العربي]:

والحمد لله الذي جعلنا ممَّن رحل وحصَّل، وقيَّد وبلَّغ[(١)] وأوصل، وأنذر بما لم يُنْذَرْ به من قبْل.

ومن الفوائد المذكورة:

«كتاب ابن مَاكُولَا في المُؤْتَلِف والمختلف»[(٢)].

= حزم العوفي السَّرَقُسْطِي، وابنه قاسم بن ثابت، وأبو بكر محمد بن مَوْهَب القَبْرِي، وأبو الوليد بن الفَرَضِي، وأبو الوليد سليمان بن خَلَف الباجي، وأبو العباس أحمد بن عمر العُذْرِي، وأبو عمر بن عبد البر النَّمَرِي، وأبو محمد علي بن أحمد حزم، وهذان وإن لم يَرْحَلَا إلى المشرق ولا تجاوزَا البحر فقد رَحَلَا في أقطار صُقْع الأندلس، إماماني عظيمان في كل نوع من العلوم الدينية، وعبد الله بن سعيد الشنتجيلي، وغير هؤلاء ممَّن يطول ذكرهم.
ومن آخرهم ممَّن رَحل ورُحل إليه وأصبح دعامة في العلم يُعتمد عليه الشيخُ أبو علي الحافظ الغسَّاني، والقاضي الشهيد أبو علي الصَّدَفِي.
ومن شيوخنا الشيخ أبو جعفر بن غَزْلون الأموي، وأبو الحسن بن موهب الجُذامي، وأبو الوليد يوسف بن عبد العزيز بن الدبَّاغ، والقاضي أبو الفضل عياض بن موسى، والإمام القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري شيخُنا، مؤلف هذا الكتاب، وهو من أقدمهم رحلة، وآخرهم موتًا، به خُتم الرحَّالون من المغرب رحلة وموتًا، توفي -رحمه الله- قريبًا من سنة خمس وأربعين وخمسمائة، وكان موته وموت القاضي أبي الفضل عياض متقاربًا، في أيام الفتنة المغربية، غَرِيبَيْنِ مُجْلَيَيْنِ عن أوطانهما وأهليهما، رحمهما الله ورضي عنهما وعن أئمة المسلمين»، انتهى كلام الإمام الأشيري.

(١) في (خ): نفع.

(٢) هو: كتاب الإكمال في رفع عارض الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب، يرويه ابنُ العربي عن أبي بكر بن طرخان =

كتاب «جُذوة المقتبس في[1] تاريخ الأندلس»[2].

«اختصار تفسير القرآن للطبري»[3].

«تفسير القرآن»[4] للقُشَيري؛ المُسَمَّى باللطائف والإشارات[5].

«أسماء الله»[6] لابن فُورَكَ.

[١٦٧/ب] ٢ «أسماءُ الله»[7] للقُشَيري./

«الأحاديثُ التي خُولِفَ فيها مالك»[8] للدَّارُقُطْنِي.

= (فهرس ابن خير: ص٢٧٤)، وهو منشور بتحقيق المحدث العلَّامة عبد الرحمن المُعَلِّمِي اليماني، وكانت وفاة الأمير ابن مَاكُولَا عام ٤٧٥هـ، ترجمته في سير النبلاء: (١٨/٥٦٩-٥٧٨).

(١) سقطت من (د) و(ب) و(ك) و(ص).

(٢) من تأليف الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن فتُّوح الحميدي، سمعه ابن العربي من أبي بكر محمد بن طَرخان التركي، فهرس ابن خير: (ص٢٨١).

(٣) ذكره في قانون التأويل: (ص١١٨-١١٩)، ولم يُبَيِّنْ لمن هو، ولعله لأبي عبد الله محمد بن عبد الله النَّحْوِي، أحد المجاورين بمكة، واسم كتابه: «البيان في تفسير القرآن»، فهرس ابن عطية: (ص٦٢).

(٤) يرويه ابن العربي عن أبي سعد الزنجاني وأبي الفضائل بن طوق، وقد ذكرنا ذلك في السِّفْرِ الأوَّل من الكتاب، والكتاب منشور في ثلاثة أسفار.

(٥) في (د): الإشارة.

(٦) من جملة الكتب التي لم يعثر لها على خبر، وأفاد منه السكوني في كتابه التمييز، في موضعين: (ق٢٦/أ)، و(ق١٠١/ب)، وسمَّاه فيهما: الكتاب الكبير في الأسماء.

(٧) هو: كتاب التحبير في علم التذكير، سمعه ابن العربي من أبي الفضائل بن طوق، فهرس ابن خير: (ص٣٧٠)، وهو منشور.

(٨) سمعه ابنُ العربي من ابن الطُّيوري، فهرس ابن خير: (ص٢٢٩)، وهو منشور.

«السُّنَنُ»[١] للفِرْيَابِي.

«من[٢] الأفراد»[٣] للدارقطني.

«صحيح الحديث»[٤] للإسماعيلي.

«نسخة أبي زكرياء يحيى بن معين من حديث يحيى بن يحيى التميمي»[٥].

«حديث هلال الحفَّار»[٦].

---

(١) لا خبر عن وجوده، والفريابي هو: الإمام الحافظ الحجة، محمد بن يوسف بن واقد، أبو عبد الله الضبي، (١٢٠-٢٢١هـ)، سمع من الثوري والأوزاعي، وعنه البخاري، ترجمته في: سير النبلاء: (١٠/١١٤-١١٨)، وكتاب السنن هذا ذكره له ابن نقطة في التقييد: (٢/٣٦).

(٢) في (خ): الأفراد.

(٣) نُشِرَ بعضه.

(٤) اسمه: «المسند الصحيح المخرج على كتاب البخاري»، ولا خبر عن وجوده، وهو في أربع مجلدات، من تأليف الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي الجرجاني، (٢٧٧-٣٧١هـ)، يرويه ابن العربي عن أبي المعالي ثابت بن بُندار (فهرس الحَجْرِي: ص١٦٣)، ترجمته وأخباره في: العواصم: (ص٤٩-٥٣)، وسير النبلاء: (١٦/٢٩٢-٢٩٦).

(٥) قال ابنُ العربي في شأن هذه النسخة: «لم يسبقني إليها أحد»، العارضة: (٩/١٩٠).

(٦) يرويها ابنُ العربي عن الإمام طِراد الزينبي عن هلال الحفَّار تـ ٤١٤هـ، فهرس ابن خير: (ص٢٠٩).

«مشيخة أبي[١] علي بن شاذان»[٢].

«تسمية شيوخ مالك وسفيان وشعبة»[٣] لمسلم[٤].

«وفاة[٥] الشيوخ»[٦] لابن المنادي[٧].

و«نسخة همَّام بن مُنَبِّه»[٨].

«كتاب الشجرة[٩]»[١٠] للجُوزَجاني في أسماء المحدثين.

«المدخل إلى معرفة كتاب البخاري» للإسماعيلي.

---

(١) سقط من (د).

(٢) له مشيختان؛ كبرى وصغرى، وهذه نشرت؛ عن كل شيخ حديث، والأخرى فيها عواليه عن الكبار، وابن شاذان هو: الحسن بن أحمد بن إبراهيم البغدادي البزاز، المتكلم الأشعري، مسند العراق، (٣٣٩-٤٢٥هـ)، ترجمته في: سير النبلاء: (١٧/٤١٥-٤١٨).

(٣) يرويه ابن العربي عن ابن الطيوري، فهرس ابن خير: (ص٢٦٦).

(٤) سقط من (ك) و(ص) و(ب) و(خ).

(٥) في (خ): فائدة.

(٦) لعله الإمام الحافظ أبو الحُسَين أحمد بن جعفر البغدادي، (٢٥٧-٣٣٦هـ)، ترجمته في: سير النبلاء: (١٥/٣٦١-٣٦٢).

(٧) في (ك) و(د): المنادلي.

(٨) يرويها ابنُ العربي عن ابن طرخان التركي وابن أبي يعلى الفرَّاء، فهرس ابن خير: (ص٢٠٨).

(٩) في (د): الشجر.

(١٠) يرويه ابن العربي عن هبة الله ابن الأكفاني، تقدَّم ذكره في السِّفْرِ الثاني من السراج، ونشر باسم «أحوال الرجال».

«تسمية كل من روى عن مالك بن أنس[١]»[٢]؛ ألف رجل، تأليف[٣] الخطيب.

«الفَصْلُ للوَصْلِ المُدْرَجِ في النَّقْلِ»[٤] له.

«طبقات الفقهاء» للشِّيرَازِي.

«أوهام البراذعي» لعبد الحق.

«الخصال»[٥] للعبدي.

«الشَّامل»[٦] لابن الصبَّاغ.

«الأساليب»[٧] لأبي المعالي.

---

(١) قوله: «ابن أنس» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٢) يرويه ابنُ العربي عن الشريف ابن أبي الجن عن الخطيب البغدادي، وكتابه هذا لا خبر عنه في فهارس دُورِ الكتب وخزائنها، والله أعلم، ينظر: فهرس الحَجْري: (ص١١٣).

(٣) في (خ): تآليف.

(٤) الكتاب متداول منشور.

(٥) الكتاب منشور، والعبدي هو: أحمد بن محمد، أبو يعلى البصري، تـ ٤٨٩هـ، ترجمته في: ترتيب المدارك: (٨/٩٩-١٠٠).

(٦) كتاب «الشَّامل» في الفقه الشَّافعي، حُقِّقَ بعضه في رسائل جامعية، ومؤلفه هو: عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد، أبو نصر الصبَّاغ، الإمام العلَّامة، تـ ٤٧٧هـ، وكتابه هذا يجوز أن يكون ممَّا سمعه من شيخه أبي بكر الشَّاشي أو أبي منصور بن الصبَّاغ، ينظر: العارضة: (٣/١٩٥)، ترجمة أبي نصر في: طبقات الشَّافعية: (٥/١٢٢-١٣٤).

(٧) يرويه ابنُ العربي عن أبي سعد الزنجاني، ينظر: المسالك: (٦/١٨١).

و «الغنية»[١] له.

«تعليقة الخُجَندي»[٢].

«تعليقة أبي المطهَّر المعداني»[٣]؛ خطيب أصفهان[٤].

«المُشَجَّرُ في نُكَتِ النظر» للحاكم الإِسْتَرَابَاذِي[٥] السعيداني، في عشرين ورقة[٦]، بأدلة مسائل الفقه أجمع، لم يؤلف بَشَرٌ مثله، يقول فيه: دليلٌ يثبت مائة مسألة، وهي: كذا وكذا، دليلٌ يثبت تسعين مسألة، دليلٌ يثبت سبعين، دليلٌ يثبت سِتِّين[٧]، دليلٌ يثبت عشرة، وتسميتُها هكذا، حتى تمَّت المسائل كلها.

«بُلْغَةُ النظر» للخُجَندي.

---

(١) هو كتاب: «غنية المسترشدين»؛ في الخلاف العالي، سير النبلاء: (٤٧٥/١٨).

(٢) الفقيه العلَّامة الإمام، محمد بن ثابت بن الحسن، أبو بكر الخُجَنْدِي، نزيل أصفهان، تـ ٤٨٣هـ، وكتابه هذا يغلب على ظني أن يكون من رواية ابن العربي عن أبي المُطَهِّرِ الأثيري الأصفهاني، ينظر: العارضة: (٢٩٧/٣)، وترجمته في: طبقات الشافعية لتاج الدين السبكي: (٤/١٢٣-١٢٥).

(٣) أبو المطهر الأثيري سبق التَّعريف به في السِّفْرِ الأوَّل.

(٤) في (د): أصفان.

(٥) الفقيه العلَّامة الإمام، علي بن أحمد بن محمد بن الحسن الحاكم، أبو الحسن الإستراباذي، وكتابه الذي ذكره ابنُ العربي لم أجده مذكورًا في غير هذا الديوان، ترجمته في: طبقات الشافعية للسبكي: (٥/٢٤٠-٢٤١).

(٦) في طُرَّةٍ بخط شيخنا الفقيه العلَّامة الشريف سيدي محمد بوخبزة حفظه الله ونفع به: «كذا، ولعلها: في عشرين ألف ورقة»، وقَوْلُ شيخنا متجه، والله أعلم.

(٧) قوله: «دليل يثبت ستين» سقط من (د) و(ك) و(ص) و(ب).

«أسرار الله في المسائل»[١] للدبُّوسي، في عشرة أسفار.

وقد كنتُ وَرَدْتُ من تلك الديار الكريمة سنة خمس وتسعين، فنزلتُ بتلمسان وبفاس، وكنت أذكر منها مسائل، وأُعَجِّبُهُمْ من أغراضها، فما تحرَّكت لذلك همَّة، ولا نشأت عزيمة، إلَّا لرجل واحد؛ عَلِمَ أنِّي إذا سُئِلْتُ قراءتها أو إعارتها أقول: هي من أواخر العلم، فإذا أخذتم أوائله[٢] مكَّنتكم[٣] منها، وتاقت نفسه إليها فرحل إلى العراق، وكتبها من مدرسة الحنفيَّة بمدينة السَّلام، وجاء بها، وكان ذلك من جميل صُنْعِ الله معي[٤]؛ فإنه[٥] لمَّا ذُهِبَ ببعضها[٦] عند فَيِّ[٧] الدار[٨]؛ أَسِفْتُ لها ولِمَا مضى من أمثالها، ممَّا لا أجبره إلَّا بالرحلة مرة أخرى، فأُعْلِمْتُ بأن هذا الرجل جلبها، فاستدعيتُها وجبرت ما فاتني منها، ولكن النسخة التي جلبها هذا

---

(١) ويسمى أيضًا: «أسرار المسائل»، في ثلاثة أسفار كبار، حُقِّقَ في رسائل جامعية، وأفاد منه ابن العربي في مؤلفاته؛ «الأحكام»، و«التخليص»، والدبُّوسي هو: عبد الله بن عمر بن عيسى البخاري الحنفي، أبو زيد الدبُّوسي، العلَّامة الإمام، تـ ٤٣٠هـ، ترجمته في: سير النبلاء: (١٧/٥٢١)، وينظر: معجم التراث الإسلامي: (٢/١٤١٣).

(٢) في (د): أوائلها.

(٣) في (د) و(ب): مُكِّنْتُمْ.

(٤) في (خ): به.

(٥) في (ك) و(ص): فإنها.

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): بعضها.

(٧) في (ص): نهب.

(٨) في (خ): عندي في الدار.

الرجل سقيمة ؛ لم يَعْرِضْهَا[1] بالأُمِّ، ولا قرأها على شيخ ، ففيها سقم كثير ، فما سلم منها عندي صُحِّحَتْ منه ، وبقي ما لم يكن عندي على سقمه ، والله يُصِحُّ[2] لنا أدياننا وعلومنا برحمته.

٢ [١٦٨/أ]

«الإكسير الأحمر»/ لقاضي العسكر[3] في مسائل الخلاف.

و«أصول الفقه» له.

«تعليقة ابن عمروس»[4] في نصرة مذهب مالك ؛ ستون جُزْءًا.

«تعاليق مسائل الفرائض باختلاف معانيها إِلْقَاءً ودليلًا» ، تأليف أبي عبد الله[5] الفَرَضِي الشقَّاق[6] الزاهد[7].

---

(١) في (خ): يعارضها.

(٢) في (ك) و(ص): يصحح.

(٣) ذكره ابن عساكر في التبيين: (ص١٣٩)، وتاج الدين السبكي في طبقاته: (٣٧٧/٣)، قال: «كان أبو العباس هذا رجلًا من أئمة أصحاب الحنفية، ومن المتقدمين في علم الكلام، وكان يُعرف بقاضي العسكر»، هذا الذي وجدتُ في تعريف حاله، وكتابُه هذا الذي ذكره ابنُ العربي لم أقع له على خبر في ديوان آخر، والله أعلم.

(٤) يوجد بعضه في قريب من مائة ورقة، محفوظ في خزانة المخطوطات بطرابلس، ذكره له القاضي عياض في ترتيب المدارك: (٥٤/٧)، وكانت وفاة أبي الفضل بن عمروس عام ٤٥٢هـ.

(٥) قوله: «أبي عبد الله» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٦) الفقيه العلَّامة الفَرَضِي، الحُسَين بن أحمد بن علي بن جعفر البغدادي، أبو عبد الله الشقَّاق، له تعليقة في الحساب، وتصانيف في الفرائض، سمع منه ابنُ العربي في رحلته المشرقية، قال فيه: «شيخنا أبو عبد الله الشقَّاق فرضي الإسلام»، ذكره في الأحكام: (١٦٧٤/٤)، والمسالك: (٢٢٢/٢)، توفي عام ٥١١هـ، ترجمته في: الوافي بالوفيات: (٢٠١/١٢-٢٠٢)، وطبقات الشافعية: (٧٣/٧).

(٧) هذا آخر نسخة دار الكتب المصرية، ينقص من آخرها مقدار ست ورقات.

«اختصار التقريب والإرشاد» للرازي[١] الحنفي الإسكندراني[٢].

«مدارك العقول[٣]»[٤] لأبي المعالي.

«البرهان»[٥] له.

«المنخول» و«المنتخل» و«التعليقة» للطُّوسِي.

«شفاء الغليل»[٦] له.

«غَوْرُ الدَّوْرِ»[٧] له[٨].

«تحقيقُ سؤال الكَسْرِ» للشَّاشي.

«نفيُ السُّرَيجية» لابن الصبَّاغ.

---

(١) في (خ): للدارني.

(٢) في (خ): الإسكندري.

(٣) في (خ): النقول.

(٤) قال ابن الذهبي (السير: ١٨/٤٧٥): «لم يتمه»، وذكره له أيضًا التاج في طبقاته: (٥/١٧٢)، ورواه ابن العربي عن أبي حامد الطوسي، ينظر: العواصم: (ص٣٦).

(٥) يرويه ابن العربي عن أبي حامد الطوسي وأبي سعد الزنجاني، ينظر: فهرس ابن خير: (ص٣١٩).

(٦) هو كتاب: «شفاء الغليل في بيان مسالك التعليل»، ينظر: طبقات التاج: (٦/٢٢٥)، وهو منشور.

(٧) ذكره له التاج السبكي في طبقاته: (٦/٢٢٦)، وقال: «غَوْرُ الدَّوْرِ في المسألة السُّرَيْجِيَّةِ، وهو المختصر الأخير فيها؛ رجع فيه عن مصنَّفه الأول فيها، المسمَّى بغاية الغور في دراية الدور»، ومنه نسخ خطية كثيرة.

(٨) سقط من (ك) و(ب).

«تحقيقُها» لشيخنا أبي بكر الشَّاشي.

«العقيدةُ النظامية»[(١)].

«الجامعان؛ الجلي والخفي»[(٢)] للإسفراييني[(٣)]؛ عشرة أسفار.

«الأوسط»[(٤)] لأبي المظفر؛ صاحبه.

«غِيَاثُ الأُمَمِ في الْتِيَاثِ الظُّلَمِ» لأبي المعالي.

«المِحَكُّ».

«المعيار».

«تهافت الفلاسفة».

---

(١) سمعها ابنُ العربي من الإمام أبي حامد الطوسي، ينظر: العقيدة النظامية -نسخة الإسكوريال-: (ق٤٣/أ)، وفي آخرها (ق٧٨/أ): أن ابن العربي كتبها ببيت المقدس عام ٤٨٨هـ، ونُشِرَتْ قديمًا بتحقيق الفقيه العلَّامة محمد زاهد الكوثري.

(٢) هو كتاب: «الجامع في أصول الدين والرد على الملحدين»، وهما جامعان؛ جلي وخفي، وأفاد منه السكوني في كتابه «التمييز»، ويتَّصل ابنُ العربي بكُتُبِ الإسفراييني من طريق الإمام أبي سعد الزنجاني، عن أبي المظفر، عن مؤلفها، ينظر: طبقات الشافعية: (٢٥٧/٤)، ووقع في الطبقات (٢٥٩/٤): «الحَلْي في أصول الدين»، وهو تصحيف، صوابه: «الجَلِيُّ في أصول الدين»، والله أعلم.

(٣) في (ك): الإسفراني.

(٤) هو كتاب: «الأوسط في الاعتقاد» لأبي المظفر الإسفراييني، منه سفران بخزانة نظام يعقوبي، وكانت من جملة مخطوطات الكتبي محمد احنانة، عرَّفت بها في تقدمتي للكتاب المتوسط في الاعتقاد: (ص٣٧-٤٢).

«الأرباع في شرح الزهر[1]».

«إعجاز القرآن» للخطَّابي.

«إعجاز القرآن» لابن الطيِّب القاضي.

«نقض التسديد»[2] لعبد الجليل.

«الاقتصاد[3] في الاعتقاد».

«نَقْضُ نَقْضِ التَّمْهِيدِ للطَّبَرِي» لمهدي الورَّاق[4].

«استدراكُ» أبي عمرو الزاهد على ابن قُتَيبة في غريب الحديث[5].

«فضلُ الوضوء» لابن شاهين[6].

«الفقيه والمتفقه» للخطيب.

---

(١) في (خ): الزاهر، وفي (ص): (الزهد).

(٢) كتاب «التسديد في شرح التمهيد» لعبد الجليل الرَّبَعِي القَرَوِي، كان حيًّا عام ٤٧٨هـ، ونَقْضُه هذا لم أهتد إليه ولا إلى صاحبه.

(٣) في (خ): الانتصار.

(٤) اسم كتاب الطبري هو: «التجريد في نقض التمهيد»، نَقَضَ بزعمه كتاب «التمهيد» للإمام أبي بكر الباقلَّاني، وصنَّف الإمام العلَّامة أبو القاسم مهدي بن يوسف الورَّاق كتابًا في نقضه، ومهدي الورَّاق هو من شيوخ ابن العربي الذين لقيهم بالإسكندرية عام ٤٨٥هـ، ينظر: فهرس ابن خير: (ص٣٠١)، وشرح الإرشاد للمازري: (٣/ق٣/أ).

(٥) قوله: «استدارك أبي عمرو الزاهد على ابن قتيبة في غريب الحديث» سقط من (ك) و(ص).

(٦) يرويه ابنُ العربي عن ابن الطيوري، فهرس ابن خير: (ص٣٤٤).

«المجلَّة[١]»[٢] لأبي عبيدة معمر[٣] بن المُثَنَّى.

ومن العربية والأشعار جملة كبيرة ممَّا تعود إلى تفسير القرآن والحديث.

وجَرَّدْتُ منها جملة عظيمة في:

«أنوار الفجر في مجالس الذِّكْرِ».

«معجزاتُ مُحَمَّدٍ ألفُ معجزة».

«قانون التأويل».

«شرح المشكلين».

«الناسخ والمنسوخ».

و«الأحكام».

«سراج المريدين؛ في القسم الرابع من[٤] عِلْمِ التذكير».

«المحصول».

«التمحيص».

«العواصم من القواصم».

«شرح الترمذي».

---

(١) في (خ): العجلة.

(٢) يرويها ابنُ العربي عن ابن طَرخان، واسمها: «المجلة في الأمثال»، فهرس ابن خير: (ص٤٢٠)، وذكرها له ابنُ خَلِّكَانَ في وفيات الأعيان: (٢٣٩/٥).

(٣) سقط من (ك) و(ب).

(٤) سقطت من (ك) و(ب) و(ص).

«المتوسط في الاعتقاد».

«عوالي[١] الحديث»؛ جملة وافرة.

فهذه جملة واحدة[٢] ممَّا نَفَرْتُ إليه ورجعتُ به، ممَّا لم أُسبَق إليه، وتفقَّهت فيه وبه، وأنذرتكم[٣] به، اقتداءً بمن تلزمني طاعته؛ خَيْرُ البَشَرِ، وأكرم البدو والحضر، ورغبةً في أن أُكتب فيمن أخبر الله عنهم وبشَّر بهم؛ والله ينفعني وإياكم برحمته.

وقد قال الله في القرآن العظيم: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام:٢٠]، فكما بلَّغ إلينا نُبَلِّغُ عنه، كما قال: «تسمعون ويُسمع منكم، ويُسمع ممَّن يَسمع منكم»[٤].

[فضيلةُ الإسناد]:

٢ [١٦٨/ب]

والله كرَّم هذه الأمة بالإسناد، لم يُعْطِه لأحد غيرَها،/ فاحذروا أن تسلكُوا مسلك اليهود والنصارى؛ فتُحَدِّثُوا بغير إسناد، فتكونوا[٥] سَالِبِينَ لنعمة الله عن أنفسكم، مُطَرِّقِينَ للتهمة[٦] إليكم، وخافضين لمنزلتكم، ومشتركين مع قوم لعنهم الله وغضب عليهم، وراكبين لسَنَنِهم، وقد حذَّركم النبي ﷺ عنه، وأنذركم به، والنبي نذير بالعقوبة، بشير بالثواب، والنِّذارة

---

(١) في (خ): عدلاء.

(٢) في (خ) و(ب): وافرة.

(٣) في (خ): أنذركم به.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) في (ب) و(ص): فتكونون.

(٦) في (ب): التهمة.

قبل البشارة، قال الله تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِۦ﴾ [إبراهيم:٥٤]، فالحجة ظاهرة، والداعي يُنادي، والمُهْلَةُ متَّسعة، والرسول مُبَلِّغٌ، وخلفاؤه المؤدُّون لسُنَّتِه قائمون بأمره، والقيام بالإجابة ممكن، ولكن القسمة سابقة، والتوفيق مبذول لقوم، ممنوع عن آخرين، والربُّ فعَّال لما يريد، وعلامة النجاة القبول والامتثال، وعلامة الهلكة الإعراض والإدبار، وهذه الصفة هي أكرم الأسماء وأوعبها وأوعاها، والله يجعلنا وإيَّاكم من أهلها، ويخلع علينا مُلَاءَةَ فضلها برحمته.

وإذا كان كذلك دُعِيَ في ملكوت السَّماوات «عظيمًا».

* * * * *

العَظِيمُ[١]: وهو الاسمُ [الحادي والعشرون] والمائة[٢]

وإن كان حقير الشَّارة والذات، قال النبي ﷺ: «رُبَّ أَغْبَرَ ذي طِمْرَيْنِ لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبرَّه»[٣]، وقد كان أسامةُ أسودَ أفطسَ[٤]، والنبي يمسح رُغامه، ويمصُّ دمه[٥].

وقد بيَّنَّا في كتاب «الأمد»[٦] معنى العظيم في السماء، وأن العرب تستعمله في المحسوس في كثرة الأجزاء، وتُعَبِّرُ به عن كثرة المعاني، كشرف المقدار، وسعة المعرفة، وصرامة القلب في الله، وقوة الخاطر في النظر، فتقول[٧] في الأوَّل: عظيم الجسم، وتقول: عظيم القدر.

وقد يكون عظيمًا قَوِيًّا وإن كان ضعيفًا، قال النبيُّ صلى الله عليه[٨] لأبي ذَرٍّ: «إِنِّي[٩] أراكَ ضعيفًا، وإنِّي أُحِبُّ لك ما أُحِبُّ لنفسي، وأكره لك ما أكره لنفسي، لا تَأَمَّرَنَّ على اثنين، ولا تَوَلَّيَنَّ على مال يتيم»[١٠].

---

(١) سقط من (ك) و(ص).
(٢) في (ك): المُوَفِّي عشرين، وفي (ص): الثاني عشر، وفي (ب): الحادي عشر.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) في (ص): أفطس أسود.
(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات: (٤/٥٧).
(٦) الأمد الأقصى - نسخة رضى رامبور-: (٥٢/أ).
(٧) في (ك): فنقول.
(٨) في (ص): ﷺ. (٩) سقط من (ص).
(١٠) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه: كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، رقم: (١٨٢٦-عبد الباقي).

وكان قويًّا في العبادة، ضعيفًا[1] عن تدبير الخليقة، قويًّا في الطاعة القاصرة عليه، ضعيفًا فيما يتعدَّى من المصلحة إلى غيره، فكان عظيمًا في وجه، ضعيفًا في آخر.

[فضائلُ أبي موسى الأشعري رضي الله عنه]:

وهذا أبو موسى الأشعري قَوِيٌّ في الإمارة، قَوِيٌّ في العبادة،/ [٢/١٦٩] عَظِيمٌ كَيِّسٌ فَطِنٌ، وظنَّ الأدباء بما كذبوا عليه في «التواريخ» أنه ضعيف الرأي، غَفُولٌ عن سُبُلِ النظر؛ بما جرى بينه وبين عمرو، وتلك الحكاية على وجهها التي أوردها الأدباء والمؤرخون كَذِبٌ[2]، وقد قال أنس: «أرسلني أبو موسى إلى عمر، فأتيته فسألني عنه، فقلت: تركته يُعَلِّمُ الناس، فقال: أما إنه كَيِّسٌ، فلا تُسْمِعْهَا إيَّاه»[3].

ووَلَّاه عمر البصرة، وبعثه رسول الله إلى اليمن أميرًا، وجعله قَرِينَ معاذ.

وقال عَلِيٌّ فيه: «أبو موسى صُبِغَ في العلم صَبْغَةً»[4].

وقال أبو موسى: «كان العلم في ستة من أصحاب رسول الله، نصفهم أهل الكوفة؛ عمر، وعلي، وعبد الله، وأبو موسى، وأُبَي، وزيد بن ثابت».

---

(١) قوله: «قال النبي صلى الله عليه لأبي ذر: إنِّي أراك ضعيفًا، وإنِّي أحب لك ما أحب لنفسي، وأكره لك ما أكره لنفسي، لا تأمرنَّ على اثنين، ولا تَوَلَّيَنَّ على مال يتيم، وكان قويًّا في العبادة، ضعيفًا» سقط من (ب).

(٢) ينظر: العواصم: (ص٣٠٩-٣١١).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات: (٢/٢٩٨).

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات: (٢/٢٩٩).

[عظمةُ أبي الدرداء]:

وكان أبو الدرداء من العظماء، قال معاذ حين مات: «التمسوا العلم عند فلان وفلان»[١]، وذَكَرَ أبا الدرداء.

وقد رُوي عن أبي الدرداء أنه قال: «سَلُونِي، فوالذي نفسي بيده لئن فقدتموني لتفقدنَّ رجلًا عظيمًا من أمة مُحَمَّدٍ»[٢].

[حقيقةُ العظيم]:

فيتنخَّل[٣] من هذا أن العظيم القدر هو الممتثل للأمر، المجتنب للنهي، المُعَظِّمُ للحُرمة، المنتدب[٤] للخِدمة، المُتَمَكِّنُ المعرفة، القائم بالمصلحة، التالي من الأولياء للأنبياء في المرتبة؛ بالصدق والصلاح، والمواظبة على المحافظة على الحدود والإلحاح، فحينئذ يكون «مُفْلِحًا».

* * * * *

---

(١) طبقات الفقهاء للشيرازي: (ص٤٧)، وتاريخ دمشق: (٤٧/١٢١).

(٢) طبقات الفقهاء للشيرازي: (ص٤٧).

(٣) في (ب) و(ص): فتنخَّل.

(٤) قوله: «للحُرمة، المنتدب» سقط من (ص).

المُفْلِحُ[(١)]: وهو الاسمُ [الثاني] والعشرون والمائة[(٢)]

وقد علَّقه الله على شروط؛

أوَّلها: التقوى، فقال: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:٢٠٠]؛

وعلَّقه على خصال عشر، فقال: ﴿قَدَ اَفْلَحَ الْمُومِنُونَ الذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ إلى آخرها [المومنون:١-١١]؛

وعلَّقه على الهجرة فقال في المهاجرين: ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[(٣)] [الحشر:٩]؛

وعلَّقه مع التقوى على أربعة أفعال: ﴿هُدىً لِّلْمُتَّقِينَ الذِينَ يُومِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة:١-٢]؛

وعلَّقه على التزكية فقال: ﴿قَدَ اَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ اَسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى:١٤-١٥]؛

ومتعلَّقاته في القرآن والحديث كثيرة، وقد سردناها في «الأنوار».

وبعد الرغبة في ذلك كله وصِدْقِ النية فيه والعمل به يكون «مُفْلِحًا».

---

(١) سقط من (ك) و(ص).

(٢) في (ك): الحادي والعشرون، وفي (ب): الثاني عشر، وفي (ص): الثالث عشر.

(٣) في النسخ: وأولئك.

ودخل عمَّار بن ياسر مَكَّةَ على رسول الله فقال: «أفلح وجهُ أبي اليقظان، فقال: ما أفلح ولا أنجح، فقال: وما ذلك[١]؟ قال: لم يزل المشركون حتى أعطيتهم/ الذي أرادوا، قال رسول الله: إن استزادوا فَزِدْ»[٢]. ٢ [١٦٩/ب]

وفي الصحيح: «أن النبي لمَّا دخل عليه رجل يُسمَع دَوِيُّ صوته ولا يُفقَه ما يقول، فسأله عن الإسلام، فبيَّن له الأركان، قال له: هل عليَّ غيرهن؟ قال: لا، إلَّا أن تتطوَّع[٣]، قال: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه، قال: أَفْلَحَ إن صدق»[٤].

وأرسل رسول الله عبد الله بن أُنَيْسٍ إلى سفيان بن خالد فقتله بعرفة، وحَزَّ رأسه، فدخل غارًا، وخرج الطلب وراءه، فوصلوا إلى الغار فنسج العنكبوت عليه، وبلغه رجل منهم معه نعلان وإداوة، فقال لهم: «هذا غار ليس فيه أحد، وترك الإداوة والنعلين هناك[٥]»، فخرج عبد الله وهو يبكي

---

(١) في (ص): ذاك.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ ابن شبة في أخبار المدينة مرسلًا: (٢/٨٢)، وبنحوه ابنُ سعد في الطبقات: (٣/٢٣١)، والطبري في تفسيره: (١٤/٣٧٥-التركي)؛ بأسانيد مرسلة، قال ابن حجر (الفتح: ١٣/٣١٢): «وهذه المراسيل تقوي بعضها بعضًا».

(٣) في (ب) و(ص): تطوَّع.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإسلام، رقم: (٤٦-طوق).

(٥) في (ص): هنالك.

حَرَّ تِهامة والحفاء، فوجد النعلين والماء، وسار حتى بلغ النبي ﷺ، ووجد رسول الله في المسجد، قال[١]: «أفلح الوجه، قلت[٢]: أفلح وجهك يا رسول الله، فوضعتُ[٣] رَأْسَهُ[٤] بين يديه، وأخبرته خبري، فدفع إليَّ عصًا وقال: تخصَّر بهذه في الجنة، فإن المختصر بها قليل، فدُفِنت مع عبد الله في أكفانه»[٥].

وقال ابنُ عباس: «سمعت النبي يقول: أنا فَرَطُكم على الحوض، من ورد عليَّ الحوض فقد أفلح»[٦]، وذكر الحديث.

وإن شئت أن تذكر المفلحين بصفاتهم فالقانون عندك إن شاء الله.

ويَحِقُّ عليك - وقد وصلت إلى هذه المرتبة - أن تكون عارفًا بمقدار نفسك، مُتَفَطِّنًا لوحدتك، فإنَّك «غريب».

---

(١) في (ب) و(ص): فقال.

(٢) في (ص): فقال.

(٣) في (ص): قال: فوضعت.

(٤) في (ص): الرأس.

(٥) أخرجه بلفظ قريب منه ابن حبان في صحيحه: كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، ذكر عبد الله بن أنيس رضي الله عنه، رقم: (٧١٦٠-إحسان)، وينظر: سيرة ابن هشام: (٤/٢٦٦-٢٦٧)، وطبقات ابن سعد: (٤/٣٩٩)، ولم أجده كما أورده ابن العربي، وفي بعض الأصول: «خالد بن سفيان»، وفي طبقات ابن سعد: «سفيان بن خالد»، وكذلك في فتح الباري: (٢/٤٣٧)، والله أعلم.

(٦) أخرجه الطبراني في أكبر معاجمه عن ابن عباس رضي الله عنهما: (١٢/٧١)، رقم: (١٢٥٠٨).

الغَرِيبُ[١]: وهو الاسمُ [الثالث][٢] والعشرون والمائة

وأشدُّ أنواع الغربة فَقْدُ النظير، وعَدَمُ المساعد، والاضطرار إلى صحبة الجاهل.

[غُرْبَةُ بَقِيِّ بن مَخْلَدٍ]:

فهذا بَقِيُّ بن مَخْلَد من حُفَّاظِ الأمة؛ رحل إلى المشرق واغترب فيه مدة، ولقي أحمد بن حنبل وعبد الله بن أبي شيبة، وأَكْثَرَ من الشيوخ والرواية[٣]، وجلب ما لم يجلبه[٤] أحد، ولا يُجلب[٥] في ظني، وعند وصوله ثارت إليه[٦] المطالبات، وتعصَّبت عليه الجماعات، وعُزِم على صاحبه في الرحلة والغربة محمد بن وضَّاح[٧] أن يكون معهم عليه، فقال: وما عسى أن أقول فيه وهو من هو؟ فقيل له: تحيَّل، ولم يَرَ أن يخرج عنهم لئلَّا يتَّخذوه غَرَضًا كما فعلوا به، فكتب شهادته عليه أن عنده مناكير، وعَنَى

---

(١) سقط من (ك) و(ص).

(٢) في (ك): الثاني والعشرون، وفي (ص): الرابع عشر، وفي (ب): الثالث عشر.

(٣) في (خ): الرواة.

(٤) في (ص): يجلب.

(٥) في (خ): وجلب ما لم يجلبه غيره فيما يغلب في ظني.

(٦) في (خ): عليه.

(٧) في (ك) و(ب): محمد بن وضَّاح في الرحلة والغربة إلى أن يكون.

٢

[١٧٠/أ] بذلك أنه روى أحاديث ضعافًا، فاقتُنع[(١)] منه بذلك[(٢)]، /واستُظهر عند الأمير بشهادته، ودفع الله عنه بصلاحه على وجه طويل[(٣)].

[غربةُ محمد بن مَوْهَب]:

وقد اغترب في طلب العلم محمد[(٤)] بن مَوْهَب[(٥)]؛ جدُّ أبي الوليد الباجي[(٦)] لأُمِّه، ولم يُبْعِدْ وعاد، فلمَّا تكلَّم بشيء ممَّا كان عنده وقال: «إن النسوة قد كان منهن نبي»؛ ثاروا عليه، وشَنَّعُوا وأَخْمَلُوهُ.

[غربةُ أبي الوليد الباجي[(٧)]]:

وهذا أبو الوليد الباجي رحل وأَبْعَدَ، وجلب عِلْمًا جَمًّا[(٨)]، وقُرِئ عليه

---

(١) في (ص): قُنِع.

(٢) أفاد من هذا الموضع ابن الأزرق في روضة الإعلام: (٨٨٩/٢-٨٩٠).

(٣) ينظر: تاريخ ابن الفرضي: (١٤٥/١)، وتاريخ دمشق: (٣٥٦/١٠).

(٤) في (ص): أبو بكر محمد بن موهب.

(٥) الفقيه الإمام، المتكلم النظَّار، محمد بن موهب التُّجِيبِي، أبو بكر القبْري، تـ٤٠٦هـ، شُهِرَ عنه القول بنبوة النساء، وكان الأصيلي يواليه وينصره، مع جماعة من نحارير علماء الأندلس، وله في العقائد تواليف كثيرة، وله شرح لرسالة شيخه ابن أبي زيد القيرواني، ترجمته في: جذوة المقتبس: (ص١٣٧-١٣٨)، وترتيب المدارك: (١٨٨/٧-١٩١)، والصلة: (١٢٢/٢-١٢٣).

(٦) في (ص): أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي المالكي.

(٧) الإمام الحافظ الحجة، والمتكلم النظَّار على لسان أهل الحق، شيخ الإسلام، وعالم الأندلس، سليمان بن خَلَفٍ التُّجِيبِي، أبو الوليد الباجي، (٤٠٣-٤٧٤هـ)، والمسألة التي ذكرها ابنُ العربي عنه ألَّف فيها أبو الوليد كتابًا ترجمه باسم: «تحقيق المذهب في أن النبي ﷺ كتب»، سيرتُه في: ترتيب المدارك: (١١٧/٨-١٢٧)، والصلة: (٢٧٧/١-٢٧٨)، وينظر: العواصم: (ص٣٦٧).

(٨) أفاد من هذا الموضع ابنُ الأزرق في روضة الإعلام: (٨٩٠/٢).

البخاري وفيه: «أن النبي ﷺ محا وكتب»[١]، فقيل له: وعلى من يعود قوله: «كتب[٢]»؟ فقال: على النبي، فقيل له: وكتب بيده؟ قال[٣]: نعم؛ ألا ترونه يقول في الحديث: «فأخذ رسول الله الكتاب -وليس يُحْسِنُ يكتب- فكَتَبَ: هذا ما قاضى[٤] عليه محمد رسول الله»، فأَعْوَلُوا عليه، وحملوا كل تكذيب وتعطيل عليه[٥]، وانتدب له[٦] جاهل من المقرئين[٧]، فأخبرني أبو محمد عبد الله[٨] بن أبي عصام[٩] بالمسجد الأقصى قال: «رأيتُه يصيح في المسجد الجامع ويُعْلِنُ بالزندقة إليه»[١٠].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصلح، باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان وفلان بن فلان وإن لم ينسبه إلى قبيلته أو نسبه، رقم: (٢٦٩٩-طوق).

(٢) في (خ): وكتب.

(٣) في (ص): فقال.

(٤) في (ك) و(خ): قضى.

(٥) في (ص): إليه.

(٦) سقط من (ب) و(ك) و(خ).

(٧) في (خ): المقربين.

(٨) لم يرد في (ص).

(٩) لم أهتد إلى معرفته.

(١٠) قال الحافظ ابن دحية (التنوير في مولد السراج المنير: ق٣٤٥/ب-٣٤٦/أ): «ذَكَرَ عمر بن شَبَّةَ في كتاب الكُتَّابِ له: أن النبي ﷺ كتب يوم الحديبية بيده، ونَحَا في قوله إلى أنه قصد الكتاب عالمًا به في ذلك الوقت، ولم يعلمه قبله، وأن ذلك من جملة معجزاته أن يعلم الكتاب من وقته؛ لأن ذلك خَرْقٌ للعادة، وقال بهذا القول بعض المحدثين؛ منهم: أبو ذَرٍّ الهروي، وأبو الفتح النيسابوري، والقاضي أبو الوليد سليمان بن خلف اللَّخْمِي المالكي الأندلسي، وصنَّف في ذلك كتابًا، وقيل: إنه كتب ذلك اليوم غير عالم بالكتابة ولا مُمَيِّزٍ لحروفها؛ لكنه أخذ القلم بيده فخَطَّ به ما لم يميزه هو، فإذا هو كتابٌ ظاهرٌ =

بَيْدَ أن الأمير كان مُتَثَبِّتًا، فدعا الفقهاء إلى المسألة؛ فاتَّفقوا على أن هذا القول كُفْرٌ، فاستظهر الباجي ببعض الحجة في ذلك، وقال للأمير: «هؤلاء جهلة، ولكن اكتب إلى علماء الآفاق[1]»، فكتب إلى إفريقية وصقلية[2]، فجاءت الأجوبة بتصديق الباجي وتصويب قوله، وكان من قوله: «إن النبي الأمي يجوز أن يكتب بعد أُمِّيَّته، فيكون ذلك من معجزاته[3]، ولا يطعن أحد بذلك عليه؛ لأنهم قد[4] تحقَّقوا أُمِّيَّته، ثم شاهدوا معجزته»[5]، فوقفوا، ولم يطعنوا ولا آمنوا، حتى فاء فضلُ الله عليهم في وقت آخر، وهذه حكمة الله في خلقه، وابتلاؤه لحَمَلَةِ علمه، والعاقبة للمتقين[6].

قال الإمام الحافظ[7] رضي الله عنه: ويتعلَّق الغريبُ باسم «المُفْرِدِ»[8] الذي أُهْتِرَ بذِكْرِ الله؛ فإنه إذا كان بهذه الصفة لم يجد نظيرًا، ولا عاين لنفسه

= بَيِّنٌ على حسب المراد، وذهب إلى ذلك القاضي أبو جعفر السِّمْنَانِي الأصولي، قال القاضي أبو الوليد: بل كان من أوكد معجزاته أن يكتب من غير تعلم»، ثم رَدَّ ابن دحية اعتلالات المجيزين لكتابة النبي ﷺ، وبيَّن ضعفها، وكذلك فعل أبو القاسم السُّهَيلي: الروض الأُنُف: (٦/٤٨٥-٤٨٦).

(١) في (خ): العلماء بالآفاق.

(٢) في (ص): صقلية وإفريقية.

(٣) في (ك): معجزته.

(٤) سقطت من (ص) و(ب).

(٥) تحقيق المذهب للباجي: (ص٢٢٠).

(٦) أفاد من هذا الفصل الحافظ ابنُ حجر في تلخيص الحبير: (٣/٢٧٠).

(٧) في (ب): قال الإمام رحمه الله، في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.

(٨) مَرَّ ذكره في هذا السِّفْرِ.

مشاركًا، وقد تقدَّمت روايتنا للحديث: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»[(١)]، وفي الحديث: «طوبى للغرباء»[(٢)]، وقال صلى الله عليه[(٣)]: «بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ»[(٤)].

[حقيقةُ الغريب]:

وهو اسم عزيز، وأصله في العربية: البعيد؛ فإنه بَعُدَ عن الأهل والولد، وربما المال، وفَقْدُ النظير في الغُرْبَةِ أعظمُ من فَقْدِ هذه الثلاث المتقدم ذِكْرُها؛ فإن الرجل إذا كان في غير أقرانه/ كان ذلك سبب هوانه. [/ب]

وقد سمعتم حَالَ من تأخَّر موته من الصحابة وقد ذهب أقرانهم كيف كانت حالهم، كسهل بن سعد السَّاعدي، وأنس بن مالك، ومن عُمِّرَ طويلًا؛ فإن أراد الحق لم يجد له عاملًا، وإن طلب العلم لم يُلْفِ به عارفًا، وإن تعرَّض للطاعة أو عرَّض بها لم يُبْصِرْ فيها راغبًا.

قال علماؤنا - رحمهم الله -: المعنى في قوله: «بدأ الإسلامُ غريبًا، وسيعود غريبًا»[(٥)]: أنه بدأ في واحد؛ وهو المصطفى، ولما يزل يُنْمَى حتى أكمله الله، فلمَّا استأثر الله برسوله وأخذ في النقصان لا بد له أن يرجع إلى واحد، ثم إلى العدم، وقد أنذر به الصادق في قوله: «لن تقوم السَّاعة حتى

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﵁: كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، رقم: (١٤٥-عبد الباقي).

(٣) في (ب) و(ص): ﷺ.

(٤) هو الحديث السَّابق.

(٥) سبق تخريجه.

لا يقال في الأرض: الله، الله»[١]، يعني: لا يبقى فيها مؤمن، كما تقدَّم بيانُنا[٢].

وأوَّل غريب وقع في الإسلام أبو ذَرٍّ، وقصته مشهورة.

وسَرْدُهم[٣] طويل.

[غُرْبَةُ ابن العربي[٤]]:

وعَجِلَتْ[٥] عليَّ الغربةُ ابن ستة عشر عامًا، فكنتُ فيها نحو الأحد عشر عامًا كأنَّني في أهلي ومالي؛ طَيِّبًا عيشي، ناعمًا بالي، مُيَسَّرًا لي في جميع أحوالي[٦] وآمالي، وكان لي هنالك[٧] صاحبُ[٨] صِدْقٍ، وأخٌ من غير مَذْقٍ، جئتُ من أقاصي المغرب[٩]، وأقبل من أقاصي المشرق[١٠]، والتقينا على موسطة من الأرض، سِطَةٍ[١١] من البلاد[١٢]، وَسَطٍ في الخِيَارِ، فالتقينا على الطلب، وكنَّا كما قال الأوَّل:

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) في (ب): بيانه.

(٣) أي: الغرباء.

(٤) أفاد من هذا الفصل ابنُ الأزرق في روضة الإعلام: (٢/٨٩٠-٨٩١).

(٥) في (ص): عجَّلت.

(٦) سقط من (ك) و(ب).

(٧) في (خ): هناك.

(٨) في (خ): صديق صاحب صدق.

(٩) في (خ): المغارب.

(١٠) في (خ): المشارق.

(١١) في (خ): بسطة.

(١٢) في (ك): جئت من أقاصي الأرض سطة من المغارب، وأقبل من أقاصي المشارق، والتقينا على موسطة من البلاد.

نزلنا على قَيْسِيَّةٍ يَمَنِيَّةٍ لها نَسَبٌ في الصالحين هجان
فقالت وأرخت جانب الستر دوننا[١]: لأَيَّةِ أَرْضٍ أَمْ مَنِ الرَّجُلان؟
فقلت لها: أَمَّا رفيقي فقومه تميم وأَمَّا أُسرتي فيَمَان
رفيقان شتَّى أَلَّف الدهر بيننا وقد يلتقي الشتَّى فيأتلفان[٢]

ثم قدَّر الله أن عُدْتُ إلى مسقط رأسي، فذهب أُنسي، وأرجو أحسن العاقبة؛ فإنه لم يُرجعني إلَّا حَقُّ الوالدة، وصِرْتُ الآن غريبًا بين قومي، وقد كنتُ غريبًا بين الغرباء؛ رفيعًا، شهيرًا، موصولًا، مُمَدَّحًا، مقبولًا، وذلك لفساد النيات، وقلة الإنصاف، واعتقاد المنافسة، ونبذ التواضع للشرف، والعناد للحق.

٢ أليس غريبًا أن يؤمل طاعة ويدعو إليها والزمان مباعدُ
[١٧١/أ] يباعدك الأدنون في كل حالة ويمسح عِطْفَيْكَ الرجال الأباعدُ/
وأنت مُعَنًّى لا سُلُوٌّ ولا أَسًى تَكَنَّفَكَ الغاوون؛ وَاشٍ وحَاسِدُ
غريبٌ عن الإخوان في كل فرقة إذا عظُم المطلوب قلَّ المساعدُ[٣]

كنت بالمُقْتَدِيَّة[٤] أصلي المغرب في مسجد شيخنا سلمان القَيْسَراني

---

(١) في (خ): بيننا.

(٢) الأبيات من الطويل، وهي في معجم الأدباء: (٢/٤٧٤)، ووفيات الأعيان: (٦/٣)، والذخيرة: (٧/١٢٦)، أنشدها ابن الأعرابي.

(٣) الأبيات من الطويل، الأخير للمتنبي مضمَّن، وقد مَرَّ، والأولى لم أجدها.

(٤) في (ص): المقتدرية، وهي تصحيف.

المقتدية: من محلَّات بغداد، نسبة إلى أمير المؤمنين المقتدي بالله، وبها كان قصر الخليفة، وبها كان مُقام الإمام ابن العربي ووالده ببغداد، بجوار نهر المُعَلَّى، ينظر: فهرس ابن خير: (ص٥١٢)، ولم يعد لها وجودٌ اليوم.

الإمام الزاهد[١]، فلمَّا قضينا الصلاة رَكَعَ إلى جانبي الإمام سلمان، وإذا بقائم يقول في المسجد: انظروا مِنِّي، أنا غريب من ذلك الجانب، يعني: الكَرْخَ، آوَانِي الليل عندكم، فقال لي سلمان: أنت تشكو الغربة، وهذا يشكوها، فكم بين بلديكم؟

ولكن هؤلاء أرق قلوبًا، وأصبر على طاعة الله، فلو لم يكن من فوائد الغربة إلَّا تحصيل الشريعة، وجمع أدلتها، وتأليف أخبار رسول الله ﷺ والحُجَّة[٢] فيها.

[إسنادٌ]:

ومن غريب ذلك سَنَدًا ومَتْنًا ما أخبرنا به[٣] محمد بن طَرخان: أنا محمد بن فتُّوح، وأخبرنا أبو الفضائل بن طوْق عن الأستاذ الإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القُشَيري قال[٤]: سمعت حمزة بن يوسف السَّهْمِي يقول: سمعت أبا الفتح نصر بن أحمد بن عبد الملك يقول: سمعت عبد الرحمن بن أحمد[٥] يقول: سمعت أبي يقول: «جاءت امرأة إلى بقي بن مخلد فقالت: إن ابني قد أسره الروم، ولا أقدر له على مال أكثر من دُوَيْرَةٍ، ولا أقدر على بيعها، فلو أشرتَ إلى من يَفْدِيهِ بشيء، قال:

---

(١) في تاريخ دمشق (٢١/٤٧٨): «سلمان بن ندى بن طراد القيسراني، الفقيه الشافعي، كان إمامًا في الفقه، حافظًا له، مولده في رجب من عام ٤٣٨هـ»، فلعله هو، والله أعلم.

(٢) في (ك) و(ب) و(ص): الحجة.

(٣) سقط من (ك) و(ص).

(٤) سقط من (ك).

(٥) بعده في (ص): هو ابن بقي بن مخلد الأندلسي القرطبي، ولعلَّها مقحمة.

فأطرق الشيخ وحرَّك شفتيه[١]، قال: فلبثنا مدة؛ فجاءت المرأة ومعها ابنها، فأخذت تدعو له وتقول: قد[٢] رجع سالمًا[٣]، وله حديث يحدثك به، قال الشاب: كنت في يَدَيْ[٤] بعض ملوك[٥] الروم مع جماعة من الأُسارى، وكان له إنسان يستخدمنا كل يوم؛ يُخْرِجُنا إلى الصحراء للخدمة ثم يردنا وعلينا قيودنا، فبَيْنَا نحن نَجِيءُ من العمل مع صاحبه الذي كان يحفظنا فانفتح القيد من رجلي ووقع على الأرض، ووصف اليوم والساعة، فوافق الوقتَ الذي جاءت المرأة إلى الشيخ ودعا فيه، قال[٦]: فصاح عليَّ الذي كان يحفظني، وقال: كسرتَ القيد؟ فقلت: لا، إلَّا أنه سقط من رجلي، قال: فتحيَّر وأخبر صاحبه، وأحضر الحدَّاد فقيَّدُوني، فلمَّا مشيتُ خطوات سقط القيد من رجلي، فتحيَّروا في أمري، فدَعَوا رهبانهم فقالوا لي: ألك والدة؟ فقلت: نعم، فقالوا: وافق دعاؤها الإجابة، وقد أطلقك الله، فردوني إلى بلاد المسلمين»[٧]، فهذه غرابة مَتْنِه/، وأمَّا غرابة سنده؛ فرَجُلٌ[٨] رَحَلَ من إشبيلية فلقي بمدينة السَّلام رجلًا حدَّثه عن رَجُلٍ من

٢ [١٧١/ب]

(١) في (ك): شفته.

(٢) سقطت من (ص).

(٣) في (ب): به إلينا.

(٤) في (ب): يد.

(٥) في (ك): ملك.

(٦) سقط من (ك) و(ب).

(٧) جذوة المقتبس: (ص٢٥٤)، وتاريخ دمشق: (١٠/٣٥٥).

(٨) هو الإمام ابن العربي، وإنما يقصد نفسه، وشيخه هذا الذي لقيه بمدينة السَّلام هو ابن طوْق، عن شيخه أبي القاسم القُشَيري.

أهل نيشاغور[١]، أخبره عن رجل كان بالأندلس، وهذا مـن فوائـد الرحلـة[٢] ومفاخر هذه الأمة[٣].

فـالعلمُ حـدَّثنا عمـرو وأخبرنـا   وما سوى ذلك وسـواس الـشياطين[٤]

وحينئذ يكون مُنْقَطِعًا إلى الله «مُتَبَتِّلًا».

* * * * *

(١) في (ص): نيشابور.

(٢) قوله: «من فوائد الرحلة» سقط من (ك) و(ص).

(٣) في (خ): وهذا من مفاخر هذه الأمة وفوائد الرحلة.

(٤) قبله في (خ):

كـل العلـوم سـوى القـرآن زندقـة   إلَّا الحديث وإلَّا الفقـه فـي الـدينِ

المُتَبَتِّلُ[١]: وهو الاسمُ [الرَّابع] والعشرون والمائة[٢]

قال الله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾ [المزمل:٧].

والمُتَبَتِّلُ في العربية: هو القاطع[٣]، فقيل في الشريعة لمن قطع نفسه عن غير الله[٤]، وأقبل على الله بالكُلِّيَّةِ، وبهذا أمر الله نبيَّه، قال[٥]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾ [المزمل:٧]، أي: أَخْلِصْ له[٦]، وقد بيَّنَّاها في «الأحكام»[٧] وغيرها على ما اقتضاه ذلك الغرض.

[قولُه تعالى: ﴿قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾]

وقوله تعالى: ﴿قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾ فيه ستة أقوال[٨]:

---

(١) سقط من (ك) و(ص).

(٢) في (ك): الثالث والعشرون، وفي (ص): الخامس عشر، وفي (ب): الرابع عشر.

(٣) في (ص): المنقطع.

(٤) ينظر: لطائف الإشارات: (٦٤٣/٣)، وكتاب الغريبين: (١٣٩/١).

(٥) في (ص): فقال.

(٦) تفسير الطبري: (٣٧٧/٢٣-التركي).

(٧) أحكام القرآن: (١٨٧٩/٤-١٨٨٠).

(٨) ينظر: أحكام القرآن: (١٨٧٦/٤).

الأَوَّل: أنه القرآن[١]، وثِقَلُه كثرة علومه، ضَرَبَ الله[٢] له الثِّقَلَ مَثَلًا.

الثاني: كلمة لا إله إلا الله[٣]، ثقيلة على الكفار.

الثالث: ثِقَلُ القرآن في الميزان[٤].

الرابع: ثِقَلُه عليك في التحصيل[٥].

وقد قيل له: «كيف يأتيك الوحي؟ فقال صلى الله عليه[٦]: أحيانًا يأتيني في مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليَّ، فيَفْصِمُ عني وقد وعيتُ ما قال، وأحيانًا يتمثَّل لي المَلَكُ رجلًا؛ فيُكَلِّمُنِي فأعي ما يقول، ولقد كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيَفْصِمُ عنه وإنَّ جبينه ليتفصَّد عرقًا»[٧].

وصَحَّ عن عمر بن الخطاب أنه قال: «كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي سُمع[٨] عند وجهه كدَوِيِّ النحل، فأُنزل عليه يومًا فمكثنا ساعة فسُرِّيَ عنه، فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال: اللهم زدنا ولا تُنقصنا، وأكرمنا ولا تُهِنَّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثِرْنا ولا تُؤْثِرْ علينا، وأَرْضِنا وارْضَ عنَّا،

---

(١) لطائف الإشارات: (٣/٦٤٢).

(٢) لم يرد في (ك) و(ب).

(٣) لطائف الإشارات: (٣/٦٤٢).

(٤) لطائف الإشارات: (٣/٦٤٢).

(٥) تفسير الطبري: (٢٣/٣٦٥-التركي).

(٦) في (ص) و(ب): ﷺ.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة ﵂: كتاب بدء الوحي، رقم: (٢-طوق).

(٨) في (ص): يسمع.

ثم قال: أنزل علي عشر آيات، من أقامهن دخل الجنة، وقرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المومنون:١]، حتى ختم عشر آيات»[١]، وهذا صحيح.

ورُوي أنه كان ينزل عليه الوحي فتُلْقِي ناقته بجِرَانِها إلى الأرض من ثِقَلِ الوحي[٢].

الخامس: ثِقَلُ سماعه على من جَحَدَهُ[٣].

السَّادس: ثِقَلُه: أنه لا يَبُوءُ[٤] بعبئه إلَّا من أُيِّدَ بقوَّة سماوية[٥]، وكذلك هو، ما أعلم من حصَّله بعد الصحابة والتابعين إلَّا محمد بن جرير الطبري[٦].

[قولُه تعالى: ﴿وَتَبَتَّلِ اِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾]

وقال له: ﴿وَاذْكُرِ اِسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلِ اِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل:٧].

قيل: أعطه قلبك.

وقيل: تعبَّد له[٧]/. ٢ [١٧٢/أ]

(١) أخرجه الترمذي في جامعه: أبوابُ التفسير عن رسول الله ﷺ، بابٌ ومن سورة المومنين، رقم: (٣١٧٣-بشار).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان عن عروة بن الزبير مرسلًا: (٣٦٥/٢٣-التركي).

(٣) لطائف الإشارات: (٦٤٢/٣).

(٤) في (ص): ينوء.

(٥) لطائف الإشارات: (٦٤٣/٣).

(٦) ينظر: القبس: (١٠٤٧/٣).

(٧) تفسير الطبري: (٣٧٩/٢٣-التركي).

والذي عندنا ما قدَّمناه في تأويله ؛ أن ينقطع المرء عن غير الله ، فلا يكون له في غيره حظ ، ويَبُتُّ العلائق التي بينه وبين الدنيا ، فلا يتعلَّق له بها بال ، وينبذ المنابذ التي بيَّنَّاها في اسم «الزاهد»[١].

ولا يلزم في أفضل التبتل قَطْعُ الخلق عن الصحبة إلا عند فساد الناس[٢] ، فتكون النجاة في طرحهم عن القلب ، ونبذهم عن الصحبة ، وتطليق ما بين المرء وبينهم من عُقْدَةٍ.

[المُتَبَتِّلُونَ بالمسجد الأقصى]:

وقد رأيتُ منهم بالشَّامِ - وخصوصًا بالأرض المقدَّسة وبالحجاز وبالعراق - جماعة ، لا أُحصي لهم عددًا ، وكان يَرِدُ علينا في بيت المقدس كل عام من جبال الشام جماعة من المُتَبَتِّلِينَ ؛ يصومون بالمسجد الأقصى شهر رمضان ، ثم يرجعون إلى جبالهم وكهوفهم[٣].

[رَغْبَةُ الطُّرْطُوشِي في التبتل]:

وكان الطُّرْطُوشِي يقول لنا: «هل لكم في أن نخرج بأنفسنا ، ونتبتَّل إلى ربنا ، ونعلوَ ظهر جبل نجعله دارنا ، ونلتزم فيه العبادة حَجْرَةً عن الخلق ، ونَبْذَةً من الناس؟».

فكنتُ أقول له: إذا حَصَّلْتُ ما أؤمِّل من العلم كنتُ لك صاحبًا في هذا الغرض.

---

(١) في السفر الثالث.

(٢) في (ص): الدين.

(٣) ينظر: قانون التأويل: (ص٩٧).

والذي ظهر إليَّ أنَّ شيخنا أبا بكر - رحمه الله - لم يكن له عزيمة على هذه القصة؛ فإن من أرادها لم يحتج فيها صاحبًا، إلَّا الذي يتبتَّل له، أو كانت له في ذلك نيَّة، ولكن بمحبته في العلم كان يريد صاحبًا يتعالم معه ويتذاكر، لما في ذلك من اللذَّة الشرعية.

فكُنَّا ارتبطنا أن يكون ذلك بعد أعوام؛ نُحَصِّلُ فيها نحن مُرَادَنا من العلم، فلمَّا كان بعد ثلاثة أعوام اجتمعت معه بالثغر، وقد زال عن تلك الطريقة؛ من لباس العباءة، والاقتصار على الطعام الجَشِبِ، والنوم على المضجع القضيض، وإهمال النظر في المعاش، إلَّا ما جاء على الفُتُوحِ، ولَبِسَ الرقيق، وأَكَلَ المُلَوَّقَ[1]، ونام على الفراش الوثير.

فقلت له: ما هذا الذي تعاهدنا عليه!

فقال: ما طلبناه؛ ولكن لمَّا جاء من وجهه قَبِلْنَاهُ.

فبقي على الخُلطة في زهده وعبادته[2] حتى افترقنا، وكذلك كان فيما بلغني؛ حتى مات على خير طريقة، والله يكتب له أمانه، ويُبَوِّئُه جِنانه، ويُلحقه رضوانه، بفضله ورحمته[3].

تنويعُ المُتَبَتِّلِينَ:

والمُتَبَتِّلُونَ على أنواع:

٢ [١٧٢/ب]

منهم من يتبتَّل للقرآن؛ فهو/ يتلوه آناء الليل والنهار.

---

(١) الملوق: الطعام المصلح الليِّن، تاج العروس: (٢٦/٣٦٥).

(٢) في (ص): في زهد وعبادة.

(٣) بعده في (ص): «إنه منعم كريم، رؤوف رحيم»، ولعلها مقحمة.

ومنهم من يتبتَّل للذِّكْرِ؛ فيكون مُهَلِّلًا مُسَبِّحًا مُكَبِّرًا.

ومنهم من يتبتَّل للصَّلاة؛ فيكون راكعًا وساجدًا.

ومنهم من يتبتَّل للصوم عن الطعام والشراب وقول الزُّورِ والعمل به.

ومنهم من يتبتَّل للصدقة.

ومنهم من يتبتَّل لإصلاح الخلق بالتعليم.

ومنهم من يتبتَّل لتأويل القرآن.

ومنهم من يتبتَّل لجَمْعِ حديث النبي صلى الله عليه[١].

ومنهم من يتبتَّل للذَّبِّ عن المِلَّةِ عن شُبَهِ الأئمة المُضِلِّين[٢].

وكُلُّ باب من هذه إذا خلصت فيه النيَّة لا يوازنه إلَّا ما في علم الله من ثوابه، وما أَعَدَّ للمُعْتَمِلِ فيه القائم به.

ومن هذه الأنواع ما يكون مع الوحدة والعزلة، ومنها ما يكون مع الخُلطة، فأمَّا الاشتغالُ بالنوازل فإحدى المصائب النوازل.

[حكاية]:

وقد قرأتُ بمدينة السَّلام على أبي بكر التُّرْكِي الصوفي: أخبركم محمد بن فتُّوح: أنا أحمد بن رشيق: أنا أبو عبد الله محمد بن شجاع الصوفي قال: «كنت بمصر أيام سياحتي فتاقت نفسي إلى[٣] النساء،

---

(١) في (ص) و(ب): ﷺ.

(٢) في (ك): المضلة.

(٣) سقط من (ك).

فذكرتُ ذلك لبعض إخواني فقال لي: هاهنا امرأة صوفية لها ابنة مثلها جميلة، قد ناهزت البلوغ، قال: فخَطَبْتُها وزُوِّجْتُها، فلمَّا دخلت عليها وجدتها مستقبلة القبلة تصلي، قال: فاستحييت أن تكون صبية في مثل سنها تصلي وأنا لا أصلي، فاستقبلت القبلة وصليَّتُ ما قُدِّرَ لي، حتى غلبتني عيني، فنامت في مُصَلَّاهَا، ونمتُ في مُصَلَّايَ، فلمَّا كان في اليوم الثاني كان مثل ذلك أيضًا، فلمَّا طال عليَّ قلت لها: يا هذه، ألاجتماعنا معنى؟ قال[1]: فقالت لي: أنا في خدمة مولاي[2]، ومن له حَقٌّ فما أمنعه، قال: فاستحييت من كلامها، وتماديتُ على أمري نحو الشهر، ثم بدا لي في السفر، فقلت لها: يا هذه، قالت: لبيك، قلت: إني قد أردت السفر، فقالت: مُصَاحَبًا بالعافية، قال: فقمت، فلمَّا صرتُ عند الباب قامت فقالت: يا سيدي، كان بيننا في الدنيا عَهْدٌ لم يُقْضَ بتمامه، فعسى في الجنة إن شاء الله، فقلت لها: عسى، فقالت: أستودعك الله خير مُسْتَوْدَعٍ، قال: فتودَّعت منها وخرجت، قال: ثم عدت إلى مصر بعد سنين، فسألتُ عنها، فقيل لي: هي على أفضل ممَّا تركتَها عليه من العبادة والاجتهاد»[3].

٢ [١٧٣/أ]

وهذا لما خُصَّتْ به تلك الديار من رِقَّةِ الحواشي، وحِدَّةِ الخواطر،/ وصفاء القلوب، فترى لنسائها المُخَدَّرات وعامَّتِها المسترسلات على المعاش ما لا ترى لأحد من نُبلاء بلادنا.

---

(١) سقط من (ص).

(٢) في جذوة المقتبس (ص٩٥): ربي مولاي.

(٣) جذوة المقتبس: (ص٩٥).

[العالمةُ الشيرازية[١]]:

لقد كان في بيت المقدس نِسْوَةٌ يُفْخَرُ بهم على الأزمنة؛ يَلْتَفِفْنَ[٢] على العالمة الشيرازية؛ فقيهة واعظة، مُتَعَبِّدَةٌ مُتَبَتِّلَةٌ، فلمَّا دخل الروم بيت المقدس يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت لشعبان من سنة ثنتين وتسعين وأربع مائة لجأت بهم أجمعين إلى المسجد الأقصى، وجلسوا في قُبَّةِ[٣] السِّلْسِلَةِ التي كان يحكم بها داودُ ﷺ وفيها، فلمَّا غشيتهم[٤] الرومُ قُمْنَ[٥] إليهم بالسَّبِّ ورَمْي التراب في وجوههم، فحَصَدُوهُنَّ[٦] بالسيوف، وأنزلوا بهن[٧] الحُتوف، قال لي من عَايَنَ ذلك وهو في سطح المسجد الأقصى[٨]: «كُنَّ[٩] قريبًا من ألف امرأة».

[أَدَبُ نساء بغداد]:

ولقد خرج بعضُ الغرباء ببغداد في فُرْجَةٍ ليوم هو عندهم بها معروف، في رفقة[١٠] من أهل الطلب، وكان منهم من يحسن الأدب، فساروا، فلمَّا برزوا عن المنازل وصاروا في صحراء البلد على شاطئ

---

(١) ينظر: العواصم: (ص٣٧٢)، ولم نقف لهذه العالمة الجليلة على ما يفيد في معرفتها وبيان أخبارها.

(٢) في (ك): يلتفون، وفي (ب): تلتفون.

(٣) في العواصم (ص٣٧٢): بقية، وهو تصحيف.

(٤) في (ب): غشيهم.

(٥) في (ك): قاموا.

(٦) في (ك): فحصدوهم.

(٧) في (ك): بهم.

(٨) بعده في (ص): قال.

(٩) في (ك) و(ب): كانوا.

(١٠) قوله: «مع رفقة» سقط من (ك) و(ب).

الوادي يتماشون لارتياد مجلس، إذا بامرأة لها حشمة، يَحُفُّ بها جَوَارٍ لها[١]، لهنَّ[٢] منظرة وشارة، فتقدَّم منهم[٣] واحدٌ إليهن، فلمَّا دَانَاهُنَّ[٤] قال مخاطبًا لهن - يعني: سيدتهن -:

من أين يأتي ذا الغزال الذي قد كُحِلت بالسحر عيناهُ[٥]

فصَرَفَتْ سيدتهن رأسها إليه[٦] بأسرع من لمح البصر فقالت:

من دوحة المجد ودار التقى فسعيُه يرضى به اللهُ[٧]

فسُقِطَ في يده لِمَا سمع من الفصاحة، وتبيَّن من العفة والجلالة، وكَفَّ ورجع إلى أصحابه من خلف، وطفقوا يُصَفِّقُونَ عجبًا، ويُفنون القول؛ حَسُنَ ذَا دِيَانَةً[٨] وأدبًا، ونزلت مع جواريها في ظِلٍّ، وضربوا الرواق من المُلاء الصِّفاق، ولم يكن بأقرب من أن أرسلت إليهم جاريتين من جواريها معهما أطباق، فيها طعام وحلاوة، فأكلوا وأقاموا هنالك، حتَّى لما حان انصرافهم أرسلت إليهم جارية تقول لهم: تقدَّمُوا/ في الرجوع، فليس يَحْسُنُ أن نتدانى في المشي، حتى إذا أبعدتم أخذنا نحن في الرجوع، فقمنا متعجبين ممَّا رأينا فيها من الكرم والأدب والعفة.

٢ [١٧٣/ب]

واختصرتُ الحكاية.

---

(١) سقط من (ك) و(ب).
(٢) في (ك): لهم.
(٣) في (ب): منهم.
(٤) في (ص): دنا منهن.
(٥) لعله لابن العربي، والبيت من بحر السريع.
(٦) في (ك) و(ب): إليه رأسها.
(٧) لعله لتلك السيِّدة التي خاطبها ابن العربي، وهو من بحر السريع.
(٨) في (ص): دَماثة.

[أبو الفضل المَرَاغِي]:

وكان أبو الفضل المراغي تفقَّه[١] ببغداد، وكانت كُتُبُ أهله ترد عليه من بلده، فكلمَّا ورد كتاب وضعه في الصندوق ولا يقرأه، حتى مرَّت عليه أحوال؛ بلغ فيها ما شاء الله في العلم من الآمال، وعَقَدَ النيَّة على المرجع إلى بلده، فأخرج الكتب فقرأها؛ فإذا في بعضها[٢] ما لو علمه في ذلك الوقت من اختلال حاله هنالك ومن مات من أهله ما لبث لحظة، ولا تَمَّتْ له قراءة، واكترى[٣] وشدَّ رَحْله وعبَّاه على ظهور الدواب، وتقدَّم إلى الحلبة[٤] ليبتاع هنالك[٥] ما يضع من الزاد في السُّفْرَةِ، فساوم فَامِيًّا، وطفقا يتناولان؛ هذا ثمنه، وهذا زاده، وفي أثناء ذلك قال الفامِيُّ لجاره: أَيْ فُلْ، أما سمعت اليوم العالم الفلاني يقول عن ابن عباس: إنه يجوز الاستثناء في اليمين ولو بعد سنة[٦]؟ قال له: نعم، قال له: إني مفكر من ذلك الوقت في هذه المسألة، ولو كان هذا[٧] صحيحًا لما قال الله لأيوب: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِب بِّهِۦ وَلاَ تَحْنَثْ﴾ [ص:٤٣]، وكان يقول له[٨]: قل: إن شاء الله، قال: فقَفَّ شعري تعجبًا، وقلتُ: أخرج من بلد هذه همَّة فَامِيهِ، فضلًا عن حَمَلَةِ الدين وذويه، لا يكون هذا أبدًا، ولحقت المُكاري، وقلت

---

(١) في (ص): يتفقه.

(٢) في (ص): فإذا فيها.

(٣) في (ك): أكرى.

(٤) في (ب): الحلفة.

(٥) سقط من (ص).

(٦) ينظر: أحكام القرآن: (٢/٦٤٦).

(٧) سقط من (ص).

(٨) سقط من (ك).

له[١]: أنت في حِلٍّ من الكراء، حُلَّ رَحْلِي، وأَخَذَهُ وعاد إلى حالته الأولى من الطلب والقراءة[٢].

[حكاية]:

ولقد كان بعضُ[٣] المغاربة يمشي ببغداد في شارع من شوارع الكَرْخ بالجانب الغربي، إذا سَقَّاءٌ يحمل كأس بِلَّوْرٍ واسعًا مُخَرَّمًا في غاية الجمال، وقد ملأه ماءً[٤]، وجعل في أعلاه وردة في أَنْفِ[٥] زمان الورد، وهو يمشي فيضطرب الماء وتتموَّج الوردة باضطرابه، فتتلألأ حمرةُ الورد فتَشِفُّ من بياض البِلَّوْرِ فيسطع لها نُورٌ، فآنقني وأعجبني ما رأيت من ظرفه وحُسْنِ آلته، ووقفتُ لذلك، فقال[٦] لي: ما نظرك يا مغربي؟ فقلت: أنظر[٧] إلى حسن هذه الوردة في بهاء هذا الإناء، فقال لي[٨]: لا تعجب/ من ذلك، واعجب من قولي فيها حيث أقول:

٢ [١٧٤/أ]

للورد عندي محل ... فإنه لا يُمَلُّ

كل النَّوَاوِيرِ جُنْدٌ ... وهو الأمير الأجلُّ[٩]

---

(١) سقط من (ك).

(٢) ذكرها ابن العربي أيضًا في أحكام القرآن: (٢/٦٤٧).

(٣) كأنَّ الإمام ابن العربي يقصد نفسه.

(٤) سقط من (ك).

(٥) أنف الورد: أوَّل ظهوره واشتداده، تاج العروس: (٢٣/٤٠).

(٦) في (ك): وقلت.

(٧) في (ك) و(ب): أَنْهُ.

(٨) في (ك): له.

(٩) البيتان من المجتث، وهما لابن سكرة، في ربيع الأبرار للزمخشري: (١/٢٢٠)، واليتيمة: (٣/٢٢).

[محاسنُ البغداديِّين]:

فهذه مراتب الفامِيِّين[١] والسقَّائِين، ولولا خروج هذا الغرض عمَّا نحن بصدده لأوردت عليكم في ذلك غرائب، وإنما قَصَدْنَا بذلك أن كل أحد منهم عاميًّا وخاصيًّا إذا حاول معنًى بَرَّزَ فيه، وأخذه من جميع نواحيه، وضمَّ على أوساطه ما اتَّسع من أطرافه وحواشيه.

[أَقَلُّ أحوال المتبتلين]:

وأَقَلُّ أحوال المُتَبَتِّلِينَ أن يقوم قبل الفجر من نومه؛ فيذكر الله ويقول: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»[٢]، ويقرأ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]؛ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران، ثم يتوضأ ويصلي ثلاث ركعات، ويذكر الله إن كان فارغًا عن شُغْلٍ من خدمة عِلْمٍ أو معاش، حتى إذا طلع الفجر ركع ركعتيه، يقرأ في الأولى بـ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وفي الثانية بسورة التوحيد، ثم يصلي الصبح، فإذا فرغ منها قال: اللَّهم اغفر لي؛ ثلاثًا، ثم[٣] قال: «اللهم أنت السَّلام، ومنك السَّلام، تباركت يا[٤] ذا الجلال والإكرام، ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢]»، ويقول: «لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»، عشر مرَّات، ولا يتكلَّم.

---

(١) في (ك) و(ص): الفامين.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن حذيفة رضي الله عنه: كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا أصبح، رقم: (٦٣٢٤-طوق).

(٣) قوله: «اللهم اغفر لي؛ ثلاثًا، ثم» سقط من (ص).

(٤) سقطت من (ك) و(ب).

ثم يدعو؛ فإنه يستجاب له، وإن شاء قال في دعائه - سيد الاستغفار -: «اللَّهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوأُ لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فإذا قالها من النهار مُوقِنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو مُوقِنٌ بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»[١].

وليقل: «اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيى، وبك نموت، وإليك المصير، اللهم إنا أصبحنا نُشهدك ونُشهد ملائكتك وحَمَلَة عرشك، وجميع خلقك، / أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك، وأنَّ مُحَمَّدًا عبدك ورسولك»[٢]، «أعوذ بكلمات الله التامَّات من شر ما خلق»[٣]، ثلاث مرَّات، «وباسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء -ثلاث مرات-، فإنه لا يضره ذلك اليوم شيء»[٤].

٢ [١٧٤/ب]

وليقل: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، مائة مرة، فإنه إذا قالها كانت له عِدْلَ عشر

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أبو داود في السنن عن أنس بن مالك رضي الله عنه: كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، رقم: (٥٠٧٨-شعيب).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن خولة بنت حكيم السُّلَمية رضي الله عنها: كتاب الذكر والدعاء، بابٌ في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، رقم: (٢٧٠٨-عبد الباقي).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه عن عثمان بن عفان رضي الله عنه: أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وأمسى، رقم: (٣٣٨٨-بشار).

رقاب، وكتب له مائة حسنة، ومُحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حِرْزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أَحَدٌ بأفضل ممَّا جاء به إلا رجل عمل أكثر منه»(١).

وليقل: «سبحان الله وبحمده، مائة مرة، فإنه تحطُّ عنه(٢) خطاياه ولو كانت مثل زَبَدِ البحر، وهي أفضل الكلام، ولم يأت أحد يوم القيامة بأفضل ممَّا جاء به إلا أحدٌ عمل أكثر من ذلك»(٣).

قال(٤) النبي ﷺ: «ولأن أقولها أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس»(٥).

وعن جُوَيرية بنت الحارث أن النبي ﷺ خرج من عندها بُكْرَةً حين صلَّى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، قال لها: «مازلت على هذه الحال التي فارقتك عليها؟ قالت: نعم، قال النبي ﷺ: لقد قلتُ بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وُزِنَتْ بما قُلْتِ منذ اليوم لوزنتهن؛ سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضى نفسه، وزِنَةَ عرشه، ومِدَادَ كلماته»(٦).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم: (٢٦٩١-عبد الباقي).

(٢) سقطت من (ك) و(ب).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم: (٢٦٩٢-عبد الباقي).

(٤) في (ص): وقال.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم: (٢٦٩٦-عبد الباقي).

(٦) سبق تخريجه.

وليقل: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر؛ ثلاثًا وثلاثين، ويختم ذلك[1] بلا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

وليقل: «لا حول ولا قوة إلا بالله؛ فإنها كنز من كنوز الجنة»[2].

فإذا أراد أن يخرج من منزله قال: «اللَّهم إني أعوذ بك أن أَضِلَّ أو أَزِلَّ[3] أو أَظْلِمَ أو أَجْهَل أو يُجْهَلَ عليَّ»[4]، وذلك يكون في لحظة.

فإن تمادى على الذِّكْرِ بالصَّلاة حتى تطلع الشمس كان حَسَنًا، كما كان النبي ﷺ يفعل فهو أفضل، وإلَّا خرج إلى عمله من خِدْمَةِ عِلْمٍ أو معاش بنيَّة، حتى إذا صارت الشمس من[5] جهة المشرق كهيئتها من جهة المغرب عند صلاة العصر صلَّى ركعتين، قال النبي صلوات الله عليه وسلامه: «صلاة الأوَّابين إذا رَمِضَتِ الفصال»[6].

---

(١) في (ص): المائة.

(٢) أخرجه مسلم بنحوه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، رقم: (٢٧٠٤-عبد الباقي).

(٣) في (ب): أذل.

(٤) أخرجه أبو داود في السنن عن أم سلمة رضي الله عنها: كتاب الأدب، باب ما يقول إذا خرج من بيته، رقم: (٥٠٩٤-شعيب).

(٥) في (ص): في.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم رضي الله عنه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الأوابين حين ترمض الفصال، رقم: (٧٤٨-عبد الباقي).

٢ [١٧٥/أ]

وقال: «يصبح على كل سُلَامَى من أحدكم/ صدقة؛ فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة[١]، وأَمْرٌ بالمعروف صدقة، ونَهْيٌ عن المنكر صدقة»[٢].

ويُجْزِئُ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى.

وقالت عائشة: «كان رسول الله يصلي صلاة الضحى أربع ركعات، ويزيد ما شاء الله»[٣].

فإذا زالت الشمس صلَّى أربع ركعات، ويصلي الظهر، ويصلي بعدها ركعتين، ويصلي قبل العصر ركعتين، ويكون نهاره في عمله على الشروط التي قدَّمناها؛ من إخلاص النيَّة في كل قول وعمل لله، وضبط اللسان والجوارح عمَّا لا يرضي الله.

ويستعين بنَوْمَةٍ قبل الزوال على عمله وسهره بالليل، فإذا أمسى قال: «اللهم بك أمسينا، وبك أصبحنا، وبك نحيى، وبك نموت، وإليك النشور»[٤]، كما تقدَّم في الصباح.

ويقول: «اللهم إني أسألك خير هذه الليلة، وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، اللهم إني أعوذ بك من الكسل، والهَرَم، وسوء الكبر، وفتنة الدنيا، وعذاب القبر»[٥]، ويقولها في الصباح، ويقول: «اللهم

---

(١) قوله: «وكل تكبيرة صدقة» سقط من (ب).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى، رقم: (٧١٩-عبد الباقي).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود ﵁: كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، رقم: (٢٧٢٢-عبد الباقي).

هذا إقبال ليلك، وإدبار نهارك، وأصوات دعاتك، وأعقاب صلواتك، فاغفر لي»[(١)]، ويصلي المغرب، ويركع بعدها ركعتين، يقرأ في الأولى بآية الكرسي والتي بعدها، وفي الثانية ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾؛ الآيتين إلى آخر السورة، فإن آية الكرسي تحفظه من الشيطان، ومن قرأ ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ في ليلة كفتاه[(٢)]، ثم يصلي العشاء الآخرة، ويصلي بعدها ركعتين، يقرأ في الأولى[(٣)] ﴿يسٓ﴾، وفي الثانية بسورة المُلْك؛ فإنها تجادل عن صاحبها[(٤)]، فإن أَوْتَرَ بركعة صلَّى إذا استيقظ ركعتين، وإن أخَّر وِتْرَه إلى السَّحَر صلَّى في السَّحَرِ ثلاث ركعات، كما تقدَّم قولُنا، فيأتيه من نوافله في اليوم[(٥)] أربع عشرة ركعة، يقرأ فيها سُبُعَ القرآن إن كان ممَّن جمعه، فيختم القرآن في الجمعة مرَّة، وذلك أوسط الأعمال كما قدَّمنا.

ثم يأتي إلى فراشه فيفتقده، وينفضُه إن احتاج إلى ذلك، ثم يضطجع على شِقِّه الأيمن، وهو على وضوءٍ إن قَدَرَ على ذلك، وليقل: «اللهم باسمك أضع جنبي، وباسمك أرفعه، اللهم إن أمسكتَ نفسي فارحمها، وإن أرسلتها/ فاحفظها بما تحفظ به نفوس عبادك الصالحين»[(٦)]، ويتفل[(٧)]

٢
[١٧٥/ب]

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن عن أم سلمة رضي الله عنها: كتاب الصلاة، باب ما يقول عند أذان المغرب، رقم: (٥٣٠-شعيب).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في (ك): الأول.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) قوله: «في اليوم» سقط من (ب).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم: (٢٧١٤-عبد الباقي).

(٧) في (ك): يثفل.

في يديه جميعًا، ثلاثًا، ويقرأ التوحيد والمعوذتين، ويمسح بهما رأسه، وما أدرك من جسده، ثلاث مرات، كذلك كان يفعل النبي ﷺ، وكان إذا آوى إلى فراشه نام على شِقِّه الأيمن، وقال: «اللهم أسلمتُ وجهي إليك، وفوَّضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك[١]، لا منجى ولا ملجأ منك إلا إليك، آمنتُ بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك[٢] الذي أرسلت، قال النبي ﷺ: فمن قالها مات على الفطرة»[٣].

وقال النبي ﷺ لعلي وفاطمة: «إذا أخذتما مضجعكما سَبِّحَا ثلاثًا وثلاثين، واحمدَا ثلاثًا وثلاثين، وكَبِّرَا أربعًا وثلاثين، هو خير لكما من خادم»[٤].

وفي رواية: «عند كل صلاة ومنامك، فذلك خير من خادم[٥]».

وكان النبي إذا آوى إلى فراشه يقول: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا[٦]، فكم ممَّن لا كافي له ولا مُؤوي له[٧]»[٨].

---

(١) سقط من (ب).
(٢) في (ب): نبيك.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب رضي الله عنه: كتاب الدعوات، باب النوم على الشق الأيمن، رقم: (٦٣١٥-طوق).
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن علي رضي الله عنه: كتاب الذكر والدعاء، باب التسبيح أوَّل النهار وعند النوم، رقم: (٢٧٢٧-عبد الباقي).
(٥) قوله: «وفي رواية: عند كل صلاة ومنامك، فذلك خير من خادم» سقط من (ب).
(٦) في (ك): فآوانا.
(٧) سقط من (ب).
(٨) سبق تخريجه.

[الصلاةُ على النبي ﷺ]:

ولا يُغفل الصلاة على النبي ﷺ، ولو مرَّة واحدة في اليوم والليلة، سوى صلواته في صلاته[١]، ولا يقل: صلَّى الله على محمد، وليقل كمَّا علَّمه جبريل له[٢] وعلَّمه لنا[٣]: «اللهم صَلِّ على محمد وأزواجه وذريته، كما صلَّيت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته، كما باركت على إبراهيم، إنك حميد مجيد»[٤].

صفةُ الصَّلاة:

قد تقدَّم ذِكْرُنا لها في اسم «المُصَلِّي»[٥]، فإذا كان من المُتَبَتِّلِينَ فليقل إذا كبَّر قبل أن يقرأ: «اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نَقِّنِي من الخطايا كما يُنَقَّى الثوب الأبيض من الدَّنَس، اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبَرَد، وجَّهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين، قل إن صلاتي ونسكي ومحيايْ ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت، وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، سبحانك وبحمدك، أنت ربي، وأنا عبدك، ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي

---

(١) قوله: «في صلاته» سقط من (ك).

(٢) سقط من (ك).

(٣) في (ك): له.

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي حُمَيد السَّاعدي رضي الله عنه: كتاب قصر الصلاة، ما جاء في الصلاة على النبي ﷺ، (١/٢٢٦)، رقم: (٤٥٨ -المجلس العلمي الأعلى).

(٥) في السفر الثاني.

٢ جميعًا، إنه لا يغفر الذنوب إلَّا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي[١] لأحسنها إلَّا أنت، واصرف عني سَيِّئَها، لا يصرف عني/ سَيِّئَها إلَّا [١٧٦/أ] أنت، لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك، إنَّا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك»[٢].

وإذا ركع قال: «اللهم لك ركعتُ، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي، وبصري، ومُخِّي، وعظمي، وعَصَبي»[٣].

فإذا رفع رأسه من الركوع قال: «اللهم ربنا ولك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، وكُلُّنا لك عبد، وأنت أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد»[٤].

وإذا سجد قال: «اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوَّره، وشَقَّ سمعه وبصره، فتبارك الله أحسن الخالقين»[٥].

وإذا رفع رأسه بين السجدتين قال: «اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، وعافني، وارزقني»[٦].

---

(١) في (ب): يهدني.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) سبق تخريجه.

وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «أمَّا الركوع فعَظِّمُوا فيه الرب، وأمَّا السجود فاجتهدوا فيه[1] في الدعاء، فإنه قَمِنٌ أن يستجاب لكم»[2]، فالروايتان صحيحتان.

فقُلْ في ركوعك: سبحان ربي الأعلى، وسبحان ربي العظيم وبحمده، وإن شئت قُلْتَها في سجودك، فكُلٌّ رُوِيَ.

وتَشَهَّدْ وصَلِّ على النبي ﷺ كما علَّم، ولا تزد عليه شيئًا، ثم ادْعُ بما شئت، قال النبي ﷺ - وليكن من أوَّل ما تقول -: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وعذاب القبر، وفتنة المحيا والممات، وفتنة المسيح الدجال»، ثم ادع بعد ذلك بما شئت.

وتُطَوِّلُ في الصبح والظهر بالقراءة، وتتوسَّط في العصر والعشاء، ولتُخَفِّفْ في المغرب، فهذا كله صحيح.

[الوصاةُ بالأحاديث الصحاح]:

وقد عَهِدْنَا إليكم ألَّا تشتغلوا من الذِّكْرِ والدعاء إلَّا بما في «الموطأ» و«البخاري» و«مسلم»، فهو اللُّباب، وبه يستفتح الباب، ويستمنح اللباب، فإن تجاوزتم ذلك فـ«أبو داود» و«الترمذي» و«النسائي»، ولا زيادة لمن أراد لزوم الإرادة، والقيام بحق العبادة.

[إسنادٌ]:

فإن كان سوى هذا من حديث؛ فليكن كما أخبرنا أبو بكر بن طَرخان: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن فتُّوح: أنا أبو الغنائم القاضي

---

(١) سقط من (ب).

(٢) سبق تخريجه.

محمد بن علي بن علي قراءة: أخبرنا أبو العباس العمري[١] إجازة: أنا أبو الحسن[٢] علي بن أحمد الهاشمي: نا أبو مسلم صالح بن أحمد بن عبد الله بن صالح بن مسلم العِجْلي: حدَّثنا أبي أحمد: حدَّثني أبي عبد الله قال: قال عمرو بن قيس: «وجدنا/ أنفع الحديث لنا ما نفعنا في أمر آخرتنا؛ من قال كذا فله كذا»[٣].

٢
[١٧٦/ب]

[إنشادٌ]:

وسمعتُ أبا بكر الطرطوشي قال: سمعتُ القاضي أبا العباس الجرجاني بالبصرة يقول: وصل إلينا فَتًى من أهل الأندلس يُعْرَفُ بأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، فأنشدني[٤] لنفسه:

إذا كنتُ أعلم عِلْمًا يقينًا ... بأنَّ جميع حياتي كساعهْ

فلِمْ لا أكون ضنينًا بها ... وأجعلها في صلاح وطاعهْ[٥]

وأنشدني أبو بكر محمد[٦] بن طَرخان قال: أنشدني أبو عبد الله الحُمَيدي لنفسه:

---

(١) ضبطه هنا القاضي بالمهملة، وضبطه ابن فتُّوح في جذوة المقتبس بالمعجمة: الغَمْرِي، فكأنه لم يرتض صنيع ابن فتوح، والخبر بإسناده في الجذوة: (ص٥٣٥).

(٢) في (ص): الحُسَين.

(٣) جذوة المقتبس: (ص٥٣٥).

(٤) في (ك): فأنشد.

(٥) البيتان من المتقارب، وهما للفقيه الإمام أبي الوليد الباجي؛ كما في ترجمته من معجم الأدباء: (١٣٨٩/٣)، وفي نفح الطيب: (٧٤/٢).

(٦) لم يرد في (ك).

لقاءُ الناس ليس يفيد شيئًا ... سوى الهذيان من قِيلٍ وقَالِ
فأَقْلِلْ من لقاء الناس إلَّا ... لأخذ العلم أو إصلاح[1] حَالِ[2]

[شرائطُ التبتل في الأمصار]:

ولو كان المال الذي في الأرض اليوم حلالًا، والناس خُلصانًا، والوُلاة على الخير أعوانًا؛ لكان التبتل في الأمصار مُمْكِنًا، ولكن عُدِمَ الثلاث، فلم يمكن للمتبتل بها لَبَاث.

وقد بيَّنَّا لكم في غير موطن[3] وإملاء أنَّ من أراد الدنيا فعليه ببغداذ، ومن أراد الآخرة فعليه بمكَّة، ومن اجتهد في وطنه فإن الله كما وعد عنه رسوله؛ لن يَتِرَه شيئًا من عمله.

وإذا كان على هذه الصفات كان «بَدَلًا».

* * * * *

---

(١) في (ك) و(ص): لصلاح.

(٢) من الوافر، وهما لأبي عبد الله الحُميدي الأندلسي، كما في ترجمته في معجم الأدباء: (٦/٢٦٠٠)، وفي وفيات الأعيان: (٤/٢٨٣)، ونفح الطيب: (٢/١١٤).

(٣) في (ك): موضع، وفي (ص): في غير ما إملاء.

البَدَلُ[1]: وهو الاسمُ [الخامس] والعشرون ومائة[2]

والأبدالُ في هذه الأمة كثير، وهو[3] اسم مُحْدَثٌ، لم يكن في الصَّحابة، ويُروى فيه أحاديثُ عن النبي ﷺ لا أصل لها[4].

ويعنون بالبَدَلِ أنه يكون خليفة عن النبي ﷺ وعِوَضًا منه في القيام بالدِّينِ؛ يستغني عن الطعام والشراب كما يستغني عن الأصحاب، فقد روى أحمد وابن المبارك وهنَّاد بن السَّرِي في ذلك أخبارًا كثيرة[5].

---

(١) سقط من (ك) و(ص).

(٢) في (ك): الثاني والعشرون، وفي (ص): السَّادس عشر، وفي (ب): الخامس عشر.

(٣) في (ص): هم.

(٤) منها: ما أخرجه أبو داود في السنن عن أم سلمة ﵂: أول كتاب المهدي، رقم: (٤٢٨٦-شعيب)، ولفظه فيه: «فإذا رأى الناسُ ذلك أتاه أبدالُ الشام وعصائب أهل العراق»، وهو إسناد ضعيف، لجهالة من روى عن أم سلمة، ومنها: ما أخرجه الإمام أحمد في المسند عن علي ﵁: (٢/٢٣١)، رقم: (٨٩٦-شعيب)، ولفظه فيه: «الأبدالُ يكونون بالشام، وهم أربعون رجلًا، كلَّما مات رجلٌ أبدل الله مكانه رجلًا؛ يُسقى بهم الغيث، ويُنتصر بهم على الأعداء، ويُصرف عن أهل الشام بهم العذاب»، وأخرجه الإمام أحمد -أيضًا- عن عبادة بن الصامت ﵁: (٣٧/٤١٣)، رقم: (٢٢٧٥١-شعيب)، ولفظه فيه: «الأبدالُ في هذه الأمة ثلاثون مثل إبراهيم خليل الرحمن، كلما مات رجلٌ أبدل الله مكانه رجلًا».

(٥) أي: ما ورد في كتبهم المصنفة في الزهد من أخبار التقلل من الطعام والاكتفاء =

وجاء عن أبي ذَرٍّ أنه اكتفى بماء[١] زمزم أربعين ليلة[٢].

فإن قيل: تلك[٣] بَرَكَةُ النبي ﷺ؟

قلنا: بَرَكَتُه لم تنقطع بموته، ولا بَطَلَتْ نُبُوَّتُه بوفاته[٤]؛ بل النبوة باقية، والحُرْمَةُ باقية[٥]، والبركة باقية، يُفِيضها الله على من يشاء من خَلْقِه.

٢ [١٧٧/أ]

فإن أردت أن تعلم ذلك[٦] فاقرأ هذه الكتب التي عيَّنتُ/ لك تسمع عجائب، أو هَاجِرْ إلى الفضلاء، وارحل إلى بلاد الخير ترى بدائع، فيجتمع لك ممَّا تقرأ من الروايات وما ترى من ذلك عجائب في الكرامات المُعَرِّفَةِ بالدِّين، والتحلِّي بحِلْيَةِ العابدين.

وليتكم - يا معشر المريدين - قمتم بالظواهر من الأعمال، ورَعَيْتُم[٧] الصريح من الأقوال، وشَرَعْتُمْ في الاجتهاد في ذلك والاعتمال، فطوبى لكم لو فعلتم ذلك وحُسْنَ مَآبٍ.

= باليسير منه، وقد تقدَّم كثيرٌ منه في أسفار الكتاب السَّابقة، وبعضه في السِّفْرِ الأوَّل؛ المقام الأوَّل.

(١) في (ك): ببئر.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، بابٌ من فضائل أبي ذرٍّ رضي الله عنه، رقم: (٢٤٧٣-عبد الباقي)، وفيه: «ثلاثين؛ بين ليلة ويوم».

(٣) سقطت من (ك).

(٤) في (ص): لوفاته.

(٥) قوله: «والحرمة باقية» سقط من (ك).

(٦) في (ص): هذا.

(٧) في (ص): وعيتم.

[خاتمة]:

قال الإمام الحافظ[١] رضي الله عنه: انتهى القَوْلُ في أسماء العَبِيدِ الذين مدحهم الله في كتابه، وأثنى عليهم على لسان رسوله، وحسَّنها لهم برضاه ورحمته، وخلقها فيهم بموهبته ونعمته، بما حضر في الذِّكْرِ من متعلَّقات آيات الكتاب بها[٢]، وحديث النبي ﷺ الصحيح فيها، المتناولة لعِلْمِ التذكير؛ «القسم الرابع من[٣] علوم القرآن».

ومَنْ جَمَعَ هذه الأسماء المخلوقة على درجاتها مع الأسماء الإلَهية المُوَضَّحَةِ في كتاب «الأمد الأقصى» بمتعلَّقاتها؛ فإنه يكون عارفًا بنفسه، عالمًا بربِّه، فتصحُّ له الإرادة، وتحصل[٤] له كما ينبغي أهلية العبادة[٥].

وأنا أَحْمَدُ الله على ما يسَّر من ذلك، مع توارُد الموانع، وازدحام القواطع، وتضافُر[٦] الصَّادف والمانع[٧]، وكثرة الضار وقلة[٨] النافع، وأعوذ

---

(١) في (ك): قال الإمام الحافظ أبو بكر، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.

(٢) سقط من (ص).

(٣) في (ك): في.

(٤) في (ص): فتصح.

(٥) في (ب): فتصح له أهلية العبادة، وتحصل له كما ينبغي الإرادة.

(٦) في (ك) و(ص): تظافر.

(٧) في (ك): القانع.

(٨) سقط من (ص).

بالله من أن أَدْعُوَ إليه وأَفِرَّ عنه، وأُذَكِّرَ به وأنساه، ويرزقني وأعبد سواه، وأسأله المعافاة مما[١] يضطر إلى تقصير في حقه، والعصمة من أن يجعلني عِبْرَةً لخَلْقِه، وأن[٢] يُوزِعَني الشكر على ما كفاني وآواني، ولا يجعل أحدًا أسعد منِّي بما آتاني، وأَمُدُّ إليه يَدَ الرغبة -عَنِّي وعنكم- في بَذْلِ غُفرانه، وإحلال رِضوانه، وآخِرُ دعوانا أن الحمد لله رَبِّ العالمين، والسَّلَامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاتُه[٣].

---

(١) في (ك): بما.

(٢) سقط من (ب) و(ص).

(٣) نَجَزَ «سراج المريدين»، والحمد لله رب العالمين.

آخِرُ السِّفْرِ الرابع من كتاب «سراج المريدين في سبيل الدين» للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي ﷺ، ضبط نصَّه وخرَّج أحاديثه ووثَّق نقوله وترجم لأعلامه وصنع فهارسه وقدَّم له الدكتور عبد الله بن عبد السَّلام بن عبد الله بن محمد بن التِّهامي المصمودي التَّوْرَاتي القَصْرِي، عفا الله عنه وعن آبائه، وذلك في شهر الله المحرَّم من عام ١٤٣٨هـ، بتِطَّاوْن - حرسها الله تعالى - قاعدة شمال المغرب الأقصى، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد، وعلى صحابته وقرابته، ومن تبعهم من الصالحين، والحمد لله رب العالمين.

فهرس الموضوعات

الطَّبِيبُ: وهو الاسمُ الخامس والثمانون ٥

[الهَدْيُ: وهو الاسم السَّادس والثمانون] ١٠

[الدَّلُّ: وهو الاسم السَّابع والثمانون] ١١

[السَّمْتُ: وهو الاسم الثامن والثمانون].......................... ١٢

[القَصْدُ: وهو الاسم التاسع والثمانون] ١٣

[التؤدة: وهو الاسم المُوَفِّي تِسْعِينَ] ١٨

الكَيِّسُ: وهو الاسمُ الحادي والتسعون ٢٠

[أفعالُ الكَيِّسِ]: ٢٤

الثَّقِفُ اللَّقِفُ: وهما الاسمُ الثاني والتِّسْعُون والثالث والتِّسْعُون ٣٣

المُتَثَبِّتُ والشُّجَاعُ: وهما الاسمُ الرَّابع والتسعون والخامس والتسعون ...٣٥

المُرْبِحُ: وهو الاسمُ السَّادس والتسعون........................... ٤٢

[المُتَقَرِّبُ]: وهو الاسم السَّابع والتسعون......................... ٤٤

العَفِيفُ: وهو الاسم الثامن والتسعون ٤٥

القَانِتُ: وهو الاسمُ التَّاسع والتسعون ٤٧

المُفْرِدُ: وهو الاسمُ المُوَفِّي مِائَةً ٤٩

[من المُفرِدِينَ مريمُ عليها السَّلام]: ٥٠

[من القانتات نساءُ النبي عليه السَّلام]: ٥٣

[الخُلْطَةُ لا تنافي القنوت]: ٥٣

[من فضائل مريم عليها السَّلام]: ٥٣

المُبَارَكُ: وهو الاسمُ الحادي ومائة ٦٠

[أَوْجُهُ بَرَكَةِ القرآن العظيم]: ٦٤

[أَوْجُهُ بَرَكَةِ رسول الله ﷺ]: ٦٥

[بَرَكَةُ المؤمن]: ٦٦

البَرُّ: وهو الاسمُ الثاني ومائة ٦٨

[ذِكْرُ بِرِّ أَهْلِ وُدِّ الوالدين]: ٧٥

ذِكْرُ بِرِّ المُعَلِّمِ: ٧٧

ذِكْرُ بِرِّ الشَّيْخِ المُسِنِّ: ٧٨

ذِكْرُ عائشة: ٧٨

[طهارةُ نساء رسول الله ﷺ]: ٨٣

[ذِكْرُ الحُورِ العِين]: ٨٣
الخَيِّرُ: وهو الاسمُ الثالث ومائة ٨٥
[تفسيرُ الخير الذي ورد في النصوص المتقدمة]: ٩١
[فضائلُ أبي بكر الصديق]: ٩٣
[المفاضلةُ بين دُورِ الأنصار]: ٩٧
[المفاضلةُ بين مكة والمدينة]: ٩٨
[ليس في شيء من الفتنة خير]: ٩٨
[عَلِيٌّ وفِرْقَتُه خَيْرٌ من مُعَاوِيَةَ وفِرْقَتِه]: ٩٨
المُتَّقِي: وهو الاسمُ الرَّابع ومائة ١٠٢
[استقراءُ وتَتَبُّعُ كلمة التقوى في آيِ القرآن]: ١٠٨
الأوَّل: قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ١٠٨
الثالث: قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَاتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ﴾.......... ١١٠
الرابع: قوله: ﴿وَإِيَّٰىَ فَاتَّقُونِ﴾ ١١١
الخامس: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَاتَّقَوْا۟﴾ ١١١
السَّادس: قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾...... ١١٢
السَّابعُ والثامنُ: قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ ١١٣

التاسع: قوله تعالى: ﴿يَاأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ١١٤

العاشر: ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ ... ١١٥

الحادي عشر: قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ١١٧

الثاني عشر: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ١١٨

الثالث عشر: قوله: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾ ١١٩

الخامس عشر: قوله: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ١١٩

السَّابع عشر: قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ١٢٠

الثامن عشر: قوله: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ ١٢٠

التاسع عشر: ﴿وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ١٢٠

المُوَفِّي عشرين: قوله: ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾ ١٢٠

الحادي والعشرون: قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ١٢١

الثاني والعشرون: قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ ١٢١

الثالث والعشرون: قوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ١٢٢

الرابع والعشرون: قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ﴾ ١٢٤

الخامس والعشرون: قوله: ﴿وَلاَ تَجْعَلُواْ اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ﴾ ١٢٥

السَّادس والعشرون: قوله: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ . ١٢٦

السَّابع والعشرون: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.................... ١٢٧

الثامن والعشرين: ﴿حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ ١٢٨

التاسع والعشرون: قوله: ﴿اتَّقُواْ اللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَوٰٓاْ﴾ ١٢٨

المُوَفِّي ثلاثين: قوله: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾.............. ١٢٨

الحادي والثلاثون: قال: ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾.......................... ١٢٩

الثاني والثلاثون: قوله: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾ ١٢٩

الثالث والثلاثون: قوله: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ ١٣١

الرَّابع والثلاثون: قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ ١٣٢

الخامس والثلاثون: قوله: ﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾...................... ١٣٢

الثامن والثلاثون: قوله: ﴿اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ ١٣٣

المُوَفِّي أربعين: قوله: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾ ١٣٤

الثاني والأربعون: قوله تعالى: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ ١٣٥

الثالث والأربعون: قال الله سبحانه: ﴿اتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾..... ١٣٥

الرَّابع والأربعون: قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ١٣٦

الخامس والأربعون: قوله: ﴿وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.... ١٣٧

السَّادس والأربعون: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾... ١٣٧

السَّابع والأربعون: قوله: ﴿لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ﴾ ١٣٧

الثامن والأربعون: ﴿يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اصْبِرُواْ﴾ ١٣٨

التاسع والأربعون: قوله: ﴿يَٰأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾.................. ١٣٨

المُوَفِّي خمسين: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَّاءَلُونَ بِهِۦ وَالْأَرْحَامَ﴾............ ١٤٠

الحادي والخمسون: قوله: ﴿فَلْيَتَّقُواْ اللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾........ ١٤١

الثاني والخمسون: قوله: ﴿وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ ١٤١

الثالث والخمسون: قوله: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ
وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللَّهَ﴾.. ١٤٢

الرَّابع والخمسون: قوله: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ ١٤٢

الخامس والخمسون: قوله: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾......... ١٤٤

السَّادس والخمسون: قوله: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ١٤٤

[عِلْمُ المناسبات بين آيِ القرآن]: ١٤٤

السَّابع والخمسون: قوله: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ١٤٥

والثامن والخمسون: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ١٤٥

التاسع والخمسون: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ١٤٦

المُوَفِّي سِتِّين: قوله: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ الْمُومِنُونَ فَلْيَتَوَكَّلِ﴾....... ١٤٦

الحادي والستون: قوله: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُومِنُونَ﴾............ ١٤٧

الخامس والستون: قوله: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾............ ١٤٨

السَّادس والستين بقوله: ﴿يَا أُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾ ١٤٩

السَّابع والستون: قوله: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاسْمَعُواْ﴾........................ ١٤٩

الثامن والستون: قوله: ﴿اتَّقُواْ اللَّهَ إِن كُنتُم مُّومِنِينَ﴾ ١٤٩

التاسع والستون: قوله: ﴿وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلذِينَ يَتَّقُونَ﴾ ١٥٠

المُوَفِّي سبعين: قوله: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ ١٥١

الحادي والسبعون: قوله: ﴿وَأَنَ اَقِيمُواْ الصَّلَوٰةَ وَاتَّقُوهُ﴾ ١٥١

الثاني والسبعون: قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّيٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ١٥١

الثالث والسبعون: قوله: ﴿وَلِبَاسَ التَّقْوَىٰ﴾........................ ١٥٢

الرَّابع والسبعون: قوله: ﴿فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ﴾......................... ١٥٢

الخامس والسبعون: قوله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ١٥٣

السَّابع والسبعون: قوله: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ١٥٣

الثامن والسبعون: قوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ ١٥٣

التاسع والسبعون: قوله تعالى: ﴿قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ١٥٥

المُوَفِّي ثمانين: ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ ١٥٦

الحادي والثمانون: قوله: ﴿وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ١٥٦

الثاني والثمانون: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ﴾ ١٥٦

الثالث والثمانون: ﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ ١٥٧

الرابع والثمانون: قوله: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ ١٥٨

الخامس والثمانون: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَتَّقُواْ اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً﴾ ١٥٩

السَّادس والثمانون: قوله: ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ ١٦٠

السَّابع والثمانون: قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ ١٦٠

الثامن والثمانون: قوله: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ١٦١

التاسع والثمانون: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ ١٦١

المُوَفِّي تسعين: قوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾........................ ١٦١

الحادي والتسعون: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾.................................. ١٦٢

الثاني والتسعون: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ﴾ ١٦٣

الثالث والتسعين: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ ١٦٤

الرَّابع والتسعون: قوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾............. ١٦٥

الخامس والتسعون: قوله: ﴿لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ ١٦٦

السَّادس والتسعون: قوله: ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ١٦٧

السَّابع والتسعون: قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ .. ١٦٨

التاسع والتسعون: قوله: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ ١٧٠

المُوَفِّي مائة: قوله: ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ ١٧٠

الحادي ومائة: قولُه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ١٧١

الثاني والمائة: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾..................... ١٧٢

السَّابع والمائة: قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ ١٧٤

الثامن والمائة: قوله تعالى: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾...... ١٧٥

التاسع والمائة: قوله: ﴿وَقِيلَ لِلذِينَ اَتَّقَوْاْ مَاذَآ﴾.......................... ١٧٥

الحادي عشر والمائة: قوله: ﴿ألذِينَ تَتَوَفّيٰهُمُ اُ۬لْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ ١٧٦

الثاني عشر والمائة: قوله: ﴿إِنَّ اَللَّهَ مَعَ اَلذِينَ اَتَّقَواْ وَّالذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ ١٧٧

الثالث عشر والمائة: قوله: ﴿وَكَانَ تَقِيّاً﴾ ١٧٧

الرابع عشر والمائة: قوله: ﴿إِن كُنتَ تَقِيّاً﴾ ١٧٧

الخامس عشر والمائة: قوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّے اِلذِينَ اَتَّقَواْ﴾.......................... ١٧٨

السَّابع عشر والمائة: قوله: ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ اِلْمُتَّقِينَ﴾ ١٧٩

الثامن عشر والمائة: قوله: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ اَلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾..... ١٧٩

التاسع عشر والمائة: قوله: ﴿وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوِيٰ﴾.......................... ١٧٩

المُوَفِّي عشرين ومائة: قوله: ﴿وَلَٰكِنْ يَّنَالُهُ اُ۬لتَّقْوِيٰ مِنكُمْ﴾ ١٧٩

الحادي وعشرون ومائة والثاني وعشرون ومائة: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ١٨٠

الثالث والعشرون والمائة: قوله: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ ١٨٠

الرابع والعشرون ومائة: ﴿فَلَ اَفَلَا تَتَّقُونَ﴾................................ ١٨١

الخامس وعشرون ومائة: ﴿أَمْ جَنَّةُ اُ۬لْخُلْدِ اِلتِے وُعِدَ اَلْمُتَّقُونَ﴾ ١٨١

السَّابع وعشرون ومائة: قوله: ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾.................. ١٨٣

الثالث والأربعون ومائة: قوله: ﴿وَاُزْلِفَتِ اِلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ١٨٣

الرابع والأربعون ومائة: ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ ١٨٤

السَّادس والأربعون ومائة: قَوْلُ إبراهيم لقومه: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾... ١٨٥

السَّابع والأربعون ومائة: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ ١٨٥

الثامن والأربعون ومائة: ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ ١٨٦

التاسع والأربعون ومائة: قَوْلُه للنساء: ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ ١٨٦

المُوَفِّي خمسين ومائة: قوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾........... ١٨٧

الحادي والخمسون ومائة: قَوْلُه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ١٨٨

الثاني والخمسون ومائة: قوله في الصَّافَّات: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ١٨٨

الثالث والخمسون ومائة: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ ١٨٩

الرابع والخمسون ومائة: قوله: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾.. ١٨٩

الخامس والخمسون ومائة: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ﴾....... ١٨٩

السَّادس والخمسون ومائة: ﴿يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ .. ١٩٠

السَّابع والخمسون ومائة: ١٩٠

الثامن والخمسون ومائة: قولُه: ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ١٩٠

التاسع والخمسون ومائة ﴿كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ ١٩١

المُوَفِّي ستين ومائة، ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ١٩١

الحادي والستون ومائة: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾.......... ١٩٢

الرابع والستون ومائة: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ ١٩٣

الخامس والستون ومائة: قَوْلُه: ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ ١٩٣

السَّادس والستون ومائة: قَوْلُه: ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.......... ١٩٤

السَّابع والستون ومائة: ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.................. ١٩٥

[حُقُوقُ الأخوة]: ١٩٥

التاسع والستون ومائة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِۦ﴾ ١٩٧

المُوَفِّي سبعين: ﴿وَتَنَٰجَوْا بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾................ ١٩٩

الثاني والسَّبعون ومائة: قوله: ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾ ... ٢٠٠

الثالث والسَّبعون: قوله: ﴿ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ ٢٠٠

الخامس والسبعون: قوله: ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ ٢٠١

السَّادس والسبعون: قوله: ﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ ٢٠١

السَّابع والسبعون والثامن والسبعون: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾. ٢٠٢

التاسع والسبعون ومائة: قولُه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ ..٢٠٣

الحادي والثمانون ومائة: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْماً﴾ ٢٠٤

الثاني والثمانون ومائة: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ ٢٠٤

الثالث والثمانون ومائة: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾ ٢٠٥

الرابع والثمانون ومائة: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً﴾ ٢٠٦

الخامس والثمانون ومائة: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾..........٢٠٦

السَّادس والثمانون ومائة: قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ ٢٠٦

السَّابع والثمانون ومائة: قوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ ٢٠٧

الثامن والثمانون ومائة: ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰٓ﴾..........٢٠٧

التائب: وهو الاسم الخامس ومائة ٢١١

ذِكْرُ ابتداء التوبة:..........٢١٣

[مناجاةُ ابنِ العربي رسولَ الله ومعاهدتُه له]: ٢٢٢

[من شرائط التوبة]:..........٢٢٣

المُجْتَبَى: وهو الاسمُ السَّادس والمائة..........٢٢٥

تَتْمِيمٌ: [في الاستغفار للصغير] ٢٣٦

ذِكْرُ التَّوابين من المؤمنين: ٢٣٧

[تَوْبَةُ أبي لُبابة]: ٢٣٧

[توبةُ كعب بن مالك]: ٢٣٨

[توبةُ الله على المؤمنين يوم أحد]: ٢٣٩

[توبةُ الله على المؤمنين يوم حُنَين]: ٢٣٩

[توبة الله على عائشة وحفصة]: ٢٣٩

[توبةُ قاتل المائة نَفْسٍ]: ٢٤٠

[توبةُ رجل لم يعمل خيرًا قط]: ٢٤١

[تَوْبَةُ رجل كان يداين الناس ويتجاوز عن المُعْسِرِ]: ٢٤٢

[توبةُ بَغِيٍّ سَقَتْ كَلْبًا]: ٢٤٢

[توبةُ رَجُلٍ يضع عليه الجبَّارُ كَنَفَه]: ٢٤٢

[توبةُ مَاعِزٍ]: ٢٤٣

[توبةُ الجُهَنية]: ٢٤٣

[توبةُ كعب بن عمرو]: ٢٤٤

[توبةُ رجل من الأنصار أَسْلَمَ ثم ارتدَّ ثم أَسْلَمَ]: ٢٤٥

[توبةُ آدَمَ عليه السَّلام]: ٢٤٥

[توبةُ من قَرَفَ أمَّ المؤمنين عائشة وقذفها]: ٢٤٦

شُرُوطُ التوبة: ٢٥٥

الاسمُ السَّابع ومائة: المستغفر..٢٥٧
[استغفارُ موسى عليه السَّلام]:..٢٦١
[استغفارُ داود عليه السَّلام]: ٢٦٢
[الأميرُ سَيْرُ بن أبي بكر]: ٢٦٢
[الاستغفارُ بالأسحار]: ٢٦٣
[استغفارُ يعقوب عليه السَّلام]:..٢٦٣
[فوائدُ الاستغفار]:..٢٦٤
[الاستغفارُ للغير]: ٢٦٥
[استغفارُ رسول الله]: ٢٦٦
الطَّاهِرُ: وهو الاسمُ الثامنُ والمائة..٢٧٢
[طهارةُ مريم عليها السَّلام]: ٢٧٤
[خصائصُ عيسى عليه السَّلام]: ٢٧٥
[تطهيرُ عامر بن فُهَيرة]:..٢٨٠
[قولُه تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾] ٢٨٢
[قولُه تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾]..٢٨٢
[جوابٌ مُسْكِتٌ لمن يقول بشُرْبِ النبيذ]: ٢٨٤
[قَوْلُه تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾] ٢٨٤

[طهارةُ من أقيم عليه الحَدُّ]: ٢٨٥

الطَّيِّبُ: وهو الاسم التاسع والمائة ٢٨٧

[قولُه تعالى: ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾] ٢٨٨

[الطَّيِّبُ على الحقيقة هو مُحَمَّدٌ عليه السَّلام]: ٢٩٢

[عمَّار الطَّيِّبُ المُطَيَّبُ]: ٣٠٠

الاسم العاشر والحادي عشر والثاني عشر والمائة: الأَوَّابُ والمُنِيبُ والأَوَّاهُ ٣٠١

[معاني الأوَّاه]: ٣٠١

[حُزْنُ إبراهيم عليه السَّلام]: ٣٠٤

[أسبابُ الحُزْنِ]: ٣٠٤

[من فوائد أبي سَعْدٍ الشَّهِيد في قَوْلِه تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾]: .. ٣٠٧

[نَفْيُ الجهة عن الله تعالى]: ٣٠٨

[من مناقبِ أبي بكر الصدِّيق]: ٣٠٨

[حُزْنُ رسول الله ﷺ على ولده إبراهيم]: ٣٠٩

[بكاءُ رسول الله على سعد بن عبادة]: ٣٠٩

[حُزْنُ يعقوب عليه السَّلام]: ٣١٠

[حُزْنُ لوط عليه السَّلام]: ٣١٠

[الفَرَجُ بعد الشدة]: ٣١١

[مَرَاجِعُ إبراهيم عليه السَّلام]: ٣١٣

المرجع الأوَّل: ٣١٣

المرجع الثاني: ٣١٥

[مُقَامُ ابنِ العربي ببيت رامة عاكفًا وعابدًا وذاكرًا]: ٣١٥

المرجع الثالث: ٣١٦

[اعتكافُ ابن العربي وشيخه برابطة المنجنيق]: ٣١٨

[سببُ تسمية نابلس بهذا الاسم]: ٣١٩

[عِفَّةُ نساء نابلس]: ٣١٩

[مناظرةُ ابن العربي ليهود نابلس]: ٣٢٠

[نصرُ بن إبراهيم النابلسي]: ٣٢٠

المرجع الرابع: ٣٢١

المرجع الخامس: ٣٢٢

المرجع السَّادس: ٣٢٤

المُطِيعُ: وهو الاسمُ الثالث عشر ومائة ٣٢٧

[التحذيرُ من رواية الإسرائيليات]: ٣٣٠

[جوازُ التكلم بغير اللسان العربي]: ٣٣١

[من شروط رواية الإسرائيليات]: ٣٣٣
[من شروط الطاعة]: ٣٣٣
نكتة: ٣٣٤
مغالطة: ٣٣٥
[بعضُ معاني الودود]: ٣٣٥
[مَوَدَّةُ قرابة رسول الله ﷺ]: ٣٣٧
[مَوَدَّةُ أصحاب رسول الله]: ٣٤٠
[قولُه تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾] ٣٤٠
الصَّفِيُّ: وهو الاسمُ الرابع عشر والمائة ٣٤٢
[ذِكْرُ الصوفية]: ٣٤٢
[حقيقةُ الورع]: ٣٤٣
[ذِكْرُ ما يدخل في الورع من الأعمال والأحوال]: ٣٤٤
الحَيُّ: وهو الاسمُ الخامس عشر والمائة ٣٤٩
[أنوارُ الله تعالى]: ٣٥١
[من آثار نور الله]: ٣٥٢
المُحَدَّثُ: وهو الاسمُ السَّادس عشر والمائة ٣٥٣
[نقضُ قول الصوفية: إن صفاء القلب مُوجِبٌ لتجلي المعلومات]: ٣٥٤

[الكلامُ على الخاطر]: ٣٥٥

[الفراسة]: ٣٥٦

[نقدُ إطلاق الصوفية اسم الوحي على أخبارها وخواطرها]: ٣٦٣

[وَحْيُ أُمِّ موسى وَحْيُ مشافهة من الملائكة]: ٣٦٤

الاسم السَّابع عشر ومائة: الخاشع ٣٧٠

الاسم الثامن عشر والمائة: الخَاضِعُ ٣٧٣

[نَقْدُ قول الليث في تفسير الخشوع]: ٣٧٥

[من معاني الخضوع]: ٣٧٥

[خُشُوعُ المؤمن]: ٣٧٦

[خُشُوعُ المخلوقات]: ٣٧٦

[الخشوعُ في الصلاة]: ٣٧٨

[كراهةُ استعمال الخشوع]: ٣٧٩

[رَفْعُ الخشوع]: ٣٧٩

التَّابِعُ: وهو الاسمُ التاسع عشر والمائة ٣٨١

[السَّابقون الأوَّلون]: ٣٨٣

[الخَلْقُ أتباعُ الرسل]: ٣٨٤

[قوله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ ٱلذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾] ٣٨٥

[اتِّباعُ موسى للخَضِرِ]: ٣٨٥

[اتِّباعُ الصراط المستقيم]: ٣٨٧

[حُجِّيَّةُ قَوْلِ التَّابِعِيِّ]: ٣٨٨

[متابعةُ النبي ﷺ]: ٣٨٩

المُعْتَصِمُ: وهو الاسمُ المُوَفِّي عِشْرِينَ والمائة ٣٩٠

[حقيقةُ الاعتصام]: ٣٩٠

[معنى الاعتصام بحبل الله]: ٣٩٠

[الاعتصامُ بسُنَّةِ رسول الله ﷺ]: ٣٩١

[الاقتداءُ بأفعال النبي ﷺ]: ٣٩٣

[العلماءُ المنذرون المُبَلِّغُونَ]: ٣٩٤

[النافرون الرحَّالون من المغاربة]: ٣٩٦

[فوائدُ رحلة ابن العربي]: ٣٩٩

[فضيلةُ الإسناد]: ٤١١

العَظِيمُ: وهو الاسمُ [الحادي والعشرون] والمائة ٤١٣

[فضائلُ أبي موسى الأشعري]: ٤١٤

[عظمةُ أبي الدرداء]: ٤١٥

[حقيقةُ العظيم]: ٤١٥

المُفْلِحُ: وهو الاسمُ [الثاني] والعشرون والمائة ٤١٦

الغَرِيبُ: وهو الاسمُ [الثالث] والعشرون والمائة ٤١٩

[غُرْبَةُ بَقِيٍّ بن مَخْلَدٍ]: ٤١٩

[غربةُ محمد بن مَوْهَب]: ٤٢٠

[غربةُ أبي الوليد الباجي]: ٤٢٠

[حقيقةُ الغريب]: ٤٢٣

[غُرْبَةُ ابن العربي]: ٤٢٤

[إسنادٌ]: ٤٢٦

المُتَبَتِّلُ: وهو الاسمُ [الرَّابع] والعشرون والمائة ٤٢٩

[قولُه تعالى: ﴿قَوْلًا ثَقِيلًا﴾] ٤٢٩

[قولُه تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾] ٤٣١

[المُتَبَتِّلُونَ بالمسجد الأقصى]: ٤٣٢

[رَغْبَةُ الطُّرْطُوشِي في التبتل]: ٤٣٢

تنويعُ المُتَبَتِّلِينَ: ٤٣٣

[حكاية]: ٤٣٤

[العالمةُ الشيرازية]: ٤٣٦

[أَدَبُ نساء بغداد]: ٤٣٦

[أبو الفضل المَرَاغِي]: ٤٣٨

[حكاية]: ٤٣٩

[محاسنُ البغداديِّين]: ٤٤٠

[أَقَلُّ أحوال المتبتلين]: ٤٤٠

[الصلاةُ على النبي ﷺ]: ٤٤٧

صفةُ الصَّلاة: ٤٤٧

[الوصاةُ بالأحاديث الصحاح]: ٤٤٩

[إسنادٌ]: ٤٤٩

[شرائطُ التبتل في الأمصار]: ٤٥١

البَدَلُ: وهو الاسمُ [الخامس] والعشرون ومائة........................٤٥٢

[خـاتـمـة]: ٤٥٤

فهرس الموضوعات ٤٥٩

